

14 me Année No. 653

Lundi—7—1—1946

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠



بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٦٥٣ « القاهرة فى يوم الإثنين ٣ صفر سنة ١٣٦٥ — ٧ يناير سنة ١٩٤٦ » السنة الرابعة عشرة

أوربا والإسلام



شيّع الناس بالأمس عاماً قالوا إنه نهاية الحرب ، واستقبلوا اليوم عاماً يقولون إنه بداية السلم . وما كانت تلك الحرب التى حسبوها انتهت ، ولا هذه السلم التى زعموها ابتدأت ، إلا ظلمةً أعقبها عمى ، وإلا ظلماً سيعقبه دمار ! حاربت الديمقراطية وحليفتها الشيوعية عدوتيهما الدكتاتورية ، وزعمتا للناس أن أولاهما تمثل الحرية والعدالة ، وأخراهما تمثل الإخاء والمساواة ، فالحرب بينهما وبين الدكتاتورية التى تمثل العلو فى الأرض ، والتعصب للجنس ، والتطلع إلى السيادة ، إنما هى حرب بين الخير والشر ، وصراع بين الحق والباطل . ثم أكدوا هذا الزعم بميثاق خطوه على مياه (الأطلسى) ، واتخذوا من الحريات الأربع التى ضمِنها هذا الميثاق مادة للدعاية شغلت الإذاعة والصحافة والتمثيل والتأليف أربع سنين كوامل ، حتى وهِمَ ضحايا القوة وفرائس الاستعمار أن الملائكة والروح يتنزلون فى كل ليلة بالهدى والحق على روزفلت وتشرشل وستالين ، وأن الله الذى أكمل الدين وأتم النعمة وختم الرسالة قد عاد فأرسل هؤلاء الأنبياء الثلاثة فى وشنطون ولندن وموسكو ، ليدرأوا عن أرضه فساد الأبالسة الثلاثة فى برلين وروما وطوكيو ! وعلى هذا الوهم الأثيم بذلت الأمم الصغرى للدول الكبرى قسطها الأوفى من الدموع والدماء والعرق ؛ فأقامت مصر من حريتها وثروتها وسلامتها فى (العلمين) سداً دون القناة ، وحجزت تركية بحيادها الودى سيل النازية عن الهند ، وفتحت إيران طرقها البحرية والبرية لتمير منها العتاد إلى روسيا ؛ ولولا هذه النعم الإسلامية الثلاث لدقت أجراس النصر فى كنائس أخرى !

ثم تمت المعجزة وصُرِعَ الجبارون ووقف الأنبياء الثلاثة على رءوس الشياطين الثلاثة ، يهصرون الأستار عن العالم الموعود ؛ وتطلعت شعوب الأرض إلى مشارق الوحى فى الوجوه القدسية ، فإذا اللحى تتساقط ، والقرون تنتأ ، والمسابح تنفرط ، والمسوح تنهتك ؛ وإذا التسابيح والتراتيل عواء وزئير ، والوعود والمواثيق خداع وتغرير ؛ وإذا الديمقراطية والشيوعية والنازية والفاشية كلها ألفاظ تترادف على معنى واحد : هو استعمار الشرق واستعباد أهله ! إذن برح الخفاء وانفضح الرياء وعادت أوربا إلى الاختلاف

والانفاق على حساب العرب والإسلام !

هذه إيران المسلمة، ضمن استقلالها الأقطاب الثلاثة، حتى إذا جد الجد تركوها تضطرب فى حلق الدب ثم خلصوا نجيا إلى فريسة أخرى!

وهذه تركية المسلمة، واعدوها وعاهدوها يوم كانت النازية الغازية تحوّم على ضفاف الدردنيل ؛ وهم اليوم يخلّونها وجهاً لوجه أمام هذا الدب نفسه يطرق عليها الباب طرقاً عنيفاً مخيفاً ليعيد على سمعها قصة الذئب والحمل !

وهذه أندونسيا المسلمة، آمنت بالإنجيل الأطلسى وقررت أن تعيش فى ديارها سيدة حرة ؛ ولكن أصحاب الإنجيل أنفسهم هم الذين يقولون لها اليوم بلسان النار : هولندا أوربية، وأندونسيا أسيوية، ونظرية الأجناس، هى القانون النافذ على جميع الناس !

وهذه سورية ولبنان العربيتان، أقر باستقلالهما ديجول، وضمن هذا الإقرار تشرشل، ثم خرجت فرنسا من الهزيمة إلى الغنيمة، واختلف الطامعان نخاس المضمون بعهده، وبرّ الضامن بوعده. ثم قيل إنهما اتفقا ! واتفاقهما لن يكون على أى حال قائماً على ميثاق الحريات الأربع !

وهذه فلسطين العربية، يفرضون عليها أن تؤوى فى رقعتها الضيقة، الشريد والطريد والفوضوى واللص، وفى أملاكهم سعة، وفى أقواتهم فضل ؛ ولكنهم يضحون بوطن العرب، لعجل السامرى الذهب، ويتخلصون من الجرائم، بتصديرها إلى أورشليم!

وهذه أفريقية العربية، يسمون أن ديجول أخا (جان دارك) قد حالف على أهلها الخوف والجوع، ثم انفرد هو بمطاردة الأحرار حتى ضاقت بهم السجون والمقابر، ولا يقولون له : حسبك ! لأن السفاكين أوربيون يؤمنون بعيسى، والضحايا أفريقيون يؤمنون بعيسى ومحمد !

بل هذه هى الأرض كلها أمامك، تستطيع أن تنفضها قطعة قطعة، فهل تجد العيون تتشوف، والأفواه تتحلب، والأطماع تتصارع، إلا على ديار الإسلام وأقطار العروبة ؟ فبأى ذنب وقع خُمس البشرية فى هذه العبودية المهلكة، وهو الخمس الذى انبثق منه النور وعُرف به الله وكرُم فيه الإنسان؟ ليس للثلاثمائة مليون من العرب والمسلمين من ذنب يستوجبون به هذا الاستعمار المتسلط إلا الضعف وما الضعف إلا جريرة الاستعمار نفسه. فلو كان المستعمر الأوربى صادق الحجة حين قال : إننا نتولى شؤون الشرق لنقوى الضعيف ونعلم الجاهل وندفع المتخلف، لوجد من العرب سنداً قوياً لحضارته، ومن الإسلام نوراً هادياً لعقله ؛ ولكنه ورث الخوف من الإسلام عن القرون الوسطى، فهو يسايره من بُعد، ويعامله على حذر. وإذا عذرنا قسوس العصور المظلمة فيما افتروا عن جهالة، فما عذر الذين كشفوا الطاقة الذرية إذا جمدوا على الضلال القديم وكتاب الله مقروء، ودستور الإسلام قائم ؟ !

لقد فشلت مذاهبهم الاجتماعية كلها، فلم تستطع أن تخلص جوهر الإنسان من نزعات الجاهلية الأولى ؛ فلم يبق إلا أن يجربوا المذهب الإسلامى ولو على سبيل الاقتباس أو القياس.

لا نريد أن نقول لهم : أسلموا لتحكموا، وتعلّموا لتعلموا، فإن هذه الدعوة يعتاقها عن الغاية القريبة عوائق من العصبية والوراثة والتقاليد والعادة ؛ ولكنا نقول لهم : تصوروا نظاماً واحداً يصلح لكل زمان ومكان، ويقطع أسباب النزاع بين الإنسان والإنسان : يوحد الله ولا يشرك به أحداً من خلقه ؛ ويقدس جميع الشرائع التى أنزلها الله ولا يفرق بين أحد من رسله ؛ ويؤاخى بين الناس كافة فى الروح والعقيدة لا فى الجنس والوطن : ويسوى بين الأخوة أجمعين فى الحقوق والواجبات فلا يميز طبقة على طبقة ولا جنساً على جنس ولا لونا على لون ؛ ويجعل للفقير حقاً معلوماً فى مال الغنى يؤديه إليه طوعاً أو كرهاً ليستقيم ميزان العدالة فى المجتمع، ويجعل الحكم شورى بين ذوى الرأى فلا يحكم بأمره طاغ، ولا يصر على غيه مستبد ؛ ويحرر العقل والنفسّ والروح فلا يقيد النظر ولا يحصر الفكر ولا يقبل التقليد ولا يرضى العبودية ؛ ويأمر معتقديه بالإقساط والبر لمن خالفوهم فى الدين وعارضوهم فى الرأى ؛ ويوحد الدين والدنيا ليجعل للضمير السلطان القاهر فى المعاملة، وللإيمان الأثر الفعال فى السلوك.

وجملة القول فيه أنه النظام الذى يحقق الوحدة الإنسانية فلا يعترف بالعصبية ولا بالجنسية ولا بالوطنية، وإنما يجعل الأخوّة فى الإيمان، والتفاضل بالإحسان، والتعاون على البر والتقوى. فإذا تصورتم هذا النظام، فقد تصورتم الإسلام. وإذا أخذتم به فقد اطمأن العالم المضطرب واستقر السلام المزعزع. ولا يعنينا بعد ذلك أن تطلقوا عليه لفظاً يونانياً أو لاتينياً ما دمتم تسلمون وجوهكم إلى الله، وتسلّمون قيادكم لمحمد !

احمد حسن الزيات

الجامعة العربية حركة طبيعية

للأستاذ عباس محمود العقاد



قيل فى الغرب — وردد بعض الشرقيين هذا القول — إن الجامعة العربية حركة مصطنعة تدبرها بعض الدول الأجنبية لأغراضها السياسية فى الوقت الحاضر، وإنها تستطيع أن تبطلها كما استطاعت أن تختلقها متى فرغت من حاجتها إليها.

والذى نريد أن نقرره قبل بيان الحقيقة فى هذه الأقاويل أن الحركات العالمية، أو الحركات القومية، لا يخلقها تدبير مصطنع على الإطلاق، وأنها توجد بأسبابها الكامنة فيها وتتجه إلى غاياتها الموافقة لتكوينها، فلا تستطيع قوة فى الأرض أن تظهرها وهى خافية، أو تتجه بها إلى غاية لا توافقها ولا تلائم مصالح ذويها.

والحركة العربية قامت فى نشأتها الحديثة على الرغم من السياسة الأوربية ولم تقم باختيارها وتدبيرها، وعادت إلى التجمع والوحدة بين الحربين العالميتين؛ لأنها لا بد أن تعود بعد تلك القومة الأولى.

فمنذ أوائل القرن التاسع عشر سئل إبراهيم باشا وهو يناضل الدولة العثمانية: إلى أين تنتهى فتوحاته؟ فقال: إلى حيث لا يوجد من يتكلم العربية. يريد بذلك أنه ينشىء دولة عربية محضا، ولا يريد أن يتجاوزها إلى بلاد أخرى.

وحوالى هذا الوقت كان محمد بن عبد الوهاب فى نجد يعلن الثورة على الحكومة العثمانية، ويجمع القبائل فى جزيرة العرب لتوحيد كلمتها، والإتجاه بها إلى وجهة الإستقلال، عن السيطرة الخارجية.

ولم تكن جزيرة العرب يومئذ تعترف بشىء من السلطان الأجنبى غير السيادة الإسمية والرقابة البعيدة التى لا تتعرض لشؤونها الداخلية، فكان أمراء نجد والكويت والحجاز واليمن يأخذون وقلما يعطون فى علاقتهم بالدولة العثمانية، وكانوا على استقلالهم الذى تعودوه منذ القدم فى حواضر الصحراء وبواديها، ولا سيما البوادى التى تحجم عنها جنود الدولة ولا تنفذ إليها بغير إذن من أبنائها.

أما فى سورية ولبنان فقد رحبت جمهرة الشعب بحركات الوحدة مع الأمم العربية الأخرى وكانت على اتصال دائم بوادى النيل والجزيرة، وكانت علاقة أمرائها بمحمد على الكبير على ما يعلم المطلعون على تاريخ ذلك الحين.

وفى كل هذا كانت السياسة الأوربية تقف من حركات العرب موقف المقاومة والتثبيط، لأنها عملت على بقاء الأمم العربية فى حوزة الدولة العثمانية، محرومة جهد المستطاع من حقوق السيادة والإستقلال.

ولم تفلح هذه المقاومة إلا ريثما استجدت تلك الأمم نشاطها وتحفزت مرة أخرى للوثوب إلى غايتها.

فقامت فى مصر حركة المطالبة بمصر للمصريين، وقامت فى السودان حركة « التُرك » كما كانوا يسمون الأجانب أجمعين، وقامت فى بلاد العرب دعوة واحدة إلى الإستقلال، ولكنها كانت تمتحن من آونة إلى أخرى بمحنة المنافسة بين زعماء العشائر وأمراء الأقاليم، ودخل السوريون واللبنانيون والعراقيون فى حزب تركيا الفتاة؛ لأنه الحزب الذى كان يمنيهم بالحكومة « اللامركزية » أى حكومة العرب فى بلادهم، كما يشاءون، وبمن يشاءون.

وفى هذا الدور أيضا من أدوار القضية العربية كانت السياسة الأوربية تخذل العرب أو تمنعهم أن يبلغوا من الإستقلال غاية ما يقدرون عليه.

ثم نشبت حرب الأمم قبل ثلاثين سنة فتحركت الجامعة العربية من جديد، تارة على هدى وتارة على ضلال، فتسابقت دول أوربا إلى كسب الأنصار من أمم العرب التى استقلت أو طمحت إلى الإستقلال، وانتهت الحرب والأمم العربية جماء متفقة على المطالبة بالحرية والمناداة باسم العروبة فى جامعة تتوافر لأعضائها حقوق الإستقلال.

وعلى ما كان من موقف أوربا فى المقاومة والتثبيط كانت لها فلتات هنا وفلتات هناك تبدر منها حينا بعد حين ؛ فى سبيل التشجيع والإغراء .

فكان الإنجليز مثلا يشجعون المناداة بمصر للمصريين لأنها تفصل مصر عن الدولة العثمانية ، ولكنهم يثبطونها من جهة أخرى لأنها ثورة صريحة على الإحتلال البريطانى ، وما عسى أن يتطور إليه من بسط الحماية البريطانية فى صورة من صورها الكثيرة.

وكان الفرنسيون ينشئون المدارس فى البلاد السورية ، كما ينشئون فيها المطابع والمجامع لنشر كتب العرب وثقافة العرب وإحياء التراث العربى القديم ، سعياً إلى الفصل بين العرب والدولة العثمانية لا سعيا إلى استقلالهم عن جميع الطامعين ، وفى طليعتهم الفرنسيون .

وكان الألمان يقابلون هذا بالتقرب إلى « الجامعة الإسلامية » لأنها تشمل التقرب من الترك والعرب على السواء ، ولكنهم كانوا يطمحون من وراء هذه الجامعة إلى بلاد العرب فى طريقهم إلى الهند والأقطار الأسيوية ، ويدفعون السلطان عبد الحميد إلى مد خطوط المواصلات فى أنحاء سورية والجزيرة تحقيقا لأحلامهم التى تتلخص فى صيحتهم « من برلين إلى بغداد » ، ثم إلى الهند من هذه الطريق .

فالسياسة الأوربية قد وجدت حركة قائمة فاستفادت منها تارة بالمقاومة وتارة بالتشجيع .

أما أنها تخلقها خلقا فذلك مخالف للواقع ومخالف لفحوى التاريخ ، وهو على هذا وذلك مستحيل .

واليوم تدخل « الجامعة العربية » فى طور جديد بفضل كيانها القديم لا بفضل السياسة المصطنعة أو التدبير الخارجى من جانب الإنجليز أو جانب الأمريكيين .

وقد تكون للانجليز مصلحة فى مصادقتها ورغبة فى التفاهم بينهم وبينها ، ولكنهم يجدون مثل هذه المصلحة فى التفاهم بينهم وبين الأغريق أو التفاهم بينهم وبين الإيطاليين ، فلا يقول قائل إنهم خلقوا القومية الاغريقية أو خلقوا القومية الإيطالية ، أو إنهم قادرون على تجاهل القوميتين وإحباط ما ترميان إليه إذا تحولت السياسة من خطة إلى خطة فى المستقبل القريب ، أو المستقبل البعيد .

وكل ما يعنينا أن التفاهم بين الجامعة العربية وكائن من كان من أصدقائها والراغبين فى مصادقتها لا ينتهى إلى ضرر يحيق بالإستقلال أو يحيق بالمصالح الجوهرية ، أو يتجه بها إلى غير الوجهة التى يرضاها أبناء الجامعة لأوطانهم ، ولأوطان العروبة على الإجمال .

ومتى وثقنا من ذلك فنحن الغانمون باتفاق المصالح بيننا وبين الإنجليز وغير الإنجليز ، بل نحن خلقاء أن نزيد من هذا الإتفاق فى المصالح والسياسات لأننا لا نحب أن نصطدم بسياسة غيرنا إذا تسنى لنا أن نعامله على وفاق .

ان الجامعة العربية حركة طبيعية من قديم الزمن وهى طبيعية فى هذا الزمن على التخصيص ، لأن العصر الحاضر ينادى باحترام حقوق الأوطان ، وأبناء العروبة يذودون عن أوطانهم وينشدون لها نعمة الحرية الكاملة ، ولأن العصر الحاضر ينادى بالتعاون فى الجوار وأبناء العروبة متجاورون محتاجون إلى التعاون فيما بينهم على المرافق المشتركة وهى أكثر من أن تنحصر فى مرافق الماضى أو مرافق الحاضر أو مرافق المستقبل على انفراد ، ولأن العصر الحاضر ينادى بالتعاون الشامل فى المسائل العالمية الكبرى ، ونحن نستطيع أن نعين ولا نكره أن نعان ولا نستغنى عن المعونة بحال

وحسب الجامعة العربية أنها عمل ينفع أبناءه ولا يضير غيره — وقد ينفعهم فى كثير من الأحوال — ليستحق البقاء ويستحق السهر عليه من ذويه ويستحق الصداقة ممن يعمل فى العالم الجديد عمل البصراء والعارفين .

عباس محمود العقاد

ضربات معول

للدكتور عبد الوهاب عزام
عميد كلية الآداب



فى العام الخامس من الهجرة تألب الشرك على التوحيد ، وائتمر الباطل بالحق ، وكاد الشر للخير. تقاسم رءوس الضلالة ليغزُونّ المدينة وليقتلُنّ هذه الجماعة الناشئة ، وليبطلُنّ تلك الدعوة الجديدة .

مشى يهود خيبر إلى قادة قريش ، وحرضوا القبائل الضاربة غربىّ نجد وشرقىّ خيبر ، قبائلَ غطفان . فاجتمعت كلمة هؤلاء وهؤلاء على غزو المدينة والبطش بالمسلمين .

ورأى المسلمون أنهم لا قِبل لهم بهذه الأحزاب ، لا يستطيعون دفع قريش وغطفان وألفافهما ، لا قبل لهم بهذه الجموع الحاشدة من قيس عيلان وقريش ومَن انحاز إليهم ، هذه الجموع التى قال فيها حُيَىّ بن أخطب أحد زعماء اليهود الذين ألّبوا الناس على المسلمين ، حين جاء إلى كعب بن أسد القرظى رئيس بنى قريظة وهم بقية اليهود فى المدينة فقال له يحرضه على نقض عهد المسلمين :

« ويحك يا كعب جئتك بعزّ الدهر وببحر طامٍ . جئتك بقريش على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بمجتمع الأسيال من رومة ، وبغطفان على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بذَنَب نَقَمَى إلى جانب أحُد ؛ قد عاهدونى وعاقدونى على ألا يبرحوا حتى نستأصل محمداً ومن معه » .

أهمّ المسلمين هؤلاء الأعداء ، فأشار سلمان الفارسى بحفر خندق يصد الجيوش عن المدينة . فخطّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى موضع المخافة من المدينة . وذلكم شمالها حيث يطمع العدو فى دخولها . وأما الجوانب الأخرى فكانت ممتنعة على الغزاة بجبالها ونخيلها . خط الرسول الخندق من أجُم الشيخين إلى المذاد[1] وقطّعه بين الصحابة أربعين ذراعا لكل عشرة رجال . وجدّ المسلمون ليفرغوا من الخندق قبل أن يدهمهم العدو . والرسول يشرف عليهم يشاركهم أحياناً فى عملهم وارتجازهم .

— ٢ —

وبينا عشرة من الصحب يحفرون قسمهم من الخندق لقوا صخرة قاسية أثرت فى معاولهم ولم تؤثر فيها المعاول . وكرهوا أن يعدلوا عنها فيحيدوا عما خطّه الرسول لهم . فقالوا لسلمان الفارسى أحد هؤلاء العشرة اصعد فانظر ماذا يأمر رسول الله . فرقى سلمان فقال :

« يا رسول الله بأبينا أنت وأمنا . خرجت صخرة بيضاء من الخندق مَرْوة فكسرت حديدنا وشقّت علينا حتى ما نُحيك فيها قليلا أو كثيراً . فمُرنا فيها بأمرك . فإنا لا نحب أن نجاوز خطك » .

قال راوى القصة عمرو بن عوف المُزَنىّ :

فهبط رسول الله مع سلمان فى الخندق . ورقينا نحن التسعة على شقة الخندق . فأخذ رسول الله المعول من سلمان فضرب الصخرة ضربة صدعها وبرقت منها برقة أضاءت ما بين لابتيها[2] حتى لكأن مصباحاً فى جوف ليل مظلم . فكبّر رسول الله تكبير فتح . وكبر المسلمون . ثم ضربها رسول الله الثانية فصدعها وبرقت منها برقة أضاءت ما بين لابتيها حتى لكأن مصباحاً فى جوف بيت مظلم ، فكبر رسول الله تكبير فتح وكبر المسلمون . ثم ضربها رسول الله الثالثة فكسرها وبرقت برقة أضاءت ما بين لابتيها حتى لكأن مصباحاً فى جوف بيت مظلم . فكبر رسول الله وكبر المسلمون . ثم أخذ بيده سلمان فرقى . فقال سلمان بأبى أنت وأمى يا رسول الله لقد رأيت شيئاً ما رأيته قط . فالتفت رسول الله إلى القوم ، فقال هل رأيتم ما يقول سلمان ؟ قالوا نعم يا رسول الله — بأبينا أنت وأمنا — قد رأيناك تضرب فيخرج

(١) لم يكن الخندق محيطا بالمدينة كما يتوهم بعض الكتاب .
(٢) اللابة الحرة . لابتا المدينة حرتاها الشرقية والغربية .

برق كالموج فرأيناك تكبر فنكبر . ولا نرى شيئاً غير ذلك[١] » .

قال رسول الله : أما الأولى فقد أضاءت لى منها قصور الحيرة ومدائن كسرى ؛ والثانية أضاءت لى منها قصور الحمر من أرض الروم ؛ والثالثة أضاءت لى منها قصور صنعاء[٢] . « فأبشروا يبلغهم النصر . وأبشروا يبلغهم النصر . وأبشروا يبلغهم النصر » .

— ٣ —

إن هذا الشيء عجاب : جماعة قليلة لم تستطع الدفع بأيديها وأسلحتها فاعتصمت بالخندق تتقى به عدواً أكثر عدداً وأعظم عُدّة ؛ جماعة قليلة جاهدة يدهمها عدو حاقد مُحنَق قد صمم على أن يستأصلها . وليس لهذه الجماعة رِدء على الأرض ولا مدد . وهى تكدح لحفر الخندق وتكلّ أيديها فينزل قائدها يعينها ويواسيها ، على حين أحاط بها الخوف « وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا » .

وفى هذه المخاوف ، وعلى هذه الحال يتحدث هذا القائد بفتح المشرق والمغرب ! ما أعظمها دعوى ، وما أعجبها أمنية !

كذلك قال الذين رأوا عدداً قليلا من الناس يحفر أرضاً ليتقى عدوه ، ولم يروا ما وراء هذه الأجسام القليلة من معان كثيرة . قالوا :

«ألا تعجبون! يحدثكم ويُمَنّيكم ، ويعدكم الباطل . يخبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وأنها تفتح لكم وأنتم تحفرون الخندق ولا تستطيعون أن تبرُزوا » .

« وإذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً » .

أجل من يرى هذه الجماعة القليلة تدرأ عن نفسها بهذه الحفيرة يعجب ألا يشغلها ضعفها ، والهول الذى دهمها ، والخوف الذى أحاط بها ، عن التحدث بالفتح فتح المشرق والمغرب . إنها لإحدى الكُبَر .

(١) الطبرى : غزوة الخندق .

(٢) مختصر من الطبري . وفى رواية بن هشام ، أن الأولى فتحت بها صنعاء ، والثانية فتح بها المشرق ، والثالثة فتح بها الشام والمغرب .

— ٤ —

لا لا . لم تكن فى المدينة جماعة قليلة ولكن كان الحق يصاول الباطل ، والخير يدفع الشر ، والإيمان ينازل الكفر ، والتوحيد يواثب الشرك ، والعزم يقابل الخورَ ، والاجتماع يثبت للافتراق ، والصبر يصمد للجزع ، واليقين يتحدّى الشك . كانت معان تقاتل معانى . وما ضرّ المعنى الظافرَ فى سنة الله قلةُ أنصاره على الأرض ؛ ولا نفع المعنى المنهزم فى قانون الله كثرةُ سواده فى الناس .

وما كان مسلمو الخندق يحادّون قريشاً وغطفان ويهود وحدهم بل كانوا يحادّون الأمم كلها . لقد انقسم العالم يومئذ فريقين : أهل المدينة الذين يحفرون الخندق ، ومَن خارج المدينة فى جزيرة العرب وفى غير الجزيرة من أقطار الأرض كلها . لقد كان هذا الخندق فاصلا بين جماعتين : جماعة قليلة تحتضن حقاً وليداً ، وتاريخاً جديداً ، وتلتفّ حول عقيدة وشريعة وخلق ، وبين سواد الأمم كلها يموجون فى باطلهم ، ويسيرون فى مواكب للجهالة والإثم ، والعدوان والظلم ، ويحوطون أوثاناً من الحجر أو أصناماً من البشر .

وما كان العرب إلا العدوّ الأدنى ، عرف هذه الجماعة فحذرها ، وكرهها فآذاها ، ثم أشفق منها فائتمر بها وعزم ليأخذَنّ عليها الطريق ، وليمنعنّها أن تنتشر على الأرض ، وليفرقنّ جمعها ، ويبددنّ نظامها ، ويبطلنّ دعوتها .

وكانت أمم الأرض كلها من وراء هؤلاء العرب ، حرباً على هذه الجماعة لو قاربوها وخالطوها . وما كان العرب المشركون فى حرب العرب المسلمين إلا طلائع جيش للباطل جنوده أهل الأرض قاطبة . كذلكم كان هذا الخندق المحفور بين المسلمين وأعدائهم حداً بين عصر وعصر ، وفاصلا بين تاريخ وتاريخ .

ولكن العرب الكثيرين من قريش وغطفان ويهود ، وهم طلائع جيوش الأرض كلها ، لم يكونوا فى أنفسهم ، وفيما انطوت عليه هذه الأنفس من معان ، أقوى ولا أولى بالظفر من هذه الجماعة القليلة . دع العدد القليل ، والعدد الكثير ، وانظر هذه المعانى تتقاتل ، تجد التوحيد يحارب الوثنية ، والفضيلة تقاتل الرذيلة ،

والنظام بدافع الفوضى ؛ تجد الخير والشر ، والعدل والجور ، والحرية والعبودية ، والحق والباطل فى معترك . فانظر لأى هؤلاء العاقبة !

وهل كان المعول فى يد رسول الله ، وضربات المعول فى هذا الصخر الأصم ، وهذه البرقات التى ماج بها الهواء كالمصباح فى بيت مظلم ، إلا الحق يصادم الباطل ، والإيمان يصاول الشرك ، والنور يمزق الظلام ، والحق العزيز المصمم يكسر ما يعترضه ، ويدمغ مايصده . كانت هذه الضربات رموزاً لما وراءها من جهاد وجلاد ، وكان هذا الضوء بياناً لما يتصل به من هدى ، وكانت يمين الرسول العزمُ المصمم ، وكان كل خير وحق وفضيلة فى النفس التى تبطش بهذه اليد .

كانت هذه المعانى كالشرارة الصغيرة تؤجج ما شاء الله من نار ونور ، والآحاد فى الأعداد تستوعب كل ما يدركه العدّ ، وكالفكرة الأولى تفتح للعقل طريقاً مديداً ومذهباً جديداً ، وكحروف الهجاء تنتظم لغات العالم ، وكقرص الشمس يغمر العالمين نوراً .

— ٥ —

كذلك سخر الذين سمعوا قصة محمد ومعوله ، وعرفوا حديث القائد المحصور يبشر بفتح العالم! ولكن كثيراً من هؤلاء الساخرين عاشوا حتى سمعوا صدى هذه الضربات فى اليرموك والقادسية وما تلاهما شرقاً وغرباً ، وأبصروا برقها يصعق يزدجرد وهرقل وجنودهما ، وكل جند للباطل على ظهر الأرض .

ورأوا المعانى التى مثلتها هذه الضربات وقد ثارت بالباطل غير رفيقة ، وزلزلت الظلم غير مشفقة ، وانتشرت فى المشرق والمغرب كالسحاب مجلجلا مضيئاً صاعقاً ممطراً منبتاً .

عاش الساخرون عشر سنين فرأوا جزيرة العرب تدين لصاحب المعول ، ورأوا فارس والروم تخرّ لضرباته ، والمشرق والمغرب يستضىء بهذه البرقات . وعلموا يقيناً أن محمداً صدقهم حينما وعدهم فتح العالم وهو قائم فى الخندق يحطم بمعوله الصخرة التى أعيت أصحابه .

عبد الوهاب عزام

من وراء حجاب

للأستاذ محمود محمد شاكر



أخي الأستاذ الزيات:

السلام عليكم ورحمة الله، وبعد، فقد أكرمتني ودعوتني لكتابة مقالتي لعدد الهجرة من الرسالة، فجعلتُ أماطل الساعات كعادتي حتى تضطرّني إلى مأزق أجد عنده مفرًّا من حمل القلم، والإكباب على الورق، وترك الزمن يعدو عليّ وأنا قارٌّ في مكان لا يتغير وزمان لا يتحول. فلما كارب الوقت وأزفت الساعة، فزعت إلى ذلك الكتاب القديم الذي طال عهد «الرسالة» به، وهو «مذكرات عمر بن أبي ربيعة»، حملت الكتاب حريصاً عليه، ووضعته على المكتب بين يديّ، وترفقت بصفحاته وأنا أقلبه كما يقلب العاشق المهجور تاريخاً مضى من آلام قلبه. ووقعت على ورقة حائلة اللون قد تخرّمها البِلى، وإذا فيها هذه الأبيات الثلاثة، لم ينل منها شيء، لا تزال ظاهرة السواد بيِّنة المقاطع:

«فصروف الدهر في أطْباقه ... خِلْفَةٌ فيها ارتفاع وانحدارُ
بينما الناس على عليائها ... إذ هوَوْا في هوّة منها فغاروا
إنما نعمة قوم مُتْعة ... وحياة المرء ثوب مستعارُ»

لم أدر لِمَ نقل «عمر بن أبي ربيعة» هذه الأبيات في مذكراته، فإنها قائمة وحدها ليس قبلها ولا بعدها شيء يدل على ما أراد من ذكرها، فجعلت أداور الأوراق لعلي أبلغ مبلغاً من توهّم خبرها الذي سيقت من أجله، وجعل معناها يداور قلبي ويساوره حتى كفَّت يدي عن الحركة، وسكن بصري على مكانها، وأحسست كأن القدر قد نام في ظلالها كالسارد الثمل طرحه طغيان السكر حيث استقر، وأطاف بنفسي جو من السكون والرهبة والجلال، وأخذت أستغرق في تأمل هذه الحياة المتكررة المتطاولة الدائبة منذ عهد أبينا الشيخ آدم رحمه الله إلى يوم الناس هذا. فآنست فترة تأخذني، ثم نعسة تتغشّاني، وسبحت في غمرة طويلة لذيذة لا عهد لي بمثلها منذ عَقَلْتُ.

وإذا أنا أفضي من غمرتي إلى ميدان فسيح أخضر الجوانب متراحب الأرجاء، وإذا مسجد بعيد يستقبلني كأحسن ما رأيت من مسجد بناءً وبهاءً، قد تباعدت أركانه وتسامت في جو السماء مآذنه، ويبرق بابه ويتلألأ شعاع الشمس عليه. فقصدت قصده، ولم أكد أدنو حتى رأيت جموعاً غفيرة من الخلق يستقبلون الباب خارجين، في ثياب بيض وعمائم بيض كأنها غمام تزجّيه الرياح. فوقفت وسألت أول من لقيت: ما الذي جمع الناس؟ قال: إنه الشيخ أيها الفتى. قلت: فمن الشيخ يرحمك الله؟ قال: غريب والله، إنه الشيخ أبو جعفر الطبري إمام أهل السنة، وشيخ المفسرين، وعمدة المحدثين، وثقة المؤرخين، ردّ الله غربتك يافتى. قلت له: جزاك الله خيراً ورضي عنك وأرضاك، أتراني أدركه الساعة؟ قال: هو رهين هذا المسجد لا يبرحه، فادخل تلقه.

ولم أزل أحتال للدخول وأمواج الناس تتقاذفني عن الباب حتى كدت أيأس من لقاء الشيخ، وظننت أني لو بقيت دهراً لم تنقطع هذه الأمواج المتدفقة من باب المسجد. وظللت أزاحم حتى بلغ مني الجهد، وانتهيت إلى صحن المسجد وقد انفضّ جمع الناس، ولم يبق فيه غيري. وجعلت أسير وأتلفت وأنظر في مقصورة بعد مقصورة، حتى رأيت بصيصاً من ضوء في مقصورة بعيدة، فلما وافيتها، وكانت الشمس قد آذنت بغروب، رأيت مسرجة معلقة وحجرة واسعة، وآلافاً مؤلفة من الكتب قد غطت الجدران. فاستأذنت ثم سلمت فلم أسمع مجيباً، فدخلت، وإذا في جانب منها شيخ ضافي اللحية أبيضها جميل الوجه، قد اتكأ وأخذته سنة من نوم، وقد مالت عمامته عن جبين يلمع كأنه سُنَّة مصقولة من ذهب، وبين يديه كتب وأوراق مبعثرة

أو من كومة ومحابر وأقلام .

سرقت الخطو حتى تمت بين يدى هـذا الشيخ النائم ، ثم جلست وجعلت أقدم ثم أحجم أريد أن أمسك شيئاً من ورقه لأقرأه ، ثم عزمت فأخذت ما وقعت عليـه يدى ، فإذا هو تتمة تاريخ أبى جعفر الطبرى الذى كان سماه « تاريخ الأمم والملوك » ، وكان الجزء الذى فيه يبدأ من سـنة خمس وستين وثلاثمئة بعد الألف من الهجرة (سنة ١٣٦٥ هجرية الموافق لسنة ١٩٤٦م) ، فانطلقت أقرأ تاريخ هذا الزمن ومابعده . وعسير أن أنقل لك كل ما قرأت ، فسأختارلك منها نتفاً تغنى ، كما كتبها الإمام أبوجعفر، وبعضها منقول بتمامه ، وبعضها اختصرت منـه حتى لا أطيل عليك . قال أبو جعفر :

[ثم دخلت سنة خمس وستين وثلاثمئة بعد الألف]

ذكر ما كان فيها من الأحداث :

فن ذلك ما كان من إجماع المجلسين الأمريكيين على فتح أبواب فلسطين لشذّاذ المهاجرين من اليهود . وكتب إلىّ السُّدّى ، وهو مقيم هناك فى أمريكا ، أن موقف الرئيس ترومان الذى كان ادّعاهُ من إيثاره العقل على الهوى فى هذا الأمر ، إنما كان حيلة مخبوءة أراد بها أن يغرر بالبلاد العربية والإسلامية ، ثم يفاجئها بحقيقته . وهو فى ذلك إنما يعمل للظفر بمعونة اليهود فى الانتخاب الآتى للرياسة . ولما كان هواه هو الذى يُصرّفه ، فقد علم أنه طامع فى الرياسة حريص عليها ، وأن اليهود فى أمريكا هم أهل المال ، أى أهل السلطان ، أى هم الأنصار الذين إذا خذلوه فقد ضاع . قال السدّى : وقد سمعت بعض أهل العقل والرأى فى أمريكا يستنكرون ما كان منه ومن قرار مجلسيه ، ويرون أن الديمقراطية اليوم قد صارت كلمة يراد بها التدليس على عقول البشر ، ليبلغ بها القوى مأربه من الضعيف المغرور بهذه الرقية الساحرة التى يدندنون بها فى الآذان . وقد أخبرنى الثقة أن الرئيس ترومان قد أوحى إليه بعض بطانة السوء أن العرب والمسلمين قومٌ أهل غفلة ، وأن دينهم يأمرهم بالصبر ويلح فيه ، فهم لا يلبثون أن يستكينوا للأمر إذا وقع ، ولا يجدون فى أنفسهم قوة على تغييره أو الانتقاض عليه ، وأن الزمن إذا تطاول عليهم فى شىء ألفوه ولم ينكروه . فإذا دام دخول اليهود فلسطين ، وبقى الأمر مسنداً إلى الدولة المنتدبة (وهى بريطانيا) ، وانفسح لحق اليهود مجال الدعوى والعمل والتبجح ، وألح على العرب دائماً إجماع الدنيا كلها (أى الديمقراطية) بأن الدولة اليهودية فى فلسطين حقيقة ينبغى أن تكون وأن تتم كما أراد الله ، فيومئذ يلقى العرب السَّلَم ، ولا يزالون مختلفين حتى ينشأ ناشئهم على إلف شىء قد صبر عليه آباؤه ، فلا يكون لأحد منهم أدنى همة فى تغيير ما أراد الله أن يكون ، مما صبر عليه آباؤهم وأسلافهم — وهم عند العرب والمسلمين — أهلُ القدوة .

وفى هذه السنة كتب إلىّ السُّدّى أيضاً يقول إنه لقى أحد كبار الدعاة من اليهود ، وكان لا يعرفه ، فحدثه عن أمر اليهود فى فلسطين ، فقال له الداعى اليهودى : لا تُرَعْ ، فنحن لا بدّ منتهون إلى ما أردنا ، رضى العرب أم أبوا . وما ظنُّك بقوم كالعرب خير الحياة عندهم النساء ، وقد قال نبيهم : « حُبِّبَ إلىّ من دنيا كم النساء والطيب ، وجعلتْ قُرَّةُ عينى فى الصلاة» ، ولقد سلطنا عليهم بنـات صهيون ، وهن من تعلم جمالا ورقة ، وأبداناً تجرى الحياة فيها كأنها نبع صافٍ يتفجر من صفاة شفافة كالبلَّوْر . وهن بنات صهيون دلال وفتنة ، وعطر يساور القلوب فيسكرها ويذهلها ثم يغرقها فى لذة يضن المرء بنفسه أن يصحو من خمارها أو نشوتها ، منصرفاً عن أمر الدنيا كله لا عن الصلاة وحدها التى جعلت قرة لعين نبيهم . فهن فى فلسطين ، وهن فى الشام ، وهن فى مصر والعراق وتونس والجزائر ومراكش ، ولولا تلك البقعة العصية التى لا نزال نخشى بأسها على ضعفها وقلتها وفقرها — أعنى الحجاز وما جاوره — لقلت لك : لقد قضينا على هذه العرب ، وعلى هذا الدين الدخيل الذى سرق منا التوحيد وادّعاه لنفسه ...

[ثم دخلت سنة ست وستين وثلاثمئة بعد الألف]

ذكر ما كان فيها من الأحداث :

فن ذلك ما كان من اجتماع ملوك العرب وأمرائهم ووزرائهم بعد الحج من السنة التى قبلها ، اجتمعوا فى مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقرَّ قرارهم على أن يعلنوا للناس جميعاً وينذروهم بما

رأوا وبما أجمعوا عليه :

الأول : أن ميثاق الأطلسي ومواثيق الدول الكبرى كلها تغرير بالضعفاء وتلعب بعقولهم .

الثاني : أن فلسطين ستجاهد ، ومن ورائها بلاد العرب والمسلمين جميعاً تظاهرها بالمال والولد .

الثالث : أن الفتك والغدر والاغتيال ليس من شيمة العرب ولا من دين المسلمين ، وأن حوادث الاغتيال الشنيعة المنكرة التي اقترفها اليهود ينبغي أن تقابل بالصدق والصراحة لا بالغيلة والغدر .

الرابع : أن الأمم العربية والإسلامية تعلم أن ليس لديها اليوم من السلاح ما يكفي لقتال الأمم المعتدية التي تظاهر اليهود بالمال والسلاح ، ولكنها ستقف كلها على بكرة أبيها صفاً واحداً تقاتل بما تصل إليه يدها من مقاطعة ومنابذة وكبرياء . وأنها تفعل ذلك ما استطاعت ، ولكنها لن تظلم يهودياً ولا نصرانياً ولا أحداً من أهل الأديان ، ولن تضطهد بريئاً ولا لاجئاً ، وأنها لن تقنع بشيء بعد اليوم إلا بجلاء المعتدين والمستعمرين من بلادها ، وجلاء اليهود عن أرض فلسطين ، ومن شاء أن يبقى فيها من يهود ، فله ما لنا وعليه ما علينا .

الخامس : أن الأمم العربية والإسلامية قد عزمت على أن تبدأ منذ هذا اليوم في انتخاب مجلس عام تمثل فيه جميعاً ، وهذا المجلس هو الذي سيضع الدستور العام للدول العربية والإسلامية ، حتى إذا تمّ وحّدت هذه الدول سياستها الداخلية والخارجية ، وصارت يداً واحدة في العمل ، لتقاوم بذلك اتحاد الأمم الديمقراطية الغربية ، التي لم تزل تريد أن تجعل الشرق سوقاً وأهله عبيداً .

[ثم دخلت سنة ثمان وستين وثلاثمئة بعد الألف]

ذكر ما كان فيها من الأحداث :

ففيها أراد اليهود في بعض البلاد العربية أن يظاهروا إخوانهم في فلسطين ، فأجمعوا على جعل يوم السبت كله منذ الصباح يوم عطلة فأغلقوا دكاكينهم ، ورفعوا عليها أعلام الدولة الصهيونية المجترئة ، واجتمعوا في بِيَعهم وجمعوا مالاً كثيراً بلغ عشرين مليوناً من الجنيهات لمساعدة المصانع التي كادت تغلق أبوابها من جرّاء المقاطعة التامة التي أحسنت الأمم العربية توجيهها وتدبيرها .

ومما كان من ذلك في هذه السنة اجتماع المؤتمر العام لنساء العرب في دمشق ، وقد قرّرن أن تعود المرأة إلى بيتها عاملة على إنشاء جيل من البنين والبنات لم تفسده الشهوة التي استبدت بالناس في تقليد ذلك الفجور القبيح الذي عملت يهود على نشره في بلادهنّ من زينة وتبرج ورقص وتحلُّل من أخلاق السلف ، وذلك لكثرة ما وقع من حوادث هدمت بيوتاً عزيزة وأسراً كريمة ، وأفضت إلى ضروب من المآسي لم يطق أحد عليها صبراً .

وفيها أيضاً أجمعت الصحف العربية والهندية الإسلامية والتركية والفارسية مقاطعة الإعلان اليهودي . وكل صحيفة تخالف هذا الإجماع يُمحى اسمها واسم رئيس تحريرها ومحرّريها من سجل نقابة الصحافة ، ولا تفسح لأحد منهم فرصة حتى يعمل في صحيفة أخرى بعد هذه المخالفة .

[ثم دخلت سنة سبعين وثلاثمئة بعد الألف]

ذكر ما كان فيها من الأحداث :

اشتعلت نيران الحروب في الشرق كله ، واجتمع رؤساء الدول العربية والإسلامية في مكة المكرمة ووحّدوا قيادة الجيوش العربية ، ولكن لم يلبث سفير بريطانيا في مصر وسفير أمريكا أن أرسلا برقية إلى المجتمعين في مكة يطلبون وقف الحركات الحربية التي سموها (ثورة) ، ورغبوا إلى ملوك العرب ووزرائهم أن يتمهلوا حتى يصدر تصريح مشترك من الدولتين الكبيرتين ، على شريطة أن تمتنع البلاد العربية من متابعة السياسة الروسية التي تتظاهر بمؤازرة العرب والمسلمين .

وبعد أيام صدر هذا التصريح ، وهو ينص على أن للعرب ما أرادوا من وقف الهجرة اليهودية إلى فلسطين ، وعلى العرب أن يتولوا بأنفسهم مفاوضة يهود فلسطين على السياسة التي يريدونها ، وأن بريطانيا وأمريكا ، لن تتدخلا في الخلاف الناشب بين الفريقين ،

وأن الدولتين الكبيرتين ستمنعان كل مساعدة تُرسل من بلادهما إلى فلسطين . من مال أو سلاح ...

[ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين وثلاثمئة بعد الألف]

ذكر ما كان فيها من الأحداث :

تمَّ استخدام الذرَّة وانفلاقها فى كل شىء ، وحدث فى زراعة البلاد انقلاب عظيم ، إذ أصبح من اليسير استنبات نبات الصيف فى الشتاء ، ونبات الشتاء فى الصيف . وقد بدأ ملوك العرب أعظم عمل فى التاريخ ، وهو استخدام أسلوب جديد يحوّل الرمالَ العاقرة إلى أرض خصب وافرة الزَّرع ، وقد نفّذ هذا فى جزء كبير من صحراء جزيرة العرب . أما فى مصرَ والسودان ، فقد تمَّ توزيعُ ماء النيل وضبطُه حتى لا يضيع من مائه إلا أقل قدر ، وبذلك أتيح لمصر أن تُنشىء ثلاثة فروع جديدة شقَّتها فى الصحراء الشرقية حتى أفضت إلى بحر القلزم (البحر الأحمر) ، وصار ما بينها أرضاً مَرِيعة ذات خصب . وبذلك سيتاح لمصر أن يبلغ عدد سكانها أربعين مليوناً من الأنفس فى أقل من عشرين سنة .

ومما كان من ذلك نهضة عامة فى سياسة البلاد العربية ، جعلت الرأى العام العالمى يناصر القضية العربية مناصرة تامة فى أكثر بقاع الأرض ...

[ثم دخلت سنة خمس وسبعين وثلاثمئة بعد الألف]

ذكر ما كان فيها من الأحداث :

كثرت حوادث الاغتيال والفتك فى كثير من البلاد العربية والأجنبية ، وقُتل من العرب وأنصار العرب من سائر الأمم خلق كثير ، واستفحل الشرّ استفحالا عظيما ، حتى ثارت الصحف الإنجليزية والأمريكية وطالبت حكوماتها بإعلان قرار واحد بأن الرأى العام والسياسة العامة فى سبيل السلام تقتضى أن تُبذل النصرة الكاملة للعرب وللقضية العربية ، وأن تتعاون الدول على ردّ العدوان الصهيونى الذى صار طغياناً شديداً فى جميع بلاد الأرض ، وأنه ينبغى على الدول جميعاً أن تضحى فى سبيل ذلك بكثير من المصالح المالية ، وهى قيود اليهودية التى جعلت كل الأمم ترسف فى أغلالها ...

[ثم دخلت سنة ثمانين وثلاثمئة بعد الألف]

ذكر ما كان فيها من الأحداث :

كتب إلى السُّدِىّ يقول : إن أمريكا قد قررت إجلاء اليهود من أرضها كلها ، وأن تستصفى أموالهم ، ولا يبقى فيها إلا علماء اليهود وحدهم إن شاءوا . ومن المنتظر أن تفعل بريطانيا وسواها من الدول مثل ما فعلت أمريكا .

وفيها ثار العمال اليهود فى فلسطين على أصحاب المصانع اليهودية ، وذلك من جرّاء بوار أكثر التجارة اليهودية التى نهكتها المقاطعة العامة فى بلاد العرب والمسلمين ، ولقلة الأجور ، ولكن الحكومة اليهودية ضبطت الأمر وبذلت الأموال ، وجنَّدت جيوشاً عظيمة العدد والعدد . وحدثت أحداث عظيمة فى أكثر بقاع الأرض . حتى وقع التنابذ بين الدول الكبيرة التى لا يزال لليهود فيها سلطان عظيم .

وأخوف ما يُخاف أن تقع فى هذه السنة حرب عالمية تستخدم فيها جميع الأسلحة الجديدة التى يخشى أن تكون على العالم دماراً وخراباً .

* * *

واستيقظ الشيخ من غفوته ، ونظر إلىّ نظرة المتعجب ، وقال من أنت ؟ وما تفعل ؟ فانتبهت فزعاً ، وإذا أنا أقرأ فى تفسير الشيخ أبى جعفر الطبرى تفسير قوله تعالى : « وقالتِ اليهودُ يدُ الله مَغلولةٌ غُلَّتْ أيديهمْ ولُعِنوا بمَا قالوا ، بلْ يَداهُ مبسُوطتان يُنفقُ كيفَ يَشاء ، وليَزيدَنَّ كثيراً منهم ما أُنزل إليكَ طُغياناً وكفراً ، وألقيْنا بَينهمُ العداوةَ والبغضاء إلى يوم القيامةِ كلما أوقدُوا ناراً للحربِ أطفأها اللهُ ، ويسعون فى الأرضِ فَساداً واللهُ لا يُحبُّ المفْسِدِين » .

محمود محمد شاكر

التيارات الفكرية العالمية والأزهر

للأستاذ محمد فريد وجدي



كتب الله للجامعة الأزهرية أن تكون مثابة علمية للعــالم الإســلامي كله ، تشد إليها الرحال من جميع أقطار الأرض لتستمد الشعوب الإسلامية من ينبوعها النمير علماً وحكمة ؛ وهي مكانة تجب المحافظة عليها مهما كلفتنا من الأموال والجهود . وأنت ترى أن الأمم تتنافس في سبيل نشر ثقافتها في بقاع الأرض منفقة في هذه السبيل مالا جماً لا يعود عليها من ورائه في الظاهر شيء غير علاقات أدبية ، ولكن هذه العلاقات تستحيل إلى منافع من ضروب شتى تحرص عليها الأمم التي تعرف كيف تستفيد الثروة والمجد .

حرص المسلمون بدافع قوي من دينهم من لدن أن قامت لهم دولة ، على أن يكون قوامها العلم والحكمة ، فقرب ولاة أمورهم العلماء ، ومكنوهم من تقوية بناء جماعتهم ، وأمدوهم بكل الوسائل الممكنة لإقامة الجامعات ، وتأسيس المكتبات ، وترجمة المؤلفات ؛ فكان طلاب العلم يجدون بين أيديهم من المدرسين والكتب مالا يحتاجون معه إلى المزيد . وكان مما حرص عليه أولئك المدرسون ليحفظوا للاسلام سلطانه على العقول، أن يجمعوا كل ماوجهه الملاحدة والمضللون إلى العقائد من تشكيكات وشبهات ، وأن ينقدوها نقداً تحليلياً لا يدع في قلوب الطلاب حاجة للمزيد على قدر ما سمحت معارفهم به في تلك الأزمان .

ونحن اليوم في القرن العشرين ، وقد تطورت فيه المقلية الإنسانية بتطور المعارف ، وتعاقب الحوادث ، تطوراً بعيد المدى بحيث ما كان يقنعها من العلم والحكمة قبل قرنين أو ثلاثة قرون لا ينقع لها غلة اليوم . فقد حدثت فيها أحداث اجتماعية ، وتعارضت فيها مصالح طائفية ، وتناقضت أساليب اقتصادية ، وتصادمت عقائد دينية ، وتفجرت بين كل هذه الماجريات المتعاكسة ، ينابيع لنظريات جديدة لم يكن للعالم عهد بها ، وقد تناولتها الفلسفة الأوربية شرحاً ونقداً ، وتصويباً ودحضاً ، ولا تزال الخصومات المذهبية قائمة إلى اليوم . وقد تسربت إلينا تيارات هذه المنازعات الفكرية ، وأخذت في التأثير علينا كما أثرت على سوانا ، ولكن مع هذا الفارق العظيم ، وهو أنها تعتبر أهم مواضيع الحوار عندهم ، ومسدول عليها حجب الكتمان عندنا ، ولكنها مع هذا الكتمان الشديد تعمل عملها في الخفاء فتوجه النفوس وجهات شتى ، ولا تجد النفوس الحيرى ما يستقر بها على قرار علمي مكين . أفلا تعذر إن خبطت في دياجيها خبط العشواء ، وقمشت حشواً رثاً من النظريات من هنا وهناك ، لا يجعل لها مذهباً مقرراً تعمل عليه ، ولا غاية معينة تسعى لتحقيقها ؟

جاء الإسلام ليؤسس ديناً للبشرية يستوعب الأديان عامة ، ومجتمعاً عالمياً يسع الناس كافة ، ووضع لذلك أصولا أولية ، وقرر له مبادىء كلية ، وانطلق الآخذون الأولون به يحققون أغراضه هذه ، فجالوا في أكناف الأرض نحو ثمانين سنة نشروا لواءه فيها على نحو ربع الكرة الأرضية ، وأبلغوا دعوتهم إلى من لم يصلوا إليهم ، وثبتوا في مواقفهم ثبات الرواسي ، مستعينين على ذلك بأقتباس كل ما صادفوه من خير لدى من احتكوا بهم من الشعوب . ونحن اليوم ننزع لا إلى مثل ما عملوا ، فهذا مالا سبيل إليه ، ولكن إلى الاحتفاظ بما حصلوا ، فكيف يكون ذلك بغير اتباع السنة التي جروا عليها ؟

إنهم كما قلنا عملوا على حفظ العقيدة الإسلامية ، والدفاع عن طريقتهم الاجتماعية ، بكل ما أوتوه من نشاط في العقل ، وسعة في الصدر ، حتى إنهم لم يتورعوا عن نقل الكفر الصراح والرد عليه ، وأباحوا في سبيل الوصول إلى لباب المعارف ، أن يتعلم

المسلمون كل ما يمكن تعلمه حتى السحر مع تحريمهم العمل به ؛ فهل نضن نحن بأنفسنا على ما لم يضنوا بنفوسهم عليه ، فنظل على أسلوبنا فى تجاهل المؤثرات التى تنصب علينا حتى تزداد تغلغلا فى قلوب نابتتنا ، وتسوقهم إلى الخروج عن حظيرتنا ، قانعين بأن ما ينشر من إبطال فعلها فى الجرائد والمجلات يكفى لدرء شرها عن العقول ؟

إن الأزهر الذى أرادت العناية الإلهية أن تجعله مثابة علمية للمسلمين لا يزال يعنى بالمؤلفات نفسها التى كان يعنى بها آباؤنا الأولون لحياطة الدين من شبهات المشككين، ومذاهب المضللين؛ ولكن أين ما كان عليه المتكلمون فى ذلك العهد مما عليه خلفاؤهم اليوم ؟ وماذا كنت قائلا حين تعلم أن أكثر ما يعنى به الأزهر من دفع الشبهات والاستنكارات قد انقرض أهله منذ قرون ، وحلت محلها مذاهب ونظريات تحتاج للفهم الدقيق ، ويحتاج دحضها أو تعديلها للنظر البعيد ، والعلم الغزير ؟

كان آباؤنا الأولون يعنون بعلم الكلام لمجرد دحض الشبهات عن الدين ، ونحن نطالب اليوم بوجوب تقرير دراسة التيارات الفكرية العالمية فى الأزهر لا لهذه الغاية فحسب ، ولكن لمقصد لا يقل عنها قيمة ، وهو لما لدراسة هذه التيارات الفكرية من الأثر العظيم فى رفع مستوى النظر والتفكير ، وتوسيع مجال الفهم للشئون الإنسانية ، وهو ما يجب أن يكون عليه رجال الدين الذى جعل العلم أساسه الركين .

إن مهمة الإسلام لم تنته بعد ، وإن ما علينا وعلى الأجيال الآتية أن نعمله يحتاج لتفكير طويل ، وجهد عظيم . فإذا كان آباؤنا قد قاموا بما استطاعوا أن يعملوه فى سبيله فى طفولة البشرية ، فعلينا له واجب خطير فى عهد العلم والفلسفة الطبيعية ، ولا سبيل لنا إلى القيام بهذا الواجب ونحن فى غفلة عما ينشأ فى العالم من آراء ، وما يعترك فيه من مبادىء وأصول ، وما يسقط ويقوم من مذاهب ونظريات .

محمد فريد وجدى

درس في التفسير على طريقة التصوير

للأستاذ سيد قطب

يتجه الباحثون في الأدب العربي إلى أن الشعر قد ضعف في أوائل العهد الإسلامي ضعفاً ظاهراً بالقياس إلى الشعر الجاهلي. ويعزون هذا الضعف الظاهر إلى أسباب كثيرة؛ أولها اشتغال المسلمين بالعقيدة الدينية الجديدة، ومحاربة الدين الجديد لكثير من ملابسات الحياة الجاهلية التي كانت تثير الشاعرية — وفي مقدمتها العصبيات القبلية والعائلية — ويضيف بعضهم إلى هذه الأسباب أن القرآن قد حارب الشعر «والشعراء يتبعهم الغاوون، ألم تر أنهم في كل واد يهيمون، وأنهم يقولون ما لا يفعلون» وأنه كان لهذا أثره في نفوس الشعراء المسلمين.

وأنا أعتقد أن هنالك مبالغة في قيمة هذه الأسباب وتأثيرها في الشعر العربي؛ كما أن هنالك إغفالا لسبب أساسي آخر كامن في نسج القرآن ذاته.

أعتقد أن الجمال الفني في القرآن كان من القوة والضخامة بحيث بده الحس العربي بمفاجأة عنيفة، وكان وحده كافياً لتغذية مشاعر العرب وإشباع الحاسة الفنية في نفوسهم بزاد أجمل من زاد الشعر الذي عرفوه وأقوى.

كان فيه من سمات الشعر الفنية، ومن طلاقة النثر التعبيرية مزاج يجعله نسقاً خاصاً أعلى مما تبلغ إليه آفاقهم الشعرية، بل أعلى مما تتطلع إليه حاستهم الفنية، فامتلأت مشاعرهم به امتلاءها بالعقيدة ذاتها، وأحسوا له وقع السحر في نفوسهم، واستوى في ذلك السحر المؤمنون به والكافرون (كما فصلت ذلك على سعة في كتاب التصوير الفني).

وهذا الجمال الفني في تعبير القرآن كان عنصره الأول هو «التصوير» ومواجهة الحس البشري بما يروعه من الصور والمشاهد، وبما يستجيشه من الهيئات والظلال. وقد كان القرآن أغنى — بما لا يقاس — من الشعر العربي كله بهذه الصور والظلال، في مستوى رفيع من التناسق يبلغ حد الإعجاز.

وحينما وفقت إلى إخراج كتاب «التصوير الفني في القرآن» — وقد حوى عدد الهجرة الماضي من الرسالة فصلا منه — لم أكن أريد بإخراجه مجرد عرض طائفة من الصور الفنية الجميلة في القرآن؛ إنما كانت نيتي الكبرى أن يتوجه البحث في جمال التعبير القرآني كله هذا الاتجاه، وأن ننظر إلى هذا الجمال الخالد من زاوية أخرى غير الزاوية البلاغية المعهودة، القائمة على أساس المعاني والألفاظ.

وحين ننظر إلى القرآن من هذه الزاوية الجديدة تبدو لنا بدائع من الجمال الفني لم تكن تخطر على البال. ويبدو لنا أن هذا الكتاب الخالد يخاطب الحس الإنساني غالباً من حيث تخاطبه الصورة الفنية، والمشهد المتحرك، والموسيقى التصويرية؛ وأنه يعتمد كثيراً على الظلال النفسية التي تلقيها الصور والمشاهد والإيقاعات في الحس الإنساني، فتحركه، وتفتحه، وتجعله أشد ما يكون استعداداً لتلقي العقيدة الدينية؛ وبخاصة الجانب الغيبي منها — وهو جانب أصيل في كل عقيدة، وله في النفس الإنسانية مكانه الذي لا يملؤه سواه — وإذا كان في كل عقيدة دينية قسط أصيل من الفن كما أعتقد، وكما يبدو من الدراسات المقارنة للأديان، فقد تكفل القرآن بتحقيق هذا القسط الفني، دون أن يخل بنصوع العقيدة وبساطتها، ذلك أنه حققه في طريقة التعبير، بينما الكثير من الديانات الأخرى حققه في صلب العقيدة.

وإذا نحن تجاوزنا الديانات الوثنية لأنها خارجة من الحساب هنا، واقتصرنا على الديانة الموسوية والديانة المسيحية، فإننا نجد القسط الفني في العقيدة الموسوية كامناً في الأساطير التي تزحم العهد القديم وتتخذ لها طابعاً فنياً يكاد يكون طليقاً. أما في الديانة المسيحية فقد تكفل بهذا الجانب مأساة المسيح ذاتها — على حسب ما ترويه الأناجيل والرسائل في العهد الجديد — وحتى لو نظرنا إليها في صلب القرآن، فإننا نجد القسط الفني كامناً في تضاعيفها منذ مولد عيسى إلى رفعه.

أما العقيدة الإسلامية فقد ظلت بسيطة واضحة، وتكفل التعبير القرآني وحده — عن طريق التصوير — بتحقيق الجانب الفني في هذه العقيدة، بما يناسب وضوحها ونصاعتها.

* * *

قصدت — إذن — في كتاب «التصوير الفني» إلى أن

يتجه البحث فى الجمال القرآنى ، هذا الاتجاه ... واليوم فى عدد الهجرة من الرسالة أحب أن أعرض نموذجاً كاملا لتفسير « سورة الحاقة » على هذا الأساس . والله المستعان ...

سورة الحاقة من السور المكية ، وهى فى جملتها تتولى بسط قضيتين غيبيتين من قضايا العقيدة الإسلامية ، بينهما ارتباط وثيق .

أولاهما : قضية البعث والقيامة ؛ والثانية قضية الوحى وأمانة التبليغ . فلننظر كيف عرضت هاتين القضيتين الكبيرتين ، ومن أى منافذ النفس الإنسانية سلكت بهما إلى مستقر اليقين :

بسم الله الرحمن الرحيم

« الحاقَّة . ما الحاقة . وما أدراك ما الحاقة ؟ كذَّبتْ ثمودُ وعادٌ بالقارعة . فأمّا ثمودُ فأهلكوا بالطاغية ، وأما عاد فأهلكوا بِريحٍ صَرْصَرٍ عاتية ، سخَّرها عليهم سبعَ ليالٍ وثمانيةَ أيامٍ حُسُوماً ، فترى القومَ فيها صَرعى كأنهم أعجازُ نخلٍ خاوية — فهلْ ترى لهم من باقية ؟ — وجاءَ فرعونُ ومَنْ قَبْلَه والمؤتفكاتُ بالخاطئة ، فَعَصَوْا رسولَ ربِّهم فأخذَهم أخذَةً رابيةً . إنّا لما طغى الماء حملناكم فى الجارية ، لنجعلها لكم تذكرَةً وتَعِيَها أذنٌ واعية . فإذا نُفِخَ فى الصُّورِ نفخةٌ واحدة ، وحملتِ الأرضُ والجبالُ فدُكَّتا دكَّةً واحدة ، فيومئذٍ وقعتِ الواقعةُ ، وانشقَّتِ السماء فهى يومئذٍ واهية » .

الحاقة : القيامة . وهو يختار هذا اللفظ من الناحية المعنوية لما سيعقبه من ذكر التكذيب بها من عاد وثمود ... فهى الحاقة التى تحق ، والتى تقع لأحقيتها بالوقوع ، إحقاقاً للعدل الإلهى ، وتقريراً للجزاء مع الخير والشر كما سيجىء فى السورة بعد قليل .

وهو يختار هذا اللفظ من الناحية التصويرية لأن له جرساً خاصاً ، هو أشبه شىء برفع الثقل ثم استقراره استقراراً مكيناً ، رفعه فى مدّة الحاء بالألف ، واستقراره فى تشديد القاف بعدها والانتهاء بالتاء المربوطة التى يوقف عليها بالهاء الساكنة . والجرس فى ألفاظ القرآن وعباراته يشترك فى تصوير المعنى وإيقاعه فى الحس .

وهنا ينتهى الحديث فى لفظ « الحاقة » لننظر فى محيط أوسع إلى السياق الكامل :

الجو كله فى هذه الآيات جو تهويل وترويع ، وتعظيم وتضخيم ، يوقع فى الحس الشعور بالقدرة الإلهية الكبرى من جهة ، وبضآلة الكائن الإنسانى بالقياس إلى هذه القدرة من جهة أخرى . والألفاظ بجرسها وبمعانيها وباجتماعها فى التركيب ، وبدلالة التركيب كله ، تشترك فى خلق هذا الجو وتصويره : فهو يبدأ فيلقيها كلمة مفردة لا خبر لها فى الظاهر : « الحاقة » ثم يتبعها باستفهام حافل بالاستهوال والاستعظام لماهية هذا الحدث العظيم « ما الحاقة » ؟ ثم يزيد هذا الاستهوال والاستعظام بالتجهيل وإخراج المسألة عن حدود الإدراك : « وما أدراك ما الحاقة ؟ » ثم يدعك فلا يجيب على هذا السؤال . يدعك واقفاً أمام هذا الأمر المستعظم المستهول الذى لا تدريه ولا يمكن أن تدريه . يدعك لحظة مفعم الحس بالاستهوال والاستعظام ، ليدور بك هنيهة حول الموضوع ، مادامت مواجهته غير مستطاعة !

« كذبت ثمود وعاد بالقارعة » !

إنك لا تدرى ما الحاقة ... فهى القارعة ! ...

أحسست وقعها فى حسك ، وقرعها فى نفسك ! ... إن عاداً وثمود كذبوا بهذه القارعة ! فماذا كان ؟ « فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية ، وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية ... » والطاغية — على ما فى اسمها من صورة الطغيان عليهم وغمرهم وتغطيتهم — وكذلك الريح الصرصر العاتية ، كلتاهما أخف من القارعة ، ولكن لعلهما تقربان إلى حسك هذه القارعة ، فهما من جنسها ونوعها . وهكذا قضى على عاد وثمود فى هذه الدنيا ، قضى عليهما بطرف من تلك الحاقة ومن هذه القارعة ، فإذا عجز إدراكك وهو عاجز — عن تصور الحاقة ، فإليك نموذجاً مصغراً منها فى الصيحة الطاغية وفى الريح العاتية ، فهما من مشاهدات هذه الحياة الدنيا ، وإن نضح اسمهما ووصفهما هولاً ! هولاً تنقله إلى حسك هذه الصورة المروّعة : صورة العاصفة مزمجرة مدوية سبع ليال وثمانية أيام ؛ وصورة القوم فيها « صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية » وإنك لتراهم الآن فالصورة حاضرة — « فترى القوم فيها صرعى ... » — « فهل ترى لهم من باقية » ؟ كلا لا باقية ولا أثر ؛ فلتتعظ إذن وتعتبر ، وليخشع حسك للهول ، ولتتفتح نفسك للايمان بالغيب المجهول .

ثم إليك مشهداً آخر لعله يقرب إلى حس روعة الحاقة وهول القارعة. إن فرعون ومَن قبله وقرى قوم لوط المعروفة قد جاءوا بالفعلة الخاطئة ... جاءوا بها فكأنما هي شيء محسوس أو كائن حي يُجاء به، فهي شاخصة محسوسة حين ارتكبوها. « فعصوا رسول ربهم »، وهم رسل متعددون ولكنهم بمثابة الرسول الواحد، فجميعهم يحمل رسالة واحدة من عند إله واحد — « فأخذهم أخذة رابية » والأخذة هنا « رابية » ليتم التناسق بينها وبين « الطاغية » فكلاهما تربى وتطغى، وتطغى وتغمر. والتناسق في المناظر ملحوظ في اللوحة الكبرى.

وما دمنا بصدد استعراض المشاهد الهائلة، والروائع الغامرة، فمشهد الطوفان إذاً يتسق مع هذا الاستعراض كل الاتساق؛ « إنا لما طغا الماء حملناكم في الجارية » لتكون هذه الحادثة عبرة تذكرونها وتعيها الآذان الواعية.

والآن وقد استعد الحس البشري المحدود لتصور هول الحاقة غير المحدود. الآن وقد تهيأ الحس باستعراض هذه الصور المروعة الطاغية الرابية الغامرة ... فقد آن الأوان لاستكمال العرض، وتهيأ الموقف للوثبة الكبرى: « فإذا نُفخ في الصُّور نفخةٌ واحدة، وحملت الأرض والجبالُ فدكتا دكةً واحدة، فيومئذ وقعت الواقعة، وانشقت السماء فهي يومئذ واهية » وننظر في اللوحة الكبرى التي تجمع هذه المشاهد جميعاً. فماذا نرى؟

نرى نوعا من التناسق الفني العجيب بين الحاقة والقارعة والطاغية والعاتية والرابية والدكة الواحدة والواقعة ... تناسق اللفظ والجرس، وتناسق الوقع في الحس، وتناسق الحجم والقوة، في ضخامة الحادثة وروعتها، وتناسق المناظر التي تخيِّل للحس أنها جميعاً ثائرة فائرة طاغية غامرة، تذرع الحس طولا وعرضاً، وتملؤه هولا وروعاً، وتهزه من أعماقه هزاً.

ولن يجد مصور بارع اتساقاً أعظم من اتساق الصيحة الباغية الطاغية: والريح الصرصر العاتية، والأخذة القوية الرابية، والطوفان الطاغي تخوض غماره الجارية، والنفخة الهائلة الواحدة، والدكة المحطمة الواحدة، وبين وقعة الواقعة، والسماء المنشقة الواهية ... إنها كلها من لون واحد وحجم واحد ونغمة واحدة، وكلها تؤلف اللوحة الكبرى، وترسم الجو العام الذي أراده القرآن.

وكأنما العاصفة تهدأ، والسكون يخيم، خطة ليبدأ استعراض جديد، فيه هول، ولكنه هول ساكن رابض، بعد ما سكن الهول الهائج المائج:

« والمَلَكُ على أرجائها؛ ويحمل عرشَ ربك فوقهم يومئذ ثمانية. يومئذ تُعرَضون لا تخفَى منكم خافية: فأما من أُوتِيَ كتابَه بيمينه، فيقول: هَاؤُمُ اقرءوا كتابِيَهْ. إني ظننتُ أني مُلاقٍ حسابيه. فهو في عيشة راضية، في جنةٍ عالية، قطوفها دانية، كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية. وأما من أوتيَ كتابَه بشماله، فيقول: ياليتني لم أوتَ كتابيهْ، ولم أدرِ ماحسابيهْ، ياليتها كانت القاضية. ما أغنَى عني ماليهْ، هلَكَ عنِّي سُلطانيهْ ... خذوه فَغُلُّوه، ثم الجحيمَ صَلُّوه، ثم في سلسلةٍ ذرعُها سبعون ذراعاً فاسْلُكوه. إنه كان لا يؤمن بالله العظيم، ولا يحُضُّ على طعام المسكين، فليس له اليومَ ها هُنا حميمٌ ولا طعامٌ إلا من غِسْلِين لا يأكله إلا الخاطئون ».

ها نحن أولاء نشهد العرض. نشهده مجسّماً مخيَّلا في أشد المواضع التي يحرص الإسلام على التجريد فيها والتنزيه. ولكن طريقة التعبير بالتصوير تختار التجسيم في هذا الموضع أيضاً لمجرد إثارة الحس وإشراك الخيال والتأثر الوجداني الحار ...

فهنا السماء قد انشقت فهي واهنة واهية، وهنا الملائكة موزعون على أرجائها، في هذا الاستعراض الإلهي العظيم، وهنا العرش — عرش ربك — يظلل الجميع في وقار رهيب، يحمله حملته وهم ثمانية ... ثمانية أملاك أو ثمانية صفوف منهم، فالجرس الوسيقي لثمانية يتسق مع جرس الفاصلة كلها، والمقصود ليس حقيقة العدد ولكن تنسيق المشهد وتكثير المعدود ... هنا مجلس قضاء تم فيه الحشد، فليبدأ الاستعراض؛ حيث لا تخفى خافية في الحس أو الضمير

وتكملة للعرض المجسم ينقسم المعروضون ويكون هناك كتاب يُؤتى باليمين وكتاب يُؤتى بالشمال. « فأما من أوتى كتابه بيمينه » فما تسعه الساحة من الاطمئنان والمباهاة: « فيقول هاؤم اقرءوا كتابيه » لقد ظننت لشدة خوفي من القارعة « أني ملاقٍ حسابيه » فإذا أنا ألقى الغفران والنعيم! ثم ليلق صاحبنا السعيد جزاءه الطيب على مشهد من النظارة جميعاً: « فهو

فى عيشة راضية . فى جنة عالية قطوفها دانية » وليلق التكريم المعنوى كما لقى التكريم الحسى ، فها نحن أولاء نسمع من عليين : « كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم فى الأيام الخالية » فذلك التكريم حق لكم بما أسلفتم من صالحات .

وننظر فى الجانب الآخر من الساحة لنرى ذلك الذى أوتى كتابه بشماله : لقد أدركته الحسرة ، وركبته الندامة ، فلنسمعه يتوجع توجعاً طويلا وقد ثبت المشهد كأنه لا يتحرك : « ياليتنى لم أوت كتابيه ، ولم أدر ما حسابيه ، يا ليتها كانت القاضية . ما أغنى عنى ماليه ، هلك عنى سلطانيه ... » ولكن ما باله هكذا لا ينوى مغادرة الموقف ، ولا ينوى كذلك السكوت عن التفجع ؟ لقد طال استعراضه ليتحقق التأثر الوجدانى بتأوه الندم وتفجع الحسرة . فإذا تم هذا الغرض فهنا نسمع الأمر العلوىّ الذى لا يرد ، فلنكتم أنفاسنا ولنستمع ! « خذوه فغلوه . ثم الجحيم صلُّوه . ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه » هنا كل شىء مفصل مطوّل ، فمن الجمال الفنى ، ومن التأثير الوجدانى ، ومن الغرض الدينى ، ما يجمل لطول الموقف غايته المقصودة . وهنا يشترك جرس الكلمات وإيقاع العبارات مع السلسلة التى « ذرعها سبعون ذراعاً » — وذراع واحدة تكفى ! — يشترك هذا كله فى إطالة الموقف أمام النظارة وفى حسهم أيضاً ، ليتم التناسق بين المشهد المعروض والتأثر المطلوب .

ثم لا تقف المسألة عند الأمر العلوى الذى لا يرد بسحبه فى عنف من موقفه ، بعد أن أطال التفجع والندم ؛ إنما هو يلقى التقريع والتشنيع ، فيكشف جرمه على أعين النظارة جميعاً : « إنه كان لا يؤمن بالله العظيم ، ولا يحض على طعام المسكين » فماذا يكون الجزاء المرتقب بعد السحب والغل ، إن كل من فى ساحة العرض سيعلمون : « فليس له اليوم هاهنا حميم ، ولا طعام إلا من غسلين(١) لا يأكله إلا الخاطئون » فهو معذب الحس فى طعامه ، معذب الروح فى نبذه « فليس له اليوم ها هنا حميم » ليتم جحيم الجسم والروح !

وإذ يبلغ التأثر الوجدانى هنا ذروته بعد هذا الاستعراض الحى للبشرية فى يوم الهول العظيم ، يوم الحاقة القارعة ... فى هذا الأوان الذى تتفتح فيه منافذ النفس جميعاً للإيمان ، لا تكون هنالك حاجة للتوكيد والقسم والأيمان .

« فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون . إنه لقول رسول كريم . وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون . ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون . تنزيل من رب العالمين » .

لا أقسم . ثم التعميم والتهويل . بما تبصرون وهو كثير . وما لا تبصرون وإنه لأكثر ، وإن علمكم كله لقاصر ... لا أقسم . فالأمر حقيقة : « إنه لقول رسول كريم ، هذا القرآن الذى تسمعون أرسل به من عند الله . فما هو بقول شاعر — وإن كنتم لا تؤمنون إلا قليلا — وما هو بقول كاهن — وإن كنتم لا تريدون أن تفكروا فى الأمر ، وتتعظوا بالتذكر .

ثم يتابع التأكيد المؤثر فى الحس والقلب ، الوحى بصحة ماينقل الرسول عن ربه من قرآن ودين ، وذلك بتصوير محمد صورة المبلغ الأمين ، ولو أنه خان أمانته ما عصمه من الله عاصم ، وللاقى أشد مايلقاه المبلغ الخائن ، فى حسم جازم ، لا شفيع فيه ولا نصير . « ولو تقوّل علينا بعض الأقاويل ، لأخذنا منه باليمين . ثم لقطعنا منه الوتين ، فما منكم من أحدٍ عنه حاجزين » .

وبهذه الصورة الحسية ، صورة الأخذ الشديد باليمين ثم قطع العرق الذى يودى قطعه بالحياة ، حيث لا يحجزه أحد منهم من هذا المصير المخيف ... بهذه الصورة الحسية يؤثر فى وجدانهم تأثيراً عميقاً شديداً ، وهذا الوجدان متفتح من قبل للتأثر ... وهنا — وعلى ضوء هذه الصورة المؤثرة — يعاود التوكيد واليقين ثم التهديد الذى يتسق مع التهديد السابق لرسوله الأمين !

وإنه لتذكرة للمتقين . وإنا لنعلم أن منكم مكذبين » ولكن هذا التكذيب لا يغير من حقيقة الأمر شيئاً وسيكون وباله على أصحابه « وإنه لحسرة على الكافرين ، وإنه لحق اليقين » .

ثم يدع القوم سكارى من التأثر ، غارقين فى التصور والتذكر ، ليلتفت إلى النبى الكريم مخاطباً له فى أمر وتقرير : « فسبح باسم ربك العظيم » .

وهكذا يبدأ بالتصوير الاستعراضى الفنى ، لينتهى منه إلى التأثير الوجدانى القوى ، فإلى الإيمان العميق القلبى . وتلك طريقة القرآن غالباً فى مخاطبة الحس الإنسانى ، وهى أقوم طريق وأقرب طريق .

سيد قطب

(١) من غسالة أهل جهنم أو مما يسيل من أبدانهم بعد الاحتراق !!!

ذو الجناحين

للأستاذ محمود الخفيف

[إلى كل مؤمن تهون عليه روحه فى سبيل الله]



لذكرى شهادته أطرب وإنى بها الساجع المطرب
ألوذُ بها فى سواد الخطوب فيؤنس روحى ومض لها
كما يؤنس المدلجَ الكوكب
كمىٌّ أبوته هاشم يشع الهدى وجهه الباسم
إذا الهول ضجت به حومة فكالسهم وثبته فى الصفوف
وكالسيف عزم له صارم
أخوه علىٌّ إمام الهدى وخير السيوف غداة الفدا
شبيه به جعفر فى خجاه ويشبهه إذ يهز الحسام
لضرب وإذ يتحدى الردى
أتى الروم آلافهم تزحف بمؤتة واد بهم يرجف
تضيق الأباطح عن سيلهم فلا العين أولَهم تستبين
ولا الوهم آخرهم يعرف
خضم ترامى بهم زاخر يغطى الضحى نَقْعُهُ الثائر
إذا أحصت العين آلافَهُم رأت حولها مائة أو تزيد
يَعِجُّ بهم موجُه الحادرُ
دخان هناك ونقع هنا وبرق لهم يبرق الأعْيُنا
وخيل تحمحم مهتاجة وبيضٌ يظلِّلُ إيماضها
مُثارُ الغُبار وسُمرُ القنا
دَنت من مُخَيَّم جند العرب جياد من الروم رُعْنُ الخبب
جياد تلألأ ديباجها فوارسها يلبسون الحديد
على سُرُجٍ وُشِّيَتْ بالذَّهب
تداعوا إلى الضرب إذ أحدقوا بجمع يكاد بهم يُغرَق
بجيش من البيد لم يدَّرع بغير اليقين ولا راعه
نُضَارُ تَراهُ وإستبرقُ
قليل العديد ضئيل الخطر وما فى الصحارى له من وزر
عجاف من الجوع خيل لهم مئات ثلاثون قد هدَّهم
على قلة الزاد طول السفر
قليل ولكنهم فى اللقا كثير إذا اضطرم الملتق
شداد وإن لم يجربوا الحديد خفاف إلى الموت إن أقبلوا
ثقال إذا دخلوا مأزقا
تأمَّر زيد وأعلى اللِّواء أميرٌ من السيف أقوى مضاء
له البدء حتى إذا ما هوى فجعفر للجيش بعدُ الأمير
بعيد اللقاء ويحيى الرجاء
مشى بهم الفارس الأروع له الجيش من كفِّه أطوع
هم المؤمنون الذين اشتروا بأرواحهم جنة مالهم
وراء الخلود بها مطمع
تداعى الرجال فسوَّى الصفوفا وشدَّ بهم ليخوضوا الحتوفا
فكاثره الروم إذا غاظهم من القلة البارزين لهم
حفاظ به يدفعون الألوفا
وراحت بهم ترجف الراجفة رُعُودُ المنايا بها قاصفة
وخَفُّوا يبيعون أرواحهم فكم زلزلوا من صفوف العدو
وكم حسروا لُجَّة جارفهْ
وسارَ ابنُ حارثةٍ مُعْجَلاَ فكان الشَّهيدَ بها الأوَّلا
ألحَّ عليه غِلاظ السُّيوفِ وكم وثْبةٍ هدَّها سيْفُهُ
وحيداً ، وكمْ فارسٍ جنْدلا
وأقدمَ من بعده جعفرُ غضُوباً كما وثبَ القَسْوَرُ
تلاطمَ موْجُ الرَّدى حوْلَهُ وُجن جنونُ الوغى إذ جرَى
على الأرضِ ذائبُها الأحمرُ

وقلَّتْ بها القِلَّةُ الصابره   رحى الموتِ جدَّت بهم دائره
على الأرض من حولهم ظلمة   غبار ورعـد وبرق هنا
ومن ها هنـا كرَّةٌ سافره

وخاض الوغى الفارس المُعْلَمُ   يسربله ـ نقعهـا ـ والدم
بيمناهُ رايتهـا جعفرٌ   يثور به عِرقُهُ الهاشمىُّ
كما نفرَ القَسْوَرُ الضَّيْغَم

تحدَّى الحتوفَ وأهوالها   وقد هاجت الحرب أبطالهـا
وما زُلزلَ القِلةُ المؤمنونَ   وإن غصَّ بالأكثرين الفضاء
وزلزلتِ الأرضُ زلزالهـا

تنقَّل فى حرِّها جاهـدا   صبوراً لِلَأْوائها صامـدا
إلى أنْ تصدَّى له فاتكٌ   فأهـوى على يده ضارباً
بسيفٍ أطنَّ بهِ الساعدا

تماسكَ لِلخطب لم يجزعِ   وكرَّ الكمِىُّ ولم يرجعِ
يسراه رايته ، واليمين   على الأرض ساعدها فِلْذَةٌ
تموت ، من البطل الأروَع

وظلتْ بقيَّتها نازفـهْ   وقد صخبت حوله العاصفهْ
فلله وثبتـه إذ يفورُ   دم قـد سقى الأرض منه
ومن كَثَبٍ كثرةٌ زاحفه

مضى مُنْهكاً يتلقى الرماحا   وصمٍ ليس يخاف اجتياحا
تراه ورايتـه فى الشمال   كنسر يجر الجناحَ المهيضَ
ويرفع كيما يطـير جناحا

وفتيان صدقٍ مضوا حوله   وقـد رقَّ كل فؤادٍ له
يذودون عن بطل نازفٍ   يقـل المثيل له فى الرجال
وما فاقـه فارس قبـله

جليدٌ مع النزف لا يستطارُ   وفى وجهـه للحِمام اصفرارُ
تسلَّلَ حتى دنا دارعٌ   فمـا زال يضرب حتى هَوت
من الليث بعد اليمين اليسار

فهلْ فزعَ الحرُّ واستسلما   ولم تُبق منه السيوف دما ؟
تقـدم محتضناً ممسكا   بزنديه رايتـه فى الصفوف
وظل الكمىَّ بهـا المعلما

ترنح بمـا به الفـارسُ   وما وهنَ الأسدُ العابسُ
وظلَّ على صهواتِ الخطوب   يلاقى الرَّدى فِلذةً فِلذةً
وما فلَّ عـزمٌ له هاجسٌ

وأسـلم مهجته للظُّبا   كئوسَ المنيَّة مستعذبا
فياهول مصرعه والسيوف   تهاوى على جسمه القسورىّ
وما يملك الليث أن يضربا

تكلم مُرتجزاً مُنشدا   « لدينِ الهدى قلَّ منى الفدا
ألا خسىء الكفر والكافرون   جزائى غـدا جنة المتقين
وأعظم بجنَّتِهم موردا »

تبسَّمَ للموت إذ أغمضـا   على وجهـه لمحات الرضا
فتى بات للمجـد أنشودة   إذا ذكَرَ المؤمنون الفداء
على الدهر ذكرٌ له أومضا

تقشَّع من فوقه العِثْيَرُ   وآماق أصحـابه تُمْطِرُ
جراح ثمانون فى جسمه   ومن عَضُدَيه نجيعٌ يسيل
ومن عاتقيـه دم يقطر

بقيَّةُ لَيْثٍ ردَاه استبقْ   وجسمٌ بتلك الفيافى مزقْ
تجاوز فى البأس جهد الخيال   وأبلى بلاءَ امرىء صادق
وأين له النـد فيما صدق

نعاهُ النبىُّ وفى قلبـه   بكاء عليـه وبشر به
وصلى عليه الرسول الكريم   وقال وفى مقلتيه الدموع
لمن علم الرزء من صحبه :

« هنيئاً له نفسـه الراضية   بجنات عدن غدت ثاوية
سيبدلك الله بالساعـدين   جناحين يا ابن أبى طالب
فتسبح فى الجنـة العالية »

وزاد الرسول : « كأنى أرى   هناك الشهيد الفتى النيِّرا
فى جنة الخلد رهط يطير   ملائكة بينهم جـعفر
يهز الجناحين مستبشرا »

شهيـد فؤادى له يطرب   وإنى به الشاعر المطرب
أجدِّدُ ذكراه مُستوحياً   فيملأ قلبى وحىٌ لهـا
يغنى كما بزغ الكوكب

الحفيف

مثل عليا في سيرة الرسول

للأستاذ محمد محمد المدني



يحتفظ التاريخ لكثير من العباقرة والعظماء بسير مفصلة أو مجملة تطالع الناس منها مثل تحتذى فى العلم أو الشجاعة أو الصبر أو التضحية أو الإيثار أو التفانى أو نحو ذلك من خصال العظمة أو صفات الشرف. ولهذه المثل تأثيرات فى النفوس، وتوجيهات للقلوب، تتفاوت ويختلف مداها تبعاً لقيمها الخاصة، واختلاف مصادرها ومواردها، وتفاوت وجوه النظر إليها.

ولا يعرف التاريخ سيرة هى أزكى أصولا، وأطيب فروعاً، وأدنى قطوفاً، وأحفل بالثمار، وأملأ بالمثل العليا، وأكبر تأثيراً فى النفوس، وأصبر على البحث والدرس، وأثبت على اختلاف النظر، وأبقى على وجه الزمان، من سيرة نبى الإسلام «محمد صلى الله عليه وسلم»:

فصول متلاحقة، وصفحات مشرقة، وصور رائعة، ومعان كلما زدتها نظراً تجلت لك منها نواح متجددة تزيدك إيماناً، وتزيدك نوراً، وتفتح أمام عينيك آفاقاً واسعة لا يكاد ينتهى مداها. ولم يكن ذلك لأن «محمداً» صلى الله عليه وسلم «عظيم» أو «عبقرى» فما كانت العظمة ولا العبقرية من الصفات التى يحدد بها فضل الله على نبى اصطفاه وصنعه على عينه، ورعاه ورباه، وأدبه فأحسن تأديبه، وأكرمه برسالته، وأمده بوحيه، وإنما كان ذلك لأن «محمداً» رسول الله فحسب، والله أعلم حيث يجعل رسالته.

* * *

من بين المثل الكثيرة التى تطالعنا من خلال السيرة المحمدية الطاهرة ثلاثة مثل يقف المرء أمامها معجباً بها مأخوذاً بعظمتها وجلالها كما يقف الناظر أمام صورة رائعة ذات معنى قد احتفل بها رسامها وأودعها فنه وذوقه وماوهبه الله من قدرة على الإبداع والإتقان. ثلاثة مُثُل يصوِّر كل واحد منهما أسمى ما يتصوره البشر من الكمال، وأنبل ما يتطلع إليه الناس من النبل، ولا أذكر أنى مررت بمثل منها إلا وقفت عنده وقفة تطول أو تقصر، ولكنها تهز قلبى هزاً، وتحلق بى فى جو من الصفاء الروحى، والنعيم الفكرى، لا أحسبنى قادراً على وصفه.

وإليكم أيها القراء الكرام هذه المثل الثلاثة:

١ — هذا يوم من أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم قضاه «بالطائف» تلك البقعة الخصبة الغنية بكرومها وبساتينها وفاكهتها الكثيرة: جاء إلى هذه البلدة، وقد اجتوته مكة، وضاقت عليه بما رحبت، ولم يألُه المشركون فيها إيذاء واضطهاداً، وقد مات نصيراه: أبو طالب وخديجة، وتجرأ عليه بعدهما من لم يكن يتجرأ عليه فى حياتهما. جاء إلى هذه البلدة وحيداً فريداً يلتمس النصرة من ثقيف لدينه ودعوته، ويستعين بهم على أهل مكة الذين أذاقوه وأصحابه الويل بضع سنين. يا لجلال الإيمان! ويا لحرارة الإخلاص! رجل واحد يقدم على بلدة لا يعرفه فيها أحد، ولا يؤمن بدعوته أحد، وهو حلف ضنى، ونضو أذى، وموضع اضطهاد من قومه وإعنات، وقد سارت بذكرى مساءاتهم إليه الركبان، ولكنه مع ذلك يقدم على هذه البلدة مستهيناً بما فى ذلك الإقدام من أخطار، لأنه قد فنى فى دعوته، وأخلص نفسه لربه، فلم يعد يثنيه خطر، ولا يرهبه غرر! فكيف استقبلته «الطائف»؟ كيف استقبلته هذه البلدة الطيبة ذات الجو الهادىء الصافى، الذى من شأنه أن يهذب النفوس، ويعطف القلوب، ويثير نوازع الكرم وبواعث النخوة والنجدة؟ كيف استقبلت هذا الداعىَ الكريم الذى تتفجر من لسانه

الحكمة ، وتبدو على قسمات وجهه علائم الصدق والإخلاص ؟

لقد « عمد إلى نفر من ثقيف هم يومئذ سادتها وأشرافها ، وهم إخوة ثلاثة ، فجلس إليهم ودعاهم إلى الله ، وكلمهم بما جاءهم له من نصرته على الإسلام ، والقيام معه على من خالفه من قومه ، فقال له أحدهم : أنا أمرط ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك ! وقال الآخر : أما وجد الله أحداً يرسله غيرك ؟ وقال الثالث : والله لا أكلك أبداً ! لئن كنت رسولا من الله كما تقول لأنت أعظم خطراً من أن أرد عليك الكلام ، ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغى لى أن أكلك ! فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من عندهم ، وقد يئس من خيرهم » .

وتمثل ، عليه السلام ، قومه وقد علموا برد ثقيف إياه ، فكره ما يكون من شماتتهم به وانبعاثهم فى إيذائه ، فقال للذين ردوه : أما إذ فعلتم ما فعلتم فاكتموا عنى . ولكنهم « أغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس ، فكان يمشى بين سماطين منهم ، فكلما نقل قدماً رجموا عراقيبه بالحجارة حتى اختضب نعلاه بالدماء ، فإذا أذلقته[1] الحجارة قعد إلى الأرض فيأخذون بعضديه فيقيمونه فإذا مشى رجموه وهم يضحكون ... وألجأوه إلى حائط لعتبة وشيبة ابنى ربيعة ، فكلما انصرف عنه من كان يتبعه من السفهاء اتجه ببصره إلى السماء ودعا ربه قائلا : « اللهم إليك أشكو ضعف قوتى ، وقلة حيلتى ، وهوانى على الناس ! ياأرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربى ! إلى من تكلنى ؟ إلى بعيد يتجهمنى ؟ أم إلى عدو ملكته أمرى ؟ إن لم يكن بك غضب علىّ فلا أبالى ! ولكن عافيتك أوسع لى . أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بى غضبك ، أو يحل على سخطك! لك العتبى حتى ترضى ، ولاحول ولا قوة إلا بك ! » .

شكا إلى ربه ضعف قوته وقلة حيلته وهوانه على الناس ، لا تبرما بما لقى ، ولا تهربا مما حمل ، ولكنه يريد للدعوة نجاحا عاجلا ، ونصرا سريعا ، ويرى الناس وقد تنكروا لها فى شخصه فأمعنوا بها تنكيلا وحربا لا فرق فى ذلك بين المشركين فى شعاب مكة ، والمشركين فى سهول الطائف ، فكأنما تواصى الجميع على وأد هذه الدعوة والحيلولة بينها وبين الحياة ، ولذلك قال : إلى من تكلنى ؟ إلى بعيد يتجهمنى ؟ أم إلى عدو ملكته أمرى ؟ فإلقاء هذا المعنى فى روع النبى صلى الله عليه وسلم ، وإجراؤه على لسانه فى دعائه لربه كان إيذانا بأن أمر الدعوة سيتجه بعد اليوم وجهة أخرى ، وسيهيىء الله له من القلوب المستعدة ما يكون كفيلا بتقدمه ونجاحه ، وهذه سنة الله فى خلقه : أن يأتى الفرج بعد الشدة ، والنور بعد الظلمة . وقد كان ذلك فعلا فلم يطل الأمر بدعوة الإسلام حتى هيأ الله لها قلوب الأنصار فى يثرب ، واستبدل بالمعاندين المصرين قوما آخرين .

وما أعظم هذه الكلمة الطيبة التى يقولها « محمد » لربه فى مناجاته إياه « إن لم يكن بك غضب على فلا أبالى ! » تلك مرتبة الرضا والفناء فى الحب ، والاستهانة بكل ماسواه من أهوال الدنيا .

هذا مثل التضحية ، والاخلاص للفكرة ، والاقدام فى سبيلها على الخطر ، والفناء وانكار الذات !

٣ — ومثل آخر يضربه للمؤمنين « محمد » صلوات الله وسلامه عليه ، هو مثل السياسة الرشيدة الحكيمة ، المستندة إلى المحبة القائمة على الاخلاص :

لما أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤلفة قلوبهم عطاياه السمحة وكان فيهم من قومه أبو سفيان وابنه معاوية وغيرهما ممن أسلموا بعد فتح مكة ، وجد الأنصار بعض الشىء من ذلك ، وضاقت له صدورهم ، وكأنهم نظروا إلى هؤلاء الذين كانوا بالأمس أعداءهم ، والذين أذاقوا رسول الله وأذاقوهم ألوان العذاب وقد أصبحوا فيما بين يوم وليلة يتمتعون بهذا العطف النبوى الكريم حتى ليزيد حظهم عند القسم على حظوظ السابقين من المؤمنين ، فلم تتضح عندهم الحكمة فى هذا الصنيع ، ومشى بعضهم إلى بعض يتهامسون ويتساءلون ، وقال قائل منهم لصاحبه « لقد لقى رسول الله قومه ! » يريد أن عاطفته لقومه وعشيرته قد غلبته حتى أنسته سابقة الأنصار ، وفضل الأنصار .

كان من الممكن أن تستشرى هذه الموجدة فى نفوس الأنصار ، وكان من الممكن أن تغذيها الطبيعة البشرية بغذائها حتى يستفحل داؤها ، وكان من الممكن — على الزمن — أن تمرض هذه القلوب الصافية المؤمنة التى تلقت الإسلام غضا فتعهدته حتى نما وترعرع

(١) أذلقته : أضعفته

وأظهره الله وأتم به النعمة . كان من الممكن أن يكون ذلك كله لو كان أحد ما مكان « محمد » ولو كانت بيئة ما غير بيئة الإيمان والحب والثقة . ولكن الله ألهم سعد بن عبادة الأنصارى أن يبلغ النبي صلى الله عليه وسلم قالة الأنصار، فلما سمعها بادر بجمعهم وقال لهم : يا معشر الأنصار . ما قالة بلغتنى عنكم وجدة وجدتموها فى أنفسكم ؟ ألم آتكم ضُلالاً فهداكم الله ، وعالة فأغناكم الله ، وأعداء فألف الله بين قلوبكم ؟ قالوا : بلى . الله ورسوله أمنُّ وأفضل . قال : ألا تجيبوننى يا معشر الأنصار ؟ قالوا : بماذا نجيبك ؟ لله ولرسوله المنُّ والفضل ! قال : أما والله لو شئتم لقلتم فلصدَقتم ولصُدِّقتم : أتيتنا مُكذَّباً فصدَّقناك ، ومخذولا فنصرناك ، وطريداً فآويناك ، وعائلا فآسيناك . أوجدتم يا معشر الأنصار فى لُعاعة[1] من الدنيا تألفتُ بها قوماً ليسلموا ووكلتكم إلى إسلامكم ؟ ألا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعوا برسول الله إلى رحالكم ؟ ! فوالذى نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار . ولو سلكت الناس شِعباً وسلكت الأنصار شعباً لسلكت شعب الأنصار . اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار ، وأبناء أبناء الأنصار !

فلما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم من كلمته تأثر بها الأنصار حتى بكوا وقالوا : رضينا برسول الله قِسما وحظاً !

هذه هى السياسة الرشيدة التى تستل ما فى النفوس من موجدة ، وتتلافى بوادر الشر فتحسمه قبل أن يتفاقم . وإن هذا الكلام الذى ألقاه النبى فى الأنصار ليحتاج إلى عالم قدير من علماء النفس ليبين لنا مدى انطباقه على الأسلوب العلمى الحديث لطب النفوس !

٣ — والمثل الثالث — ويا له من مثل — هو آية العدل والتسوية وعدم المحاباة ، وإيثار الله على كل ما سواه : ذلك أن أبا طالب عم النبى صلى الله عليه وسلم وكافله وناصره ومجيره من أعدائه ، على الخلاف بينهما فى الدين ، لما مات ، كأن المسلمين ترقبوا أن يستغفر له الرسول وأن يؤذن لهم فى أن يستغفروا له ، إعظاماً لشأن أبى طالب ، ووفاء لصنيعه مع النبى ، وتسلية لأبنائه وقرابته وفيهم علىّ ، وكأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد هم بذلك أو فعله فنزل قوله تعالى « ما كان للنبى والذين آمنوا معه أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم ، وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه ، فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم » .

بذلك وضع الأمر فى نصابه ، وتبين للمؤمنين أن لا محاباة ولا قرابة ولا صهر أمام الحق ، وأن العلاقة الوحيدة التى تجب رعايتها والإعتداد بها هى علاقة الإيمان فحسب .

ولقد كان هذا الأمر كافيا لزلزلة النفوس فى هذه البيئة العربية التى تعنى بالقرابات ، وتهتم بالعصبيات ، ولا سيما فى شأن أبى طالب شيخ قريش ، وأبى على ، وأخى العباس ، وعم محمد ، ولكن القوم قبل كل شىء مؤمنون قد امتلأت نفوسهم بحب الله ، فما على الرسول إلا البلاغ ، وما عليهم إلا الرضا والامتثال !

***

من لنا بأن نجتلى هذه المثل العليا وأمثالها فى سيرة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، لتكون لنا نوراً وهدى فى هذه الظلمات التى يتخبط فيها الناس .

اللهم إنا نسألك التوفيق .

محمد محمد المدنى
المدرس بكلية الشريعة

[1] اللعاعة الشىء اليسير .

شراء المعاني من أسواق الرحمات

للأستاذ عبد المنعم محمد خلاف



في موسم الحج الماضي، ومع روح العربية الحديثة وقلبها المخلص وفكرها الملهم وأمينها الأول عبد الرحمن عزام بك، رحت أبتاع لنفسي معاني من أرض محمد، صلى الله عليه وسلم، مع ذلك الركب الإنساني العظيم الذي يقصد كل عام أسواق الرحمات، يسافر لها من كل صوب عبر البحر والصحاري والجبال، ويخرج لها بائعاً كل شيء إلا قلبه، مودعاً كل عزيز من أهله وماله ووطنه.

وكيف لا أخرج إلى تلك الأسواق وقد رأيت الكساد والبوار والخسار تضرب كل تجارة في أسواق العالم غير هذه السوق التي عرف تجارتها وأرباحها قصادها وروادها فقصدوها على بعد الدار وقلة الزاد؟

لقد أقبلوا بأجسامهم من كل صوب نحو مركز الدائرة الذي يسافرون إليه بالروح كل يوم خمس مرات

إنها أرباح من المعاني التي لا تنفد والطمأنينة والسلام النفسي يدفع لها هذا الركب ما يجمع أفراده من حطام الدنيا وما يدخرونه ينقلونه عن طيبة خاطر راضية نفوسهم بالمشقات والصعاب...

إنهم يشقون الجسد ويبذلون المادة لإراحة الروح ونشدان السلام وطلب الحسنى أمام ديان الخلائق...

ذهبوا يعرضون نفوسهم وقلوبهم في تجرد وحفاء وشمائة في أسواق الرحمات لعل الله يشتريها منهم ويمسح عنها أوضار الإثم. يلوذون بالمطهر الأول الذي جعله الله أول بيت وضع للناس لتزكية النفس وتأهيلها للدنو منه والعلو إليه بعد الهبوط من جنة السماء... يطوفون حوله في ابتهال وتبتل وفناء وسط الإنسانية الشقية التي دمرتها الآلام... ويطيعونه طاعة مبصرة وعمياء في كل ما فرضه عليهم في تلك الرحلة... ويتنقلون بين يديه في مجالي الطبيعة، يصلون له في هيا كلها ملبين في الأسحار والإصباح والظهيرة والضحى والأصائل...

يصعدون الهضاب والجبال، ويهبطون الوديان والرحاب في استغراق وابتهاج وبكاء، يبتغون إليه الوسيلة ويطرحون أجسامهم في مطارح الطبيعة أمام نظره العالي لعله يرحم ضعفهم وإخلاصهم ويمسح بيده الكريمة على قلوبهم.

يتعرضون لنفحاته من ظهيرة يوم عرفة، ويبيتون له بمزدلفة وينحرون ويتركون له في منى. ويعزمون على ترك الشر في (شارع الشياطين!) برجمونهم في فكاهة وجد وابتهاج... ثم يقبلون بعد ذلك إلى حياة المدن في أم القرى ويشهدون منافع لهم من التعارف والائتمار والاتجار...

ثم يرمون بأبصارهم إلى الشمال نحو مرقد الجسد المطهر الذي مدَّ ظلال رحمة الله على هذه الأمة المحرومة المعزولة ثم مدها على العالم وأوسع له في آفاق الروح...

وعند قدمي محمد صلى الله عليه وسلم اتخذت مجلسي أول قدومي عليه، وقد أغمضت عيني وفتحت خيالي يستحضر الصور التي شهدها التاريخ ووعتها ذاكرتي من حياته الشريفة وتعاليمه الهادية ووحيه العالي. وأحسست حين جلست أن العالم كله يجلس معي تحت قدمي هذه القمة البشرية التي لم تطاولها سماء أخرى... وأنني تحت ظلال أنضج ثمرة أدركت أسرار النوع البشري وصفوة معانيه ونهاية استعداده وحدود قواه... أخرجها رب الإنسانية ومكرمها من الأمة الوسط التي يلتقي فيها الشرق والغرب، وتتصل بزنوج الجنوب وبيض الشمال وصفر الشرق وحمر الغرب وتأخذ منهم جميعاً أحسن ما فيهم جميعاً...

وهذا هو قانون الله في جميع الأشياء: يجمع أسرار كل شيء في مركزه و «عقدة» ثمرته...

فلتفهم هذا العربية الحديثة في نهضتها الجديدة لأداء رسالتها الثانية.

أنا مؤمن عن طريق عقلي أكثر من إيماني عن طريق قلبي. ومع ذلك حين وجدتني أقترب من قبر «محمد» القطب الذي

تدور بدورته روحى وتهتدى بإشعاعه نفسى أحسست قلبى يهتز ويختلج اختلاج الباكى ووجدانى يطغى على عقلى فأحبذ تقبيل المقصورة الشريفة واستلامها وأخفف من منع الحراس للناس وأفلسف لهم أن الحب يدفع إلى أكثر من ذلك ... ثم يستقر الأمر فأعود إلى القبر فى هدوء الإجلال وسكينة الإعظام لهذا المقام أن يدور عنده همس لفظ ، أو يدنو منه مقترب بالجرأة والاقتحام كما يفعل العوام وأشباه العوام الذين لا يملكون عقولا وإنما يملكون قلوبا ...

وشهدنا أول احتفال بالهجرة فى دار الهجرة على الطريقة المصرية فى التكية المصرية ، وخطب فيه عزام (بك) خطبة من خطبه التى هى مزيج من الروح والسياسة والتجربة والعلم والتاريخ فكان صوته أول نغمة جديدة من بيان أهل هذا الزمان ترتفع فى جو المدينة التى ولد فيها فجر المؤاخاة الكاملة بين الأوس والخزرج من الأنصار ، وبين المهاجرين والأنصار ، وبين المسلمين وأهل الكتاب والمسالمين من الجاهليين ، فى تلك المعاهدة الأولى التى لايمكن أن يبنى سلم عالمى دائم إلا على مثلها وروحها الذى يؤمن بالإنسانية الواحدة وبالحرية والمساواة والعدالة فى الوطن الواحد وفى الأوطان المختلفة ويأبى إلا أن يكون الدين لله .

ولِيَاذُ الزنوج والأجناس الملونة واعتزازهم بهذه المشاهد المقدسة التى تتجلى فيها المساواة المطلقة شىء عظيم ! وخاصة فى هذا العصر الذى جار فيه « الرجل الأبيض » واغتر بلونه ، وبنى على الفروق السطحية فلسفة ظالمة ، استعبدت الأحرار ، وأذلت الكرامة الإنسانية ، وأهدرت لباب القلوب ، واعتزت بالقشور والجلود ، وعاثت بالفساد فى ديار الناس ولم تحاول محاولات جدية أن ترفع مستوى الحياة فى بلاد الملونين ليلحقوا بالقافلة الإنسانية السريعة المراكب ، بل على العكس أثقلت أرجل غيرها بالقيود وعوائق الفساد ليتخلفوا عنها ويحتاجوا إليها دائما ويكونوا معها « حيوانات بشرية » لحمل أثقالها وجلب مغانمها .

ولكن رب البشرية بالمرصاد ، فقد خرب ديار الطغاة ، وجوعهم وأهلك حرثهم وعمرانهم ونسلهم ، ووقفهم على هاوية الدمار التام ليترددوا فيها عما قريب إذا لم يراعوا أمانة الاستخلاف فى الأرض ورعاية حرمات الناس وحقوقهم الطبيعية .

إن الأجناس المتخلفة تدرك بفطرتها ما فى طبيعة المسلمين من رحمة بها واعتراف بحقوقها وغيرة على حرماتها وحب لتقدمها ، ولذلك تقبل على الإسلام ، وعلى شعيرة الحج بنوع خاص ، لتشعر لأول مرة فى هذا العصر بقيمة ذاتها ، وا كتمال حقوقها واعتراف الدنيا بإنسانيتها .

ومن يرى الإنسانية فى ثيابها البسيطة ، وحفافها وابتهالها حول الكعبة وبكائها لربها واصطفافها جميعا على قدم المساواة ، يبيع نفسه لخدمتها وإنصافها ومكافحة الطواغيت والمظالم التى تهدر كرامتها ، وتذل عزتها .

ولن أنسى ذلك الشيخ الأسود الذى وقف أمام باب الكعبة يبكى ويبلل لحيته ويجأر بالدعاء وينادى : اللهم اجمع قلوب المسلمين كما جمعت أجسامهم ! ولا ذلك الهندى الساجد فى نشيج ودموع بجوار مقام إبراهيم ...

ولا تلك الزمرة من زنوج نيجريا فى ثياب الإحرام البيضاء تتلو وراء المطوّف دعاءها فى رطانة ولكنة ومع إتلاع الأعناق ومشية العزة والمسرة والشعور بالحضارة الروحية ولقاء قلوبهم مع قلوب غيرهم من الناس فى ثقة ومحبة .

ولا تلك الأرتال السائرة على أقدامها على طريق مكة والمدينة أياماً وليالى تقصد زيارة المدينة ، بعد أن جاءت من أعماق القارة السوداء [إفريقية] ، والقارة العجوز [آسيا] يحدوها الحب ، ويسوقها الإلهام إلى أرض التحرير والعتق من ظلمات الوثنيات والثنويات والسحر الأسود والرهبة من القوى الجبارة المبهمة التى تطالعها من طلمات هاتين القارتين الغامضتين !

ويكفى أحدهم جوار الكعبة عاما ليحصل علما من جميع أجناس الأرض لم يكن ليجده عمره فى دياره ولو عاش أبد الأبيد .

إن الحج نسك عجيب تفرد به الإسلام ، وجعله مثارا لعالم فنى « سينمائى » ورمزى بجانب ماله من الآثار التعبدية والاجتماعية .

وكم ترك من آثار عميقة فى حياة المسلمين وحياة الناس جميعا وسير التاريخ العالمى إذ كان بمثابة الرياح التى تحمل البذور من مكان إلى مكان لتنتج خليطا من الأنواع ، فهو قد حمل الشخصية الإسلامية المتفرقة بافتراق البقاع على اللقاء فى معهد واحد . وكما كان سببا لاجتماع القبائل العربية فى الجاهلية على معناها العام ووحدتها وعرض أمجادها ومفاخرها فى أسواق الدين والتجارة واللغة ، كذلك يحمل العالم الاسلامى بأممه المختلفة على اللقاء الدائم فى عصور التاريخ . فالعالم الاسلامى مدين له بجانب القرآن بوحدته الفريدة على مدى الأجيال .

وإنه لعمل عظيم فى جذور الوحدة العربية والوحدة الإسلامية والوحدة العالمية .

عبد المنعم خلاف

معجزة الدهر

للأستاذ محمد أحمد الغمراوي



مرت المعجزات وبقيت معجزة واحدة خالدة هي القرآن .

والمعجزات هي براهين الأديان أنها من عند الله وليست من عند الإنسان . والأديان لا تكون شيئاً إن لم تكن من عند الله ويقم البرهان الناصع الساطع على أنها من عنده . فصدورها من الله ضمان هدايتها الإنسانية في كل الظروف ما أطاعتها الإنسانية . ووضوح البرهان على أنها من عند الله ضمان استيقان الإنسان إياها وطاعته لها . وسواء أكان الدين خاصاً بأمة أم عاماً للبشر فالبرهان عليه ينبغي أن يكون عاماً يخضع له كل عقل ، لا خاصاً تخضع له بعض العقول . وليس يفي بهذا الشرط في البرهان على الدين الحق أنه من عند الله إلا المعجزات .

والإنسانية الآن في حاجة إلى دين تخرج به من ورطاتها بعد أن كادت تهلك حين نسيت الدين . ولو أرادت البحث بعقلية علمية عن دين الفطرة — كما لا بد لها يوماً أن تبحث — فليس أمامها إلا أن تنظر في الأديان كظاهرة كونية . وفي الحق أنها ظاهرة من أكبر الظواهر الواقعية وأعظمها مظهراً وأثراً في حياة الإنسان . والواقع هو موضوع الدراسات العلمية أو هو موضوع العلم الطبيعي بشرط ألا يكون لهوى الإنسان دخل فيه ، لأن الهوى والحق قلما يجتمعان . لذلك لم يجعل العلم التاريخ مجالا لبحثه لأن الأهواء من عوامل التاريخ .

لكن هناك ظاهرة تاريخية هي أهم ظواهر التاريخ وأشبهها بالظواهر الطبيعية التي ليس للانسان عليها سلطان وإن جرت على أفراد من النـاس . تلك هي ظاهرة النبوة وظهور الأنبياء . وهي في تاريخ البشرية أشبه ببعض الظواهر الفلكية النادرة المتجددة ؛ ولو ضربنا لها مثلا ظاهرة المذنبات لم نبعد . يظهر النبي في أفق البشرية من عصر لعصر كما يدخل المذنب أفق الأرض بين حقبة من الزمن وحقبة ، فيشغل به الناس ما لبث في أفقهم ، ثم يذهب المذنب غير تارك أثراً ويبقى للنبي عظيم الأثر في الناس .

وظاهرة الأنبياء فيها كل ما في الظواهر الطبيعية الفلكية من مميزات . فهي من ناحية ظاهرة واحدة متجددة ، فالنبي أشبه بالنبي من النجم بالنجم :

واحد من الناس يظهر فيهم على غير إعداد منهم ، يتجرد من كل ما يشغل الناس من إقبال على الدنيا واستمتاع بها ، جاعلا شغله الشاغل دعوة قومه إلى فاطر الفطرة وخالق الناس . ثم هو لا يدعوهم من عنده فيلتبس عليهم بالفلاسفة والحكماء الذين يكثرون في بعض العصور ولا يكاد يخلو منهم عصر ، ولكن يدعوهم باسم الله الذي خلقهم ، مؤكداً لهم أنه مرسل إليهم من عند الله ربهم برسالة ليس له فيها إلا التبليغ . وسواء آمن به كثير أو آمن به قليل ، فإنه هو يعمل في جميع الأحوال بما يدعو إليه من دين مهما شق العمل به على الناس ، ويتحمل في سبيل تأدية الرسالة على وجهها ما يتحمل ، لا يصرفه عن رسالته أذى أو إغراء . فهو يطلع على الناس طلوع نجم أو قمر أو شمس أو مذنب : يجرى مجراه ولا يحيد قيد أنملة عن مسراه .

تلك ظاهرة تاريخية ، ولكن فيها كل ما في الظواهر الفلكية من صفات أساسية : فيها التجدد ، وفيها رغم تجددها الاطراد ؛ وفيها التجرد عن هوى البشرية ومشاغلها ، وفيها التقيد بأوامر فاطر الفطرة سبحانه تقيد النجم في مشرقه ومغربه . وفيها الإشراق على الناس بهدى الله كما تشرق الشمس عليهم بالضياء .

وتصحب النبوة والرسالة عادةً ظاهرةٌ أخرى هي أشبه بما يشتغل به العلم من الظواهر نسميها معجزة ويسميها القرآن آية . وهي دليل دعوى النبي أو الرسول أنه نبي الله ورسوله ؛ وهي حجة الله على من شهدها أو تواتر سماعه بها عمن شهدها . والمعجزات تشبه ظواهر الفطرة في أنها مما لا يقدر عليه الانسان . كلها تشترك في هذا التفرد لتكون دليلا عند من يعقل على أن

الذى أجراها على يد الرسول هو الله فاطر الفطرة ومرسل الرسول .

والعلم أسرع إلى التسليم بمثل هذا الدليل إن ثبت لديه وقوعه ، لأن العلم أعرف وأبصر بعجز الإنسان عن خرق عادة الفطرة وسننها فى الكون . فابتلاع العصا لِعِصىّ السحرة وحبالهم ، وإبراء الأكمه والأبرص فى لحظة ، وإحياء الموتى بكلمة — هذا وشبهه يعرف العلم ويعرف الناس أنه مما لا يقدر عليه البشر . فلو ثبت لدى العلم وقوعه فى ظروفه لسلَّم العلم بدلالته .

لكن إذا قُدر أن يبحث العلم الأديان عن طريق بحث ظاهرة النبوة فسيجد أن العقبة فى سبيله هى أن معجزاتها قد مرت وانقضت فهو لا يجد سبيلا إلى بحث شىء منها . إلا معجزة واحدة لرسول واحد على دين واحد : إلا القرآن ، معجزة الإسلام على يد محمد بن عبد الله . لقد ذهبت المعجزات كلها وبقى ، وتغيرت الكتب وحرفت ولم يتغير هو ولم يحرف . وعلى أى حال فهو هنا معنا ومع العلم والعلماء لمن شاء أن يبحث أو يفحص . فلو قدر للانسانية أن تفحص الأديان بعقلية علمية لما وجدت غير الإسلام ديناً يثبت للفحص العلمى ، إذ ليس غير الإسلام دين بقيت معجزته إلى اليوم وتبقى إلى ما شاء الله لتكون موضوع بحث وامتحان وفحص ، وليهتدى البشر بفحصها إلى الله ، وليعلموا عن طريقها أن الإسلام هو دين الله فاطر الفطرة وخالق الناس : جعل كتابه عين معجزته ومعجزته عين كتابه ليكون حفظ الدين وحفظ معجزته أمراً واحداً سواء ، ولتدوم حجة الله على الناس .

ودلالة القرآن على نفسه أنه من عند الله لا من عند بشر أمر تنبهر منه العقول إذا نظرت فيه نظرة علمية صادقة . ففيه أولا التحدى : تحدى العرب وتحدى البشر أن يأتوا بسورة من مثله . وهذا التحدى وحده دليل عجيب على أنه ليس من عند محمد . فلو علم محمد من نفسه أنه قائله ما اجترأ وهو ما هو من العقل ، وهم ما هم من الفصاحة ، أن يتحدى العرب بله البشر أن يأتوا بمثله ، ثم بعشر سور من مثله ، ثم بسورة ، ثم يجعل أقصر سورة لا تزيد على عشر كلمات !

فهذا من غير شك دليل عجيب . وأعجب منه عجز العرب خصومه — وقد كانوا جميعاً خصومه فى الأول — أن يقبلوا هذا التحدى ويهدموا محمداً ودعوته بالإتيان بسورة من مثل سور القرآن القصار .

وعجزهم ذلك جاء مصدقاً لنبوءة تنبأها لهم حين تحداهم أنهم لن يفعلوا . ولم يفعله أحد من البشر إلى الآن . فالعجب من كلمتين اثنتين — ولن تفعلوا — قامتا بصدقهما المستمر معجزة باقية على الزمن

وعجز العرب والبشر عن سورة قصيرة من القرآن أمر غريب عجيب يجعل من القرآن الكريم ألف معجزة فى معجزة ، لأن القرآن قدر أقصر سوره آلافاً من المرات .

وسر هذا العجز هو نفس سر عجز البشر عن خلق شىء مما حولهم فى الفطرة . فالقرآن والفطرة كلاهما من عند فاطر الفطرة بل هو دين الفطرة وكتابها . وقد جهد الناس قديماً وحديثاً فى الوقوف على سر إعجاز القرآن فلم يبلغوا من ذلك إلا قدر ما يغرف غارف من بحر وإن ظن ظان أنه قد بلغ . وليس إعجاز القرآن الناسَ هو كل دلالة القرآن على أنه من عند الله .

ليت من يقوم بالقرآن وللقرآن يحفظه ويفحصه ، ويجلو برهانه للناس من جديد . ليت المسلمين لم يشغلوا عن القرآن بكلام البشر ، ولم يحاولوا أن يتأولوه حين يجدونه غير نازل على أهوائهم وعلى ما يظنونه المناسب للعصر الحديث . ليت فى علماء الإسلام جماعات تلقوا صنوف العلم الطبيعى وتمكنوا من علوم القرآن ليجلوا للإنسانية القرآن على النمط العلمى الذى هو من نمط النظر القرآنى وفيه للانسانية فى هذا العصر العلمى مقنع .

ليت المسلمين ينتبهون إلى هذا فيتداركوا ما فاتهم ، ويعدوا للدعوة إلى الله وإلى القرآن عدتها . فالإنسانية فى حاجة إلى دين الفطرة ، وما المسلمون بأقل حاجة من الإنسانية إلى تبصير بالإسلام

محمد أحمد الغمراوى

هجرة محمد (*)

للأستاذ علي الطنطاوي



... في هذه الأيام التي ذاق فيها الأغنياء عَضَّةَ المجاعة ، والأقوياء ذِلّة الضراعة ، ومشى داء الهمجية إلى ديار المتمدنين ، وشمل الظلام مدائن النور ، وهان الحق والعلم والفن ، وعزّ السيف وغلى الرغيف ...

في أيام الحرب السود ، ولياليه العوابس ، تجتمعون آمنين مطمئنين ، غير جائعين ولا مروّعين ، فاحمدوا الله على نعمة السلام فلولا خطرها ما كانت تحية الإسلام : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...

يا سادة :

في المشرق والمغرب ، من شواطئ الأطلنطي إلى سواحل الهادي ، في القرية الخاملة والمدينة الآهلة ، يجتمع هذه الليلة إخوان لكم مثل اجتماعكم ، قد تناسوا الحرب وأهوالها ، والغلاء والبلاء ، والموت آتياً من الأرض ومنصبّاً من السماء ، ليحتفلوا في أيام الحيرة والخوف ، بذكرى الهدى والأمان ، ويهتفوا باسم من أدرك العالم حينما دهمه ليل كهذا الليل ، فأطلع عليه من نور الحق فجراً ساطعاً ، ليهتفوا باسم سيد العالم : « محمد » ...

يا سادة :

إن لكل أمة مواسم تجتمع فيها ، وذكريات تحييها ، وعظماء يمجدهم خطباؤها ، ومآثر يفخر بها شعراؤها ، ولكن الذكرى التي اجتمعنا لأجلها ، لا تقاس بها الذكريات ... إنها أجل منها وأعظم : إن الحادث الذي جئنا لتمجيده لا تشبهه الحوادث ، إنه أعز على التاريخ منها وأكرم ، إنه أسمى من كل مأثرة فخرت بها أمة ، واعتز بها جيل ، فإذا أردتم أن تروا فيم كان جلالها وسموها ، فدعوا هذا الحاضر لحظة ، وأوغلوا معي في مسارب الماضي مرّوا بين القرون وتخطوا أعناق السنين ، حتى تقفوا على القرن السابع الميلادي ، وقد أهلّ على دنيا رثت فيها حضارة الأولين ، ونسي الدين ، وأضحت العبادات عادات ، والعلم ترديداً بلا فهم ، والفن تقليداً بلا تجديد ، وأخذ الملوك الطغاة بمخانق الشعوب ، ونخرت الفوضى عروش الطغاة ، وسكت العلماء وهربوا إلى الصوامع ، وأيس المصلحون واختبأوا في الأغوار ، وأوشكت الإنسانية أن تتردى في هوة ما لها من قرار !

هنالك وقد غلب اليأس ، بعث الله الفرج على يد رجل ، رجل واحد طلع من وسط الرمال المتسعرة الملتهبة التي يشوى عليها اللحم ، لحم كل عادٍ يطأ ثراها ، وعاتٍ يريد بالشر حماها ، من القرية التي هجعت دهراً بين الحرّتين ، لا يدري بها قيصر ، ولا يحفلها كسرى ، من أرض الفطرة والحرية التي لم تبلغها أوضار المدنية ، من حيث انبثقت الحياة البشرية أول مرة : من جزيرة العرب ...

رجل واحد قام وحده لإصلاح الدنيا ، قال لقريش سادة العرب : اتركي هذه السيادة ، فالناس كلهم سواء ، لا فضل إلا بالتقوى والأخلاق وبارع الخلال ؛ وقال للعرب المشركين : حطموا هذه الأصنام ، فإنها لا تضر ولا تنفع ، واعبدوا الله الواحد الأحد ؛ وصرخ بكسرى وقيصر : أن دعا هذا الجبروت الظالم ، وهذه الربوبية الكاذبة ، فما كان بعض البشر أرباب بعض ، واتبعاني أجعل منكما عبدين لله صالحين !

فثارت به قريش ، وقام عليه العرب ، وعاداه الملكان كسرى وقيصر ، وأعلنت أقدس حرب وأعجبها : الحرب بين محمد وبين العالم كله ، الحرب التي انتصر فيها « محمد » على الدنيا !

(*) ألقيت في جامع بني أمية في الاحتفال بعيد الهجرة .

ولكن ما شأن الهجرة فى ذلك ؟ ليست الهجرة ، يا سادة ، انتقالا من مكة إلى المدينة ، وليست سفراً كالأسفار ، ولكنها المرحلة الأولى من هذا الزحف المجيد للحملة التى جردها الله على الكفر والظلم والفحشاء والمنكر وجعل قائدها « محمداً » ! إنها الخطوة الأولى من هذا الزحف الذى لم يقف ولم يتباطأ ، حتى امتد من الهند إلى مراكش ، ثم عبر البحر من هنا إلى الأندلس ، ومن هناك إلى البلقان ، ثم دخل فى الزمان ، واجتاز العصور ، حتى انتظم أربعة عشر قرناً ، وغمر نصف المعمور بالنور ، ثم إنه سيمتد حتى يبلغ آخر الزمان ، ويعم الأرض كلها ... إن الهجرة هى الحلقة الأولى من سلسلة المعارك الظافرة الفاصلة التى خضناها دفاعاً عن الحق والعدل ، والتى منها بدر والخندق والقادسية واليرموك ، ونهاوند وجبل طارق ، وعمورية والحدث ، وحطين وعين جالوت والقسطنطينية ، وطرابلس والفوطة ، وجبل النار .

لقد مشى « محمد » ليزيح الظلام ، ويحطم طواغيت الظلم حيثما قامت ... وقريش الحمقاء تحسب أنه بعث لها وحدها ، وأن مدى رسالته متسع هذا الوادى ، وأنه هاجر خوفاً منها ، لذلك بعثت رسلها ينفضون الأرض ليأتوا به ويرجعوه إليها ...

يا لجهالة قريش ، ويا للغرور السيء ما يصنع بأهله !

مه يا قريش الحمقاء ، إنك لا تعرفين من هو « محمد » ، ولا تدرين ما رسالته ! مه يا قريش ، دعيه يمر ، إن فى يثرب أنصاراً له ينتظرونه ، إن وراء الرمال ، فى بلاد الظل والماء ، شعوباً ترقب مجيء النبى ، قد علقت به آمالها ، ونفد فى ترقبه صبرها ! إن وراء القرن السابع أمماً لا تزال فى أحشاء الغيب تنتظر النبى ، فهل حسبت قريش أن فى الغار رجلين اثنين ؟ إن فيه أمل الدنيا ، فيه رحمة الله للعالمين ، فيالجهالة قريش حين تريد أن تمنع رحمة الله عن العالمين !

* * *

أتعرفون ما ذا صنع سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ؟

وجد العرب قبائل وبطوناً : لكل قبيلة عالم ، ولكل بطن دين ، آلهتهم شتى ، وأربابهم أصنام ، همهم سيف يجرد ، أو جمل ينحر ، يأكل بعضهم بعضاً : فبكر تحارب تغلبا ، وعبس وذبيان ، واليمن ومضر ، لهم ملوك فى مشارف الشام وأطراف العراق ، ولكن ملوكهم خول لكسرى وقيصر ، يقتلون إخوانهم فى العروبة فى سبيل الأجنبى !

وجد فى مكة ، وهى حاضرة العرب ، ودارة قريش ، بضعة عشر يقرأون ويكتبون ، وسائر أهلها أميين ، ووجد علماء العرب هم الكهان والشعراء ، أولئك يسجعون فيهرفون بما لا يعرفون ، وهؤلاء يشبّبون ويمدحون ويذمون !

أفبهؤلاء يصلح العالم الفاسد ؟ إنه لموقف يؤيس العظيم ، ولكن « محمداً » لا يعرف اليأس أبداً ، ولا يعرفه أتباع « محمد » !

إنه يريد أن ينشيء من الأمة المشركة المتفرقة الجاهلة ، أمة واحدة مؤمنة عالمة ، فليصنع كما يصنع البناء : يضع الحجر على الحجر ، فيكون جداراً ، وكذلك فعل « محمد » : بنى أمة صغيرة من ثلاثة ، من رجل وامرأة وصبى ، من أبى بكر وخديجة وعلى ، فكانت نواة هذه الأمة الضخمة التى ملأت بعدُ الأرض ، وكان أسلوباً يخلق احتذاؤه بكل مصلح . ثم صار المسلمون عشرة ، ثم تموا أربعين ، فخرجوا يعلنون الإسلام بمظاهرة لم تكن عظيمة بعددها ولا بأعلامها وهتافها ، ولكنها عظيمة بغايتها ومعناها ، عظيمة بأثرها ، عظيمة بمن مشى فيها : محمد وأبو بكر وعمر وعلى وحمزة ، أربعون لولا محمد لعاشوا ولماتوا منكرين مجهولين ، فلما لامسوه وأخذوا من نوره ، وسرت فيهم روح من عظمته ، صاروا من أعلام البشر ، وصارت أسماؤهم مناراً للسالكين ، فلما بلغوا ثلاثمائة ، خاضوا المعركة الأولى فى الدفاع عن الحق ، معركة بدر ، فلما بلغوا عشرة آلاف ، فتحوا مكة ، وطهروا الجزيرة العربية ، فلما بلغوا مائة ألف فتحوا الأرض !

فتحوا الأرض ، فلما انقادت لهم ، فتحوا القلوب بالعدل ، والعقول بالعلم ، فما عرفت هذه الدنيا أنبل منهم ولا أكرم ، ولا أرأف ولا أرحم ، ولا أرق ولا أعلم ، ولا أجل ولا أعظم !

فإذا كان فى العظماء من كشف مكروبات ، فحمد قد كشف أبطالا ، وإن يكن فيهم من داوى مريضاً ، فحمد قد داوى أمماً ، وإن يكن فيهم من برع فى الحرب وفى فن القتل ، فحمد كان فنه الأحياء والهدى ، وإن يكن فيهم من ألف قصصاً وروايات ،

فالذى صنعه محمد لو تخيله قاص أو أديب لـكان أكبر الأدباء ، فـكيف بمن أقامه من الحس لا الوهم ، والحقيقة لا الخيال ؟ وإن يكن فيهم من أفضل على أمة ، فمحمد قد أفضل على الناس كلهم ، فما على الأرض أمة لم تستضئ بنور دعوته ، ولم تقتطف من ثمار حضارته ، ولم تنتفع فى قضائها بشريعته ، لولا « محمد » وقرآنه ما كانت حضارتنا ، ولا علومنا ، ولولا حضارتنا وعلومنا ما كانت حضارة الغرب ، نحن حفظنا إرث فارس والروم واليـونان ، وصححناه وزدنا فيه وأفضنا عليه من نور القرآن . ثم علمناه تلاميذنا من أهل أوربة ، وأعطيناه فى فلسطين لمن جاء يبنى لنا الموت ، وحمل إلينا سيوفاً أحدّها التعصب وشحذها الجهل ، فحملنا إليه الحضارة والعلم والحياة ، وأريناه نُبل أتباع « محمد » !

أفبلغ بالناس أن ينسوا فضل « محمد » عليهم ؟ إن ينس الناس فما نسى التاريخ ، وإن تسكت الألسنة ترْوِ الصحف ويتحدث الصخر : سلوا هذه القبة السامقة والسواعد التى أقامتها(١) ، سلوا هذه الأساطين والعلماء الذين استندوا إليها ، سلوا هذا المنبر : كم صدع فوق أعواده بحق ، وكم أعلن من مبدأ كريم ، سلوا الظاهرية وما فيها من الـكتب ، سلوا النظامية والمستنصرية والأزهر ، سلوا دجلة : كم ألقى فيه من نتاج أدمغتنا ، سلوا الأندلس : كم أحرق فيها من ثمرات عقولنا ، وما نقصت مكتبتنا بما أغرق وما أحرق ، سلوا جامعات الغرب : ألم تعش على كتب ابن سينا وابن رشد والإدريسى والبيرونى دهراً طويلا ؟ سلوا تلك البيض : هل جردت إلا دفاعاً عن الحق والفضيلة والمثل الأعلى ؟ بل سلوا قلوبكم وما صنع فيها الإيمان ، تروا أن هذا الإرث القليل الذى وصل إليها يثبت أن الإسلام هو أعظم شىء عرفه هذا الوجود ... إننا برغم ما صنع الدهر بنا وما صنعنا بأنفسنا حين أهملنا شريعتنا لا نزال نحتفظ بعزة المؤمن الذى يعلم أن الأجل محتوم ، فلا يخاف أن يعاجله الموت إن صدع بحق أو خاطر فى واجب ، وأنه لا إلـه إلا الله ، لا يضر ولا ينفع سواه ، فلا يخاف مع الله أحداً ، قم حيثما شئت من ديار العربية التى قبست من نور « محمد » ، ثم ادع باسم الدين ، وباسم العرض ، تر كيف تقتحم الأهوال ، وتستسهل الصعاب ، بل ادع بذلك فى بوادى نجد ، وفيافى اليمامة ، تلبّك رمالها ، وتنقلب فرساناً ، إن لم تجد من الناس ملبياً !

لا تعجبوا ، يا سادة ، فإن من معجزات « محمد » أن جعل أتباع دينه كلهم (على رغم أنوفهم) أبطالا !

إننا اجتمعنا فى محبة « محمد » ، ولـكن منا من لا يعرف على حقيقته « محمداً » !

ولم يكن « محمد » عبقرياً فحسب ، وإن آتاه كل صفات العبقريين ، ولم يكن نبياً فقط ، وإن جعله الله خاتم النبيين ، بل كان بشراً عظيما أوحى إليه بدين عظيم ، فهو — بشراً — أعظم البشر على الإطلاق : فى كبر عقله ، ونبل نفسه ، فى سمو خلاله ، فى أحاديثه وأقواله ، فى آثاره وأعمـاله ، إنه ليس فى العظماء ، أو قلّ فيهم من عرفت حياته بدقائقها وتفاصيلها كمحمد ، فانظروا أىّ خلق عظيم لم يتخلق به ، أى موهبة لم يعطها ، أى مكرمة لم ينلها ؟ وهو — نبيًّا — أعظم الأنبياء على الإطلاق ، جاءت الشرائع الماضية بأحكام تصلح لزمان واحد ، وكانت شريعته قواعد وأسساً تستخرج منها الأحكام التى تصلح لـكل زمان ، شريعة عقل لا تخاف العقـل ولا تجزع من اعتراضاته ، بل تواجهه وتتحداه ، وتدعوه إلى المناقشة مهما كان مدعاه ، لما قالوا المقالة الشنعاء قال لهم : (أإلـه مع الله قل هاتوا برهانـكم) : تعالوا ناظرونا ، نقرع دليلـكم بدليلنا ، وما نغلبكم إلا بقوة البرهان ، شريعة تدعو إلى العلم النافع ، رياضياً كان أو طبيعياً أو اجتماعياً ، وترغب فيه وتحضّ عليه ، شريعة جمعت ديناً وعبادة ، وتشريعاً وسياسة ، وأخلاقاً واجتماعاً ! إن الدنيا بغير شريعة « محمد » جسم بلا روح ، ولفظ بلا معنى !

فما بالنا نظلم الإسلام ، ونظن به العصبية والجمود ؟ ما بالنا نستحيى به ونحسبه يعود بنا إلى الوراء ، والإسلام مذ كان دين سماحة وعقل وتقدم ؟ ألا لقد آن لنا أن نفهم الإسلام على وجهه ، وأن نعرفه على حقيقته ، ونأخذه من منابعه ، لا من أفواه أشباه العلماء ، ولا من أشباه الـكتب ، وأن نعتز بالانتساب إليه ، وأن نرفع الرأس فخراً ، وأن نجعله أمامنا فى حياتنا ...

يا سادة ! إننا طالما احتفلنا بهذه الذكرى ونحن محزونون متألمون ، أدنى إلى اليأس وأبعد عن الأمل ، فلنحتفل بها اليوم

(١) قبة الأموى فى دمشق .

— ونحن فرحون مستبشرون — فقد بدا لنا النور ، ودنت الأماني ، ولاحت أعلام الوحدة ودقت طبولها ، وقد طالما هجعنا ومرت بنا ليال حوالك طوال ، فترت فيها الهمم ، وخبت العقول ، ولكن وقت النوم انقضى ، وأذن مؤذن النهضة : حيّ على الفلاح ... فنفضنا عن أنفسنا غبار الأحلام ... ونهضنا !

لقد كتب على المسلمين أن يذلوا ، ولكنها مرة واحدة ، وقد مرت ولن تعود !

لقد انبلج الفجر ، وانتهى الليل ، وبدا نور النهضة ، نور الاستقلال والوحدة ، فاقسموا فى هذا البيت الأطهر ، فى هذا اليوم الأنور ، إنكم لن تناموا ولن تنوا ولن تضعفوا ، فما ينال المجد نائم ولا وان ولا ضعيف !

إن « محمداً » علمنا معنى العزة والكرامة ، وعرفنا قيمة العقل والعلم ، وشرع لنا شرعة الإيمان والعدل والإحسان ، فلنعد إلى ما شرع الله على لسان « محمد » : نفتح فى التاريخ صفحة مجد وسمو ونبل كالتى كتبها أجدادنا ، ألا إنها كلمة صدق ، ألا إنه لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها ، ألا إنما أعز الله العرب بالإسلام ، فإن ابتغوا العزة بغيره ذلوا .

فيا أيها الرئيس ! ارفع راية القرآن ، ثم ادعنا للعمل شيوخاً لهم عزيمة الشباب ، وشباباً لهم حكمة الشيوخ ، تجبك من جنود الحق جحافل ، وصلت يوم القادسية واليرموك بأيام الغوطة ونابلس التى فيها جبل النار ، اعمل للوحدة الكبرى ، فإنها حياتنا لا حياة لنا إلا بها ، أقمها على صخرة الإسلام الراسية ، لا تعبث بها الزعازع ، ولا تزلزلها الأعاصير !

إنك القائد الحكيم ، ولكنها ضجت فى العروق الدماء ، وتلوّت فى الأغماد الصفائح ، فانشر اللواء ، وسُق الخميس لتعم الإنس والجن ، إنه لا يزال فى عروقنا ذلك الدم الذى نضح الأرض من بواية إلى الصين ، وفى قلوبنا ذلك النور الذى أضاء الدنيا من مشرقها إلى المغرب ، وفى سواعدنا ذلك العزم الذى هدّ بروج الطغيان وتهاوت له التيجان ، وفى أفواهنا ذلك النشيد الذى علا فى كل مكان ، فكانت تخشع له الرواسى وتطأطىء الشامخات : لا إله إلا الله ... والله أكبر !

على الطنطاوى

محمد والإنسانية

للأستاذ عمر الدسوقي

ظلت الإنسانية تتعثر فى حلكة دامسة ، منذ درجت على أديم هذه البسيطة ، قروناً تتراجع بعيداً فى أغوار الزمن السحيقة ، لا ترى قبساً من نور يهديها الطريق فى سدفة الظلام إلا غرائزها الفطرية التى نمت وفقاً للبيئة التى شب فيها الإنسان ، والحياة التى انتهجها لنفسه — حياة الأدغال والكهوف والصيد — وإلا لمحات من النور تلمع فى الفينة بعد الفينة فى أفق الانسانية حينما يرسل الله نبياً من أنبيائه ، لا يلبث بعده قومه أن يعودوا أدراجهم إلى أحضان الظلام .

أما العقل ، ذلك النور الكامن فى الإنسان ، فكان يغط غطيطاً ثقيلا ، وإذا حاول اليقظة ردته غشاوة التقاليد ، وكابوس الغرائز ، وهبت عليه أعاصير الخرافات ، فأطفأت الشعلة التى تجرأت أن تبرق فى ذيالك الديجور المرعب .

نشأ الإنسان فى هذا الظلام الروحى يقدس كل ما أعيته الحيلة فى إدراك كنهه ، وكل ما خشى سطوته وبأسه ، يقدس الشمس مصدر الحرارة والضوء والحياة ، والنهار ، والرياح العاتية ، والرعود القاصفة ، والسيول الجارفة ؛ ويقدم لها جميعاً القرابين حتى تهدأ ثائرتها ، وترضى عنه فلا تعرقل سعيه فى طلب القوت ، وهو كل مبتغاه ، ولا تطرح بنسله ، وهو كل ما يحرص عليه .

نشأ الإنسان تستوعب قلبه الأثرة والمادة ، والتعصب للجنس والقبيلة ، التى يطمئن إلى حمايتها ؛ ونشأ يمجد القوة والبطش .

وحاشاى أن أرجع إلى عهود الظلام فأسرد تاريخ الإنسانية الرهيب ، تلك العهود التى نظن أنها مترامية فى أعماق التاريخ ، أو ما قبل التاريخ ، وماعهد الإنسان بها ببعيد ؛ فعصور الحضارة منذ اكتشفت النار حتى اليوم تعد شهوراً قليلة فى عمر إنسان لا ينيف عن الخمسين ؛ ولذلك كانت الحضارة فى الإنسان غير أصيلة وهو دوماً نزاع إلى التحفظ والتمسك بأهداب التقاليد القديمة ، سيان منها ما استحسنه العقل الحر وما استهجنه . ولذا أيضاً يخشى على الحضارة أن يعصف بها صراع هائل كالذى شهدنا فى هذه السنوات الماضية فيرتد الإنسان ثانية إلى غياهب الظلمات .

أذكر هذا ، وأذكر رسالة محمد عليه السلام ، وكيف كانت حال الإنسان لمهدها : فمصابيح الحضارة اليونانية والرومانية والفارسية قد أوشكت أن تنطفىء ، وأخذ الناس يرجعون القهقرى إلى غرائزهم وطباعهم ؛ يتنازع العالم المعروف إذ ذاك دولتان قد استعرت بينهما نار الحرب ، وتكالب الناس على المادة ، فلا ترى إلا عقولا ذاوية وقلوباً خاوية ؛ ولذلك كانت رسالة محمد دفعاً قوياً إلى وضح النهار ، وطالما ذكر القرآن الكريم العالم بهذا :

« قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ، ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ، ويهديهم إلى صراط مستقيم » .

جاء محمد عليه السلام ، يحرر الإنسانية من أغلال الجهل والفساد ، يبنى لها حياة هادئة وادعة ، يغمرها نور الأيمان والعلم ، ويعيش فيها الناس على قدم المساواة فى الحقوق والواجبات ، فى السراء والضراء ، يحارب بشدة تلك النعرات الجاهلية الناشئة ، والعصبيات القبلية الذميمة ، وأعلن أن الناس سواء ، فلا يفضل إنسان ما غيره من البشر بالجنس أو الدم أو القوة ، ونادى ذلك النداء الذى يشع النور من كلماته :

« الناس سواسية كأسنان المشط ، وإنما يتفاضلون بالعافية »

« الناس كلهم لآدم ، وآدم من تراب » .

« لا فضل لعربى على عجمى ، ولا لعجمى على عربى إلا بالتقوى » وجاء القرآن مصدقاً لهذا حيث يقول :

« يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم » .

رأى محمد عليه السلام النفوس تغص بالجشع ، والقلوب تجيش بالطمع ، والأثرة تسيطر على العقول ، فاستبد القوى بالضعيف لا يفكر المرء إلا بنفسه ، ولو تقطعت الأرحام ، وذوت صلات القربى ، وأصبح بذلك الظلم والبغى والمنكر قانوناً يطبقه الغنى

والقوى ، ويرضخ له الذليل والفقير ؛ وما هذا لعمرى سوى قانون الأدغال والغابات ، فنادي الله تعالى فى كتابه :

« إن الله يأمر بالعدل ، والإحسان ، وإيتاء ذى القربى ، وينهى عن الفحشاء ، والمنكر ، والبغى ، يعظكم لعلكم تذكرون » .

نظم محمد عليه السلام العلاقات الإجتماعية على أساس التعاون الوثيق بين الأفراد ، والمحبة والأخاء ، فالسادة الذين يشمخون بأنوفهم كبراً ، وتنتفج قلوبهم عنجهية ، يجب أن يتطامنوا ويتواضعوا ، وإلا فإنهم محرومون رضاء الله حيث آذوا عباده :

« تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً فى الأرض ولا فساداً ، والعاقبة للمتقين » . ويقول مرة أخرى :

« يأيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم » .

أما هؤلاء الذين أدركوا معنى الإنسانية ، وتجافوا عن الكبرياء ، ورضى الله عنهم ، فهم الذين قال فيهم القرآن :

« وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا ، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما » .

ويجمع محمد عليه السلام قانون العلاقات الإجتماعية فى حديثه الشريف : « المسلم من سلم الناس من يده ولسانه » . ونرى القرآن يحد من غريزة العدوان ، ودفع الشر بمثله فيقول :

« ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن ، فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم » .

ولم تك هذه التعاليم مجرد آيات تتلى ، وأحاديث تتردد ، بل تشربتها قلوب العرب ، أكلة الشيح والقيصوم ، واتخذتها نبراسا تستضىء به ؛ فملأوا الدنيا عدلا وأمناً وحرية ، فاستمع إلى أبى بكر يقول :

« إن القوى فيكم عندى الضعيف حتى آخذ الحق منه ، والضعيف فيكم عندى القوى حتى آخذ الحق له » .

واستمع لعمر بن الخطاب يقول :

« متى استعبدتم الناس ، وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً » .

ولا بدع فدين محمد عليه السلام ليس مجرد صلاة وعبادة ؛ وإنما أساسه حسن المعاملة بين الناس ، وشعور كل فرد بشخصيته وحريته فى حدود القانون والمصلحة العامة ، فيقول الله تعالى :

« ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل الشرق والمغرب ، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين ، وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين ، وابن السبيل ، والسائلين وفى الرقاب ، وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا ، والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس ، أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون » .

ولم تكن الصدقات تفضلا من ذوى اليسار على ذوى المتربة يؤدونها تارة ، وينكرونها أخرى ، بل كانت فرضاً محتوماً يخرجونه من أموالهم عيناً كانت أو عروضاً ، ثابتة أو منقولة .

« إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها ، والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين ، وفى سبيل الله ، وابن السبيل ، فريضة من الله والله عليم حكيم » .

وأصرح من هذا قوله تعالى :

« إن الإنسان خُلِقَ هلوعاً ، إذا مَسَّه الشرُّ جزوعاً ، وإذا مسه الخير منوعاً ، إلا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون والذين فى أموالهم حقٌ معلوم للسائل والمحروم » .

ولما كان حب المادة متأصلا فى النفوس البشرية منذ كانت فى عصور الظلام رأى محمد عليه السلام أن طالب المادة لا يشبع ، وأن الروح لابد لها من غذاء ، ولقد كانت حياته هو نموذجاً لتغذية الروح ، وتجنب زخرف الحياة ، ومع هذا فلم يحث القرآن الناس على ترك الدنيا ؛ لأن الإسلام دينٌ عملى يتمثل فى الآية :

« ولا تنس نصيبك من الدنيا ، وأحسِنْ كما أحسَنَ الله إليك » ، ويتمثل فى الأثر : « اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً » . وإنما كان القرآن يعقد تفاضلاً بين الحياة الدنيا والآخرة مخافة أن يطغى حب المادة على الروحانيات ، ولهذا يقول تعالى :

« المال والبنون زينة الحياة الدنيا ، والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملا » ويقول عز وجل : « وما أوتيتم من شىء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها ، وما عند الله خير وأبقى أفلا تعقلون »

ولما كان العقل قد طال ركوده نفخ محمد عليه السلام فى تلك الجذوة المطمورة حتى عادت شعلة ملتهبة ، ولهذا كثر توجيهه الناس إلى التفكر فيما حولهم من بدائع المخلوقات حتى يحرك أذهانهم :

« إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار ، والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس ، وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها ، وبث فيها من كل دابة ، وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون »

ولما كان العرب فى عهده أمة أمية لا تقرأ ولا تكتب جثهم على التعلم ، رافعاً من شأن العلم وأهله ، وافتداؤه أسرى بدر بتعليم كل منهم عشرة من أبناء المسلمين خير مثال عملى على ذلك ، وقوله فى الحديث : « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » كان أكبر حافز على اهتمام المسلمين بالعلوم ، واستمع إلى القرآن الكريم كيف يعظم العلماء ويوجه الفكر توجيها صحيحا :

« ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء ، فأخرجنا به ثمرات مختلفاً ألوانها ، ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ، ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك ، إنما يخشى الله من عباده العلماء ، إن الله عزيز غفور » .

وهذا يفسر لنا تلك النهضة العربية الإسلامية التى ظهرت بعد بعثته ، وشغف المسلمين بالفلسفة والعلوم العقلية التى أحيا المسلمون شعلتها وزادوا فى سناها ، وتلقفتها أوربا من أيديهم ساطعة منيرة .

ولم يك محمد عليه السلام متعصباً لدينه ، ينكر الأديان قبله ويذمها ، بل جعل شرط الإسلام الإيمان بما أتى به النبيون من قبل :

« قولوا آمنا بالله ، وما أنزل إلينا ، وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط ، وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون » .

دين محمد لا يعرف التعصب بل يشمل الإنسانية كلها لا يفرق بين الأجناس ولا البلاد ولا الحدود : « وهو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه » .

هذه لمحات سريعة من بعض تعاليم الإسلام التى أخرجت الإنسانية من الظلمات إلى النور ، فهل لنا بنفحة من نفحات محمد عليه السلام ترف على العالم فتهديه سبل السلام وقد أوشكت مآسيه أن تلقف كل ما بنى النور وشيد ؟!

عمر الدسوقى

موقفنا من الحضارة

للأستاذ قدري حافظ طوقان



تقدم العلم تقدماً نتج عنه انقلاب خطير في الأوضاع والمرافق، فقد غزا جميع نواحي الحياة صغيرها وكبيرها، جسيمها وتافهها، ودخل في الطعام والشراب، في الترف والنعيم، في الحقل والبيت، في الحرب والسلم.

وأصبحنا لا نعيش إلا في جواء من العلم، ولا نسير إلا على طريقة تحيط بنا الاكتشافات وتكتنفنا الاختراعات، فآثار العلم بادية في كل مكان وأصوله متغلغلة فيما جلّ من الشئون وما هان.

سرّح الطرف وانظر ما أخرجه العلم من مميزات ومعجزات في عالم الصناعة والآلات، تجد أن العلماء استغلوا الطبيعة والكيمياء والهندسة وما إليها فأتوا بالكهرباء وقالوا لها كوني نوراً فكانت، كوني ناراً فكانت، كوني حركة فكانت المحركات تسير في ركابها القاطرات والساريات والطائرات كما تدير الآلات، تعمل ما يعمله الإنسان بيديه وما لا يستطيع، ولكن بقوة وعزيمة ودقة قاربت حدود الكمال.

ثم أتى إلى الأمواج اللاسلكية وجعلها رهن إرادته، فإذا المستحيل ممكن بل واقع، وإذا الإنسان يملأ بها الجواء تحمل له الأنباء والأخبار والصور. واتجه العلماء إلى الإنسان وجسده فتمكن العلم من كشف بعض أسرار الحياة وقواعد الصحة وأسباب الأمراض ووسائل العلاج فتفنن في صنع الأدوية والأمصال واستخرج من العفن البنسلين والفينيسيلين فأتى بالعجب العجاب من فتك بالجراثيم والأمراض وإبادة آثارها وما تتحفه من آفات.

ولم يقف الغرب عند هذه الحدود، بل أقام الزراعة والفلاحة والاقتصاد والتجارة والتعليم والسياسة على أساس من العلم فدانت هذه لمآربه وغاياته ونجم عن ذلك تقدم مادي لم يخطر على بال إنسان.

وجاء بعد ذلك إلى الشرق فدرسه وخبر أحواله، ورأى أن من حقه استعماره واستغلاله، كما يستغل الأرض ويستعمرها، وهكذا كان وهذا ما هو جارٍ الآن فإذا الشعوب كالحديد والنحاس تستغل لحساب الأمم ذات القوة والبأس، وتُسَخَّر لمصالحها وغاياتها، ذلك لأن الغرب سار على مقتضى العلم يستخدمه في الحياة والعمران بينما الشرق بقي بعيداً فلم يَسِرْ في حياته وفق العلم ولم يدرك بعد أن العلم هو الذي يدفع الأمم دفعاً في مضمار التقدم، وأن لا حياة لأمة تعيش بعيدة عن العلم وآثاره، ولا كيان لشعب لا يؤسس حياته على العلم، فهو مفتاح النهوض وهو أسُّ الارتقاء في معارج المجد والخلود.

هذا هو طابع المدنية الحديثة — طابع العلم — الذي دخل في صميم الحياة وانبثّت حقائقه في شؤونها العملية منها وغير العملية.

هذا هو الوجه الحسن في الحضارة الحالية والجانب اللامع منها.

ولكن مهلاً ... هناك ناحية ضعف أدت إلى ما نراه في المدنية من أفلاس، ومن عدم ملاءمتها للحياة الهادئة القائمة على قواعد الخلق والروح والفضائل.

لقد استغل العلماء العلم بعيداً عن قوى الروح والقلب، فأعلوا من شأن العقل والعلم علواً كبيراً، وحكموا العقل في القلب كما حكموا العلم في الدين فنتج عن ذلك ما نراه من فوضى خلقية وحروب طاحنة رهيبة، فاستأسدت الغرائز وأسرفت المطامع فإذا آلة العلم تتجه نحو التدمير والتخريب والفتك والتقتيل حتى أصبحت القوة مقياس تقدم الأمة وعظمتها، ولو تدخل القلب واتجهت آلة العلم نحو البناء والأثمار والخير والكمال لسمت المدنية وارتفع شأن الإنسانية ولسار العلم في خدمة الحياة وإعلاء مقامها.

ومن هنا يتبين أن الأمم لا تصلح بالعلم بقدر ما تصلح بالقلب والأخلاق، وأن التقدم الذي وصل إليه الإنسان — وقد توافرت فيه أسباب الرفاهة والرخاء — لم ينج الإنسانية من المصائب المحيطة بها ولا من الأهوال التي تنصب عليها.

هل قضى هذا التقدم على المشاكل المديدة التي يعانيها المجتمع؟

الواقع المشاهد أن المدنية الحديثة قد زادت المشاكل تعقيداً والتواء كما سلبت العالم راحة البال وطمأنينة النفس، ذلك لأن حكمة الإنسان قد قصرت عن تثقيف الرغبات والنوازع الإنسانية غير

حاسبة حساباً للخلق العالى ومعانى الحق والواجب والمثل العليا .

والذى يخشاه كبار الفلاسفة أن الحكمة البشرية إذا أفلست فى النهوض بعبء ادماج العلم فى أغراض الروح والخلق استمرت هذه القوى فى اتجاهها نحو التدمير وهددت بزوال ما بقى من معالم الحضارة وآثار الفكر والعقل .

وعندئذ يسكن العلم المصنع ، ويطغى العلم على القلب ، والماديات على المعنويات فتبقى الحضارة على مشاكلها والناس فى قلقهم والأفكار فى اضطرابها وتتضاعف متاعب الإنسان وتزيد تعقيداً فلا يخرج من فوضى إلا ويجابه فوضى أشد وأنكى فلا راحة ولا أمان ، ولا سلام ولا اطمئنان .

وعلى هذا فالعلم وحده لا يكفى لوضع حد لشرور العالم وآثامه ، والعلم وحده لا يكفى للخلاص من الصعاب المحيطة به من كل جانب يجب أن يقوم العلم على عناصر روحية ومعنوية تعلى من شأن المثل العليا والأخلاق الفاضلة كما يجب أن تقوم الحضارة على المعنويات وتوفق بين العلم والروح كما تلائم بين العقل والقلب . والحياة لا تكون آمنة يسودها رحمة وسلام إذا طغى العلم على الأرواح والأوضاع ، بل إنها لا تكون نامية رائعة إذا لم تسر على وحى القلوب ولن يستطيع الإنسان أن يرد عن الحياة الآثام والشرور والمفاسد إذا حكّم العلم وحده منصرفاً عن معانى الخير والجمال .

والعيش لا يصفو فى جو مادى تفرغ فيه القلوب وتمتلأ به الجيوب ، والأعصاب لا تهدأ وهى عرضة للنزعات التى تذكيها المادية ! وهل لحياة قيمة بل هل يكون لهـا روعة إذا بعدت عن المعنويات وهزأت بالروحيات ؟.

إن العلم قد وضع فى أيدينا قوة عظيمة إذا لم نحطها بسياج من الخلق والروح انقلب إلى قوة هدامة مدمرة . وعلى المعاهد والمفكرين أن يعملوا على حفظ هذه القوة ضمن هذا السياج لتجنى منها الإنسانية قوى الخير والبناء والأثمار .

وعلى المفكرين والمعاهد أن يحاولوا المساهمة فى هـذا السبيل ويسيروا بجهودهم فى طريق ادماج العلم فى أغراض الروح العليا حتى يعرف النشء كيف يعيشون وكيف يقومون بواجبهم ويؤدون رسالاتهم بنفحات روحية وعلى أساس من الخلق متين .

يهمنا ألا يغتر النشء بهذه الحضارة وأن لا يسيروا وراءها دون روية وتمحيص ، وأن لا يأخذوا بآراء القائلين بالسير مع المدنية والانغماس فى ماديتها ونبذ التقاليد الشرقية والعربية وقطع كل صلة بالماضى .

يظن كثيرون من الشباب أن قطعة صغيرة من طائرة أو سيارة أفضل لنا من كل ما ورثناه من خلق ومعنويات وتراث روحى خالد .

لقد شطّ الفكر . انظروا إلى أوربا فعندها الاختراع وعندها الآلات ، وعندها المصانع والأدوات ... انظروا ماذا حل بها ؟ وكيف حالها فى هـذه الأيام ؟ نظروا إلى العلم لكنهم لم يعبأوا بالقلب أو الروح .

نظروا إلى النجوم ، لكنهم لم ينفذوا ببصيرتهم إلى الله وراءها.

ماذا كانت النتيجة ؟ كروب أحاطت بهم وحيرة انتابتهم فإذا هم فى جحيم يتلظى وفى دنيا من نار ودخان .

لا كانت مدنية ، ولا كان علم يقود العالم إلى هذا الدمار وإلى هذه الفوضى فى الخلق والأوضاع .

ليس العلم كل شىء فى هذا الوجود .

إن الأخلاق والمعنويات شىء عظيم فى هذا الوجود . والإنسان لا يكون الرجل الذى ينشده الدين والفضيلة إلا إذا صح إيمانه بالله وحكم القلب على العقل والمعنويات على الماديات .

والمدنية لا تكون سامية فاضلة إلا إذا سيرت العلم مع القلب والعقل مع الإيمان واليقين .

إذا أيقن الإنسان أنه عماد أمته ، به يرتفع شأنها وبه تقوى وتزداد حيويتها ، إذا أيقن أنه من وثبات مجدها ومن خفقات قلبها وأن أعزر الناس حياة أعمقهم تفكيراً وأنبلهم شعوراً وأصلحهم عملا ... عندئذ فهو الجـدير بالحياة الكريمة وحمل أمانيها وتبعاتها .

إن الجماعة إنما تصلح بالخلق والضمير لا بالعلم .

وأن النفوس لا تقوى إلا بتذليل الصعاب ومجابهة المتاعب والعقبات والأخطار ، وإن من يقف أمواله وأيامه وجهوده على إمتاع نفسه لا يعرف الحياة لأنه لا يعرف الوطن .

وأخيراً إن العلم وحده نقمة وشقاء وهدم وتدمير .

وإن العلم لا يزكو ولا يثمر ولا يصبح أداة خير وبنـاء وإصلاح إلا على أساس من الروح والخلق العالى ، وإن الرجل العظيم هو الذى يرشد بالمعرفة والعطف لا من يستفز بالتحكم والبطش وإن أعظم الجماعات أقواها قلباً وأحياها ضميراً .

(نابلس) قدرى حافظ طوقان

بادر باقتناء نسختك من كتاب :



وقد زيدت عليه فصول لم تنشر

يطلب من إدارة « الرسالة »   ومن المكاتب الشهيرة   وثمنه ١٥ قرشاً

أروع عمل أدبي في هذا العام

هيجو . لامرتين . دي موسيه . دي فيني . فرلان

حياة هؤلاء العباقرة الخالدين ومذاهبهم الشعرية ، واتجاهاتهم الفنية مع ترجمة أخلد آثارهم شعراً إلى العربية.

ومن القصائد المترجمة :

الضمير « لهيجو » ، والوحدة « للامرتين » ، وليلة مايو « لدي موسيه » ، وموت الذئب « لدي فيني » ... وغير ذلك

كل ذلك في كتاب :

أعلام الشعر الفرنسي وطرائف من آثارهم

للشاعر المعروف

الأستاذ العوضي الوكيل والسيدة سي عبد الرازق صبري

صدر اليوم وثمنه ١٦ قرشاً عدا البريد

ويطلب من أول المؤلفين بالمدرسة التوفيقية الثانوية بشبرا القاهرة ، أو من مكتب الشرق الأوسط للنشر ٥٨ شارع الفجالة ومن المكتبات الشهيرة . بادر باقتناء نسختك الجملة خصم خاص .



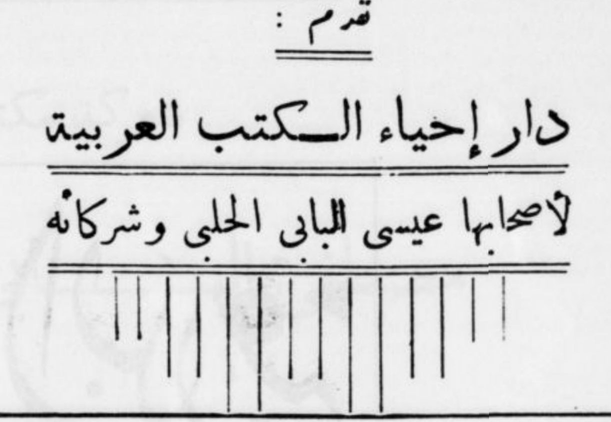
لن تجد في هذه الكتب إلا آراء جديدة حرة صريحة ونحن نسألك أن تقرأ هذه المجموعة كلها أو بعضها لترى صحة مانقول

(١) البعث أو مذهب السلام	ثمنه ٢٠	خلاف البريد
(٢) لا أومن بالعقل	« ١٠	«
(٣) مع عقلاء الأنس ومجانين الجن	« ٦	«
(٤) هل أفلست حضارة أوربا	« ١٠	«
(٥) محاكمة الزمن أو طه حسين	نفد	
(٦) أيامي أو فلسفة الحياة	نفد	

للأستاذ

محمد العماوي

تطلب هذه الكتب من دار الفكر الحديث للطبع والنشر بالمالية بالقاهرة ومن مكتبة النهضة المصرية بشارع عدلي باشا بالقاهرة .





لنصر بن مزاحم المنقرى

أقدم مؤلف يجلو حوادث هذه الوقعة الرهيبة
وينتظم في أثنائه كنوزاً من أشعار الملاحم ...

وأرجازها بلغت نحو ٢٥٠٠ بيتاً ... كما تضمن ٧٠ رسالة و ٦٤ خطبة من عيون رسائل صدر الإسلام وخطبه ... وقد ذيل بفهارس تحليلية دقيقة تقع فى ١١٥ صفحة

قام بتحقيقه وشرحه

عبد السلام محمد هارون

المدرس بجامعة فاروق الأول

ثمن النسخة ٨٠ قرشاً صاغاً عدا البريد

سكك حديد وتلغرافات وتليفونات الحكومة المصرية

النشر فى محطات ومطبوعات المصلحة

لقد نجحت المصلحة فى إبتكار أحدث الرسائل وانتقاء أبرز الأماكن المعدة للنشر فأولت إهتماماً خاصاً بمحطاتها فنسقتها وغرست حولها الحدائق فزادت من حسن منظرها وبديع رونقها حتى أصبحت تضارع أعظم محطات العالم مما حدا إلى إقبال الجمهور والشركات على اختلاف أنواعها وأصحاب البيوتات التجارية إلى الإعلان فيها بأسعار غاية فى الاعتدال .

هذا فضلاً عن المطبوعات والنشرات المختلفة التى تصدرها المصلحة من وقت لآخر وتوزيعها داخل وخارج القطر ولا يخفى أن الإعلان فى تلك المطبوعات لا يقدر بثمن لأهميته وجليل فائدته .

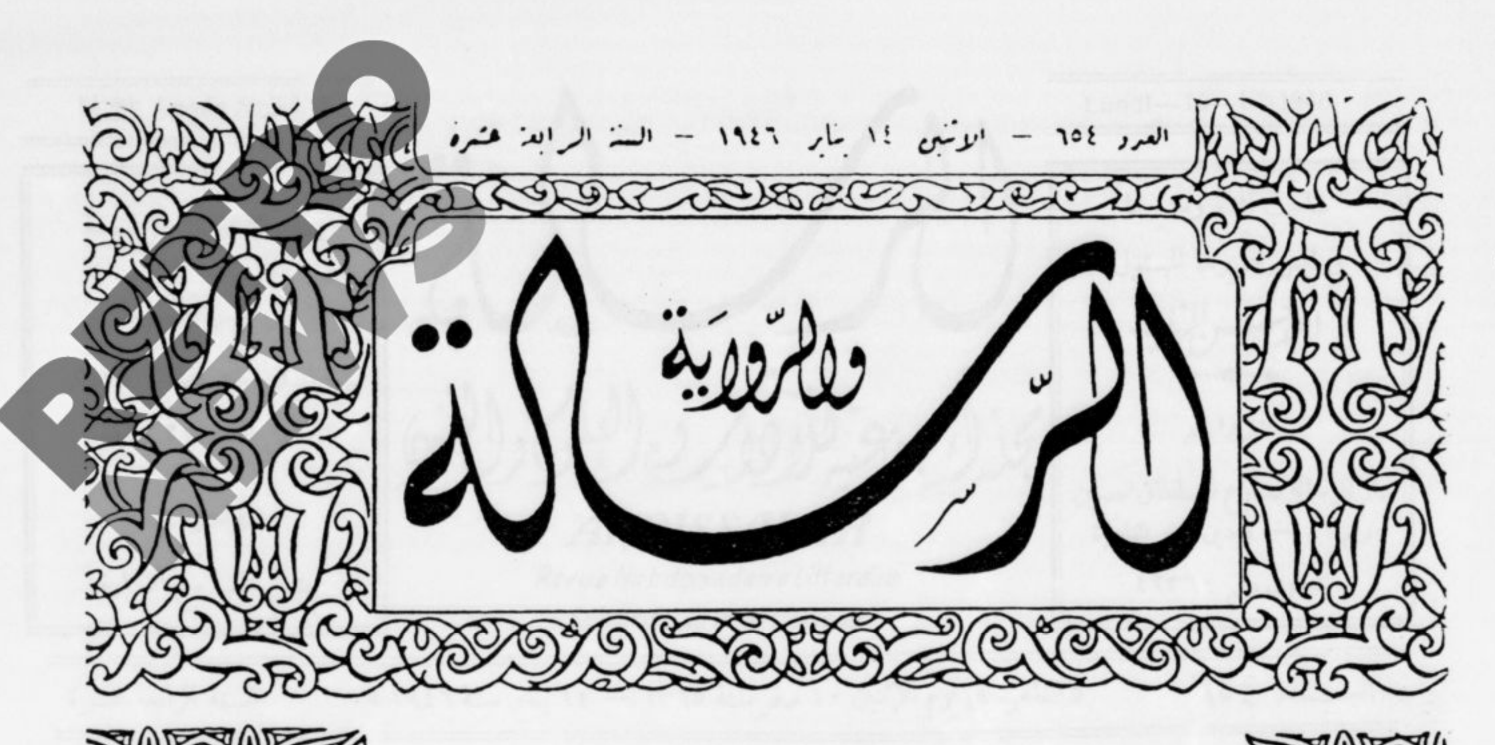
ولزيادة الاستعلام خابروا

قسم النشر والإعلانات — بالإدارة العامة — بمحطة مصر

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

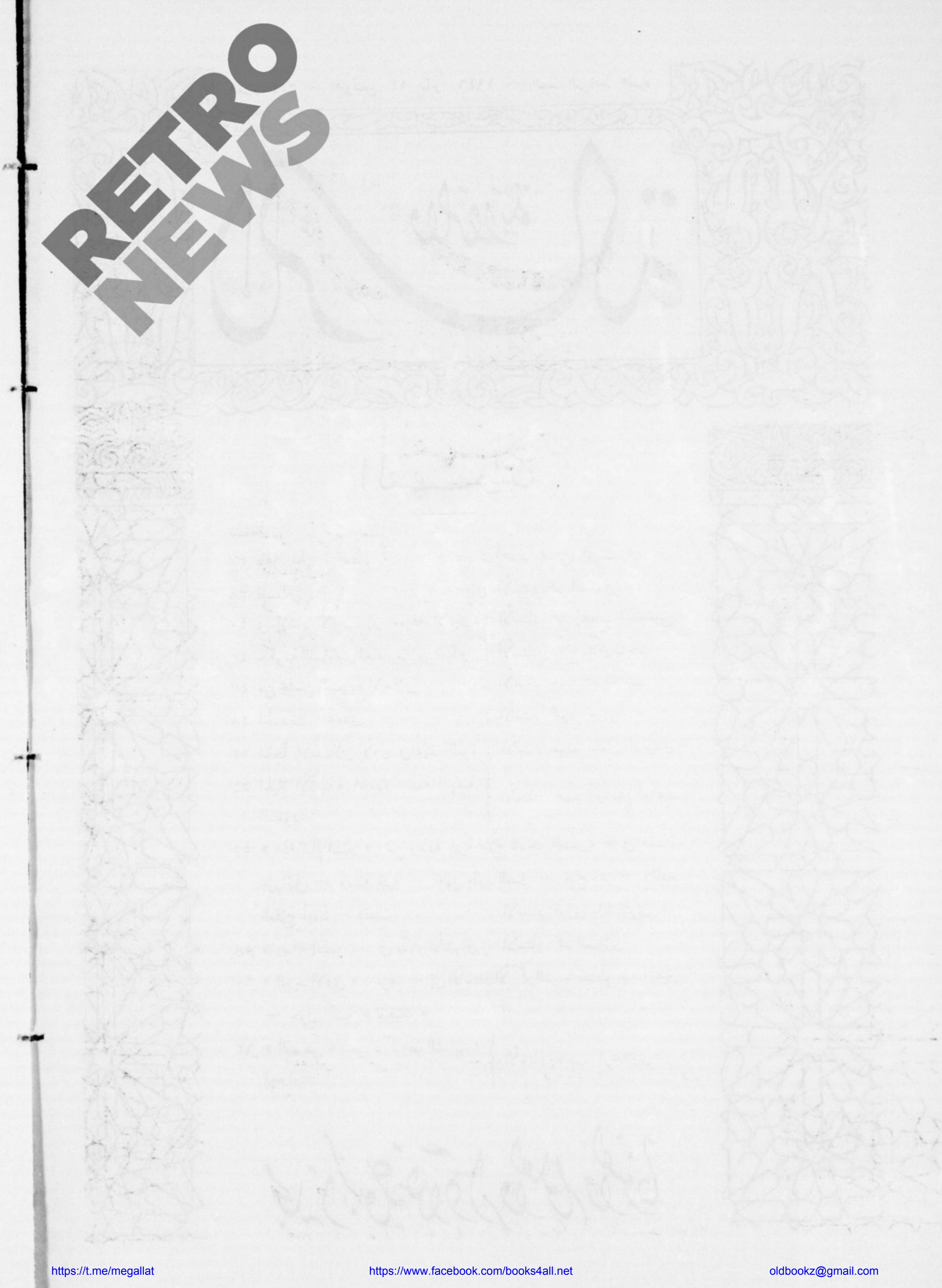


العدد ٦٥٤ — الاثنين ١٤ ينار ١٩٤٦ — السنة الرابعة عشرة



الفهرس

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون


RETRO
NEWS

14 me Année No. 654

Lundi—14—1—1946

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

مـ

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٦٥٤ « القاهرة فى يوم الإثنين ١٠ صفر سنة ١٣٦٥ — ١٤ يناير سنة ١٩٤٦ » السنة الرابعة عشرة

عاهل الجزيرة العظيم !

من بوادى نجد منبت العَرار والخزامَى ، ومهبّ الصَّبا ومسرى النُّعامَى [1] ، فاحت عطور الإسلام والعروبة من جديد ، وباحت الرمال الصامتة بسرها المكنون منذ بعيد ؛ وهبّت نفحات الرسول على آل الشيخ [2] وآل سعود فجددوا ما رثّ من حبل الدين ، وجمعوا ما شتّ من شمل العرب ؛ وتهيأت الفرصة مرة أخرى لشريعة الله لِتُرِىَ الناس كيف بسطت ظلال السلام والوئام والأمن على أشد بقاع الأرض ضلالة وجهالة وفتنة ؛ وتجلت فى طويل العمر عبد العزيز فضائل العرب الأصيلة : فتمثّل شاعريتها فى رهافة حسه ، وأريحيتها فى سماحة نفسه ، وحميّتها فى صرامة بأسه ؛ فهو فى دينه النقى الخالص ، وفى خلقه السَّرِىّ الصريح ، دليل ناهض على أن الجزيرة العربية لم تعقُم بعد أنصار الدعوة وأبطال الفتوح . ولا يضيرها أن تتباعد فترات الإنجاب ما دامت تنجب فى القرن الأول ابن الخطاب ، وفى القرن الأخير ابن السعود !

والملك عبد العزيز كالخليفة عمر من القادة المصطَفَين الذين صنعهم الله على عينه ، وأمدهم بسلطانه وعونه ، ليؤيدوا رسالة أو يجددوا دعوة أو يوحدوا أمة . وقد اصطفاه الله من آل سعود ليكشف على يديه ما ادخر فى هذه الأرض المقدسة المجهولة من ثراء وقوة ، وليعود العرب بنعمة الله عليهم وعليه أمة واحدة ذات عزة وسطوة . والعرب والمسلمون على اختلاف المذاهب ، وتباين الأجناس ، وتنائى الديار ، يولون وجوههم كل يوم خمس مرات شطر المملكة السعودية ، لأنها صلتهم بالسماء ، ورابطتهم فى الأرض ، ومنارتهم فى الحياة !

وابن السعود هو ملك الوطن المشترك ، وإمام القبلة الجامعة ؛ لذلك أوتى مَحابّ القلوب وطواعية النفوس ، فله فى صدر كل عربى مكانة ، وفى عنق كل مسلم ذمة !

ولقد كان استقباله فى مصر يوم الخميس الماضى تعبيراً شعبياً قوياً عن هذه المعانى التى تجول فى كل خاطر وتتمثل فى كل ذهن: كان استقبالا رائعاً لم تشهد الكنانة مثله لزعيم أو فاتح ؛ لأن العواطف التى حشدت هذه الألوف المؤلفة فى طريق الموكب الملكى على أطورة الشوارع وطنوف العمائر ، وفى أفواه الأزقة ونوافذ البيوت ، كانت شيئاً آخر غير الفضول الذى يسوق الناس فى مثل هذا اليوم ليشهدوا ضخامة الحشد وفخامة الجند وروعة السلطان : إنما كان استقبالا روحياً طبيعياً فيه الحب والإعجاب ، وفيه التجلة والقداسة ، وفيه معنى أسمى من كل أولئك وهو شعور كل مصرى بأنه يستقبل فرعاً من أصله ، وعزيزاً من أهله

فعلى الرحب والسعة يا مجدد التوحيد والوحدة ، ومقيم ملكه الأشم على الحميّة والنجدة ! وعلى الرحب والسعة يا حامى الحرمين ، وثمال القريتين ، وباعث الجزيرة الهامدة إلى عصر جديد سعيد يقوم فيه أمر الله على سيف على ومصحف عثمان ودرة عمر وعزيمة الصديق !

احمد حسن الزيات

(١) العرار والخزامى من رياحين نجد ، والصبا تهب فى نجد شرقا والنعامى تهب جنوبا وهما أبل الرياح وأرطبها .

(٢) الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

فلســـــطين . . . !

للأستاذ عمر الدسوقى

وإن تعجب فعجب لأمريكا القوية العالمة كيف عمى عليها فلم تتبين الحق الأبلج الوضاء كأنه الصبح المشرق ، من الباطل الخبيث المعتم كأنه قطع الليل البهيم :

حق فلسطين العربية المجاهدة ، وفى يمينها سفر يسطع بالكفاح المجيد ، والتاريخ العتيد ، والتراث التليد ، والحجج الدامغة ؛ ومن ورائها جمهرة بنيها تلهج بلسان عربى مبين ، وتتقد حماسة ، وتشتعل وطنية فى الدفاع عن الوطن الغالى ، متحدية فى شمم وكبرياء مال اليهود وجيش الإنجليز .

وباطل الصهيونية المدلسة الناشئة ، ولا تملك من برهان تقنع به بعض الأمم إلا المال تشترى به ضمائر الساسة ، وتسخر به أقلام الكتاب ، وتفتن به أرباب الصحف ، وتسيطر به على الأسواق ، وتزخرف به الدعايات المزورة .

من كان يظن أن أمريكا تناصر البهتان فى أبشع صوره ، وقد دوت صرختها فى أرجاء المعمورة ، يوم أن نزلت إلى ساح الوغى تملأ البر جيوشاً ، والبحر أساطيل ، والسماء أسراباً ، وحشدت العلم والمال ، وأرخصت العزيز ، والتفتت إلى العالم تنبئه أنها ستصرع الباطل ودولته ، والبغى وصولته ، وأنها درء الضعيف المهضوم الحق ، وكفيلة الحريات بشتى أنواعها ، وأنها تنشد للعالم سعادة ورفاهية وحياة مديدة فى رخاء وبلهنية .

أكان ذلك خداع المحتاج ، ونفاق المضطر ؟ أضحى بألوف الألوف من الشباب النضر ، وروعت الأسر الآمنة ، والمدن الوادعة ، وضربت الأرض العامرة المرعة ، ودكت المصانع المزدهرة اليانعة ، وقوضت أركان المدنية وبلبلت أفكار الإنسانية وزلزلت مبادئها من القواعد ، فى سبيل قضية ملفقة ، ودفاعاً عن النهم ، ونصرة للباطل فى مسوح الحق ؟ !

يا للعار ! !

إن هذا الحكم الجائر على فلسطين العربية الذى افتتح به نواب أمريكا وشيوخها عهد السلم ، لأكبر وصمة للمدنية الغربية وأنصع دليل على الضمائر المعتلة ، والموازين المختلة ، والمواثيق الكاذبة ، والأيمان الحانثة .

ومن عجب أنهم يصدرونه حفاظاً على ضمائرهم أن تلوث وعهودهم أن تدنس ! فأى باطل وأى إفك ! !

فيم التحكيم ، وقد صدر الحكم ؟ إنه أمر بيت بليل ، وقد وضحت سرائر القوم وما يضمرونه من سوء ، وبدبرونه من مكيدة !

ليست فلسطين صنيعة لبعض أرباب الملايين فى أمريكا حتى توهب لأفاق الأرض ومن لفظتهم ديارهم من اليهود .

إن العرب وحدهم هم أولو الشأن فى فلسطين ، مهما ظاهر الباطل من قوى وأيده من جاه ، وعاضده من ضغط سياسى وأدبى ومادى .

الكلمة فى فلسطين للعرب ، والحكم لهم دون سواهم ، فإن شاءوا تحطمت قوى الباطل وعظموته على صفاة إيمانهم وشجاعتهم وصبرهم ، وإن شاءوا استناموا للوعود المعسولة ، والمماطلات الكاذبة ، والأساليب الملتوية الدنيئة ؛ فضاعوا وضاعت ديارهم كلها لا فرق بين فلسطين وغيرها .

إن الأمم التى تريد الحياة العزيزة الحرة لا يضيرها ما يبيته لها الأعداء ، وما يحكمون به عليها ، ما دام الإيمان يملأ جوانح قلوب أبنائها ، وما دامت عزائمهم مبرمة ، وأمورهم محكمة ، وكلمتهم واحدة .

أمريكا تريد أن تتخلص من اليهود الذين ينافسون أبناءها ويسدون عليهم سبل العيش ، ويسيطرون على تجارتها ، وصحافتها ومسارحها ، وخيالتها ، وشركاتها ، شأنهم فى هذا شأن إخوانهم فى كل بقاع الأرض ؛ وتدعى أمريكا أنها حزينة تذوب من الأسى والحسرة لهؤلاء اليهود المشردين فى خرائب أوربا ؛ وأنها لن تهدأ حتى تجد لهم مأوى — لا فى سهول أمريكا الخصبة الغنية ، ومدنها العامرة الفتية ، ولكن — فى أرض فلسطين الجرداء وعلى ضفاف البحر الميت . فأى إفك وأى زور ! !

لتقل أمريكا ما تشاء ، فالكلمة الأخيرة للعرب ، وهم

يؤثرون الفناء بالقنابل الذرية أو بغيرها ، عن أن يجعلوا من فلسطين أندلساً أخرى تغتصب من بين أيديهم وهم ينظرون . لو حدث هذا — لا قدر الله — فقل على الجنس العربي العفاء ، ولن يكون ذلك مادام فى العرب أنفاس تتردد وقلوب تنبض .

أول سلاح للمقاومة هو المقاطعة التجارية ، وقد وضع السلاح فى أيدى الشعوب العربية ، وهو سلاح فعال قتال ؛ لأن اليهود من عباد المال ، وقديماً حينما أغواهم الشيطان ، فضلوا عن عبادة الرحمن ، اتخذوا لهم عجلا من ذهب يعبدونه من دون الله . ولا يزالون حتى اليوم يقدسونه ويؤلهونه .

ولكن الأمر يتطلب مِنَّا جداً ، حكومات وشعوباً ، فالسلع الصهيونية قد غمرت الأسواق مدة الحرب ، واليهود يسيطرون على التجارة : فهم الوسطاء ، وهم كبار المستوردين ، وهم أثرياء التجار ، ولن ننجح فى المقاطعة إلا إذا منعت الحكومات استيراد سلعهم ، وتيقظت الشعوب ، ورفضت فى أنفة وحمية أن تعامل اليهود أو تشترى منهم . إنى لا أخشى على أهل الشام إخفاقهم فى المقاطعة فهم رجال ذوو دربة وجرأة فى التجارة ، وجلد على الأسفار ، يستطيعون بما رزقوا من موهبة عملية أن يرحلوا إلى أوربا ويغشوا أسواقها ويجلبوا منها السلع المتباينة ، ويقضوا على الوساطة اليهودية ، والاستيراد اليهودى ، فيربحوا ربحاً مزدوجاً فى المال وفى الوطنية ، ويضربوا اليهود ضربتين مادية ومعنوية .

ولكنى أخشى على المصريين ، فالوساطة اليهودية فى كل السلع تسيطر على أسواقهم ، ولم نر منهم من شمَّر ، وغامر وسافر واتصل بالمصانع والمتاجر الكبرى فى بلاد الغرب ؛ فاكتسب تجربة ومالا ، وقضى على عدو يمتص دمه ويعرق لحمه ، ويلقى له بالفضلات والنفايات بعد أن يشبع ويبشم .

إن اليهود بعضهم لبعض ظهير ، ونحن إن لم نقاطع السلع اليهودية والوساطة اليهودية نكون قد جرحنا العدو ولم نقتله . فهل نرى من شبابنا الناهض وتجارنا الذين أثروا مدة الحرب شجاعة وإقداماً ؛ فيجددوا فى طرق التجارة المصرية ؟ . وهل نجد عند الشعوب العربية حماسة ويقظة تجعلهم دائماً حريصين على استعمال سلاح المقاطعة الفتاك حتى تُدحر الصهيونية ؟

يستطيع اليهود بأموالهم العظيمة ، وبعطف إخوانهم الأثرياء عليهم فى كل بقاع الأرض ، أن يشيدوا المصانع فى فيافى فلسطين إذا عجزوا عن زرعها ، وأسسوا المدن التى تزخر ببنى جنسهم إذا لم يستطيعوا تأسيس القرى والضياع ، فإذا أردنا أن ندك تلك المصانع ونهدم تلك المدن ، ونجعل فلسطين عليهم بلقعاً جديباً يضيق بهم فيأكل بعضهم بعضاً أو يخلونه ويرحلون ؛ فعلينا بالمقاطعة وتنظيمها حتى يحسوا بها قريباً ، ويعلموا أنا أمم جادة لا هازلة ، وأنا نريد الحياة ونتقن الكفاح ، وأنا فى غنى عنهم ، وعما يتشدقون به من إصلاح لأرض فلسطين وزيادة فى ثروتها .

أيها العرب ! الكلمة لكم ! والأمر خطير !

اذكروا ضحاياكم ، وقراكم ، وأرضكم ، وتاريخكم !

اذكروا أنكم إن تقاعستم شرد إخوانكم ، ونكبتم فى أموالكم ، واستولى عليكم اليهود ، وصرتم لهم أجراء ، وعبيداً أذلاء ! !

اذكروا أن الجامعة العربية — تلك الأنشودة القوية ، والأمنية الحلوة التى طالما ترنمنا بها هى التى تشهر سلاح المقاطعة وهى التى تخوض تلك المعركة ، فإما نصر بعده مجد مؤثل ، وإما إخفاق يتبدد به هذا الحلم الجميل — لا قدر الله .

عمر الدسوقى

في إرشاد الأريب

إلى معرفة الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

— ٢٢ —

ج ٥ ص ٢٤٥ :

فهلا فلى فى الأرض عن منزل العلا
مسار إذا أخرجتنى ومســـارب
وإن كنت ترجـو طاعتى باهانتى
وقسرى فان الرأى عنك لعازب

قلت : إذا أحرجتنى :

* * *

ج ١٠ ص ٢٠٨ : ومن جيد شعره (شعر أبى زبيد الطائى) :

إن نيل الحياة غـير سعود وضلال تأميل نيـل الخلود[1]
علل المرء بالأمانى ويضحى غرضاً للمنون نصباً لعود[2]
كل يوم ترميه منها برشق فمصيب أوصال غـــير بعيد
كل ميت قد اغتفرت فلاواجع (م) من والد ومن مـولود[3]

قلت: (علل المرءبالرجاء ويضحى غرضاً للمنون نصب العـود)

(فمصيب أوصاف غير بعيد) فى اللسان : صاف السهم عن الهدف يصيف صيفاً : عدل بمعنى ضاف .

(فلا أجزع من والد ولا مولود) .

فى (الشعر والشعراء) لابن قتيبة : وعلى هـذه القصيدة احتذى ابن مناذر فى مرثية عبد المجيد بن عبد الوهاب الثقفى .

فى (الكامل) : ومن حـلو المرائى وحسن التأبين شعر ابن مناذر فانه كان رجلا عالماً مقدَّماً شاعراً مفلقاً وخطيباً مصقعاً وفى دهر قريب ، فله فى شعره شدة كلام العرب بروايته وأدبه ، وحلاوة كلام المحدثين بعصره ومشاهدته . ولا يزال قد رمى فى شعره بالمثل السائر والمعنى اللطيف واللفظ الفخم الجليل والقول المتسق النبيل . وقصيدته لها امتداد وطول ، وإنما نملى منها ما اخترنا . قال يرثى عبد المجيد بن عبد الوهاب الثقفى ، واعتبط عبد المجيد لعشرين سنة من غير ما علة وكان من أجمل الفتيان وآدبهم وأظرفهم .

وروى أبو العباس من القصيدة تسعة وثلاثين بيتاً . منها :

حين تمت آدابه وتردى برداء من الشباب جديد
وسقاه ماء الشبيبة فاهــتز (م) اهتزاز الغصن الندى الأملود
وسمت نحوه العيون وما كان (م) عليــــه لزائد من مزيد
ما درى نعشه ولا حاملوه ما على النعش من عفاف وجود !

فى (الأغانى) : لما قال ابن مناذر :

ولئن كنت لم أمت من جوى الحزن (م)
عليــــه لأبلغن مجهـــودى
لأقيمن مأتماً كنجوم الليل (م) زهراً يلطمن حـر الخـدود
موجعات يبكين للكبد الحرى (م) عليــــه وللفـؤاد العميد !

قالت أم عبد المجيد : والله لأبرن قسمه ، فأقامت مع أخوات عبد المجيد وجواريه مأتماً عليه ، وقامت تصيح عليه : (واى ويه! واى ويه !) فيقال : إنها أول من فعل ذلك وقاله فى الإسلام .

* * *

ج ١٥ ص ١٨٥ :

فاسلم على الدهر شديد القوى ذا مرة ما شد كف بنان

قلت : (ما شد كفاً بنان) فى التاج : قال شيخنا هى (الكف) مؤنثة وتذكيرها غلط غير معروف وإن جوزه بعض تأويلا ، وقال بعض : هى لغة قليلة . فالصواب أنه لا يعرف ، وماورد حملوه على التأويل ، ولم يتعرض المصنف (صاحب القاموس) لذلك قصوراً أو بناء على شهرته أو على أن الأعضاء المزدوجة كلها مؤنثة . وفى اللسان : الكف : اليد أنثى ، وفى التهذيب : والعرب تقول : هذه كف واحدة . وفيه : البنان الأصابع وقيل : أطرافها واحدتها بنانة . وفى الصحاح : ويقال : بنان مخضب لأن كل جمع ليس بينه وبين واحده إلا الهاء فانه يوحد ويذكر .

* * *

---

(١) رواية (جمهرة أشعار العرب) للقرشى : (طول الحياة وطول الخلود) ورواية الشعر والشعراء لابن قتيبة (نيل ونيل) مثل رواية (الارشاد)
(٢) فى طبعة (عيون الأخبار) : (يعلل المرء بالرجاء ويضحي) .
(٣) فى الشعر والشعراء :
كل ميت قد اعترفت فلا أوجع (م) من والد ولا مـــولود

ج ١٠ ص ٨٦ : قال (أبو القاسم الحسين بن على المعروف بالوزير المغربى) :

لى كلما ابتسم النهار تعـلة بمحدث ماشاء قلبى شأنه
فاذا الدجى وافى وأقبل جنحه فهناك يدرى الهم أين مكانه

وجاء فى شرح (ما شاء قلبى شأنه) : يريد أن حاله لا تتخطى ما أشاء .

قلت : (بمحدث ماشأن قلبي شانه) بتخفيف شانه ضرورة .

الوزير المغربى هـذا هو الذى بعث إليه أبو العلاء برسالة (المنيح) وأولها « إن كان للآداب أطال الله بقاء سيدنا نسيم يتضوع ، وللذكاء نار تشرق وتلمع، فقد فغمنا على بعد الدار أرج أدبه ، ومحا الليل عنا ذكاؤه بتلهبه[1] » وبرسالة (الاغريض) « لمـا أنفذ إليه مختصر إصلاح المنطق الذى ألفه وفيها وصف المختصر » وأولها : « بسم الله الرحمن الرحيم السلام عليك أيتها الحـكمة المغربية والألفاظ العربيـة ، أى هواء رقاك ، وأى غيث سقاك[2] » .

قال العلامة الدكتور عبد الوهاب عزام فى مبحثه (لزوم ما لا يلزم متى نظم وكيف نظم ورتب) :

« كان أبو القاسم المغربى الوزير ممن أقام بالمعرة ، وكان يواد المعرى ويراسله ، وكان المعرى يحفظ له ولأبيه من قبل أياديه ، فلما توفى رثاه بأبيات مثبتة فى اللزوميات ، ولا أعرف رثاء لغيره أو مدحاً صريحاً » وروى العميد اللزومية وهى سبعة أبيات ثم قال : « وهذا الوزير توفى سنة ٤١٨ . فهذه القطعة نظمت فى هذه السنة » .

قلت : ورد فى ختامها هذا البيت :

إن يخط الذنب اليسير حفيظاك (م) فكم من فضيلة محا به

وإنى أرى أن البيت يشـير إلى شىء لم يذكر فى (إرشاد الأريب) ولا فى (وفيات الأعيان) ولم يشر إليه . وفى شرح النهج لابن أبى الحديد حديث عن الوزير المغربى فيه ما ليس فى ذينك الـكتابين ، ومنه تعرف تلك الاشارة . وأن يذكر (الشيخ) ذنب الرجل — وإن صغره وقال بعده ما قال — براءة منه

(١)،(٢) رسائله ص ٥ ، ٣٠ وروى الاغريضية (صبح الأعشى) ج ١٤ ص ١٨٣

وإنصاف بأعلامه أن هناك مأثماً . وقل : «إنه كان حوبا كبيرا» .

قل ابن أبى الحديد : حدثنى أبو جعفر يحيى بن محمد بن زيد العلوى نقيب البصرة قال : لما قدم أبو القاسم على بن الحسين المغربى من مصر إلى بغداد استكتبه شرف الدولة أبو على بن بويه وهو يومئذ سلطان الحضرة وأمير الأمراء بها والقادر خليفة . ففسدت الحال بينه وبين القادر ، واتفق لأبى القاسم المغربى أعداء سود أوحشوا القادر منه ، وأوهموه أنه مع شرف الدولة فى القبض عليه وخلعه من الخلافة ، فأطلق لسانه فى ذكره بالقبيح ، وأوصل القول فيه والشكوى منه ، ونسبه إلى الرفض وسب السلف وإلى كفران النعمة وأنه هرب من يد الحاكم صاحب مصر بعد إحسانه إليه . قال النقيب أبو جعفر (رحمه الله تعالى) فأما الرفض فنعم ، وأما إحسان الحاكم إليه فلا ، كان الحاكم قتل أباه وعمه وأخاً من إخوته ، وأفلت منه أبو القاسم بجريعة الذقن[1] ، ولو ظفر به لألحقه بهم . وكان أبو القاسم المغربى ينسب فى الأزد ويتعصب لقحطان على عدنان وللأنصار على قريش ، وكان غالياً فى ذلك مع تشيعه . وكان أديباً فاضلا شاعراً مترسلا وكثير الفنون عالماً . وانحدر مع شرف الدولة إلى واسط فاتفق أن حصل بيد القادر كتاب بخطه شبه مجموع ... أتحفه به من كان يشنأ أبا القاسم ويريد كيده ، فوجد القادر فى ذلك المجموع قصيدة من شعره فيها تعصب شديد للأنصار على المهاجرين حتى خرج إلى نوع من الالحاد والزندقة لإفراط غلوه ، وفيها تصريح بالرفض مع ذلك ، فوجدها القادر ثمرة الغراب ، وأبرزها إلى ديوان الخلافة فقرىء المجموع والقصيدة بمحضر من أعيان الناس من الأشراف والقضاة والمعدلين والفقهاء ، ويشهد أكثرهم أنه خطه وأنهم يعرفونه كما يعرفون وجهه ، وأمر بمكاتبة شرف الدولة بذلك ، فالى أن وصل الـكتاب إلى شرف الدولة بما جرى

(١) هذه الجملة كان أصلها فى الـكتاب (وأفلت منـه أبو القاسم بخديعة الدين) ولا معنى لها بهذا التصحيف . فى (مجمع الأمثال) : أفلت فلان جريعة الذقن : نصب جريعة على الحال كأنه قال : أفلت قاذفا جريعة : تصغير جرعة وهى كناية عما بقى من روحه يريد أن نفسه صارت فى فيه وقريباً منه كقرب الجرعة من الذقن ، ويقولون : أفلت بجريعة الذقن وبجريعاء الذقن . أضافها إلى الذقن لأن حركة الذقن تدل على قرب زهوق الروح والتقدير أفلت مشرفا على الهلاك .

اتصل الخبر بأبى القاسم فهرب ليلا ... وكنت برهة أسأل النقيب أباجعفر عن القصيدة وهو يدافعنى بها حتى أملاها على بعد حين، وقد أوردت هنا بعضها لأنى لم أستجز ولم أستحل إيرادها على وجهها.

وروى ابن أبى الحديد من القصيدة سبعة وعشرين بيتاً. ثم قال: فهذه الأبيات هى نظيف القصيدة التقطناها وحذفنا الفاحش، وفى الملتقط المذكور أيضاً ما لا يجوز ...

قلت: أجترىء برواية هذا البيت من النظيف الملتقط ...:

والفضل ليس بنافع أربابه   إلا بمسعدة من الأقـدار

***

ج ١٦ ص ٣٠٣: ... فان من سلك الجدد أمن العثار، وسلم من سالم النقع المثار.

وجاء فى الشرح: المثار: المهاج المتطاير فى الهواء.

قلت: وسلم مَن سالمَ النقعَ المثارَ. وقد فسر المثار بالمهاج. والذى جاء فى اللغة فى هذا المعنى هو ما ذكره الأساس: «هاج الغبار، وهاجه وهيجه» فهو مهيج ومهيَّج، وهاج يتعدى ولا يتعدى. و «أهاجه أيبسه» كما فى القاموس، وفى اللسان: «أهاجت الريح النبت أيبسته» ومثل ذلك فى التاج. وفى (الضياء) للشيخ اليازجى: «ويقولون: أهاجه الغضب، والصواب فى ذلك التجريد».

***

ج ١٠ ص ٩٠: وكان سبب تقدمه ونواله الأمارة.

وجاء فى الشرح: النوال العطاء واستعمله هنا بمعنى النيل.

قلت: يقول العلامة الشيخ إبراهيم اليازجى فى مجلته الضياء (س ١ ص ٣٨٥): ويقولون: هو يسعى لنوال بغيته، وإنما النوال بمعنى العطاء أى الشىء الذى يعطى وليس بمصدر لنال، والصواب لنيل بغيته.

ويقول العلامة الأمير شكيب أرسلان فى كتابه (شوق أو صداقة أربعين سنة) ص ٥٦: ... وكان — يعنى الشيخ اليازجى — يمنع أن يقال (نوال) بمعنى (نيل)، ولا يرضى لها تخريجاً. ولو قرأ — وأظنه من شعر الحماسة:

أرى الناس يرجون الربيع وإنما   ربيعى الذى أرجو نوال وصالك

لعلم أنه لم يكن على صواب فيما ذهب إليه.

قلت: البيت فى مقطوعة بديعة مما اختار حبيب، وبعده:

أرى الناس يخشون السنين وإنما
سنىّ التى أخشى صروف احتمالك

لئن ساءنى أن نلتنى بمساءة   لقد سرنى أنى خطرت ببالك
ليهنك إمساكى بكفى على الحشا   ورقراق عينى رهبة من زيالك

***

ج ١٦ ص ٢٠٢: (من قصيدة فى وصف هرة):

ثم قلدتهـــا لخوفى عليها   ودعات ترد شر العُيون
وإذا ما وترتها كشفت لى   عن جراب ليست متاع العيون

وجاء فى الشرح يريد بالجراب ما تخرج منه براثنها حين المغاضبة.

قلت: (العيون) الأولى بفتح العين. فى اللسان: رجل معيان وعيون شديد الاصابة بالعين والجمع عين (بضمتين) وعين (بكسر العين) وما أعينه! وذكر الأساس الكلمتين وأضاف إليهما العيّان. و (الجراب) هو (الحراب) بالحاء.

***

ج ١٥ ص ٢٢٠:

وخُرْق رحيب الباع لو نيط طوله
بعروة عمـــر لم تكد تتصرم

وجاء فى الشرح: الخرق الصحراء وصفها بالسعة والطول حتى أنها لو نيطت بعمر فإن العمر يتصرم وهى لا تكاد تتصرم.

قلت: الخرق — بفتح الخاء — القفر والأرض الواسعة كما فى القاموس.

(بعروة عمر لم يكد يتصرم) أى لو نيط طول هذا القفر بعروة عمر لم يكد هذا العمر يتصرم.

***

ج ٤ ص ١٨٠: ... ولا يعرف فتيلا من وثير، ولا يؤلف بين كلمتين فى تعبير.

وجاء فى الشرح: الفتيل: السحاة التى بشق النواة، يقال ما أغنى عنه فتيلا أى شيئاً تافهاً مثل الفتيل — الوثير: الوطىء اللين من الفراش.

حكومة النساء لدى الخلفاء
من بني العبـــــاس

للأستاذ صلاح الدين المنجد

يقول (دوفيل) في كتابه عن الأمبراطورة (جوزفين)، إن من النساء من أوتين الميل إلى الحكم والرغبة فيه، رغم ما فيه من مشاق ومصاعب، لأنهن لا يرين في شيء من الأشياء مستحيلا. فتلك ظاهرة في طبعهن وغريزتهن. فهن يرغبن في الإحاطة بكل شيء علماً، وعرفان ما تحته وما فوقه، ليتممن النقص الذي فيهن.

فهن يحكمن على عشاقهن؛ فإذا أخطأهن ما أملن، حكمن على أزواجهن وأولادهن ثم تعدين ذلك إلى حكم صواحبهن، فاذا وجدن المجال ذا سعة، وكن ممن يلوذ بالملوك والأمراء والوزراء، سولت لهن أنفسهن أن يحكمن الرعية ويدبرن أمورها.

أما حكمهن العشاق، فأمر لا ريب فيه، فهن في أغلب الأحايين، عابثات بالقلوب، لاعبات بالألباب. أما حكمهن الأزواج فأمر كثير الوقوع، وندر أن تجد امرأة لا تحكم زوجها. ولكن حكمهن العباد، وتصرفهن في الأمور، وتدبيرهن الملك قد تبدو مستحيلة لا تقع، بعيدة لا تنال. على أن لحاجة النساء لا توصف وإلحاحهن لا يدرك، ثم هن لا يعرفن المستحيل. وفي التاريخ الإسلامي ألوان من البرهانات، تدل على حكمهن. وسأسوق الأدلة من بدء العصر العباسي، إلى منتصف القرن الرابع الهجري.

وقبل أن أبدأ، أذكر أن الجاحظ قد لاحظ بعض هذا، فقال: «إنه لم يزل للملوك إماء يختلفن في الحوائج ويدخلن في الدواوين، ونساء يجلسن للناس» فيذللن ماصعب وينلن ما بعد. على أن سلطانهن، كان على قدر مبلغ سحرهن ونفوذ أثرهن، وتملكهن قلوب الخلفاء. وواضح أن تحكمهن يكون على قدر ضعف الخليفة ورقة عقله، وانقياده. ولذلك تجد أن بعضهم تركوا لهن الأمر كله، وأن بعضهم سايروهن مرة، وغاضبوهن مرة، وآخرون لم يحفلوا بهن أبداً.

فالسفاح، ابتعد عن النساء، فلم يرغب فيهن لملذاته بله استشاراته. وحاول خالد بن صفوان أنه يثير شهواته مرة بذكر الجواري وأوصافهن ليغريه بشرائهن، فلم يفلح. وكان يقول: العجب ممن يترك أن يزداد علماً، ويختار أن يزداد جهلا. فسئل: ما تأويل ذلك؟ قال: تترك مجالسة مثلك ومثل أصحابك ويدخل إلى امرأة فلا يزال يسمع سخفا ويروي نقصا.

على أن المنصور كان ألين منه، وأندى سمعاً للنساء. فقد تزوج ابنة منصور الحميرية، فشرطت عليه أن لا يتزوج ولا يتسرى إلا عن أمرها، ففعل. ولم يتعد سلطانها زوجها[1].

وبدأ سلطان المرأة يقوى مذ تولى المهدي الخلافة، وتزوج

(١) العقد الفريد ج ٣ ص ٣٠٠

قلت: (ما يعرف قبيلا من دبير) ذكره الميداني في (مجمع الأمثال) وأورد اللسان له أكثر من عشرة تفاسير ... منها: لا يعرف الأمر مقبلا ولا مدبرا ... وقيل: ما يعرف نسب أمه من نسب أبيه ... وقيل: القبيل القطن والدبير الكتان ... وقال المفضل: القبيل فوز القدح في القمار والدبير خيبة القدح ...

* * *

ج ١٩ ص ٥٢٨: البحتري:

وكأن اللقاء أولُ من أمس (م) ووشك الفراق أولَ أمس

قلت: (أولَ من أمس و (أولَ أمس) في الصحاح: تقول ما رأيته منذ أمس فان لم تره يوماً قبل أمس قلت ما رأيته مذ أول من أمس فان لم تره مذ يومين قبل أمس قلت ما رأيته مذ أول من أول من أمس ولم يجاوز ذلك. في التاج: أمس جمعه آمس وأُموس وآماس، قال:

مرت بنا أول من أموس تميس فينا مشية العروس

والنسبة إلى أمس إمسي على غير القياس وهو الأفصح.

نسيت أن أروي من قبل بيتاً للبحتري في أمثاله وحكمه يحتاج إلى التمثيل به كثيراً، والبيت هو هذا:

ليس الذي يعطيك تالد ماله مثل الذي يعطيك مال الناس[1]

(١) في الرسالة ٦٥٠ في القسم — ٢٠ — إلى ذي السني هي (إلى ذا السني) ومحقود أو حاقد هي (ومحقود عليه أو حاقد) وفي (عليه) الشاهد

٢٦٠٤

الخيزران . فقد كان لها سلطان على القصر ، والندماء والحجاب والأطباء ، تقرّب منهم من تشاء وتبعد من تشاء . ولقد أخذت مرة فى مناكدة بختيشوع بن جورجيس الطبيب ومضاربته ، وأثرت فى المهدى ، فلم ير بداً من إعادته إلى جند يسابور[١] .

فلما ولى الخلافة الهادى زاد نفوذ الخيزران وتدخلها فى شؤون الدولة . وقد كان الهادى يتناول المسكر ، ويلعب ويلهو ، ويركب حماراً فارهاً ، ولا يقيم للخلافة أبهة ولا عظمة ؛ فلا عجب ممن كان هذا شأنه إن وكل أمور الدولة كلها إلى أمه الخيزران . فقد كان كثير الطاعة لها يجيبها فيما تسأل من الحوائج . فكانت المواكب لا تخلو من بابها . وبلغ الأمر بها أن استولت على زمام الأمور . واستيقظ الهادى من غفوته أو غفلته ، ورأى أن أمور الدولة بين يدى أمه . فكلمته ذات يوم فى أمر ، فلم يجد إلى إجابتها سبيلا فاعتل بعلة ، فقالت لا بد من إجابتى . قال لا أفعل . قالت : إذاً لا أسألك حاجة أبداً . قال إذاً والله لا أبالى ، ولئن بلغنى أنه وقف ببابك أحد من قوادى أو أحد من خاصتى أو خدمى لأضربن عنقه ، ولأقبضن ماله ، فمن شاء فليلزم ذلك » . ثم أخذ يعنفها ويؤنبها ويقول لها : « ما هذه المواكب التى تغدو إلى بابك كل يوم؟ أما لك مغزل يشغلك أومصحف يذكرك أو بيت يصونك ، إياك إياك أن تفتحى فاك فى حاجة لمسلم ولاذمى[٢] » .

وكانت الخيزران من ذوات الأثرة . وهذا النوع من النساء لا يبالى بما يفعل فى سبيل إرضاء الأثرة والأنانية وبسط النفوذ . ولقد كانت ترغب فى الأمر والنهى والحكم . فوقف الهادى — بعد أن اتسع الخرق — ليسترد سلطانه . فلما ضايقها الأمر ، وآنست من ابنها معارضة وقوة ، وآلمها أن يذهب سلطانها ، وترد المواكب عن بابها ، أرادت أن تنتقم منه ، فدست إليه جوارى من جواريها ، غطين وجهه وجلسن فوقه ، فقتلنه[٣] . كل ذلك ليعود الأمر إليها وحدها كما كان . وقد تم لها ما أرادت وتدفقت عليها الأموال ، حتى بلغت غلتها قبيل موتها مائة ألف ألف ، وستين ألف درهم[٤] . وقد قدر أحدهم أن هذا المبلغ يعادل نصف خراج المملكة العباسية آنئذ وثلثى غلة روكفلر فى أوائل هذا القرن[١] .

(١) القفطى ص ١٠١
(٢) مروج الذهب ج ٢ ص ٢٠٨
(٣) ابن الأثير ج ٦ ص ٤٠ .
(٤) مروج الذهب ج ٢ ص ٢٦٣

فلما ولى هارون الخلافة كانت الخيزران هى الناظرة فى الأمور ، وكان يحيى بن خالد يعرض عليها ويصدر عن رأيها[٢] . وكان الرشيد لا يعصى لها أمراً . وقد ذكر الطبرى أن الرشيد لما عاد من دفنها ، دعا الفضل بن الربيع وقال له : وحق المهدى ، إنى لأهم لك من الليل بالشىء من التولية وغيرها ، فتمنعنى أمى ، فأطيع أمرها[٣] .

أما بعد مقتل البرامكة فقد استبد الرشيد برأيه ، حتى إن ظئره أم جعفر — وكانت قد أرضعته وربته — دخلت عليه أيام النكبة ، فتلقاها وأكب على تقبيل رأسها ومواضع ثدييها . فقالت يا أمير المؤمنين : أيعدو علينا الزمان ويجفونا ، خوفاً لك ، الأعوان ، وقد ربيتك فى حجرى وأخذت برضاعك الأمان من عدوى ودهرى ... ثم أخذت تستشفعه فى يحيى والفضل ، فلم يسمع لها ولم يرق لكلامها[٤] .

ولم يكن لزبيدة من الأمر ، زمن الرشيد ما كان للخيزران وإن كانت هى أيضاً ذات سلطان . وكانت تهب وتصل وتعطى وتستشفع ، ولكنها ما كانت لتتدخل فى شؤون الدولة . ولعل ذلك راجع إلى البرامكة الذين استولوا على الأمور كلها .

وفى الحقبة الممتدة بين خلافة المأمون والمعتضد ، نلاحظ تدخل القيان من مسمعات ومغنيات وشواعر فى أمور الدولة . ونلاحظ عظيم سطوتهن عند الخلفاء . فكن يستشفعن ويقربن ويولين ويبعدن . وإن كان بعض هذا قد حدث زمن الرشيد أيضاً . فقد كان كلفاً بذات الخال فحلف لها يوماً أن لا تسأله شيئاً إلا قضاه ، فسألته أن يولّى رجلا يحبها ، الحرب والخراج بفارس سبع سنين ، ففعل ذلك وكتب عهده به وشرط على ولى العهد بعده أن يتمها له إن لم تتم فى حياته[٥] . ولعله أجابها إلى ماسألت ليخلو له الجو ...

(١) زيدان ٢ــ١١١
(٢) الطبرى سنة ١٧٠ ١٠ــ٦٠٤
(٣) المصدر السابق ١٠ــ٦٠٩
(٤) العقد الفريد ج ٣ ص ٢٦٧ .
(٥) الأغانى ج ١٥ ص ٧٦

ويذكر الأصبهانى أن إبراهيم بن المدبر ، لما سجن ، سألت عريب — وما أدراك ما عريب ! — الخليفة فى إخراجه ، فوعدها بما تحب ، ثم أطلقه[1] .

وكانت القيان ذوات السلطان ، يتعصبن لطائفة سياسية ، ويشايعن مذهباً ، ويقضين حوائج أهله عند أولى الأمر . وقد ذكر ابن المعتز أن فضلا الشاعرة — وكانت فى نهاية الجمال والكمال والفصاحة وجودة الشعر — كانت تتشيع ، وتتعصب لهذه العصابة من الناس ، وتقضى حوائجهم بجاهها ومنزلتها عند الملوك والأشراف[2] .

وغضب الواثق مرة على إسحاق الموصلى ، فرضته عليه فريدة جاريته ، وكانت فريدة أثيرة عند الواثق حظية لديه[3] .

* * *

وإذا تتبعنا أخبار هؤلاء النساء والقيان ، نجد أنهن ، حوالى سنة ٣٠٠ هـ ، أصبحن ذوات سلطان كبير . ويذهب آدم متز إلى أنهن كن يطالبن بالحق فى المهام الكبيرة — وما أشبه الليلة بالبارحة — لأن ابن بسام الشاعر يقول :

ما للنساء وللكتا بة والعمالة والخطابه
هذا لنا ، ولهن منا أن يبتن . . .[4]

على أن القرن الرابع قد امتاز بالقهرمانات ؛ فقد كان لهن الأمر كله ، وكن يعملن الأعمال الكبار ؛ يعزلن الوزراء ويولين الولاة ، ويجلسن للمظالم . وقد ذهبن إلى أبعد من هذا وذاك ، فكن يقضين بين الناس . فأم موسى القهرمانه هى التى أوصلت أبا الحسين بن أبى البغل إلى الوزارة ، فكان لايخرج عن أمرها[5] وكانت تجلس أخاً لها عند القصر ، فيلقاه الناس وأصحاب الحوائج فيأخذ رقاعهم وشكاواهم وقصصهم إليها[6] .

وهى التى أغرت المقتدر بالله والسيدة أمه ، بعلى بن عيسى بن داوود فى وزارته (سنة ٣٠٤) فقبض عليه وأودع السجن[1] . وهى التى كانت تزيد فى أرزاق الخدم وتنقص منها[2] .

والسبب فى تدخل هؤلاء القهرمانات فى أمور الدولة ، ضعف المقتدر . فقد كان مشهوراً بالتدبر بآراء النساء[3] . وكانت السيدة والدته وخاطف ، ودستنبويه ، أم ولد المعتضد ، يدبرن الأمر لصغره . ثم ظل تدخلهن جارياً . وهكذا انتقلت الحكومة فى أيامه ، فى بغداد ، من الرجال إلى النساء .

وفى سنة (٣٠٦ هـ) ، صار الأمر والنهى لحرم الخليفة — المقتدر دائماً — ولنسائه . وآل الأمر إلى أن أمرت أم المقتدر قهرمانة لها تعرف (بثمل) أن تجلس للمظالم بالتربة التى بنتها بالرصافة ، وأن تنظر فى رقاع الناس كل جمعة ، فكانت تجلس وتحضر القضاة والأعيان وتبرز التواقيع وعليها خطها[4] .

وقبضت أم المقتدر على زمام الأمر . وامتد سلطانها على كل شىء حتى إنها كانت تراقب — لحذرها — ما كان يقرأه أبناؤها . وقد ذكر الصولى أنه كان يوماً عند الراضى يقرأ عليه شيئاً من شعر بشار ، وبين يدى الراضى كتب لغة وكتب أخبار ، إذ جاء خدم من خدم السيدة جدته ، وهى شغب أم المقتدر ، فأخذوا جميع ما بين أيديهما من الكتب ، فجعلوه فى منديل أبيض كان معهم ومضوا . فاغتاظ الراضى . فسكن منه أستاذه ، وأفهمه أنهم أرادوا أن يمتحنوا الكتب . ولما مضت ساعتان أو نحو ذلك ردوا الكتب بحالها ، فقال لهم الراضى : قولوا لمن أمركم بهذا : قد رأيت هذه الكتب ، وإنما هى حديث وفقه وشعر ولغة وأخبار وكتب العلماء . وليست من كتبكم التى تبالغون فيها مثل عجائب البحر ، وحديث سندباد ، والسنور والفأر[5] .

وظل المقتدر على عرش الخلافة زهاء خمسة وعشرين عاماً ، والنساء من حوله يحكمن .

ومن الطرافة أن نذكر هنا أن المعتضد كان قد تنبأ لابنه

---

(١) الأغانى ج ١٩ ص ١١٦ .
(٢) طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٢٠٠ .
(٣) الأغانى ج ٥ ص ٩٠ .
(٤) آدم متز ج ٢ ص ١٤٥ .
(٥) الصابى ص ٢٧٢ .
(٦) الصابى ص ٢٧٧ .

---

(١) الصابى ص ٢٨٦ .
(٢) الصابى ص ٣٥٣ — ٣٥٤
(٣) الصابى ص ٢٧٩ .
(٤) تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ١٥٣ ، والمنتظم ج ٦ ص ١٤٨ .
(٥) آدم متز ج ١ ص ١٦ (نقلا عن أوراق الصولى) .

المقتدر بأن النساء سيستولين عليه . حدث صافى الحرمى مولى المعتضد قال : مشيت يوماً بين يدى المعتضد ، وهو يريد دور الحرم فلما بلغ باب (شغب) أم المقتدر ، وقف يتسمع ويتطلع من خلل الستر فإذا هو بالمقتدر ، وله إذ ذاك خمس سنين أو نحوها وهو جالس ، وحواليه مقدار عشر وصائف من أقرانه فى السن ، وبين يديه طبق فيه عنقود عنب فى وقت لا يوجد فيه العنب ، والصبى يأكل عنبة واحدة ثم يطعم الوصائف كلهن على الدور ، حتى إذا بلغ الدور إليه أكل عنبة واحدة ، حتى فنى العنقود ، والمعتضد يتميز غيظاً . فاهتم ورجع ، فسألته فقال : والله ياصافى لولا النار والعار لقتلت هذا الصبى اليوم ، فإن فى قتله صلاحاً للأمة . فقلت يا مولاى حاشاه ، أى شيء عمله ؟ أعيذك بالله من اللعين إبليس . فقال ويحك ، أنا أبصر بما أقول . أنا رجل قد سست الأمور وأصلحت الدنيا بعد فساد شديد ، ولا بد من موتى ، وأعلم أن الناس بعدى لا يختارون غير ولدى ، وسيجلسون ابنى علياً (يعنى المكتفى) ، وما أظن عمره يطول للعلة التى به (يعنى الخنازير التى كانت فى حلقه) فيتلف عن قريب ، ولا يرى الناس إخراجها عن ولدى ، فلا يجدون بعده أكبر من جعفر (يعنى المقتدر) فيجلسونه وهو صبى ، وله من الطبع فى السخاء هذا الذى رأيت فتحتوى عليه النساء لقرب عهده بهن ، ويقسم ما جمعه من الأموال كما قسم العنب .

وكانت الصورة كما قال المعتضد بعينها[١] .

وفى عهد المقتدر اشتد سلطان امرأة أخرى يقال لها (زيدان) وكان لها طبيب خاص بها ، هو عيسى البغدادى ، يحمل الرقاع بين الوزراء وربما حملها إليها لتعرض ذلك على الخليفة[٢] .

وقد استطاعت زيدان هذه أن تتمكن من جواهر المقتدر وأن تأخذ سبحة لم ير مثلها ، كان يضرب بها المثل ، فيقال سبحة زيدان . وكانت قيمتها ثلثمائة ألف دينار[٣] . واستطاعت أن تجعل دارها سجناً . فقد سجن عندها على بن عيسى بن داود

(١) المنتظم لابن الجوزى ج ٦ ص ٧١

(٢) تاريخ الحكماء للقفطى ص ٢٤٩

(٣) المنتظم ج ٦ ص ٧٠

بعد وزارته[١] ، ومن قبله وكل بابن الفرات عندها[٢] ، كما سلم إليها الأمر الحسين بن حمدان أيضاً[٣] .

وثمة خليفة آخر لعبت به النساء ، هو المستكفى . فقد كان عبداً لحسن الشيرازية . وكانت هذه قد سفرت بينه وبين توزون القائد التركى ، واستطاعت أن يكون خليفة ، وتولت أيضاً سمل المتقى بيد غلامها السندى[٤] .

وأصبحت بعد ذلك تستبد بالمستكفى ، وتتولى عرض الغلمان والحجاب فى قصر الخليفة ، فى مجلس يقال له الخوذان . فانخرقت الهيبة بهذه المرأة ، وذهبت الرسوم التى كانت للخلافة ، وصارت الدار طريقاً لكل من يراها[٥] .

* * *

ويتضح من هذا ، ما كان عليه خلفاء بنى العباس ، حتى منتصف القرن الرابع ، وما كان من أثر النساء فيهم ، وما أدى إليه تدخلهن فى الأمور ، من انخراق الهيبة ، وضياع الأمور ، وانتشار الفوضى . وهذه نتائج طبيعية محتومة لمن يولى أمره امرأة ويدعها تفعل ما تشاء .

(دمشق) صلاح الدين المنجد

(١) تاريخ الوزراء ... للصابى ص ٢٨٦

(٢) المصدر السابق ص ١٠٥

(٣) آدم متز ج ١ ص ٢٤٣

(٤) آدم متز ج ١ ص ٢١ (نقلا عن مخطوط كتاب العيون ٢٢٠ — ٢٢٣)

(٥) المصدر السابق ج ١ ص ٢٤٠ (نقلا عن المخطوط السابق ٢٠٤ آ — ٢٢٦ ب)

من محاسن التشريع الاسلامى

للأستاذ حسن أحمد الخطيب

- ١١ -

بره بأهل الذمة :

من مزايا الشريعة الإسلاميـة ، ومظاهر برّها ، وشواهد فضلها ، ودلائل إنعامها وخيرها ، ومن آى تسامحها — كفالتها لأهل[١] الذمة ورحمتها بهم ، ورعايتها لهم ، ودفع الظلم والأذى عنهم ، فإنهم متى أعطوا الجزية — وجب تأمينهم ، وحمايتهم ، والدفاع عنهم ، وتوفير الحرية لهم فى دينهم بالشروط التى تعقد بها الجزية ، ومعاملتهم بعد ذلك بالعدل والمساواة كالسلمين ، ويحرم ظلمهم وإرهاقهم بتكليفهم مالا يطيقون كالسلمين ، ويسمون أهل الذمة ، لأن هذه الحقوق ثبتت لهم بمقتضى ذمة الله وذمة رسوله صلوات الله وسلامه عليه[٢].

أما الجزية التى تفرض عليهم فليس فيها مشقة ، ولا عنت ، كما أنها لم تجب عليهم اعتسافاً وتحكما ، فهى قدر يسير من المال ، لا يفرض إلا على الرجل الحر القادر على الكسب[٣] : فلا جزية على صبى ، ولا على امرأة ، ولا على فقـير غير معتمل ، كما أنها لا تجب على أهل الصوامع ، وهى عند الحنفية ثمانية وأربعون درهما على الغنى كل سنة ، وأربعة وعشرون على المتوسط ، واثنا عشر على الفقير؛ وعند الشافعى أقلها ، وهو دينار ، وأكثرها غير محدود ، وذلك بحسب ما يصالحون عليه . وقال قوم : ليس لهم قدر معين ، وإنما هو متروك لاجتهاد الإمام[٤].

واختلف العلماء فى سبب أخذها منهم[٥] ، وأقرب الآراء ، وأولاها بالترجيح ما رآه العالم المحقق السيد محمد رشيد رضا ، من أنها واجبة للدفاع عنهم وحمايتهم من الاعتداء عليهم ، كما يفهم من سيرة أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهم أعلم الناس بمقاصد الشريعة ، وأعدلهم فى تنفيذها ، فمن ذلك ما كتبه خالد بن الوليد لصلوبا بن نسطونا ، حينما دخل الفرات : « هذا كتاب من خالد ابن الوليـد لصلوبا بن نسطونا وقومه ، إنى أعاهدكم على الجزية والمنعة فلك الذمة والمنعة ، وما منعنا كم فلنا الجزية ، وإلا فلا » ، وذكر البلاذرى فى فتوح البلدان ، والأزدى فى فتوح الشام — أن الصحابة رضوان الله عليهم ردّوا ما أخذوه من أهل حمص من الجزية ، حين اضطروا إلى تركهم لحضور وقعة اليرموك لعجزهم عن الدفاع عنهم فى ذلك الوقت ، فعجب أهـل حمص نصاراهم ويهودهم أشد العجب من ردّ الفاتحين أموالهم إليهم .

ذلك ، وقد أوصى الإسلام بأهل الذمة خيراً ، أوصى ببرهم ، والإحسان إليهم ، وحرم ظلمهم ، أو أخذ شىء منهم بغير حق ، كما أنه لم ينه المسلمين عن معاملة مخالفيهم فى الدين — بالقسط والبر ، وإن لم يكونوا أهل ذمة إذا لم يقع منهم عدوان ولا بغى ، قال الله تعالى[١] : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ، ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم ، وتقسطوا إليهم ، إن الله يحب المقسطين ، إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين ، وأخرجوكم من دياركم ، وظاهروا على إخراجكم — أن تولوهم — ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون» ، وروى داود عن صفوان بن سليم عن عدة من أبناء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن آبائهم — أن رسول الله قال : « من ظلم معاهداً أو انتقصه ، أو كلفه فوق طاقته ، أو أخذ شيئاً منه بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة »[٢].

وجاء فى كتاب لعمر بن الخطاب أرسله لعمرو بن العاص عامله على مصر (وإن معك أهل ذمة وعهد ، وقد وصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم وأوصى بالقبط فقال : « استوصوا بالقبط خيراً فإن لهم ذمة ورحماً » ، ورحمهم أن أم إسماعيل منهم ، وقد قال صلى الله عليه وسلم :« من ظلم معاهدا أو كلفه فوق طاقته فأنا خصمه يوم القيامة » فاحذر يا عمرو أن يكون رسول الله لك خصما ، فإنه من خاصمه فالله خصمه » .

(١) هم الذين أقاموا بين المسلمين ، ورضوا بحكمهم ، مع بقائهم على دينهم ودفعهم الجزية .
(٢) الوحى المحمدى ص ٢٦٠ ، ٢٦١ من الطبعة الثانية .
(٣) يشترط فى وجوبها الذكورة والحرية والبلوغ باتفاق راجع بداية المجتهد .
(٤) بداية المجتهد لابن رشد .
(٥) راجع تفسير القرطبى

(١) فى سورة الممتحنة .
(٢) الجزء التاسع من تفسير القرطبى ص ١١٥ مطبعة دار الكتب .

حول تعقيب

الحـــديث المحمدى

للأستاذ محمود أبو رية

لما أجمعت النية على نشر كتاب عن « حياة الحديث المحمدى » بعد أن جمعت مواده وهيأت فصوله — قدرت أن هذا الكتاب ستضيق به صدور الذين يكرهون التحقيق فى البحث ، والاجتهاد فى الفهم ، والحرية فى الفكر ؛ ولا يرون العلم إلا فيما أخذوه عن شيوخهم تلقيناً ، والاستمساك بما وجدوا عليه آباءهم غثاً كان أو سميناً .

وقد وقع ما قدرت ، فلم تكد تبدو فى أفق « الرسالة » لمعة عن هذا الكتاب حتى انبعث « حشوى »[1] فى إحدى صحف العوام ينضح علينا من رضاع مسكنته سباً وشتما وسفاهاً ، فلم نعره التفاتاً ، لأن المناقشة بين العلماء ، لا تكون إلا بعلم وبرهان ؛ أما الفحش والسفه والسباب ، فهى أداة الجاهل الذى أعوزته الحجة واستعصى عليه الدليل ، ولا يصح أن يتخذ الجهول فى البحث قريناً .

ولما قرأت فى العدد ٦٤٢ من « الرسالة » كلمة الأستاذ محمد محمود أبوشهبة رأيتها تنزع إلى الحق وتطلبه ، وهى وإن كانت قد حملت بعض مآخذ — تجاوزنا عنها — تستحق العناية ، وتستأهل الرد :

١ — قلت فى كلمتى التى نشرتها بالرسالة : إنى وجدت بعد البحث والتنقيب أنه لا يكاد يوجد فى كتب الحديث كلها حديث قد جاء على حقيقة لفظه ومحكم تركيبه . فجاء الأستاذ أبو شهبة يسأل عن مبعث هذا الحكم ، وبعد أن يسلم بأن من الأحاديث ما روى على المعنى قال : « ومن الأحاديث ما (اتفقت) الروايات على لفظها ! وإن لم تصل إلى درجة المتواتر ، ومن الأحاديث ما لا يشك متذوق للبلاغة أنها من كلام أفصح العرب » . كأنه يقول : إن هناك أحاديث كثيرة (معروفة) قد جاءت على كمال صياغتها كما نطق الرسول بها ، فبدت تحمل مزايا نظمها واتساقها وأسرار بلاغتها ، وخصائص ألفاظها ومعانيها .

ونحن لو سلمنا جدلا بأن هناك أحاديث — قد اتفقت الرواة على لفظها لأنا لم نقف على إحصاء صحيح لها ، فإنه لا يصح اعتبارها ولا الاستشهاد بها ما دامت — كما يقول هو عنها — لم تصل إلى درجة المتواتر ، ذلك بأنه ما دام شرط التواتر لم يتحقق لها فإنها تصبح فى حكم الآحاد الذى لا يعطى إلا الظن ، والظن سواء أ كان فى اللفظ أم فى المعنى لا يغنى من الحق شيئاً .

ومن هنا كان استشهادنا بكلمة الشاطبى وقولنا : إنه لا يكاد يوجد حديث قد جاء على حقيقة لفظه ومحكم تركيبه ، وقد سبقنا إلى هذا القول ابن الصلاح فقال فى المتواتر : « إنه لا يكاد يوجد

(١) لم يدع هذا الحشوى علماً من أعلام الفكر والعلم والبيان إلا ناله بنصيب من سفهه ، وقد بلغ من جهله أن بسط لسانه فى الأستاذ الامام محمد عبده ومما قاله فيه (أن له موبقات مكشوفة ...) .

وجاء فى كتاب آخر أرسله عمر بن الخطاب إلى أبى عبيدة ابن الجراح قوله فى شأن أهل الذمة « وامنع المسلمين من ظلمهم والإضرار بهم ، وأكل أموالهم إلا بحقها ، ووف لهم بشرطهم الذى شرطت لهم فى جميع ما أعطيتهم » .

أدرك المسلمون الأولون من هـذه النصوص وغيرها ، ومن تعاليم الإسلام وسمو مبـادئه — مدى رحمة الإسلام وعطفه على مخالفيه من الذمة والكتاب — ما استقاموا على الطريقة ، ونأوا عن الإثم والعدوان — فلم يعرف عنهم اضطهاد لهم فى دينهم ، ولا حرمان لهم من حقوقهم ، واستخدمهم الخلفاء الأمويون والعباسيون فى ترتيب دواوين الخراج ، وترجمة علوم اليونان ، وقربوا النابغين منهم ، واعتمدوا عليهم فى شفاء عللهم ، بل عدهم المسلمون عضواً فى هيئتهم الاجتماعية ، يحافظون عليه ، كما يحافظون على أنفسهم ، وساسوهم بالعدل والرفق ، وأشركوهم معهم فى مرافق الدولة ، وكان شعارهم — حيال أهل الذمة — « لهم ما لنا وعليهم ما علينا » ، وهى سياسة عادلة رحيمة ، جعلت المؤرخ الاجتماعى جوستاف لوبون يقول : ما رأيت فاتحاً أعدل ، ولا أرحم من العرب .

(للبحث بقية)

حسن أحمد الخطيب

فى رواياتهم ومن سئل عن إبراز مثال لذلك فيما روى من أهل الحديث أعياه تطلبه » .

على أنا نزيد الأمر توكيداً فنسوق بعض ما قاله أئمة النحو فى سبب عدم إثبات القواعد النحوية بألفاظ الحديث ، لأنها لم تتواتر عن النبى .

قال السيوطى فى الاقتراح : وأما كلامه صلى الله عليه وسلم ، فيستدل منه بما يثبت أنه قاله على اللفظ المروى ، وذلك نادر جداً ، وإنما يوجد فى الأحاديث القصار على قلة أيضاً[1] ، فإن غالب الأحاديث مروى بالمعنى ، وقد تداولها الأعاجم والمولدون فرووها بما أدت إليه عبارتهم ، فزادوا ونقصوا وقدموا وأخروا وأبدلوا ألفاظاً بألفاظ ... ومن ثم أنكروا على ابن مالك إثباته القواعد النحوية بالألفاظ الواردة فى الحديث .

وقال أبو حيان فى شرح التسهيل : قد أكثر هذا المصنف من الاستدلال بما وقع فى الأحاديث على إثبات القواعد الكلية فى لسان العرب ، وما رأيت أحداً من المتقدمين والمتأخرين سلك هذه الطريقة غيره . على أن الواضعين الأولين لعلم النحو المستقرئين للأحكام من لسان العرب : كأبى عمرو بن العلاء ، وعيسى بن عمر والخليل ، وسيبويه من أئمة البصريين ، والكسائى والفراء وعلى بن مبارك الأحمر ، وهشاماً الضرير من أئمة الكوفيين ، لم يفعلوا ذلك ، وتبعهم على هذا المسلك المتأخرون من الفريقين وغيرهم من نحاة الأقاليم كنحاة بغداد وأهل الأندلس ... » وقد قالوا : « إنما ترك العلماء ذلك لعدم وثوقهم بأن ذلك لفظ الرسول إذ لو وثقوا بذلك لجرى مجرى القرآن فى إثبات القواعد الكلية ، وإنما كان ذلك لأمرين :

أحدهما : أن الرواة جوزوا النقل بالمعنى ، فتجد قصة واحدة قد جرت فى زمانه صلى الله عليه وسلم ، ولم تنقل بتلك الألفاظ جميعها نحو ما روى فى قوله : (زوجتكها بما معك من القرآن ، ملكتكها بما معك ، خذها بما معك) ، وغير ذلك من الألفاظ الواردة فى هذه القصة[2] ، فنعلم يقيناً أنه صلى الله عليه وسلم لم يلفظ بجميع هذه الألفاظ ، بل لا نجزم بأنه قال بعضها ، إذ يحتمل أنه قال لفظاً مرادفاً لهذه الألفاظ غيرها فأتت الرواة بالمرادف ، ولم تأت بلفظه ، إذ المعنى هو المطلوب ، ولا سيما مع تقادم السماع وعدم ضبطه بالكتابة والاتكال على الحفظ ، والضابط منهم من ضبط المعنى ، وأما ضبط اللفظ ، فبعيد جداً لا سيما فى الأحاديث الطوال . وقد قال سفيان الثورى : إن قلت لكم إنى أحدثكم كما سمعت فلا تصدقونى إنما هو المعنى !

الثانى : إنه وقع اللحن كثيراً فيما روى من الأحاديث ، لأن كثيراً من الرواة كانوا غير عرب بالطبع ، ولا يعلمون لسان العرب بصناعة النحو ، فوقع اللحن فى كلامهم وهم لا يعلمون ذلك ، وقد وقع فى كلامهم وروايتهم غير الفصيح من لسان العرب ، ونعلم قطعاً من غير شك أن رسول الله كان أفصح الناس ، فلم يكن ليتكلم إلا بأفصح اللغات وأحسن التراكيب وأشهرها وأجزلها ...

وقال ابن الأنبارى فى الإنصاف فى منع (أن) فى خبر كاد ، وأما حديث كاد الفقر أن يكون كفراً ، فإنه من تغيرات الرواة لأنه صلى الله عليه وسلم أفصح من نطق بالضاد .

ومن قول الشاطبى فى شرحه على ألفية ابن مالك :

« ... إن النحاة يستشهدون بكلام سفهاء العرب وأجلافهم وبأشعارهم التى فيها الخنى والفحش ولا يستشهدون بالحديث . ثم روى عن أبى حاتم عن الجرمى أنه أتاه أبو عبيدة معمر بن المثنى بشىء من كتابه فى تفسير غريب القرآن الكريم قال : فقلت له عمن أخذت هذا يا أبا عبيدة ، فإن هذا تفسير خلاف تفسير الفقهاء؟ فقال : هذا تفسير الأعراب البوالين على أعقابهم ! فإن شئت فخذ وإن شئت فدع ... ثم قال : ولا أعرف لابن مالك سلفاً إلا ابن خروف[1] .

نجتزىء بما نقلناه من أقوال هؤلاء الأئمة ، لأن الكلام فى ذلك يطول :

---

(١) كما سترى فى الحديث الآتى .

(٢) لهذا الحديث — الذى لا يزيد عن ثلاث كلمات صيغ أخرى غير التى أوردها أبو حيان : انكحتكها بما معك ... أملكتكها بما معك ... انكحتكها على أن تقرئها وتعلمها الخ قال ابن دقيق العيد هذه لفظة واحدة = فى قصة واحدة واختلف فيها مع اتحاد مخرج الحديث ، وقال العلائى من المعلوم أن النبى لم يقل هذه الألفاظ كلها فلم يبق إلا أن يكون قد قال لفظة منها وعبر عنه بقية الرواة بالمعنى . وللفقهاء فى ذلك إختلاف كبير . راجع فتح البارى ج ٩ ص ١٧١ وما بعدها .

(١) كان مالك يرى الاستشهاد بالحديث ولم يشاركه فى ذلك إلا ابن خروف

٢ — عرض الأستاذ لقولنا إن المعاني قد ظلت تتوالد ، والألفاظ تختلف باختلاف الرواة . فاتفق معنا في اختلاف الألفاظ وتباين الأساليب ، وخالفنا في توالد المعاني ... ونحن لا نتوسع بالرد عليه في ذلك ، لأن فيما أوردناه من كلام أئمة النحو واللغة غناء ، فقد أثبتوا أن الرواة قد زادوا ونقصوا وقدموا وأخروا وأبدلوا ألفاظاً بألفاظ ، ولحنوا وأخرجوا لفظ الحديث عن القياس العربي ، فإذا لم يكن في ذلك كله توالد للمعاني ، فمن أي شيء إذن يكون هذا التوالد ؟ !

ويقول الأستاذ : إنه كان يجب منا « أن نقرأ في كتب الرجال ، وبخاصة الصحابة والتابعين ، لنعرف ما خص الله به هؤلاء القوم من حافظة قوية وذاكرة وقادة .

وما كان يجبه الأستاذ منا قد قمنا به ، بل زدنا عليه ، فقد أبعدنا النجعة في مطارح البحث ، حتى انتهينا إلى منطقة وجدنا فيها أن الصحابة كانوا يرغبون عن رواية الحديث ، بل كانوا ينهون الناس عنها . ومما ألفيناه من أسباب ذلك أنهم كانوا يخشون أن تخونهم هذه الحافظة (القوية) فيروون الحديث على غير ما نطق به النبي فيبدو وقد أصابه التحريف أو الزيادة أو النقصان ! وهم لم يكونوا يروون ما يروون عند سماعه ولا بعد سماعه بقليل ، وإنما كانوا يفعلون في المناسبات ، وقد لا تتهيأ هذه المناسبات إلا بعد سنين طويلة ، فكان كل صحابي يروى ما يجده في ذهنه من معنى الحديث الذي سمعه من النبي (ص) أو من أحد أصحابه أو من أحد التابعين ، إذ لم تكن رواية الصحابة موقوفة على ما يسمعونه من النبي فحسب ، فيعبر عنه بألفاظ من عنده ومن هنا جاءت رواية الحديث الواحد بألفاظ مختلفة .

وإلى الأستاذ بعض الأمثلة مما عثرنا عليه في بحثنا :

جمع أبو بكر الصديق الناس بعد وفاة نبيهم وقال لهم : إنكم تحدثون عن رسول الله أحاديث تختلفون فيها ، والناس بعدكم أشد اختلافاً ، فلا تحدثوا عن رسول الله شيئاً ، فمن سألكم فقولوا بيننا وبينكم كتاب الله فاستحلوا حلاله وحرموا حرامه . ونسي عمر حديث تيمم الجنب ، وعلى أن عماراً قد ذكره به فإنه لم يذكره !

وقال عمران بن حصين : والله إن كنت لأرى أني لو شئت لحدثت عن رسول الله يومين ولكن بطأني عن ذلك أن رجالا من أصحاب رسول الله سمعوا كما سمعت وشهدوا كما شهدت ويتحدثون أحاديث ما هي كما يقولون وأخاف أن يشبه لي كما شبه لهم فأعلمكم أنهم كانوا يغلطون وأنهم ما كانوا يتعمدون !

وقيل لزيد بن أرقم حدثنا عن رسول الله فقال : كبرنا ونسينا والحديث عن رسول الله شديد . وكان عبد الله بن مسعود — وهو من هو — يتغير عند ذكر الحديث عن رسول الله ، وتنتفخ أوداجه ويسيل عرقه وتدمع عيناه ويقول ، أو قريبا من هذا ! أو نحو هذا ، أو شبه هذا . كل ذلك خوفا من الزيادة والنقصان أو السهو والنسيان . وسأل مالك بن دينار ميمون الكردي أن يحدث عن أبيه الذي أدرك النبي وسمع منه فقال : كان أبي لا يحدثنا عن النبي مخافة أن يزيد أو ينقص !

ولهذه الأخبار نظائر كثيرة أوردنا طائفة صالحة منها في كتابنا .

وعلى أن الأستاذ قد اعترف بأن رواية الحديث بالمعنى كان لها ضرر من الناحيتين اللغوية والبلاغية فإنه قد منع أن يكون لها ضرر من الناحية الدينية . ونحن نعجب أن يخفى على مثله هذا الأمر وهو مشهور بين الفقهاء جميعاً .

وإذا كان الكلام في ذلك يطول فإنا نحيل الأستاذ إلى ما كتبه العلامة نجم الدين الطوخي في آخر كتابه (صفة المفتي) وإن أبى إلا أن يرى أمثلة على ذلك من بعض الأحاديث ليعرف ما جرى فيها من خلاف بين الفقهاء — ولا شيء أضر من الخلاف — بسبب رواية الحديث بالمعنى ؛ فليرجع إلى حديث استفتاح الصلاة بسورة الفاتحة ، وإلى الحديث الذي أوردناه من قبل وهو (زوجتكها بما معك) .

٣ — تكلم الأستاذ عن الحديث الذي قلنا إنهم استجازوا به وضع الحديث وهو : إذا لم تحلوا حراماً ولم تحرموا حلالا — وأصبتم المعنى — فلا بأس . فقال : وهذا الحديث بعضه لا يدل على الوضع ! وإن في قوله وأصبتم المعنى ما يدل على أن الحديث قيل تجوزاً للرواية بالمعنى !

ولم يقل أحد إن بعض هذا الحديث صحيح ، وبعضه الآخر موضوع ! وإنما ذكر الجوزقاني وابن الجوزي أنه موضوع . ولو أن هذه العبارة التي قضى الأستاذ بصحتها كانت معروفة

للصحابة لمنعت من تحرج منهم من رواية الحديث ! ولرفعت ذلك الخلاف الكبير الذى وقع بين العلماء فى جواز رواية الحديث بالمعنى وعدم جوازها .

على أنه قد وردت أحاديث صحيحة تقطع بأنه صلوات الله عليه ما كان يريد إلا أن تروى أحاديثه على حقيقة لفظها مهما تحرى الراوى فى إصابة معانيها ، ولم يكن ليشدد فى عدم استبدال لفظ بلفظ فحسب وإنما كان يضرب عليه ، فقد روى أصحاب السنن هذا الحديث : نضر الله امرأ سمع مقالتى فأداها كما سمعها فرب مبلغ أوعى من سامع » . وهذا الحديث القولى قد أيده النبى بسنة عملية ؛ فقد روى البخارى وغيره عن البراء بن عازب أن رسول الله علمه دعاء يقوله عند ما يأتى مضجعه ، ومن هذا الدعاء : « آمنت بكتابك الذى أنزلت وبنبيك الذى أرسلت » فقال البراء يستذكر ماعلمه النبى « وبرسولك الذى أرسلت » فقال له النبى « وبنبيك الذى أرسلت » وفى بعض الروايات فطعن فى صدره ورده إلى الرواية الصحيحة . ومعلوم أن اللفظ الذى جاء به البراء يؤدى المعنى وأكثر ، فهو بهذا قد أصاب المعنى ولكن النبى لا يريد ممن يروى عنه إلا أن ينقل كما سمع .

٤ — ويقول الأستاذ عن كلمة (متعمدا) التى جاءت فى بعض روايات حديث من كذب على: إن القاعدة عند المحدثين أنه إذا تعارضت الروايات رجح الأكثر والأقوى ، وهنا ترجح رواية ذكر اللفظ ويحمل المطلق على المقيد ! !

ولا نطل القول فى مناقشة هذه القاعدة ولا فى طلب الدليل على هذا الأكثر والأقوى ! ! وإنما نقول إن علماء الحديث قد جعلوا للترجيح اعتبارات متعددة ، منها اعتبار الاسناد ، ومنها اعتبار المدلول وغير ذلك . وقالوا فى اعتبار الإسناد إن رواية أحد كبار الخلفاء ترجح على غيرها ، وكذلك ترجح رواية من كان فقيهاً ومن كان أكثر مخالطة للنبى الخ ورواية هذا الحديث بغير كلمة (متعمدا) قد نالت كل اعتبارات الترجيح فقد رواها ثلاثة من الخلفاء الراشدين وهم كبار فقهاء الصحابة وأكثر مخالطة للنبى ، والزبير بن العوام — وهو من هو يؤيد روايتهم ورواية غيرهم من كبار الصحابة ويقسم بأن النبى لم يقل هذه الكلمة ،

وفى سنن ابن ماجه عن الليث بن سعد عن ابن شهاب عن أنس ابن مالك قال رسول الله من كذب على — حسبته قال متعمداً فليتبوأ مقعده من النار . ورسالة الشافعى [1] التى هى الأصل الأول لعلم الأصول ومؤلفها أقرب إلى معين السنة الصافى قد ورد فيها هذا الحديث بصيغ كثيرة لم يأت فى واحدة منها كلمة (متعمدا). وابن قتيبة الذى قالوا إنه لأهل السنة كالجاحظ للمعتزلة لم يوردها فى كتابه (تأويل مختلف الحديث) الذى دافع فيه عن رجال الحديث إلا بغير هذه الكلمة . على أن الأقرب إلى العقل السليم والأشبه بخلق النبى العظيم أن تكون الرواية التى جاءت بغير هذا اللفظ هى الصحيحة ، والتى يطمئن بها القلب ؛ لأن الكذب هو الكذب .

٥ — ذكرنا فى كلتنا أن تدوين الحديث قد تقلب فى أدوار أربعة ، فكان فى أول أمره مشوباً بغيره من أقوال الصحابة فى التفسير وغيره من مسائل دينية أو طرق أدبية الخ مما كانوا يعنون بجمعه وتدوينه على طريقة العصر الذى وقع فيه التدوين من غير ترتيب ولا نظام إلى أن جاءت طبقة ابن جريج الخ » فقال الأستاذ من أين وصلنا إلى ذلك ! ونحن نذكر له بأن كل من درس تاريخ التدوين فى الإسلام وبخاصة فى عصر بنى أمية يعرف ما عرفنا ويصل إلى ما إليه وصلنا ، وإذا أراد لن يقف على (طفولة التدوين الإسلامى) فليرجع إلى مظانه ، ولكى لا نشق عليه بكثرة البحث فى المصادر الكثيرة نحيله إلى أدنى المصادر إليه : الجزء الثانى من كتاب ضحى الإسلام للاستاذ الكبير أحمد أمين بك . والجزء الثالث من تاريخ التمدن الإسلامى لجورجى زيدان بك .

٦ — قال الأستاذ فى أول مقاله إنه تتبع الحقائق التى وصلت إليها فوجد أن فيها ما يجافى الحقيقة ! لم يكن مبنياً على دراسة عميقة ! . راجعة إلى مصادر الحديث الأصلية ! ! ولا يؤاخذنا الأستاذ بما نصارحه به من أنه قد تعجل فى الحكم وأسرع فى القضاء ، ذلك بأنه لم يقرأ الكتاب كله ولا درس مواده وفصوله ، ولا عرف مراجعه وأسانيده ، وكل الذى رآه منه إنما هو (لمة ضئيلة عنه) وقد كان عليه إذا آثر الحق والعدل أن يستأنى فى

(١) راجع ١٠٨٩ — ١١٠٠ من الرسالة تحقيق وشرح الأستاذ الفاضل الشيخ أحمد محمد شاكر

الملجأ الاســـــلامي الأول

فى عهد النبوة

للأستاذ عبد المتعال الصعيدى

لله أنت يا رسول الله يا سيد المصلحين وإمام المشرعين ، لقد مضى على أتباعك المسلمين قرون طويلة مظلمة حجبت عنهم محاسن شريعتك ، وجعلتهم ينظرون إليها فيها وعلى أبصارهم غشاوة من الجهل ، فتبدلت أوضاعها عندهم ، وانحرفت عن سبلها المستقيمة إلى سبل معوجة ، وصار كل شيء صالح فيها إلى فساد ، وكل نظام جميل فيها إلى اختلال ، وكل مظهر نشاط فيها إلى كسل وخمول ، والإسلام دين إصلاح ونظام ، ولا بد لنا فى نهضتنا الحاضرة من أن نرجع به إلى عهد نهضته ، حتى لا يعوق المسلمين عن النهوض عائق من ناحية دينهم ، وتسير فينا النهضة الدينية إلى جانب النهضة المدنية ، متعاونتين فى الوصول بنا إلى الإصلاح المنشود

وها نحن أولاء نعالج الآن مشكلة السُّؤلة[1] التى انحرفنا فيها عن أوضاع ديننا معالجة مدنية ، ونضع فى ذلك الأوامر تلو الأوامر ، والنواهى تلو النواهى ، فلا يفيد فى ذلك علاج ، ولا ينقطع السُّولة عن هذه الحرفة الدنيئة ، لأنا نقتصر فى ذلك على علاجها من ناحية القانون الوضعى ، ولا نحاول علاجها من ناحية الشرع السماوى ، ليعلم الناس أن دينهم لا يبيح لهم هذه الحرفة الدنيئة ، فيكف السُّولة عن تعاطيها ، ويكف الذين يتصدقون عليهم أيديهم عنهم

لقد ذم النبى صلى الله عليه وسلم هذه الحرفة وشدد فى الوعيد عليها ، ومدح الذين يتعففون عن سؤال الناس . ومما ورد فى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: ليس المسكين الذى ترده اللقمة واللقمتان ، والتمرة والتمرتان ، ولكن المسكين الذى لا يجد غنى يغنيه ، ولا يُفطَنُ به فيُتَصَدَّقُ عليه ، ولا يقوم فيسأل الناس . وقوله أيضاً : لأن يأخذ أحدكم حبله ثم يأتى الجبل فيأتى بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها خيرله من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه ، وقد

(١) السولة : الكثير السؤال

الحكم ويتمهل فى إبداء الرأى حتى يطلع على ذلك كله ثم يصدر بعد ذلك حكمه .

٧ — وفى ختام مقالته جاءت عبارة غريبة لا أدرى كيف أرسلها ، ذلك أنه يقول ، إن مما يحتاج إليه عالم الحديث (الرحلة فى سبيله إلى من أحاط به خبراً ! !) .

وإنى ولا مراء فى الحق لم أكد أفهم ما هى هذه الرحلة التى يحتاج إليها علم الحديث فى هذا العصر ! وكذلك لم أعرف إلى أى الأقطار تكون ؟ ومن هم أولئك الذين قد أحاطوا بعلم الحديث خبراً حتى نرحل إليهم ونأخذ عنهم !

إنى لم أكد أعرف من ذلك كله شيئاً ، وإنما الذى أعلمه أن طلاب الحديث فى القرون الأولى هم الذين كانوا يحتاجون إلى الرحلة ليتلقوا الأحاديث من أفواه الرجال إذ كانت سلسلة الرواية فى هذه القرون متصلة ، والحفاظ يومئذ هم أوعية الحديث لا يوجد إلا عندهم ولا يؤخذ إلا عنهم ، أما الآن وقد انفصمت هذه السلسلة بتدوين الحديث وأصبحت الكتب هى المراجع الصحيحة للحديث — وهى من كل طالب على حبل الذراع — فإن هذه الرحلة قد صارت لا حاجة إليها ولا غناء فيها . على أن عهد الحفظ نفسه قد انقطع أثره منذ قرون ، حتى قالوا إنه قد ختم بالحافظ ابن حجر ، وانقضى على أثره عهد المحدثين .

وإذا كان الأستاذ أبو شهبة لا يرضى إلا بالرحلة فإنى قد قمت بما يرضيه ورحلت فى سبيل تصنيف هذا الكتاب إلى جميع الأقطار وقضيت فى هذه الرحلة سنين طويلة اختلفت فيها إلى مئات من العلماء والمحدثين والأصوليين والمؤرخين ومن إليهم[1] ممن يؤخذ عنهم ويستفاد منهم لكى يأخذ كتابى حظه من التمحيص والتدقيق وقد اصطنعت فى سبيل التلقى عنهم الصبر والأناة حتى ظفرت منهم بما أرجو أن يكون عملى به موفقاً صالحاً إن شاء الله ، وما آمل أن يجد فيه كل من ينشد العلم والحق ما يحبه ويرضاه .

محمود أبو رية

(١) بلغت أسانيد هذا الكتاب أكثر من مئة وخمسين كتاباً وبعض هذه المراجع يقع فى أجزاء تبلغ العشرات وهذا غير ما نقلت عنه هذه المراجع وسيحمل كتابى أسماء هذه الأسانيد كلها إن شاء الله

عالج الإسلام هذه المشكلة بعد منعه لها معالجة إيجابية ، لأنه لا يصح أن يمنع المحتاجين من السؤال ويتركهم يتضورون جوعاً ، أو يشقون فى الحياة بجانب غيرهم من أهلها ، فَسَنَّ الصدقة وفرض الزكاة على الأغنياء ، وجعل من وظيفة الحكومة جمع الزكاة من أهلها ، وصرفها على من يستحقها من الفقراء ونحوهم ، فوقاهم بذلك ذل السؤال ، وحفظ لهم كرامتهم ، لأنهم لا يأخذونها من الحكومة امتنانا ، وإنما يأخذونها حقاً تتقاضاه لهم من الأغنياء ، وتقوم فيه بوظيفة الوسيط بينهم .

ولما هاجر المسلمون من مكة إلى المدينة منعهم المشركون أموالهم فى مكة ، فأصابهم من ضيق العيش فى المدينة ما أصابهم ، وعانى كثير منهم من شدة الفقر ما عانى ، وهم أبناء سادة قريش وأشرافها ، ولا تسمح لهم عزتهم وكرامتهم أن يمدوا أيديهم إلى الناس بالسؤال ، فأنشأ لهم النبى صلى الله عليه وسلم ملجأ يجمع بينهم ، واختار له مكاناً متواضعاً بمسجد المدينة ، وكان موضعاً مُظَلَّلاً من ذلك المسجد ، فسماه من أجل ذلك صُفَّةً ، واشتهر أهله بين أصحابه بأهل الصفة ، وكانوا نحواً من أربعمائة رجل من مهاجرى قريش ، لم يكن لهم مساكن فى المدينة ولا عشائر ، فآواهم النبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك المكان ، وكان بهذا أول ملجأ اتخذ للفقراء فى الإسلام .

وكان لهذا الملجأ نظامه فيمن يدخله من الفقراء ، فكان لا يدخله منهم إلا الفقير الذى لا يستطيع ضرباً فى الأرض للكسب ، فلا يجد من كسبه ما يغنيه عن قبول الصدقة فى هذا الملجأ من المسجد ، وقد جاء هذا الشرط فى وصف الله تعالى لفقراء هذا الملجأ فى الآية — ٢٧٣ — من سورة البقرة (للفقراء الذين أُحْصِرُوا فى سبيل الله لا يستطيعون ضرباً فى الأرض ، يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم ، لا يسألون الناس إلحافاً ، وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم) .

وكان من نظامه أن جُعِلَ مدرسة لأولئك الفقراء ، وكان مدرسة ليلية يتعلمون فيها القرآن وغيره من العلوم ، لأن لهم عملا آخر سيأتى بيانه بالنهار ، وبذلك كان النبى صلى الله عليه وسلم أول من جعل من الملاجىء مدارس ، لتكون دور علم وتعليم ، وينتفع الناس بها فى دينهم ودنياهم ، ولا يذهب ما يتصدقون به عليها سدى .

وكان من نظامه أن جعل لهم عملا بالنهار ينفقون منه على أنفسهم ، ولا يكلهم إلى الصدقة التى يتصدق بها عليهم ، لأنها لم تكن مورداً دائما ، بل كان من عنده فضل من المسلمين أتاهم به إذ أمسى ، ولأن الإسلام دين عمل وجهاد ، فلا يرضى لفريق من أهله أن يقعد عن العمل ، ويتكل على ما يتصدق به عليه الناس . فكانوا يخرجون بالنهار فيجمعون النوى ، ثم يرضخونه ويبيعونه لأصحاب الجمال .

وكان من نظامه أن جعل منهم جنداً للمسلمين ، فكانوا يخرجون فى كل سرية يبعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفى كل غزوة يغزوها بنفسه ، فيكون شأنهم فى ذلك شأن كل مسلم ، ولا ينقطعون إلى ملجئهم كما ينقطع الرهبان إلى صوامعهم .

ولقد قام هذا الملجأ يؤدى عمله على عهد النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم تولى الخلافة أبو بكر رضى الله عنه فأبقاه على حاله التى كان عليها ، ثم تولى بعده عمر رضى الله عنه ، فاتسعت فى عهده الفتوح ، وفتحت للمسلمين خزائن الفرس والروم ، وصارت أسباب الغنى سهلة ميسرة ، فأمر رضى الله عنه بإغلاق هذا الملجأ ، وأمر أهله أن يسلكوا تلك السبل الميسرة للغنى ، لأنه لا يرضى بالفقر إلا أهل الخمول والكسل ، والدنيا دار جهاد وعمل .

ومن ينظر إلى نظام هذا الملجأ يجد أنه هو النظام الذى تأخذ به الأمم الحديثة فى ملاجئها ، لأنه هو النظام الذى يتفق وأسباب المدنية التى تأخذ بها ، ولكن المسلمين حين انحرفوا عن دينهم بعد ضعفهم ، تغير نظرهم إلى هذا الملجأ كما تغير نظرهم إلى غيره من أمور دينهم ، فاتخذوه أساساً لما أنشأوا فى تلك القرون المظلمة مما سموه تكايا وخانقاه ، وأخذ أهلها من الصوفية يتمسحون بأهل ذلك الملجأ ، ويزعمون أن اسمهم مشتق من الصُّفَّةِ التى كانوا يأوون إليها ، على بعد ما بين اسمها واسمهم ، وعلى بعد ما كان من نظام أهلها ونظامهم ، وعلى أنه كان نظاماً زال بزوال سببه ، ولم يرضه عمر رضى الله عنه لأهله ؛ ومثل عمر يؤخذ الدين عنه .

عبد المتعال الصعيدى

الحيـــاة الأدبية في الحجاز

تتمة النهضة السعودية

للأستاذ أحمد أبو بكر ابراهيم

الخطابة :

لقيت الخطابة عناية فائقة من أدباء الحجاز فى العهد الأخير ، فسلكت طريقها إلى النهوض ووجدت فى المجتمعات والأندية تشجيعاً دَفَع بها إلى الأمام ولكنها مع ذلك لا تزال عند الحجازيين متأخرة عن الكتابة لأنها لا تروج إلا فى الرحّات المنيفة التى تساق إليها الشعوب ولا تنمو إلا فى ظل الخلافات المذهبية والسياسية ، والحجاز – كما يعلم الناس جميعاً – آمن هادئ لا تتوزعه القلاقل ولا تثور به الخلافات ، ثم إنه بعيد عن التحزب والحزبية ولا يعرف معنى النافرات والمذاهب السياسية وهى التى تؤجج نيران الخطابة وتبعث فيها القوة والحياة .

ولعل الذى بعث فى الخطابة الحجازية بعض الحياة فى العهد الأخير إنما هو نشاط الشبان ومساعدة أولى الأمر من الساسة وقادة الفكر ؛ فهم يهتمون بالأندية الأدبية التى تقام فى المدن الكبيرة ويولونها من عطفهم وعنايتهم ويمهدون لها السبيل لأداء مهمتها على الوجه الأكمل ، فسمو الأمير فيصل والشيخ محمد سرور الصبان وغيرهما لهم أياد محمودة فى تشجيع القائمين بها ، فهم يشعرونهم دائماً بالعطف والتكريم ؛ ولهذا نرى هذه النوادى جادة ناشطة ، ونرى القائمين بها يحددون يوماً من أيام الأسبوع يجتمعون فيه حيث يستمعون إلى خطبة جيدة أو محاضرة قيمة حتى إذا ما انتهى القائل علقوا على كلامه بالنقد أو الإعجاب .

وليس فى الحجاز من ألوان الخطابة غير خطب المحافل والخطب الدينية، ولعل أولاهما أرقى من الثانية ؛ إذ تقال فى مناسبات التكريم وفى المحافل التى تكثر فى الحجاز فى موسم الحج وفى المدارس فى المناسبات الكثيرة .

والخطب الدينية فى الحجاز أقل من خطب المحافل ؛ فلا تكاد تعدو خطب المساجد . ويظهر أن الحالة الدينية هناك لا تدعو إلى هذا اللون من الخطب : فالناس هناك منصرفون إلى العبادة ، بعيدون عن الانغماس فى الشهوات ، وإنما يلقى هذا النوع من الخطابة رواجاً فى المجتمعات التى يحيد الناس فيها عن جادة الصواب فيجد الوعاظ عندئذ مجالا لدعوتهم ومحلا لعظاتهم ، فلا يكاد الزائر يسمع هناك إلا الخطب التى تلقى فى الحرمين والمساجد الأخرى فى الجمع والأعياد .

وقد كان الارتجال غير معروف إلى عهد قريب فى الحجاز ، ولكن العهد السعودى الذى شمل كل ناحية بالقوة خلق فى الناشئين من الخطباء الاعتداد بالنفس فارتجلوا فى المناسبات الاجتماعية خطباً لها مكانتها الأدبية .

ولا بد لى أن أشير هنا فى هذه الكلمة إلى أثر « المذياع » فى الخطابة ، فهو – وإن توهم بعض الناس أنه قليل الخطر – ذو أثر فعال فى هذا الفن من الأدب ، فقد كان فى السنين الأخيرة حلقة الاتصال بين لهجات الشرقيين : فى النطق والمواقف ومقاطع الكلام ، ولهذا نجد المحدثين من خطباء الحجاز يتأثرون الخطباء المصريين فى مواقفهم وطرائقهم ، على حين نجد القدامى منهم يختلفون عنهم فى الأداء واللهجة ، وما ذلك إلا لأن الحديثين نشأوا يستمعون إلى خطباء مصر فقلدوهم وتأثروا خطاهم ، ولم يستطع القدامى مجاراتهم فى هذا السبيل بعد أن سلخوا عهداً طويلا وهم على طريقتهم الأولى .

الصحافة :

لم يكن للصحافة خطر كبير قبل العهد السعودى وإن صدر بعضها قبله ، فلما كانت الحيـــاة الجديدة فى ظل جلالة الملك عبد العزيز آل سعود ، نشطت حركتها وأخذت تناضل فى سبيل الأدب والإصلاح الاجتماعى ، فكان يصدر منها إلى عهد قريب صوت الحجاز وأم القرى والمدينة المنورة وغيرها ، وكان بجانب هذه الجرائد بعض المجلات التى تتناول الموضوعات العلمية والأدبية كمجلة المنهل لصاحبها الأستاذ عبد القدوس الأنصارى ، وقد قرأت حديثاً فى كتاب « ماذا فى الحجاز » للأستاذ محمد أحمد جمال أن هذه الصحف قد عطلت بسبب غلاء الورق ولم يبق منها

هذا العـــالم المتغير

[تصيب الذبحة الصدرية صفوة أبناء العالم ، فكيف وفق الأطباء المصريون إلى اكتشاف علاجها ؟]

من وصفة بلدية : علاج للذبحة الصدرية

للأستاذ فوزى الشتوى

في حضرة عزرائيل — وصفة بلدية — جهل يقود العلم — نجاح باهر — وتقدم العلاج أيضاً — عقبات

في حضرة عزرائيل :

جاءته الأزمة كما عرفها ، فأوى إلى فراشه وقد نسى مهمته التي ارتدى من أجلها ملابسه ، يرى زوجه وبنيه يهرعون إليه بعقاقير الطبيب ، فيتناول الجرعات في سكون ، وهو يحس بتلك النفصة في صدره ، ويشعر بحاجته الماسة إلى تنفس عميق ، فلا يقوى على الزفير أو الشهيق ، لأنهما يضاعفان الألم ويقربانه من عزرائيل وهو يطوف بفراشه . فيكتم الزفير ويمنع الشهيق إبقاء على سعادة أسرته ، فأى مصير يحل بهم إن أتم عزرائيل مهمته في إحدى تلك الأزمات ؟

ربما ينفذها في هذه الأزمة ، وربما ينفذها في مرة تالية ، وقد يهادنه مدة طويلة . ولكن أحمد بك كان يحس بجناحي ملك الموت تصفقان حوله كلما واتته أزمة الذبحة الصدرية ، فيشفق على سعادة أسرته أكثر مما يشفق على نفسه !

وفي كل مرة كان ينظر إلى عقاقير الأطباء ، فيعجب لعجزها ، وتتولاه الدهشة لقصر يده ويد الطب عن إزالة غمته ، واستقرار أمنه ، ومستقبل عائلته . لم يدخر أحمد بك — كما حلا لى أن أسميه — وسعا في استشارات الأطباء والخضوع لوصاياهم ، فقلل من نشاطه كما أمر ، وداوم استعمال العقاقير ، وهو يعرف

إلا جريدة « أم القرى » وهى لسان حال الحكومة السعودية .

وكانت هذه الجرائد والمجلات مع اجتهاد أصحابها المحمود وعنايتهم المشكورة لا تزال بادئة ناشئة : فالجرائد لاتصدر إلا كل أسبوع أو نصف أسبوع والمجلات لا تصدر إلا كل شهر .

وكان الحجازيون يدركون هذا الضعف فيها ويودون لو تنهض فتساير زميلاتها في الأقطار العربية ، وفي ذلك يقول الأستاذ عبد الحميد عنبر : « من حسنات العهد السعودى هذه الروح الصحافية القوية التي نراها في أطراف البلاد ، فقد شجعت حكومة جلالة الملك عبد العزيز الصحافة في الحجاز وأعطت امتيازات لعدة جرائد ومجلات صدر منها البعض وتوقف ، وبعضها لايزال يصدر حتى الآن ، ومنها ما أعطى امتيازه ولم يصدر حتى الآن . ونحن نسأل لِمَ لم يصدر ما أعطى امتيازه ؟ ولِمَ توقف عن الصدور ما كان صادراً ؟

ذلك لأن الصحافة لم تستقر لدينا على أساس قوى وأنها في حاجة إلى تنظيم ، كما أنها في حاجة إلى صحافيين مدربين يستطيعون قيادة الجماهير ، وغرس المبادئ الوطنية والأخلاق الرفيعة في نفوسهم » .

ويرى الأستاذ محمد جمال كذلك : أن في الحجاز تربة صالحة للصحافة ولكن ينقصها رجال الصحافة الماهرون .

ويبدو لى أن الصحافة في الحجاز لا تسمو إلى المنزلة التي نرجوها لها إلا إذا توافر لديها المال الكثير الذى تؤمن به حياتها وتقوى نواحيها المختلفة ؛ فيكون لها بعد ذلك مراسلون في الأقطار المختلفة يوافونها بأخبار العالم ، ويشترك في توجيهها طبقة متمرنة من صحافيي العرب في الأقطار الأخرى حتى تشتد وتقوى ، وعندئذ نأمل لها الفوق والرواج ؛ فالتشجيع الحكومى قائم ، ولم يبق إلا العمل مع الأخذ بالأسباب .

وأهم ما تعنى به الصحف الحجازية النواحي الاجتماعية والأدبية والأخبار المحلية وبعض ما تقتطفه من حوادث العالم نقلا عن الصحف الكبرى . ويمتاز أسلوبها بالهدوء والاتزان ؛ فلا نجد فيها تلك الثورة الجامحة التي نجدها في صحف مصر نتيجة للخلافات الحزبية الكثيرة ، فإذا كان هناك من حماس ففي بعض مقالات النقد الأدبى والإصلاح الاجتماعى .

(تم البحث)

أحمد أبوبكر ابراهيم

أنها قد تأتيه بشر آخر ، لأن الطب لم يعرف علاجاً أو مسكناً يهدئ العلة بغير أن يترك أثراً جديداً مؤذياً !

وهو يدرك تمام الإدراك أن العقاقير التي يتناولها تزيد ضربات قلبه وتضعفه ، وتقلل ضغط الدم ، وتجهد عضلات القلب قبل أن تؤثر على الشرايين التاجية للقلب ، وتكسبها السعة اللازمة لمرور كميات الدم اللازمة للحياة . فالذبحة الصدرية علة تصيب هذه العضلات ، فتجعلها تنقبض وتضيق وتمنع مرور كميات الدم اللازمة لتغذية القلب ، فتعرقل مهمته .

وصفة بلدية :

وأحمد بك كسواه من الطبقة المثقفة النشطة القليلة الإيمان بالوصفات البلدية : قدمت إليه زوجه مغلى بذر الخلة مرات ليجرب ، فنظر إليها ساخراً أن يفلح الجهلة فيما فشلت فيه علوم الطب . سمع أحاديثها ، وقصص جيرانه ومعارفه مرات عن فائدة بذر الخلة في شفاء الذبحة الصدرية ، فلم يصدق أن الطب عمى عن رؤيتها . وقالوا له : جرب ، فلن تخسر شيئاً . فأجابهم وأقنع نفسه بأنه قد يأتى لنفسه بعلة جديدة قد تكون أقوى وألعن .

واستشار أطباءه ، فرأى في عيونهم نظرات السخرية والاحتقار ، وقرأ فيها أمارات اللوم ، لأنه يقبل أقوال الجهلاء والعامة . ولكن العلة كانت شديدة الإلحاح ، فلا يكاد ينفعل ، أو يبذل جانباً من نشاطه حتى تفاجئه ، فتأتيه في مكتبه ، وفي الطريق ، وفي بيته أيضاً . تخشى أن ينفذ ملك الموت مهمته في غفلة منه ، ودفعته فظاعة الألم وحب الحياة لأن يجرب ، ولا سيما أن كثيراً من معارفه يتعاطونها ، فلم تحدث لهم من مضاعفات كما يتوهم .

وأخيراً ، استسلم وأقبل على تناول مغلى بذر الخلة وهو يتجاهل طعمه الكريه ، ويتحمله في صبر ؛ فإذا العلة تهادنه ، وإذا النغصات المؤلمة تبتعد عنه ، فتقصى شبح عزرائيل واصطفاق جناحيه . واستمر بضعة أسابيع ، فاسترد حالته المعنوية ، وأحس في وصفته البلدية بسر جهله الطب وأنكره ، أو سخر منه !

جهل يقود العلم :

فقصد إلى طبيبه واثقاً من توفيقه ، متوقعاً أن يسمع عبارات السخرية ، وأن يرى نظرات اللوم . ولكن الطبيب لم يكن أقل دهشة منه لما رآه في حالته من تحسن ملموس ، ولما وجده فيه من إيمان ويقين . ومن ثم بدأ الكشف العلمي بنزع الستار عن عقار جديد وعلاج فعال للذبحة الصدرية التي تفتك بالصفوة المختارة من أبناء العالم كله . فهي لا تصيب في الغالب سوى الطبقة المفكرة الشديدة النشاط ، والكثيرة الحساسية والإدراك .

واحتضن الكشف العلمي ثلاثة من أطباء كلية الطب وهم : الدكتور انرب أستاذ علم وظائف الأعضاء ، والدكتور قناوى في الأمراض الباطنية ، والدكتور شفيق برسوم من مدرسي علم وظائف الأعضاء أيضاً . وتكاتف ثلاثتهم لاستطلاع السر الجديد وإجراء أبحاثه وتجاربه منذ سنة ونصف ، فاستخرجوا المادة الفعالة نقية خالصة من المواد الغريبة ، وأطلقوا عليها اسم « الخلين » .

واختبروا فعلها في الكلاب الضالة فيحقنونها بالبنج حتى تستغرق في رقادها العميق . وعندئذ يفتحون قفصها الصدرى ويكشفون عن القلب والرئة ، ثم يقيسون مقادير الدم الواردة إلى القلب عن طريق الشرايين التاجية ، فإذا هي عادة تتراوح بين ٣٠ إلى ٤٠ سنتمتراً مكعباً في الدقيقة . ويحقنون الشرايين بمادة الخلين في جرعات تتراوح بين ملليمترين وعشرة ملليمترات ، فإذا بالدم الوارد إلى القلب يتضاعف ثلاثة أمثاله في الحالات العادية ، وإذا الشرايين تتسع ويستمر أثرها في الكلاب لمدة ثلاث ساعات .

نجاح باهر :

ولكن هذه النتيجة وحدها لا ترضى البحث العلمى الدقيق فأى أثر آخر يتركه الخلين على الأوعية التي يمر بها ؟ وماذا يصيب القلب وعضلاته ؟

واكتشف أطباؤنا نجاحاً باهراً ، فإن الخلين لا يؤثر إلا على العضلات الملساء للشرايين التاجية ، وهي العضلات التي تسبب الذبحة الصدرية . أما عضلات القلب كما يقول الدكتور قناوى فلا تتأثر . وكذلك القلب ذاته لا يتضخم ، كما أن استخدام الخلين لا يؤدى إلى انخفاض ضغط الدم كما يحدث عند استخدام العقاقير الطبية المعروفة . وقد سجلت نتائج هذا البحث بالموجات الكهربائية مما يوضح تأثير العقار .

ومعنى هذا أن الطب وفق إلى عقار بالغ القدرة على اتقاء شر الذبحة الصدرية بدون أن يترك أثراً . أضف إلى ذلك أن تأثيره على الإنسان يختلف عن تأثيره على الكلاب لأن مفعوله في الإنسان يتراوح بين ٢٤ ساعة إلى ٤٨ ساعة تبعاً لحالة المرض والمريض

وقد انتقل البحث فتناول الإنسان . ويعالج به الآن حوالى خمس وسبعين حالة أدى علاجها إلى نجاح باهر في ٧٠ حالة . وكان نجاح خمس منها ضعيفاً . ويرجع سبب ضعفها إلى تقدم المرض وإلى أن تصلب العضلات وصل إلى درجة التيبس نتيجة لكبر السن أو اقتران الذبحة الصدرية بمرض السكر أو غيرها من العوامل .

وتقدم العلاج أيضاً :

وتقدمت أبحاث العلاج أيضاً فان الخلين مادة لا تستسيغ النفس مرارتها ، فجرب استعماله في أقراص (برشام) ، وفي حقن تعطى في الدم . والخلين لا يزيل المرض نهائياً ولكنه وقتي التأثير حتى الآن . ويتعاطى المريض مقادير منه تبعاً لحالته . ولكن الأمل قوي في أن يصل البحث إلى العلاج النهائي ؛ فقد لوحظ أن بعض الحالات شفيت نهائياً ، واستغنى المريض عن مواصلة العلاج . والمهم أن يوالي المريض استخدام الخلين حتى لا يصاب بنوبات الذبحة ، حتى تستعيد العضلات حالتها الطبيعية بالتدريج .

ونوبات الذبحة الصدرية أو أزماتها تفاجىء مريضها في أوقات مختلفة ، وتتراوح مدتها من نصف دقيقة إلى ٢٠ . وقد تصيبه مرة في اليوم ، كما أنها قد تصيبه بضع مرات . وهي غالباً تحدث على أثر أي إجهاد سواء أكان عقلياً أم جسمانياً .

وتكثر الإصابة بالذبحة الصدرية في الفترة التي نسميها منتصف العمر نتيجة لكسل بعض الغدد عن أداء وظيفتها مما يسبب تصلب الشرايين . ورغم أن نسبتها كبيرة في مصر إذ تبلغ ٥٠ ٪ من المرضى من الطبقة النافعة ، فان مصر تعد أقل بلاد العالم في انتشار هذه المرض الذي يموت بفعله حوالى ٢٠ ٪ من مرضاه نتيجة لهبوط القلب أو انقباض العضلة .

أما في الخارج فالإصابة بالذبحة الصدرية شديدة الإنتشار مما جعل اكتشاف العقار من المسائل العالمية فاهتمت به الدوائر العالمية ، ونشرته كبريات الصحف الطبية ، مرحبة باستخدامه كعلاج ناجع لمرض مستعص .

ويقدر العنصر الهام من بذر الخلة بنسبة ٣ ٪ ، أما الباقي فشوائب وجد أن بعضها يترك أثراً ضاراً بالكلى .

عقبات :

ولم تمر فترات البحث حتى الآن سهلة لينة ، بل اعترضته عقبتان كادت أولاهما توقف البحث في مراحله الأولى . فعندما أريد استخلاص مادة الخلين من بذر الخلة تحطم جهاز التقطير . وواجه الأطباء معضلة إحضار جهاز آخر . وطريق الواردات ممنوعة أو مستحيلة . ولكنهم أقبلوا على صنع جهاز جديد ، فاستعاضوا عن الزجاج بالمعادن ، وأدخلوا عليها من التعديلات ماجعل الجهاز أصح استخداماً ، وأجدى نفعاً من الأصلي .

وفي المرة التالية توصلوا إلى المادة التي يذاب فيها الخلين ، ولكنها كانت قليلة وأوشكت على النفاد من القطر المصري كله ؛ ولكن الحظ واتاهم فتطوع بعض مندوبي مصر إلى مؤتمر العدل الدولي لإحضارها من أمريكا ، واشتروها فعلا . ولكنهم لاحظوا عند العودة أن الحقيبة التي تحملها ناقصة فأبرقوا إلى المحطات التي مروا بها حتى عثروا عليها وأعادوها لأصحابها وهم في المطار يستعدون لركوب الطائرة إلى مصر .

وهكذا قدمت مصر للعالم بحثاً طبياً بالغ النفع لأنه يحتفظ للعالم أجمع بصحة صفوة أناسه ممن خبروا الحياة ، ويساهمون في بناء المدنية بأكبر قسط . كما قدمت أيضاً لباحثينا مادة جديدة لأبحاث يانعة توارثناها مئات الأجيال في وصفاتنا البلدية التي طالما احتقرناها . ولو أنصف علماؤنا لأحتضنوها فلا يتركون منها واحدة حتى يثبت البحث العلمي الدقيق ضررها فما لا شك فيه أن شوائبها كثيرة وواجبهم تنقيتها .

فوزي الشتوي

في مآتم الأشـــواق

للأستاذ محمد العلائي

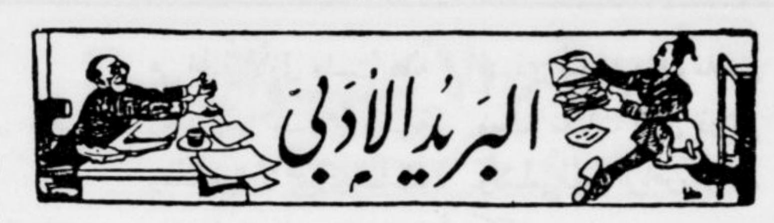
[إلى طه حسين ، والمازني ، والعقاد ، والزيات ، إلى الصديق سيد قطب ، إلى هؤلاء أولا ، إلى أدباء العربية ثانياً أقدم هـذه اللوحة المشبوبة ، وهي : مواقد أشواق تسامت بلهيبها أوهام الليل ، وترامت على ضوئها مخاوف الرحيل ، فباركتها بدعائي ، وأحرقت فيها مواهبي ، ثم تنفس الفجر فعصفت بقداستها سخرية اليقين ، واختنق شيطانها بأريج السلام ... فسارعت إليها واطفأتها بأقدامي] :

تذكرتُ أيامي ودارَ متـاعبي
ومَشرق أحـلامي ومَسرى مواهبي
تراءى لنـا الماضي ولاحت معاهدٌ
تمليت أوهامي بهـا وتجـاربي
ومأساتُنا الأولى هناك تنزلت   عليّ بدار الشمس قبل الغياهب
وراحت توافيني بكل كريهةٍ   وتقذف ألوان القذى بمشاربي
وتفجر ما بين الضلوع نزيفَها   لنغمة شادٍ أو لآهـة نادب
لها كلَّ يوم في الشروق مناحةٌ   وأوجع منها عند زحف المغارب
ظلام الضحى أبلى جـديدي وعاقني
وبيّـض في شرخ الشـباب ذوائبي
وأطفأ مني القلب في ميعة الصبا   ويتّم أفراحي وأذوى رغائبي
وحجّبني بين اللِّدات فكلهم   لعوبٌ وهذا منزوٍ غير لاعبِ
وأخرج من أدنى القلوب محبتي   فأمي لا ترجو بقائي ولا أبي
وأشهدُ أني كنتُ نورَ عيونهم   وكنت عزيز الدار نجم الملاعب
ولـكن أمراً والزمان أراده   فلست على أهل الزمان بعاتب
تناسيتُ إلا محنتي ومواجعاً   تُقَلّبها الساعات بين جوانبي
ورحلتنا الأولى ويوم تضاحكت   أمامي أساريرُ المنى والمطالب
ولاح رجائي واطمأنت مشيئتي   بطالع عزٍ في جبين الكواكب
فأجمعت أمري لا أخاف على غدي   لقاء العوادي أو ركوب المصاعب
وخلفتُ أحباباً ورائي وأنفساً   يعزّ عليها غربتي ومتاعبي
وتحنو على ضعفي وترحم جرأتي   وتخشى على حظي عثار المراكب
وقلت وداعاً وانتهجنا سبيلها   وسرنا بأرض الله ذات المناكب

وكانت ليـالٍ ثم أشرف ركبنا
على شاطئ الصحراء مثوى العجائب
سـلامٌ على دار المنـايا وأهلها
من ابن سبيل أشعث الوجه شاحب
يروم الغنى فيها ويبغي كنوزها   ويرجو بها ظلا وضجعة لاغب
طلبتُ على جهل سواء سبيلها   وأُنسيت حظي والتفاف المشاعب
وكلفني ما لا يراد توهمي   وشفّت أحاسيسي بروق المغايب
وأشربت حب الخير حتى أضلني   وشبّـه معوجاً بآخر لا حب
وغشّى على عقلي فأكبرت تافها   وسُمْتُ البلايا رغبة في المكاسب
وران على نفسي صـداها فعانقت
— لها الله — أمواج السراب المُكاذب
وخايلها يمٌّ غرُورٌ فأنزلت   بأتعس ثغر فيه أشأم قارب
أسائل مَن حولي وليسوا نواطقا
وليسوا سـوى أشباح غرقى رواسب
وتُؤذِن بالرجعى نوايا عُبابه   وأين وما بالشط مرسى لراكب
أمامي سدود كالقضاء ومفزعي   إلى غُصص مشبوبة وكوارب
وأفنى السُّرى زادي ومائي ولم أجـد
بهـا مستقراً واستدارت مذاهبي
وضـاق بوعثاء الطريق تفكري
ومصّت شعوري موبقات السباسب
وضمّت على أدهى من اليأس أضلعي
وناءت بأثقـالي ظهور النجائب
وأرّقني خوف المصـير ولم أعُد
أطيقُ الدياجي ولرتجـافَ المهاوب
فأخرجت من صحبي كريماً يودني   وذا بصرٍ يومَ الشدائد ثاقب
وملّكته أمري فكان دليلها   وسيرت ركبي خلفه غير ناكب
وسِرْتُ زماناً مُغمَض القلب سادراً
تُلِمُّ بي الذكرى وأحـدو ركائبي
وأخشع أحياناً أحيّي مقابراً   دفنت بها أهلي وبعض صواحبي
وأسمع للصحراء جُنّت رياحها   وردّت على الموتى نُواحَ الأقارب
وأهوى مع الآفاق جسما مفرغاً   وروحاً أتاه الموت من كل جانب
وبعد أعاجيب تراءت كنوزها   وراء ضباب كالدجى وسحائب

وأذَّن حادى الركب : لا هُمَّ نعمةً
وناى بيــوم طافح البشر واهب
فصدقتُ مأخوذاً وجئتُ وصيدَها
أغالبُ خــوفاً واندفاعــةَ راغب
وأشعلت مصباحى فلما تكشفت عرفت نصيبى عند بيض العواقب
ودُرتُ كمغشىٍّ عليــه وحينما
تمالكت أنفاسى ابتسمت لصاحبى
وقلت جزائى يوم خدَّر مسمعى منجم سوء بالأمانى الكواذب
وأيضاً جزائى يوم حمَّت بصيرتى وملكت أمرى خائباً وابن خائب
فقال : مقــادير ولمــا تنزلت
وقعتَ وخابَ الحزمُ يا ابن التجارب
وعدتُ كأن الأرض حولى مأتم
وليس عليهــا غــيرُ باكٍ وناعب
أصانع أبناء السبيل وأشتكى تعثر أقدامى ورعشة غاربى
أراودُ يأسى والقضاء كخاتم وأسبحُ فى بحر مخيف وناضب
أباعدُ عن نفسى حقيقة رجعتى وأجبر بلواها بشتى المصائب
وأحكى رؤاها فى مضاجع ذابل ينام على جنبين صادٍ وساغب
ومرَّ بما أبكى رحيلا مُرَزَّءاً جنيت الردى منه وشوك المجادب
ولاحت على مرمى العيون مواطنى تحيةَ مشتاقٍ وفرحة آيب
هى الجنة الأولى وفيها منازل تنسمتُ أهلى بينها وحبائبى
وفاح شذاها من بعيدٍ فهزنى وذكَّرنى عهد الصِّبا ومآربى
وهاج زماناً كالربيع فشاقنى ترنح آصالى بهـــا ومغاربى
وأنهارها تحت الظلال جوارياً وفلكى عليها بين طاف وراسب
تموج بمـا فيها كأن غصونها على شغب ما بين راضٍ وغاضب
هى الجنة الأولى وتحت سمائها رأينا تباشير المنى والشبائب
مجالان هذا للشراب وللندى وذاك لأفراح الهوى والكواعب
وقلبان فى صدرى أروح بجامد وأغدو بمنساب الإرادة ذائب
يفزعنى مَسُّ اليقين ولونه وأومن مسحوراً بما هو رائبى
أميل مع الأهواء وسنان حالماً مكان ينادينى وآخر جاذبى
وقلتُ سأنسى فى رُباها مَهالكاً
أضلَّت صوابى واستباحت مضاربى
ولكن دخلناها فيا بؤس جنتى ويا بؤس إيمانى وبؤس مثاوبى

هى الجنةُ الأولى ولستُ بتائه فهذى مغانيها وتلك ملاعبى
رجعنا إليها بعد همّ وغُربة وبعد ملمّات أشبن ذوائبى
وهأنا فيها لا ضميرى ضاحك ولا أملى بين الرياض بواثب
على بابها الميمون ظلٌّ كآبةٍ
وفى الساحة الكبرى عبيرُ النوائب
وأشهى جناها ليس فيــه مذاقُه
وكوثرُها — لا كان — جمُّ الشوائب
وأشجارها الموتى غصون تهدَّلت
وكانت عناقيــد الثمـار الأطايب
وأزهارها صُفرٌ عليها مَذَلَّةٌ وأطيارها مبحوحة كالنوادب
وما كان منها دافقاً رُدَّ ماؤه وصاخبها أمسى وليس بصاخب
مرابعها جفَّت وراحت أجادبا وكانت مزاراً للحيا والسواكب
خمائلها محزونةٌ وسمــاؤها تميلُ بأشباه النجوم الغوارب
ومالت أعاليها وزارت رُبوعها عواصف شتى بين ساف وحاصب
تحوَّل عنها أهلها وتناوَحَت بأبهى مجاليها ظِباء النواعب
وجوهٌ كأحداث الزمان مخيفةٌ أطلت عليها من قصور خوارب
وتلك التى بالأمس كنا نُريدها ونسأل عنها كلَّ آتٍ وذاهب
هى الجنة الأولى وكنتُ أمامها أحس بأن الكون بين جوانبى
وأشهدُ آفاقاً كباراً وعالماً عرفتُ به قلبى وأولى عجائبى
ونادمتُ أشواقى هناكِ مواسماً أجِدُّ وألهو بالظنون اللواعب
وأرسلتُ أحلامى وراء غُيُوبه أخاف وأرجو مُبهمات العواقب
وفى النفس أهواء وفيها مواجد وفيها تهاويلٌ سدَدْن مذاهبى
وفيها تسابيحٌ لعرش أظلَّنى وفكٌّ قيودى واستفزٌّ مواهبى
وألهمنى حتى كأنى مُنَوَّمٌ أزال حجاب السر عن كل غائب
وأنطقنى حتى خلْتُ أضالعى ستعلن أسرارى وتُفشى مآربى
وأسكتَنى حتى تجمَّد خاطرى وماتت بأعراقِ اللسان غرائبى
وغيَّر حالاتى وصفَّى مشاعرى أحس كمخدور وأهذى كشارب
وأغرى بأسباب الحياة نوازعى وحرَّكَ أوهامى وأذكى رغائبى
ونضَّر أجوائى فأضحت خمائلا يفوح شذاها من صبا وجنائب
وتحظى بما دون القليل مطامعى فتُشرق آمالى وتصفو مشاربى
وأصبح والدنيا بصدرى مباهج وأمسى وأفلاك الزمان مواكبى
هى الجنةُ الأولى وبات نسيمها روائح أنقاضٍ ورجعَ منادب



عزها ...

أقول — ومن أصعب الأشياء توضيح الواضح — إن الشاعر شبه خفقان قلبه الوجاب بارتجاف القطاة المسكينة وقد عزها الشرك (أى غلبها وقهرها) شبه حالة قلبه بحالتها (وقت مغلبة الشرك إياها) فاضطرابها الشديد هذا وتلك الجاذبة إنما هما من تلك النلبة لا من النر ولا من الجر؛ فما ارتعشت حين غرت وما كان ذلك الاضطراب العظيم لما جرت، ولكن تتابع اضطرابها حين استمكن الشرك منها وغلبها وقهرها ورامت الافلات منه. وإنه لينادي على أن اللفظة (عز) لا غيرها هو ما جاء بعدها: « فباتت تجاذبه وقد علق أو غلق الجناح » ولو لم يكن هذا الحرف المروى ما كان أبو العباس أعلن فى (كامله) تلك الشهادة: « قد قال الشعراء قبله وبعده فلم يبلغوا هذا المقدار » وبلفظة يقوى ويسمو بيت وبلفظة يهوى.

ورحم الله قائل الشعر ورواته، أبا تمام، وأبا العباس، وأبا الفرج وغيرهم، وشارحيه أبا زكرياء التبريزى وأبا على المرصفى(١) وغيرهما ممن لم تصل إلينا شروحهم. ورحم مخالف من شعر، ومن روى، ومن شرح الأديب العبقرى (الرافعى)، وهم العبقريون يشذون ويخالفون، وحيهل بخلافهم وشذوذهم! ويا طول حزن العربية وعجلها على حجة الأدب وأديب العربية حقا (مصطفى صادق الرافعى)، ومد الله فى عمر الأديب العالم الباحث الأستاذ الشيخ محمود أبو رية المصرى المسلم الكريم المفضل.

السهمى

(١) رغبة الآمل جـ ٥ ص ١٥.

الى الأستاذ الأكبر الشيخ مصطفى عبد الرازق:

الآن، وقد سكنت تلك المجاجة واستنارت الشبهة بعد ذلك للناس وصرح الحق عن محضه — يحق لكل من ينشد الإصلاح

معالمها ليست كأمس وإن هفت ... عليها ظلال من أمان ذواهب
وأمست خلاء غير ماض بعودها ... وريح كأنفاس الخطوب الأشايب
سلام عليها يوم كانت رياضها ... مشارق أفراح وقبلة راهب
سلام عليها يوم أطفىء نورها ... وغشى زواياها نسيج العناكب
تعلمت من هذا الزمان ولم أكن ... لأعلم لولا واصب بعد واصب
هضمنا الليالى واعتصرنا بلاءها ... وعريت أجساد المنى والنوائب
وقلبت فى جد الحياة وهزلها ... وما عفت إلا مائعات المصائب
وساجلت أقدارى وكانت مريرة ... فعدت بما شاءت سليباً كسالب
وأدهى من الحالين سلم تنالها ... بوجدان مغلوب وبسمة غالب
وملت إلى ظل السلام فأطمعت ... سماحة إغضائى ضعاف الثعالب
وأبلغ رزء أن تكون فريسة ... لأفواه ما ليست ذوات مخالب
وقاويت دهرى فاستحانى ضميره ... ولما يحذرنى طريق المعاطب
وباصرته فازور عنى حنانه ... وألقى رزاياه حيال مساربى
حياة وليست بالقليل وإنما ... يقلل منها كل أعزل هارب
خضم من اللذات يلعن موجه ... لفيف من الغرقى ضعاف المناكب
هى الكأس يحلو مرها لمعاقر ... ويجزع منها كل غر مجانب
كرهنا على عجز ولم نر غيرها ... وعند بلوغ اليأس خلق المعايب
حياة وموت ليس بعد حقيقة ... وليس سوى هذين معنى لحاسب
رسائل شتى والضمير مغيب ... وإغراء مطلوب وشهوة طالب
ومعترك والحظ يعرف أهله ... وأنات مغصوب وتعليل غاصب
نصيبى مقدور فما اخترت موطنى ... وما اخترت أمى قبل ذاك ولا أبى
حبيب إلى العيش رغم توجعى ... ورغم شعور بالفجيعة ناصب
ورغم انطوائى لا أضاحك غاية ... ولا أمنح الدنيا بشاشة راغب
أصم وفى أذنى وقر وإننى ... لتخرق سمعى هامسات المغايب
وأبكم لا أفضى وأنى لمنطق ... وأسمى نواديهم صرير جنادب
بأنفسهم عورات سوء تردنى ... وتخجل وجدانى فأغضى كهائب
وأرحمهم مما تكن صدورهم ... وأرثى لأبناء الأذى والعقارب
وأصغرت ما يرجون حتى زمانهم ... ودنيا غوانيهم وعليا المراتب
وأوصدت باب المجد لما تكشفت ... أمامى أرباب العلا والمناصب
وأسأمنى دهر يمر عجيبه ... وأعجب منه ماثل فى تجاربى

(القاهرة) **محمد العلائى**

أن يتوجه إلى جليل مقامك ليفضي إليه بما يريد .

تعلم — يا سيدى الجليل — أن الأزهر ظل قروناً معتسفاً فى طريقه ، مكبلا بجموده ، قائما على طريق أبعدته عن أداء ما عليه ؛ فهو فى الدين لم يكشف بعد عن جليل أسراره لينشرها ، ولم يبين عقائده الصحيحة التى جاء بها ، ولم يستطع أن يثبت أن أحكامه الصائبة تساير نظام الإجتماع فى كل زمان ومكان . وفى الدنيا لم يشارك سائر الجامعات العلمية فى جميع أرجاء الأرض بقليل أو كثير فيما يتخذ من أسباب ونظم لإصلاح العمران . ولقد نهض أستاذك الإمام محمد عبده رحمه الله منذ أكثر من نصف قرن ليعمل على إصلاحه ، ويجعل له مقاماً يعلو به فاصطلحت عليه قوتان تعارضانه وتصدان عن سبيله ، أولاها من كان بيدهم الأمر يومئذ ، والأخرى المعوقون من الشيوخ الذين تراهم فى كل زمان لايعملون صالحاً ، ولا يقبلون إصلاحاً ، فقضى رحمه الله ولما يقض ما كان يحبه ويصبو إليه .

وجاء الإمام المراغى فكان كل ما رأيناه فى عهده أن تحرك الأزهر (فى مكانه) ولم يستطع الشيخ رحمه الله على كثير ماسبى أن يزحزحه أو يخطو به ، — واليوم — يلقى أمر هذا المعهد العظيم على عاتقك والمسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها ينظرون إلى ما سيكون شأنه فى عهدك ، ويرقبون تحقيق ما يأملونه على يدك . وإنك اليوم للمرجو والمسئول بين يدى الله وأمام العالم الإسلامى عن إصلاح هذا المعهد وتقويم ما اعوج منه ، فامض فى هذا السبيل بقوة وعزم ، واحشد لما تتخذ من ذرائع وما تبتغى من أسباب صادق العزم . ولا تن فى ذلك فقد توافرت فيك — ولك — كل أسباب الإصلاح وعوامل النجاح . فأنت فى نفسك من الفضل والعلم والكفاية بأعلى مناط العقد ، وأمامك الفاروق يأخذ بيدك فى الإصلاح إلى أقصى حد ، ووراءك الصفوة المختارة من طلاب الأزهر وشيوخه — والأمة جميعا معهم — يؤيدونك فى كل قصد ، حتى يبلغ الأزهر مكانته اللائقة به بين جامعات الأمم ، ويفاخر بحق بأنه كان أول جامعة شقت حجب الجهالة بين العرب والعجم .

أيها الأستاذ الجليل : لقد انشرحت صدور المسلمين جميعا بتوليك مقاليد أمور الأزهر وتمنوا أن يكون الله قد استجاب فيك دعوة أستاذك الإمام التى دعا بها قبل موته حيث قال :

فبارك على الإسلام وارزقه مرشدا
رشيدا يضىء النهج والليل قاتم
يماثلنى نطقاً وعلماً وحكمة
ويشبه متن السيف والسيف صارم

فحقق أيها الإمام المصلح رجاء المسلمين فيك ، وانهض بما كان أستاذك سينهض به من قبل والله معينك وكافيك .

محمود أبو ريه

حول كلمة « تاجيك » « Tadjik » :

قرأت فيما أنا متصفح للرسالة الغراء مقالة : « العرب » للدكتور جواد على فرأيتها بحثاً طيباً ، وتحقيقاً شاملا ، يشكر عليها الدكتور شكراً جزيلا .

وانتهت بى القراءة إلى فقرة من فقرات البحث يشرح فيها الدكتور لفظة « Taits » وما طرأ عليها من تغير وتطور وكيف أطلقت على العرب إلى أن قال :

« ونقل الفرس هذه الكلمة بصورة محرفة تحريفاً يلائم لغتهم فقالوا « تاجيك » « Tadjils » و « Tawih » و « Tawi » فى العهد الأخير » مستنداً إلى مصدر .

وعلى أى حال نحن واجدون ههنا مجالا للتحقيق فنقول : يطلق الفرس هذه الألفاظ الثلاثة « تاجيك » و « تاوك » و « تاوى » على المغول الذين غزوا إيران فبغداد فى القرن السابع الهجرى ، ويطلقونها أيضاً على بعض القبائل الشمالية فى إيران فيقولون : « ترك تاجيك » . وأما العرب فيعرفون عند الفرس بهذى اللفظة « تازى » « Tazi » ومعناها حرفياً « صحراوى » إذ أن لفظة « تاز » « Taz » تعنى فى اللغة الفارسية الأرض القفرة الخالية . ولما اشتهر العرب بأنهم قوم «صحراويون» أطلق عليهم الفرس هذه اللفظة بعد أن أضافوا إليها ياء النسبة فقالوا « تازى » فالمصدر الذى استند عليه الدكتور خاطىء بناء على هذا ألبتة .

(نجف) ح . م . ع



من ذكريات الشباب
اجترار
للأستاذ حبيب الزحلاوى

— ١ —

قرأ أربعة رجال من نزلاء مصر خبر الحفلة التى أزمع السوريون إقامتها لتكريم رئيس الوزراء الذى قدم مصر ليشترك فى حفلة افتتاح جامعة الدول العربية ، فطاب لكل واحد منهم مشاركة مواطنيه فى هذا التكريم الدال على أن الاغتراب عن الوطن والانتساب إلى غيره لا يحدان من العاطفة الوطنية ولا يصدان عن الحدب على أبناء وطنهم الأول ، بل على العكس ، يوقظ حادث كهذا الكثير من خبايا الذكريات الكامنة الحبيبة إلى النفس ، خصوصاً ذكريات الطفولة والمدرسة والصبى .

لعل الذين اشتركوا فى حفلة تكريم الوزير السورى ، كان وجدانهم يضطرب بهذا الشعور أو ما يقاربه من أحاسيس بريئة ، إلا أربعة رجال أزعم أنهم اشتركوا فى هذا الإحتفال بدافع يخالف تلك الدوافع ، ولعلنا لو سألنا كل واحد من هؤلاء الأربعة عن السبب لعجز عن ذكره .

رأيتهم يدخلون قاعة الإحتفال واحداً إثر واحد كأنهم على ميعاد ، ولاحظت أنه ما من واحد من أعضاء لجنة الاستقبال التفت إليهم أو خصهم بكلمة ترحيب .

أهرعت إليهم وحييتهم أطيب تحية وأجلستهم مجلساً حسناً .

وما كاد أولئك السادة يطمئنون فى مجلسهم حتى التفت كل منهم إلى جليسه ثم صوبوا نظرهم إلى فكانت مفاجأة من أبهج مفاجآت العمر وأحلاها ، وكان أبهج من ذلك وأحلى أننا نتعانق ونبكى .

كنا أصدقاء ، ولعل كلمة الصداقة تعجز عن تصوير الروابط الدموية التى كونت صداقتنا ، وقد فرقتنا حوادث جسام ابتدأت فى مستهل هذا القرن ، ولم ننج منها إلا عقب إخفاق الثورة الدرزية ، ولياذنا بمصر هذا البلد الأمين .

كنا فتيانا أغرارا يوم اقتفينا إثر زعمائنا فى مناصبة الدولة العثمانية العداء ، وكنا فى حمأة من الضلال يوم حاربنا الإنجليز فى « كوت الإمارة » وعلى ضفاف قناة السويس مع الجند العثمانى جنبا إلى جنب ، وكنا فى غمرة من الجهل يوم اقتادونا لننتظم فى جيش الخلافة نقاتل الأتراك ، وكنا فى جنون مطبق يوم قاتلنا الفرنسيين فى « ميسلون » على أبواب دمشق ، ثم لم يدركنا الرشد إلا بعيد فشل آخر ثورة دموية ، وكانت جبال الدروز ميدانا لآخر قتال اشتركنا فيه بعد حرب العصابات فى « غوطة » دمشق .

مرت بذهنى صور تلك الحادثات ، وتذكرت أياما قضيناها فى السجون ، تارة مجتمعين وتارة متفرقين ، أما الليلة ، أى بعد مضى حوالى ثلاثين عاما ، فقد جمعتنا مصادفة من مصادفات المناسبات لتكريم الوزير السورى الأول : الذى ساير ولا بد حياتنا الجهادية تلك التى فتحنا عليها أذهاننا قبل أن تفتح لأنوار المعرفة عقولنا .

هل يعرفنا الوزير ؟ هل نعرف الوزير ؟ من من شهود هذا الحفل الحاشد يعرفنا ؟ ! !

أسئلة ألقتها عيوننا بالنظرات ، وبالنظرات أجابت عنها ، فتفاهمنا كما كنا نتفاهم على تنفيذ أمر خطير مدبر ! فانسللنا من مكان الإجتماع متعاقبين ليضمنا مجلس هادئ نتكلم فيه على هوانا ! !

استوينا فى مقاعدنا بمقهى ندخن النارجيلة ونحتسى القهوة ، نتكلم عن ماضينا وكيف قطعنا مرحلة الشباب فى الثورات والتشرد والمحاكمات والسجون حتى وهنت عزائمنا ، وكلت هممنا فصرنا لا نصلح إلا لعلك حياتنا الماضية واجترار أحداثها .

قال أحدنا : « منذ أخفقت الثورة الدرزية بسبب اختصام زعمائها على الزعامة الكبرى ، وعلى استئثار كل فئة من المتحزبين بالأموال التى كانت ترد من هنا ومن هناك باسم الثورة ، انسللت من بين الصفوف ولذت بمصر أداوى جراحاً حملتها أوسمة لا تصدأ ولا تمجد حاملها ؟ ! !

فأجابه أحدهم مازحاً : « ظننت والله أنك سبقتنا إلى العالم الآخر » . فرد عليه بلهجة جدية قائلا : أتحسب وفاء منى أن أرحل وأترككم هنا ؟

وقال آخر : لقيت السلامة فى سكنى هذا البلد الذى لم يعرفنا أهله إلا عن طريق السياسة ؛ فصرت أعمل ، لا عمل المطمئن المستقر ، بل عمل إنسان « على سفر » . وبالرغم من هذا القلق المعنوى ، أسست تجارة ، وبنيت أسرة ، وتطورت ميولى الوطنية فصارت أشبه بميول المشتاق لحبيب بعيد ، واستوطنت مصر .

قال أحدهم يذكر صديقه بموقعة مع الفرنسيين وقعت لهما « برأس بعلبك » ، وذكر آخر حادثة ثانية وقعت له يوم ثورة « حماه » ، وذكر هذا واقعة جبال العلويين ، وذاك حادثة « القنيطرة » وأخذوا يذكرون حوادث لثورات أشعلوها على الإستعمار الفرنسى .

قلت وقد كفوا عن اللغط : حقا يا إخوانى إن ذكرياتكم سجل لتاريخ حقبة من حياة سوريه ، وإن هاتيكم الذكريات ستبقى مكتومة فى الصدور ، أو مبعثرة على ألسنة الرواة ، حتى تصادف مؤرخا غير مأجور على تلفيق تاريخ لسورية ، والآن وقد جمعتنا المصادفة ، هل لكم أن تذكروا أروع حادث وقع لكم فى جهادكم وأخطر موقف وقفتموه ؟

لم يدم صمتهم طويلا ، فقد انبرى واحد منهم وقال :

— ٢ —

لست أحسن التنميق ولا التزويق ، إنما أقص الواقعة كما وقعت : أخذنا الأعداء على غرة ، كانت أجنادهم فى ذلك النهار عديدة ، وكانوا لوفرتهم وتراصهم هدفا لطلقات من بنادقنا لا تخطىء ولا تطيش . أخذتنا نشوة الإمعان فى التقتيل ، وعلى الأخص حين رأينا طرائدنا تتلوى وتتساقط . كنا نسرف فى إطلاق الرصاص ونرمى رمى الواثق المطمئن ، ولكنى فطنت إلى نفاد ذخيرتى ، وكانت صناديق الذخيرة يحملها إلينا فى متاريسنا فتيان كتموا حماستهم من شدة سرورهم بالقتال والنصر . أخذت الشمس تزول وتنحدر ، ولم أفطن إلى عطش أو جوع ، وإنما فطنت إلى نفاد ذخيرتى ، ولما التفت إلى زميل كان إلى جانبى لأستعير منه طلقات لبندقيتى ، لقيته فى حالة من التوتر والإنفعال يعبر عنها بزغردات الظافر الناجى ، ولكن نشوة الظفر تلك لم تطل إذ افتقد جعبة (الخرطوش) فإذا بجيوبه فارغة ، فالتفت يطلب النجدة منى ، ولم نلبث أن سمعنا خطوات إخواننا تقترب منا تطلب قذائف .

أنى لنا بذخيرة لانعرف لها مستودعا غير أكتافنا والصناديق ملقاة على الأرض فارغة أمامنا ؟ أجمعنا على الإفلات من العدو الذى أدرك نفاد عتادنا فأخذ يتقدم بل يسرع فى الدنو منا .

عمدنا إلى خيولنا ، وكانت مربوطة فى غيضة تبعد قليلا عن ميدان المعركة ، وما كدنا نقطع بها البقعة الكثيفة الأشجار حتى تبين أن أسراباً من جند الأعداء تسرع من ناحيتين لتطويقنا . أطلقنا الأعنة لأفراسنا التى استثارتها صيحاتنا لننجو من الرصاص المصوب إلينا من الجانبين ومن الخلف وكان يتساقط علينا كالبرد .

ليس من المغالاة فى شىء أن أقول لكم يا إخوانى إن الخيول تنخو ككرام الرجال ، وتنتشى إذا انتصرت كطبائع الناس . إن أنس لا أنس كيف كنت أتشبث بعرف فرسى كالطفل ، وكيف ألصقت صدرى بالسرج ، تاركا لها العنان ، وكيف تمهلت ثم التفتت ، ثم أطلقت صهيلا تتحدى به اللاحقين بنا ، وتندد بعجزهم عن إدراكنا ، وأخذت تمشى الهوينا متبخترة كالغادة الهيفاء .

زال عنا خطر إحداق أعدائنا بنا ، وأخذنا نفكر أين نبيت وماذا نأكل . قال أحدنا يمازحنا ، ننام حيث تنام خيولنا ، ولكن هل فى وسعنا أن نأكل من زادها ؟ !

نبه مزاح صاحبنا معدنا فأخذنا نتلمسها ، وبينما نحن نلاطف معدنا الخاوية ، وإذا بأزيز طيارة يملأ الفضاء . نسينا الجوع كما نسيتنا معدنا ، وفى هنيهة وجيزة ، وبدافع من حب البقاء عمدنا إلى خيولنا ؛ فأنمناها على جوانبها متباعدات ، وانبطحنا بعيدين قليلا عنها .

عجباً لتلك الأفراس كيف أدركت الخطر الداهم فاستنامت كأنها خائفة مثلنا ، وكأن حب البقاء كان رائدها أيضا !

أخذت الطيارة تهبط كأنها فوقنا وتحوم حولنا . لقد كشفنا قائدها الخبيث ، رأيتها ترتفع ، ثم سمعت بأذني سكوت محركاتها ، وسمعت أيضا أزيز القنبلة في سقوطها وقد أدركت هدفها .

نزلت النازلة ورأيتها رأى العين تسقط على قيد أمتار منى ، أحسست أنا الذى ما آمنت قط بغير قدرة الإنسان ، أن كل ذرة من وجودى تهتف بقوة وضراعة تستنجد بخالق الإنسان ، وقدرت أنى ورفاقى من الموت على طرفة عين .

انقضت الثوانى والدقائق . لقد تفككت فى غضونها كل عضو فى مفاصلى إلا ذهنى فقد بقى فى يقظة يرتقب الموت المحتوم حين انفجار القنبلة ...

القنبلة لم تنفجر ! لم تنفجر القنبلة لأنها صادفت أرضاً رطبة !

آه ... يا للأسف ! ! صرخة صرخها أحد المنصتين ، وقد خرجت من أعماق صدره ، وقد أتبعها بقوله : « والله لو انفجرت تلك القنبلة الخائبة وجرحت فرسا من أفراسكم لجزعت عليها ، ولـكن الله سلم » ! ! !

(يتبع) **حبيب الزحلاوى**

محكمة ميت غمر الجزئية الوطنية

إعلان بيع عقار نشرة (ثالثة)

فى القضيتين رقم ١٤٥٩ سنة ١٩٤٤و/ ٢٥٣١ سنة ١٩٤٣

إنه فى يوم الأحد ٣ فبراير سنة ١٩٤٦ من الساعة الثامنة أفرنكى صباحاً بسراى محكمة ميت غمر الجزئية الوطنية سيباع بالمزاد العلنى العقاد الآتى بيانه بعد ملك متولى سالم عكر من حصة الرهبان مركز ميت غمر كطلب فاطمة الهنداوى صالح من جهة الراهبان فى القضية رقم ١٤٥٩ سنة ١٩٤٤ وفاء لمبلغ ٦٢ ج و٥٠٠ م وما يستجد من المصاريف بثمن أساسى قدره ٣٩ ج و٦٨٠ م بخلاف المصاريف بعد تنقيص مرتين و كطلب الخواجا وديع ملطى عبد السيو القاول بمصر بشارع الدرملى / ١١ ومحله المختار مكتب حضره الأستاذ سليم يوسف سعد المحامى بميت غمر فى القضية رقم ٢٥٣١ سنة ١٩٤٣ وفاء لمبلغ ٧٧ ج و٣٢٠ م بخلاف المصاريف وبثمن أساسى قدره ٦٤ ج بعد تنقيص الخمس مرتين .

نفاذاً لحكم نزع الملكية الصادر فى القضية الأولى بتاريخ ٤ / ٢ / ١٩٤٥ ومسجل بمحكمة المنصورة الكلية الوطنية فى ٦ / ٢ / ١٩٤٥ / ٩٠ وحكم نزع الملكية الصادر فى القضية الثانية من محكمة ميت غمر الوطنية فى ٢٨ / ١١ / ١٩٤٣ ومسجل بمحكمة المنصورة الكلية الوطنية / ٤٤ جزء ٨٢ فى ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٤٣

وهذا بيان العقار الكائن بزمام ناحية حصة الرهبان مركز ميت غمر دقهلية

س ٥ ط ١ فدان ٠٠ فدان المينا البحرى الحوض ٩ رقم القطعة ٦٨ أصلية تعامل البحرى القطعة / ٦٧ بحوضه ملك ورثة سالم والشرقى القطعة / ٩٦ بحوضه ملك الخوجا ينى نقولا جورجى زجور وما للى والقبلى القطعة / ٧ بحوضه ملك إبراهيم سالم سالم عكر والغربى فاصل حوض / ٦

١٩ ٦٩ ٤ ٧ س ٠٠ ط / المنيا البحرى الحد البحرى ورثة سالم عكر بالقطعة / ٧ بحوضه والشرقى الخواجا ينى نقولا جورجى زجور ما للى بالقطعة ن ٩٦ بحوضه والقبلى ورثة سالم عكر بالقطعة خصوصية مناقصة فاصل ٦٨ بحوضه والغربى مسقة حوض / ٦

١٩ ٧٠ ١٧ س ٣ ط ٠٠ ف / ٧ المينا البحرى الحد البحرى عزب عبده ضيف بالقطعة / ٢٠ بحوضه وشرقى الخواجا ينى نقولا جورجى زجور وما للى بالقطعة ن ٩٦ بحوضه والقبلى ورثة سالم عكر بالمطفة / ٩٦ بحوضه والغربى فاصل حوض ن ٦

٥ س ٩ ط ٠٠ فدان ما قبله فقط تسعة قراريط وخمسة أسهم أطيان

فعلى راغبى الشراء الحضور للمزايدة وشروط البيع وكافة الأوراق مودعة بقلم الكتاب لمن يريد الاطلاع عليها ؟

كاتب البيوع

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

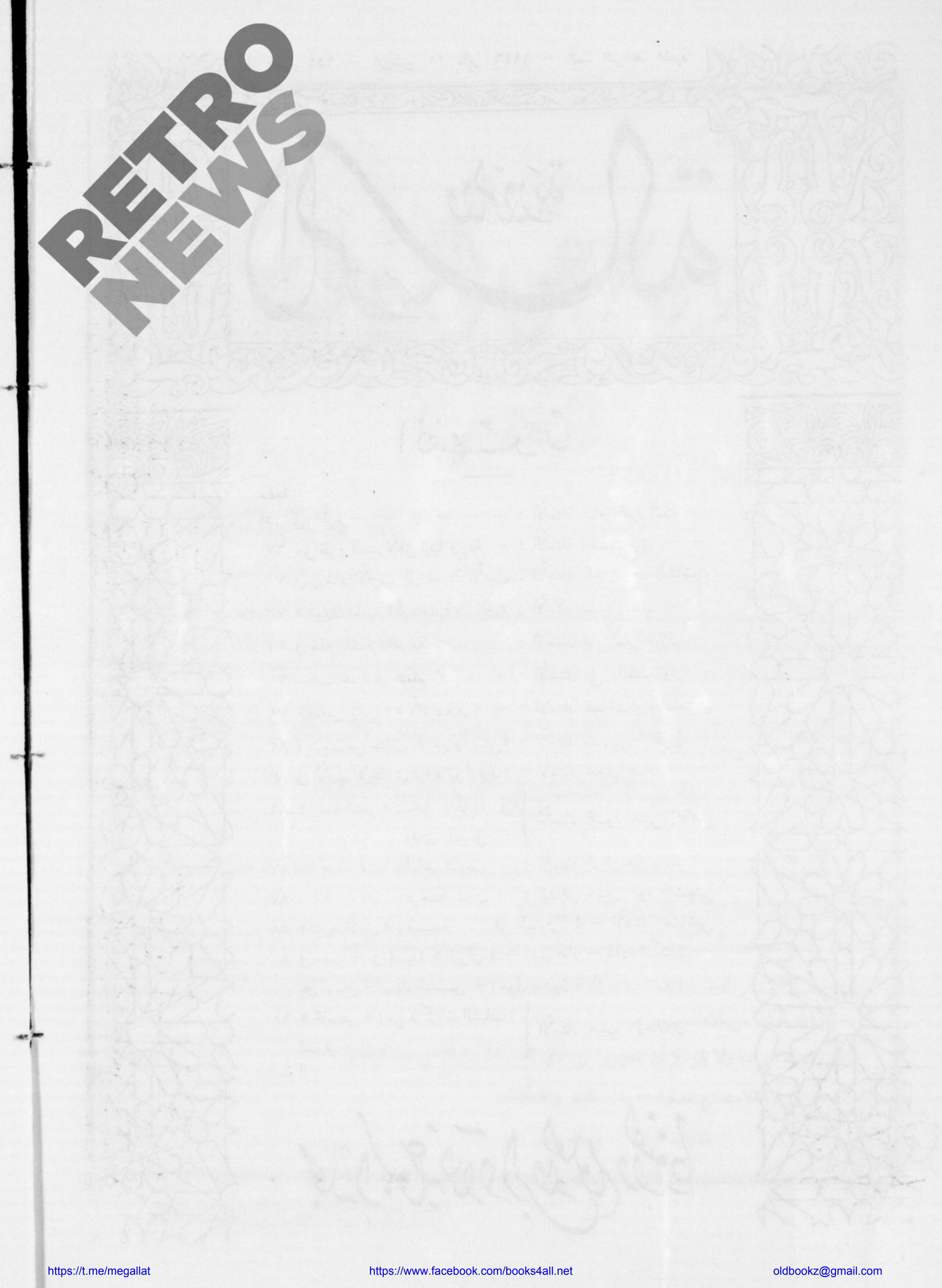


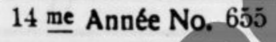
العدد ٦٥٥ - الاثنين ٢١ يناير ١٩٤٦ - السنة الرابعة عشرة



الفهرس

مجلة الأسبوعية للآداب والعلوم والفنون




14 me Année No. 655

Lundi —21—1—1946

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
ــــ
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العــــدد ٦٥٥ « القاهرة فى يوم الإثنين ١٧ صفر سنة ١٣٦٥هـ — ٢١ يناير سنة ١٩٤٦ » السنة الرابعة عشرة

فى الحـــــرم

للأستاذ عباس محمود العقاد

ركبنا البحر ونحن لا نعلم على التحقيق أين نلتقى صاحب الجلالة الملك عبد العزيز آل سعود ، لأن برنامج الرحلة لا يشير إلى المكان

فمن الجائز أن يكون فى جدة ، لأنها الميناء الذى ينتقل منه جلالته إلى يخت المحروسة ، ولجلالته قصر منيف فى أرباضها هو القصر المعروف بقصر خزام

ومن الجائز أن يكون فى مكة المكرمة ، لأن اليخت يصل إلى جدة قبل سفر جلالته بيومين

فإذا كان استقبال البعثة الملكية فى جدة فلا عمرة ولا إحرام ، وإذا كان الاستقبال فى مكة المكرمة ، فقد وجبت العمرة ووجب الإحرام

ولكن كيف السبيل إلى الإحرام ؟ وكيف السبيل إلى خلع المخيط فى الشتاء ، وإن كان الجو فى مكة أدفأ من جو القاهرة بدرجات ؟

إننى ألبس الصوف شتاء وصيفاً منذ خمس وعشرين سنة ، وإذا صح أن « الصوفى » منسوب إلى الصوف ، فليس على ظهر الأرض رجل أحق منى بهذه الصفة ، فكيف السبيل إلى التحلل من هذه الصفة التى لصقت بالموصوف ، فلا فكاك منها ولا فرار ؟

جاءنا النبأ فى عرض البحر بأن صاحب الجلالة عاهل الجزيرة العربية يستقبلنا فى قصره العامر بمكة المكرمة ، فنوينا الفدية ، ونوى أصحابنا الإحرام ، ولم يبق معى بملابسه غير الأستاذ عوض البحراوى بك وزير مصر المفوض فى المملكة السعودية ، لأن الإحرام لا يلزمه ، وإنما يلزمه أن يطوف بالكعبة عند مغادرة مكة طواف الوداع

وقد خصصت الحكومة السعودية قصر « الكندرة » بجدة لتبديل الملابس قبل المسير إلى الحرم الشريف . وتولى الإشراف على راحة البعثة ومن معها صاحب المعالى الشيخ يوسف ياسين وزير الدولة ، وصاحب العزة الأستاذ فؤاد شاكر مدير المطبوعات . فلما تهيأ أصحابنا للسفر تحرك الركب بالسيارات ، فكان من نصيبى الركوب فى سيارة الوزير المفوض عوض البحراوى بك ، وهو رجل فاضل عرف أهل البلاد كما عرفه أهلها ، فانعقدت بينه وبينهم صلات المودة والزمالة ، وارتفعت بينهم الكلفة كل الارتفاع فيما عدا المراسم التى تقضى بها المعاملات الدولية ، وقد عبر الطريق مرات فعلمت منه كل ما احتجت إلى علمه من معالمها وأحوالها ، ووصلت إلى مكة بزاد غير قليل من المعرفة العملية بالحجاز .

***

هذه جبال مكة

وهذا جبل حراء

بلغناه بعد ساعة ونصف ساعة من السير المعتدل فى السيارة ، ومررنا إليه بمناظر كثيرة نرى أمثالها فى بلادنا ، ولا سيما بلدى الذى نشأت فيه ، وأعنى به أسوان : جبال وبطاح ومراع يتخللها العشب فى الأودية والسفوح ، وبعض الجبال يليح لنا بألوان المعادن التى يحتويها ، وبعض البطاح ينم على مجارى الماء فى باطنه القريب

كل ذلك مألوف نرى أمثاله حيث نشأنا على مقربة من صحراء أسوان ، أما الجديد كل الجدة على النظر وعلى النفس فهو غار حراء

هو قمة مرتفعة فى جبل ، كأنما بنيت بناء على شكل القبة المستطيلة إلى الأعلى ، ولكنها عسيرة المرتقى لا يبلغها المصعد فيها إلا من شعاب وراء شعاب

أخبرنى من صعدوه أنهم كانوا يعانون شديد العناء من وعورة مرتقاه ، وأن القليل من الناس يصمد فى صعوده إلى نهايته العليا ، حيث كان الرسول عليه السلام يتنسك ويبتهل إلى الله

والحق أن الرؤية غير السماع

والحق أن ما يلمحه الناظر فى نظرة خاطفة قد يعيى الكاتب بوصفه فى الصحف والأسفار

والحق أننا قرأنا ما قرأنا عن الجبل وعن الغار ، ثم نظرنا إليهما ، فعلمنا أن القراءة قد تركت الكثير من فراغ النفس لتملأه هذه النظرة العابرة فى الطريق

مررنا به عابرين كما كان سكان البلاد يمرون به غادين رائحين فى غفلة عن ذلك الرجل المفرد الذى يأوى إليه ويسكن إلى غاره .

كانوا فى غفلة عن ذلك الرجل المتوحد فى سبيل التوحيد ، كما كان العالم كله فى مثل تلك الغفلة وفى مثل تلك الظلمات

ولكنها كانت ساعات يرتبط بها تاريخ أحقاب ودهور ، فلما انقضت مدتها لم يبق فى الأرض المعمورة غافل عن ضيف ذلك الغار ، أو جاهل بآثار تلك الساعات التى كان يقضيها فيه بالليل والنهار

وحسبك نظرة واحدة إلى الجبل ومرتقاه لتحيط بعض الإحاطة بتلك النوازع المرهوبة التى كانت تنهض بالرسول فى صباه إلى ذروة تلك القمة مرات بعد مرات وأياماً بعد أيام

كل مرة من تلك المرات تترجم لنا عن قوة تلك البواعث المحتدمة فى نفسه الشريفة ، وترينا كيف بلغت هذه البواعث المحتدمة أن تدفع بالعالم كله فى طريق غير طريقه ، وإلى غاية لم تكن له من قبل فى حساب ، فلولا لاعج من الشوق الإلهى ينهض بالروح والجسد نهضة لا تصبر عليها طبيعة البشر لما توالت تلك المصاعد ولا تعاقب ذلك العكوف

إن اللواعج التى حملت الرسول إلى مرتقى الغار هى السر الروحانى الذى استجاش العالم كله بعد ذلك فى حركة دافقة تقتحم السدود وتخترق الأسوار والحدود

وكل أولئك كان فى نشأته الأولى خاطراً فى قلب رجل وحيد يتفرد فى سبيل التوحيد

وكل ذلك السيل الجارف إنما تجمع قطرات عند هذه القمة العالية

كل ذلك كان فى هذا المكان

* * *

وعبرنا خاشعين مطرقين ، وسكتنا لأن مهبط الوحى هنالك قد ألهمنا السكوت

مكان آخر عند الكعبة كان له فى قلوبنا مثل هذا الخشوع ومثل هذا الرجوع مع الزمن إلى أيام الرسالة وأيام الجهاد

ذلك هو موقف الدعاء الذى كان الرسول عليه السلام يختار الوقوف فيه كلما طاف بالكعبة ودعى إلى الله

أنت هنا لا ريب فى مقام قام فيه ذلك الرسول الكريم ، ذلك السر السرمدى الذى تتعلق به مقادير التاريخ ومصائر الأمم وضمائر بنى الإنسان ، ذلك الإنسان الذى يقترن اسمه فى صلوات الألوف بعد الألوف باسم خالق الكون العظيم

أنت هنا تقف حيث وقف وتدعو حيث دعا وتنظر حيث نظر وتحوم بنفسك حيث حام فى اليقظة لا فى المنام

قيل لنا : هنا يستجاب الدعاء

قلنا نعم : هنا أخلق مكان أن يستجاب فيه دعاء ، وألهم الله كلا من الواقفين معنا أن يدعو دعاءه وأن يستجمع فى الدنيا والآخرة رجاءه ، وساق إلى لسانى هذه الدعوة فدعوت : اللهم أولنى ما أريد لى وللناس ، واجعل الخير كل الخير فيما أريد لى وللناس

وما بى من حاجة فى الحياة إذا استجيب هذا الدعاء

***

منظر ثالث أخذنى بجماله فى جوار البيت الحرام ، وهو منظر الحمام الآمن الوادع فى ذلك المقام

لا يخشى ولا يفزع ، بل يظل طوال نهاره فى طواف على الأرض وطواف على الهواء

وأعجب ما سمعت ورأيت أنه يطوف حول الكعبة ولا يعلو عليها فرادى ولا جماعات

وقد سمعت بهذه الخاصة فى حمام البيت قبل أن أراه ، فلما رأيته فى طواف العمرة وطواف الوداع تحريت أن أتعقبه فى كل مذهب من مذاهب مطاره ، فإذا هو كما سمعت يطوف ولا يتعدى المطاف إلى العبور

أدب الناس فى هذا المقام المهيب نعرف سره ونعرف مصدر الوحى منه إلى القلوب الآدمية

أما أدب الطير فى هذا المقام فسره عند الله

***

وأمن الحمام يذكرنى بأمن السائلين فى جوار الكعبة وجوار المسجد الحرام

إنهم ليتدفعون حول الزائرين ولا يتجملون كما يتجمل الطير فيقطع بعضهم رزق بعض ، ولا يدعون لمن يريد أن يعطى سبيل العطاء

وهم فى أمان لا يهانون ولا يصيبهم الأذى من الشرطة فى جوار البيت الذى يأمن فيه الخائفون

وحسن هذا وايم الله

حسن أن يأمن المساكين كل سطوة فى حرم الأمان ، وأحسن منه أن يجيئهم الوازع من القلوب والعقول لا من العصى والسياط

فإن كان فى تهافت السائلين على صغائر الدنيا غضاضة ، فإن فى هذا الأمان لقداسة البيت العتيق ، وإنه لمن القداسة أن يتعلم الإنسان كيف يجيب من يسألونه ، وهو يدعو الله ويرجو أن يستجاب .

عباس محمود العقاد

حق تقرير المصير لأهل ليبيا وبرقة

للأستاذ أحمد رمزى

في أحد شهور عام ١٩١١ ، روّع العالم الإسلامى والعربى ، بخبر اعتداء صارخ ، قامت به إيطاليا ، على القطر الطرابلسى ، بغير إعلان حرب وبدون مسوّغ ، ولم يكن هناك نزاع أو ما يشبه النزاع ، بل هناك أمن وسلام ، ولم يعلم الناس بأمر مفاوضة انقطعت أو أمر اختلاف على مبدأ أو رأى أو قاعدة مما تختلف عليه الأمم والشعوب فيُتخذ ذريعة للحرب ، بل لم يسمعوا بشىء أو بعض الشىء مما يحضر الأذهان لمثل هذا العدوان ، وينبه العقول لمقدمه .

***

وإنما سيرت إيطاليا بوارجها وجحافلها ، واستيقظ أهل مدن طرابلس وبنغازى ودرنة الآمنة ، على أصوات المدافع وجللها المتفجرة ، تقذف عليهم الحمم والموت فى عقر دارهم . فيالله ! عندئذ وجمت النفوس — كنا صغاراً لا نعقل من الأمر شيئا ، ولكننا لمسنا الألم والأسى ، مرتسمين على وجوه الآباء والأهل والعشيرة والجيران ، تحزنت قلوبنا لحزنهم وتألمنا لألمهم .

كنا صغاراً نلعب ونلهو — فتركنا اللهو وقاطعنا اللعب ، وشعر كل منا ، بأن ساعة فاصلة فى حياته قد دقت ، نعم كان وقع الاعتداء شاملا ، وكان الجرح عميقاً ليس من الجراح التى تبرأ وتلتئم وتنسى مع الزمن .

وسرت بين الناس موجة دافعة ، من تلك الموجات التى تملأ النفوس والمشاعر ، وتخفق لها القلوب ، لرد العدوان ، وارتجت مصر من أقصاها ، فمن كتب عليهم القتال من المجاهدين قاتلوا وقتلوا ، ومن لم يقدر على تحمله جاد بالمال عن نفسه وبنيه . وأتى المجاهد أنور ومعه حفنة ممن باعوا أنفسهم فى سبيل الله ، وصمدت عرب طرابلس وعرب برقة وعلى رأسهم السيد أحمد السنوسى ، ليكتبوا بدمائهم ملحمة من ملاحم الملثمين والموحدين فى دفاعهم وجهادهم واستماتتهم عن أرض أندلس ، فواجهوا الموت

وعاينوا الهزيمة ، كما لاح لهم الظفر والمجد ، وقاتلوا وانتصروا واستشهدوا ، وامتلأت أيديهم بالعتاد والسلاح وأسرى العدو .

***

وانتهت الحرب بقيام حرب أشد هولا ، هى حرب البلقان ، نخفتت أصوات المجاهدين ، واتجهت الأنظار لمعارك فى جبهة مقدونيا ، وتساءل الناس عن المصير .

أما مقدونيا فرثاها شوقى بقوله :

يا أخت أندلس عليك سلام هوت الخلافة عنك والاسلام

وأما ليبيا وبرقة فقد استحوذ عليهما الطليان ، ورتل قائل بشعر قديم[1] فقال :

أحقاً خبا من جو رُندة نورها
وقد كسفت بعد الشموس بدورها

وقد أظلمت أرجاؤها وتزلزلت منازلها ذات العلا وقصورها
أحقا خليلى أن رُندة أقفرت وأزعج عنها أهلها وعشيرها
وهدت مبانيها وثلت عروشها ودارت على قطب التفرق دورها
ترى للأسى أعلامها وهى خشع ومنبرها مستعبد وسريرها
ومأمومها ساهى الحجى وإمامها وزائرها فى مأتم ومزورها

كلا لم تدم تلك المحنة ، ولم تصبر على الضيم نفوس أبت إلا أن تعيش فى ظلال الكرامة والعزة ، وقامت الحرب العظمى الأولى سنة ١٩١٤ ، ودخلت إيطاليا الحرب ، فارتجت البلاد ، وغمرتها تكبيرة المجاهدين ، والدعوة إلى الخلاص ، وبدأت ملحمة جديدة من تلك الملاحم الخالدة فى تاريخ العروبة ، التى تقاتل فيها فئة صغيرة فئة كبيرة — فيأتيها النصر من عند الله .

***

لقد فرحت مصر وفرحنا بمعارك درنة ، وعين زارة[2] وغيرها ، من التى منّ الله بها على المجاهدين والمرابطين وذوى البأس فى قتال الطليان ، وكان ذلك إبان الحرب التركية عامى ١٩١١ — ١٩١٢ . أما أيام الحرب العظمى فقد سار المجاهدون فيها من نصر إلى نصر ، بل كان كل يوم يمر يأتى إليهم بنصر جديد من عند الله ، ولم تمض ١٩١٥ إلا وقد زحزحوا الطليان عن برقة ، واستعادوا فزّان ، واقتحموا حصونهم ومعاقلهم واحداً بعد الآخر ، واستحوذوا على أسلحتهم وسياراتهم وأسروا كتائبهم المرتزقة ، من سود وحبش وغيرهم ، وساقوهم بأسلحة الطليان لقتال الطليان ، وتلك والله مقدرة لأهل برقة وليبيا .

وتتبعوا المنهزمين وسدوا عليهم المنافذ والطرق ، وفى يوم أصبحت العاصمة تحت أزيز رصاصهم ، وغدا الساحل تحت سيطرتهم ، فأتتهم المؤن والذخائر من حيث شاءوا .

فهل رأيتم دفعة كهذه الدفعة ، أو قوة من المستضعفين يملؤها الايمان والثقة فى النفس والدعوة إلى الحق والقتال فى سبيل الله ، عملت فى القرن العشرين عملا يشبه هذا ؟ إنها وايم الله وقفة رائعة ...

***

وانتهت الحرب العظمى الأولى سنة ١٩١٨ ، وتدخل الانجليز بين الطليان وأهالى البلاد فاعترفوا بنظام ليبيا ومسراطة وأقروا إمارة برقة ، ووقعوا المعاهدتين وضمنوا استقلال الداخل ، وخيل للناس أن عهداً من الطمأنينة والأمن قد أشرق ، كان هذا وإيطاليا تلبس لباس الديمقراطية وتتئد .

وفى يوم من أيام موسولينى ، بعد أن اغتصب الحكم فى بلاده ، عبث الثعلب المستأسد بمواثيق بلاده وضماناتها وقيودها ، وحنث بالايمان المأخوذة ، وأثار حرباً ضروسا مهلكة ، يحاول بأساليبها إبادة شعب بأسره ، كانت تعليماته وقراراته وأوامره واضحة لا شبهة فيها ، فليراجعها من يشاء ، يجدها فى كتبهم وما نشره قوادهم .

أمامنا ما كتبه فولبى عن عهده ، وما أذاعه جرانزيانى ، وما خطه بادوليو ، فليقرأ كل من يشك فيما نكتب أو تحدثه نفسه أننا ننطق عن الهوى .

وكان أمامهم شعب أبى ، يرغب أن يحيا حياته على النحو الذى يريده هو ، لا كما يريد النير أن يكون عليه ، قد صمم أن يعيش بغير أن تفرض عليه سيادة روما وسياطها شعب يأنف أن تبسط عليه شخصية غريبة عنه ، غير الشخصية المنبثقة من روحه وإيمانه وتاريخه وكتاب الله ، أمة لا ترضى بلغتها وثقافتها بديلا ولو أعطيت الكون بأكله ، وهى لا تتراجع إن تدفع العدوان بما لديها من شجاعة وصبر ومجالدة .

---

(١) من مراثى الأندلس ومن نظم أبى جعفر بن خاتمة فى حوالى سنة ٩٠٤ هجرية ، أوردها الأمير شكيب أرسلان فى كتابه : (الحلل السندسية) . (٢) تبعد ١١ كيلومتراً من مدينة طرابلس وهى واحة .

قابل هذا الشعب ، صدمة الخيانة بشجاعة نادرة ، رأى الحرب تفرض عليه فى دياره ، فواجهها كما يواجهها كل مقاتل كريم كتبت عليه التضحية فقدم بنيه وأحفاده ، ضُيق عليه الخناق بحصار من البر والبحر ، فتحمل وصبر ، أوذى فى نفسه ومعاشه وماله ودكت بيوته ، ولكن لم ينزل على حكم ظالميه ، ولا طوى مطلباً من مطالبه ، ولا تراجع عن مبدأ من مبادئه .

واتبعت إيطاليا سياسة العنف والتشريد ، فلم ترع شيخاً ولا مقعداً ولا طفلا ولا رضيعا ، خربت المنازل وأفنت قبائل ، وحولت بقاعا عامرة فجعلتها صعيدا جردا .

وفى تلك الحقبة المظلمة ، والعالم لا يعرف شيئا ، عن مأساة أهل ليبيا وبرقة ، ظهر عمر المختار ، وكلنا قد سمع عنه ، وعن عراكه وكفاحه وجهاده ، فاسألوا أنصاره ورجاله ، ينبئوكم عن حوادث عشرين عاما متتالية ، والحرب سجال ، يوم لك ، ويوم عليك .

هذا هو الشعب الأبى الكريم الذى حررته الديموقراطية فى الحرب الأخيرة ، واتخذت من اسمه عنوانا ومثلا لتحرير الشعوب المظلومة المغلوبة على أمرها . والذى جمعت من أفراده ورجاله المتطوعة ، وحاربت بهم ، وقالت للعالم هأنذا قد أرجعت الحق لأهله ، وأنقذت أول شعب وقع العدوان عليه ، وأزلت أثر الظلم والطغيان عن عاتقيه .

* * *

وترقب أهل البلاد نعمة الخلاص ، وباتوا يعلقون الآمال ، فماذا يراد بهم اليوم ؟ إننا لنسمع الكثير من اللغط . فمن قائل بعودة هذه الأرض البائسة إلى سادتها الطليان ، ومن قائل سلموها للروس ، وآخر يقول بانتداب الغير عليهم كأن هذه البلاد خلو من السكان .

إنه ليهمنا نحن معاشر الأمم العربية ، شأن برقة وليبيا ، ويهمنا شعب هذه البلاد . لماذا ؟ لأننا منه وهو منا ، إنها لصلات الدم والقربى والثقافة والتاريخ الحى ، لا التحجر الجامد ، ثم ما يوحيه هذا التاريخ المشترك من ذكريات الجهاد والنصر والهزيمة .

إننا نعبر عن رأيه ونقول : هذا الشعب لا يريد شيئا مستغربا أو فوق متناول يد الإنسان ، إنه يريد أن ينعم بحدوده وبلاده وموقعه الجغرافى واستقلاله وحريته — أى بتقرير مصيره — فهو يطلب كيانا تحت الشمس ، كغيره من عباد الله ، شأنه شأن بقية الشعوب الصغيرة .

فهل تجاب دعوته ، وهل يحسب لتضحياته حساب ، وهل يعترف بجهوده ؟

أم ستتعرض بلاده للبتر والتقسيم ، ويوضع مصيره وحريته ليضارب بها فى سوق توزيع مناطق النفوذ .

الله يشهد أن هذه الأرض فقيرة ، وأن تجربة إسكان الأوروبيين التى قامت بها إيطاليا لم تنجح ، فهل يقنع هذا الأقطاب الثلاثة بإعادة الحق لذويه أم ترد إلى سيطرة إيطاليا أو وصايتها نيابة عن الأمم المتحدة ؟

أظن أن المنطق الأولى يقول : إن الأمم العربية ومعها شعوب الأرض الحرة بأكلها ، لن تقبل ولن تسلم بعودة شعب شهيد ، قد ذاق مرارة الاضطهاد إلى سيطرة جلاديه .

ونحن وإن كنا لا نصدق هذا ، ونجده بعيداً عن المثل العليا ، التى أعلنتها الدول المتحدة ، لا نر غضاضة على أنفسنا ، أن نصارح الأمم التى تسيطر على الأرض ببعض الحقائق فنقول :

إن حق أهالى هذه البلاد الشقيقة فى تقرير مصيرهم لا ينازع وأن إقرار استقلال البلاد وإيجاد حكومة ديموقراطية ، أمانة فى يد الأمم المنتصرة ، حسب وعودها المتكررة .

كان عدد سكان ليبيا وبرقة العرب فى مستهل عام ١٩١٠ أكثر من مليون نسمة ، وقد هبط هذا العدد إلى أقل من النصف ، على أثر سياسة التشريد التى اتبعتها الحكومة الفاشستية فكأن هذا الشعب قد بذل من الأنفس والأرواح دفاعاً عن كيانه واستقلاله ما لم يبذله الشعب الإيطالى طوال قرن من الزمن ثمنا لتحريره . فهل رأيتم شعبا يضحى بنصف عدده فى سبيل مثله العليا ؟

هذا هو الشعب العربى فى ليبيا وبرقة .

احمد رمزى

القنصل العام السابق بسوريا ولبنان

في إرشاد الأريب
إلى معرفة الاديب
للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

— ٢٣ —

ج ٧ ص ٢٣٦ : حدث السمعاني عن أحمد بن سعد العجلي قال : كان السلطان نازلا على باب همذان فرأيت الأديب الأبيوردي راجعاً من عندهم ، فقلت له : من أين ؟ فأنشأ يقول ارتجالا :

ركبت طِرفي فأذرى دمعه أسفا عند انصرافي منهم مضمر الياس
وقال : حتام تؤذيني فان سنحت جوائح لك فاركبني إلى الناس

وجاء في الشرح : سنحت جوائح : جرى فألك باليمن .

قلت : (سنحت سوانح لك) أي خطرت على بالك خواطر أوخطرات . في التاج : سنح الرأي والشعرلي: عرض لي أوتيسر. وفي الصحاح : سنح لي رأي في كذا أي عرض .

وقد يراد بالسوانح جمع السانح ، وهو ما كانت العرب في القديم تتيمن به . ومن أمثالهم : (من لي بالسانح بعد البارح) والسانح ما أتاك عن يمينك من ظبي أو طائر أو غير ذلك ، والبارح ما أتاك من ذلك عن يسارك ، ومنهم من يتشاءم بالسانح ويتيمن بالبارح ...

لم أجد هذين البيتين ومقاطيع كثيرة في (الإرشاد) وفي (الوفيات) في ديوان الأبيوردي المطبوع في بيروت سنة ١٣١٧. ولهذا الشاعر الأموي ميمية خالدة ألهمه الله إياها في (الحروب الصليبية) لم تسعد بها تلك الطبعة . ولم يذكر منها في (الإرشاد والوفيات) شيء . وقد ذكرها العلامة النويري في (نهاية الأرب[1]) قال : « قال أبو المظفر[2] الأبيوردي لما استولى الفرنج على البيت المقدس في سنة (٤٩٢) قصيدة[1] منها » وروى اثنين وعشرين بيتا . يقول الأموي في هذه الخالدة المخلدة :

فإيها بني الإسلام ، إن وراءكم وقائع يلحقن الذرى بالمناسم[2]
أتهويمة في ظل أمن وغبطة وعيش كنوار الخميلة ناعم
وإخوانكم بالشام يضحى مقيلهم ظهور المذاكي أو بطون القشاعم
يسومهم الروم الهوان وأنتم تجرون ذيل الخفض فعل المسالم
وتلك حروب من يغبْ عن غمارها ليسلم يقرعْ بعدها سن نادم
أرى أمتي لا يشرعون إلى العدى رماحهم والدين واهي الدعائم
أترضى صناديد الأعاريب بالأذى وتغضي على ذل كماة الأعاجم
فليتهم إذ لم يذودوا حمية عن الدين ضنوا غيرة بالمحارم
لئن أذعنت تلك الخياشيم للبرى فلا عطست إلا بأجدع راغم[3]
دعونا كم والحرب ترنو ملحة إلينا بألحاظ النسور القشاعم
تراقب فينا غارة عربية تطيل عليها الروم عض الأباهم

* * *

ج ٥ ص ٢٣٣ : قال : (أسامة بن مرشد بن منقذ) ، في أخيه يحيى :

بالشام لي حدث وجدت بفقده وجدا يكاد القلب منه يذوب
فيه من البأس المهيب صواعق تخشى ومن ماء السماء قليب

---

(١) جـ ٥ صـ ٢٢٣ . كان العلامة الأستاذ السيد طه الراوي سأل هذا الضعيف في المهرجان العلائي — والسائل أعلم من المسئول — عن مظنة هذه الدرة فلم أتذكرها وقتئذ .

(٢) في (نهاية الأرب) : المظفر ، وهو أبو المظفر ، كما ذكر ابن خلكان .

(١) كانت وفاة الأبيوردي سنه ٥٥٧ فهل نظم هذه القصيدة وهو صغير أم نظمها بعد ذلك التاريخ .

(٢) (إيها) للكف والسكوت و (ويها) للاغراء والتحريض . وقد روي اللسان والتاج هذا البيت لحاتم الطائي شاهدا للأولى :

أيها فدى لكم أمي وما ولدت حاموا على مجدكم واكفوا من اتكلا

ورويناه في (ويها) شاهدا للمغرية المحرضة .

(٣) في نهاية الأرب للثرى — بالثاء — وهي للبرى بالباء . في اللسان : البرة الحلقة في أنف البعير من صفر أو غيره ، وإذا كانت البرة من شعر فهي الخزامة . في الصحاح : قد خشت الناقة وعرتها وزممتها وخطمتها وأبريتها هذه وحدها بالألف إذا جعلت في أنفها البرة .

قلت : لئن أذعنت ... فلا عطست . الجواب هو القسم وقد جاء هنا للشرط . وما أظنّ أن الأصل : (إذا أذعنت) فهذا الاستعمال في كلام المحدثين كثير .

فارقت حتى حسن صبري بعده وهجرت حتى النوم وهو حبيب

وجاء في الشرح : حدث أي رجل فتى .

قلت : جدث ، وهم يعنون من فيه . قال الحماسى (متمم ابن نويرة) :

فقال أتبكى كل قبر رأيته لقبر ثوى بين اللوى فالدكادك

وقال الحماسى (مسلم بن الوليد) :

قبر بحلوان استسر ضريحه خطرا تقاصر دونه الأخطار

في التاج : ابن برى : ثوى أقام في قبره .

* * *

ج ٦ ص ١٦٠ : ومن شعره (الجوهرى صاحب الصحاح) :

يا صاحب الدعوة لا تجزعن فكلنا أزهد من كرّز

فالماء كالعنبر في قومس من عزه يجعل في الحرز

فسقّنا ماء بلا منـــة وأنت في حل من الخبز

وجاء في الشرح : الكرّز اللئيم الخبيث ، وفي الأساس : لا أحوجك إلى كرز أي إلى غنى لئيم .

قلت : (فكلنا أزهد من كرْز) إن اللئيم لن يكون زاهدا دع عنك أمر القافية . وربما عنى الجوهرى كرز بن جابر الفهرى أو كرز بن أسامة العامرى أو كرزا التميمى ، وهم صحابيون (رضوان الله عليهم) أو كرز بن وبرة وهو تابعى (عليه رحمة الله) أو زاهدا من زهاد زمانه اسمه كرز . والكرز هو كما نقل في الشرح من الأساس ، وعبارته هي « لا أحوجك الله إلى كرز » ومن معانى الكرز ما ذكر الإمام موهوب الجواليقى في كتابه (المعرب)[1] ص ٢٨٠ :

الكرز البازى ، وهو الرجل الحاذق ، وأصله بالفارسية (كرّه) قال ابن دريد : الكرز الطائر يحول عليه الحول من طيور الجوارح ، وأصله (كره) فعرب فقيل : كرز .

* * *

ج ١٣ ص ١٩٤ : ... اذهب بهذين إلى الكسائى حتى يتناظرا بين يديه ثم يخبرك لمن الفلج منهما .

(١) طبعته (دار الكتب المصرية) « بتحقيق وشرح الشيخ أبي الأشبال أحمد محمد شاكر » ، و « تقديم الكتاب بقلم الدكتور عبد الوهاب عزام » .

وجاء في الشرح : الفلج الفوز ، أقول : وربما كانت الفلج أي النصر .

قلت : هي الفلج . في الأساس : فلجت على خصمك ، ولمن الفلج والفلج . وفي السادسة والعشرين الحريرية وتعرف بالرقطاء : « من لف لفه فلج وغلب » . والفلح يحمل من المعانى أكثر من الفوز الذي فسر به . في التاج : الفلح والفلاح الفوز بما يغتبط به وفيه صلاح الحال والنجاة والبقاء في النعيم والخير . وفي النهاية : حيّ على الفلاح : الفلاح البقاء والفوز والظفر أي هلموا إلى سبب البقاء في الجنة والفوز بها وهو الصلاة في الجماعة .

* * *

ج ٨ ص ٤١ : (أفضل الدين أبو عمرو عثمان بن عبد الملك في الحسن أحمد العطار الهمذانى) :

صبرا فأيام الهموم تزول والدهر يعطيك المنى وينيل

لا تيأسن إذا ألم ملمة إن الشدائد تعترى وتحول

لا تشتغل بالعسر واطو مشمرا بسط الفيافى والشباب مقيل

والبس سواد الليل مرتديا به إن التجلد للرجال جميل

حتى تنيخ العيس في كنف العلا حيث التحرم بالنجىّ كفيل

وجاء في شرح البيت الثالث : ويريد بكون الشباب مقيلا أنه في حياة المرء كالقيلولة .

قلت : (لا تيأسن إذا تلم ملمة) في (المغنى) : ويكون الفعل بعدها ماضيا كثيرا ومضارعا دون ذلك ، وقد اجتمعا في قول أبي ذؤيب :

والنفس راغبة إذا رغبتها وإذا ترد إلى قليل تقنع[1]

(بسط الفيافى والشعاب مقيل) ومن طوى بسط الفيافى فالشعاب فنادقه لمنامه ومقيله ... والشعب بالكسر — كما في القاموس — : الطريق في الجبل ، ومسيل الماء في بطن الأرض أو ما انفرج بين الجبلين .

(حيث التحرم ، بالنجاح كفيل) في الأساس : وتحرم فلان بفلان إذا عاشره ومالحه ، وتحرمت بطعامك ومجالستك أي حرم عليك منى بسببهما ما كان لك أخذه .

* * *

(١) في الايجاز والاعجاز للثعالبي : كان الأصمعى يقول : هو أبرع بيت للعرب .

ج ٩ ص ٨ : فكتب إليه المهلبي : وصل كتابك يا أخي ... المتضمن نفيس الجواهر من بحار الخواطر ، الحاوي ثمار الصفاء من منبت الوفاء . وفهمته ، ووقع ما أهديته من نظم ونثر ... موقع الري من ذي الغلة ، والشفاء من ذي العلة ، والفوز من ذي الخيبة ، والأدب من ذي الغيبة .

وجاء في الشرح : الأدب التأديب . قلت : عندي أن المهلبي قال : (والغنم من ذي الغيبة) ويعزى إلى امرىء القيس :

لقد طوفت في الآفاق حتى رضيت من الغنيمة بالإياب

***

ج ٥ ص ١٣ :

فإن يك حرب بين قومي وقومها فإني لها في كل نائبة سلم

قلت : تمثل البديع الهمذاني بالبيت في إحدى رسائله وهو من قصيدة .

والرواية هي (وإن تك حرب) في اللسان : السيرافي : الحرب أنثى ، وحكى ابن الأعرابي فيها التذكير ، والأعرف تأنيثها ، وإنما حكاية ابن الأعرابي نادرة ، في التاج : ودار الحرب بلاد المشركين الذين لا صلح بيننا معشر المسلمين وبينهم ، وهو تفسير إسلامي .

***

ج ٨ ص ٢٣١ :

القائل القول الرفيع الذي يمرع منه البلد الماحل

قلت : في القاموس : مرع الوادي مثلثة الراء مراعة ومرعا أكلأ كأمرع ، وفي الصحاح : قد مرع الوادي بالضم وأمرع أي أكلأ فهو ممرع ، وفي اللسان والتاج : وقيل : لم يأت مرع وقال ابن الأعرابي : أمرع المكان لا غير .

***

ج ١٣ ص ٢٠٦ :

قد عزمنا على الصبوح فبادر قبل أن تضحى السماء المخيله

قلت : (قبل أن تضحى السماء مخيلة) وهي الخبر . في الأساس والسماء مخيلة للمطر : متهيئة له ، وقد أخالت السماء ، وخيلت وتخيلت ، وخايلت ، وسحابة مخايلة إذا رأيتها خلتها ماطرة .

***

ج ١٥ ص ٢١٥ :

يصوب على العافين مزن بنانه فيكبت حسادا ويثبت أنعما

قلت : (فيكبت) هناك الكبت لا الإكبات .

في الأساس : كبت الله عدوك كبه وأهلكه ، ومن المجاز : فلان يكبت غيظه في جوفه . في التاج : في التنزيل (كبتوا كما كبت الذين من قبلهم) أصل الكبت الكبد فقلبت الدال تاء ، أخذ من الكبد وهو معدن الغيظ والأحقاد فكأن الغيظ لما بلغ بهم مبلغه أصاب أكبادهم فأحرقها ، ولهذا قيل للأعداء : هم سود الأكباد . وفي الكشاف في تفسير (ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم فينقلبوا خائبين) : أو يكبتهم أو يخزيهم ويغيظهم بالهزيمة ، ويقال : كبته بمعنى كبده[1] بالغيظ والحرقة ، وقيل في قول أبي الطيب (لأكبت حاسدا وأري عدوا[2]) هو من الكبد والرئة .

قلت : يقال للأعداء : هم زرق العيون كما يقال لهم سود الأكباد . في الكشاف :

إن الزرقة أبغض شيء من ألوان العيون إلى العرب ، لأن الروم أعداؤهم ، وهم زرق العيون ، ولذلك قالوا في صفة العدو : أسود الكبد ، أصهب السبال ، أزرق العين ...

(١) الأساس : كبدته : أصبت كبده .

(٢) اللسان : وريته وريا أصبت رئته فهو موري ، وفي الصحاح : وري القيح جوفه يريه وريا أكله

من كلام الامام الزمخشري : إذا أردت أن تكبت عدوك فازدد فضلا في نفسك .

على هامش النقد :

شيلوك الجديد
أو
قضية فلسطين

مسرحية للأستاذ باكثير

للأستاذ سيد قطب

هذه المسرحية من عمل الأستاذ « على أحمد با كثير » صاحب مسرحيات : « مملكة السماء ، والفرعون الموعود ، وقصر الهودج » ؛ وقصص ـ « سلامة القس ، وا إسلاماه » ... أصدرتها « لجنة النشر للجامعيين » فى سلسلتها التى بلغت إلى اليوم أربعاً وثلاثين حلقة ، معظمها لأسماء شابة أبرزتها اللجنة ، وكشفت عن مواهبها ، وهيأت لها فرصتها للظهور ، والإنتاج المفيد ؛ ولعلها كانت وشيكة أن تطمر ، أو أن تنتظر طويلا حتى تنال حقها الطبيعى فى الميدان الأدبى . وذلك فضل للجنة ليس باليسير .

ومسرحية « شيلوك الجديد » عمل أدبى يجىء فى إبانه ، ليلقى على « قضية فلسطين » فى هذه الأيام ضوءاً منيراً كشافاً ، وليصورها على حقيقتها التاريخية والواقعية ، وليرسم الحل الناجع لها ، وهو الحل الذى اهتدت إليه جامعة الدول العربية بعد شهر من ظهور المسرحية . وحسب المؤلف — وهو فرد — أن يلتقى فى تفكيره مع أبرز رجال الجامعة العربية فى حل قضية فلسطين !

وهذه المسرحية — من الوجهة الفنية البحتة — ليست أحسن أعمال الأستاذ با كثير ؛ ولكنها من الجهة الأخرى تعد أكبر عمل أدبى تصدى لقضية فلسطين منذ نشأتها إلى اليوم ... إنها تقرير حى عن هذه المأساة ، لا يسرد القضية سرد التقريرات ؛ بل يعرضها عرضاً حياً على المسرح ، فيكشف عن حقيقة مطامع الصهيونيين فى هذه البلاد المقدسة ، وعن وسائلهم الخسيسة والجهنمية فى تحقيق هذه المطامع ، وعن نواحى الضعف التى يستغلونها فى جسم الأمة العربية أفراداً وشعباً ، وعن مدى مشاركة السياسة البريطانية فى هذه الوسائل ، وهى مشاركة كانت كلية سافرة فى وقت من الأوقات ، وما تزال إلى اليوم تعمل ، ولكن فى حذر ومن وراء ستار ؛ لأن القوانين والإجراءات المالية والنظامية التى سنتها لا تزال باقية تخدم القضية الصهيونية أجل الخدمات ، وتهيئ لها امتلاك الأراضى ، بعد أن تضيق الخناق على الاقتصاد العربى ، وتجعله مضطراً لأن يمد يده إلى الاقتصاد الصهيونى ، أو إلى الشرك الصهيونى بتعبير أدق !

ولا تخلو المسرحية — بعد هذا — من عرض لوحات حية من المشاعر والأحاسيس والعواطف الإنسانية ، والغرائز البشرية تتصارع وتتزاحم ، وإن كان المؤلف — على عادته دائماً — يغلّب عواطف الخير والطهر ، ويمكن للأريحية والنبالة ... وذلك نضح نفسه الطيبة على أبطاله وقصصه

وهو إذ يصور الوسائل الخسيسة العجيبة التى تلجأ إليها الصهيونية لسلب أموال العرب وشبابهم !!! ويستعرض المكايد والدسائس المحبوكة التى تستخدمها ، لا يكون الأمر مجرد حوادث ودسائس تستعرض ؛ ولكنه يتعمق صميم النفس اليهودية ، فيبرزها « نموذجاً بشرياً » واضح السمات متميز الملامح . وهذه المواضع فى المسرحية هى أجودها من الناحية الفنية . ولو أن المسرحية كلها فى مستوى هذه المواضع لارتفعت إلى مستوى شكسبير ، فى رواية « تاجر البندقية » . فطبيعة النفاذ إلى صميم الشخصية الإنسانية تكاد تتساوى فى هذه المواضع المعدودة !

وأخيراً يهتدى المؤلف إلى الحل الحاسم الذى اهتدت إليه الجامعة العربية أخيراً ... يهتدى إلى سلاح المقاطعة الحاسمة البائة ، التى تخنق الصهيونية فى فلسطين خنقاً . وقد ذهب المؤلف إلى أبعد الحدود ، ففرض تخلى العرب عن فلسطين كلها ، وضرب نطاق من الحصر الاقتصادى عليها . فما لبثت الصهيونية أن اختنقت فجاءت تطلب الصفح والمغفرة ، وتتخلى عن مطامعها فى الوطن القومى ليرفع العرب عنها هذا الخناق المميت .

* * *

ولست أشك لحظة فى أن هذه المسرحية تقدم لقضية فلسطين أعظم خدمة فى طوق عمل أدبى واحد أن يقدمها ، بل فى طوق عمل سياسى ضخم أن ينهض بها ؛ ذلك أنها لا تدع « قضية

فلسطين » جملة رنانة ترد فى الخطب الحماسية ، ثم تنقضى مناسبتها فتبرد وتتلاشى ... إنما تحيلها حقائق ووقائع حيـة ، وتردها أموراً عملية محسوسة ، فى الوقت الذى تثير فيه الأريحية الإنسانية ، وتوقظ فيه النخوة العربية ، وتكشف عن الوسائل والدخائل فى الصراع بين العرب والصهيونية ، وتوازن بين القوى الحقيقية التى يملـكها الفريقان فى الميدان ... تكشف ذلك كله كما لم يكشف من قبل أبداً .

وأنا أحـد الذين كانوا يزعمون لأنفسهم أنهم ممن يهتمون بقضية فلسطين ويتتبعون خطواتها ، ويهتفون بها هتاف المتحمسين لها ... وقد تضمن ديوانى الأول منذ أكثر من عشر سنوات تحية لأبطال فلسطين جاء فيها :

عهـد على الأيام ألا تهزموا   فالنصر ينبت حيث يهراق الدم
فى حيث تعتبط الدماء فأيقنوا   أن سوف تحيوا بالدماء وتعظموا
تبغون الاستقلال ؟ تلك طريقه   ولقد أخذتم بالطريق ، فيمموا
وهو الجهاد حميّةٌ جشّامة   ما إن تخاف من الردى أو تحجم
إن الخلود — لمن يطيق ميسّرٌ   فليمض طلاب الخلود ويقدموا
وطن يقسّم للدخيـل هديةً   فعلام يحجم بعد هذا محجم ؟
الشرق . ياللشرق ! تلك دماؤه   والغرب . ياللغرب ! يغريه الدم
الشرق . ويح الشرق ! كيف تقحموا   حرماته الكبرى وكيف تهجموا
غرتهمو سِنة الكرى فتوهموا   ياللذكاء ! فكيف قد غرتهمو !
سِنة ومرّت والنيام تيقظوا   فليعلموا من نحنُ أو لا يعلموا !

* * *

أبطالَ الاستقلال . تلك تحية   من مصر يبعثها فؤاد مفعم
إخواننا فى الحال والعقبى معاً   إخواننـا فيما يلذ ويؤلم
مصر الفتاة ولن تزال فتية   تهفو إليـكم بالقلوب وتعظم
فى كل مطلع وكل ثنية   نار من الشرق الفتى ستضرم

أنا الذى زعمت لنفسى يوم نظمت هذه القصيدة ، وأيام تتبعت قضية فلسطين فى مراحلها المختلفة أننى ممن يعرفون هذه القضية . أشهد أن رواية « شيلوك الجديد » قد أطلعتنى على أننى كنت واهما فيما زعمت ، مغاليا فى حقيقة اهتمامى بهذه القضية المقدسة ، فلقد كشف لى الأستاذ « با كثير » عن حقيقة وضع القضية ، وحقيقة العوامل التى تتصارع فيها ، بما لم يكشفه لى كل ما وصل إلى يدى عنها فى خلال خمسة عشر عاما أو تزيد .

* * *

ولـكننى أختلف مع الأستاذ « با كثير » فى أمر واحد . ذلك أنه يبدو فى سياق الرواية وفى ختامها أنه واثق بأن هنـاك شيئا اسمه « الضمير البريطانى » أو « الضمير الغربى » على وجه العموم . يبدو ذلك فى فصـل « المحاكمة » الذى عقده فى نهاية المسرحية !

وأنا أخشى هذه الثقة على قضية فلسطين ، كما أخشاها على جميع قضايا البلاد العربية .

ليس للسياسة البريطانية ضمير . وليس للعالم الغربى شرف .

هذه هى العقيدة التى أعتقد أن من واجب كل كاتب وكل سياسى فى هذا الشرق العربى أن يمكن لها فى ضمير الأمة العربية بل فى ضمير الشرق الذى ما نـكب فى تاريخه كله بمثل ما نـكبته الثقة فى الضمير البريطانى ، وفى الشرف الغربى !

ولن ينال الشرق العربى — أو الشرق عامة — شيئا من حقه ، ولن يعرف الطريق الصحيح والوسائل المجدية لنيـل هذا الحق ، قبل أن ييأس اليأس الـكامل من هذا الضمير البريطانى ، ومن هذا الشرف الغربى . وقبل أن يعتمد على نفسه اعتمادا كاملا فى الصراع مع ذلك الوحش الأوربى — والأمريكى أيضا — ذلك الوحش الناعم الملمس ، واللبد على بعد ملليمتر من هذا الأديم الرقيق !

وإذا كان الشرق العربى لا يزال مبتلى إلى اليوم بجماعة من الساسة المخدوعين فى حقيقة هذا الضمير الغربى عامة ، فإن من واجب حملة القلم أن يكون لهم شأن غير شأن الساسة ، وإلا كانوا غير جديرين بالهبة الإلهية اللدنية التى منحتها إياهم السماء .

سيد قطب

في جذور الشجرة العربية

للأستاذ عبد المنعم خلاف

يعمل ساسة العرب على طريقهم فى توطيد أسس الجامعة العربية . والسياسة ليست دائماً ذات إيمان ... ونحن أفراد الشعوب العربية ينبغى أن يكون اندفاعنا إلى هذه الجامعة حركة ذاتية فردية مؤمنة تعمل دائبة سواءاً كانت السياسة تريد ذلك أم لاتريده ، وسواءأكان السياسيون متحمسين أم فاترين. فالسياسيون كثيراً ما ينقلبون ويغشون ويدمرون ما اشتركوا فى بنائه حينما يهزمون فى المجال الشخصى الضيق ، وتتصادم المصالح الصغيرة ويزول العمل للمصلحة الكبيرة . فيجب دفعهم بأيدى الجماهير المستنيرة حتى يكونوا دائماً شاعرين بحرارة إيمانها وقوة دفعهالهم.

وفى بعض الأحيان يجتمع السياسى ورجل الدعوة والإيمان فى شخصية فتسير الأمور عندئذ فى أمان وتقدم ، ولايخشى عليها من النكوص والتقلب والضعف ؛ لأن عناصر الإيمان والإلهام المتجدد وشبح النجاح المأمول فى تلك الشخصية من شأنها أن تحول بين الحركة وبين الارتداد والضعف مهما كان من عقبات ومغريات وعوامل تثبيط .

غير أن هذا النوع القيم من السياسيين لا يوجد كل حين . فيجب العناية والاهتمام والاحتراس من العناصر السياسية المحترفة التى تصطنع السياسة للحكم وشهوة الغلبة أو السيطرة أو الخيلاء ولا تعلم من أهداف السياسة إلا ما يحقق لها ذلك . ولا يكون ذلك الاحتراس إلا فى إعلان إرادة الرأى العام وإظهار أعماق شعوره وجلو أهداف إيمانه وتجديدها دائماً أمام عيونه ، ولا يكون ذلك إلا عن طريق الوسائل الثقافية والوجدانية التى فى أيدى الكتاب والأدباء المفكرين الذين يتعمقون الأشياء ويجلون دفائنها على أعين الجماهير جلواً يستهوى ويثير .

ومن الفطنة أن نعلم أن قيام الجامعة العربية على أسس فكرية ووجدانية يجب أن يسبق قيامها على الأسس السياسية ، لأن قيامها على الأسس الأولى هو من طبيعة الأشياء إذا أردنا أن نسير على قوانين النمو والتقدم والارتقاء مسترشدين الله فى إنضاج الثمار .

فالقلب هو أول ما يتكون فى الجنين ومنه تمتد الشرايين لتغذية الجسم الصغير الذى يتخلق منه الكائن الإنسانى أو الحيوانى . وكذلك عقدة البرعم التى فيها سر الشجرة ونوعها هى منطقة النمو فى النبات .

ذلك فى عالم الأحياء والمحسوسات وهو بذاته فى عالم الأمر والمعانى . فيجب أن نرعاه ونعرف له حقه ونؤدى له واجبه حتى لا نضل أو تلتوى بنا السبل أو يبطىء علينا نضج الثمرات المرجوة .

ومن الملحوظ فى الحركات السياسية الكبيرة التى تمت فى مراحل التاريخ ، أن كل حركة عظيمة كان بجوارها مفكرون يفلسفونها ويضعون لها أسساً تنهض فى أعماق الضمائر والعقول فتكون الحركة مدعمة بالإيمان والاستنارة .

فالبلشفية تقوم على فكرة وفلسفة وطدها كارل ماركس ولينين ، والنازية كذلك استمدت من فلسفة (نيتشه) وكان بجوارها (روزنبرج) ، والحركة الاشتراكية فى انجلترا يفلسفها الأستاذ (لاسكى) .

وهكذا تقوم الحركات السياسية الكبيرة دائماً على واضح الأسس الاجتماعية فى أعماق الوجدان والفكر .

والجامعة العربية لها فلسفة أو يجب أن يكون لها فلسفة ملخصة تنير طريق العربى إلى غايته وتجعل إيمانه بقوميته وحركتها السياسية إيماناً بصيراً مستنيراً . حتى إذا خاب جيل فى تحقيق الأهداف أتى الجيل الذى يليه فوجد الغاية صحيحة صالحة مركزة فى قضايا واضحة تستحق العمل لها فيعمل لها بحرارة واندفاع ذاتى غير ملق بالا إلى الخيبة السابقة إلا بمقدار أخذ العظة منها .

والأسس الفكرية للعربية الحديثة تلخص فى أننا « الأمة الوسط » بين أمم العالم جميعه من حيث المكان واللون والفكر .

فنحن فى المكان الوسط بين الشرق والغرب والشمال والجنوب غير منازع ولوننا وسط بين الجميع . وقد أخذنا من بيض الشمال وصفر الشرق وسود الجنوب وحمر الغرب بحيث يأنس بنا الجميع ولا يجدون بيننا وبينهم ما يجدونه حينما يتلاقى الأبيض بالزنجى أو بالأصفر أو يتلاقى الأصفر بالزنجى أو بالأبيض وهكذا . وما دام فى الأرض فلسفة سياسية ظالمة تقوم على الفروق اللونية

بمناسبة تعديل المناهج في سورية

أسلوب جديد في التعليم

[مهداة إلى إمام المربين ساطع بك الحصرى]

للأستاذ على الطنطاوى

لى أخ كان كلما غشى المدرسة الثانوية رق جسمه ونحل وعراه ذبول ، فأعفيته منها وأبقيته فى الدار سنوات ثلاثا لم ألزمه فيها مطالعة شىء من دروس المدرسة ، وإنما كنت أدله على بعض كتب الأدب والتاريخ مما لا يثقل عليه ولا ينال من صحته ، وما تجزل فائدته وتعظم المنفعة به ، فقرأ فيما قرأ تاريخ الطبرى كله والأغانى ... فلما أزف موعد امتحان الكفاءة منذ سنتين قلت له : لو دخلت هذا الامتحان مع رفاقك فلعل الله يكتب لك النجاح . فأطاعنى واستعد للامتحان شهراً واحداً ثم دخله فكان من الناجحين ، على رغم أن الناجحين فى تلك السنة كانوا دون الثلث ، وعاد إلى مثل ما كان عليه ، حتى كان امتحان الشهادة الثانوية (البكالوريا) هذه السنة ، فدخله كما دخل الأول ونجح فيه أيضاً ...

هذا النجاح الغريب دفعنى إلى التفكير فى الموضوع الذى أكتبه اليوم ، وجعلنى أسائل نفسى فأطيل سؤالها : ألا يمكن أن نسهل للطلاب هذه الدراسة ؟ وإذا كانت هذه الغاية وهى شهادة الكفاءة (والصحيح أن تسمى شهادة الكفاية) تدرك بمسيرة شهر واحد فى طريق سهل لاحب ، فعلام نمشى إليها ثلاث سنين فى طرق صعبة معوجة من ينقطع فيها أكثر ممن يبلغ آخرها ؟ أليس لنا بدّ من أن نضيع زهرة شباب أبنائنا فى المدرسة لنعلمهم ما لا يكاد ينفعهم فى حيواتهم ، إذا هم خرجوا منها ، ولم يقدروا أن يشتغلوا بعده بما يشتغل به العامى الجاهل من أعمال اليد ، وأشغال السوق ؟ ألا يمكن أن نعلم كل طالب ما ينتفع به ويميل إليه ونعفيه من علوم يكرهها ولا يعتقد فائدتها له فى حياته ؟

والجنسية ، فوضعنا يرشحنا أن نكون الحكم بين الجميع ، لأننا نرضى الجميع إذ أننا خليط من الجميع .

ونحن أمة الوسط فى الفكر . وهذا يستلزم بسطاً فى الحديث لا تفى به هذه العجالة . ولكننا نجتزىء بطرف منه : وأعنى بالفكر جميع القوى العليا فى العقل والروح . وقد ورثنا ذلك من كثرة التجارب والأحداث والحضارات الروحية والمادية التى مرت بنا ، ففى مهود بلادنا وعلى ضفاف أنهارنا قامت أول الحضارات المادية وما زالت تقوم وتدول وتنتقل على هذه الرقعة التى تسمى اليوم الشرق الأوسط . حتى انتقلت إلى الغرب على يد اليونان والرومان فى حضارتهم الأولى ، ثم جاء عهد النهضة الأوربية بالحضارة الحالية وهى الحضارة الثانية فقط لهذه البقاع . والأولى هى حضارة الدولة الرومانية التى قامت على أسس عسكرية عنيفة ولم تتصل بالروح إلا بعد أن أخذت بـ « المسيحية » وهى وليدة الشرق أيضاً .

وعلى قمم جبالنا تعلقت قلوب أجدادنا بالسماء وبكت لله وأدركت وحدته واتصلت بها رسالات وحيه فأتت بالخير والبر والتفاؤل والاطمئنان والسمو بالانسان وكانت للانسانية بمثابة الأمومة المربية المسددة المرشدة .

وفى صحفنا كتب أول السطور بالقلم الهيروغليفى ثم الفينيق الذى ابتدأ به التاريخ البشرى والفكر العظيم والجهد المنيف يدون ويسجل ويختزل فى تلك « القماقم » السحرية الصغيرة : الحروف والكلمات ، فينتقل بذلك الفكر الإنسانى إلى المرحلة الكبرى التى ترجم بها كلمات الله فى الطبيعة ، وبنى على أسسها علومه وآدابه إلى ما شاء الله أن يبنى .

فإذا كان حاضرنا سيئاً بفعل الجهالة والجمود وعدم إدراك رسالتنا بعد أن تقسمت العرب دول غريبة عن العربية ، فإن ماضينا يبعث فينا الثقة بأنفسنا وبما فيها من استعدادات كامنة .

وإن مستقبلنا ينادينا أن ننهض لوصل الماضى بالحاضر بالمستقبل حتى نؤدى دورنا المنتظر من الأمة الوسط التى ترضى حكمها أم الأطراف التى فيها دائماً الغلو والإسراف .

عبد المنعم خلاف

فقالت النفس : لقد أقمت بناءك على غير أساس ، وجعلت من هذه الشاذة قاعدة ، وأصّلت عليها أصلا . إن أخاك هذا وإن أخذ الشهادة فليس له علم من درس يوماً بيوم ، وسار على الجادة خطوة تخطوة ، ولم يقفز من فوق الأسطحة ولم يتسور الجدران ، وهذه العلوم كلها لازمة لا استغناء عنها ، وأسلوب التعليم صالح لا داعى لتبديله .

فرجعتنى والله إلى الشك وكدت أدع الموضوع . ثم فكرت فرأيت أن لكل عمل نتيجة ، ولكل مسير غاية ، والغاية من المدرسة إما أن تكون الشهادة أو العلم أو الإعداد لخوض لجّة الحياة والنضال عليها . أما الشهادة فلا بحث فيها لأنها عرض لاجوهر ، ووسيلة إلى غيرها لا يصح الوقوف عليها ، ولا القناعة بها ؛ وهى بعد كاسمها (شهادة) قد تكون مزكاة عادلة ، وقد تكون شهادة زور تعطى لغير أهلها ، وتمنح من ليس من مستحقيها . وما ينفع الفقير المفلس أن يشهد له الناس جميعاً بأنه الغنى ذو القناطير المقنطرة من الذهب والفضة ؟ أما العلم فاسألوا المتعلمين ماذا بقى لهم من دروس الثانوية ، بل تعالوا أحدثكم ما جربته بنفسى وما شاهدت عليه تلاميذى ، ولقد كنت فى دراستى الثانوية مجلّياً دائماً أو مصلّياً ، ولم أكن فسكلا[1] ، ولقد اشتغلت بالتعليم الأولى والابتدائى والثانوى ، الأهلى والرسمى والدينى ، أربع عشرة سنة ، قبل أن ألى القضاء ، فى مدارس الشام والعراق ولبنان ، وعرفت الآلاف من الطلاب . وأقل ما أستفيده من هذا أنى إذا تكلمت أتكلم عن خبرة واطلاع .

أقول : إنى وجدت بالتجربة أنه لم يبق عندى الآن مما أمضيت فى تعلمه السنين الطوال ، إلا ما كان طبعى منصرفاً إليه من علوم الدين واللسان والتاريخ والفلسفة ، وما عدا ذلك من العلوم الرياضية والطبيعية (لا الطبَـيعية كما يقول بعضهم ...) فلا أكاد أعرف منه الآن إلا أشياء عامة جداً . أما التفاصيل والدقائق وأعيان المسائل فقد نسيتها كلها . ولو سئلت عما أعرفه من المثلثات (مثلا) لأجَبْت صادقاً أنى لا أعرف إلا شيئاً اسمه الجيب والتجيب (تمام الجيب) والماس . لا أعرف ما هو على التحقيق ، حتى موضوع العلم على وجه التحديد فقد نسيته ، مع

(١) هو آخر خيول السباق .

أن علامتى فى السنة التى قرأنا فيها المثلثات كانت تسعاً من عشر وكنت المجلّى (الأول) فى صفّى (أى فصْلى) أما الكيمياء العضوية فلا أعرف منها إلا أن فيها شيئاً اسمه (الميتان) وتركيبه جزء من الفحم وأربعة من مولد الماء أى الهيدروجين — وقد درست جغرافية بلاد الدنيا الطبيعية والسياسية والاقتصادية ، وكنت مع ذلك كلما سمعت باسم مدينة جديدة يأتى فى أخبار الحرب أجدنى أجهل مكانها ، وأذهب فأسأل عنها الكتب والمصورات ، أستوى فى ذلك أنا ومن لم يقرأ الجغرافية قط[1] . وكل من عرفت من الطلاب هذه حالهم لا يستقرّ فى رؤوسهم إلا ما يختصون به أنفسهم ، وإخلاصات موجزة ، أفما كان خيراً لهم لو أقرأناهم هذه الخلاصات من الأصل ؟

ولست أقول ، دعوا هذه العلوم لا تقرئوها التلاميذ ، ولكن أقول إن هذا الخلط بين العلوم الكثيرة يؤدى إلى إضاعتها كلها ، وهذا سرّ ما نشكوه من ضعف الطلاب فى مصر والشام والعراق فى اللغة وهى أداة العلم كله ، وما نلمسه من عقم القرائح ، وفقد المخترع والباحث . ولو أنا رجعنا إلى طريقة أجدادنا الذين كانوا يتعلمون علمين أوثلاثة فإذا أحسنوها شرعوا بغيرها لكان أجدى علينا . فمدارسنا إذاً لا توصل إلى الغاية العلمية النظرية ، فلننظر إلى الغاية العملية هل تبلغنا إياها ؟ هل تعد مدارسنا التلاميذ إعداداً جيداً للنجاح فى الحياة ، وضمان الكسب الطيب والعيش الرغد ، مع الخلق القويم والإيمان الدينى والقومى ؟ الجواب مشاهد ملموس هو أن مدارسنا لا (تكاد) تخرج اليوم إلا أطباء أو محامين أو موظفين . أما الوظائف فعددها محدود لا يمكن أن يتسع لكل المتعلمين ولاينبغى أن يتسع لهم . أما الأطباء والمحامون فى دمشق فقد صاروا من الآن أكثر من اللازم بكثير ، وغدا جلّهم يقتنع بالكسب القليل . أما التجارة والزراعة وسائر طرق الرزق فإن أكثر أهلها أو كلهم ... ممن لم تخرجهم المدارس بل خرّجوا أنفسهم فى مدرسة الحياة الكبرى ، ولا نستطيع أن نَغْلوَ فنقول بأن خريجى المدارس يمتازون من الناس بأخلاقهم الشخصية والاجتماعية ، أو أن المدارس جعلتهم طبقة مختارة ممتازة

(١) والأب أنستاس الكرملى يرى أن تسمى الجغرافية علم (التفريع) من قولهم فرع الأرض .

من طبقات الشعب بل إنهم كغيرهم من الناس ، منهم الصالح ومنهم الفاسد ومنهم من هو بين ذلك !

والسبب فى هذا كله أن نظام التعليم فى بلادنا كالبيت العتيق الخرب ، المختل الهندسة ، الذى لا يفتأ أصحابه يتعهدونه بالترميم والإصلاح ولكنهم لا يجرؤون على هدمه من أساسه وبنائه من جديد على هندسة صالحة ، ونمط صحىّ نافع . إننا نحبس التلاميذ ست سنين للدراسة الثانوية ، ونحشو رؤوسهم بمعلومات أكثرها لاينفع فى الحياة . وماذا لعمرى استفدت أنا من دراسة المثلثات والهندسة النظرية و (حفظ) معادلات الكيمياء وقوانين الفيزياء فى القضاء أو فى تدريس الأدب أو فى فن الكتابة ، وتلك هى أعمالى فى حياتى ؟ سيقول قائل ، ومن كان يدرى أنك ستكون أديباً أو قاضياً ، أفما كان فى الإمكان أن تكون مهندساً أو صيدلياً ؟ بلى ، ولكن الدراسة العالية حددت طريقى فى الحياة ، فلماذا لم أحدده قبل ذلك بسنوات ؟

هذه هى المسألة ، كما يقول شكسبير . إن الدراسة العالية هى المقصودة بالذات ، وما قبلها ثقافة عامة هى بمكان المقدمة إليها والتمهيد لها ، أفلا يستطيع الشاب الواعى دراسة الحقوق مثلا ، من غير إحاطة بدقائق الكيمياء والفيزياء والرياضيات ؟ أو لايجزئه ويكفيه أن يعرف عنها الشىء المجمل المختصر ؟ وطالب الطب هل يستحيل عليه تحصيله من غير معرفته بعلل الشعر واختلافات الكوفيين والبصريين ؟. لقد شاهدنا محامين بارعين وقضاة لا يعرفون شيئاً من المشتقات ولا تحول التابع ولاصفات البروم ، وشاهدنا أطباء كباراً استطاعوا أن يعملوا عمليات فى شق البطن وفتح الجمجمة ، على جهلهم الموازنة بين أبى تمام والبحترى ، وشروط عمل اسم الفاعل .

* * *

فما العمل ؟ أنا أرى ، إذا كان فى الدنيا من يسمع رأيى ، أن نجعل مدة الدراسة الابتدائية والثانوية معاً سبع سنين على الأكثر يتمكن فيها الطالب من العربية بالمران والتطبيق وتنبيه السليقة لا بحشو رأسه بالقواعد وقتل وقته بمعرفة أوجه الإعراب حتى يقيم لسانه ويتنزه عن الخطأ الفاحش ، ويبصر مرامى الكلام ودقائق معانيه ، ويتعلم من دينه ما يمسك عليه إيمانه وخلقه ويرغبه فى الخير ويصرفه عن الشر ، ويُفهمه الحرام ؛ ويعرف من الرياضيات الشىء العملى الذى لا يستغنى عنه من غير اشتغال بالنظريات المجردة ، وما لابد من معرفته من علوم الطبيعة وقوانينها الأساسية وأسرار المخترعات ، وأن يدرس الصحة والجغرافية والتاريخ العربى[١] وأن يعرف مبادىء لغة من اللغات الغربية وأمثال ذلك فما أردت الاستقصاء بل التمثيل .

فإذا تخرج الطالب منها عرضنا عليه فروع الجامعة ، فإذا اختار فرعاً منها حضرناه له فى سنتين أو ثلاث ، علمناه فيها ما يتصل به ، فيكون فى كل كلية قسم تحضيرى فيه من العلوم ما يحتاجه طالبها ، فيتلقاها الطالب برغبة فيها وحب لها لأنه هو الذى اختارها ، ووافقت هواه ، وظهر له النفع منها ، وينجو بذلك من خلق شاعراً من حفظ طلاسم الرياضيات ، أو الرسوب دونها والانقطاع عن المدرسة وحرمانه التحصيل من أجلها ، وهو من بعد لا يحتاج إليها أبداً ، ولايتعلم كل طالب إلا ما يحتاج إليه مع اختصار مدة الدراسة وتقوية الاختصاص ، وكسب الوقت الذى يستطاع الاستفادة منه فى تقوية الأجسام بالرياضة ، ومعرفة الوطن بالسياحات ، والعناية بالتربية الخلقية والوطنية ... ومن شاء بعدُ الاكتفاء بالدراسة الثانوية ودخول معركة الحياة لم نسلبه وقته وسلحناه بثقافة عامة يعلو بها مستوى السوقة وأصحاب المهن ، ومن أراد التخصص فتحنا له بابه ، وعجلنا له دخوله وقويناه فيه . وهذا إيجاز للاقتراح والشرح حاضر إن احتاج إليه القراء .

أما التعليم الدينى فلنعد فيه إلى مثل الطريقة الأزهرية الأولى مع

---

(١) وهنا مسألة مهمة جداً لا أعلم أحداً نبه عليها أو انتبه لها ، هى أن تاريخنا السياسي الذى يدرس الآن فى مدارسنا سلسلة فضائح من انقسام إلى ثورات إلى قتل إلى استبداد . حاله فى ذلك كحال تواريخ الأمم كلها ، وإذا استثنيت أمثال العمرين وثانيهما ابن عبد العزيز ونور الدين وصلاح الدين لم نجد من الملوك من تصلح سيرته لتكون قدوة ، والتاريخ العظيم الذى يجب تدريسه هو تاريخنا العلمى الفياض بالمكارم والمفاخر ، ولذلك عنى علماؤنا بتراجم الأفذاذ أكثر من عنايتهم بالتاريخ العام . ومن العلماء من أثر فى عصره أبلغ الأثر حتى وجب أن ننسب العصر إليه لا إلى خليفة الوقت كأحمد بن حنبل والغزالى وابن تيمية . هذا بعد أن يدرس كل تلميذ تاريخ بلده الذى يعيش فيه . وإن من أقبح العيب ألا يعرف الطالب العربى أين تقع سر من رأى وماذا فيها الآن ، وإلام صارت الكوفة ، وأن يعرف التلميذ الدمشقى تاريخ الثورة الفرنسية قبل أن يعرف من بنى القلعة وكم مرة احترق الأموى وأين أبواب دمشق ومن أنشأ حى الصالحية .

فرنسيس بيكن

لألفرد فيبر

للأستاذ عبد الكريم الناصرى

فى انجلترا (١) يتلقى الإصلاح الفلسفى طابع الخلق الانجلوسكسونى ، ويتخذ وجهة تختلف كل الاختلاف عن وجهة الحركة الإيطالية . فالعقل الإنجليزى الوضعى الرصين عديم الثقة بتقاليد الفلسفة المدرسية ، وبما تصل إليه الميتافيزيقا المستقلة من نتائج متسرعة . وهو يؤثر التصعيد المتدرج البطىء فى طريق التجربة على النظر الإيطالى الذى يبلغ القمة بسرعة ، ثم لا يلبث حتى يهن عزمه ، ويفقد توازنه ، فيهوى فى حضيض الشك . ثم إن هـذا العقل متوقف عند حقيقة واقعة ، وهى أن المدرسيين لم يساهموا قط فى تقدم العلوم ، وأن هذه الفتوحات الفكرية إنما تحققت خارج المدرسة ، بل على الرغم منها .

أجل ، فإن العلوم مدينة بنجاحها لا إلى أرسطو ولا إلى أى مرجع تقليدى سواه ، بل إلى التأمل المباشر فى الطبيعة ، والتأثير المباشر للواقع ، والفهم الواقعى المشترك . صحيح أن بحاث العلم الجريئين لم يكونوا أقل مهارة فى القياس والاستدلال من مناطقة المدرسة ، بيد أن استدلالهم يقوم على ملاحظة الواقع .

وكانوا — من جهة أخرى — إذا بدأوا من فرض أو تصور قَبْلى ، تحققوا منه بالتجربة ، كما فعل كولومبس ، ولم يعترفوا بصدقه حتى يظفر بهذا « التصديق » الذى لا مفر منه .

وهكذا نجدنا ، من جهة ، حيال فلسفة رسمية عاجزة عقيمة ، ومن جهة أخرى حيال تقدم مدهش فى العلوم . وكان الاستنتاج الذى فرض نفسه على العقلية الإنجليزية العملية ، هو وجوب ترك التأمل القبلى والقياس المساء استعماله ، والأخذ بالملاحظة والاستقراء .

وهذا الموقف الذى أعرب عنه روجر بيكن فى القرن الثالث عشر

(١) انظر الفقرة الأخيرة من مقالة (توماسو كمبانلا) المنشور فى العدد (٦٤٦) .

إصلاح يسير فيها ، فقد ثبت أنها أنفع وأجدى ، دنيا وأخرى ، وأن تلك الثورة عليها حتى تم العدول عنها ، والقضاء على الجامعة الأزهرية ، كان فيها إغراق أدركناه الآن . وأنا أعرف الأزهر الجديد وأعرف كليات ثلاثاً أنشئت على غراره فى دمشق وبغداد وبيروت علَّمت فيها كلها ، وأشهد لله شهادة حق أن الأزهر القديم كان فى الجملة خيراً منها ، إذ كان أهله يطلبون العلم لله وللعلم فصار أهلها يطلبونه للشهادات والوظائف ، وكانوا يصبرون على تلك الحواشى المطولات وإن تكن عقبات ، فصار هؤلاء لا يقرأون إلا خلاصات يجوزون بها الامتحانات . وكانوا علماء عاملين لديهم أهل تقى وورع فى سمتهم وسلوكهم ، وسرهم وعلنهم ، فصار بعض المدرسين وأكثر التلاميذ ... صاروا على حال من عرفها فقد عرفها ومن جهلها فلا يسأل عن الخبر .

وأنا لا أعمم ولا أطلق القول ، وإنما أعنى الكثرة ممن أعرف ، ولعل فيمن لم أتشرف بمعرفته خيراً لم يصل إلىّ علمه ولا بلغنى خبره — هذا على أن تكون المدارس الدينية بمثابة مدارس الاختصاص لا يدخلها الطالب إلا بعد أن يدرس هذه الدراسة الثانوية ويفهم علومها ويأخذ شهادتها ، لأنها ثقافة عامة يحتاج إليها عالم الدين وعالم الدنيا والموظف وصاحب العمل الحرّ .

* * *

ولا بأس بعدُ بارتياد مناهل العلم فى غير بلادنا ، على أن يطلب فيها العلم المبنى على المشاهدة . أما علوم الرواية وما أصوله عندنا ، كعلوم العربية فلا ، وهذه الحماقة التى كان أتاها الفرنسيون إذ أرسلوا شبابنا يتعلمون العربية فى باريس لا يجوز أن تعاد ، وحسبنا أن صَلينا نحن نارها ، وتجرعنا صابها ، (ولا نزال نتجرعه ...) وأن أضحكنا الناس علينا ، وزدنا طلابنا على ضعفهم فى لغتنا ضعفاً .

* * *

هذه كلمة صغيرة فى موضوع كبير ، أعرف أنها تثير مناقشات وتحتمل جدالا ، وأنها لم تلم بأطراف الموضوع ولم تستوف البحث فيه وإنما هى تنبيه إلى فساد ، ودعوة إلى إصلاح ، أهديها إلى إمام المربين ساطع بك الحصرى ، لأنه مرجع هذا الفن أولا ، ومرجع كل أمر فى وزارة معارف الشام ثانياً .

دمشق (المحكمة الشرعية) **علي الطنطاوي**

هو الذى أعلنه من جديد وبشر به ودعا إليه سَمِيّه فرنسيس بيكن Bacon بارون فيرولام[1] (١٥٦١ — ١٦٢٦) فى مؤلفاته المختلفة : « شرف العلم وتقدمه » و « آلة العلوم الجديدة » وسواهما .

والمشكلة هنا هى أن نبدأ مسعى العقل كله من جديد — أن نبنى العلم على أساس جديد كل الجدة Instauratim magna . فإننا إذا رمنا التيقن من طبيعة الأشياء الخفية ، فيجب ألا ننشدها فى الصحائف والكتب ، ولا فى ثقات المدرسة ، ولا فى التصورات السابقة والأنظار القبلية . ويجب قبل كل شىء أن نقلع عن تقليد الأقدمين الذين عاق نفوذهم تقدم المعرفة . فقد كان فلاسفة اليونان — باستثناء ديمقريطس وبضعة وضعيين — قلما يلاحظون ، وإذا لاحظوا لم يبعدوا عن السطح . وقد حذا المدرسيون حذو الأوائل فضربوا بالواقع عرض الحائط ، حتى ليخيل إليك أنهم فقدوا الشعور به .

هذا ، إلى أن معارفنا مليئة بسوابق الأحكام Prejudices ، فإن لنا أوهامنا وأهواءنا و « أصنامنا » — أصنام الجنس ، والكهف ، والسوق ، والمسرح — التى نفرضها على الطبيعة ، والطبيعة منها براء . فبما أن الدائرة خط منتظم يعجبنا انتظامه ، ترانا نستنتج أن أفلاك الكواكب دوائر كاملة . إنا لا نلاحظ أبداً ، أو لا نلاحظ إلا أسوأ الملاحظة ، فإذا نجا قوم من كارثة خمس مرات ، استدللنا من ذلك على أن قوى غيبية قد تدخلت فى الأمر ، ولم نحسب حساباً لخمس حالات أخرى لم ينج فيها قوم آخرون ، لخليق بنا أن نقول كما قال ذلك الحكيم الذى أروه فى بعض المعابد ألواح نذور علقها ناس نجوا من الغرق : « ولكن أين صور الذين هلكوا من بعد ما نذروا ؟ » . إنا نفترض عللا غائية ، ونفرضها على العلم ، ونحمل بذلك إلى الطبيعة ما ليس يوجد إلا فى الخيال .

إنا بدلا من أن نتفهم « الأشياء » نتنازع على « الألفاظ » ، التى يفسرها كل امرئ كما يهوى . إنا على الدوام نخلط بين موضوعات العلم وموضوعات الدين ، فلا نظفر إلا بفلسفة مشوبة بالخرافة ، ولاهوت مشوب بالهرطقة : « إن الفلسفة الطبيعية لم تلف بعد خالصة غير مغشوشة ؛ وإنما هى فاسدة مشوبة بالمنطق فى مدرسة أرسطو ، وباللاهوت الطبيعى فى مدرسة أفلاطون ، وبالرياضيات فى مدرسة أفلاطون الثانية - مدرسة أبرقلس وأصحابه - مع أن شأن الرياضيات أن تحدد الفلسفة الطبيعية ، لا أن تولدها أو تنشئها » .

ورجاء الفلسفة الوحيد فى هذه الفوضى من الآراء ، ومن الأنظمة القبلية يستقر فى الخروج على التقاليد اليونانية والمدرسية ، وفى تقبل المنهج الاستقرائى . إن ما تدعوه الفلسفة التقليدية « استقراء » يسير بالتعداد البسيط ويؤدى إلى نتائج غير يقينية ، وهو معرض للخطر يأتيه من مثال واحد يناقض تلك النتائج ، لأنه يبث فيها استناداً إلى عدد قليل غير كاف من الوقائع . أما الاستقراء الصحيح ، منهج العلم الحديث ، فإنه لا يسرع من بضع ظواهر متفرقة غير محققة إلى أعم البديهيات ، بل يدرس الوقائع والجزئيات فى عناية وصبر ، ويرتقى إلى القوانين بالتدريج وبغير توقف . وينبغى لنا عند وضع القانون من القوانين العامة : « أن نفحص وننظر أنه هل صيغ وفصل بحيث يتسع للأمثلة الجزئية التى استنبط منها فحسب ، أم هل هو أوسع وأعم ؟ فإن كانت الثانية ، فينبغى أن نلاحظ أنه هل يؤيد سعته وعموميته ، ويضمن لنا ذلك ، بأن يشير إلى جزئيات جديدة ؛ فلا نقف عند معروفاتنا السابقة ، أو نقبض على ظلال وأشكال مجردة .

* * *

من الغلو فى تقدير بيكن أن نعتبره خالق المنهج الإختبارى Experimemtal والعلم الحديث ؛ بل عكس ذلك هو الصحيح ، فقد كان بيكن نتاجاً للاحياء العلمى فى القرن السادس عشر ، وليست دعوته إلا النتيجة ، أو قل المغزى الذى استنبطه العقل الانجليزى من الحركة العلمية . ولكن إذا لم يجز لنا أن نعده منشئا لمنهج التجريب والاختبار ، فلا أقل من أن نرد إليه فضل انتشال هذا المنهج من الحضيض الذى ألقاه فيه تحامل المدرسيين وإعطائه كيانا قانونياً ، إن صح هذا التعبير ، بأبلغ دفاع قيل فيه

---

(١) كان بيكن فى أول أمره محامياً ، ولكنه استطاع أن يصل — بسلسلة من المكائد والأساليب الدنيئة — إلى منصب « اللورد تشانسلر » الرفيع (رئيس قضاة إنجلترا ، وأيضاً رئيس مجلس اللوردين) . وقد عزل من منصبه بعد ثلاث سنوات بتهمة الارتشاء (المعرب) .

فليس بالأمر اليسير أن نجهر بما يفكر فيه الكثيرون ، ولا يجرؤ أحد على أن يعترف به حتى لنفسه .

بل وأكثر من ذلك . فإن « العلم » الاختبارى وطرائقه وإن كانت أنشئت قبل عهد بيكن بزمن طويل ، فإنه مع ذلك مؤسس « الفلسفة » الاختبارية ، وأبو الفلسفة الوضعية الحديثة ، من حيث أنه أول من أثبت[1] ، بأفصح القول وأبلغه ، أن الفلسفة الحق والعلم الحق مشتركا المصالح ، وأن الميتافيزيقا المستقلة عبث لا طائل وراءه . إنه ، وهو العدو المجاهر بعداوته للروح « الميتافيزيقية » ، ليرجو قراءه بصراحة : « ألا يحسبوا أنا نطمع فى إنشاء فرقة فلسفية ، كاليونان القدامى أو بعض المحدثين ، فما نقصد إلى ذلك ، وليس من رأينا ، بعد ، أن الآراء المخصوصة المجردة فى الطبيعة ومبادىء الأشياء ذات أهمية تذكر فى حظوظ النـاس » . ومن هنا فهو لا يعارض أرسطو فقط ، بل « كل رأى مجرد فى الطبيعة » ، أى كل مذهب ميتافيزيقى لا يقوم على العلم .

وأيضا فإنه يميز بين « الفلسفة الأولى » و « الميتافيزيقا » . فالفلسفة الأولى تعالج التصورات والقضايا العامة المشتركة بين العلوم الخاصة ، وهى (بحسب قسمة بيكن الغريبة « المشتقة من قوى النفس الثلاث » : الذاكرة والخيال والعقل) ثلاثة علوم رئيسية :(التاريخ) الذى ينتظم التاريخ المدنى والتاريخ الطبيعى ، و (الشعر) و (الفلسفة) التى تنقسم عنده إلى اللاهوت الطبيعى والفلسفة الطبيعية ، والفلسفة الانسانية . أما « الميتافيزيقا » ؛ فهى القسم النظرى من الفلسفة الطبيعية ، وهى تنظر فى الصور (بالمعنى المدرسى) والعلل الغائية ؛ بينما القسم العملى من الفلسفة الطبيعية - وهو « الفيزياء » بالمعنى اللائق — ينظر فى الجواهر والعلل الفاعلية . على أن بيكن لا يعطى « الميتافيزيقا » كبير قيمة ؛ ويبدو كأنه يتهكم حين يسمى العلل الغائية « عذارى عواقر » ، ثم يخص بها هذه الصناعة . أما اللاهوت الطبيعى فهدفه الوحيد « تفنيد الالحاد » : فان العقائد موضوعات للايمان دون المعرفة .

إن هذا الأسلوب ، أسلوب التمييز بين العلم واللاهوت ، وبين الفلسفة والدين ، وبين العقل والوحى ؛ يضاد أساليب المدرسة على خط مستقيم . لقد وحدت المدرسية الواقعية القديمة بين الفلسفة واللاهوت . أما بيكن فإنه كالاسميين ، يطلب فصلهما إلى أقصى حد ممكن . وهو يبرر كونه طبيعياً فى العلم وغيبياً فى اللاهوت على أساس هذا التمييز المطلق . وقد حذا حذوه فى ذلك عدد من مفكرى الانجليز .

بيد أن المسافة ليست كبيرة بين إقصاء الغيب عن ميدان العلم ، وبين إنكاره وإبطاله : فإن توماس هوبز — من أصدقاء بيكن — يقول بضرب من المادية لا تكاد (محافظته) السياسية تفلح فى تغطيته وإخفائه .

(بغداد) **عبد الكريم الناصرى**

تصويب: ورد فى مقالة (كبانلا) المنشورة فى العدد ٦٤٦ (التعليق رقم ٣ ص ١٢٦٣) اسم كتاب من كتب الفيلسوف هيوم على أنه « مقال فى الطبيعة الانسانية » ، والصواب « رسالة فى الطبيعة الانسانية » .

---

(١) أى قرر ، وليس بمعنى « برهن » (المعرب)

ذكريات عن أستاذي :

امـــبرتو ريتشي

١٨٧٩ – ١٩٤٥

للأستاذ مصطفى القوني

[أمبرتو ريتشي « Umberto Ricci » الاقتصادي الايطالي ذو الشهرة العالمية . أستاذ الاقتصاد السياسي في جامعة روما ، وأحد مؤسسي معهد الزراعة الدولي . وأستاذ المالية العامة بجامعة فؤاد الأول ، بين سنتي ١٩٢٨ ، ١٩٤٠ . وأستاذ الاقتصاد السياسي في جامعة اسطنبول بين سنتي ١٩٤٢ ، ١٩٤٥ كان ماراً بمصر ، عائداً من تركيا إلى بلاده ، وكان مريضا فبقى في سرير المرض أسابيع ومات في القاهرة في ٣ يناير سنة ١٩٤٦ ودفن في أرضها]

أعود اليوم بالذاكرة إلى عشر سنين مضت ، إلى يوم رأيت أستاذي « أمبرتو ريتشي » لأول مرة ، في أول درس حضرته عليه . كنا في مقاعدنا ننتظر . وما هي إلا لحظات حتى أقبل وئيد الخطى ، ممتلىء الجسم ، قصير القامة ، كبير الهامة . وجه أسمر فيه من سمات الشرق أكثر مما فيه من سمات الغرب ، ولحية قصيرة فيها من البياض أكثر مما فيها من السواد ، وعينان تطرفان وراء منظار سميك ، وتنمان عما أضاع صاحبهما من نورهما في جريه وراء نور المعرفة ، وكأنما كان عليه ألا يستبدل نوراً إلا بنور ؛ ورجل لو رأيته ، دون أن تعرفه ، لما ترددت في أن تسائل مَن حولك : من يكون هذا « العالم » ؟ هذا هو أستاذنا « أمبرتو ريتشي » .

بدأ يعرض علينا موضوع العلم الذي جئنا نأخذه عنه عرضا سريعا ، وانتهى درسه الأول . وبدا لي أن ليس في كلامه من جديد . وسرت إليه ، ونحن خروج من قاعة الدرس ، واندفعت أقول له : « لقد درست هذا العلم من قبل ، ولست أدري ماذا علي أن أصنع في عامي هذا » قال متسائلا : « درسته ؟ وتعرفه كله ؟ » قلت : « حق المعرفة » فنظر إلى نظرة فيها كثير من العطف وفيها كثير من الإشفاق وقال : « اسمع يابني ! إني لي نحواً من ثلاثين عاما ، لا أكاد أذكر أن يوماً منها قد مر دون أن أفكر أو أقرأ أو أكتب شيئا في هذا العلم الذي تقول إنك تحيط به . ومع ذلك ... فإني لا أظن أني أستطيع أن أقول ما تقول » .

ومرت الأيام ، وتوالت دروس أستاذي ريتشي ، وتوالت عنايته بي : فكان يختار لي ما أقرأ ، ويسألني فيما قرأت ، ويفتح لي آفاقا جديدة للتفكير والتأمل . وبدأ نطاق العلم ينفرج أمامي ، وبدأ طريقه يتشعب ، هذا الطريق الذي كان يبدو لي ، فيما مضى واضح المعالم بيّن الحدود . وتزداد صلتي بأستاذي ، مع الأيام ، ويرى ما أنا فيه من حيرة ، ولكنه لا يقول لي عن ذلك شيئا .

ويقارب العام نهايته ، ونحن نسير يوماً ، وإذا هو يقف ويسألني باسما : « هل تذكر ما قلت لي بعد درسي الأول ؟ ألا تزال تظن أنك تعرف موضوع علمنا كله ؟ » فخجلت مما كان من اعتدادي بنفسي وقلت له : « لست أدري ما ذا جرى . ولكن الذي أدريه هو أني أحس وكأني لم أعد أعرف شيئا » . فضحك وقال : « إني الآن سعيد . لقد أخذت بيدك إلى أول الطريق . لقد بدأت تعرف . إنه حقٌ ذلك المثل الذي يقول ، لو عرف الإنسان أنه جاهل لكان هذا قدراً غير قليل من المعرفة . ولكني لست أدري هل تحمد لي ذلك في مستقبل أيامك ، أم سوف يساورك الشك أحيانا ، وأنت تضرب في هذا الوادي ، وادي المعرفة ، الشبيه بوادي التيه ، فتسأل نفسك : ما الفائدة ؟ ما الفائدة من كل ما أضعت من أيام شبابي في الضرب في هذا الطريق الذي لا ينتهي ؟ » .

وإنه ليعبر الطريق ذات يوم فتكاد سيارة تدهمه فيقص علي الخبر . وكنت أعلم أنه لم يكن ، في ذلك الحين ، زوجاً ولا أبا ، وأنه لا تربطه بدنياه هذه الروابط التي كنت أظن أنها هي كل ما يفزع الناس من الموت فقلت له : « كنت أعتقد أنك لا تخاف الموت » ففكر قليلا ثم قال : « ألا تدرى أن بين يدي كتابين لما أتمهما . لو أني انتهيت منهما لكان سيان عندي أن أموت أو ألا أموت » .

وتمر السنون وأزداد معرفة بأستاذي ، فأرى كيف رفعه علمه إلى حيث لاحدود ولا قيود ، إلى حيث يحس جوهر الأشياء

في الأدب الانجليزي

ماثيـــو أرنولد

Mathew Arnold

للأستاذ خيري حماد

— ٤ —

آراؤه في التربية :

عند ما انتخب أرنولد لمنصب مفتش المعارف قامت هنـاك معارضة قوية من قبل رجال الدين . فقد كان هنالك اتفاق بين الحكومة والكنيسة يقضي بانتخاب أحد رجال طائفة الاكليروس لشغل هـذا المنصب العظيم . ولذا لم يكن من المستطاع انتدابه للتفتيش على مدارس الكنيسة ؛ بل اقتصرت مهمته على زيارة مدارس الحكومة والمدارس الأهلية .

وكان من واجبه مراقبة زمرة المفتشين لأن الحكومة وضعته رئيساً عليهم. وعندما كانت الحكومة تقصد تشريع قوانين جديدة وأنظمة حـديثة لادارة المدارس كانوا يستشيرونه ويسيرون على ضوء آرائه ونظرياته . ومن أمثـلة هذه القوانين الخاصة مشكلة تدريس اللغة الانـكليزية في المدارس ؛ فكانت لمدة خلت موضوعا اختيارياً مثله كمثل الدروس الأخرى ، كعلم الجغرافية والعـلوم الابتدائية الأخرى . ولـكن أرنولد حبذ تعليمها كدرس يجبر جميع الطلاب على تعلمه ودرسه فقد اعتبر كل نظام للتعليم العام ناقصاً إذا لم يبذل اهتماما كبيرا نحو لغة البلاد كشرط أساسي في تعلم العلوم الأخرى .

وكانت الطريقة الرئيسية التي يعتمد عليها في تنفيذ آرائه ، ووضعها موضع التجلة والاعتبار هي تقاريره السنوية التي كان يقرؤها نفر قليل من أفراد المجتمع الانـكليزي . وهذه التقارير تتضمن آراء قيمة ملذة في بعض المواضع الطريفة . وقد استنار خلفاؤه بهذه التقارير ؛ فأصبحت طريقتهم واضحة وعملهم سهلا لا يحتاج إلى كثير صعوبة وإجهاد .

« وقد اهتم أرنولد اهتماما عظيما في إدخال بعض العلوم الأولية التي يحتاج إليها الطالب كثيرا في حياته العملية المقبلة فهي تهيئه لقبول جميع النظريات والتعاليم التي جاء بها العلم الحديث . ومع أن علم الحساب والكتابة والهجاء ضرورية جداً للطلاب إلا أنها لا تتعدى حدود الـكماليات بالنسبة إلى تهيئ الانسان لـما يقبله من العلوم في حياته المستقبلة . فقدرة القراءة لا تجعل من الفرد قادراً على تحضير المواد التي يحتاج إليها في حياته المقبلة[1] » .

نصح أرنولد الطلاب بمطالعة الـكتب التي تستحق القراءة . وفي رأيه أن دراسة الآداب من أهم العوامل التي يحتاج إليهـا الطلبة في حياتهم . فهي تساعد في تنمية ذوق الطلبة وقوة حكمهم وخاصـة إذا حفظوا قطعاً من الشعر يحتاجون إليها في تغذية أرواحهم والترفيه عن أنفسهم . واعتقد أرنولد بأهمية دراسة قواعد اللغة في المدارس ودافع عن نظريته هذه بقوله : « إني لأعلق أهمية كبرى على دراسة قواعد اللغة في المدارس لمساعدتها الأطفال في التفـكير وإشغال الناحية العقلية أكثر مما يحدثه علم الحساب ؛ فهي تعلم الانسان قواعد المنطق والمجادلة لأنها تختص بالـكلمات المحدودة لا بالأرقام والحسابات .

فالاعراب من أهم محتويات هذا العلم ولا يصعب على الطلبة دراسته قط إذا كان تعليمه بطريقة دقيقة منظمة . وقوة التحليل Gnalysis في اللغة الانـكليزية تجعل من السهولة في مكان عظيم على الطلبة أن يطلعوا على القواعد بكل سهولة بدلا من تعليمهم

(١) Fitch : The Ornald. P. 182

الذي يستتر وراء مختلف الصور : صور المـذاهب والأوطان والأجناس ، التي لا ينفذ إلى ما وراءها إحساس عامة الناس . لقد كان « عالما » . والعلم قبس من نور الله ، لا شرقي ولا غربي .

لقد طالما تمنيت أن أعود فالقى أستاذي يوماً ما ، بعد غيبته عن مصر خمس سنين طوال ، فأحدثه عما أصنع بأيامي وعما تصنع بي الأيام . ولـكنه يفد إلى القـاهرة[1] ، فلا أراه على فرط ما كنت أتمنى أن أراه ، ثم هو يمرض ويموت دون أن أعلم من الأمر كله شيئا ، ودون أن أستطيع ، الآن ، شيئا سوى مثل هذه الـكلمات .

مصطفى الفوني

(١) لازم « الأستاذ ريتشي » طوال أيام مرضه ، وبقي إلى جانبه حتى لحظاته الأخيرة ، تلميذه الدكتور محمد توفيق يونس ، ولولا ذلك لحز في نفوس تلاميذه الذين لم يعلموا بمقدمه أن يكون أستاذهم ، في سرير مرضه ، قد أحس بالغربة ، في بلد له فيه على مريديه الـكثيرين حق الأبوة الروحية.

إياها بتلك الطرق العقيمة القديمة ، التى كانوا يجرون فيها مجرى اللغات الجامدة . ويسرنى جدا أن أرى الأساتذة يعتنون بالطريقة التحليلية الحديثة فى تدريس علم اللغة[١] » .

وكان الناس يعتقدون أن اللغات اليونانية ، واللاتينية والفرنسية لاتخرج عن كونها دراسات ثانوية يقوم بها المتقدمون فى الثقافة والعلم . ولكن هذه الفكرة لم تكن لتتفق مع مذهب أرنولد فى التربية والتعليم . فقد آمن بوجوب تدريس مبادىء هذه اللغات أو إحداها على الأقل فى المدارس الابتدائية . وهذا الأساس يفيد جميع الطلبة الذين يقصدون الالتحاق بالكليات العالية والجامعات .

وأما الطلبة الآخرون الذين لا تساعدهم ظروفهم على متابعة دراستهم فان هذا الاطلاع ينفعهم فى تفهم الحقيقة الراهنة . وهى أن هنالك لغات غير لغتهم وعلوما غير علومهم .

وزيادة على ذلك فقد ارتأى أرنولد أن دراسة الرياضيات وعلم الفسيولوجيا والجغرافية الطبيعية والنبات هى من أشد الأخطاء التى يرتكبونها فى نظام المدارس الابتدائية . فان من الحماقة تعليم الأطفال اصطلاحات علمية لايتفهمونها ولا تستطيع أدمغتهم الفتية قبولها وإساغتها .

وأما الأساتذة فيجب أن يتوخى فى انتخابهم مقدرتهم العلمية وميلهم إلى المطالعة ومتابعة الدرس، وقد كتب فى أحد تقاريره: « إن الأستاذ الذى يستطيع أن يخلق فى طلبته الميل لتوسيع أدمغتهم ليستحسن منه أن يزيد فى معلوماته ومعرفته . وكلما استطاع أن يجعل آراءه العلمية واضحة أمكنه أن يجعل طلابه أكثر وضوحا واتساعا . وكم كان يسره أن يرى أحد الأساتذة الذين يشتغلون معه يتابعون دروسهم فى إحدى الجامعات .

وكنتيجة للجدل الدينى الذى قام فى عصره شعر أرنولد بفقدان الشعور الدينى فى تلامذته ؛ ولذلك فكر فى تدريس التوراة فى الصفوف الابتدائية لمعالجة هذه الحالة . ولتنفيذ هذه الفكرة وضع أرنولد كتابا جمع فيه الفصول السبعة والعشرين الأخيرة من إنجيل أشعيا وشرحها شرحا يمكن طلابه من فهمها حق الفهم .

وكان أرنولد يميل إلى النظام التربوى المتبع فى المدارس الفرنسية مع انتقاده إياها ببعض انتقادات لا تخرج عن جادة الصواب ؛ فلا يوجد هنالك توافق وتعاون بين مختلف درجات العلم والتعليم . ولذلك فان نظام المدارس الداخلية لم يكن مقنعاً . فان العريف الذى كان يعد مسئولا عن سلوك الطلبة وأخلاقهم لم يكن فى الحقيقة إلا واحداً منهم لا يسره أن ينم عن رفاقه أو يشى بهم .

وقد أعجب أرنولد بقلة النفقات التى يدفعها الطالب الألمانى لمتابعة دروسه . فكان هنالك فى بروسيا سلم تعليمى يمكن للطالب النابه ارتقاءه درجة إثر أخرى حتى يصل إلى القمة . وهذا النظام كان فى رأيه أحسن نظام عرفته أوربا منذ القدم ؛ فكان يجمع إلى الحرية الانكليزية نظام الفرنسيين .

أما الجامعة فيجب أن تشمل ثلاثة فروع مختلفة ، الأول منها فرع التعليم العادى الذى يمكن لجميع الطلبة على اختلاف مراتبهم العلمية مزاولته والإستماع إلى محاضراته الكثيرة فى أى وقت شاؤوا . والثانى يشتمل على بعض الدروس الليلية التى تعطى رجال الأعمال أو الموظفين الحكوميين الذين لا يمكنهم حضور الدروس النهارية . والفرع الثالث هو فرع المراسلة الذى يضم إليه جميع الطلبة الذين لا تمكنهم ظروفهم من الحضور إلى المدينة والاستماع إلى المحاضرات .

فلسفته الدينية :

اعتقد غلادستون أن أرنولد قد جمع إلى الديانة المسيحية فكرة الإخلاص والتكريس المقدس بطريقة لا يمكن لأصدقائه وأعدائه على حد سواء تفهمها وحل غوامضها . وأما بول فقد كتب عنه قائلا : « إن أرنولد وضع لنفسه هدفاً منطقياً معقولا ولكن تعابيره الجميلة كانت موانع هامة أمام تقدمه ونجاحه[١] » .

لم يكن نقد أرنولد للتوراة نقدا قويا ولم يكن بحثه فيها بحثاً ناضجاً قيماً . وكتابه : « القديس بولس والبروتستنتية » لم يكن كتاباً دينياً حقيقيا . لكنه يخرج فيه على قواعد المسيحية الموروثة ، وعلى الكنيسة المتحدة أيضاً . فكان يؤمن بالمعجزات ويقف موقف الشك من شخصية الإله . فلم تكن عقائد الآخرين لتؤثر عليه أى أثر مهما كان ضئيلا .

أما كتابه « الأدب والعقائد » فيفوق سابقه بروعته وقوة

(١) Repsrt fsr 1872 Ornsld

(١) Paul : Ornsld. P. 130.

أسره . فهو جد مشبع بالعواطف الدينية المختلفة مما جعله أداة فعالة فى إعلاء الأخلاق وترقية أمرها . ويبحث هذا الكتاب فى المسائل الدينية بحثاً جدياً منطقيا . فيبرهن بشتى الطرق على أن الديانة الحالية قد أفسدت التعاليم الجميلة الكثيرة التى جاء بها السيد المسيح منذ القدم .

وكانت رغبته تنحصر فى منح الناس الحرية الكافية لتمييز الأشياء وتمحيصها . فقد رأى بعينيه التقلب والتطور الذى أخذ يدب دبيبه فى روح الدين وتعاليمه فلم يستطع احتمال ذلك . أصبح الناس لا يؤمنون بالمعجزات ولا بوحى التوراة ؛ وقد خالف علماء الدين بقوله إن التوراة كتاب أدبى أكثر منه كتاباً علمياً . وليس من واجب الدين إلا أن يهتم بالأخلاق التى تكون ثلاثة أرباع الحياة الإنسانية . وصدق الديانة يجب أن يدعم بالتجارب العملية أكثر من الحقائق الفلسفية والأخلاقية . وخلاصة القول فقد عرف الديانة بقوله إنها الأخلاق تحفزها العاطفة والإخلاص .

أما إيمانه بالله فكان يختلف عن عقائد أهل عصره فلم يعتقد بشخصية الإله وأنه شخص له صفات تخالف صفات البشر ؛ بل قال بأنه القوة السرمدية الأبدية التى تسيطر على هذا الكون . وتظهر لنا عقيدته هذه من جميع الفقرات التى اقتبسها من التوراة وسجلها فى كتاباته فكان يغير لفظة الرب بلفظة الخالد .

والإيمان يجب أن يشمل جميع ما جاء به العهد الجديد وإلا فلا حاجة للناس بالإيمان ببعض أجزائه ونكران البعض الآخر . وأما عقيدة الإعتراف فيجب أن لا توضع بمنزلة عقيدة المعمودية ، وإذا كان الناس لا يعتقدون الإعتقاد التام بجميع ما جاء فى التوراة وبصدق الرواية والزمان والمكان كان إيمانهم بالسيد المسيح أشبه بالخرافات والأمور الخيالية .

أما ثالث كتبه الدينية فهو كتاب « مقالات فى الكنيسة والديانة » . ويبحث هذا المؤلف فى وصف أحد المطارنة الملقب بمطران بتلر فهو يقول عنه « إن هذا المطران لم يعترف بوجود الإله فحسب ؛ بل بوجود الحياة المستقبلة ، وقد عرض للناس دوافع خطأ الإنسان وأغلاطه بطريقة دقيقة لا تقبل الشك والنكران . والعقل هو الحاكم الوحيد الذى يلجأ إليه الإنسان فى فهم دقائق الأمور وخفاياها فهو الأداة الوحيدة التى يمكننا بواسطتها تفهم جميع العقائد حتى وجود الإله وحقيقته[١] » .

(١) Psul. Grnsld : P. 144.

وفى مقدمة هذا الكتاب نرى أرنولد يوضح عقائده بشكل جذاب فهو يقول : « إنى لأعتقد بخلود الديانة المسيحية نظراً لصدقها وصراحتها الطبيعيين . وإن هؤلاء الناس الذين اعتقدوا تخلصهم من حملها والإيمان بها تبعاً للعقائد الزائفة التى بشر بها الكثيرون من رجال الدين سيرجعون إليها مرة ثانية ويدرسونها درساً أوفى ، وأشد دقة وتفهماً[١] » . فكان يؤمن ببعث روح جديدة تطهر الديانة مما لحق بها من الأدران والأوساخ . وهذه الفكرة السامية تجاه الديانة المسيحية لتظهر لنا جلياً فى فقرة ثانية كتبها حيث يقول : « إن الكنيسة يجب أن تعتبر كؤسسة وطنية تسعى إلى إعلاء شأن الوطن ورفع كلمته . فمن واجب الناس على اختلاف طبقاتهم أن يتمنوا لها التقدم واطراد النجاح[٢] » .

والهدف الوحيد الذى سعى إليه أرنولد فى جميع مؤلفاته هذه وخاصة كتابه « الأدب والعقائد » كان لاسترداد التوراة مكانتها القديمة وإعلاء شأنها بين طبقة العامة الملحدة . وهذا الهدف كان سامياً فى حد ذاته ، ولذا فإن تحقيقه كان من السهولة بمكان عظيم . وقد أشبهت كتاباته هذه من نواح عدة مؤلفات الكردينال نيومن الكاتب الإنكليزى الشهير . فعرف أن الشك فى المعجزات يقود الناس حتما إلى إنكار جميع الحقائق السماوية .

رأى أرنولد جمهرة المتعلمين من قومه يخرجون عن عقائد التوراة وأحكامها فحاول إرجاعها إلى قلوبهم باقناعهم أن مكانتها فى عقول الناس يجب أن لا تبنى على أساس المعجزات التى جاء بها أو على العقائد التى استخلصها الكاثوليك والكلفنيون من ثناياها بل إلى أدبها السامى وإلى روح النشاط والحماسة التى يبعثها السلوك الحسن والتضحية وحب الإنسانية .

فالديانة فى رأيه لم تكن إلا الأخلاق تبعثها العاطفة وطهارة النفس ، والرجل الورع هو الكريم الخلق الحسن الشيم . واندفاعه هذا فى طريق الإخلاص يجب أن يكون ناتجاً عن عقيدة راسخة هى عقيدة العاطفة والميل . أما إذا كان الرجل مضطراً إلى اتباع سنن الأخلاق وتعاليمها فهو ليس بخير كريم . إذ أن الرجل الكامل ، هو من كان مندفعاً برغبته وميوله لا تحت تأثير الطاعة والخنوع .

(يتبع) خيرى حماد

(١) Psul. Grnsld : P. 144.

(٢) Ossay m Chwch Qnd Ribgion : Cnnold. P. 37.

عاهـــل الجزيرة

في وادي النيل

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

حادٍ من البيدِ هزَّني قوافله   والنيلُ يصغي إليه أو يساجله
يلقى الغناء حجازياً فتحسَبهُ   تهجُّد الفجر أوَّابٌ يواصلهُ
أصغت له مصر، فاهتاجت سرائرُها
وللديارِ هــوى تهفو شواغله!

معلّم كيف يُشجي الريح! كيف لما
تعيدُ تسبيح «داودٍ» فواصلهُ!
وكيف تخطفُ سحر الشمس نغمته
فينتهي كل ما قصته «بابلهُ»
وكيف بالجبل الراسي مزامرُه
تشجيه حتى يريد الخطو كاهله
خرت لموكبه الوديان ساجدة
إن الصحارى أذان، وهو قائله!
وللجزيرة وحيٌ في قيـــاثرِهِ
كادت تضيء به الدنيا أنامله
مهد النبوات أرض النور موطنه
وفي مزار الهـدى قامت منازله

سارٍ يهاب الضحى أنوارخطوته   ويعلمُ الفجر أن الركبَ حاملهُ
وتسمع الطير عنه، وهي شاردة   فإن دنا سربُها قرّت بلابله
حَبٌ، وماء، وأعشاش، وأمن رُحمى
فيــه الغريب أخٌ، والضيف آهلهُ

سألته: لمن الركبان سائرة؟   وللكريمِ اهتزازإذ تسائله!
فقال إني من الشرق الذي سطعت   ونورت منــه للدنيا رسائله
من بقعة عمّدُ الاسلام في يدها   سواعد الدهرِ يعييها تطاوله!
مشى الرسول عليها فاغتدت حرما   يجرد النفس للتسبيح داخله
وشع منها كتاب الله، فهي حمى   لا بد يسجد قبل الخطو نازله
بنى عليها، وشاد الملك معتلياً   على المهابة، سيف عز حامله

عرش(الجزيرة) مركوز بقبضته   وفوق حدَّيه أجرى البأس عاهله!
تلألأت منه فوق النيل زاخرة   رُؤى جبينٍ أضاءته فضائلهُ
نورُ الشهادة تُبديهِ أسرّتهُ   وهالةُ المجد تُضفيها حمائله
وحوله من سماء البيد شارقةٌ   من البـداوة تذكيها شمائله
عطر النبوات نضّاح على يده   كأنّ خلداً زكتْ فيه خمائله
وفوق عينيه للتوحيد بارقة   شعّتْ ضياءً بما تطوى دخائله:
شهادتانِ هما للرُّوح مرفأة   فيهامنارُ الهدى، فيها مشاعله!
البيرقُ الأخضر الرفراف ضمهما   هدْياً، ونوراً، لمن زاغت دلائله!
«الله أكبر» في الشّطين هاتفة   كطير مكة إذ هاجتْ زَوَاجلهُ
رأيتــه وضفاف النيل تحمله   والنيل يهتزُّ للأبطال ساحله
في موكب تُفرح الأسلام عزّته   وتلفتُ الشرق للماضي مخايله!



وتدهش الدهر إرهاباً بضجّتها
ما خلّفته على الوادي جلاجلهُ
ملكان في مفرق الدنيا ضياؤهما
عالي الركاب، رحيب الخطو، جائله
قاما على عزةٍ للشرقِ شامخةٍ
وموردٍ للعُلا فاضت مناهله
كانا شعاعين للأيام في زمنٍ
كانت تغطُّ على ليلٍ مجاهله
هـذا على جبهة الصحراء صولجه
يفني الجبال إذا هبّت تصاوله
عالٍ مع الشمس، طواف بسيرتها
على الوجود نَداه أو جحافله!

وذاك تسحرُ كبرُ الخلد هيبته   بمــا بنى لِبَني الدنيا أوائله
على محارب من نهر ومن شجرٍ   أسحاره قانتاتٌ أو أصائله
كم كبَّرت لأذان الفجر نخلته!   وسبَّحت بهوى الباري سنابله!

***

يا سائران على نور، وخلفهما   قلب من الشرق تضنيه مشاغله
مُرّا عليه بسحر في أكُفِّكُما
داني التّداوي، قريب البُرء، عاجلهُ
براحةٍ في حواشيها وصفحتها   طبُّ الشعوب حنى النور مائله
مازال «رضوى» يناجيها ويذكرُها
عهداً إلى أبد الدنيــا يزامله

روته للشرق كثبان مهللة   وسطرته مواثيقاً جنادله

عهداً من الحب هز الطود فارتجزت
به الخيام ، وغنته قبائله !

ليث البوادى وحاميها وسيدها   تاريخ سيفك إنشاد تواصله

ضممتها وعصبت البأس فى يدها   وكنت غيثاً تغاديها سوابله

تعلقت بك حين الركب قال : هلا
وأوشكت بخطى النجوى تناقله

وحين يممت كاد البحر لجته   تغدو بساط فلاً ، غنت قوافله !

ركبت بيضاء بالأرواح دارعة   جنان مصر لها تهفو بلابله

أحبابك ارتقبوها منذ ماسبحت   «فاروق» والنيل والوادى وآهله

جرى النسيم سعودياً بجنته   وللرياض هفت شوقاً هوادله

«عبدالعزيز» إليك الحب ، يدفعه   واد ترفرف بالبشرى خمائله

حيتك منه سماء شاركته هوى   بالغيث يفتر فى الشطآن وابله

تحية البيد ساق الله فرحتها   على يديك بشيراً أنت حامله

حار العباد أنجدىٌّ هواؤهم   والقطر والريح أنسام تزايله

أم أنها فرحة الإسلام سار بها   ركب المليكين فى شوق يعاجله؟!

عبير يثرب تذكيه مطارفه   وخيلة العُرب تحكيها صواهله

هذا أذان العلا يا شرق ! فاتحة   يراع منها غوى القلب غافله !

ضيف الجزيرة ، لا وصفاً ولا حلما   جِنان مصر جَنان أنت نازله !

أخوك «فاروق» راعيها وعاهلها   وأنت فيها أخ طابت منازله ! !

أواخر الخريف

« فيك اختفى سر الربيع كما اختفى
فى جنح أمسية جناح صباح »

للأستاذ ادوار حنا سعد

طير مروعة وخفق رياح   وخمائل مهجورة الأدواح

صفراء عاطلة تجرد عطفها   من ورد منطقة وزهر وشاح

طاف التجهم والذبول على الربى   بعد الربيع الناضر المراح

فرنت لماضيها الوضىء وأسبلت   تبكيه أنوارا وطيب نفاح

تهتز راعشة وتذرف دمعها   ورقا ينوح على رحاب الساح

يزجيه خفاق الرياح كساحر   تزجى لديه مواكب الأشباح

وعلى الأصيل حلى سحاب أبيض   متناثر متموج مسباح

فكأنه زمر القطيع تفرقت   ما بين أودية وبين بطاح

وكأنه بيض الزوارق هومت   أرخت أعنتها يد الملاح

فاذا تواكب جمعهن وركمت   سود الغمائم فى وضيء نواح

غالت بقيات النهار وغيبت   من ضونه الترفق الوضاح

كخريف آلامى وليل مواجدى   وغيومهن وسيلها المجتاح

حجبت ضيائى واستباحت نغمتى   وطحت بزهر مطامعى وطماحى

أقبلت تغنى الزرع كى يحيابه   ويبذره زرع بعيد رواح

إن كنت شردت الطيور فانما   لنزدننا فى العود سحر نواح

أو كنت حجبت الربيع وخمره   فلكى تعتق من شهى الراح

وتزيد من سحر الأزاهر والسنا   وجنى الرياض وهتفة الصداح

فيك اختفى سر الربيع كما اختفى   فى جنح أمسية جناح صباح

فرحة الحب (*)

للشاعر حسين محمود البشبيشى

ما بال ثغرك ضاحك البسمات   مابال قلبك راقص النبضات

قد كنت والأحزان فى ليل الأسى   تسرى وحيداً حائر النظرات

واليوم من أحياك؟ من بثّ المنى   فى جانبيك وضيئة القسمات

من ذا الذى أجرى الحياة خواطراً   تنساب من عينيك مؤتلقات

فكأن فيض شعاعها أنشودة   أبديّة الأصداء والنغمات

وكأن قلبك نغمة سكرى الهوى   من خمرها الروحى والكاسات

وكأن روحك ومضة أنوارها   فتن الجمال وفرحة النشوات

ماذا بقلبك ؟ ... أى سرٍّ لم يزل   ينساب فى جنبيه كالنسمات

..الحب ! ماأحلى الحياة إذا جرت   أيامها نشوى من الصبوات

لمح الفؤاد جمالها ... فسمى لها   شوقاً يذيب الروح فى الدعوات

وجرى النشيد منغماً بغرامه   ثملا من البسمات واللفتات

وشدا فطار القلب من أضلاعه   نغماً يبث الحب فى الصدحات !

ومضى يحلق فى سماء غرامها   لهفان مشتعلاً من اللهفات

فى كل صبح باسم اللمحات   يرنو وفى عينيه شوق عاتى

ويكاد يهتف فى الطريق متى؟ متى؟   يا صبح تقبل فتنتى وحياتى

حتى إذا ابتسم الطريق وأشرقت   جنباته من رقة الخطوات

وهفا الفؤادُ يكاد يسبقنى إلى   محبوبتى ليبوح بالحرقات !

أسرعت والأشواق تصرخ فى دمى   والحب فى عينى وفى نبراتى

وهتفت .. ماأحلى صباحك يامنى   نفسى ويا قلبى وسرّ حياتى

وأكاد من فرط الغرام أغار من   قلبى ومن عينى ومن خطراتى

(*) من ديوان ألحان قلب الذى صدر فى ٢٠ يناير .



فضيحة ... فمن المسئول ؟ !

ليس لها اسم إلا « الفضيحة » ، وقد وقعت مع الأسف فى استقبال العاهل العربى العظيم ، الذى تهيأت مصر لاستقباله بما لم تستقبل به أحداً من قبل ... فمن يا ترى هو المسئول ؟

لقد وددت أن أسكت حتى تنتهى الزيارة الكريمة ، ولكنى خفت أن تتهم مصر فى ذوقها فى حين أنها بريئة ، وأنها « عملة » ذهن عامى كليل . ولا بد أن كثيراً من الضيوف الكرام قد لحظ هذه « الفضيحة » ، فمن حق مصر أن أبرئها من « عملة » هذا الذهن العامى الكليل !

فى مصر شعراء والحمد لله — فلم تعقم بعد — وشعور هؤلاء الشعراء فياض بالحماسة والحب والتكريم للعاهل العظيم ... ولكن ذهناً عامياً كليلا فى محطة الإذاعة ، أو فى غيرها ، أراد أن يختار قطعة تغنيها مطربة الشرق العربى « أم كلثوم » ، فلم يجد أن شعور مصر الدافق كله يستطيع أن ينشئ قطعة مناسبة لهذا الغرض الكريم ، فبحث وبحث حتى وجد قطعة للمرحوم شوقى بك (قيلت فى مناسبة المولد النبوى الشريف) ، فاختار أن تغنيها لتحيي بها الملك العظيم .

ولكن القطعة — وهى فى مناسبة خاصة — لا تحوى نصاً صريحاً يتفق مع المناسبة الحاضرة ... وهنا يتفتق ذلك الذهن العامى الكليل عن حيلة طريفة ... يستدعى شاعراً معاصراً هو الأستاذ محمد الأسمر لينظم أبياتاً تلصق بأبيات « شوقى » ، وتفى بهذا الغرض الجديد !

يا للذكاء ! ! أيجرؤ ذلك الذهن العامى على اتهام الشعراء المعاصرين أجمعين بأنهم لا يستطيعون الوفاء بمناسبة حاضرة كريمة تهز شعورهم وشعور المصريين أجمعين ؟

وإذا كان قد قدر عليه القدر (كما يقولون فى العامية) ، ولجأ إلى شعر قديم يستوحيه ؛ فإما أن يجده وافياً بالغرض ، وإما أن ينصرف عنه ، بغير هذا الترقيع الذى لا أدرى كيف أسميه !

وتشاء المصادفات أن تمضى « الفضيحة » إلى نهايتها ، فتأتى الرقعة الجديدة — على غير مألوف الشاعر الذى قبل القيام بهذه المهمة العجيبة ركيكة مهلهلة ضعيفة ، لا تتسق مع الأبيات الأصلية معنى ولا مبنى !

ثم يأتى التلحين ردیئاً إلى الحد الذى يقضى على الصوت الغنى الرخيم ، فلا يكاد يبين !

من المسئول عن هذه الفضيحة ؟ وهل يصلح مثل هذا الذهن العامى الكليل للإشراف على مثل هذه البرامج الخاصة بمناسبة عظيمة لا تعرض كل حين ؟ !

سؤال يوجهه الأدب والذوق والكياسة للمسئولين !

سيد قطب

الأستاذ النشاشيبي في مصر :

قدم القاهرة إمام العربية الأستاذ المحقق محمد إسعاف النشاشيبى وتبوأ الصدر من مجلسه المشهود فى الكنتنتال ، فأقبل عليه عارفو فضله وعشاق أدبه يرحبون به ويستفيدون منه . فأهلا ومهلا بحجة الإسلام وعمدة الأدب .

فى قصيدة الغزالى :

نبهنى إلى ما نشرته « الرسالة » الغراء فى عددها رقم ٦٥٢ تحت هذا العنوان الصديق الفاضل ثروت أباظه ، وهو يواسينى فى غمرة الأسى على والدى — ندّى الله مضجعه بفيض من رحمته ورضوانه — ثم عاد — أمتعه الله بأبيه — فأثار هذا الموضوع بعد أن رجعت إلى عملى فى مصر ، فتذاكرنا معاً ما بقى بذهنى من علمى العروض والقافية ، أيام دراستى فى الأزهر ودار العلوم .

والأستاذ رضوان يذكر أن صاحب (الشافى فى علمى العروض والقوافى) قسم السناد ، ثم مثل لسناد التأسيس بهذا البيت :

يا دار مية اسلمى ثم اسلمى تخندف هامة هذا العالم

فإهمال ألف التأسيس مشاهد فى كلمة (اسلمى) ، ويوافقنى الأستاذ على أن البيتين المشار إليهما فى قصيدتى ليسا من قبيل هذا البيت . والمثال كما يقولون مصدر القاعدة .

وفى بريد الرسالة الأدبى كلمة لكاتب فاضل يخطىء فيها الأستاذ رضوان ويذكر أن فى البيتين سناد الإشباع لا سناد التأسيس فما رأى الأستاذ رضوان ؟ إنى لأرجو أن ينفى ما ذهب

إليه صاحبه ، كما نفى صاحبه ما ذهب إليه وبذلك يخرج البيتان فى عافية .

وأحب أن أهمس فى أذن الأديبين الناقدين أن كلمة (الخطأ) التى وردت فى نقدهما فيها كثير من التجوّز ، فلم يقل أحد من العروضيين إن هذا أو ذاك خطأ ، ولكنه على حد تعبيرهم (خلاف الأولى) .

وإنى لأشكر للاديبين غيرتهما ، وحينما أرزق سعة النفس والوقت أعدهما ببحث مستقل أستعرض فيه سنن الشعر العربى فى مختلف عصوره لدفع هذا الزعم الذى يدفع الناقد لمثل هذه اللفتات .

والشعر مصدر ما وضعه العروضيون من قواعد ، ويا ويل الشاعر من العروضيين

أحمد عبد المجيد الغزالى

١ – شعر حماد :

جاء فى المقالة الخامسة من مقالات (حماد الراوية) العدد (٦٥١) عند الكلام على انتحال حماد « وإنما الذى به النحل لا الإنتحال » أن شعره (يميل إلى الغثاثة والركة ، ولم يبلغ من الجودة ما بلغه شعراء الجاهلية حتى تختلط أشعاره بأشعارهم) . وجعل ذلك أحد أوجه ذكرها لأبطال روايات مشهورات عن ثقات ، واستدل عليه :

١ – بنقل أبيات لحماد استهدى بها جبة من بعض الرؤساء . أولها (إن لى حاجة فرأيك فيها) .

٢ – بضبطه (فرأيك) بالرفع والتحشية عليها بأن حماداً (يريد أن يقول : فما رأيك فيها) .

٣ – بنقل أبيات جزلة منسوبة إلى حماد والإشارة إلى أن قائل تلك لا يقول هذه .

وأنا أقول :

١ – إن أبيات حماد فى استهداء الجبة ، ليست غثة ولا ركيكة بل هى أبيات بليغة . والبلاغة وضع الكلام فى موضعه ومطابقته لما تقتضيه الحال ، وتلك الحال لا تقتضى إلا مثل هذه الأبيات ، ولو ساقها جاهلية فخمة غريبة اللفظ بدوية الأسلوب ، لكانت باردة غثة ، لأن لكل مقام مقالا .

٢ – أما (فرأيك) فالخطأ فى ضبطها ، جر على حماد عارها وإنه لبرىء منه ، وإنما هى (فرأيك) بالنصب . وهذه من قبيل (زناه فحده) التى كنا تكلمنا عنها ...

٣ – أما إن الذى يقول الشعر الخفيف الفكه فى موضعه ، لا يقول الشعر الجزل فى موضعه ، فغير صحيح ، وهذا بشار يقول (ربابة ربة البيت) الأبيات وما تمنعه أن يقول (إذا ما غضبنا ...) وبينهما أكثر مما بين قطعتى حماد ، وشوقى صاحب المعجزة البيانية (قم فى فم الدنيا وحى الأزهرا) هو صاحب (الحيوان خلق له عليك حق) وناظم (تلك) الأنشودة لجمعية الشبان المسلمين سنة ١٩٢٩ .

وما شاعر فى الدنيا ، ولا كاتب ولا متكلم يهزل كما يجد ، ويقول لصديقه مؤنسا ما يقول لعدوه هاجيا ، ويتغزل بأسلوب الفخر ، ويخطب يوم المعمعة بمثل ما يناغى به الحبيب ليلة اللقاء ، ويرقص وليده بمثل أراجيز العجاج ، وهذا أبو نواس فى خمرياته غيره فى طردياته ، والرصافى فى أخلاقياته ، أين منه الرصافى فى مجونياته ، ولولا أن هذا أمر قد فرغ من تقريره نقاد العرب والافرنج من زمن طويل ، لسردت مثالا عليه من شعر كل شاعر !

٢ – سادة الكتاب :

هذه حاشية على العمود الثانى ، من الصفحة (١٤١٨) من الرسالة (٦٥٢) :

وأنا أقول : إن سادة الكتاب (عندى) خمسة : هم الذرى وهم القمم ، وإن كثرت من دونهم الهضاب والجبال : الجاحظ فى الأدب ، وأبو حيان فى الفكر ، والغزالى فى التحليل النفسى وابن عربى (محيى الدين) فى التصوف ، وابن خلدون فى الإجتماع هؤلاء الأئمة المجتهدون ، وأما الآخرون فأكثرهم مقلدون . وأستاذنا النشاشيبى أوسع منى علما ، وأصح حكما .

٣ – بين قوسين :

لتفهم كلتى فى بريد الرسالة (١٤١٨) ضع كلمة (عنوانه) فى السطر الثانى بين قوسين ، لأنها جاءت للتفسير لا للتقرير .

على الطنطاوى



من ذكريات الشباب

اجترار

للأستاذ حبيب الزحلاوى

— ٢ —

حكايتى أيها الأصدقاء تدور حول الأثر الذى تركته حوادث الجهاد الوطنى فى نفسى ، لا حول أبلغ حادث حدث لى .

كنت أتوقع عندما عينت ضابطاً فى الجيش أن ألقى مشاكسة من زملائى الفرنسيين ، وتعالياً على الضابط « العربى » فوطدت النفس على التمسك بالكرامة مع السلاسة واللطف ، نجحت بعض النجاح فى السير على منهاجى ، وكنت أفشل فى قطع ألسنة أولئك الضباط عن القدح فى قومى وسب « السوريين القذرين » ولاسيما حينما كانت تضمنا مائدة شراب ، ولم يكن بعد عنهم إلا ضابط من رتبتى كان يقف دائما فى وجه أولئك القادحين فيصدهم عن المضى فى طعن الأمة العربية ! كراماً « لزميلنا الضابط الكيس والخلصاء الذين عرفناهم من السوريين » فكان أولئك الضباط الأجلاف ينحرفون عن الموضوع ، ناسبين ذلك إلى ما يلاقون من الشعب من كراهية وبغض ، وكان ذلك الضابط ، نضر الله وجهه ، يدافع عن حق السوريين وينعت حكام قومه بالطيش والهوج فى مد حكمهم وبسط وأخبار رجال السياسة البعيدين عن مواطن الخطر ، وأخبار إخواننا المهاجرين تصلنا منبئة بقيامها كلها متساندة متضافرة تعمل لجعل هذه الثورة هى الأخيرة للخلاص التام من الأجنبى المستعمر .

عملت ما فى وسعى لأقنع الأجناد الوطنيين تحت إمرتى أن نهرب بسلاحنا وميرتنا للالتحاق بإخواننا المجاهدين لتحرير الوطن ، وقبل انبلاج الصبح كانت دوابنا المثقلة بالأحمال على

سناد التأسيس :

فى العدد (٦٥٢) من أعداد الرسالة خطأ الأستاذ محمد محمود رضوان بيتى الشاعر أحمد عبد المجيد الغزالى وهما :

كأن به فى حلة الملك رافلا ... يخب بدنيا ليس يدنو لها مدى
عوالم هذا العصر أنت وسعتها ... بفنك لم تعجز لسانا ولا يدى

وقال إن الخطأ فيما يسميه العروضيون « سناد التأسيس » .

والحقيقة غير ما قال الأستاذ الناقد إذ أن « سناد التأسيس » فى البيتين السابق ذكرهما موجود وإنما الخطأ فى « سناد الإشباع » كما يقول أهل العروض ، وليس فى « سناد التأسيس » كما قال الأستاذ الفضال .

فحركة الدخيل فى الأبيات كلها بالخفض ، إلا فى البيتين المنقودين فإنها جاءت بالفتح ، وذلك ما يسمونه سناد الإشباع .

ومنى على الناقد والمنقود تحية وسلام .

عدنان أسعد

حول سجون بغداد :

أرجو ، أن يتفضل من كان لديه أخبار تتعلق بسجون بغداد وما يتصل بها — لم أذكرها فى مقالاتى التى نشرت فى هذه المجلة — فينشرها فى هذا البريد الأدبى ، وله منى الشكر سلفاً .

صلاح الدين المنجد

بضعة كيلو مترات من مرابط الثوار ، والفضل فى هربنا يعود إلى زملائى الضباط الفرنسيين الذى أثقل « الحشيش » أدمغتهم تلك الليلة .

فى منتصف ليلة من الليالى ، سرنا بطوائف منظمة من الثوار لنقطع الطريق على حملة من الفرنسيين جاءت لتطويقنا من ناحية الشمال ، بلغنا الموقع الذى قدرت أن الواقعة ستقع فيه ، ووزعت رجالى توزيعاً يوهم العدو بكثرة عددنا ، وأوصيت بعدم الاسراف فى إطلاق الرصاص ليكون متواصلا ، ووقفت فى مكان مرتفع مع بعض زملائى نرقب الموقعة وندبرها .

لم أر ولم أسمع فى حياتى عن موقعة التزم رجالها ضبط النفس والعمل بإقدام وشجاعة وحزم كتلك الموقعة التى كانت كأن الصخور والمتاريس وأكوام الحجارة هى التى تتفجر فتطلق النار فتصيب الهدف ، لا رجالا مثلنا من لحم ودم .

أخذت الشمس تميل إلى الغروب ، ولم يتقدم العدو خطوة إلى الأمام ، ولم يتبين له أآدميون يقاتلونه ، أم مردة وشياطين يصبون عليه الموت ، وبينا نحن فى هذا الموقف ترفرف فوقنا أجنحة الشعور بالظفر على العدو وإفساد خططه ، وإذا بصوت من الخلف يناديني باسمى مقرونا بصفة حبيبة إلى قلبى « يا صديق العزيز ، لا تظن أنى أغتالك غدراً بل أقتلك دفاعاً عن قومى وشرفى العسكرى » وصوب بندقيته وسددها .

يكفى أن أقول لكم يا إخوانى إن خمس بندقيات صوبت فى لحظة واحدة إلى صدر « صديق العزيز » وإلى من كان معه من ضباط ، وأن رصاصتى كانت الأسبق إلى قلبه .

بكيت ذلك الصديق ، وما برحت أبكى سجاياه وشمائله ، لأنه إنسان مهذب .

سأل واحد من المستمعين بتلهف عن مصير تلك الموقعة فأجاب المتحدث بصوت تخنقه العبرة الجامدة ، « لقد تولى رفاقى إدارتها بنجاح حتى ارتد العدو أما أنا فقد واريت قتيلى التراب » .

***

من راقب أولئك الأصدقاء يؤلفون دائرة فى وسطها نرجيلات تكركر ، وأنفاس تطلق فى الهواء ، يحس بأن لا فارق بين المتحدث والسامع فى اعتصار أحداثه من قرارة نفسه ، وأن الكلمات المهموسة تبلغ مكمن الضمير وحنايا الوجدان .

— ٤ —

أحدثكم أيها الرفاق عن حادثين متناقضين يسبقان أحداث الثورات الداخلية ، لعلى أعيد بهما نضرة الحياة إلى وجوهكم وقد فنيت فيها البشاشة وغاضت مياهها .

وحكايتى لا بد لها من مقدمة أقرر لكم فيها ، أن المبادىء التى يصطنعها أصحاب الأغراض الوطنية ويتخذها الشبان مثلا عليا ، ليست إلا سطورا مسجاة فى صدورنا ، أو جثثا مدفونة فيها ، قيمتها فى الثرثرة عنها ، وهى على وجه التمثيل كالبخور الذى يطلقه المشعوذ ، أما تنفيذ المبادىء والعمل للمثل العليا ، أو العمل على الأقل ، فى حيز غير بعيد عنها ، فليس فى وسع الرجل أو الشعب الذى قضى عليه بأن يكون محكوماً ، ولا راد لقضاء القوة عليه ؟ ! !

ولبيان ذلك أقول : ألفنا نحن الطلاب العرب ، أيام كنا نطلب العلم فى الاستانة ، جمعية اتخذنا لها القانون الذى قننه لنا أصحاب المثل العليا فى الوطنية والقومية ، وأقسمنا بالله وبالشرف والوطن على تنفيذه بسلاحنا ودمائنا .

ساقتنا الدولة العلية التى كنا نعمل للخلاص منها ، والانعتاق من عبوديتها ، إلى محاربة دولة غربية كنا نؤمن آنذاك أن لا سبيل لنيل استقلالنا الوطنى ، وتحقيق آمالنا القومية العربية ، إلا بمساعدتها إيانا .

وقفت ورفاقى نتحسس المبادىء المدفونة فى صدورنا ، وإذا الأوامر العليا تستحثنا على التقدم والقتال ، وشعرنا بأن قوة جارفة من حديد ونار تجرفنا من الوراء إلى الأمام .

حاربنا ، أجل لقد حاربنا من قال زعماؤنا عنهم إنهم عدتنا للاستقلال ، وقاتلنا قتال المجاهدين فى صفوف من قالوا لنا إنهم أعداء استقلال وطننا وقوميتنا !!!

لقد أنستنا الحرب إنسانيتنا وردتنا إلى أصولنا المتوحشة .

كنت فى بداية الحرب ، وقد خفت ميدان القتال ، لا تفارقنى الأشباح المرعبة ، والخيالات المزعجة لشخوص من كنت أراهم يسقطون بضربة سيف ، أو بطلقة مسدس أطلقها من دون وعى ،

وما عتمت أن تأكسدت مشاعرى فصرت كالجزار ينحر الكبش وهو يكبّر .

صدرت إلينا الأوامر من القيادة بأن نحتفظ بمواقفنا مهما كلفنا الأمر ، وبأن نعمل على التقدم مهما بهظ الثمن . كانت المدافع تدوى ، والقذائف تحفر فجوات فى الفضاء فتكظم بزخمها نفس من يدنو من طريقها العريض ، وبرغم ذلك كنا كالناجذ نتقدم فنحفر حفرة تتحول فى وقت قصير إلى خندق بقينا ويلات المدافع الرشاشة .

لم نكن نحفل بمن يستشهد منا ، أو يجرح فيتلوى كالطفل المغوص ، بل كان همنا أن نتقدم وأن نقى أنفسنا ، ونحتفظ بمراكزنا ، كأن فى ذلك منجاة لنا من موت يحوم فوقنا .

يالله يا أصدقائى من نزعة حب البقاء كيف تدفع بنا إلى الموت حباً للحياة ، كان الوجود بأكمله فى ناحية ، وكنت أنا وحدى فى الناحية الأخرى ، فلو فنى الوجود بمن عليه وبقيت أنا وحدى لكنت الوجود بتمامه وكماله ، ولم أكن أفكر ساعة الموقعة إلا فى شيء واحد هو « أنا » .

لا أدرى كيف لم تغب شمس ذلك النهار ، لأن الجو كان منارا بآلاف من ومضات المدافع وشرار البنادق فكان من مجموعها يتألف نور وضاء ساعد على مواصلة القتال .

لم يكن الزاد ينقصنا ، وأكوام الذخيرة تطمئننا على أن فى وسعنا الدفاع عن أنفسنا حباً فى البقاء .

أين الراحة ؟ كيف السبيل إليها والموقعة ما برحت تتطلب الدماء !! لقد ارتوت هاتيك البطاح بدماء المتقاتلين فلمن منهم تنبت الإصلاح ياترى ؟ كنا نتقدم تارة ونتراجع أخرى ، هذه هى الحرب السجال ولكن متى تنتهى الموقعة أو تخمد نارها ؟

انبلج الفجر ، وأشرقت الشمس ، وأقبل الليل الثانى !! لم أعد أحس بحماس للحياة ، ولا بدافع إلى البقاء ، إنما أنا فى حاجة إلى النوم ، إلى نوم عميق طويل ينقذنى من نفسى ، إلى هروب من هذه النفس التى تحوطها عناية الله ، وينزل بها بلاء الإنسان .

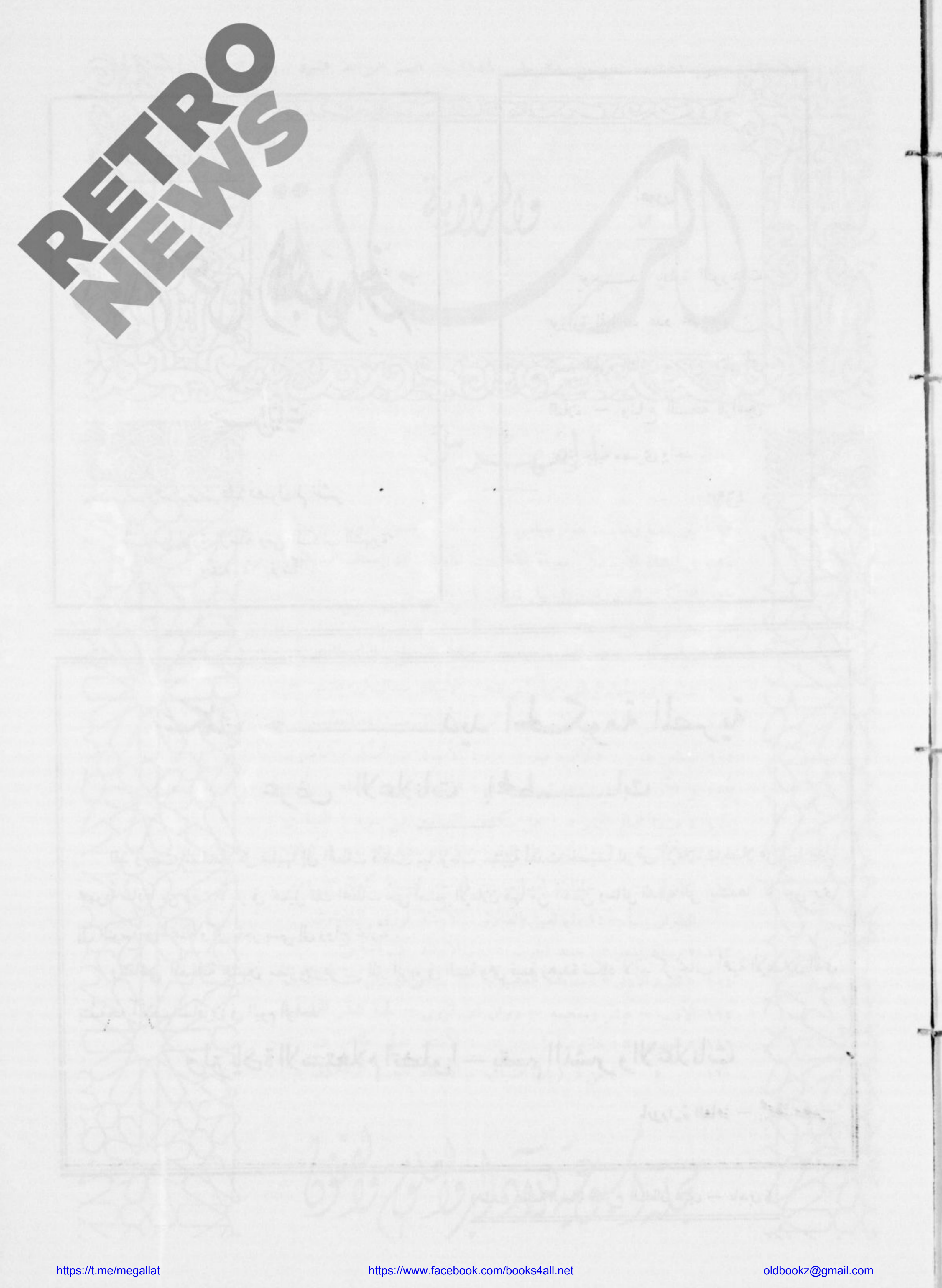
يا للشيطان !! هل هناك تناقض بين غايتين غاية الله فى الحياة وغاية الإنسان فى إزهاق الحياة ؟

ألقيت بجسمى فى حفرة من هذه الحفر التى شققناها بمعاولنا وأظافرنا فصارت خنادق طويلة عميقة ، ألقيت مسدسى كأن لم يعد لى حاجة إليه ونمت .

كم ساعة قطع النوم من عمرى ؟ لا أدرى !! أقسم لكم يا إخوانى أن لو اتصل نومى بالأبدية لما قلت إلا أنه الراحة الكبرى ... ولكنى استيقظت . لقد أيقظتنى مياه غمرت الخندق وقد بلغ ارتفاعها فمى ، وقد أخذت امتصها مع التنفس وكدت أختنق من الغصّة . نهضت كالكلب المبلول ، أنفض جسمى والسعال يكاد يخنقنى وكنت أرتعد من البرد ، وإذا بجماعة من الجند يصوبون فوهات بنادقهم إلى صدرى ، سمعت منها رطانة تنبهنى إلى أنى أسير .

عرفت بعد إذ بلغت مكان الاعتقال من زملائى الأسرى الذين جاءوا بعدى أننا لم نخسر تلك الموقعة ، ولم نفقد مراكزنا الأمامية ، ولكن حين شعر الأعداء بأعيائنا وبحاجتنا إلى الراحة ، خففوا ضغطهم علينا ، وعند ما طلبنا الراحة مستسلمين للنوم ، حوّلوا مجرى مياه النهر نحونا فغمرت خنادقنا وأغرقتها ، فغطس فيها من غطس غرقاً ، ونجا من الموت من أفاق من النوم وداهمته قناصة الأعداء ليلقى منهم الأسر كما لقيته أنا . ومن العجب العجاب أن حكومة الدولة التى أسرتنى ، بعثت بى إلى ميدان حرب جديد أقاتل فيه مع إخوانى من كنا نقاتل فى صفوفهم !! والفرق بين الدولتين أن العثمانيين ضنوا علينا بالاستقلال وأن الانجليز وعدونا به فصدقنا وعدهم !!! والأغرب من هذا ، أنى بينما كنت أحارب الأتراك بسلاح من الانجليز معار إلى الدولة العربية التى ارتجلتها السياسة ارتجالا ، التقيت عفواً بأخى الضابط يحافظ على الخط الحديدى الحجازى الذى انتدبت لنسفه بالديناميت ؛ وقد ساعدنى على إتمام مهمتى وعاد هو ورجاله معى لا كأسرى حرب بل كجنود بالجيش العربى ، جيش الخلافة العربية .

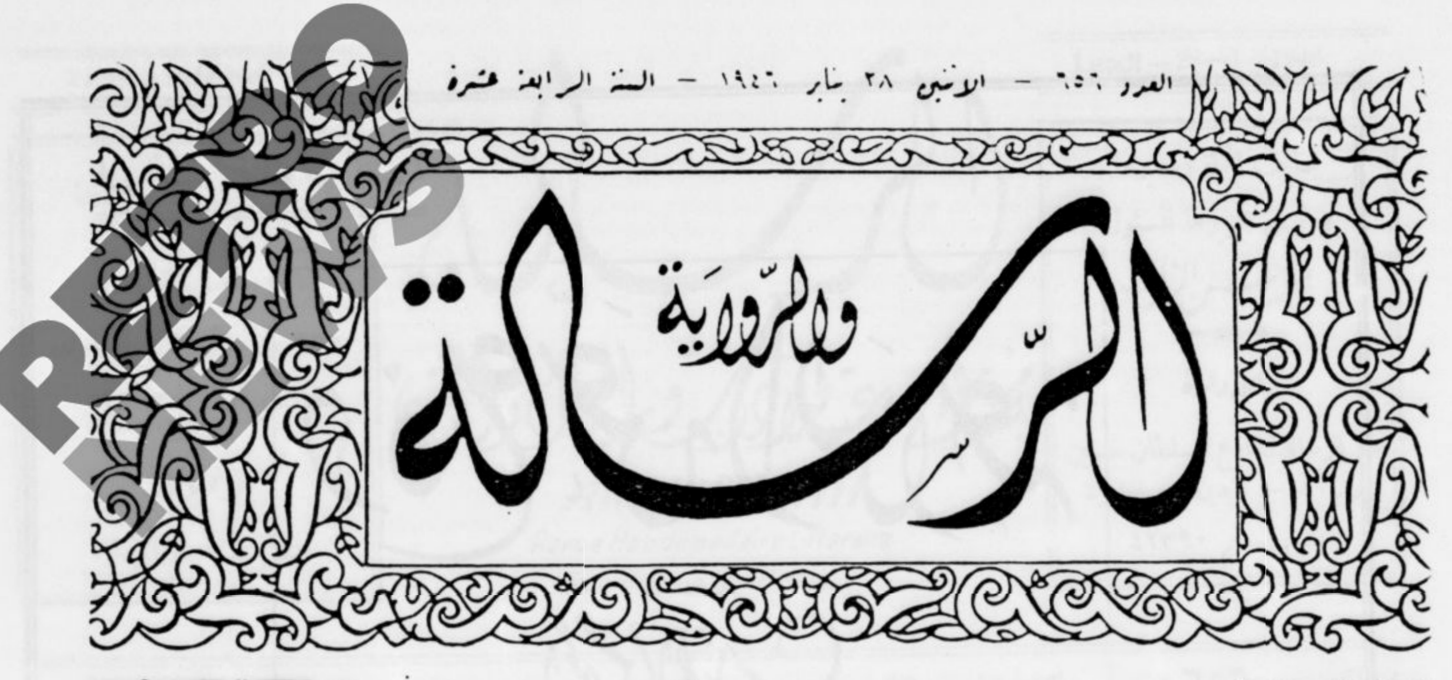
(يتبع) حبيب الزحلاوى



(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)



العدد ٦٥٦ — الاثنين ٢٨ يناير ١٩٤٦ — السنة الرابعة عشرة



الفهرس

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

14 me Année No. 656

Lundi —28—1—1946

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠



بدل الاشتراك عن سنة

مـ
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٦٥٦ « القاهرة فى يوم الإثنين ٢٤ صفر سنة ١٣٦٥ — ٢٨ يناير سنة ١٩٤٦ » السنة الرابعة عشرة

بين شيخ وشاب :

حوار سياسي

فى مجلس من مجالس الرأى يندو إليه صحابة من أحرار الفكر قد اطمأنوا فى حياتهم الوديعة إلى قسمة القدَر بعد أن اضطربوا فى المكاسب ، وتقلبوا فى المناصب ، وتمرسوا بالأمور ، وبلغوا غاية المقدور لهم من مطالب العيش ومآرب النفس ؛ فهم يمثلون الرأى الصريح ، ويستعملون المنطق الخالص ، ويرفعون أنفسهم فوق الأوضاع والأطماع والسياسة ، فلا تقيدهم وظيفة ، ولا تعبدهم شهوة ، ولا يقودهم حزب ؛ فى هذا المجلس تُستعرض كل ليلة أخبار اليوم وأقوال القوم ، فتوزن بالميزان القِسط ، وتنقد بالنظر الثاقب ، فلا يورَد خبر أو قول إلا حاكه رأى ، ولا رأى إلا هاجه اعتراض ، ولا اعتراض إلا ساوره شبهة .

وأكثر السامرين فى هذا المجلس من الكُنتيين ، فكثيراً ما تسمع كنتُ وكنتُ ، وقليلا ما تسمع سأكون وأكون ؛ لذلك كان التشاؤم الذى تقتضيه ذكرى الماضى ، غالباً فيه على التفاؤل الذى يستوحيه رجاء المستقبل ! والشباب الذين يختلفون إليه يهولهم منه عُرى الحقيقة وجفاء الواقع ، فيستحبون عليهما توشية الأحلام وتزوير المنى ، ليستدعوا لأنفسهم بواعث النشاط وحوافز الأمل :

وفى إحدى الجلسات الأخيرة جرى بين شاب من هؤلاء وشيخ من أولئك هذا الحوار نسوقه إليك على سرده تصويراً لروح هذا المجلس :

الشاب : وما ذنبنا فى هذا الضعف الذى نعانيه ؟ أيستطيع قصير القامة أن يطول ، ورخو العظام أن يصلب ؟

الشيخ : أما الضعف الناشئ عن قلة العدد وضيق الرقعة فلا حيلة لنا فيه ؛ وأما الضعف الناشئ من سوء الخلق وقلة العلم فلا عذر لنا منه . والناس يقوِّمون بالأرواح لا بالأجساد ، ويقدِّرون بالصفات لا بالأعداد . فلو كان الشرقيون قد بلغوا ما بلغ الغربيون من المدنية والثقافة ، لاستحيا هؤلاء أن يعاملوهم كما يعاملون الأرقاء ، وأن يساوموهم كما يساومون الأشياء !

الشاب : وهل يمنعنا هذا الضعف العارض من أن نطلب الحق ونغضب له ونفاوض فيه ؟

الشيخ : وهل تطلب حقك من غاصبيه إلا بإحدى وسيلتين : وسيلة القوة وليس لك جيش ، ووسيلة المنطق وليس عندك سمعة ؟ إن طلب الحق على هذه الحال استجداء ؛ والمستجدى يسأل ولا يفاوض ، ويقبل ولا يعارض !

الشاب : إن الضعيف يستطيع أن يخدش إذا لم يستطع أن يبطش . والخدش فى وجه القوى عيب يهمه ألا يكون

على أن القوة ستحققها الجامعة العربية . ومن حبات الرمل يكون الجبل ، ومن قطرات المطر يكون النهر . واستعباد العروبة المتحدة عسير ؛ وازدراد الكتلة الضخمة أعسر . ومتى تيسرت

القوة للقادة ، تيسرت الحجة لساسة .

الشيخ : إن الجامعة العربية من وحى الخصم وتدبيره . ولو كان (إيدن) يخشاها لما أوحاها . والعبرة ليست بالعدد كما قلت لك ؛ فإن فى الهند وفى جزر الهنـد كمية ، ولـكن فى انجلترة وهولندة كيفية . ومايستوى الأعمى والبصير ولا الظلمات والنور!

على أن العرب تيقظوا متأخرين . تيقظوا فى عصر الذرة ، ولو أنهم استيقظوا فى عصر الفحم لوجدوا مسافة تخلفهم عن الغربيين فيه تبلغ قرناً أو تزيد .

الشاب : وما ذا يضير لو كانت الجامعة العربية من وحى الخصم وتدبيره ما دام يومها لغدنا وأمرها بيدنا وقوتها بنا وخيرها لنا ؟ وهل يقدح فى ملكيتك لبيتك أو يمنع من انتفاعك به أن يعاونك صديق على بنائه ليستند إلى جداره ، أو يفىء إلى ظله وهو فى الطريق إلى داره ؟

على أن الإنجليز أكيس من أن يناصبوا العرب العداء ، فإن البلاد العربية إذا عادتهم يكون موقعها من ملكوتهم موقع الغصة فى الحلق والخثرة فى الدم ، هذه تقف القلب وتلك تكظم النفس . وما كان أيسر الغصة وأهون الخثرة لولا أنهما اعترضتا طريق الحياة ! ونشوب العظم فى حلقك يؤذيك وقد يرديك ، ولـكنك لا تتخلص منه بالرصاص إلا إذا تخلصت من نفسك !

ذلك إلى أن الخلاف بين الدول العظمى على استعمار الشرق يقبض عنان كل دولة عن الافتيات بالأمر والجنوح إلى القوة . ولو صح أن روسيا وفرنسا تسيران وحيًا فى طريق الـكشف عن القنبلة الذرية ، لـكان من أمل الأمم الضعيفة أن تجداها حتى يصبح التهديد بها عبثاً لا يجدى ولغواً لا يفيد !

الشيخ : أوافقك على أن موقع البلاد العربية يملك على انجلترة الحياة والموت ، وأن الخلاف بين الدول المستعمرة يفوّت على كل منها الانفراد بالرأى والحـكم ، وأن شيوع الطاقة الذرية يبطل الركون إلى القوة فى تسويغ العدوان والظلم ؛ ولـكن مَن مِن الساسة الذين تراهم اليوم يتبوأون كراسى الحكم فى دول العروبة يستطيع أن يستغل هذه الأسباب لفائدة مصر ومنفعة العرب ؟ إن أكثرهم يحترفون السياسة من غير أداة ولا آلة . وإن وثب من يثب منهم إلى الحـكم أو بقاءه فيه ، إنما يعتمد على ذرائع غير طبيعية ليس منها على كل حال براعة الذهن ولا نبالة الغرض ولا إرادة الشعب . وأمثال هذه (الـكفايات) التى أقامتها المصادفات والحظوظ على أسناد من الدعاية والخداع والتمليق والتفريق والمحاباة والتساهل لا يمـكنها أن تزاول الإصلاح لأنها صنيعة الفساد ، ولا أن تصاول القوة لأنها وليدة الضعف ، فقصارى أمرها أن تصانع ولا تصنع ، وتقول ولا تعمل ، وتدور ولا تسير . وما دام الرجل الذى يخلقه الله للاصلاح ويرسله بالهدى ويؤيده بالخلق ، لا يزال وراء الغيب ، فإن الأمل فى وحدة العرب ونهضة الشرق يظل أوهن من حبال الهباء وأبعد من أشباح الوهم ! وإنى لأجيل النظر والفـكر وأتقراهما فى الأفق الغائم البعيد فلا أتبين لظهور هذا الرجل المنتظر شرطاً ولا علامة .

الشاب : أراك أسقطت الشباب من حسابك ، كأنهم غير أحرياء بحمل الشعلة وهم ثمار جهد طويل بذلته الأمة فى تنشئتهم وتثقيفهم ؛ فهل كانت الشهادات المختلفة الدرجات والغايات ، والألقاب الممنوحة من المعاهد والجامعات ، دلائل على الجهالة وعناوين للأمية ؟

الشيخ : إن الأبناء أشبه بآبائهم من الليلة بالليلة . وإن الدار والمدرسة على حالها الحاضرة لتعجزان عن تخريج طبقة من الشباب يخرج منهـا ذلك الرجل الموعود الذى تموت (أنا) فى لسانه وتحيا فى ضميره ، ويتحد فى ذهنه وجود ذاته بوجود شعبه ؛ فهو يحس أمله لأنه مجتمع شعوره ، ويدرك نقصه لأنه مجتلى عقله ، ويملك قياده لأنه مظهر إرادته ؛ ثم يرتفع بسمو نفسه ونزاهة هواه عن أوزار الناس وأقذار الأرض ، فلايطمع لأن غرضه أبعد من الدنيا ، ولا يحقد لأن همه أرفع من العداوة ، ولا يحابى لأن فضله أوسع من العصبية ، ولا يقول قولا أو يعمل عملا إلا إذا وافق الدين الذى يعتقده ، والمبدأ الذى يؤيده ، والشعب الذى يقوده !

الشاب : إنك يا سيدى تسرف فى التشاؤم لأنك شيخ !

الشيخ : وإنك يا بنى تسرف فى التفاؤل لأنك شاب . ولعل الحق أن يكون بينى وبينك !

احمد حسن الزيات

في إرشـــاد الأريب
إلى معرفة الاديب
للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

— ٢٤ —

ج ١٤ ص ٨٤ : قال (على بن عيسى الرَّبَعى : أخرج إلىّ عضد الدولة بيده مجلدا بأدم مبطناً بديباج أخضر مذهباً مفصولا بالذهب بخط أحسنَ ، فيه شعر مدَبَّرٌ وحسنٌ ليس له معنى، فقال لى كيف ترى هذا الشعر ؟ فقلت : شعر مدَبَّرٌ والذى قاله خرب البيت ، مسود الوجه . ثم يمضى على ذلك زمان ودخلت إليه ، فأومأ إلى خادم وقال له : امض إلى مرقدنا وجئنا بشعرنا ، فمضى وجاء بالمجلد بعينه ، وهو هو ، فأبلست ، فقال : كيف تراه ؟ وتلجلج لسانى وربا فى فمى فقلت : حسنا جيدا .

قلت : (بخط حسن أو محسَّن) .

(فيه شعرٌ مدْبِر ليس له معنى) أو (شعرٌ مُدْبِرٌ)

(فقلت شعر مدبر والذى قاله خرب البيت) .

ومدبر متأخر متخلف ، والأدبار نقيض الاقبال وأدبر أمر القوم : ولى لفساد كما فى اللسان .

ويظهر من خبر رواه أبو البركات الانبارى فى (نزهة الالباء فى طبقات الأدباء) ص ٤١٥ أن الربعى كان يستعمل هذا الوصف — أعنى مدبرا — لكل ضعيف متأخر فى صناعته ، قال :

كان (الربعى) مبتلى بقتل الكلاب ، فيحكى أنه اجتمع هو وأبو الفتح بن جنى يمشيان فى موضع ، فاجتازا على باب خربة ، فرأى فيها كلبا ، فقال لابن جنى : قف على الباب ، ودخل فلما رآه الكلب يريد أن يقتله هرب ، ولم يقدر ابن جنى على منعه ، فقال له الربعى : ويلك يا ابن جنى ! مدبر فى النحو ، ومدبر فى قتل الكلاب ...

قلت : قول الربعى لابن جنى — وهو يداعبه — مدبر فى النحو — طرفة الطرف ، وياليت أنه قال مدبر فى التصريف حتى يجىء كلامه أعجوبة ...

فى يتيمة الدهر للثعالبى :

كان (عضد الدولة) على ما أُمكن له فى الأرض ، وجُعل إليه من أزمة البسط والقبض ، وخُص به من رفعة الشأن ، وأوتى من سعة السلطان يتفرغ للأدب ، ويتشاغل بالكتب ، ويؤثر مجالسة الأدباء على منادمة الأمراء ، ويقول شعرا كثيرا يخرج منه ما هو من شرط هذا الكتاب من الملح والنكت .

فى نزهة الألباء فى طبقات الأدباء :

يحكى أن أبا على (الفارسى) لما صنف كتاب (الإيضاح) لعضد الدولة وأتاه به ، قال له عضد الدولة : هذا الذى صنفته يصلح للصبيان ، فصنف له (التكملة) بعد ذلك . ولو صدر هذا الكلام من بعض أئمة النحويين لكان كبيرا فكيف من بعض الملوك ؟

فى وفيات الأعيان :

وهو (عضد الدولة) أول من خوطب بالملك فى الإسلام ، وأول من خطب له على المنابر ببغداد بعد الخليفة ، وكان فاضلا محبا للفضلاء مشاركا فى عدة فنون .

فى شرح النهج لابن أبى الحديد :

قال بعضهم دخلت على عضد الدولة فوجدت فى وجهه ألف عين ، وألف فم ، وألف أذن ...

فى الإيجاز والإعجاز للثعالبى :

كان عضد الدولة يقول : الدنيا أضيق من أن تسع ملكين .

يقول أبو بكر الخوارزمى فى عضد الدولة :

ختمت بك العجم الملوك وراجعت
بك تاج ملكهم القديم المبهج
لم يفقدوا بك أردشير وإنما فقدوا نقيصة دينه المستسمج

وفيه يقول المتنبى :

أروض الناس من ترب وخوف وأرض أبى شجاع من أمان
تذم على اللصوص لكل تجر وتضمن للصوارم كل جان
إذا طلبت ودائعهم ثقات دُفعن إلى المحانى والرعان
فباتت فوقهن بلا صحاب تصيح بمن يمر أما ترانى ؟ !
رقاه كل أبيض مشرفى لكل أصم صل أفعوان
حمى أطراف فارس شمَّرى يحض على التباقى بالتفانى
فلو طرحت قلوب العشق فيها لما خافت من الحدق الحسان[1]

(١) قلت : هذا البيت ذو معنى عجيب .

دان له شرقها ومغربها ونفســه تستقــل دنيــاها
تجمعت فى فــؤاده همم ملء فؤاد الزمان إحداها
فإن أتى حظها بأزمنة أوسع من ذا الزمان أبداها

فى كتاب الفَرْق بين الفِرَق :

... كان أبو شجاع فناخسرو بن بويه قد تأهب لقصد مصر وانتزاعها من أيدى الباطنية (يعنى العبيديين) وكتب على أعلامه السود : بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد خاتم النبيين ، الطائع لله أمير المؤمنين ، ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين . فلما أخرج مضاربه للخروج إلى مصر غافصه (فاجأه) الأجل فمضى لسبيله .

فى كتاب تجارب الأمم لمسكويه :

وفى سنة ٣٦٩ دبر عضد الدولة أن يقع بينه وبين الطائع لله وصلة بابنته الكبرى ، ففعل ذلك ، وعقد العقد بحضرة الطائع لله وبمشهد من أعيان الدولة والقضاة على صداق مئة ألف دينار ، وبُنى الأمر فيه على أن يرزق ولدا ذكرا منها فيولى العهد ، وتصير الخلافة فى بيت بنى بويه ، ويصير الملك والخلافة مشتملين على الدولة الديلمية ... !!!

قلت : وهذه الخلافة لم يبق لها قبل أن ينوى القوم سلبها إلا الاسم . قال البيرونى فى (الآثار الباقية عن القرون الخالية) : إن الملك قد انتقل فى آخر أيام المستكفى من آل العباس إلى آل بويه ، والذى بقى فى أيدى العباسيين إنما هو أمر دينى اعتقادى لا ملك دنياوى كما لرأس الجالوت عند اليهود من أمر الرئاسة الدينية من غير ملك ولا دولة ، فالقائم من ولد العباس الآن إنما هو رئيس الإسلام ...

* * *

ج ١٢ ص ٩٢ :

تحبب أو تدرع أو تأبى فــلا والله لا ازداد حبا
أخذت ببعض حبك كل قلبى فان رمت المزيد فهات قلبا

وجاء فى شرح (تأبى) : كانت فى الأصل تقبأ فأصلحناه إلى ما ذكر للمناسبة والألف للاطلاق .

قلت : قال ابن خلكان فى (وفيات الأعيان) :

أخبرنى بعض الأفاضل بمدينة إربل فى سنة (٦٢٥) قال : كنت ببغداد فى سنة (٦٢٠) بالمدرسة النظامية فقعدت يوما على بابها إلى جانب أبى الدر (ياقوت بن عبد الله الرومى الملقب مهذب الدين) ونحن نتذاكر الأدب إذ جاء شيخ ضعيف القوى والحال يتوكأ على عصا فجلس قريبا منا ، فقال لى أبو الدر : أتعرف هذا ؟ فقلت : لا ، فقال : هذا مملوك حيص بيص الذى يقول فيه :

تشربشْ أو تقمص أو تقبّا فلن تزداد عندى قط حبا[1]
تملك بعض حبك كل قلبى فإن ترد الزيادة هات قلبا[2]

فجعلت أنظر إليه ، وأفكر فيما كان عليه ، وما آل حاله إليه .

قلت : (تشربش) لبس ثوبا ذا شرابيش . فى التاج : الشربش كجعفر : هدب الثوب جمعه شرابيش .

فى (المعرب) للجواليقى : القبـاء قال بعضهم هو فارسى معرب ، وقيل : هو عربى ،واشتقاقه من القبو وهو الجمع والضم . وفى التاج : قال القاضى المعافى : هو (القباء) من ملابس الأعاجم فى الأغلب ، ومن قال إنه عربى فاما لما فيه من الاجتماع ، وإما لجمعه وضمه إياه عند لبسه ج أقبية ، وقبّى الثوب : جعل منه قباء وتقبّاه لبسه .

فى الفائق : كعب رحمه الله تعالى : أول من لبس القباء سليمان ابن داود (عليهما السلام) فكان إذا أدخل رأسه الثيابَ كنصت الشياطين أى حركت أنوفها استهزاء به ، يقال : كنص فلان فى وجه صاحبه .

---

(١) (قط) ذكرناها من قبل ، وقد يكون أصل (تحبب أو تدرع) تجلبب أوتدرع أو تمدرع أى البس جنباباً أو مدرعة .

(٢) (هات قلباً) لم يربط الجزاء بالفاء ، يقول القسطلانى فى شرح البخارى : حذف الفاء من الجزاء سائغ شائع ، ومن خص هـذا الحذف بضرورة الشعرفقد حاد عن التحقيق ، وضيق حيث لاتضييق .

الفكرة العـــــربية

وحاجتها لمذهب سياسى فلسفى

تعليق على مقال

للأستاذ أحمد رمزى

أثار مقال الأستاذ عبد المنعم خلاف بعدد (الرسالة) الماضى حول الجامعة العربية وضرورة قيام فلسفة خاصة بها الكثير من الشجون، وأحيا لى ذكرى فترات من الماضى القريب، فرجعت إلى صفحات مطوية من مذكرات يومية وتقارير سياسية، لألمس مرة أخرى المصاعب والمشاكل التى وقفت فى طريق الفكرة العربية بمصر، وما لقيه أنصارها من عنت ومصادمة، وما واجه كل مؤمن بها مجاهد لأجلها من صدٍ عنها وتحويل عن طريقها السوى.

ونعيد النظر اليوم إلى ما وصلت إليه وما حققت من أهداف، فنفرح مع الفرحين ونتهلل، وتمتلئ نفوسنا إيماناً من جديد وثقة وأملا فى المستقبل، ونحمد المولى جل وعلا أن ظهرت جامعة الأمم العربية كعامل مستقل من العوامل التى سيحسب لها فى شؤون العالم وأموره حساب، وذلك ما أشرنا له ونادينا به وتحملنا الكثير من الأذى فى سبيل الوصول إليه.

وكلما رجعت بالبصر إلى الوراء، وقست المراحل التى قطعت، والعقبات التى أزيلت، مع قصر الوقت وضعف الجهود، ازددت يقيناً على يقين بأن نجاح الفكرة العربية بمصر ونضوجها وإيمان الناس بها: هى نفحة من نفحات الله، وإن هذه الحركة المباركة ليست من عمل الإنسان، بل يد الله فوق الجميع، هى التى هيأت لها الأسباب وجمعت لها القلوب، ودفعت بالفكرة دفعاً إلى الأمام فآمن بها جماعات من الناس، واقتنعوا بها أفواجاً، بعد أن كان اللائذون بها يعدّون على الأصابع.

وكان من دلائل الساعة وإرادة الله أنه ما ارتفع صوت ضدها إلا وانضم فى النهاية إليها، وما جُرّد قلم لمحاربتها والحط من قيمها ومبادئها إلا وانطوى تحت لوائها، وأصبح بوقاً من أبواقها، وسيفاً من سيوفها.

فلا فضل لأحد على العروبة بمصر، وإنما هى إرادة الله، ولاراد لحكمه، سبحانه إذا أراد شيئاً هيأ له الأسباب. هذا هو إيمانى، وتلك هى عقيدتى.

ومن الناس من يقول: إن الدفعة المصرية نحو العروبة مفتعلة وغير دائمة ولا جذور لها. ودليلهم على ذلك أنهم يردون أصولها إلى بعض عوامل السياسة الداخلية، فهى فى نظرهم تسابق بين فريقين لنيل الحظوة واقتناص الظفر واحتكار الجهاد، وهناك آخرون ممن لا يؤمن بها قطعاً ويرى فيها شراً مستطيراً، فهو ينفر منها على أنها ليست من صنع العرب، وإنما هى من عمل الإنجليز تحمل طابع إيدن وختم وزارة الخارجية البريطانية، ولا سبيل لإقناع الطرفين، وإنك لن تهدى من أحببت، ولكن الله يهدى من يشاء.

كل هذا لا يعنينا بقدر حماس الجماهير للفكرة وتشبثهم بها، وبقاء هذا الحماس حياً ملموساً واضحاً لا يعتريه هبوط أو فتور، وإنا لنأخذ على الجماهير أنها سريعة الحماس لأخذ الفكرة والتمسك حيناً من الدهر بها، ولكنها سريعة التسليم بخطأ هذه الفكرة إذا تأخرت عن تحقيق الأهداف العاجلة، وأن آفة الجماهير هو سرعة الانتقال من الغضب إلى الرضا، ومن الحماس إلى الفتور، ثم من الفتور إلى النسيان، فما الذى أعددناه لكل ذلك؟

الجواب على ذلك أننا لم نعمل شيئاً، إذ لا تزال الفكرة العربية فى حاجة إلى حشد جميع القوى العليا فى العقل والروح، لتكون عنصراً ثابتاً من عناصر الشخصية المصرية المنبثقة من روح الشعب وإيمانه وتاريخه.

ولقد أحسن الأستاذ عبد المنعم خلاف صنعاً حين أثار موضوع فلسفة العروبة لمّا قال: «إن السياسة ليست دائماً ذات إيمان»! إنى أسلم بأن دعوته جاءت فى وقتها، فله عظيم الشكر والأجر على إثارتها، وأدعو الله أن يوفق العاملين لتلبية هذه الدعوة، وأن تلقى دعوة العروبة من ناحية رجال الفكر ما تستحق من عناية، حتى تخرج لنا فلسفتها الحية التى سوف تملك النفوس والعقول معاً. وأعتقد أنه يسر إن وجد من يشاركه إحساسه، ومن يشعر

بشعوره ، فقد ورد شيء من ذلك في تقرير بعثتُ به إلى الحكومة المصرية قلت فيه : « إن مبادىء الحركة العربية ودوافعها لم تتبلور بعد التبلور الكافي في شكل مذهب سياسي وفلسفي ، كما أن نشاطها وأهدافها واتجاهاتها لم تأخذ بعد القالب الذي يجعل منها عاملا قائماً بذاته فيحسب له حساب في الشئون الدولية مستقلا عن العوامل الأخرى . ولكن القضية العربية عامة — برغم هذا — قد أصبحت حقيقة تاريخية لها وزنها وأهميتها بدليل تقدم الدول المحاربة وغير المحاربة لخطب ود العرب واستمالتهم والمناداة بصداقتهم ، فليس من مصلحة مصر تجاهل هذه القضية والإعراض عنها أو الوقوف إزاءها موقفاً محايداً ، خصوصاً وأن وراء مصر ثلاثة عشر قرناً من التاريخ العربي لها في حقباته وأدواره المختلفة مواقف تاريخية خالدة .

***

كان ذلك في ١٢ مارس سنة ١٩٤١ ، حينما أتاحت لي الظروف المساهمة بقسط ضئيل في خدمة قضية العرب ، وقد مرت الأيام سراعاً ، وحققت الفكرة بعض أهدافها السياسية وأخذت طابع العامل المستقل عن العوامل الأخرى في شئون العالم ، ولكن لم تتحقق الناحية الأولى ، وهي ظهور الفكرة كمذهب سياسي فلسفي .

فهل نؤمل أن تتبنى مصر هذه الفكرة وتخرجها كما تبنت الناحية السياسية ؟

إن أشد الناس تفاؤلا لم يكن يؤمّل نجاح الفكرة العربية هذا النجاح الشاهد اليوم ، خصوصاً في مصر دون سائر البلاد العربية ، حيث استمرت عوامل الهدم والتفرقة تعمل بنشاط وحماس ضد كل ما هو عربي لسنوات عديدة بغير أن تلقى أي مقاومة ، حتى همدت الروح المصرية العربية المستمدة من عناصر الفتح وجهاد القرون الماضية . ولما كانت سنوات الحرب العالمية الثانية بمثابة فترة لا تقل في أهميتها عن نصف قرن من الزمن ، جاء تطور الأهداف السياسية وتقارب الشعوب العربية سريعاً جارفاً للدرجة لم تتمكن العقول من استيعاب وتقدير ما مر حولها من الأحداث والتغييرات المفاجئة .

ولذلك لا تستغرب أن تجد الكثير من شباب مصر يتساءلون: ما هي العروبة ؟ وما هي أهدافها ؟ كيف تكون عربياً ومصرياً في نفس الوقت ؟ !

وهي أسئلة ليس من السهل الإجابة عليها ، ويصعب إقناع ذويها بالقيم العربية إذا لم تكن أفهامهم وعقولهم وآذانهم مستعدة لقبولها ، خصوصاً إذا كان بعضهم يجهل التاريخ العربي جهلا تاماً ولا تستهويه حلقات التاريخ المصري في العهود العربية ، أو يكون قد تلقى دروس الماضي على طريقة تجعله يأنف منها كلما اتصلت بالعرب وفتوحاتهم ومدنيتهم وثقافتهم وأثرهم في قيادة العالم وشعوبه ، فهو مضطر : إما أن يجدد معلوماته ، وإما أن يترك الفكرة لغير سبب يبديه !

ونجد أن الجامعة العربية ، وقد اختارت القاهرة مركزاً لها ، من أول واجباتها أن تحضّر الرأي العام المصري لذلك ، وأن تجعل لهذا النشاط قسما خاصاً به ، ولن تهتم بالناحية الفكرية التي تحدثنا عنها لتبنى بناء ثابت الأركان .

وسوف تسمع أن فريقاً من الناس يستكثر ما تصرفه مصر على الجامعة ، أو على بعثاتنا الثقافية في البلاد الشقيقة ، وأن فريقاً لا يفهم معنى لحفلات التعارف والتفاهم بين العرب ، وذلك كله نتيجة لسياسة التفكك التي فُرضت على المصريين ، والتي عملت على قطع الصلات بين حاضرهم وماضيهم ، وحصرت آمالهم في دائرة ضيقة ، مما يجعل العناصر الإنشائية في البلاد محتاجة إلى بذل مجهود طويل لإزالة آثارها .

ونحن نؤمن بأن عناصر العروبة الكامنة في الشعب المصري لن تفنى بعد اليوم ، بل ستخرج وهي أكثر مضاء وقوة وعزيمة ، وستحطم هذا الغشاء الصناعي الواهي الذي أحاطتها به سنوات الجمود وسياستها الغاشمة التي أفهمته أنه أمضى آلاف السنين يرزح تحت أغلال العبودية ، حتى لا يتعرف على صفحات المجد التي كتبتها العروبة في بلاده ، ولكي يعمى عن شخصيته ومجد الآباء والأجداد .

***

لقد أوحى إلينا مقال الأستاذ عبد المنعم خلاف بهذه الكلمة العابرة عن هذه الحركة التاريخية ، ونحن إذ نختتمها نؤمل أن يوالي هو وغيره من كتاب العرب في مصر وبقية البلدان العربية

أبحاثهم ، ذلك لأن أسس الفكرة العربية وفلسفتها ستأخذ مجهود عدد كبير من المفكرين والباحثين ، ولـكن أثرها سيكون عميقاً فى مصر ، إذ ستعيد حتما للشعب المصرى إرادته وشخصيته وتلقنه تاريخه الحى . وسنرى كيف أن الـكثير من مشاكلنا الخلقية والقومية والتى تبدو لنا مستعصية الحل ، سيسهل علينا مواجهتها على ضـوء الأسس الاجتماعية التى تخاطب الوجدان والفكر ، وتحرك القلوب والمشاعر .

إن الفلسفة التى تنير طريق الفرد منا إلى غايته ، وتجعل إيماننا بالفكرة العربية وحركتها السياسية وأهدافها إيماناً بصيراً مستنيراً ستقود الشعوب العربية من الظلمات إلى النور ، ومن الجمود إلى الحركة ، ومن الاستكانة إلى الرفعة ، وتعلم الفرد والجماعات معنى الآية الـكريمة : « كنتم خير أمة أخرجت للنـاس » . ولمثل هذا فليعمل العاملون !

أحمد رمزى

القنصل العام السابق بسوريا ولبنان

من ذكريات بغـــداد

للأستاذ على الطنطاوى

ما الذى هاج فى نفسى هذه العشية ذكر بغداد ، ونشر أمام عينىّ ما انطوى من ذكرياتها وما مات من أيامها ؟ ما الذى رجعنى إلى تلك الليالى حتى كأنى — لفرط ما تشوقت إليها ، وأوغلت فى ادّكارها — أعيش فيها ؟ أى سحر فيك يا بغداد جذب قلبى إليك ، فلم أنسَك إذ أنا فى بلدى الحبيب ، ولم أزل أحنّ إليك وأشتاقك ؟

بغداد ... يا بغداد ، عليك منى سلام الود والحب والوفاء ، على المعظّم على الصُّلَيخ على الكرّادة على الكرخ سلام الفؤاد المشوق الولهان ، على ليالينا « بين الرصافة والجسر » . ما كان أحلى تلك الليالى ! لقد كنت أشكو فيها ألم الغربة وأحن إلى الوطن ، فصرت فى وطنى أحن إلى تلك الغربة ولياليها ، وما ظلمنى موطنى وما أنكرنى ، وما كنت لأذمّه صادقا فكيف أذمه بما ليس فيه ، ولـكنها هى الدَّعة ، مللتها واجتويتها : إنى أشكو ألم الراحة ، فأعطونى به راحة الألم ، ذلك الألم العبقرى الذى يفتح القلوب بآيات الشعر ، فانى منذ فقدته لم أعد أحسّ بأننى ذو قلب !

على الرستمية ... ألا تزال الرستمية جنة من جنان الأرض ، حافلة بالعاشقين وبالحور العين ، أم طاف بها طائف من هذه الحرب فجفت خمائلها وهجرها قاصدوها ؟ على الصالحية ... بروحى صالحية دمشق وصالحية بغداد . على (قهوة المطار) ، على ظبائها على جآذرها ألف سلام .

على الجسر ... ياجسر بغداد ، كم جمعت وفرقت ، ماذا رأيت وسمعت ، كم وصلت بين قلوب وقطعت ، أنت الصلة بين ماض لنا كان أعز من النجم وأسمى ، وآت لنا سيكون أسمى من النجم وأعز . ياجسر بغداد ، يا مربع الحب والأدب والمجد ، يا من كنت سرة الأرض ، وكنت لىَ مسرّة القلب ، عليك منى ألف سلام .

يا ربوعاً تركت فيها قطعاً من حياتى ، وخلفت فيها بقايا من فؤادى ، ماذا صنعت بفؤادى وحياتى يا ربوع ؟ !

* * *

ويادارنا فى (الأعظمية) من حلّ فيكِ بعدنا يا دار ؟ وهل صوّح لبُعدنا زهرك أم ضحكت من بعدنا الأزهار ؟ وهل حفظت آثارنا أم لقد طمست من بعدنا الآثار ؟ لقد كنت أنت مستقرّى ومثواى ، وكان إليك مفرّى من دنياى ؛ وكنت شاهدة أفراحى كلها وأتراحى ، وكنت مستودع أسرارى وأخبارى ، كتمتها عن الناس إلا عنك ، فهل كتمتْ سرّى هذه الجدران ؟ هل سترت ما رأت من نقائصى التى أخفيتها عن الأصدقاء والإخوان ؟

ما هذه الدنيا يا ناس ؟ هذه الدار التى كنت أفرّ إليها من رحب الحياة ، وزحمة المجتمع ، فأغلق بابها علىّ ، وأخلو فيها إلى نفسى ، فأحسّ أنها جزء منى ، وأنها لى وحدى ، صارت غريبة عنى ، تنكرنى وتجهلنى كأنى لست منها وليست منى وصارت لغيرى ، فإذا ما جئت أطرق بابها ، رددت عنها ، أو قبلت فيها ضيفاً غريباً لا أرى إلا ما يراه الضيف ، ولا ألبث إلا ما يلبث ... لا يا سكانها ؛ ما أنا بالضيف الغريب ، إنها كانت دارى ، إن لى فيها حقاً ، لى فيها ذكريات ؛ فيها من حياتى ، من أنفاسى ، من روحى !

* * *

ودار العلوم ؟ خبرونى سألتكم بحق الاخاء عن ظلال أيامى فيها . سقى الله ظلالها صوب القلوب ! خبرونى، ألا رجل كريم، يحسن إلى هذا البعيد النائى ، فيمر بالدار عند مسجد الإمام الأعظم أبى حنيفة النعمان ، فيصعد إلى الغرفة التى تطلّ من هنا على صحن المسجد المنوّر المبارك ، ومن هناك على صحن المدرسة الزهر المشرق ، فيحيى عنى هذه الغرفة ، فإنى سكنتها عاماً ، كان لى عام دنيا ودين ، وفيها جددت طباعى وأفكارى وكونت نفسى .

ثم ليجل عنى فى هذه المدرسة فى حدائقها ، فى صحونها ، فى ممراتها ودهاليزها ، ثم ليصعد سطوحها الواسعة التى تمتد حتى تتصل بقبة المسجد ، وتشرف على تلك الحديقة العتيقة ، وتلك المقبرة المهجورة ، وعلى طريق الكاظمية ، فإن لى على هذا السطح ذكريات ... وإننى إن أنس لا أنس يوم العيد ، وقد خلت المدرسة من ساكنيها ، فلم يبق فيها غيرى ، فأوغلت فى هذه السطوح ، وصعدت حتى انتهيت إلى أصل القبة ، ونظرت فإذا أنا على بحر من النخيل ، تهتز قممه من تحتى كأنها الأمواج فى اللجة الساكنة ، وتظهر فى فُرَج النخيل طرق الفلاحين ، وقد خرجوا مع أطفالهم وأولادهم بثياب لها مثل لون الزهر ، ثم تختفى خلال الأشجار ، كشاعر سادر أو محب متغزل ، ذهب يناجى ذكريات الوصال ، ودجلة عند منعطف الصليخ تلوح بعظمتها وجلالها ، كأنها سماء من نور ركبت فى الأرض ؛ وبغداد ، بلد الأساطير والأحلام ؛ يبدو طيفها على حاشية الأفق البعيد بقبابها ومآذنها ، كأنه (هو أيضاً) أسطورة ساحرة ، يقصها الأفق المشرق على الدنيا ، وإلى اليمين قباب الذهب من الكاظمية ، والقبة الخضراء التى ثوى تحتها رمس مُلك شابّ ، وشباب مليك ، حين ثوى غازى بن فيصل بن الحسين بن علىّ !

لقد لبثت مكانى حتى شملت الظلمة الكون ، وضوّأت المصابيح فى شبابيك المنازل فنظرت ... إليها ، أنا الغريب المنفرد ، الذى يمضى عيده وحيداً على سطح المسجد ، لا رفيق له إلا ذكريات سعادة ولت تؤلمه وتحزّ فى قلبه ذكراها ، وحبّ مات وليداً ، وفكرت فى أمرى لو اصابنى مرض فلبثت هنا شهراً ، فمن ذا يصل إلى ؟ من يسأل عنى ؟ وأى فؤاد يخفق من أجلى بعد أن سكت ذلك الفؤاد الذى كان خفاقاً بحبى ، فؤاد أمى ، إلى الأبد ؟

فنظرت إليها فغبطت أهلها إذ يغلقون أبوابهم على الشمل الجميع ، والأهل الحضور ، والأنس والسعادة .

ونزلت فى طرق الحديقة العتيقة ، وإذا أنا أتعثر بحجر . فنظرت إليه على شعاع ينحدر إليه من مصباح الشارع ، فإذا هو قبر متخلف من المقبرة التى كانت هناك فى غابر الأزمان ، فامتلأت نفسى بعوزة الموت ، ولم أعد ألمس فى هذه الغصون المخضرة إلا الربيع الماضى الذى مات ، ولا أرى من الناس إلا قلوباً ميتة دفنت فى صدور أصحابها ؛ ولا أجد تراب الأرض إلا ناساً كانوا مثلنا وماتوا ... فأكلت هذه الأشجار أجسامهم ، وشربت دماءهم ، فمنه كان زهرها الذى نشم عطره ، وغصنها الذى نأكل ثمره ... ولم أر الدنيا إلا موتاً فى موت .

وأممت غرفتى وأنا غارق فى بحر من الأفكار السود ، فسمعت العشاء يرنّ فى صفاء الليل قوياً عذباً يومض ضياؤه فى طيات الظلام ، إذ يحمل اسم الله منيراً مشرقاً ، فقمت إلى الصلاة ، فلما قضيت وخرج الناس ، رأيت المؤذن ينادى على عادته بذلك الصوت الممدود : الفاتحة ! ثم يغلق المسجد وينصرف ، وأبقى وحدى ، ليس فى المسجد ولا فى المدرسة غيرى ، وبينهما باب من داخل ، فأعود إلى غرفتى ...

وما كاد يكتهل الليل ، حتى سمعت الصوت فى المسجد كرة أخرى ، ولكنه خرج هذه المرة ضعيفاً وانياً ، فى نغم حزين ، من لحن الصبا ، فنظرت من شباكى ، فإذا فى أرض المسجد الذى اشتمل عليه الظلام ثلاثة مصابيح بترولية خافتة النور ، تكشف عن نفر من الناس ، لا يبدو منهم إلا أرجلهم وظلال لهم ممتدة فكأنهم الجنّ ، أو كأنه فلم مخيف من أفلام ألف ليلة ... ثم سمعت تكبيرات الجنازة ، فنزلت فرأيتهم يصلون على ميت فى نعش .

فسألت : من هذا ؟ قالوا : مؤذن المسجد !

فانصرفت لأدوّن فى دفترى ماعرض لى ذلك اليوم من صور وخواطر ، ثم أضعت الدفتر ونسيت الخواطر والصور ... وأن فى الدنيا موتاً ...

كذلك أمضيت يوم العيد فى دار العلوم ، وإنى على هذا أشتاقها وأشتهى أن ترجع لى أيامى التى مرت فيها . فيارحمة الله على أيامى فى دار العلوم وعلى من بقى من أهلها السلام !

وإن أنس لا أنس (ليلة البلاط) ، ياليت ليلة البلاط تعود !

لقد رجعت أنا وأنور المشية من الأعظمية إلى بغداد ، فتركنا السيارات وجفونا الطريق الأعظم ، وسلكنا محجّة على سِيف دجلة فسرنا فيها ، وكانت تنكشف لنا تارة فنسلكها ، وتضل (طريقها ...) تارات ، فنتيه بين النخيل ، وكان النهر أبداً عن أيماننا ، يبدو حيناً بصفحته البيضاء المشرقة التي تشبه وعد الوصال ، يشرق للمحبّ في ليل الهجران ، والأمل البسام يلوح لليائس في غمرة القنوط ، ثم يحجبه عنا النخيل ويستره الظلام ، كما يخلف المحبوب بدلاله الوعد ، وتمحو الحياة بواقعها الأحلام ، وتطمس صور الأماني . وكان أنور يحدثني حديث ماضيه فيثير في نفسي عالماً من الذكر الأليمة ، كنا نزلت به في أعماق قلبي ، ودفنته في هوة النسيان ، وحسبته مات . انبعث فجأة ، كأنما ولد الساعة ، عالم فيه صور أبي وأمي وآمالي وحبي ، واستغرقنا في خواطرنا ، وغبنا عن حاضرنا ، فما نبهنا إلا جندي بحربته المسددة إلى بطوننا وبندقيته الموجهة إلينا ، وصاح بنا ؛ أن ارفعا أيديكما ؛ ففعلنا .

قال : ما أدخلكما حمى (بلاط الملك) ، وفيم أنذركما فلا تقفان ؟ لقد هممت أن أرميكما بالنار ! وكانت تلك هي الأوامر ، مابعد الانذار إلا النار ، فقلنا : نحن أديبان ، أرأيت أديباً نفع معه إنذار ، أو أفاد معه تخويف ، ثم إننا برمنا بالحياة ، لا نرى فيها إلا ماضياً لاسبيل إلى إرجاعه ، وأملا لا وصول إليه ، ولو أنت رميتنا لمنت علينا بميتة سهلة ، نرجو من بعدها ثواب الشهداء ، وإن الموت يا عسكري درجات ، وألوان بعضها أطيب من بعض ، ومانظنك سمعت بدعاء الأعرابي الذي سأل الله ميتة كميتة أبي خارجة ، لأن هذه الجفوة منك دلتنا على أنك لا تقرأ كتب الأدب . أفتحب أن تعرف كيف مات أبو خارجة حتى صار موته أمنيّة ؟

أكل حنيذاً ، وشرب نبيذاً ، ونام في الشمس ، فمات شبعان دفآن ريّان !

قال الجندي ، ولم يفهم منا شيئاً :

— شنو إنتو يا به ؟

قلنا : نحن معلمون !

فضحك وأرخى سنان بندقيته ، وقال : معلمون صحيح ، أما غير مخبّلين ، (وغير هنا للتأكيد ومخبلين ، أي مجانين) ! وتركنا نمضي لأن المجنون لا يسأل ...

تلك هي ليلة البلاط ، وإني لا أذكرها إلا أسفت على هذه الميتة الحلوة التي فاتتني ، وخشيت ألا أتمكن من مثلها ، وأظن أنور آسفاً مثلي ، إلا إذا استطاب حياته بعد الزواج وتعليم البنات الأدب ... أما حياتي أنا فليس فيها لذة تستطاب ، وليس فيها ألم يستكره . أعني أنني لست إنساناً يحيا ولكن (شيئاً) يعيش !

* * *

مالي كلّ هذه الليلة ذهني ، ولم يسعفني شيطاني ؟ مالي أكتب عن بغداد ، فلا أذكر من أيامها إلا هذا الحديث التافه ، وأيام بغداد ، مواسم للمجد وأعياد ، ولياليها فرحة الفؤاد ، وأسرّة للحب ومهاد ، وماضيها مآثر ومفاخر وأمجاد ؟

مالي لا أتحدث عن دجلة ، وياطول شوقي إليها ، وإلى زوارق المحبين وهي تمضي فيها حالمة سكرى ، والأغاني تتراقص على أمواجها ضاحكة مرحى ، والسمك المسقوف . خبروني ، ألا تزال مرفوعة سقوفه . مشتعلة ناره ، أم هوت من هول الحرب الدعائم وانطفأت النار ؟

مالي لا أناجي إخواني وتلاميذي الذين عشت دهراً من عمري بهم ولهم ، وأسألهم أيذكرون هذا المعلم ... أم قد مرّ في حياتهم مرور شخص (السينما) ثم تنقضي الرواية ، ويسدل الستار ، فكأنما لا شخص مرّ بهم ، ولا (فِلم) عرض عليهم ؟

أما أنا فاشهدوا يا تلاميذي ويا إخواني أني ما نسيتكم . أأنسى نجدة وعلياً ونزارَ بن البطل الشهيد ، إلا إذا نسي الأب أولاده ؟ أأنسى الأخ الأكبر (بهجة) العراق ، وقد طالما قبست الجزل من فضله ، ورأيت الفذّ من نبله ؟ ما نسيت ، ولئن كبا بي القلم الليلة ، فسأعود إلى الحديث عن بغداد ، وما كل مرة يكبو الجواد .

وعلى إخواني وتلاميذي وبغداد وأهلها سلام الله ورحمته وبركاته .

علي الطنطاوي

المدرس (سابقاً) في ثانويات بغداد والبصرة وكركوك

بمناسبة عيد الجهاد الوطني :

مراكش حية . . . !

للأستاذ عبد الكريم غلاب

في يوم ١١ يناير احتفلت مراكش بعيد جهادها الوطني ، وهو يوم يقف فيه المراكشيون خاشعين أمام قبور شهدائهم الذين صرعتهم بنادق السينيغاليين ومدافع الفرنسيين . يقفون خاشعين ليتذكروا تلك الأيام السود التي حوصر فيها المراكشيون من كل صوب ، وسلط عليهم جحيم المادة ، فلم يفقدهم صوابهم ، ولم يثنهم عن عزمهم في استرجاع استقلالهم من الذين استلبوه منهم بالقوة ، فعبثوا به واستهانوا بقدسيته . ففي مثل هذا اليوم من سنة ١٩٤٤ أعلنت الأمة المراكشية مطالبتها باستقلالها ، وقدمت لذلك مذكرة طالبت فيها بإلغاء الحماية الفرنسية على مراكش ، وبإفساح المجال أمام الشعب ليسلك سبيله في الحياة الديمقراطية الحرة ، وليتمكن من الانضمام إلى إخوانه العرب في الشرق .

ولقد كان لتقديم هـذه المذكرة إلى جلالة ملك مراكش والحكومة الفرنسية وسلطات الحلفاء ، ولما صاحبه من مظاهر العزم — التي بدت من الشعب — على تحقيق هذه المطالب ؛ كان لكل ذلك أثره العميق في الدوائر الفرنسية ، فقررت أن تقمع هذه الحركة بكل مابقى لها من قوة ، وبكل مايملك أبناؤها من عزيمة صارمة في الدفاع عما يسمونه امبراطوريتهم . وتقابلت القوة مع الإيمان الأعزل ، وكأن من ذلك تلك المأساة الروعة التي يندى لها الضمير الإنساني الحي ، والتي برع الفرنسيون في تمثيلها مع العرب سواء في الشرق أو الغرب .

ولكن المراكشيين لم ترعهم هذه المأساة ، فقد ألفوا ذلك منذ وطئت أقدام الفرنسيين أرضهم المقدسة في سنة ١٩١٢ . فالمأساة الأخيرة ليست إلا فصلا من رواية الجهاد الوطني المراكشي الذي ابتدأ منذ ثلث قرن ، والذي سينتهي لا محالة بفوز المراكشيين ، لأنهم أصحاب حق ، ولأنهم أهل لأن ينالوا هذا الحق . لقد دافع المراكشيون عن بلادهم يوم فرضت عليهم معاهدة الحماية ، وواصلوا جهادهم في الجبال والغابات الجنوبية ، ثم قام الأمير عبد الكريم الريفي يسترد أرض أجداده من الأسبانيين والفرنسيين ، وما كاد يضع سلاحه حتى قام الجهاد السلمي ممثلا في الأحزاب والهيئات الوطنية التي انتهى بها المطاف — رغم ما أصيبت به من نكبات — إلى أن تعلن مطالبة الأمة المراكشية باستقلالها في ١١ يناير من سنة ١٩٤٤

هذا هو جهاد مراكش الذي يعد صراعاً بين الموت والحياة ، وهو إن دلنا على شيء ، فإنما يدلنا على أن هذه الأمة الكريمة لن تموت ، لأن عناصر الحياة كلها تتدفق في دمها ، وهي كفيلة بأن تحفظ هذه الأمة من الانهيار .

وأول عنصر من عناصر الحيـاة في مراكش هو تاريخها الطويل في الاستقلال والحرية ، وقد تسلسلت حلقات هذا التاريخ منذ عرفت الحياة على الأرض المراكشية ، فلم يحكم مراكش غير أبنائها الذين دافعوا عن أرضهم طوال عصور التاريخ إلى أن تآمرت عليهم الدول الأوربية في أوائل القرن العشرين ، وكان نتيجة لذلك الاتفاق الإنجليزي المصري سنة ١٩٠٤ الذي بمقتضاه أطلقت انجلترا يد فرنسا في مراكش ، كما أطلقت فرنسا يد انجلترا في مصر . وقد أتاحت هذه المؤامرة الفرنسية الإنجليزية لفرنسا أن تفرض حمايتها بالقوة على مراكش ، فخرت هذه الأمة صريعة أمام قوة الفرنسيين وغدرهم وخيانتهم . وبذلك وضع حد لتاريخ الاستقلال في مراكش .

والعنصر الثاني من عناصر الحيوية المراكشية هو العنصر الخلقي ، فقد ورث هذا الشعب عن أجداده البربر والعرب الأنفة والكبرياء ، والدفاع عن النفس والصبر والتضحية والاستهانة بالحياة في سبيل كرامته ؛ وتلك صفات — ولا شك — تجعل هذا الشعب من أكثر الشعوب استعداداً للدفاع عن أرضه ونفسه ، بل تجعله من أكثر الشعوب شعوراً بالكرامة وتمسكا بالاستقلال . وقد أدرك هذا أولئك الذين وضعوا أسس الحماية الفرنسية — وفي مقدمتهم المرشال ليوطي — فحذروا فرنسا من الاستهانة بهذا العنصر الحيوي في مراكش .

والعنصر الثالث هو الدين ، فالمراكشيون من أشد الأمم تمسكا بالدين الإسلامي ، وهم يدركون إلى حد كبير معنى التدخل

الأجنبى فى الشؤون المراكشية ، ويفسره ابن الشعب فى مراكش بأنه تدخل ينافى عقيدته ودينه ، وهو من أجل ذلك يعمل على أن يكون صحيح الإيمان سليم العقيدة . وذلك ولا شك عنصر من عناصر الحيوية فى مراكش .

وعنصر آخر لا يقل عن العناصر السابقة قيمة ، وهو عنصر اللغة . فمراكش تستعمل لغة واحدة هى العربية ، وهى بذلك تتصل بماضيها العتيد ، فتستمد منه الوحى والإيمان وتتصل ببقية الشعوب العربية فى الشرق التى تكافح وتجاهد فى سبيل استكمال استقلالها ، وذلك من شأنه أن يجعل شعور هذه الأمم كلها واحداً نحو قضاياها الاستقلالية ، ويجعلها تسلك سبيلا واحداً نحو الهدف الأسمى . ولعل تاريخ الحركات الاستقلالية فى البلاد العربية كلها يدلنا على قيمة هذا العنصر ومظهره . فاللغة العربية — إذن — هى السبيل الوحيد لاتصال مراكش بالشعوب العربية فى الشرق اتصالا روحياً ومادياً .

ولسنا نعدو الحقيقة إذا قلنا : إن من أكثر الأشياء حيوية فى الشعب المراكشى هو العرش . فالعرش العلوى فى مراكش عتيد فى التاريخ ، لأنه ناهز ثلاثة قرون كاملة . ومن أجل ذلك اتصل العرش بالشعب والشعب بالعرش ، وأصبحا يعملان معاً لخير البلاد المراكشية ومصلحتها . وهكذا نجد الشعب يتعلق بملكه المحبوب وخاصة فى أوقات الفزع ، فينجده جلالة الملك ويرفع عنه عدوان المعتدين

تلك هى عناصر الحياة فى مراكش ، وتلك هى الدعامات الأساسية التى تعتمد عليها فى دفاعها عن استقلالها ، وقد عرف الفرنسيون خطر هذه العناصر ، فأرادوا هدمها حتى يتمكنوا من إدخال هذا الشعب تحت امبراطوريتهم . وعرف المراكشيون بدورهم نية الفرنسيين فقاوموها بكل ما يملكون من قوة . وذلك هو جوهر الصراع بين المراكشيين والفرنسيين منذ سنة ١٩١٢ . أراد الفرنسيون أن يفصلوا مراكش عن تاريخها ويهدموا خلقها ، ويحولوا بينها وبين دينها ، ويفرنسوا لغتها ، ويقطعوا ما بينها وبين الشرق العربى من صلة ، ثم أرادوا أن يفصلوا بين الشعب والعرش .

ولكن المراكشيين تشبثوا بتاريخهم وخلقهم ، ثم دافعوا عن دينهم ضد (الظهير البربرى) المشئوم سنة ١٩٣٠ ، وقاوموا برامج التعليم الفرنسية التى طبقت فى مراكش حتى يحتفظوا باللغة العربية كلغة رئيسية فى المدارس المراكشية ، ثم هم يعملون على أن يضموا إلى الجامعة العربية ، حتى يضمنوا بذلك اتصالهم بإخوانهم العرب فى الشرق . أما صلتهم بالعرش وإخلاصهم له ، فلا تزداد إلا توطداً ونمواً .

تلك خلاصة الصراع فى مراكش طيلة ثلث قرن . وقد نجح المراكشيون فى الاحتفاظ بعناصر الحياة فيهم ، وهم إذ يطالبون اليوم باستقلالهم ، فإنما يريدون أن يبنوه على أساس متين من التاريخ واللغة والدين والخلق . وذلك ما يجعلنا نؤمن بأن مراكش ستصل ... وأنها حية تسير — رغم ما ينتابها من نكبات — نحو الحياة الحرة الكريمة .

عبد الكريم غلاب

من محاسن التشريع الاسلامي

للأستاذ حسن أحمد الخطيب

- ١٢ -

الدعوة إلى الخير

إن من أعظم مزايا الشريعة الإسلامية ، وأبرز محاسنها — إرشادها إلى أعظم وسيلة لإصلاح المجتمع ، وتنقيته من أدران الشر والفساد ، وخير أداة لإصلاح الأفراد والجماعات ، وتحقيق التضافر والتعاون الاجتماعي — تلك هي الدعوة إلى الخير ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو من فروض الكفاية ، إذا قام به بعض الأمة سقط عن الباقين ، وإذا لم يقم به أحد أثموا جميعاً ووقعوا في حوب كبير ، ولم يكن فرض عين فلم يجب عليهم أجمعين لما ينبيء عنه قوله عز وجلّ : « وما كان المؤمنون لينفروا كافة ، فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون » ، ولأنه من عظائم الأمور وعزائمها التي لا يضطلع بها ولا يتولاها إلا من هو أهل لها — والأهلية تتحقق بشروط : منها العلم بالأحكام ، ومراتب الاحتساب ، وطرق إقامة هذا الواجب ، ومعرفة الأحوال المختلفة وما يناسب كل حالة ، فإن من لا يعلم ذلك قد يأمر بمنكر ، وينهى عن معروف ، ويغلظ في مقام اللين ، ويلين في موضع الغلظة ، وينكر على من لا يزيده الإنكار إلا تمادياً وإصراراً — كما يشترط في الوجوب التمكن من القيام به ، غير أن الأمر بالمعروف يكون واجباً ومندوباً — على حسب المأمور به — أما النهي عن المنكر فهو واجب في كل حال لأن جميع ما أنكره الشرع حرام .

وإنما وجب ذلك لأن صلاح الامة في أمر دينها ودنياها ، ونفي الفساد عن الأرض ، وتقليل الشرور والآثام — لا يكون إلا بأداء هذا الواجب ، فإن الظالمين والمفسدين ومرتكبي الآثام إذا تركوا وشأنهم — من غير نكير — استشرى داؤهم وتفاقم شرهم ، وكثر سوادهم ، فتقع الأمة في بلاء عظيم وسوء لا مرد له ، وتبوء بسخط من الله وعذاب ، وذلك هو الخسران المبين .

والأصل في ذلك ما ورد في الكتاب والسنة من تلك النصوص التي جمعت بين القوة والكثرة في الدعوة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر — قال الله تعالى : « ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، وأولئك هم المفلحون » .

ولأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر — من أعظم الواجبات وأبعدها أثراً في إصلاح المجتمع - مدح الله به المؤمنات كما مدح به المؤمنين ، وجعله من صفات الرجال والنساء معاً ، وقرنه بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وبطاعة الله ورسوله ، فقال : « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ، يأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ، ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله » .

وجعل الله — جلت حكمته — قيام الأمة بهذا الواجب دليلا على تمكن الخير من نفسها ، ورسوخ خلق الإصلاح فيها فقال : « كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » ، بل أنبأنا — جل شأنه — أن من أسباب استحقاق بعض الأمم اللعنة أنهم كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه : « لعن الله الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ، كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ، لبئس ما كانوا يفعلون » .

وقال صلى الله عليه وسلم : « من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان » . وسئل عليه صلوات الله وسلامه عن خير الناس ، فقال : آمرهم بالمعروف ، وأنهاهم عن المنكر ، وأتقاهم لله ، وأوصلهم للرحم » ، بل روى عنه أنه جعل الآمر بالمعروف الناهي عن المنكر خليفة الله ورسوله في الأرض ، فقال : من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله في أرضه ، وخليفة رسوله ، وخليفة كتابه » .

وقد ورد في الحديث ما يدل على أن سنة الله في الأمة التي فرطت في هذا الواجب — أن يسومها سوء العذاب ، وألا يتقبل دعاء خيارها إذا سكتوا عن منكراتها ، فقد روى عنه — صلوات الله وسلامه عليه : « لتأمرن بالمعروف ، ولتنهون عن المنكر ، أو ليسلطن الله عليكم شراركم ، ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لهم[1] » . وقال عليّ رضي الله عنه : أفضل الجهاد الأمر بالمعروف

(١) روى هذا الحديث بعبارات مختلفة لفظا ، ولكنها متحدة أو متقاربة معنى .

توماس هـــوبز

لألفرد فيبر

للأستاذ عبد الكريم الناصري

كان توماس هوبز (١٥٨٨ — ١٦٧٩) المولود فى مالمسبرى، من أعمال ولتشاير، صديقاً مخلصاً لآل ستيوارت، وكان ذا حظوة عندهم، بفضل نفوذ تلميذه اللود كافندس.

وقد غاب فيلسوفنا عن وطنه ثلاثة عشر عاما، فلما عاد إليه انقطع للبحث والتأليف[1].

غطت شهرة هوبز كمؤلف سياسى وأخلاقى — إلى حدما — على شهرته كأنطلوجى ونفسانى؛ وبغير الحق، فانه السابق Forerunner إلى المادية، والنقد، والوضعية الحديثة.

(١) جمع مؤلفاته اللاتينية والانجليزية، ونشرها مولسورث Molesworth فى ١٦ مجلدا — لندن (١٨٣٩ — ١٨٤٥).

يحد هوبز الفلسفة بأنها الاستدلال على المعلولات من العلل، وعلى العلل من المعلولات[1].

والتفلسف هو التفكير الصحيح؛ ولكن التفكير معناه «أن تركب وتحل التصورات Concepts، أن تجمع أو تطرح، أن تحسب وتعد. فالتفكير الصحيح إذن هو تأليف ما يجب أن يؤلف، وتفريق ما يجب أن يفرق. ويلزم عن هذا أن الفلسفة ليس لها من موضوع سوى الأشياء القابلة للتركيب والتجزئة، وهى «الأجسام»[2]. أما الملائكة، والأشباح والأرواح المحض والله، فليست بموضوعات للفكر والعلم، ولا شأن للفلسفة بها، وإنما هى موضوعات للدين والإيمان، ومردها إلى اللاهوت. وبحسب انقسام الأجسام إلى أجسام طبيعية وصناعية، وأجسام أخلاقية وسياسية، تنقسم الفلسفة إلى: فلسفة طبيعية (المنطق، والأنطلوجيا، والرياضيات، والفيزياء) وفلسفة سياسية (الأخلاق والسياسة). والفيزياء والفلسفة الأخلاقية كلتاهما علم تجريبى، موضوعه الأجسام، وآلته الحس — الحس الظاهر للأول، والحس الباطن للثانى. وليس وراء علم الملاحظة observation من معرفة حقيقية[3].

إن هذه المقدمات تسلم هوبز إلى نظرية فى الإدراك مادية من كل جهة. فالإدراك الباطن، الذى هو أساس حياتنا الفكرية وشرطها الأول، ليس إلا شعورنا أو إحساسنا بفعل الدماغ. فأن تفكر think هو أن تحس feel. والمعرفة تتكون من إضافة الأحاسيس. والإحساس، بعد، ليس إلا حركة تحصل فى الجسم. ثم إن الذاكرة، التى تلازم الفكر، ليست شيئا أكثر من ديمومة الإحساس؛ فتذكرك الشىء هو إحساسك بما سبق أن أحسست به[4]. وليس من الممكن أن تعلل الإحساسات، على طريقة بعض القدماء، بأنها فيوض صادرة من الأجسام ومشابهة لها. إن أشباح الأجسام هذه، أو — على حد تعبير المدرسيين — «أنواعها المحسوسة والمقولة»، لا تنقل

(١) De Corpore, P .2

(٢) Id, P. 6

(٣) De Corpore

(٤) يسمى هوبز الذاكرة بالخيال أو التخيل أيضا (المعرب)

والنهى عن المنكر، ومن شنئ الفاسقين وغضب الله — غضب الله له[1]».

ولتقصيرنا فى أداء هذا الواجب — ظهر فينا الفساد الذى جنى على كثير من آدابنا الاجتماعية، وعاداتنا المرضية، وأخلاقنا الإسلامية، فمتى نثوب إلى رشدنا، وننفذ أحكام شريعتنا؟!!

ومتى ينجم فينا رجال أشداء على الباطل والظلم ليحيوا ما اندثر من السنن القويم، ويجددوا ما رثّ من حبل الدين المتين؟!!

اللهم جدّد عزائمنا، وابعث فينا مشبوب الهمم لإحياء مجد الإسلام ووصاياه وأحكامه، وهيء لنا من أمرنا رشدا[2]

حسن أحمد الخطيب

(١) تفسير أبى السعود والبيضاوى، وشنئه: أبغضه.

(٢) جاء فى المقال السابق للنشور بالعدد ٦٥٤ من الرسالة ص٤٧، ٤٨ بعض الأخطاء المطبعية نصححها فيا يلى:

(أ) وعند الشافعى أقلها وهو دينار — صوابها: وعند الشافعى أقلها محدود وهو دينار.

(ب) على مخالفيه من الذمة والكتاب — صوابها: على مخالفيه من أهل الذمة والكتاب.

بطلانا عن « الكيفيات المستورة » وأشباهها من فرضيات القرون الوسطى . وإنما الواجب أن نقول : إن الحركة البسيطة التي تثيرها الموضوعات الخارجية في المادة المحيطة بها تنتقل إلى الدماغ بواسطة الأعصاب .

وهوبز يقرر هنا حقيقة خطيرة ، عرفها من قبل ديمقريطس، وبروتاغوراس وأرستپس ؛ وهي أن الإدراك الحسي ذاتي بالكلية فإن ما ندركه — كالضوء مثلا — ليس بموضوع خارجي ألبتة ، وإنما هو حركة أو تكيف يحدث في المادة المخية . وليس أدل على ذلك من أننا نبصر ضوءاً إذا لُطمت العين ، إذ ليس هذا الإحساس إلا نتيجة التهيج الحاصل في العصب البصري . وما يصدق على الضوء بوجه عام يصدق على تعيناته المختلفة التي هي الألوان . فالحواس إذن تخدعنا حين تلقي في روعنا أن الصوت والضوء والألوان تقوم خارج النفس . إن موضوعية الظواهر وهم خادع ، وليست صفات الأشياء غير أعراض لاحقة بكياننا ، وما من شيء موضوعي سوى الحركة التي تثير فينا هذه الأعراض ، وهي حركة الأجسام الخارجية [1] ... إن فيلسوفنا ليستدل كما استدل بعده « بركلي » ؛ بيد أن الأخير يسير بحجته إلى النهاية فإنه بعد أن يبدأ بمقدمات أهل الحس ، ينتهي إلى إنكار وجود الأجسام ، وإلى القول بالمثالية الذاتية . أما هوبز فيقف في منتصف الطريق ، لأن شيئية reality المادة عنده عقيدة لا تقبل الشك .

أما النفس soul أو الروح spirit فإنه يحدها أحيانا بأنها فعل الدماغ ، وأحيانا بأنها مادة أو جوهر عصبي ؛ ويقول في ذلك : إني أقصد بالروح جسما فيزياويا يلطف عن إدراك الحواس . أما الروح « اللاجسمانية » فحديث خرافة . والتوراة نفسها لاتذكر موجوداً من هذا القبيل . إن الإنسان لايختلف otipper عن الحيوان إلا بالدرجة ، إذ كلاهما كائن جسماني . وإذا كان لنا من مزية advantage حقيقية على العجماوات ، فتلك هي النطق . إنا ، كهذه الأحياء الدنيا ، لاخيار لنا فيما نفعل ، وإنما تسيرنا شهوات لا تقاوم ؛ وليس للعقل بغير انفعال ، ولا للمبادىء الأخلاقية بغير جاذب مادي ، أدنى تأثير في إرادة الإنسان ؛ وإنما هي مدفوعة بالخيال وما يتوقعه ، وبالعواطف والانفعالات : بالحب والبغض والخوف والرجاء .

نعم : « إن الفعل الإرادي هو الذي يصدر عن الإرادة » ؛ ولكن الإرادة نفسها ليست « إرادية » — إنا لا سلطان لنا

---

(١) السطور التالية مترجمة (باختصار) عن الفصل الأول من الباب الأول من كتاب هوبز الموسوم (بالتنين) : —

« كل فكرة من فكرنا فانما هي (تمثل) أو (بدو) لعرض من « أعراض » جسم أو موضوع خارجي فهذا الموضوع يؤثر في حواسنا ، ومن تنوع تأثيره تنشأ أنواع التمثلات . فالاحساس إذن هو أصل جميع فكرنا وتصوراتنا .

« وعلة الاحساس هي الجسم الخارجي ، أو الموضوع ، الذي يؤثر في عضو الحس ، إما بلا واسطة ، كالحال في الذوق واللمس ، وإما بواسطة ، كالحال في البصر والسمع والشم ؛ ثم إن هذا التأثير ، أو الضغط ، ينتقل بواسطة الأعصاب والأوتار والأغشية إلى الدماغ والقلب ، ويحدث فيهما مقاومة ، أو ضغطاً مضاداً ، أو مجهودا ؛ وبما أن هذا المجهود موجه « نحو الخارج » . فانه يبدو كأنه مادة قائمة في الخارج وهذا « البداء » ، أو « التوهم » هو ما يدعوه الناس إحساسا ؛ وهو بالاضافة إلى العين ضوء أو لون ، وبالاضافة إلى الأذن صوت ، وبالاضافة إلى الأنف رائحة ، وبالاضافة إلى اللسان طعم ، وبالاضافة إلى سائر البدن حرارة أو برودة أو صلابة أو ليونة ؛ وسائر الكيفيات التي تسمى شعورا أو إحساسا . وعلى ذلك فليست هذه الكيفيات والأعراض في الموضوع نفسه ، وإنما هي حركات في مادته ، وهو يؤثر بهذه الحركات في آلاتنا (أعضائنا) الحسية ، على أنحاء شتى . بيد أن مايحدث فينا ، إنما هو ، في الحقيقة ، جملة حركات =

= إذ ليس تنتج الحركة إلا حركة وإنما تبدو لنا هذه الحركات ضوءاً أو صوتاً ، على جهة التوهم فقط . وكما أننا نرى ضوءاً إذا فركت العين أو لطمت ، ونسمع دوياً إذا سدت الأذن ، فكذلك تثير الأجسام الخارجية فينا أمثال تلك الكيفيات بفعل تأثيرها الشديد ولكن غير الملحوظ . ولو كانت الأصوات والألوان في الموضوعات نفسها ، لما أمكن فصلها عن الموضوعات ، مع أن هذا ممكن ، كما هو مشاهد في انعكاس الضوء أو الصوت (الصدى) ، إذ يكون الموضوع في موضع ، وظهوره في موضع آخر . وعلى ذلك فليس الحس ، في جميع الحالات ، إلا توهما أصليا ، علته حركة الأشياء الخارجية ، وضغطها على عيوننا وآذاننا وآلاتنا الحسية الأخرى » بيد أن مدارس الفلسفة ، في جميع ديار النصرانية ، تقول بمقالة أخري ، مصدرها بعض نصوص من أرسطو ، فتقول في علة الرؤية إن الشيء المرئي يرسل إلى كل جانب « نوعا مرئيا » ، وقبول العين له هو « الرؤية » وتقول في علة السمع ، إن الشيء المسموع يرسل « نوعا مسموعا » ، يدخل الأذن فيحصل السمع بل تقول في علة « الفهم » إن الشيء المفهوم أو المعقول يبعث « نوعا معقولا » ، فاذا ولج العقل حصل الفهم لدينا . وهذا كله كلام لا معنى له ولا محصل فيه » . المعرب

ماثيـــو أرنولد

Mathew Arnold

للأستاذ خيري حماد

— ٥ —

آراؤه السياسية:

كان أرنولد محافظا معتدلا ، ورغما عن أنه لم يرشح يوماً ما لعضوية البرلمان إلا أنه كان شديد الميل للسياسة . وقد ظهرت هذه الرغبة جلية فى السنين الأخيرة من حياته ؛ فلما نزع يده من الأمور الدينية اشتغل ببحث المسائل والمشاكل السياسية بحثا استنفد قسما كبيراً من اهتمامه ووقته . وكانت له من تجاربه فى وظيفته الحكومية حنكة سياسية يندر أن توجد فى أمثاله . ناهيك عن قدرته على استطلاع خفايا المشاكل العويصة وطريقة حلها بأسلوب منطقي محكم ، لاسيما وقد امتزج بسائر طبقات الشعب فعرف عنهم جميع صفاتهم وأخلاقهم .

ولكن أولى مهامه السياسية باءت بالفشل المريع ، فقد عارض بكل قواه قانون الدفن . ولكن جهوده السياسية كانت خائبة فطبق هذا القانون مدة طويلة من الزمن ، وكان يرهب نتائج الحكم اللامركزي ويعارضه بكل قواه ، فجاهد فى سبيل القضاء عليه جهود الجبابرة ، ولكنه لسوء حظه فشل للمرة الثانية وباء بالخسران . ولتبرير سقوطه كتب قائلا : « لست أدعى السياسة ، ولكني شخص عادي أبصر بهذه الحالة التى تسود البلاد . ولم يعتمد على أنصار وأحزاب منظمة ؛ بل جاهد بمفرده ليسعى فى إنالة بلاده قسطاً أوفر من الدنية(١) » .

وفى مقدمة مقالاته الإرلندية نراه يكتب : « إن دهاة القوم وكبار الساسة ليعارضون فضول رجل أدبي مثلي . ولكنهم فى الحقيقة لم يعارضوه إلا عند مخالفته لآرائهم السياسية . وفى الجدال السياسي الذي حدث سنة ١٨٨٦ ، نرى كلا الطرفين من أنصار

(١) Poul Grnald, P. 153

عليها ، ولا يدلنا فيها . لكل فعل سببه الكافي . والقائلون بالاختيار يذهبون إلى أن الفعل الارادي أو الحر هو الفعل الذي وإن كان للقيام به سبب كاف ، فإنه — أي الفعل — ليس ضروريا . وتهافت هذا التعريف ظاهر لاخفاء به . فإنه إذا لم يقع حدث أو فعل ما ، فلأن سبباً كافيا لوقوعه لا يوجد . إن السبب الكافي يرادف الضرورة . والإنسان ، كسائر المخلوقات ، خاضع لقانون الضرورة ، للقدر ، أو — إن شئت — لإرادة الله ؛ والخير والشر ، بعد ، معنيان نسبيان ، فالأول يرادف الموافق أو المرضي ، والثاني يرادف المكروه أو الغير الموافق . و «المصلحة» هي الحكم الفصل فى الأخلاق وفى كل شيء . أما الخير المطلق ، والشر المطلق ، والعدالة المطلقة ، والفضيلة المطلقة ، فأوهام ابتكرها العقل اللاهوتي ، وما بعد الطبيعة...

إن فلسفة « هوبز » السياسية تتفق مع هذه المقدمات الأنطلوجية . فالحرية ممتنعة عنده فى ميدان السياسة ، كما هى ممتنعة فى ميدان الأخلاق ، وميدان ما بعد الطبيعة . وإنما الحق للقوة ، فى الدولة وفى حال الطبيعة على السواء . وحالة البشر الطبيعية عبارة عن « حرب الجميع (ضد) الجميع » . والدولة هي الوسيلة التى لا بد منها لوقف هذا الصراع . وهى تحمى حيوات الأفراد وأموالهم فى مقابل خضوعهم لها خضوعاً مطلقا . فما تأمر به خير ، وما تنهى عنه شر ، وإرادتها هي القانون الأعلى .

لا نريد أن نقف عند هذه النظرية التى تقول بضرورة الحكم المطلق ، والتى هى النتيجة المنطقية لمذهب المادة . وإنما نريد أن نشير — فى ختام هذا البحث — إلى أن هوبز يختلف عن بيكن فى ناحيتين هامتين : أما أولاهما فهى أنه يقول بنظام ميتافيزيقي : النظام المادي . وأما الثانية فهى أنه يعطى القياس قيمة تفوق قيمته عن بيكن . لقد أغفل هذا الأخير ، حين جعل الاستقراء المنهج الكلي ، أمرين :

١ : الدور الذى يلعبه الإستنتاج فى الرياضيات .

٢ : الدور الذى لعبه العنصر الرياضي والنظر القبلي فى مكتشفات القرن الخامس عشر . ومن هنا فإن هوبز يقف موقفاً وسطا بين مذهب التجربة الخالص ومذهب ديكارت العقلي .

(بغداد) عبد الكريم الناصري

الوحدة والحكم الذاتى فى أرلندة يعتزون بانتساب عدد من الأدباء والكتاب لحزبهم .

وكل محاولة لتبيان آرائه السياسية تعد ناقصة إذا لم تتناول عقيدته فى الحكم الذاتى لإرلنده . فقد عارض بقوة قانون الحكم الذاتى الذى صدر سنة ١٨٨٦ ، وكتب إلى جريدة التايمس مقالا يحتج فيه على السياسة الخرقاء التى يرتكبونها بسن مثل هذا القانون . وفى هذا الاحتجاج نراه يعدد المساوىء التى يرتكبها القوم فى إرلنده وطالب بازالتها والقضاء عليها . واقترح إنشاء نظام حكومى فى إرلنده يرتبط تمام الارتباط بالحكومة المركزية فى لندن .

وهذه المحاولات العديدة التى قام بها من الناحية السياسية لم تكن كافية لإقناع القوم بشخصيته كسياسي بارع . فلم يصبح عضواً فى البرلمان ولم تكن له القوة يوما ما لإدارة دفة الإنتخاب ، ولكن عند وفاته نرى البرلمان يعلن الحداد عليه رسمياً مدة ليست بالقصيرة ، مما يدل على تأثرهم بنظرياته وآرائه التى كان لها شأن عظيم فى التأثير على أفكار القوم ، ووضعها فى الصورة التى يريدها .

وفى الحقيقة كان أرنولد حر الفكر يجاهد فى سبيل إعطاء سائر الأمم المستعمرة حريتها وخاصة إرلنده . ولكن هذه الحرية لاتعنى انفصال هذه المستعمرات انفصالا تاماً عن الحكومة المركزية ؛ بل تظل تهتدى بهديها وتستن سننها .

كتبه ومؤلفاته :

إن من الصعب علينا فى هذا المقال القصير أن نحاول تحليل جميع الكتب التى ألفها أرنولد من أدب وشعر وفلسفة ودين . ولكنى أكتفى بتحليل بعض مؤلفاته تحليلا موجزاً يظهر لنا نبوغه وعبقريته الأدبيتين . وهذه المؤلفات هى : —

١ — أمبروكليس على جبل إتنا

ظهر هذا الكتاب سنة ١٨٥٢ يحوى بعضاً من خير القصائد التى كتبها المؤلف فقابله الجمهور بفتور شديد مما كان يدعو إلى يأس أرنولد وقنوطه لولا التشجيع الذى قابله به الشاعر روبرت براونينج المشهور . ويشتمل هذا الكتاب على قصائد عدة أهمها « أشعار الذكرى » التى قالها فى رثاء الشاعر الكبير وليم وردزورث . ومطلع قصيدته كما يلى :

« لقد دفن جيتى منذ مدة طويلة فى مدينة ويمر .

« وقد شهدت بلاد اليونان جهاد بيرون الطويل وموته

« ولكن وفاة هذا العظيم كانت منتظرة منذ مدة طويلة

« لتخمد جذوة الشعر .

« ما الذى يمكننا أن نقوله فى وصف وفاة وردزورث ؟ »

وقد أعجب براونينج بهذا الكتاب إعجاباً شديداً دعاه إلى إعادة طبعه مرة ثانية سنة ١٨٦٧ . فكلا الموضوع والأسلوب كلاسيكى جذاب . وقد وصف أرنولد أمبدوكليس وصفاً دقيقاً وأظهره بصورة فيلسوف يونانى ولد فى جزيرة صقلية فى القرن الخامس قبل الميلاد وفلسفته الباقية لدينا تدل على تصوفه وعلى حياة الأحلام التى كان يحياها .

والأغنية التى يناشد أمبدوكليس كأنه بها لا تقل عن قصيدة (ربى بن عزرا) فى القوة والخيال الشعريين فهى تحوى بعض الأبيات الرائعة كقوله :

« قد نرغب فى الحصول على الهدوء النفسى .

« ومع ذلك فإننا لا نتطلع إلى أنفسنا .

« ونحب القضاء على التعاسة والبؤس .

« بينا لا نحاول الإمتناع عن الشرور والآثام » .

وأكثر أبيات هذه القصيدة روعة هى أغنية غالسيس فى نهايتها .

« إن هذه الأمكنة لا تصلح لسكناك أيها الإله العظيم أبولو .

« ولكن حيث تلتقى الجبال الغربية بصخور الشواطى والبحار .

ويتممها بقوله :

« لقد أتى أبولو قائداً .

« بفرقته الموسيقية المؤلفة من تسعة أشخاص .

« فالقائد جميل .

« وكل الأعضاء من أهل السماء » .

وجمال هذين المقطعين يتلخص فى احتوائهما على بعض الاصطلاحات الشعرية ويمتاز المقطع الأول بأسلوبه الشعرى الذى

يعد أساساً من أسس الفن والأدب .

والقسم الثانى من هذا الكتاب يشمل على أقصوصة تريسترام والفنانتين الملقبتين بأيسولت . وقد أحب تريسترام إحدى هاتين الفنانتين ولكنه اضطر إلى الزواج من الفتاة الأخرى : ولم يكن أرنولد موفقاً جداً فى سرد هذه القصة لأنه لم يتمها ولكنه جاء بها بطريقة جذابة . وبعض أبياتها لا يسعنا إلا ترددها لنشبع شهوتنا باللذة التى نجنيها منها :

« إن صوتها ليعلو على الضوضاء فيصل إلى أذنى .

« وأرى لألاءها من خلال الرماح المتشابكة .

« فتظهر ميتة تحت غطاء الشباب والعنفوان » .

وليس من المستحسن قراءة هذه القصيدة للقصة التى تحكيها . فهى أشهر من أن تقرأ فى مثل هذا الشعر الذى لا يظهرها بل يحافظ على غموضها وإبهامها . ولكنها تقرأ فى نفسها لهذه الأبيات الرائعة التى لا يمكن نكران قوتها وعذوبة أسلوبها .

٢ — رستم وسهراب

أجمع محبو أرنولد على أن هذه القصيدة من خير ما نظمه الشاعر . وقد ظهرت لأول مرة سنة ١٨٥٣ تحمل بين ثناياها جمالا طبيعياً مبتكراً يندر أن يوجد فى قصائده الأخرى . فهى قصة بطولة أسيوية نظمها الشاعر فى قصيدة من الشعر المرسل متبعاً فيها أسلوب الشاعر اليونانى المظيم هوميروس فى إلياذته . والقصة فى حد ذاتها رائعة ولكنها طويلة ، ولا يمكننى سردها فى هذه الرسالة لطولها . ولكنها تتلخص فى مبارزة وقعت بين والد وولده وكلاهما يجهل صاحبه . سقط الولد صريعاً فعرفه الوالد وحزن حزناً شديداً لقتله ولده . صمم على الانتحار فشجعه الولد بقوله :

« لا ترغب يا والدى فى الانتحار — يجب عليك أن تعيش .

« لأن كثيراً من الناس خلقوا للقيام بأعمال جليلة فى حياتهم

« بينما هناك كثيرون قدر عليهم أن يعيشوا مغمورى الذكر ثم يموتون .

« وإنى لأتوسل إليك أن تقوم بجلائل الأعمال التى كنت

« أتوق لعملها فتجنى نصراً آخر وفخراً فى حياتك »

يقلد أرنولد هوميروس فى سهولة وبساطة . فهذه القصيدة تحوى مشاعر خيالية رومانتيكية تعبر عنها تضحية الشاب فى سبيل القيام بجلائل الأعمال وعظائمها . فيموت فى الآونة الأخيرة التى كان يطمح فيها أن يصبح من كبار المحاربين والأبطال مقتولا بيد والده الذى يجهله ولا يعلم بوجوده .

٣ — ميروب

فى هذه الرواية التمثيلية نرى أرنولد يحاول أن يجعل من بوليفونتيس ملكا قوياً عاقلا يقوم بخير الأعمال للتكفير عن الذنوب العديدة التى ارتكبها أيام شبابه . ولم يكن أرنولد فى هذه الرواية موفقاً تمام التوفيق لأنه لم يخلق فيها شخصية تجتذب الجماهير وتأسر قلوبهم . ومع أن أسلوبها يونانى صرف إلا أن تقليده ليفوق تقليده فى رواية « الاطلانتيد فى كاليدون » أما من حيث الجمال والروعة فإن « ميروب » تقصر بكثرة عن سابقتها التى مع شذوذ أسلوبها وعدم ترتيبه تحوى روحاً فنية خالدة . فميروب جسد بلا روح وهى لا تحوى العاطفة التى تتقد فى الرواية الأخرى .

وقد نجحت الرواية نجاحا لم يكن ينتظره مؤلفها وبيعت بكثرة فى الطبقات الراقية من الأمة ، بينما طبقة العامة لم تأبه لها لعدم تفهمهم الآراء الفلسفية العديدة التى يضمنها فيها . وفى القصائد التى تحويها أبيات رائعة خالدة . ومنها هذه الأبيات :

« إن الطغاة ليجعلون من البشر رجالا حسنى الأخلاق

« أكثر مما يتظاهرون » . أو

« إن تاجك ليقضى عليك بينما لسانك ينقذك مما يحل بك »

أو الأربعة أبيات التالية :

« اسمع هذه الضوضاء التى تنبعث من الشوارع الأخرى

« واسمع ما يحدث من قتل الناس فى مثل هذه القاعات

« وهكذا تحكم أنت كما كان والدك يشاء ويهوى

« أو تحكم فتجعل من أعدائك عبيداً يخضعون لأمرك »

وجميع هذه الأبيات تخلو من القافية والوزن ، ولذا فإنها عدت خشنة الأسلوب مع احتوائها لبعض الأفكار المألوفة .

هذا العالم المتغير:

هل يكشف الفيتامين عن سره؟

للأستاذ فوزي الشتوى

الفيتامين والأكسوجين:

يسجل الفيتامين فى هذه الأيام صفحة جديدة فى تاريخ الصحة البشرية وعلاج العقم الإنسانى والروماتيزم ووجع الظهر وكل ما له صلة بتليف العضلات وتصلبها . وهو يطرق اليوم واديا جديداً غير الوادى الذى عرفناه فكلنا يدرك أهمية الفيتامين للاحتفاظ بالصحة ولكننا لم نعرف السبب .

ويدور الآن بأذهان العلماء سؤال : ما هى العلاقة بين كمية الفيتامينات فى الجسم والتفاعل الأكسوجينى مع أعصابه وعضلاته ؟

ولا يجول هذا السؤال فى أذهانهم عن مجرد تخمين أو فرض خيالى ، بل تدعمه حقائق واكتشافات علمية . وله قصة طويلة بدأت عام ١٩٢٢ حين اكتشف فيتامين E . وخلاصتها أن حيوانات التجارب تصاب بالشلل إذا حرمت منه . فإذا استخرجت عضلاتها الملتهبة وجدتها مخرمة كقطعة جبن نخرها الدود .

وقيست كميات الأكسوجين التى يستنشقها حيوان التهبت عضلاته فوجد أنها تتضاعف مرتين ونصفاً عن الكمية التى يستهلكها وهو فى صحته ، ومن ثم نبت الفرض العلمى بأن فيتامين E يحفظ أنسجة الجسم من الاحتراق بالأكسوجين ويمنعه من التأثير عليها . ويقصر عمل الأكسوجين على مهمته الأساسية التى نعبر عنها بالتنفس .

تأثيره على العقم:

ظن العلماء على أثر اكتشاف هذه المادة أنهم وفقوا إلى علاج يشفى حالات العقم فى الإنسان ويزيل الأسباب التى تقضى على الأجنة وهم فى بطون أمهاتهم أو بعد ولادتهم بفترة معينة . واحتضن البحث عالم دانيمركى اسمه فويت موللر .

ولكنا لو أردنا مقارنتها مع غيرها من روائع الشهر لعدت من سقط المتاع .

٤ — مقالات فى النقد:

ظهر هذا الكتاب سنة ١٨٦٥ ويعد من أحسن مؤلفاته فى عالم النثر ؛ فهو المحور الرئيسى الذى يرتكز عليه نقده ، وتعتمد عليه شهرته . ومع قلة انتشاره بين طبقات الشعب ؛ إلا أن جمهرة النقاد أعجبوا به أيما إعجاب . وقد أحدث حركة جديدة فى عالم النقد الانكليزى . فهو لم ينتقد فى كتابه هذا جمهرة الكتاب ولكنه علم الآخرين كيف ينتقدون ؛ فوضع قواعد جديدة يسير عليها النقاد فى البحث والتحليل .

وفى الطبعة الثانية من كتابه هذا كتب أرنولد مقدمة قيمة يخاطب فيها جامعة أكسفورد خطابه الشهير الذى يقول فيه : « إنها بدينة جميلة ، صفحتها بيضاء ناصعة لم تلطخها الحياة العقلية التافهة التى سادت البلاد مدة من الزمان » .

وفى هذا الكتاب وضع أرنولد بعض قواعد فى علم النقد ، منها ما هو مهم ومنها ما هو تافه .

ومن شروط النقد فى رأيه الرغبة والميل . فكل ما هو مرغوب حسن وقيم والعكس بالعكس . وفى هذا الكتاب يعرف مؤلفنا الشعر بقوله : « الشعر هو أحسن الطرق فى الدلالة على الأمور وأكثرها تأثيراً فى نفوس القراء » .

ومن آرائه القيمة فى عالم النقد الطريقة التى خالها أحسن الطرق فى دراسة الشعر والتفكير فيه . فقد اعتقد أن أهم مايتوخاه دارس الشعر هو الفكر أو الغاية . فالفكر هو الحقيقة الراهنة التى يبنى الشعر على أساسها . ولا شك أننا بعد مدة قصيرة سننظر إلى الشعر كالوسيلة الوحيدة لتفهم الحياة ودراسة مناحيها المختلفة ؛ فبدونه لا قيمة للعلوم وسيأتى يوم عما قريب يحل فيه الشعر محل الفلسفة والأديان . فقديماً دعاه وردزورث بخلاصة روح المعرفة أو بالنتيجة المتوخاة فى عالم العلوم والمعرفة . وما الدين والفلسفة إلا خيالات وأشباح تجول جولاتها المعهودة فى عالم المعرفة . وسيأتى يوم عما قريب ننظر فيه نحوهما نظرة المستخف المهمل فنشعر بسخافتهما وقلة ما فيهما من المدارك والمعلومات .

(البقية فى العدد القادم)

خيرى حماد

واختار العالم ٧٤ امرأة يلدن الأطفال أصحاء ، فلا يلبثون أن يقضوا نحبهم بعد سنة أو بضعة شهور . واتبع فى علاجهن اعطاءهن مقادير وافرة من زيت الحنطة الكريه الطعم وهو أغنى مصدر لفيتامين E . ونجحت تجربته ولكن إلى حد ، فإن ٥٩ امرأة فقط تيسر لهن القدرة على ولادة أطفال أصحاء لا تتأثر حياتهم بالعوامل الخارجية . وظلت الباقيات محتفظات بسيرتهن الأولى يعانين الحمل والوضع ويرين أطفالهن فى شهورهم الأولى ثم يوارينهم التراب .

وجربه العالم مراراً فكانت النتيجة واحدة ولم يصل إلى حل حاسم لجميع أطراف الموضوع بل وجد العلم سبيله إلى اتجاه آخر يؤدى إلى فكرة جديدة ، فلوحظ أن حيوانات التجارب إذا منع عنها فيتامين E تصاب بالشلل ، كما لوحظ أن نشاط القردة فى تسلقها الأغصان يقل كلما قل نصيبها منه حتى إذا وصل النقص إلى حد معين رقدت مشلولة بدون حراك .

وكان من الطبيعى أن تشرح فإذا بعضلاتها كالصفاة تتناوبها الثقوب ، وإذا العلم يلمس ناحية من المرض المعروف بتصلب العضلات فأية علاقة بين الفيتامين وبين العضلات ؟

اتجاه جديد :

والمعروف أن تصحيح العضلات والأعصاب إن انتابها مثل هذه الأعراض من المسائل التى يعجز الطب عن إرجاعها إلى حالتها الأولى ، فهى فى عالم العلاج بمثابة ساق يفقدها الإنسان ولن يفيد لإعادتها أية جرعة أو أى دواء ولكن فيتامين E ارسل فى العلماء بصيصاً جديداً من الضوء .

فهل آلام العضلات إنذار بنقص كيات فيتامين E ؟

إننا نسمى التهاب العضلات بأسماء مختلفة فان كانت فى الظهر سميناها لومباجو وإن كانت فى الساق سميناها روماتزما ، ومنشؤها واحد . وهى بأنواعها وأسمائها المختلفة منتشرة بين الناس .

وتوافر الدكتور شارلس ستينبرج من أمريكا على البحث فاختار ٦٠ مريضاً وغذاهم بجرعات كبيرة من فيتامين E فبرىء منهم ٥٥ من أمراضهم فى مدة تراوحت بين ثمانية أسابيع وثلاثة وثلاثين ولكن آلامهم توقفت عقب الأسبوع الأول .

من ذكريات الطفولة :

وصادف الأطباء عقبة تحول دون استخدام فيتامين E على نطاق واسع فأن الحصول عليه بالطرق الصناعية التى اكتشفت عام ١٩٣٨ كانت باهظة التكاليف فيساوى الرطل الواحد منه ٣٦٠ جنيهاً إلى أن ظهر كيماوى اسمه هكمان كان يشتغل فى تجارب تجفيف الأفلام فى مصانع كوداك . وكان يجرب إحدى طرق التجفيف فى أنبيق مفرغ من الهواء للحصول على ضغط منخفض يساعد على سرعة الغليان بدون ارتفاع كبير فى درجة الحرارة .

وفى أحد الأيام كان هكمان يسير الهوينا فى طريقه فوقف قبالة أحد الحوانيت يرقب معروضاته ، وهناك شهد زجاجات زيت كبد الحوت ، فأحس بالقىء يتولاه ، إذ ذكر طفولته حينما كانت أمه تجرعه مادته الكريهة التى عافت نفسه طعمها ورائحتها فسأل نفسه :

— لماذا لا يستخرج الفيتامين الحيوى من هذا الزيت المؤلم ؟ لماذا لم يجمعه العلماء فى أقراص صغيرة يبتلعها الإنسان فلا تتلوى أمعاؤه ؟

وشغلت الفكرة باله ، فما كاد يرى الأنبيق المفرغ من الهواء حتى طرأت على ذهنه تجربة : فلماذا لا يغلى ذلك الزيت فى الأنبيق فيتيسر له الحصول على مبتغاه دون أن يقتل فيتاميناته ؟ وهرع إلى الحانوت ثانية ، فاشترى زجاجة من زيت كبد الحوت ، وعاد بها إلى أنبيقه لينفذ فكرته

ونجحت التجربة وولدت صناعة جديدة ، وافتتح مصنع كوداك فرعاً جديداً لتقطير الزيوت ، فلما أعلنت الحرب وحرمت الولايات المتحدة من حيتان النرويج وزيتها غذت المصانع الشعب بالفيتامين المستخرج من أسماك المياه الأمريكية

من مخلفات المصانع :

وتحول « هكمان » إلى فيتامين E يجرب استحضاره ، وكان هدفه الإنتاج الرخيص الهين . وكان من اليسير أن يستخرجه من زيوت الحنطة ، ولكنها كانت غالية الثمن مما يتعذر معه إنتاج الفيتامين بأثمان ميسورة للفقراء ورقيقى الحال

وفكر فى زيوت النباتات وأهمها حبوب الصويا والفول

السوداني وبذرة القطن . والمعروف أنها تحتوي على واحد في الألف من فيتامينات E ، فلما مرت في عمليات الحزم والضغط ، وجد أن فيتامينها قل إلى النصف ، فأين ذهب النصف الآخر ؟

ووجه همه وهم أتباعه إلى مهملات المصانع التي تستغل هذه الزيوت ، فوجد النصف الباقي قد تسرب إلى قاذوراته ومهملاته من أوراق لف ونباتات حزم . وإلى كل مكان انتقلت إليه الحبوب أو زيوتها .

ومن هذه المخلفات التي تعودت أن تلقيها المصانع (كزبالة) استخرج مادته الثمينة بتقطيرها بالأنبيق المفرغ ، فهبط ثمن رطل الفيتامين من ٣٦٠ جنيها إلى عشرة جنيهات . ووجد الناس وفرة من مادته كما تيسر للأطباء ومعامل التجارب ما يساعدهم على الاستمرار في أبحاثهم

ويحتاج جسم الإنسان من هذا الفيتامين في كل يوم إلى كمية تتراوح بين ١٠ — ٣٠ ملليجرام أي ما لايتجاوز ثمنه بضعة مليمات

وكثير من آلام الظهر والمفاصل تنتج من تأثير أمراض أخرى ليست وحدها كفيلة بإلقاء المريض في فراشه ، ولكن إحداثها للألم يلزم المريض الفراش شهوراً وسنين ، فكان من المباحث الرائعة أن عولج أولئك المرضى بحبوب فيتامين E فزالت آلامهم وعادوا إلى أعمالهم

ويكثر فيتامين E في ردة القمح والخضروات ، ولاسيما أوراقها والإكثار من التغذية بها مفيد جداً للحوامل وأطفالهن . ويعد حيوياً لصحة الأعصاب والعضلات ، ولعل هذا البحث يفسر عادة المرضعات عندنا من الإكثار من أكل الفجل والجرجير .

قلم حبر لسنة كاملة :

سجلت إحدى شركات صناعة أقلام الحبر ، قلما عاديا جديدا يستطيع الكتابة في الماء على عمق خمسين ألف قدم فلا يؤثر الماء على الحروف ولا يزيل المداد .

ويتغذى سن هذا القلم بنوع جديد من المداد يجف بمجرد ملامسته لورقة أو قطعة قماش أو أي مادة صالحة للكتابة . ويصلح خزانه لتغذية القلم مدة سنة كاملة يتغير بعدها بخزان جديد .

ولهذا القلم أهميته في اكتشافات أعماق البحار ، فكثيرا ما كان الغواصون يفقدون حياتهم نتيجة لحوادث تحدث لهم وهم في الأعماق فلا يدري أحد ماذا حدث أو الأسرار التي رأوها في الأعماق وبواسطته يدونون ملاحظاتهم فيستطيع زملاؤهم معرفتها .

ومن الطبيعي أن فائدته قد تعم المدنيين ، فكثير من مستخدمي أقلام الحبر يتضايقون من عمليات ملئه بين يوم وآخر ، ولكن مثل هذا القلم سيوفر عليهم ملأه عاماً كاملا لا يخشون فيه نفاد مداده .

عصر الطيران يبدأ

بدأت المطارات الأمريكية تهتم بتنظيم حركة مرور الطائرات المدنية فتضع في طرقها علامات لسير الطائرات والسيارات . فالمعروف أن الطائرات تحتاج إلى طرق خاصة لهبوطها ولوضعها في حظائرها .

وتنتظر شركات أمريكا أن يقبل شعبها على الطيران اقباله على السيارات فيصبح لكل فردين من السكان طائرة كما هي الحال في السيارات . وتصمم مصانع الطائرات أنواعا من ذات الراكبين ، منها يصعد عموديا وما يحتاج إلى مسافة لسيره .

وقد وضع مطار لاجارديا لافتات يديرها رجال البوليس كما يفعلون مع السيارات . وهذه اللافتات مؤلفة من جزئين أحدهما يأمر بسير الطائرات والآخر بوقف الطائرات ويسمح للسيارات بالمسير

١٤ مليما للميل بالطائرة

وتنتج شركات الطيران البريطانية طائرات صغيرة تصلح لنقل ١٢ راكبا أو حمولة طن من البضائع ولكن عملها سيقتصر على المسافات القصيرة .

ومدى طيران هذا السفن الهوائية ٤٥٠ ميلا تسيرها بسرعة ١٫٥ ميلا في الساعة ويتكلف مسيرها ١٤ مليما في الميل الواحد .

ويقول غواة الرحلات الخلوية إن هذا النوع صالح جداً للرحلات الخلوية وأعمال الكشافة لأنها مصنوعة مثل سيارة نقل كبيرة يسهل تحويلها لشتى الأغراض .

فوزي الشتوي

بعـــد الحرب

للأستاذ كمال النجمي

لمن أربع يشجو القلوب دثورها   تحمل أهلوها وأقوت قصورها
منازل كم باتت بأمن وغبطة   ونازِلها غافى العيون قريرها
تحيّفها الموت الوحِىّ فأصبحت   بلاقع تهتاج الدموعَ قبورها
نعم درست من حسنها كل لمحة   إذا ذكرتها النفس هيج ضميرها
ولولا يد للحرب ما غيل أمنها   ولا باعد السُّمّار منها سرورها
سلوا : أين أوربا وماشاد أهلها   وأين مجاليها الفساح ودورها ؟
وأين رياض أثّ منهن كرمها   وأين دنان طاب فيها عصيرها ؟
وأين صباياها الملاح سوافرا ؟   وهل حجّب الأقمار إلا سفورها ؟
معاهدُ فيها للقلوب منازه   أضاءت لياليها الحسان بدورها
لسرعان ما جال الردى فأدالها   كأن لم يكن رِىّ القلوب حبورها
سلوا غائل الأرباع لو يُسأل الردى   ألم تجن موتاً إذ زهاها غرورها
تملكها زهو القوىّ فأوفضت[1]   جوارح تغتال اليمام صقورها
فأين ليوث يتقى الدهر بأسها   إذا ما دأت هز السماك زئيرها
تباهى بها الجرمان حتى تبددت   حزائق أسرى لا يُعدُّ غفيرها
وما العاشقون الحرب إلا عصابة   إذا مُكِّنت فى الأرض فاضت شرورها
وليس الذى يستعبد الخلق بطشه   بناج إذا ما غيظ يوماً شعورها
فهل مُبلغ عنا بنى مصر عصبة   حموا أمماً أن تستباح ثغورها
بأنا وقد كنا لهم خير مُسعد   إذ الحادثات الدهم طمّ نكيرها
نذكّرهم والحرب أُخمد وقدها   بما قطموا والحرب ذاكٍ سعيرها
بذلنا لهم أمناً ومالا وأنفساً   يجل عن الحصر القليل وفيرها
ولما دجا ليل الخطوب وأشرقت   قناتهمُ أن يُستلان عسيرها
مددنا لهم راح المعونة برّةً   تعاضدهم حتى انجلى قمطريرها
وإن وردت أجنادهم حوض وقعة   فنحن لها خلف الخطوط ظهيرها
منحناهم من قوتنا ونفوسنا   فهم أمة جازت ونحن جسورها
ولم تنس مصر دورها إذ تقوضت   وغيل بها ولدانُ مصرَ وحورها
تعاورها (الأعداء) بضعة أشهر   ولم تك إلا الدهر طولا شهورها
طوائرُ تجتاز السماء مغيرةً   ألا شد ما راع النفوس مغيرها
إذا زأرت هبّ الرقود كأنما   دعاهم إلى يوم القيامة صورها
أصابت رجالا آمنين وروّعت   صغاراً وشيخاناً يجل وقورها
إذا قوضت من لندن بعض دورها   على الرغم مما ذاد عنها نسورها
ففى مصر أمثال لذاك عديدة   إذا أُنصفت لا يُستقل كثيرها
وللماسطا (روميلُ) سطوة ظافر   وبان من المهواة[1] حيناً شفيرها
وقفنا لهم دون الحوادث وقفة   تغنت بها أقلامهم وصريرها
وكنا لهم أعوان صدق تحاشدوا   على المحنة الكبرى فهان خطيرها
صبرنا لها حتى تبلج فجرها   وأذّن بالنصر المبين بشيرها

* * *

فيا حلفاء النيل أين مواثق   منمقة ألفاظها وسطورها ؟
صدحتم بها فوق المنابر عذبة   كما صدحت فوق الغصون طيورها
فكانت حداء ساقنا عذبُ لحنه   كقافلة تُحدى فتدأب عيرها
فهل حان تحقيق الذى قد قطعتمُ   وآن لمصر أن يبين مصيرها ؟
ولسنا وإن كنا السّماحَ ضيافة   سوى أُسد غيلٍ لا تُرام ظهورها
أنلقحها[2] حرباً عواناً إذا انجلت   عدانا ولم يعد الأباعد خيرها
وكيف يذيق النيل أوّلها لظى   أليماً ويغتال الرجاء أخيرها ؟
على أننا نرجو اعتدال أمورنا   وحق لمصر أن تصح أمورها

* * *

بنى مصر إن الأرض خيس ضياغم   فهل أنتم مثل الضعاف جزورها[3]
حييتم حياة المسنتين[4] لتنصروا   قضية قوم لا يُضام نصيرها
فها هى ذى أمنية النصر حققت   وجلجل فى سمع الوجود نضيرها
ولا رأىَ إلا أن تهبوا جماعةً   فاصلحت دار تشظى عشيرها[5]
لنـــا وطن حر نريد حياته   كما حى عملاق الدنا وصغيرها
وأنفس أحرار إذا سيمت الأذى   رأى عسلاصابَ المنون غيورها
وإنا وإن نيأس من الشيب إذ جروا
لإحراز أســلاب يُذم حقـــيرها

---

(١) أوفض : أسرع .

(١) المهواة : الهوة .
(٢) ألقح الحرب : أشعلها .
(٣) الجزور : الذبح من الابل
(٤) المسنتين : المجدبين .
(٥) تشظى : تفرق

البريد الأدبي

مقاطعة الصهيونية:

كان الأستاذ عادل حمزة بدير من المحامين المعروفين فى دمشق وكيلا لجماعة من يهود فلسطين فى قضية مهمة فى محكمة الاستئناف فى دمشق موضوعها ملكية قرية على حدود سورية له منها فائدة ومنفعة وأجر كبير، فلما قُررت مقاطعة الصهيونية، رأى أنه لم يعد يجوز له السير فى القضية، فكتب إلى موكليه أنه قد عزل نفسه من الوكالة تنفيذاً لقرار الجامعة العربية وأبلغهم وجوب حضورهم بأنفسهم المحاكمة، أو توكيل غيره، وأنه مُرجع إليهم الأجر المقدم الذى دفعوه له.

أخبرنى بذلك، فرأيت فيه مأثرة تستحق أن تنشر فى الرسالة مجلة العرب، وقدوة صالحة يقتدى بها، فأنا أنشرها وأبعث إليه بإعجابى وإكبارى.

على الطنطاوى

لفينا شباب يعجب المجد فعلهم ... هم روح مصرفى الحياة ونورها

فيابنى مصر دعتكم بلادكم ... وما غيركم من جور عاد يجيرها

سراعاً صغار النيل لبوا نداءه ... فقد خذل الأوطان ضعفاً كبيرها

وما غيركم ينتاشها من عذابها ... ويطلقها من بعد ما ضاق نيرها

فكونوا الهاجيش الخلاص فإنكم ... نفوس زكت حتى أضاء طهورها

بنى مصر قد حان التفات لإخوة ... تبيت من البلوى بحرٍّ صدورها

إذا العدل لم ينظم بنى مصر كلهم ... فأقرب شىء أن يجوع فقيرها

عجبت، وهل فى مصر إلا عجائب ... إذا خطرت فى نفس حرٍّ تثيرها ؟

للصانعين الخبز واللبس كسرةٌ ... وخرقةُ جلباب تهاوت ستورها

وللناعمين المترفين نعيمها ... وآكالها موفورةً وحريرها

لهم بُر مصر طاعمين وشُهدُها ... وللشعب منها فُومُها وشعيرها

ألا مصلح فينا فيدرأ ديمة ... إذا انبجست أعيا الجهود مطيرها

كمال النجمى

زرقة العين يمن:

نقل الأستاذ العلامة النشاشيبى (فى عدد الرسالة ٦٥٥) قول الزمخشرى: «إن الزرقة أبغض شىء من ألوان العيون إلى العرب ...»

والحافظ السخاوى والمحدث العجلونى يقولان: زرقة العين يمن، ذكره فى الجامع الصغير عن أبى هريرة بلفظ: الزرقة فى العين يمن، قال المناوى: أى بركة ... قال الشاعر:

وما عليك أن تكون أزرقا ... إذا تولى عقد شىء أوثقا

كما فى (كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس للعجلونى) والمقاصد الحسنة للسخاوى

محمد شفيق

١ — النفاق فى الأدب:

النفاق فى الأدب يجرى على سنن النفاق الاجتماعى سواء بسواء، فكما أن الناس أسرفوا فى مجاملاتهم الكلامية الكاذبة، أسرف الأدباء فى مراعاة التجمل، ولجأوا إلى الكناية والمجاز، واستعملوا المحسنات البديعية ليخفوا المعنى الصريح الذى يريدون.

ولا كان كذلك الأدباء فى عهود الأدب الزاهرة، وما زلنا نقع كلما شققنا كتاباً من الكتب القديمة، على المعانى تلتمع صريحة واضحة. ولا مشاحة فى أن العهود الماضية كانت عهود تماسك خلق، والوازع الدينى أشد ما يكون أخذاً للناس فى أسباب الحياة، فإذا نزع الأدباء فى هاتيك الأزمان إلى الصراحة التى نستهجنها اليوم فى كتب الأدب الحديث، فإنما يحمل ذلك على أن الكتب لم تكن متداولة قديماً إلا بين الخاصة، فلا خطر ولا ضرر من شيوع بعض ما فيها من ألفاظ قد يأباها الذوق أو يأباها العرف.

أما الآن، ونحن فى عصر تزايل خلق، فلا مرية فى أن الذوق لا يستسيغ كثيراً من الألفاظ كالتى استعملها الجاحظ مثلا فى كتاب الحيوان أو كتاب المحاسن والأضداد، ذلك لأن هذه الكتب أمست فى متناول الناس جميعاً، يطالعها الأستاذ ويطالعها تلميذه، ومن ثم يكون الضرر فى الشيوع.

غير أن للتاريخ حرمة ، فينبغي ألا تحل كلمة محل أخرى ، ولا يحذف لفظ ليظهر مكانه خاوياً ويكتب في هامشه مثل هذه العبارة « كلمة تنافي الأدب » أو غير ذلك ، فالحذف هنا لا يتفق والأمانة العلمية ، وقد يذهب القارئ مذاهب شتى في تأويل اللفظة المحذوفة ، فيجيء الضرر على حين قصد الناشر النفع .

لقد قرأنا كثيراً من الكتب القديمة التي أعيد طبعها وتصويبها ففزعنا لكثرة ما حذف منها من العبارات « النابية » أو « التي تنافي الأدب » ، فاضطررنا إلى الرجوع إلى الطبعات القديمة الممسوخة الطبع والمشوهة الحروف ، فوقعنا منها على الأصل القريب . ولعلنا لا نعدو الحقيقة إذا ما قلنا إننا في كثير من الأحيان لم نر نبواً ولا خروجاً على الأدب المألوف .

على أن للعلم حقه ، وهو فوق الأدب ، وفوق الذوق ، والناس لا يجترئون على حذف لفظ من ألفاظ القرآن الكريم أو الكتب المقدسة الأخرى ، ولا يطمسون ألفاظاً في الحديث الشريف بحجة قصاراها أنها لا تتسق والعصر الحديث . فحري بالناسخين أن يبقوا على أمانتهم تلك في نشر الكتب القديمة ، وليس شيء أولى بالاتباع من الحق الصريح .

٢ — فيشر ومعجمه :

قالوا : إن إدارة مجمع فؤاد الأول للغة العربية أرسلت تستفسر عن مصير المستشرق الألماني الدكتور فيشر عضو المجمع منذ نشأته

ولقد عرفنا الدكتور فيشر عن كثب يوم كان كاتب هذه السطور في عداد موظفي المجمع ، فإذا هو رجل ذرّف على السبعين ضربه الشلل في فكه الأسفل ، إذا تكلم فلا يكاد يبين .

ولقد كان الدكتور فيشر أظهر الأعضاء المستشرقين ، حين نهد لوضع معجم لغوي تاريخي يبدي تحولات الألفاظ العربية خلال القرون .

ولقد نذكر أن كثيراً من اللغويين شجبوا عمل هذا المستشرق الكبير وسمعنا المرحوم الشيخ أحمد الإسكندري يقول عنه إنه عمل لا يتم ، وقال غيره متهكما إنه « مشروع نازي » !

بيد أن كل أولئك لا يذهب بجلال هذا العمل ، ولو أنه تم لكان مفخرة لمصر ولمجمعها . ولا نريد أن يصرف غياب الدكتور فيشر المجمع عن إكمال عمل يستحق الكمال .

٣ — ديوان ابن الرومي :

أصدرت وزارة المعارف قراراً بتأليف لجنة لجمع ديوان ابن الرومي ونشره مصححاً . وهذه اللجنة مؤلفة من الأساتذة : كامل كيلاني ، ومحمد شوقي أمين ، ومحمد جبر ، ومحمود لطفي .

والأديبان الأولان غنيان عن التعريف ، وأما الآخران ، فقد غلب عليهما التواضع العلمي فلا يكادان ظهران للجمهور في كتاب أو مقال . ولعل هذه هي الساعة الأولى للتعريف بفضلهما ونشر أدبهما بين الخاصة والجمهور .

وأول ما قرأنا ديوان ابن الرومي إنما طالعنا النسخة التي نشرها صديقنا الأديب الكبير الأستاذ كامل كيلاني ، أذاعها على الناس أيام الشباب والفراغ ، يوم انصرف هو للأدب ، وانصرف غيره لملاذ الحياة وأطايبها . فإذا اقتنص له الكاشحون بعض المآخذ فحسبه أنه كان أول المتصدين لعمل لا يقدم عليه سوى المغامرين الشجعان .

(الرمل) منصور جاب الله

لجنة النشر الفلسفية :

تكونت هيئة من بعض خريجي قسم الفلسفة بجامعة فؤاد الأول قوامها الأساتذة : أنور فريد ، وسعيد زايد ، ومحمد إمام الحوت ، ومحمد محمد وهبه ، باسم « لجنة النشر الفلسفية » ، تهدف إلى نشر الدراسات الفلسفية التي ترتبط بحياتنا الواقعية ارتباطاً وثيقاً ، وذلك عن طريق ترجمة وتأليف بعض الكتب وإذاعة بعض المحاضرات . وستظهر باكورة أعمالها قريباً ، وهي ترجمة سلسلة الكتب السيكولوجية التي تصدرها مجلة « بسيكولوجست » تحت عنوان « Practical Psychology Hanolbooks » .



حـــازم ...!

للأستاذ عدلي طاهر نور

— ١ —

— حنان!

— ماذا يا حازم؟

كانت حنان مستلقيــة على العشب تنظر إلى السماء بعينين حالمتين وقد شبكت يديها تحت رأسها لتتقى صلابة الأرض، وسقط شعرها الفاحم متدرجاً على ذراعيها الناصعتين والخضرة الناضرة فأكسب تآلف هذه الألوان وجهها جمالا بارعاً، وكان حازم مضطجعاً على جانبه بالقرب منها يعبث بالعشب وعلى شفتيه ابتسامة الذكرى.

مالت حنان برأسها قليلا لترد على نداء حازم بقولها: « ماذا يا حازم؟ » فقال:

— هل تذكرين يوم تعارفنا، حينما قدمت إليك فظللت ممسكا بيدك وقد بهرتني صورتك وأذهلني جمالك فلم يردني إلى صوابي غير تخضب وجهك وتهكم الأصدقاء؟ يا لهـا من لحظة لا أنساها! فقد تاه الطرف في صفاء تقاسيمك، لا يستقر على جمال حتى يجذبه جمال آخر. وهل تذكرين ذلك اليوم، حينما ابتعدنا عن الأصحاب فوق المقعد تحت الصفصاف؟ كم بقينا طويلا في صمت عميق، هذا الصمت الذي يخدر الحواس وينشط المخيلة ولا يقطعه غير اختلاس النظر ليغذى الخيال. وتلك اللحظة، هل تذكرينها يا حنان؟ تلك اللحظة التي تقابلت فيها عينانا فحاول كل منا أن يحول نظره ولكنه ما استطاع. فقد شخص بصرانا وتخضب وجهانا من المفاجأة، ثم ابتسمنا فكانت الابتسامة إذناً بالكلام.

أغمضت حنان عينيها تستعيد المـاضي وقد أشرق وجهها بنشوة الذكرى، وامتلأ صدرها بلذة الرؤية. وصمت حازم وعاد يعبث بالعشب ويستنشق النسيم الملىء بالذكريات؛ وهاج قلبه بالحب فنطق يقول:

— لا شك يا حنان أن حبي لم يخف عليك. فكل ما فيّ ينبض بالعاطفة. ولكن هل تعلمين قدره؟ إن المرأة تأسر الرجل بجمال خَلقها أو حسن خُلقها؛ وأنت يا حنان قد جمعت الجمال كله. ويزيد في ولهي ما بك من سمو ساذج يصدر من القلب. فلست كمن شاهدت من النساء يتصنعن السمو في نظرة أو لفتة أو مشية، فلا يعدو الأمر الظاهر. إن ما بك من فضائل يا حنان يسحر لبي ويملك قلبي.

فاعتدلت حنـان وعيناها تفيضان حباً، وقالت وصوتها يصوّحه الوجد:

— وأنت يا حازم. أما تعرف أنك سيد قلبي؟ لست أملك فصاحتك فأصف لك حبي؛ ولكنى أشعر ... أشعر أنك كل شيء في حياتي؛ فطيفك يلازمني في يقظتي وأحلامي. وإني لأمرض لبعدك وأسعد بقربك. آه يا حازم إن حبي لك لعظيم!

— إن روحينا ياحنان قد امتزجتا؛ فما من قوة تفرق بيننا. أنا سعيد يا حنان. وما أستطيع أن أكتم سعادتي فانا أرددها لكل ما حولي، للشجر والطيور، للقمر والنجوم. وأوحى بها إلى كل من يصادفني فتنبسط الأسارير وتبتهج الأنفس. ما أجمل الحياة إذا ملأها الحب والسعادة معاً ... وسكت حازم فجأة فقد بدت في عيني حنان سحابة حزن انحدرت دمعاً. ولم يلبث أن صاح:

— حنان أنت تبكين؟ بالله أما تفصحين! فكم لمحت هذا الشجن يكسر طرفك ويؤلم قلبي. ولكن غمرة السعادة جارفة فما كان ألمي يدوم أطول من خفقة، والآن أنت تبكين فما أستطيع صبراً. بالله يا حنان ما ذا بك؟ حدثيني.

لم تستطع حنان أن تغالب الدمع فقامت تجرى وارتمت على مقعد قريب تذرف العبرات. وأسرع حازم وراءها وجلس بجانبها يجفف دمعها ويخفف تأثرها: أنا آسف يا عزيزتي؟ فما أردت أن أثير ذكرى أو أنكأ جرحاً. وإنما ظننت أن الافضاء بذات الصدر يرفع عن النفس الحمل. هيا يا حنان. انسى كل شيء ولا تفكري في غير حبنا وسعادتنا.

فأجابت حنان على الفور: « لا ياحازم، يجب أن تعلم. فأنا ... ». ولكن البكاء غلبها فلم تنبس بغير شهقة. فمدت يدها إلى حقيبتها وظلت تبحث فيها وهي لا تستطيع الكلام ولا تنقطع عن البكاء،

حتى أخرجت (دبلة) ذهبية وضمتها فى بنصرها الأيسر . وكان حازم يتبعها بنظره مشدوهاً ، لا يعى ما تفعل ؛ ولكنه سرعان ما صرخ فزعاً : « أنت ياحنان . أنت ! » فأجابت بحزن عميق : « نعم ياحازم . تلك مشيئة القدر » وساد سكون طويل أثقله صمت الطيور كأنها أشفقت من التغريد على قلبين يتعذبان . ساد السكون فبدا صوت حازم المتصاعد فاجعاً يرسل القشعريرة إلى البدن . لمَ يا حنان ؟ لمَ تركتِنى أتدله فى حبك ؟ لم هذه القسوة ؟ ثم أمسك بيدها متوسلا: « قولى إنك تمزحين . قولى إنك لم تتزوجى. قولى لى أى شىء غير ذلك » . ولكن أصابعه لمست الدبلة فجذب يده بشدة وابتعد عنها قليلا وهو ينظر إليها نظرة الحزن والغضب والحب الخائب .

واندفعت حنان تقول : « أنا شقية يا حازم . فلا تقس علىّ ولا تزد فى شقائى . أواه ! لو علمت كم قاسيت ، وصبرت حتى مل الصبر . أرهف الله حساسيتى إلى حد المرض فلم أنعم فى دنياى بسعادة . وكان شغفى بالمطالعة منذ فجر شبابى طريقاً إلى الشقاء ، فقد غذيت عقلى وقلبى بأعلى المثل وأجمل الأحلام . فكانت صدمة الواقع قاسية وتبدُّد أوهامى مؤلماً . وغشينى هم من الناس فأخلدت إلى العزلة وانطويت على نفسى حتى أذوانى السقم وشفنى الهزال . وأزعج أمرى والدىّ ففزعا إلى الأطباء يرجوان لى علاجاً ، ولكن هيهات أن ينجع دواء الجسد فى شفاء النفس ، فقررا آخر الأمر أن يزوجانى . واستقبلت حياتى الجديدة تهدهدنى الآمال وتغمرنى الأمانى ؛ فقد كان قلبى يهفو إلى دار هانئة يرعاها زوج حنون ويبهجها أطفال عزاز ؛ ولكن جدى العاثر كان يلاحقنى فكنت كالظمآى فى صحراء ، أنشد السعادة وهى سراب .

أحببت زوجى لطيبة أخلاقه ، ولكنه كان يقتل حبى بإعراضه ؛ فقد طغى عشقه لعمله على كل عاطفة . وما كان يعنى بى أكثر من عناية الثرى بتحفة تجمل بهو منزله . والله أعلم كم حاولت أن أوجد لنفسى فى حياته أثراً ؛ ولكنه سامحه الله كان يعتقد أن سعادة المرأة أن تنعم بفاخر الزينة وأن تفوز بحرية التصرف . فنسى أن الزواج ألفة يوحى بها الحب المتبادل ، وأن العشرة الخالصة لا تتحقق بغير صيانة هذا الحب . نسى أن الزواج شرع للصحبة المشتركة والتعاون الوثيق فتصفو الروح وترق الحياة . نسى أن ملاطفة المرأة والتودد إليها ليس مقدمة للزواج فحسب ، بل عاملا حيوياً فى علاقة الزوجين . آه لو حاول الرجل أن يخبر زوجه فيحقق لها أحلام الصبا وسعادة الشباب ، إذن لأحبته العمر ولظل سيدها الأوحد وسلطان قلبها المطلق . ولكن الرجل وا أسفاه لا يحاول فهم المرأة وإدراك حقيقة نفسيتها ، ثم يتعهدها بالبرود والأعراض ، ولا يلبث الزواج أن يصبح واجباً يؤدى . وهكذا عشت مع زوجى لا أحبه ولا أستطيع أن أكرهه . عشت معه بقلب ينغص بالخيبة والحسرة .

ولم يقف عذابى عند هـذا ، ولم يغفل القدر عنى . ففقدت والدىّ واحداً بعد آخر . ففقدت معهما قلبين كانا يعطفان علىّ ويخففان عنى قسوة الحياة ، وشعرت باليتم يهصر قلبى والوحشة تفجع نفسى . ثم كانت صديقاتى ؛ فقد كن يروين لى بعضاً من حوادث لهن ليخففن عنى . فكان شعورى بهذا الفضاء الذى أحدثته النوائب فى نفسى يشتد وينتشر . ولم ألبث أن ضعفت يا حازم تحت إلحاح صاحباتى ، فانطلقت معهن ذلك اليوم إلى حيث قابلتك . فكنتُ أنا الزهرة الذاوية ، وكنتَ أنت القطر الباعث . وساقنى القدر فى طريق الحب فلم أفكر لحظة ، ولم أثب إلى نفسى إلا بعد أن أحببتك . ولم أقو على الإفضاء لك بزواجى ، بتعاستى ياحازم .

وغلبها البكاء فانقطعت عن الكلام . وصاح حازم وهو يكفكف دمعه : « مسكينة يا حنان ! »

— ٢ —

مضى كل منهما فى سبيله مكسور الفؤاد . وعادت حنان إلى عزلتها وقد حرك اليأس رماد قلبها وأهاج لهيب شجنها . وكانت تعمد ، حينما يشتد بها ألم الشوق إلى الذكريات تلتمس منها عزاء ضن به عليها العالم الخارجى ، فتصبح كصريع المخدر تقاسى بعد لذة قصيرة وسعادة واهية أشد الآلام . وكان أكثر ما يعذبها شعورها بما يكابد حازم من اضطراب نفسى بعد هذا الحادث ، ويأسها من حل لموقفها البائس . فما كانت تستطيع أن تهجر زوجها لطيبة قلبه ، وقد همت بذلك خضوعاً لحبها الجارف لولا أن خشيت لوم حازم فانتظرت أن يخطو هو الخطوة الأولى واستسلمت فى انتظارها لحزن دائم وعزلة شديدة .

وعاد حازم وهو لا يفكر فى غير اعتراف حنان ، ورأسه يدق بالحقيقة القاسية ، وقلبه يخفق بحبه الشديد . وكان كل عصب فيه ينبض بقوة كأنه يصيح : إنها متزوجة ! ومضت أيام قبل أن يسكن هذيانه ويروق ذهنه . ثم لم يلبث أن اختلى بنفسه فى محرابه وهو يرتعد لمجابهة قلبه لعقله . كم كان يود أن يفر فى هذه الساعة الحاسمة ، ولكنه كان يشعر بقوة خفية تدفعه إلى مكتبه

أخذ يراجع حديث حنان وهو يقطع الغرفة بخطوات واسعة وقد وضع يديه خلف ظهره وطأطأ رأسه لشدة التفكير . كان عقله الرشيد وتربيته القويمة قد حصنا نفسه ؛ ولكن قلبه كان قويا بالحب ملتهبا بالشوق . فكان الصراع بين ضميره وعواطفه عنيفا . كان ضميره يثور تارة وقلبه يطغى أخرى ، ونفسه بين هاتين القوتين حائرة معذبة .

كان يحدث نفسه قائلا : « ماذا دهاك يا حازم ؟ كيف تخلد إلى هذا الوسواس فيحرضك على الشر ، وتثابر على هذا الحب فتسلب بريئا امرأته ؟ كيف تقدم على هـــذا الأمر فتنقلب شيطانا يحث على المعصية ويهدم بيتا هادئا ؟ كيف تحـل رباطا مقدسا وتقطع صلة طاهرة فتحقر نفسك وتفقد عزتك ؟ ثب إلى رشدك وعد إلى جهادك . فحذار حـذار أن تستسلم لعواطفك . فالعاطفة المطلقة كالسيل ، أوله انقضاض يجرف ويقتلع ، وآخره نضوب وقحط . وقد وهبنا الله العقـل لنقيمه سدا يحبس تلك القوة الطاغية وينظم تصريفها . إن حنان ليست لك يا حازم ... »

ووقف حازم فجأة وضرب كفه بقبضته صائحا : « يجب أن تنساها » . وتابع سيره وهو يكرر تلك العبارة بتؤدة ويقطعها ليوحى إلى نفسه معناها ويملى عليها إرادته . ولكن أنى لعقله أن يثبت ولم يكن أمر حبه مشكلة دارجة ؟ فهو لم يكن يعرف الحب من قبل . أما وقد نهله فقد أصبح الأمر مشكلة حياته . فكان قلبه المضطرم يصهر عزيمته ويشوش منطقه ، وحبه المتدفق يخنق ضميره ويذهب بصوته فلا تلبث نفسه أن تصيح :

« تباً لك ياحازم! مادمت عبدا لعقلك فقد تحرم الحياة ومتعها وتعرض عن الحب ، فيطغى العقل وتنضب النفس ويفسد الذوق وتنقطع صلتك بالحياة . لا يا حازم . لا تفعل ذلك ! إن حنان لك ، فالأقدار لم تجمعكما عبثا . إنه نداء القلب فأنت تلبيه ، وماء الحياة فأنت ترشف منه . وكيف يقبل عقلك أن يعيش زوجان بلا حب ويأتلف قلبان بلا تمازج ؟ إن حنان لك يا حازم . ولك وحدك .

كان حازم يجـد فى حديث نفسه لذة عظيمة ، ولكنها لذة يكدرها صوت الضمير الذى يأبى أن يخضع فيعود ويرتفع من الأعماق : « حذار حذار أن تسلك هـذا الطريق » . فكانت نفسه كرمال الشاطىء بين كر الأمواج وفرها لا تهدأ ولا تستقر . كان حبه قويا ، ولكن عقله كان يقظا وضميره حيا . ولهذا كان حزينا برما . فهو لا يستطيع أن يعود إلى حنان ، ولا أن يبتعد عنها

وبينما هو فى عذاب اليأس والتردد ، إذ فاجأ نفسه بهذه الهمسة : « مسكينة يا حنان ! » . وكان يكرر تلك العبارة ولا يفطن بادىء الأمر إلى معناها . ولكن سرعان ما قفز من كرسيه حيث أقعده الأعيـاء ، وهو يهتف : « نعم ! مسكينة يا حنان » ألم ينطق بتلك العبارة من قبل عند ما قصت حنان عليه قصتها المحزنة ؟ ألم تذرف حنان وقتئذ دموع الشقاء بين يديه فأرمضت قلبه ؟ إذن كيف يتركها تذبل وتتعذب؟ كيف يقتلها بالهجر وهو لم يقس قط؟ كيف لا يعطف عليها ويؤنس وحدتها ؟ إن فى حبه لها صداقة ، والصداقة عاطفة تجمع بين القلب والعقل . أليس من واجب الصديق أن يعين صديقه ؟

ملأت الشفقة نفس حازم بغتة . وقد أثارها الحب ليستعين بها على العقل ؛ فما كانت هنا غير قناع لبسه الحب فجأة فشلّ العقل وأسكت الضمير . والحب قد يأتى بالمعجزات .

وخف حازم إلى حنان يتمتعان بسعادتهما السابقة فيركبان سيارته ويتنقلان بين الرياض ، فتستلقى حنان على الأعشاب الغضة تنظر إلى السماء بعينين حالمتين ، ويضطجع حازم على جانبه بالقرب منها ، تعبث يداه بالأزهار ويشع وجهه بالغبطة .

— ٣ —

وحدث ذات يوم أن قام حازم وحنان برحلة من رحلاتهما العزيزة إلى ضواحى القاهرة ، ودهمهما الليـل فى طريق العودة . وكان الليل مقمرا ، فأغراهما جمال الطبيعة بالبقاء حيث كانا على شاطىء النيل .

كان القمر يسيل رقة تلين الأبدان ، وكانت أشعته تهبط على المياه كقبلة العاشق على كتف حبيبته فتسرى فيهـا رعشة لذيذة وتهتز لها اهتزازاً لطيفا . وكان هـذا الاختلاج يسحر الناظر ويهدهد عقله فيغوص فى هذا المزيج من الأشعة والماء .

وكان السكون رائعـا يقطعه بل يزيده صفير الصرصور المتتابع فتؤثر وحدة الصوت المتواصلة فى المرء ، فتصيبه غشية هادئة ترفعه إلى عالم الأحلام ، ويزيد نشوته عطر ثقيل من الزهور المختلفة ينتشر الى جسمه فيثقل تفكيره وأطرافه .

كانت الطبيعة تنشد نشيدها الأبدى فى معبدها الساجى ، وقد أطلقت بخورها العبق ، ولبست حللها الفاخرة ، فيتصاعد الى السماء تآلف من الأصوات والعطور والألوان ، ينعقد سحبا رقيقة لازوردية رنانة تخلع على الأرض غموضا مقدسا ، يحير البشر فيعتريهم الخشوع وينشاهم الوجوم .

وكانت حنان مستلقية على العشب، وقد أكسبها القمر شحوبا عاجيا ليس فى الانسان، وجمالا مبهما ليس على الأرض ولا فى السماء، جمالا يتصوره الشاعر فى مخيلته ويعبده فى خلوته كلما تردد عليه وتراءى له. وكان حازم مضطجعا الى جانبها يقلب الطرف فى جمالها وقد سلبته الفتنة كل إرادة، وأثار الوجد كل حواسه. وتحولت حنان بنظرها إليه فتلاقت عيناهما وشخص بصراهما، وكان ينبعث منهما بريق ساطع متدفق لم يلبث أن هدأ ورق. وفى همس يقطعه الهيام امتزج اسماهما: حازم! حنان! والتقت شفتاهما فى قبلة حارة طويلة. كانت عواطفهما كحمم البركان تصعد من الأعماق متراخية ملتهبة ثم تفيض فتنحدر بشدة كاسحة. وفى ذلك الوقت اختفى القمر وراء سحابة كثيفة كبيرة. وفى تلك اللحظة التى ينسى الانسان كل شىء غير أن الطبيعة حبته بقوة عاطفية جامحة، فى تلك اللحظة التى تطغى فيها حرارة القلب على قدرة العقل، فى تلك اللحظة لبيا نداء الجسد. إنهما من جسد، والجسد ضعيف والهوى غلاب، فكيف يعدمان الشهوة؟ كان عقلها فى يقظتهما راجحا؛ ولكن الطبيعة خدرت ذلك الحارس، فتنفست الشهوة المكبوتة، وكانت تعمل فيهما خفية والعقل يحجبها، فجهلاها حتى نمت واشتدت فتحركت وغلبت

وظهر القمر ومر أحد العسس يقرع بنعليه الطريق، فاستيقظ العاشقان من حلمهما اللذيذ وتبينا أمرهما مضطربين: وما أقسى أن ينقلب المرء من حال إلى آخر بلا انتقال. فاستولى عليهما الوجوم والحيرة، وفرق الخجل بينهما لحظة طويلة قطعها حازم بعد جهد بقوله:

— إن الليل قد تقدم، فدعينى أصحبك إلى منزلك.

ولم تجب حنان بغير نظرة مبهمة، وقامت تخطو وئيدا إلى السيارة، وأدار حازم المحرك وسأل:

— أين تسكنين؟

ولم يكن حازم يعرف حتى ذلك الوقت مسكن حنان إذ كانت بعد كل لقاء تفضل أن ترجع وحدها. وأجابت حنان:

— فى الدقى، سأبين لك الطريق.

— ٤ —

واندفعت السيارة إلى منزل حنان. فكان حازم يشعر كلما توغل فى السير أن الطريق مألوف. ولكن هذا الشعور لم يتعد طبقات نفسه الأولى فلم يلتفت إليه تماما، حتى أشارت حنان بالوقوف. وبينما هو يودعها وقع نظره على منزلها فثبتت عيناه فى محجريهما وتملكه فزع شديد؛ فصاح بصوت قلق يكاد يسمع:

— أنت ... تسكنين هنا؟

فأجابت حنان وقد راعها حاله:

نعم! ولكن ما ذا بك؟ هل رأيت شبحا؟

ولم يجب حازم وانطلق إلى مسكنه بأقصى سرعة. كان همه الأول أن يبتعد عن هذا المنزل ولكن صورته باتت تلازمه وتزيد فى عذابه. فكان يهمس: رحماك يا إلهى. فما أقسى العقاب!

كان منزل صديقه أحمد، فكانت حنان إذاً زوج صديقه ...

وكان أحمد لا يجتمع بأصدقائه كثيرا لشغفه بالعلم وانقطاعه له، ولكنهم كانوا يكنون له الحب والاحترام لدماثة خلقه وكرم طباعه. وهذا هو حازم، بالقسوة القدر، يكتشف أنه كان يخون صديقه فينقض عهد الصداقة. كان يخونه فى عرضه. والعرض كيف يلأم صدعه ... آه. لو استمع إلى صوت عقله!

كان حازم يفكر فى ذلك فيحز الألم فى نفسه. كانت الصدمة عنيفة أودت بكل عاطفة أثارها الحب. فما وجد لفعله عذرا ولا لضميره ردا. وساد ضميره وقام يؤنبه بعنف ويلاحقه بشدة، ونفسه قد خلت من كل توازن بقيه شر الاختلال. كان صوت الضمير يتبعه وصورة صديقه لا تفارقه؛ فلم يستطع البقاء فى مكانه وخرج يهيم على وجهه فى الطرقات. ولكن الصوت كان يطارده فيعدو المسكين هربا منه، فيملأ أذنيه، فيسرع فى الجرى حتى يصرعه التعب، فلا يلبث طويلا حتى يبدو له وجه صديقه يشخص إليه فى حزن وأسف، فيعود إلى الجرى ليسقط مرة بعد مرة حتى خر على الأرض مغشيا عليه.

وأشرقت الشمس وقامت الطيور تعلن قدوم الصباح ودبت الحياة فى الكون، ووقف الشرطى يتأمل جسما طريحا وانحنى يهزه ليتبين أمره؛ فانتفض النائم وجلس لحظة ورأسه بين يديه، ثم نظر إلى الجندى المستفهم نظرة بلهاء ولم يلبث أن نهض مسرعا وهو يهمهم بكلام لا يفهم.

إنه كان حازما الرقيق. صرعته الصدمة فاختل عقله، وأصبح يكفر عن خطيئته. كان ملكا فى وجدته فسولت له النفس أن يهبط إلى الأرض؛ فتدهور من العلياء وعاد آدميا تسوده الغرائز الشهوانية والرغبات الدنيئة، واقترف الخطيئة فاستحق العقاب، والسماء لا تغفر لملك هوى.

عدلى طاهر نور

من ذكريات الشباب

سقط بعض السطور من مقدمة القصة الثانية (اجترار) المنشورة فى العدد الماضى للأستاذ حبيب الزحلاوى فرأينا إعادة نشرها .

« حكايتى أيها الأصدقاء تدور حول الأثر الذى تركته حوادث الجهاد الوطنى فى نفسى ، لا حول أبلغ حادث حدث لى :

كنت أتوقع عندما عينت ضابطاً فى الجيش أن ألقى مشاكسة من زملائى الفرنسيين وتعالياً على الضابط « العربى » ، فوطدت النفس على التمسك بالكرامة مع السلاسة واللطف

نجحت بعض النجاح فى السير على منهاجى ، وكنت أفشل فى قطع ألسنة أولئك الضباط عن القدح فى قومى وسب « السوريين القذرين » ، ولا سيما حينما كانت تضمنا مائدة شراب ، ولم يكن يند عنهم إلا ضابط من رتبتى كان يقف دائماً فى وجه أولئك القادحين ، فيصدهم عن المضى فى طعن الأمة العربية إكراماً لى : « أنا زميلهم الضابط الكيس والخلصاء الذين عرفناهم من السوريين » . فكان أولئك الضباط الأجلاف ينحرفون عن الموضوع ، ناسبين ذلك إلى ما يلاقون من الشعب من كراهية وبغض ، وكان ذلك الضابط — نضر الله وجهه — يدافع عن حق السوريين ، وينعت حكام قومه بالطيش والهوج فى مد حكمهم وبسط سلطانهم على شعب لا تنقصه خصيصة من خصائص الاستقلال ، ولا تحوجه الدراية بتحمل المسئولية الاجتماعية ، ولا الوعى القومى ، فقد استمد مزاياه من تاريخه العربى ومن الانقلابات التى تأثر بها فى مطلع هذا القرن ، وكان يقول :

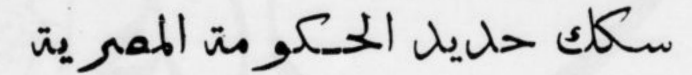
« لقد أيقظنا نحن الفرنسيين نفوس الشعب السورى ذاته بتلقينه فى مدارسنا مبادئ ثورتنا للحرية والمساواة وتعاليمنا فن الحياة ، وكان يساير زملاءه فى الطعن على الدهماء فى كل الأمم ، لأنهم يتساوون والسوائم فى إرضاء شهواتهم وتسكين معدهم ، ولا فرق فى طوائف العامة بين شرقى وغربى وبين ألوان وأجناس.

وكان كلام ذلك الضابط الأريب يشجعنى على إبراز فضائل قومى الأصيلة والمكتسبة ، وعلى إبداء الرأى أيضاً فى الوسائل التى قد تقرب بين الحاكم والمحكوم» اشتعلت نار الثورة فى جبل الدروز ، وسرعان ما امتدت ألسنتها إلى دمشق فمدينة حماه . جن جنون الفرنسيين ، فأمر قائدهم الأرعن الأعلى بإطلاق المدافع تدك قذائفها أحياء دمشق ، وانطلق أجناد الجيش فى « حماه » يمعنون فى قتل الناس وإحراق بيوتهم ومزارعهم . كانت أخبار الثورة فى كل ميدان تصلنا بالميعاد ، عرفنا بما حل بحملة الجنرال « ميشو » وكيف مزقها أبطال الدروز شر تمزيق ، وعرفنا أيضاً بفزع زهرة شبان دمشق من طلاب المدارس العليا يلتحقون بثوار الغوطة ، وهكذا كانت أخبار إخواننا الثائرين فى داخل البلاد من نساء ورجال ، وأخبار رجال السياسة منا البعيدين عن مواطن الخطر تصلنا منبئة بقيامها كلها متساندة متضافرة تعمل لجعل هذه الثورة هى الأخيرة للخلاص التام من حكم الأجنبى المستعمر

عملت ما فى وسعى لأقنع الأجناد الوطنيين تحت إمرتى أن نهرب بسلاحنا وميرتنا للالتحاق بإخواننا المجاهدين لتحرير الوطن وقبل انبلاج الصبح كانت دوابنا المثقلة بالأحمال على بضعة كيلومترات من مرابط الثوار ، والفضل فى هربنا يعود إلى زملائى الضباط الذى أثقل « الحشيش » أدمغتهم تلك الليلة ...

... فى منتصف ليلة من الليالى ، سرنا بطوائف منظمة من الثوار نقطع الطريق على حملة من الفرنسيين جاءت لتطويقنا من ناحية الشمال . بلغنا الموقع الذى قدرت أن الواقعة ستقع فيه ، ووزعت رجالى توزيعاً يوهم العدو بكثرة عددنا ، وأوصيت بعدم الإسراف فى إطلاق الرصاص ليكون متواصلا ، ووقفت فى مكان مرتفع مع بعض زملائى نرقب الموقعة ونديرها . لم أر ولم أسمع فى حياتى عن موقعة التزم رجالها ضبط النفس والعمل بإقدام وشجاعة وحزم كتلك الموقعة التى كانت كأن الصخور والمتاريس وأكوام الحجارة ، هى التى تصد قنابل المدافع ، وهى هى التى تتفجر فتطلق النار فتصيب الهدف ، وكأن رجالنا الأبطال ليسوا من لحم ودم ، بل قدر محتوم ينزع أرواح المستعمرين إلخ .

حبيب الزحلاوى



صرف تذاكر مشتركة إلى الوجه القبلي بأجور مخفضة للسفر بها بالسكك الحديدية والمبيت فى عربات النوم والاقامة فى اللوكاندات

يتشرف مدير عام السكك الحديدية باعلان الجمهور أنه بموجب اتفاق مع شركة لوكاندات وجه قبلى وشركة عربات النوم قد تقرر إعادة صرف التذاكر المشتركة بمعرفة مصلحة السكك الحديدية للحكومة المصرية إبتداء من ١٥ يناير سنة ١٩٤٦ لغاية ٣٠ أبريل سنة ١٩٤٦ بأجور مخفضة للسفر بالسكك الحديدية والمبيت فى عربات النوم والاقامة فى اللوكاندات وتشمل هذه التذاكر الاقامة فى اللوكاندات يومين وليلة أو ٥ أيام و ٤ ليال أو ٧ أيام و ٦ ليال أو ١٠ أيام و ٩ ليال حسب الأثمان الموضحة بالتعريفة الموجودة بالمحطات وشركة عربات النوم والشركات المعتمدة لصرف هذه التذاكر .

أولا — تشمل أجرة التذكرة المشتركة ما يأتى : —

(ألف) أجرة السفر بالسكك الحديدية . (ب) أجرة المبيت بعربات النوم للدرجة الأولى فقط . (ج) أجرة المبيت باللوكاندات .

حسب الأجور والفئات المخصصة لكل درجة سواء أولى أو ثانية .

ملاحظة — يحصل بمعرفة اللوكاندات ١٠ ٪ خدمة و ٥ ٪ عوائد بلدية .

ثانياً — التخفيض فى أجور السكك الحديدية بنسبة ٢٧٫٥ ٪ من ثمن تذكرتى الذهاب والاياب المفردتين . ثالثاً — كوبونات السكك الحديدية معتمدة لمدة ٢١ يوماً من تاريخ صرفها بمعرفة المحطات أو الشركات للسفر بها فى خلال هذه المدة ذهاباً وإياباً أي لغاية مساء اليوم العشرين وتتم السفرية فى اليوم الحادي والعشرين أى أن السفرية في الذهاب والاياب لا تتجاوز الـ ٢١ يوماً من تاريخ صرف التذكرة بأى حال من الأحوال والتذاكر التى تصرف فى المدة من ١٠ إلى ٣٠ أبريل تنتهى جميعها فى ٣٠ أبريل . رابعاً — مصرح لحاملى هذه التذاكر التخلف بمحطات البلينا وقنا لركاب الأقصر وبمحطات الأقصر وإسنا وأدفو وكوم امبو أيضاً لركاب أسوان حسب الموضح على كوبونات السفر، كذا التخلف بمصر للركاب القادمين من الاسكندرية أو بور سعيد أو بور توفيق . خامساً — على المسافر أن يقدم كوبون السكة الحديد للمحطة التى يسافر منها سواء فى الذهاب أو الاياب لختمها برقم وتاريخ القطار المزمع السفر به كل مرة وإلا تعتبر تذكرته لاغية ويلزم حاملها بدفع أجرة السفر والغرامة طبقاً لقانون المصلحة . سادساً — لا يمنح أى تخفيض فى أجور السكك الحديدية من الأقصر لأسوان لحملة التذاكر المنصرفة للأقصر فقط . وإذا رغبوا التوجه لأسوان يجب دفع الأجرة بالكامل .

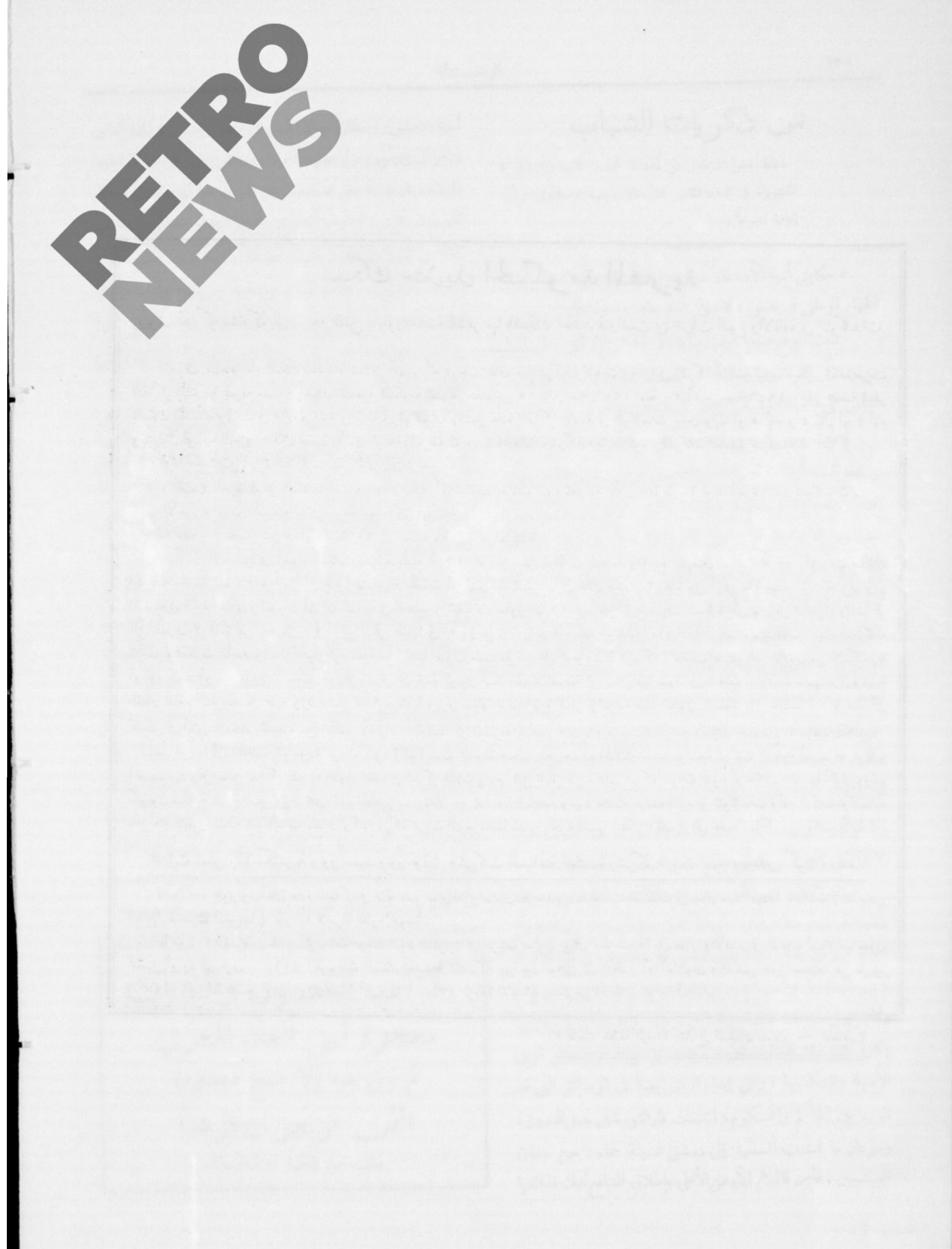
سابعاً — بما أن المحلات الموجودة بعربات النوم واللوكاندات محدودة فيجب حجز هذه المحلات مقدماً بواسطة شركات السياحة أو بمعرفة الركاب أنفسهم . وعلى حاملى تذاكر الدرجة الأولى استبدال تذاكر عربات النوم قبل السفر من مكاتب شركة عربات النوم أو مكاتب الخواجة كوك وولده بكوبون مبينا به تاريخ السفر ورقم محل النوم المحجوز . ثامنا — إذا تصادف عدم وجود محلات بعربات النوم أو اللوكاندات وأقام الركاب بلوكاندات بأقل فئة فيجوز مطالبة اللوكاندات بالفرق وكذا شركة عربات النوم بمحطة مصر بأجرة النوم يمكن الحصول على هذه التذاكر من الجهات الآتية :

محطات مصر والاسكندرية وبور سعيد وبور توفيق وشركات السياحة المعتمدة وشركة عربات النوم وتوماس كوك وولده .

تاسعا — يجوز رد أثمان هذه التذاكر فى حالة عدم استعمالها أو استعمال جزء منها إذا تقدمت للمحطات فى خلال مدة اعتمادها بطلبات (تقدم من أصحابها للمحطات لتحويلها) للمراقبة لاجراء اللازم نحوها .

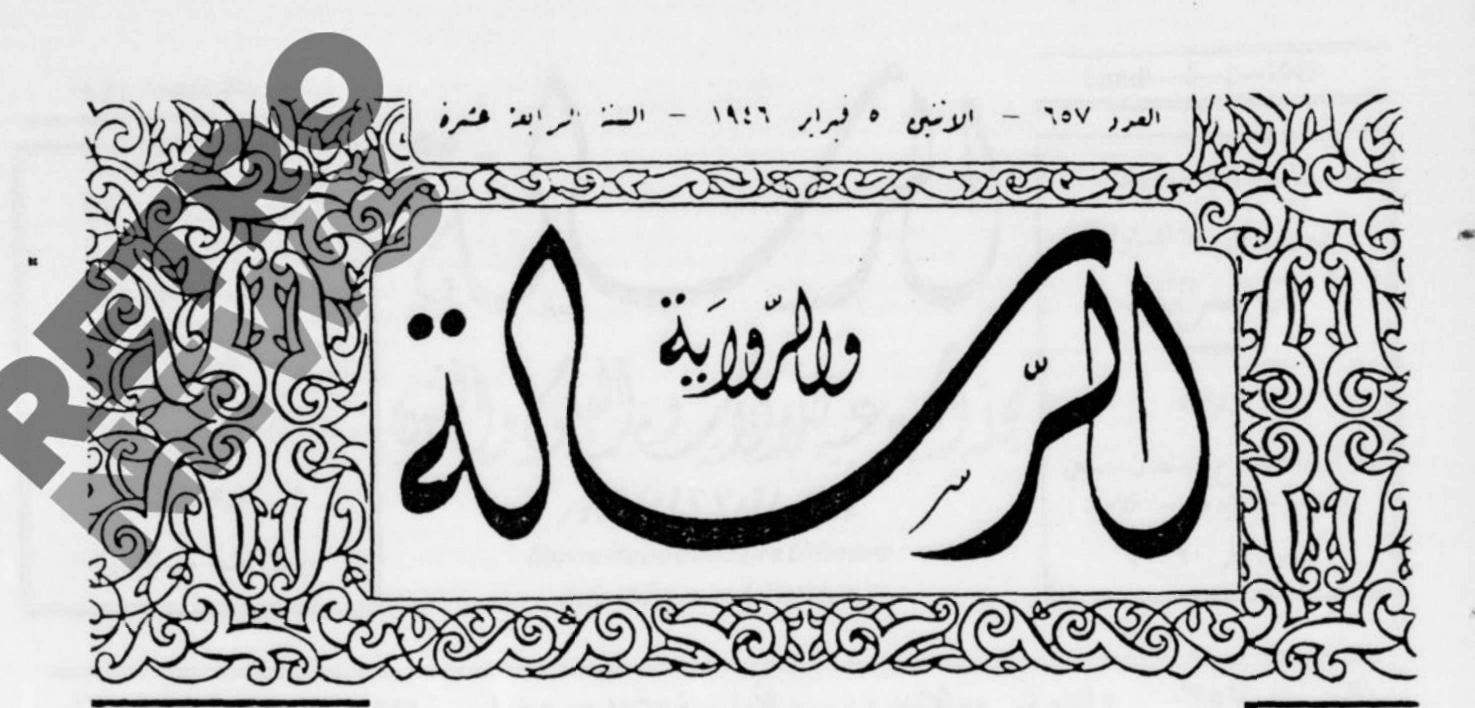
ملاحظات : (١) يجوز لحاملى كوبونات عربات النوم السفر بها فى عربات صالون بولمان عند سيرها بين مصر والأقصر فى الذهاب أو الاياب بدون تحصيل أو رد أى فرق . (٢) كوبونات السكك الحديدية المشتركة من بور توفيق إلى الأقصر أو أسوان وبالعكس يجوز استعمالها عن طريق الاسماعيلية أو الخط الصحراوى بدون تحصيل أى فرق . (٣) لزيادة الايضاح يستعلم من المحطات الموضحة أعلاه .

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)


RETRO
NEWS

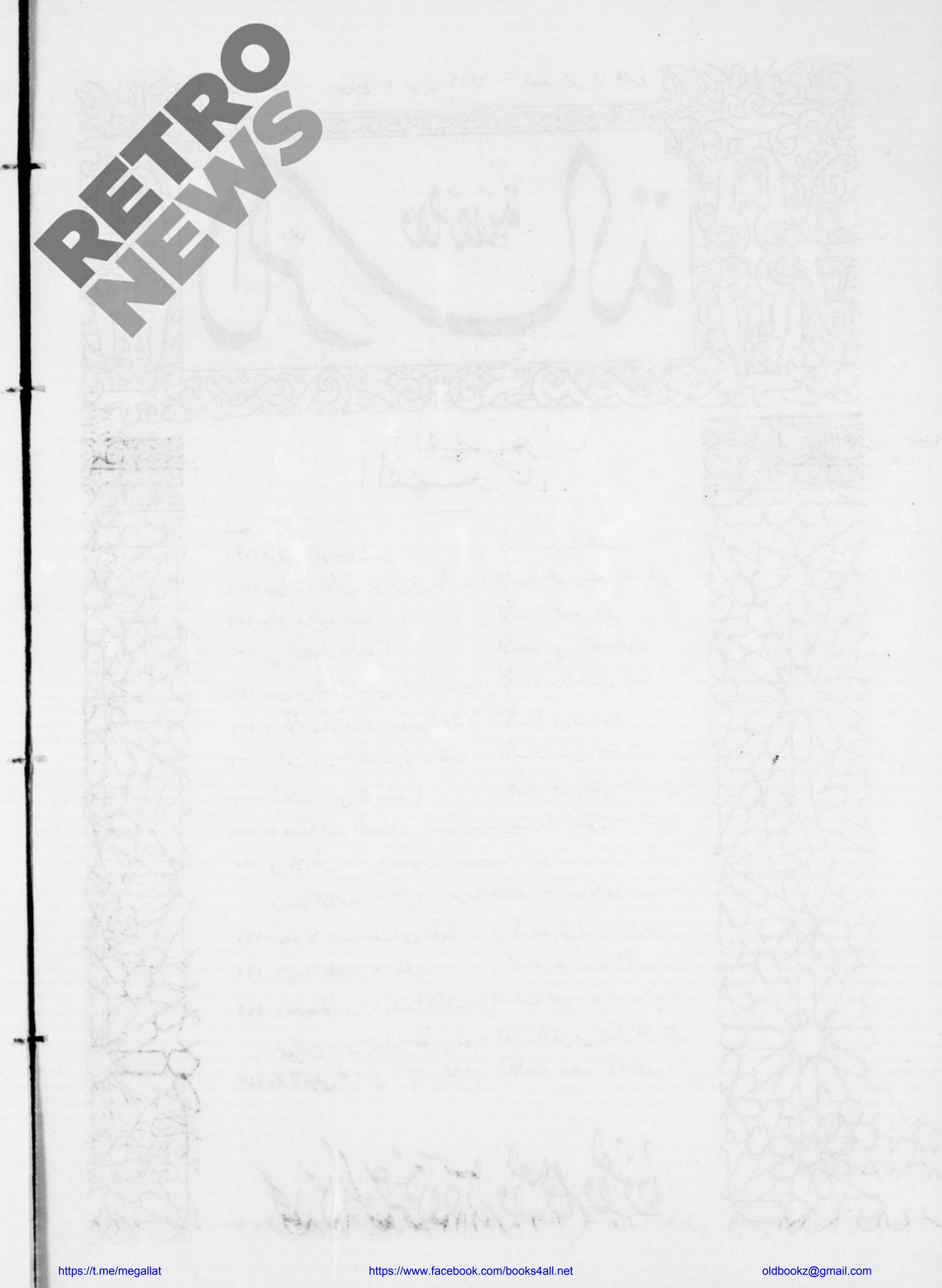


العدد ٦٥٧ - الاثنين ٥ فبراير ١٩٤٦ - السنة الرابعة عشرة



الفهرس

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون



14 me Année No. 657

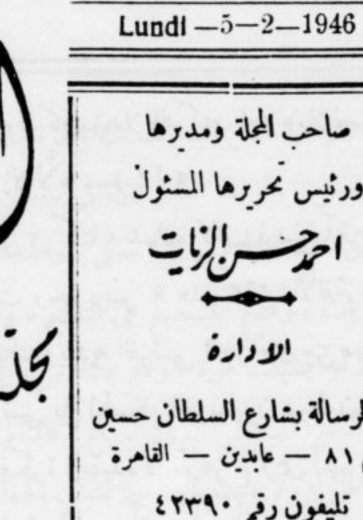
Lundi —5—2—1946

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique



صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العــــدد ٦٥٧ « القاهرة فى يوم الإثنين غرة ربيع الأول سنة ١٣٦٥ — ٥ فبراير سنة ١٩٤٦ » السنة الرابعة عشرة

هؤلاء الفرنسيون ...

للأستاذ سيد قطب

فى الوقت الذى تنال فيه قضية سوريا ولبنان عطفنا وعطف الجامعة العربية ، وتتمتع بالاهتمام الذى تستحقه من كل عربى ، توجد قضية أخرى لا تتمتع بهـذا الاهتمام بالدرجة الـكافية ... تلك هى قضية الشمال الأفريقى — الجزائر وتونس ومراكش — الذى ترتـكب فيـه الدولة الفرنسية أشنع مأساة يخجل منهـا المتحضرون .

والواقع أن أشنع ما ارتـكبه الفرنسـيون فى سوريا ولبنان ، لا يعد شيئاً بالقياس إلى ما يرتـكبونه فى الشمال الإفريقى إلى هذه اللحظة . فلم تزد شناعاتهم فى سوريا ولبنان على فعلة حمقاء — جريًا على طبيعتهم فى تاريخهم الطويل — بالقبض على رئيس جمهورية لبنان ووزرائه ؛ ولم تزد على مؤامرة خسيسـة دبروها لاغتيال أعضاء الوزارة السورية وأعضاء البرلمان فى أثناء اجتماعهم ؛ هذه المؤامرة التى فشلت لوقوع بيانات سرية فى أيدى الحـكومة السورية قبل تنفيذ المؤامرة الخسيسة ! ثم ضرب دمشق بالقنابل مرتين فى خلال عشرين عاماً ...!

وهذه كلها بالقياس إلى ما يرتـكب فى الجزائر ومراكش خاصة لا تعـــد شيئاً . وقد هزت شعورنا تلك الحوادث التى ارتـكبت فى البلدين الشقيقين ، فمن حق ما يقع فى الشمال الإفريقى أن يثير نفوسنا وأن يدفعنا إلى التدخل الحاسم .

وأنا لا أتوجه بهذا الـكلام إلى الجامعة العربية وحدها ، ولا إلى رجال السياسة فى البلاد العربية كذلك ؛ إنما أتوجه إلى ضمير الشعوب العربية جميعاً . فأنا على ضعف ثقتى برجال السياسـة فى هذا الجيل لا أزال شديد الثقة فى الجماهير ، وفى ضمير هذه الجماهير ؛ وهو وحده الضمان لتقوية الجامعة العربية ودعمها ، ولدفع رجال السياسة مهما اعتور نفوسهم من الضعف والتردد .

فإلى هذا الضمير الشعبى العام أتوجه بالحديث .

ولـكى لا أتهم بالتحامل فإنى أعرض على قراء العربية صورة لتصرف الفرنسيين فى الجزائر ليست من صنعى ولا من صنع كاتب عربى ، إنما هى من رسم رجل فرنسى شذ فـكان له ضمير ! ولعله هو أيضاً ضمير مدخول ، فهو يكشف لأبناء وطنه عن شناعة الحكم الفرنسى فى الجزائر خشية أن يؤدى بهم هذا إلى فقدان الجزائر . فليس شعوراً إنسانياً هو الذى يدفعه إلى بسط سوء الحالة فيها ، إنما هو روح استعمارى بصير ، هدأت فيه الحماقة التى هى طابع السياسة الفرنسية التقليدى فى التاريخ !

هذا الـكاتب هو المسيو « جان ميليا » من كبار الدبلوماسيين الفرنسيين ، وقد ضمن ملاحظاته هذه كتاباً باللغة الفرنسية نستعرض هنا مقتطفات منه نقلها إلى العربية الأستاذ « محمد عبد الـكريم » ونشرتها مجلة « الشرق الجديد » .

« ضرب المؤلف الفرنسى مثلا مما يسميه مواطنوه الفرنسيون قانوناً بالجزائر ، بذلك القانون العجيب المسمى قانون الغابات .

« فالمستعمر الفرنسي يُمنح الأرض ليستغلها ، وهو يُعطى ما يختاره بسخاء بدون مقابل . وقد حدث مرة أن احترقت غابة يستغلها فرنسي ، وحامت الشبهة في هذا حول الوطنيين ، فكان أن عمدت الحكومة إلى إصدار قانون ينص على أنه في حالة احتراق أي غابة يملكها فرنسي ، فإن العرب المقيمين في أقرب منطقة مجاورة للغابة يلزمون بدفع تعويض للمستعمر الفرنسي صاحب الغابة حسب ما يقرره حاكم المدينة .

« ويردف الكاتب الفرنسي ذلك بقوله : ومن يوم أن صدر هذا القانون أصبح شائعاً في أوساط المستعمرين الفرنسيين أن من يصاب في مشروعه بالفشل أو من يسوقه الحنين للعودة إلى بلاده فما عليه إلا أن يعمد إلى غابته يحرقها ، ويبلغ الحاكم ليشهد في اليوم التالي إبلا وغنما وحميراً وخياماً وأقوات أهل القرية المجاورة تباع كلها في السوق قسراً ، ليعطى ثمنها تعويضاً لذلك الفرنسي عن ضرر أحدثه هو بيده ! »

هذا ما قاله الكاتب الفرنسي ، أما الذي لم يقله في هذا الصدد فهو أن المساحات الشاسعة من الحقول والبساتين تنزع ملكيتها من أيدي ملاكها العرب لتعطى إلى المستعمرين الفرنسيين حيث يطرد هؤلاء الملاك إلى البقاع المحلة ، حتى إذا راحوا يفلحونها بالجهد الشديد ويصلحون تربتها بسواعدهم وكواهلهم والبقية الباقية من أموالهم إلى أن تصبح صالحة للزراعة ... عاد الفصل السابق يمثل معهم من جديد فيطردون منها لتعطى للمستعمرين من جديد !

ثم يقول المؤلف الفرنسي :

« إن حق المواطن في الجزائر يمنحه كل يهودي دون استثناء ولا يجوز منحه للمسلمين إلا لعدد قليل ممن يرى الحاكم الفرنسي منحه لهم : ولم ينتفع بهذا الحق حتى الآن من المسلمين أكثر من ألف وخمسمائة .

« وجرمان رجل أولى حقوقه العامة كمواطن لا لجرم سوى انه مسلم هو أعجوبة الأعاجيب في الأوضاع الدستورية ، حتى أن « بارتلمى » أستاذ القانون الدستوري بجامعة باريس لم يستطع كتمان تعجبه ، فهو يسائل مواطنيه في مناقشته حق الانتخاب بكتابه الذي يدرس بالجامعات الفرنسية : إنا لنعجب للتفرقة بين مواطنين من بلد واحد ! كيف يمنح حق المواطن لأحدهما ولو كان من الرعاع لأنه يهودي ، ويحرمه الآخر ولو كان مؤهلا بالدكتوراه وحاملا لوسام جوقة الشرف ، لا لذنب إلا لأنه مسلم ؛ ! »

وينقل الكاتب الفرنسي في كتابه شهادة كاتب فرنسي آخر هو « بليسيه دي رينو » حيث يرجع رينو « عدم تحقق الألفة بين الوطني والفرنسي إلى ما يكنه ويبديه الفرنسي للجزائري من مهانة واحتقار . فالمستعمر الفرنسي بل الحكام الفرنسيون يهبطون إلى أرض الجزائر مشبعين بفكرة وعقيدة لا تتزعزع ، هي أنهم بين أعداء ، وهم لهذا لا يبدون نحو العرب أي عطف أو حسن معاملة »

وينقل كذلك شهادة كاتب فرنسي ثالث هو « جوليوفيري » « إن المستعمر يستبد بالوطني أي استبداد ، وهو يستشعر العسف لا في أقواله فحسب ، بل في سلوكه الذي لا يرعى فيه للعرب حقاً ولا كرامة »

هذا ما قاله المؤلف الفرنسي وما نقله عن غيره . أما ما لم يقله ، فهو أن كلمة « عربي » هي من ألفاظ الشتائم والتحقير في الاصطلاح الفرنسي ، فإذا شاء أن يشتم إنساناً أو يحقره نبزه بلفظ « عربي » !

وهذه حقيقة معروفة أضعها تحت أنظار العرب لينظروا في رد هذه الإهانة عن أنفسهم باحتقار كل ما هو فرنسي – مهما اشتدت حاجتهم إليه – واحتقار كل من يخدع بفرنسا أو ينتمي إليها ، أو يرفع رأسه ليعجب بهؤلاء الذين يدعون أنفسهم متحضرين

أما الفرنسيون في مراكش فهم الفرنسيون في الجزائر — وفي كل مكان على ظهر هذه الأرض يبتلي باستعمارهم الوحشي .

بين يدي نشرة صغيرة وزعتها « رابطة الدفاع عن مراكش » في ١١ يناير الماضي ، بمناسبة « ذكرى عيد الجهاد الوطني » الذي بدأ في ١١ يناير سنة ١٩٤٤ . وقد جاء فيها بأسلوب معتدل كل الاعتدال تحت عنوان « السياسة الفرنسية في مراكش » ما يأتي :

« هناك مبدأ شعاره السيف والمحراث ، وهو مبدأ قديم ابتدع شعاره الكونت ديسلي منذ أوائل القرن التاسع عشر ؛ والسيف رمز لقهر أصحاب البلاد وإرهابهم ؛ والمحراث رمز لاستغلال كل الخيرات التي تشتمل عليها تلك البلاد ، وإذا أردنا أن نقلب العبارة من الرمزية إلى الصراحة قلنا : الإستغلال بالقوة !

« ومراكش اليوم مستغلة بالقوة بكل ما تحمل هـذه العبارة من معنى . وفرنسا حجر عثرة فى سبيل رخائها وتقدمها بأكثر مما فى هذه العبارة من معنى . ومبدأ العرقلة يتمثل فى كبت الحريات ، وعدم التشجيع على التعليم ، وعدم السماح بوجود صحافة حرة أو جمعيات حرة ، وغير ذلك من الحقوق البسيطة التى تتمتع بها أحط المستعمرات فى العـالم . فالمثقف غريب فى مراكش لا عمل له ولا مستقبل . بينما يتقلب الجهال فى الوظائف العليـا ؛ وبذلك يساعدون على بث الانحلال فى أداة الحكومة الوطنية . وسلطة الحماية تعرقل أيضاً كل ما من شأنه أن يغير أسلوب الحياة الإجتماعى . وهى لاتسمح للصحف العربية بالدخول إلى البـلاد ولا تسمح للطبقة المثقفة بإصدار الصحف لتنوير عقول الناس . وهى تعرقل قيام المؤسسات الوطنية الإقتصادية . وهكذا لاتوجد وسيلة لعرقلة التقدم فى مراكش إلا تفنن هؤلاء الموظفون فى تنفيذها .

« أما سياسة السيف والمحراث أو الإستغلال بالقوة فهى تتمثل فى نزع ملكية الأرض من الأهالى وتوزيعها على المستعمرين الفرنسيين ؛ وفى تأسيس الشركات الإحتكارية التى تستحوذ على الصادرات والواردات ، وتهيمن على السوق ؛ وفى استغلال المناجم استغلالا لا تعرف عنه مراكش شيئاً ؛ وفى تسخير الأيدى العاملة بأجور زهيدة ؛ وفى إشعار رجل الشارع بأنه دون الفرنسى ؛ وفى فرض الضرائب الفادحة حتى أصبح المراكشى يدفع من الضرائب ما لا يدفعه أى شخص فى العالم ؛ وفى استغلال المياه الإقليمية والأنهار والغابات والمزارع وآبار البترول وكل الخيرات التى توجد فى هذه البلاد . وقد تمت سياسة الإستغلال هذه بشكل أصبح يهدد كيان البلاد الإقتصادى بالإفلاس »

هذا ماقالته مذكرة رابطة الدفاع عن مراكش . أما ما لم تقله - ولدىّ عنه أخبار وثيقة - فهو الوحشية البربرية المتبعة فى نفى الزعماء السياسيين وتعذيبهم واختيار أماكن اعتقالهم ، حتى أصبح معظمهم مريضاً بالسل . وهى وحشية مقصودة لتخويف الآخرين !

وليس لأحد أن يشك فى صحة هذه البيانات المراكشية ، فهناك مايؤيدها فى الجزائر بشهادة الكتاب الفرنسيين أنفسهم . فهى إذن سياسة واحدة تدل على هـذه العقلية البربرية التى تعيش بها فرنسا فى القرن العشرين فى ساحات شاسعة تستحق الإهتمام .

ومما يدل على الظلم والجحود أن هؤلاء الجزائريين والمراكشيين هم الذين نصروا فرنسا فى حربين متواليتين ؛ فكل الشجاعة التى يتشدق بها الفرنسيون فى معركتين كبيرتين فى هـذه الحرب والحرب الماضية - وهما معركة بئر حكيم ومعركة المـارن - كان أبطالها هم الجزائريين والمراكشيين . أما الجندى الفرنسى - الذى يشيع المغرضون عنه خرافة الشجاعة - فقد تحطم وانهارت قواه وهو يدافع عن بلاده فى الحربين على السواء

معركة المارن كسبها « الفيلق الإفريقى » وكانت نقطة التحول فى الحرب العظمى . ومعركة بئر حكيم ثبت فيهـا الجزائريون واللبنانيون . ومعركة الصحراء الغربية كسبها جنود مستعمرة تشاد وإفريقية الإستوائية . أما الجندى الفرنسى فقد انهارت قواه أو استأسر استئسار الجبان فى كل مكان !

ثم تكون المكافأة التى يوحى بها الجحود لهؤلاء الذين نصروا فرنسا مرتين فى ربع قرن هى هذه المعاملة القاسية !

ولـكن مما يعزى الشرق العربى أن فرنسا قد انتهت — على الرغم من كل تشبث لها بالبقاء — انتهت ، ومن واجب الشرق العربى أن يدق المسامير فى نعشها

وآية انتهائها هوهذا الجمود فى سياستها وعقليتها الاستعمارية ، بينما الآخرون يحاولون التجديد ، ولو فى الألفاظ والأساليب

ففرنسا قد استحالت أمة جامدة متمسكة بكل وضع قائم تمسك الغريق . كانت هى الأمة الجامدة المحافظة فى إلغاء الامتيازات بمصر بمؤتمر مونتريه . وكان هذا موقفها مع سورية ولبنان ، فلم تبرم معهما المعاهدة التى اتفقا عليها ، وكانت النتيجة أن فقدت نفوذها كله . وبالمثل كان موقفها فى هيئة الأمم المتحدة وهى تتمسك بالاستعمار والانتداب ولا تقبل كلمة « الوصاية » كما قبلتها انجلترا الماكرة المرنة اللعوب !

هو التحجر . وهو آية الفناء . فليعمل كل عربى مخلص على الإسراع بهذه النهاية السعيدة . وليكن اهتمامنا بالشمال الأفريقى العربى ضربة حاسمة فى دق المسمار الأخير .

سيد قطب

في إرشـــاد الأريب

إلى معرفة الاديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

– ٢٥ –

ج ٢ ص ١٩٢ : جواب الخوارزى (عن رسالة الهمذانى) : شريعة ودى لسيدى إذا وردها صافية ، وثياب برى إذا قبلها ضافية ، هذا مالم يُكدّر الشريعة بتعنته وتعصبه . ولم تحترق الثياب بتجنيه وتسحبه[1] ، فأما الإنصاف فى الإخاء فهو ضالتى عند الأصدقاء ، ولا أقول :

وإنى لمشتاق إلى ظل صاحب ... يرق ويصفو إن كدرت عليه

فان قائل هذا البيت قاله والزمان زمان ، والإخوان إخوان ، وحسن العشرة سلطان . ولكنى أقول : وإنى لمشتاق إلى ظل

رجل يوازنك المودة جاهداً ... يعطى ويأخذ منك بالميزان

فاذا رأى رجحان حبة خردل ... مالت مودته مع الرجحان

وقد كان الناس يقترحون الفضل فأصبحنا نقترح العدل ، وإلى الله المشتكى لا منه .

قلت : أغلب الظن أن الأصل (مالم تكدر الشريعة ... ولم تخرّق الثياب) بالخاء لا بالحاء . وعجز البيت الأول هو : (يروق ويصفو إن كدرت عليه) والبيت الأول لأبى العتاهية ، وقبله :

عذيرى من الانسان لا إن جفوته

صفالى ولا إن صرت طوع يديه

والبيتان صوت ، فى الأغانى فى خبر :

« قال علّويه[2] : فدخلت إلى المأمون فأقبلت أرقص من أقصى الديوان ، وأغنى بالصوت (بالبيتين) فسمع المأمون والمغنون مالم يعرفوه فاستظرفوه ، وقال المأمون . ادن يا علويه ، وردّه[1] ، فرددته عليه سبع مرات ، فقال لى فى آخرها عند قولى (يروق الخ) يا علويه : خذ الخلافة ، وأعطنى هذا الصاحب » .

وجواب الخوارزى عن رسالة الهمذانى (وما أوردته هو قسم منه) لم أجده فى رسائل أبى بكر المطبوعة فى قسطنطينية سنة ١٢٩٧ كما لم أجد رسالة أخرى للخوارزى رواها ياقوت[2] وذكرها الهمذانى فى حديث المناظرة المشهورة . وهذه الرسالة جواب عن رسالة للهمذانى[3] . ولا ريب فى أن الرسالتين هما للخوارزمى . وفقدهما فى تلك الطبعة دليل على خلوها من غيرهما .

يقول الإمام الثعالبى فى اليتيمة : أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمى باقعة الدهر ، وعلم النثر والنظم ، وعالم الفضل والظرف ، وكان يجمع بين الفصاحة العجيبة والبلاغة المفيدة ، ويحاضر بأخبار العرب وأيامها ودواوينها ، ويدرس كتب اللغة والأدب والنحو والشعر ، ويتكلم بكل نادرة ، ويبلغ فى محاسن الأدب كل مبلغ ، ويغلب على كل محسن بحسن مشاهدته ، وملاحة عبارته ، وديوان رسائله مخلد سائر ، وكذلك ديوان شعره .

وفى (وفيات الأعيان) أبو بكر أحد الشعراء المجيدين الكبار المشاهير[4] كان إماماً فى اللغة والأنساب ، وله ديوان رسائل وديوان شعر ، وكان يشار إليه فى عصره ، وهو ابن أخت محمد بن جرير الطبرى صاحب التاريخ ، مات سنة (٣٨٣) .

وجاء فى (بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة[5]) قال الحاكم : كان واحد عصره فى حفظ اللغة والشعر .

ذلكم أبو بكر الخوارزمى ، وتلكم منزلته ، فلن تخدع أحداً براعة (البديع) وشيطنته وشعبذته فى رسالته[6] ذات الأفانين

---

(١) قلت : تسحبه : تدلله فى اللسان : تسحب عليه أى أدل ، فلان يتسحب علينا أى يتدلل وكذلك يتدكل ويتدعب . فى الصحاح : تدكل الرجل أى تدلل ، والدكلة القوم الذين لا يجيبون السلطان من عزهم ، يقال : هم يتدكلون على السلطان أى يتدللون .

(٢) علويه : بالياء .

(١) المفصل : حركوا نحو رد ولم يرد بالحركات الثلاث ولزموا الضم عند ضمير الغائب ، والفتح عند ضمير الغائبة .

(٢) ج ٢ ص ١٨٨ و (رسائل بديع الزمان) شرح العلامة الشيخ إبراهيم الأحدب صـ ٢٣ .

(٣) ارشاد الأريب جـ ٢ صـ ١٨٦ و (رسائل بديع الزمان) صـ ٣١

(٤) هذا الجمع فى كلام الأدباء واللغويين ، فى مقدمة المخصص : « أعيان رواتهم ومشاهير ثقاتهم » جـ ١ صـ ٩ .

(٥) يستدل من قول رواه السيوطى فى هذا الكتاب أن ياقوتا ذكر الخوارزمى فى كتابه فى أخبار الشعراء

(٦) هى أجل رسائل الهمذانى وأعظمها .

في تلك المناظرة . ومن يصدق أن الخوارزمي لا يعرف « أن للشاعر أن يرد ما لا ينصرف إلى الصرف كما أن له رأيه في القصر والحذف » ويجهل أن معنى « كند النعمة كفرها » ويقول : « ذئب غاض ... يأكل الغضا » وينظم « تسعة أبيات جمع فيها بين إقواء وإكفاء وإخطاء وإيطاء » فيقول البديع « لمن حضر من وزير ورئيس وفقيه وأديب : أرأيتم لو أن رجلا حلف بالطلاق الثلاث لا أنشد شعراً قط[1] ثم أنشد هذه الأبيات فقط ، هل كنتم تطلقون امرأته ؟ فقالت الجماعة : لا يقع بهذا طلاق ... » .

من يصدق هذا الشيطان (بديع الزمان) في الذي نفقه وزوقه ، وقد سمعنا قصته ، وغابت عنا مقالة خصمه وإن أيقنا بأن بداهة الفتى أعجزت روية الشيخ . ورسائل الخوارزمي تحقق قول الثعالبي وغيره فيه ، وتخبر بأن منشيها يفوق الهمذاني علماً وسعة اطلاع . وكلام أحمد بن الحسين الهمذاني ألطف وأرشق ، وكلام الخوارزمي أرصن وأدق ، وهو مسجع وكأنه مرسل .

ولأبي بكر رسالتان عجيبتان كتب الأولى إلى جماعة الشيعة بنيسابور ، وكتب الثانية إلى أبي الحسن البديهي الشاعر . وقد اشتملت كلتاهما على إشارات وأسماء كثيرة تدهشان القارىء ، وتطيلان تعجبه من تلك الإحاطة . وتشاكل الأولى في الاستقصاء رسالة أبي العلاء في تعزية خاله ابن سبيكة بأخيه[2] . وتشبه الثانية رسالة ابن زيدون إلى ابن عبدوس الملقب بالفار ؛ وهذه مشهورة ، شرحها ابن نباتة المصري . والظن بل اليقين أن ابن زيدون قد وقف على رسالة الخوارزمي وقلدها واقتبس منها .

ورسالة الأول أطول وأكثر تشعباً ، ورسالة الثاني أقصر ، والقصد في الرسالتين واحد ، وهو التقريع والتهكم . وهذه الإغارة — وسمها معارضة — لا تنقص شيئاً من مقدار ابن زيدون الشاعر الساحر والناثر القادر ، و « الذي رزق السعادة في سعة العبارة » كما قال صاحب (الغيث الذي انسجم في شرح لامية العجم)[3]

أوردُ من رسالة أبي بكر إلى جماعة الشيعة بنيسابور هذه القطعة نموذجا ، وهي المقيدة ، وهي الخصومة ، وهو الخوارزمي الداهية يلغو (يتكلم) كما يهوى :

« ... وقل في بني العباس فانك ستجد بحمد الله تعالى مقالا ، وجل في عجائبهم فانك ترى ما شئت مجالا . يجبى فيؤهم فيفرق على الديلمي والتركي ، ويحمل إلى المغربي والفرغاني ، ويموت إمام من أئمة الهدى وسيد من سادات بيت المصطفى فلا تتبع جنازته ، ولا تجصص مقبرته . ويموت (...) لهم أو لاعب ، أو مسخرة أو ضارب ، فتحضر جنازته العدول والقضاة ، ويعمر مسجد التعزية عنه القواد والولاة ، ويسلم فيهم من يعرفونه دهرياً أو سوفسطائياً ، ولا يتعرضون لمن يدرس كتاباً فلسفياً أو مانوياً ، ويقتلون من عرفوه شيعياً ، ويسفكون دم من سمى ابنه علياً » .

ثم يعلق الخوارزمي يقول ... ويجول ...

أخبرني العلامة الأستاذ أمير البيان الأمير شكيب أرسلان أنه كان ينوي شرح هذه الرسالة . وقد ثناه عما نواه أن الشرح يشيع ناراً أشعلتها المذاهب والمقالات ، ويزيد « الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً » تفريقاً[1] ، ويظلم كبارا لم يكونوا ظالمين ، وكانوا خير مظاهرين لشائد هذا المجد . والأمير شكيب يستظهر رسائل الخوارزمي كلها ، ذكر ذلك في إحدى مقالاته في جريدة (المؤيد) يوم سأله أحد الأدباء كيف وصل في الكتابة والأدب إلى هذه المرتبة العليا .

وهذه نتف من رسالة الخوارزمي إلى البديهي :

« ... كأنك لم تخلق إلا لتطمس عين النور ، وتقلب أعيان الأمور ، وتعكس البدعة سنة حتى كأن سوفسطا[2] استخلفك على جحد ما يدرك عياناً ، ويعرف إيقانا .

« ... ولو ذوكرت في القائم[3] ادعيت أنه مضى ... ولو

---

(١) في درة الغواص والقاموس ومغني اللبيب تخطئة مثل هذا . وفي شرح الدرة للخفاجي : قد ورد ما يخالفه في كلام الناس وفي كلام الزمخشري في تفسير قوله تعالي (فمنهم مقتصد) إن ذلك الاخلاص الحادث عند الخوف لا يبقى لأحد قط ، فاعمل فيه لا يبقى وهو مضارع .

(٢) رسائل أبي العلاء ص ١٠٧ .

(٣) ج ١ ص ١٧٨ . وهذا هو الاسم الصحيح للكتاب لا (الغيث المسجم) كما جاء في الطبعة . وقد هداني إلى التسمية الصحيحة العلامة الأستاذ صاحب (الرسالة ، الغراء .

(١) إني أعم ولا أخص

(٢) حسب الخوارزمي تلك المقالة أو الطريقة الأغريقية شخصا .

(٣) يعني المهدي عند إخواننا الامامية الاثني عشرية ، وهو الآن في الغيبة الكبرى . في كتاب الغيبة للامام الطوسي ص ١٢٠ : .. عن الحسن بن الزياد قال سمعت أبا عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام يقول : إن القائم لا يقوم حتى ينادي مناد من السماء تسمعه الفتاة في خدرها ويسمعه أهل المشرق والمغرب وفيه نزلت هذه الآية : إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين .

ذكر أبو جهل حكمت له بالاسلام ، ولو مررت بايوان كسرى استقللت بنيانه ، ولو رأيت إرم ذات العماد استصغرت شانه ، ولو خوطبت فى التراويح أخذت بابتداعها الشيعة، ولو عد الاجبار والتشبيه ألزمت دينهما المعتزلة ، ولو حلم الأحنف بن قيس استخففت عقله ، واستعظمت جهله ، ولو تعجب الناس من بناء الهرمين أخذت تذكر انتقاصه ووهنه ... ولو فضل التوحيد أفردت به النصارى ... »

« لقد أعجبت بنفسك الخسيسة التى لا تستحق العجب حتى كأن كسرى أنو شروان حامل غاشيتك ، وكأن قارون وكيل نفقتك ، وكأن بلقيس ذات العرش العظيم دايتك ، وكأن مريم البتول أمتك ، وحتى كأن العود وجميع الملاهى وضعت لطربك ، وحتى كأن المريخ يستقى من صولتك ومضائك ، وعطارد يستمد من لطفك وذكائك ، وحتى كأن زرقاء اليمامة لم تنظر إلا بمقلتك ، وكأن لقمان لم ينطق بغير حكمتك ، وكأنك بنيت منارة الإسكندرية من آجر دارك ، وكأنك علمت زيادا السياسة ، وأفدت عبدالحميد الكتابة ، ولقنت يحيى بن خالد الفصاحة ، وألقيت على الحسن البصرى المحبة ، وعلى الحجاج بن يوسف الثقفى الهيبة ، وحتى كأنك زرعت غوطة دمشق ، وشققت أنهار البصرة ، وهندست كنيسة الرها[1] ، ووضعت قنطرة سنجة[2] ... وحتى كأن فضائل أمير المؤمنين على (عليه السلام) من فضائلك مسترقة . وحتى كأن خالد بن الوليد قاتل تحت رايتك ، وقتيبة بن مسلم فتح البلاد ببركة دعوتك ، وحتى كأنك وضعت التنويم لآدم بن يحيى ، وحللت الزيج[3] الأول ، وعدلت الطبائع الأربع ، وحتى كأنك كشفت لبطليموس الفلك حتى نظر إليه ، ومثلت لجالينوس تركيب الجسد حتى وقف عليه ، وحتى كأنك أورثت بنى أسد العيافة وبنى مدلج القيافة ، وعلمت شقا وسطيحا[4] الكهانة ، وحتى كأنك علمت حاتم بن عبد الله السخاء ، والسموءل بن عاديا الوفاء ، وقيس بن زهير المكر والدهاء ، وإياس بن معاوية الفطنة والذكاء ، وأخذ عنك سيف بن ذى يزن أخذ الثار ، والإدراك

(١) معجم البلدان : الرهاء بضم أوله والمد والقصر ، مدينة بالجزيرة بين الموصل والشام بينهما ستة فراسخ .

(٢) معجم البلدان : سنجة : نهر عظيم . وعلى هذا النهر قنطرة عظيمة هى إحدى عجائب الدنيا وهي طاق واحد من الشط إلى الشط .

(٣) التاج : فى مفاتيح العلوم . الزيج كتاب يحسب فيه سير الكواكب وتستخرج التقويمات أعنى حساب الكواكب سنة سنة وهو بالفارسية زه أى الوتر ثم عرب فقيل زيج وجمعوه على زيجة كقردة .

(٤) فى مقالى (شق وسطيح والقرآن وابن خلدون والعربانيون) فى الرسالة ٢٤٩ السنة ٦ — أثبت أن هذين لم يكونا قط ، وأن قصتهما حديث خرافة .

بالأوتار ، وحتى كأنك لا أحد أعلم منك فأضربه مثلا ، ولا أعلى منك فأجعله غاية وأمدا ، ومن شبهك به فقد رد الوصف إليك ، ووفره عليك ، والقرد لا يشبه بغيره ، والراجح لا يوصف عن تقاصر عن رجحان قدره ... » .

« قد اتفق الناس على ضياع النسخة الأولى من كتاب العين فأمله علينا ، وأجمعوا على ذهاب قراءة أبى بن كعب وعبد الله بن مسعود فأخرجهما إلينا ، وتخالف الناس فى المهدى وشكوا فى السفيانى وفى الأصفر القحطانى[1] فعرفنا متى يخرجون ؟ فانى أعلم أنهم إليك يختلفون ، وفى أمرك ونهيك مترددون ، وبمشورتك يغيبون ويحضرون . وآل أبى طالب قد علمت أنهم مسلوبون حقهم ، ومغصوبون إرثهم ، فتقدم إلى غلامك الدهر بأن يرفع رايتهم ، ويرد إليهم ولايتهم ... »

« ... إنى — وفقدك — فلا شىء أعز على منه ولا أحسن منه ما سمعت قول على بن جبلة فى أبى دلف :

إنما الدنيا أبو دلف بين باديه ومحتضره
فاذا ولى أبو دلف ولت الدنيا على أثره

إلا غضبت عنك عليه ، واعتقدت أنه سرق صنعتك ، وأعار أبا دلف مدحتك ، ولا سمعت قول ليلى :

فتى كان أحيا من فتاة حيية وأشجع من ليث بخفان خادر

إلا قلت : فكيف لو رأت ليلى أخانا فتعلم دعواها من دعوانا ؟ أنت (رحمك الله تعالى) من أيدى هؤلاء الشعراء الكذابين مرحوم ، وفيما بينهم مظلوم ؛ سلبوك علاك وهى حلاك ، ونحلوها قوما سواك ، والمدح الكاذب ذم ، والبناء على غير أساس هدم ... »

أجتزئ بهذه النتف القصيرة القليلة من تلك الرسالة المتبجحة المتفننة الطويلة .

وللخوارزمى شعر كثير جيد ، منه هذه المقطوعة فى نقد الألقاب فى زمانه :

مالى رأيت بنى العباس قد فتحوا من الكنى ومن الألقاب أبوابا
ولقبوا رجلا لو عاش أولهم ما كان يرضى به (للدار) بوابا
قل الدراهم فى كفى خليفتنا هذا فأنفق فى الأقوام ألقابا

وأختم الحديث عن أبى بكر بهذا الخبر الدال على فرط كلفه بالعلم : « قيل لأبى بكر الخوارزمى عند موته : ما تشتهى ؟ قال : النظر فى حواشى الكتب ... ! »

(١) ذكرت هؤلاء الثلاثة فى مقالى : (المهديون المنتظرون) ، فى الرسالة ١٩٢ السنة (٥) وفى كتابى : (الاسلام الصحيح) قلت ما قلته فى المهدى والمهدوية .

وأين صالحية مصر؟

للأستاذ أحمد رمزى

كتب الأستاذ على الطنطاوى مقالا فى عدد الرسالة الماضى تحت عنوان من «ذكريات بغداد»، أشار فيه إلى صالحيتين فقال «بروحى صالحية دمشق وصالحية بغداد»، ونسى صالحية مصر، فسامحه الله — لذا جئت أذكره بها.

أما موقعها فعلى نهاية الخط الحديدى المعروف بها، وكانت تربطها بالقنطرة سكة حديدية، أقيمت أيام الحرب الماضية، ثم نزعت قضبانها الحكومة المصرية لسبب لا يعلمه إلا الله، وبقيت المحطات بين الصالحية والقنطرة أنقاضاً، تذكر الناس بحملة فلسطين وأنفار السلطة، وكانت القطارات تمر على الخط بعد منتصف الليل، ولا يزال صدى صوت المجندين للسلطة وأغانيهم البريئة يرن فى أذنى، حينما كنا صغاراً فيقطع نومنا الهادىء صفير القطارات العسكرية تحمل العتاد والرجال للجبهة فى شرق القنال.

وصالحية مصر، فيها جمال الواحة وجمال الريف، ولقد دخلتها وقت طلوع الفجر، فأخذتنى روعة الصحراء، ورأيت الرمال ممتدة الى نهاية النظر، تلك الرمال التى قال عنها العرب: الجفار والغرابى والهبير، وهى الواقعة وراء جبال طى إلى أرض مصر، أما نخيلها فيبدو كغابة من غابات اقليم الشرقية، التى ينفرد بها اقليم الحوف كما كان يطلق عليه قديماً، إذا أتيت إليها من الغرب مشرّقاً، شممت لأرض الحوف نسيما أرق من نسيم الدلتا، لأنه يحمل أريج الصحراء، وإذا نظرت إلى نخيل الصالحية عند الشروق أوفى ليالى القمر، شهدت منظراً لا تشبع العين منه، وتحس فى صالحية مصر بالنشاط الذى يملأ النفس والجسد، ويجعلك تفكر فى آفاق بعيدة فيما وراء النظر، فيما وراء هذه الرمال، حيث مشرق الشمس ومطلع سراج الدنيا. والصالحية من بناء سلطان عظيم، هو الملك الصالح نجم الدين أيوب، طيب الله ثراه، أنشأها سنة ٦٤٤ هجرية، على طريق القوافل بين مصر ودمشق، لتكون منزلة لعساكر الاسلام، إذا خرجوا من مصر للجهاد فى الأراضى المقدسة، أو عادوا من الحرب إلى مصر، وبنى بها قصراً وجامعاً وسوقا، وكان ينزل بها ويقيم فيها، ودخلها من بعده الكثير من ملوك مصر وأمرائها فى ذهابهم للفتوح وعودتهم منها، ولذا نألف اسم الصالحية فى تاريخ مصر العربى، وعرف صعيدها الكثير من العز والمجد، وورد ذكرها فى مختلف التواريخ والسير.

وأهلها من صميم العرب، لهم فى التاريخ المواقف الخالدة، وكانت الرياسة فيهم ولا تزال إلى اليوم فى آل الحوت، وهم فرع من بنى سليم[1]، جاءوا مع السيد عزاز صاحب الجزيرة البيضاء، وكانت هذه النواحى وما حولها من قديم الزمن وقبل بناء الصالحية منازل لجماعات من القيسية واليمنية، وكان كبيرهم ربيعة بن قيس، ورد ذكره إبان حوادث المأمون وأخيه الأمين، فهو الذى تمسك ببيعة الأمين الخليفة العباسى، وكانت مصر قد خطبت باسم المأمون وله عامل بالفسطاط، فبعث برجل اسمه الجروى، الذى سار فى جماعة من لخم وجذام إلى بلدة فاقوس، فنزل مع قومه بها وكانت له مع قبائل البلاد وقائع وحروب.

وكانت هذه المناطق موطناً للعرب، من بنى عمرو وبنى حرام وبنى عقبة وبنى زهير وبنى واصل والبقرية، وهم الذين تفرقوا فى النواحى وعمروا القرى والبلاد ببطونهم وأفخاذهم.

ولما تم بناؤها أصبحت الصالحية من أهم منازل الدرب السلطانى الذى كان يربط قلعة مصر القاهرة بقلعة دمشق، طوال الأزمان الماضية، وقد وصفه المقريزى فقال انه كان عامراً إلى سنة ٨٠٦ هجرية، وكان لا يخلو من المسافرين لأنه ممر البريد السلطانى بين العاصمتين. ولما جاء الفرنسيون رسموه على خرائطهم ووضعوا عليها أماكن الآبار، وساروا فيه بجنودهم الى الشام وفى عودتهم إلى مصر.

ولقد قطعت الطريق بين مصر وفلسطين فى ذهابى إلى سوريا وعودتى منها مراراً عديدة، وكنت أقطع القنال أحياناً من السويس وأحياناً من الاسماعيلية مخترقا سينا، وكنت كلما لاح لى نخل القرين وأنا على مفترق الطريق قبل بلدة التل الكبير، أذكر الدرب السلطانى القديم، الذى كان يتجه من العباسة إلى بلدة القرين

(١) خطط على مبارك باشا.

ثم إلى الصالحية ، وأحدّث نفسي بالآمال فأقول « متى يعبّد للسيارات فتسير عليه » ، ومتى تهتم السلطات المختصة بالنواحي التاريخية ؟ أليس في كل مرحلة منه ذكريات ، وفي كل محطة بريد أثر أو بقايا أثر ، يحدثنا عن ماضينا المجيد الذي يحاول البعض أن تنساه مصر ، وما كان لمصر أن تنساه .

وهذا الدرب السلطاني يعرفه ابن بطوطة الرحالة المشهور فقد سار فيه وتحدث عن منازله ، ووصفها بقوله « ولكل منزل منها فندق ينزل فيه المسافرون بدوابهم ، وبخارجه ساقية للسبيل وحانوت للشراء » وذكر الصالحية عند نزوله بها .

أما الشيخ عبد الغني النابلسي فكان أوسع وصفاً منه حينما تناول الصالحية بكلامه ، فقال « وفي داخل القرية جامع السلطان قايتباي وعمارته متينة ، له إيوان عريض فيه المنبر والمحراب وله منارة عظيمة . . . وأهل الصالحية حارتان متميزتان في الألفاظ والمعاني فمنهم القيسي الأحمر واليمني الأبيض »

ولو شئت دليلا على قيام القيسية واليمنية بقرى مصر ، فاذهب اليوم إلى بلدة السماعنة من قرى فاقوس ، تجد فتياتها لا يتخذن غير اللون الأبيض لخمارهن ، واذا جئت لجزيرة سعود وجدت نساءها يلبسن الحزام الأحمر ، ولا تعرف واحدة منهن شيئاً عن النزاع القديم الطويل الأمد بين اللونين ، والذي يمكن تتبعه من خراسان الى ماوراء النهر في أواسط آسيا والعودة به الى أيام الجاهلية ، والتحدث عنه في الجزيرة الخضراء أي بأرض الأندلس .

ونعود إلى الصالحية فنقول إن موقعها على طرف الأراضي الزراعية وعلى حافة الصحراء ، قد جعل منها مركزاً هاماً لتجمع وحشد الجيوش الإسلامية في القرون الوسطى ، حتى بعد انتهاء الحروب الصليبية ، فورد اسمها كثيراً في حملات ملوك مصر ضد هولاكو وأبنائه وأحفاده ، وكانت لها شهرة تاريخية بتوالي هذه الحروب ، وتتابع الأحداث التاريخية والمواقف الرائعة التي حدثت بها .

ففي سنة ٦٥٦ هجرية دخل هولاكو بغداد مفتتحا الجزء الغربي من بلاد المسلمين فقضى على خلافتهم ، وكان جدّه قد سبقه عام ٦١٨ فدمّر الأجزاء الشرقية من أرض الإسلام في بخارى وسمرقند والري ، فأراد أن يتم عمله بتدمير مصر والشام ، ولذا زحف على حلب واستولى عليها ، وبعث برسالة إلى سلطان مصر الملك المظفر ، يهدّد ويتوعد ، وسار إلى دمشق ففتحها ، وكان المظفر من أبطال المسلمين ، فلم يرهبه التهديد ولا الوعيد ، وكانت جيوش هولاكو لا تقهر ولم يسبق لقوة في العالم أن هزمتها أو صمدت أمامها ، فاكتسحت بقية الشام ووصلت طلائعها إلى غزة فقام المظفر يدعو إلى الجهاد ، واتخذ الصالحية مركزا تجتمع فيه الجيوش المصرية ، وكان الناس في قلق وخوف ووجل ، حتى هاجر الكثيرون إلى بلاد اليمن وبرقة والنوبة ، ولما تكامل حشد الجنود في معسكر الصالحية ؛ طلب السلطان الأمراء وتحادث معهم بشأن الرحيل لقتال هولاكو وجنوده ، وكان الرأي الغالب أن جيش التتار لا يقاوم ولا يدفع ، فلم ينطق أحدهم بكلمة واحدة بل امتنعوا عن الكلام فاحتد السلطان وقال لهم « يا أمراء ، لكم زمن تأكلون أموال بيت المال وأنتم للجهاد كارهون ، وأنا متوجه فمن اختار الجهاد يصحبني ، ومن لم يختر ذلك يرجع لبيته ، فإن الله مطلع عليه ، وخطيئة حريم المسلمين في رقاب المتأخرين » ولما جاء الليل ركب المظفر وقال « أنا ألقى التتار بنفسي » .

فقويت العزائم وسار الأمراء معه وتحرك الجيش إلى الشام ، والتقى الجمعان في يوم الجمعة ١٥ رمضان سنة ٦٥٨ هجرية بأرض فلسطين ، في بلدة عين جالوت وهي المعركة التي صرخ فيها السلطان ثلاثاً « وا إسلاماه » فمن الله بالنصر المبين عليه ، فخلصت الشام ونجت مصر .

كان هذا الجمع في النصف الأخير من شعبان سنة ٦٥٨ بالصالحية ، وكنت كلما قرأت عنه في المراجع ؛ أحدّث نفسي ؛ متى أرى نصباً تذكارياً على ربوة عالية ، في ميدان متسع ، يذكر الناس ويوحي إلى الأجيال القادمة ، بهذه الوقفة الرائعة به وهذه كلمة واحدة قد غيرت تاريخ الشرق ولو صدر مثلها من ملك من ملوك أمة من بعض الأمم لنقشوها على الأحجار ولقنوها للاحداث والنشء عندهم ، وليس هناك أحق من الصالحية في نظري بمثل هذا الأثر ، الذي يعلم الناس ما يجهلون من آيات تاريخهم ، لأن على أرضها قيلت هذه الكلمة الفاصلة .

ويطول بنا الكلام إذا تحدثنا عن كل ملك نزل بها وأقام فيها ، ولكني أكتفي بمناسبة سارة . ففي يوم الإثنين ٢٠ المحرم

سنة ٧٠١ عاد الناصر محمد بن قلاوون من الصيد بالبرّية إلى معسكره بالصالحية ، وكانت هناك بعثة من قازان ملك التتار من سلالة هولاكو ، فخلع السلطان على الأمراء واستعرض الجيوش ، فدهش السفراء من زى عساكر مصر واستعدادهم ، وقال المقريزى « إن الرسل أدخلوا إلى الدهليز السلطانى بالصالحية بين يدى السلطان ، وقد أوقدت الشموع والفوانيس والمشاعل وغيرها ، حتى أن البرّية أصبحت حمراء تلتهب نوراً وناراً ، فخلع عليهم وأعطى كل واحد منهم عشرة آلاف درهم » وانصرفوا بكتاب من الملك الناصر .

ومثل هذا كثير لو تناولناه بالجمع فى تاريخ الصالحية لأخرجنا كتاباً عنها ، ولكنها نظرات عابرة فى حياة بلدة أعزها ولها مكانة فى نفسى ، أ كتبها لعلمى بأن البلدان والرسوم والاطلال مثلها كمثل الرجال تتكلم أحياناً ، وتوحى عن ماضيها ولا سيما إذا حفل هذا الماضى بعظائم الأمور .

ونزلها آخر ملوك مصر المستقلة ، السلطان الغورى فى يوم الثلاثاء ٢٥ ربيع الآخر سنة ٩٢٢ هجرية ، ولما أراد الرحيل أذن لخليفة الإسلام وللقضاة الأربعة أن يتقدموه إلى غزة . وكانت رحلة بعيدة عن السعد ، اختتمت بها مصر حياتها الحرة ، فانتهى عهد وبدأ بها عهد ، وجاء ذكر الصالحية فى تاريخها كنغمة غير مسموعة ، وسط قطعة موسيقية مملوءة بنغمات أقوى ، ولكنها كانت للأسف نغمات الحزن والأسى والدموع ...

هذه صالحية مصر ، أشير إليها كى يذكرها الناس فى وقت نسى الناس فيه كل شىء ، وتقرر الحكومة المصرية فيه إنشاء مركز جديد ، يقتطع من أراضى مركز فاقوس ، فتقلب جميع الأوضاع ، وتدرس مختلف الأسماء ، وشتى القرى والبلاد ، وتنسى الصالحية ، كما نسيها الأستاذ الطنطاوى سامحه الله — وأجتهد أن أذكر الناس بها ، وأحاول ذلك المرة بعد المرة ، فلا يسمع لى أحد ، ولكن الصالحية هى من بناء ملك عظيم ، وكانت من منازل عظماء الملوك ، ومنها خرجت جيوش الإسلام وعادت إليها منصورة . فكم منا من يعرف ذلك ويذكره ! وكم من أهلها يعرف أن هذا الثرى الذى يمشون عليه ، حمل أعلام العز والمجد والقوة والعمل فى سبيل الله ؟ لن يضيرها أن تتجاهلها وزارة الداخلية ولكن يضيرها أن ينساها الناس ولا سيما أهلوها .

أحمد رمزى

القنصل العام السابق لمصر بسوريا ولبنان

من أخلاقنا :

الأمـــانة ...!

للأستاذ على الطنطاوى

جعل النبي صلى الله عليه وسلم للمنافق آية يعرف بها بين الناس، ومن آياته أنه إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان. وهذه الثلاث أركان الحياة الخلقية الاجتماعية، وتضافرت الآثار على ذم الكذب وأهله، ومدح الصدق وأهله، وبيان خطر الأمانة وأنها عرضت على السموات والأرض والجبال، فأبين أن يحملنها وأشفقن منها، وهن كنّ أقوى عليها، وحملها على ضعفه الإنسان... وإن المسلم ربما ألمّ ببعض الذنوب ولكنه لا يكذب أبداً، كما جاء فى الحديث.

ثم إنك مع ذلك كله تجد المنتسبين إلى الإسلام اليوم، من أرباب الصناعات وأهل السوق، أكذب لهجة، وأخلف وعداً، وأضيع لأمانة من كثير ممن ليسوا مسلمين، حتى صار المثل يضرب بالوعد الشرقى فى خلفه وإضاعته والتأخر عنه، وصار من يريد أن يؤكد وعداً يصفه بأنه (وعد أوروبى)!

اللهم إن هذا لمن العجب العجاب!!

***

إن الله بيّن خطر الأمانة، وأنزلها هذه المنزلة، وخوّف من حملها لأنها جماع الأخلاق، وسلكة عقد الفضائل، وعمادها، فما من شعبة من شعب الأخلاق والخير الإجتماعى الا اليها مردّها، وما خصلة من خصال الشر إلا والخيانة أساسها وحقيقتها، وليست الأمانة هى أن تحفظ الوديعة حتى تؤديها إلى أصحابها (فقط)، فان هذه صورة من صورها، وشكل من أشكالها، وإن السلطان فى يد الموظف أمانة، فان وضعه فى غير موضعه، أو اتخذه وسيلة إلى جلب منفعة له أو لأسرته أو لأصحابه فقد خان أمانته، والدرجات أمانة فى يد الأستاذ الممتحن يوم الإمتحان، فان أعطى منها واحدة لغير مستحقها أو منع واحدة من يستحقها أو راعى فى منحها شفاعة أوصداقة أو بغضاً أو موجدة فقد خان أمانته، والقدرة على الحكم أمانة فى يد القاضى فان زاغ عن الحق شعرة فقد خان، والعمل أمانة فى يد الأجير المستصنع، فمن قصر فى تجويده أو أفسد فيه شيئاً ولو كان الفساد خفياً لا يظهر فقد خان، واعتقاد الناس بك الصلاح والتقى أمانة فى يدك، فان اتخذت هذا الاعتقاد سبباً إلى جمع المال، وعملت من لحيتك العريضة وعمامتك المنيفة شبكة لاصطياد الدنيا، أو كتمت الحق ابتغاء الحظوة عند العامة أو الزلفى إلى الحاكم فهى خيانة، إلى غير ذلك من الصور والأشكال.

بل إنك إذا دققت وتلطفت وجدت هذه الجوارح التى أعطاكها الله أمانة فى يدك، فإذا نظرت بعينك إلى حرام أو حركت به لسانك أو خطوت اليك برجلك، أو مددت اليه يدك، فقد خنت أمانتك، بل إن عمرك كله أمانة لديك، فلا تنفق ساعة منه إلا فيما يرضى (صاحب الأمانة)!

فأين المسلمون اليوم من هذا؟

لقد رأيت من قلة الأمانة، عند الصناع والتجار والعلماء والجهلاء ومن يظنّ به المغفلون الولاية ويرونه قطب الوقت (١) ما لا ينتهى حديثه ولا العجب منه، وما خوفنى الناس أن أعاملهم، حتى جعلنى أحمل هما كالجبل ثقلا كلما عرضت لى حاجة لا بد فيها من معاملة الناس، ولا والله لا أتألم من اللص يتسور علىّ الجدار ويسرق الدار، كما أتألم من الرجل يظهر لى المودة ويعلن التقى فاذا كانت بينى وبينه معاملة، وتمكن منى أكلنى بغير ملح... وتعرق عظامى!

تذهب إلى الخياط الحاذق الذى ألفته وألفك واستمررت على معاملته عمرك، والخياط من شرور المدنية لا يستغنى اليوم عنه، وقد انقضى زمان كان الرجل فيه يخيط لنفسه أو يخيط له أهله. وكان الثوب يتخذ فيه لمجرد الستر والدفء، ولم يبق لك منجى من أن تؤم الخياط تحمل اليه (الجوخ) الثمين، وتسأله أن يضرب موعداً لا يخلفه ينجز لك فيه ثوبك الذى تريده للعيد أو للزفاف أو للسفر. ولكل واحد من أولئك وقت لا يتقدم عنه ولا يتأخر، فالعيد لا ينسأ لك فى أيامه، والزفاف ان أعلنته لا يؤجل، فيعدك

(١) حكاية القطب والأوتاد لا أصل لها فى نقل ولا عقل، ولم يرو فى ذلك إلا حديث ضعيف فى (الابدال) لا يثبت بمثله حكم، فليفهم ذلك

ويؤكد الوعد ، فاذا جئت فى اليوم الموعود وجدته لم يمس بعد قماشك ، فاذا زجرته أو أنبته أخذك باللين وراغ منك وحلف لك مائة يمين غموس ... إنه نسى أو مرض ، أو إنه لم يعدك فى هذا اليوم ولكن كان (سوء تفاهم) ، وإنك راجع فى يوم كذا فواجد ثوبك معداً ، وتعود ويعود إلى كذبه ، حتى يمضى العيد أو الزفاف ، ولا يبقى للثوب فائدة ، وربما جعله قصيراً أو ضيقاً أو معتلا أو مضاعفاً أو مجوفاً ... أو على خلاف ما استصنعته عليه ولا حيلة لك فيه ، ولا سبيل إلى إصلاح مافسد ، فتلبسه مكرهاً أوتلقيه فى دارك حتى تأكله (العثة) والأرضة ...

وهذه الحال من اخلاف المواعيد ، واختلاق الأكاذيب ، عامة فى أرباب الصناعات فى بلادنا لم ينج منها الا الأقل الأقل ممن عصم ربك . ولقد وقع لى أنى كنت على جناح سفر إلى العراق ، وقد أعددت له كل شىء ، واتخذت لى مكاناً فى السيارة ولم يبق إلا يوم واحد فخطر لى أن أبعث إلى الكواء[1] بحلتى الجديدة لكيما حتى إذا نزلت بغداد لبستها صالحة ، وبينت له استعجالى ونفضت إليه قصة حالى ، ونهيته أشد النهى عن غسلها ، لأنه يفسدها ويؤخرنى عن غايتى ، فما كان منه إلا أن غسلها ، طمعاً بفضل أجرة ينالها ، فأفسدها وجعلنى أسافر وأدعها ...

وآخر من الكوائين غسل معطفى بصابون له مثل رائحة الخنازير الأهلية ... فلم أستطع لبسه وحملته إليه ووبخته ، فما كان منه إلا أن أنكر أن يكون له تلك الرائحة (وإنها لتشم من مسافة فرسخ) ، وقلت : شمها أليس لك أنف ، فشمها بمثل خرطوم فيل . وقال : ما بها شىء ! فكدت أنشق من غيظى وقلت لجماعة عنده : شموا بالله عليكم . فدوا أنوفهم إليها ونظروا إليه ، وقالوا بلسان واحد مثل مقالته ... فاضطررت إلى أن أخرج فأدفع الثوب إلى فقير وإنى لفقير إلى مثله !

واحتجت مرة إلى عامل يصلح لى طائفة من المقاعد ، أستقبل عليها ضيفى وأكرمها زوارى ، وهى وحدها التى أخشى اللصوص عليها ، لأنها خير ما فى الدار ، حاشا الكتب ، فدلونى على رجل له دكان ظاهر فى شارع كبير ، وفوقه لوحة كتب عليها اسمه وصناعته ووصف براعته وأمانته ، فأنست به وكان كهلا مشقشق اللسان ، وأخذته فأريته المقاعد واستأجرته لإصلاحها ، ودفعت إليه أكثر الأجرة مقدماً ، وتركته ووكلت أخاً لى صغيراً به ، وذهبت إلى عملى لم أرجع إلا المساء ، فوجدت الرجل قد بعج بطون الكراسى وأخرج أحشاءها ، وكسر عظامها وأرجلها ، ولم يقدر على إعادتها سيرتها الأولى لأنه جاهل بالصناعة ، فهرب وذهبت أفتش عنه حتى قبضت عليه ، وأعدته إلى الدار ، فاجتهد جهده ، فكانت غاية ما استطاعه أنه جعل من مقاعدى المريحة آلات التعذيب ، ومقاعد للأذى ، إن لم يشق ثوب القاعد عليه مسمار ظاهر منها ، ثقبت ظهره خشبة بارزة ، أو كان مجلسه على أحد من شوك القتاد ، وقبض الأجرة كاملة غير منقوصة ...

ولو شئت أو لو شاء القراء لسردت ثلاثين واقعة ، ما هذا الذى ذكرت بأشد منها ولا أعجب ، فأين تقع الأمانة من نفوس هؤلاء الذين يدعون أنهم من المسلمين .

* * *

وكيف أصنع إذا كان هؤلاء (المسلمون) لا يوثق بهم ، ولا يطمئن إليهم ، أأعامل الأرمنى والرومى والصهيونى وأقاطع بنى دينى ووطنى ؟

أما إنه لخطب جسيم — فماذا تصنع المدارس ومعلموها ، والمساجد وواعظوها ، والصحف وكاتبوها ، إذا لم يعلنوا على الخيانة حرباً لا هوادة فيها ولا مسالمة حتى يكون النصر عليها ؟ وكيف لعمر الحق يكمل لنا استقلال ، أو تتم سيادة ، أو نجارى شعوب المدنية ونسابقها ، إذا لم تسد الأمانة فينا ، وإذا كان الواحد منا لا يستطيع أن يطمئن إلى أخيه ولا يعتمد على أمانته ؟ وإذا كنا نقلد الغربيين فى الشرور فلما ذا لا نقلدهم فى الصدق فى المعاملة والوفاء بالوعد ، والاستقامة فى العمل ؟

أما إن من أشكال الأمانة وصورها ، أن القلم المتين ، واللسان البليغ ، أمانة فى يد الكاتب والخطيب ، فإذا لم يستعملاها فى إنكار المنكر ، والأمر بالمعروف ، والدعوة إلى الإصلاح ، كانا ممن خان أمانته ، وأضاعها ، وفرط فيها ... فلينظر لنفسه كل كاتب وشاعر وصحفى وخطيب !

(دمشق) **على الطنطاوى**

(١) أى المكوجى

صور من العصر العباسي :

القرية الفضيــــــة ...

للأستاذ صلاح الدين المنجد

هذه القرية ، هي إحدى عجائب العصر العباسي في بغداد . وما أكثر ما كان في زمن العباسيين من عجائب ! وكانت قرية من فضة ، وفيها كل ما تجد في القرى من بقر ، وغنم ، وجمال ، وجواميس ، وأشجار ، ونباتات ، ومساح ، وناس ، وكل ذلك قد صنع بأدق صنعة من الفضة ، وأنفق عليه آلاف من الدراهم .

وكانت هذه القرية قد صنعت للخليفة المقتدر ، ليرى كيف تكون القرى ، وأغلب الظن أنه اشتهى رؤية قرية فصنعت هذه له .

وقد نعجب بالحضارة الإسلامية التي بلغت في القرن الرابع نضجها فأبدعت أشباه هذه الأشياء . وقد يدهشنا ما أنفق هذا الخليفة من الأموال ، لتصنع له هذه القرية ، ولكن الذي يدعو إلى العجب والدهشة معاً ، قصة هذه القرية ، وأثر النساء في مصيرها .

وهذه القصة جديرة بأن تكون خاتمة لمقالي السابق عن حكومة النساء لدى الخلفاء في زمن بني العباس .

ذلك بأن أم المقتدر ، — وكان لها من الشأن ما علمت — كان لها داية تخدمها تسمى « نظم » وكانت نظم بارعة ذكية ، فما زالت حتى صارت من قهارمها ، وصارت تجرى على يديها الكبير من الأمور والصغير ، وكانت نظم ترغب في رجل اسمه أبو القاسم يوسف بن يحيى ، فرفعته ، وانتهت به إلى أسنى الأرزاق وأوسع الأحوال ، وقربت بينه وبين السيدة حتى أخرجت له الصلات ، فتأثلت حاله ، وصار صاحب عشرات ألوف من الدنانير ثم خلطته بخدمة السيدة الأم ، فزاد منها تقرباً .

وعزم أبو القاسم هذا ، على تطهير ابنه يوماً ، فأعد لوليمة الختان عدة كبيرة ، وأنفق على ذلك ما لم يسمع أن فعل مثله رجل من الحاشية ، حتى إنه لكثرة ما ابتاع من الحاجات أفرد عدة دور للحيوان ، وعدة دور للفاكهة ، وبلغ « نظم » خبره ، فسعت عند السيدة الأم وجاءته من عندها بالأموال والفرش والآنية والثياب والمخروط (وهو نوع من الزجاج) ، فلما مضت أيام سألت السيدة نظما : يا نظم إيش خبر طهر ابن يوسف ؟ قالت : يا ستي قد بقيت عليه أشياء يريدها ، فقالت : خذي ما تريدين واحمليه إليه ، فجاءت نظم إليه فقالت : إن كان قد بقي في نفسك شيء ، فعرفني . فقال لها : الختان غداً ، وما بقي في نفسي شيء إلا وقد بلغته بك ، وقد بقي في نفسي شيء لست أجسر على مسألته . قالت : قل ما في نفسك . قال : أشتهي إعارة القرية الفضية التي عملت لأمير المؤمنين ليراها الناس في داري ، ويشاهدوا ما لم يشاهدوا مثله ، فيعلموا مالي من الإختصاص والعناية . فوجمت ، وقالت هذا شيء عمله الخليفة لنفسه ، ومقداره عظيم ، وفي هذه القرية مئات الألوف من الدراهم ، ولا أحسب جاهي يبلغ إليها . وكيف يستعار من خليفة شيء ؟ ومتى سمع بخليفة يعير ؟ ولكن أنا أسأل السيدة . ومضت .

قال أبو القاسم : فلما كان الليل جاءتني ، فقلت ما الخبر ؟ فقالت كل ما تحب ، قد جئتك بالقرية هبة لا عارية ، وجئتك معها بصلة ابتدأ بها أمير المؤمنين من غير مسألة أحد . فقلت ما الخبر ؟ قالت : مضيت وأنا منكسرة القلب ، آيسة من أن يتم هذا . فدخلت على السيدة ، على هيئتي تلك . فقالت من أين ؟ قلت من عند عبدك يوسف ، وهو على أن يطهر ابنه غداً . قالت أراك منكسرة ، قلت : ببقائك ما أنا منكسرة . قالت : في وجهك حديث ، فقلت : خير ، قالت : بحياتي عليكِ ، ماذاك ؟ قلت : قد شكر ما عومل به ودعا وقال إني كنت أحب أن أتشرف بما لم يتشرف به أحد قبلي ليعلم موضعي من الخدمة . قالت : وماهو؟ قلت : يسأل أن يعار القرية ليتجمل بها ، ويردها من غد . فأمسكت . ثم قالت : هذا شيء عمله الخليفة لنفسه ، كيف يحسن أن يرى في دار غيره ؟ وكيف يحسن أن يقال إن الخليفة استعار منه بعض خدمه شيئاً ثم استرده منه ، وهذا فضيحة . وليس يجوز أن أسأله هبتها له لأني لا أدري إن كان قد ملها وشبع منها أم لا ؟ فإن كان قد ملها فقيمتها عليه هينة . وإن كان لم يملها لم أرض أن أفجعه بها ، وسأسبر ما عنده في هذا .

ثم دعت بجارية فقالت : اعرفوا خبر الخليفة ، فقيل لها هو عند فلانة ، فقالت (أى لنظم) تعالى معى ، فقامت ، وأنا معها وعدة جوار حتى دخلت ، وكانت عادته إذا رآها أن يقوم لها قائماً ، ويعانقها ، ويقبل رأسها ، ويجلسها معه فى دسته (قالت نظم) : فحين رآها قام وأجلسها معه ، وقال : يا ستى — وهكذا كان يخاطبها — ليس هذا من أوقات تفضلك وزيارتك ! فقالت : ليس من أوقاتى . ثم حدثته ساعة ، وقالت : يا نظم متى عزم ابنك يوسف (!) على تطهير ابنه ؟ قلت . غداً . فقال الخليفة : إن كان يحتاج إلى شىء آخر أمرت به . فقالت : هو مستكف داع ، ولكن قد التمس شيئاً ما أستحسن خطابك فيه . قال أريد أن أشرف على أهل المملكة كلهم ، ويرى عندى ما لم ير فى العالم مثله . قال : وما هو ؟ قالت : يا سيدى يلتمس أن تعيره القرية ، فإذا رآها الناس عنده ارتجعت . فقال يا ستى ، والله هذه ظريفة ! يستعير خادم لناحيئاً ، وتكونين أنت شفيعة ، فأعيره ثم أرتجعه ، هذا من عمل العوام لا الخلفاء . ولكن إذا كان محله من رأيك ، هذا ، حتى قد حملت على نفسك بخطابى وتجشمت زيارتى ، وأنا أعلم أنه ليس من أوقات الزيارة ، فقد وهبت له القرية ، فرى يحملها بجميع آلاتها إليه ، وقد رأيت أن أشرفه بشىء آخر ، يحمل إليه غداً جميع وظائفنا ، ولا يطبخ لنا شىء البتة ، بل يرسل إليه ، ويؤخذ لنا سمك طرى فقط .

وأمرت السيدة بنقل القرية ، فتملكها أبو القاسم (١) .

***

فهذه قصة بسيطة ، على أن فيها كثيراً من حياة القصر زمن المقتدر ، وهى تبين لنا طرق الكلام ، والمحادثة ، وطرق تآمر النساء على الخليفة ، وطرق تبذير الأموال . على أن أعظم هذه الأشياء كلها ، هو تأثير نظم والسيدة فى الخليفة ، وانقياد هذا الخليفة للنساء ، وتركه الأمور لهن يصرفنها كيفما شئن وأردن .

دمشق — صلاح الدين المنجد

---

(١) : انظر هذه القصة فى المنتظم لابن الجوزى ص ٧٤ ج ٦ (طبعة الهند)

في الأدب الانجليزى :

ماثيـــو أرنولد

Mathew Arnold

للأستاذ خيرى حماد

(تتمة)

ولكن إذا كان الناس ينظرون للشعر هذه النظرة العظيمة ، أليس من الخليق بهم أن ينهضوا به نهضة عظيمة ، ويعلوا من شأنه إعلاء لايجارى . أليس من الحرى أن يبوئوه مكانة بين العلوم الإنسانية حتى يمكنهم الحصول على مايتوخونه له من نتائج هامة ، فإن من أهم العوامل الضرورية فى الشعر التفريق بين الغث والسمين ، بين الجيد والسىء ، بين الجميل والقبيح . فالشعر هو المرآة الحقيقية التى نصور بواسطتها الحياة فى أحسن معانيها ، وأبهى حللها ، وهو المصلح الإجتماعى الأوحد الذى تتجاوز سلطته العقائد والقوانين ، وتتعدى عرف المجتمع .

إن أحسن الشعر فى رأى أرنولد ما أردنا إنشاءه ونظمه ؛ فهو الذى باستطاعته أن يسرنا وأن يخلق فينا الأفكار والظنون التى نريدها . ويجب علينا دائماً عند دراستنا للشعر من مختلف نواحيه أن نخلق فى أنفسنا روح الإعجاب بالحسن والإستنكاف للسىء أو الردىء . فإن أغراضنا وميولنا الشخصية لها قيمتها العظمى فى الحكم على الشعر وتقديره بالميزان الحقيق الذى لا غلط فيه ولا ميل . فكثيراً ما تقود الإنسان ميوله الشخصية إلى المبالغة فى الأحكام التى يصدرها . وهذا مما يقود إلى ارتكاب الأخطاء ، وتحمل المشاق فى إصدار الحكم الذى يريده .

يعتمد جمال الشعر على القدرة التقليدية أو الإبتداعية عند الشاعر . ويختلف تقديرنا للشعر باختلاف جماله وابتداعه ، فإن كان من النوع العالى ، من النوع الخالد ، وجب علينا تقديره والثناء عليه ، وإن كان من النوع الردىء تحتم علينا أن نصب عليه جام غضبنا ، وأن نظهره للناس بمظهره الحقيق خاليا من الرونق والبهاء ، وتقدير الشعر واستحسانه مصحوبان بالتمييز بين الحسن والسىء هما الغايتان الوحيدتان لدراسة الشعر والإقبال عليه . وكل مايعوقنا عن نيل هذه الغاية فهو مضر وغير صالح .

وإذا كنا نرغب فى دراسة الشعر الحقيق كما هو دون أيما مبالغة أو عز ، فما علينا إلا أن نظل مفتوحى الأعين بعيدين عن عالم الخرافة والكذب محاولين وزن القصيدة بقسطاس عادل ، فنحكم على الشعر حكما صادقا . ويتحتم علينا عند دراستنا للشعر أن ننظر إليه نظرة نقدية من الوجهة التاريخية فنطلع تمام الإطلاع على الحقائق التاريخية ونحاول ربطها بما جاء فى القصيدة أو الملحمة ، ويجب على الشاعر عند انتخابه لأشخاص قصته أن يتوخى الرجال المشهورين فيضع فى كل ناحية من مناحى البطولة رجلها اللائق بها .

فأغنية رولند فى رأيه تختلف تمام الإختلاف فى معناها الشعرى ومغزاها العاطفى عن قصائد هوميروس . وعند ما ننقل بصرنا من هذه القصيدة إلى تلك نشعر كأننا قد انتقلنا من عالم إلى آخر مخالف له . وعلينا أن نزن كلمات الثناء والحمد وزنا فلا نضعها دون أى تمعن . وقد قال أرسطو قديما : « إن الشعر يمتاز من التاريخ التاريخ بميزات كثيرة أهمها الصدق والثبات اللذان لا يوجدان فى التاريخ كوجودهما فى الشعر . فإذا عبر الشاعر فى قصيدته عن فكرة ما كان فى شعره مثلا أعلى للصدق والنزاهة يحاول جهده أن يعرض على قرائه وسامعيه أفكاره الحقيقية النزيهة دون أى رياء ونفاق . فمن الواجب المحتم على الشاعر إذن أن ينتقى مواضيعه سداها الصدق ولحمتها الثبات .

ويختلف شعر شوسر الشاعر الإنكليزى المعروف عن شعر سابقيه من ناظمى الملاحم والقصائد الطويلة فى شيئين هامين : أولهما المادة ، وثانيهما الأسلوب . فنشعر عند انتقالنا من قراءة شعر أسلافه إلى قراءة شعره أننا انتقلنا من عالم مادى إلى آخر ملؤه الخيال والإبتداع . وامتيازه فى مادة الشعر يتناول نظرته الواسعة نحو الحياة البشرية بما فيها من بساطة ودعة ، جلاء ولطف ، فله المقدرة الشعرية على اختراق حجب الحياة والتطلع بعين المستطلع نحو صور الحياة الحقيقية . وأما أسلوبه فيختلف عن أسلوب سابقيه اختلافا واضحاً بينا ، فهو أول من وضع للشعر الإنكليزى صورته الحقيقية التى نشاهدها فى عصرنا هذا . وقد

أثنى عليه النقاد فى مختلف عصور اللغة الإنكليزية ، فمدحه جونسون ، وأطراه درايدن .

وفى شعر شوسر نرى عذوبة وسلاسة لا نشاهدها فى شعر غيره من أسلافه ومعاصريه ، فقد كانت له المقدرة اللغوية التامة للتحكم بألفاظ اللغة ووضعها فى أوضاعها الحقيقية دون أى تكلف ، ومع كل هذه الميزات فإن شوسر لا يعد من كبار الشعراء المقلدين . فقد كانت تعوزه القدرة على ضبط الوزن والموسيقى الشعرية التى نجدها كثيراً فى شعر الشاعر الخالد دانتى الإيطالى ، ولكن يمكننا أن نجزم أن هذه الموسيقى لم يستطع أحد من الشعراء الإنكليز حتى عصر وليم شكسبير أن يأتى بمثلها أو يقلدها .

واعتقد أرنولد أن عصر درايدن وما تلاه من العصور كان عصر تأليف وابتداع وترقية للشعر عما سلفه من العصور . وكان درايدن يظن أن أسلافه لم يفهموا الشعر الإنكليزى حق فهمه . وكولى نفسه لم يؤمن بشاعرية شوسر ونبوغه . وعند ما أراد جوزيف أديسن أن يمتدح شعر درايدن اتخذ من قصائده مثلا أعلى للمقابلة والمقارنة . وكان الاعتقاد السائد طوال القرن الثامن عشر أن درايدن وجونسون وبوب وأديسن هم فحول الشعر الذين لم يجارهم سابق ولا لاحق .

وهنا يسائل أرنولد نفسه : أنعتبر درايدن وبوب شعراء مقلدين؟ وهل التقدير التاريخى فى معظم الكتب الأدبية لهذين الشاعرين تقدير صحيح؟ فقد أنكر وردزورث وكوليردج على هذين الشاعرين مقدرتهما الشعرية . ولكن القرائن والدلائل تشير بأنه سيأتى يوم عما قريب ، ترجع فيه سطوة القرن الثامن عشر الشعرية ، ويرجع الناس إلى تقدير شعرائه وكتابه .

وينتقل أرنولد بعد هذا البحث الطويل فى الشعر إلى تطور النثر وأثره فى الأدب الانكليزى . وفى هذا الكتاب تتجلى لنا عظمة أرنولد فى النقد ، وكيف ينقد بأسلوبه اللاذع الكتاب والشعراء من أسلافه ومعاصريه .

ولأرنولد كتب أخرى أهمها كتاب : « الثقافة والفوضى » وكتاب : « القديس بولس والبروتستنية » . وكتاب : « الأدب والعقائد » وكتاب : « الله والتوراة » وغيرها من الكتب الكثيرة .

خاتمة :

مما تقدم فى بحثنا عن حياة ماثيو أرنولد وفنه ، يمكننا أن نتأكد من أن حياته كانت مثمرة مفيدة . فقد كتب قبل وفاته أكثر من عشرين كتاباً اعتبر البعض منها من أحسن ما كتب فى اللغة الإنكليزية .

ويجدر بنا قبل أن نختم مقالنا أن نضيف بعض الحقائق التى لا غنى لنا عنها . لقد هجر أرنولد الشعر وسنه لم تتجاوز الأربعين حيث اعتقد أن الشعب الإنكليزى لا يفهم الفن والشعر مطلقا ، وإنما يهتم بالأمور المادية فحسب ، وهذا ما حمل أرنولد على أن يهاجم مجتمعه هجمات شديدة فى كتابه الأول الذى أصدره فى عالم النثر . ومن هذه السنة إلى يوم وفاته يندر أن نجد له قصيدة مشهورة ، فقد وجه معظم انتباهه إلى النقد والنثر والسياسة .

كان أرنولد من أنصار المدرسة الكلاسيكية التقليدية فى أفكاره ، ولذا نراه يحاول أن يعيد لهذا العصر بهاءه ورونقه بعد أن طغت عليه صروف الزمان وظهرت تلك الثورة الأدبية المخيفة التى بدأ بها الشاعران وليم وردزورث وكولردج سنة ١٧٩٨ ، عندما أخرجا إلى العالم كتابهما الخالد : « القصائد الغنائية » ، فقضت على الأدب الكلاسيكى قضاء مبرما . ولكن أرنولد بدوره رغب فى الرجوع إلى المواضيع الكلاسيكية القديمة ، فنظم بها عيون قصائده كقصة تريسترام وامبدوكليس وميروب ، وكأن ينكر على الرومانتيكيين فرديتهم ومحاولتهم إشباع رغبتهم فحسب ، بينما فى الحقيقة على الشعب أن يهتم بالآداب العالية فى جميع اللغات ، ولا يقتصر بحثهم على الآداب الإنكليزية فقط .

وقد حمل حملة شعواء على المتطهرين لاعتقاده أن هذه الفكرة أو هذا المذهب يحصران الدماغ فى محيط لا يتجاوزه ولا يتعداه ، وهذا مما يضيق نطاق الأدب ، ويهدم ذلك الصرح الذى بناه الأدباء من سالف العصور .

وعلى الإجمال فإن أرنولد يعد من خير حملة الأدب فى النصف الأخير من القرن التاسع عشر ، وشهرته آخذة بالازدياد شيئا فشيئا ، فلا غرو أن رأيناه بعد مدة ليست بالطويلة يتبوأ محله اللائق به فى عالم الفن والنقد والأدب .

خيرى حماد

كيف نحبب الكتاب إلى الأطفال ؟

[مقدمة الجزء الأول من كتاب حكايات الأطفال بمناسبة الطبعة الأخيرة منه .]

للأستاذ كامل كيلاني

من المشاهد المألوف أن الطفل إذا قص عليك خبراً ، لجأ إلى تكرار الجمل كأنما يتثبت من معانيها فى ألفاظها المكررة ، فلنكتب له — وهو فى هذه السن — محاكين أسلوبه الطبيعى فى تكرار الجمل والألفاظ ، لنثبت المعانى فى ذهنه تثبيتاً ، ولنكرر له الجمل برشاقة ، لنسهل عليه قراءتها ، فإن لكل مقام مقالا .

ومن المقرر أن الطفل — فى هذه المرحلة — ملول يتهيب الكتاب ، فلننزع من نفسه هذا الملل ، ولنحبب إليه الكتاب بكل وسيلة ، فنبسط له الأسلوب تبسيطاً ، ونكثر له من الصور الجذابة الشائقة التى تسترعى انتباهه ، لنشعره أن الكتاب تحفة تُهدى إليه إهداء ، وليس واجباً يكلَّف به تكليفاً ، فإن الطفل — إذا ساء ظنه بالكتاب — صعب اجتذابه إليه بعد ذلك .

وقد وفق أكثر من تصدوا لتأليف كتب الأطفال توفيقاً عجيباً فى تبغيض القراءة إلى نفوسهم ، وتنفيرهم من المطالعة ، فأصبحوا يمقتون الكتاب أشد المقت ، ويهربون من قراءته ، لأن المؤلفين لم يراعوا سن الطفل وميوله ورغباته ، ولم ينزلوا — أو هم على الحقيقة — لم يستطيعوا النزول إلى مستواه ومخاطبته باللغة التى يفهمها وترتاح إليها نفسه ، ومن الإنصاف أن نقرر — بصراحة — أنهم لم يضعوا كتبهم على نسق خاص أو منهج بعينه ، وأنهم فى تأليفهم لم يتشبعوا بفكرة فنية تنتظم الكتاب وتؤلف بين أجزائه ؛ لأنهم يقنعون بتصيد موضوعات الكتاب — كيفما اتفق لهم أن يتصيدوها — فيخرج الكتاب خليطاً مضطربا لا تؤلف بين أجزائه فكرة بعينها ، ولا يتناسب أسلوبه مع مدارك الأطفال .

إن الطفل ميال — بطبعه — إلى الحكايات والقصص ، وهو بغريزته مفتون برؤية الصور الجذابة . فلنختر له منها ما يناسب سنه ، ويتفق مع ميوله ورغباته وتفكيره ، وقد حفزنا هذا الإعتبار إلى تأليف « قصص للأطفال » بالأمس ، كما حفزنا اليوم إلى تأليف « حكايات للأطفال » . وقد كتبنا الأولى لكبار الأطفال ، والثانية لصغارهم . ولقيت قصص الأطفال — من الإقبال والعناية — ما شجعنى على تأليف هذه الحكايات .

* * *

أما الفكرة التى انتظمت هذه السلسلة « حكايات الأطفال » فهى « التكرار » ، يكثر فى أولها ثم يقل — كلما تقدم الطفل فى القراءة — بالتدريج ، حتى يصل إلى قراءة الأسلوب الموجز الذى لا تكرار فيه بلا مشقة أو إعنات .

وقد تدرجنا بالطفل فى هذه السلسلة حتى يكون آخر جزء منها ممهداً لقراءة أول جزء من أجزاء السلسلة الأخرى « قصص الأطفال » ، وإنما عمدنا إلى التكرار عمداً ، بعد أن أقنعتنا التجارب العملية ، أنه أصلح أسلوب يلائم الطفل الناشئ ، ويشجعه على القراءة .

وذلك أن الطفل الناشئ لا يقرأ الكلمة إلا بجهد كبير ، ولا يتم قراءة السطر إلا بشق النفس ، فلنقتصد جهدنا فى استعمال الألفاظ الجديدة ، ولنؤلف له من الألفاظ القليلة التى يقرؤها الكبير فى بضعة أسطر عدة صفحات كاملة لندخل فى روعه أن القراءة ليست صعبة كما يتوهم ، وليست شاقة مضنية ، كما ألفها فى الكتب الأخرى ، بل هى سهلة ميسورة ، وهى — إلى سهولتها ويسرها — ممتعة شائقة . تملأ نفسه بهجة وانشراحا ، وثمة يشعر الطفل بثقة فى نفسه إذ يرى أنه يقرأ صفحة كاملة بجهد يسير ، فهو لن يتم قراءة السطر الأول حتى يسهل عليه قراءة السطر الثانى والثالث والرابع وهكذا ، لأن الألفاظ لا تكاد تتغير فى الجمل إلا بمقدار يسير .

* * *

هذا هو المنهج الذى أخذنا به أنفسنا فى تأليف هذا الجزء وما يليه من الأجزاء . فإن وفقنا فى هذه الخطوة — ونرجو أن يكون ذلك — فقد أدينا بعض ما يجب علينا أداؤه لهذا الجيل الناشئ الذى نعلق عليه أكبر الآمال .

كامل كيلانى

تأملات :

من الســـاحر !؟

للأستاذ عبد العزيز الكرداني

ذات يوم .. ركبت ترام « المترو » فى رفقة صديق له مثل اتجاهاتى ونظراتى وتأملاتى فى الناس وفى الحيـاة . وكان الوقت مساء .. وكانت الأضواء الباهتة تترنح سكرى فى سدفة الليل .. وكانت النسمات لينة تنفذ إلى الرئتين فى رفق ودعة ، فتستجيش انفعالات وخواطر شتى !

ولما بلغنا فى الطريق إلى منتصفه ، أشار صديق خفية إلى رجل يجلس قبالتنا .. وهمس فى أذنى قائلا : « انظر ..! »

... ونظرت .. فإذا شيخ هِمٌّ أرسل لحيته الكثة إرسالا فطرياً مستبشماً ، فبدت كأنها دغل كثيف منتن . وكان الشيخ فى أسماله الحائلة الرثة ، ووجهه القـذر المتغضن ، وفمه الفاغر ، ونظراته الشاخصة ، قابعاً فى غفلة وتبلد أشـبه ما يكون بركام مطّرح من قذر وعفونات !

قال صديق بعد فترة من النظر المتأمل إلى وجه هذا المسخ الآدمى « أترى إلى هذا (الشىء !) ؟! أتراه يكون (إنسانا) ؟! »

.. قالها صديق ، ولم يكن يرمى إلى الزراية بهـذا التعس .. ولا كان يقصد إلى اصطناع السخر منه .. وكل ما كان يبتغيه هو أن يفصح — فى صدق — عن حقيقة تجسمت أمام ناظريه !

... وافترقنا .. وطوت الذاكرة هذا المشهد فيما طوته من مشاهد ، وإن تحصَّل فى نفسى راسب منه ، لم يكن من اليسر أن يقتلعه النسيان ومرور الأيام من واعيتى الباطنة ... حتى كان يوم من أيام هذا الشتاء الجهم لقيت فيـه صديق .. فتذاكرنا سوياً هذا المشهد ، واسترجعنا فى خيالنا صورة ذلك الشيخ . ثم خلفت صديق ، ومضيت إلى دارى . وهنالك ـ حين خلوت إلى نفسى ـ وجدتنى أردد هذه العبارة : «من .. من الساخر؟!» ؛ ثم وجدت الذهن ينبثق عن خواطر .. رأيت أن أسجلها فى هـذه القطعة الفنية ، التى أقدمها لصديق .. شريكى فى النظر والتأثر — هدية متواضعة .. طالبا منه أن يعمل الفكر والحس والشعور فى مضمونها ونحواها .. ثم أسأله — بعد ذلك — أن يتحرى أن يحاول مطابقة الراسب المتحصل فى نفسه بتأثير هذا المشهد ، بالراسب الذى أوحى إلىَّ هذا الكلام :

« .. من ؟! من يكون الساخر فى هذى الحياة ؟!

أتراه يكون ذلك الشيخ الهم الذى طوى السنوات الطوال — وما زال يطويها — لا يدرى من أمر خلقه شيئاً .. لا يعلم للحياة غاية إلا أن يعيش .. ويظل يعيش !

.. لا يعرف من هدف فى الدنيا سوى أن يعمل على أن تمتد به الحياة .. ليظل يحيا .. لينسأ أجل الوفاة !

إنه ليأتدم بالخبز مختلطاً بالقذر ؛ ويطعم شرائح اللحم ممزوجة بروث البهائم ، ويكرع فى الماء الآسن ، حمِا ذائباً فيه الطين ؛ وينام الليل الطويل على فراش من حصى وقش بأسر ! إن حياته لتطرد على هذه الصورة السنين تلو السنين . وهو على حاله من طلب البقاء والرغبة الملحة فى الدوام !

أترى ذلك « الشيخ » يكون الســـاخر ؟ أم يكون هذا « الفنان » الذى انصرف عن كل شىء إلا فنه .. ونظر إلى الـكون على أنه مرسح تمثل عليه رواية ، لا يهمه من أمرها شىء .. إلا بقدر ما تشبع حاسته الفنية وتروى ...

إن كل ما فى الـكون ، إنما يتخذ قِيَمه وخصائصه ـ عنده ـ بهذا الفن .. هذا الفن وحده !

وإن ناساً يعيشون فى هذه الحياة ، ولا يعرفون من أمر « هذا الفن » شيئاً ، لهم — فى نظره — والعدم سواء !

إنه ليلهو عن الحيـاة فى واقعها ، بتلك الحيوات الـكثيرة المتنوعة .. وتلك العوالم العريضة الرائعة يفتقها خياله المفتن الصناع ، الذى يجد معينه الدافق — دائماً — فى عالم النفس الرحيب ، وعالم الروح الطليق !

أترى الساخر يكون ذلك « الفنان » .. أم تراه يكون هذا « الباحث » المنقب الذى سلخ جل حياته حبيس عقـله الراصد للظواهر ، المستكنه للعلائق المستورة الخفية ، والخصائص الكامنة المطوية .. تتقلب به الدنيا ، وتدور من حوله الأحداث ، ويجلل الشيب رأسه يوماً بعد يوم ... وهو لا يدرى من أمر هذا كله

هذا العالم المتغير:

أبحاث الذرة وفلسفة الكون

للأستاذ فوزى الشتوى

[لكى تفهم ما هى الذرة يجب أن تعرف شيئاً عن تاريخ فلسفة الكون فقد عرفنا الذرة بالفلسفة لا فى العمل وعرفنا بعد تفكير دام آلاف السنين] :

الشمس فى الأرض

يخطىء من يظن أن أبحاث الذرة وطاقتها بنت القرن الحاضر أو الماضى، فدارس التاريخ . والفلسفة يجد بذورها الأولى فى عصور قد ترجع إلى ما قبل التاريخ . والذرة باليونانية (Atemno). وقد عرف المصريون القدماء فى عصور الاسرات الأولى إلها باسم أتوم ورمزوا له بالشمس وما تضم من قدرة وحيوية . فإن أردت أمثلة من تراتيله تجدها منتشرة فى كل كتب العبادات المصرية. فله قالوا :

المجد لك يا أتوم خالق نفسه بنفسه .

فأنت إله الشمس وخالق العالم .

خالق الآلهة ومنتج كل شىء .

وهو أيضاً : خالق الجرثومة فى المرأة .

وصانع البذرة فى الرجل .

ومانح الحياة للابن فى جسد أمه .

وادرج مع التاريخ تجد فلسفته تنتشى مرة وتخبو أخرى حتى يظهر له مثيل على يدى أخناتون الذى رأى فيه إلها عالياً سماه أتون ، ورأى فيه « القوة التى تمثل الشمس فى الأرض » لا يقتصر أمره على مصر أو طيبة بل يمتد ويشمل الأرض كلها . فهو الرمز الماثل فى كل حيوان أو نبات أو جماد أو غاز ، أو ما يفسره العلماء الآن من أن ذرات الأجسام تشبه النظام الشمسى .

من مصر إلى اليونان

ولكن الخلافات الدينية وقوة كهنة الآلهة آمون عصفت بفلسفة اتون وديانته . وهى خلافات سياسية أكثر منها دينية . فلم يكن الفرق بين فلسفة الالهين يبرر استئصال شأفة اتون عقب وفاة اخناتون مباشرة

وقد بلغ الحقد بالكهنة حداً دفعهم الى تدمير كل ما وصل إلى أيديهم فلم تنج منه سوى تراتيل قليلة لا ندرك منها بالضبط سر فلسفة أتون ، ونظرها إلى الكون وتركيبه . ولكن الثابت

شيئاً .. إلا هذا « الكل » الذى يعيش فيه ... ويعيش من أجله ويأمل أن يمتد به العمر ليصل حلقة من حلقاته المفرغة !

أتراه يكون الساحر فى هذى الحياة ؟ أم يكونه هذا « الطفل » الغرير الذى لا يستشعر « الوجود » وجوداً إلا أن يرد ظواهره كلها إليه ... إلى ذاته ؛ ولا يحس « الحياة » حياة إلا أن تتفاعل بكل ما فيها وكل من فيها فى داخل نفسه ... فى محيطه الخاص المستقل ، الحافل بالصور الغريبة ومستطرف التهاويل !

إنه ليرى أن كل شىء فى هذا الكون له .. وهو لا يملك شيئاً منه فى واقع الحال ، وما من شىء فى الكون — إن علم — ليقبل أن يخضع للتخصيص !

كل أهدافه أن يستشعر الناس أحاسيسه ، ويحاوبوه عنها ! كل مبتغاه أن تلبى مطالبه ، وتقضى حوائجه للحظة التى هو فيها ، وبالصورة التى يريد !

أيكون هذا « الطفل » هو الساحر فى هذى الحياة ؟!

أيكونه ؟ ! أم يكونه واحداً من هؤلاء ؟ أم يكونونه جميعاً ؟ أم لا يكونه واحد من أيهم !

لست تدرى ... ولست أدرى ... ولسنا — جميعاً — نملك إلا أن نتساءل : من ؟ ! ... من يكون الساحر فى هذى الحياة !

لنجد الجواب — دائماً — حيرة أبدية مشبوبة ... وقلقاً سرمدياً ... هما وسم كل « حى » ... وسر كل « حياة » !

(مصر الجديدة) عبد العزيز الكرداني

أن سلطة الكهنة أكرهت الملك توت عنخ آمون الذى ولى العرش عقب اخناتون على تغيير اسمه من توت عنخ آتون الى توت عنخ آمون كما لقبوا اخناتون « بمجرم اخيتاتون » وهى إحدى المدن التى جعلها مقراً لفلسفته الجديدة

ولا يستطيع باحث أن يجزم بأن الفلسفة اليونانية لم تتأثر بالفلسفة المصرية فى عهد الفراعنة . بل الراجح انهم أخذوا عنهم الكثير من دياناتهم ، ومبانيهم ، وحضارتهم ، وشتى نواحى الحياة ، بما فيها فلسفة الكون وعناصر تركيبه

وقد نتساءل ومادخل الذرة بفلسفة اليونان أوقدماء المصريين؟ ولكن علومها بنيت على أساس فلسفى ، ولم تبن على أساس كيماوى أوطبيعى منبته المعمل . بل شيدت نظريات الذرة والكون على منطق دقيق أطلق فيه الفلاسفة العنان لخيالهم وتقديرهم

اليونان والذرة

ففى عام ٤٠٠ ق . م . ظهر فيلسوف يونانى اسمه ديموقريطس قال إن العالم يتألف من فراغ لا نهائى ومن عدد لا نهائى من دقائق لا تدرك ، وأن المادة تتألف من تجمع هذه الدقائق المعروفة باسم Atoms الذرات ومعناها باليونانية التى لا تتجزأ . وفسر خلفاؤه دعواه فقالوا انك لو تناولت قطعة من المدن وقسمتها الى جزءين متساويين ثم واليت التجزئة فانك ستصل فى النهاية إلى جزء لا يمكن تقسيمه

وكان هذا التفسير هو بدء عهد الذرة كما يسميه التاريخ الواضح . وامتدت العقول أيضاً إلى خواص الذرة وطبيعتها فقالوا إن السوائل تتألف من ذرات ناعمة سهلة الحركة ، بينما الأجسام الصلبة تتألف من ذرات خشنة ذات خطاطيف تتشابك إحداها بالأخرى . ولكن علماء اليونان ومنهم ارسطو رفضوا الأخذ بهذه النظرية فانغمرت حينا من الزمن ، وإن بقى لها أتباعها ومؤيدوها

وفى عام ١٣٤٨ ظهر نيقولا انتروشيا وقال إن الظواهر الطبيعية يمكن أن تفسر على أساس اتحاد الذرات وتفرقها ولكنه اضطر الى نقض أقواله التى عدت فى ذلك الوقت الحاداً

ولكن ارسطو ابتدع نظرية جديدة حين قال إن المواد التى نشهدها ونتناولها تتألف من أربعة عناصر : هى الأرض والهواء والماء والنار . ولم يفهمها بالمعنى الكيماوى المعروف الآن بل من حيث خواصها . فالأرض مركب من الجفاف والبرودة ، والماء من البلل والبرودة ، والنار من الجفاف والحرارة ، والهواء من البلل والحرارة .

العرب وحجر الفلاسفة

وأضاف العرب إلى هذه العناصر فى العصور الوسطى ثلاثة عناصر أخرى هى الكبريت والزئبق والملح . وكان من الطبيعى أن تؤدى هذه النظريات إلى انه من الممكن تحويل معدن إلى معدن مما أنتج البحث عن حجر الفلاسفة ، أو قلب المعادن الخسيسة الى ذهب ، وضمان دوام الصحة الكاملة ، والشباب الناضج الحى

وكان أصحاب هذا المذهب يتفرقون شيعاً فى الاحتفاظ بأسرار أعمالهم التى كانوا يحرصون كل الحرص على اخفائها عن عيون الناس وافهامهم . وقد وصلت قصص دعاياتهم إلى نهايتها فى عام ١٧٨٢ حين قدم جيمس بريس أحد أعضاء الجمعية الملكية فى لندن إلى الملك جورج الثالث عينة من الذهب ، وقال انه استطاع استخراجه من معادن أخرى

وكان لتصريحه ضجته ، فمنحته جامعة اكسفورد إحدى درجاتها العلمية . كما قام المعارضون يناقضونه ويهاجمونه فى قسوة، فطلب اليه مدير الجامعة أن يكرر التجربة أمام أعضائها . وتلكأ بريس بضعة أشهر ثم وافق على الاقتراح . فلما حان موعد التجربة تجرع بريس سماً زعافاً من قارورة صغيرة فقضى عليه فى دقائق

الذرة فى مرحلة النشاط

ودبت الحياة مرة ثانية فى ابحاث الذرة واستنتاجاتها ، حين نشر جوزيف بروست مبدأ النسب المحدودة . ومضمونه أن أى مركب كيماوى يحتوى دائما على ذات النسب المتساوية فى الوزن ثم تبعه جون دالتون فى عام ١٨٠٨ فاعتنق مذهبه وأضاف اليه مبدأ النسب المضاعفة ، ومضمونه أن عناصر كيماوية معينة تتحد

بيعضها البعض لتؤلف مركبات كيماوية مختلفة فى أوزان ذرية مضاعفة .



جون دالتون

وقد كان جون دالتون مدرساً بائساً فى مدرسة صغيرة بانجلترا ولكنه وضع أسس النظرية الذرية ، حين قال إن قانون النسب الثابت لبروفست يمكن أن يفسر بأن العناصر مؤلفة من ذرات ثابتة . كما بين أن ذرة عنصر يمكن أن تتحد بذرات عناصر أخرى فى حالات مختلفة . وعلى هذين الأساسين تقوم الكيمياء الحديثة

وكانت لفظة الذرة تستخدم بطريقة غير محدودة ، حتى قام اماديو افوجادرو العالم الايطالى فى عام ١٨١١ ، ففرق بين الذرة والجزىء .

والمعروف الآن أن الماء يتكون من ذرتى ايدروجين وذرة اكسوجين ؛ ولكن العلماء كانوا يقولون ذرة ماء وذرة ايدروجين برغم الاختلاف بينهما ، وان الذرة جزء من كل . فلما جاء إفوجادرو فرق بين المعنيين وجعل الذرة وحدة العنصر . والجزىء وحدة المركب ، أى أن الجزىء يتكون من عدة ذرات تختلف باختلاف المادة

ووضع فوجادرو مبدأ آخر ، وهو أن المواد الغازية تتألف من جزيئات لا من ذرات . فجزىء الايدروجين مثلا يتكون من ذرتى ايدروجين ، ومثله جزىء الأكسوجين من ذرتى اكسوجين وان الذرة لا توجد مفردة

والمفكرون أيضاً

وكما ساهم رواد الكيمياء والطبيعة فى التفرقة بين الذرة والجزىء ، ساهم المفكرون من أمثال بيكون وديكارت فى تعليل بعض الظواهر الغريبة وأهمها الحرارة فسموا الوحدات الحرارية « بالسعر » وقالوا انها تحرك دقائق المادة . فلما كانت سنة ١٧٢٨ تقدم دانيل بارنويلى بنظريته القائلة بان دقائق المواد الغازية فى ذبذبة وحركة مستمرة . وان ارتفاع درجة الحرارة معناه زيادة فى ذبذبة الدقائق . وافترض بان الضغط الذى ينشأ على جدران وعاء ليس فى الواقع سوى احتكاك تلك الدقائق ببعضها البعض .

وقد فسرت هذه النظرية خواص الغازات بطريقة طريفة مقبولة مازلنا نعتنقها حتى الآن ، ونسير على هديها فى أبحاثنا ، وإن كنا قد فسرناها على ضوء الأبحاث والتسميات الجديدة ، فوضحت لنا لماذا تتمدد الغازات بالتسخين وتحتاج إلى حيز أكبر لما ينتابها من شدة الذبذبة ، وحاجة حركتها إلى فراغ أكبر . وهى التى تعلل سبب اندفاع الغاز بقوة أكبر إن سخناه فى حيز محدود .

ولم يفهم العلماء آراء نويلى لأنها كانت سابقة لأوانها فتجاهلوها ، ولكن الأيام مرت ، وأوشك قرن كامل أن ينقضى على دعوته ، حين ظهر العالم الإنجليزى جيمس برسكوت جول وكان من تلاميذ دلتون ، فأحيا نظرية نويلى . وفسرها بأن النشاط الميكانيكى يمكن أن يحول إلى حرارة تتناسب مع مقدار الجهد . ويمكنك أن تلحظ هذه الظواهر فى حياتك العملية ، فعندما تحس البرد تفرك يديك إحداها فى الأخرى لتسخنا . وإن نشرت قطعة خشب ترتفع حرارة المنشار تبعاً لسرعة حركته .

مواد لا وجود لها فى الحياة

ومن المكتشفات الذرية قائمة العناصر التى وضعها الكيماوى

الروسي ديمترى إيفانوفتش مانديليف في عام ١٨٦٩ فقد أثبت أنه إذا رتبت العناصر الكيماوية ترتيباً تصاعدياً تبعاً لوزنها الذرى فان العناصر تتشابه كل عدد معين . فإذا بدأت بالليثيم مثلا وعددت ثمان مواد فانك ستجد الصوديوم ثم عد ثمانية عناصر أخرى فتجد البوتاسيوم . فهذه العناصر الثلاثة تشترك في كثير من الخواص وكلها معادن بيضاء تتفاعل مع الماء بشيء من العنف .

ديمتري إيفانوفتش ماند ليف

وعلى أساس الأوزان الذرية ، وضع مندليف قائمة بأسماء المواد . وكان من الجرأة والثقة بعلمه وبنظريته حتى ترك بعض الأماكن بيضاء لأنها تنقص معادن غير معروفة . ولكنه تنبأ بخواصها تبعاً لنظريته . فلما مرت السنوات واكتشفت بعض هذه العناصر الناقصة كانت خواصها مطابقة للخواص التي تنبأ بها مندليف . وتتألف هذه القائمة الآن من ٩٢ عنصراً ما زال اثنان منها مجهولين .

ولعلك تتساءل عن حجم الجزئ أو الذرة . وهو سؤال يصعب تصوره ، ولكن البوصة المكعبة من الهواء تتألف من ٤٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٨٠٠ جزئ . والذرة أصغر من الجزئ لأنها جزء منه . فان أردت لها قياساً ، فتصور أنك لو رصصت ذرات حول الجدران الخارجية لأدق نقطة تراها فان عدد هذه الذرات يبلغ خمسة ملايين ذرة .

وقد تنكر وجود هذه الدقائق التي لم يرها إنسان ، ولكن العلماء يرونها ضرورية لتفسير بعض الظواهر الغريبة التي تطرأ على المادة ، كما يجدونها معقولة من الناحية المنطقية . ولم يجدوا ما يمكن أن ينفيها . وعندما تتحدث عن الذرة ، فيجب أن تذكر شيئين ، وهما الصلابة والسكون . فهما لفظان لا معنى لهما في عالم الذرة والجزئ لأنهما ليسا صلبين ولا ساكنين . والجسم الساكن الصلب الذي تراه يتكون من رقم بالغ الضخامة من الأجسام الدقيقة الدائمة الاهتزاز ، والتي لا تمس واحدة منها الأخرى ولكن تربطها قوة جاذبية . ويمتنع التصاق جزئ بآخر بفعل هذه الذبذبة الدائمة .

فوزي الشنوى

بنلوب ... ! (*)

PENELOPE

أسطورة تمثيلية غنائية

للشاعر عبد الرحمن الخميسى

الراوى: اطرحْ قيودَ الحاضرِ   واحلمْ بعصرٍ غابرِ
واصنعْ جناحَ توهمٍ وخيالِ   واعبرْ إلى الماضى ذوى الأجيالِ
طِرْ نحو عهدٍ فى الزمان سحيق   واشهدْ (أثيكا) درةَ الإغريق
تلك المدينة جلَّ من أنشاها   انظرْ إليها ودّعتْ مولاها
هرعت بزين جموعها أوديسيوس   مَـلِكٌ تخِرُّ إذا أرادَ له النفوسْ
لبى نداء الحرب والأوطانِ   متـدرعا ببطولة الشجعانِ
هذى أثيـكا نسوةً وصغارا   وقفتْ تودع جيشها الجبارا
اسمع وداعَ الأهلِ للفرسانِ   من كل معتنقين يفترقان !

كورس: حاربوا المعتدينْ   بالسلاح اليقينْ
وارجعوا ظافرينْ   للحمى ... والربوعْ
يا شباب الجهادْ   يا حماة البـلادْ
اغمروا كل وادْ   بالدما ... والدموعْ
ليس بعد الحروبْ   غير لقيا الحبيبْ
وشفاء القـلوبْ   وارتياح الضلوعْ !
حاربوا المعتـدينْ   بالسلاح . اليقينْ
وارجعوا ظـافرينْ   للحمى ... والربوعْ

الراوى: طوى الجيوشَ عبابٌ   من الزمانِ رهيبُ
وليس يُسمع عنها   إذا سألتَ مجيبُ
وكلُّ ماقيل حدسٌ   مما تودُّ القـلوبُ
وأدبرتْ سنواتٌ   ما عاد فيها غريبُ
وزوج أوديسيوسٍ   جارت عليها الكروبُ
غام الأسى فى سماها   مسكينةٌ بنلوبُ !
أكلما جنَّ ليـلٌ   أوهى قواها النحيبُ ؟
وراقَ فى ناظرَيْها   خياله المحبوبُ ؟ !
يا شوقها إذ تناديـــه   والحنايا لهيبُ
فى مخدعٍ ليس فيه   سوى خُطاها دبيبُ
يا حزنها إذ تناجيـــه وهو لا يستجيبُ

بنلوب: أوديسيوس حبيبى   طال الحنين إليكا !
ولم تَعُدْ ... يابلائى   يا ويل روحى منكا !
أقمتُ فى البُعد محرا   باً للهوى والوفاءِ
ورحتُ أسجد فيـه   لذكريات هنـــائى
وليس يرحم مـــا بى   سوى الدجى والسكونِ
وطيفُكَ الحلو يغرى   بالسهد نورَ عيـــونى
كفّنتُ من أجل حبى   باليـــأس زهر شبابى
وعشتُ أحرق نفسى   ومهجتى فى عـــذابى

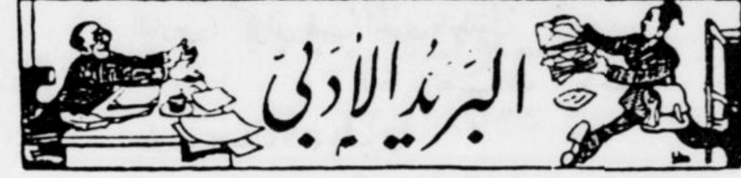
الراوى: وفية أوردتْ صباها   متالفَ الدمع والحنينِ
ودار باليأس حولها الممـــرُ   شاكياً فاجعَ الأنينِ
ولم يَعُدْ ذاكرٌ سواها   لزوجها الفارس الأمينِ
فهذه حولهـا (أثيكا)   تضج باللهو والمجونِ
نسيانُ ! ياطبَّ كلِّ داءٍ !   أبْعِدْهُ عن قلبها الحزينِ
وضُمَّهُ مثلمـا ضممتَ الـــذين . تاهوا مع السنين
وانفضْهُ من روحها وأغرقْـــه فى دجى سرك الكنينِ
أنتَ الذى تمنحُ الشقيّيـــنَ كلَّ سلوى فى كلِّ حينِ
وتمسحُ الهمَّ بالتـــأسّى   وبالأمـــانى وبالحنينِ !
صغرتَ والله عن أساها !   وضقتَ عن شوقها الدفينِ !
نسيانُ ! إنى أراكَ أوهى   من حبّها الخالدِ المكينِ !
كم مرة أحرقتْ فؤاداً   بنظرة غضة الجفونِ
يشع من وجهها سنيٌ خا   طفٌ من السحرِ والفتونِ
يضىء يغرى القلوبَ تجثو   لحسنها الرائع الحزينِ
كم راجح العقل تيّمتْــهُ   فصيّرتْهُ إلى الجنونِ !
وكم أميرٍ مُداهنٍ عطـــفها لدى قلبها الحصينِ
وطيفُ محبوبهـا مقيمٌ   يُقْصيه عن حرمة العرينِ

الأمير: وهبتك قلبى فلا تنبذيه   وصونيه ... إن غرامك فيهْ
ألا ترحمينَ له خفقةً   تنادى فؤادك كى يحتويهْ
بحسنك يا ربّتى أنقذيه   وفى قبضةِ اليأسِ لا تتركيهْ

(*) نظمت هذه الأسطورة للاذاعة ، وحقوق تمثيلها وغنائها لمحطة الشرق الأدنى للاذاعة العربية .

بنلوب : نأيتُ بروحي عن الحب
الأمير : ... ... لا   لقد طلَّ الحبُّ فيكِ الجمالْ
بنلوب : وأوشك يطفئ في ناظري   بريقَ الشبابِ ونورَ الخيالْ
فما ترتجيه بحبي ؟
الأمير : ... ... إني   أراه يُنيلُ فؤادي المُحالْ !
بنلوب : واهمٌ فــيما تراهْ   أنا أحيــا لهــواهْ
هو زوجي وحبيبي
الأمير : ... ...   حلمٌ طاحت رؤاهْ
تُخذي مني حليــلاً   وأخا عيش سواهْ
وارحمي حسنك أن تُذْ   وِيَهِ أحزانُ الحياهْ
بنلوب : مرحباً بالهم لو غا   لَ شبابي في نواهْ
حبــه كعبة نفسي   ودمي طولَ الحيــاهْ
وشجوني ... ودموعي   هي قربان الصــلاهْ
الراوي : تنافسَ الأمراءُ   في حبها كيف شاءوا
كلٌّ غريقٌ هــواها   وفي يديها النجاهْ
فليرحم العشاقَ الــمُتَيَّمِينَ الرجاهْ
لم يسمعوا صوتَ قلبٍ   تغلي به البُرَحاهْ
وخــيَّروهــا لتحظى   بمن ترى وتشاهْ
لــكنها والأسى أجــرى دمعَها والوفاهْ
آلت بأن تنتقي مَنْ   يكون فيه الكفاهْ
وأرجأت ذاك حتى   لها يتمّ رجاهْ
تريد تنسجُ بُرْداً   فليصبرِ الأمراهْ !
عذرٌ تصير لها منــه عصمةٌ ووقاهْ
تظل تعمل في البُرْ   دِ والظلامُ دعاهْ
وحينما تنثر الفجــرَ في الأعالي ذُكاهْ
تحــلّ ما نسجته   حتى يحينَ المساهْ
وهكذا ليس للبُرْ   دِ والنسيج انتهاهْ
مــلَّ انتظارُ المحبيــن جمعَهم واستاءوا
مَنْ ذلك الفارسُ الفر   دُ حوله لألاهْ ؟
تفيض من مقلتيه   عزيمةٌ ومَضاهْ
يمشي فتعمر دنيــا   هُ فرحةٌ وضياهْ
يزهى بما قد حباهُ الشـ (م) بــابُ والعلياهْ ! !

الفارس : كواني لهيبُ الجوى فانطلقتُ
ألوذُ بظــلك يا جنتي ! !
بنلوب : وما أنا فاعلة يا أميري؟
الفارس : ... ...   أعيدي بوصلك لي مهجتي
حرامٌ عليَّ نسيمُ الحياة   إذ أنتِ لم تصبحي زوجتي
بنلوب : ولكنني لم أتم النسيج
الفارس : ... ...   وأشعلتِ يا أملي حرقتي
تعالَيْ نذوق الهناء
بنلوب : ... ... دعوني   ولا تحرموني من شقوتي
الراوي : أكلما لاح عاشق با   عدتْهُ مُرْبَدَّةَ الجبينِ ؟
وكلما ضاء بارقٌ أسـ   ـدلتْ عليه من الدجونِ ؟
واستعذبتْ وحدة الحزانى   بلا أنيسٍ ... ولا خدينِ !
واستسلمتْ للشجونِ حتى   لم يبق منها سوى الشجونِ
وشبَّ في بأسها (تليما   كُ) صورةً من أبٍ أمينِ
وكلما أبصرتْهُ ... ثارتْ   لزوجها موجةُ الحنينِ
نما ولم يَدْرِ ما أبوه   إلا على صفحةِ الظنونِ
منرفا : تليماك ! ! يا ولدي !
تليماك : ... ... من أرى ؟
منرفا : ... ...   منرفا تَشُقُّ عبابَ الظلامْ
تليماك : وتنفض عن مقلتيَّ الكرى؟
منرفا : ... ...   وتسكبُ بين يديكَ السلامْ
تليماك : ومن أين جئتِ ؟
منرفا : ... ... طويتُ إليكَ   بساطَ السماء وَهَوْلَ الجبالْ
تليماك : وماذا تريدين ؟
منرفا : ... ... إني حملتُ   لأحزانِ أمك آيَ الزوالْ
أبوك الذي شردتْهُ السنينُ
تليماك : ... ...   أراهُ ولكن بعينِ الخيالْ
أما زالَ في حلقاتِ الحياة ؟
منرفا : ... ...   وسوف يعودُ وفيرَ الشبابْ
تليماك : تباركتِ يا ليلتي !
منرفا : ... ... قُلْ لأمـ   ـك أوشك يذهب عنها العذابْ
الراوي : وطارت ربة الحكمة عنه وهو مذهول ! !



وهذه أيضا . . . فضيحة !

ساء نفراً فى الشام أن اختصت مصر بمكرمة محاربة الشيوعية بجد وحزم ، فبعثوا يحتجون على حكومة مصر ، بأسلوب أقل ما يوصف به أنه كفر بالجامعة العربية ، وإساءة للخلق النبيل ، وإخفاء للحق الظاهر ، وتزويق للباطل القبيح ، فغضب لذلك وزير مصر المفوض فى دمشق ، وأركان حكومة الشام ، وأساتذة المدارس (لأن هؤلاء النفر الشيوعيين المعلنين شيوعيتهم من كبار موظفى المعارف !) وغضب علماء دمشق وتجارها وطلابها ، والجمعيات الإسلامية والعربية فيها ، وغضب عمالها الذين يتخذهم الشيوعيون فى الشام ، كقميص عثمان ... وبعثوا بسيل من البرقيات والمقالات ، يدفعون بهذا الحق باطل النفر المخالفين ، ويثبتون به أن دمشق بلد العربية المسلمة لا تكون أبداً دار الشيوعية الملحدة ، وأن هؤلاء النفر لا ينطقون إلا بلسان أنفسهم ولا يعلمون إلا بوظائفهم — فإذا أزلتهم عن كراسيهم فى وزارة المعارف لم يعودوا شيئاً ، وما (فلان) و(فلان) ؟ أى حسب وأى نسب ؟ أى علم وأى أدب ؟ أى مال وأى نشب ؟ كراسى على كراسى . ومناضد وراء مناضد ! ولولا أنها فضيحة قبيحة أن يكون بيد هؤلاء تنشئة أمة المستقبل ، وأن فى هذه الكلمة اعتذاراً إلى مصر ، وتبرئة للشام وإحقاقا للحق ، وتقوية للجامعة العربية ما بعثت بها إلى الرسالة .

(دمشق) **علي الطنطاوي**

أيكذبها ؟ وكيف ؟ وإن ما قالته تنزيلُ !

وهبَّ إلى حمى بنلوب يطرح باقة البشرى

وزف الصبح أوديسيوس وهو الفرحة الكبرى

كورس : بنلوب يا أوفى النساء ضاعتْ حواليك السماء

راح الأسى وأتى الهناء هذا أليفُ الروح جاء !

استقبلى طيرَ السلامْ واشكى له ظلم الغرامْ

وأربه ما جرح الهيامْ وأربه ما فعل الوفاء

بنلوب يا أوفى النساء ... ...

عبد الرحمن الخميسى

١ — قصة عجب

من أيادى الحكومة المصرية تعليم الصم والبكم ، فقد اجتمعت فى دار الأستاذ فهمى رضوان بحسن افندى شاهين أحد المتخرجين من (مدرسة الصم والبكم باسكندرية) فأخبرنا أنه ولد أبكم وتعلم فى هذه المدرسة ، وتفاهمنا معه بالكتابة وبالكلام أيضاً ؛ فإنه يدرك ما يحدثه به مخاطبه من حركة الشفتين أو حركة اللسان فى الحروف غير الشفهية ، ثم أدهش الحضور بوضع راحته على حنجرة أحدهم وتحويل وجهه عنه ، وطلب منه أن يتكلم بما يريد ، فعرف ما قاله تماما من حركة الحنجرة ، وأعاد مثل ذلك مرات مع عدة من حاضرى المجلس المعجبين به .

محمد شفيق

٢ — بل هى سوانح :

أورد الأستاذ النشاشيبى (فى عدد الرسالة ٥٥٥) بيتى الأبيوردى المذكورين فى إرشاد الأريب .

ركبت طرفى فأذرى دمعه أسفاً
عند انصرافى منهم مضمر الياس

وقال حتام تؤذينى فإن سنحت
حوائج لك فاركبنى إلى الناس

ورأى أن الصواب (سنحت سوانح لك) . والصواب ما جاء فى الكامل لابن الأثير عند ذكر وفاة الأبيوردى وهو (حوائج) حيث ذكر البيتين . وقال الأستاذ النشاشيبى أيضاً . كانت وفاة الأبيوردى سنة ٥٥٧ ولعله اعتمد على وفيات الأعيان أو الأعلام للزركلى ، والصواب أنها سنة ٥٠٧ كما بينت ذلك (فى العدد ٥٦١ من الرسالة) نقلا عن (شذرات الذهب فى أخبار من ذهب لابن العماد) وورد مثله فى معجم البلدان لياقوت وتاريخ الكامل وغيرهما .

محمد شفيق

من تاريخ مصر المجهول :

فى مكتبتى مخطوطة من كتاب (التنوير فى إسقاط التدبير) لابن عطاء الله الإسكندرى . وابن عطاء الله هذا مفخرة من مفاخر الإسكندرية بل من مفاخر مصر . توفى سنة ٧٠٩ هـ وكتابه التنوير من أشهر كتبه بعد كتابه (الحكم العطائية) وقد طبع

التنوير عدة مرات ونسخه المخطوطة كثيرة . أما مخطوطتى فحسنة الخط مشرقة الحرف فيها تواليع بالحمرة فى عناوينها وبعض كلماتها ولم يذكر فى آخرها اسم ناسخها ولا تاريخ نسخها ، غير أن الناسخ بعد أن أتم نسخها عاد فنقل من كتب الوعظ والحكم فوائد ملأ بها عشر صفحات وقد بدأ الفائدة الأولى بقوله : (ومن فوائد مؤلف هذا الكتاب : الوجود أقسام أربعة : خير محض وشر محض وشر وخير ولا شر ولا خير الخ) ثم ذكر أبياتا فى الحكم ثم ثلاث قطع من الشعر فى آخر كل قطعة تاريخ بحساب الجمل سجل فيه حادثة جرت فى مصر منذ ثلاثمائة سنة ونيف . وقد كتب الناسخ القطع الشعرية الثلاث من دون مقدمة ولا عنوان ولا تعليق ولا مناسبة لما قبلها أو لما بعدها .

وبعد أن أتم القطع رجع إلى سرد فوائده الحكيمة كأنه لم يأت بشيء جديد ولم يستطرد إلى خبر غريب لا علاقة له بالفوائد والرقائق التى يسردها . وهـذه هى القطع الثلاث نثبتها هنا على ما فيها من خلل فى الوزن وركاكة فى التعبير أو أن ذلك كله إنما وقع من جهل الناسخ لا من بلادة الناظم .

— ١ —

لقد كانت الأمصار تحسد مصرنا
وتدعى بروض الملك فى سائر القرى
رماها مليكها بالنُّحاس فأصبحت
خرابا وأهلوها غدت أفقر الورى
وصارت ديار الذل من بعد عزها
ألا فى سبيل الله يا مصر ما جرى
وقد قلت فى عام النُّحاس مؤرخا
نحاس كأحجار على مصر أمطرا

١٠٣٤ هـ

— ٢ —

بمصر كل إنسان قد صار مسكين حيران
من كثرة الغم لما رموا بها الزيف بهتان
زمانه أرخوه به نحاس وخسران

١٠٤٣ هـ

— ٣ —

بمصر حل تشويش وتنكيد وأحزان
ترى نحاس أرسله لها سلطاننا الآن
فأضحت مصر فى وهج وأهلوها بهـا انهانوا
رميتـه نورخهـا بهـا نحس وخسران

١٠٤٣ هـ

والتاريخ فى القطعة الأولى مغاير للتاريخ فى القطعتين الأخيرتين والفرق قليل لا يتجاوز بضع سنوات . وربما كان سببه اختلاف الاعتبارات فى حساب بعض الكلمات أو أن الحادثة تكررت ويكون السوء أصاب مصر مرتين أصابها سنة ٣٤ و ٤٣ وبينهما تسع سنوات وكلمة (نحاس) مضبوطة بالشكل بضم النون وفتح الحاء غير المشددة . ومن معانى النحاس الدخان وبه فسر النحاس فى آية (يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس) فهل كانت الكارثة التى نزلت بمصر فى ذلك الزمن شيئاً من هذا القبيل ؟ بيد أن الشاعر قال (نحاس كأحجار على مصر أمطرا) فجعل النحاس كالأحجار ، أو لعله يريد بالنحاس قنابل مدافع من نحاس محشوة بأحجار . وفى دار الكتب المصرية ست نسخ مخطوطة من كتاب التنوير المذكور فقلت فى نفسى لعل نسختى نقلها ناسخها من إحدى هذه النسخ فيكون خبر (النحاس كالأحجار) مثبتاً فى آخرها فراجعتها فلم أجد أثراً فيها . وراجعنا بمعونة موظفى دار الكتب بعض كتب التاريخ التى وصلت فى تدوين الحوادث إلى سنتى ١٠٣٤ و ١٠٤٣ فلم نجد بينها أثراً للخبر العجيب المذكور .

فنحن نروى لقراء الرسالة هذا الخبر على علاته ، ونصه على زلاته ، فلعل فيهم من يسعفنا باليقين من أمره فنكون له من الشاكرين .

عبد القادر المغربى
عضو المجمع

الأبيوردى

تساءل الأستاذ الجليل محمد إسعاف النشاشيبى فى مقاله بعدد « الرسالة » الماضى عن « إرشاد الأريب » عند ذكر قصيدة الأبيوردى الماوى التى قالها عند استيلاء الفرنج على بيت المقدس سنة ٤٩٢ هـ تساءل فى بعض حواشى المقال : هل نظم الأبيوردى القصيدة وهو صغير أم نظمها بعد ذلك التاريخ ، ويرجع تساؤل الأستاذ الجليل إلى اعتماده رواية ابن خلكان أنه مات سنة ٥٥٧ هـ وللاستاذ الجليل الحق فى هذا التساؤل لأن المدة حينئذ بين نظم القصيدة وبين الوفاة هى خمس وستون سنة ... وأقول : — لعل الحق أن وفاته كانت سنة ٥٠٧ هـ لا سنة ٥٥٧ هـ كما فى بغية الوعاة صفحة ١٦ والدليل الذى لا يتطرق إليـه الشك على صحة

هذا التاريخ أن السيوطى ذكر نقلا عن السلفى أن الأبيوردى « أحضر عند السلطان أبى شجاع محمد بن ملك شاه تشخيصاً وهو على سرير ملكه فارتعد ووقع ميتاً وذلك يوم الخميس بين الظهر والعصر العشرين من شهر ربيع الأول سنة سبعة وخمسمائة » وإذا علمنا أن هذا السلطان توفى سنة ٥١١ هـ كما فى تاريخ آل سلجوق للعماد الأصفهانى صفحة ١٠٨ بين لنا وجه الحق فى وفاة الأبيوردى العظيم ...

جعفر محمد

الجانب الالهى من التفكير الاسلامي للدكتور محمد البهى

من الجوانب الفكرية التى لا تزال يتغشاها كثير من الضباب؛ ذلك الجانب الفلسفى من التراث الإسلامى ؛ ومبعث الاختلاف هو : هل هذا اللون من التفكير ؛ وليد العقلية الإسلامية ؛ وبين أحضانها درج ؛ وفى بيئتها شب وترعرع ؛ أم هو ربيب بيئة أخرى لا صلة لها بهذه البيئة ؛ وإن كانت تلك البيئة قد آوته فى كنفها حينا ؛ فطبعها بطابعه ؛ كما خلعت عليه هى أيضاً بعض شياتها ؛ فموقف المؤرخ لهذه الظاهرة العقلية الإسلامية ؛ موقف دقيق يحيط به الغموض ؛ ويحتاج إلى منطق متئد ، وفكر ثاقب ؛ حتى يتسنى له أن يرد كل فكرة إلى مصدرها ، وأن يحرص على أن يظل بمنأى عن التورط والانغماس فيما يلبس عليه الحجة ؛ ويجره إلى التحزب والمشايعة ؛ وقد استطاع الدكتور محمد البهى أن يحتفظ بموقفه بعيداً معتصما بكنف البحث العلمى الذى يرد عنه عوادى الأهواء ، ويقيه مزلة الانزلاق ؛ فخرج البحث عن أن يكون رواية للمشاكل الآلهية كما تركها المسلمون ؛ وصح أن يعد تاريخاً للتفكير الإسلامى الألهى ؛ يبين قيمة العمل العقلى للمسلمين فى الناحية الإلهية من حيث هو فى ذاته ؛ وأثره فى تطور العقيدة باعتبار أنها شىء قام على أسلوب الدين ؛ وعلى ما لطبيعته من خصائص . وهذا البحث يقع فى قسمين : الأول يصور الفكر الاسلامى فى مرحلة عزلته ، والقسم الآخر يصوره بعد اختلاطه بالثقافات الأخرى . فالمرحلة الأولى تتناول تاريخ الجانب الألهى من التفكير الإسلامى ؛ وهى مرحلة العزلة ؛ ويعنى بها ما كان تفكيرها عربياً محضاً لم يشتبك بعد فيها مع تفكير آخر غير عربى ؛ ثم يعرض لموضوع التفكير فى هذه المرحلة وهو — الله — فالله باعتبار ذاته ؛ وباعتبار علاقته كخالق للمخلوقات ؛ وباعتبار علاقته بالإنسان ؛ كان المحور الذى تركزت حوله الدعوة المحمدية كما عرفها القرآن ؛ وعوامل التفكير التى نلتمسها أولا وبالذات فى الخلاف والتصدع الذى طرأ على الجماعة الإسلامية بعد وفاة الرسول ؛ والمرحلة الثانية هى تدفق الثقافات الأجنبية فى القرن الثامن الهجرى ؛ ولهذه الثقافة غير الإسلامية مصدران : شرقى . وهو ما قام حول الديانات وخصوصا اليهودية والمسيحية وشروحها ؛ وغربى وهو الفلسفة الإغريقية . ثم تكلم المؤلف عن طريق الترجمة وأسبابها ؛ وسبب ترجمة المنطق ؛ والفلسفة الإلهية ؛ والأخلاقية والنفسية ؛ وأشهر الكتب المترجمة ؛ والكتب المزيفة ؛ ومقياس الصحيح والزائف ؛ وأسباب التزييف ؛ تناول كل هذا تناول الفاهم الملم ؛ الهاضم لموضوعه ؛ فسد ثغرة كانت لا تزال غير محكمة السد فى هذا الجانب الفلسفى من التفكير الإسلامى .

محمد عبد الحليم أبو زيد

تصويب :

جاء فى مقال (الدعوة إلى الخير) المنشور فى العدد ٦٥٦ من الرسالة بعض الأخطاء المطبعية ، نذكرها ونصححها فيما يلى :

(ا) لعن الله الذين كفروا من بنى إسرائيل — صوابها : لُعِن الذين كفروا ... الخ .

(ب) ومن شنئ الفاسقين وغضب الله — صوابها : وغضب لله

الخطيب



من ذكريات الشباب
اجترار

للأستاذ حبيب الزحلاوى

(تتمة)

— ٥ —

تلبس القصة الواقعية ، فى بعض الحين ، ثياب الأسطورة الخرافية وتبذها فى الغرابة ، وكثيراً ما يحار العقل فى تحليل وقائعها فينسبها إلى المصادفة والإتفاق ، فإذا أعيته الحيل وعجز عن بلوغ الحقيقة المادية لجأ إلى القول بالقدرية والأسرار المجهولة ، وأخيراً يعترف اعتراف المستسلم بالعناية الإلهية وهى قدرة فوق طاقة العقل الأنسانى تحده عن إدراك الغاية الإلهية من صنع العجائب والخوارق والمعجزات

وحكايتى أيها الأصدقاء فيها الأعجوبة الخارقة ، والأسطورة الخرافية الحية ، والواقعة المادية

كنا عشرين رجلا ، منا الطبيب والجراح والمساعد والصيدلى فضلا عن الأتباع ، وكان عددهم يناهز الثمانين ، وقد انتحينا ناحية فى مؤخرة الجيش فى ميدان القتال اتخذناها مستشفى للاعمال الجراحية والإسعافات الطبية ، وكان كلما تقدم المحاربون من رجالنا تأتينا النقالات حاملة الجرحى فنضمد البسيط منها ونقطع الرأى فى الأمور الخطيرة التى تتطلب السرعة

تقدم جنودنا تقدماً محسوساً أدركنا مداه من الدوى الذى كان يصل إلى أسماعنا مخنوقاً خافتاً حتى حسبنا أننا انقطعنا عن الجيش لم نأبه لتقدم الجيش لأن حاملى المحفات لم يشكوا من طول الشقة الفاصلة بيننا وبينهم ، وبينما نحن فى مكاننا ذاك تستغرقنا أعمالنا إذا بالدوى قد عاد ، وإذا بصفير الرصاص وقرقعة القنابل وجلبة القتال كأنها استردت نشاطها الحى ، وأخذت المدافع تقصف وترعد وبدت كراتها تشق الفضاء وتمزقه تمزيقاً ولكنها كانت بجانب الإتجاه السوى

لفت نظر زميل طبيب الى تحول المعركة من الجبهة إلى الجناح فأجابنى إجابة تهكمية أسكتتنى ، كان زميلى المتهكم ذاك ، سبط القوام ، عريض الألواح ، بديناً يحسن السخرية والتندر . لقد أحس ذلك الزميل مبلغ ألمى من تهكمه فتقدم منى يلاطفنى ويطيب خاطرى

فى تلك اللحظة سقطت قذيفة بالقرب منا ، أقول سقطت ، لأن المجاجة التى أثارتها ، والرجال الذين تركوا منا فانقلبوا على الأرض ، والحصى والحجارة والأتربة وقد عقدت سحابة داكنة فوقنا ، ثم تساقطت علينا جعلتنى أرجح سقوطها بالقرب منا

ألقيت جسمى بين يدى زميلى الطبيب البدين فاحتضننى كما تحتضن الأم ولدها ، ورأيتنى أتشبث به كصبى مقرور أو مرعوب

انفجرت القذيفة بعيدة عنا ، ولم أكد أنحى وجهى عن صدر زميلى حتى رأيت محفات جرحانا تطير فى الفضاء ، وأحسست بجسمينا تحملهما عاصفة شيطانية كأنها خرجت علينا بغتة من أودية الجحيم ففقدت الوعى !!

لست أدرى كم كان عدد الساعات أو الدقائق التى رحت فيها فى غيبوبة أحسبها تماثل راحة الموت... ولكنى تنبهت على معالجة إخراج وجهى من حمأة كادت تكتم أنفاسى

الحمأة لزجة كريهة الرائحة ، وجفونى مقفلة بإحكام ... أجفلت من نفسى ... حاولت التخلص مما أنا فيه لأتبين حالى على حقيقته فإذا ركبتاى لا تسعفاننى بالنهوض وساعداى غريقان فى بركة من دم ولحم

دم ولحم ؟!! صورة مفزعة وثبت إلى ذهنى فكدت أجن ، أخذت أنزع يدى كأنى ملسوع ، رفعت أصابعى إلى جفونى ... رفعت أصابع ملطخة تنقذ جفوناً ملطخة ؟! حاولت مجتهداً الإبتعاد عن بركة أنا الغريق فيها ، لأنى ما كدت أنقلب على ظهرى حتى أحسست أنى أتوسد أرضاً مرملة ... استعنت بالرمل على تنظيف

يدى فكانتا تتلطخان من جديد ؟! هل هما مجروحتان ؟ لا أحس ألم جراح ولكننى أشم رائحة الدم ... عدت إلى أصابعى أمسحها بالرمل ، وإلى أهداب جفونى أغسلها بلعابى ، كنت حتى تلك الساعة أجهل أن الدم كريه الطعم كريه الرائحة ، ولكن لا مناص من إنقاذ جفونى من التصاق أهدابها حتى أرى على أى حال أنا وفى أى بقعة من الوجود أكون ، وهل من وسيلة إلى تضميد جراحى ؟ وهل هى تنزّ وتتفصد ، ولم يجل فى خاطرى أنى كنت ميتاً ولا فى حالة قريبة من الموت بل كانت دوافع الحياة تدفعنى إلى الكفاح للنجاة مما أنا فيه

انفتح جانب من طرف إحدى عينى فاندفع النور فيها أو كأن النور انبثق من هذا الجانب !!! حاولت الجلوس فإذا بركبتى تشعراننى بألم محتمل ، طأطأت رأسى وأخذت أفتح ثغرات أخرى فى أهدابى

ها أنذا أرى الحياة من جديد !!

شمس ساطعة ، وسماء صافية ، وصحراء هادئة ساجية ، كأن ليس عليها سواى أنا المهشم المجروح وهذه الجثة المهروسة التى كنت غريقاً فيها ، جثة مهروسة حقاً أنا هرستها بجسمى فآويت إلى أحشائها أتقى الموت فحملت عبئه وحدها وأنقذتنى ، جثة انسان ضخم الجسم غرقت فيها من شدة ضغط القنبلة المعادية ولم تكن غير جثة زميلى الطبيب المفراح المزّاح

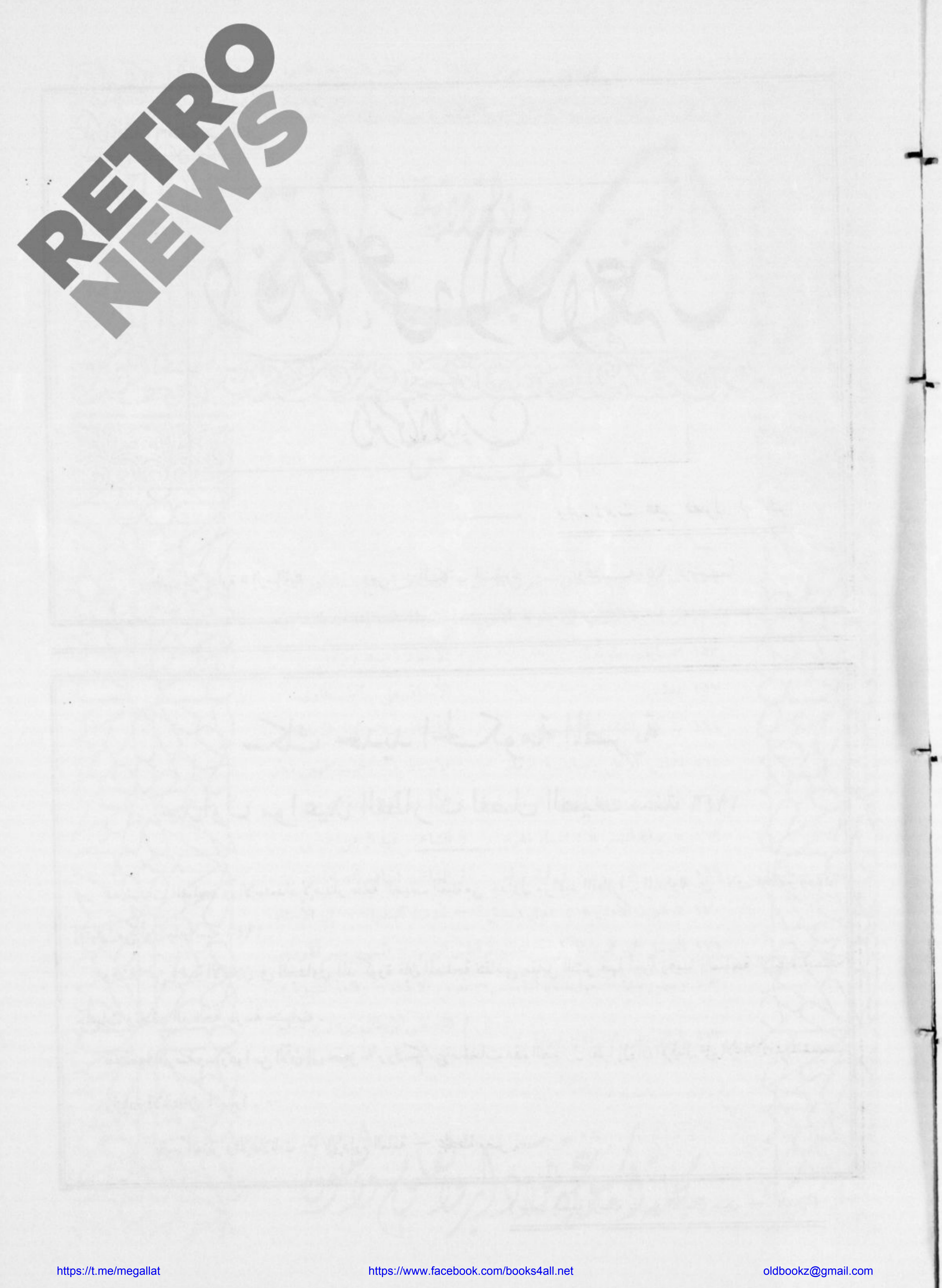
فى تلك اللحظة التى تبينت فيها جثة زميلى وتحققت أنه الميت وأنا الحى ، فى تلك اللحظة جمد ذهنى ، وركد تفكيرى ... كنت أنظر فلا أرى ، وأعى فكأنى لا أعى ! كانت صورة جثة زميلى المهروسة ماثلة أمامى ، أرى الأحشاء مندلقة بشكل تنفر منه العين وتتقزز منه النفس ، وأشم رائحة نتنة هى رائحة الإنسان !!

لازمنى ذهول مركز ، كنت أرى فرق الجيش تمر بى من بعيد ، وثاب الىّ رشدى ساعة أقبل رسل الإنسانية فحملونى على محفة إلى المستشفى .

* * *

ساد المجلس صمت ... أما أنا ، فلم أكد أهم بحكاية أخرى من وقائعى حتى شعرت كأن رفاقى يستمهلوننى بل يستوقفوننى وقال لى أذلقهم لساناً ، عليك أنت أن تدون حكاياتنا ولا عليك أن تبتدع لنا حكايات ، يكفيك أنك ألهبت شعورنا الوطنى وإحساسنا القومى بما كنت تكتب وتنشر على زعم أنه مقتبس أو مستمد من أرواح الزعماء ، فالزعماء يا صاحبى أرواح لا يفهمها الشعب ، وإن ميعاد عظمة الزعيم رهينة بلبس ثياب الأسطورة ليصير خرافة لا حقيقة ، وفى مقدرته على إنارة هالة قدسية حوله تجعل الشعب يؤمن به ، فهو فى كل أمم الشرق مجموعة من شخوص متحركة يعرفها جيداً كل زعماء الشرق ، يعرفونها جيداً لأنها شخوص مثلهم تتحرك بدوافع غير منظورة لا يراها الشعب ولا يعرفها ... كنا يا صاحبى ذلك المجتر ، شعب وزعماء !

حبيب الزحلاوى


RETRO
NEWS

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)





الفهرس

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ٦٥٨ — الاثنين ١١ فبراير ١٩٤٦ — السنة الرابعة عشرة



الفهرس

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

14 me Année No. 658

Lundi —11—2—1946

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون
ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٦٥٨ « القاهرة فى يوم الإثنين ٩ ربيع الأول سنة ١٣٦٥ — ١١ فبراير سنة ١٩٤٦ » السنة الرابعة عشرة

شـــــئون عربية

فلسطين — شرقي الأردن

للأستاذ ابرهيم عبد القادر المازنى

لا ندرى كيف نعلل سماح الحكومة البريطانية لليهود بأن يهاجر منهم إلى فلسطين ألف وخمسمائة كل شهر حتى تقدم لجنة التحقيق البريطانية الإنجليزية اقتراحاتها أوتوصياتها ، وهى مكلفة أن تفعل ذلك فى أربعة أشهر .

فقد نقضت عهدها الصريح فى الكتاب الأبيض أن لايباح ليهودى أن يهاجر إلى فلسطين بعد انقضاء السنوات الخمس — وقد انقضت — ودخول العدد المنصوص عليه فى الكتاب ، وهو خمسة وسبعون ألفاً ، وقد دخلوا — إلا بإذن العرب وموافقتهم ، وقد أبى العرب كل الإباء أن يأذنوا ويوافقوا .

ولسنا نظن أن أحداً سيزعم أن الحكومة البريطانية جنبت أى خير بنقضها هذا العهد . فإن ستة آلاف يؤذن لهم فى الهجرة إلى فلسطين فى أربعة شهور رقم ضئيل لا يرضى اليهود أو يقنعهم ، ولا يتألفهم من نفرتهم ، ولا يسكن من ثائرتهم على بريطانيا ، ولا يغريهم بالكف عن قتل أبنائها فى بلاد فلسطين . وإذا قيل إنها فعلت ذلك مجاملة منها للرئيس ترومان ، قلنا : وما ستة آلاف ، وقد كان يطلب السماح لمائة ألف بالدخول ؟ وأين المجاملة

وقد مضى على طلبه هـذا شهور وشهور ألفت فى خلالها لجنة التحقيق وشرعت فى أداء ما وُكل إليها ؟ ومثل هذا يقال عما يزعمه البعض من أنها أرادت أن تظهر للكنغرس الأمريكى أن هواها مع اليهود ، وآية ذلك أنها نقضت الكتاب الأبيض بهذه الهجرة الجديدة ، وأول الغيث قطر كما يقولون . وبها حاجة إلى رضى الكنغرس الأمريكى ، حتى لا يرفض القرض الذى عقد لها فى أمريكا .

فلا هى أرضت اليهود ، ولا هى أحسنت المجاملة ، ولا أقنعت الكنغرس ، وكل ما كسبته بهذا النكث أنها أثبتت لليهود أنها ضعيفة ، وأنها توسعهم حلماً ولينا كلما أوسعوها عدواناً وأسرفوا فى تقتيل رجالها .

وأثبتت للعرب أنها لا وفاء لها ولا عهد . فما حاسنها أحد محاسنة العرب ، وعاونوها أصدق معاونة فى أيام الحرب ، ولو شاءوا وكان ذلك فى طباعهم لغدروا بها واغتنموا فرصة الحرب ، فأقلقوها وأزعجوها ، وكانوا شوكة فى جنبها ، وإنها لتعرف بالتجربة ، فى ثورتهم ، أنهم لا يخافون البطش ، ولا يهابون القوة ولا يروعهم البأس ، إذا صمموا! وألقوا عزمهم بين أعينهم ، ولكنهم آثروا الوفاء لها فى محنتها وكانوا كراماً ، وهذا جزاؤهم! يضربها اليهود بسلاحها الذى يسرقونه من مخازن قواتها ، وينسفون منشآتها ، ويقتلون رجالها ، ويستخفون بقوتها أيما استخفاف ، فتربت لهم على ظهورهم وتقول لهم : تعالوا ادخلوا على بركة الله !

وكانت أيام ثورة العرب عليها قبل هذه الحرب ، إذا عثر رجالها على بندقية قديمة بالية نيست أجدى على صاحبها من سيف أبي حية النميرى تشنق الرجل ، وتفرض الغرامات الفادحة على القرية ، وتفعل الأفاعيل المنكرة !

ومن الغريب أنها تسوغ السماح بهذه الهجرة الجديدة بأن عليها تبعات تفرضها عليها شروط الانتداب ما دام قائماً . كأن الحكومة البريطانية التى أصدرت الكتاب الأبيض كانت تجهل شروط الانتداب حين قررت أن تنقطع الهجرة الصهيونية بعد السنوات الخمس إلا بإذن العرب ! أو كأن شروط الانتداب لا تنص صراحة على اجتناب أى عمل يضر بأهل البلاد الأصليين أى العرب !

ومن الغريب كذلك أنها تقول فى البلاغ الذى أذاعته فى هذا الصدد إن « المداولات » مع العرب طالت ، والذى نعرفه أنها لم تطل ، فقد رفض العرب أن يوافقوا على هـذه الهجرة الجديدة ، وكانوا على حق فى رفضهم ، فإنها بلادهم ، ولهم أن يأبوا أن يدخلها من لا يأمنون جانبه ولا يطمئنون إليه ، بل من يخافون شره . وطبيعى أن يرفضوا دخول يهود آخرين لئلا يصبح اليهود هم الكثرة ، فيؤول أمر البلاد إليهم ، ويصبح العرب قلة وغرباء فى أرضهم . ثم إن الكتاب الأبيض الإنجليزى نفسه يخول لهم الحق فى القبول أو الرفض ، ويجعلهم أصحاب الرأى والقول الفصل فى ذلك ، وقد رفضوا بحقهم ، فكان على بريطانيا أن تحترم ما ذهبوا إليه ، وأن تحترم عهدها هى نفسها . فأما وهى لم تفعل ، فمن ذا الذى يسعه أن يثق بعهد جديد لها ، أو يطمئن إلى لجنة التحقيق وقد بدا من بريطانيا هذا الهوى ؟

وقد أعلنت الحكومة البريطانية أنها ستعترف قريباً باستقلال شرق الأردن ، وكان تحت الانتداب تبعاً لفلسطين ، وسيسافر صاحب السمو الأمير عبد الله أمير شرق الأردن إلى لندن للاتفاق على الشروط التى يتم بها الاعتراف باستقلال إمارته ، وسينادى سموه بنفسه ملكاً بعد ذلك على الأرجح ، فما يبقى بعد الاعتراف لبلاده بالاستقلال ما يحول دون اتخاذه أى لقب يشاء بإرادته الحرة .

ولا ريب أن الاعتراف باستقلال شرق الأردن سيكون خطوة لها ما بعدها ، وقد يعنى — أو لا يعنى — بريطانيا من العون المالى الذى تبذله له كل عام ، فإنه بلد فقير إلى الآن ، وقليل عديده ، وإن كان من أطيب البلاد وأكثرها كنوزاً ، وسيحول استقلال شرق الأردن دون امتداد الصهيونية إليه ودخولها فيه ، وكان ذلك مطمعها ، وقد سخطت ونقمت لما أذيع الوعد بالاستقلال ، وعدت هذا غدراً من بريطانيا بالصهيونية ، لأن الصهيونية تعد البلاد العربية كلها والشرق الأوسط أجمعه مجالاً حيوياً لها ، كما كان « هتلر » يعد شرق أوربه وشرقها الجنوبى مجالاً حيوياً له أو للرايخ . على أنى لا أظن إلا أن هتلر كان تلميذاً لليهود ، فقد أخذ عنهم « العنصرية » وأسرف فيها كاسرافهم الذى كلف العالم — ويكلف العرب الآن — شططاً .

ونحن نعرف معنى الاستقلال فى معجم السياسة البريطانية ، وما يحتاج الاعتراف باستقلال بلد ما ، إلى شروط ، فإذا احتاج فالشروط ولا شك قيود ، وتدلنا التجربة على أن بريطانيا قد أعدت لاستقلال شرق الأردن شروطاً تجعل لها نفوذاً فيه وسلطاناً عليه ، وتخولها اتخاذ مطارات — على الأقل — فى أرضه ، على نحو ما صنعت فى العراق . وبهذه الشروط — كائنة ما كانت ، وفى أى قالب صُبّت — يدخل شرق الأردن فى منطقة النفوذ البريطانى .

ومثل هذا الاستقلال لا يعد تاماً ، ولا حقيقياً ، ولا وطيداً ، وقد رأينا ما آل إليه استقلال العراق واستقلال مصر ، وعرفنا حقيقة الأمر فى البلدين ، ولن يكون شرق الأردن أجزل حظاً ، فإن الاستقلال « يؤخذ ولا يُعطى » كما قال المرحوم الملك فيصل فى خطبة له بالشام بعد أن دخلها فى أخريات الحرب العالمية الأولى على رأس الجيش العربى ، فإذا أُعطى فهـو منحة ، والمنحة تكون بقدر .

ولكن هذا الاعتراف سيكون خطوة على كل حال ، لها ما بعدها كما أسلفنا ، وبه يستفيد البلد قدراً من الحرية تتيح له أن يتجه وجهته إلى حد ما ، وتشجعه على الأمل والتطلع والسعى، وتغير ما به تغييراً غير هين ، ومن المحال بعد أن ينعم بهذا القدر من الحرية أن يُسلبه ، بل الطبيعى أن يتسع النطاق ، فتتصدع القيود شيئاً فشيئاً على الأيام . وتلك سنة الحياة ، فلا وقوف ولا رجوع . وهل تكف الأيام عن الدوران ، وسن الإنسان الحى

عن الارتفاع ؟ أو هل تكر الكهولة راجعة إلى الشباب الذى ولى عهده ، أو الطفولة التى تقضى أوانها ؟ كذلك الأمم لاوقوف فى حياتها ولا رجوع ، حتى تستنفد حيويتها ويبلغ أجلها مداه ، كما يبلغ أجل الفرد مداه ، وكل ما هنالك من الفرق أنها لا تفنى فناء الفرد ، بل يدركها ما نسميه الانحطاط ، وليس يحفظها من الانقراض إلا دخول دماء جديدة فيها ، فتصبح وكأنها تسربت فى غيرها وغابت فيه ، لأن هذا الغير أقوى وأزخر حيوية ، فإذا لم يتح لها ذلك بادت كما بادت القرون الخالية .

من أجل هذا نؤثر أن نستبشر بالاعتراف القريب باستقلال شرق الأردن ، ويسرنا أن الله قد حقق لصاحب السمو الأمير عبد الله ما كان مأربه من أول يوم دخل فيه هذا البلد الطيب ، فما دخله ليضعه تحت الانتداب البريطانى ، بل ليستقل به ويكون ملكا عليه حراً فيه ، غير أن المقادير جرت بخلاف ذلك ، فالآن تم له ما أراد ، أو بعضه ، فله منا التهنئة ، والرجاء المخلص أن يرى فى هـذا ما يغنيه عن التفكير فى « سورية الكبرى » ، فإن نجاح المسعى إذا اتجه إلى العراق ، أقرب منه إذا اتجه إلى سورية . والله أعلم ، وهو الموفق .

ابرهيم عبد القادر المازنى

فى إرشـــاد الأريب

إلى معرفة الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبى

— ٢٦ —

ج ٦ ص ٢١٠ : قال أبو حيان : قال الصاحب بن عباد لأبى واقد الكرابيسى :

يا هذا ، ما مذهبك ؟ قال مذهبى أن لا أقر على الضيم ، ولا أنام على الهَـوْن ، ولا أعطى عصمتى لمن لم يكن ولى نعمتى ، ولم تصل عصمته بعصمتى . قال : هذا مذهب حسن ، ومن ذا الذى يأتى الضيم طائعاً ، ويركب الهـون سامياً ؟ ولكن ما نحلتك التى تنصرها ؟ قال : نحلتى مطوية فى صدرى ، لا أتقرب بها إلى مخلوق ، ولا أنادى عليها فى سوق ، ولا أعرضها على شاك ، ولا أجادل فيهـا المؤمن . قال : فما تقول فى القرآن ؟ قال : ما أقول فى كلام رب العالمين الذى يعجز عنه الخلق إذا أرادوا الاطلاع على غيبه ، وبحثوا عن خافى سره وعجائب حكمتـه ، فكيف إذا حاولوا مقابلته بمثله ، وليس له مثل مظنون فضلا[1] عن مثل متيقن . فقال له ابن عباد : صدقت . ولكن أمخلوق أم غير مخلوق ؟ فقال : إن كان مخلوقاً كما يزعم خصمك فما يضرك ، فقال : يا هذا ، أبهذا تناظر فى دين الله ، وتقوم على عبادة الله ؟

قلت : ضبطت (الهون) فى (لا أنام على الهون) (ويركب الهون سامياً) بالفتح وإنما هى بالضم . فى الصحاح : الهون بالضم الهوان ، وفى الكشاف فى تفسير (أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب) : على هون على هوان وذل ، وقرئ على هوان . وقال فى تفسير (اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق) : الهون الهوان الشديد ، وإضافة العذاب إليه كقولك: رجل سوء ، يريد العراقة فى الهوان والتمكن فيه .

و (الهون) بالفتح : السكينة والوقار كما فى الصحاح . وفى الكشاف فى تفسير (وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما) : الهون الرفق واللين[2] .

(ولا أعطى عصمتى لمن لم يكن ولى نعمتى) هى (ولا أعطى عصمتى) أى قيادى وزمامى . فى التاج : قال محمد بن نشوان الحميرى فى (ضياء الحلوم) : أصل العصمة السبب والحبل . وفى اللسان أصل العصمة الحبل وكل ما أمسك شيئاً فقد عصمه .

---

(١) قلت : قال العلامة الفيومى فى مصباحه : قال شيخنا أبو حيان الأندلسى نزيل مصر المحروسة أبقاه الله تعالى : لم أظفر بنص على أن مثل هذا التركيب (لا يملك درهما فضلا عن دينار) من كلام العرب .

قلت : هو تركيب مولد صالح ، وهو فى كلام أئمة فى نثر وفى شعر ، قال أبو تمام فى قصيدة يهنىء الواثق ويعزيه بأبيه المعتصم :

لو يقدرون مشوا على وجناتهم ... وعيونهم فضلا عن الاقدام

(٢) المعنى أنهم يمشون بسكينة ووقار ، ولا يضربون بأقدامهم ، ولا يخفقون بنعالهم أشرا وبطرا ، ولذلك كره بعض العلماء الركوب فى الأسواق والمراد بالجهل السفه وقلة الأدب وسوء الرعة ، وعن أبى العالية : نسختها آية القتال . ولا حاجة إلى ذلك ، لأن الاغضاء عن السفهاء وترك المقابلة مستحسن فى الأدب والمروءة والشريعة وأسلم للعرض والورع (الكشاف) الرعة : الطريقة ، السيرة .

(إن كان مخلوقاً كما يزعم خصمك) هى (إن كان غير مخلوق كما يزعم خصمك) لأن (القدم) قول خصمه و (الخلق) قول الصاحب ومن تمذهب بمذهبه. وفيه يقول أبو محمد الخازن فى إحدى قصائده:

أرى الأقاليم قد ألقت مقالدها ... إليه مستبقات أى إلقــاء
فســاس سبعتها منه بأربعة ... أمر ونهى وتثبيت وإمضاء
كذاك (توحيده) ألوى بأربعة ... كفر وجبر وتشبيه وإرجاء[1]

« والمعتزلة — كما فى شرح المواقف — لقبوا أنفسهم بأصحاب العدل والتوحيد وذلك لقولهم بوجوب الأصلح ونفى الصفات القديمة يعنى أنهم قالوا: يجب على الله ما هو الأصلح لعباده ويجب أيضاً ثواب المطيع فهو لايخل بما هو واجب عليه أصلا، وجعلوا هذا عدلا، وقالوا أيضاً بنفى الصفات الحقيقية القديمة القائمة بذاته تعالى احترازاً عن إثبات قدماء متعددة وجعلوا هذا توحيداً » .

فى (الفرق بين الفرق): « وكلهم (أى فرق المعتزلة) يزعمون أن كلام الله عز وجل حادث، وأكثرهم يسمون كلامه مخلوقاً ».

فى (مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين): «قالت المعتزلة والخوارج وأكثر الزيدية والمرجئة وكثير من الرافضة إن القرآن كلام الله سبحانه وإنه مخلوق لله لم يكن ثم كان ... وحكى عن ابن الماجشون أن نصف القرآن مخلوق، ونصفه غير مخلوق، وحكى محمد بن شجاع أن فرقة قالت: إن القرآن هو الخالق، وأن فرقة قالت هو بعضه، وأن فرقة قالت: إن الله بعض القرآن وذهب إلى أنه مسمى فيه، فلما كان اسم الله فى القرآن، والاسم هو المسمى كان الله فى القرآن » .

قلت: روى ياقوت فى معجم البلدان عن كتاب لمسعر بن مهلهل فى ذكر ما شاهده فى بلاد الترك والصين والهند أن« قبيلة تعرف بالبغراج لهم أسبلة بغير لحى يعملون بالسلاح عملا حسناً فرساناً ورجالة، ولهم ملك عظيم الشأن يذكر أنه علوى وأنه من ولد يحيى بن زيد، وعنده مصحف مذهب، على ظهره أبيات شعر رثى بها زيد، وهم يعبدون ذلك المصحف[2].

(١) قال الثعالبي فى اليتيمة: لما قال هذا جعل الصاحب يحرك رأس مستحسن.

(٢) وفى هذا الكتاب: وزيد عندهم ملك العرب، وعلى بن أبي طالب رضي الله عنه عندهم إله العرب، لا يملكون عليهم أحدا إلا من ولد ذلك العلوى، وإذا استقبلوا السماء فتحوا أفواههم، وشخصوا أبصارهم إليها =

والزمخشرى يقول فى ديباجة الكشاف: « الحمد لله الذى أنزل القرآن كلاماً مؤلفاً منظماً، ونزله بحسب المصالح منجماً، وجعله بالتحميد مفتتحاً وبالاستعاذة مختتماً، وأوحاه على قسمين متشابهاً ومحكماً، وفصله سوراً وسوره آيات، وميز بينهن بفصول وغايات. وما هى إلا صفات مبتدأ مبتدع، وسمات منشأ مخترع. فسبحان من استأثر بالأولية والقدم، ووسم كل شىء سواه بالحدوث عن العدم » .

قال السيد الجرجانى فى حاشيته: «يروى أنه وقع فى أم النسخ (نسخ الكشاف)[1] خلق مكان أنزل ثم غيره المصنف لأن كون القرآن حادثاً أمر شنيع عند الخصم فأراد أن يكتمه أولا ثم أن يظهره بعد سوق مقدمات مسلمة عنده، ومستلزمة للحدوث فى نفس الأمر، فإن ذلك أقوى فى استدراجه إلى التسليم من حيث لا يشعر به » .

وشاعرنا البحترى كان فى قوله فى القرآن يدور مع الدول... قال الإمام المرزبانى فى كتابه (الموشح):

أخبرنى محمد بن يحيى قال حدثنا ابراهيم بن عبد الله الكجى قال: قلت للبحترى: ويحك! أتقول فى قصيدتك التى مدحت بها أبا سعيد (أألاق صب من هوى فأفيقا):

يرمون خالقهم بأقبح فعلهم ... ويحرفون كلامه المخلوقا

أصرت قدرياً معتزلياً؟ فقال لى: كان هـذا دينى فى أيام الواثق، ثم نزعت عنه فى أيام المتوكل. فقلت له: يا أبا عبادة، هذا دين سوء يدور مع الدول ...

قلت: فى تعريفات الجرجانى: القدرية هم الذين يزعمون أن كل عبد خالق لفعله ولا يرون الكفر والمعاصى بتقدير الله.

وفى (شرح المقاصد): اتفقت المعتزلة ومن تابعهم من أهل الزيغ على أن العباد موجدون لأفعالهم مخترعون لها بقدرهم، واجترأ

= يقولون إن إله العرب ينزل منها ويصعد إليها، ومعجزة هؤلاء الذين يملكونهم عليهم من ولد زيد أنهم ذوو لحى، وأنهم قيام الأنوف، عيونهم واسعة ...

(١) ذكر ابن خلدون الكشاف فى فصلين من مقدمته فما قاله فى الأول: ومن أحسن ما اشتمل عليه هذا الفن — اللغة والاعراب والبلاغة — من التفاسير كتاب الكشاف للزمخشري إلا أن مؤلفه من أهل الاعتزال فى العقائد فيأتى بالحجاج على مذاهبهم الفاسدة. . فصار ذلك للمحققين من أهل السنة انحراف عنه ... مع إقرارهم برسوخ قدمه فيما يتعلق باللسان والبلاغة، وإذا كان الناظر فيه واقفا على المذاهب السنية فلا جرم أنه مأمون من غوائله فلتغتنم مطالعته لغرابة فنونه فى اللسان .

صحائف مطوية

الجنرال فيجان في سوريا ولبنان

للأستاذ أحمد رمزي

حينما اشتعلت نيران الحرب العالمية الثانية ، عين في سبتمبر ١٩٣٩ الجنرال فيجان القائد الفرنسي المعروف ، وصاحب الشهرة الذائعة في الحرب العالمية الأولى ١٩١٤—١٩١٨ على رأس جيش الشرق في ميدان البحر الأبيض المتوسط ، وقد حضر إلى بيروت وجعل عمارة كبيرة ذات عدة طبقات مركزاً لقيادته — وهي العمارة التي أصبحت بعد الاحتلال البريطاني مركزاً لبعثة الجنرال اسبيرز — فكأن المقادير قد ربطت هذا البناء بأكبر الحوادث التاريخية لسوريا ولبنان إذ اتخذت في حجراته أخطر القرارات وجرت فيه معظم المفاوضات التي غيرت الكثير من أوضاع البلدين

وكان الجنرال فيجان في نوفمبر ١٩٣٩ يقيم في قصر شاهق برأس بيروت تعرفه من مفرزة الجنود الجراكسة التي تتولى حراسته ليل نهار ، والتي كانت موضع انتقاد زميلين لي من ممثلي الدول الشرقية ، وقد حظيت بمقابلة الجنرال في مركز قيادته ، ودارت بيننا محادثات ، ففي المقابلة الأولى لقيته في صباح يوم من شهر نوفبر ، وكان قد تحدد موعدها قبل ذلك بيومين ، وقد أخذت الأهبة لهذا اللقاء لعلمي بمنزلة القائد التاريخية ، ولوثوق من شخصيته ونظرته النافذة ، ولذلك حرصت على أن أتحين الفرصة وأخرج من المقابلة الأولى ، وقد توطدت بعض الثقة بيننا ، أو شيء من العلاقة غير الرسمية ، أقصد التي يتخللها بعض الصراحة .

فكيف أعمل لذلك ؟

كان عليّ أن أستجمع كل معلوماتي وما بقي بالذاكرة من حوادث الحرب الماضية وتجاربها ودروسها ، فنها بعض ما قرأته في المؤلفات المختلفة وبعض ما سمعته بمعهد زوريخ ، ثم كان عليّ أن أراجع ما قرأته من مؤلفات الجنرال فيجان نفسه ، وأولها مؤلفه عن « حروب محمد علي » ، وهو كتاب معروف ومتداول ، ولم ينقصني سوى كتابه عن « تاريخ الجيش الفرنسي » ، وسرعان ما جبت المدينة باحثاً منقباً لدى باعة الكتب ، حتى حصلت على نسخة من هذا الكتاب ، فأمضيت ليلتين في تصفحه ، وقرأت المقدمة مرات ، وأخذت أتعرف على أسلوبه وطريقته في سرد الحوادث وشرح المعارك التي خاضتها فرنسا ؛ ولا تنس أن فيجان عضو في الأكاديمية الفرنسية ، فهو قائد وكاتب وأديب .

ولقد أفادني ذلك كثيراً : أولا لأني من ثنايا كتابته تعرفت على الجنرال ، ومن تقليب صفحات كتابه الأخير فهمت ميوله السياسية ، ولذلك شعرت بهدوء وثبات ، وكأني أعرف الجنرال معرفة أكيدة قديمة لما توجهت إلى مركز القيادة ، واستقبلني ياوره وصعد بي إلى الطابق الثاني ، وأدخلني إلى حجرة تطل على ناحية المدينة بعكس الجنرال اسبيرز الذي حينما احتل المكان كانت حجرته دائماً تطل على البحر ، ولما استأذن لي من الجنرال أدخلني إلى غرفة متسعة ، أول شيء لفت أنظاري هو أن حيطانها قد غطيت بالخرائط المفصلة : لأفريقية الشمالية إلى حدود مصر ،

المتأخرون فسموا العبد خالقاً على الحقيقة .

***

ج ١٩ ص ٣٩ : وقال ابن شرف القيرواني في وصف وادي عذراء بمدينة برجة من أعمال المريّة .

رياض غلائلها سندس توشت معاطفها بالزهر
مدامعها فوق خط الربا لها نظرة فتنت من نظر
وكل مكان بها جنة وكل طريق إليها سفر

وجاء في شرح (سفر) سفره وأسفره أضاء ، فلعله يريد أن الطريق إليها مضيء مشرق ، فإن هذا مناسب للشطر قبله وللمدح .

قلت : (المرية) بفتح الميم وكسر الراء مخففة كاضبط ياقوت ، وقد أورد مقطوعة في (معجم البلدان) لابن الحداد يقول فيها :

أخفي اشتياقي وما أطويه من أسف
على المرية والأنفاس تظهره

وصدر البيت الثاني (مدامعها فوق خدي ربا) وعجز البيت الثالث (وكل طريق إليها سقر) أي وعر صعب .

في النفح : وبمدينة برجة (وهي من أعمال المرية) معدن الرصاص ، وهي على واد مبهج يعرف بوادي عذراء ، وهو محدق بالأزهار والأشجار ، وتسمى برجة بهجة لبهجة منظرها ، وفيها يقول أبو الفضل بن شرف القيرواني : (رياض تعشقها سندس)

وأخرى لسوريا ولبنان مع الجزء الجنوبي لتركيا ، وفي مقابل المكتب خريطة كبرى لأوروبا الوسطى تظهر فيها بوضوح تام أراضي المجر والنمسا وتشيكوسلوفاكيا ، والجزء البلقاني الذي يبدأ من مقدونيا ، وفيه أراضي بلغاريا ويوجوسلافيا ، وقد ظهرت عليها التضاريس الأرضية وطرق المواصلات بمختلف الألوان . وقد أكثرت من ذكر الخرائط لأن الجنرال يحتاج دائماً إليها للتعبير عن آرائه إذا اتصلت بالناحية العسكرية ، وتتجه أنظاره باستمرار إليها في حديثه ، وأحياناً يشير بأصابعه إليها .

وكان أثاث الحجرة بسيطاً للغاية ، لدرجة أنه لا يرضى به موظف بسيط بإحدى المصالح إذا أعطى بعض ما يشبه الرئاسة في بلادنا مصر . وكان المكتب على شمال الداخل ، فما فتح الباب حتى خف الجنرال من أمام مكتبه مرحباً بي ، ولازمني حتى جلست على مقعد أمامه ، وعاد هو إلى مكتبه ، معتذراً بأن حالة الحرب لا تمكنه من الحصول على أثاث لائق .

وبعد تبادل العبارات المألوفة بدأ حديثه : بأنه ليس غريباً عن مصر ، إذ هو عضو بمجلس إدارة شركة قنال السويس ، وقد أتاحت له هذه العضوية رؤية بلادنا ، ثم هو مدعو قريباً لزيارتها بناء على طلب مجلس الحرب الأعلى للحلفاء لتقديم تقرير واف عن الحالة العسكرية وما يتطلبه الموقف الحربي إذا دخلت إيطاليا الحرب وقررت مهاجمة مصر .

أفادتني معلوماتي التي حصلت عليها بمطالعة ليلتين ، والتي أشرت إليها في إلقاء بعض الجمل والتعليقات التي جعلته يطمئن إلى نسبة فهم محدثه لبعض الأمور ، فاعتدل في مجلسه وأخذ يتحدث ببعض الإسهاب عن القوات التي تجمعت تحت قيادته في بلاد الشرق فقال : إن فرنسا لم تقصد من حشدها أن تدافع عن سوريا ولبنان ، لأن القوات المحتلة للبلدين تكفي لحفظ الأمن وتوطيد سلطتها ، ولرد كل عدوان يقع عليها ، وإنما القصد من تجمع هذه الوحدات أن تكون تحت تصرف مجلس الحلفاء الأعلى ، لترسل إلى الجهة التي يبدو الخطر فيها ، فهو كقائد لهذه المنطقة على رأس مجموعة جيوش فرنسية بينها قوات مؤلفة من البولونيين والتشيكوسلوفاكيين وغيرهم ممن لم تمكنهم الظروف أو لم تسمح لهم وسائل النقل من الالتحاق بوحداتهم الأصلية في بلدانهم .

وقال : إن هذه القوة منظمة تنظيماً تاماً ، وعددها يزيد كثيراً عما يعتقده الكثيرون ، بل هي دائمة الزيادة بفضل البواخر التي تنقل من فرنسا ومن مستعمراتها الرجال والعتاد .

وهنا اتجه الجنرال لجهة الخريطة الأوروبية وقال : إن حملة سلانيك في الحرب الماضية قد قصرت أجل الحرب وساهمت في النصر النهائي بتعجيل انهيار النمسا والمجر وبلغاريا ، وأعتقد أن مجموعة الجيوش التي تحت قيادتي قد تفتح جبهة ثانية في الميدان ؛ وأشار إلى سهول المجر المتسعة قائلا : إذا لم تدخل إيطاليا الحرب ولم يحدث شيء على الميدان الغربي ، فإن الحلفاء قد يضربون الألمان بفتح ثغرة من هذا المكان ضد ألمانيا ، وقد تكون ضربة حاسمة ، وذلك باعتمادهم على جيش الشرق حينما يتم تجمع وحشد قواته ومعداته . وتفهم طبعاً من حديثه هذا أنه قصد تطمين الحكومة المصرية وتمهيد زيارته القادمة لمصر .

وكنت أتلهف لمعرفة رأيه عن المدة التي قضاها في سورية ولبنان ، ولذلك أردت أن أنقل الحديث إلى ناحية تشير إلى الماضي ، فذكرت له المدة التي أقامها بهذه البلاد ، وأنها برغم قصرها لا يزال يذكرها الكثيرون — ففهم مرادي من هذه الناحية وقال : إن أصدقاءه يأتون إليه من كل جانب ، وأنه يحب هذه البلاد وأهلها ، وإن صلات فرنسا بها صلات قديمة راسخة .

والجنرال أقرب إلى القصر منه إلى الرجل المتوسط الطول ، يبدو لك في الخمسين من عمره ، وإن كان قد ترك الستين وأخذ يقترب من السبعين ، وهو دائم النشاط والحركة ، يظهر لي من حركاته أنه شديد الوطأة على معاونيه ، إذ يطلب درجة فوق المستوى اللاتيني من الضبط والربط ، وهذه الدرجة غير متوفرة في ذلك الوقت ، لأن جيوشه تنقصها المعسكرات والثكنات ، فهي في حكم المضطرة لمشاركة الأهالي في مساكنهم ، وناهيك بأثر ذلك في نفسية الجنود ومعنوياتهم وخضوعهم لأنظمة الجيوش . ولما كان غالب هذه الفرق قد وصل من أفريقيا الشمالية ، وأكثر من الجنود الملونة من أهالي المستعمرات والسنغال والمغرب ، كان جل اعتمادها في النقل على الحيوان أو على عربات يجرها الحيوان ، فكانت أشبه شيء بالجنود التي زحف بها اللورد اللنبي عام ١٩١٧ على فلسطين وسوريا وحارب بها الأتراك .

كنا نعلم الكثير من هذا ، ولكن ثقتنا بالجنرال كانت كبيرة ولا حد لها ، خصوصاً في فنه وعبقريته . ولما استأذنت ، ودعني قائلا : إنه يسر أن يراني من وقت لآخر . ولم تعرض المرة الثانية إلا قبيل سفره إلى مصر في فبراير التالي ، إذ بدأت حديثاً معه ، فأشرت إلى الماريشال فوش ، وكان الجنرال رئيساً لأركان حربه ، وقلت : إنني أقف في كل مرة أزور الانفاليد بباريس أمام الخريطة الكبيرة التي كان يدير بها العمليات الحربية بالميدان الغربي ، وأعجب من عبقريته ، وأفضى بنا الحديث إلى معركة المارن وأثر فوش ، وإلى النظرية الفرنسية للحروب ، وعبقرية نابليون وإشادة فوش بها في دروسه بأكاديمية الحرب الفرنسية. وانتقلنا عرضاً إلى الديمقراطية ، وهي وإن بدت ضعيفة في الاستعداد الحربي ، إلا أن الكلمة الأخيرة لها ، لأنها ستكسب في النهاية المعركة الفاصلة .

وكان هذا الحديث الشائق يسير متواصلا إلى أن قطعه بأن أخذ يتحدث عن الجيش المصري فوجه إلى عدة أسئلة دقيقة مثل: من كم فرقة يؤلف جيشكم ؟ كم شهراً يأخذ التدريب الفني لجندي المشاة ؟ هل لديكم مدارس لضباط الصف ؟ ما هو التسليح الجديد والأنظمة الحديثة التي أدخلتها البعثة العسكرية البريطانية على جيشكم ؟ ما هي الوحدة الأساسية التي يبنى عليها التدريب لكي تدخل القتال مستقلة اللواء أم الفرقة ؟ هل لديكم سلاح للمهندسين بالجيش ؟ هل بوسع جيشكم أن يدخل الميدان أمام قوات منظمة على الحرب الحديثة ولصد هجوم جيوش أوروبية ؟ ما هو مستوى ضباط الأركان حرب عندكم ، وهل لديكم ضباط درسوا في دول غير بريطانيا ؟

كانت ترتكز حول بعض المبادئ العامة مما جعله يعتقد أنه أمام جندي في زي ملكي ، أما أنا فقد احترت كثيراً ، وكنت كمن فتح لنفسه باباً لا يقدر عليه ، ووقفت أسائل نفسي : هل أجيب على أسئلة الجنرال على الطريقة المعتادة لدينا ، وفي صحفنا وأنديتنا فأقول : إن جيشنا على تمام الأهبة والاستعداد لتلبية واجب الوطن ، وإن لدينا معدات كاملة ، وإن قوادنا من الدرجة الأولى في فنون الحرب والقتال ، بل إن منهم من وضع خطط الدفاع للصحراء الغربية . لا شك في أن قولي هذا لم يكن يقدم أو يؤخر ، ولكن أمامي قائد من كبار قواد فرنسا سوف يذهب بعد أيام إلى مصر ، وسيلتقي برجالنا وقوادنا ، وسيعرف بالضبط مقدار معلوماتهم ، وسوف يحادث رجال فرنسا عندنا ويقابل الجنرال ويفل والجنرال ويلسون وضباط البعثة البريطانية ، وسيقف على كل صغيرة وكبيرة . فوقفت متردداً ثم قلت : إن الجيش المصري يتطور بسرعة نحو استكمال أسلحته ، وسترى في مصر وتسمع الكثير عنه ، ولا شك أن الخطوات ثابتة . ويذكرني حديثكم عن أيام قضيتها بإيران ، والتقيت مرة بأفراد البعثة العسكرية الفرنسية المكلفين بتنظيم الجيش الإيراني ، فسمعت أحدهم يقول : « إن الحكومة الإيرانية تطلب منا أن نخرج لها ضباطاً صالحين للقيادة بعد دراسة لا تطول أكثر من سنتين ، ونحن في فرنسا نحتاج إلى عشرين عاماً لتهيئة وتكوين ضابط من ضباط الأركان حرب الذين تستطيع أن تعتمد عليهم الدولة في تحريك فرقة من الجنود وقيادتها في ميدان القتال » .

وهنا نظر إلى الجنرال طويلا وابتسم ، إذ في ذلك كل الإجابة على أسئلته المحرجة ، ولكني أردفت ذلك بقولي له : إن مواد العمل صالحة وجيدة ، وإن قوة احتمال الجنود وصبرهم من ميزات الجيش المصري ، بل هي أهم عوامل البناء التي يمكن الاعتماد عليها في إخراج جيش حديث يعيد بعض مواقف السلف في الماضي ، ولا شك أنكم كتبتم شيئاً من ذلك فارجعوا إلى ما أشرتم إليه في كتابكم

فهز رأسه موافقاً على ما قلت ، وافترقنا ، وبعد أسبوع من هذه المقابلة سافر الجنرال إلى القاهرة ، ولقي من السلطات المصرية والبريطانية كل ترحاب ، وأقيمت له المآدب وحفلات التكريم ، منها مأدبة رفعة على ماهر باشا التي أقامها على شرف الجنرال في فندق سميراميس ، وقد دعى إليها كثير من العظماء وأهل الرأى من العظماء وكبار ضباط الجيشين المصري والبريطاني ، وأدلى رفعته بحديث نقلته وكالات البرق قال فيه :

« إن مصر تغتبط باستقبال القائد العظيم وتقدر صفاته العسكرية الممتازة وماضيه المجيد وتحيي فيه ممثل فرنسا النبيلة » .

وأقيم له استعراض عسكري اشتركت فيه بعض الوحدات الميكانيكية من القوات البريطانية والمصرية والهندية ، وكان يرافقه

القائد البريطانى الجنرال ويفل أثناء العرض .

وتعود بى الذكرى هنا إلى عام ١٩٤٢ ، حينما تعددت مقابلاتى مع الجنرال كاترو الفرنسى ، وذلك بعد احتلال سوريا ولبنان ، وفى إبان المفاوضات التى انتهت بعودة الحياة الدستورية بالبلدين ، إذ أننى قابلته فى يوم ١٦ أكتوبر ١٩٤٢ ، وتناول الحديث مسائل متنوعة ، ولكنه صرح لى وقد قيدت ذلك فى حينه :

إنه كان حاضراً فى مجلس الحرب الأعلى للحلفاء فى باريس ، وذلك قبل خروج فرنسا من الحرب ، حينما عرض التقرير الذى وضعه الجنرال فيجان عن رحلته إلى مصر فى فبراير ١٩٤٠ وعن الحالة الحربية ، وأن الجنرال سجل إعجابه بالجنود المصريين وحسن استعدادهم للخدمة العسكرية ، واقترح وجوب زيادة الجيش المصرى ، كما أشار إلى ما يجنيه الحلفاء من الفائدة والمعونة إذا وقف بجانبهم جيش مصرى قوى ، وقد أخذ مجلس الحرب الأعلى بهذا الاقتراح ، وكان من ضمن القرارات التى وافق عليها .

وعاد الجنرال فيجان من مصر فبدأ رحلاته إلى الداخل ، وكثرت تنقلاته ، وكانت مقابلاته بعد ذلك عرضية ونادرة ، وأغلبها فى ميدان السباق ، ولكن توطدت مع معاونه الجنرال كايو ومع أركان حربه ومكتبه علاقات ودية ثابتة ، فما اتصلت بشىء لدى السلطات العسكرية عن طريق القيادة ، وإلا وأجيب طلبى أو رجائى فوراً ، أو كان محل اهتمامهم وتحرياتهم بعكس السلطات المدنية التى طالما تمهلت وتأخرت ، ثم ألقت أسباب عجزها على السلطات العسكرية ، ولقد كان ذلك موضع سمرنا فى المفوضية الفرنسية خصوصاً المكتب الدبلوماسى الذى إذا احتج بالعسكريين بادرتُ بأن أعلمه أننى مستعد للذهاب إليهم رأساً لإزالة ما نشكو منه ، وكان المكتب يعلم بما تقدمه السلطات العسكرية من تسهيلات لمصر فى مقابل ما تبذله مصر من تسهيلات للعسكريين

هذا هو الجنرال الفرنسى الذى ساهم مساهمة فعلية فى قيادة فرنسا إلى النصر فى الحرب الأولى ، والذى وطد نفوذ بلاده فى الأشهر الأولى من الحرب العالمية الثانية ، كان فى حركاته ومشيته تفيض منه الطمأنينة والثقة ، فيتأثر منها الغير لدى مواجهته أو مصافحته أو رؤيته ، ويشعرون بنفس الثقة والاطمئنان .

وأذكر مرة أنى رأيته داخلا الجامع العمرى بمدينة بيروت بمناسبة المولد النبوى الشريف ، فهتفت له الجماهير الإسلامية طويلا ، وحملته على الأعناق ، ودخلت به المسجد .

ولقد رأيت الكثيرين من ممثلى البلاد الأوروبية فى الشرق فلم أر مثل فيجان ، ولقد وصل غيره ، ورتبت لهم الهتافات ، إلا أن الجماهير لم تغمرها روح الحماس الذى كانت تحس به عند رؤيتها الجنرال الشيخ والشاب فى نفس الوقت .

وفى ليلة من الليالى استدعى إلى باريس لقيادة جيوش الجمهورية وسد ثغرة سيدان ، لقد تحطمت الجبهة واندكت حصون خط ماجينو فى الشمال والزحف الألمانى لايقف ، وراديو برلين يصيح : « لو بعث نابليون من قبره ، لما كان فى وسعه أن يغير القدر المحتوم ! » لقد هزمت فرنسا وتمزقت جيوش الجمهورية !

وكنت جاراً للجنرال كايو ، وقد زالت الكلفة بيننا ، وفى عصر أحد الأيام دعانى لمنزله ، وقال إنه يغادر البلاد الليلة إلى مصر فالسودان فأفريقيا الغربية فراكش إلى فرنسا ، وذلك بناء على دعوة فيجان ، إذ يجب أن يكون بجبهة القتال قبل أربعة أيام . قلت إنكم تنتظرون قرارات حاسمة . قال : إن إنقاذنا يحتاج لمعجزة

Seul un miracle peut nous sauver

ودمعت أعين القائد أمام هذا التصريح ، فاستأذنت بعد أن حملته سلاماً للقائد الذى وضعت فرنسا وبلادى مصر وغيرنا من البلاد آمالها فى عبقريته وفنه العسكرى يوماً من الأيام .

وانتهت صفحة من تاريخ العالم بمعاركه وفواصله وأسلاكه الشائكة !

أحمد رمزى

القنصل العام السابق لمصر بسوريا ولبنان

دمشـــق ...

للأستاذ على الطنطاوى

« كتب إلى صديق كبير وأستاذ جليل ممن عرفت فى مصر أن أصف له مدخل دمشق ، وأن أعرفه بمتنزهاتها وآثارها ، وإن ذلك لمطلب على مثلى عسير ، وحمل على قلمى ثقيل ، وإنى أحاوله اليوم محاولة ربما ينهض به من هو أضخم منى فى زحمة الأدب منكبا ، وأحد فكرا ، وأمضى قلما .. » .

هذى دمشق يا أيها الأخ السائح ، قد لاحت لك أرباضها ، ودنت رياضها ، أفما تراها وأنت قادم عليها من نحو فلسطين[١] ، مع الصباح الأغر كيف نامت من غوطتها على فراش من السندس صنعته يد الله ، وقد توسدت ركبتى حبيبها البطل الشامخ بأنفه الصخرى : قاسيون[٢] ، فكان رأسها فى الصالحية ، وقدمها فى (القدم)[٣] وقلبها فى (الأموى) بيت الله الأطهر ، فانظر أما تراه أول ما يبدو من دمشق للقادم عليها ، يطل عليها بقبته التى ليس لها فى الدنيا نظير : قبة النسر التى راعت بجلالها الأولين والآخرين وما رأى الرائى أضخم منها ولا أعلى ، ومآذنه الثلاث معجزات الصنعة فى تاريخ العمران الإسلامى ، يسبغ على المدينة جلال القرون الأربعين التى رآها وعاشها ، مذ كان معبداً وثنياً ، إلى أن صار منسكا مسيحياً ، إلى أن استقر مسجداً إسلامياً ، يخرج من مناراته خمس مرات كل يوم النداء الأقدس : « الله أكبر لا إله إلا الله » فيردده إخوان مسلمون فى المشرق ، وإخوان فى المغرب حتى يفيض طهره على الأرض كلها . ألا تراه يعلو كل عمارة فى المدينة على ما فيها من عمارات شاهقات ، حتى كأن أعلاها إلى جانبه الطفل بجنب الرجل الضخم الطوال ؟ فإن كان برج (إفل) علم باريز وذلك التمثال علم نيويورك ، فعلم دمشق بيت الله العلى ذى الجلال .

لقد دنونا ، هذا المطار إلى يمينك ، وهذه القرية من ورائه (داريا)[١] ، والغوطة الغناء ، جنة الأرض ، ما رآها أحد إلا أحس بأنه يرى مدينة مسحورة من مدن (ألف ليلة ...) ، قد تراءت له فى غمرة حلم ممتع ... لقد اقتربنا منها ... هذه (المزة) ضاحية دمشق ، أصح المنازل ، وأبعدها عن الملل ، مساكن العرب الغر من سالف الدهر ، لقد جاوزنا سهلها الشرق ، وجبلها المشرف ، وساحتها الفيحاء ، وعماراتها البارعات ، وولجنا حمى الغوطة . هذه بساتينها التى تتصل حافلة بالثمار ، مليئة بكل ما يفتن ويفيد ، مسيرة تسع ساعات على الماشى وما ينفك يمشى فى ظلال شجرة مثمرة ، أو نبتة مزهرة ، ولو اجتمع على مائدة واحدة ما تخرج من الثمار من أنواع المشمش والعنب والتفاح والكمثرى والخوخ ... لاجتمع أكثر من ثلاثمائة صحن ما فى صحن منها مثل ما فى الآخر . وحسبك أن فى الشام من العنب أكثر من خمسين نوعاً ... ومن التفاح فوق الثلاثين[٢] ...

هذه هى الغوطة ، أفما ترى نساءها يلحن من بعيد وهن ساريات خلال الأشجار ، أو منثورات وسط الحقول ، بثيابهن التى لا يحببنها ، على سترها وشمولها ، إلا زاهية تضحك فيها الألوان ، فتحسبهن الزهر ، وتظن الربيع قد جاء فى كانون[٣] والأرض مفروشة ببسط نسجت بخيوط الذهب ، من صفرة الأوراق التى بعثرها وتركها الخريف ، فكانت كنثار الدنانير ، على بساط من السندس ، فى عرس امير ، والبقر الفاقع الصفرة الصافى اللون ، تماثيل فى متحف الطبيعة صبت من خالص المسجد ، والشتاء إذ حل تخلعت فيه الأشجار ثيابها ، على حين يتدثر الناس بالصوف ،

(١) لدمشق أربعة مداخل : من الشمال يدخل منه القادم من بغداد ومن حمص وحلب فيمر على كروم دوما ، ويجتاز طرف الغوطة ، حتى يلج دمشق من حى النصارى سالكا على (شارع بغداد) العظيم ، ومن الغرب يدخل منه القادم من بيروت ومن فلسطين ، ويلتقى الطريقان فى أسفل عند الربوة ، ومدخلان فى القطار ينتهيان فى محطة الحجاز فى شارع النصر .

(٢) قاسيون جبل دمشق علوه عن وجه البحر (١٢٠٠) متر وعن المدينة نحو (٥٠٠) وقد بلغت منازل حى المهاجرين والصالحية ثلثية علواً .

(٣) القدم قرية على باب دمشق من جهة الميدان ، تبعد عنها مسيرة عشر دقائق فقط .

(١) قرية من أكبر قرى الغوطة وهى قديمة ذكرها ياقوت ، وهى مشهورة بنوع من العنب الفاخر لا يثمر إلا فيها . وفى الغوطة أكثر من خمس وعشرين قرية ، وقصبتها بلدة دوما .

(٢) فى حديقة منزل عمى صلاح الدين الخطيب ، فى دمشق أربعة وعشرون نوعا من التفاح !

(٣) كانون الأول فى لسان العرب هو (ديسمبر) فى لغة الانكليز !

فكأنما هن الغيد الفواتن تعرين على الشط ، ليضنين الشباب لوعة وشوقا :

وما ينتحين الشـــط يبغين برده
ولكن ليقتلن البرىء (المغفلا ...)

فهذا الحور لم يبق منه إلا عيدان ، فكأن الحور فتية أذاب جسومهم الحب ، فأضحوا من جـواه جلداً على عظم ، والشمس كملاح هجرهن الأحبة ، بعد ما قطفت زهراتهن ، فأبن بلوعة ليست تنفع وحسرة ، ورحن إلى خزى لا يريم وإلى ألم ؛ والجوز العارى على جلاله ، ملك عزل واستلب منه تاجه ، ولكنه كان عظيما فى نعمته . أما الزيتون ، وما أعظم الزيتون ، فلا يرى إلا لابساً ثيابه التى لا ينفضها ولا تبلى عليه ، ثابتا على حاله ، لا يحس بالغير ، ولا تستخفه الأحداث ، فلا يضحك بالزهر إن أقبل الربيع ، ولا يبكى إذا جاء الشتاء ، فهو الفيلسوف الساخر بالحياة ، أفراحها وأتراحها ، الذى لا يبالى نعمها ولا نقمها ، والسواقى وهن جوار من الشرق إلى الغرب ، ومن الغرب إلى الشرق ، ومن كل جهة إلى أختها : ساقية تجرى عميقة — بين الأعشاب ، لا يوصل إليها ، ولا ينال ماؤها ، وأخرى ظاهرة مكشوفة ، وواحدة تتحدر تحـدراً ولها صخب وهدير — وثانية تسير صامتة فى أصول الأشجار وصافية نقية — وعكرة خبيثة — وسالكة طريقها قانعة بمجراها ، وكاسرة حدودها عادية على غيرها ... ... فكأن سواقى الغوطة صورة لنا فى حياتنا نحن الناس ، كل يعمل على شاكلته ، وكل ميسر لما خلق له ، مول وجهته ساع إلى غايته ، والوجهات متعارضات ، والغايات مختلفات ، ولكن كل ساقية تعرف طريقها ، والناس يهبطون إلى حضيض الشهوات والمعاصى على أهون سبيل ولكنهم يلقون فى التسامى إلى معالى الأمور عنتا وأينا . وكذلك السواقى تنحدر بلا سَوق ولا تعب ، ولكنها لا تعلو إلا أن تضخها بمضخات وترفعها بآلات ، وهذا عميق النفس لا تدرك قرارته ولا تعرف حقيقته ، وهذا واضح بين ، ظاهره كباطنه — وهذا جياش صخاب ، وهذا صامت سكوت ، ونقى الطوية وخبيث الداخل ، ومنصف وظالم ، وكبير وصغير ، وكل يستمد من غيره ، وعد سواه ، وكذلك السواقى فى الغوطة ...

***

هذه هى الغوطة إن يفتنك جمالها وبهاؤها ، فقد فتنت من قبلك ملوكا وقواداً وأدباء وعلماء ، وأنطقت بالشعر ناساً ما كانوا من قبل شعراء ، وأشاعت فى الناس فرحة لا تنقضى ، وما فقدت على الأيام فتنتها ولا شاخت على طول المدى ، بل ازدادت شبابا وفتونا وحسناً ... هذه هى الغوطة رأيت جانباً منها فى الشتاء ، ولو رأيتها وهى مياسة فى حلل الزهر تختال فى أفراح الربيع ، عرس الدهر ، تملأ الدنيا بالعطر والسحر ، وتقرأ على القلوب أبلغ الشعر ، لرأيت عجبا ، ما يبلغ وصف حقيقته بيان !

***

لقد تركنا هذا الطريق القديم الذى يمر على ثكنات الجند ، ومنازل الجيش ، وملنا من هذه الجادة المحدثة إلى الشارع العظيم شارع فاروق الأول لندخل دمشق من أفخم مداخلها . هـذا هو بردى يا أيها الأخ ! وهذا ؟ ... أترى هذه العظمة وهذا الجلال ؟ أتسأل ما هذا الوادى ، وما هذه الأنهار تجرى فى سرة الجبل وعلى السفح ، سبعة بعضها فوق بعض ، كعقود اللؤلؤ فى عنق كأنه العاج ، والشلالات تهبط من أعاليها إلى أسافلها ؟ هذا ياسيدى معبد الجمال ، هذا دير الحب ، هذا منسك القلوب ، هذه الربوة ... لا يا أيها الأخ ، إن من الإلحاد فى شرعة الجمال أن نصف الربوة ونحن نمر بها مرور الكرام باللغو ، إن لها حديثها وستسمعه إن شاء الله . ولقد قلت عنها كلاما كثيراً ، ولكن مكان القول ذو سعة ، وسأقول عنها إن أنا وقفت كلاما أكثر ، على أنه لا يغنى فيها كلام عن شهود ، ولا يجزىء بيان عن عيان ...

* * *

وصلنا يا أيها الأخ : هذا ميدان دمشق (المرجة) وهـذا النصب الفخم فى وسطه المتوج بتمثال مسجد السراى فى (اسطامبول) ، هو نصب التذكار بمد الأسلاك البرقية إلى دمشق [1] وهذا القصر الصخرى الهائل ، سراى أحمد عزت باشا ، وهذه دار البلدية ، وهذا البناء الرفيع الذرى ، نُزُل أمية ، وهذه الشوارع الثمانية المفضية إلى الميدان ، بسياراتها وتراماتها ، طرق أحياء دمشق ... أتعجب من هذه الحانات وهذه الملهيات . ومن كثرة السينمات ؟ هذه يا صاحبى (دمشق الجديدة ...) ، لا تلقى فيها

(١) الشائع فى العامة أنه تذكار مدسكة الحديد إلى الحجاز .

ما لا تلقى مثله فى أى مدينة كبيرة : خير وشر ، وعلم وجهل ، وتقى وفجور ، وحجاب وسفور ، حياة كالبحر فيه اللؤلؤ وفيه الحصى ، وفيه الحياة وفيه الموت . هذى دمشق التى مزقت ثوبها لتلبس ثوبا أوربيا ، فلم تجده على مقياسها فبقيت عريانة إلا من خرق وأسمال . هذه هى القبرة التى أراد لها حمقها أن تقلد الغراب فنسيت على جمالها مشيتها ، ولم تتعلم على قبحها خطوة الغراب . انزل فى نزل أمية ، أو فى فندق الشرق (أوريان بالاس) الضخم ، القائم هناك ، بحيث يشرف على بردى وواديه ، والشرف الأعلى ومغانيه ، وقاسيون وقصور المهاجرين ... تحس أنك فى (شبرد) القاهرة ، أو (الكونتننتال) — أعنى أنك فى أوربة ؛ فالأثاث والرياش ، والطعام والشراب ، والزى واللباس ، والسماع والغناء ، واللغة واللسان ، كل ذلك أوربى أوربى أوربى !

ولو أنك عرفت هذه (المرجة) فى عصورها الخوالى ؛ وهذان الشرفان الأعلى والأدنى ، وما كان فيهما من مدارس ومساجد وزوايا وتكايا ، وما قام الآن مقامها ، وأخذ مكانها ... ولكنى لن أسوق لك المزعجات وأنت قادم على البلد ، فاقرأ إن شئت ابن عساكر ، والمحاسن للبدرى ، ورحلة ابن بطوطة ، وما أظنك إلا قد قرأتها كلها !

هذه دمشق الجديدة ... أما دمشق العربية المسلمة ، بلدك وبلد خلائف الأرض ، من أبناء عبد شمس ، من إذا قالوا لبت الدنيا ، وإن مالوا مالت الأرض ، وإن حكموا أطاع الزمان ، من كانت دولتهم (تفصل ...) تسع عشرة من دول هذه الأيام ، من كانت راياتهم تخفق على بطاح فرنسا وسهول الهند ، وما بينهما وكانت قصورهم تتيه على النجوم ، وكانت أبوابهم تقف عليها الملوك . أما دمشق معاوية والوليد فليست هنا ، إنها مختبئة هناك فى دروب ضيقة وحارات حول المسجد الأطهر ، هناك المجد والعلم والتقى وبارع الخلال ، فامش إليها وادخل دورها ، وجالس أهلها ، تقرأ تاريخ المجد فى صفحات من دور ووجوه وعادات ، وتر بقايا الحضارات من لدن نوح قد استقرت فيها ، ففى كل بقعة منها تاريخ ، وكل حجر منها يتلو من سور الجلال آيات .

فإذا أردت أن تعرفها وتصل إليها ، فاخرج من نزل أمية ، وسل قليلا تجد أمامك جامع الأمير (يلبغا) الذى سرقوا نصفه فجعلوه مدرسة للصبيان ، وتركوا منارته قائمة فى المدرسة ، تعلن لكل ذى عينين شكواها وتذيع خبر بلواها ، فلا تقف عليه ، وخذ إلى يمينك ، إلى جادة الفنادق ، (الجوزة الحدباء) ، حتى تبلغ سوق صاروجا[1] الذى كان حى الباشوات من الأتراك والمجددين فصار الآن حى التجار المحافظين ، فرر فى طريقك جامع الورد[2] ثم سر إلى العقيبة ، منزل الإمام الأوزاعى[3] وادخل جامعها الأنور المبارك الذى لا يخلو من قائم لله بحجة ، جامع التوبة[4] ثم اسلك طريق العمارة ، وجز بزقاق النقيب ، وعرج على منازل علماء الأمس[5] ، فقد كانت هذه المنازل مدارس ، وكانت جامعات ، وكانت منائر هدى للناس ، وكانت هى دعائم نهضتنا ، وزر الكلية الشرعية ثم ادخل الجامع الأموى ، وامكث فيه وسائله عن الماضى واستنطقه ، وطر بروحك فى سمائه ، واسم بها إلى عليائه ، ثم عد إلى أحدثك إن شاء الله حديثه ، وإن حديثه لطويل !

ثم جل فى القيمرية ، ولج تلك الدور ، وشاهد تلك القاعات والأبهاء ، وهذه الزخارف والنقوش ، والبرك والنوافير ، فمنها يا سيدى أخذ الأندلسيون هندسة هاتيك القصور ، ومر بهذا الزقاق الذى تباع فيه القباقيب ، ولا تحقره لضيقه وفقره ، ثم انزل إلى تلك الحارة المعتمة القذرة ، فاقرع باب مصبغة هناك ، فإذا فتحوا لك فاهبط درجها ، ولا تفزعك رطوبتها وظلمتها ، ثم قف خاشعاً متذكراً معتبراً ؛ فإن فى مكان هذه المصبغة التى يسمونها (مصبغة الخضراء) كان قصر الخلفاء من بنى أمية ...

فإذا خرجت منها فاسأل عن زاوية هناك ، فإن فيها قبر معاوية الصغير (ابن يزيد) ، ثم اذهب إلى السميساطية تلك المدرسة المحدثة البناء ، العامرة ، فقف عليها فقد كانت منزل خامس الخلفاء الراشدين ، عمر بن عبد العزيز ، ثم أم المعاهد فى جوارهما : الجقمقية

---

(١) نسبة إلى صاروجا ، الأمير صارم الدين من أمراء المماليك مات سنة ٨٤٣ والعامة تسميه سوق ساروجا .

(٢) ويقوم عليه العلماء آل عابدين من سلالة صاحب الحاشية .

(٣) وكانت يومئذ قرية فى ظاهر دمشق .

(٤) سمى بذلك لأنه كان خانا ترتكب فيه أنواع الموبقات ، فجعله أمير لا يحضرنى الآن اسمه وتاريخه مسجدا ، وهو أحد جوامع الاحياء فى دمشق ، ومنها جامع السادات فى حى الأقصاب ، ويلبغا فى سوق الخيل ، والسنانية فى باب الجابية ، نسبة إلى المهندس التركى الشهور صاحب المآثر العمرانية سنان باشا ، وقد وقف عليه أوقافا جليلة ، وجامع باب المصلى ، وسيدى صهيب ، وجامع منجك والدقاق فى الميدان وفيه (بسيط) نادر من عمل جدى العالم الفلكى محمد الطنطاوي المصرى الأزهرى الذى نزح من طنطا إلى دمشق ، وتوفي سنة ١٣٠٣ هـ وجامع محي الدين بن عربى .

(٥) كالأمير العالم عبد القادر الجزائرى والشايخ محمود الحمزاوى المفتى ومحمد الطنطاوى وسليم العطار وبكرى العطار وابن عابدين صاحب التكملة والكزبرى والحايك والعمادى والحانى والشطى والطيبي والاسطوانى والخطيب والمبتى وغيرهم رحمهم الله أجمعين

ومدرسة بطل الدنيا صلاح الدين ، فقم على قبره ساعة ، وترحم عليه واحمد الله ، على أن خزى ذلك الطاغية (غورو) وذل[١] والظاهرية[٢] دار الكتب ، والعادلية[٣] مثوى المجمع العلمي العربي ثم اسلك على باب البريد ، ومر بخرائب (المرادية) التي كانت إلى العهد القريب مدرسة عامرة ، حتى تزور العادلية ودار الحديث الأشرفية ، التي كان فيها البدر الحسنى بقية السلف، وزر المارستان النورى ، الذى كان مستشفى كأكبر ما يكون مستشفى في هذه الأيام وكان مدرسة للطب ، ثم أم قبر الملك المظيم صاحب هذه المآثر نور الدين القائد الظافر والملك العادل والحاكم الكامل ، ثم ادخل القلعة ، وشاهد السور والأبواب ...

هذه دمشق ياسيدى ، أفيوفى حديث دمشق في مقالة ؟ فأمهلنى أعد إليك محدثاً ... وأطل الحديث[٤] .

هذى دمشق أقدم مدن الأرض[٥] وأجملها ، هواؤها أطيب هواء ، وماؤها أعذب ماء ، وطعامها أمرأ طعام ، ومنظرها أبهى منظر ، ومخبرها أحسن مخبر ، ولسانها أفصح لسان ، وسكانها من أكرم السكان ، فيها العلم والأدب ، والتقى والصلاح ، والحب فيها واللهو ، وفيها الفتون والجمال .

هذى دمشق كانت لب العربية ، وبقيت لب العربية ، وستطلع على العصور القوادم وهى للعربية لب وقلب وفؤاد ، لها لين الماء الذى يضحك به بردى ، وشدة الصخر الذى شمخ به قاسيون ، وصراحة السهل الذى تزدهى به المزة ، وكرم الأرض التى تعطى (فى الغوطة) أكلها أربع مرات فى العام .

لهالين بردى ، ولكن بردى إذا ضويق بالسدود ، علا وفاض واجتاح البلاد والعباد ، ودمر كل شىء يقف فى طريقه ، ويقطعه عن مراده ، فقل للغافلين : « لا يغرركم من بردى لينه وابتسامه » فإنه سرعان ما يعبس ويثور » . فاتقوا غضبة الحليم !

(دمشق)

على الطنطاوى

القاضي الشرعي
ومدرس الأدب بالكلية الشرعية (العليا)

---

(١) لما دخل عدو الله غورو مدفن السلطان ، استل سيفه وقال : الآن انتهت الحروب الصليبية !

(٢) والذى يعود إليه الفضل فى إنشاء المكتبة الظاهرية ، إذ جمع فيها الكتب التى كانت متفرقة فى المساجد والزوايا ، هو مربى الجيل العلامة الشيخ طاهر الجزائرى أحد نوادر الدنيا علما وعملا وصراحة وتدليكا ، وشرف نفس وجرأة وسعيا للمصلحة العامة ، وبفضله أنشئت المدارس الابتدائية فى دمشق

(٣) نسبة للملك العادل محمد بن أيوب أخى السلطان صلاح الدين ، انتهى إليه ملك مصر والشام واليمن وأرمينيه وكان ملكا عظيما توفى سنة ٦١٥ ودفن فى مدرسته ، التى اتخذها المجمع العلمي العربي فى دمشق داراً له ، وكان يسكنها القاضى المؤرخ الأديب ابن خلكان ، وحول بركتها كان يدور ليله ويهتف ببيتيه المعروفين أما الظاهرية فنسبتها إلى الملك الظاهر بيبرس قائد المظفر صاحب الوقائع الهائلة وله تاريخ طويل ومآثر مشهورة توفى سنة ٦٧٦ ودفن فى هذه المدرسة ، وضريحه فى قاعة من أنفس القاعات الباقية فى دمشق .

(٤) انظر العدد ٥٢ من الرسالة سنة ١٩٣٤ والعدد ٣٤٠ سنة ١٩٤٠ و ٤١٩ سنة ١٩٤١ وكتابى (فى بلاد العرب) .

(٥) أعنى المدن العامرة ، فأرونى مدينة عامرة أقدم منها ؟

صور من العصر العباسي :

مآكل الخلفاء العباسيين

للأستاذ صلاح الدين المنجد

لعلّ الملوك والخلفاء من أشد الناس حرصاً على انتقاء ما لذّ من الطعام وطاب ، فهم يتخيرون اللذيذ من كل شيء ، وماعليهم إن أتعبوا غيرهم ، أو أنفقوا الأموال الطوال في سبيل ذلك .

والخلفاء العباسيون ، كانوا يعنون بهذا الأمر كل العناية ، وكانوا يحرصون على ألا يفوتهم من لذائذ المآكل والثمار شيء . فكانت هذه اللذائذ تحمل من الأقطار إلى قصورهم فى بغداد ليتمتعوا بها ، وكانوا يفرضون أن يُحمل إليهم مع خراج كل بلد ، ما حسن فيه من مأكل أو ثمر أو زهر . وهكذا كان يحمل مع خراج الرى [1] الرمان والخوخ المقدد ، ومن أصبهان [2] والموصل العسل والشمع ، ومن الكوفة البنفسج ، ومن جرجان [3] النرجس ، ومن الصيمرة [4] النارنج ، ومن طبرستان [5] الأترج . وكان يحمل من مكة والمدينة والحجاز إلى الخليفة العنبر والزبيب ، ومن الأهواز [6] ثلاثون ألف رطل من السكر ، ومن فارس [7] ماء الورد والزبيب الأسود والرمان والسفرجل والتين . أما دمشق ، فكانت ترسل إلى الخليفة التفاح ، وكان المأمون معجباً به ، يؤخذ إليه منه ثلاثون ألف تفاحة مع الخراج .

وكانوا إذا اشتهوا شيئاً ولم يكن له نصيب فى الخراج ، أرسلوا يطلبونه . فقد كانوا يطلبون ألوان اللحوم والطيور ، ولو بعد مكانها ، فتأتيهم على البريد . وينفقون فى ذلك الأموال الكثيرة .

(١) انظر ما كتبه ياقوت (معجم البلدان ٢ / ٨٩٢) عن الرى .
(٢) انظر ما كتبه ياقوت (معجم البلدان ١/ ٢٩٢) عن أصبهان .
(٣) انظر ما كتبه ياقوت (معجم البلدان ٢ /٤٨) عن جرجان .
(٤) انظر ما كتبه ياقوت (معجم البلدان ٣/ ٤٤٢) عن الصيمرة .
(٥) انظر ما كتبه ياقوت (معجم البلدان ٣/ ٥٠١) عن طبرستان .
(٦) انظر ما كتبه ياقوت (معجم البلدان ١ ــ ٤١٠) عن الأهواز .
(٧) انظر ما كتبه ياقوت (معجم البلدان ٣ ــ ٨٣٥) عن فارس .

وكل هذا ليتمتع الخليفة بالطيبات من المآكل والأثمار . [1]

ومظهر هام من مظاهر هذه العناية يتجلى لنا ، عند بعض الخلفاء ، بالألوان الكثيرة التى كانت تهيأ له من الطعام . وقد كان عدد هذه الألوان يبلغ مبلغاً ، ما سمع ولا عرف . حدث جعفر بن محمد — وكان أحد العشرة الذين اختارهم المأمون لمجالسته ومحادثته من الفقهاء والمتكلمين وأهل العلم — قال : تغدينا يوماً عنده — أى عند المأمون — فظننت أنه وضع على المائدة أكثر من ثلاثمائة لون . وكلما وضع لون ، نظر إليه المأمون فقال : هذا يصلح لكذا ، وهذا نافع لكذا . [2]

ومهما يكن أمر هذا الظن الذى ظنه هذا الفقيه ، فلابد أن يكون عدد ألوان الطعام كبيراً . وقد كنا نرتاب بالخبر لولا أن ذاكره هو ابن طيفور ، ولم يؤرخ المأمون أحد مثله .

ويؤيد ما ذكرناه من تكثير الخلفاء ألوان الطعام ما رواه المسعودى ، فقد ذكر أن الرشيد كان ينفق على طعامه فى كل يوم عشرة آلاف درهم . وأنه ربما اتخذ له الطباخون ثلاثين لوناً من الطعام . [3] وكان يتخذ للقاهر اثنى عشر لوناً (آدم متز ١/ ٢٤٧)

فلننظر الآن فيما كانوا يرغبون فيه .

نلاحظ أن أكثر ميل ملوك بنى العباس كان إلى اللحوم ، وخاصة لحوم الدجاج . يقول الجاحظ : ولو كنا وأهل العيش منا لا يرغبون فى شيء من اللحمان رغبتهم فى الدجاج . وهم يقدمونها على البط والنواهض والدراج ، وعلى الجداء ... وهم يأكلون الرواعى كما يأكلون المسمنات . [4]

أما رغبتهم فى الدجاج فذلك لأنه أكثر اللحوم تصرفاً . فهى تطيب شواء ، ثم حاراً ، وبارداً ، ثم تطيب فى البز ماورد ، وهو طعام من البيض واللحم ، أو من رقاق ملفوفة بلحم ، ثم تطيب فى الهرائس ، وتطيب طبيخاً ، وإن قطعتها مع اللحم دسم ذلك اللحم ، وتصلح للحشاوى . وسمينها يقدم فى السكباجة على البط . [5]

(١) انظر فيما يتعلق بهذا الخبر ، وبما سبقه : ثمار القلوب فى المضاف والمنسوب للثعالبي ص : ٤٢٢ ، ٤٢٦ ، ٤٢٧ ، ٤٢٨ ، وانظر لطائف المعارف للمؤلف نفسه (ليدن) ص ٩٥ .
(٢) تاريخ بغداد لطيفور (الجزء السادس) ص ٥٣ .
(٣) حضارة الاسلام فى دار السلام ص ١١٠
(٤) الحيوان (تحقيق هارون) ١ ــ ٢٣٣ .
(٥) الحيوان ج ٢ ص ٢٥٠ .

وفى الشتاء كانوا يرغبون فى الأطعمة الحارة المهيجة . فقد قال المأمون لأبى كامل الطباخ يوماً : اتخذ لنا رؤوس حملان تكون غداءنا غداً . ثم التفت إلى على بن هشام ، وكان حاضراً ، فقال إن من آيين الرؤوس أن تؤكل فى الشتاء خاصة ، وأن يبكر آكلها عليها ، وألا يخلط بها غيرها ، ولا يستعمل بعقبها الماء[1].

وكان المأمون يميل أيضاً إلى لحم الغنم ، وقد قال للحسن بن سهل يوماً : نظرت فى اللذات فوجدتها كلها مملولة ، سوى سبعة. قال الحسن : وما السبعة يا أمير المؤمنين؟ قال : خبز الحنطة ، ولحم الغنم ، والماء البارد . وعد أربعة غيرها[2] .

وقد يعجب بعضهم بالملحات والمقورات . فقد خرج المقتدر يوماً إلى بستان الخلافة ، فطلب طعاماً ، فلم يحضر طعامه ، فقدم له ملاح جونة مليحة من خيازر (ج خيزران) فيها جدى بارد ، وسكباج مبرود ، وبزماورد وأدام ، وقطعة مالح ممقور ، وأرغفة سميذ جيدة . فاستنظفها وأكل منها ، واستطاب المالح والادام ، فكان أكثر أكله منه[3] .

وعلى ذكر البزماورد ، نقول إنه كان يسمى فى العصر العباسى لقمة الخليفة ، ولقمة القاضى ، ونرجس المائدة[4] . وهذه التسمية تدلنا على أن الخلفاء والقضاة كانوا يأكلونه ويحلون به موائدهم .

وهذا البزماورد ، كان يتخذ من اللحم والبيض فى بغداد . ويذكر لنا الجاحظ أن أهل خراسان كانوا يعجبون باتخاذ البزماورد من فراخ الزنابير[5] .

ويبدو أن اتخاذ البزماورد من فراخ الزنابير ليس بعجيب ، فقد كان الفضل بن يحيى يوجه خدمه فى طلب فراخ الزنابير ليأكلها ، وفراخها ضرب من الذبان الكبار ، كما يقول الجاحظ[6] .

وكانوا يرغبون فى السكباج ، ويسمونه مخ الأطعمة وسيد المرق . ولقد تشكى خليفة يوماً لجارية له من هذا الطعام ، فقال لها : إلى كم سكباج ؟ قالت : هو مخ الأطعمة ، لا يكره بارده ولا يمل حاره ، بل يستطاب فى الحضر ، ويتزود منه فى السفر ، ولا يؤثر عليه الضيف فى الشتاء والصيف[1] .

وإلى جانب ما ذكرنا ، كانوا يمنون بالسكارج والبقول ، ويقولون : لكل شيء حليـة ، وحلية الخوان السكرجات والبقول[2] . ويقدرون الأرز حق قدره ، ويقولون الأرز غذاء صحيح[3] .

وكانوا يأكلون ألسنة السمك ، يعمدون إلى السمك فينزعون ألسنته ويأكلونها . ولقد دعا ابراهيم بن المهدى الرشيد مرة فأعد له طبقاً ألسنة السمك ، وأنفق على صحفة صغيرة منه مبالغ طائلة[4] .

أما السمك نفسه ، فكانوا يأكلونه أيضاً ، ويلاحظ أنه كان مرغوبا فيه من النصارى كثيراً . فكانوا يأكلونه أكلا ذريعاً . ويحدثنا الجاحظ أنه لكثرة إقبالهم عليه كانوا يغلونه على الناس ، حتى تتوخى أياماً بأعيانها فلا يشترى السمك إلا فيها طلباً للامكان والاسترخاص وهى يوم الخميس ، ويوم السبت ، ويوم الثلاثاء[5] .

ومن المآكل التى كانوا يعجبون بها ألبان الظباء . وكان الرشيد يسر بها . ولقد زار جعفر بن سليمان والى البصرة سنة ١٩٦ ، فأحضر له على مائدته ألبان الظباء وزبدها فاستطاب طعومها وسر بها[6] .

ولون آخر كانوا يشتهونه ، هو كبود الدجاج وحدها . ويحدثنا التنوخى أن ابراهيم الحرانى الصابىء الطبيب كان بين يدى الموفق يوماً ، فقال له : أنا أشتهى شهوة منذ سنتين ، وأستقبح أن أطلبها وقد غن لى الساعة مواضعتك على طلبها . قال ابراهيم : قلت يا أمير المؤمنين مر ، قال : ويحك أنا والله منذ سنين كثيرة أشتهى كبود الدجاج وقوانصها مطبهجة ، وأستقبح أن أطلبها ... وأريد إذا قدمت المائدة ، وجلست معى للأكل ، أن تشتهى

(١) تاريخ بغداد لطيفور ص ١٠٥ .
(٢) المستطرف ج ١ ص ١١١ .
(٣) نشوار المحاضرة ج ٢ ص ١٥٢
(٤) شفاء الغليل ص ٩٨ .
(٥) الحيوان ج ٤ ص ٤٤ .
(٦) المصدر السابق ج ٤ ص ٤٥

(١) ثمار القلوب للثعالبى ص ٤٩٠
(٢) المصدر السابق ص ٤٨٧
(٣) مطالع البدور ٢ ـ ٤١ . والقول قول الرشيد .
(٤) مروج الذهب (المطبعة البهية) ج ٢ ص ٢٧٩
(٥) كتاب الحيوان ج ٤ ـ ٤٣١ ـ ٤٣٣ .
(٦) مطالع البدور للغزولى ج ٢ ص ٥٩ .

ذلك على وتشير به من طريق الطب لأتقدم إليهم باتخاذ شيء منه ، بشيء يسير ، فيصير ذلك القدر رسماً في كل يوم لا يؤثر عليهم قدره . قال فعجبت من كرمه وفرط حيائه من خدمه حتى يلفق الحيلة ، وقدمت المائدة ، فجلس يأكل وحده وجلست مع الندماء آكل على مائدة بين يديه . فلما أكل بعض أكله قلت : لم لا يأمر أمير المؤمنين بأن يتخذ له شيء يسير في زبديات من كبود الدجاج السمن وقوانصه بالبيض والمرى فيطجن بعضه ... فأصلح له زبدية من كبود الدجاج وقوانصها ، وصار رسماً جارياً [(١)] .

أما الخبز . فكانوا ينوعونه ، ويتخيرون أطيبه ، وقد كان الرشيد يأكل يومين متواليين خبز السميد ، والثالث الحوارى ، والرابع الخشكار والخامس والسادس خبز الأرز النقى من خبز التنور [(٢)] .

ويبدو أن الخبز وكثرته كان يؤثر في نفس بعض الخلفاء . فلقد سأل الواثق أحمد بن أبي دؤاد يوما ما جمال الموائد ؟ فقال : كان يقال : جمالها كثرة الخبز عليها . فقال : أصبت وأحسنت فإن اختلفت الألوان وكان الخبز كثيراً شهد لصاحبها بالشرف. [(٣)]

***

فهذه بعض الألوان التي كان الخلفاء العباسيون يرغبون فيها من المآكل وهي ألوان فيها النادر والغريب . ولقد كانوا ينفقون في سبيل الحصول على هذه المطاعم الأموال الكثيرة في كل شهر. وقد ذكروا أن الرشيد كان ينفق على طعامه كل يوم عشرة آلاف درهم . [(٤)] ، وأن نفقات المطابخ والمخابز بلغت في القرن الرابع ، في دار الخلافة عشرة آلاف دينار في الشهر [(٥)] . وهذا المبلغ دليل على كثرة الانفاق . وإن كان أكثر هذا في باب الاسراف .

ويحدثنا التنوخي أن المعتضد طلب يوما لوناً من طعام ، فقيل له ما عمل اليوم ، فأنكر ذلك ، وقال يجب ألا يخلو المطبخ من

(١) نشوار المحاضرة (المجمع العلمي العربي بدمشق) ج ٢ ص ٤٧

(٢) مطالع البدور ج ٢ ص ٤٢ .

(٣) المصدر السابق ج ٢ ص ٤١ .

(٤) المسعودي ج ٢ ص ٣٤٢ (بولاق) .

(٥) الصابي ص ١٦ ، ١٨ ، ١٩ ، ٣٥٢ .

كل شيء حتى إذا طلب لم يتعذر ، ووقع إلى ديوان النفقات باقامة ذلك اللون إلى أن يرد التوقيع بقطعه ، فكان يعمل وينفق عليه دراهم كثيرة ولا يحضر المائدة توقعاً أن يطلبه ، فيقدم عند الطلب كما رسم . فمضى على ذلك سنة ولم يطلبه ، وهو يصنع . وكان هذا اللون جزورية وكان الطباخ يذبح في كل يوم قلوصاً . [(١)]

على أنه إذا كان بعض هؤلاء الخلفاء ينفقون الأموال على الدجاج وكبود الدجاج ، وعلى ألسنة السمك والجداء وغير ذلك ، ويحرصون كل الحرص على التلذذ بها ، فقد كان بعضهم الآخر كالقاهرة يستكثر صنوف الطعام أن توضع أمامه ، ويقتصر على ما يكفيه [(٢)] وكان آخرون كالمهتدي لا يأكلون غير الخبز النقي ومعه الملح والخل والزيت . [(٣)]

وسنفصل في مقال آخر مايتعلق بعلمهم فوائد المآكل ، وانتقائهم صاحب الطعام والشراب في قصورهم ، وكيف كانوا يأكلون ، والآلات التي كانوا يرغبون فيها لأجل ذلك .

دمشق **صلاح الدين المنجد**

(١) نشوار المحاضرة ج ٢ ص ١٠٢ .

(٢) الحضارة الاسلامية في القرن الرابع ج ١ ص ٢٤٧ .

(٣) أخبار الخلفاء للسيوطي ص ١٤٥ .

المجلس الأعلى وسياسة التعليم

للأستاذ عبد الحميد فهمي مطر

أخيراً عاد والحمد لله مجلس التعليم الأعلى إلى الظهور بعد أن طال احتجابه وبعد أن طلبنا مراراً ونادينا تكراراً على صفحات « الرسالة » الغراء بضرورة إحيائه من جديد ليوجه التربية والتعليم الوجهة الصحيحة النافعة المثمرة. وإنه لجميل حقاً أن اضطلع بعضويته رجال ذوو خبرة ودراية كوزراء المعارف السابقين وآخرون من ذوى الفكر وحملة القلم، وهم جميعاً بتعاونهم جديرون برسم السياسة المستقيمة وتوجيهها التوجيه الطبيعي القويم.

ولقد سبق إحياء هذا المجلس مؤتمر لرجال التعليم دام عمله ثلاثة أيام فى شهر نوفمبر الماضى عقد فيها عدة جلسات وألقيت عدة محاضرات ودارت مناقشات ومباحثات بين المؤتمرين عن أهداف التعليم وسياسته، وأصدروا عدة قرارات كان أهم ما جاء فيها ضرورة العمل على خلق المدرسة الشعبية لتضم أطفال الأمة جميعاً بين السادسة والثانية عشرة على أنقاض المدارس المتعددة الأساليب والمقاصد التى سبق أن نددنا بقيامها لما ينتاب الوالد من حيرة إذا أراد أن يلحق ولده بإحداها ولما تبعث فى نفوس أطفال البلد الواحد من غل وضغينة وحسد وسخيمة تكون عوامل جفاء وفرقة بين أفراد الشعب طوال الحياة. تلك هى المدارس الابتدائية والمدارس الأولية والمدارس الإلزامية والمدارس الريفية ومدارس رياض الأطفال.

قرر مؤتمر التعليم إدماج هذه المدارس جميعها فى مدرسة واحدة مدتها ست سنوات وأن تكون مرحلتها هذه خالية من اللغة الأجنبية، وهو قرار حكيم طالما تُقنا إليه، وإنا نؤيده بكل قوانا لدى مجلس التعليم الأعلى ولدى جميع المهيمنين على التعليم تخفيفاً من حدة نظام الطبقات الذى لا تعرفه عقائدنا ولا تقاليدنا إلا فى العصور الأخيرة التى طغى عليها زيف المدنية المادية، وصوناً لوحدة هذا الشعب الذى مزقت وحدته اختلافات نواحى التفكير واختلافات الوحدات والمقاصد، فأصبح تراثه نهباً للمستعمرين ولبعض السياسيين المحترفين الذين أشعلوا نار الخصومة والفرقة بين أفراده وأسره وجماعاته، وساعدهم على ذلك تكوين الناشئة فى مدارس متباينة فى الأساليب مختلفة فى الأوضاع والمقاصد.

وإنا وإن كنا حمدنا الله تبارك وتعالى لتوفيق المؤتمر إلى هذا القرار، إلا إنا كنا نرجو منه أن يوفق إلى أكثر من ذلك. كنا نرجو توكيداً لفكرة الوحدة الشاملة أن يعنى فى قراراته بالقضاء على ثنائية التعليم التى تقضى بوجود نوعين متباعدين منه، هما التعليم فى المعاهد الدينية والتعليم فى المدارس المدنية، خصوصاً وقد تناول هذا الموضوع بالبحث أحد أعضائه. فإنها ثنائية ما أقساها على شعب موحد اللغة موحد العادات موحد التقاليد. ثنائية لا يعرفها شعب من الشعوب المتحضرة قد أدخلها علينا المستعمرون فى غفلة الزمان بل فى غفلتنا عن تقلبات الأيام، دون مراعاة لحاجتنا الملحة إلى أساس نهضات الأمم من الاتحاد والوئام، فكانت عاملا قوياً من عوامل الفرقة الحقيقية بين المتعلمين فى المعاهد الدينية والمدارس المدنية منذ فجر حياتهم التعليمية. ولن تجد هذا النوع من التفرقة فى بلد آخر غير هذا البلد. فهلا تزال مصر بلد المفارقات والعجائب، وهل يصح أن نستمر على هذه الحال من السكوت على عوامل الفرقة وتركها تنخر فى عظام الأمة!

فإذا كان التعليم فى المرحلة الأولى بالمدارس المدنية سواء فى ذلك المدرسة المقترحة أو المدارس القائمة أصبح مجانياً كما هو الحال فى المعاهد الدينية؛ وإذا كانت اللغة الأجنبية لن يبقى لها وجود فى هذه المرحلة فى المدارس المدنية كما هو الحال فى المعاهد الدينية، وإذا كانت هذه المعاهد الدينية قد أخذت من زمن بعيد بفكرة إدخال العلوم الحديثة جميعها فى مناهجها فماذا يبقى بعد ذلك من فروق تستوجب هذه الثنائية المقوتة!

لم يعد هناك غير فارق واحد يستند عليه الأزهر وشيوخه فى بقاء هذه الثنائية، ذلك هو إهمال المدارس المدنية لدراسة الدين دراسة علمية وعملية توحى إلى نفوس الأبناء بنور الروحانيات وجلالها وعظيم أثرها. إننا نعرف حقاً بأن المدارس المدنية قد

فقدت هذه الروح فقداناً تاماً ، حتى وُجدت عندنا طبقة من الكتاب والأدباء وطبقة من أصحاب النفوذ والسلطان لا يقدرون للروحانيات قدرها ولا يدركون أثرها !

وإنه ليؤسفني أن أقرر أن المدنية المادية التي ساقها إلينا الغرب قد طغت على عقول هؤلاء جميعاً . غير أن الحرب الأخيرة التي استخدم فيها العلم شر استخدام لم تكن كلها شراً ، بل كان فيها بعض الخير لأنها نبهت أذهان الكثيرين من علماء الغرب وأتباعهم في الشرق إلى أن ساسة العالم وقادته يجب أن يغيروا من عقلياتهم القديمة ، وأن يفكروا تفكيراً جديداً يناسب ما أوحته هذه الحرب المدمرة إلى النفوس ، ويناسب ما أوحاه النصر في نفوس المنتصرين من غرور وجشع ، وما أملاه عليهم من سخرية بالمواثيق وهزء بالعهود وقضاء على حقوق الضعفاء ، وأثرة ونهم وطمع استولت كلها على نفوس الأقوياء .

نعم إن هذه الحال التي أوجدتها الحرب المدمرة وما تلاها من تصادم قوى بين الآراء الاستعمارية الجشعة التي زادت من تمكنها من النفوس سكرة النصر والشغف بالتسلط وبين الآراء الجديدة التي توحي بحرية الأمم والشعوب قد هزت الكثيرين من كتاب الغرب والشرق فنادوا بضرورة العودة إلى الدين ودراسته دراسة عملية بين جدران المدارس لأنه صمام الأمن الذي يهدئ النفوس ويردها عن الغي والظلم والطمع والفساد في الأرض حتى لا يكون طغيان الماديات سبباً في القضاء على المدنية القائمة . من أجل ذلك أنذرنا رجال التعليم في مؤتمرهم وأعلناهم بما يجره إهمال التعليم الديني والانصراف عن الروحانيات في أهداف التعليم وسياسته من استهتار بالفضائل في تكوين أخلاق النشء ومن ابتعادهم عن المثل العليا الروحية التي تربي القلوب ، والتي تشيع في الصدور النور والهداية والتي تحفز النفوس أبداً إلى الرقي والسمو وتعلو بها عن مدنسات المادة ودناياها ، كما تحفزها إلى العمل أبداً للمثل العليا للفضيلة والأخلاق الكريمة . ولكننا مع الأسف لم نجد من المؤتمرين سميعاً لأن قادة الشرق وزعماءه وكتابه لا زالوا سائرين على نسق الغرب وما يجري فيه . والغرب الآن لم يستقر على رأي ، ولا زالت الآراء والأفكار تصطرع فيه اصطراعاً . وقادتنا وكتابنا في انتظار ما يتمخض عنه هذا الصراع . ولا أدري لماذا نعيش عالة على آراء الغرب وتفكيره ، في حين أننا نجاهد في طلب الاستقلال . وهل هناك استقلال سياسي إلا إذا صحبه أو سبقه استقلال فكري ؟

وإذا كان مؤتمر التعليم قد اقتدى بالغرب القديم فانصرف انصرافاً عن الأخذ بجعل التعليم الديني في صلب مناهج المدارس الدينية وامتحاناتها كما يجب أن يكون ، وعن العمل للقضاء على ثنائية التعليم التي رسمها المستعمرون ، فإنا نرى في رجال المجلس الأعلى وهم البعيدو النظر من المفكرين ضماناً كافياً لبحث هذين الموضوعين الجليلين بحثاً حراً غير متأثر بالسياسة القديمة في سبيل وحدة هذا الشعب وتقارب أفكار أبنائه وتعاونهم وانسجامهم في اتجاهاتهم المختلفة . أما الأزهر ورجاله وعلى رأسهم فضيلة الأستاذ الأكبر وهو من أعلام الأدب وقادة الفكر فبعيد عن الظن أنهم يعارضون في فكرة التوحيد في صفوف الناشئة ما داموا يضمنون أن التعليم الديني سيأخذ سبيله المستقيم إلى المدارس ، وسيكون معنياً به كسائر العلوم الأخرى . بل أعتقد أن الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر سيكون أول مناد بهذا التوحيد الذي أصبح من الضرورات الملحة في سبيل لم الشمل وتخفيف حدة المنازعات والمخاصمات التي لا تجر على هذا البلد غير الويلات والنكبات .

ولقد أحس بعض القادة والمثقفين بضرورة العناية عناية صحيحة بالتعليم الديني في المدارس فتألفت لجنة في المركز العام للاخوان المسلمين للعمل على إحياء الروح الدينية الحقة في المدارس المدنية ، وجعل الدين من العلوم الأساسية التي يمتحن فيها التلاميذ امتحاناً حقيقياً لا صورياً حتى يأخذ حقه من عناية المدارس نظارها ومدرسيها وتلاميذها فيكون له أثره الفعال في النفوس .

وإنا لنأمل أن تلقى هذه اللجنة تعضيداً من جميع الهيئات الإسلامية العاملة في مصر ، وأن يشد أزرها الكتاب والأدباء المؤمنون بالفكرة حق الإيمان والذين لم تتلوث قلوبهم بالشبهات والزيغ عسى أن تلقى الفكرة ما تستحقه من عناية وتقدير في المجلس الأعلى وعند أولى الأمر جميعاً ، والله ولي التوفيق .

عبد الحميد فهمي مطر
المفتش بوزارة المعارف

٦ – الزندقة

في عهد المهدي العباسي

أصولها الفارسية

للأستاذ محمد خليفة التونسي

ذهبنا فى المقال الخامس (الرسالة ٦٥٢) إلى أن الفرس آمنوا بإلهين : أحدهما للنور والآخر للظلمة قبل أن يظهر فيهم زرادشت أول حكيم يعيه التاريخ من حكمائهم الأولين ، وبينا أن المعتنقين لهذا المذهب قبل زرادشت هم الذين يسمون «الكيومرتيه» نسبة إلى كيومرت أبى البشر فى رأيهم مما يدل على إيمان الفرس بقدم هذا المذهب فيهم ، وقد أوضحنا شيئاً من آراء هذه الفئة وعبادتها فى المقال السابق[(١)] .

لا خلاف فى أن الفرقة الأولى من المجوس هى الكيومرتيه . فأى الفرق ظهر فى التاريخ بعدها ؟

كل الكتب التى بين يدينا والتى تعرضت لهذه الموضوعات من طريق مباشر أو غير مباشر لا تجيب جواباً صريحاً على هذا السؤال ، ونجدها تذكر الكيومرتيه والمجوسية والثنوية والزنادقة والزرادشتية والمانوية والمزدكية ولكنها لا تحدد تمام التحديد مكان هذه الطوائف من حيث ظهورها فى التاريخ وإن حدثتنا أنه قد ظهر زرادشت وتلاه مانى ثم مزدك . ثم نسأل ما المراد بكل كلمة من هذه الكلمات ، وماذا تمتاز به تعاليم كل طائفة عن مثلها ؟ هذا على فرض أن هذه الكلمات ليست مترادفة ولا مشتركة ولا متداخلة . فان كانت مترادفة أو مشتركة أو متداخلة فكيف تترادف أو تشترك أو تتداخل ؟

(١) الزندقة فى عهد المهدى العباسى — الرسالة ٦٥٢ . وانظر أيضاً صبح الأعشى جـ ١٣ ص ٢٩٢ وما يليها ومروج الذهب للمسعودى جـ ١ ص ١٠٥ ، ٢٩٣ (طبع بولاق سنة ١٢٨٣ هـ) وكتاب الآثار الباقية للبيرونى ص ٢٠٤ (طبع ليبك سنة ١٩٢٣ م ، وقد نشره أوهراسويتز O. Aarrassoultz) ونهاية الأرب للنويرى جـ ١ ص ١٠٢ وما يليها .

إن النصوص التى بين يدينا فيها كثير من الاضطراب والخلاف ، فالمجوسية تطلق أحياناً على كل المذاهب الفارسية ، وتطلق أخرى على بعضها دون بعض ، والزندقة تطلق على جميع الثنوية أحياناً وتطلق أخرى على طائفة من الثنوية ، وهكذا ، ثم إن الثنوية قد تذكر قبل الزرادشتية ، وأحياناً تذكر دون أن يعين موضوعها فى التاريخ إزاء الزداشتية وهكذا ، ونحن مضطرون فى معرفة معنى الزندقة ولا سيما فى عهد المهدى العباسى وهى موضوع هذا البحث — مضطرون إلى فهم أصول التعاليم التى ظهر بها الزنادقة على عهده ، وإذن فنحن مضطرون إلى فحص هذه المذاهب لبيان ما له أثر منها فى هذه الزندقة وما ليس له أثر منها فيها . هذا وإن كثيراً من الكتب التى بين أيدينا تربك عقولنا لأنها تفاجئنا بآراء من غير أن تذكر لنا أصولها وتطوراتها حتى وصلت إلى صورتها الأخيرة ، ومن شأن هذه المفاجأة أن تربك العقل لسقوط بعض الحلقات فى سلسلة تطورها ، ومن أجل ذلك نستميح القراء و « الرسالة » الصفح لهذا الاستطراد الذى لا مفر لنا منه ولا غنى لنا عنه لفهم الزندقة فى عهد المهدى فهماً يسيراً لا تعقيد فيه ولا مفاجأة .

فى الفصل الذى عقده القلقشندى للكلام فى المجوسية وفرقها[(١)] يقول : « المجوسية : وهى الملة التى كان عليها الفرس ومن دان بدينهم » ثم يقسمهم ثلاث فرق : الفرقة الأولى الكيومرتية والثانية الثنوية والثالثة الزرادشتية ، وفى الزرادشتية يفصل القول فى زرادشت ومانى ثم يذكر مزدك . فهو يطلق المجوسية على كل المذاهب الفارسية ، وترتيبه الفرق على هذا النحو يدل على أنه يذهب إلى أنها قد ظهرت فى التاريخ كذلك : الكيومرتية ثم الثنوية ثم الزرادشتية ، وكل هذا غير صحيح ، وسندلى بحججنا فى ذلك إن شاء الله ، على أنا لم نجد فيما قرأنا من رتب هذه الفرق من حيث ظهورها فى التاريخ فلا بد من ترتيبها الترتيب الصحيح .

سبق الكلام فى الكيومرتية وأنها الفرقة المجوسية الأولى وأقدم الفرق الفارسية بلا شك ، وهى كذلك فى رأى القلقشندى

(١) صبح الأعشى جـ ١٣ ص ٢٩٢ ، ٢٩٨ .

فأما الثنوية فلم يقل فيهم إلا ما نصه : « هم على رأى الكيومرتية فى تفضيل النور والتحرز من الظلمة ، إلا أنهم يقولون : إن الاثنين اللذين هما النور والظلمة قديمان » قد أنكرنا عقلا أن تظهر فى التاريخ الثنوية قبل الزرادشتية لأن الزرادشتية لم تقل بقدم النور والظلمة ، بل ذهبت مذهب الكيومرتية فى سبق النور الظلمة ، ومعنى ذلك – كما فهمنا من الكيومرتية والزرادشتية – القول بتضاد الأشياء وتعاقبها وأن النور قد سبق الظلمة فى الوجود أما القول بقدم النور والظلمة معاً ففكرة زائدة جديدة ، فمن المنكر عقلا أن تظهر الثنوية القائلة بالقدم قبل الزرادشتية ، لأن رأيها أعقد من رأى الزرادشتية ، والآراء – ككل مافى الوجود – تبدأ بسيطة ثم تتعقد ، ولا عكس ، ومن أجل ذلك شككنا ثم أنكرنا رأى القلشقندى فى وضع الثنوية قبل الزرادشتية ورجعنا إلى ما بين يدينا من المصادر فوجدنا فيها ما يؤيد هذا الإنكار ، ونبادر بدفع ماقد يسبق إلى العقل من توهم يوقعنا فيه مايدل عليه لفظ الثنوية لغويا ، وهو أن الثنوية تطلق على كل القائلين بأن للكون أصلين : النور والظلمة ؛ أوخالقين أحدهما إله النور يزدان وإله الظلمة أهرمن . بل إن الثنوية فرقة يميزها من سائر الفرق القائلة بأصلين : النور والظلمة — أنها تقول بقدم الاثنين كما حكى مذهبهم القلشقندى ، فالقول بالقدم ركن هام فى العقيدة الثنوية .

ويسند ابن النديم فى الفهرست القول بالقدم إلى مانى المولود فى سنة ٢١٥ م فيقول إنه « يزعم بأن العالم مصنوع من أصلين قديمين هما النور والظلمة ، وأنهما أزليان سرمديان ، وأنه ما من شىء إلا وهو من أصل قديم » وكل ما ذكره ابن النديم صحيح ، ولكن ليس مانى أول من قال بقدم الإشياء من بين الحكماء عامة ولا حكماء الفرس خاصة . لقد ظهرت الثنوية بعد الزرادشتية وقبل المانوية فيما نرى ، فلنتكلم فى الزرادشتية قبل الثنوية ، ولينظر لنا القراء الأدلة على رأينا وبيان المراد من الثنوية ومن ظهر مذهبها على يده إلى حيث الكلام فى الثنوية إن شاء الله .

ظهرت الزرادشتية بعد الكيومرتية وصاحبها الذى تنسب اليه هو زرادشت [1] أول حكيم يعيه التاريخ من حكماء فارس ، وقد ظهر فى عهد الملك كيستاسف [2] السابع من ملوك الكيانية وهم الطبقة الثانية [3] من ملوك الفرس ، وكان مولده فى منتصف القرن السابع قبل أن ينهض الفرس بقرن كامل نهضتهم السياسية على يد كورش الأكبر (٥٥٠ ق . م) ويستقلوا ببلادهم ويطردوا منها الميديين ثم يمتلكوا ميديا أيضاً ويخضعوا الليديين فى آسيا الصغرى وتصل حدودهم إلى البسفور ، لقد سبقت النهضة العقلية فى فارس النهضة السياسية بأكثر من نصف قرن كما سبقت النهضة العقلية فى الصين والهند بنحو قرن فلم يولد جوتاما مؤسس الفلسفة البوذية فى الهند ولا كنفشيوس مؤسس الفلسفة المنسوبة اليه فى الصين إلا فى منتصف القرن السادس قبل الميلاد .

---

(١) زرادشت (بضم الدال) وفى بعض الكتب زردشت (بضم الدال وفتحها) وزرادشترا وزروسترا عند الغربيين Zoroaster و Zoroastre وكذا Zardushi وترسم أيضاً زردشت ، والرسم الأول أشهر ولذا استعملناه دون غيره .

(٢) كيستاسف فى محاضرات الراغب وعند ابن خلدون والقلقشندى ، وكشتاسب عند المسعودى ، وكشتاسف فى الملل والنحل ، ويستاسف فى التاج للجاحظ ، وجشتاسب فى الشاهنامة للفردوس ، وبستاسب فى الكامل لابن الأثير ، وقد استعملنا الأول لأن هذه الطبقة الكيانية التى ينسب إليها الملك إنما سميت كيانية لأن أسماء ملوكها تبدأ بكلمة كى وهي أظهر فى الأول من غيره .

(٣) يقسم المؤرخون ملوك فارس منذ القدم حتى الفتح الاسلامى لفارس أربع طبقات الأولى الفيشداذية أوالبيشداذية (البيرونى) أوالحداهان (المسعودي) من كيومرث إلي أفريدون والثانية الكيانية وهم من بعدهم إلى دارا بن دارا الذى هزمه الاسكندر المقدونى فى موقعة أربل سنة ٣٣١ ق . م . وعند الغربيين الأكينية Acheamenian وهكذا يسميهم مترجمو دائرة المعارف الاسلامية إلي العربية وكان الأولى الرجوع إلى التسمية العربية القديمة (الكيانية) المستعملة فى كتب التاريخ العربية ، والطبقة الثالثة الأشكان أو الأشغان أو ملوك الطوائف (ابن خلدون والمسعودى) وهم من حكموا فارس متفرقين من القبط والعرب والفرس بعد فتح الاسكندر فارس إلى سنة ٢٦٦ م إذ استولى أردشير الأول فيها على فارس ووحدها ، والطبقة الرابعة الساسانية وأولهم أردشير الأول هذا وجده ساسان الذى تنتسب إليه هذه الطبقة وآخرهم يزدجرد بن شهريار الذى قتل فى عهد عثمان بن عفان سنة ٣١ هـ (٦٥٢ م) وخضعت فارس للعرب بعد قتله ، وبعضهم يدمج الطبقتين الأوليين معاً فيجعل الطبقات ثلاثا (القلقشندى) ، وتنطق الكاف نطق الجيم القاهرية .

وليس من همنا هنا أن نخوض بالاثبات أو النفي فيما يحيط به الفرس حكيمهم زرادشت ومولده وخلقه وحياته من مناقب ولا فيما روته القصص الفارسية في ذلك من أساطير مما يدل على أنهم كانوا يكنون له أسمى درجات الحب والتقديس ، ولمن شاء ذلك أن يرجع إلى المبسوط من كتب التاريخ وكتب الملل والنحل وكتب الفلسفة ، كما أنه ليس مما يعنينا الحكم على هذه الروايات فلها مثيل عند كل الأمم قديمها وحديثها في موقفها تجاه أبطالها أيا كانت الناحية التي برزوا فيها ، ولن نعرض لما نسب إليه من صلات ببعض أنبياء بني إسرائيل وما قيل عن تأثير ذلك فيه وما كان من خيانته وهربه من فلسطين إلى بلخ فكل ذلك فيما أرى زعم يهودي أساسه العصبية اليهودية التي تأبى إلا أن تحتجز الفضل في كل نبوغ في اليهود ، وترد كل نبوغ خارج عنهم إلى أصل فيهم ، وحسبنا من الكلام في زرادشت أن نبين إجمالا تعاليمه التي كان لها أثر في الزندقة الفارسية قبل الاسلام ثم الزندقة على عهد المهدي العباسي ، وحسبنا في هذا الإجمال ما يجنبنا المفاجأة المربكة .

ولد هذا الحكيم في منتصف القرن السابع في أذربيجان من إقليم ميديا الذي كان تابعاً في هذا الوقت للدولة الكيانية التي عاصمتها بلخ[1] ، وقد طوف بالبلاد الفارسية واتصل بكثير من حكمائها للدرس والمشاورة في العقائد والأساطير الكيومرثية التي كانت قبله والإصلاحات التي تحتاج إليها فارس في عهده وهي تتأهب للنهضة السياسية التي ظهرت آثارها بعد وفاته ، وقد اتصل بالملك كيستاسف في عاصمة بلخ واستطاع أن يقنعه بالدخول في مذهبه ، وقد كان ذلك نصراً كبيراً له إذ عمل الملك على نشر مذهبه وإدخال الناس فيه فانتشر في جميع الأنحاء الفارسية ، ومما أعان على ذلك بقاء زرادشت يبشر بمذهبه في الفرس خمساً وثلاثين سنة ومات نحو سنة ٥٨٣ ق . م بعد أن عاش سبعاً وسبعين سنة ، وقد خلف زرادشت مذهباً وكتاباً[2] .

فأما المذهب فقد جاء به مصدقاً لما بين يديه من الكيومرثية أو الصابئية التي كانت قبله[3] فأيد القول بالهين اثنين أحدهما يزدان للنور والآخر أهرمن للظلمة لأنه وجد من المتعذر إسناد الخير والشر في العالم إلى مصدر واحد مع اعتقاده بأن يزدان أسبق من أهرمن وأنه خالقه ، والقول بأن العالم خلق من النور يدل على عبقرية ثاقبة ، ولولا ضيق المقام لفصلنا القول فيما تدل عليه هذه النظرة الرائعة ، وحسبنا أن نشير إلى أنها لا تختلف عن النظرة العلمية الحديثة في بناء الكون ، فقد فقدت المادة اليوم ماديتها بعد أن ثبت أن أجزاءها كالضوء ذات خاصية موجية ، وأنها مؤلفة من كهرباء ، وثبت ذلك بالبرهان المحسوس بعد أن أخذت صور البروتونات والألكترونات المتحركة وثبت أن كتلة الألكترون وهي معيار ماديته علتها حالته الكهربائية ، وبذلك صارت المادة نوعا من أنواع الطاقة ، فيقال الطاقة المادية ، كما يقال الطاقة الكهربائية والطاقة المغناطيسية بلاخلاف ، ولا ريب أن زرادشت عبر عن هذا بلغة الأسطورة لا لغة العلم وأنه لم يصل إلى ذلك من طريق المنطق ولا التجربة ، بل من طريق اللمح الفني العبقري المنبعث من الشغف القوي بالطبيعة ، وقد كان لهذا الرأي أثر في كثير من مفكري الأمة الفارسية وغيرها كاليونان والعرب ، وقد رمز القرآن الكريم إلى هذا المعنى العميق وعبر عنه تعبيرا واضحا في الآية الكريمة : « الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ، المصباح في زجاجة ، الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار ، نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ، ويضرب الله الأمثال للناس[1] » .

(يتبع) محمد خليفة التونسي

---

(١) انظر ما كتبته سترك streck في مادة أذربيجان في دائرة المعارف الاسلامية ، والنسبة إليها أذربي .

(٢) المسعودي في مروج الذهب ج ١ ص ١١٠ ، وابن خلدون = في العبر ج ٢ القسم الأول ص ١٦١ (طبع بولاق سنة ١٢٨٤هـ) ابن الأثير في الكامل ج ١ ص ١٠٠ (طبع المطبعة المصرية الأزهرية سنة ١٣٠٢ هـ) .

(٣) يسميها الكيومرثية القلقشندي في صبح الأعشى ج ١٣ ص ٢٩٢ ويسميها الصابئية البيروني في الآثار الباقية ص ٢٠٤ وابن الأثير في الكامل ج ١ ص ١٠١ .

(١) سورة النور : الآية : ٣٥ .

أغنية:

سماء الهرم . . .

للشاعر عبد الرحمن الخميسى

جئت لا أحمل إلا سقمى
فتعالى . . أطفئى نار دمى !
واشفى لى يا سماء الهرم
كم تلونا ها هنا سفر الجدود
هذه الصحراء والليل شهود

طالعتنى بين أطواء الرمالِ
قصة للحب وارتها الليالى
نسجت من ذوب قلبى وخيالى
آهِ لو كانت لياليها تعود
هذه الصحراء والليل شهود

كم دعونا ليلة البدر هنا
وارتمى الفجر على أقدامنا
فإذا نحن . . حبيبى وأنا
فى جلال الهرم العاتى سجود
هذه الصحراء والليل شهود

كان يصغى لأناشيدى السكون
وتباهى بغرامينا السنين
يا حبيبى . . إننى قلب أمين
عدت للماضى أغنى من جديد
هذه الصحراء والليل شهود

أسكر البيد هنا وقع خطانا
وأعاد الليل ألحان هوانا
وتمنى الصبح لو كان يرانا ،
فيغنى حولنا كل الوجود !
هذه الصحراء والليل شهود

يا حنينى . . كل شىء ذاكرى
وأنا أسأله عن هاجرى
كيف ينسانى ويشقى خاطرى ؟
أين ولى يا تماثيل الخلود ؟!
هذه الصحراء والليل شهود

عدت لا أحمل إلا سقمى
فتعالى . . أطفئى نار دمى
واشفى لى يا سماء الهرم
كم تلونا ها هنا سفر الجدود
هذه الصحراء والليل شهود

فى ليلة قمراء . . .

للشاعر ابراهيم محمد نجا

كل قيس مع ليلى قد طواها ... ومعي الأحلام لا شىء سواها !
وأنا الشاعر قلبى مسرح ... لمنى علوية لا تتناهى
أخلق الحب من الوهم ، وكم ... تخلق النفس من الوهم رؤاها !
وهنا الحب . . . قلوب تلتقى ... حيث تدعوها أمانىُّ صباها
إيه يا بدر لمن هذا السنا ... غازل الأمواج وهْناً فسباها ؟
ولمن يا نيل تسرى حالما ... بليالِ موجك الشادى رواها ؟
وتغنى أغنيات خلوةً ... فيوافيك من الشط صداها
ولمن يسرى نسيم هامس ... بأغان تفهم الروح لُغاها ؟
لقلوب لقيتْ ألآفَها ... فاطمأنت واستراحت من جواها
ونفوس سعدت فى حبها ... حين نالت منه ما بلَّ صداها
من لقلب لم يعانق إلفه ... ولنفس لم تجد بعدُ هواها ؟
إيه يا نيل لطير مغرد ... فى مغانيك ، وآهاً ثم آها
كلما وافى المغانى شادياً ... غلب الحزن عليها فبكاها !
إيه يا نيل لروح شارد ... مستطار ضل فى الدنيا وتاها
كلما جدَّد فى الحب المنى ... غلب اليأس عليه فطواها !



١ – هذى دمشق !

ما بدا حب دمشق أختها الكبرى مصر ، وتعلقها بهـا ، وتمسكها بالعروبة وكرهها لهذه الشيوعية الآثمة كما بدا فى هذين اليومين ، أثر تلك البرقيـة الوقحة التى بعث بها النفر الضالون المنكرون من رجال وزارة المعارف ، ولم يقتصر الأمر على البرقيات والاحتجاجات ، بل لقد أضربت مدارس دمشق كلها يوم الخميس وخرج تلاميذها يقدمهم طلاب الجامعة السورية ، فى مواكب لها أول وليس لها آخر يهتفون للعروبة ولمصر، ويبرؤون من هذه النحلة والداعين إليهـا . وتبعتهم مظاهرات العمال ، تهتف مثل هتافهم ، وتنادى بندائهم ، ولم يبق الجمعة منبر مسجد فى دمشق إلا هبطت من فوق أعواده اللعنات على الشيوعية وعلى أذنابهـا فى المعارف ، أما الصحف الشـامية ، فلقد قرأ الناس فى مصر ما كتبت ونشرت ، وكان أول من انتدب نفسه من الصحفيين لدر، هذا الشر الأستاذ نجيب الريس صاحب (القبس) ونائب دمشق فى المجلس ، وابن عمه الأستاذ منير الريس ، المجاهد ذو المواقف صاحب (بردى) ، فسجل هذا لهما فى (الرسالة) سجل العرب .

وما كان ذلك اهتماما بأصحاب تلك البرقية ، فهم أقلّ وأذلّ من أن تهتم بهم دمشق ، ولكن اعتذاراً إلى مصر ، ومحـاربة لهذه الشيوعيـة المدمرة ، واحتجاجا على وزارة معارف الشـام إذ تجعل كُبْر أمر التعليم إلى مثل هؤلاء ، مع مجاهرتهم بالدعوة إلى الشيوعية ، والعمل لمصلحة دولة أجنبية ، والتدخل فى شؤون المملكة المصرية ، ومع ما هم عليه من الخفة والرعونة والطيش ، ولقد وعدت الحـكومة وعد الصدق بطردهم من وظائفهم ومحاكمتهم ، وإنا لمنتظرون !

إيه يا نيـــل لصب ضارع	يشتهى اللقيا ، ويشتاق جناها
طافت الغيد عليه فى الـكرى	ورأى فيهن « ليلى » فاصطفاها
وتغنى بهواها ، وشــــدا	بصباها ، وهفا نحو سناها
ثم ردته الليــــالى شاكياً	ثائراً لأشواق يبكى من لظاها
إيه يا نيـــل لعمر ضائع	فى منى الروح ، وأحلام كراها
وشـــباب تنقضى أيامه	وخطى الحرمان واليأس خطاها
روضة العشاق فى دنيا الهوى	ليس لى من زهرة فوق رباها
غير همس من رباها ذائع	ونسيم عطّرته من شذاها
آه لو جئتـك يوماً ومعى	فرحة النفس ، وأنوار دجاها
لجلسنا نتناجى فى الهـوى	بقلوب طائف الشوق دعاها
ونسينا العمر والدنيــــا معاً	وتركنا الروح تسرى فى عُلاها
وبنينا حيث شئنا معبـداً	وعبدنا مبـدع الحب إلها
أيهـا العشاق غنوا فى الهوى	وانهبوا اللذات فالعمر فداها
واذكرونى زهرةً لم يُروها	نبع حب ...آه لو كان سقاها !
واسمعـونى يا رفاق طائراً	طاف بالآفاق يبكى فشجاها
فعسى الأيام أن يبسمن لى	ولعـل النفس أن تلق مُناها

٢ – تأديب السفهاء :

أما وقد عرف قراء الرسالة بداية خبر تلك البرقية التى تطاول فيها النفر الشيوعيون على حكومة مصر ، فليعرفوا نهايته ، وهى أن وزير المعارف الأستاذ صبرى العسلى بك قد أحال هؤلاء النفر إلى «لجنة تأديب الموظفين» — وكذلك يؤدب الـكبار إذا فعلوا مثل فعل الصغار ...

وإنا لنشكر الوزير على أن أنقذ أبناءنا من مربين ومؤدبين ، لا يزالون محتاجين إلى التربية والتأديب !

دمشق «على»

الى الأستاذ الفاضل محمد محمود شاكر :

سلام عليك . وبعد فقد قرأت مقالك فى مجلة الرسالة المباركة فى العدد الخاص بالعام الهجرى فأعجبت به كثيرا . إلا أنى دهشت فى أوله من عبارتك (السلام عليكم) موجهة للأستاذ الزيات ، ذلك أن القاعدة التى ذكرتها كتب اللغة لاستعمال هذه العبارة ، هى أن نبتدىء فى أول الـكتاب بـ (سلام عليك ، أو عليكم) بدون (أل) التعريف ، ثم ننتهى بـ (والسلام عليك أو عليكم) بذكر (أل) ، وتـكون أل هنا المهدية ، وهـذا نظير قولك :

(جاءنى ضيف فأكرمت الضيف) ، ولك يا أستاذ أن ترجع إلى كتاب أدب الكاتب لتقف على حقيقة الأمر .

وفى القرآن الكريم شواهد كثيرة تشير إلى صحة قسم من القاعدة . قال تعالى : « سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين » وقال تعالى : « قال سلام قوم منكرون » ... الخ فالملاحظ هنا أنه لا حاجة إلى تعريف (سلام عليكم) بالألف واللام .

وقال ذو الرمة :

أمنزلتى مىٍّ سلام عليكما   هل الأزمن اللائى مضين رواجع

وقال البحترى :

سلام عليكم لا وفاء ولا عهد   أما لكم من هجر أحبابكم بُدّ

والواقع أن هذه غلطة شائعة فى الوقت الحاضر ، وما كنت أستغرب لو وجدتها عند بعض الكتاب ، إلا أن تقتى القوية بعلمك فى اللغة العربية وتبحرك بها هى التى دفعتنى إلى الإستغراب .

وأخيراً : أرجو التفضل بإبداء رأيك فى الموضوع ، ففى ذلك خدمة للأدب العربى وأدبائه . والسلام عليك .

بغداد   صبحى البصام

صحف طرابلس الغرب :

كانت فى طرابلس الغرب قبل احتلال الطليان لها نهضة أدبية مباركة ، وكان للأدباء فيها رابطة كما لهم صحف ومجلات ، وقد نبغ الكثيرون من الشعراء والأدباء الذين لولا استعمار إيطاليا لبلادهم — كان لأدبهم شأن يذكر فى البلاد العربية . وقد كانت جريدة « الرقيب العتيد » رسولة هذه النهضة وحاملة لوائها . وكان صاحبها المرحوم الأستاذ محمود فهمى نديم بن موسى من قادة الرأى والفكر يسانده نخبة من الشباب المثقف الحر .

وهناك جريدة « العدل » وصاحبها الأستاذ محمد بانون التى كانت نبراساً للوطنية والحق . ولما احتل الإيطاليون هذه البلاد حتى خمدت هذه النهضة الأدبية ، وخارت عزائم الأدباء ، ولكن الإيطاليين بدأوا يدفعون فاقدى الضمائر ومريضى القلوب من الأدباء إلى تمجيدهم والإطناب بذكرهم ، وأجبروا صاحبى الرقيب والعدل على السير بموجب سياستهم ، وأصدروا مجلة مصورة سموها « ليبيا المصورة » كانت هى المجلة الرسمية للايطاليين ، تعبر عن رغباتهم وتشيد من ذكرهم ومجدهم ، وظلت الحال هكذا حتى كانت الحرب الأخيرة ، إذ اضمحلت الروح الأدبية تماماً ، واختفى ذلك البصيص الضئيل من الشعر والنثر ، وساد القطر جهل وصمت وسواد ! فهل نرى الآن وقد بدأ طائر السلام يرفرف بجناحيه نهضة جديدة فى طرابلس الغرب تقوم على أكتاف وسواعد شبابه العربى ونرى مجلاته تشق طريقها فى الحياة كزميلاتها صحف العروبة ؟ فلعل ذلك قريب .

(دمشق — دار المعلمين)   صلاح الدين بن موسى

الشيخ نصر الهورينى وتيمور باشا :

ذكر الأستاذان أحمد أمين بك ، ومحمد كرد على بك فى كتاب « ذكرى أحمد تيمور باشا » الذى ظهر حديثاً فى ص ٣٠ و ص ٧٧ أن العلامة أحمد تيمور باشا كان فى جملة أساتذته الشيخ الهورينى

وأنا أعلم أن وفاة الشيخ نصر الهورينى كانت سنة ١٢٩١ ، كما ذكره العلامة تيمور فى كتابه « تصحيح القاموس » ص ٤٢ ، والأستاذ الزركلى فى « الأعلام » . والعلامة تيمور ولد سنة ١٢٨٨ ، فتكون سنه ثلاث سنوات عند وفاة الشيخ الهورينى . وممتنع أن يكون الباشا تيمور فى هذه السن صديقاً للهورينى أو تلميذاً له . فذكره فى معارف أحمد تيمور خطأ ، وجل من لا يخطئ .

عبد الفتاح غدة

حول سناد التأسيس

أخذ الأستاذ — رضوان — على قصيدة الشاعر الغزالى فى عدد ٦٥٢ أن فى بيتين منها ما يعده العروضيون سناد التأسيس .

فقال الأستاذ — عدنان — بل هو سناد الاشباع عدد ٦٥٤ والواقع بأن فى البيتين سناد التأسيس لأن سناد الاشباع إنما يعرض على الدخيل ولا يكون الدخيل إلا بعد التأسيس وقد انعدم التأسيس فلا دخيل فضلا عن سناد الاشباع فليس فى البيتين إلا سناد التأسيس . وقد حاول الشاعر الغزالى أن يدفع عن البيتين مستنداً إلى أن ما استشهد به — الكافى فى علمى العروض والقوافى — لسناد التأسيس من قول العجاج :

يادار سلمى يا اسلمى ثم اسلمى ... تخندف هامة هــذا العالم

يختلف عن بيتيه ؛ والواقع أن بيت العجاج وبيتى الشاعر متساويان فى سناد التأسيس .

وبعد فاستكمالا للفائدة نقول : إن العلماء لم يعترفوا بالاستشهاد على سناد التأسيس ببيت العجاج لأن روايته المشهورة همز ألف . فقد استشهد به الزمخشرى — فى مفصله لهمز الألف فى باب الإبدال . وكذا — الرضى — فى شرحه للشافية .

محمد الطنطاوى
أستاذ بكلية اللغة العربية

١ — تصوير الأنبياء :

رأينا فى مجلة « الطالب » التى تصدر فى القاهرة صورة على غلاف العدد (٧٠) صورة تمثل سيدنا ابراهيم الخليل وأمامه ابنه اسماعيل الذبيح عليهما الصلاة والسلام ، وفوقهما ملك ذو جناحين يمثل سيدنا جبريل وأمامهما كبش ... !

ثم رأينا على غلاف العدد (٧١) صورة تمثل ناقتين أمامهما رجلان ، والصورة تشير إلى الهجرة . فاستنكرنا واستنكر معنا الكثيرون هــذه الطريقة الجديدة فى تمجيد الذكريات المجيدة والأعياد الإسلامية ...

إنها طريقة لا يقرها الشرع ولا العقل ولا الذوق ؛ وفى العدد نفسه صورة متخيلة للامام الجليل أحمد بن حنبل . وإن مجلة لا تحترم الأنبياء ولا الأئمة ، ولا تعرف لهم مكانتهم ، لهى مجلة جديرة بالوأد فى المهد ...

٢ — وقاحة الشيوعيين :

ثارت فى هــذا الأسبوع فى دمشق ضجة كبرى بشأن الكتاب الذى أرسلته إلى مصر فئة ضالة من أذناب الشيوعيين تحتج فيه على حكومة مصر لمكافحتها لجماعة الشيوعيين ومقاومتها إياهم ، وكانت النقمة شديدة على موقعى الكتاب ، وهم من أبرز موظفى وزارة المعارف ، وقد اهتمت الحكومة السورية بهذا الأمر وقررت أن تفصل هؤلاء الموظفين عن مناصبهم ، وأن تحيلهم على لجان التأديب لينالوا جزاء وقاحتهم وخيانتهم . ولا يزال هياج الشعب على أشده ، وهو يطالب باتخاذ التدابير الفعالة للقضاء على الشيوعية الخبيثة قضاء مبرماً لا قيامة لها بعده .

(دمشق) **ناجى الطنطاوى**



دهاء سـيدة

للقصصي الايطالى (موفانى بوكاشيو)

بقلم الأستاذ محمد عبد اللطيف حسن

كان يقطن فى بلدة أرامينو بإيطاليا تاجر غنى متزوج من سيدة جميلة صغيرة السن . وكان هذا الزوج شديد الغيرة والقسوة على زوجته ، لا لشىء إلا لأنه كان يحبها غاية الحب ، ويهواها من كل قلبه هوى عنيفاً مبرحا . فكان يظن لهذا السبب أن الناس جميعاً يحبونها كما يحبها ، ويهوونها كما يهواها ، وأنها تبادلهم إعجابا بإعجاب ، وافتتاناً بافتتان ! ومن هنا نشأت غيرته العمياء عليها ، وتولد فى قلبه الخوف والقلق من حسنها الذى كان يخلب الألباب ويستهوى الأفئدة . فكان يراقبها مراقبة شديدة ويمنعها من الذهاب إلى الكنائس والولائم والحفلات العامة ، بل لقد بلغت به الغيرة إلى حد أنه كان يمنعها من الخروج فى المواسم والأعياد التى كان يحتفل بها عامة الشعب ، فكان ذلك سبباً فى تنغيص حياتها وتكدير صفوها .

وهداها التفكير أخيراً إلى أن تقابل هذا العدوان وتلك القسوة بمثلهما . ففى أحد الأيام وقعت عيناها على شاب جميل وسيم الطلعة يقطن فى المنزل الملاصق لمنزلها . وقد استرعى هذا الشاب انتباهها قبل ذلك عدة مرات ، ولكنها لم تكن تعيره أدنى التفات ، ولم يخطر ببالها أن تهتم بغير زوجها فى يوم من الأيام ، حتى إذا ما طفح الكيل ، وبلغت غيرته وقسوته أقصى حدودهما ، لم تستطع السيدة صبراً أكثر من ذلك ، فأخذت تبحث فى جدران مسكنها علها تعثر على ثغرة يمكنها أن تخاطب هذا الشاب بواسطتها ، لتذهب عن نفسها ذلك الملل الذى كانت تحس به من جراء حبسها فى المنزل آناء الليل وأطراف النهار . وهداها البحث أخيراً إلى العثور على ثغرة صغيرة فى إحدى الغرف الخلفية لمسكنها ، فسرت لهذا الكشف السعيد سروراً عظيما وخاطبت نفسها بقولها (إذا كانت هذه الثغرة تؤدى إلى غرفة فلبو — وهو اسم الشاب — فإن خطتى لا بد أن تصل إلى النجاح المنشود ، والفوز المرتقب !) ولم تلبث أن دعت إليها خادمتها وكلفتها بأن تتحقق من هذا الأمر بنفسها . فعادت اليها الخادمة التى كانت ترثى لحالها ، وتتألم لسوء معاملة زوجها لها ، وأخبرتها أن فلبو يبيت فى هذه الغرفة التى عثرت على الثغرة المؤدية اليها بطريق المصادفة . فسرت السيدة لهذه البشرى الطيبة وأتت بباقة صغيرة من الزهور اليانعة ذات العطر الشذى ، والأرج الزكى ، وألقتها من الثغرة التى كانت لا تتسع لأكثر من إدخال رأسها ، فى مكان ظاهر من غرفة فلبو وظلت واقفة فى مكانها تترقب أوبته بفروغ صبر . فلما حضر الشاب ووجد باقة الزهور فى حجرته دهش لذلك دهشة عظيمة ، سيما وأنه لم يكن متزوجا وكان يقطن فى هـذا المسكن بمفرده ، وزادت دهشته حينما أطلت السيدة برأسها من الثغرة الضيقة ونادته باسمه ثم عرفته بنفسها ! ووقف الشاب مبهوتاً زائغ البصر لحظة ولـكنه لم يلبث بعد أن هدأ روعه ، واسترد هدوءه ، أن رحب بهذه الصداقة الجديدة التى كان ينتظرها منذ زمن طويل من غير طائل ، ومن هذا الوقت بدأت السيدة والشاب يقطعان الوقت فى المسامرة والحديث فكان ذلك سبباً فى سرورهما وغبطتهما معاً .

ولما اقترب عيد الميلاد كانت السيدة قد دبرت خطتها للانتقام من زوجها فقالت له ذات يوم وهى تحاول جهدها أن يكون كلامها طبيعياً على قدر الإمكان :

— إننى أود الذهاب إلى الكنيسة لأعترف للقسيس بخطاياى!

فذعر الزوج لهذا الطلب الغريب الذى لم يكن يتوقع سماعه منها وقال :

— وأى خطيئة ارتكبتها حتى تودين الاعتراف بها للقسيس؟

فابتسمت زوجته ابتسامة ماكرة وقالت :

— أو لست ياعزيزى بشراً كسائر البشر؟ أم تحسبنى قديسة من القديسات أو راهبة من الراهبات ؟

ثم سكتت سكتة قصيرة واستطردت قائلة :

— وهل تعتقد أننى معصومة من الزلل ، أو بعيدة عن الوقوع

فى الخطأ ما دمت تشدد الرقابة على وتحبسنى بين جدران منزلك ؟

وهنا أطرقت برأسها إلى الأرض وقالت له بلهجة حزينة ، ونغمة مؤثرة :

— آه لو كنت قسيساً لاعترفت لك بكل شىء ، ولكنك مع الأسف لست إلا فردا عادياً كسائر الأفراد ، وبشراً سوياً كبقية البشر !

فذهل الزوج لجرأة زوجته وكاد يصعق فى مكانه لأنه كان يعتقد أنها آخر من تفكر فى ارتكاب الخطيئة أو الوقوع فى الإثم ، ولكنه تظاهر أمامها بالهدوء والسكينة بالرغم من أنه كان يغلى فى قرارة نفسه كالمرجل .

ثم صمم أخيراً على أن يعرف خطاياها بنفسه مهما كلفه ذلك من جهد ، أو كبده من مشقة وعناء ...

فلما حل عيد الميلاد صرح لها بالخروج فى ذلك اليوم ولكنه حظر عليها الذهاب إلى كنيسة غير كنيستها ، وأمرها بألا تعترف بخطاياها لقسيس غير قسيسها ، ثم نبه عليها بأن تعود بعد ذلك إلى المنزل مباشرة . ففهمت السيدة غرضه وأجابته إلى رغبته بهزة خفيفة من رأسها !

وكان زوجها قد سبقها فى الذهاب إلى الكنيسة قبل ذلك ببضعة أيام واتفق مع القسيس على أن يرتدى ملابسه ويحل محله فى مقابل أجر كبير أعطاه إليه ليتسنى له معرفة خطايا زوجته بنفسه ، فلما حضرت وسألت عن القسيس ذهبوا بها إلى زوجها الذى كان قد سبقها فى الوصول إلى الكنيسة ببضع دقائق ! فعرفته زوجته لأول وهلة بالرغم من أنه كان قد أخفى وجهه بحيث لم يكن يتبين منه سوى عينيه ، ولكنه لم يستطع أن يغير لهجته ، ولا أن يبدل صوته بالرغم من أنه كان يحاول ذلك جهد طاقته ! وهذا ما أكد للسيدة أن الواقف أمامها ليس إلا زوجها دون سواه !

فابتسمت المرأة ابتسامة مريرة متكلفة وخاطبت نفسها بقولها : (حمداً لله وشكراً ! لقد أصبح هذا الزوج الغيور قسيساً ، ولكنى لن أبوح له بما يود معرفته ، ويتوق اللحظة إلى سماعه !) ثم تظاهرت بأنها لم تعرفه وارتمت تحت قدميه وقبلت يديه بذلة وخشوع وقالت :

— بالرغم من أننى متزوجة من رجل غنى كما تعلم ، إلا أننى أحب يا أبتى قسيساً يأتى إلى منزلى ويبيت فى مخدعى كل ليلة !

فدهش الزوج لهذا الاعتراف الفاضح ولكنه أخفى دهشته بكل مشقة وصعوبة لأنه أراد الوثوق من هذا الأمر ، والتأكد من معرفته ، فقال لزوجته وقد بهت لونه ، وا كفهرت سحنته :

— وكيف ذلك يا ابنتى ؟ ألا يقضى زوجك الليل فى مخدعك ؟

فقالت زوجته وهى تخفى براحة يدها ابتسامة خفيفة ارتسمت على شفتيها :

— بلى ياسيدى ...

فقال الزوج وقد زادت دهشته عن ذى قبل :

— وكيف يبيت إذن هذا القسيس فى مخدعك فى الوقت الذى يكون فيه زوجك موجوداً معك ؟

فتظاهرت الزوجة بالغرابة لهذا السؤال وقالت :

— لست أدرى ذلك تماماً ياسيدى ، ولكنى أعتقد أنه ليس هناك باب إلا ويفتح بمجرد ملامسة هذا القسيس له . وقد أخبرنى أنه يتلو عند مجيئه إلى منزلى تعويذة غريبة فتلقى بزوجى المسكين من فراشه على الأرض وتجعله يروح فى سبات عميق دون أن يدرى بمجيئه ، أو يحس بزيارته لى !

فارتبك الزوج فى موقفه ارتباكا شديداً وقال لها وهو يحاول أن يكظم غيظه ، ويكبح جماح غضبه :

— إننى أرثى حقاً لحالتك ياسيدتى ، ولكن ليس لك عندى مع الأسف أى حل . وكل ما أستطيع أن أفعله أننى سأصلى كل ليلة من أجلك ، وسأرسل إليك — فضلا عن ذلك — رسولا من قبلى بين الفينة والفينة لأرى نتيجة صلاتى لك ، عسى أن يغفر الله لك ويبعد عنك هذا القسيس إلى الأبد ...

فتظاهرت السيدة بالخوف الشديد وقالت :

— لا ترسل بربك أحداً إلى منزلى لأن زوجى شديد الغيرة على !

ولكن القسيس — أو الزوج — طمأنها بقوله :

— لا تهتمى بذلك مطلقاً لأننى سأتخذ الحيطة اللازمة لذلك .

فقالت السيدة وهى تهم بالوقوف :

— إذا استطعت أن تفعل ياسيدى ؛ فإننى لن أنسى لك هذا

الصنيع ما حييت ، وسأكون مدينة لك بشكرى مدى العمر بالرغم من أننى أحب هذا القسيس حباً جماً ولا أطيق فراقه عنى بأى حال!

قالت ذلك ثم غادرت الكنيسة على عجل وهى تضحك فى سرها من سذاجة زوجها الذى كان يتميز من الغيظ ، ويقرض على أسنانه من شدة الغضب ! وألقى الزوج بعد أن تركته زوجته بقلنسوة القسيس وبردائه على الأرض ثم هرع من فوره إلى منزله . فلما وصل إليه خاطب زوجته بعد أن فكر ملياً فى هذا الأمر ، ودبر خطته للانتقام منها ومن القسيس الذى يأتى لزيارتها كل ليلة فقال:

— سأتناول الليلة عشائى خارج المنزل لدى أحد أصدقائى ، وإذا تأخرت قليلا فلا تقلقى لغيابى لأننى سأقضى سهرتى عنده .

وقبل أن يغادر المنزل حدجها بنظرة حادة صارمة ثم قال لها بغلظة وجفاء :

— لا تنسى أن تغلقى ورائى باب المنزل بالمزلاج ، وكذا باب مسكنك ، بل وباب غرفة نومك كذلك إذا شئت أن تأوى إلى فراشك مبكرة ...

ففهمت السيدة غرضه وابتسمت له على كره منها ثم تمنت له ليلة طيبة دون أن تسأله عن المكان الذى سيقضى فيه سهرته ...

ولما غادر المنزل هرعت إلى الثغرة وأخبرت فلبو الذى كان فى انتظارها بكل ما حدث لها مع زوجها فى صباح ذلك اليوم ، ثم قالت له وهى تضحك ملء شدقيها :

— إننى واثقة من أن زوجى لن يتحول هذه الليلة من أمام المنزل ليتسنى له القبض على هذا القسيس المزعوم فهل يمكنك أن تأتى إلى فى المساء عن طريق سطح منزلك لنتبادل الأحاديث الحلوة والأقاصيص الشهية ؟

فأجابها فلبو وهو يكاد يطير من شدة الفرح لهذا اللقاء القريب الذى كان لا يشتهى فى الدنيا غيره :

-- سأحاول ذلك يا عزيزتى .

فلما أقبل المساء تسلح الزوج بهراوة ثقيلة واختبأ خلف بوابة قريبة من المنزل . ثم وقف ينتظر على مضض مجىء ذلك القسيس الذى اعترفت له زوجته بأنها تحبه ! وقد حدث ذلك فى نفس الوقت الذى ذهب فيه فلبو إلى مسكن معشوقته عن طريق سطح منزله ! وظل الإثنان فى لهو ومرح إلى ساعة متأخرة من الليل ، ثم عاد الشاب ثانية إلى مسكنه !

فلما بزغ النهار عاد الزوج إلى بيته بعد أن فرغ صبره ، وجمدت أطرافه من شدة البرد ! ثم ذهب إلى غرفة نومه وهو خائر القوى ، منهوك الأعصاب ، واستلقى على فراشه وراح فى سبات عميق ! فلما استيقظ من نومه غادر المنزل ثم أوفد إلى زوجته رسولا من قبله على زعم أنه موفد من القسيس الذى اعترفت له بخطاياها بالأمس ، عما إذا كان القسيس قد جاء لزيارتها فى الليلة الماضية أم لا ؟ فأجابته السيدة بقولها :

— لا ! إنه لم يأت فى الليلة الماضية ، وإذا انقطع عن زيارتى عدة ليال أخرى فإننى لن ألبث أن أنساه بمضى الزمن وإن كنت سأتألم بعض الشىء لغيابه عنى ، وانقطاعه عن زيارتى !!

وكرر الزوج مراقبته للقسيس الموهوم عدة ليال فى الوقت الذى تلهو فيه زوجته مع جارها فلبو كل ليلة دون أن يدرى أحد من أمرهما شيئاً ! فلما عيل صبره ، ولم يجد أدنى فائدة من تلك المراقبة ، سأل زوجته ذات يوم وشرر الغضب يتطاير من عينيه ، والحنق الكامن فى أعماق نفسه يلوح على أسارير وجهه المتجهم فقال :

— ما الذى اعترفت به للقسيس فى صبيحة يوم عيد الميلاد ؟

فذعرت زوجته لهذا السؤال المفاجىء ، ولاذت بالصمت المطبق ، والسكوت العميق ، فلما كرر عليها زوجها هذا السؤال استولى عليها الغضب ثم التفتت نحوه وقالت :

— أظن أنه ليس من حقك ، ولا من حق أى إنسان آخر أن أطلعك على أسرارى ، أو أكاشفك بخبيئة نفسى !

فازداد غضب الزوج لهذا الرد وقال :

— أيتها المرأة المنافقة ، والمخادعة الشريرة ، إننى على علم بكل ما اعترفت به فى الكنيسة ، وسأجبرك الآن على إخبارى بكل شىء عن ذلك القسيس الذى يبيت فى مخدعك كل ليلة ...

فلم تكترث زوجته لتهديده وقالت :

— إننى لا أستقبل فى مخدعى أحداً سواك ...

ولكن الزوج الغاضب لم يقتنع بإجابتها وانفجر فيها قائلا :

— ماذا تقولين ؟ أتنكرين هذا أيتها الحية الرقطاء ؟ أو لم تخبرى القسيس الذى اعترفت أمامه بذلك ؟

فنظرت إليه زوجته نظرة شزراء ثم قالت له بجرأة وثبات :

— إننى لا أنكر شيئا مما قلته له ، ومادمت قد سمعت اعترافى كاملا فلا حاجة بى إلى تكراره أمامك مرة أخرى !

فقال لها زوجها وهو يعجب من شجاعتها ورباطة جأشها :

— والآن ما دمت قد اعترفت بخطيئتك ، وكاشفتنى بإثمك فيجب أن تخبرينى بكل شيء عن هـذا القسيس العاشق ، وإلا فالويل لـكما منى معاً ... ...

فهزت زوجته كتفيها بسخرية واستخفاف ولم تأبه لوعيده أو تكترث لغضبه ، ثم أرادت أن تلقى عليه فى تلك اللحظة درسا قاسياً لا ينساه مدى الحياة ، فقالت له بصوت هادىء ، وعبارة متزنة هادئة :

— إننى فى أشد العجب من تلك الغيرة العمياء التى تظهرها نحوى فى كل وقت ، وبدون سبب . أتظننى غبية قصيرة النظر مثلك ؟ لا ! فلقد عرفت لأول وهلة أن القسيس الذى اعترفت أمامه بخطاياى هو أنت دون غيرك ! ولـكنى أردت أن أثير انتباهك بهذه الحكاية الملفقة ، وأظننى قد نجحت فى ذلك إلى حد بعيد ! ولو كنت عاقلا حقاً لما حاولت الإطلاع على أسرار زوجتك بهذا الشكل المزرى القبيح ! ولـكن الغيرة — قاتلها الله — أعمت بصيرتك ، وذهبت بلبك وجعلتك عاجزاً عن تبيان الحقيقة الواضحة أمامك وضوح الشمس فى رابعة النهار ! ولقد اعتقدت خطأ أن كل كلمة من كلماتى إنما هى حقيقة ثابتة لا شك فيها ، وغاب عنك أنها محض اختلاق ، ولم تكن إلا مجرد درس لك ولأمثالك من الأزواج الذين تعمى الغيرة الحمقاء عيونهم عن معرفة أبسط قواعد اللياقة والذوق ! ولقد قلت فى اعترافى إننى أحب قسيساً ، أفلم تكن أنت ذلك القسيس الذى كنت أحبه فى تلك اللحظة التى اعترفت فيها أمامك ؟ وقد قلت أيضاً إنه لا يعصى عليه أى باب عند ما يأتى إلى منزلى وهل هنا لك باب فى منزلك يستعصى عليك دخوله ؟ ولقد قلت أخيراً إن هذا القسيس يبيت فى مخدعى كل ليلة ، أو لا تفعل ذلك حقاً يازوجى العزيز ؟ وكلما أوفدت إلى رسولا من قبلك ليسألنى عما إذا كان القسيس لا يزال يكرر زياراته لى كنت أجيبه بالنفى ، وهذه حقيقة لا شك فيها لأنك اعتدت أن تسهر إلى ساعة متأخرة من الليل خارج منزلك منذ اليوم الذى اعترفت فيه أمامك فى الكنيسة ، حتى ظننت بدورى أنك تقضى سهراتك عند امرأة سواى وتلهو معها ماشاء لك اللهو والمجون! وقد كان يجب عليك أن تفهم كل هذه الحقائق بنفسك دون أن تكلفنى عناء شرحها وتوضيحها لك !

وهنا تظاهرت أمامه بالبكاء فاغرورقت عيناها بالدموع وقالت له بلهجة مؤثرة ، وصوت مختنق النبرات :

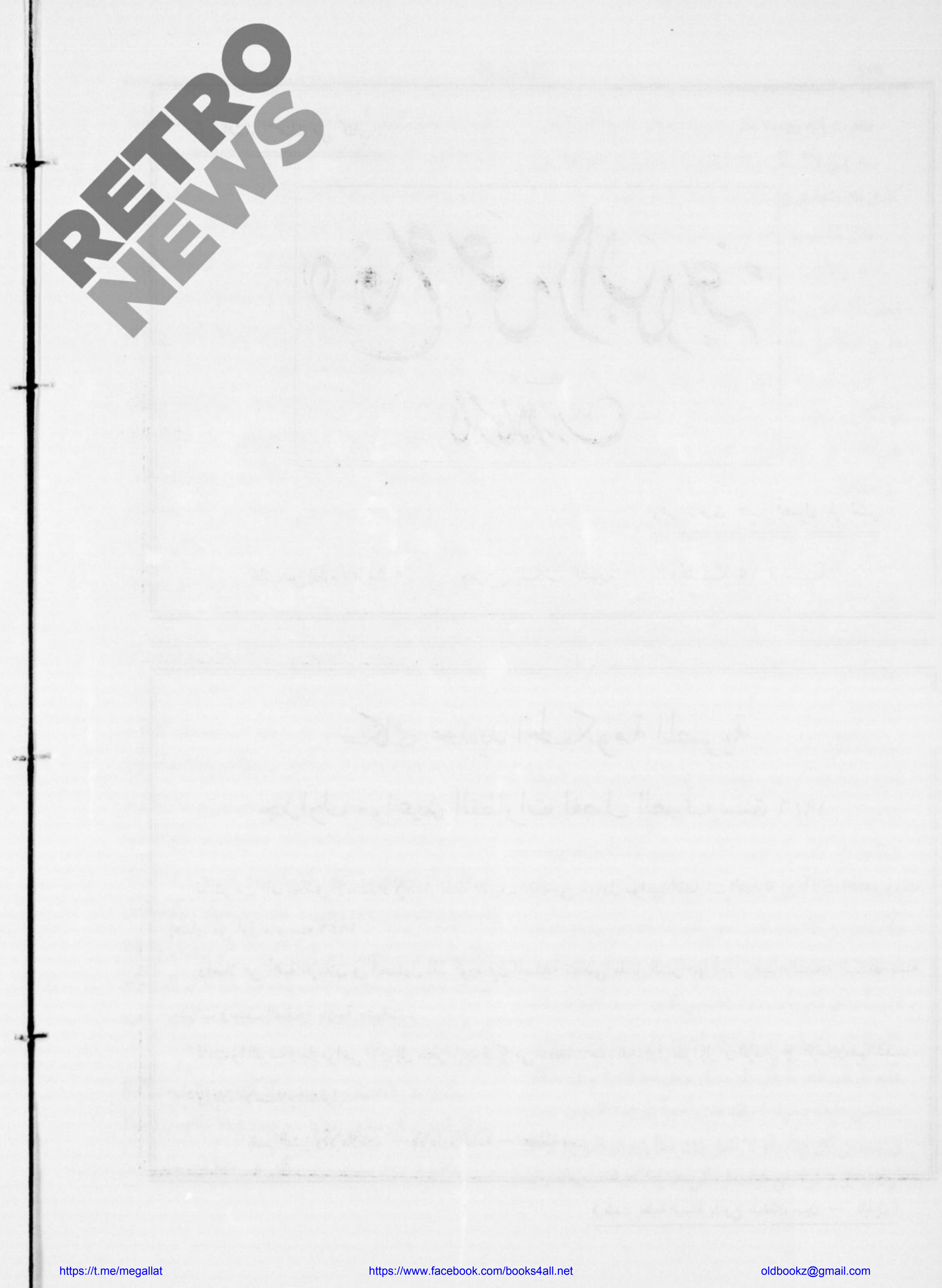
— فكر فى هذا الأمر المشين بك ياعزيزى ، واطرح عنك هذه الغيرة والعمياء التى نغصت علينا صفونا وراحتنا . وإذا كنت تعتقد أنك بحبسك لى بين جدران منزلك تمنعنى من اللهو والعبث مع غيرك ، وتحول بينى وبين تحقيق رغباتى ، فأنت جد مخطىء فى ذلك يازوجى العزيز ، لأن المرأة كما تعلم لا يقف أمامها أى حائل ، ولا يمكن لأى مخلوق مهما كان ، أن يعترض سبيلها إذا هى أرادت ذلك بمحض مشيئتها ورغبتها ...

فلما سمع الزوج ذلك تأثر لـكلامها ، وأحس بالحسرة والندم على ما فعل ، ثم أبعد عنه هذه الغيرة التى سببت له كل هـذا التعب والعناء ! وفى الوقت الذى كان يجب عليه فيـه أن يغار عليها ، ويشدد فى مراقبته لها ، نراه قد أهمل هذا الأمر إهمالا تاماً وترك حبل الأمور على غاربها ! وزيادة على ذلك فقد صرح لها بالخروج فى أى يوم تشاء ، وفى أية ساعة ترغب ، ولم يعد يهتم كثيراً بغيابها عن المنزل أو عدم غيابها ! فلما نالت الزوجة حريتها ، واطمأنت إلى عدم شك زوجها فى وفائها ، تمادت فى غيها ، وأوغلت فى ضلالتها ، وأصبح حبيبها فلبو يقابلها مرة أو مرتين فى اليوم . فاذا تصادف وحضر زوجها فى أثناء وجوده فسرعان ما يفر إلى مسكنه عن طريق سطح منزله دون أن يدرى به أحـد ، أو يعلم بأمره إنسان !

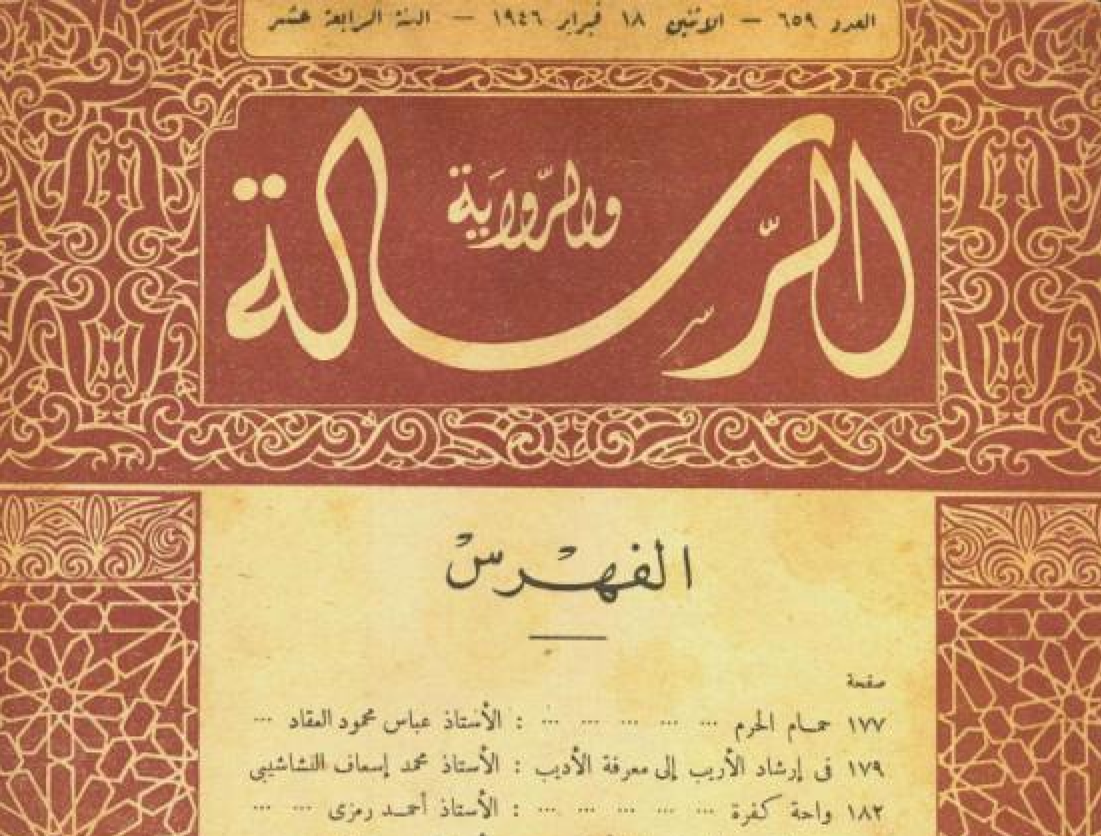
وهكذا ظل العاشقان يرتشفان معاً كؤوس الهوى حتى الثمالة بعد أن أفلحت الزوجة فى خطتها ، ونجحت فى الانتقام من زوجها!

اسكندرية **محمد عبد اللطيف حسن**

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)



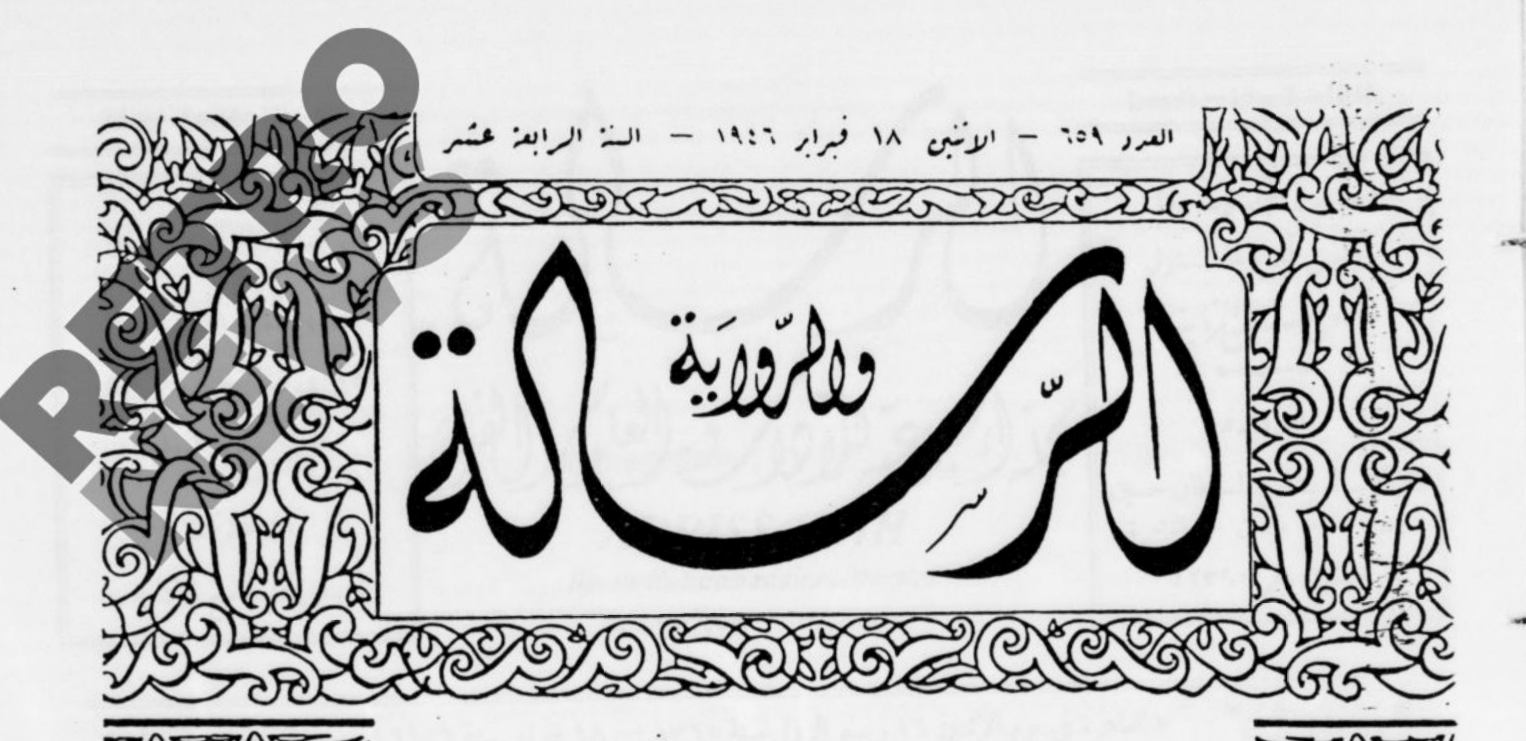
العدد ٦٥٩ — الاثنين ١٨ فبراير ١٩٤٦ — السنة الرابعة عشر



الفهرس

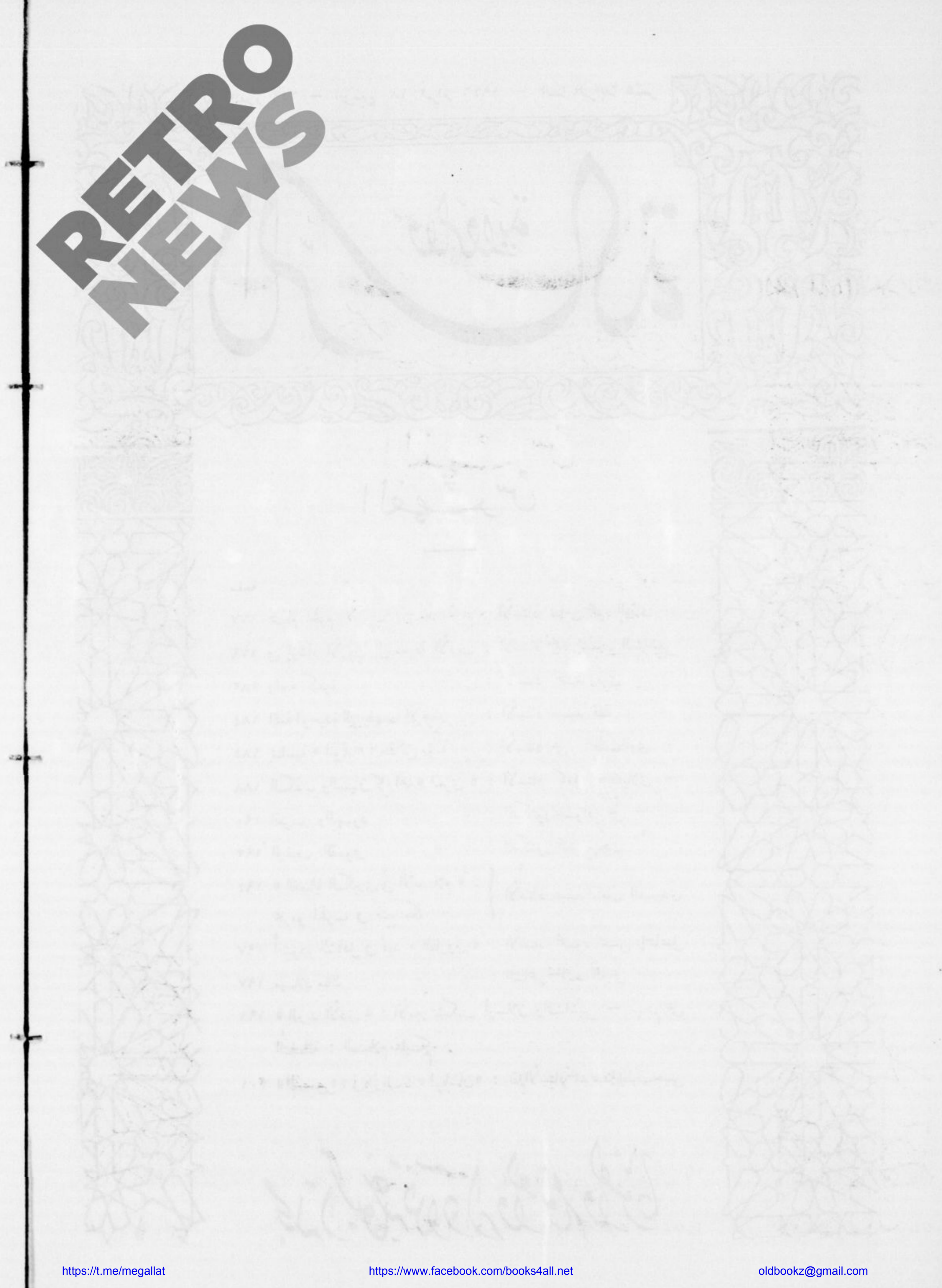
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ٦٥٩ — الاثنين ١٨ فبراير ١٩٤٦ — السنة الرابعة عشر



الفهرس

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون



14 me Année No. 659

Lundi —18—2—1946

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٦٥٩ « القاهرة فى يوم الإثنين ١٦ ربيع الأول سنة ١٣٦٥ — ١٨ فبراير سنة ١٩٤٦ » السنة الرابعة عشرة

حمـــام الحرم

للأستاذ عباس محمود العقاد

أشرت فى مقالى السابق عن الرحلة الحجازية إلى حمام الحرم فقلت عن أعجب ما سمعته ورأيته من شأنه « إنه يطوف حول الكعبة ولا يعلو عليها فرادى ولا جماعات » .

« وقد سمعت بهذه الخاصة فى حمام البيت قبل أن أراه ، فلما رأيته فى طواف العمرة وطواف الوداع تحريت أن أتعقبه فى كل مذهب من مذاهب مطاره فإذا هو كما سمعت يطوف ولا يتعدى المطاف إلى العبور » .

وهذه خاصة لابد لها من سبب مفهوم ، ولابد من استقصائها فى جميع أحوالها قبل التيقن منها وقبل تعليلها بالخوارق التى لا تقبل التعليل ، فإن الذهن لا يقبل الخارقة إلا إذا ضاقت به علل الطبائع التى أودعها الله فى خلقه وتواترت بها المشاهدة فى جميع الأحوال ، وبخاصة حين لا يكون هناك مقتضى من حكم الدين ولا حكم العادة لامتناع الطيران فى فضاء الكعبة أو أى فضاء مقدس مصون ، ولا معابة على فضاء السماء فى كل مكان أن تحلق فيه الطيور أو تعبر به الطائرات .

وقد شغلنى أن أتيقن أولا من تطابق الأقوال على اطراد هذه الظاهرة ، وأن أجرب حماما غير حمام الحرم لأرى كيف يطير إذا أطلق فى جوانب الكعبة وحده ، وأن أجرب طيراً غير الحمام من القمارى أو العصافير أو فصائل اليمام ، لأن الجوارح قد يصرفها النظر إلى فرائسها عن تحقيق التجربة بما يفيد الحرية فى اختيار جو الطيران ، وخطر لى قول الطائى :

يسقط الطير حيث يلتقط الحب ... وتغشى منازل الكرماء

ولكن الطير يسقط حيث يلتقط الحب ولا يقصر طيرانه على مواضع التقاطه ، فإذا كان حمام البيت قد تعود أن يلتقط غذاءه فى الماشى التى حول الكعبة فليس ثمة ما يمنعه إذا صعد فى الجو أن يتجاوز تلك الماشى إلى ما جاورها ، وهو قريب من قريب .

وأوصيت بعض رفاقنا أن يرقبوا هذه الظاهرة فى زياراتهم المتعددة ، وهم يزورون البيت متفرقين حسب النوبة التى يفرغون فيها من العمل فى اليخت أو فى الطوافتين . فلما عادوا جميعاً كُفيت مؤنة التجربة أو التجارب الكثيرة التى كان لا بد لنا منها قبل التيقن من تلك الظاهرة وتعليلها بما يكشفها على جليتها ، لأن ثلاثة منهم اتفقوا على أنهم شاهدوا الحمام يطير أحياناً فوق الكعبة وإن لم يكن ذلك مطرداً فى جميع الأوقات ، وممن شاهدوا ذلك إمام اليخت الملكى المحروسة وهو شاب مهذب أديب حسن المعرفة بالدين حسن التفسير لأحكامه وفروضه ، فإنه قال إن الحمام يطير فوق الكعبة ولكنهم يلحظون فيما يطير منه عليها شيئاً من الضعف والانكسار ، كأنه مريض يلتمس

الشفاء ببركة العبور على ذلك المقام ، وهذا وحده يبطل ما ذهبوا إليه من تلك الملاحظة ... لأن طالب البركة لا يلتمسها بما يخالف حرمة المكان فيما جرى عليه عرفه أو عرف بداهته الفطرية ، فان كان طير البيت يتجنب الطيران فوق الكعبة تقديساً لها كما يتخيلون فليس من شأنه أن يلتمس البركة بما يخالف التقديس .

وقد أصبحت الظاهرة معقولة بعد ما سمعته من تلك المشاهدات بغير خارقة أو التجاء إلى إغراب .

حتى ندرة الطيران فوق الكعبة لا تستعصى على التفسير الموافق للعادات والمشاهدات ، فان الحمام الأليف يجتمع إلى أسرابه فى ملاقط الحب ، ولكنه لا يطير أسراباً أسراباً كالفصائل البرية من نوعه حين تهاجر من مكان إلى مكان . فإذا جاوز الحمام الأليف مساقط أسرابه فإنما يطير زوجين زوجين أو فرداً فرداً فى التماس أليفه الذى يغيب عن نظره وسط الأسراب ، وهذه العادة خليقة بأن تفسر لنا ندرة الطيران على بعد من المماشى التى يتجمع فيها الحمام كما تفسر لنا بطء حركة الطائر الذى يخرج على الطريق فى بحثه واستطلاعه ، لأنه لا ينوى الطيران إلى بعيد حيث يعبر فضاء الكعبة لينظر حواليها إلى أليفه المفقود .

على أن جمال المعنى الذى يتمثل فى حمام الحرم لا ينقص ذرة بطيرانه هنا أو طيرانه هناك ، لأن معناه الجميل هو الأمن فى حماية الإيمان لا فى حماية الحراس أو حماية الأبراج والسدود . فهذا أضعف الطير يراه الجائع والطامع ولا يمسه بسوء ، وهو يطمئن إلى هذا الأمن بطبعه وإن لم يفهمه بعقل فيه يفهم أمثال هذه الأمور ، فلا يجفل من الإنسان ولا تراه يطير منه إلا طيران الدلال واللعب لا طيران الفزع والاضطراب .

* * *

ولم يزل للحمام نصيب من القداسة أو الطهارة منذ آمن الناس بالدين على سنة الوثنية أو سنة التوحيد ، وكان هذا النصيب ينفعه حيناً ويجنى عليه فى أحايين ، فكان قربان الحمام مفضلا فى شريعة موسى على القرابين من سائر الطيور ، وكان الأغريق يتقربون إلى الزهرة ربة الحب عندهم بالحمام الأبيض أو باليمام وما إليه ، ولا يزال السحرة فى أيامنا يخدعون السذج بالحمامة البيضاء أو الحمامة السوداء ، ويتوسلون بالأولى فى استعطاف الملائكة والأرواح الكريمة ، وبالأخرى فى استعطاف الشياطين والأرواح الخبيثة ، بل لا يزال أناس من المعاصرين يعتقدون فى الحمام اعتقاد الأقدمين الذين زعموا أنه أقدر الطير على استجابة دواعى العشق والغرام ، وأنه من ثم طعام صالح للأزواج وهدية صالحة فى الأعراس .

والشعراء يضربون به المثل فى الوفاء والغناء ، وبعضهم يسمى هديله بالبكاء لفرط الحنين إلى الالفاء والأحباء ، ويجارى الشعراء فى هذا الرأى بعض من كتب عنه من الطبيعيين والمشغولين بتسجيل عادات الطيور .

أما الصواب فهو ما قاله المعرى حيث قال :

أبكت تلكم الحمامة أم غنت   على فرع غصنها المياد

وهو أيضاً ما قاله حيث قال :

ظلم الحمامة فى الدنيا وإن حسبت
فى الصالحات كظلم الصقر والبازى

ويؤيد المعرى فى هذه الملاحظة هواة الحمام من العرب ، وأشهرهم مثنى بن زهير حيث يقول فيما رواه عنه الجاحظ فى كتاب الحيوان : « ... لم أر شيئاً قط فى رجل وامرأة إلا وقد رأيت مثله فى الذكر والأنثى من الحمام : رأيت حمامة لا تريد إلا ذكرها كالمرأة لا تريد إلا زوجها وسيدها ، ورأيت حمامة لا تمنع شيئاً من الذكورة كالمرأة لا تمنع يد لامس ، ورأيت الحمامة لا تزيف إلا بعد طرد شديد وكثرة طلب ، ورأيتها تزيف لأول ذكر يريدها ساعة يقصد إليها ... ورأيت حمامة لها زوج وهى تمكن ذكراً آخر لا تعدوه ... ورأيتها تزيف لغير ذكرها وذكرها يراها ، ورأيت الحمامة تقمط الحمام الذكور ورأيت الحمامة تقمط الحمامة ... » .

إلى آخر ما قال وهو صواب :

ولا ندرى هل ذم الحمام أو أثنى عليه حين قال إنه يشبه الناس فى أطواره ذكوره وأناثه . فقد يكون ذلك غاية الذم فى عرف قوم وغاية الثناء فى عرف آخرين !

* * *

ولسنا نختم هذا المقال قبل أن نستوفى سيرة الحمام كما عرضت

خلال الزيارة الحجازية إما بمكة أو خلال الطريق .

فقد كان الحمام ذات عشاء بعض صحاف المائدة على اليخت « المحروسه » أثناء عودته الأولى من جدة إلى السويس ، فعلمنا أن جلالة الملك عبد العزيز لا يأكل منه ولا من السمك على اختلافه إلا فى النادر القليل .

وأراد صاحب السعادة مراد محسن باشا أن يوفق بين رغبة الملك عنه ورأى بعض الفقهاء فى تحريمه ، فقال : إن أناساً من المتشددين يحرمون أكل الحمام الذى يربى فى بروج الحقول والغيطان فصمت جلالة الملك وتردد ثم سأله : ولم يحرمونه ؟

قال مراد باشا : لأنهم يتركونه يأكل من مال غيرهم ولا يطعمونه من عندهم ، فحرمه أولئك الفقهاء كما يحرمون مال « الغير » المأخوذ بغير علم من أصحابه .

وكنا نحسب أن هذا التشدد مما يرتاح إليه فقهاء نجد لأن الشيخ محمد بن عبد الوهاب منسوب إلى التشدد فيما يترخص فيه عامة الفقهاء .

ولكن جلالة الملك ظل على تردده والتفت إلى أخيه صاحب السمو عبد الله بن عبد الرحمن كمن يستفسر رأيه فى هذا التحريم .

فقال سمو الأمير : لاحرج فى أكله وما أرى وجهاً لتحريمه ولا قولا يعتد به فى ذلك ، وإنما حكمه حكم العصافير التى تأوى إلى أشجار الناس وتأكل من حيث أصابت الطعام .

فعرفنا شيئاً جديداً من مذاهب أهل نجد فى التحريم والتحليل ، فهم لا يأخذون بكل تشديد ولا يعزفون عن كل ترخيص ، وإن كانت لهم أقوال يخالفون بها جمهرة المتشددين والمترخصين .

وأطرف من هذا أن رئيساً من رؤساء الحكومة السعودية سأل الباشا : أهم يحرمون من الحمام الـ Pigeon أو الـ Dove turtle؟ لأن الأول يأوى إلى البيوت والثانى قلما يأوى إليها وإن عرفت الأمم القديمة استئناسه فى بعض البلدان .

فكان هذا السؤال مما لم يخطر على البال ، قبل الاستدلال على الحرام والحلال .

عباس محمود العقاد

فى إرشاد الأريب
إلى معرفة الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبى

— ٢٧ —

ج ١ ص ٢٦٨ : ومن شعر نفطويه :

الجد أنفع من عقل وتأديب ... إن الزمان ليأتى بالأعاجيب
كم من أديب يزال الدهر يقصده ... بالنائبات ذوات الكره والحوب
وامرئ غير ذى دين ولا أدب ... معمر بين تأهيل وترحيب
ما الرزق من حيلة يحتالها فطن ... لكنه من عطاء غير محسوب

وجاء فى الشرح : (كم من أديب يزال الخ) لا يزال حذفت لا كما فى كلام العرب أو هى يظل حرفت يزال والأول أوفق لوروده كثيراً . (وامرئ غير ذى دين الخ) . لا يستقيم الوزن إلا إذا جعلت همزة امرئ همزة قطع .

قلت : (كم من أديب يظل الدهر يقصده) يظل هى الرواية (وجاهل غير ذى دين ولا أدب) و (لا) لا تحذف قياساً إلا بعد قسم ، وقد شذ الحذف — كما قال ابن عقيل — دون القسم كقول الشاعر :

وأبرح ما أدام الله قومى ... بحمد الله منتطقا مجيدا[1]

أى صاحب نطاق (منطقة) وجواد .

وحذف هذا النافى بعد القسم كثير بل أكثر من الكثير ، وقد بينت المصنفات فى علم العربية (أعنى النحو[2]) وفى أسرار العربية[3] ، وفى فقه اللغة وسنن العرب فى كلامهم[4] ، وفى

---

(١) قلت : وشذ الحذف فى قول عمرو ذى الكلب من شعراء هذيل (ج ١ ص ٢٣٣ الطبعة الأوربية) :

فأبرح غازياً أهدى رعيلا ... أؤم سواد طود ذى نجال
ويبرح واحد واثنان محيى ... ويوما فى أضاميم الرجال
وأبرح فى طوال الدهر حتى ... أقيم نساء بجيلة بالنعال

(النجال) ما يستنجل من الأرض يخرج منها .

(٢) سيبويه ١ ص ٢٩٣ ، شرح المفصل ٧ ص ١٠٩ .

(٣) أسرار العربية للأنبارى ١١٠ .

(٤) الصاحبى لابن فارس ص ١٧٥ ، فقه اللغة للثعالبي ٥٠٨ .

فنون البيان والأدب [١] ، وفى التفاسير [٢] — هذه القاعدة خير تبين ، بيد أن المتسمين بـ (المبشرين) المتجسمين من الضلالة والجهالة والوقاحة والسفالة أبوا إلا تخطئة علوم العربية كلها وأقوال العرب جميعاً فأدبروا يقولون [٣] — أبادهم الله — فى كتابهم (مقالة فى الاسلام وذيلها) ص ٤٥٩ : « ومنه (أى خطأ القرآن فى العربية) قوله فى سورة يوسف : تالله تفتؤ تذكر يوسف ، والوجه لا تفتؤ لان فتئ وما جرى مجراها لا تستعمل إلا منفية » .

والوقح صخر الوجه لا يستحى من شىء .

لا يعمل البرد فى وجهه بل وجهه يعمل فى البرد

والقول القرآنى يعضد فى بلاغة الحذف وصحته قول معقل ابن خويلد (ديوان شعراء هذيل ج ١ ص ١٠١ الطبعة الأوربية) :

إذا أقسموا أقسمت أنفك منهم ولا منهما حتى أفك السلاسلا

وقول ساعدة بن جؤية (شعراء هذيل ج ٢ ص ١٥ الطبعة الأوربية) :

تالله يبقى على الأيام ذو حيَد

أدفى صلود من الأوعال ذو خدم [٤]

وقول المتلمس فى قصيدته وهى من (المنتقيات) فى (جمهرة أشعار العرب) :

آليتَ حبَّ العراق الدهرَ أطعمه

والحب يأكله فى القرية السوس [٥]

وقول امرىء القيس فى قصيدة مشهورة رويت فى ديوانه وفى كتب كثيرة :

فقلت يمين الله أبرح قاعداً

ولو قطعوا رأسى لديك وأوصالى [١]

وقول النابغة فى قصيدة فى ديوانه وفى كتب كثيرة :

فقال : تعالى نجعل الله بيننا على مالنا أو تنجزى لى آخره

فقالت : يمين الله أفعل إننى رأيتك مشؤوما يمينك فاجره

وقول ليلى الأخيلية فى قصيدة فى رثاء توبة (الأغانى ١١ ص ٣٢٠):

فتالله تبنى بيتهـا أم عاصم على مثله أخرى الليالى الغوابر

فأقسمت أبكى بعد توبة هالكا وأحفل من نالت صروف المقادر

وقول امرأة سالم بن قحفان رواه المفصل وشرحه (ج ٧ ص ١٠٩) :

حلفت يميناً يا ابن قحفان بالذى

تكفل بالأرزاق فى السهل والجبل

تزال حبال مبرمات أعدها لها ما مشى يوماً على خفه جمل

وقول الأعشى (روى فى تهذيب إصلاح المنطق ص ٢٢٤ ، والاصلاح لابن السكيت ، والتهذيب للتبريزى) :

وإنى ورب الساجدين عشية

وما صك ناقوس النصارى أبيلها [٢]

أصالحكم حتى تبوءوا بمثلها كصرخة حبلى أسلمتها قبيلها [٣]

وقول أبى حنبل الطائى (رواه الميدانى فى مجمع الأمثال فى شرح : أوفى من أبى حنبل ج ٢ ص ٢٢٣) :

لقد آليت أغدر فى جذاع وإن منِّيتِ أمات الرباع [٤]

إن القرآن الكريم ليعضد هذه الأقوال المتقدمة وأقوالا غيرها لا تحصى روى طائفة منها سيبويه (ج ١ ص ٤٥٤) والفائق (ج ١ ص ٤٨) وأمالى الشجرى (ج ١ ص ٣٣٢)

---

(١) المثل السائر ص ٢٠٧ أمالى الشجرى ١ ص ٣٣٢ .

(٢) إعراب القرآن للعكبرى ٢ ص ٢٢ ، الطبرى ١٣ ص ٢٥ الكشاف ٢ ص ١٢٢ ، الرازي (٥) ص ١٥٨ .

(٣) فى الكشاف فى تفسير : ثم أدبر يسعى : أريد ثم أقبل يسعى كما تقول أقبل فلان يفعل كذا بمعنى أنشأ يفعل فوضع أدبر موضع أقبل لئلا يوصف بالاقبال .

(٤) الحيد في القرن أى فى قرنه ، الأدفى الذى تحنى قرناه إلى ظهره الصلود الذى إذا فزع صلد فى الجبل أى صعد فيه ، ذو خدم أى أعصم (شرح ديوان شعراء هذيل) الأعصم الذى فى ذراعيه أو إحداهما بياض وسائره أسود أو أحمر ، والصلود المنفرد ، والحيد العقدة فى قرن الوعل .

(٥) من أبيات الكتاب . قال الشنتمرى : أراد على حب العراق فحذف الجار ونصب ، يخاطب عمرو بن هند وكان قد أقسم أن لا يطعم المتلمس حب العراق لما خافه على نفسه وصار إلى الشام ، فقال له المتلمس مستهزئاً آليت على حب العراق لا أطعمه وقد أمكننى منه بالشام مايغنى عما عندك ، وأشار إلى كثرة ما هنالك منه بما ذكر من أكل السوس له ، وأراد بالقرية الشام وبالحب البر (ج ١ ص ١٨) .

(١) يمين الله : منصوب بمعنى حلفت بيمين الله ثم اسقط الحرف فتعدى الفعل . ويروى بالرفع على الابتداء وخبره محذوف (التبريزي) .

(٢) الأيبل صاحب الناقوس ، والايبل رئيس النصارى ، والراهب (اللسان) .

(٣) قبلت القابلة الولد قبالا أخذته من الوالدة وهى قابلة المرأة وقبولها وقبيلها (اللسان) يقول : لا أصالحكم حتى تعترفوا بمثل الحرب التى أوقعتموها وتصرخون من شدتها كصراخ المرأة الحامل التى ضربها المخاض فهى تصيح لما يؤلمها من ذلك ، وقوله أسلمتها قبيلها يريد أن القابلة يئست منها ، إصلاح المنطق)

(٤) الرباع جمع الربع — كصرد وهو ما نتج فى أول النتاج ، وهو أحمد النتاج وخص أمات الرباع لأنها أصبر الابل (الأنبارى شارح المفضليات) .

والمثل السائر (الطبعة الجديدة ج ٢ ص ١١١) والطبرى فى تفسيره (ج ١٣ ص ٢٥) .

وكتاب (المضللين) المعزو إلى الشيخ اليازجي قد شرحت حاله فى مقالاتى(١) فى الرسالة الغراء ، وبرأت الشيخ اليازجي بالحجة الشهباء من ذلك الهذر والسفه والجهل والهراء ، وأثبت أن المضللين مزورون ومفترون ، وأظهرت من أغلاط كتابهم فى العربية نحواً من مئة غلطة ...

* * *

ج ٢ ص ١٨ : أبو إسحاق المتوكلى (إبراهيم بن ممشاذ)

كتب للمتوكل ، ثم صار من ندمائه فسمى المتوكلى ، ولم يكن بالعراق فى أيامه أبلغ منه ، وله رسالة طويلة فى تقريظ المتوكل والفتح بن خاقان يتداولها كتب العراق إلى الآن ، وتسخط صحبة أولاد المتوكل فتركهم ولحق بيعقوب بن الليث . كتب من عند يعقوب إلى المعتمد :

أنا ابن الأكارم من نسل جم — وحائز إرث ملوك العجم
ومحيى الذى باد من عزهم — وعفّى عليه طِوال القدم
وطالب أوتارهم جهرة — فمن نام عن حقهم لم أنم
يهم الأنام بلذاتهم — ونفسى تهم بسوق الهمم
إلى كل أمر رفيع العماد (م) طويل النجاد منيف العلم
وإنى لآمل من ذى العلا — بلوغ مرادى بخير النسم
معى علَم الكائنات الذى — به أرتجى أن أسود الأمم
فقل لبنى هاشم أجمعين (م) هلموا إلى الخلع قبل الندم
ملكناكم عنوة بالرما — ح طعناً وضرباً بسيف خذم
وأولاكم الملك آباؤنا — فما إن وفيتم بشكر النعم
فعودوا إلى أرضكم بالحجاز (م) لأكل الضباب ورعى الغنم
فإنى سأعلو سرير الملوك (م) بحد الحسام وحرف القلم

قلت : رواية الراغب فى (محاضراته(٢)) : (أنا ابن الأكارم من آل جم) .

(وعفى عليه طَوال القدم) فى الصحاح : الطوال بالفتح من قولك لا أكلمه طوال الدهر وطول الدهر بمعنى . وفى القاموس : الطوال كسحاب : مدى الدهر ، وضبط فى المخصص ج ٧ ص ٧٣ وفى اللسان بالفتح . وجاء فى التاج : « وذكره ابن مالك فى المثلثات » ولا أدرى من أين جاء ابن مالك بهذا التثليث .

(لنا علم الكابيان) كما روى الراغب ، وأغلب الظن أنه مثل الدرفس فى بيت البحترى :

والمنايا مواثل وأنو شروان (م) يزجى الصفوف تحت الدرفس

(وأكل الضباب ورعى الغنم) رواية الراغب(١) .

(بحد الحسام ورأس القلم) رواية الراغب .

والميمات فى الأبيات الأربعة يحذفن ، فليست الكلمات فيها فى الصدر بمتصلات بالأعجاز ، والشعر هو من بحر المتقارب ، والقبض فى هذا البحر كثير ، وقال بعضهم : القبض فى عروض هذا البحر أحسن من التمام ، وعزوا إلى امرىء القيس هذا البيت الذى لم يقله :

أفاد فجاد ، وساد فزاد — وقاد فذاد ، وعاد فأفضل

وفى هذا البحر تجتمع العروض الصحيحة والمحذوفة والمقبوضة.

يقول الإمام ابن قتيبة فى (كتاب العرب أو الرد على الشعوبية(٢)):

لم أر فى هذه الشعوبية أرسخ عداوة ولا أشد نصباً للعرب من السفلة والحشوة وأوباش النبط وأبناء أكرة القرى ، فأما أشراف العجم وذوو الأخطار منهم فيعرفون مالهم وما عليهم ...

وإنما لهجت السفلة منهم بذم العرب لأن منهم قوماً تحلوا بحلية الأدب فجالسوا الأشراف ، وقوما اتسموا بميسم الكتابة فقربوا من السلطان فدخلتهم الأنفة لآدابهم والغضاضة لأقدارهم من لؤم مغارسهم وخبث عناصرهم ، فمنهم من ألحق نفسه بأشراف العجم ، واعتزى إلى ملوكهم وأساورتهم ودخل فى باب فسيح لا حجاب عليه ونسب واسع لا مدافع عنه . ومنهم من أقام على خساسة ينافح عن لؤمه ، ويدعى الشرف للعجم كلها ليكون من ذوى الشرف ، ويظهر بغض العرب ؛ يتنقصها ، ويستفرغ مجهوده فى مشاتمها وإظهار مثالبها ، وتحريف الكلم فى مناقبها ، وبلسانها نطق ، وبهممها أنف ، وبآدابها تسلح عليها .

(١) المقالات ذوات العنوان : (كتاب المبشرين الطاعن فى عربية القرآن أسلم مصري أم مبشر برستنق) الرسالة ١٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٤ ، ٢٧٧ ، ٢٨٠ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ .

(٢) ورواية الباحث الفاضل الأستاذ خليفة التونسى فى الرسالة الغراء ٦٤٥

(١) ورواية الأستاذ التونسى .

(٢) نشره العلامة الأستاذ الشيخ جمال الدين القاسمى (رحمه الله) فى مجلة المقتبس الغراء لصاحبها العلامة الأستاذ السيد محمد كرد على .

واحة كفرة

كيف احتلها الطليان وفتكوا بأهلها سنة ١٩٣٠

« كيف وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة »
« سورة التوبة »

للأستاذ أحمد رمزى

إنى من القوم الذين يؤمنون بأن مصر بلادنا هى قلب العروبة . هذا ما ناديت به ، وكنت أول من أذاعه من راديو الشرق أيام الانتداب الفرنسى ، وأعتقد أن موقع مصر بين بلاد العرب فى الجزيرة وبلاد العرب فى شمال أفريقية وجنوبى وادى النيل ، يجعل لها هذه الميزة ، ويحتم عليها أن تحمل الأمانة التى عجز عنها غيرها ، وأعتقد أن تاريخ مصر فى عهدها العربى قد ألقى هذه الرسالة على المصريين ، ولذلك اتجهت أنظارهم وآمالهم نحو هذه البلاد الشقيقة المحيطة بهم ، وكلما مرت الأيام ازدادت النفوس اطمئنانا لمصر ، وتقاربت القلوب وتماسكت واتجهت نحو حياة جديدة . ونحن الذين نشأنا على هـذه العقيدة قد أشربت نفوسنا محبة هـذه البقاع وتاريخها .

ومن بين دروس الماضى المملوءة بالذكريات ، لا أجد درساً أشد وقعاً على نفسى، وإيلاما لها من درس احتلال الكفرة وما حل بها ، يوم خرج أهلوها من أوطانهم وهم يعدّون بالمئات خشية بطش الطليان وفتكهم ، فأخذتهم الصحراء ، وماتوا فى سبيل الله .

وواحة كفرة معقل من معاقل الإسلام والعروبة ، فى هذه الصحراء الكبرى الممتدة من وادى النيل إلى مياه المحيط ، ذلك الجزء من العالم ، الذى كان بوتقة تختمر فيها الدعوات والحركات الشعبية ، التى إذا قامت اكتسحت فى وجهها كل شىء ، فلا تصمد أمامها الحصون ولا الأسوار، ولا تردها الممالك ولا الجيوش، ولا تقف البحار بينها وبين الفتوح ، ففيها قامت دعوة أبى عبدالله الشيعى ، مؤسس قواعد الملك للخلافة الفاطمية ، فكان من أمرهم ما كان ، ملك يطاول ملك الشمس ، لا تزال آثارهم باقية ظاهرة واضحة فى هذه القاهرة المعزيّة ، التى احتضنت العروبة والإسلام لألف عام ، والتى أصبحت اليوم موطن العروبة ومقر الجامعة العربية

وفى هذه البطائح موطن الأسود ، ظهرت دعوة المرابطين ، فانتشرت وامتدت . ومن منا يجهل يوسف بن تاشفين وجهاده وحروبه بالأندلس ؟ والله لو تأخر مقدمه ، لاكتسح الفرنجة أرضها قبل يوم الميعاد بأربعة قرون . فبالله ما رأيك فى سيف يؤخر حكم القدر أربعمائة عام ؟

وعلى هذه الرمال ظهرت قوة الموحدين ، وهم أناس شيّدوا ملكا وقادوا الجحافل ولهم أيام ومعارك وفتوح .

وإذا نزلت جنوباً عن الكفرة ، ذكرت حركة المهدى ، وهى دعوة إصلاح وإخلاص تحركت بها النفوس وآمنت ، وسارت فى طريقها ، ولم يضعف من شأنها غير وفاة صاحبها قبل أن تثبت جذورها .

وأخيراً دعوة السنوسية وانتشارها ، وافتتاح الزوايا والأربطة والعمل فى سبيل الله ، والدفاع عن أراضى برقة وليبيا .

إن أرض العروبة فى أفريقيا ، سواء فى شمالها أو صحاريها أو جنوبى مصر ، موطن للحركات القوية ، التى تنبثق من إيمان أهليها ، فتخرج إلى الدنيا ، لتهز الدنيا ، وتؤسس الملك وتقود الشعوب وتحرك الهمم . هـذا شأن هذه البقاع منذ عرفتها العروبة وعرفها الإسلام .

فأهل مراكش فى جهاد دائم منذ الأعصر الأولى ، يرابطون فى منازلهم ويقاتلون فى سبيل الله ، وما من ملحمة فى تاريخ العرب بالأندلس إلا وسمعت أن لأهل المغرب لهم فيها المواقف الباسلة والأيادى التى لا تنسى .

وقس على ذلك سائر سكان هذه البلاد ، كان هذا شأنهم حتى دهم الاستعمار بلادهم ، فهل هبطت عزائمهم ؟

إن تاريخ المغرب فى قرن من الزمن ، هو صفحة مجد لم تكتب ليومنا هذا ، ولكنها ستكتب يوماً وسيعلم الناس من أمرهم الشىء الكثير ...

وأعود إلى الكفرة ، بقيت هذه البقعة آخر معقل للاسلام والعروبة ، حتى دهمها الطليان فى يوم من آخر أيام سنة ١٩٣٠ فافتتحوها واقتصوا من أهلها وشردوهم ، وفى طريقهم إلى واحات مصر ، حلت بهم أكبر نكبة فى القرن العشرين .

والآن وقد طوى حكم الطليان عنها هل عادت لأهلها ؟ كلا لا تزال تحتلها جنود فرنسا ، بل هناك أكثر من ذلك ، فقد قرأنا أنها تطالب باقتطاع إقليم فزّان وأجزاء من جنوبى طرابلس وبرقة لضمه إلى مستعمراتها . فهل سمعتم بذلك ؟ وما هو موقف جامعة الأمم العربية وشعوبها ؟

لم يقصر أهل الـكفرة عن الدفاع عنها بأموالهم وأرواحهم بل استشهد الـكثير منهم فى سبيلها ... وإليـكم صفحة من آخر أيام عاشتها الـكفرة وكيف استولى الطليان عليها ...

يحدثنا الطليان فى كتبهم ومراجعهم بأن جرازيانى قائدهم يعرف تماماً أن البادية بأخطارها وفيافيها كانت دائماً معقلا للمجاهدين ، فـكانت حكومات المستعمرين تهاب الرمال ، ولذا اتخـذت فرنسا وهى العتيقة فى أساليبها وتقاليدها الاستعمارية واتصالها بالشعوب المظلومة ، سياسة خاصة بالصحراء الـكبرى ، إذ أخذت تتقرب لزعماء الطوارق وتتخذ منهم أنصاراً لها .

ولـكن إيطاليا الفاشستية أرادت أن تضرب للناس مثلا ، وأن تقوم بأكبر العمليات الحربية فى صحراء ليبيا ، وأن تحرز لأسلحتها نصراً عجز الغير عن إحرازه ، فتراه يتحدث مفتخراً بأن فرنسا لم تبدأ حملاتها ضد الصحراء قبل سنة ١٩٠٠ ، حينما احتلت واحة عين صلاح ، على حافة الصحراء الـكبرى فى الجنوب من أراضى الجزائر ، أى بعد مضى سبعين عاماً من دخولهم القطر الجزائرى الشهيد ، واستخلص من تجارب الفرنسيين ، أنهم اقتنعوا باستحالة إتمـام الفتح ، إذا بقوا معتمدين على كواكب الخيالة من السباهيين الوطنيين ، ولذا فـكروا منذ سنة ١٩٠٠ فى إنشاء قوة من الرجال سموها : قوات البادية وألقى عليها عبء القتال والفتح — والفضل فى إنشائها وتدريبها وتـكوينها يعود إلى ضابط فرنسى اسمه الماجور لابيرن .

أما الطليان فقد أخذوا بكل تجارب ودروس من تقدمهم فى فن الاستعمار ، ولذلك اتجهوا إلى إنشاء قوة ممتازة من الرجال ، فى مستعمرة طرابلس ، أطلقوا عليها أيضاً إسم قوة البادية ، وهى التى أشرف على تدريبها وقيادتها المرحوم الدوقا داوستا الذى أسر فى الحرب الحبشية ومات باستراليا . وهذه القوة الجديدة باشرت عمليات الفتح فى مستعمرتى ليبيا وبرقة ، وبعد أن كانت مشكّلة من فصيلة واحدة من الهجانة فى سنة ١٩٢٢ ، إذا بها مكونة من عدة وحدات وإذا بجنودها يتدربون على استعمال الأسلحة الخفيفة السريعة الطلقات . وعلى هذه الوحدات مدعمة بسيارات النقل والطيران ألقى واجب افتتاح واحـة الـكفرة ، والقضاء على آخر معقل من معاقل الإسلام والعروبة فى الصحراء .

١٤ ٠ ٢٦

وكان الزحف على الـكفرة من إجدابية إلى جالو ، وهى تبعد (٢٤٠ كيلو مترا) ومنها إلى بئر ذيجن (٤٠٠ كيلو مترا) ومنه إلى الـكفرة (١٤٠ كيلو مترا) وتحركت الحملة فى ٢٠ ديسمبر سنة ١٩٣٠ من إجدابية متجهة إلى الجنوب فقطعتها السيارات فى أربعة أيام للوصول إلى جالو ، وكان جرازيانى قد زار إجدابية فى ٢٥ نوفبر سنة ١٩٣٠ متفقدا المعسكرات ، فوجد أن الحملة تجهز فى أقرب وقت ، وقد ذكر فى تقاريره ، أنه وازن الأمور والمصاعب وقدّر لـكل شىء ما يلزمه ، وذكر أن الحملة بأكلها دربت تدريبا شاقاً بحيث يكون بوسعها أن تنزل أثقالها فى ٢٠ دقيقة وترفعها للسير بها بعد مضى نصف ساعة من صدور الأمر إليها بالسفر .

وذكر أنه فى ليلة ٢٨ و ٢٩ ديسمبر سنة ١٩٣٠ هبت عليها ريح صرصر عاتية محمـلة بالرمال فأخفت كل شىء أمامها ، حتى فـكر الجنرال الإيطالى فى إصـدار أمره بالعودة ، حينما امتنعت الجمال والدواب عن العليق والماء ، وأعقب ذلك زمهرير قارص . ولـكن جاء يوم ٣٠ ديسمبر هادئاً صحواً ، فانتهز الفرصة وأصدر أمره الحاسم بالسير إلى الجنوب حتى لا تفلت الفريسة من يده .

وكان المرابطون بتلك الجهات حفنة من الرجال ، هم بقايا الأمم والممالك التى سادت الصحراء ، ليس أمامهم إلا المقاومة فى بئر زيجن ، أو على الطريق ، أو الوقوف للدفاع عن الـكفرة ، وكانوا يعتقدون أن الطليان سيأتون من الغرب عن طريق فزان ، أما جرازيانى فاستعان بسرب من الطائرات للاستـكشاف ، ثم أصدر أمره إلى فصيلتين من قوات البادية أن تتقدم كل واحدة منهما فى طريق يفصلها عن الأخرى ثمانون كيلو متراً ، فالتقت إحداهما بالمجاهدين واشتبـكوا معها فى قتال دام ثلاث ساعات ، واقتحم الطليان الواحة على أجساد الشهداء .

ويهلل القائد بأن قواته دخلت فى الموعد الذى سبق له أن حدّده على خريطته ...

وانتهت بذلك آخر مأساة فى تاريخ الإستعمار الإيطالى بالصحراء

أحمد رمزى

القنصل العام السابق لمصر بسوريا ولبنان

بعد إباحة الهجرة الصهيونية :

اللغـــة الوحيدة

التي يفهمها الإنجليز

للأستاذ ســيد قطب

كتبت فى « الرسالة » بتاريخ ٢٦ نوفمبر الماضى كلمة تحت عنوان : « أيها العرب . استيقظوا واحذروا » . واليوم وبعد أن قررت الحكومة الإنجليزية إباحة الهجرة الصهيونيـة إلى فلسـطين ، على رغم أنف العرب ، وأنف الـكتاب الأبيض الإنجليزى أيضاً . اليوم يهمنى أن أعيد نشر الفقرات الأولى من هذا المقال ، قبل التعليق على هذا القرار الأخير :

« إن قضية العرب فى فلسطين تتأخر ولا تقدم !

« ويسوءنى أن أكون نذير سوء ؛ ولـكن لأن نواجه الحقائق الواقعة ، خير من أن نستنيم للأحلام ...

« حينما صدر الـكتاب الأبيض الإنجليزى ، أعلن كل عربى مخلص أنه لا يرضى عن هذا الـكتاب ، وأنه صدمة لآمال العرب بما تضمنه من استمرار الهجرة الصهيونية فترة أخرى — وإن تكن موقوتة — تصبح الهجرة بعدها مرهونة بمشيئة العرب ، إن شاءوا أمضوها ، وإن شاءوا لم يسمحوا من بعد بها .

« واليـوم يتمسك العرب بسياسة الـكتاب الأبيض ، ويدعون انجلترا للمحافظة عليها .

« إذن قضية العرب فى فلسطين تتأخر ولا تتقدم !

« تتأخر ، فيصبح الـكتاب الأبيض الذى كان بالأمس موضع شكوى العرب ، هو موضع رجائهم ، وينقلب الحد الأدنى — أو ما هو دونه — حداً أعلى لآمال العرب ، أو الناطقين باسمهم فى هذه الأيام !

« ألا إنها المحنة التى يجب أن تتفتح عليها الأبصار !

« فلننظر فيم كان هذا الانقلاب ؟

« صـدر الـكتاب الأبيض بالأمس ترضية للعرب الثائرين الساخطين . فرفضوه واستصغروه . فلما سرى البرد إلى دمائهم الفائرة ، ودب الخدر إلى أعصابهم الثائرة ، رضوا عن الـكتاب الأبيض ، ووقفوا ينتظرون ...

« وألغى الـكتاب الأبيض اليوم ترضية للصهيونيين الثائرين المعتدين ، وهم يرفضون إلغاءه ، ويستصغرون اقتراحات « بيفن » الأخيرة ، لأن العرب لا يزالون فى خدر لذيذ يستنيمون إليه ... ذلك أنهم يثقون بالضمير البريطانى ! ! !

« ومن هنا نستطيع أن نعرف : متى يسترضينا الإنجليز ، ومتى يسترضون الصهيونيين ؟ ! ». ثم قلت فى نهاية ذلك المقال :

« والآن ... ما هو طريقنا المأمون ؟

« طريقنا ألا نثق بضمير أحد ، فما لأحد فى العالم الغربى ضمير ! لقد برهنت هذه الحضارة الغربية على إفلاس فى الضمير لا عهد للعالم به فى جميع الحضارات السابقة

« وقبل أن نثق بالضمير الأوربى أو الأمريكى ، يجب أن نتذكر لفرنسا حوادث سوريا ولبنان — وهى قريبة لم تغب عن العيان — ويجب أن نذكر لانجلترا يوم ٤ فبراير الشنيع ، ثم موقفها فى أندونسيا — وهو حاضر الآن — ويجب أن نذكر لأمريكا نداء « ترومان » ونصرته للصهيونيين !

«وطريقنا ألا نستنيم لمخدرات التأجيل ، إلا إذا وقفت الهجرة وقفاً تاماً حتى يتم التحقيق . فلقد رأينا أن الزمن ليس فى صالحنا. وإذا شاء أحد أن يستنيم ، فليتذكر متى صدر الـكتاب الأبيض بوقف الهجرة الصهيونية فى موعد محدد ، ولمـا ذا صـدر هذا الـكتاب ؟ ثم ليتذكر متى ألغى الـكتاب الأبيض وأبيحت الهجرة من جديد ، ولمـا ذا كان هذا الانقلاب ؟

« صدر الـكتاب الأبيض ترضية للعرب الساخطين الثائرين ، وصدر تصريح « بيفن » الأخير ترضية لليهود المعتدين الإرهابيين»

قلت ذلك من نحو ثلاثة أشهر ، فقال لى قوم ممن يسمونهم « العقلاء ! » : لا تنس أن إباحة الهجرة الصهيونية مرهونة بمشيئة العرب ، وأن مستر « بيفن » قدم قراره الأخير فى صورة « اقتراح » ، فإذا رفض العرب ، فلن تكون هجرة للصهيونيين!

ثم ها هو ذا مستر « بيفن » يقرر تنفيذ اقتراحه ، بعد أن رفضه العرب وأبلغوه قرار الرفض مجتمعين !

ذلك أن قرار الرفض من جانب العرب لم يبلغ للمستر « بيفن » باللغة الوحيدة التى يفهمها الإنجليز ! فهم معذورون حين لا يفهمون!

ومصيبتنا الـكبرى — سواء فى قضية فلسطين أو فى قضايا البلاد العربية جميعاً — أننا لا نخاطب الإنجليز باللغة الوحيدة التى يفهمونها كل حين !

بمناسبة « المولد » :

حقائق مؤلمـــة

للأستاذ على الطنطاوى

« الكتاب أطباء الأمة . فإذا جامل الطبيب مريضه فكتم عنه داءه ، لم يبرأ منه أبداً » . « على »

هذا يوم « المولد » ، وإنه لمحطة فى طريق الزمان ، فلنقف عليه كما يقف المسافر فى المحطة ، ليلقى ببصره حوله ، فينظر إلى أين يسير ، وكم قطع من طريقه إلى غايته ، وهل يمشى إليها على الصراط السوىّ ، أم قد ضلّ عنها وجانفها ، وهل يساير القافلة أم شرد عنها وفارقها ؟ ولنحاسب فيه أنفسنا كما يحاسب التاجر نفسه ، فيرى ما له وما عليه ...

أما أنا ، فقد وقفت ونظرت ، فأبْتُ وقد فاضت النفس حسرة ، وامتلأت ألماً ، وأيقنت أن الذى علينا ، أكثر من الذى لنا ، وأننا قد « خسرنا » !

ولم يكن التشاؤم من شأنى ، ولا اليأس مذهبى ، ولكن ما نحن فيه يُؤْيس الآمل ، ويكْرُب المتفائل ، وأين لعمرى باب الأمل حتى أَلجه ، وأية حال من أحوالنا تبشر بالخير ، وتدعو إلى السرور : أحالنا فى بيوتنا ، أم فى مدارسنا ، أم فى أسواقنا ، أم فى دواوين حكومتنا ؟ وأى طبقة من طبقاتنا تتبع هدْى نبينا : أعلماؤنا أم قادتنا ، أم أدباؤنا ، أم عامتنا ؟ وأى بلد من بلداننا ، كان البلد الإسلامى الخالص : أحجازنا ، أم شامنا ، أم مصرنا ، أم عراقنا ؟

***

أما البيوت ، وهى الحجارة فى صرح الوطن ، لا يصلح إن فسدت ، ولا ينهض إن تهافتت ، فلقد كان العهد بها مؤسسة على التقوى ، قائمة على الخلق النبيل ، والود المبذول ، وكان الرجل

ويبلغ بنا البله والغفلة أن نخاطبهم باللغة الدبلوماسية — وهم لا يفهمون هذه اللغة مع الأسف من الشعوب الصغيرة ، بل هم لا يفهمونها من الشعوب الكبيرة فى بعض الأحايين !

والضمير السياسى البريطانى؟ تلك الخرافة التى يتعلق بها ساستنا حينما تضعف نفوسهم عن اختيار الطريق الوحيد المؤدى إلى حقوقنا الوطنية ، وتعجز ألسنتهم عن اللغة الوحيدة التى يفهمها الانجليز .

هذه الخرافة التى لم ننكب مرة واحدة إلا عن طريق التعلق بها ، ولم ننجح مرة واحدة إلا عن طريق اليأس منها . . ومع كل التجارب الماضية يوجد بيننا من لا يزال يثق فى هذا الضمير

ها هى ذى الهجرة الصهيونية تباح أيها الواثقون بالضمير السياسى البريطانى . فما ذا أنتم قائلون ؟ بل ما ذا أنتم فاعلون ؟

مذكرات ديبلوماسية ! وبيانات ديبلوماسية ! وانتظار للردود على هذه البيانات والمذكرات ، تأتيكم أولا تأتيكم بعد حين!

والهجرة تستمر ، والصهيونيون يدخلون !

أيتها الأمة العربية :

أفيك رصيد مذخور ، أم أنت من الهالكين ؟ فأما إن تكن الأولى أيتها الأمة نخاطبى القوم باللغة الوحيدة التى يفهمون ، وأما إن تكن الثانية ، فإن الإنجليز معذورون ، والصهيونيين محقون !

أيتها الأمة العربية :لا تعتمدى على رجال السياسة ، فقد تكون لهم قيود وحدود . ولكن اعتمدى على نفسك ، وادفعى إلى الأمام ليتخطوا هذه السدود والقيود !

أيتها الأمة العربية :

« احذرى رجال السياسة من أبنائك ، لا لأنهم قد يخونونك أو يخدعونك ؛ ولكن لأنهم هم قد يخانون ويُخدعون . ولأن كراسى الحكم والمناصب ، قد تكون فى بعض الأحيان وثيرة إلى حد تستنيم له الأعصاب الثائرة ، وتخمد فيه الدماء الفائرة !

أيتها الأمة العربية :

خذى الأمر فى يديك من جديد . فإنى أرى الموقف يستدعى جهود الشعوب نفسها ، لا جهود زعماء الشعوب !

وما يخدعك أيتها الأمة — فى كل قضاياك الوطنية لا فى قضية فلسطين وحدها — إلا مخدوع ، يقصيك عن الأمر ويستنيم للوعود! »

تلك صيحتى لك بالأمس ، وإنها لصيحتى لك اليوم . نخاطبى القوم باللغة الوحيدة التى يفهمونها ، وإلا فسيذهب صوتك الديبلوماسى الناعم صرخة فى واد . والأمر إليك ، فانظرى ما ذا تأمرين !

سيد قطب

فيها سيداً يطيعه أهلها ويطيع هو ربه ، وكان لعمله وبيته ، لا يعرف غيرهما ، ولا يهمه سواهما ، وكان الولد براً بأبيه ، والزوجة موافقة لزوجها ، همها دارها ، ومطمحها إسعاد زوجها وولدها ، فتغيرت الحال ، فصارت المرأة قوامة على رجلها ، والولد متكبراً على أبيه ، والرجل داره قهوته أو ملهاه أو ناديه ، والمرأة بيتها الشارع ودينها زينتها ، تتخذها لتتجمل بها للرجال الأجانب فى الترام والطريق ، لا لزوجها فى المنزل ، وآثرت على دارها زياراتها وسينماها ، وربما خالف الزوج إلى غير أهله ، وخالت هى غير زوجها ، ونشأ الولد على المجون ، وشبت البنت على الاستهتار ، هذا وميزان النفقات فى البيت مختل ، وحبل الود مصروم ، والتعاون على الخير مفقود ، وظل الدين غير ممدود ، وما بقى من البيوت صالحاً ، فإن الفساد يسعى إليه ، وهو يسعى إلى الفساد !

أما المدارس ، فلقد كنا نعرفها مشارق أنوار العلم ، ومنابع الهدى ، ونعرف المعلمين فيها مربين مهذبين ، ورثة الرسل وخلفاء الأنبياء ، ونعرف التلاميذ وهم طلاب علم وقصّاد خلق ، دنياهم مدرستهم ، وعملهم درسهم ، وأئمتهم معلموهم ، فكانت المدارس تخرج علماء ومهذبين ، أصحاب خلق متين ودين ، تعتز بهم بلادهم ، وتسمو أوطانهم ، فصار همّ التلاميذ حزبٌ سياسى ينتسبون إليه ويصرّخون فى مظاهراته ، ويضعون أكتافهم سلماً لزعمائه ، يرتقون عليه إلى مايشتهون من كراسى الحكم ، أو نحلة ينتحلونها ، ويحملون فى صدورهم شارتها ، ويهرعون إلى ناديها ، ثم لا يفهمون من حقها أو باطلها إلا هذه المظاهر التى طلبوها لها وحدها ، ثم يشتغلون عن الدرس بالخلاف عليها والكلام فيها ، من غير فقه لها ، أو وقوف على مبادئها ، أو فلم سينمائى يحرصون عليه أكثر من حرصهم على دروسهم وعباداتهم ، أو رواية فى مسرح ، أو صورة مكشوفة فى مجلة ، وصار المعلمون — أعنى أكثر المعلمين — أصحاب شهادات لا علوم ، ودعاة مذاهب سياسية أو اجتماعية ، لا دعاة إلى الله ولا إلى الخلق ، وصاروا قدوة الطلاب فى قصد السينمات والملاهى ، لا قصد المساجد والمكتبات ، وصار منهم الشيوعى الذى يعلن شيوعيته ، والقوى الذى يظهر قوميته ، والجاحد الذى لا يتوارى بجحوده ، والماجن الذى لا يتستر بمجونه ، إى والله العظيم ، بوسدت الأمور إلى غير أهلها ، فجعل غير العالمين معلمين ، والمحتاجون إلى التربية مربين ، وتكلم فى المسائل من ليس من أربابها ، وتصدر فى محرابها من لم يلج بابها ، وجىء بالشباب العزاب ليعلموا البنات ، فكنا كمن يدنى سلكتى[1] الكهرباء ، حتى تنقدح شرارتهما ، ويضع إلى جانبهما البارود ، ثم ينام الأحمق آمناً من الانفجار ، ما بقى والله إلا أن نجىء بالبنات ليعلمن الشباب ، وما دمنا نمشى على هذا الطريق ، فما بقى شىء عجيب ، وكل آت قريب ! !

اللهم الطف بنا ، ولا تكلنا إلى أنفسنا ، ولا تسلط علينا سفهاءنا ، يا رب !

أما الأسواق ، فلقد كانت فيها التجارة فصار فيها الاحتكار ، وكان فيها قوم منا ، يجلبون لنا أرزاقنا ، فصار فيها أعداء لنا ، يسرقون فيخزنون أقواتنا ، ليجمعوا القروش من جيوبنا فيجعلوها ذهباً فى صناديقهم ، ولقد انتهت الحرب ، وحل السلام ، ولا يزال هؤلاء الفجار الأشرار يرفعون الأسعار ، ويكوون الفقراء بالنار ، لا يعرفون الإنصاف ولا الرحمة ولا الإنسانية ...

أما دواوين الحكومة ، فقد نسى من فيها أنهم أجراء الناس ، يأكلون الخبز من فضل أيديهم ، ويجلسون مجالسهم هذه لخدمة مصالحهم ، وحسبوا أنهم ملوك والناس لهم خول ، وسادة وهم لهم عبيد . ثم لم يكف أكثرهم ما يأخذون من وقت من يرجع فى حاجته إليهم ، ومن كرامة نفسه حتى أخذوا الرشوة من جيبه ، وربما ... وربما مدوا أعينهم إلى عرضه ... وهم بعد ذلك جيش مجيَّش ، نصفهم لا يحتاج إليه ، ولا ينتفع به ، قد جاءت به الوساطات والشفاعات ، فرفعته من غير كفاية على أهل الكفايات ، ومن اقتصر منهم على مرتبه ليعيش به ، عاش من قلة المرتب حياة هى كالموت ، ولم يكفه المرتب ثمنَ الخبز ، فكأن الحكومة تقول لصغار الموظفين : اذهبوا فاسرقوا لتعيشوا ، فإن ثمن خبزكم أعطيناه لكبار الموظفين ، لينفقوه على الترف والسرف والقرف[2]

ثم إن العلماء ، وهم عدة الإصلاح ، ولُسُن الحق ، ودعاة الله ، هربوا واختبأوا فى بيوتهم ، فمنهم من لا يرى المنكر ولا يعرفه ، ومنهم من يراه ولا ينكره ، ومنهم من ينكره همساً ، ومنهم من يعلن ولا يعرف الطريق الموصل إلى رفع المنكرات ، ومنهم من ملأت قلبه الدنيا ، فهو يسعى إليها ، ويزاحم عليها ، وربما اصطادها بشبكة من لحية عريضة ، وقيدها بسبحة طويلة ، وأخفاها تحت عمامة ضخمة ، وذلّ من أجلها للحكام ، وخضع

---

(١) السلك جمع والناس يظنونه فرداً . والواحدة سلكة وهي الخيط .
(٢) القرف . الاسم من المقارفة

للأغنياء ، وفقد القلب الذى يقتحم الأهوال ، واللسان الذى يصدع بالحق ، فغدا يقول ولا يستمع لقوله ، وينكر ولا يلتفت لإنكاره ، وجلّهم لا قلم له يخاطب به الناس ، ويسوقهم به إلى الحق ، ولا لسان ، فكيف يكون داعياً من لا يكون خطيباً ولا كاتباً ؟

والقادة ما صاروا قادة بعبقرية اختصهم بها الله ، ولا بعلم اختصوا به أنفسهم ، وأحيوا فى تحصيله لياليهم ، ولا بعقل هو فوق العقول ، وذكاء لايدانيه ذكاء ، ولكنما هى حرفة احترفوها ومسلك سلكوه : زيد وعمرو ، أما زيد فجدّ واستقام ودرس حتى أكمل المدرسة ، فصار معلما أو كاتباً ، أو موظفاً ... وأما عمرو ، فأهمل درسه ، وأضاع وقته ، والتوى مع الطرق الملتوية ، فالتحق بالأحزاب ، وعاشر الأغراب ، وولج حيث لا يحسن الولوج ، وخرج من حيث يستقبح الخروج ، ورفع ووضع ، وخرب وأصلح ، حتى عرفه الناس ، فكان نائباً ، ثم صار وزيراً ، ثم تمت آثار قدرة الله القادر على كل شىء ، فاستحال قائداً من القادة ... !

والأدباء وأهل الصحف ، همّ أكثرهم التزلف إلى القراء ، والوصول إلى رضاهم ، رأوا أقرب الطرق طريق الشهوة فسلكوه ، وركبوا فيه الصعب والذلول : من الصور العارية ، والقصص المثيرة ، وطريق الإغراب فى عرض الأخبار ، وتكبير الصغير ، وتعظيم الحقير ، وتشويه أوجه الحقائق ، فيقرأ الناشئ الشىء وضده ، فلا يؤمن من بعد بشىء ، وإن كان فى الكتاب من يدعو إلى إصلاح ، فى لغة صحيحة ، وأسلوب منقح ، لم يقرأه إلا الخاصة ، وإن كانت مجلة على هذه الصفة لم يُبع منها مع كل ألف من تلك عدد واحد !

ولعلى بالغت ، أو غلب علىّ التشاؤم ، فلم أر إلا ما ذكرت ووصفت ، ولكنى صدقت ولم أقل إلا حقاً ، ولعل الذى قلت أقل من الحق !

إن العالم اليوم واقف على مفرق الطرق ، حائر بينها أيّاً يسلك منها ، ونحن أشد أهل العالم حيرة وتردداً ، فنحن فى المكان الذى تلتقى فيه محل الشرق والغرب ومذاهبهما كلها ، فيأخذ كل واحد ما تصل إليه يده ، ثم يصيح فى الدعوة إليه ، ثم يزاحم ليشق له طريقاً ... فنحن فى زحمة وضجة دونها ما يروون عن ضجة برج بابل ، والله وحده يعلم متى تنجلى ... فى الدين سلفيون وصوفيون ، ودعاة إلى التمسك بالمذاهب وترك الاجتهاد ، وإلى الاجتهاد ونبذ التقليد ، وإلى الأخذ بالحديث وترك كتب الفقه وإلى الاقتصار عليها ، وفى البدع دعاة إلى القاديانية والبهائية والنصيرية والتيجانية ووحدة الوجود ، وفى غير الدين شيوعيون وقوميون سوريون ، وملحدون ومستهترون ، ثم الدعاة إلى السفور والاختلاط ، والمدافعون عن الحجاب ، وفى السياسة كتلويون وعصبويون ومعارضون ومؤيدون ، وعاملون للانكليز أو للفرنسيين أو للروس ، وقائلون بالجمهورية أو بالملكية ، أو بالاستقلال أو بسورية الكبرى أو بالوحدة العربية ، والمناقشات مستمرة لا تنقطع ، والخلافات قائمة ما تقعد ، قد انشقت البيوت ، وانصدعت الأسر ، وإنى لأعرف أخوين : شيوعياً أحمر ، وعضواً فى شباب محمد ، شقيقين فى دار واحدة ، وأبوهما شيخ طريقة ... وأعرف شيوعياً وأبوه نقيب أشراف ، فالإخوان فى المنزل ، والرفاق فى المدرسة ، والزملاء فى الديوان ، يختلفون أبداً ويتقاتلون ... !

فمتى تنجلى هذه الغمرة ؟ الله وحده العالم !

هذا فى دمشق ، أما الحجاز ومصر والعراق ، فإنى أعرفها كلها وعشت فيها ، ولكن ليكتب عنها كتاب من أهل مصر والعراق والحجاز ، يفتح فى « الرسالة » باب من أبرك الأبواب ، وأكثرها فائدة ونفعاً ، إذ أن أول الدواء تصور الداء ... !

(دمشق) **على الطنطاوى**

الكذب والنسيان

كما يراهما «أبو العلاء المعري»

للأستاذ كامل كيلاني

١ — آفة الأخبار

المعرى أديب محقق، وراوية ثبت، ومؤرخ نافذ البصيرة، وناقد منصف، يستخدم كل ما وهبه الله من ميزات باهرة، وثقافة شاملة نادرة، فى سبيل الوصول إلى الحقيقة، وتجليتها مما يكتنفها من الأستار والحجب، وإماطة اللثام عما يعرض الباحثين عنها من الشكوك والريب.

يقول الشاعر:

«هُمُ نقلوا عنى الذى لم أَفُهْ به وما آفةُ الأخبار إلا رواتُها»

٢ — آفة الرواة

وآفة الرواة — فيما يرى أبو العلاء — شيئان: الكذب والنسيان. فلا غرو إذا ضجر بهما، وعرض لهما فى كثير من المناسبات، واحتفل لهما ما شاء له أدبه وخياله، وأتى فى الحديث عنهما بالشائق المعجب.

٣ — قتل الفكرة

فهو إذا فزّعه من الموت أنه يبيد الجسم الذى لا يعنيه منه إلا أنه سياج الروح وهيكلها، فزّعه من الكذب أنه قتل للفكرة وإضاعة للحقيقة التى يبحث عنها جاهداً، وفزّعه من النسيان أنه قتل للعقل الذى يعتز به ولا يعدل به شيئاً. قال:

أصبحتُ فى بيت مدر لا أملكه، كبيت قريض أستدركه، اشتمل عليه النسيان فهو مهلكه.

٤ — تمنى الموت

على أنه قد يتمنى الموت أحياناً، لأنه يريح الإنسان من آلام الحياة، ويريح الجسم من أذيتها، ويغنى صاحبه عن حاجات الدنيا فيقول:

العيش أفقر منا كل ذات غنى والموت أغنى بحق كل محتاج
إذا حياة علينا للأذى فتحت باباً من الشر لاقاه بإرتاج

أو يقول:

على البلى سيفيد المرء فائدة فالمسك يزداد من طيب إذا سحقا

٥ — تسويغ الكذب والنسيان

وقد يوصى بالكذب إذا عرّض الصدقُ صاحبه للهلاك فيقول:

أصدق إلى أن تظن الصدق مهلكة وبعد ذلك فاقعـد كاذباً وقم
فالمين جيفةُ مضطرٍ ألمّ بها والصدق كالماء يجفى خيفة الشبم

وقد يتمنى النسيان والذهول ليتمثل بذلك همومه وأحزانه فيقول:

تمنيت أن الخمر حلت لنشوة تجهلنى كيف اطمأنت بى الحال
فأذهل أنى بالعراق على شفا رزى الأمانى لا أنيس ولا مال
مقل من الأهلين يسر وأسرة كفى حزنا بينٌ مشِت وإقلال

وهى لفتات ذهنية عارضة لا يجهل القارئ مغزاها، وصور كلامية لعله أعرف منا بغايتها ومرماها.

٦ — تمجيد العقل

على أن الأدب العلائى قد حفل — شعراً ونثراً — بتمجيد العقل، وحب الصحيح والتفزع من الذهول والنسيان فهو يقول:

الفكر حبل متى يمسك على طرف منه، ينط بالثريا ذلك الطرف
والعقل كالبحر غيضت جوانبه شيئاً، ومنه بنو الأيام تغترف

ويقول:

وينفر عقلى مغضباً إن تركته سدى واتبعت الشافعى ومالكا

ويقول:

وإذا الرياسة لم تعن بسياسة عقلية خطئ الصواب السائس

ويقول:

صدقت يا عقل فليبعد أخو سفه صاغ الأحاديث إفكا أو تأولها

٧ — طول الأمد

ويرى طول الأمد كفيلا بالنسيان. فيقول:

لأنسينك إن طال الزمان بنا وكم صديق تمادى عهده فنسى

ويقول :

وسوف ننسى فتمسى عند عارفنا وما لنا فى أقاصى الوهم أشباح

ويقول فى رسالة الغفران على لسان المهلهل ، حين سأله ابن القارح عن بيت ينسبه إليه ، كان الأصمعى ينكره ويقول إنه مولد ، وكان أبو زيد يستشهد به ويثبته : فيقول المهلهل :

« طال الأبد على لُـبَدٍ ، لقد نسيت ما قلت فى الدار الفانية » .

٨ — رسالة الشياطين

ومن أبدع ما قرأناه للمعرى فى هذا الباب ما كتبه عن النسيان فى رسالة الشياطين التى ألحقناها برسالة الغفران فى طبعتها الثالثة . فقد نسى اسمه أحد عارفيه ولم يُثبته ، وجعله محمداً بدلا من أحمد ، ثم نسى مرة ثانية فقصر كنيته فقال : « أبو العلا » بدلا من « أبى العلاء » فعاتبه المعرى متلطفاً وإن بدا من ثنايا عتابه الرقيق ألمه لنسيان صاحبه الذى حداه إلى تبديل اسمه وقصر كنيته . قال : « ودلنى كتابه على أنه يحسبنى قد أضعت وده ، وتناسيت فى طول الزمان عهده . إنى إذاً لمن الظالمين . عرفنى بنفسه أنه من أهل البصرة ، وقد صح معى أنه من أهل البصيرة الساكنة فى خلده ، وتلك أجل من البصرة بلده ، وهل البصرة إلا حجارة بيض ، يطؤها إنس وربيض (يعنى الأغنام ورعاتها) إلى أن يقول : وأهل البصرة — سلمهم الله — ينسبون إلى قلة الحنين . أليس قد مرت به هذه الحكاية ، وهى أنه وجد على حجر مكتوب :

ما من غريب ، وإن أبدى تجلده

إلا سيذكر — عند العلة — الوطنا

وقد كتب تحته : إلا أهل البصرة . فإذا كانت تلك سجيتهم مع أهلهم وأوطانهم ، فكيف بالذين عرفوهم من إخوانهم .

٩ — تغيير الاسم

وهنا خلص إلى غرضه الذى يهدف إليه فقال :

والدليل على ماقلت إنه — أدام الله عزه — لم يثبت اسمى . جعلنى « محمداً » واسمى « أحمد » فإن احتج بأن هذين الإسمين سواء لقوله تعالى : « محمد رسول الله ، والذين معه ... الخ » . ولقوله فى موضع آخر : « برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد » فإن ذلك إنما كان للنبى (ص) خاصة ، لأنه قال : « اسمى فى السماء أحمد ، وفى الأرض محمد » .

فإن قال : « إن العرب قد يكون للرجل منهم الإسمان والثلاثة » واحتج بقول دريد بن الصمة :

« تنادوا فقالوا : أردت الخيل فارسا

فقلت : أعبد الله ذلكم الردى »

وقال فيها :

فإن تُنسنا الأيام والعصر تعلموا

— بنى قارب — أنا غضاب بمَعْبد

(والمعرى إنما يستشهد بهذا البيت لأن معبداً وعبد الله علمان على شخص واحد) فإن ذلك لا يخلو من أحد أمرين :

« إما أن يكون للرجل اسمان » ولست كذلك ، وإما أن يكون الشاعر غير اسمه للضرورة . ولو كان غير اسمى فى النظم — دون النثر — لكان عذره فى ذلك منبسطاً لأن الشعراء الجلة يغيرون الأسماء . قال الحطيئة :

« وما رضيت لهم حتى رفدتهـم

من وابل[1] رهط بسطام بأحرام

فيه الرماح ، وفيه كل سابغة قضاء محكمة من نسج سلام

أراد سليمان عليه السلام . وهذا تغيير على غير قياس لايسلك مسلك غيره ، من قولهم : عالية وعُلَيَّة . وفاطمة وفطيمة فى القصيدة الواحدة يعنون امرأة بعينها .

ولا مجرى قولهم أبو قابوس وأبى قبيس للنعمان بن المنذر لأن هذا ترخيم التصغير . إلى أن قال : « ولا ندفع أن الشعراء قد سموا الرجل باسم أبيه على سبيل الضرورة وهكذا إلى أن قال : « وأنا أتسامح له ، وأعدها زيناً لا شيناً ، إذ كانت قذاةً فى بحر مُزبد ، بل أثر سجود فى جبهة متعبد . وله أن يقول: إنه تشبث بالكنية فاستغنى بها عن الإسم . أما أنا لحفظت اسمه ونسبه وكنيته ، ولم أنس أيامه ولا مذاكرته . وقد جعلت جواب كتابه نائباً مناب الاجتماع معه ، فلا ينكر علىَّ الاسهاب فى المحاورة ، والإكثار من المفاوضة .

(البقية فى العدد القادم)

كامل كيلانى

(١) الوابل : الابل والغنم .

العرب واليهود (*)

للدكتور جواد على

صلات العرب بالعبرانيين صلات قديمة ، ترجع إلى عصور مضت قبل المسيح . وقد تعرضت التوراة والتلمود و كتب يهودية أخرى إلى أخبار العرب . ونحن نعول فى أكثر ما نكتبه عن صلات العرب بالعبرانيين فى العصور التى سبقت الإسلام على هذه الكتب .

وكانت صلات العرب بأرض فلسطين قديمة كذلك ، ولعلها أقدم من علاقة العبرانيين بهذه الأرض . وكلمة «فلسطين» نفسها لا ترجع إلى أصل عبرانى على رأى بعض العلماء[١] ، ولعلها كلمة عربية قديمة . وبهذه الصورة انتقلت إلى اليونانية واللاتينية ثم إلى سائر اللغات العالمية[٢] . ولعلها استعملت فى العبرانية المتأخرة عن الاستعمال العربى القديم .

وقد أطلقت هذه الكلمة فى الأصل على المنطقة الساحلية الضيقة التى تقع فى جنوب الكرمل والتى كان يسكنها شعب يطلق عليه اسم « فلسطية philistia »[٣] . ثم أطلقت من قبيل التعميم على جميع الأراضى المجاورة لهذه المنطقة . وقد وردت اللفظة فى العهد القديم بأشكال مختلفة . جاء فى سفر الخروج « يسمع الشعوب فيرتعدون تأخذ الرعدة سكان فلسطين »[٤] . وجاء فى سفر أشعياء « لا تفرحى يا جميع فلسطين لأن القضيب الضارب بك انكسر فإنه من أصل الحية يخرج أفعوان وثمرته تكون ثعباناً ساماً طياراً »[٥] .

وتاريخ فلسطين تاريخ غامض جداً ، ولا يمكن أن نجد أى أثر للشعب القديم الذى كان يسكن فى هذه البلاد قبل ثلاثة آلاف عام قبل المسيح . والظاهر أن الشعب الذى أقام فى هذه البلاد بعد هذا التاريخ كان على شىء من الانحطاط . فكانوا يسكنون الكهوف الطبيعية والكهوف الصناعية ، والظاهر أنه لم يكن من السلالة السامية ، وأنه كان من شعوب حوض البحر الأبيض المتوسط . ولم يتمكن العلماء على كل حال من تشخيص ما تبق من عظام هذا الشعب لقدمها وتلف أكثر ما تبق منها ، ولعل الحوريين الذين ورد ذكرهم فى سفر التكوين من بقايا هؤلاء[١] :

وأول سلالة سامية هبطت أرض فلسطين ، هى سلالة : « الكنعانيين » أو « العموريين » « Amorites » ، والظاهر أنها نزلت فى هذه البلاد بعد سنة (٢٥٠٠ قبل الميلاد[٢]) .

وقد حاول بعض العلماء التفريق بين الكنعانيين والعموريين إلا أنهم لم يتمكنوا من إيراد حجج علمية قطعية ، تؤيد هذا الرأى[٣] . وسكن هؤلاء العموريون فى منطقة واسعة هى منطقة الهلال الخصيب فى أرض بابل حيث كون ملكهم « حمورآبى » مملكته فى العراق وسكنوا فى مختلف مدن سوريا كذلك[٤] .

ولما كانت أرض فلسطين على اتصال تام بمصر فقد بدأت تتأثر بالحضارة المصرية وبالسياسة المصرية منذ سنة ١٥٠٠ قبل الميلاد ، ثم أصبحت تابعة للامبراطورية المصرية بعد أن فتحها تحتمس الثالث « Tahutmes. 3 » (١٥٠٠ و.م) ثم امنهوتب الثالث « Amenbotep. 3 » (١٤٥٠ و . م) فكان يحكمها مشائخ باسم حكام مصر[٥] .

ولم يتمكن الفرعون أمنهوتب الرابع « Ameubotep .4 » من الإهتمام بشؤون مصر ولا بشؤون سائر الأقطار الأخرى التى كانت تابعة للامبراطورية المصرية ، بسبب انشغاله بالإصلاح الدينى ولاعتقاده بعقيدة التوحيد التى أراد جعلها العقيدة الرسمية للدولة ولمعارضة رجال الدين لهذا الإصلاح . فانتهزت المستعمرات المصرية تلك الفرصة وأخذت تستقل[٦]

(*) فصل من كتاب « العرب قبل الاسلام » للدكتور جواد على وهو لم يطبع بعد .

(١) راجع J M N. Jeffries. Palestine the reallity 1939 p,5

(٢) نفس المصدر .

(٣) Hastings. Dictionary of the Bible p, 672

(٤) سفر الخروج إصحاح ١٥ آية ١٤، ١٥ .

(٥) سفر أشعياء إصحاح ١٤ آية ٢٩ وما بعد .

(١) راجع سفر التكوين ١٤ آية ٦ كذلك Hastings p, 673

(٢) نفس المصدر .

(٣) Hastings p, 673

(٤) Hastings p 673. 27

(٥) Hastings p 673

(٦) Hastings p 673 عن النزاع الدينى راجع برستيد « العصور القديمة » .

استقلت فلسطين قبل مجىء القبائل الآرآمية إليها ، وقد وردت كلمة « Khabiri » فى نص تل العمارنة إلا أن تلك الكلمة لا ترادف كلمة عبرى « Hebreur » التى وردت فى التوراة[١].

وليست هنالك أدلة علمية تثبت ترادف الكلمتين[٢].

والذى يفهم من المصادر العبرية هو أن اليهود كانوا مستعبدين فى مصر ، ثم خرجوا من هذا الإستعباد فى أوائل القرن الثالث عشر قبل المسيح إلى أرض كنعان « فلسطين » وكان زعيمهم جميعاً « يشوع »[٣] ، وذلك ما يفهم من سفر يشوع « وكان بعد موت موسى عبد الرب ، إن الرب كلم يشوع بن نون خادم موسى قائلا : موسى عبدى قد مات . فالآن قم اعبر هذا الأردن أنت وكل هذا الشعب إلى الأرض التى أنا معطيها لهم أى لبنى إسرائيل . كل موضع تدوسه بطون أقدامكم لكم أعطيته كما كلمت موسى من البرية ولبنان هذا إلى النهر الكبير نهر الفرات . جميع أرض الحيثيين والى البحر الكبير نحو مغرب الشمس يكون تخمكم ، لا يقف إنسان فى وجهك كل أيام حياتك[٤] .

والذى يظهر من مصادر قديمة أخرى هو أن اليهود عندما دخلوا أرض كنعان ، دخلوا على صورة قبائل متفرقة وبأوقات مختلفة ، فلم يكن عليهم زعيم واحد . ويؤيد مضمون نص تل العمارنة هذا الرأى غير أنه يحتاج إلى فحص وإلى تدقيق تاريخى عميق ، لمعرفة كيفية هجرة اليهود إلى أرض كنعان[٥] .

لم يتمكن الاسرائيليون من الاستيلاء على أرض فلسطين دفعة واحدة ، بل كان ذلك تدريجيا ، ظلت الأرض الساحلية السهلة فى قبضة الفلسطينيين « Philistines » . وهنالك نظريات مختلفة عن أصل هذا الشعب . وتدعى أحدث نظرية من هذه النظريات بأن أصل الشعب الفلسطينى من جزيرة « كريت » على أنها نظرية لا زالت فى حاجة إلى أدلة علمية .

وظل « الجبعونيون » « Yıbconitcs » والكنعانيون

(١) Hastings p 673 . ونص تل العمارنة
(٢) نفس المصدر .
(٣) راجع Hastings p 673
(٤) راجع سفر يشوع أصحاح ١ آية ١ وما بعد .
(٥) Hastings p 674

والفرزيون والحويون واليبوسيون وأمثالهم فى أماكنهم يقاومون اليهود[١] .

وبدخول اليهود إلى أرض فلسطين ولا سيما بعد استقرارهم فيها تكونت الصلات التاريخية فيها بين العرب واليهود . وقد كان العرب يسكنون فى أرض فلسطين ذاتها وفى جوار شعوب فلسطين . فلما تمكن اليهود من بعض هذه الشعوب احتكوا احتكاكا مباشرا بالعرب .

يرى المستشرق الإنكليزى مارجليوث أن صلات العرب باليهود مرت فى أدوار ثلاثة :

أما الدور الأول فهو الدور الغامض الذى تعرف فيه العرب باليهود بعد دخول اليهود إلى أرض كنعان ، ومعلوماتنا عن هذا الدور لا تكاد تكون شيئاً . وهى تستند على الدراسات المقارنة فقط ، على دراسة الخصائص اللغوية والكلمات المشتركة فيما بين اللغتين العبرية والعربية وعلى الأساطير والعقائد الدينية القديمة ، وتشير مثل هذه الدراسة ، إلى وجود احتكاك قديم بين العرب واليهود[٢] .

وفى المرحلة الثانية اتصل اليهود بالعرب اتصالا مباشراً . وقد ذكر ذلك الإتصال فى التوراة فى مواضع مختلفة منه ، وقد كانت صلات العرب باليهود صلات حسنة نوعا ما فى بادىء الأمر ، ثم ساءت تلك الصلات على أثر ما ظهر للقبائل العربية من ميل العبرانيين إلى الإعتداء عليهم ، ومحاولة الإستيلاء على أرض فلسطين[٣] . وأكثر معلوماتنا عن هذا الدور من التوراة ومن المصادر العبرانية ذاتها ونادراً ما تشير المصادر العربية إلى ذلك .

وفى المرحلة الثالثة والأخيرة ينتقل اليهود من فلسطين إلى الحجاز واليمن والعراق بعد احتلال الرومان لأرض فلسطين وبعد العبث بالهيكل ، فيتشتت شمل اليهود ، وتسقط آخر حكومة لليهود . وتكاد تكون المصادر العربية الإسلامية فى طليعة المصادر التاريخية بالنسبة لهذا العهد[٤] .

البقية فى العدد القادم

جواد علي

(١) راجع سفر يشوع اصحاح ٣ آية ١٠ وما بعد ومواضع أخرى
(٢) Margoliouth p, 1
(٣) نفس المصدر .
(٤) Margoliouth p, 1

الرغيف القـــومى

للدكتور محمد بهجت

حتى الرغيف نحاول أن نضفى عليه صفة القومية ، فيصبح كالسياسة والتعليم واللباس وغيرها من المسائل العامة ، وتصبح له مشكلة كشاكلها العديدة ! ولم لا تكون له مشكلة نعطيها من وقتنا وتفكيرنا شيئاً يتناسب مع خطره وأثره فى اقتصاد الشعب وصحته ؟

والرغيف كاللباس فى مصر ، يجمعهما شبه واحد ، فبينا ترى للرءوس أنواعاً شتى من العمائم والقلانس والطرابيش والقبعات ، وللأجسام أشكالا عديدة متباينة من الثياب لا تقارب بينها ولا تشابه ، وللأقدام ضروباً متعددة من الخفاف والنعال والمراكيب والأحذية ، حتى ليخيل للزائر الطارىء أننا أفراد أمم مختلفة امتزجت ببعضها على صعيد واحد ، كذلك نرى لأكثر المدن رغيفاً معيناً ، فلبعض مدن الوجه القبلى رغيفاً بشكل ولون خاصين ، ولبعض قرى الوجهين البحرى والقبلى أرغفة خاصة تشتهر بها ، حتى ليقول لك خبير إن هذا الرغيف من ناحية كذا أو كذا ، وترى للأجانب وأشباههم أرغفة مميزة ذات طابع خاص وهكذا .

وهذا الاختلاف الظاهر فى أشكال وأحجام وألوان الأرغفة يتبعه بطبيعة الحال اختلاف باطنى فى طعومها وتركيبها الكيميائى ومشتملاتها الغذائية ، ومن ثم اختلاف فى تأثيرها على صحة الأجسام ونشاطها . وقد لا يعنينا هنا ظاهر تلك الأرغفة بقدر ما تعنينا قيمتها الغذائية وأثرها فى الأجسام والعقول . ومما لا ريب فيه أن مكونات الرغيف تختلف كثيراً أو قليلا تبعاً للمواد الأولية التى يصنع منها والتى ينتجها إقليم ما . فإذا كان الإقليم ينتج قمحاً فرغيفه من القمح ، وإذا كان ينتج ذرة فرغيفه من الذرة ، بينما يكون الرغيف فى إقليم ثالث خليطاً من القمح والذرة بنسب تتفاوت كثيراً أوقليلا تبعاً لغلبة أحد المحصولين على الآخر وهكذا.

ولا ينبغى أن ننسى أن للتقاليد والعادات الموروثة أثراً كبيراً فى عمل الرغيف كما هو الأمر فى عمل بعض ألوان الطعام الأخرى .

ومع قيام مثل هذه الاعتبارات وغيرها نرى أن الأرغفة المصنوعة من القمح تختلف فيما بينها أيضاً . فبعضها يكون أبيض اللون ناعماً قوامه الدقيق الخالص ، وبعضها أسمر خشناً نوعا تدخله كل عناصر الطحين ، وبعضها يكون بين هذه وتلك . ومع أنها كلها مصنوعة من القمح أو من بعض أجزائه دون الأخرى فان لكل منها تأثيراً مختلفاً فى تغذية الجسم كما سنرى فيما بعد .

دخلت مخبزاً من المخابز الأفرنجية أطلب شيئاً معيناً فشاهدت أرغفة من الخبز الأبيض الجميل مرتبة بجانب بعضها بشكل يثير الشهية ويغرى بالشراء ، ولا سيما بعد أن احتجبت عنا طوال مدة الحرب . فابتعت شيئاً منها وحملته إلى بيتى وهناك أكلناه فى شراهة ولذة عجيبتين . ولم لا ؟ إن نظافتها وطعمها ورائحتها لتبرر ذلك وتدفع إليه . وعند ذلك ذكرت رغيفنا الذى نأكله الآن بعد أن وضعت الحرب أوزارها وما به من عيوب وشوائب تجعل المرء يأكله فى تحفظ ، ثم ذكرت رغيفنا الذى كنا نأكله طول سنى الحرب — ذلك الرغيف المخيف الذى كان يصنع من القمح مخلوطاً بالذرة أو الأرز ، وبكل ما يمكن أن يختلط به من ردادة وسوس وطين وحصى وخيوط وحشائش أخرى تطحن معه وتعجن وتخبز ، وغير ذلك مما لا يعلمه إلا الله والذين كانوا يصنعونه ، ولا يعلمه أحد ممن يأكلونه ، حتى إذا خرجت منه أرغفة جاءت بشعة تنبو عنها العين وتعافها نفس الحيوان فما بالك بنفس الانسان .

نعم ذكرت ذلك الرغيف الذى كنت إذا اقتطعت منه لقمة أحاول مضغها وازدرادها لم أستطع فألفظها من فمى محنقاً مغضباً . ذكرت ذلك مما يذكره الكثرة من هذا الشعب المسكين الذى يخيل إلىّ أنه أذل بفرض هذا الرغيف البغيض الملعون عليه فرضاً . ولعمرك لا يمكن أن يستذل شعب بأكثر من أن يلقى إليه برغيف هذه بعض صفاته . وتزداد بشاعة هذا الذل إذا علمنا إنه ضرب على شعب مصر صاحب أخصب أرض فى العالم ، الذى تحترف كثرة أهله الزراعة والذى أرغم على زرع ٦٠ بالمائة من أرضه حبوباً ومع ذلك لم يستطع أن يأكل رغيفاً نظيفاً ، ذكرت ذلك وذكرت معه دوى الشكاوى التى جأر الناس بها على غير جدوى ،

وذكرت الكثيرين ممن أصابهم السوء وانتابتهم العلل من جراء سوط العذاب الذى سيطوا به فى غير شفقة أو رحمة . ذكرت كل ذلك وكثيراً غيره ثم هززت رأسى أسى وقلت عسى أن يكون هذا بعض الثمن الذى اقتضاه نصر الديموقراطية !

وأخيراً انكشفت الغمة وعاد الرغيف الأبيض — وقدعلت مكانته وقدر الناس قيمته — وها نحن أولاء نأكل منه شبع بطوننا ، واختفى الرغيف الأسود أو كاد . ولكن مهلا فما الأول بخير كله ولا الثانى بشر كله . فقد ذكرت بعد الذى ذكرته أن الخبز الأبيض مصنوع من دقيق القمح الصافى بعد أن خلص بالغربلة من الردادة والنخالة التى هى عبارة عن القشور اللابسة للحبوب ، وكذلك من حبيبات الأجنة التى بأطارف حبات القمح ، فقلت بذلك قيمته الغذائية لحد كبير ، إذ تذهب مع النخالة مواد غذائية عظيمة الفائدة يحتاج إليها الجسم فى غذائه ونموه ، أودعتها الطبيعة الحبوب المختلفة ولكن الإنسان يفصلها جهلا ويرمى بها إلى الحيوان والطير لتعلفها فتصح هذه ويعتل هو . أما هذه المواد فهى بعض العناصر المعدنية والحوامض العضوية والفيتامينات والالياف . وهذه كلها كان يحتويها الرغيف اللعين الذى لولا قذارة فيه ولونه به لكان صالحاً للجسم أى صلاح . وكلما بولغ فى تبييض الدقيق ازداد فقراً فى العناصر الغذائية .

وهاك بعض الفقد الذى يحصل من تصفية الدقيق الأبيض الناصع :

١٠٠ ./. من الألياف وفيتامين د والكاروتين ومعدن المنجنيز .

٨٥ ./. من الثيامين وحامض النيكوتين (كلاهما فيتامين) .والحديد .

٧٥ ./. من الفوسفور والبوتاسيوم والنحاس والريبوفلافين (والأخير فيتامين) .

٥٠ ./. من الكالسيوم وبعض فيتامينات أخرى .

١٣ ./. من الزلال وحوامض زلالية هامة .

وعلى ذلك لا ينبغى أن نفرح الفرح كله بأكل الرغيف الأبيض ، بل يجب أن نصنع الرغيف الصحى ونأكله ، ولا يخرج هذا الرغيف عن حبة القمح بكل مشتملاتها الطبيعية .

ولما شعر العلماء بسوء التغذية تتفشى بين عامة الشعب فى أمريكا فكروا فى معالجة هذه المسألة باضافة بعض الفيتامينات أو بعض المواد الغذائية الأخرى كالزبيب ولكن هذا لم يأت بالفائدة المطلوبة ، ففكروا أخيرا فى عمل رغيف قومى يأكله جميع أفراد الشعب مصنوع من الدقيق الأبيض مضافا إليه قليل من اللبن الفرز وبعض الفيتامينات الضرورية كالتى فصلت من الدقيق ، ولا زالت هذه أمنية تجول فى أذهان علماء التغذية هناك ولما تخرج إلى حيز التنفيذ بعد .

أما الإنجليز فقد وفقوا إلى اتخاذ رغيف قومى بمعنى الكلمة بل قل إنهم اضطروا إلى اتخاذه اضطرارا ، وذلك عند ما نشبت الحرب وقل الوارد وأصبح الإقتصاد فى الغذاء أمرا محتوما ، والمحافظة على الصحة العامة بين أفراد الشعب الذى ينتج الميرة والذخيرة للجيش المحارب فى المرتبة الأولى من الأهمية .

وبعد دراسة طويلة فى بداية الحرب قرر علماء التغذية الإنجليز الحصول على دقيق يعادل ٨٠ ./. من وزن القمح النظيف بعد أن كان المتحصل منه قبل الحرب ٧٥ ./. ، وهذا معناه إضافة ٥ ./. من قشرة الحبة إلى الدقيق الأبيض ، وبعد ذلك بقليل قررت الحكومة زيادة النسبة إلى ٨٥ ./. وذلك بعد أن أثبت العلماء أن خبزا يصنع من هذا الدقيق يكون صحيا ومحتويا على جميع العناصر الغذائية اللازمة لسلامة الجسم والعقل . ومن ثم كان الشعب الإنجليزى كله يأكل فى زمن الحرب خبزا موحدا مصنوعا من دقيق القمح النظيف غير مخلوط بذرة أو أرز أو غيرهما من الحبوب الأخرى ولم يستبعد منه إلا ١٥ ./. من وزن القمح أى الأجزاء الخشنة فقط ، ومع ذلك فإن هذا الجزء المستبعد به عناصر غذائية هامة أيضا . وكان الخبز المصنوع من هذا الدقيق لذيذا شهيا إلا أنه أقل هضما من خبز ما قبل الحرب بنحو ٣ ./. غير أنه يفضله من حيث احتوائه على المواد الغذائية . ويكفى الفرد الكامل النمو رغيف واحد فى اليوم زنته ثلاثة أرباع الرطل يحصل منه على أكثر ما يحتاجه جسمه من الفيتامينات وغيرها من مقومات الحياة . وفى يناير من عام ١٩٤٥ أرادت الحكومة الإنجليزية الرجوع إلى حالة ما قبل الحرب بالتدريج فقررت خفض نسبة الدقيق المستخرج من القمح من ٨٥ إلى ٨٠ ./. ظنا منها أنها

القضايا الكبرى في الإسلام :

مجرمو الحرب في فتح مكة

للأستاذ عبد المتعال الصعيدي

حكم أسير الحرب في الاسلام القتل أو الاسترقاق أو المن بفداء أو غير فداء ، وقد جاء في كتاب المبسوط للسرخسي أن بعض الفقهاء ذهب إلى أنه لا يجوز قتل الأسير ، واستدل على ذلك بأن القتل لم يذكر في قوله تعالى في الآية (٤) من سورة محمد (فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فإما مناً بعد وإما فداء) ولو صح هذا لقضى بأنه لا يجوز استرقاق الأسير ، لأنه لم يذكر في تلك الآية أيضا ، وهذا هو حكم الأسير بالنظر إلى اشتراكه في القتال ، فإذا كان عليه تبعات أخرى كان عليه عقابها الخاص بها ، ومثل هذا يسمى الآن مجرم حرب .

وقد كان من مجرمي الحرب في فتح مكة خمسة عشر شخصا :

١ — عبد الله بن خطَل ، وكان ممن قدم المدينة قبل فتح مكة وأسلم ، وكان اسمه عبد العزى فسماه النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله ، وبعثه لأخذ الصدقة ، وبعث معه رجلا من الأنصار يخدمه ، فنزل منزلا وأمر الأنصارى أن يذبح تيساً ويصنع له طعاما ونام ، ثم استيقظ فلم يجده صنع له شيئا ، فعدا عليه فقتله وارتد مشركا ، وكان شاعرا فجعل يهجو النبي صلى الله عليه وسلم في شعره .

٢ ، ٣ — قينتان لعبد الله بن خطل : وهما فرتنى وقُريبة ، وكانتا تغنيانه بما كان يهجو به النبي صلى الله عليه وسلم .

٤ — هبّار بن الأسود ، وكان قد عرض لزينب بنت النبي صلى الله عليه وسلم حين هاجرت ، فنخس بها الجمل حتى سقطت على صخرة وأسقطت جنينها ، ولم تزل مريضة حتى ماتت .

٥ — الحُوَيرث بن نُقيد ، وكان العباس بن عبد المطلب حمل فاطمة وأم كلثوم بنتي النبي صلى الله عليه وسلم من مكة يريد بهما المدينة ، فنخس بهما الجمل فرمى بهما الأرض ، ثم شارك هباراً في نخس جمل أختهما زينب .

٦ — مقيس بن صُبابة ، وكان قد أسلم ثم أتى على أنصارى فقتله ، وكان الأنصارى قتل أخاه هشام بن صبابة خطأ في غزوة ذي قرد ، ظنه من العدو ، فجاء مقيس فأخذ الدية ثم قتله وارتد ورجع إلى قريش

٧ — وحْشِيّ بن حرب ، وكان قد قتل حمزة عم النبي صلى الله عليه وسلم غيلة في غزوة أُحد ، وكان حمزة قد قاتل في ذلك اليوم قتالا شديداً ، وكان يقاتل بسيفين ، وكان آخر قتيل قتله

بذلك ترفه عن الشعب ، فذعر العلماء من هذا القرار ونوهوا بما سيفقده الرغيف القومى من المواد الغذائية الهامة مما قد يؤثر على صحة أفراد الشعب وطالبوا بإبقاء النسبة التي كانت مقررة في زمن الحرب لثبوت فائدتها ثبوتا قاطعاً . ولا يفوتني أن أقرر هنا أن رغيف الجيش الروسي كان من القمح الخالص بجميع أجزائه .

فلم لا نفيد من هذه التجربة القيمة ونعمل على إيجاد رغيف قومي تأكله الكثرة الغالبة من الشعب تتوفر فيه العناصر الغذائية حتى لو اضطررنا إلى خلطه بنسبة صغيرة من نوع آخر من الدقيق على أن يكون طيب الرائحة لذيذ الطعم ، ومثل هذا الأمر يحتاج إلى دراسة وافية تقوم بها هيئة مكونة من الطبيب والإجتماعي والكيميائي والضابط الحربي وصاحب المطحن والمخبز والمزارع وغيرهم على أن تؤدى هذه الدراسة إلى وضع تشريع يحدد تركيب هذا الرغيف ودرجة نظافته بحيث يفيد منه الشعب في الظروف العادية وفي الظروف الطارئة كأية حرب محتملة الوقوع حتى لا ننكب برغيف خطر كالرغيف الذي فرض علينا في هذه الحرب الأخيرة .

ورجاؤنا أن نصل في هذا إلى قرار سريع ، وأن لا يكون نصيب الرغيف القومي ما للسياسة والتعليم واللباس وغير ذلك من تذبذب وتأرجح واختلاف في وجهات النظر وعدم الاستقرار ، وأن لا يبتلى بلجنة تنعقد وتنحل بضع مرات ثم لا تنعقد بعد ذلك أبداً فيموت المشروع بين يديها .

دكتور محمد بهجت
قسم البساتين

سباع بن عبد العُزى ، فلما أكبّ عليه ليأخذ درعه قتله وحشى ابن حرب ، وهو غلام جبير بن مطعم .

٨ — هند بنت عُتْبَةَ زوج أبي سفيان بن حرب ، وكانت قد مثّلت بقتلى أحد من المسلمين ، فكانت هي ونساء معها يُجدّعن الآذان والأنوف ، حتى اتخذت منها خدما وقلائد ، وأعطت خدمها وقلائدها وقُرْطَيها وحشى بن حرب ، وبقرت عن كبد حمزة فلاكتها فلم تستطع أن تسيغها فلفظتها .

٩ — عبد الله بن أبي سرح ، وكان قد أسلم وكتب للنبي صلى الله عليه وسلم ، فزعم أنه كان يملى عليه — عزيز حكيم — فيكتب — غفور رحيم — ثم يقرأ عليه فيقول : نعم سواء ، فإن كان يوحى إليه فقد أوحى إليّ ، وإن كان الله ينزله فقد أنزلت مثل ما أنزل الله .

١٠ — عِكْرمة بن أبي جهل ، وكان من أشد الناس على النبي صلى الله عليه وسلم ، وبلغ في أذى المسلمين بمكة ما بلغ .

١١ — كعب بن زُهير ، وكان يهجو النبي صلى الله عليه وسلم بشعره ، ويُعَيّرُ أخاه بُجَيْراً لإسلامه .

١٢ — الحارث بن هشام ، وكان شديداً على النبي صلى الله عليه وسلم ، وكذلك كان شديد الأذى على المسلمين بمكة .

١٣ — زهير بن أبي أميّة ، وكان شديداً في كفره كعكرمة بن أبي جهل ، والحارث بن هشام .

١٤ — صفوان بن أمية ، وكان من أشد الناس عداوة للنبي صلى الله عليه وسلم ، ومن أشدهم أذى للمسلمين بمكة .

١٥ — سارَةُ مولاة لبني المطلب ، وكانت مغنية بمكة ، فقدمت على النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة تشكو الحاجة ، وتطلب الصلة ، فقال لها : ما كان في غنائك ما يغنيك . فقالت : إن قريشاً منذ قتل من قتل منهم ببدر تركوا الغناء . فوصلها وأوقر لها بعيراً طعاماً ، فرجعت إلى مكة ، وكان ابن خَطَل يلقي إليها هجاء النبي صلى الله عليه وسلم فتغنى به .

فلما كان يوم الفتح نادى النبي صلى الله عليه وسلم بأمان من يترك القتال من قريش ، واستثنى منهم هذا العدد فحكم بإهراق دمائهم ، وأمر المسلمين بقتلهم لهذه التبعات التي أخذت عليهم ، وكانوا بها من مجرمي الحرب الذين يؤاخذون على إجرامهم بعد أسرهم .

فأما عبد الله بن خَطَل فإنه ركب في ذلك اليوم فرسه ، ولبس درعه وأخذ بيده قناة ، وصار يُقسمُ لا يدخلها محمد عنوة ، فلما رأى خيل المسلمين خاف وذهب إلى الكعبة وتعلق بأستارها ، فرآه النبي صلى الله عليه وسلم عند طوافه وهو بهذه الحالة فقال : اقتلوه ، فإن الكعبة لا تعيذ عاصياً ، ولا تمنع من إقامة حد واجب . فقتله أبو برزة الأسلمي .

وأما فرتَنى وقُرَيْبةُ قينتا ابن خطل فإن أولاهما وهي فرتنى أسلمت فلم تقتل ، ولم تسلم قريبة فقتلت .

وأما هبّارُ بن الأسود فإنه هرب واختفى ، ثم جاء النبي صلى الله عليه وسلم فاعترف بذنبه وأسلم فعفا عنه .

وأما الحويرث بن نُقَيْد فإنه دخل بيته وأغلق عليه بابه ، فقصده علي بن أبي طالب فقيل له : هو في البادية . فتنحى علي عن بابه ، فخرج يريد أن يهرب من بيت إلى آخر ، فتلقاه علي فضرب عنقه .

وأما مِقيس بن صُبابة فقتله نُمَيلة بن عبد الله الليثي وهو رجل من قومه .

وأما وحشيُّ بن حرب فإنه هرب إلى الطائف ، ولما خرج وفد الطائف ليسلموا ضاقت عليه المذاهب ، فخرج حتى قدم على النبي صلى الله عليه وسلم وأسلم ، فعفا عنه ثم قال له : أقعد فحدثني كيف قتلت حمزة ؟ فحدثه بذلك إلى أن فرغ منه ، فقال له : ويحك غَيّبْ وجهك عني . فكان يتنكبه حيث كان لئلا يراه حتى قبضه الله .

وأما هند بنت عُتبة فإنها اختفت في بيت زوجها أبي سفيان ، ثم أسلمت وأتت النبي صلى الله عليه وسلم بالأبطح فقالت : الحمد لله الذي أظهر الدين الذي اختاره ، لتمسني رحمتك يا محمد ، إني امرأة مؤمنة بالله مصدقة به . ثم كشفت نقابها فقالت : أنا هند بنت عتبة . فقال لها : مرحباً بك ، وعفا عنها .

وأما عبد الله بن أبي سرح فإنه لجأ إلى عثمان بن عفان ، وكان أخاه من الرضاع ، فقال : يا أخي استأمن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يضرب عنقي . فغيبه عثمان حتى هدأ الناس واطمأنوا ، ثم أتى به النبي صلى الله عليه وسلم فصار يقول : يا رسول الله أمنته فبايعه . والنبي صلى الله عليه وسلم يعرض عنه ثم قال : نعم . فبسط يده فبايعه .

وأما كعب بن زهير ، فخاف وخرج حتى قدم المدينة بعد رجوع النبي صلى الله عليه وسلم من فتح مكة ، فأسلم أمامه ومدحه بقصيدته :

« بانت سعاد فقلبي اليوم متبول »

فلما وصل إلى قوله فيها :

إن الرسول لنور يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول

رمى إليه بردة كانت عليه ، فلما ملك معاوية بذل له فيها عشرة آلاف درهم ، فقال له : ما كنت لأوثر بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى أعطانيه أحدا .

وأما عكرمة بن أبي جهل فإنه هرب ليلقى نفسه فى بئر ، أو يموت تائها فى البلاد ، وكانت امرأته أم حكيم أسلمت فاستأمنت له النبي صلى الله عليه وسلم فأمنه ، فخرجت فى طلبه حتى أدركته فرجع معها فأتت به النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم .

وأما الحارث بن هشام وزهير بن أبى أمية فإنهما هربا واختبآ فى بيت أم هانىء بنت أبى طالب فأجارتهما ، وقد أجاز النبي صلى الله عليه وسلم جوارها ، ثم جاءته بهما فأسلما .

وأما صفوان بن أمية فاختفى وأراد أن يلقى نفسه فى البحر ، فأتى ابن عمه عمير بن وهب إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال له : يا نبي الله ، إن صفوان سيد قومه ، وقد هرب ليقذف نفسه فى البحر ، فأمنه فإنك أمنت الأحمر والأسود . فقال له : أدرك ابن عمك فهو آمن . فخرج فأدركه وأتى به النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إن هذا يزعم أنك أمنتنى . قال : صدق . فقال : أمهلنى على الشرك شهرين . فقال : لك أربعة أشهر . ثم خرج مع النبي صلى الله عليه وسلم فى غزوة حنين ، فلما قسم الغنائم أعطاه مائة من الإبل ثم مائة ثم مائة ، ثم رآه يرمق شعباً مملوءاً نعما وشاء فقال له : يعجبك هذا . قال : نعم . قال : هولك وما فيه . فقبض صفوان ما فى الشعب وقال : إن الملوك لا تطيب نفسها بمثل هذا ، ما طابت نفس أحد قط بمثل هذا إلا نبي ، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله . فأسلم وترك المدة التى كان طلبها .

وأما سارة مولاة بنى المطلب فإنها هربت واختفت ، ثم استؤمن لها النبي صلى الله عليه وسلم فأمنها ، فجاءته فأسلمت .

فقتل من هذا العدد الذى كان مجرم حرب قاتلان : هما عبد الله بن خطل ومقيس بن صبابة ، وقد قتل عبد الله بن خطل بعد استعاذته بالكعبة ، فلم تنجه استعاذته بها من القتل ، لأنه كان شديد الجرم بقتله ذلك الأنصارى الذى كان يخدمه ، والكعبة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لا تعيذ عاصيا ، ولا تمنع من إقامة حد واجب . وقد قتل منهم بعد ذلك اثنان لم يتول النبي صلى الله عليه وسلم قتلهما ، ولو أنهما أسلما وطلبا الأمان منه لأمنهما كما أمن الذين كان جرمهم مثل جرمهما ، وهما الحويرث بن نقيد الذى قتله على بن أبى طالب ، وقريبة مولاة عبد الله بن خطل .

والمهم فى هذه القضية ما حصل من عفو النبي صلى الله عليه وسلم عن أكثر ذلك العدد ، فهل حصل هذا بما له من حق العفو ، فرأى أن ما ارتكبوه من جرم لم يصل إلى القتل حصل فى حال لهم فيها شىء من العذر ، فيكون أخذهم بالعفو أولى من أخذهم بالعقوبة ، أو حصل هذا لأنهم أسلموا والاسلام يجبُّ ما قبله ، كما قال تعالى فى الآية (٣٨) من سورة الأنفال : (قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وإن يعودوا فقد مضت سنة الأولين) .

وقد اختلف العلماء فى معنى هذه الآية ، فذهب بعضهم إلى أن المراد أنهم إن ينتهوا عن عداوة النبي صلى الله عليه وسلم يغفر لهم ما قد سلف منها ، وذهب بعضهم إلى أن الكفار إذا انتهوا عن الكفر وأسلموا يغفر لهم ما قد سلف من الكفر والمعاصى ، ويخرجون منها كما تنسل الشعرة من العجين ، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : الاسلام يجب ما قبله . وقالوا : الحربى إذا أسلم لم يبق عليه تبعة قط ، وأما الذمى فلا يلزمه قضاء حقوق الله ، وتبقى عليه حقوق الآدميين .

وما حصل فى هذه القضية يشهد للذين ذهبوا إلى أن الاسلام لا يسقط شيئا من تبعات الدنيا ، ولو كان الذى أسلم حربيا ، ولهذا قتل النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن خطل مع استعاذته بالكعبة ، ولو كان الاسلام ينجيه من القتل لعرض عليه الاسلام قبل أن يقتله ، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يأمر سراياه بأن يعرضوا الاسلام على أعدائهم قبل أن يقاتلوهم ، ومثل هذا يجعل الإسلام خالصاً لله تعالى ، ولا يجعله وسيلة للتخلص من تبعات الدنيا

فلم يبق إلا أن النبي صلى الله عليه وسلم عفا عنهم بما له من حق العفو ، ليضرب بذلك مثلا صالحا فى معاملة مجرمى الحرب ، فيعلم الناس أنه لا يجب التشديد فى أمرهم ، وأنه لا يصح أن يؤاخذوا إلا بمثل ما أوخذ به عبد الله بن خطل ، وقد قال الأول فى أمثالهم : القدرة تذهب الحفيظة .

عبد المتعال الصعيدى

أنشودة المشاعل

فى عيد « الفاروق »

للأستاذ محمود حسن إسماعيل

مَنِ القبسُ الذى طارا يشقُّ رُبَى وأنهارا ؟
ويطوى العشبَ ، والغارا ويسكبُ أينما سارا
ضياءً يبهرُ الشطآن ؟ !

تدفق منـه بالأنوارْ شعاعٌ يسحرُ الأبصارْ
فتحسَبُه من الأقدارْ أذاناً بالليالى دارْ
ليوقظ فجرَها الوسنان !

لهيبٌ واثبٌ خفَّاقْ سناهُ بفجِّرُ الأشواقْ
إذا ظمِئتْ له الآفاق وأهلك زيتَهُ الإحراق
سقته سواعِدُ الفِتيان !

سـقته بعزمِها الجبَّار فراح يُسابقُ الإعصار ؛
سـواعدُ فتيةٍ أحرار توهَّجَ فوقَها بالنـار
هوًى مُترنِّحٌ سكران !

أضاء الكرنكُ المسحور وشعشع حوله الدَّيجور
بنورٍ معابدٍ وقصـور وغيبٍ ممالكٍ وعصور
وفنٍّ حيَّرَ الأزمان !

وساق لمصرَ من دنياه تمائِمَهُ ، وسرَّ علاه
إلى « الفاروق » طار هواه وشق طريقَه لضُحاه
شعاعاً يوقظ الأوطان !

هفا متطلِّعاً للقنـاه حبيبُ ضِفافِه ، وأخاه
مِنَ الجبل الذى يهواه ويعشق أرزَهُ وربُاه
أتاه مُحيِّياً « لبنان » !

شعاعا عزَّةٍ وجلال ورمزا صحوةٍ ونِضال
على نهرٍ ، وفوقَ جبال طوى ركباهما الأجيال
إلى كفَّيهِ يستبقان !

فيا فاروق هـذا النور ضياؤُكَ صابغٌ منثور
يطوف على الحمى ويدور كرِفٍّ للعُلا مسطور
ليقرأ وحيَه الهرَمان !

وهذا الحبُّ يا «عَبْدين» حياةٌ للعبادِ ودين !
لِبابك خفَّ كلُّ قطين تقودُ خطاهُ نارُ حنين
كأنَّ قبابكِ الحرَمان ! ؟

محمود حسن إسماعيل

أمرلسية

ميـلاد ملك

للشاعر محمد البرعى

شارف الأرض وحيَّا فى ابتسام فسألنا من على الأرض هفا
وتلفتنا لأطيـاف الغمام لم نجـد إلا شعاعاً مرهفا
كلما أمعن سيراً فى الظلام شقق الفجر وأسنى وصفا
ملك جاء إلى دنيا الأنام أم على أجفاننا حـلم غفا

هـذه أنسامه دلت عليه حينما لاح مع الصبح وبان
كل روح طيرت قلباً إليه وتملت من مرائيه الحسان
الهدى والنور والسحر لديه معجزات للورى فى كل آن
لو تمس المزن إحدى راحتيه جاءنا الوبل بخيرات الزمان

صولجان الملك ملء الراحتين وعلى المفـرق تاج لمعا
سجد النيل له بالضفتين حينما رف به وارتفعـا

وشدت طيبة لحن الهرمين وعلى سيناء نور سطعا
ورنا الشرق وحيا باليدين لوليد كنبى طلعا

ومضى فاروق يسمو قدما نحو عرش تالد المجد عتيق
ثابت الأصل له فرع سما مده عهد من الماضى السحيق
هذه أعلامه تطوى السما ولها ظل مديد وبريق
عرش من أحيا بمصر الهمما جد إسماعيل والبيت العريق

تاجه للشرق نور الأرب وهوًى يخطر فى أحلامه
وحمى مغناه حصن العرب تستمد العزم من إقدامه
زاره بالأمس من أرض النبى عاهل كالسبط فى إسلامه
طيب الجد نقى النسب تجتلى معناه من أعلامه

وعلى النيل تلاقى الأخوان تاج فاروق وتاج ابن سعود
موكب يوحى بآيات المعانى ولقاء حظ ذكراه الخلود
وعهود حققت حلم الأمانى لشعوب شفها مطل الوعود
وحدة قامت على أقوى كيان غيلها الشرق تفديه الأسود

شعلة تطوى دياجير الدروب تحمل البشرى لمن تفديه نفس
نورها من نور فاروق الحبيب فهى شمس قد تسامت فوق شمس
فى سناها فرحة الروح الغريب حينما يلقى حبيباً بعد يأس
إنها من ذلك الوادى القريب من ربى لبنان جاءت يوم عرس

ليلة الميلاد حياها الشباب عامر الإيمان مرفوع الجبين
إنها فتح لوعد مستجاب رب وعد جاء بالحق المبين
شعلة الفاروق سيرى فى الشعاب نجمة تسرى بليل الدلجين
وأضيئى فى دياجير السحاب واخلدى ماشئت فى كف السنين

ليلة الميلاد عيد أى عيد هات كأسى واسقنى من خمرها
ليلها راح وشعر ونشيد نغمة مستلهم من سحرها
فى سماها فجر ميلاد سعيد رفرفت أعلامه فى غمرها
إنه فاروق ذو الملك العتيد فرحة الدنيا ومجلى نورها

محمد البرعى



الأمير شكيب أرسلان والنشاشيبي :

أضيف هذه (الحاشية) إلى الحديث عن (أبي بكر الخوارزمي) في «الرسالة» الغراء ٦٥٧ ، القسم ٢٥ (في إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب) :

يطلع العلامة الأستاذ أمير البيان الأمير شكيب أرسلان على خطبة النشاشيبي (كلمة في اللغة العربية) ، فيبعث إليه بهذا الكتاب :

أخي العلامة الأستاذ :

أهنيك بهذه الخطبة في محاسن اللغة العربية ، لا بل أهنئ هذه اللغة الشريفة بك ، وأرجو لها من خير الحافظين بقاءك .

كتبت إلى مصر بأن يرسلوا لك نسخة من (حاضر العالم الإسلامي)، وعليك أن تسدل عليه ذيل الستر ، لأنه كتب وأنا أجوب في الأقطار ، ومن قطار إلى قطار ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته

(مرسين ٨ حزيران ١٩٢٥) شكيب أرسلان

وينشر الأمير — بعد الكتاب — مقالة بليغة في مجلة (الزهراء) الغراء ، منها قوله :

« قرأت هذه الخطبة أولا في الجرائد ، وفتنت بها ، وأعجبت بما حوته من جزالة لفظ ، وبلاغة معنى ، وسداد حجة . ثم أهديت إليّ في كتاب نفيس الطبع ، بهيج المنظر ، لم أرَ أليق منه قالباً لتلك الروح العالية ، ولا أبدع صدفة لهاتيك الدرة الغالية . فذ الآن أقول : إنه كتاب مع وجازته قد زخر عبابه ، ومع قلة قراطيسه قد قرطس نشابه ...

ولتهنأ العربية بهذا النصير قليل النظير ، والعاشق الساهر الليالي في رعي نجوم التحقيق والتنقير . ومع أني هجرت الشعر لم أملك نفسي أن قلت :

قد قالت اللغة الفصحى بغربتها قد أحسن الله إسعافي بـ(إسعاف)
هو المجيب لمن قد بات ينشده انصر أخاك لدى ظلم وأس عاف»

ولما قرأ النشاشيبي تلك الحواشي العظيمة في (حاضر العالم الإسلامي) . أرسل إلى الأمير بكتاب جاء فيه :

« ذكرتني هذه الحواشي بقولين لإمامين : قيل لأبي بكر الخوارزمي عند موته : ما تشتهي ؟ قال : النظر في حواشي الكتب . وقال أستاذ الدنيا جار الله : الزيت مخ الزيتون ، والحواشي مخة المتون » .

فبعث الأمير إلى النشاشيبي بهذا الكتاب :

أخي الأستاذ الأجل :

شفيت غليلي بهذين الشاهدين اللذين جئت لي بهما على فائدة الحواشي ، ومن كان يقدر أن يأتي بهما غيرك ؟ لله درك ! وقد أتممت تحبير كتاب اسمه « أناتول فرانس في مباذله » ، يحتوي ترجمة كتاب لكاتب سره (بروسون) ، وخلاصة آخر لصديقه (سيغور) ، وتلخيص لتأبين أدباء فرانسة (لفرانس) يوم وفاته . ولما كان فيه من الأعلام الكثيرة والمسائل الفلسفية والاجتماعية والأدبية ما لا بد من تفسيره إعانة للقارئ الشرقي على فهم الكتاب ، فقد جاءت في هذا التأليف أيضاً حواش ، إن لم تكن على نسبة حواشي (حاضر العالم الإسلامي) : فهي حواش لا بأس بها ، وما كان أسرعني إلى تأييد وجهي في (الحواشي) إلى نقل كلام ذينك الإمامين عن الأستاذ المحقق النشاشيبي ، ولعمري لو أنجدتني بجيش مجر ومال دثر ، ما أحسست فضل تلك النجدة كما أحسست بها عند ما قرأت ذينك الشاهدين ...

(مرسين ٢٤ تموز ١٩٢٥) شكيب أرسلان

مد الله في عمر الأمير ، وأعز به دولة الأدب !

« السهمي »

تهجم على التخطئة « السلام عليكم » :

إلى أخي البصام :

السلام عليكم ورحمة الله ، وبعد ، فقد رأيتك تستغرب هذه التحية المباركة التي يهديها الرجل إلى أخيه ، وأتاك هذا الاستغراب من أن قوماً زعموا أن « القاعدة » هي أن نبتدئ الكتاب بـ (سلام عليك أو عليكم) ، بدون (ال) التعريف ، فإذا جاء الختام قلنا : (السلام عليك أو عليكم) .د. وأن بدء الكتاب بقولنا (السلام عليكم) خطأ شائع في هذه الأيام ! ! الخ . واستدللت بقول الله تعالى في كتابه الكريم : « سلام عليكم طبتم ... » وقوله سبحانه : « سلام قوم منكرون » في أكثر من ثلاثين موضعاً على وجوه مختلفة . وصدق الله الذي يقول في

سورة مريم : « والسلام عليّ يومَ ولدتُ ويوم أموتُ ويوم أبعث حياً » بـ (ال) التعريف ، وصدق الله الذي يقولُ في سورة طه لموسى وهرون : « فأتياه فقولا إنّا رسولا ربك فأرسل معنا بنى إسرائيل ولا تعذبهم قد جئناك بآية من ربك والسلام على من اتبع الهدى» بـ (ال) التعريف أيضاً . فلا تستغرب ياسيدى!

ولا تستغرب أيها السيد الكريم إذا علمت أن أهل القبلة جميعاً كانوا ، ولا يزالون ، وسيظلون إلى آخر الدهر ، يقول الرجل منهم إذا انتهى من سجوده وقعد للتشهد : « السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته » . ولا تستغرب إذا أنت قرأت في صحيح البخاري في باب (ما يتخير من الدعاء بعد التشهد ليس بواجب) : « حدثنا مسدَّد ، قال حدثنا يحيى ، عن الأعمش ، حدثني شقيق ، عن عبد الله قال : كنا إذا كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة قلنا : السلام على الله من عباده ، السلام على فلان وفلان . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لا تقولوا ، السلام على الله ، فإن الله هو السلام ، ولكن قولوا : التحيات لله والصلوات والطيبات ، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين — فإنكم إذا قلتم أصاب كل عبد في السماء ، أو بين الأرض والسماء — أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله . ثم يتخير من الدعاء أعجبه إليه فيدعو» . وكذلك في باب (التشهد في الآخرة) من صحيح البخاري

ولا تستغرب ياسيدى أيضاً إذا مر بك وأنت تقرأ في مسند أحمد بن حنبل ج ٤ ص ٤٣٩ من حديث عمران بن حصين : « أن رجلا جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : السلام عليكم، فرد ، ثم جلس فقال (يعني رسول الله) : عشرٌ . ثم جاء آخر فقال : السلام عليكم ورحمة الله ، فرد ، ثم جلس، فقال : عشرون . ثم جاء آخر فقال : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، فرد ، ثم جلس ، فقال : ثلاثون » . أقول : يعني رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : عشر حسنات ، وعشرين حسنة ، وثلاثين حسنة . وكل ذلك بـ (الـ) التعريف أيضاً .

ولا تستغرب يا سيدى إذا رأيت في مادة (سلم) من لسان العرب :« ويقال السلام عليكم ، وسلام عليكم ، وسلام ، بحذف عليكم . ولم يرد في القرآن غالباً إلا منكَّراً .. فأما في تشهد الصلاة ، فيقال فيه معرَّفاً ومنكَّراً ... وكانوا يستحسنون أن يقولوا في الأول : سلام عليكم ، وفي الآخر : السلام عليكم ، وتكون الألف واللام للعهد ، يعني السلام الأول » . ومن هنا أتى من لا يُحسن العربية ، وقلّ اطلاعه على كتبها وفقهها . والاستحسان هنا منصبٌّ على ما كان في التشهد . فإنه ، كما ترى ، عنى بالأول ، ما كان في التشهد ، وبالآخر السلام الذي يُخرجُ به من الصلاة . وهذا شيء قال به بعض فقهائنا وأعتنا استحساناً من عند أنفسهم أو مما روَوا .

ولا تستغرب يا سيدى إذا وقفتَ يوماً على قول الأخفش : « ومن العرب من يقول : سلام عليكم ، ومنهم من يقول : السلام عليكم .. فالذين ألحقوا الألف واللام حملوه على المعهود ، والذين لم يلحقوه حملوه على غير المعهود » . ثم عاد فقال : « وفيهم من يقول : سلام عليكم ، فلا ينوّن » ؛ ثمّ ذكر العلة فقال : « حمل ذلك على وجهين : أحدهما حذف الزيادة من الكلمة كما يُحذف الأصل على نحو « لم يكِ » ؛ والآخر أنه لما كثر استعمال هذه الكلمة ، وفيها الألف واللام ، حذفا لكثرة الاستعمال ، كما حذفا من اللهم فقالوا : لـَهُمّ » . وكأنه جعل « السلام عليكم بالتعريف هي الأصل الذي كثر استعماله » .

فلا تستغرب إذا نظرت فرأيت أن الذي جاء في مقالتي ليس خطأً ولا مجاراة على خطأ . ولا تستغرب إذا أنا قلت لك : إن أدعياء اللغة إنما يؤتون من سوء التقدير لما يقرأون ، ومما انطوت عليه قلوبهم من حب التعالم على الناس بشيء يدعونه ويلتمسون له الحجة ، حتى ما يدرك أحدهم فرق ما بين « سلام عليك » و « سلام » و « سلاماً » ، كما جاءت في كتاب الله في أكثر من ثلاثين موضعاً ، وبين ما جاء في كتاب الله أيضاً من قوله : « والسلام على من اتبع الهدى » ، وقول رسول الله الذي تلقاه المسلمون عنه في تشهد الصلاة وفي التحية .

واعلم يا سيدى أني قنعت لك ولنفسي وللناس بالنقل مجرداً ، ولم أتبعه ببيان الفروق في المعاني ، وما ينبغي وما لا ينبغي ، ولا تحرّيت لك ولا للناس أن ألج بهم موالج في دقيق العربية وغامضها تدل على أن من نقلتَ أنتَ عنه هذا القول قد تمحَّل وتهجَّم على ما لا علم به ، وعلى ما لا يحسنه ولا يجيده !

فلا يغررْك التبجح بالعلم ، ولا تقنع من المتحذلقين بما يسمونه « القاعدة » ، فلعلها باطل مزور ، وكذب مختلق ، واجتراء على العربية هي من سوآته براء ، ولعل دليلهم يكون هو الدليل على بطلان ما يزعمون كما رأيت . وفي هذا مَقنع وهدًى .

والسلام عليكم ورحمة الله . **محمود محمد شاكر**



في الـــــريف ...

للكاتب الفرنسي جي دي موباسان

بقلم الأستاذ محمد عبد اللطيف حسن

هناك في منحدر التل الواقع بقرب مجرى النهر، وفي كوخين حقيرين متجاورين، كان يقطن فلاحان يشتغلان بكد وعناء ليخرجا من الأرض المجدبة ما يقوم بأودهما وأود عيلتيهما الفقيرتين ...

وكان يقيم في كل كوخ منهما أربعة أولاد تتراوح أعمارهم بين الست سنوات والخمس عشرة سنة، وكثيراً ما كان هؤلاء الأولاد الثمانية يتجمعون بمقربة من الكوخين ويظلون في لهو دائم ومرح مستمر من الصباح إلى الغروب.

وكان كلا الفلاحين متزوجا، وكلاهما ينجب الأولاد بنسبة واحدة وفي وقت واحد تقريباً! وكانت كل أم من الأسرتين تميز أولادها بصعوبة من بين أولاد الأم الأخرى، ولا سيما حينما كانوا يلعبون جميعاً أمامهما!

وكان الأبوان يخلطان في كثير من الأحيان بين أولادهما وبين أولاد الأب الآخر! وكم كان فكهما إذا أراد أحدهما أن يدعــو ولداً من أولاده أن يردد على الأقل اسم ولدين أو ثلاثة قبل أن تنطق شفتاه باسم الولد الذي يريده!

وكانت عيلة توفاسن تسكن في الكوخ الأول ولها ثلاثة أولاد وبنت، في حين أن عيلة فالنس التي كانت تقطن في الكوخ الآخر لها ثلاث بنات وولد.

ففي ظهر يوم من أيام شهر أغسطس الحارة، وقفت مركبة صغيرة أنيقة أمام هذين الكوخين، وقالت السيدة الصغيرة التي كانت تقود المركبة لزوجها الشاب الجالس بجوارها حينما وقع بصرها على الأولاد الثمـانية الذين كانوا يلعبون وقتئذ أمام الكوخين:

— انظر يا هنري إلى هؤلاء الأطفال السعداء.

ثم أشارت بيدها إلى طفل منهم كان يتمرغ مع آخر على الأرض وقالت:

— ما أظرف هذا الغلام وهو يتقلب على الأرض بفرح وسرور ويمرغ نفسه في التراب مع زميله الآخر!!

فلم يجب زوجها على ملاحظتها بشيء على حين استطردت السيدة قائلة:

— كم أود أن أقبل هؤلاء الأطفال جميعا!!

ثم تنهدت تنهدة عميقة حارة صادرة من قلب يائس مكلوم وتابعت حديثها إليه فقالت:

— كم أشتهي ياهنري أن يكون لدينا ولد من هؤلاء الأولاد ولا سيما هذا الولد الواقف هناك بمفرده، وأظنه أصغرهم سنا.

قالت ذلك ثم قفزت من المركبة بخفة ونشاط وهرعت نحو الأطفال وأمسكت بالولد الذي أشارت إليه ورفعته بين ذراعيها وأخذت تقبل خديه القذرين وشعره المجعد المعفر بالتراب، ويديه الصغيرتين اللتين كان يحاول أن يخلص نفسه بهما من بين يديها اللتين كانتا تمسكان به بحنان بالغ ورفق عظيم، ثم تركته وعادت إلى المركبة منصرفة إلى حال سبيلها.

وفي الأسبوع التالي عادت هذه السيدة مرة أخرى وجلست تشاطر الأطفال ألعابهم كما لو كانت واحدة منهم! وقد أحضرت لهم معها في هذه المرة كمية من الكعك والفطائر والحلوى، وأخذت تقدمها إليهم وتوزعها عليهم بنفسها، بينما كان زوجها، واسمه هنري دوبربيه، ينتظرها في المركبة على مضض، وينظر إلى ما يجري حوله بشيء من الدهشة والغرابة.

وصارت تلك السيدة الرحيمة الطيبة القلب، تتردد على الكوخين من وقت لآخر، وكانت تحشو حقيبتها وجيوبها في كل مرة بالحلوى التي كان يتقبلها الأطفال منها بكل لذة وسرور.

وبمرور الأيام تعرفت مدام دوبربيه إلى كل من العائلتين المتجاورتين، وعرضت عليهما صداقتها التي كان لها أحسن وقع وأجمل أثر في نفوسهما الحزينة البائسة.

وفى صباح يوم نزل المسيو هنرى دوبربيه من المركبة واصطحب زوجته معه ثم دخلا كوخ آل توفاسن دون أن يخاطبا فى هذه المرة أحداً من الأطفال الذين كانوا قد تعلقوا بهما وأحبوهما حباً جماً .

وكان توفاسن وزوجته موجودين فى الكوخ فى ذلك الوقت فدهشا لدخول مدام دوبربيه وزوجها الفجائى ، وقدما إليهما مقعدين نظيفين ، وانتظرا بفارغ صبر ما ستقوله لهما هذه السيدة التى بدأت حديثها وقتئذ بصوت خافت ولهجة مترددة :

— لقد أتينا لزيارتكما اليوم ، لأننا نريد أن نتبنى ولدكما الأصغر شارلوت . فذهل توفاسن وزوجته لقولها وعقدت الدهشة لسانيهما فلم ينبسا ببنت شفة . ولكن مدام دوبربيه لم تكترث لدهشتهما البالغة وتابعت حديثها فقالت :

— ليس لدينا أطفال ولهذا نود أن نتبنى ابنكما ، فهل تقبلان ذلك ؟

وهنا بدأت مدام توفاسن تفهم ما تعنيه مدام دوبربيه بهذا الكلام فقالت لها بلهجة لا تخلو من الإستنكار :

— هل معنى ذلك أنكما تريدان أن تأخذا ولدنا شارلوت منا ؟

فتدخل المسيو هنرى دوبربيه عند ذلك فى الحديث وقال :

— إن زوجتى لم تبين لكما غرضنا تماما ، فكل مافى الأمر أننا نرغب فى أن نتبنى طفلكما الصغير ، وليس معنى ذلك أننا سنحول بينه وبين زيارتكما ، بل إننا سنترك له مطلق الحرية فى التردد عليكما فى أى وقت ، وإذا سلك معنا مسلكا حسناً — وهو ما ننتظره منه فى المستقبل — فسنجعله وريثنا الوحيد ، وحتى إذا أنجبنا أطفالا فى المستقبل فسنشركه مع أبنائنا فى الميراث . وإذا لم تثمر فيه تربيتنا وتعليمنا ، فإننا لن ندعه وشأنه كما يفعل بعض الناس ، بل سنعطيه حينما يبلغ أشده عشرين ألفاً من الفرنكات وسنودع هذا المبلغ باسمه فى أحد المصارف الكبيرة على أن يسحبه إذا بلغ سن الرشد ضماناً لحسن تصرفه فيه ، وزيادة على ما تقدم فإننا سنمدكما بمنحة شهرية قدرها مائة من الفرنكات مدى الحياة .

ولكن أبت عقلية مدام توفاسن البسيطة الساذجة إلا أن تفهم هذا القول على غير حقيقته ، وتؤوله تأويلا آخر ، واستبد بها الحنق والغضب عندئذ فقالت :

— أتريدان منا أن نبيعكما ولدنا شارلوت فى نظير جاهكما العريض ، وثروتكما الطائلة ؟ هذا محال ... محال ! !

وكان يبدو على محيا توفاسن — زوجها — علامات التردد والتفكير العميق دون أن ينبس طول هذه المدة ببنت شفة ، ولكن كان يلوح عليه أنه موافق على اعتراض زوجته بدليل أنه كان يهز رأسه من وقت لآخر موافقة منه وتأييداً لقولها ! !

وبدأ اليأس يتطرق حينئذ إلى نفس مدام دوبربيه فحولت وجهها شطر زوجها وقالت له بصوت مكتئب حزين :

— هنرى ! إنهما يمانعان فى أن نأخذ ولدهما شارلوت معنا !

وحاول المسيو هنرى دوبربيه أن يقنع الزوجين العنيدين لآخر مرة فقال : فكرا جيداً فى مستقبل ولدكما وهنائه قبل أن ترفضا هذا الطلب نهائيا ...

فهزت مدام توفاسن كتفيها بسخرية واستخفاف وقاطعته بقولها : لقد فكرنا يا سيدى فى كل هذا من قبل ، والآن أرجو منكما أن تكفا عن الكلام فى هذا الموضوع ولا تحاولا إثارته مرة أخرى . وبينما المسيو هنرى دوبربيه وزوجته يهمان بالخروج إذ فتح باب الكوخ فى تلك اللحظة ودخل منه ولد صغير يشبه شارلوت إلى حد كبير حتى أن من يراهما لأول وهلة يظن أنهما توأمان ! فلما وقع بصر مدام دوبربيه عليه سألت زوجة توفاسن قائلة : هل هذا الولد الصغير ابنكما أيضاً ؟ ؟ فأجاب توفاسن باقتضاب وهو يحك بيده لحيته البيضاء الكثيفة الشعر : كلا إنه جان فالنس ، ابن جارنا الآخر فالنس الذى يقطن فى الكوخ المجاور ، ويمكنكما أن تحاولا أخذه منه إذا استطعتما ذلك ! !

فرد عليه المسيو هنرى دوبربيه بحزم وإصرار وقال : سنحاول ذلك بكل تأكيد ! فابتسم توفاسن ابتسامة عريضة ماكرة وقال له وهو يهم بالوقوف لتوديعه : إذن أرجو لكما النجاح والتوفيق فى مهمتكما ! ! ولما دخلت مدام دوبربيه وزوجها الكوخ المجاور ، وعرضا على فالنس وزوجته اقتراحهما السابق ، رفض الزوجان هذا الإقتراح فى بادىء الأمر ، ولكن مدام دوبربيه وزوجها ما زالا بهما حتى أقنعاهما بوجاهة فكرتهما ، وصواب رأيهما ، ولا سيما حينما ذكرا لهما المبلغ الذى سيمنحانه فى كل شهر ! ! وبعد فترة قصيرة وجهت مدام فالنس حديثها لزوجها فقالت : ما رأيك فى هذا العرض السخى يا زوجى العزيز ؟ فأجابها زوجها وهو يفتل بيده الخشنة شاربيه الكثيفين : إننى لا أمانع فى ذلك يا عزيزتى ، وليس عندى أى اعتراض مطلقاً . وتكلمت مدام دوبربيه حينئذ عن مستقبل الطفل ، وسعادته ، وعن النقود

الكثيرة التي سوف يمد بها عائلته في المستقبل . فلما أتمت كلامها سألها فالنس وقد ارتسمت على شفتيه إبتسامة الرضا والإرتياح ، وشاعت الغبطة والسرور في قسمات وجهه الكثير التجاعيد : وهل سنأخذ المائة فرنك على يد أحد المحامين ؟ فأجابه المسيو هنري دوبرييه وهو يهز رأسه موافقاً : بلا شك ... بلاشك ! !

وأرادت مدام فالنس أن تنتهز الفرصة فتزيد هذا المبلغ قليلا فقالت لمدام دوبرييه وهي تنظر من طرف خفي إلى زوجها نظرة ماكرة ذات معنى :

— أظن أن المائة فرنك ليست بالمبلغ الكافي في نظير انتزاع ولدنا منا لأنه سيصبح بعد بضع سنوات قادراً على العمل والكسب، ولذا يستحسن أن يكون هذا المبلغ مائة وعشرين فرنكا في الشهر !!

فوافقت مدام دوبرييه على ذلك بعد قليل من التردد دون أن يخفى عليها جشع مدام فالنس وشدة طمعها !!

ولكى تثبت للزوجين الفقيرين مدى غناها وجودها ، فقد أخرجت من حقيبة يدها مائة وعشرين فرنكا وأعطتها لمدام فالنس التي تناولتها منها بمزيد من الغبطة والسرور ، في حين جلس زوجها هنري يكتب شروط الاتفاق بتؤدة وإمعان . فلما انتهى منه استدعى عمدة القرية وأحد الشهود فوقعا معه على العقد الذي أصبح قانونياً من كل الوجوه ...

وخرجت مدام دوبرييه من الكوخ فرحة مسرورة لنجاح مسعاها ، وتوفيقها في مهمتها ، في حين كان الطفل الذي حملته بين ذراعيها يبكي بحرقة وحرارة لفراق والديه وتخليهما عنه ، ويحاول أن يخلص نفسه من بين ذراعيها ولكن بلا فائدة ...

وشاهد توماس وزوجته رحيل الطفل جان بوجهين كالحين . والظاهر أنهما قد لاما نفسيهما على رفضهما التنازل عن ولدهما شارلوت ، وندما — بعد فوات الوقت — على ضياع هذا الكنز الثمين منهما ! !

ولم يسمع أحد من أهل القرية شيئاً عن جان فالنس لمدة طويلة من الزمن . وكان أبواه يذهبان في أول كل شهر إلى مكتب المحامي فيتسلمان منه المائة والعشرين فرنكا ثم يعودان إلى كوخهما آمنين مطمئنين ...

وساءت العلاقات حينئذ بين عائلة فالنس وبين عائلة توفاسن التي كانت تعيرها وتحط من شأنها أمام أفراد القرية لأنها فرطت في ولدها جان وباعته لمدام دوبرييه وزوجها بيع السلع ! وكانت مدام توفاسن تمسك بولدها شارلوت من وقت لآخر وترفعه بين ذراعيها ثم تخاطبه بقولها :

— إنني لم أبعك ولن أبيعك يا ولدي العزيز بالرغم من أنني لست غنية كما تعلم ويعلم جميع الناس ...

وكانت لا تفتأ تردد هذه العبارات التهكمية وأمثالها في كل يوم بلهجة ساخرة وبصوت عال مسموع كان يصل في كثير من الأحيان إلى مسامع فالنس وزوجته ! وبلغ الغرور بمدام توفاسن إلى حد أنها كانت تزعم نفسها أعظم شأناً من أهل قريتها جميعاً ، وأرفع منهم منزلة وأعلاهم مقاماً ، لا لشيء إلا لأنها لم تبع ولدها شارلوت ! ولم يغب هذا الغرور عن أهل القرية أنفسهم ولم يفتهم أن يلاحظوا عليها ما كانت تدعيه من العظمة المصطنعة والخيلاء الكاذب ، ولكنهم كانوا مع ذلك لا يفتأون يرددون أمامها أنها سلكت مسلك الأمهات الطيبات القلب ! ! ولما بلغ شارلوت الثامنة عشرة من عمره كان يتباهى على أقرانه ، ويعتقد — كوالديه — أنه أعلى منهم مرتبة وأسمى مكانة لأن أمه المحبة لم تبعه كما باعت مدام فالنس ولدها جان ! ! وبينما كانت عائلة فالنس ترتع في بحبوحة العز والرفاهة ، كانت عائلة توفاسن لا تزال على ماهي عليه من الفقر المدقع والفاقة البالغة ! وكان يسار أسرة فالنس وغناها هما السر في هذا البغض ، والباعث على تلك الكراهية التي كانت تبديها عائلة توفاسن نحوها في كل وقت وفي أي مناسبة !! وبعد مضي مدة انخرط الابن الأكبر لمدام توفاسن في سلك الجندية ، بينما توفي ولدها الآخر إثر مرض خطير ألم به ولم يمهله إلا بضعة أيام . أما شارلوت فقد ظل في القرية ليساعد والده الذي كان قد بلغ من الكبر عتياً ، وليمين أمه العجوز وأخته الوحيدة على العيش ومكافحة صعاب الحياة . وكان شارلوت قد بلغ الحادية والعشرين من عمره حين وقفت في صباح يوم مركبة صغيرة جميلة أمام الكوخ المجاور ، ونزل منها شاب قوي وسيم الطلعة ، أنيق الثياب ، . ثم دخل الكوخ بقدمين ثابتتين ، وخطوات متزنة واسعة ... وكانت مدام فالنس تغسل ثيابها في ذلك الوقت ، بينما كان زوجها الذي بلغ من العمر أرذله يستدفىء بنيران المدفئة . وقبل أن يفيق الوالدان من دهشتهما تقدم الشاب — ولم يكن إلا ابنهما جان فالنس نفسه — نحوهما وقال لهما وهو

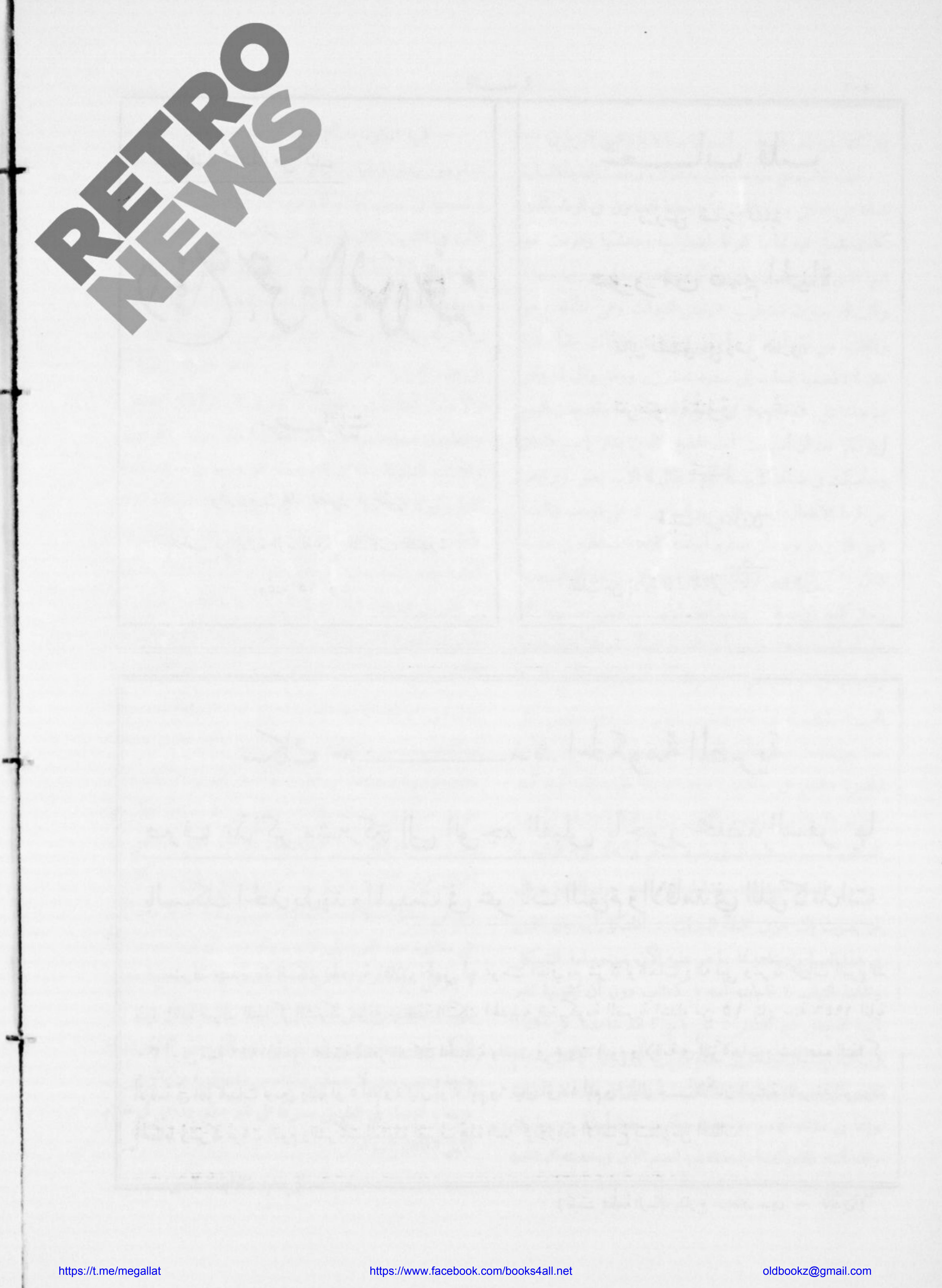
يمد كلتا يديه لمصافحتهما : أسعدتما صباحا يا والدى العزيزين ... فهب الأب من مكانه دهشاً مذهولا ، وعقدت المفاجأة السارة لسانه عن النطق ، بينما ألقت الأم بقطعة الصابون فى الوعاء الذى كانت تغسل فيه ثيابها لفرط اضطرابها ودهشتها وهرعت نحو ابنها الذى لم يكن قد زارها منذ أن اصطحبته مدام دوبرييه معها ، وقالت له بصوت مضطرب مرتعش النبرات وهى تتأمله بزهو وإعجاب من ثمة رأسه إلى أخمص قدميه : هل أنت حقاً ولدنا جان ؟ ؟ فضمها الشاب إلى صدره بحنان ورفق وقال لها وهو يضحك ملء شدقيه : نعم إننى ولدكما جان ! وقد جئت اليوم لزيارتكما بعد أن أصبحت أحد المحامين الذين يشار إليهم بالبنان وسأمكث فى ضيافتكما بضعة أيام . فقال له الأب بصوت يرتجف من فرط الانفعال وشدة الفرح والسرور : على الرحب والسعة يا بنى العزيز . وبعد أن استرد أنفاسه اللاهثة استطرد فى حديثه فقال : كم أنا سعيد بلقائك يا والدى ، ولا سيما بعد أن أصبحت رجلا كامل الرجولة ... ولما أفاق الأب والأم من دهشتهما صمما على أن يقدما ولدهما جان إلى أهل القرية جميعاً . فعرفاه أولا بعمدتها وقسيسها وناظر مدرستها . ثم عرفاه أخيراً بباقى أفراد أهل القرية الذين استقبلوه بحفاوة بالغة وسرور عظيم . وشاهد توفاسن كل هذا بعين دامعة تفيض بالألم والهم والعذاب ، ونفس حزينة تملأها الحسرة والندم على ما فات ! وقد تغيرت نظرته إلى الحياة بعد ما رأى جان فالنس فى ملبسه الأنيق وثيابه الغالية وشبابه الحيوى الفياض ، بينما هو لا يزال فى فقره المدقع وأسماله الرثة البالية ،

وفى المساء حينما اجتمع شارلوت بوالديه حول المائدة ، قال لهما بصوت باك حزين تخنقه العبرات : أظنكما رأيتما جان فالنس فى هذا الصباح وشاهدتما ما هو عليه الآن من وسامة الشكل وفخامة الثياب ؟ فأجابته أمه باكتئاب دون أن يفوتها تغير ابنها الفجائى غير المنتظر : نعم يا بنى ! لقد شاهدنا كل ذلك ! ولكننا لم نشأ أن نبيعك إلى مدام دوبرييه وزوجها كما فعلت مدام فالنس وزوجها بابنهما جان ! لأننا رأينا أن فى ذلك عارا عليك وإثما فى حقك كما هو عار علينا وإثم فى حقنا أيضاً ... ولم يفه والده أثناء ذلك بكلمة واحدة، بينما استمر الابن فى حديثه الساخط المؤلم فقال :

— إنها لغباوة منكما حقاً أن تدعا جان فالنس يذهب مع مدام دوبرييه وزوجها بدلا منى ! وإنه من سوء حظى أيضاً أنكما لم تضحيا بى بسبب حنانكما وغروركما وأنانيتكما ... وهنا تدخل الأب فى الحديث فقال موجهاً كلامه لابنه : هل تلومنا الآن يا ولدى لأننا لم نشأ أن نفرط فيك كما فرطت مدام فالنس وزوجها فى ولدهما جان ؟ ولكن شارلوت لم يأبه لدفاع والديه بل هز كتفيه ساخراً واستمر فى ثورته فقال : نعم إننى ألومكما لأنكما فوتما على هذه الفرصة التى قل أن يجود الدهر بمثلها . وإن الآباء والأمهات أمثالكما كثيراً ما يجنون على أولادهم بجهلهم ، ويحطمون مستقبلهم بمثل هذا الحنان الضار ، والحب المرذول ، والأنانية المقوتة . فقالت له أمه وقد حز فى نفسها حديث ولدها المؤلم وثورته الصاخبة : هل هذا جزاء حبنا لك واحتفاظنا بك ؟ فأجاب شارلوت وهو يكاد يبكى من شدة الحنق والغيظ وقد اعتمد ذقنه براحة يده : كم أتمنى الآن لو لم أكن قد ولدت حتى لا أظل فى هذه الحالة المؤلمة التى أنا عليها الآن . وبعد لحظة سكوت قصيرة تابع حديثه إليهما فقال بلهجة أشد وأعنف من الأولى : إننى عندما رأيت جان فالنس فى صباح هذا اليوم وهو ينزل من مركبته الأنيقة الفاخرة جرت دماء الحقد والغضب حارة فى عروقى وقلت مخاطبا نفسى : (لو قبلت عائلتى ما عرضته عليها مدام دوبرييه وزوجها من قبل ، لكنت الآن فى مركزه وظل هو فى مركزى) . قال ذلك ثم نهض من مقعده فجأة وقال لهما وشرر الغضب يتطاير من عينيه الدامعتين ، والحنق الكامن فى أعماق نفسه الثائرة يلوح على أسارير وجهه الحزين المكتئب : إننى لن أغتفر لكما هذه الغلطة ما حييت ، وقد استقر رأيى الآن على مغادرة هذه القرية إلى الأبد ، والنزوح إلى قرية بعيدة نائية لا يعرفنى فيها أحد ولا أعرف بها أحداً ، لأكسب فيها عيشى بعيداً عنكما وعن أهل هذه القرية جميعا . قال ذلك ثم فتح باب الكوخ بسرعة وهرع إلى الخارج بعد أن صفق الباب وراءه بشدة وعنف حتى لا يتمكن والداه من اللحاق به وإثنائه عن عزمه ، ثم سار فى الطريق مسرعا على غير هدى واختفى فى ظلام الليل الحالك السواد .

محمد عبد اللطيف حسن

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)


RETRO
NEWS

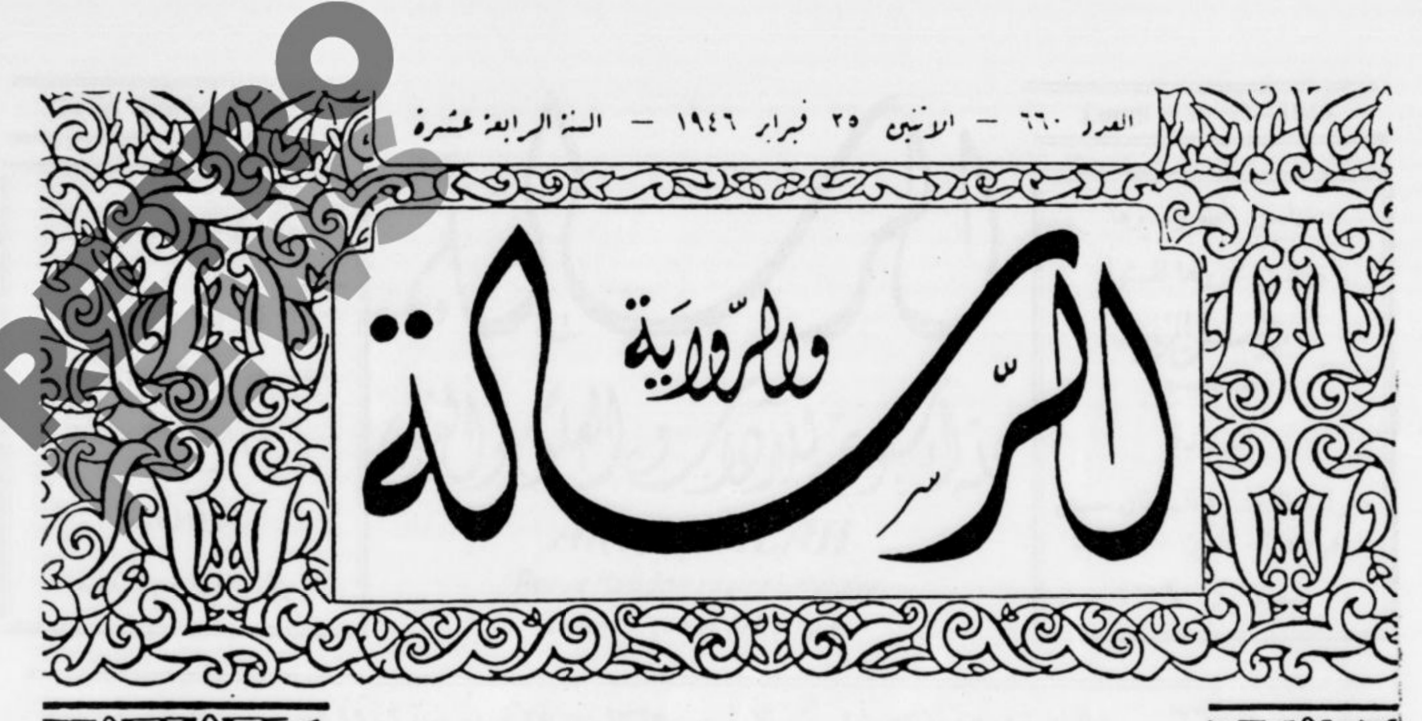


الفهرس

صفحة

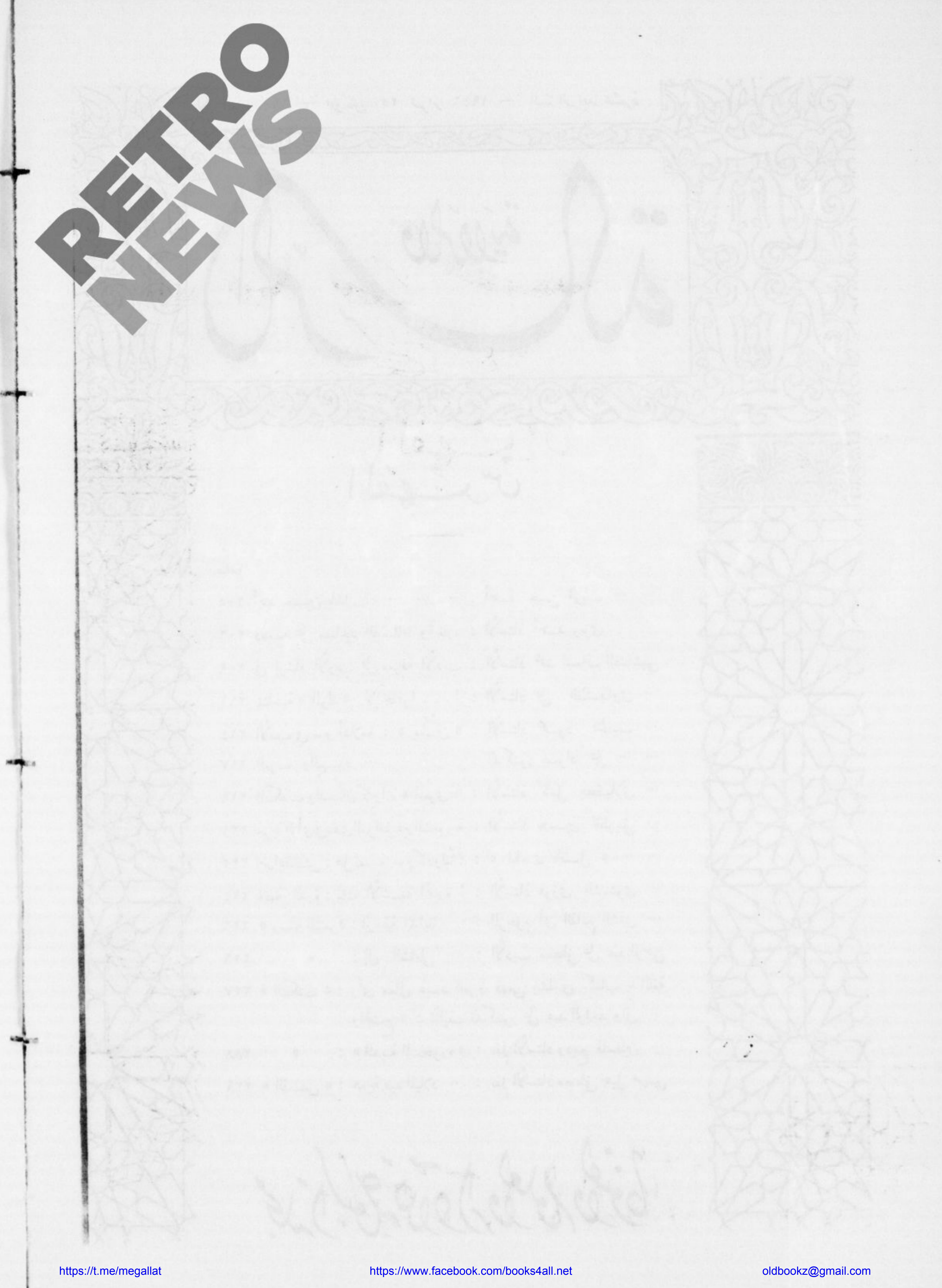
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ٦٦٠ — الاثنين ٢٥ فبراير ١٩٤٦ — السنة الرابعة عشرة



الفهرس

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون


RETRO
NEWS

14 me Année No. 660

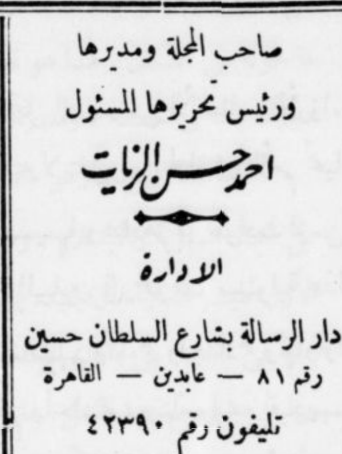
Lundi —25—2—1946



ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire

Scientifique et Artistique



صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

ص

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٦٦٠ « القاهرة فى يوم الإثنين ٢٣ ربيع الأول سنة ١٣٦٥ — ٢٥ فبراير سنة ١٩٤٦ » السنة الرابعة عشرة

أحمد حسنين باشا

١٨٨٩ - ١٩٤٦

مات صاحب المقام الرفيع والخلق الرفيع والأدب الرفيع أحمد باشا حسنين فى غير الميادين التى تحدى فيها الموت ! ! تحداه فى الصحراء المجهل حين رحل ، وفى السماء المرعدة حين طار ، وفى الداء العقام حين مرض ، فخنس عن تحديه ؛ ثم اختلسه اختلاساً فى حادث من حوادث القدر على غفلة من إرادته وحيويته ! ! ولو كان الموت حليفاً للحياة لأمهل الفقيد حتى يتم عمله الذى تهيأ له بخير الفضائل والوسائل من تربيته وخلقه وثقافته وتجربته ؛ ولكن أجل الله إذا جاء لا يؤخر !

كان أحمد باشا حسنين — سقى الله بصيب الرحمة ثراه — مزيجاً حلواً من طبيعتين كريمتين : صوفية مؤمنة ، وعسكرية مغامرة . أخذ الأولى عن أبيه وكان من علماء الدين فى الأزهر ، وورث الأخرى عن جده وكان من أمراء البحر فى الأسطول . أما أثر البيئة الأزهرية فيه فخلوص العقيدة ، وبلاغة الأسلوب ، واستقامة الطريقة ؛ وأما فضل الوراثة العسكرية عليه ، فحبه للنظام ، وولعه بالرياضة ، وميله إلى المخاطرة . ثم تخرج فى اكسفورد فوجدت هاتان الطبيعتان فى البيئة الإنجليزية والثقافة السكسونية الغذاء الناجع والجو الصالح ، فنمتا أعظم النمو ، وأثمرتا أكرم الثمر . والخلق الإنجليزى الأصيل قائم على جوهر هاتين الطبيعتين وفى هذا سر نجاحه .

كان الفقيد الكريم رياضى الروح والعقل والجسم ؛ فمن رياضة روحه نبالة نفسه ، ومن رياضة عقله سلامة تفكيره ، ومن رياضة جسمه شجاعة قلبه . وهذه الصفات هى التى تندر فى أكثر الناس ، وتعسر على قادة الشرق ؛ لذلك كان فقد أمثاله رزءاً لا يحتمل وخسارة لا تعوض .

وكان من خواص الأدباء ونبغاء الكتاب ؛ وكتابه (فى صحراء ليبيا) وآثاره فى منشآت (القصر) تتسم بسيمة الفكر الناضج والذوق السليم والفن العالى . والبلاغة ظاهرة من ظواهر القوة ، وأدب اللسان مظهر لأدب النفس .

وكان من حملة العرش الأقوياء الأوفياء المخلصين . آثر التاج بحبه ، وآزره بقلبه ، وأحسن السفارة بينه وبين شعبه . ومن اعتدال الزمان وإقبال الأمور أن تكون بطانات الملوك من هذا الطراز : رأس مفكر ، ولسان عف ، ويد طاهرة ، وقلب مؤمن .

ومما يطمئن القلب على سلامة الفطرة فى هذه الأمة أنها أجمعت على حب هذا الرجل ، فكأنها تحب الفاضل لذاته ، وتكره أن يدخل الهوى فى تقدير حسناته .

إن الشعب الفقير فى الرجال خليق بأن يطول حزنه على فقد رجل . وإن المصاب فى أمثال أحمد باشا حسنين مصاب فى الكيف لا فى الكم ، وفى الجوهر لا فى العرض ، وفى الرعاية لا فى القطيع . تغمده الله برحمته ، وأجزل له ثواب المتقين فى جنته ، وأخلف بالخير على أسرته وأمته .

احمد حسن الزيات

دمعـة ...

على مساجد الفسطاط وآثاره

للأستاذ أحمد رمزى

كانوا مصابيحاً لدى ظلم الدجى يسرى بها السارون فى الإدلاج
كانوا ليوثاً لا يرام حماهم فى كل ملحمة وكل هياج
فانظر إلى آثارهم تلق لهم علماً بكل ثنية وفجاج

***

نشرت مجلة الإخوان المسلمين كلمة فى عددها الماضى تتلخص فى أن أحد النواب صرح بأن فى مصر القديمة ثمانية أديرة وكنائس عدة ، تقابلها مصلاة واحدة من الطين والبوص على شاطىء النيل وقد اهتمت السلطات لهذا الأمر .

وأبدأ حديثى بأن أشكر إخواننا المسيحيين من مختلف طوائفهم ومللهم أن عرفوا كيف يحفظون آثارهم ومعابدهم وهى حق لهم ومفخرة لمصر ؛ وأجزل لهم الشكر والثناء لأنهم بعملهم هـذا وسهرهم على تراث آبائهم والمحافظة عليه قد ألقوا علينا درسا مفيداً نحن معاشر المسلمين فى القرن العشرين .

ولا أجد ما أعبر عنه للسلطات إذا صدق ما قيل من اهتمامها لهذا ؛ فإن هذه الحمية لدليل على وعى قوى ويقظة لم نعهدها من قبل ؛ ولذلك نؤمل وننتظر أن تتبع هذه الحمية أو هـذه البادرة الطيبة بالعمل الصالح الجرىء النافذ ؛ فتعيد لهذه البقعة بعض ما اندرس من آثارها ومفاخرها .

ولقد أثارت هـذه الكلمة الكثير من شجونى وآلامى ، وأعادت إلى ذكرى الماضى العربى فى أجلى مظاهره ؛ فعدت لنفسى ورجعت إلى الوراء ، وتذكرت ما قرأته وسمعته عن عهود كانت فيها هذه البقعة من الأرض عامرة بمساجد الله وبالآثار الإسلامية ؛ فعلمت كيف نزلت بها القبائل العربيـة أيام الفتح الإسلامى ، وكيف استوطنتها واتخذت فيها الخطط والمنازل وكيف أصبحت اليوم خالية خاوية .

فمن المسئول عن هذا الخراب الشامل ؟ وهذا الميل الذى نعيش فيه ؟

إن تحميل الزمن وأحداثه كل العبء من الأخطاء والأرزاء التى نعانيها أمر سهل ؛ ولـكنه لا يتفق مع الحياة ؛ والأمم تحيا وتتغلب بحيويتها ونشاطها وتصميمها وعنادها على حوادث الزمن ومصاعبه ؛ ولذلك فإنى أحمّل المسلمين فى مجموعهم مسئولية هذا العبث بآثارهم ، لأنهم جهلوا ماضيهم وآباءهم وأجدادهم وتهاونوا فى أمورهم لما تنكروا لأصولهم وأمجادهم ، وتناسوا منزلة دينهم وأثره فى شؤون العالم ، فخفت فيهم كلمة التنزيل « ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى فى خرابها » .

وقلت أين علماء الإسلام ؟ ما لهم لا يقومون بأداء الأمانة التى فى أعناقهم فيعلمونا ما نجهل من أمرنا وأمر ديننا وشؤون من تقدم منا ؟ لقد قرأنا عن السلف الصالح من رجال الدين ممن حملوا رسالة الشافعى وغيره من أئمة المسلمين طول القرون الماضية أنهم قوم جاهدوا فى الله خير جهاده ؛ بذلوا أنفسهم فى سبيل العلم ، والبذل فى سبيل العلم بذل فى سبيل الله ، وكانوا أشداء إذا اقتنعوا بالحق فجهروا به ، رحماء بين أنفسهم ومع الناس

فأين جهودهم وأين علومهم وهم أولى الناس ، أن نتلقى دروس الماضى عنهم ؟

***

والآن قف بالله على أرباض الفسطاط ومنازل العروبة الأولى وموطن الإسـلام أيام الفتح ! ماذا ترى ؟ أطلالا وراء أطلال ، وكانت هذه الجهة عروس الدنيا . إننى أنظر إلى وصف الأقدمين لها ، وأرجع إلى ما كتبه المقريزى والسيوطى وابن دقاق وغيرهم وإلى علماء المزارات ، فأشعر بالحسرة تملأ نفسى وتحز فى قلبى . وأعود إلى الخرائط الحديثة والقـديمة وإلى وصف الرحالين لهذه البقاع فلا أعثر على ضالتى ، وإلا فاعلمنى أين جامع الفتح مثلا ، بل وأين جامع راشدة ؟

لقد كان موقعه بين دير الطين والفسطاط ، فى خطة راشدة وهى قبيلة من قبائل العرب وبطن من لخم ، نزلوا هناك عند الفتح ، وأنشأوا لهم جامعاً ، ثم عاد الحاكم بأمر الله فجدده وعلق فيه قناديل

من فضة ، وعُمّر بعد ذلك مراراً ؛ وكان يمتلىء بالناس لكثرة ما حوله من السكان . هذا هو قول المقريزى ، فانظر ما يقوله على مبارك باشا فى خططه ، وقد زال هذا الجامع ولم يبق له من أثر .

أما جامعنا العتيق وهو جامع عمرو فباق مع الزمن ، يحدّث عن أمجاد العروبة والإسلام ، وقد فكر المغفور له الملك احمدفؤاد الأول طيب الله ثراه أن يعيده إلى سابق مجـده ، متخذا فى ذلك سنة من تقدمه من ملوك الإسلام فى مصر ، وعملت له مسابقة دولية ، فمتى يتم هذا العمل الجليل وأراه يتألق فى مجده القديم ، وأمتع ناظرى بلوحة من الرخام وقد نقشت عليها بحروف ذهبية كلمات عمرو بن العاص فى إحدى خطبه حينما قال لأهل مصر :

« إعلموا أنكم فى رباط إلى يوم القيامة لكثرة الأعداء حولكم ، تتجه قلوبهم إليكم وتتشوق إلى دياركم معدن الزرع والمال والخير الواسع والبركة النامية » وكانت خطبته بجامع عمرو

واستشهد بما سمعه عن الرسول صلوات الله عليه إذ قال :

« إذا فتح الله عليكم مصر فاتخذوا فيها جنداً كثيفاً فذلك الجند خير أجناد الأرض» فمتى يتم ذلك وتعمر الأحياء حوله ،وتعود أيام المسجد العتيق فتمتلىء رحباته بالمصلين يوم الجمعة ؟ وهو الذى يمثل وحده إذا ذكر ، أمجاد مصر وأياديها فى خدمة الشريعة ونصرة دين الله ، وهو الذى سطع نجم الشافعى فيه ، والإمام مفخرة من مفاخر مصر العربية فى الماضى ، وموضع اعتزازها فى الأجيال القادمة باذن الله

وذكر صاحب النجوم الزاهرة أن الملك المعز أيبك ، وهو أول ملوك الدولة التركية بالديار المصرية والشامية ، أنشأ المدرسة المعزية على النيل بمصر القديمة ووقف عليها أوقافا ، وكان مدرسها القاضى برهان الدين الخضر ابن الحسن السنجارى . فأين الآن هذه المدرسة الإسلامية ؟ ولماذا لا تعاد إلى مكانتها من العز السالف ، كما أعزها منشئها وبانيها ؟

لئن قلت موارد وزارة الأوقاف ونضبت ، فهل أعلنت أن المدرسة فى حاجة إلى المال فقبض الناس أيديهم عنها ، وبخلوا بأعطياتهم وتبرعاتهم ليعيدوا أثراً لهم من آثار السلف الصالح يقيمون فيه شعائر الإسلام ويفخرون به .

* * *

وكان على شاطىء النيل الجامع الجديد الناصرى ، أنشأه الناصر محمد سنة ٧١٢ هجرية وكانت له أربعة أبواب وفيه مائة وثلاثون عموداً وكان بمصر القديمة ، ووصفه المقريزى وصفاً دقيقاً وقال « تولى الخطابة فيه قاضى القضاة بدر الدين محمد بن ابراهيم ابن جماعة الشافعى ، ورتب فى إمامته الفقيه تاج الدين بن مرهف » . وكان الملك الناصر محمد بن قلاوون ملكا ملء عين الزمن ، وكان أئمة الدين وعلماء الإسلام وقضاتهم يتقربون إلى الله بخدمة الشعب والامتزاج به ورعايته كما رعى أنبياء اسرائيل خراف اسرائيل الضالة ، ولم تكن لتأخذهم الأنفة وعلوا علواً عظيماً ، فوجدوها كبيرة على أنفسهم ، إذا تولوا الخطابة والإمامة بمساجد الله ، وقد كان الملوك والخلفاء والعظماء يتولونها فى السابق ، وكان النبى يؤدى رسالته بالمسجد ويقوم بين الناس إماما وخطيبا .

وأعود لمسجد الناصر فهل تعرفون له مكاناً فتدلونى عليه ؟ من استملك أرضه واستحلّ بناءه ؟ وأين أنقاضه وحجارته ؟

وتعال معى إلى أثر النبى ، وهى التى يريدون برغم أنف الزمن ، تعويد الناس أن يطلقوا عليها اسم الساحل القبلى ، وابحث عن رباط الآثار النبوية ، تجده لا يزال قائما ، ولكن لو كان ملكا لطائفة من طوائف الأديان الأخرى ، سواء أقلت أم كثرت ، هل ترضى لنفسها أن تتركه على مثل حالته ؟ وهل يليق بدولة إسلامية عربية أن تترك هذا الأثر الإسلامى المنسوب إلى النبى عليه الصلاة والسلام على ما هو عليه ، وهو أول مسجد يقابلك وأنت تدخل القاهرة من الجنوب ؟ ذكره القدماء وأشاروا إلى الآثار النبوية التى كانت مودعة فيه وإلى تبرك الناس به . وقال المقريزى إنه أدرك لهذا الرباط بهجة وللناس فيه اجتماعات ، وقال إن سلطاننا الملك الأشرف شعبان تغمده الله برحمته ، قرر فيه درساً للشافعية وكانت به خزانة كتب عامرة .

وهذه الآثار النبوية هى التى أوحت بالشعر لكثير من شعراء ذلك العهد ومنهم خليل بن أيبك الصفدى فقال :

أكرم بآثار النبى محمـــد   من زاره استوفى السرور مزاره
يا عين دونك فانظرى وتمتعى   إن لم تريه فهذه آثاره

فهل فكر أحد من الناس أن يعاد ترميمه وأن ترجع آثار النبى إليه ؟ وأن تزرع حوله حديقة على النيل ، وأن ترد إليه

مكتبته ، والكتب رخيصة الآن ؟ وأخيراً درس الحديث فى هذه البقعة ما أجمل وقعه على النفس !

هذه مصر القديمة أو العتيقة أو الساحل القبلى ، لماذا لا نعيد إليها اسم الفسطاط الذى عرفت به وعرف بها طوال القرون الماضية ، ونعيد اسمى العسكر والقطائع للجزء الشمالى منها ؟ فنقول قسم الفسطاط بدل مصر القديمة ، ومحطة الفسطاط ونضع مشاريع الإصلاح بشرط ألا نمس القديم ، ونتخذ فيها مايحفظ الباقى منه .

إننى أرسلها كلمة حق فى سبيل الله ، لأنها فى نظرى البقعة الطاهرة ذات التاريخ التالد ، أبينا أم رضينا ، إذ يقع بينها وبين قرافة الإمام الشافعى مئات من المزارات والقباب والقبور والآثار التى تستحق عناية المسلمين ويقظتهم وانتباههم . وسيكون من نتيجة الوعى القومى العربى ، العود إلى الماضى ، وسيؤم هذه الجهة عالم الآثار للبحث عن آثارها وما ترك السلف ، ويأتيها عالم المزارات لتحقيق موضع قبر من قبور العلماء أو القضاة أو الأولياء ، ويجىء إليها المؤرخ المولع بتتبع حوادث الفتوح الإسلامية والعصور الأولى من الهجرة ، فهل نترك هذه الجهات كما هى عليه الآن بغير حمايتها ممن يهدمون الأنقاض وينقلون الأسمدة ، وهل ضاقت مصر القاهرة بضواحيها وبيدائها ، فلم تجد للمدابغ والمذابح ومخامر الأسمدة غير بقعة الفسطاط وجوار جامع العسكر ودار الإمارة ؟ بالله زر هذه الأماكن وتأمل ثم احكم معى وضم صوتك لصوتى لنقول :

إن أشنع تحقير لعصر الفتح الإسلامى وللمسلمين وكرامتهم وعزتهم فى القرن العشرين بقاء هذه الحالة فى جهة تتصل بماضيهم كما هى فى الوقت الحاضر .

***

وأعود لما كنت فيه ، إننا سنجد هناك ما يدعو الواجب الإسلامى والعربى إلى إعادته كما كان فى أوج عظمته ومجده ، مثل جامع عمرو وجامع العسكر ورباط الآثار والمدرسة المعزية ، ومنها ما يكتفى بالمحافظة عليه انتظاراً لجهود الأجيال القادمة ، ومنها ما اندثر مع الزمن فيجب تحقيق موضعه ، وبناء نصب يذكرنا به . ولقد سمعت من بعض الجهات أنها تطلب مليوناً من الجنيهات لتصرف على تحسين أماكن الآثار القديمة بالوجه القبلى ، فهل فكر أحد فى الفسطاط ، إنها المدينة التى خرجت من تحت الأنقاض ، أنفقوا عليها جزءا من أجزاء هذا المبلغ الضخم لتكون فرجة لمختلف الفرنجة من السائحين إذ فيهم من يشتاق لرؤية آثار العرب ويقدر ذوقه آثارهم إن لم نقدرها نحن .

ونحن لا نبالى بذلك ، بقدر اهتمامنا بالشعب المصرى الذى يطالب بما يذكره بماضيه وانحداره من تلك الأصول الثابتة . إن وراء الآثار الإسلامية مجداً وقوة ، إذ تمس من أبنيتها صولة تملأ النفس ، وعظمة تخلق جيلا من الناس ، سيسلك حتما مسلك السلف الصالح من المسلمين . وإياك أن ننسى فتصدق فينا الآية الشريفة بسورة الأنعام :

«فلما نسوا ما ذُكّروا به فتحنا عليهم أبواب كل شىء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون »

احمد رمزى

القنصل العام السابق بسوريا ولبنان

فى إرشاد الأريب

إلى معرفة الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبى

— ٢٨ —

ج ٨ ص ٢٣٠ : قال أبو حيان انعقد المجلس وغص بأهله فرأيت العامرى وقد انتُدب فسأل أبا سعيد السيرافى فقال : ما طبيعة الباء من بسم الله ؟ فعجب الناس من هذه المطالبة ...

وفى ج ١٦ ص ٣١٢ :

وحبذا همة فى العزم ماانتُدبت لمبهم الخطب إلا زالت الحجب

قلت : ضبطت (انتدب) فى الموضعين بلفظ ما لم يسم فاعله .

فى الجمهرة : ورجل ندب إذا كان معواناً منجداً ينتدب للامور إذا ندب إليها .

وفى الصحاح : ندبه لأمر فانتدب له أى دعاه فأجاب . ومثل ذلك فى (النهاية) وقال الامام الزمخشرى فى مقدمة مقاماته : وحين أتاح له الصحة التى لا يطاق شكرها انتدب للرجوع إلى رئاس عمله[1] فى إنشاء المقامات حتى تممها خمسين مقامة . وقال فى الشرح : ندب إلى كذا فانتدب له من كلام العرب .

فانتدب المتعدية لم ترد فى كلام العرب الأقدمين ولا المحدثين الأولين ولم يذكرها معجم نعرفه ما عدا (المصباح) .

وللعلامة الأستاذ الجليل أحمد بك العوامرى بحث محقق فى هذه اللفظة روى فيه قول القاموس وشرحه والأساس واللسان والمختار والمصباح ثم قال :

« فأنت ترى أن أحداً ممن روينا عنهم لم يتعرض لانتدب المتعدى إلا صاحب المصباح وتبعه الشيرازى فى (معيار اللغة) نقلا عنه ، فقد قال : (وانتدبه للأمر على افتعل : دعاه إليه ، فانتدب له يتعدى ولايتعدى) ، فقد جاء انتدب متعدياً ، والمصباح من الكتب التى نرجع إليها ونعول عليها ، وإن انفرد أحياناً بما لم يروه أحد ممن سبقوه فيما نعلم » .

قلت : نقل (التاج) من (المصباح) مسمياً إياه شيئاً فى مادة (ندب) ، ولم يذكر هذا (الانتداب) المتعدى ولم يشر إليه . واليقين أن (التعدى) مولد متأخر نجم فى عصر العلامة الفيومى ، ولم يكن فى زمان الإمام السيرافى .

وإذا قبلنا الانتداب اللغوى العوامرى فى هذا الوقت ، فلن نقبل (انتداب) غيره ولا (حمايته) ولا (وصايته) ولا (مشاركته) ولا شيئاً من هذه (المترادفات) المقوتات الملعونات اللواتى أطرفتنا إياها بعد الحربين — عجّل الله بالثالثة ! — تلكم (الديمقراطيات) ذوات الختل والمين ، و « أنا أعرف الأرنب وأذنيها[1] » .

***

ج ٨ ص ٢١٦ : صاحب مخرقة وزرق .

وجاء فى الشرح : المخرقة مصدر خرق ، والمراد الحق بالتمويه والكذب . الزرق : المعمى .

قلت : المخرقة : مصدر مخرق ، وقد أوردها اللسان والتاج فى هذا الفعل لا فى الفعل خرق . قال اللسان المخرق المموه ، وهى المخرقة مأخوذة من مخاريق الصبيان . وقال التاج : المخرقة إظهار الخرق توصلا إلى حيلة وقد مخرق . والمخرق المموه وهو مستعار من مخاريق الصبيان ، هنا أورده صاحب اللسان ، وهو على شرط المصنف ... فبالأحرى أن تذكر المخرقة هنا ، وأما الجوهرى ، فإنه أورده فى (خرق) وحكم على أنها مولدة ، والميم عنده زائدة .

قلت : أوردها الصحاح بعد قوله : « والمخراق المنديل يلف ليضرب به ، عربى صحيح ... وأما المخرقة فكلمة مولدة » ، فكأن الجوهرى يشير إلى أن اللفظة مأخوذة من المخراق — كما قال غيره — ولا يدل إيراده إياها فى (خرق) على أخذها من هذا الفعل ، وأن ميمها زائدة . وفى شفاء الغليل : قال ابن جنى فى سر الصناعة فى وزن مفعل وقالوا : مرحبك الله ومسهلك ، وقالوا مخرق الرجل وضعها ابن كيسان ... وأصل اشتقاقها من المخراق ، وهو منديل يلعب به . وجاءت اللفظة فى المقامات الحريرية فى

---

(١) الزمخشرى : من تحريف العامة رجع إلى رأس عمله .

(١) الأساس : وفى المثل : (أنا أعرف الخ) أى أعرفه ولا يخفى على كما لا تخفى على الأرنب .

المقامة الأربعين التبريزية : «فقال أبو زيد : إنها ومرسل الرياح ، لأكذب من سجاح . فقالت: بل هو ومن طوّق الحمامة ، وجنّح النعامة ، لأكذب من أبي ثمامة ، حين مخرق باليمامة .

وأما (الزرق) ، فهذا ما وجدته فيه . في اللسان والتاج : ورجل زراق خداع ، وفي شفاء الغليل : أكذب من زراق ، وهو الذي يقعد على الطريق ، فيحتال وينظر في النجوم ، وزرقت أي موهت عليه ، قاله أبو بكر الخوارزمي في أمثاله ، ولم يذكر كونه مولداً ، لكنه مذكور في اللغة الساسانية ، وهو يدل على أنه مولد[1] . وفيه : بنو ساسان قوم من العيارين والشطار ، لهم حيل ، ووضعوا بينهم لغة اخترعوها ، ونظم فيها أبو دلف قصيدة طويلة ، وكان الصاحب يتحاور معه بذلك اللسان ويعجب بحفظه ، وهي قصيدة بديعة مذكورة في اليتيمة . ويقع من لغتهم كثير في أشعار المولدين ، فلا يعرفها الناس ... منها قول أهل مصر لآكل الحشيش مسطول ، ومنها زرق ، وهو تعاطي التنجيم وصاحبه زراق .

ذكر الثعالبي في اليتيمة صاحب القصيدة التي أشار إليها الخفاجي فقال : أبو دلف الخزرجي مسعر بن مهلهل شاعر كثير الملح والظرف ... وكان ينتاب حضرة الصاحب ... ويتزود كتبه في أسفاره ، فتجري مجرى السفاتج في قضاء أوطاره ، ولما أتحفه أبو دلف بقصيدته ، وذكر (فيها) المكدين .. وأنواع رسومهم ، وتنادر بإدخال الخليفة المطيع في جملتهم ... اهتز ونشط وأجزل صلته عليها .

يقول العلامة الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده المصري (رضي الله عنه) في شرحه مقامات أحمد بن الحسين الهمذاني : « بنو ساسان الشحاذون وأهل المسألة ، وساسان يقولون إنه كان رجلا فقيراً حاذقاً في الاستعطاء ، دقيق الحيلة في الاستجداء ، فنسب إليه المكدون . وعندي أن الساسانية وبني ساسان ، وما شاكل ذلك من الألفاظ المشيرة بالتحقير لساسان ، وأنه جد السفلة أو شيخهم ، إنما جاءت بعد زوال الدولة الساسانية من الفرس التي كان مؤسسها أردشير بابك ، فلما محقها الإسلام ، وبقي من أطرافها أفراد أذلاء سقطوا في ألسنة فتيان المسلمين الأولين ، فكانوا يطردونهم من مكان إلى مكان ، ويعيرونهم بعنوان آبائهم . فبعد أن كانت نسبتهم إلى ساسان نسبة مجد وحسب صارت نسبة قذف وسب . وكان في شهر هذا الإسم بالتحقير غاية سياسية فضلا عما تطمح إليه نفس الغالب من إذلال المغلوب ، وهي أن لا يبقى لدولة الساسانية ذكر في لسان ، ولا أثر في جنان ، ينبيء عن سلطانها أو رفعة شأنها ، وإذا خطر أمرها بالبال ، فلا يخطر إلا مع لازمه الجديد ، وهو السفالة والدناءة ، ثم نسي ذلك بمرور الأيام ، وبقي اللفظ مستعملا في الشحاذين ، وهم أدنى طبقة في الناس .

قلت : سجاح في كلام الحريري المذكور آنفاً هي بنت الحارث بن سويد بن عقفان من بني يربوع ارتدت وتنبأت ، ثم حسن إسلامها ، وفيها يقول عطارد بن حاجب :

أمست نبيتنا أنثى نطيف بها ... وأصبحت أنبياء الله ذكرانا

وأبو ثمامة هو مسيلمة بن حبيب الحنفي ارتد وفطس قتيلا كافراً و« لم يكن مسيلمة نبياً صادقاً ولا متنبياً حاذقاً » . كما قال الأحنف ابن قيس ، وقد عده عربانيون غربيون — مهرئين ومبطلين[1] — وطنياً ثائراً ... وهي عداوة الإسلامية لا تزايل علماء القوم في أقوالهم ولا ساستهم — أرى الله بهم[2] — في أعمالهم . وقد نسبت إلى مسيلمة مقولات سخيفات صاغها صواغها كي يجعلوه شهرة ، منها قوله :

والمبذرات زرعا ، والحاصدات حصدا ، والذاريات قمحا ، والطاحنات طحنا ، والخابزات خبزا ، والثاردات ثردا ، واللاقمات لقما إهالة وسمنا — لقد فضلتم على أهل الوبر ، وما سبقكم أهل المدر ، ريفكم فامنعوه ، والمعتر فآووه ، والباغي فناوئوه .

ومن تلك المقولات «ياضفدع ابنة ضفدع ...» وهي مشهورة .

---

(١) في رسائل الهمذاني : « ... إلى حيث يتضح الحق ، ويفتضح الزرق » « عقد هذا المجلس في دار من يفرق بين من يحق ومن يزرق » قال العلامة الشيخ إبراهيم الأحدب شارح الرسائل في تفسير الجملة الأولى : الزرق جمع أزرق ويراد به الأعمى ص ٤٢ . وقال في تفسير الثانية : يزرق من زرقت عينه إذا انقلبت وظهر بياضها أو المراد من زرق الطائر أو من الزرقة ، وهو اللون المشهور ص ٥٧

قلت : التفسير الصحيح هو الموضح في المتن ، وهو مراد الهمذاني . وقوله : (من الزرقة وهو اللون) الأصح وهي اللون .

(١) أهرأ : جاء بالهراء ، وأبطل : جاء بالباطل .

(٢) تقول العرب : أرى الله بفلان : نكل به ، ومعناه أرى عدوه فيه مايشمت به ، قال الأعشى :

وعلمت أن الله عمداً خسها وأرى بها . هذا تفسير الأساس ، وفي القاموس : أرى الله بفلان أي أرى الناس به العذاب والهلاك .

٢ – بمناسبة (المولد) :

لا تخـــافوا . . . !

[مهداة إلى (جماعة الاخوان المسلمين)]

للأستاذ علي الطنطاوي

لا تخافوا ، فوالله لا الفرنسيون ولا آل صهيون ، ولا دول الأرض كلها تستطيع أن تبيد شعباً عربياً مسلماً ، أو تذلّه فتسلبه عزّة نفسه وقوة إيمانه . فجدوا واعملوا ، ولا تدخروا وسعاً ولا طاقة ، وفتشوا عن القادة ، فإنما تنقصنا القيادة ، ولكن لا تخافوا على عرب فلسطين أو أفريقية ، ولا على مسلمي أندونسية ، فإن « محمداً » قد وضع في دمائهم المصل الواقي من الخور والجبن والتهافت ، وصبّ الناعة في أعصابهم صبًّا ، وعلمهم الصبر على المصائب وإن تتالت ، والشدائد وإن تعاقبت ، مع العمل على دفع المصائب ورفع الشدائد ، فكان الجهاد في سبيل الله ، وبذل النفس من أجل الدين والشرف ، فطرة في أتباع « محمد » ، وخلقة فيهم لو أرادوا الانفكاك عنها ما طاوعتهم قلوبهم !

ألا ترون إليهم كم غامروا وجاهدوا واحتملوا من الأذى ، ثم ها هم أولاء يدعون إلى الجهاد نزلة أخرى فيمسحون الدموع ، ويربطون على الجروح ، ويقومون من القبور ، ويثبون مع الداعي يأخذون الطعام من أفواه بناتهم ، والكسى من نحور صبيانهم ، ليبيعوها فيشتروا البندقية ويمشوا إلى الجهاد !

أولئك هم الأبطال حقاً ، لا أعني الزعماء الذين يملأون بطونهم من الطيبات ، ويمضون إلى الحفلات بالسيارات ، ثم يقومون إلى المنبر لا يطيقون الوقوف من التخمة ، فيخطبون بصوت متقطع الأنفاس من البَشَم لا من الحماس ... يصرخون : نحن المجاهدون ، نحن الذين فعلوا والذين يفعلون ... ثم يروحون إلى دارهم فينامون وهم يحلمون بالمجد المؤثّل الذي شادته لهم خطبهم في الهواء !

ولا السياسيين الذين لا يعرفون من الوطنية إلا أنها أقرب الطرق إلى الكراسي ، فإن جاءت من قبل الشعب ، فهم من الشعب وإلى الشعب ، وإن لم تجيء إلا من الفرنسيس والإنكليز ، فما هم غرباء عن الإنكليز ولا عن الفرنسيس !

ولا التجار الفجار الذين يعبدون الدرهم والدينار ، والذين أجاءونا في هذه الحرب وعرّونا ، ليربقوا ما سرقوه من ثمن خبزنا وكسوتنا على قدمي كل بغي ، وزلفى إلى كل شيطان ، فهؤلاء جميعاً ليسوا منا ، وإنا منهم لَبُرءاء !

وإنما أعني هذا الشعب الذي ثار في غوطة دمشق ، وميادين القاهرة ، وسهول العراق ، وصحاري طرابلس والجزائر ، ورحاب الريف الأقصى ، وثار في فلسطين من ديار الشام ، فأترع الدنيا بطولة ونبلا ...

هذا الشعب الذي خرج منه حارس أميّ من حراس الليل إلى غوطة دمشق ، فوقف على نهر ثورا ، وما نهر ثورا ؟ جدول عرضه سبعة أمتار ... ووقف جيش فرنسا في الشرق على الضفة الأخرى ، وبينهما جسر ، وما معه إلا فئة من الثوّار ، فلم يستطع جيش فرنسا وقائده الجنرال اجتياز هذا الجسر إلا بعد ما مات الحارس الدمشقي ، حسن الخراط[1] ، بعد ثمانية عشر شهراً كلها وقائع داميات ومعارك حاميات ، ولقد ردّ حسن وأصحابه الجيش الفرنسي مرّةً حتى ألجأوه إلى دمشق ، ثم حاربوه في شوارعها حتى أخرجوه منها إلى المزّة ، ولبثوا في دمشق ثلاثة أيام وما فيها فرنسي واحد .

هذا الشعب الذي فرّ ضابط من ضباطه من بغداد مع ستين جندياً ، إلى الصحراء التي قطعها (خالد) من قبل والعدوّ من أمامه ، والعدو من ورائه ، والعدوّ من فوقه ، ولو وقفت عليه سيارة ، أو كشفته طيارة ، لذهب بدداً ، فقطع الصحراء ، ثم بلغ فلسطين ، ثم قاد الثورة فيها ، فظفر كما ظفر خالد بالروم ، وقذف الله به الرعب في قلوب الجنـد ، فكانوا يرجفون هلعاً ،

---

(١) الذي وضع أول حجر في صرح الاستقلال ، وأول مسمار في نعش الانتداب . فلما ذهب الانتداب . وجاء الاستقلال نسي القائمون عليه أن يبنوا لحسن الخراط قبرا ، أو يجعلوا له في تاريخ الجهاد في المدارس ذكراً .

وينهزمون فزعاً إذا قيل : « فوزى القاوقجى » !

هذا الشعب الذى كان يحارب ضابطاً آخر من ضباطه مع فئات من أتباعه ، جيشان أوربيان جيش فرنسى فيه مائة ألف ، وجيش أسبانى فيه مائة وخمسون ألفاً ، هؤلاء كلهم يكافئون فى الميزان الأمير المسلم عبد الكريم بطل الريف[1] .

هذا الشعب الذى قابلت حفنة منه مفلولة السلاح ، قليلة العتاد ، انكلترا ذات الحول والطول ، ومالكة خمس العالم ، وثبتت فى وجهها سنتين اثنتين ، لا يوماً ولا يومين ، وأرتها من قوة الإيمان العجب العجاب :

بين يدى الآن عدد قديم من جريدة « بيروت » صادر سنة ١٩٣٧ ، أفتحبون أن ألخص لكم خبراً وجدته فيه :

« التقى فى (حيفا) نفر من المسلمين المجاهدين فى سبيل الله ، وفرقة آليّة من الجيش البريطانى ، ودارت رحى الحرب ، فهجم المجاهدون على الدبابات والمصفحات ، فكان إيمانهم أمضى من نارها وأقوى من حديدها ، فنفذ منها إلى قلوب من فيها ، فلم تغن عنهم صفائحهم ولا بارودهم شيئاً ، وأعان الله عليهم حزبه بالرعب ، فانهزموا ، وهربت مصفحة ... فطارت على وجهها ، لا تلوى على شىء ، إلى ... أتدرون إلى أين ؟ إلى عكا ... إلى صور ... إلى صيدا ... إلى بيروت ... إلى طرابلس — إى والله — ولولا أن الأخبار سبقتها إليها حملتها الأسلاك ، فقطعوا عليها الطريق بالحجارة ، ووقفوها ، لولّت منهزمةً إلى بريطانيا ! »

هذا الشعب الذى أدهش أهل الدنيا بفتوحاته غابر الدهر ، وأدهشهم بثوراته حاضره ، وسيدهشهم فى مستقبله ويدعهم مفتوحة أفواههم من عظم مايرون ، حين يثب الوثبة الكبرى ، التى يعود بها كما بدأ شعباً واحداً ، يعبد رباً واحداً ، ويتبع الكتاب قانوناً واحداً ، لا تعجبوا فتقولوا : أين السبيل إلى الاتحاد الإسلامى ؟ ! فهذه انكلترا لها خمس الأرض ، قد تفرقت بلادها فى أرجائها ، ثم إن لها ملكاً واحداً وراية ورابطة ، أفنعجز أن نوجد للمسلمين نظاماً جديداً مبتكراً ، يجمع متفرقهم ، ويدنى بعيدهم ، ويصلحهم ويصلح لهم ؟ !

***

وليس الذى انتصر حسن الخراط ، ولا فوزى القاوقجى ، ولا عبد الكريم ، لأنه لا يعقل أن يغلب أفرادٌ دولةً ، ولكن الذى انتصر هو الإسلام ، ولو ثار هؤلاء لغيره ما صنعوا شيئاً ، إذ يُتركون لقوتهم وذكائهم وعلمهم ، وأعداؤهم أشد قوة وأحد ذكاء ، وأكثر علماً . الإسلام أعجوبة الدهر الباقية ، معجزة كل عصر ، فيا أيها الأغبياء الذين يجرؤون على قياس الإسلام بنزوات هتلر ، وخيالات لينين ، وحماقات كل متسلط على العقول أو البلدان ، يحسب لجهله أنه يشرع ديناً ويضع شريعة ، إنكم لفى ضلال مبين ، أين دين الهتلرية ؟ لقد ذهبت به هزيمة واحدة ، وهزيمة مثلها تذهب بباقى الحماقات التى حسبتموها أدياناً !

أما الإسلام : فهو فى ذاته قوة لايحتاج إلى قوة أتباعه ليؤيدوه بها ، بل هو الذى يؤيدهم بقوته فينصرون . ولقد تأخر المسلمون ورجع بهم الزمان القهقرى ، ولكن الإسلام نفذ من الحجب ، ولبث يتقدم . إن المبشرين ينفقون كل سنة القناطير المقنطرة من الذهب والفضة ، ثم لا يأخذون واحداً ، حتى يأخذ الإسلام بغير مال ولا عمل تسعة وتسعين ...

الإسلام ينتشر اليوم بنفسه فى أرقى ممالك أوربة ، وفى أحط بقاع أفريقية ، والمبشرون لم يستطيعوا أن يدخلوا فى النصرانية (مسلماً) واحداً . إنهم يجمعون الجهلة من المغاربة الذين لايعرفون ما الإسلام ، فيطعمونهم ويطمعونهم ، ثم يلقون عليهم عجائب المسيح ، فإذا وصلوا إلى موضع المعجزة ، صاحوا كلهم بلسان واحد متعجبين : الله أكبر ، لا إله إلا الله !

وينزل المبشر على القبيلة فى أواسط أفريقية فيعطى ويرغّب ، ويبقى سنة كاملة ، فلا يستجيب له منها إلا النفر المعدودون ، ثم يأتى التاجر المسلم الجاهل ، فينام عندهم ، ويأكل طعامهم ، فلا يأتى الشهر حتى تكون القبيلة كلها قائمة وراءه تصلى على دين « محمد » ... والمبشرون ينظرون ! !

(١) وقد نسى الناس أن يبحثوا : أين اليوم عبد الكريم ، وماذا فعل الله به ؟ !

أفتشكّون بعد هذا أن الإسلام قوة هائلة للمسلمين ؟ !

هل عرفتم الصواعق المنقضة ؟ هل رأيتم الصخور المنحطة من أعالى الجبال ، والسيول الجارفة ، والبركان الهائج ، و ... وكل ما فى الكون من قوة ؟ إنها لن تصد غضبة المسلم إذا كانت لله ولمحارمه ولدينه ! هل فيها أشد من الموت ؟ فهل يخيف الموت رجلاً خرج يطلب الموت ؟ !

* * *

إن سر قوة هذا الشعب ، إنما هى عقيدة القضاء والقدر على الوجه الإسلامى الصحيح ، ولكن القادة قلما يدركون هذا السر وقلما يعمدون إلى الاستفادة منه ، لأنهم نشأوا يوم كان الشرق ينظر إلى أوربة نظر التائه فى البحر إلى المنار الهادى ، ويأخذون كل ما يأتيهم منها على أنه الحق الصراح ، فكان فيما أخذوه وقلدوا فيه بلا فهم ، مبدأ (فصل الدين عن السياسة) ، ورأوه استقام فى النصرانية ، فحسبوه يستقيم فى الإسلام ، وما درسوا الإسلام على حقيقته ، حتى يعلموا أنه دين وسياسة وأخلاق ، وأن سورة (براءة) سياسة ، أفنفصل سورة (براءة) عن القرآن ؟!

وأمر آخر ، هو أن هذا الشعب تلقى عشرة آلاف دعوة إلى البذل فى سبيل الله ، فلباها كلها ، ولكن الدعاة لم يكونوا يلبون أنفسهم فى كل حين ، وكان فيهم من يلقى كلمته لا يتصور منها إلا ألفاظها ووقعها فى الآذان ، فهى من لسانه إلى أسماع الناس ، لا من قلبه إلى قلوبهم ، فهو من أجل ذلك يدع الشعب وحده ويمضى إلى داره ليتحدث عن براعته فى الإلقاء ، وقدرته على الخطابة ، وفيهم من يريد أن يسوق الناس ويقعد ، وهذا الشعب لا يطيع إلا من يمشى أمامه ، ويشاركه سراءه وضراءه ، أما المترفون الذين يريدون أن يناموا على عواتق الشعب ، ويفتنوا من مال الشعب ، فإن هذا الشعب ينكرهم ويبرأ منهم فعلى الزعماء أن يفهموا ذلك حق الفهم ، وأن يكون لهم فى رسول الله أسوة حسنة ، فقد كان صلوات الله وسلامه عليه ، يجوع كما يجوع قومه ، ويتعب كما يتعبون ، ويعمل بيده مثلما يعملون ، بنى معهم مسجد المدينة ، وحفر معهم الخندق ، وكان يسرع إلى الخطر بنفسه . وقع الصريخ مرة فى المدينة ، فخرج الناس عجلين ، فإذا هم برسول الله ، قد وصل إلى مكان الخطر على فرس عريان ، لم ينتظر حتى يسرج له ، ورجع يطمئنهم بأنه لا شىء هناك . ولقد ثبت يوم أحد ويوم هوازن لما انهزم الناس ، وكان يقول معرفاً بنفسه : أنا النبى لا كذب ، أنا ابن عبد المطلب . لم يسق الناس إلى الموت ويقم فى قصره ، ولم يختص نفسه بمأكل ولا ملبس ولا مركب ، ولم يربط لنفسه وظيفة من بيت المال ، ولم يحمل أسرته وأهله على الناس ، ولم يول عاجزاً ولاية لصداقة أو قرابة ، ولم يبعد عنها قادراً لبغض أو عداوة ، ولم يتخذ قصراً ، ولم يقم حاجباً . وكذلك كان خليفته وصاحبه أبو بكر ، وكذلك كان أمير المؤمنين عمر ، ومن أجل ذلك أجمع الناس على طاعة أبى بكر وعمر ، فلم يختلف عليهما اثنان !

أما إن هذا الشعب أقوى الشعوب روحاً ، وأطيبها عنصراً ، وأصفاها جوهراً ، ولكنه ينقصه الزعماء ، فهاتوا واحداً مثل عمر يقوده ، وانظروا كيف يأتى بالمعجزات !

(دمشق) **على الطنطاوى**

الأدب في سير أعلامه :

ملـــتن . . .

[القيثارة الخالدة التي غنت أروع
أناشيد الجمال والحرية والجبال ...]

للأستاذ محمود الخفيف

— ١ —



بين عهدين : عصر إليزابث وعصر البيوريتان

في اليوم التاسع من شهر ديسمبر سنة ١٦٠٨ ، فتح الوليد جون ملتن عينيه على نور الوجود ؛ وبمولده رزقت انجلترة أعظم شعرائها قاطبة حتى يومنا هذا ، إذا استثنينا «شكسبير» وحده ، واستقبلت الدنيا قرين الثلاثة الأفذاذ من شعراء الغرب الخالدين : وهم « هوميروس » و « دانتي » و « شكسبير » .

وكانت انجلترة حين مضى الطفل يستقبل حياته ، تستدبر في حياتها الأدبية عهداً وتستقبل عهداً . كانت إذا شبهنا ذينك العهدين بفصلين من فصول السنة ، بين أعقاب الربيع وطلائع الصيف ؛ فأما الربيع الدبر ، فكان العصر الأليزابيثي ، وأما الصيف المقبل ، فكان العصر البيوريتاني . ولقد ألف مؤرخو الأدب الإنجليزي أن يسموا العصر الأول عصر « شكسبير » ، والعصر الثاني عصر « ملتن » .

وكان العصر الذي تستدبره انجلترة ويستدبره ذلك الوليد ، عصراً فذاً في العصور الأدبية جميعاً ، إذا استعرضنا التاريخ الأدبي لهذه الدنيا قديمها وحديثها ...

كان حافلا كما يحتفل الربيع بالضوء والنماء والزينة ، وكانت ألحانه كألحان الربيع أنماطاً تملأ الأسماع من كل ركن وفي كل سهل ، وكانت نفوس أهله تستشعر روح العصر كأقوى ما تستشعر الأنفس روح الربيع ، ففي كل قلب تسري الفرحة ، وفي كل جسم تدب القوة ، وفي كل ذهن يقوم إحساس قوي غامر بجمال الحياة ، والأمل في الحياة ، والرغبة في الاستزادة من لذائذ الحياة ...

وإنك لتجد لهذا العصر روحاً مميزة شاعت في حياة الناس ، وسيطرت على تلك الحياة ، وتتلخص هذه الروح فيما يفهم من كلمتين هما النهضة والحرية : فأما الأولى ، فقوامها إحياء علوم الأقدمين من اليونان والرومان ، وإحياء فنونهم وآدابهم ؛ وأما الثانية ، وهي ثمرة للأولى ، فقوامها الانطلاق من ليل العصور الوسطى ، والانعتاق من قيودها إلى حيث يفيض النور ، ويتسع مجال التفنن والابتداع .

أقبل الناس على دراسة مخلفات اليونان والرومان في حماسة ولذة ، وآمن الناس إيماناً قوياً بأن لهم أن يستمتعوا بالحياة أعظم استمتاع وأوسعه ، فيغنموا ما في الدنيا من مسرات وزينة ؛ فما منحوا الحياة لكي يقضوها مترمتين منها برمين بها ؛ وأيقن الناس أن من أهم ما يجب أن تتصف به حياتهم الجديدة هو بث روح الجمال في النفوس والعمل على السمو بها حتى تستشعر الجمال وتبحث عن الجمال وتأنس به لا كمتعة من متع الدنيا فحسب بل كنشـوة روحية لا غنى للروح عنهـا إن هي أرادت التحليق والسمو . وتمسك الناس بفكرة لن يحيدوا عنها ، وذلك أن الله وهبهم العقل لينظروا ويتدبروا غير مقيدين بمـا سلف من آراء مهما بلغ من قيمتها ، ولذلك كرهوا القيود كرهاً شديداً وأحبوا الحرية حباً شديداً ، وظهر أثر هذا الحب فيما ابتدعوا من شعر ونثر ، لا في مادة ذلك الشعر وذلك النثر فحسب ، ولـكن في الطريقة والصورة بل وفي الألفاظ المستعملة كذلك .

وملأ قلوب الناس التطلع إلى توسيع أفق الحياة العقلية في كل ناحية من نواحيها ، وقد جاءهم ذلك مما تم لهم فعلا من توسيع أفق الحياة المادية بعد كشف الدنيا الجديدة ، نتيجة لمغامرة المغامرين منهم وراء البحار في الغرب وفي أسواق آسيا في الشرق؛ وأقبل الناس على كل طريف يتقصونه من الأنباء عن العالم الجديد وعن الشرق ، فأثر ذلك في اتجـاه عقولهم وفيما أنتجته تلك العقول ، تلمس ذلك في الكثير من قصصهم ومسرحياتهم وما تعج به من مواقف مثيرة وحوادث تستهوي الألباب وأفانين من مبتدعات الخيال تبث المرح في النفوس وتحملها على الإعجاب والاستزادة وتيسر لها سبل الابتكار والخلق .

وطاف بالناس شعور بمجد وطنهم وعظمته وتفوقه على غيره ، وبخاصة بعد أن حطم أسطولهم الأرمادا أسطول أسبانيا الهائل ؛ كما ملأت أفئدتهم وطنية صادقة يلتقي عندها ويتفق عليها المتنازعون في الدين من الكاثوليك والبيوريتانز ؛ وإلى جانب ذلك كله أنجب العصر من أفذاذ الرجال في كل ميدان من ميادين الحياة ما يصعب الوقوع على أمثالهم مجتمعين على هـذا النحو في غيره من العصور ، فلم تخل ناحية من النواحي من أماثل نابهين، في الأدب والفن والفلسفة وفي الجندية والبحرية والسياسة والحاشية عظماء يزدان بهم العصر وتعظم بهم الحياة .

هذا هو العصر الذي كانت تستدبره انجلترة ويستدبره ملتن ، أو هذا هو الربيع الراحل ؛ ولن تعدم العين في أخريات الربيع أن تقع على زهرات شتيتة هنا أو هناك في جنته التي تنذرها أنفاس الصيف بالفناء القريب ؛ ولن تعدم الأذن كذلك أن تسمع في ذلك الفردوس الذاهب نغمات حائرة بين الحياة والموت . وكذلك كان الحال في أخريات عهد إليزابث ، فكانت بعض ثمرات العقول مثل كتابات بيكون لا تزال تقدم إلى المجتمع ، كما كانت بعض ألحان العصر كأصداء الربيع الذاهب لا تزال توقع على أوتار شكسبير إذ لم تسكت تلك الأوتار إلا بموت صاحبها عام ١٦١٦ أي بعد ثمانية أعوام من مولد ملتن .

وأقبل الصيف في إثر الربيع فجاء منذراً بالقيظ تلفح أنفاسه لفحاً يبدو قاسياً وتشعر النفوس في مقدمه بالصرامة والقسوة والعبوس حتى كان ينسيها ذلك طلاقة الربيع ومفاتن الربيع .

تمكنت البيوريتانية من المجتمع وتسلطت على الناس ؛ وكان ملتن يستقبل شبابه بينما كان ذلك المذهب يستقبل فتوته وسلطانه . واعتنق ملتن ذلك المذهب وتحمس له ، ولكن كانت قد استقرت في حسه وخياله تلك المواكب التي انطوت ، وتلك النغمات التي احتبست ، فراح كالطائر المنفرد المتخلف يغني في هجير الصيف ألحان الربيع !

وما هذه البيوريتانية التي سوف يعتنقها الشاعر في شبابه والتي سوف تؤثر تأثيراً قوياً في مزاجه وفنه وسلوكه وموقفه من حياة عصره ؟ أجل ، ما هذا الصيف الصارم العابس الذي أعقب ذلك الربيع الرضي الطلق ؟

* * *

جدير بنا أن نعرف أولا من هم البيوريتانز ولماذا أطلق عليهم هذا الإسم قبل أن نتعرض لمذهبهم ونظرتهم إلى مسائل الحياة وأثر تلك النظرة في العصر الذي تم لهم فيه السيطرة والجاه .

أطلقت هذه الكلمة أول ما أطلقت على فريق من رجال الكنيسة في انجلترة في عهد الملكة اليزابث ، فقد أرادت هذه الملكة أن توحد طقوس العبادة في كنائس مملكتها جميعاً ، وكان أبوها الملك هنري الثامن قد فصل الكنيسة في انجلترة عن كنيسة روما عام ١٥٢٩ بسبب ما شجر بينه وبين البابا من خلاف يتصل بقضية زواجه ، وجعل الملك نفسه الرئيس الأعلى للكنيسة بدلا من البابا ؛ فأصدرت الملكة عام ١٥٥٩ المرسوم الذي يوحد العبادات ويحرم من صورها ما لم يرد ذكره فيه ؛ فكان رجال الدين حيال هذا المرسوم فريقين ، فريقا رضي عنه ، وفريقا ود لو أنه كان أكثر تطرفا في الابتعاد عن روما فأبطل ما لا يزال من صور العبادات يأتي على شاكلة ما يتبع في الكنيسة البابوية وما يعد في نظرهم من البدع والخرافات . وهذا الفريق الثاني هم الذين أطلق عليهم إسم البيوريتانز أو المطهرون ، وذلك لأنهم كانوا يريدون تطهير العبادات من آثار كنيسة روما . ولم يمض على

صدور ذلك المرسوم إلا نحو خمسة أعوام حتى كان هذا الاسم شائعاً على الألسن يطلقه الناس على هذه الفئة المغالية فى القضاء على كل ما له صلة بروما .

ولكن ماهى إلا أعوام ثمانية أخرى حتى خرج بعض الناس ممن كرهوا هؤلاء المغالين بهذا اللفظ عن مدلوله البسيط فصاروا يطلقونه على كل من يرمونهم بالمروق من الدين ليلحقوا وصمة الفسوق بالبيوريتانز إذ يسلكونهم والفاسقين والمنافقين فى سلك واحد ، حتى لقد أوشك أن ينسى مدلول الكلمة كما نشأت فى وضعها الأول وأصبح البيوريتانز فى نظر خصومهم ومن يجهلون أغراضهم هم الضالين الملحدين .

وتزايد استعمال الكلمة فى مدلولها الجديد الظالم حتى أصبحت البيوريتانيـة فى أذهان بعض الناس مرادفة للالحاد والنفاق والضلال وما كانت حين نشأت إلا الرغبة فى الاصلاح والتطهر من البدع والتملص من كل ما لا يعد من جوهر الدين .

وزاد بعض خصوم المذهب بعداً بالكلمة عن معناها الأول فنسوا ما فى ذلك المعنى من عنصر دينى طيباً كان ذلك العنصر أو خبيثاً ، وصارت عندهم كلمة سباب عامة يعبرون بها عن كل معيب ويطلقونها على كل من يريدون الطعن فيهم من الناس كما يطلق لفظ الشيطان مثلا على كل شرير أو معتد أو عابث .

ولما شاعت البيوريتانية فى المجتمع ونمت كمذهب لايقتصر على النظرة الدينية بل يتناول كذلك السياسة والخلق والفكر والفن دأب خصوم هذا المذهب فى محاربته بالطعن فى أشياعه، وحسبهم أن يطلقوا على الرجل منهم ذلك اللفظ الذى بعد عن مدلوله كل البعد والذى أصبح مسبة عامة ليشفوا ما فى صدورهم من غل . تجد مثلا واضحا لذلك فى العبارة الآتية التى وصفت بها كاتبة فى أوائل القرن الثامن عشر ما كان يلاقى البيوريتانز من خصومهم فى عهد الملك جيمس الأول الذى خلف إليزابث على العرش عام ١٦٠٣ أى بعد نحو أربعين عاما من مبدأ ظهور البيوريتانية قال: « إذا أظهر الرجل حزنه على ما ينال شرف الملكة وما يصب من العذاب على رؤوس الرعية فهو بيوريتان ؛ وإذا تمسك أحد أفاضل الريف بقوانين الأرض وحرص على المطالبة بحسن الإدارة وانتظام الحكم فهو بيوريتان ؛ وجميع من لا يأبهون بمطالب رجال الحاشية الممتدة أيديهم والقساوسة المعتدين على الحقوق وذوى الرذيلة من النبلاء فهم كذلك بيوريتانز ! ومن لا يطيقون سماع الأيمان الحانثة والحوار الذى يكتنفه الأسفاف ، والتعريض الماجن والاستهزاء بكلام الله فهم جميعا فى عداد البيوريتانز ؛ ومتى كانوا بيوريتانز فهم أعداء الملك وحكومته وهم متمردون متبجحون منافقون وهم الطاعون فى هيكل المملكة »

على أن هؤلاء البيوريتانز على الرغم من مطاعن خصومهم يتكاثر عددهم ويتغلغل فى النفوس مذهبهم منذ أواخر القرن السادس عشر ، ولن يزالوا فى تكاثرهم وتحمسهم حتى تم لهم السيطرة السياسية على البلاد عقب الحرب الأهلية التى انتهت بأعدام الملك شارل الأول ، وكان مرد الانتصار على الملك وحزبه إلى عبقرية حربية ظهرت فى شخص أليفر كرمويل أحد أشياع ذلك المذهب .

يتبع **الخفيف**

العــــرب واليهود

للدكتور جواد على

[تتمة ما نشر في العدد الماضى]

وقد قرب هذا الدور على الأخص اليهود من العرب كثيراً . فإن دخول اليهود إلى أراض عربية بحتة والتجاءهم إليهم بعد طردهم عن أوطانهم ، جعلتهم يطلبون حماية العرب. ولأجل تقريب أنفسهم من القبائل العربية تظاهروا بروابط النسب والقربى ونشروا سلسلة الأنساب المعروفة عند العرب . وحاولوا ولا شك التأثير على العرب من النواحى الأخرى ، من النواحى الدينية ومن النواحى الثقافية ؛ إلا أنهم لم يتمكنوا من التأثير فى العرب من الناحية الدينية على مايظهر ، فقد كان للعرب منذ القدم اعتزاز عظيم بآلهتهم وبأصنامهم ، ولم يكن من السهل عليهم ترك عبادة هذه الأصنام . فى حين أن اليهود كانوا يعبدون إلهاً واحداً خلق هذا الكون بأجمعه ، إلا أنه إله شعب واحد هو إله إسرائيل فحسب . والظاهر أنهم لم يرغبوا فى إشراك شعب آخر بعبادة هذا الرب الذى خصص نفسه بهذا الشعب .

أما من النواحى الأخرى فلم يكن هنالك مانع يحول بين اليهود وبين الشعوب الأخرى ، لأن فى رابطة النسب خدمة عظيمة تساعد هذه الجاليات اليهودية كثيراً ؛ فنشروا الأساطير اليهودية بين العرب وعلموهم شيئاً كثيراً من أخبار التوراة ، ولا سيما ما يخص الخلقة ومنشأ التكوين وقصص بنى إسرائيل . يجعل جدول الأنساب الوارد فى العهد القديم العرب فى نفس الحقل الذى دون فيه نسب اليهود . فابراهيم هو جد العرب الأكبر كما هو جد اليهود . وإذا كان إسماعيل هو والد العرب الإسماعيليين وهو ابن ابراهيم فإن اليهود وهم من نسل ابراهيم على هذا هم أقرباء العرب وأبناء عمهم ومن شجرة واحدة .

وتنتسب بعض القبائل العربية الشمالية إلى إبراهيم رأساً . وإبراهيم على ما تقول التوراة لم يترك له خلفاً فى البلاد العربية ، وإنما ذهب نسله إلى تلك البلاد ، وأن إبراهيم كان قد ذهب إلى فلسطين فانتشر أحفاده الذين تكاثروا وظهرت من ذرياتهم تلك الشعوب(١) .

وإسماعيل هو ابن إبراهيم من زوجته هاجر التى تعرف عليها أثناء هجرته إلى فاران (paran) فى القسم الشمالى من شبه جزيرة طورسيناء . وقد ترك إسماعيل له اثنى عشر ولداً تشعبت منهم القبائل الإسماعيلية التى انتشرت فى شبه جزيرة طورسيناء وفى وادى الأردن(٢) . وعلى هذه النظرية العبرية يكون موطن القبائل الإسماعيلية هذه المنطقة التى نزل بها إبراهيم وإسماعيل وهى منطقة فلسطين وطورسيناء وشرق الأردن ومنها انحدرت القبائل الإسماعيلية إلى سائر الأنحاء كالحجاز .

ومن رأى المستشرق مرگليوث أن كلمة « اسماعيل » العربية التى وردت فى القرآن الكريم عدة مرات ، هى ذات الكلمة التى وردت عند اليهود بصورة « يشماعيل » مبتدأة بحرف العلة . وإن هذا التشابه يجعلنا نعتقد بأن العرب قد أخذوها عن اليهود بطريق اليونانية أو السريانية ، لأن النصوص العربية القديمة التى وردت فيها كلمة « اسماعيل » كانت تكتبها « يشماعيل » ، أى مبتدأة بحرف « ى » ، أى على نحو ما كان يدونه اليونان أو السريان(٣) .

ويرى هذا المستشرق أيضاً أن العرب القدماء لم يكونوا يعرفون شيئاً عن ابراهيم ، ثم تعلموا ذلك فى أيامهم المتأخرة بعد اتصالهم بيهود الحجاز ، فلما تعلموا ذلك صاغوا الكلمة بالقالب الذى صاغوا به كلمتى « إسماعيل » و « إسرائيل » وما شابه ذلك(٤) .

وعلى كل ، فإن هذا هو رأى مستشرق وهو رأى يحتاج إلى دليل . وما دامت معرفتنا بالأساطير العربية القديمة وبديانة العرب وأخبارها لا تكاد تكون شيئاً ، فاننا لا نستطيع أن نبحث فى هذا الباب بحثاً صحيحاً . والمصادر العربية الكتابية لا تشير على كل حال بأية إشارة إلى اطلاع العرب على جداول الأنساب اليهودية ، بل يظهر منها أن القبائل العربية كانت تنتسب حينما تنتسب إلى آلهتها المحلية ، فقد كان لكل قبيلة صنم أو أصنام

---

(١) مرجليوث Margoliouth p, 12

(٢) Hastings. Dictionary of the bible p,22

(٣) Margoliouth p, 12

(٤) نفس المصدر .

تنتسب إليه أو إليها ، وقد كانت هـذه الأصنام هي رابطة تلك القبائل ، وكانت تحتمي بتلك الأصنام ، كما تدل على ذلك عبارات مثل « عم صدوق » أو « عم نكرح » وما شابه ذلك[١] .

وإذا ما تقوت القبيلة وازداد نفوذها ، تقوى صنمها طبعاً ، وكثر أتباعه ومعظموه ، فتندمج القبائل المتحالفة بها ، وتنتمي إليها وتنتسب إلى ذلك الصنم ، وتصبح وكأنها من نفس تلك القبيلة[٢] . وهذا النوع من النسب الذي يكثر وجوده في مملكة المعينيين والسبئيين لا يشابه جدول الأنساب عند اليهود[٣] .

وقد حاول المستشرق ماركليوث البحث عن الوطن الأصلي لليهود ، ذلك الوطن الذي أهملته الكتب اليهودية تماماً ولم تتعرض له ألبتة . وقد قارن بين أسماء الآلهة عند اليمانيين وطريقة التفكير الديني والمعتقدات وأسماء الأشخاص عند عرب الجنوب وبينها عند اليهود ، فتوصل إلى رأي هو أن الوطن الأصلي لليهود لم يكن أرض فلسطين أبداً ، بل قد تكون أرض اليمن ، وهي أرض الهجرات السامية ، ذلك الوطن الذي ارتحل عنه هذا الشعب[٤] .

على كل ، فقد هاجر اليهود إلى أرض فلسطين ، وصاروا يحاربون الأمارات والمشيخات مدة طويلة . وقد تألف من هذه الأمارات حلف قوي لطرد العبرانيين أمثال : الكنعانيين والعموديين والحيثيين والفلسطينيين الذين كانت لهم حكومة متحالفة تشمل خمس مدن أو أمارات صغيرة ، هي غزة وأشدود وعسقلان « اشقلون » وجت « معناها المعصرة » وعقرون[٥] .

أضف إلى كل ذلك الأمارات الأخرى أمثال إمارة العموتيين وإمارة بني عمون[٦] وإمارة موآب[٧] وأدوم التي تقع في جنوب البحر الميت على تخوم موآب في مرتفع من الأرض يطلق عليه اسم جبل سعير . وقد عارضت كل هذه الأمارات الاسرائيليين وقطعت عليهم الطريق ، وكبدوهم خسائر كثيرة لم تنقطع طول مدة بقاء اليهود في فلسطين .

(١) نفس المصدر .

(٢) نفس المصدر راجع .Rhodokankis stud

(٣) Margoliouth p, 13 (٤) Margoliouth p, 12

(٥) قاموس الكتاب المقدس جـ ٢ ص ١٨٢ hastings p ,674

(٦) قاموس الكتاب المقدس جـ ٢ ص ١١٦ .

(٧) قاموس الكتاب المقدس جـ ٢ ص ٣٨٥ .

دخل اليهود فلسطين ومعهم فكرتهم الدينية ، إلا أن هذه الفكرة لم تكن تتجاوز تلك العقيدة التي نقرأها في التوراة والتي تتمثل في سفر يشوع على الأخص . وهي أن إله إسرائيل قد وعد شعب إسرائيل بأرض إسرائيل ، فعلى هذا الشعب أن يخلص تلك الأرض من أيدي الشعوب الساكنة فيها ، وعلى يشوع أن يتشجع ويحارب ليخلص تلك الأرض وليسيطر عليها من نهر الفرات الكبير إلى البحر[١] . فلما دخل الاسرائيليون تلك الأراضي وجدوا شعوباً كانت مقيمة فيها خضعت لهم ولكنها لم تخرج عن أرض فلسطين بل ظلت جذورها باقية إلى زمن الفتح الاسلامي[٢] . ويرى بعض الاختصاصيين في التاريخ العبري أن الكنعانيين من شعوب فلسطين القديمة على الأخص لم يرحلوا عن فلسطين بل ظلوا فيها إلى الفتح الاسلامي . ولما أصبحت فلسطين أرضاً إسلامية دخل هؤلاء في الديانة الاسلامية وظل بعضهم على دين النصارى حتى هذا اليوم . ويستطيع الانسان على ما يقوله هؤلاء الثقات في التاريخ العبري أمثال الأستاذ روبنسون والسير فرازر أن يلاحظ ملامحهم في سكان فلسطين الذين يتكلمون اللغة العربية ، إلا أن كثيراً منهم ينحدر من ذلك الجيل الكنعاني القديم صاحب فلسطين قبل هجرة العبرانيين إلى الأرض الموعودة بمئات وألوف السنين[٣] . وهم يمثلون اليوم أرضهم خير تمثيل[٤] .

وهنالك فرق عظيم بين هذه الهجرة العبرية التي كانت تحمل فكرة دينية وبين تلك الهجرة الاسلامية التي كانت تحفزها فكرة دينية أيضاً . فالمسلمون الذين غادروا الحجاز لنشر كلمة التوحيد لم يكتفوا بالحجاز أو فلسطين أو سوريا والعراق وبشبه الجزيرة كلها ، بل أرادوا فوق ذلك نشر دين الله في جميع أنحاء الأرض في كل بقعة يقيم فيها إنسان . ففكرتهم إذاً فكرة إنسانية عالية تستوى عندها جميع الأقوام والجنسيات في الحقوق والقانون . أما هجرة العبرانيين فقد كانت موضعية تريد شعباً واحداً من بين سائر الشعوب .

جواد علي

(١) راجع سفر يشوع أصحاح ١ آية ١ وما بعد .

(٢) Th. Robinson a history of Israel. Jeffries p, 5

(٣) James Frazer jeffries p 5 falk lore in the old testament

(٤) Jeffries p, 5

الكذب والنسيان

كما يراهما «أبو العلاء المعرى»

للأستاذ كامل كيلانى

— ٢ —

١٠ — قصر الكنية

ثم راح يعاتبه على قصر كنيته ، بعد أن امتدحه فى رسالته تلك بأنه قد برأ نظمه من الضرورات التى يضطر إليها غيره من الشعراء ، فقال بعد بيان ممتع : فمن هجر هذه الضرورات وغيرها مما لو ذكرته لطال به الكتاب ، كالتقديم والتأخير ، والفرق بين المضاف والمضاف إليه .. فكيف استجاز أن يقصر كنية صديقه . أما السمة (أى: الإسم) فغيرها ، وأما الكنية فقصرها. فإنا لله وإنا إليه راجعون . هذا أمر من الله ، ليس من ضعف الشاعر ولا وهن القائل ، ولكنه من سوء الحظ لمن خوطب ، والاتفاق الردىء لمن سُمّى وذكر .

١١ — ضرورات الشعر

ثم قال وأبدع : ولا يقل سيدى الشيخ — أدام الله عزه — قد قصرت الشعراء ، قديمها ومولَّدها ، وأولها السالف وآخرها ، وفصيحها الطَّبِيعى ء(١) ومتكلِّفها .

فإنه لو كان استعمل ضرورة غير تلك لقبلت حجته . ولكنه ألغى الضرورات بأسرها ، ورفض العيوب فلم يستعملها . وإنما تعوَّثت من ذلك لأنى قصير الهمة ، قصير اليد ، مقصور النظر (أى : مكفوف) مقصور فى البيت (أى : لازم له) محبوس فيه . فما كفانى ذلك مع قصر الجسم حتى يضاف إليه قصر الإسم . لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

١٢ — سبب النسيان

وما زال المعرى ينتقل فى هذه الرسالة من طرفة إلى طرفة ، ومن دليل إلى دليل ، وهو يدس فى أثناء مديحه عتابه ، ويمزج شهد الكلام وصابه ، حتى كشف لنا عن سر ذهول صاحبه عن اسمه . فقال : وفى كتابه — أدام الله عزه — شكوى رعشة ، وما أعرف سبباً يؤدى إلى ذلك إلا أن يكون الافراط فى درس العلم ، فقد قال الشاعر :

أرعشتنى الخمر من إدمانها ولقد أُرعِشْتُ من غير كبر

والعجيب أن المعرى كان لا يخشى من مصائب الدهر إلا أن تسلمه الشيخوخة إلى الذهول والنسيان وتفضى به إلى الهتر والخبال ، فقال فى لزومياته :

وما أتوقى والخطوب كثيرة
يد الدهر إلا أن يَحُل بى الهُتْرُ

والهتر — وقاكم الله ووقانا شره — هو ذهاب العقل من كبر ، أو مرض ، أو حزن . ولقد ظل شيخنا محتفظاً بيقظة ذهنه ورجاحة عقله حتى لحن ذات يوم ، فتنبأ له بعض خاصته بدنو أجله ، وصح ظنه فمات بعد أيام قلائل .

أما النسيان فيعلله المعرى فى رسالة الغفران أبرع تعليل فى حوار ابن القارح والجنى أبى هدرش . يقول ابن القارح : «أيها الشيخ ، لقد بقى عليك حفظك» فيقول الجنى : «لسنا مثلكم يا بنى آدم يغلب علينا النسيان والرطوبة ، لأنكم خلقتم من حمأ مسنون ، وخلقنا من مارج من نار» .

١٣ — طول الأمد

وإذا علل أحد الشعراء نسيانه بفرط الحب ، فقال :

« وحبك قد أنسانىَ الشىء فى يدى
وأذهلنى عن كل أمر أحاوله »

فإن المعرى يرى أن طول الأمد كفيل بنسيان كل شىء ، فيقول فى لزومياته :

« كل ذِكرٍ من بعده نسيانُ وتمرُّ الدهور والأزمانُ »

ويقول :

سيُنْسَى كل ما الأقوام فيه ويختلط الشآمى باليمانى

ويقول :

وسوف ننسى فننسى عند عارفنا ومالنا فى أقاصى الوهم أشباحُ

ويقول :

سيسأل ناس ما قريش ومكة كما قال ناس ما جديس وماطسم

أرى الدهر يفنى انفسا بفنائه ويمضى فما يبقى الحديث ولا الرسمُ

---

(١) هذه الكلمة نص على أنى يقطع بأى كلمة طبيعى هى الصواب لا كلمة طبعى .

١٤ – الهول والفزع

والمعرى يرى أن الهول والفزع ينسيان أذكر الناس وأذكاهم ، فنرى فى غفرانه صاحبه ابن القارح يسأل الخليل بن أحمد فى الجنة عن أبيات ينسبها الرواة إليه فيقول الخليل :

« لا أذكر شيئاً من ذلك ، ويجوز أن يكون ماقيل حقاً »

فيقول ابن القارح : « أنسيت يا أبا عبد الرحمن وأنت أذكى العرب فى عصرك ؟ » فيقول الخليل : « إن عبور الصراط ينفض الخلد مما استودع » .

ونرى أبا العلاء يتخيل صاحبه ابن القارح وهو يسأل « تميم ابن أُبَىّ » عن معنى كلمة المرانة التى وردت فى قوله :

« يا دار سلمى خلاء لا أُكلّفها
إلا المَرَانةَ حتى تسأم الدّينا »

فيقول تميم : « ما أردت بالمرانة فقد قيل إنك أردت اسم امرأة وقيل هى اسم أمة ، وقيل العادة » فيقول تميم : « والله ما دخلت من باب الفردوس ومعى كلمة من الشعر أو الرجز . وذلك أننى حوسبت حساباً شديداً ، وقيل لى كنت فيمن قاتل « على بن أبى طالب » وانبرى إلى النجاشى الحارثى ، فما أفلتُ من اللهب حتى سفعتنى سفعات . وإن حفظك لمُبقّى عليك . كأنك لم تشهد أهوال الحساب الخ .

١٥ – هول الموت

أما هول الموت فينسى كل شىء ويذهل الشجاع عن كل شىء . قال المعرى :

والموت ينسى كَمِىَّ الحرب صارمه
ودرْعهُ وفتـــاة الحى مِجْوَلَها

وقال :

وأظننى أن لست أذكر بعده ما كان من يُسر ومن إملاق

١٦ – نشوة الخمر

وقد رأينا – فيما سبق – كيف رأى فى الخمر مذهلا له عن كُرْبتهِ ، منسياً لغربته ، فتمنى أن تصبح حلالا لتذهله عن همومه وأحزانه ، فلا يفوتنا أن نذكر قوله فى لزومياته :

« أيأتى نبى يجعل الخمر طِلْقة فتحمل ثِقلامن هموى وأحزانى
وهيهات لوحلت لما كنت شاربا مخففة فى الحكم كِفّة ميزانى »

١٧ – شعر آدم

والمعرى يقول فى لزومياته فى معرض الإشارة إلى نسيان الشيخ آدم أبى الخليقة :

احتج فى الغى بالنسيان والدهم
وقد غووا بادكار ، لا أقول : نَسُوا

ويقول فى غفرانه ، متخيلا صاحبه ابن القارح وقد عمد لمحله فى الجنان ، فيلق آدم عليه السلام ، فى الطريق ، فيقول : يا أبانا صلى الله عليك ، قد رُوى لنا عنك شعر ، منه قولك :

نحن بنو الأرض وسكانها منها خلقنا وإليهـــا نعودْ
والسعد لا يبقى لأصحـابه والنحس تمحوه ليالى السعودْ»

فيقول : «إن هذا القول حق . ومانطقه إلا بعض الحكماء . ولكننى لم أسمع به إلا الساعة .

فيقول : «فلعلك يا أبانا قلته ثم نسيت فقد علمت أن النسيان متسرع إليك . وحسبك شهيداً على ذلك الآية المتلوة فى قرآن محمد (ص) : « ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما» وقد زعم بعض العلماء أنك سميت إنسانا لنسيانك ، واحتج على ذلك بقولهم فى التصغير : « أُنَيْسِيان » وفى الجمع أناسى . وقد روى أن الإنسان من النسيان ، عن ابن عباس . وقال الطائى :

لا تنسَيَن تلك العهود ، وإنما سميت إنســـانا لأنك ناسى

فيقول آدم (ص) أبيتم إلا عقوقا وأذية : إنما كنت أتكلم العربية وأنا فى الجنة . فلما هبطت الأرض نقل لسانى إلى السريانية فلم أنطق بغيرها إلى أن هلكت . فلماردنى الله سبحانه وتعالى إلى الجنة عادت على العربية . فأى حين نظمت هذا الشعر . فى العاجلة أم الآجلة . والذى قال ذلك يجب أن يكون قاله وهو فى الدار الماكرة . ألا ترى قوله : « منها خلقنا وإليها نعود » فكيف أقول هذا القول ولسانى سريانى . وأما الجنة قبل أن أخرج منها فلم أكن أدرى بالموت فيها ، وأنه مما حكم على العباد . وأما بعد رجوعى إليها فلا معنى لقولى : « وإليها نعود » لأنه كذب لا محالة . ونحن معاشر أهل الجنة خالدون مخلدون .

فيقول : « إن بعض أهل السير يزعم أن هذا الشعر وجده يعرب فى متقدم الصحف السريانية ، فنقله إلى لسانه . وهذا لا يمنع أن يكون . وكذلك يروون لك – صلى الله عليك – لما قتل قابيل هابيل :

« تغيرت البلاد ومن عليها فوجه الأرض مغبر قبيح
وأودى رُبْع أهليها فبانوا وغودر فى الثرى الوجه المليح

ويندد به فى معرض حديث ابن القارح مع آدم (ص) فى الجنة ، وسؤاله عن بيتين يعزوهما الرواة إليه فيجيبه آدم بقوله : «أعزز علىّ بكم معشر أبينىّ . إنكم فى الضلالة متهوكون (أى : خابطون على غير هدى) آليت ما نطقت هذا النظيم ولا نطق به فى عصرى ، وإنما نظمه بعض الفارغين ، فلا حول ولا قوة إلا بالله . كذبتم على خالقكم وربكم ، ثم على آدم أبيكم ، ثم على حواء أمكم ، وكذبُ بعضكم على بعض » .

(البقية فى العدد القادم) كامل كيلانى

حرية الرأى

فى مدى العوامل غير الشعورية

للأستاذ حسين الظريفى

إن حرية الرأى لاتتمثل فى أن لنا أن نختار فيما نفكر وفى طريقة التفكير وفيما نصل اليه من مبدأ وغاية ، ثم نقف عند هذا الترفع من الحرية لانتقدم . وانما هناك شىء يسبق الاختيار، هو أن نكون بمعزل عن التأثر بما ورثنا وبما حرثنا حتى اذا تلقينا الفكرة من غيرنا أو من عند أنفسنا بصفاء لايشوبه كدر كان من حقنا أن ندعها أو نصدع بها ، وتلك هى حرية الرأى فى شقيها المتلازمين .

إذا كان من حق الباحث أن يكون حر الاختيار تجاه أية فكرة تمن له من محيط نفسه أو من الخارج ، فأن من حق تلك الفكرة ألا تنظر بالعين الملونة بأصباغ الماضى القريب والبعيد ، وما قيمة الخيرة فى وسط غير مختار ؟

لقد عرف التاريخ أناساً كان فى وسعهم أن يأتوا ببعض الحقائق فى بعض المواقف ، وكان الظرف الذى عاشوا فيه يدعو إلى هذه الدعوة ويهىء لها ، إلا أنهم كانوا من الخضوع لما عرفوا وألفوا بحيث تهيبوا التفكير بكل جديد فمروا بالحياة ولم تمر هى بهم . وعرف التاريخ أناسا جاؤوا بالفكرة الصالحة وبالمبدأ الصالح ثم قبروا وما جاؤوا به ، ملومين غير مكرمين . ذلك لأن آراءهم لم تلمس إلا بيد كانت داخل قفاز مما وهب الماضى وكسب الحاضر، فتراءت بلون غير لونها وأعطى لها دون وزنها . وكذلك يفعل المقلدون .

وظاهر ، أننا نوث ماترك لنا الاولون من عقائد وتقاليد . . . بشىء كثير من التقديس . وكل فكرة جديدة تمن لنا أو تعرض علينا إنما يحدد لها أمد البقاء بالقياس إلى قوة اصطدامها بالقديم الموهوب أو المكسوب . أما التقديس فأنه وليد الغموض الذى يحيط بنشأة كل قديم ، ولذلك نجد هذا التقديس يزداد أثراً فى النفس وقوة على البقاء كلما كان أوغل فى إبعاد الماضى السحيق وأبعد عن التعليل والتحليل . فالعقدة فى تقديس الشىء هى فيما يعلو أصله من جهالة ، فمتى ما استطعنا رد ذلك الشىء إلى أصله الذى صدر عنه ، ظهر لنا تقديسه وكأنه ضرب من الوهم . وكان فى استطاعتنا أن نأخذه بضروب النقد وبالأخذ والرد وأصبحنا أحراراً فى موضوعه .

إن الخطورة ليست فى ذات الفكرة ، وإنما هى فى تلك الهالة التى تحيط بها وهى ليست منها فى شىء . ولاحق لنا فى حرية الرأى تجاه ذات الفكرة إن لم نهتك دونها الحجاب ونخرجها من الاطار الذى وضعت فيه . عند ذاك فقط يصح لنا أن نتمتع بحرية الرأى ونقول : هذا خطأ وهذا صواب .

وقد يقوم بيننا وبين حقيقة الشىء حجاب هو من صنعنا ومن وضعنا ، فيخرج الشىء عن حقيقته ويظهر لنا بغير مظهره فنشط بالحكم ونجور فيه ، على غير إرادة وعن غير شعور .

لقد قامت خصومات كثيرة على المناهج والمبادىء ، ولكنها كلها لم تنته بالنصر لأحد الفريقين المتخاصمين وبالتسليم على الفريق الآخر وانما بقيت الخصومة قائمة بينهما تهدأ تارة وتثور أخرى . كذلك الخصومات التى قامت وتقوم بين بعض المعاصرين على غير فكرة واحدة وفى أكثر من ميدان واحد ، فأنها لم تنته إلى نقطة اتصال وتفاهم ، وإنما زادت كل مخاصم تعصباً لفكرته ومقتاً لآراء الآخرين ، ولم ينقطع البحث إلا على القطيعة . وما كان هذا الحوار فى التلقى والإلقاء فى ميدان البحث والمناظرة إلا وليد تلك الأحياء التى تعيش فى أحشاء العقل الباطن ، وهى من غور قاعه ، ومن وراء قناعه تملى إرادتها على الشعور ، فتعمل ولا تُسأل .

مراكش

هل تصبح معتركاً دولياً ؟

لباحث فاضل

نقلت الأخبار أخيراً تصريحا أدلى به مستر تشرشل فى نيويورك قال فيه (يجب أن تكون ميناء الدار البيضاء أو مدينة مراكش مركز قوات الأمم المتحدة) وقد سبق لوكالة الأخبار الأمريكية (يونايتد بريس) أن نشرت منذ بضعة شهور نقلا عن مصدر مسئول بأن مداولات تجرى بين الحكومتين الإنجليزية والأمريكية فى شأن ترشيح مدينة طنجة كمركز لقوات الأمم المتحدة ، وزادت الوكالة الأخبارية بأن نفس الدوائر الأمريكية والانجليزية تبدى قلقا وتتساءل فيما إذا كان وجود جيش احتلال بمراكش تابع لواحد من أعضاء المؤسسة الدولية ليس من شأنه أن يعرقل أعمال المؤسسة أحيانا أو يضايقها على الأقل .

وقد احتج الجنرال ديجول على هذه الأخبار ، ولكن أى تكذيب لم يصدر فى شأنهما لا من الولايات المتحدة ولا من انجلترا ، وكانت بعض المصادر الفرنسية المطلعة ترى أن إذاعة كهذه فى الوقت الذى سافر فيه جلالة ملك مراكش إلى باريس إجابة لدعوة ديجول ربما كان له مدلول خاص فى العرف السياسى .

وقد جاء مؤتمر طنجة الذى انعقد فى شهر أغسطس الماضى وانفصل فى الواقع على غير شىء على أمل أن ينعقد بعد ستة شهور دليلا على أن مراكش لنم دائم فى السياسة الدولية ، فقد صرحت روسيا بأن الدستور الذى يربطها بمراكش هو عقد الجزيرة الخضراء الذى أمضته سنة ١٩٠٩ ولذلك فهى ترى أن الاتحاد السوفياتى غير ملزم بأن يرتبط بأية تصفية أو تعهد أو اتفاق فى شأن مراكش أمضى بعد ذلك بدون مشاركته .

ولعل القراء يذكرون أن اتفاقية الجزيرة الخضراء التى تشير لها الروسيا هى اتفاقية دولية تقوم على مبادىء :

لتكن لنا نية الخلوص إلى الحقيقة فيما نلقيه وفيما نتلقاه . ولنرفع النقاب عن تلك الرغائب العاملة فيما وراء الوعى فنحسن بها الانتفاع هنا ونتجرد منها هناك ونتخذ منا علينا حافظاً ورقيباً

ونحن إذا انسللنا فى ميدان البحث عما سوى البحوث ، أعطينا الفرصة لأنفسنا وللآخرين فى تحرى مواضع الحق والصدق واختصرنا الزمن لتطور الاذهان وتتابع الحقائق ، فدنّا بما يدين به العقل السليم ولم يقل بعضنا لبعض : لكم دينكم ولى دن . وعرفنا من بيننا من الزعيم ولم نقل : منا أمير ومنكم أمير .

تلك هى خطورة التجرد من هوى النفس عند التعرض للآراء بالتأييد أو التفنيد . وتعظم هذه الخطورة عند ما تحكم فى الموضوع كلمة ولى الأمر ومن يستمد منه القضاء .

ونعود فنقول إن وراء الشعور منطقة نفوذ أخرى غير ذات شعور ، تصنع فيها الألوان فتصطبغ بها الأفكار والآراء . وتصدر عنها الأوامر فتتكيف بها الأقوال والأعمال . ويخرج منها النور فيضىء الطريق ويسار فيه إلى الغاية . وكل أولئك عوامل تكوين وتلوين غير شعورية ، يخضع بها العقل الواعى الى أخيه الكبير فيما وراء الوعى . فاذا أردنا التمتع بحرية الرأى بالحق وبالصدق ، والاتيان بالأفكار المستقلة ، كان علينا التصرف بتلك المنطقة النائية من العقل والتجرد من نزعاتها الشاذة فيما ندع وفيما نصدع وفيما نقدر به الأشياء ونقول كلمة الفصل .

ليست الحرية عندى فى أن نفكر فيما نريد وكيفما نريد وأن نقول وأن نعمل ، وانما الحرية فى تلك السيادة التى يفرضها العقل الشاعر على ما وراءه من عقل غير شاعر تحيا فيه جراثيم الزمن لتكون ذاته وصفاته وتجعل منه وليا للأمر، ينطق بفصل الخطاب ولكن من وراء حجاب . ولسنا من الحرية فى شىء إن لم نخضع العقل إلى تجارب الواقع وننقذه من غوائل ما بكته فكبته .

لا حرية إلا فى ذلك التجرد الذى يجريه العقل على نفسه ، فيمحو ويثبت غير خاضع إلا لما يرى أنه الحق المطلق من قيود الماضى واثقال كل رغبة شاذة . وفى موضع هذا التجرد من العقل تتلاشى الالوان وتزول الموانع . ويصبح العقل فى موقف من الطبيعة كموقف الطبيعة منه ؛ يتفاعلان على هدى ويعملان على غير سدى ولا يزالان دائما أبداً .

(بغداد) **حسين الظريفى**

(ا) استقلال مراكش

(ب) وحدة الأقليم المراكشي

(ج) سياسة الباب المفتوح من الوجهة الاقتصادية.

ولا نعرف بالضبط إلى أى حد ستساعد الظروف روسيا على الاستفادة من هذا الاساس الذى وضعته لسياستها فى مراكش والذى قد يؤيده الشعب المراكشي المقدام على ما نظن إذا وجد فيه ضمانا لاستقلاله ووسيلة لتحريره من استعمار الفرنسيين الرجعي.

وإذا كان الأنجلو ساكسون لايستطيعون أن يبقوا مكتوفى الأيدى وخاصة الأمريكيين حتى تنفذ روسيا خطتها فى مراكش ويصبح بذلك البحر الأبيض بحيرة روسية والنفوذ الأمريكى تحت رحمة القوات السوفياتية المرابطة بالدار البيضاء واجادير فمن المحقق أيضا أن الأنجلو سكسون لا يستطيعون أن يدافعوا عن الوضعية الحالية التى تعيش فيها مراكش تحت السيادة الفرنسية والإسبانية.

وذلك لثلاثة أسباب:

(ا) لأن فرنسا وإسبانيا دولتان ضعيفتان لايمكن التعويل عليها مطلقا فى فرض حياد مراكش حتى لا تستغلها قوة عظمى ضد قوة عظمى أخرى لدى وقوع اعتداء ما.

(ب) لأن وجود فرنسا وإسبانيا بمراكش يعتبر كوجود الأعضاء الفزيولوجية الزائدة فى الجسم الحى، أى كنتيجة باقية لسياسة سرية بائدة تغيرت عليها مقتضيات الأحوال ولا سيما بعد التصريح الروسى الذى لايعترف بأى اتفاق أوتعهد وقع بعد ١٩٠٩ وفى مقدمة العقود التى لاتعترف بهاروسيا عقد ٣٠ مارس ١٩١٢ الذى حول مراكش عمليا إلى مقاطعة فرنسية خالصة فى صورة حماية.

(ج) لأن حالة جديدة تكونت فى البلاد العربية بسبب فكرة الجامعة العربية التى تستند على أساس دبلوماسى واضح ومعترف به، وهذه الجامعة تعتبر مراكش امتدادا طبيعيا لها وذلك للأسباب نفسها التى تعتبر بها مصر مثلا ولبنان وسوريا امتدادا طبيعيا لها، ففصلها عنها — بالنظر لشعور المراكشيين — قد يمهد الجو لجعل (اللغم المراكشى) أكثر حدة ويفتح الشهية للمتآمرين، ولاسيما وفرنسا قد فشلت فى استمالة قلوب المراكشيين إليها وأصبحت الأحزاب السياسية هناك بعد أن تألفت فى كتلة واحدة هى حزب الاستقلال تحرك الرأى العام بمشيئتها ساعية به لتحرير البلاد وحمل فرنسا على التصريح بالغاء الحماية المفروضة، ويعتبر جلالة ملك مراكش على ما يقال من المؤيدين لهذه الاتجاهات التحريرية. ويظهر للانسان خطورة الحالة من الآن عند ما يرى فى صحافة اليمين الفرنسية من حين لحين قلقا على مستقبل الحماية وضغطا على حكومة فرنسا بأن تبدل المندوب السامى الحالى بجنرال حازم يضبط الأمور ويزود بأوسع السلطات.

لهذه الأسباب نرى أن الأنجلو سكسون لا يستطيعون أن يدافعوا عن الوضعية الحاضرة فى مراكش وهم فى الحقيقة من الخاسرين فيها، فاذا إذاً سيكون موقفهم وماذا سيكون عمل روسيا بعد أن أعلنت موقفها أولا وأكدته بصفة غير مباشرة فى قضية طرابلس ... ...

من الصعب التكهن بالأمر، ولكننا متحققون بأن مسألتها ستوضع تقريبا بنفس الحدة التى وضعت بها مسألة اليونان والمضايق التركية وسوريا ولبنان.

(باريس) «خبير»

قصة الذرة :

تلك الاشعة المحيرة !

للأستاذ فوزى الشتوى

— ١ —

وكذبه صدى صوته

وللذرة أيضاً قصتها المثيرة المليئة بشتى أنواع المفاجآت . تقرأها مرة ، فإذا أنت حيال قصة بوليسية شائقة لا يكاد متعقبو طلاسمها يوفقون إلى حل لغز حتى يتعثروا ويفاجأوا بألوان من العجائب والطرائف التى لم يفكروا فيها ولم تكن لهم على بال .

وفى وسعك أن تقسم قصتنا إلى ثلاث مراحل : أولاها فى الاستنتاجات الفلسفية الكلامية ، والثانية حين عثر رونتنجن على أشعة إكس المجهولة فانتقلت القصة من مجرد الفروض والتخمينات إلى الحقائق الثابتة المشيدة على الحقائق الملموسة . والثالثة حين ألقيت القنبلة الذرية الأولى على هيروشيما اليابانية ، فسجلت ختام الحرب العالمية الثانية . كما بدأت عصراً جديداً يسعى فيه العلماء إلى القبض على لجام الذرة ، وتطبيق معلوماتها على الكون ، وكشف غوامضه وأسراره .

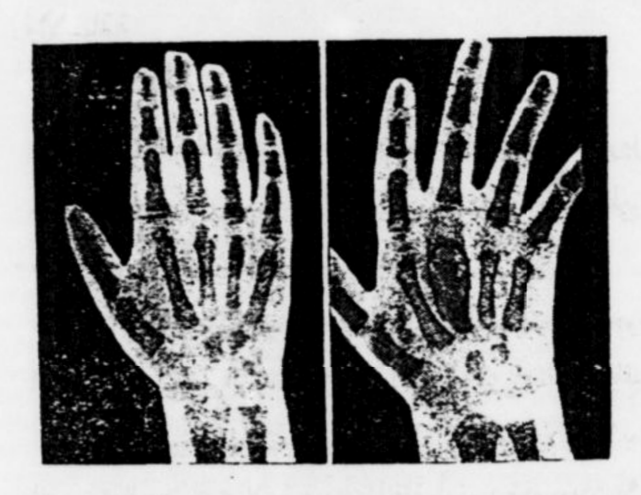
ولا تعجب لأن عالماً كبيراً وقف فى عام ١٨٩٣ ليعلن على الملأ أجمع أن الاكتشافات والأبحاث الطبيعية وصلت إلى ذروتها ، وأن العلماء فى المستقبل لن يجدوا من المكتشفات الحديثة ما يستحق الذكر ، وأن كل ما سيعملونه مجرد تكرار وصقل للتجارب البارعة التى أجراها القرن التاسع عشر .

الأشعة الغريبة

لا تعجب لأن صدى صوته ارتد إليه يكذبه ويستنكر عبارته ، فما كاد شهر ديسمبر عام ١٨٩٥ ينتهى حتى أعلن البروفسور رونتنجن اكتشافه لأشعة إكس المجهولة وأرفق إعلانه بصور لعظام اليد ، وبمفاتيح ونقود تظهر من خلال أكياسها الجلدية . فهذه الأشعة ذاتها هى التى نستخدمها الآن فى الكشف عن العظام والأعضاء الداخلية للجسم .

ومحا الكشف العلمى الجديد الغريب صوت العالم . وأثبت أن العلماء ومكتشفاتهم لا تزال ترسم الحرف الأول من حروف الهجاء ولم ينتقلوا بعد إلى الحرف التالى ، فقد عثر رونتنجن على أشعة بالغة الغرابة تخترق الأجسام المعتمة كما تخترق أشعة الشمس لوح زجاج شفاف . فما هى ؟ وكيف تحدث ؟ ولماذا تحدث ؟ ومن أين أتت ؟ وما خواصها ؟

أسئلة لم يجب عنها علم القرن التاسع عشر بحرف واحد ، ولم يعرف لها علة ولا تعليلا . فلقبوها بالأشعة المجهولة (إكس) . ولو توفرت المصادفة لكثير من العلماء الذين كانوا يجرون نفس تجارب رونتنجن لاكتشفوها ، فان أنبوبة كروكس الكهربائية التى كان يسعى لمعرفة خواص أشعتها كانت من الأجهزة الشاعة بين العلماء .



شكل ١ — توضح أشعة إكس إصابة العظام بالرواص وفى الصورة اليمنى صورة يد سليمة وأخرى أصيبت عظامها بالسل

أفادت الطب والصناعة

وقد تلقى الأطباء أبحاث رونتنجن وأشعته بكثير من العناية ، فعلى هديها تيسر لهم الكشف عن الكثير من الأمراض التى تصيب الإنسان ، ولا سيما فى حالات كسر العظام ووجود أجسام غريبة فى الجسم . فإذا أطلق الرصاص على إنسان حددت أشعة إكس مكان القذيفة ليخرجها الجراح . وإذا تكونت داخل الجسم أجسام غير طبيعية أصابته بالمرض استطاع الطبيب بأشعة إكس أن يتأكد من وجودها أو ينفيه، وعلى هذه الصورة يعالج العلة

وعلى هدى أشعة رونتنجن أيضاً يستطيع بعض الصناع فحص الأدوات الدقيقة التي يشترط فيها النقاء ومعرفة ما بها من مواد غريبة . ومثال ذلك كرة البليارد وغيرها . وقد أصبحت أشعة إكس الآن من مستلزمات الطب الحديث ، وكثير من العمليات الصناعية .

ولكن رونتنجن نفسه لم يدرك شيئاً من خواص الأشعة الجديدة سوى طريقة صنعها التي عثر عليها بمحض المصادفة فقد كان كسواه من أكثر علماء تلك الفترة يجرى تجاربه على أنابيب كروكس الكهربية . وهى أنابيب تشبه فى نورها أضواء النيون التى تشهدها كل ليلة فى شتى أنحاء البلاد فى تلك الاعلانات الضوئية الوهاجة ..

ولكن الأشعة المنبعثة من الجانب السالب لأنبوبة كروكس كانت ضعيفة وذات خواص عجيبة إذ تسير فى خط مستقيم مرسلة أشعة خضراء ذهبية تنحرف إذا سلطت عليها مغناطيساً . كما كانت مصدر قوة . فلو وضعت فى مسارها عجلة دوارة فانها تديرها . وكانت أيضاً ترسل الحرارة فى الأجسام التى تعترضها ، وتضىء الماس وغيره من الأحجار الكريمة .

الحالة الرابعة

وكان السير وليام كروكس مكتشف هذا الأنبوب يعتقد أن هذه الأشعة فريدة فى نوعها ، واستنتج أن الأنبوبة تحوى حالة رابعة للمادة غير الحالات الثلاث المعروفة وهى الصلابة والسيولة والغازية ، وتكهن بأن الحالة الرابعة هى فوق الغازية أو الاشعاع . فكان من الطبيعى أن يدرس ظواهرها أكثر العلماء .

ولأنبوبة كروكس أم استنبطها هينريش جيسلر صانع الأدوات العلمية ؛ وهى تتألف من أنبوبة زجاجية فرغ أكثر هوائها وفى كل من طرفيها قطعة من المعدن . وقد أثبت جيسلر أنه إذا وصل أحد طرفى هذه الأنبوبة بمورد كهربائى ، فإن الأنبوبة كلها ترسل ضوءاً لامعاً . وقد كانت هذه الأنبوبة بالذات الأساس الذى صنعت منه أنابيب أضواء النيون .

وتختلف عنها أنبوبة السير وليام كروكس فى أنها أكثر تفريغاً من الهواء نتيجة لاستنباطه لمضخة أقوى وأدق من طريقة جيسلر ، ومن ثم خالفتها فى خواص أشعتها وغرابة تطوراتها ودفعت بالعلماء إلى دراستها .



شكل ٢ — اكتشف السير وليام كروكس حالة رابعة للمادة

وكان رونتنجن كسواه من العلماء ، فأجرى عليها التجارب العديدة . وفى أحد الأيام غطى الأنبوبة بمادة سوداء فكانت دهشته بالغة . فعلى مقربة منه اتفق وجود لوح مغطى بمادة مضيئة وجدها تلمع وتضىء فى الظلام . وأدرك من فوره أن أشعة الأنبوبة اخترقت المادة وانعكست على اللوح ، وعرض كيس نقوده فإذا هو يرى محتوياته أيضاً ، وواصل تجاربه حتى أدرك أن أشعة كروكس ترسل أشعة غريبة لا تراها العين ، ولكنها تضىء الأجسام اللامعة . كما وجد أنها تخترق المواد الصلبة وتسجل صورتها على ورق التصوير الحساس . فاستمر فى تجاربه حتى قدمها للعالم فى ديسمبر عام ١٨٩٥ .

وكان من السهل على أكثر العلماء أن يتحققوا بأنفسهم من اكتشاف رونتنجن ، فما لبثوا أن وجدوا أن أنابيب كروكس التى لديهم كانت دائماً ترسل تلك الأشعة الغريبة فحسنوا أنبوبة كروكس وأضافوا إليها مهبطاً من البلاتينيوم وسموها « أنبوبة أشعة إكس » .

(البقية فى العدد القادم)

فوزى الشتوى

الزنبقة الذابلة

للمرحوم أبي القاسم الشابي

أزنبقة السفح مالى أراك تساورك اللوعة القاسيه ؟
أفى قلبك النضِ صوت اللهيب يرتل أنشودة الهاويه ؟

أأسمعك الليل ندب القلوب ؟ وأرشفك الفجر كأس الأسى ؟
أصب عليك شعاع الغروب نجيع الحياة ودمع المسا ؟

أوقفك الدهر حيث يفجر نوح الحياة صدوع الصدور ؟
وينبثق الليل طيفاً كئيباً رهيباً ويخفق حزن الدهور ؟

إذا أضجرتك أغانى الظلام فقد عذبتنى أغانى الوجوم
وإن هجرتك بنات الغيوم فقد لازمتنى فتاة الجحيم

وإن سكب الدهر فى مسمعيك نحيب الدجى وأنين الأمل
فقد أجج الدهر فى مهجتى شواظاً من الحزن المشتعل

أصيخى فما بين أعشار قلبى يرف صدى نوحك الخافت
معيداً على مهجتى بخفيف جناحيه همس الردى الصامت

فقد أترع الليل بالحب كأسى وشعشعه بلهيب الحياه
وجرعنى من غياباته مرارة شجو تفت الصفاه

إلىَّ فقد وحدت بيننا قساوة هذا الزمان الظلوم
فقد فجرت فىّ هذى الكلوم كما فجرت فيك تلك الكلوم

إذا جرفتنى أكف المنون إلى اللحد أوسحقتك الخطوب
فحزنى وحزنك لا يبرحان أليفين رغم الزمان المصيب

فيصدع عند سكون الدجى إذا نسيتنا عذارى السحر
صدى يتهادى كنغم شجى تطاير من خفقات الوتر

يرنمه شجن المستكين لدى القبر تحت ظلال المسا
فتهجع تحت الثرى الهاجع جميعاً على نغمات الأسى

إلى الشاطئ

للأديب مصطفى على عبد الرحمن

فاض بى شوق ونادانى إليك فهفا قلبى وأصغى للنداء
آه . لو ترجع أيامى لديك وشبابى من فتون ونماء
نبصر الفرحة فى الشط الحبيب
والتماع النور فى الأفق الرحيب
قبلما تذهب شمسى للمغيب
ويولى من سنا العمر الرواء

أيها الشط وهل تذكرنى ؟ أنا من غنى بألحان الوفاء
والرمال البيض هل تنكرنى عندما يسأل عنى الأوفياء
أبلغ الأحباب يا شاطئ عنى
أن نيران الهوى تأكل منى
لتمنيت إذا أجدى التمنى
لو على رملك نازعت البقاء

كم أتيناك مع الصبح سكارى نتساقى الكأس من خمر الضياء
نتبع الصفو ونمشى حيث سارا ونرى الفرحة فى نعمى اللقاء
تسكر الأرواح منا قبلات
وتشيع الأنس فينا صبوات
وعيون الدهر عنا غافلات
والليالى من فتون وهناء

ذكريات كلما مرت ببالى أسرفت عينى وقلبى فى البكاء
لأمانٍ باسماتٍ وليالِ كسنا الحلم وإقبال الرجاء
كن أنسى وأناشيدى وخمرى
والذى أينع من يقظة عمرى
والسنا اللماح فى ظلمة دهرى
والربيع الطلق . أمن وصفاء



رأى معالى عبد العزيز فهمى باشا فى كتاب:

اللغـــة والمجتمع

تأليف الدكتور على عبد الواحد وافى

[تفضل حضرة صاحب المعالى الأستاذ الجليل عبد العزيز فهمى باشا فأرسل إلى الدكتور على عبد الواحد وافى رأيه فى كتابه « اللغة والمجتمع »] :

تفضلتم فبعثتم إلىَّ بكتابكم « اللغة والمجتمع » ، فتناولته مسروراً شاكراً ، ثم قرأته بكل عناية واهتمام . وقد وجدتكم تناولتم فيه موضوع تطور اللغات وبحثتموه لامن « كل أطرافه » كما يقول الأدباء ، بل فليتموه وخصتموه من « شوشته إلى قدمه » كما يقول أهل قريتنا . ولقد نهجتم فى عرضه طريقة البيان السهل الممتع المتنع ، وزدتم التنوير والإيضاح بما تزيدتم من التشقيقات والتفريعات ، وبما ضربتم الأمثال من ماضى اللغات وحاضرها وقاصى البيئات ودانيها ؛ وانتهيتم من استدلالاتكم القيمة إلى تقرير تلك الحقيقة الأبدية وهى : « أن اللغات وما يتفرع عنها من اللهجات كانت وما زالت ولن تزال فى تطور مستمر ، وأن هذا التطور قانون ثابت يجرى مجراه ويأخذ حكمه حتما كلما توافرت دواعيه وعوامله ، وأن هذه الدواعى حاصلة لا محالة وإن أبطأ ظهورها حينا طويلا أوقصيراً » . وأن هذا القانون — الذى حصّلتْ بيانكم إياه بالعبارة السابقة — هو قانون عام ما شذت ولا تشذ عنه أية لغة من لغات العالم قديمها وحديثها . فهو متمش على العربية كما تمشى من قبل على اللاتينية وغيرها ، وكما هو متمش وسيتمشى حتما على الألمانية والفرنسية والإنجليزية وغيرها .

كل هذا يا سيدى من جانبكم كلام صحيح معقول مقبول رضى الناس أو أبوا ؛ فإن القوانين الاجتماعية لا تعرف المحاباة ، ولا ترعى لبنى آدم حرمة ولا عاطفة ولا شعوراً ، بل هى كقوانين الطبيعة من نشوء وشباب وهرم وموت ، تسرى على الناس كافة بغير تفريق بين أجناسهم ولا دياناتهم ولا لغاتهم .

وأكرر أن هذا خلاصة رأيك ، وهو حق كل الحق ، وجميل كل الجمال .

غير أننى لاحظت أنك ، وأنت فى معرض الكلام على اللغات وتطورها ، قد تعرضت — وبحق — إلى رسم كتابة اللغات . وهنا أشرت — فيما أشرت — إلى شكوى الناس قديماً وحديثاً من رسم الكتابة العربية . ولكن سعة علمك ، وجميل منطقك، وسلامة ذوقك ، كل هذا أبى عليك إلا الاحتراس فى التقرير ، فقلت فى آخر صحيفة ٣٨ : « ولكن الرسم العربى ليس فى حاجة إلى كثير من الإصلاح ، فهو من أكثر أنواع الرسم سهولة ودقة وضبطا فى القواعد ، ومطابقة للنطق » .

بقطع النظر عن سلامة القول بأن فى رسم العربية دقة وضبطا فى القواعد ومطابقة للنطق ، أو عدم سلامته ، فمن رأيك أن هذا الرسم محتاج للاصلاح ، ولكن لا لكثير من الاصلاح . ما هو هذا الإصلاح الذى يستلزمه رسم العربية قلَّ أو كثر ؟

إن سيدى الأستاذ يعلم حق العلم أن الشكوى من رسم العربية ليست آتية من جهة أن أهلها يصعب عليهم إخراج نغماتها الصوتية ، فإن كل الأطفال الذين يقرءون شيئاً من القرآن الكريم بكتاتيب القرى ، وكل أطفال المدارس الأولية يعرفون كيف ينطقون نغمات الثاء والجيم المعطشة والذال والظاء والقاف، تلك النغمات الخمس التى ليست أصيلة ولا عامة عند أهل اللهجات العربية البعيدة عن الفصحى . أما سائر حروف الفصحى كالباء والتاء والحاء والخاء والدال والراء ... إلى آخر الأبجدية ، فنغماتها يعرف المصرى وغير المصرى من أهل البلاد العربية أن ينطق بها نطقاً لا شائبة فيه ، بلا فرق فى هذا بين متعلم وأمى . لكن هذه النغمات ليست هى اللغة العربية الفصحى المراد خدمتها ، وإلا لما تعذرت على أحد . بل الفصحى هى هذه النغمات موجهة فى الكلمة الواحدة توجيهات مختلفة يقوم بها فى اللغات الأجنبية حروف الحركات ولا يقوم بها عندنا إلا الشكل الذى أفاس . هذا هو موطن الصعوبة عندنا ومثار الشكوى . وما يهم فيما يتعلق بنا أن تكون كتابة اللغات الأجنبية فيها مساوىء

أو لا يكون ، إنمـا الذى يهمنا هو رسم كتابتنا دون غيرنا .
فعند ماتقول إن رسم العربية هو من أكثر أنواع الرسم «سهولة ودقة وضبطا فى القواعد ومطابقة للنطق» ، اسمح لى أن أقول إن هذا لا يطابق الواقع إلا من جهة السهولة أى الاختزال المخل فقط . أما من جهة الدقة وضبط القواعد والمطابقة للنطق ، فإن هذا تجوّز فى التعبير . إذ معنى الـكلمة العربية لا يتأدى بمجرد نغمات الحروف ، بل بهذه النغمات محركة فى اتجاهات مختلفة . وهذا الغرض لا يؤديه الرسم العربى مطلقاً ، أو هو يؤديه ويؤدى كثيراً غيره فى آن ، مما يوجب التشوش والاضطراب . وهيهات أن يسعفنا هذا الرسم العاجز ، ولو أضيف إليه الاضطلاع المتين بقواعد اللغة من صرف ونحو وغيرهما . — وما تقوله فى صدر صحيفة ٣٩ مما حاصله أن لجمود الرسم فائدة تخليد ما خلّفته قرائح أهل اللغة من الآثار ، فاسمح لى أن أقول إن هذا كلام جيد معقول ، ولـكن على شرط واحد وهو أن تكون هذه المخلفات ممكناً لأى عارف بالقراءة والـكتابة أن يقرأها على الوجه الذى أراده واضعها . وما أظن السيد يعارض فى هذا الشرط أو يرى سهولة تحققه ، خصوصاً مع تطور اللغة وعدم استقرارها على حال واحدة ، ذلك التطور الذى وضع كل كتابه لبيانه . وإذن بقينا مرتطمين بالصعوبة التى نحن فيها الآن .

لا أريد أن أقول إن حضرة الأستاذ الفاضل يستعمل فى عرض أفكاره القيمة التَّـقِيَّةَ التى طالمـا استعملها الجاحظ وغيره من كبار السلف المحترمين ، بل كل ما أريد أن أقوله للسيد هو أنى أنست كثيراً بكتابه وفرحت بسعة علمه . وإنى أرجو الله أن يكثر من أمثاله وأن يوفقه فى عمله ويأخذ بيده فيه ، والسلام مع أوفى الشكر والاحترام .

عبد العزيز فهمى

المدينة المســـــحورة

للأستاذ سيد قطب

بقلم الأستاذ وديع فلسطين

عز على الأستاذ سيد قطب أن تتوفر شهر زاد على العنـاية بأطفالها بعد ما أمضت ألف ليلة وليلة تقص فيها على زوجها الملك شهريار قصصاً جذابة تستهوى فؤاده ، وتحفزه إلى طلب المزيد . وعز عليه أن تسكت شهر زاد عن الـكلام المباح وفى جعبتها تلك القصة الرائعة « المدينة المسحورة » التى استطاع الأستاذ سيد أن ينتزعها من صدر الملـكة بقدرة فائقة .

فلم تـكد تمضى مئة ليلة على صمت شهر زاد ، حتى دب الملل إلى قلب الملك شهريار وخرج يعسعس فى الظلام صوب حجرة زوجه ، تراوده نفسه على إيقاظها لتستأنف أحاديثها الشهية ، ولـكن العزة الملـكية تحاول تنحيته ، وسرعان ما تحس شهر زاد بحركته وهو بين الإقدام والإحجام ، فتستوضحه الأمر ، وهى به من قبل عليمة ، ثم ترضى أن تمنح الملك عشر ليال من أجمل ليالى حياته ، تقص فيها عليه قصة حب عجيب وقصة انتقام أعجب .

ملك تيمه حب راعية شويهات ، فلم يطب له مستقر ، ولم يستطع أن يستوى على أريكة عرشه ، حتى تزوجها مؤثراً إياها على قريبة له من الأسرة الملـكية أوصى والده بالزواج منها .

وينجب الملـكان أميرة ذات قد مياس ، ووجه مشرق ، وجمال يشع على بدنها نوراً علوياً .

ويدور دولاب الزمن ، فيستهوى قلب الأميرة راع من رعاة الغنم ؛ ولـكن المرأة المنبوذة التى أبى الملك أن يقبلها زوجة له احترفت السحر ، ثم انتقمت من نابذها — ويا لها من نقمة — فى شخصه وابنته وعائلته ومدينته ، فأحالت المدينة بسكانها تماثيل ، وماتت هى بدورها مقتولة تضم بين جنبيها سر هذه المدينة المسحورة وكيفية فضه .

وبعد ألف من السنين ، يجىء مثّال من سلالة راعى الغنم الذى كان يزمع الزواج بالأميرة ، لزيارة تلك المدينة المسحورة ،



من أدب القصص الأمريكي

هدية عيد الميلاد ..

للكاتب الأمريكي برت هارت

بقلم الأستاذ مصطفى جميل مرسي

عيد الميلاد في « كلفورنيا » من أروع فصول السنة ... فهو الفصل الذي تنحدر فيه المياه من جو السماء إلى أديم الأرض ، فإذا به يهتز ويربو ويفيق من غفوة الشتاء ، وإذا الأرض مجلوة مزهوة بما انبسط عليها من زهور الربيع وأقاحيه ...

وكانت الشمس تسرب شعاعها خلال السحب المنعقدة — التي تتهادى أمام موكب الريح — فيلتى الروابي في روعة وجلال فإذا مظاهر الحياة قد تجمعت : الموت والحياة ، والفناء والبعث ، والألم والبهجة ... نعم ... فالروابي التي كان يطويها مطرف الموت والفناء قد زهت ... وسرت نسمة الحياة تراودها ، فإذا البعث والنشور يدب في أكنافها ، وإذا البهجة والحبور تجول في أطرافها ... وإذا الريح التي كانت تنوح في ثورتها تداعب براعم الأزهار وقد استقرت مكان الأوراق الذابلة الذاوية ...

وربما كان هذا كله علة هذا الرونق الذي أحله عيد الميلاد في حجرة الاستقبال ... والذي أكسب الحضور منظراً خلاباً فريداً وأكسب الأزاهر فتنة وجمالا ...

قال الطبيب وهو يدنو بكرسيه من النار : « والآن : . »

ثم قلب طرفه في لطف ودماثة ولكن في حزم وثبات بين الوجوه الملتفة حوله ... وقال :

— أود قبيل أن أمضى في قصتي ... أن أحذركم من مقاطعتي بتلك الأسئلة الساذجة المضحكة ... فعلى كل غلام منكم ألا يعبث برجله أو بذراعه ... وإلا فسيكون جزاؤه الطرد والحرمان ... أفتعدونني بذلك ؟ ! »

فأجابته الجماعة في صوت واحد فيه غضاضة الطفولة ورنة الصبية — « أجل ... ياسيدنا ! »

فعاد الطبيب يقول في صوته الرقيق الحازم :

— « إذن عليكم بالسكون ... « بوب » ... دع رجلك ، وارغب عن صليل هذا السيف الصغير ... وستجلس « فلورا » جوارى كالسيدة الصغيرة ، وتكون في هدوئها وإصاختها السمع مثلا يحتذيه باقي الجماعة ... « تانج » اجلس كما يحلو لهواك وبغيتك ، ولكن في هدوء وإصغاء ... والآن . أديروا صنبور الغاز قليلا لكي تستعر النار وتتوهج ... وينبغي على كل صبي أن

فيستلبه تمثال الأميرة إعجابه ، ثم لا يلبث أن يهوى هذا التمثال ويعشق صاحبته عشقاً مبرحاً ، وإذ ذاك يُفَكُّ عن المدينة نطاق السحر الذي ضرب حولها ، فما يشفى داء الحب سوى الحب ، ومايبرىء المريض من كَلَبِه سوى مصل الكلب . فتدب الحياة ثانية إلى المدينة ، ولكن عوامل البلى التي أوقفها السحر ألف عام ، سرعان ما تعمل في جسوم قطان المدينة بعد ما ردوا إلى الحياة ، فتتحلل أجسادهم تراباً مذورا .

أما الأميرة ، فقد عجزت عوامل البلى عن إصابتها لأنها كانت تحب ! وما حيلة الزمان أمام قلب يحب ؟ !

ذلك إيجاز القصة المسحورة التي كتبها الأستاذ سيد قطب .

وما كنت أحسب أن الصديق سيداً يعرف عن الحب كل هذا ، بل ما كنت لأتخيله بمستطيع أن يصور تلك العاطفة النبيلة في هذه الصورة الرائعة الأخاذة .

ويحق للقصاص أن يغتبطوا لأن ملقن شهر زاد — أعنى الأستاذ قطب — أبدى في كتابة هذه القصة ميلا فطرياً إلى مراس هذا اللون من الأدب ، بل التمهر فيه . فالأسلوب له مطواع ، والصورة في مخيلته مجلوّة ، والتفكير متجه اتجاهاً صائباً والحبكة الروائية في مقدوره . فلا عجب إذن إذا أصاب الأستاذ سيد قطب من التوفيق قدراً كبيراً ، وإذا كانت كفته من النجاح راجحة .

ودیع فلسطين

يجنح إلى الصمت ... ومن يسبب أدنى ضوضاء ، فلن يبق بين جدران هذه الغرفة ... »

وسادت إثر ذلك آونة من الصمت العميق ... فأسند « بوب » سيفه إلى جانبه ... وداعبت « فلورا » دميتها قليلا ، ثم أرقدتها وجلست جوار الطبيب ... أما « فنج تانج » — ذلك الطفل الوثنى الصغير الذى أتيح له أن يحضر مباهج « عيد الميلاد » — فقد ارتسمت على ثغره ابتسامة عذبة فيها حلاوة وفيها براءة .

وكانت الدقات التى تنبعث من الساعة الفرنسية المستقرة فوق المدفأة ... تعكر صفو ذلك الهدوء الذى خلعته روعة « عيد الميلاد » على حجرة الجلوس حيث تناثرت اللعب ، والعلب المصنوعة من خشب الأرز الطيب الرائحة ... والأزهار الفياحة عطراً ...

* * *

بدأ الطبيب يسرد قصته قائلا :

« منذ أربع سنوات — فى مثل هذا الوقت — حضرت حفلة « عيد الميلاد » فى منزل صديق من أصدقائى المدرسين ... وشملنى شىء من المرح ، إذ سيتاح لى أن أرى إبناً من أبنائه على الرغم من أنه فى الثانية عشرة من عمره إلا أنه كان على مبلغ وافر من العبقرية والنبوغ ... فقد حفظ من قصائد الشعر اللاتينى والإنجليزى مالا أستطيع له حصراً ...

كما كان فى مقدوره أن يؤلف قصائد وأشعاراً رقيقة لها روعتها ولها جمالها ...

وليس بمقدورى أن أحكم على أشعاره ، فما أنا ممن أوتوا القدرة على النقد ، ولكن ثمت بعض النقاد أعجبوا بما أوتى من الموهبة الفائقة على نظم الشعر فى مثل سنه المبكرة . وتنبأوا له بمستقبل زاهر فى ساحة الشعر والأدب ... بيد أن والده كان على الضد من ذلك : رجل حقائق وعمل لا رجل خيال وأدب ...

كانت الحفلة مبهجة مرحة ... وكان الأطفال قد تجمعوا من كل صوب ومكان ... ووقف معهم ذلك الغلام — وهو فى طوله مثل « بوبى » ... وفى أدبه وخلقه مثل « فلورا » التى بجوارى ... كان الجميع يدعونه « روبرت » ... أما صحته فكانت معتلة ضعيفة واهنة ... وطالما شكا إلىّ أبوه من قلة لعبه مع من هم فى سنه من الصبية وتفضيله اللبث فى البيت مغموراً بين الكتب والأوراق يطالع ويكتب ...

وكان ثم « شجرة لعيد الميلاد » كشجرتنا هذه ... وكثيراً ماضحكنا فى عبث ولهو مع الأطفال الذين راحوا يتسلمون هداياهم المعلقة فى الشجرة ... وشملنا جميعاً جو من المرح والصفو ...

وبغتة ندت عن غلام صيحة فيها مزيج من العجب والطرب وقال : « هاك !! شىء لروبرت ! فماذا أنتم قائلون ؟! »

فراح يخمن كل منا :

— « قلم من الذهب . »

— « كتاب للشاعر ملتون ... »

— « قاموس للقوافى ... »

بيد أن الغلام قال على دهش منا :

— « ليس شىء من ذلك إنما هو ! . طبل . »

— « ماذا ؟!! »

— « طبل ... وعليه اسم روبرت » !.

فارتفعت صيحات الضحك من أفواهنا ... فقد كانت دعابة حقاً ... وقال أحدنا : « هه ... أرى أنك ستحدث فى العالم دوياً هائلا ياروبرت !. » وقال آخر « ما هذا الطبل إلا لوزن الشعر ! » وترت الأقوال وتعددت فيها دعابة وفيها عبث ... بيد أن روبرت أبى أن ينبس بكلمة ... وشحب لون وجهه ... وأطلق صيحة فيها حقد واضطراب ، وبرح الغرفة ... فأحس هؤلاء الساخرون شيئاً من التألم والتأنيب ... وانهالت الأسئلة فيمن أتى بهذا الطبل ... ولكن دون جدوى ... ولم يعد « روبرت » إلى الغرفة ثانية تلك الليلة ...

* * *

وضرب النسيان ستارة على هذه الحادثة فقد اشتعلت حرب العصيان الأهلية فى الربيع التالى ... وعينت فى أحد الفيالق .

وفى طريقى إلى ساحة القتال مررت بالأستاذ المدرس ... فكان أول سؤال — ابتدره به لسانى — عن « روبرت » ... فهز الأستاذ رأسه فى حزن وألم ! وقال :

— « ليس على ما يرام ! فقد أصيب بانحراف ظل ملازمه

منذ عيد الميلاد حينما رأيته ... حالة غاية فى الغرابة ... ولكن اذهب فانظره لعلك تستطيع أن تزيل عنه ما يعتريه ! »

فذهبت من فورى إلى منزل الأستاذ حيث وجدت روبرت مضجعاً فى مقعد طويل ... وقد تناثرت ثم حوله كتبه وأوراقه وعلق الطبل فوق رأسه ... وكان وجهه شاحباً ذابلا ... ولكن عينيه كانتا فى بريق ولمعان ...

ابتهج وسر حينما رآنى ... ولما علم بوجهتى ... طفق يسألنى كثيراً عن الحرب ... وظننت أنى بحديثى إليه قد سليته عن مرضه ، غير أنه فجأة أمسك بيدى وقربنى إليه قائلا فى صوت خفيض كالنبأة تسرى فى الفضاء .

— « سيدى الطبيب ... أرجو ألا تسخر منى حينما أخبرك بعض الأشياء ! إنك لتذكر ذلك الطبل ... » وأشار إلى الطبل المعلق فى الحائط فوق رأسه ... « وتعلم كيف أنى إلى من حيث لا أدرى ولا تدرون ... فبعد بضعة أسابيع من عيد الميلاد وكان الطبل معلقاً هكذا فوق رأسى ... وكانت عيناى بين النعاس واليقظة ... إذ يطرق أذنى صوت قرعات خافتة تنبعث من الطبل ثم إذا بها تعلو وترتفع ... ثم توالت وتتابعت سريعاً ، ودوى صوتها جليلا رهيباً ... حتى لكأنها ملأت البيت ضجة ودوياً . طرقت أذنى ثانية عند ما وافى الليل نصفه ولم أجرؤ على أن أنبىء أحداً بخبرها ... ولكنى كنت أسمعها كل ليلة إثر ذلك ...

وانقطع صوته برهة ... ولكنه لم يلبث أن عاد يقول فى قلق واضطراب «أحياناً تكون القرعات خافتة هينة ... وأحياناً تكون مرتفعة مدوية ... ولكنها ظلت سريعة متتابعة حتى كنت أخشى أن يسمعها أحد من أهل البيت فيسألنى فلا أجد له جوابا ...

بيد أنى أعتقد يا سيدى الطبيب ، ونظر إلىّ نظرة فيها ألم وفيها قلق « أعتقد ... أن أحداً لم يسمعها سواى ... إنها تأتينى من هذا الطبل مرتين فى اليوم ... عند ما أكون غارقا فى القراءة أو الكتابة ... أسمعها ... فكأنها غاضبة حانقة فى قرعها ... وتعمل على أن تستلب عقلى من بين كتبى ... » .

وكانت عيناه تلمعان وتتألقان ، وصدره بين ارتفاع وانخفاض ، فحاولت أن أخبره أن هذا ليس إلا ضعفاً وإنها كا عقلياً وجسمانياً أدى إلى اضطراب فى الحواس ، كما يحدث لكثير من الناس . فأنصت إلى ما أقول ، وعلى ثغره ابتسامة حزينة كأنه لا يعتقد ما أقول ، ولكنه شكرنى ، ثم لم ألبث أن ودعته ورحلت ، وقابلت الأستاذ فى طريقى ، فأوضحت له رأيى عن حالة ولده فقال :

— إذن فهو يحتاج لهواء منعش ، وجو رائق ، ورياضة جميلة !

ولم يكن الأستاذ بالرجل السيء البغيض ، ولكن كان كثير الألم والإشفاق لما يعترى ولده .

وغادرت المدينة فى نفس ذلك اليوم ، وكاد داعى النسيان أن يأتى على هذه الذكرى فيطويها ويمحوها ، فقد انهمكت فى تمريضى للجرحى ، ومعالجتهم فى مستشفيات القتال ... لولا أن قدر لى أن ألتى رجلا عسكرياً ، كان على صلة صداقة بالأستاذ فأخبرنى أن «روبرت» أصيب بلوثة وخبال فى عقله ، وفى إحدى النوبات التى كانت كثيراً ما تعتريه ، فر من المنزل ، ولم يعثر له على أثر ، وكان الخوف من أن يكون النهر قد طواه فى أعماقه .

فاهتزت نفسى فى فرق وروع لهذه الفاجعة ، ولكن لم يقيض لى الله وقتاً أجلس فيه حزينا لما أصاب «روبرت» الصغير

ومضت الأيام بعد هذا النبأ ، وإذ بفيلق من جيشنا قد أتى عليه الثوار ، وفتكوا به فى وحشية وجنون

فنقلت من ساحتى إلى مستشفى هذا الفيلق لأعاون زملائى الأطباء فى معالجة حياة هؤلاء المنكوبين والصرعى

وعثرت برجل طويل القامة عملّس بتع ، كان مثخناً بالجراح فى فخذيه ، ولكن رجانى أن أدعه وأنصرف إلى زملائه الذين هم أحوج منه بالعناية والرعاية ، بيد أنى لم أكترث لرجائه فى بادئ الأمر ، لأن هذه الرحمة وإنكار الذات سائدة شائعة بين رجال الجيش جيماً ، ولكنه ما لبث أن عاد يقول : « بالله أيها الطبيب دعنى ، فثمت غلام كان يقرع الطبل ، غلام باسل جسور ، يجود بأنفاسه الآن ، فاذهب إليه وانظره لعلك مستطيع له علاجاً ، لقد أنقذ هذا الغلام ببسالته وجسارته كثيراً من رجالنا ، لقد أنقذ شرف فيلقنا بما أتاه من جليل الأعمال هذا الصباح فأنقذه بالله أيها الطبيب ! »

أثرت فى نفسى روح هذا الرجل وسجيته أكثر من منظر هؤلاء الجرحى وهم مبعثرون فى كل مكان يئنون ويصيحون فى حشرجة وزحير مما بهم من ألم وعذاب. فمضيت بينهم إلى حيث كان ذلك الغلام – قارع الطبل – راقداً وجواره طبله ملق ... فلمحت وجهه فإذا به « روبرت ».

ولم أكن فى حاجة إلى وصف ذلك الرجل الجريح ولا إلى البرودة التى سرت إلى جبينه ... لكى أعرف أن ليس ثمت من أمل فى حياته – ناديته باسمه ؛ ففتح عينيه وعرفنى ... وقال فى صوت هامس فيه ضعف يسرى «إنى لمسرور بلقائك ... ولكن أحسب أن القضاء حم ولا مفر من الحمام » ، فلم أجد فى نفسى القدرة على أن أكذبه القول ، ولا القدرة على أن أخبره بالحقيقة ، فأمسكت بيده وضغطت عليها فى رفق ولطف أحثه على التجلد ، وتابع حديثه فى صوت أوهن وأضعف.

« ... ولكنك سترى والدى ، فاسأله أن يغفرلى ، ويصفح عنى ، وقد يلام كل إنسان سواى ، لقد تقضى وقت طويل قبل أن أدرك علة إرسال هذا الطبل لى كهدية فى عيد الميلاد ! وكذلك علة هذا النداء الذى ظل ينبعث من دقاته يدعونى ويدعونى ... وأخيراً عرفت ما كانت تدعونى إليه ، وإنى لراض بما فعلت ، فبهذا تحدثنى نفسى : خبّر والدى أن هذا أفضل من لبثى معه ، أنغص عليه عيشه ، وأكدر عليه صفو حياته ، لما يعتريني من شذوذ واضطراب ومرض »

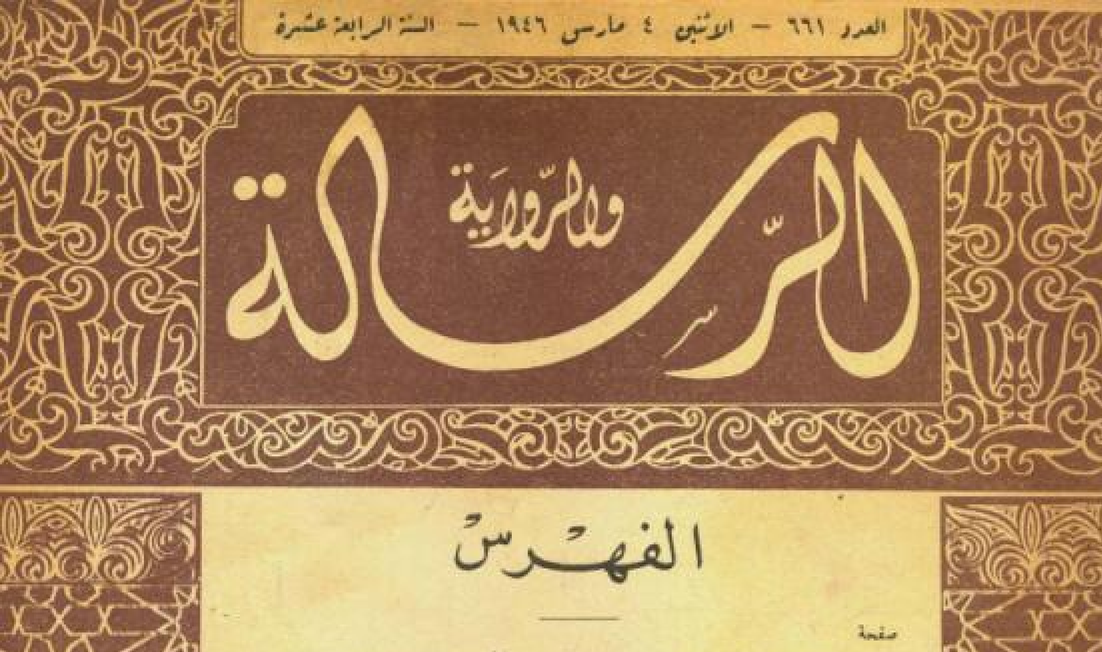
وتوقف حديثه هنيهة ، ثم إذا به يمسك يدى ويقول : « انصت ! » ... فأصخت السمع ، ولكن لم يطرق أذنى سوى أنات الجرحى وزحير المرضى ، فقال فى صوت خافت : « الطبل ! ألا تسمعه ؟ إنه يدعونى » ، ومد راحته إلى حيث ألقى طبله كأنه يود لو عانقه ، وعاد يقول : « انصت ! أفلا تسمع دقات الطبل وهى تنبعث فى رهبة وجلال ؟ ! ها هى الصفوف تنتظم ... أفلا ترى الحراب والأسنة وهى تتألق تحت شعاع الشمس ؟ ! إن وجوههم مشرقة طلقة يعلوها البشر والرضا . . مه ! ها هو القائد إنه ينظر إلى وعلى ثغره بسمة الرضا والبر ! » وانطبقت شفتاه ، وارتخت أهدابه على عينيه ، وسكن سكنته الأبدية ! !

(طنطا) مصطفى جميل مرسى


RETRO
NEWS



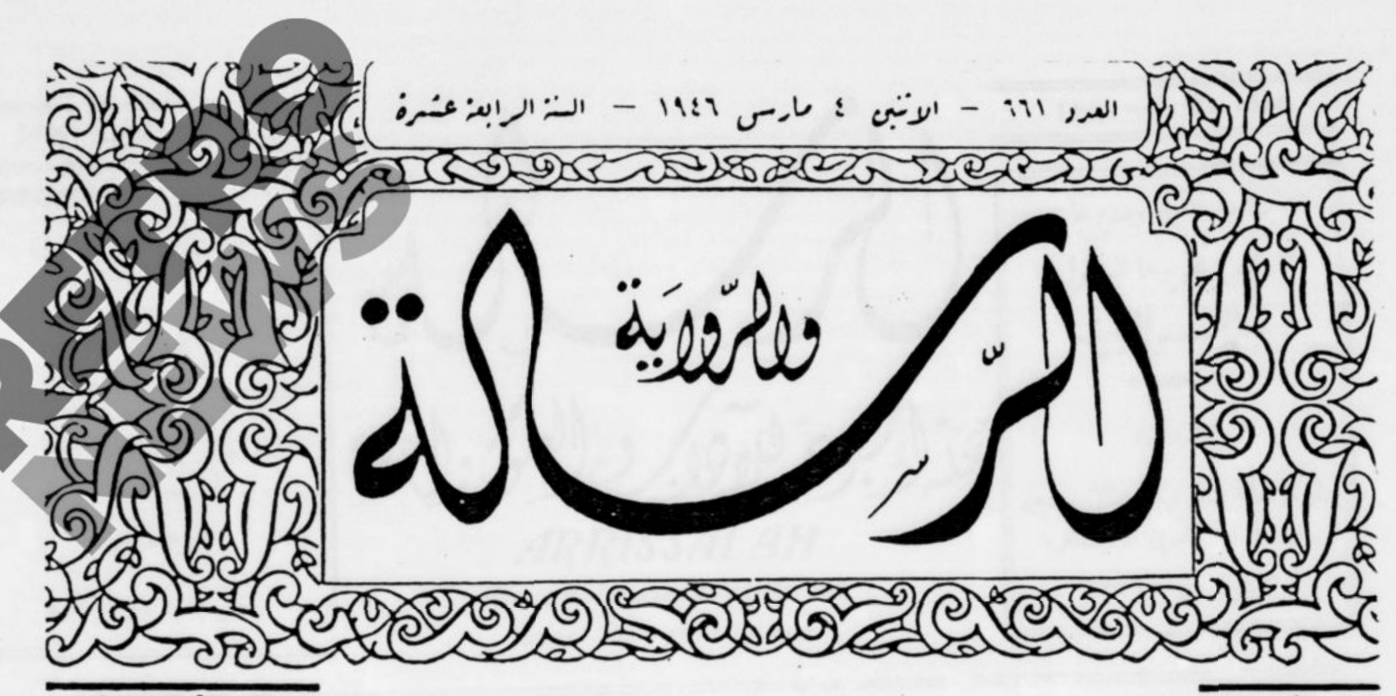
(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)



الفهرس

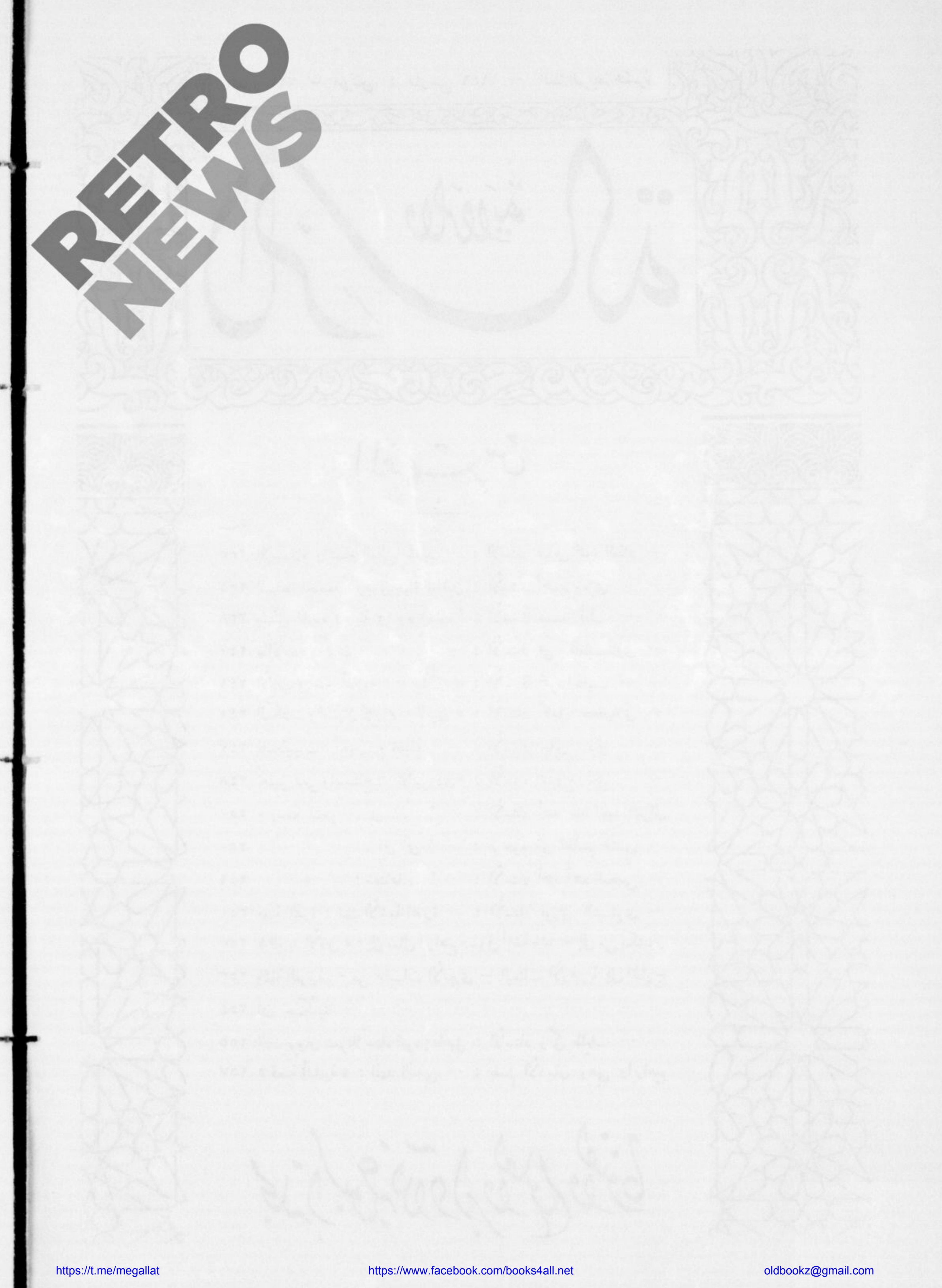
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ٦٦١ - الاثنين ٤ مارس ١٩٤٦ — السنة الرابعة عشرة



الفهرس

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون


RETRO
NEWS

14 me Année No. 661

Lundi —4—3—1946

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العــدد ٦٦١ « القاهرة فى يوم الإثنين ٣٠ ربيع الأول سنة ١٣٦٥ — ٤ مارس سنة ١٩٤٦ » السنة الرابعة عشرة

الاسلام والنظام العالمى الجديد

للأستاذ عباس محمود العقاد

فى سنة ١٨٨٩ ، ظهر فى بنجاب بالهند ، ميرزا غلام أحمد القاديانى صاحب الطريقة القاديانية المشهورة ، وأخذ — وهو فى الخمسين من عمره — ينشر الدعوة إلى تلك الطريقة التى تشتمل على عقائد كثيرة لا يقرها الإسلام ، ولا يقبلها دين من الأديان الكتابية ، ومن ذلك أنه هو نبى الله المرسل وأنه عيسى بن مريم قد بعث إلى الأرض فى جسد جديد !

وفى سنة ١٦١٤ تطورت تلك الطريقة إلى حركة إسلامية تنكر نبوة القاديانى ، وتنكر الحكم بالكفر على من يؤمن بالقرآن ورسالة محمد عليه السلام كائنا ما كان الخلاف بينه وبين الشيع الدينية الأخرى ، وتحول إلى هذه الحركة كثير من أتباع القاديانى وكثير من طلاب التجديد بين السنيين والشيعيين ، وظهرت لهم كتب كثيرة ، باللغة الاردية واللغة الإنجليزية فى التبشير بالإسلام ، مع ترجمة خاصة للقرآن الكريم ، وتواريخ موجزة للنبى وخلفائه الراشدين .

وليست تفسيرات هذه الجماعة للكتاب والسنة بالتى توافق مذاهب الفقهاء المتفق عليها ، لأنها تصرف معانى القرآن إلى تأييد أقوال لم تخطر للأولين على بال ، وليست من مقتضيات الدين فى رأى الأقدمين أو المحدثين .

ولكن الحق الذى لا مراء فيه أن هذه الطائفة هى أوفر المسلمين نشاطا ، وأشدهم دفاعا عن العقائد الإسلامية ، وأكثرهم اجتهاداً فى نشر فضائل الدين وأعرفهم بالأساليب التى توجه بها الدعوة إلى العقول الأوربية ، وإلى جماهير المتعلمين فى الشرق والغرب على الإجمال .

وهم يحسنون انتهاز الفرص من الحركات العالمية والدعوات الثقافية حيثما ظهرت فى قطر من أقطار المعمور ، فيدركونها فى إبانها بكتاب يثبتون فيه أن الإسلام أصلح من تلك الدعوة لعلاج المشكلة التى تتصدى لعلاجها ، ويقرنون ذلك دائما بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية والشواهد التاريخية ، وإن فسروها بعض الأحيان تفسيرا لا يقرهم عليه السلفيون أو المتزمتون .

فلما دعا النازيون والشيوعيون إلى « نظام عالمى جـديد » لإنقاذ العالم من معضلاته الروحية والسياسية والاقتصادية بادر كاتب من أقدر كتاب هذه الجماعة إلى تفصيل موقف الإسلام من هذه النظم أو من مذاهب الفلسفة التى تعتمد عليها ، فصدر باللغة الاردية مؤلف قيم لهذا الكاتب القدير — وهو السيد محمد على مترجم القرآن إلى اللغة الانجليزية ، ثم نقله حديثا إلى اللغة الانجليزية فوصل إلينا عن طريق العراق منذ أسبوع .

قرر السيد محمد على فى الصفحات الأولى من كتابه أن خلاص النوع الإنسانى لا يتأتى ولا يعقل أن يكون بغير عقيدة

روحية عاطفية صالحة لتوحيد الناس فى نظام واحد ، يتـكفل بحاجات الضمائر والأجساد ، وأن تقسيم الأرزاق بالأسهم والدوانق والسحاتيت قد ينشىء بين الناس — إذا تيسر — شركة من شركات التجارة وتوزيع الأرباح ، ولـكنه لا يخلق فى الإنسان تلك العواطف النبيلة التى تسمو به على مطالب الجسد ، وتـكبح فيه نوازع الأثرة العمياء وهو مغتبط قرير الفؤاد .

قال : ولم تفلح عقائد الغرب فى إحياء هذه العاطفة الروحية ، لأن أوربة قد انحرفت بالمسيحية عن سوائها ، ولأن المسيحية تعنى بخلاص روح الإنسان فى حياته الأخروية ولا تعرض عليه حلا من الحلول التى تقبل التطبيق فى الحياة الدنيا بين وحدة عالية من جميع العناصر والأقوام ، ولو كانت مسيحية الغرب علاجا لمشـكلات الإنسان فى العصر الحاضر لعالجت تلك المادية الماركسية التى طغت على الروسيا الحديثة واقتلعتها من أحضان الدين والإيمان بالله .

أما الشيوعية فيقول السيد محمد على عنها إنها شر من نظام رأس المال ، لأن شرور هذا النظام تتفاقم كما قل أصحاب رؤوس الأموال ، ومن خطط الشيوعية أنها تحصر رؤوس الأموال فى يد واحدة هى يد الدولة ، وهى نهاية شر على الإنسان من حصر رؤوس الأموال فى يد فرد واحد أو جملة أفراد ، لأن الدولة تصول بالقوة التى لا تقاوم ولا يملـكها الأغنياء بالغا ما بلغ نصيبهم من الثراء . وقصارى الأمر إذا اجتمعت الأموال فى أيدى الحـكومة أن يصبح الحـكام عصبة مستغلة تحل مع الزمن محل الشركات والمصـارف الـكبرى ، وتصول على النـاس بقوة لا تملـكها تلك المنشآت .

لـكن الإسلام وسط بين نظام رأس المال ونظام الشيوعية ، ينفى المساوىء عن النظامين معا ، ويأخذ بالمحاسن منهما بالقدر الصالح للجماعات .

فهو يكره للمسلم أن يكنز الذهب والفضة قناطير مقنطرة ، ويحرم عليه الربا الذى يتيح لأصحاب رؤوس الأموال أن يستغلوا جهود العاملين بغير جهد مفيد ، ثم هو يأمر بالزكاة ويسمح بالملك ، ويطلق السبيل للمنافسة المشروعة ، فلا يقتل فى النفوس دواعى السعي والتحصيل .

وقواعده الخلقية صالحة لإنشاء الوحدة العالمية ، لأنه يسوى بين الأجناس، ولا يرى للأبيض على الأسود فضلا بغير التقوى ، ويعترف للأفراد بالمساواة والحرية ، ويجعـل الحاكم « إماما » يقتدى به ولا يجعله ربا متصرفا بمشيئته فى عباد الله .

ومن هنا يتقرر المستقبل فى العالم الحديث لمبادىء الإسلام ، لأنه يقود العالم كله إلى الخلاص بعد فشل رأس المـال ، وفشل الشيوعية وقصور العقائد الروحية الأخرى عن تدارك أحوال المعاش وتدبير الحلول للجماعات الانسانية فى مشكلات الإجتماع والإقتصاد وما يتفرع عليها من مشكلات الأخلاق والآداب .

والإسلام يحول بين الإنسان وبين الإستغراق فى شؤون المعـاش ومطالب الأجساد ، لأنه يناديه إلى حضرة الله العلى الأعلى خمس مرات فى الليل والنهار ، فلا تطغى عليه النزعات المادية وهو يتردد بين عالم الروح وعالم الجسد من الصباح الباكر إلى أن يضمه النوم بين جناحيه .

وقد دبر الإسلام مشـكلة البيت ، كما دبر مشـكلة السوق والسياسة ، لأنه فرض للمرأة حق الاكتساب ولم يجعلها سلعة تباع وتشرى لإشباع الشهوات ، وربمـا دبرت لها حكومات الغرب صناعات للرزق وأجورا فى حالات البطالة ، ولـكنها لا تدبر لها « البيت » الذى هو ألزم لها من القوت والـكساء .

ومما يؤكده السيد محمد على أن الإسلام يزكى وحدة الزوجة ويفضل هذا الزواج على كل زواج ، إلا أن الشرائع لا توضع لحالة واحدة ، والدنيا كما نراها عرضة لطوارىء الشذوذ والاختلال ، ومن هذه الطوارىء ما ينقص الذكور عدة ملايين ويزيد الإناث بمقدار هذا النقص فى عدد الذكور ، فضلا عن الزيادة التى تشاهد فى عدد النساء من كل أمة على وجه التقريب فى غير أوقات الحروب . وإن تعدد الزوجات فى أمثال هذه الأحوال لخير من البغاء المـكشوف ، فقد قبلت المرأة الأوربية مشاركة الخليلات المعترف بهن وقبلت مشاركتهن فى الخفاء ، وأصبحت هذه المشاركة نظاما إجتماعيا مقرراً لا معنى بعد قبوله وتقريره للاعتراض على تعدد الزوجات الشرعيات ، فهو على الأقل أصون للآداب ، وأكرم للنسل ، وأجمل بمنزلة المرأة من مهانة الابتذال ، وأصلح للاعتراف به فى علاقات المجتمع وقوانين الأخلاق .

آمال نزكيها صحائف مطوية :

المساجد الجامعة

وأثرها في حياة المسلمين وتربيتهم الدينية

للأستاذ أحمد رمزي

يوم أول مايو ١٩٣٣ بأنقرة . طيف وفلسفة ثورة :

كانت دعوة غداء شائقة تلك التي أقامها الأستاذ الكبير توحيد بك السلحدار ، وهو قائم بأعمال المفوضية الملكية المصرية بأنقرة ، لشرف حمد الله صبحي بك ، وزير تركيا المفوض في رومانيا بمناسبة وجوده بالعاصمة التركية ، فجلس في صدر المائدة وعلى يمينه الوزير المحتفى به ، وأمامه السيدة زوجة روشن أشرف بك ، وعلى يمينها صاحب السمو الملكي الأمير زيد بن الحسين وزير العراق المفوض بتركيا ، ثم تلا ذلك ترتيب مقاعد غيرهم من المدعوين . وامتازت هذه الدعوة على غيرها من الدعوات ، بما دار فيها من الأحاديث الشائقة التي اهتم كل من الحاضرين بتتبعها وبالإصغاء إليها ، وحرصت من جانبي على تدوين بعضها .

وكان ذلك في يوم الاثنين الموافق أول مايو سنة ١٩٣٣ ، ولم يكن اختيار هذا اليوم بالذات موضع تفكير وإنما جاء وليد المصادفة . وما أدراك ما أول مايو ، هو يوم عيد لطوائف العمال من مختلف الأجناس والألوان ، علمنا بمقدمه من العلم الأحمر الذي كان يرفرف على بناء سفارة السوفييت ، إذ كانت حكومتهم أول دولة اعترفت رسمياً بهذا العيد وكانت بنايتهم أمامنا .

أما وكالات الأنباء والإذاعة فأخذت تتحدث عن الاجتماعات والخطب والمظاهرات التي سينفرد بها أول مايو . وأذكر أنني اعتكفت في صباح ذلك اليوم فراجعت بعض مؤلفات « كارل ماركس » وصاحبه « انجل » وقلبت بين يدي صفحات مما كتبه رأس الثورة الروسية « لينين » وكنت مشغوفاً به لدرجة أنني بحثت عن المنزل الذي كان يقيم به في مدينة زوريخ من مدن سويسرة الألمانية ، وتعرفت على المقعد الذي كان يجلس عليه في قاعة المطالعة بمكتبة جامعتها ، ولكثرة ما قرأت عنه وعن حياته لم تعد شخصيته غريبة عني ، وكان من تكرر ما رأيته من صوره في أوضاع مختلفة أن ثبتت صورته في مخيلتي ، فإذا وضعت ذلك بجانب الكتب التي قرأتها عنه بمختلف اللغات صدق قول الأديب العربي : « والبحر وإن لم أره ، فقد سمعت خبره » فهو أمامي كما تلوت في كتبه ، برأسه الكبير وعينيه الصغيرتين الحادتين وفمه الجبار وبروز عظمتي الوجنتين وهذا الإسم الذي يحمله(١) ، أجدها دائماً مشاهد تؤكد لي أصله الأسيوي المغولي المنحدر من سلالة الفاتحين التتار الذين سادوا أنحاء روسيا مدة قرون طويلة ، وصبغوها بلونهم وتركوا فيها آثارهم ودماءهم . وليس في هذا ما ينقص من قدر الزعيم الروسي والمعلم الشيوعي ، إن لم يكن في ذلك ما يزيد من قدره وما يرفع من شأنه كبطل أسيوي عالمي .

قلت خلوت صباح ذلك اليوم لنفسي وأطلقت لها العنان تحلق كما تشاء ، فأخذت أنتقل بالمطالعة من كتاب إلى كتاب غير مقيد بنظام أو قاعدة ، والوقت يمر سريعاً حتى وقع ناظري على جملة تقول : « هذا عصر تنظيم الجماعات وقيادة وتوجيه الحركات الشعبية الكبرى ، عصر عمل ونشاط وخلق وتصميم أكبر مظاهره سيطرة الإنسان بيديه القويتين على قوانين الطبيعة وإخضاعها لمشيئته وإرادته . تعالوا إلى الفلسفة المادية وارجعوا إلى المنهج التاريخي لكي تتفتح أذهانكم لآفاق بعيدة . إننا لا نؤمن بالعاطفة إلا إذا احتجنا اليها لمحاربة الجمود والرجعية ولتحطيم الأصنام المزيفة . »

(١) أولو يانوف . والجزء الأول منه تترى .

والكتاب لطيف الحجم لا يتجاوز مائة وخمسين صفحة من كتب اللغة الإنجليزية الصغيرة ، ولكنه واف بموضوعه متقن في أدائه واستدلاله ، ولا نعده من كتب التبشير التي تراد بها الدعوة بين الأمم الأوربية وكفى ، فقد يحتاج المسلم لقراءته والتأمل في مراميه ، ليعلم أن المذاهب المادية والدعوات السياسية التي تتمخض عنها أفكار المبشرين بالإصلاح في أوربة وأمريكا لا تحتوي من أسانيد الإقناع ما هو أقوى وأجدر بالتأمل من هذه الأسانيد .

عباس محمود العقاد

إيمانه تظهره جرأة ، وجرأة يدعمها علم :

وبينما أنا أقرأ هذا الكلام ، إذ قرع حاجب المفوضية الباب ودعانى لاستقبال الضيوف مع أستاذنا الكبير ، فقمنا للترحيب بهم . وبعد برهة اجتمعوا ودخلنا حجرة المائدة ، وقد رتبت أحسن ترتيب يدل على ذوق الداعى واهتمامه بالصغيرة والكبيرة من تنسيق واختيار وتدقيق فى كل ما يقدمه لضيوفه . وما بدأت الخدمة حتى أخذ الحديث حمد الله صبحى ضيف الشرف ، وهو محدث من الطبقة الأولى يتناوله بأسلوب عذب وصوت هادىء ويعبر عن آرائه بالفرنسية وبالتركية ، فتكلم عن أمور مختلفة ، وأشياء متعددة ، ولفت الأنظار حينما أخذ يتحدث عن حياة المسلمين فى رومانيا ، فأحاط بما هم عليه فى وقته وما كانوا عليه فى الماضى وما تنبأ لهم به فى المستقبل ، وأشار إلى اللغة المستعملة فى رومانيا وكيف تأثرت بالألفاظ التركية التى امتزجت بها ، وكثير من هذه الكلمات عربى الأصل ، دخلت وأصبحت من لغة يتكلمها الملايين من الناس ، ثم عدّد مساجدهم وعلماءهم وما هم عليه من التمسك بدين الإسلام وما يلقونه من حرية العقيدة والتسامح فى القيام بشعائرهم الدينية ، بغير حرج ولا ضغط عليهم .

ثم رأيته انتقل فجأة لموضوع شائك وعر المسلك لا يجرؤ أحد من الأتراك أن يخوض فيه وقتئذ ، فقال : « إن الدين لازم لكل أمة وفى كل عصر » ثم استشهد بعقلية الشعب اليونانى الحديث ، فقال : « إن هذا الشعب الذى يجاورنا ونجاوره ويعاصرنا ، يستمد إلهامه ومثله العليا من ثلاثة منابع : تاريخه القديم ، وعصر بيزنطة والدين الأرثوذكسى . فهذه دعائم ثلاث لتفكيره ولمثله العليا ولحياته » .

وهنا التفتت السيدة زوجة دوشين أشرف بك ، وكان زوجها نائبا بالمجلس الكبير ثم وزيراً مفوضاً وسفيراً ، وهو كاتب من ألمع كتاب الأتراك وأدبائهم ، وسبق أن شغل منصب الأمين العام لرئاسة الجمهورية فى أول عهد الغازى كمال أتاتورك ، فأبدت الكثير من الشك فى أقوال الوزير التركى وكان مما قالته : « هناك أشياء أخرى غير الدين ومبادئه ، تستلهمها الأمم فى حياتها وجهادها ونهضتها ، ثم ما هو الدين ؟ أليس هو المثل الأعلى الذى يكونه الفرد منا لنفسه » ، وعبرت عن المثل الأعلى باللفظ التركى المستحدث .

أما حمد الله بك فاستمر فى حديثه لا يبالى بالرد على ما يوجه إلى كلامه من اعتراض ، وكان صوته يعبر عن إيمانه العميق وشعوره بالألم والحسرة ، فخرجت كلماته وهى تلهب الصدور ، ولذلك بقيت عالقة بأذنىّ ، قال : « نحن معاشر أهل الإسلام فى أشد الحاجة إلى ما أسميه تربية المسجد ، وأقول بكل أسف إن المسجد لا يلعب فى حياتنا الدور الذى تقوم به الكنيسة فى حياة المسيحى أو المعبد فى حياة الإسرائيلى ، ونحن أحوج ما نكون إلى رجل الدين الذى يوفّق بعلمه وروحه وشخصيته وجرأته لأن يحيط المسجد أو الجامع بهالة من القدسية والاحترام ، وأن يتخذه مركزاً لعمله الروحى والاجتماعى ، الرجل الذى يمكن أن يطمئن الناس إليه فى تربية النشء وتثقيفهم وتلقينهم قواعد الدين الصحيح وأسسه وفضائله . إن المساجد بيوت الله وبيوت العبادة وبيوت المسلمين ، فيجب أن تتجه أنظارهم إليها وأن تجمعهم وقت الصلاة وفى أعيادهم ومناسباتهم المفرحة والمحزنة ، وأرى أن تربية المسجد عنصر أساسى من عناصر نهضة المسلمين » .

وأخذ يشرح هذه الناحية بوجهة نظر جديرة بكل اعتبار وتقدير ، ويؤيدها بمنطق الرجل المسلم الشاعر بأهمية العمل الروحى ، والمؤمن إيماناً لا يتزعزع بقوة المبادىء والدوافع التى قامت عليها الرسالة المحمدية .

وكنا نشعر وقتئذ بما بين تركيا وروسيا السوفيتية من علائق الود والصفاء والتحالف ، وكنا نعرف أشياء عن محاربة البلاشفة للعقائد ولنظام الأسرة ، وكان الأتراك يقلدون الروس فى أشياء ، ولكن حمد الله بك صرح بما يعتقد أنه الصواب بقوله « لا يمكن لمجتمع بشرى يحترم نفسه أن يحارب الأسرة ، إذ هى الرابطة الأساسية الأولى التى تصل بين الفرد والمجتمع وبين الطبيعة البشرية وبين المادة والروح » .

كنا نستمع إليه جميعاً ونحن نسلم بأن هذه الكلمات تخرج من وحى إيمانه وعقيدته فهى ليست من قبيل المجاملة ، بل نتيجة

تفكير طويل ورأى ناضج . وكان يتحدث عن الشعب التركى حديث رجل يفيض قلبه بمحبة هذا الشعب الإسلامى الكبير ، كما يتحدث والد عن أعز بنيه أو أحب شيء لديه . وكان وطنياً بغير تعصب ، قومياً مع سعة صدر . وإذ كرأنه ختم كلامه بقوله : « ليس أصعب على السياسى أو التصدر لقيادة نهضة أمة وهى فى غمرات تحررها ويقظتها ، من أن يلقنها كيف توفق بين الشعور بالوطنية الصحيحة ومراميها وأهدافها المشروعة وما يلابسها من حماسة وتطرف ، وبين الإيمان بمحبة الأمم الأخرى والأخذ بالتساهل معها والشعور بأهمية العمل فى حقل التعاون الدولى وما يتطلبه من تفاهم وتساند » .

إن قليلين من رجال السياسة الذين استبقوا حوادث الزمن ونظروا هذه النظرة ، وأن هذا المبدأ من المبادىء التى تحاول أن تحققها الأمم بعد الحرب العالمية التى انتهت أخيراً ، ولكنى أنقلها كما هى من مذكرات عام ١٩٣٣ .

من هو الرجل ؟

إلى هنا انتهى حديثه ، وانفض بعد ذلك جمع أناس من أهل الرأى والفضل ، كان أستاذنا الكبير توحيد بك السلحدار يعرف كيف يجمعهم فى دار المفوضية ، حينما مثل مصر تمثيلا عالياً ورفع من شأنها ، وجعلها موضع احترام الأمة التركية وحكومة الجمهورية ، فكان أول ممثل لدولة أجنبية جاء إليه رئيس الدولة ، وعُدّ ذلك بين الأتراك ورجال السلك الأوروبى وبين من يفهم من الناس ، أكبر توفيق حصل عليه ممثل دبلوماسى لمصر منذ أنشئت علاقات سياسية بين المملكة المصرية والجمهورية التركية .

وتعجب معى كيف يتحدث حمد الله صبحى بهذه الشجاعة وكيف يجاهر بآراء لا تتفق مع الرأى السائد لدى السلطات العليا بتركيا ، ولكن الرجل القوى المخلص لمبادئه لا يبالى بأن يجهر بما يقول وبما يشعر ، وكان حمد الله بك عالماً فاضلا ، والعلم قوة دافعة تسبغ على صاحبها شجاعة وجرأة وثباتاً ، وكان تاريخه نقياً صافياً ، فقد خدم بلاده أجل الخدم ، يوم كان زعيما لحركة « التورك أوجاغى » وهى التى أيقظت غريزة الشعور القومى لدى شباب الأتراك ، ونفخت فيهم روحاً جديدة ، ومهدت الطريق لثورة مصطفى كمال التى قادتهم إلى حرب الاستقلال ، فهو رجل من صميم الشعب ، خرج من صفوفه وأمضى السنوات يعلم الشعب ويلقنه ويقوده ، ولما اختلفت وجهة النظر بينه وبين الغازى سلم لرئيس الجمهورية مقاليد الحركة ، التى أمضى عشرات السنين فى بنائها وقنع بمنصب دبلوماسى خارج بلاده ، ولكنه يحن إلى الشعب التركى ويتحدث بفضائل الإسلام ويأبى أن يفرق بين الترك والإسلام ، ويجاهر بما يعتقد ولا يخشى إلا الله ، وتلك منزلة لا يرقى إليها كل الناس كما نعلم ونلمس لدينا .

كان ذلك فى عام ١٩٣٣ وها نحن فى عام ١٩٤٦ ، وقد مضت السنوات وتغيرت الأيام ، وتبدلت الأوضاع ، وبينما أكتب مقالا للرسالة عن مساجد الفسطاط ، وجدت مجلداً من مذكراتى اليومية ، فإذا أنا أمام حديث حمد الله بك عن تربية المسجد . فرأيت أن أنقله كما هو وأن أعلق عليه بما دار فى خلدى طول السنين الماضية ، وأجعله تتمة لحديث الفسطاط ودمعتها الغالية على مساجدها وآثارها .

***

« يأيها النبى بلّغ ما أنزل إليك من ربك ، وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته والله يعصمك من الناس » (المائدة)

بهذه الآية الكريمة خاطب الله رسوله صلوات الله وسلامه عليه ، وأدى النبى رسالته ، فهل اتبع المؤمنون سنة رسولهم ، وقاموا بتبليغ الأمانة التى حملوها فى هذا العصر الذى نعيش فيه ؟

إن الرسالة المحمدية للعالم قائمة ، فإذا أداها أصحابها ، نشروا بين الخلق تعاليم ومبادىء ودوافع تنفخ فيهم روحاً جديدة ، وتكون كشعلة لا يلبث ضياؤها أن يزيد يوماً بعد يوم حتى تعم أجزاء الأرض فتؤثر فى حركة العالم وسيره وتطوره ، وفى تكاتف الأمم وتساندها وإخراجها من الظلمات إلى النور .

هذا هو إيمان كل مسلم دخل فى زمرة طائفة المؤمنين ، وهذه آماله نعبر عنها ، ونحن على ثقة منها ؛ ولكن كيف الوصول إلى تحقيق ذلك ؟

(البقية فى العدد القادم)

أحمد رمزى
القنصل العام السابق لمصر بسوريا ولبنان

منطق الدماء البريئة

فى يوم الجلاء

للأستاذ سيد قطب

أيّا كان الألم الذى يعتصر قلب كل مصرى لمنظر الدماء البريئة تراق ، والأرواح الطاهرة تزهق ، والبيوت العامرة تخرب ، وقلوب الآباء والأمهات تقطر دماً على فلذات الأكباد تخرج فى الصباح ولا تعود فى المساء !

أيّا كان هذا الألم الدافق الحار فى حنايا كل مصرى لتلك الدماء البريئة التى أريقت فى « يوم الجلاء » الذى أرادته الأمة المسالمة تعبيراً بريئاً عن الحق الطبيعى فى إبداء الشعور ؛ وأراده المستعمرون القساة ، معركة دموية تهرق فيها الدماء !

أيّا كان هذا الألم ، فإن له ثمنه الذى لن يضيع . فالدم هو عربون الحرية فى كل زمان ومكان ، والاستشهاد هو ثمن الكرامة على تغير الأزمان ، وإن لليوم لغداً ، وإن للحرية لفجراً ، وإن النصر لآت !

لا ، بل إن ثمن تلك الدماء البريئة لحاضر ، وإنا لنقبضه الآن إن لتلك الدماء البريئة لمنطقاً واضحاً صادقاً ، يكذب ويجبه أولئك الكتاب المصريين والعرب أجمعين الذين وقفوا يناصرون الإنجليز فى محنتهم ، ويدعون لهم فى أمتهم ، ويقربونهم إلى قلوب مواطنيهم ، مأجورين أومخدوعين . فالمخدوع فى حق أمته لا يبعد كثيراً عن المأجور .

وإن لتلك الدماء البريئة لمنطقاً واضحاً صادقاً يكذب ويجبه ، أولئك الزعماء والساسة من المصريين والعرب أجمعين ، الذين وقفوا يناصرون الإنجليز فى محنتهم ، ويؤدون لهم جميع الخدمات التى تكفل النصر ، دون أن يحصلوا فى ذلك الوقت حتى على وعد قاطع بالجلاء ، اعتماداً على شرف الضمير السياسى البريطانى المزعوم!

إن ثورة واحدة مدة ثمان وأربعين ساعة ، إبان معركة العلمين ، وتوالى الأمداد والذخائر ، ثورة واحدة تعطل المواصلات ، كانت كفيلة بترجيح كفة النصر ، وانقلاب وجه الحرب كلها — باعتراف القادة البريطانيين والأمريكان فى هذا الأوان — ولكن مصر لم تمطها ، وثوقاً بشرف هذا الضمير المزعوم . ولم تنتفع بهذا الظرف فى قضيتها الوطنية ، ضعفاً ، أو جهلا ، من الساسة والزعماء المصريين !

ولقد ظل هؤلاء جميعاً : الكتاب المأجورون ، أو المخدوعون . والساسة الضعفاء ، أو الجهال ... ظلوا يسكبون فى سمع الأمة المصرية ، والأمة العربية كلها ، منطقاً زائفاً مدخولا عن الديمقراطيات الغربية ، وعن الضمير البريطانى ، وعن ميثاق الأطلنطى ، وعن الحريات الأربع ، وعن الحرية والإخاء والمساواة ، إلى آخر تلك الخدع الماكرة اللئيمة ، التى ألقاها الأقوياء للضعفاء ، فتلقفها هؤلاء ، وغنوا بها كالببغاء !

ظل هذا المنطق البائس المجرم يسكب فى سمع الأمة ، حتى انبعث أخيراً ذلك المنطق الحق الصارم ، الذى لا عوج فيه ولا خفاء . . ذلك منطق الدماء !

انبعث هذا المنطق من جراحات الجرحى ، ومن طعنات القتلى ، فى ميدان الاسماعيلية ، وانطلق كذلك من أفواه البنادق الآثمة ، التى دوّت بالموت والجراح ، فى الأبدان والأرواح . فغطى هذا المنطق الحاسم الصارم ، على ذلك المنطق المريب المكذوب ، الذى ظل الكتاب المأجورون أو المخدوعون ، والساسة الضعفاء أو الجهلاء ، يسكبونه فى سمع الأمة ستة أعوام !

وإذا كان المنطق الزائف البائس ، قد وصل إلى سمع الأمة ووقف هناك ، فلقد اخترق المنطق الحق الحاسم سمعها ، واستقر فى قلبها ، وردده ضميرها ... فهيهات هيهات أن تخدع بعد اليوم ! وهيهات هيهات أن تنسى منطق الدماء !

انتهينا ... انتهينا أيها الحلفاء ! ! !

لقد قبضنا اللحظة الثمن الغالى لتلك الدماء ! !

قبضناه وعياً وصحواً لن تخدرهما المخدرات ! قبضناه حزماً وعزماً لن تفلهما المغريات ! قبضناه احتقاراً ومقتاً لكل تلك الدعايات ! !

***

الحمد لله . لقد انكشف الغطاء !

انكشف فى مصر فى يومين خالدين فى تاريخها الحديث ،

على ما يثيران من ألم فاجع فى صدور المصريين أجمعين : يوم ٤ فبراير المشؤوم . ويوم الجلاء ... المضمون !

وانكشف فى لبنان يوم انقضت السلطات الغاشمة الفرنسية على رئيس الجمهورية ووزراء الجمهورية ، فأودعتهم بطون السجون!

وانكشف فى سورية يوم انطلقت المدافع المتبربرة تصب حممها على دمشق ، وتنثر الأشلاء ، وتقتل المجاهدين الأبرياء !

وانكشف فى فلسطين ، يوم قام « ترومان » يطالب بفتح أبواب الهجرة لمئة ألف من اليهود ، وقام « بيفن » يسحب كلمة « الشرف » فى الكتاب الأبيض ، ويبيح الهجرة للصهيونيين !

وانكشف فى أندونسيا يوم قامت القوات البريطانية ، تقتل الأندلسيين المسلمين ، وتسلط عليهم الفرق اليابانية ، وتزعم أنها جاءت لتجريد الجنود اليابانية !

إن النضال بين الشرق والغرب فى الحقيقة يثيره الإنجليز والأمريكان والفرنسيون والهولنديون ، على الشرقيين عامة ، والبلاد الإسلامية على وجه الخصوص

هذه عقيدة يجب أن تستقر فى ضمائر الشرقيين . فى ضمير الهنود والأندونسيين والمصريين والسوريين واللبنانيين والعراقيين والحجازيين والنجديين والفلسطينيين والطرابلسيين والجزائريين والتونسيين والمراكشيين ... وهم كما يرون حشد عظيم ، حين يواجهون الاستعمار الغربى متكاتفين .

إنه النضال ... والويل فيه للمتخاذلين !

***

وبعد ...

فبوركت هذه الدماء الزكية التى كشفت عن عيوننا القناع! بوركت هذه الدماء التى أسكتت بمنطقها الحق الواضح ، كل منطق مبهرج أو مدخول!

لقد ارتفعت صيحة الجلاء البريئة ، فقوبلت بصيحة الرصاص الأثيمة . هذا منطق ، وذلك منطق . ولقد شهدت الإنسانية فى مواقع كثيرة انتصار الصيحة الأولى مهما بدت ضعيفة ، على الصيحة الثانية مهما بدت عنيفة . بل لقد شهدنا نحن انتصارها فى عام ١٩١٩ .

هنالك فارق واحد بين الموقعتين :

فى سنة ١٩١٩ كان على رأس الأمة سعد زغلول ، ولم يكن هذا الرجل يعرف ذلك المنطق المخنث الضعيف . منطق الثقة بالضمير البريطانى المزعوم . وكان الشعب مثله لا يقر مثل هذا المنطق المضحك فى تلك الظروف !

فيا أيتها الأمة !

اعرفى طريقك ، واعرفى زعماءك ، واعرفى أبناءك !

انبذى كل من يحدثك عن ثقته فى الضمير السياسى البريطانى . فالضمير السياسى البريطانى هو هذا الذى يضربك بالرصاص ، لأنك تهتفين هتافاً سلمياً بالجلاء ! والذى يدعوك من أبنائك إلى الثقة بهذا الضمير ، يطعنك أشد من طعنات الرصاص ، لأنه يطعن ضميرك ، وهو ملاذك الأمين !

أيتها الأمة !

لقد هتفت مرة بالجلاء ، وإنه لهتاف مطرب رخيم ، وهتاف شريف كريم ... فاهتفى أيتها الأمة بالجلاء ، وصفقى لمن يهتفون معك به من الساسة والزعماء ، على أن تكونى أنت الرقيب عليهم فيما يقولون وفيما يفعلون !

سيد قطب

مقالات في كلمات

للأستاذ على الطنطاوى

١ – حرية الكتابة

لست أدعو فى هذه الكلمة إلى سلب الكتاب حرية الكتابة ، ولكنى أدعو الى الإبقاء على حرية الناس فى التدين والتخلق بكريم الأخلاق . وإن لكل حرية حدوداً ، لا ينبغى لها أن تعدوها ، وإلا كانت حرية المجنون الذى يفعل ما شاء وشاء له الجنون . أنت حر فى دارك ولكنك لا تستطيع أن تتخذ منها أتوناً للفحم ولا ماخوراً للفجور ، ولا تستطيع أن تحرقها أو تنسفها بالبارود . وأنت حر فى نفسك ولكنك لا تقدر أن تبسط سفرتك فتأكل فى المحراب يوم الجمعة والناس فى الصلاة ، ولا تقدر أن تلق الصحون وتصلى على المائدة ساعة الوليمة فى الحفل الحاشد ، أو أن تحضر المحاضرة بلباس الحمام ، أو أن تصرخ فى المستشفى أو تغنى فى المأتم . وأنت حر فى قلمك ، ولكنك لا تملك أن تدعو إلى هدم استقلال وطنك ، والخروج على قوانين بلادك . إنهم يمنعونك ويسكتونك ويضربون إن فعلت على يدك .

فلماذا لا يمنعونك أن تكفر بالله ، وتهدم الأخلاق ، وتخرج الناس على الدين ، والأخلاق أساس الاستقلال والدين أولى من القانون ؟ وكيف صح ذلك المنع ، وساغ ، ولم يمس حرمة هذه الحرية ، ولم ينل من قدسيتها ، ولا يصح هذا ولا يسوغ ولا يكون إلا عدواناً على حرية الكتابة ، وإلحاداً فيها .

أو ليس من عمل الحكومة الذى كانت من أجله الحكومات أن تقر الأمن والسلام فى الأمة ، وتضمن لها العزة والسيادة بين الأمم ؟ إنه لا يكون أمن أو تكون عزة إلا بالخلق المتين وبالدين ، فإن ذهبا لم يخلفهما شىء ... وما القانون ؟ هو الشرطى ... فإن أمن العاصى أن يراه الشرطى أو يدرى به القاضى ، أو يناله العقاب ، ركب فى طريق الغواية رأسه فلم يرده شىء ، أما المؤمن فيردعه عن المعصية علمه أن الله مطلع عليه فى سره وعلنه ، وأما صاحب الخلق فربما رده خلقه ، وعصمه الله به ، فلماذا نهدم بأيدينا هذين الحصنين ، وندع الضعف والهوان يدخلان علينا بدخول الإلحاد والفجور .

أو من العدل أن تحفظ الحكومة أموال الناس من اللصوص وتضيع عقائدهم ؟ وتحمى جسومهم من القتلة وتبيح قلوبهم ؟ وتقيم الحراس يحرسون البيوت والأثاث وتدع أعراض البنات وأخلاق الصبيان هملا يسرقها ويعبث بها ، كل صحفى مفسد ، وشاعر ما جن ، وكاتب خبيث ؟

سيقولون : حرية الكتابة ...

نعم إنها حرية ينبغى أن تصان وتضمن ، ولا يعتدى عليها ، ولا ينال منها ، ولكن الدين والأخلاق ، ينبغى كذلك أن يصانا وأن يضمنا ، وألا يعتدى عليهما ولا ينال منهما ، فإن تعارض الأمران ، فلنحتمل أخف الضررين ، ولنقبل بأهون الشرين ، وأهونهما أن نخسر حرية الكتابة (أحيانا) لنحفظ الدين والشرف ، لا أن نخسر الدين والشرف لنحفظ (حرية الكتابة) ، ونقول لكل صاحب نحلة ضالة ، أو هوى خبيث ، أو رأى هدام : اكتب ما تريد ، واطبعه ، وهاته نقرأه على أبنائنا وبناتنا ، ونصبه فى عقولهم وننشئهم عليه !

ونحن اليوم فى مطلع حياة جديدة ، وقد غيرت هذه الحرب المقاييس ، وبدلت قيم الأشياء فى أفهام الناس ، وكانت امتحاناً قاسياً للأمم ، لم تنجح فيه أمة فشا فيها الفجور ، وعمت الفاحشة وضعفت الرجولة ، ونسيت العقيدة ، ولن يدوم نجاح لأمة لا تزال تستهين بالعفاف ، وتميل إلى المجون ، وتؤمن بالكفر ... وحسبنا فرنسا مثلا معروضاً لكل ذى عينين تبصران وعقل يفكر ، فلنعتبر بغيرنا قبل أن نصير عبرة للمعتبرين ، ولتفهم حكوماتنا ، أنه لا حياة لنا إلا إذا أنشأنا من أبنائنا جيلا مؤمنا متين الخلق ، ظاهر الرجولة ، مقبلا على الجد ، عارفا بالواجب عليه ، فإذا تركت الحكومات الصحفيين والكتاب (أعنى بعضهم) ينقض كل يوم حجراً من صرح الأخلاق ، ويوهى جانباً ، وينشر فى الناس حديث الشهوة البهيمية ، ويستكثر من القراء بإثارة أحط الغرائز البشرية ، لم ننشىء والله إلا جيلا رخواً ضعيفاً ، همه شهوته ، ومطلبه لذته ، قد ضاعت رجولته ، وذهبت قوته ... ثم نبنى بهذا الجيل مجدنا ، ونقيم عزنا ، ونأخذ بين الأمم مكاننا !

إن المسألة أكبر من أن نلوك فيها هذه الألفاظ (حرية الكتابة) و (حرية الفكر) ... إنها مسألة حياة أو موت !

٢ — أمثلة على حرية الكتابة

وما فى نشر الفاحشة صعوبة ، ولا يحتاج إلى عبقرية أو بلاغة أو أدب أو نبوغ ، وحسب الرجل أن ينشر فى كتاب ما يطوى فى الخلوة ، أو أن يظهر فى صورة ما يستر من العورة ، حتى ينال منه ما يريد .

فتجرأ الناس على الأدب ، واقتحموا حماه من غير أن يعدوا لذلك عدته من وقوف على اللغة وأساليبها ، واطلاع على صرفها ونحوها ، ونظر فى رسائل بلغائها ودواوين شعرائها . وفيم هذا العناء كله ، وأدب الشهوة ، لا يحتاج إليه ، ولا يعتمد عليه ؟ وما هى إلا سهرة فى الخمارة ، أو ليلة فى (المرقص ···) حتى تجمع أسبابه كلها ومقوماته .

طبع فى دمشق منذ سنة كتاب صغير ، زاهى الغلاف ناعمه ملفوف بالورق الشفاف الذى تلف به علب (الشيكولاته) فى الأعراس ، معقود عليه شريط أحمر كالذى أوجب الفرنسيون أول العهد باحتلالهم الشام وضعه فى خصور (بعضهن) ليعرفن به ، فيه كلام مطبوع على صفة الشعر ، فيه أشطار طولها واحد ، إذا قستها بالسنتيمترات .. يشتمل على وصف ما يكون بين الفاسق القارح ، والبغى المتمرسة المتوقحة وصفاً واقعياً ، لا خيال فيه ، لأن صاحبه ليس بالأديب الواسع الخيال ، بل هو مدلل ، غنى ، عزيز على أبويه ، وهو طالب فى مدرسة . . . وقد قرأ كتابه الطلاب فى مدارسهم ، والطالبات .

وفى الكتاب مع ذلك تجديد فى بحور العروض ، يختلط فيه البحر البسيط بالبحر الأبيض المتوسط ، وتجديد فى قواعد النحو لأن الناس قد ملوا رفع الفاعل ، ونصب المفعول ، ومضى عليهم ثلاثة آلاف سنة وهم مقيمون عليه ، فلم يكن بد من هذا التجديد . ومع ذلك فقد قرأنا فى الجرائد من نحو شهر ، أن صاحب هـذا الكتاب ، قد دعى إلى محطة الإذاعة فى القاهرة ، ليذيع منها شعره ، رغبة منهم بنشر الأدب السورى ، وتوثيقاً للتعاون الثقافى بين الأقطار العربية !!..

وها كم مثالا آخر ، هو الكتاب الذى صدر فى دمشق منذ عهد قريب ، واسمه (مختصر تاريخ الحضارة العربية) ، وقد وضع لطلاب المدارس الثانوية ، ونصف مباحثه ، فى القرآن وعلومه ، والحديث وفنونه ، والفقه أصوله وفروعه ، والكلام ، والفرق الإسلامية وعقائدها ، والذى راع صدور العلماء لما فيه من التخليطات التى يكفر بمثلها المؤمن ، ويجهل العالم ، ويضحك منه على ذقن قائله ، وألف مفتى الجمهورية لجنة للنظر فيه ، فنظرت فوجدت فيه من الغلطات ما لا ينتهى العجب من صدوره ممن ينتسب إلى العلم ولو من وراء خمسة جدود . . فكان مثال مؤلفيه فيه — كالنحوى إذا ألف فى علم التشريح ، والكيميائى إذا كتب فى فن التمثيل .

على أن النظر فى الغلاف إلى اسم مؤلفيه يبطل هذا العجب ، لأن أحدهما اسمه جورج حداد — والآخر اسمه من أسماء المسلمين ولا أعرف عنه ولا عن زميله شيئاً ، ولكن أبحاث الكتاب تدل على أن هذا المسلم أجهل بعلوم المسلمين من الخواجه جورج ! إنها (حريَة الكتابة) ، فليتعلم طلابنا الأباطيل على أنها حقائق ، والأوهام على أنها الإسلام ، ويحفظوها ليؤدوها يوم الامتحان ، ما دامت هذه الحرية مصونة ، والكلام فى الحد منها عدوان على الفكر المقدس .

(دمشق) **على الطنطاوى**

الأدب في سير أعلامه :

ملتن ...

[القيثارة الخالدة التي غنت أروع
أناشيد الجمال والحرية والخيال ...]

للأستاذ محمود الخفيف

– ٢ –



بين عهدين : منشأ البيوريتانية

وما ذلك المذهب الذي جر على أتباعه كراهة مخالفيهم زمنا ، والذي قدر له آخر الأمر أن يظفر بخصومه جميعا ويسيطر على البلاد حقبة من الزمن ؟

إذا أردنا أن نعرف كيف نشأت البيوريتانية في إنجلترة ، وجب لنا نرجع إلى تلك الحركة التي انبعثت في أوروبا في أوائل القرن السادس عشر ، والتي اصطلح المؤرخون على تسميتها الإصلاح الديني ، فني هذه الحركة الإصلاحية أرومة البيوريتانية ، على أن نراعي في نظرنا إلى حركة الإصلاح الديني مشاعر الإنجليز التي هي نتيجة ما أحدثته بينهم من أثر في ميولهم ومناحيهم وفلسفة حياتهم ؟ لنتبين كيف استجاب فريق منهم لدعوة الإصلاح ، وسوف نرى من ذلك أن استجابة هذا الفريق على نحو اختصوا به هو روح البيوريتانية ؛ فما كانت البيوريتانية في إنجلترة إلا صورة معينة من صور الإصلاح الديني العام الذي شملت دعوته أوروبا في النصف الأول من القرن السادس عشر .

كانت هذه الحركة الإصلاحية ثمرة من ثمار النهضة الأوروبية العامة ومظهرا من مظاهرها ، فقد نفذ نور النهضة إلى كل ركن من أركان الحياة ومنها الدين ؛ وما كان لوثر بطل الدعوة الإصلاحية في ألمانيا وأول رجل تحدى البابوية إلا معبرا في الواقع عن معان وآمال كانت تهجس في نفوس كثير من المفكرين غيره ، وإنما كان له فضل البدء والسبق في مضمار الجهاد ، وكان بدء دعوته سنة ١٥١٧ .

وكانت دعوة لوثر في جوهرها ثورة على دعوى البابوية أنها تحكم مفوضة من الله في أمور الدين والدنيا ، وعلى امتيازات القساوسة وأطماعهم ، وعلى ما ورثته المسيحية من مظاهر الوثنية القديمة ؛ فهي من ناحية وثبة على سلطان الكنيسة ، ومن ناحية أخرى رغبة في العودة بالدين إلى جوهره الخالص من شوائب البدع والضلالات ...

رأى لوثر أن في وسع كل مؤمن أن يتصل بربه مباشرة لا عن طريق قسيس كما تزعم الكنيسة ، بل إن في وسع كل امرىء أن يكون قسيسا إذا أخلص قلبه لله . وأنكر لوثر عقيدة الكنيسة في العشاء الرباني إنكارا شديدا ، فما يقبل عقله أن صلاة القسيس لدى قربان من الخبز والنبيذ على المذبح تحيله فعلا إلى مادة المسيح نفسه لحما ودما . وطعن لوثر أشد الطعن على زعم البابا أنه يملك الغفران والحرمان ، وسخر أعظم السخرية من بيع الكنيسة صكوكا تمحو الذنوب والآثام . وخطا لوثر خطوة إيجابية فترجم الإنجيل إلى الألمانية ، وطلب إلى الناس أن يكون مصدرهم الإنجيل وحده لا تعاليم الكنيسة . وتداول الناس قراءة الكتاب المقدس بأنفسهم ولم يأخذوه عن القساوسة وشاع فيهم هذا الكتاب عامّهم وخاصّهم بفضل ما استحدث من وسائل الطباعة فرأوا مبلغ ما دخل على الدين من زيف ، وعجب الناس إذ وجدوا في الإنجيل أن القديس بطرس نفسه لم يعصم من الخطأ وأنه أنب على أخطائه . وإذا كان هذا شأن بطرس القديس فما بال

رجال الدين ، وقد بعدوا عن المسيح وعهده هذا البعد الزمنى ، يزعمون العصمة لأنفسهم من الأخطاء !

وأمعن لوثر فى إظهار مبلغ ما صار إليه رجال الدين من إقبال على الدنيا وبعد عن الزهد ، فما يهم الرجل منهم إلا جمع الهبات والصدقات ، وإنهم ليديرون الأراضى الموقوفة على الكنيسة منذ الأقطاع ، ويشغلون أنفسهم بأمور دنيوية بحتة ، ويتدخلون فى الشؤون السياسية يطمعون أن تكون لهم سلطة كما للأمراء سلطة ، حتى لقد نسوا رسالتهم الروحية ولم يبق لهم من الدين إلا مظهر يتجلى فى ملابسهم وفيما يشخصون فيه من طقوس الأدعية والصلوات وما إليها مما لا يعد من جوهر الدين ولا من رسالته العليا . وألقى لوثر تبعة هـذا الفساد على عاتق البابوات الذين ادعوا لأنفسهم السلطة الدنيوية فى العالم المسيحى أثناء العصور الوسطى مخالفين بذلك آباء المسيحية الأولين الذين كانوا يدعون ما لقيصر لقيصر وما لله لله ...

ولم يكن مرد ما أحدثه من عظيم الأثر فى ألمانيا ثم فى أوروبا كلها إلى آرائه وحدها ، ولكنه أثر فى الأذهان أعمق الأثر بمسلكه كذلك ؛ بهذه الجرأة البالغة التى خيل إلى الناس أنها أعظم من أن تكون صيحة بشر ؛ فهـذا أحد رجال الدين يتحدى البابا ويسخر من الكنيسة ، وكان من يفكر بينه وبين نفسه أن أحـد القساوسة يخطىء بله البابا نفسه يأثم بهذا إثما لا يمحوه إلا التوبة والندم !

وكثيرا ما يؤثر العظماء فى الناس بأعمالهم ولو لم يقولوا شيئا فتكون أعمالهم أبلغ من كل مقال ، وهذا لوثر يؤثر بقوله وعمله ، فهو لا يتردد أن يحرق رد البابا على آرائه ويفعل ذلك على أعين الناس ، ثم يقابل قرار البابا بكفرانه وطرده من رحمة الكنيسة ، بكل ما فى وسعه من عدم مبالاة وسخرية ... ويعد عمـل لوثر هذا فى الحق فصلا رائعا فى تاريخ حرية الفكر منذ أن بدأ الناس يعشقون حرية الفكر وينادون بحرية الفكر ، وستظل وثبته وقوته وجرأته حديثا عذبا تجرى به الألسن وتبتهج له النفوس كلما اتجه الناس بأذهانهم إلى ذلك الأمل الحلو ، وأعنى به انطلاق الفكر من قيوده ...

عصفت دعوة لوثر بسلطة الكنيسة وزلزلت مكانة القساوسة ومكنت لحرية الفرد أكبر تمكين ، فلكل امرىء الحق أن يفكر فى أمر دينه تفكيرا حرا لا يتقيد فيه بقيد ؛ وكانت ترجمته للانجيل إلى الألمانية فتحا ونورا ، بهر العقول ، وحرك النفوس الجامدة ، وكشف للناس العقيدة الأولى نقية من شوائب الوثنية سليمة من ضلالات الكنيسة .

وما لبثت دعوة الإصلاح أن نهض بها زعماء غير لوثر ، نخص منهم بالذكر كلفن الفرنسى الأصل الذى أحدثت آراؤه من عميق الأثر فى أوروبا كلها ما لم تبلغ إلى مثله آراء لوثر نفسه .

وقد بدأ هذا الداعى دعوته سنة ١٥٣٣ ، وكانت أول خطوة خطاها هى توجيه الطعن إلى كنيسة روما وإظهار معايبها على نحو ما فعل لوثر .

ولئن أثر لوثر بأقدامه وحميته وتحديه وفصاحته ، فلقد أثر كلفن بفلسفته القوية ، ومنطقه الصارم الواضح ، الذى لا عوج فيه ، ثم بمبادئه الخلقية التى استمسك بها ولم يسمح فى تنفيذها بأية هوادة .

آمن كلفن بعقيدة القدر المحتوم ؛ فكل إنسان مقدر عليه أمره من قبل أن يبرأ ؛ والناس من أجـل ذلك فريقان : فريق هدى وفريق حقت عليه الضلالة . وليس يتسنى فى هذا العالم أن نعرف من هم أهل النعيم ومن هم أهل الشقاء ، أعنى لا نستطيع أن نحكم على امرىء أمن الذين شقوا هو أم من الذين سعدوا .

وإذا كان لوثر قد مكن لحرية الفرد وشعوره بذاتيته وكيانه ، فإنه فى الوقت نفسه مكن لسلطة الأمراء ، وذلك لأنه استعان بهم واعتمد عليهم واستغل رغبتهم فى التخلص من سلطان الكنيسة ومطالب الكنيسة . أما كلفن فقد كانت فلسفته ترمى إلى التحرر من كل سلطة استبدادية ، سواء أتمثلت فى الكنيسة أم فى الأباطرة والملوك والأمراء ؛ وكانت نزعته ديموقراطية ترمى إلى الاعتماد على جمهور الناس ، وكان يرى أن القوى هو الله وحده ، وأن الحاكم هو الله وحده ، وأن الذى يخشى هو الله وليس غير الله ؛ فالناس جميعا ملوكهم وسوقتهم أمام قوة الله سواء ، وليس على الأرض من يتمتع بما يسمى حقا إلهيا ، وإنما الحاكمون هم ممثلو إرادة المجموع ، وكان يرى بآرائه هذه إلى تدعيم نظامه الكنسى الذى كان قوامه قوما يختارون من عدد من القساوسة وعدد من غير رجال الدين لإدارة الكنائس الكلفية ، فلا سلطة على كنائسه لبابا ولا لأمير .

وثبتت عقيدة الخوف من الله وحده فى نفوس أتباعه عدم الخوف من غيره ، بل والتمرد على كل مستبد من ذوى الطغيان ؛

ولكن إذا كانت هذه الحرية حقا للفرد ، فعليه فيما يقابلها واجب يتلخص فى اتباع المبادىء الخلقية التى رسمها كلفن ، وكان صارما كل الصرامة فى تنفيذها . وعنده أن الفضائل تطلب لذاتها أولا قبل أن تطلب طمعا فى ثواب أو خوفا من عقاب .

حرم كلفن الخمر والميسر والرقص والخلاعة وأعمال السحر والشعوذة والربا الفاحش وفرض لكل منها عقوبة صارمة وجعل عقوبة الزنى الموت ، وكانت وظيفة كنائسه إرشاد الناس ومراقبتهم وأخذهم بالشدة إذا فرطوا فى جنب الفضيلة .

شاعت اللوثرية والكلفنية فى أوروبا ، ثم انتقلت آراؤهما إلى إنجلترة ؛ فكان أثرها هناك على صورة خاصة توضحها مشاعر الإنجليز وأثر البيئة فى تلك المشاعر .

ونقصد أثر البيئة الطبيعية وما يتصل بها من مؤثرات مناخية ، فما لا شك فيه أن لهذه البيئة فعلها فى تكوين مزاج أهلها على نحو معين ، ثم يأتى فعل الوراثة متمما لفعل البيئة فتتكون مشاعر الأمة بمرور الزمن وهذه المشاعر هى مزاجها العام .

وكان لبيئة الضباب والسحاب والبرد الشديد والأعاصير الهوج والغابات الموحشة والبحر المخوف أثرها فى بث نوع من الظلمة العابسة والجد الصارم يشبه أن يكون كآبة فى مشاعر الإنجليز والأمم التيوتونية على العموم ؛ وقر فى مشاعرهم أن صعوبة الحياة وقسوتها ضرب من القدر يقاوم فى شجاعة وتحد ، ويذعن له فى رضى واستسلام ؛ وذلك على خلاف ما كان فى الطرف الجنوبى الشرقى لأوروبا مثلا حيث الشمس والدفء والنور كانت تبث المرح والحيوية فى مشاعر الأغريق ، وتميل بهم إلى متع الحياة ومسراتها .

فلما تحررت العقول نتيجة للنهضة الأوروبية العامة ، لم يكن عجبا أن يتجه الإنجليز بعقولهم المحررة إلى أمور الدين أكثر مما اتجهوا إلى مسائل العلم والفلسفة والفن ، وأحدثت آراء كلفن أثرها العميق فى نفوسهم وعلى الأخص رأيه فى القدر المحتوم الذى لا سبيل قط إلى تغيير حكمه .

وعم تيار النهضة فغمر الحياة العامة وأشاع فيها البهجة والمرح والجمال والزينة ، والرغبة فى الاستمتاع بجمال الحياة ولذاذاتها ، فكان منه ربيع حافل يتمثل فى العصر الأليزابيثى أو عصر شكسبير

ولكن الربيع لم يطل ؛ وما ذلك إلا لأنه كان أمرا طارئا على مشاعر الأمة غريبا على مزاجها العام . وما أسرع ما استيقظت تلك المشاعر من حلم العصر الأليزابيثى فكانت يقظتها هى البيوريتانية وفلسفتها التى أخذت تسيطر على المجتمع الإنجليزى . والفرق بين ما أنتجته العقول فى الأدب والفن فى العصر الأليزابيثى أو عصر شكسبير وبين ما أنتجته فى العصر البيوريتانى أو عصر ملتن ، يرينا مدى التغير الذى أخذ يطرأ على الحياة بعد حلم النهضة. ولقد لوحظت شواهد ذلك التغير فى فن شكسبير نفسه فى أخريات أيامه ، وتجد أمثلة لذلك فى روايتيه «العاصفة» و«قصة الشتاء» .

هذه اليقظة من الحلم البهيج الفاتن ، أو هذه الفلسفة التى عادت بمشاعر الأمة إلى طبيعتها هى روح البيوريتانية ، ولكن رد الفعل كان شديدا ؛ فداخل الحياة الإنجليزية نوع من التزمت الشديد كان أكثر مما تطيق النفوس فى مواطن كثيرة ، والبرهان على ذلك ما شاع فى الأمة من سرور مع الملكية العائدة بعد زوال عهد كرمويل .

وقد رأينا كيف ظهر البيوريتانز كجماعة أول الأمر حين أصدرت الملكة إليزابث مرسوم توحيد العبادات عام ١٥٥٩ ، ورأى فريق من رجال الدين أنه كان ينبغى أن يكون الرسوم أكثر تخلصا من مظاهر روما والكنيسة البابوية ، فهؤلاء هم البيوريتانز . ونستطيع أن نلمح أثر اللوثرية والكلفنية فى رغبة هذا الفريق فى التخلص من مظاهر الكنيسة البابوية . ولقد كان لغضبة هنرى الثامن على البابا وفصله كنيسة إنجلترة عن كنيسة روما أثره كذلك فى نفوس هذا الفريق ، فلئن كان ذلك الفصل من حيث الرياسة فحسب ، مع بقاء العقيدة الكاثوليكية وطقوسها على ما هى عليه ، إلا أنه زعزع هيبة البابا فى نفوس الإنجليز إلى مدى واسع ، وجعل نزعة الإصلاح تستند إلى دعوى مشايعة السلطة الحاكمة ضد البابوية .

وأخذ يزداد عدد هؤلاء الذين رغبوا فى التخلص من مظاهر البابوية ، وأخذت تشيع فيهم مبادىء الإصلاح الدينى العام وعلى الأخص آراء كلفن وتعاليمه الخلقية ، فلم ينته القرن السادس عشر حتى كان منهم فئة دينية رأينا كيف سميت باسم البيوريتانز ؛ وأصبح لهذه الفئة نظرة إلى الحياة خاصة بها ، لا فى العقيدة الدينية وحدها ، ولكن فى السياسة كذلك وآداب المجتمع والأدب والفن ؛ ولما تم لهم السيطرة السياسية استطاعوا أن يأخذوا المجتمع بمبادئهم أخذا قويا لا هوادة فيه ، ولكنهم غلوا فى تلك المبادىء غلوا كبيرا حتى تجاوزوا ما تطيقه مشاعر الأمة .

(يتبع) **الخفيف**

الكذب والنسيان

كما يراهما «أبو العلاء المعرى»

للأستاذ كامل كيلاني

[تتمة ما نشر في العددين السابقين]

١٨ — شعر الضب :

ويندد فى رسالة الأغريض بالرواة الكاذبين فيقول : « وقد تمادى بأبى يوسف — رحمه الله — الاجتهاد فى إقامة الاستشهاد ، حتى أنشد رجز الضب ، وإن معداً من ذلك لجد مغضب . أعلى فصاحته يستعان بالقرض ، ويستشهد بأجناس الأرض . ما رؤبة عنده بنضير ، فما قولك فى ضب دامى الأظافير.

١٩ — كذب النجوم

وقد خشى أن يصل الكذب إلى الكواكب والنجوم فقال :

« فياليت شعرى هل تُراعُ من الروى
وتركعُ نُسكا بالعشاء وبالظهر
وتكذب أن المين فى آل آدم غرائز جاءت بالنفاق وبالعهر

٢٠ — حديث مهلهل

ويسأل عدى بن ربيعة المعروف بمهلهل التغلبى ، أخبرنى لم سميت مهلهلا فقد قيل إنك سميت بذلك لأنك أول من هلهل الشعر ، أى رققه . فيقول : إن الكذب لكثير . وإنما كان لى أخ يقال له امرؤ القيس ، فأغار علينا زهير بن جناب الكلبى ، فتبعه أخى فى زرافة من قومه ، فقال فى ذلك :

لما توقل فى الكراع هجينهم (١) هلهلت (٢) أثأر مالكا أو حنبلا
وكأنه باز ، علته كبرة يهدى بشكته الرعيل الأولا

فسمى مهلهلا ، فلما هلك شبهت به ، فقيل لى مهلهل .
فيقول الآن شفيت صدرى بحقيقة اليقين .

(١) يعني بالهجين : زهير بن جناب .
(٢) هلهلت : قاربت .

٢١ — حديث المرقشين

ويسأل المرقش الأكبر عن الأبيات التى يرويها له بعض الناس :

« تخيرت من نعمانَ عودَ أراكة
لهند ، ولكن من يبلغه هندا
خليلى جوزا — بارك الله فيكما وإن لم تكن هند لأرضكما قصدا
وقولا لها : ليس الضلال أجازنا ولكننا جُزْنا لنلقاكم عمدا»

ويقول له : ولم أجدها فى ديوانك ، فهل ماحكى صحيح عنك ؟»
فيقول المرقش : « لقد قلت أشياء كثيرة ، ولكنى سرقتها (أى : غفلت عنها وجهلتها) لطول الأبد .

وينعطف إلى المرقش الأصغر ، فيسأله عن شأنه مع بنت المنذر ، وبنت عجلان ، فيجده غير خبير ، قد نسى لترادف الأحقاب . فيقول : « ألا تذكر ما صنع بك جناب . فيقول : وما صنع جناب ؟ لقد لقيت الأقودين (أى : الدواهى) وشربت الأمرَّينَ .

٢٢ — نطق اللسان

ومن أبرع ماقاله فى التنديد بالكذب قوله فى رسالة الغفران : « وإذا رُجع إلى الحقائق فَنُطْقُ اللسان ، لا يُنبىء عن اعتقاد الإنسان ، لأن العالم مجبول على الكذب والنفاق ويحتمل أن يظهر الرجل بالقول تديناً ، وإنما يجعل ذلك تزيناً ، يريد أن يصل به إلى ثناء ، أو غرض من أغراض الخالية أم الفناء . ولعله قد ذهب جماعة هم فى الظاهر متعبدون وفيما بطن ملحدون . ومايلحقنى الشك فى أن « دعبل بن على » لم يكن له دين ، وكان يتظاهر بالتشيع ، وإنما غرضه التكسب ، وكم أثبت نسباً بتنسب .

ولا أرتاب أن دعبلا كان على رأى الحكمى وطبقته . والزندقة فيهم فاشية ومن ديارهم ناشية .

٢٣ — الكذب الفنى

أما الكذب الفنى الذى كان يضطر إليه الخيال ، فقد أبدع شاعرنا فى الاعتذار عنه فى مقدمة سقط الزند — كما قلت فى

رسالة الهناء — حين عرض لتسويغ اضطراره إلى حذف أسماء من غلى في مجاملتهم ، وأسرف فى تخيل المزايا الباهرة التى نحلها إياهم فى قصائده ، معتذراً عما ارتكبه من الشطط بأنه لم يعن أحداً منهم بما قال ، ولم يقصد — بما نظم فى ربان الحداثة (أول الشباب) وجنّ النشاط (شدة المرح) إلى غير مرانة الطبع ورياضته ، ثم شفع ذلك الاعتذار بآخر فقال : « ولم أطرق مسامع الرؤساء بالنشيد ، ولا مدحت طالباً للثواب ، وإنما كان ذلك على معنى الرياضة وامتحان السُّوس (الطبع) فالحمد لله الذى ستر بِغُفَّةٍ من قوام العيش ، ورزق شُبْعَة من القناعة أوفت على جزيل الوفر » .

* * *

ولكنه لم يلبث أن عزف عن هذا الباطل ، ونفر طبعه من تلك الأكاذيب فهجر الشعر قائلا فى مقدمة سقط الزند : « ثم رفضته (يعنى الشعر) رفض السَّقْب غرسه ، والرأل (ولد النعام) تريكته (بيضته التى خرج منها وهو فرخ) ، رغبة عن أدب معظم جيده كذب ، ورديئه ينقص ويجدب (يعيب) . وهنا يقول : « وما وجد لى من غلو ، عَلِق — فى الظاهر — بآدمى ، وكان مما يحتمله صفات الله — عز سلطانه — فهو مصروب إليه .

وقد أخذ نفسه — فى قابل أيامه — بهذا العهد فوقف تمجيده وإجلاله على خالقه وحده ، كما ترى ذلك فى اللزوميات ورسالة الغفران ، والفصول والغايات .

٢٤ — المثل العليا

وقد أشار فى تلك المقدمة النفيسة إلى مبدأ جليل ما أجدر محبى الأدب العربى أن يتنبهوا إلى خطره ونفاسته ، فآثر أن يوجه مدائحه إلى المثل العليا — حيثما وجدت — فى أفذاذ الموهوبين ، من سالف القدامى الغابرين ، وقابل الذرارى القادمين ، فقال : « وما صلح لمخلوق سلف من قبل ، أو لم يخلق بعد ، فإنه ملحق به » . ثم أعلن براءته مما جمح به طبعه ، فقال مستغفراً نادماً : « وما كان من محض المين لاجهة له ، فأستقيل الله العثرة فيه » .

ثم وصل إلى ذروة التوفيق فى تعليل الكذب الفنى وتسويغه ، فقال : « والشعر للخلد ، (للنفس أو القلب) مثل الصورة لليد : يمثل الصانع ما لا حقيقة له ، ويقول الخاطر (القلب) ، ما لو طولب به لأنكره » .

ثم لخص دستور الشعراء ومن لف لفهم من رجال الفنون فقال : « ومطلق — فى حكم النظم — دعوى الجبان : إنه شجيع ، ولبس العِزهاة ثياب الزِّير ، وتحلى العاجز بحيلة الشهم الزميع (النشيط الجرىء) » .

* * *

ومما نقبسه فى هذا الباب قوله فى رسالة الشياطين ١٣٩ :

وزعم صاحب المنطق فى كتابه الثانى من الكتب الأربعة : أن الكذب ليس بقبيح فى صناعة الشعر والخطابة . ولذلك استجازت العرب أن تقول فتفرط ، وتسرف فى الشىء فتغرق .

كامل كيلانى

فلسطينيات :

أخيـــال أم حقيقة ؟

فلسطين بعد ربع قرن !..

للأستاذ نجاتي صدقي

سيقول ولدى : أذكر أننى فى ليلة من ليالى الشتاء القارس جلست إلى جانب والدى وقد أحاطنى بذراعيه وكان يمتحننى فى دروسى ، ولما تطرقنا إلى الجغرافيا وأوضاع الدول والأمم ، سألنى فى أية سنة تم تقسيم فلسطين يا بنى ؟. فأجبته على الفور : سنة ١٩٥٠ يا والدى ! .

فربت على كتفى وقال : عافاك الله ، حقاً إنك لتلميذ نبيه ، ولكن هل طالعت شيئاً عن تاريخ ذلك التقسيم وكيف حصل ؟

قلت : قرأت فى كتاب تاريخ فلسطين للأستاذ سعيد الزيتاوى الصادر فى يافا سنة ١٩٦٥ ، والذى أقرته وزارة المعارف العربية الفلسطينية ، أن مشروع التقسيم لاقى وقتئذ مقاومة عنيفة من العرب واليهود على السواء . وكانت وجهة نظر العرب فى ذلك كما أوجزها الأستاذ الزيتاوى فى كتابه تتلخص فى أن الموافقة على التقسيم يعنى الاعتراف بحقوق اليهود فى جزء من فلسطين ، وإنه يخول اليهود حق إقامة دولة لهم فى أراضيهم ، وتأليف جيش ، وفتح باب المهاجرة إليها على مصراعيه ، ثم إنه يمكنهم من تصميم الصناعات فى دولتهم الأمر الذى يهدد كيان الدول العربية الاقتصادى ، وأن الدولة اليهودية فى ذلك الجزء من فلسطين ستصبح المخفر الأول للرأسمال الأمريكى فى الشرق الأوسط !.. كما أنها ستكون مصدر متاعب لا نهاية لها للجمعية العمومية الدولية ، ولمجلس الأمن العالمى ! .

وهنا قاطعنى والدى وقال : ولكن ألم يكن اليهود أحراراً فى تل أبيب والمستعمرات اليهودية ؟. ألم تكن لهم مجالسهم البلدية ، وصناعاتهم المحلية ، ومدارسهم الأهلية ؟ وهل كان العرب يتدخلون فى شئون اليهود الخاصة ؟ أو هل كان بمقدور أية أسرة عربية أن تسكن تل أبيب ؟ . أو هل كان يحق لعربى أن يقيم له حانوتاً فى مستعمرة (بنى براك) مثلا ؟ إذن كان التقسيم واقعاً فعلا قبل سنة ١٩٥٠ ، وكل ما فعلته لجنة التقسيم الدولية أنها خططت الحدود ، وعينت منطقة الحرام !..

ارتبكت لدى سماعى اعتراض والدى هذا والتزمت الصمت ، إلا أنه ابتسم وقال : يظهر أن معلومات الأستاذ الزيتاوى كانت غير كافية ، فجاء كتابه التاريخى هذا ناقصاً ، وهذا عيب لا يغتفر للمؤرخ النزيه .

واسترسل والدى قائلا : شرحت لى وجهة نظر المعارضين من العرب لمشروع التقسيم ، فهل لك الآن أن تبين لى وجهة نظر ذلك الفريق من العرب الذين أيدوا مشروع التقسيم بواسطة حزبهم المعروف بحزب الديمقراطيين الأحرار العرب ؟..

قلت : روى لنا الأستاذ الزيتاوى فى الصفحة ٩٧ من كتابه المذكور ، أن أنصار التقسيم من العرب رأوا فى التقسيم الحل الوحيد للقضية الفلسطينية ، لأنه يضع حداً فاصلا للمطامع الصهيونية ، ويمكن العرب من إقامة دولة مستقلة لهم فى فلسطين ، فيضربون حولها نطاقا حديديا ، قوامه الخنادق ، والمخافر ، والاسلاك الشائكة المكهربة ، والجيش العربى الفتى المتيقظ المجهز بأحدث الأسلحة ؛ ثم إن العرب إذا ما رأوا أنفسهم فى جوار دولة مالية صناعية مخيفة ، تمسكوا بناموس المنافسة والتطور ، واستنجدوا برؤوس الأموال العربية ، وأرسلوا أبناءهم إلى البلاد الراقية ليتخصصوا فى مختلف العلوم والصناعات، وهكذا فلا تنقضى حقبة من الزمن حتى يكون العرب قد أقاموا فى فلسطين مجتمعاً عربياً راقياً فاضلا تتضاءل إزاءه أخطار الدولة اليهودية ، ويصير مصيرها إلى التلاشى ، أو إلى البقاء فى الشرق كما هى إمارة لفتنشتاين فى الغرب !..

قال والدى : أحسنت الجواب ... لكن هلا حدثتنى عن موقف اليهود من مشروع التقسيم وكيف قبلوه ؟

قلت : هذا ما افتقر إليه كتاب الأستاذ الزيتاوى ولم يتطرق إليه إلا لماماً ، وأذكر أنه قال : إن غلاة الصهيونيين عارضوا

تحقيق علمي واستنتاج

الأبيـــوردي . . .

ولادته ووفاته

للأستاذ ممدوح حقي

تتجه أكثر عناية مؤرخينا القـــدماء إلى تعيين وفاة من يؤرخون ، وقد يقدرون عمره يوم وفاته أحياناً ولكن ذلك نادر ، أما يوم ميلاده فأقل ما يأبهون له أو يتحرون صدقه . وإنك لواجد كتاب وفيات الأعيان وفوات الوفيات ولكنك لا تجد كتاب ميلادهم غالباً . ومع هذا فإن الاختلاف على سني الوفاة عظيم جداً قد يبلغ الخطأ فيـه أحياناً نصف قرن ، ووفاة أبي المظفر الأبيوردي مثال لهذا الاختلاف بينهم ، فابن خلكان ومن نقل عنه يعينون سنة وفاته في عام ٥٥٧هـ . وياقوت ومن روى عنه يعينونها في عام ٥٠٧ هـ . ولقد قرأت كل من ترجم للأبيوردي من قدماء ومحدثين مما عثرت عليه مخطوطاً ومطبوعاً ، فلم ألق واحداً تنبه لهذا الاختلاف بله أن يبحثه ويحققه مع طول المسافة بين التاريخين وانفساح مجال البحث فيهما ، فدائرة معارف البستاني وشارح الديوان والزركلي الشاعر في أعلامه من المحدثين يتبعون رأي ابن خلكان ولعلهم نقلوا عنه ساهين سهوة العلماء ، ودائرة المعارف الإسلامية تؤكد رأي ياقوت ، فأيهما الصحيح يا ترى ؟ أو أيهما أقرب إلى الصحة إن شئنا التوفيق ؟!

إن في تحليل الوقائع التاريخية شفاء من هذا الكسل العقلي ، ولنقرأ ديوان الشاعر نفسه ، ونتجه إلى من مدحهم أو اتصل بهم ، فإن تجاوز أحدهم نصف القرن السادس ، فالأبيوردي زميله.

وأكثر قصائد شاعرنا في المقتـدي (توفي عام ٤٨٧ هـ) والمستظهر (توفي عام ٥١٢ هـ) ونظام الملك (قتل عام ٤٨٦ هـ) وعميد الدولة (قتل عام ٤٩٣هـ) وسيف الدولة صدقة بن دبيس (قتل عام ٥٠١ هـ) وشيرويه (توفي عام ٥٠٩هـ) .. فهؤلاء جميعاً ، ماتوا حول أواخر القرن الخامس وأوائل القرن السادس مما يؤكد

مشروع التقسيم بشدة . فمنهم من نعته بـ (غيتو) يهودي كبير ، ومنهم من قال إن الدولة اليهودية بمقتضاه تكون بمثابة (معتقل) المهاجرين اليهود ! وإن المهاجرين لن يجدوا متسعاً لهم في تلك الرقعة الضيقة ، فيزاحم بعضهم بعضاً ، فيتنغص عليهم عيشهم ، وتتحول دولتهم إلى جحيم لا يطاق ! أما أنصار التقسيم منهم ، فدحضون هذه المخاوف بقولهم : ستنمو الدولة اليهودية عمودياً لا أفقياً !

فقاطعني والدي قائلا : وما الذي تفهمه بالنمـو العمودي لا الأفقي ؟

تلعثمت بالجواب ، واحمر وجهي خجلا ، وقلت : لا أدري!

فقال : عيب عليك أن تتلفظ باصطلاحات وأنت تجهل معناها أأنت ببغاء ؟ فالتطور العمودي هي ناطحات السحاب التي تراها اليوم في بعض مناطق الدولة اليهودية المجاورة ، والتي أقامها أصحابها لضيق الرقعة ، وكثرة السكان ... أما التطور الأفقي ، فهو التوسع على حساب الأراضي العربية ، وهذا غير ممكن ، لأنه يؤدي إلى وقوع حرب بين الدولتين ، لن يسمح بها مجلس الأمن الدولي !

وإذ هم والدي بطرح أسئلة مضنية أخرى ، طرق باب الدار ، وكان الطارق السيد عبد الحليم اللاح صاحب جريدة (الكوكب) وكان من عادته أن يسهر ووالدي ويتبادل وإياه أطراف الأحاديث . فرحب به والدي كعادته ، وأجلسه على الأريكة إلى جانبه ، وكان مدار حديثهما أخبار الحدود ، فروى السيد اللاح خبر اكتشاف قوة الحدود العربية نفقاً نقبه اليهود تحت الحدود ، كانوا يهربون منه البضائع المصنوعة في تل أبيب ، وأن مصلحة الجمارك اليهودية القائمة بالقرب من مرج بني عامر أو (إيعك) ، صادرت سلعاً عربية غير مجركة ، وأن عربياً حاول الانتقال من يافا إلى تل أبيب بلا جواز سفر ، فاعتقل وظل طيلة يومه في استجواب مستمر ، ولم يفرج عنه إلا بعد أن أثبت للمسئولين أنه يجهل وجود دولة يهودية مجاورة ، وما إلى ذلك من أخبار الحدود المتعاقبة يومياً !

وهنا أخذني النعاس ، واستغرقت في نوم عميق ، تاركا والدي وصديقه يتناوبان أحاديث السهرة ...

نجاتي صدقي

رأى ياقوت أن وفاة شاعرنا كانت سنة ٥٠٧ هـ إذ كانوا كلهم معاصريه .

ولو قبلنا رأى ابن خلكان لأضعفه الحساب التالى : نفترض أن الأبيوردى اتصل بالمقتدى — وهو أول خليفة اتصل به الشاعر — وعمره لم يتجاوز الثلاثين ، فيكون عمره يوم وفاته نحو مئة عام ، والمسافة بين رأيى ياقوت وابن خلكان نصف قرن بالضبط فكيف أنفقها الشاعر ؟ وبمن اتصل مادحاً أومصاحباً ؟! ونحن لا نجد لذلك أثراً فى ديوانه وكله بين أيدينا ، اتفق عليه كل من أرخه بأنه هو نفسه نسقه ونظمه بيده وقسمه إلى فصول ثلاثة سماها : النجديات والوجديات والعراقيات . نعم لا نجد إلا قصيدة واحدة رثى بها الملك أحمد معز الدين المتوفى عام ٥٥٢ هـ (١) فيكون عمره يوم نظمها — على الحساب المتقدم — خمساً وتسعين سنة . ولو رجعنا إلى القصيدة ، لوجدنا فيها روح شاب متفلسف لا روح شيخ هرم وضع قدميه على حافة القبر . فنحن هنا بين أمرين : إما أن نقول بأن القصيدة مدسوسة عليه — وهذا رأى يعوزه النقد — وإما أنها له لكنها قيلت فى إنسان آخر اسمه أحمد عاصره الشاعر . ونحن إلى الرأى الثانى أميل ، لأن روح الأبيوردى ترفرف عليها فى كل مقطع (ولعله أحمد بن مروان صاحب الموصل المتوفى عام ٤٥٣ هـ بعد أن حكم إحدى وخمسين سنة وكان كعبة شعراء زمانه) .

هذا وإن من أوائل من نوه بالشاعر ، تاج الإسلام ابن السمعانى المتوفى عام ٥٦٢ هـ ، وهو ينقل عن شيرويه المتوفى عام ٥٠٩ هـ . فلو قبلنا رأى ابن خلكان لكان معناه أن شيرويه حدد وفاة الأبيوردى قبل سبع وأربعين سنة ، وهل يعقل أن يحدد من سبق نهاية من لحق ؟! ولقد كان السمعانى ثقة لا شك فيه ، ونعتقد أن ابن خلكان لم يخطئ ، وإنما جاء الغلط إلى كتابه عن طريق النساخ والكتبة الذين شغلوا من رسالتنا هذه صفحات لتحقيق صفر كوروه فكبروه فرقم لخمسة فى العدد !!

ويؤكد هذا الرأى أن الأبيوردى تسلم خزنة خزانة الكتب فى المدرسة النظامية بعد الأسفرائينى المتوفى عام ٤٩٨ هـ ، وهذا المنصب لم يكن يتولاه إلا ذو مكانة علمية كبيرة وللسن قيمتها فيه ، ولانعتقد أن الأبيوردى وصل إليه إلا بعد أن اجتاز مرحلة واسعة من عمره تسلح فيها بعلم وفير وظهرت مؤلفاته ونبهت شهرته وانتشر بشعره .

إذا تأكد لدينا هذا ، وعرفنا أن الأبيوردى توفى عام ٥٠٧ هـ ففى أى سنة ولد يا ترى ؟ وكم كانت سنه يوم وفاته ؟ هذا ما لم يذكره أحد فلنرجع إلى ديوانه ، ولن نطوف فيه كثيراً حتى نقع على قصيدة يمدح بها الأمير سيف الدولة المتوفى عام ٥٠١ هـ ويصور له فيها ألمه لبياض شعره إذ ألم الشيب برأسه قبل بلوغه الأربعين فيقول :

أقبل بلوغ الأربعين تسومنى صروف الليالى أن أشيب وأهرما

ونحن نعلم أن سيف الدولة ولى الإمارة مدة اثنتين وعشرين سنة ، فلو فرضنا أنه مدحه سنة توليه الملك أى عام ٤٧٩ هـ لكانت ولادة الأبيوردى عام ٤٣٩ هـ على أبعد تقدير .

غير أنا لا نلبث حتى نرى له قصيدة أخرى يشكر بها الوزير محمد بن منصور المتوفى عام ٤٥٦ هـ فيكون عمر الشاعر يوم نظمها — على حسابنا المتقدم — سبعة عشر عاماً فقط ، وهذا غير معقول إذ لا يحتمل أن تكون شهرته فى هذه السن المبكرة قد بلغت من الذيوع درجة تجعل شرف الدين بن منصور يتبرع تبرعاً بجميل يسديه إليه التماساً لشعره وشكره كما يدعى فى القصيدة نفسها إذ يقول :

تبرع بالمعروف حتى كأنه بعد اقتناء المال إحدى المثالب

ونحن أميل إلى الظن أنه ولد قبل هذه السنة ، وما وصفه الشيب الذى حدث عنه سيف الدولة إلا حكاية ألم متقدم مزمن ، وأنه حين توفى عام ٥٠٧ هـ كان قد بلغ من العمر طولا مديداً ظهر أثره فى شعره المحكم حين اتصاله بالمقتدى والمستظهر وسيف الدولة وكلهم عاصروه أواخر القرن الخامس .

ممدوح حقى

(١) الديوان ص ٧

أبى ... !

للأستاذ أحمد عبد المجيد الغزالى

راحل ! يا ضلالَ هذا الوجود   هو باق فى خاطرى ونشيدى
ومن الرحلة البعيدة لقيا   بين روحين فوق دنيا القيود
هامتا بعد فرقة الجسد الفانى (م) إلى غير فرقة أو شرود
تنثران الأشواق همساً ونجوى   وتعيشان فى ادّكار العهود
السرار الخفى يسرى بسمعى   سريان الحنين بين العود

يا أبى ... شاهت الحياة بعينى   والجديد البهيج غير جديد !
ألق لى الحكمة الكبيرة واملأْ   مِسمعى من يقينها المنشود
قد عبرت الحياة من شاطئ دانٍ (م) إلى شاطئ قريب بعيـد
واجتليت الأسرارَ فى حلَك الدنيا (م)
بهـاد من فطرة التوحيد
عشقت روحك الرياضة والسَّبح (م)
بواد لا ينتهى لحـدود
أنت أطلقتها تَهامت بسرّ   أدركته على رماد الشهيد
ما انطلاق الأرواح ؟ ما هجعة الجسم؟ وقد قرّ فوق هذا الصعيد
ما انطفاء الحياةِ حين تُولّى ؟   ما حياة الأرواح فوق اللحود؟
ما اللقاء الكبير فى الجدث الضيق ؟ (م)
ما السر بين تلك السدود ؟
ما ارتياد المجهول من سبل الغيب؟ (م) أنعشى لغـاية أم نودى
طالما قلتَ لى تحدثُ عنها   وتعيد الحديث للمستعيد
كاشفاً عن حقائق الكون دقّت   وتأبّت على اللجوج العنيد
ترسل القولةَ الصريحة لله   وما عن رضائه من محيد
صادراً عن صفاء نفس تسامت   وتعالت عن الهوى والحقود
عشقت عالم السماء وباعت   عالمَ الأرض بالرضاء الحميد
عشت لم تدخر سوى العملِ الصالح(م)
لله لا لجـاه العبيد !

لهف نفسى، وقد ضممت وليدى   قائلا : ذاك طارفى وتليدى !
واثباً حوله تناغيه فرحان (م) فيهتز هِزّة الأملود
وتغنيه فى ضجيج وشـدو   ناسياً عنده وقار الجدود !
من له بعـد رحلة لك طالت   فيناديه صائحاً : يا حفيدى ؟ !
لكأنى به يسـائلنى الآ   ن وتلك الدموع سؤل الوليد
حين يلقى بنظرة لى حيرى   ويجيل العينين بين الشهود
دافق الدمع فى صراخ كئيب   ذقت منـه مرارة التسهيد
يرسل النظرة الأسيفة ولهى   تتندّى فى طرفه المكدود
موحش شاقه حنوٌّ عطوف   ما جفـاه فى يقظة وهجود
حينما يشتكى تهدهد شكوا   ه ليغفو فى صدرك المجهود
فإذا نام كنت أحلى رؤاه   أى حلم يرف فيها سعيد ؟!

جلّ فيك العزاء يا والدى البر   وآهٍ من يومك المشهود !
شئت أن ترتقى لربك فى الفجر (م) مع النور هادياً فى الصعود !
سمةُ المؤمنين ، يسعى سناهم   بين أيديهم بدار الخلود
وعُدَ المتقون جنة عدن   فتمتع بظلها الممدود
وانهل السَّلسَل النمير رحيقاً   شعشعوها فى حوضها المورود

يا أخى والعزاء منك جميـل   ما الجرح القصيد غير القصيد(١)
مسحت أدمعى دموعُك تنثا   ل عقوداً ؛ أكرم بها من عقود
نثروها فوق الضريح وروداً   فتنـدى بدمع تلك الورود

(١) إشارة إلى الشاعر أحمد مخيمر وستنشر قصيدته فى العدد القادم .

يا ابن أمى ...

للمرحوم أبى القاسم الشابى

خلقت طليقاً كطيف النسيم   وحراً كنور الضحى فى سماه
تغرد كالطير أين اندفعت   وتشدو بما شاء وحى الإله
وتمرح بين ورود الصباح   وتنعم بالنور أنى تراه
وتمشى كما شئت بين المروج   وتقطف ورد الربى فى رباه
كذا صاغك الله يا ابن الوجود   وألقتك فى الكون هذى الحياه
فما لك ترضى بذل القيود   وتحنى لمن كبلوك الجباه
وتُسكت فى النفس صوت الحيا   ة القوى إذا ما تغنى صداه
وتطبق أجفانك الناعسا   ت عن الفجر والفجر عذب ضياه
وتقنع بالعيش بين الكهوف   فأين النشيد ؟ وأين الإباه ؟ !

أتخشى نشيد السماء الجميل ؟ أترهب نور السما فى فضاه ؟ !
ألا انهض وسر فى سبيل الحياة فمن نام لم تنتظره الحياه
ولا تخش مما وراء القلاع فما ثم إلا الضحى فى صباه
وإلا ربيع الوجود النضير يطرز بالورد ضافى رداه
وإلا أريج زهور الصباح ورف الأشعة بين المياه
وإلا حمام المروج الأنيق يغرد مندفعاً فى غناه
إلى النور ! فالنور عذب جميل إلى النور ! فالنور ظل الإله !

شفتاها . . . !

للأستاذ أحمد أحمد العجمى

كلما قبَّلتُ فاهــا أسكرتنى شــفتاها
وهما كأسان من صهـ باء لا أسلو هواها
صَبَّها باخوسُ فى فيـ ها وكوبيدُ احتساها
فغدا باخوس ربًّا وكيوبيــد إلها
شــفتاها غُنوتا نجـ وى لعشّاق صباها
أسمعُ الأنغامَ بالأذ ن وبالعين أراها
أىُّ لحن ذلك اللحـ ن الذى قبّل فاها ؟ !

شــفتاها منهل الأشـ واق للصب الشوق
وشعاعان من الشمـ س زهت وقتَ الشروق
وهما عاشــقةٌ ما لت على صــدر عشيق
مَن رأى جمرة نارٍ فوق قوسٍ من عقيق ؟
أو رأى الورد زها واخـ ضلَّ فى كأس رحيق ؟
تنهلُ الأنظارُ منهــا رِيَّها وهو صــداها !
ويودُّ الثَّغر لو كا ن محيّاها شفاها !

فيها ذاك الفم الور دىُّ رىٌّ وعبيرُ
شفتاه من صفاء النَّـ فس روح وضمير
وهما من رقة الإحـ ساس شعر وشعور
ومحياها هو الجنـ ـةُ والثغر سعير
وهى الحسناء من خفّـ ـتها كادت تطير ! !
أنا أهــواها وتهوا نى ولن أهوى سواها
شفَّها الوجد ولكن شفتاها ... شفتاها ! !

قصة الذرة :

تلك الأشعة المحيرة !

للأستاذ فوزى الشتوى

(تتمة ما نشر فى العدد الماضى)

المصادفة أيضا

وقضى اكتشاف أشعة إكس على أحدوثة القرن التاسع عشر من أنه ختم الاكتشافات الطبيعية العظيمة . ودفع العلماء والباحثين فى شتى أنحاء الأرض لكشف مجاهل هذه الأشعة وموادها .



٣ — اكتشف أنطون هنري بكرل العالم الفرنسى أن اليورانيوم دائم الاشعاع

فأجرى العالم أنطون هنرى بكرل فى باريس مجموعة من التجارب أراد بها أن يعرف إن كانت المواد التى تضىء عند عرضها فى الشمس تخرج أيضاً أشعة إكس . ولحسن حظه وحظ العالم اختار أحد أملاح اليورانيوم فلف ورقة تصوير حساسة فى ورقة سوداء ووضع فوقهما صليباً ثم عرض ملح اليورانيوم لضوء

الشمس ثم وضعه فوق الصليب . فلما حمض الورق الحساس ظهرت عليه صورة الصليب .

وكأن المصادفة تأبى إلا أن تتحكم فى كل كشف بالغ الأهمية . ففى أحد الأيام أراد أن يكرر تجربته ، وأعد الورقة الحساسة فى لفتها السوداء وفوقها الصليب . وانتظر أن تبزغ الشمس ليعرض فى ضوئها ملح اليورانيوم ولكن الغيوم تجمعت فحجبتها تماما فوضع الملح فوق الصليب ، وحفظ الجميع فى أحد أدراج مكتبه .

ومضت أسابيع فتذكر بكرل تجربته وعاد ليكررها . ولكن إحساساً غريباً دفعه لأن يحمض الورقة الحساسة بغير أن يعرض اليورانيوم للشمس ، فأصابته الدهشة التى أصابت رونتجن فان صورة الصليب ظهرت فيها أيضاً . وأدرك من فوره أن عرض اليورانيوم فى أشعة الشمس ليس له من قيمة فى إرسال ذلك الإشعاع الغريب وأن ملح اليورانيوم لسبب مجهول يرسل باستمرار أشعة غريبة تشابه أشعة إكس .

المواد المشعة ؟

وكان بيير كورى وزوجه مارى يعملان فى معمل بكرل . وكان كلاهما مغرما بالأبحاث . فلما أعلن بكرل كشفه فى عام ١٨٩٦ استأذنته مدام كورى فى مواصلة البحث وكان هدفها أن تعرف إن كانت هناك أملاح أخرى غير ملح اليورانيوم ترسل هذا الإشعاع الغريب فوجدت ملحاً واحداً آخر هو ملح الثوريوم يرسل مثل هذا الإشعاع .

ولكنها اكتشفت أيضاً أن خام اليورانيوم يرسل إشعاعاً أقوى أربع مرات من إشعاع ملحة الملح النقى . وكان معنى هذا أن خام اليورانيوم يحتوى على مادة غنية باشعاعاتها العجيبة . وعزم بيير كورى على أن يتخلى عن إكمال بحثه ويعثر هو وزوجه على تلك المادة الفذة .

الراديوم

وتبرعت لها الحكومة النمسوية بطن من اليورانيوم الخام . فأخذا يحللانه بكل حذر ، ويستخلصان مواده مادة بعد أخرى . فكانت أول نتائج عملهما العثور على مادة تعطى «أشعة بكرل» . وقد أطلقت عليها مدام كورى إسم « بولونيوم » تكريماً لبلادها بولونيا . ولكنه لم يكن غنياً بالأشعة ليحقق أحلام البحث فواصلاه حتى كانت سنة ١٨٩٨ فاستخلص آل كورى من الطن أقل من قمحة من مادة تشع مليونين ونصف مليون ضعف إشعاع مادة اليورانيوم وسمياها « الراديوم » .



٤ — فى عام ١٨٩٨ عرف آل كورى الراديوم كما عرفا الدراجات

وكانت ذات خواص أخاذة فتشع الحرارة ، وتكهرب الجو حولها ، وتجعل كثيراً من المواد مضيئة إن قربت منها . كما كانت تقتل أنواع الميكروبات والأحياء الدقيقة . وأصيب العالم والعلماء بهزة عنيفة ، ففى سنوات ثلاث فوجىء العالم بأكبر اكتشافات عرفها التاريخ ، وأولها أشعة إكس عام ١٨٩٥ ثم أشعة بكرل عام ١٨٩٦ . ثم الراديوم عام ١٨٩٨ .

ولكن الأيام لم تترك آل كورى ينعمون بنتائج بحثهم ففى ابريل عام ١٩٠٣ دهمت سيارة بيير كورى وقتلته . وأسدلت الستار على حياة عالم وضع أساساً جديداً لأبحاث العلم الحديث . ففى جميع أطراف العالم ، وعلى أثر اكتشاف الراديوم بدأ العلماء يبحثون عن سبب الأشعة المجهولة ، والنشاط الاشعاعى . وأن يحصلوا على تفسير معقول للمواد الطبيعية ومنها هاتان الظاهرتان .

فوزى الشتوى



إلى معالى دسوقى أباظة باشا :

« كان معاليه فى الصدر ممن نالوا رضا المليك فأنعم عليهم ، وقد كان من نصيب معاليه الوشاح الأكبر من نيشان النيل »

يا سيدى ، أقـــل منـ ـك ما أراك نِلْتَـــهُ !
ما زانك اليوم الوسـا مُ ... إنمـا قد زنتـه
صدرك يوحى مجده لـكلّ ما حَمَّلْتَهُ
المجـد بحـر خضته ومنهـج سلـكته
المجـد معـنى مبهم وأنت قـد أوضحتـه
بيت الأباظيـين أفـ ق قـد رفعت سَمْتَه
يألق بالنور من الأقـ ـمار ... لـكن زدته
أعزك البيت الـكر يم قـدر ما أعززته
فإن أكن جملته منك ... فقـل أنصفته !

***

من الفراش ذلك الشعـ ـر إليك يرسـل
ما عاقنى عن نظمـه أنى بسقمى مثقـل
خـلا هواك ... كل شى ء فى النهى معطـل
إن لم أقله ... إنه فى خاطرى يرتـل
إن يك حب صادق فالنظم شىء يسهـل
ياسيـدى ... أنت الذى نحبـه ونأمـل !
فنـل علاء دائمـاً وإننـا نسجـل !
وابق ودم وازدد عـلا أنت بذاك أمثـل

العوضى الوكيل

إلى من يكتبون باللغة العربية :

من المعلوم أن رقم (١٠٠) يكتب (مائة) بزيادة الألف ويلفظ (مئة) . وهذه قاعدة قديمة فى اللغة لجأ إليها الناس تحاشيا من الإلتباس بين (مئة) و (منه) وذلك حين لم يكن للشكل والإعجام وجود . قال ابن قتيبة « و (مائة) زادوا فيها ألفاً ليفصلوا بينها وبين (منه) ، ألا ترى أنك تقول : (أخذت مائة) و (أخذت منه) ؟ فلو لم تكن الألف لا لتبس على القارىء » .

أما الآن فنحن نستعمل الشكل والإعجام ولم يبق ما يدعو إلى الإلتباس فى القراءة بين الكلمتين المذكورتين آنفاً أو غيرهما أو لم يبق ما يدعونا إلى أن نكتب (مائة) بزيادة الألف . وبديهى أنه إذا زالت العلة زال المعلول .

ولست أسوق كلمتى هذه عبثاً ، فإن كثيرا ممن يحسنون قراءة اللغة العربية يغلطون فى هذه الكلمة ، فإذا رأوا (مائة) لفظوها (مائة) حاسبين أن الألف أصلية ، وربما توهم السامع فظنها (ماءة) أى ماء ، وهنا نكون تجاه التباس آخر ناشىء من غلط فظيع ! حتى إن جماعة من مذيعى الإذاعات العربية يقعون فى هذه الغلطة ، ولا شك فى أن ملايين من المستمعين يتعلمون ذلك . وأذكر أنى كنت يوماً مع أستاذ جليل فى بيته نستمع إلى المذياع فوقع المذيع فى هذه الغلطة ؛ فتأوه الأستاذ وقال : « لقد فسدت لغتنا فإنا لله وإنا إليه راجعون » .

وأخيراً : أقترح على كل من يكتب باللغة العربية أن يكتب (مئة) ويلفظ (مئة) جارياً على القول الذى قدمناه : (وإذا زالت العلة زال المعلول) .

(بغداد) **صبحى البصام**

من خماسيات الأميرى :

من الذين يزورون القاهرة فى هذا الشتاء الأستاذ عمر بهاء الأميرى ، وهو من شعراء حلب المجيدين ، ومحاميها النابهين . وقد اعتاد أن يجالس الأستاذ كامل كيلانى رجلا استثقله فى فندق (الكونتنتال) فر به ذات ليلة فوجد فى مجلسه ثقيلا فجرى لسانه بهذه الأبيات يقابل فيها بين ظرف صديقه وسماجة جليسه :

شتان بين مهفهف غض الحواشى ، كالفراشه
يصغى إليـك ، ووجهه زانته أضواء البشاشه
وغليظ أوداج ، إذا لاطفته ، أبدى انكماشه

فظ السكوت ، وإن يناقش قلت : ما أدرى نقاشه هـذا بضيع به الخشيـ ش[1] ، وذاك يفدى بالحشاشه

البعثات الأزهرية إلى الخارج :

إلى الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر :

أنت يا مولاى أزهرى نلت أرق الشهادات الأزهرية ، وهى « شهادة العالمية من الدرجة الأولى » ولـكنك لم تقنع بهذا الزاد العربى الشرق مع خصبه ودسامته ، بل أردت أن تجمع بين علم الشرق الوروث وعلم الغرب المستحدث ، فرحلت إلى فرنسا ، وطلبت العلم فى رحاب «السوربون» وأجدت الفرنسية ، وكنت أستاذاً فى الجامعة الفؤادية سنوات وسنوات ، وبذلك أدركت أكثر من سواك مبلغ الخير الذى يحصله الأزهرى إذا ما جمع بين القديم والحديث ، وقارن بين تراث العرب وتراث الغرب ؛ فهل يكون عجيبا بعد هذا ، أو غريبا أن نلجأ إليك هاتفين بك لتسارع بتنظيم البعثات العلمية الأزهرية إلى الخارج من شباب الأزهر المعمور الذين أتموا دراستهم فى الـكليات الأزهرية ، وعندهم استعداد وقدرة على الارتحال ومواصلة الطلب أكثر من الطاعنين فى السن المقتربين من هدوء الشيخوخة والهرم ؟ ! .

لقد سارعت الجامعات المصرية ، والوزارات والهيئات فى مصر فـكتبت كتائبها ، وحشدت جموعها ، وأوفدت بعثاتها إلى الخارج ، عقيب الحرب مباشرة ، مع أن هذه الجامعات والوزارات تجد من أبنائها القدامى والمحدثين من ينوبون عن هذه البعثات أو يحلون محل أفرادها ...

أما الأزهر الشريف الذى يحتاج إلى البعثات أكثر من غيره فلم نر من أبنائه فرداً واحدا يرسل إلى الخارج فى بعثة من البعثات !

إن الأزهريين فى أمس الحاجة إلى دراسة اللغات الأجنبية ، وإلى الوقوف على شبه المستشرقين والملحدين ليدافعوا عن دينهم وإلى معرفة ألوان الحياة الاجتماعية والثقافية عنـد الغربيين ، ليستفيدوا منها فى بناء مجتمعهم الإسلامى الجديد ! فتى يتمكنون من تحقيق هذه الأهداف ! ! ...

لقـد تشرفت يا مولاى الأستاذ الأكبر بالحـديث أمام فضيلتـكم منذ حين عن موضوع البعثات ، وتفضلتم بتقدير هذه اللهجة التى تهدف إلى الخير العام ، وتتحدث عن الرغبات الاصلاحية الشاملة ، واعتذرتم بأن العام الدراسى قد انتصف أو كاد ينتهى ، ولا يمـكن إيفاد أحد من المبعوثين الأزهريين فى هـذا العام ، ووعدتم بتنفيذ هذه الرغبة فى بداءة العام القادم ؛ ولـكننا نخشى يا مولاى أن تشغلنا الأيام القادمة بشواغلها ، فلتستخر ربك ، ولتصدر أمرك بتنظيم لجنة تنظر من الآن فى تنظيم البعثات حتى إذا ما بدأ العام الجديد أو أقبل كانت الـكتائب مجهزة ، والبعوث مهيأة ، والله يسدد خطاك ، ويديم عليـك هداك ، ويحقق بك الآمال

أحمد الشرباصى

المدرس بالأزهر الشريف

ابن حكينا :

فى (شذرات الذهب فى أخبار من ذهب لابن العماد) : الحسن بن أحمد بن حكينا الشاعر المشهور ، قال العماد الـكاتب : أجمع أهل بغداد على أنه لم يرزق أحـد من الشعراء لطافة طبعه . وقيده فى تاج العروس بكسرتين مشدد الـكاف (فى حكن) ، ومع شهرته وقع فى (فوات الوفيات) و (دائرة معارف البستانى) و (الأعلام للأستاذ الزركلى) مصحفا إلى (جَـكِـينا) بجيم مفتوحة وكاف مكسورة .

عبد القادر محمد



(١) مثل سورى معناه . أن ما يأكله من الحشيش يذهب ضياعاً أى لا يساوي ما يأكله .



الملك . . .

ديوان شعر للأستاذ محمود حسن اسماعيل

للأستاذ زكى طليمات

في عنوان هذا الديوان كفاء للدلالة على ما تضمنه ، ولن أجد أبلغ ما أقدم به مقالى عنه ، غير هذه العبارة التى أقتطعها من إهداء الشاعر شعره إلى سيد الكنانة وأمير البلاد .

« هذا هتاف الفن لأنوارك الجديدة فى كل آفاق الحياة ، سكبته من دمى غناء يفيض للدنيا بحبك ، وينبض فى جوانح الزمن بآيات وطنيتك »

وفى الحق أنه لهتاف يشق أجواز السماء ، أرسله الشاعر فى تواجد الصوفى وفى نشوة الفتى الشابل ، فإذا الهتاف تارة تمتمات وتسابيح وترانيم تشع منها أضواء الروح ، وتارة أخرى إرنانات مدوية تشهر فى الفضاء شهر السيوف ، تحى مقدم للبطل وتشيد بمفاخر البطولة ، وترفع رفع أعلام الأعياد ومشاعل الزينات .

ومباعث هذا الشعر مآثر (الفاروق) حفظه الله ، وقد فاضت به يداه فى مناسبات ، فكانت أمن الخائفين والمروعين ، وأفراح المحزونين والمكروبين ، وبشائر الخير والفرج للمحرومين والصابرين . مآثر سجلها الشعر الوفق الأثر ، فإذا هى دستور للبر والإحسان ، فى زمن قل فيه البر والإحسان ، فهبت النظم الاجتماعية تفرض على الغني أن يشاركه الفقير فى ماله ، وتقضى على المتخومين ذهباً وفضة بأن يخففوا مما ثقلت به بطونهم بأن يبذلوا مما بين أيديهم . ثم يشرق الشاعر إشراقة أخرى ، فإذا بالشعر بين يديه يحكى قولة الحق فى (الفاروق) ، قولة تتلخص . . . فى أنه ملك بنفسه وبشعبه ، وليس ملكا لنفسه وبدون شعبه .

كرم الباعث الذى فجر الشعر عيونا ونبل ، كما طاب قول الشاعر ونبه .

ولكل قصيدة فى هذا الديوان مناسبتها ، وفى كل مناسبة تسجيل لمأثرة فاروقية . هذا والقصيد يجرى على غرار ما هو مألوف فى شعر المدائح والمناسبات ، فهو عرض لمآثر من سبق الشعر فى ركابه ، ثم تنويه بفضل هذه المآثر فى كشف الغمة وزوال الكروب ، ثم رسم لأصداء هذه المآثر فى نفوس متلقيها ...

ولو قصر شعر (محمود حسن اسماعيل) على هذا فحسب، ولم يتجاوزه إلى ما هو أعرق فى الشاعرية ، لقصر كلامنا على التنويه بشعر شاعر دفعه إخلاصه لمليك البلاد إلى أن يصدر ديوانا يحمل اسمه الكريم ، فالمدائح وشعر المناسبات يتسم أكثره بفيض فى المبالغة والاجتلاب ، وبوشى محمل بالتزاويق البيانية ،هذا والأدب العربى ، قديمه وحديثه ، ينوء بأحمال ثقيلة منه ، وما كان ليؤبه بهذا اللون من الشعر لو لم ينسب منه عرق رفيع يعتبر بحق من جيد الشعر مبنى ومعنى ، إذ يحمل طابع الصدق والاعتدال فى التعبير ، ويلمع بإشراقات الحذق الفنى فى الصياغة والأسلوب ، ويتسم بالاتزان ، إذ فيه يعوض الشاعر عن شطحاته وهو يزف آيات المديح ، غوص على المعانى وتوفيق فى استخراج طريفها ولطيفها ، ويتجاوز استيحاؤه صفات الممدوح إلى الاستلهام من القيم الإنسانية العامة ، فتكون للشاعر التفاتات تجىء من غير افتعال وكأنها هجس الخاطر ، فتشد إلى القصيد صورا أخرى من الحياة لا تلبث أن تزوده بجديد من المعانى ، فيتسع أفق الشاعر فيما يقول ، وتعظم متعة القارىء أو المستمع له ، وكأن الشاعرية الدافقة فى نفس الشاعر لا يكفيها محور واحد تدور عليه ، فهى تتجاوزه قادرة إلى سواه من غير أن تجعل العرض يطغى على الجوهر ، وبدون أن تنفصم عرى التلاحم بين المعانى الأصيلة والواردة عليها .

والتأمل شعر (محمود حسن إسماعيل) فى هذا الديوان ، لا يعدم موطناً يطالعه بهذا .

انظر إلى قصيدته (نور من الله) ، فبعد مديح فى الفاروق يبلغ ذروته فى هذا البيت :

« مُمَلَّكٌ فى شباب العمر تحسبه
لحكمة الرأى تحدوه القدامات »

إذ بك منقول على جناح خياله ، وقد يمم شطر الأهرام فى

لفتة لطيفة ، ليحيط بك فى رحاب البطل (إبراهيم) ، وإذ بالشاعر يقول :

أهرام خوفو تهاب الجن ساحتها كأنما هى للأقدار خيمات
مُخيمات وأسرار السماء بها كأنما هى للأفلاك جارات
وخيل رمسيس مازالت سنابكها تلقى حديث الوغى عنها الفتوحات
والسيف فى يد إبراهيم مافتئت للنصر ترعش حديه الخيالات
واد أشم العلى ، مرت به حقب أيامهن بكف الدهر رايات

واسمع الشاعر يقول فى قصيدته (نشهد الفأس) ...

قل لسارين مشوا فوق الثرى
بقلوب كخطاهم داميات . . .
ومشت أيامهن بين الورى
فى ظلام البؤس حيرى حافيات
أسبغ التاج عليكم نوره
ورعاكم وحباكم بره
فاطرحوا الشكوى وإن طال الثرى
أيقظ الله لكم جفن الحياة .
فى عبير الحقل أو رمل الهجير
تشهد الفأس على آلامكم

الخ . . . ما ورد فى هذه القصيدة . . . . . .

هذا شعر يتفجر من القلب وليس مما يخرج من اللسان ، من قلب رجل لابس حياة الفلاح وشاهد حفاه وعريه ، وصلى فى محراب أحزانه وآلامه ، واشترك فى ضراعاته . وفى هذا الشعر ما ينبىء عن أن قائله إنما يصدر مخلصاً عما يحسه ، وليس عن هوى فى زف الكلام الموزون الموشى ، ومثل هذا الشعر يأسر القارىء ويغريه بإعادة تلاوته ، لا لجودة الحبكة فى الصياغة ، ولا لطف التعبير ، ولكن لما يتمشى فى جنبات الشعر من نفس حار يشع منه الصدق واليقين .

وفى الديوان ما يماثل هذا ، ولكن فى ألوان أخرى من المعانى والمناسبات ، فلا عجب أن يجىء أكثر الشعر فيه ، تارة زفرات وتنهدات ، وأخرى ابتهالات وتمنيات ، والشاعر فى كل هذا فتى الريف ، سليل حملة الفؤوس ، وعروس شعره جنية من الريف لها خفر أهله ، تطيف به وتهوم فوق رأسه فى دلال المرأة اللعوب ، إن أقبل عليها أدبرت ، وإن أغضى عنها أقبلت ، كما وصفها الشاعر فى قصيدته (تكلم أيها البحر) .

ومحمود حسن إسماعيل قد عرفناه بهذا ولهذا فى ديوانه الأول « أغانى الكوخ » ، وهى قصائد يجرى فيها الشعر جريان السيل الجارف ، ويحمل من الريف غبار مساربه ، وعبقة حقوله ، كما يتنفس عن ألم الفلاح وسقم العامل ، ويصف وصف المستبطن دخائل النفوس ، من طرحتهم عبودية الفقر والجهالة فى كهوف النسيان .

ونرى أن الصلة بين ديوانه « أغانى الكوخ » وبين ديوانه الجديد « الملك » قائمة على أحسن حال من حيث الباعث اللاشعورى لاطلاق شعره ، بيد أن الشعر فى الديوان الجديد يتسم بمسحة ظاهرة من الاناقة ولا أقول التأنق ، لأنه يحنى الرأس فى ساحة المليك ، فإذا الشاعر الذى عرفناه فى (أغانيه) وغيرها يهدر هدر الأمواج الصاخبة وينطلق بيانه كالسيل العرم الذى يحمل من الأرض كل ما يعلوها ، يستحيل نهراً صافى الأديم ، رقراق الماء ، ينساب منمقا حوافيه على إيقاع نسمات الأصيل ...

فإذا افتقدنا فى هذا الشعر الجديد الفورة المزبدة ، فقد أعاضنا الشاعر عنها الهدءة المؤنسة الموحية ، ولهذه كما لتلك ، جمال ودلال ، ومذاق ومتعة .

ولا عجب أن يبدو محمود حسن إسماعيل أنيقاً منمقاً فى شعره هذا ، فأى امرىء لا يصلح من هندامه وينفض عنه ماعسى أن يكون عالقاً به ويأخذ بأسباب الأناقة والنظام ، ما دام يعرف أنه سيمثل بين يدى مليك البلاد ! !

وثمت ظاهرة جديرة بالتوضيح فى هذا الديوان ، فإن أبياتاً من الشعر قد وردت وهى تأبى ألا تكشف عن معانيها إلا بعد ممانعة ومماطلة ، فهى تلوح ولا تفصح ، وتومىء ولا تبين . وقد يتوهم البعض أن هذا غموض أو إغراب من جانب الشاعر فى سوق المعانى ، وما هو كذلك ، وإنما هو طبع فى الشاعر يدفعه أحيانا — وقد يصدر فى هذا عن وعى أو فى غير وعى — إلى إيراد بعض من معانيه فى صيغة (التركيب[1]) أو الاجمال . فتكون مناوشة ومصاولة بين المعنى وذهن القارىء ذى النظر والتأمل ، وتكون متعة ذهنية دونها كل متعة يحسها القارىء بعد أن يمانعه الشعر فى الكشف عن كل مفاتنه عند النظرة المعجلى .

(١) أى الذهاب فى التعبير والمعالجة من البسيط إلى المركب Synthèse وهذا نقيض (التحليل) Analyse



قصة ألبانية :

المهـــد الذهبى

[مهداة للأستاذ الكبير كامل كيلانى]

نقلها الأديبان :

وهبى اسماعيل حقى وابراهيم خير الله

— ١ —

كانت الساعة تدق السابعة صباحا ، حين طرق الخادم باب المكتب ودخل قائلا لسيده فريد إن بباب المنزل قرويا يلح فى طلب الدخول لأنه سيتحدث إليك فى أمر على جانب كبير من الخطورة كما يقول ، فماذا تأمر ؟

— قروى ؟ !

وقد تكون إلى جانب هذا الطبع الغلاب ، نزعة من جانب الشاعر إلى إيراد غير المطروق والمبذول من المعانى ، فيأخذ بأسباب التنقيب والتوليد ، ويمعن فيهما إمعانا قد يحوطه شىء من التعقيد الذى ينشط التأمل ، فإذا الخطوط التى تستوى فيها معانيه منكسرة وليست مستقيمة ، وقد تلم بأكبر قسط من حيز المعنى كما يشغل الخط المنكسر أطول مسافة وهو منطلق من نقطة إلى أخرى ، تقابلها فى حيز المرسوم ، ولكن المعنى على هذه الحال قد يأتى على غرار لم يألفه من تعود أن يلم بالأشياء فى كامل كيانها عند النظرة الأولى ، وعلى نمط لا يروق من دأب على أن يأخذ الأشياء فى يسر ومن غير كد وانعام نظر .

فى شعر (محمود حسن إسماعيل) ما يعطى طواعية ومن غير حساب وما لا يعطى إلا بعد مطالبة وممانعة وحساب ، والناس أمام هذا وذاك أذواق وأفهام .

زكى طليمات

مدير المعهد العالى لفن التمثيل العربى

— نعم يا سيدى !

— يريد أن يتحدث إلى أنا أم إلى والدى ؟

— لقد أخبرته أن سيدى الكبير خرج مبكرا إلى السوق ، وهو الآن فى متجره ، وأنك أنت الذى هنا ، فقال : إنه سيتحدث إليك .

— وهل أخبرك من هو ؟

— لا ، ولست أذكر أنى رأيته قبل الآن .

— ما دام الأمر كما تذكر فأذن له . قال « فريد » هذا ثم أخذ يحرك يده فى سرعة على الآلة الكاتبة لأنه كان يريد أن يتمم الرسائل التجارية الخارجية قبل الحادية عشرة ثم يذهب ليساعد والده فى المتجر ، لذلك لم يرفع رأسه ليرد على تحية الزائر إلا بعد أن أكمل السطر ثم قال : خيرا تريد أيها الفاضل ! فتلفت الرجل يمنة ويسرة وكان قصيرا ، واسع الصدر ، عريض المنكبين ، يرتدى حلة واسعة من حلل الجيش ، وقد ربط رأسه بمنديل أحمر تدلى تحت ذقنه ، وأمسك بيده عصا عجراء ، فوقعت عينه فى جانب من جوانب الحجرة على مكتب رصت فوقه أكداس مكدسة من الدفاتر والملفات التجارية ، ورأى الكاتب قد انهمك فى تقليبها واحدا واحدا ، وقد أمسك القلم بيده يثبت فى ورقة أمامه ما يلزم منها ؛ وأنه لم يشعر بدخول القروى لانصرافه إلى ما بين يديه . ورأى أيضا الخادم الذى قاده ما زال ممسكا بمقبض الباب فى انتظار أمر سيده ثم قال : أريد أن أقول لسيادتك كلمة على انفراد . فاومأ « فريد » إلى الخادم أن ينصرف ، والتفت إلى الكاتب وقال :

— « يا أكرم » ! أعتقد أنه ليس لديك ما يمنع أن تشرب القهوة فى حجرة الإستقبال ، وأن تأمر لنا بقهوتنا هنا ، فغادرها الكاتب صامتا . ثم إن فريدا ابتعد بكرسيه عن المكتب ، وجلس قريبا من الموقد ، وأذن للقروى أن يجلس بجواره ، ثم أخرج علبة « التبغ » وقدمها للضيف فاعتذر بأنه لا يدخن فقال له فريد : وأية كلمة تلك التى تريد أن تتحدث إلى بها ؟

— وهل أنت السيد عفت؟

— نعم أنا هو .

— اعذرنى يا سيدى ! فقد أزعجتك وأنت مشغول ، ولكنى — أطال الله عمرك — اضطررت إلى ذلك لأنى فى مسيس الحاجة إلى صادق معونتكم ، وحسن إرشادكم ، لنصبح فى وقت قصير ذوى مال وفير ، وجاه عريض .

— وأى معونة تحتاج إليها منا ... ؟

— أنت — ولله المنة — فى بسطة من العيش ؛ فقد وهبك الله فوق ما يتمنى الإنسان من الغنى . وأنا — والحمد لله — لا أشكو ضيق العيش فحالتى المادية ليس بها من بأس ، ولكن قل أن يقنع المرء .

دهش فريد من هذا الكلام وأراد أن يطلب إلى الضيف أن يختصر هذه المقدمة وأن يأخذ فى الموضوع الذى جاء من أجله ، ولكن مهارة « بيرام » — وهكذا كان يسمى — فى إلقاء الكلام حملته على أن يصغى إليه ليتم حديثه فقال : منذ أيام وأنا أواصل البحث فى « اشقودراه » عن رجل جمع إلى شرف النفس ، مضاء العزم ، وأصالة الرأى ، وغزارة المعرفة ، وسلامة التفكير ، وإنى أعتقد أنى قد وصلت الآن إلى ما كنت أبغى فإنى أقرأ فى صفحات وجهك آيات الحزم والوفاء ، وإنى واجد — لا محالة — فى قلبك حصنا للأسرار حصينا .

— هو ما تقول . ولك — إن شاء الله — ما تريد .

— لست أدرى يا سيدى من أين ، ولا كيف أبدأ الكلام ؟ فإن موضوع الحديث مستغرب وستشاركنى فى الدهش والحيرة عندما تسمع ، ولا إخالك إلا متعجبا — وهنا أدنى فريد كرسيه من القروى حتى تلاصقا ، فقد استهواه أن يقف على جلية الخبر بعد هذه التقدمة الشائقة ، وقد شرع « بيرام » يتكلم فى موضوعه بعد أن تحرك فى كرسيه فقال : لقد عثرت فى الأدغال على أشياء كثيرة ذات قيمة عظيمة جدا وهى لا بد أن تكون غالية الثمن .

فصوب إليه فريد نظره فى هذه اللحظة ليستدل من ملامحه على نصيب حديثه من الصحة ، فلم ير أمامه إلا وجها كساه جمال الرجولة ، وبدت عليه سمات الجد ، ومخايل الذكاء ، وحب المغامرة. أما بيرام فقد استمر بقول : لا تيأس أيها السيد فإنى أود أن أبسط لك الموضوع من بدايته كما حدث ، وأرجو أن تفسح لى صدرك وتلق إلى بالك فإنه من الخطورة بمكان .

— لك ما تشاء ، وستجد منى صدرا رحبا .

— إنى أمتلك قطعة أرض قريبة من بيتى ، وقد نبت العشب والكلأ فيها بكثرة ، وبها كثير من الأحجار الصالحة للبناء . ولما كنت على عزم تجديد البيت واستصلاح الأرض رأيت أن أجمع تلك الأحجار لأنتفع بها ولأنظف الأرض منها لتصير صالحة للانبات ، ولم يكن يساعدنى فى ذلك غير والدتى ، وبينما نحن نعمل بجد وقعت فأسى على حجر كبير ، ودفعنى حب الاستطلاع إلى إزالة ما عليه من الأتربة ، وإخلاء ما حواليه فدعوت والدتى لتعاوننى فى ذلك العمل ولتعيننى على نقله ، وبعد جهد ومشقة استطعنا أن نحركه من مكانه ، فإذا به غطاء لبئر عميقة يصل الإنسان إلى قاعها بواسطة سلم طويل قد نحت فى الصخر ، وكانت البئر حالكة الظلمة ، فأرسلت والدتى إلى البيت فأحضرت المصباح بسرعة ! ... إنى عاجز يا سيدى عن أن أصور لك حالتى فى تلك اللحظة ، وقد كنت أسمع والدى — عليه رحمة الله — دائما يقول : لو حفر إنسان هذه الأرض لعثر على كنوز قيمة جدا .

كان فريد يستمع إلى « بيرام » وهو مبهوت ، وكانت عيناه لا تبرحان النظر إلى شفتيه وهو يتكلم ، وحينما وصل من حديثه إلى هذا الحد سأله : هلا دخلت البئر ؟

— وكيف لا يا سيدى ؟ سأحدثك بكل شىء فلا تتعجل . فإنه لما عادت والدتى بالمصباح أمسكته بيدى ونزلت وكل همى أن أعرف عن المكان كل شىء : عددت درجات السلم فوجدتها خمسين درجة ، وبعدها انتهيت إلى حجرة واسعة تبلغ مساحتها ضعف مساحة هذه الحجرة ، ثم فرك « بيرام » عينيه وغير من نبرات صوته مما زاد فى التأثير على « فريد » الذى كان بجواره جامدا كالتمثال ، كله انتباه وإصغاء حتى لا يفوته من حديث القروى شىء ، لذلك نراه يستعجله بقوله : وأخيرا ما ذا رأيت ؟

— رأيت يا سيدى أشياء غريبة جدا ! لا أدرى عن أيها أتكلم أولا : رأيت تماثيل لرجال من الأحجار ، ورأيت كثيرا من الأوانى الكبيرة المصنوعة من الفخار التى يطلق الناس على الواحد منها إسم « الزير » ويبردون فيها مياه الشرب ؛ هذه الأوانى ملأى بتراب ثقيل لامع ، ورأيت كرسيا كبيرا من الذهب . فاستعاد « فريد » فى استغراب وفى صيغة سؤال عبارة بيرام الأخيرة : « كرسيا كبيرا من الذهب » ؟ ثم مال بجسمه نحوه كأنه يريد أن يفصح أكثر من هذا وقال له : وماذا رأيت أيضا ؟

— ماذا أقول لك ياسيدى ؟ إن ذاكرتى لا تعى كل مارأيت فإنها كثيرة جداً ، وستراها بنفسك عند ما تذهب معى !.. هناك أسلحة كثيرة مزينة بالأحجار الكريمة . وهناك لوحات كبيرة من الرخام على الجدران نقشت عليها نقوش قديمة . ثم سكت برهة كأنه يستذكر ما رآه وعاد يقول : فاتنى أن أقول

لسيدى إن فى وسط الحجرة تماما كرسياً طويلا جداً وهو دقيق الصنع جميل الشكل فاقع الاصفرار ، وقد ثبت فى الأرض بمسامير وتتدلى فوقه من السقف سلسلة طويلة من الذهب الخالص تنتهى بقنديل صغير الحجم أصفر اللون لم أر فى حياتى أجمل منه... وفى ركن من الأركان مهد من الذهب تجلت فيه آية الفن القديم ، وأبدعت فيه يد الصانع فكان تحفة نادرة المثال . هذا كل ما أذكره الآن يا سيدى من تلك الأشياء التى تخلب اللب وتبهر العين . ثم سكت ونظر إلى فريد إيذاناً بأن حديثه قد انتهى وليعرف مدى تأثره بما سمع . وفى هذه اللحظة كان الخادم يدق الباب حاملا إليهما القهوة فصاح فيه فريد بصوت الذى استيقظ من نومه دون أن يتم حلمه اللذيذ : لا نريد قهوة ، فاخرج واتركنا وحيدين . ثم التفت إلى بيرام وقال له : هل أنت متأكد أن أحداً غيرى لم يطلع على هذا الموضوع ؟

— قلت لسيدى إننى قضيت أكثر من سبعة أيام أفتش فى «أشقودراه» عن رجل أستطيع أن أعتمد عليه . وأنا ياسيدى رجل ولدت ونشأت فى الجبل ولم تمكنى ظروفى من الاختلاف إلى المدرسة ، ولذلك تنقصنى الشجاعة لأقوم بمثل هذا العمل وحدى لجهلى بقيمته من ناحية ، ولأن حالتى المادية وحالتى الاجتماعية لا تساعداننى ، ولخوفى من أن أحداً يكتشف أمرى فيرشد ولاة الأمر على من ناحية أخرى . وإن القدر ساقنى إليكم ؛ فقد علمت من أهل الناحية أنكم — أنت ووالدك — أهل ثقة وكرم ، ومروءة وشرف ، فكن على ثقة ياسيدى من أننى لم أتحدث إلى أحد قبلك فى هذا الشأن وأنه لايعلم به الآن سوى ثلاثة : أنت ، وأنا ، ووالدتى .

انتصب فريد واقفاً واخذ يذرع أرض الحجرة ذهوبا وجيئة ؛ فقد هجمت عليه جيوش جرارة من الأفكار ؛ ساوره أولا قليل من الشك لم يلبث أن تبدد وحل محله إيمان راسخ بكل ما قال بيرام حينما اقترب منه وألقى عليه نظرة جبارة لم يتأثر القروى منها ، فاعتقد فريد أن ما سمعه لم يكن حلماً يزول بالاستيقاظ من النوم ، ولا قصة أعمل الكاتب فيها خياله ، ولا أكذوبة لفقها بيرام ؛ فإن سذاجته وعدم تعلمه ومظهره العام وما يدل عليه من طيبة نفس ، وسلامة ضمير ، ونقاء سريرة كل ذلك يباعد بينه وبين الكذب . لا شك أن هذه حقيقة واقعة وأن الحظ قد ساقها إلى والحظ هو كل شىء فى الدنيا . والآن نحن فى حاجة إلى سرعة العمل ، وحكمة الارشاد وكتمان الخبر . ثم كف فريد عن المشى فى الحجرة وتيار هذه الأفكار يدور فى رأسه ونظر إلى القروى الذى كان يشم فى اطمئنان عبير وردة كانت فى يده مما لايجعل للشك أثراً فى نفس فريد ، ولذلك قال له : أنت تعرف يا أخى أن مثل هذه الحكاية يجب ألا يطلع عليها أحد حتى لا يتسرب خبرها إلى أذن الحكومة فتتركك صفر اليدين لأن الآثار ملك للدولة ، وقد أحسنت صنعاً بالمجىء إلى هنا فهذا عمل لا يستطيع امرؤ أن يقوم به وحده ، أو هل تعتقد فى نفسك القدرة على الاستفادة من هذه الكنوز من غير أن تستعين بأحد ؟

— لو كان الأمر كذلك لما كلفت نفسى مشقة البحث عمن أطمئن إلى معونته .

— أؤكد لك — وأنا صادق — أن التوفيق قد حالفك حين اهتديت إلينا ، وإنى أعاهدك عهداً لا أحنث فيه أن كل شىء نكسبه من هذه سنقسمه مناصفة ، وهذى يدى وعلى عهد الله وميثاقه وهو على كل ما نقول شهيد ، فمد إليه بيرام يده وتعاقدا على ذلك ، ثم أخذ فريد يقطع الحجرة ثانية ذهاباً وإياباً تاركا العنان لأفكاره التى تضاربت وتعددت وتشعبت ، فمن رحلات للبلاد النائية ، إلى مشروعات تجارية واسعة ، إلى تمرغ فى أعطاف النعيم ، وتمتع بما لذ وطاب من أنواع المتع ، إلى إنشاء فنادق فاخرة ، وابتياع سيارات فخمة ، وعبث مع النساء ، وغير هذا وذاك مما يمليه الهوى وتسعف به النقود . ثم إنه تذكر فجأة أن الوقت أثمن من أن يضيعه فى مثل هذه الأفكار ، وإنما يجب العمل السريع الحاسم ، فرجع إلى بيرام وجلس بجانبه . وقال له : قل ثانية ماذا رأيت فى هذا الكهف العجيب ؟ فأخذ القروى يعيد تعداد الأشياء التى سردها آنفا مسهباً فى وصفها وفريد يستزيده ويستوضحه ويمطره بوابل من الأسئلة فقد سأله ما عدد الأزيار ؟

— أربعة عشر كل واحد منها أطول من قامتى .

— وهل أدخلت يدك فى أحدها ؟

— لا ! ولكنى رأيت فيها تراباً أصفر اللون .

— وهل هو ذهب ؟

— لا أستطيع أن أؤكد هذا .

— وماذا فى الكهف غير ما ذكرت ؟

— فيه كل شىء ! ... فيه تمثال لإنسان فى ناحية منه وحجمه كبير جداً وفى وسط التمثال باب من الحديد .

— وهلا فتحت ذلك الباب ؟

— فى اليوم الأول اعترانى خوف شديد فلم أفتحه ، وإنما فتحته بعد يومين اثنين .

— وماذا رأيت ؟

— رأيت أشياء لا يكاد العقل يتصورها ، فالباب الحديدى الذى فى وسط التمثال إنما هو باب حجرة تبلغ مساحتها مثل مساحة الأولى سبع مرات تقريباً . وهى مملوءة على سعتها بأعمدة من الرخام وتماثيل رجال من الأحجار وكراسى كثيرة صنعت من معادن مختلفة وكلها موضوعة فى نظام دقيق غريب .

— وهل هذه المقاعد من الذهب ؟

— لست أدرى لأنى لم أقترب منها .

— ولماذا لم تأت بقطعة منها « كعينة » ؟

— نحن يا سيدى أناس جهلة ! تصور أن والدتى ترتعد خوفا عند ما ترانى أهم بالدخول ، وهى لا تتركنى أدخل إلا إذا أقسمت لها أغلظ الأيمان أننى لن أمس شيئاً من الآثار بيدى . وهى تؤمن بالخرافات إيمانها بالله فتعتقد أن هذه الكنوز أمانات للموتى تحرسها الأرواح ، وأن هذه الأرواح تنال بالأذى من تمتد يده إلى تلك الأمانات .

— هذا كلام فارغ ! واعتقاد فاسد ، ووهم باطل ... كم من الوقت تستغرق المسافة بين هنا وبين منزلكم ؟

— تستغرق ساعتين أو ساعتين ونصفاً على أكثر تقدير .

— إنى أود أن أرى قطعة من هذه الآثار فما رأيك ! أود أن أراها لأتحقق أذهب هى أم فضة أم ماذا ؟ فرجائى أن تذهب الآن وتعود بقطعة منها .

— أمرك نافذ ياسيدى ! ولكنى أرى أن القيام بهذا العمل فى النهار غير مناسب ، وإنما يناسبه الليل ؛ لأنه أحفظ للأسرار ثم إنى على ميعاد فى السوق اليوم ولا بد من الذهاب إليه قبل العودة إلى المنزل .

— أنصحك بترك كل عمل آخر لنتفرغ لعملنا نحن ؛ فإننا سنعيش منه مترفين ولن نحتاج لشىء ولا لأحد مدى الحياة .

— الحق ما تقول ، وإننى لن أذهب إلى السوق لقضاء مصلحة ، وإنما لمقابلة صديق ينتظرنى . فسأله فريد فى صوت الخائف الشاك ، ومن يكون ذلك الصديق ؟

— رجل لا تعرفه . وسأكون بعد غروب الشمس فى بيتى ، ومهما تأخرت فسأرجع إليك الليلة « بالعينة » موضوعة فى غرارتين مملوءتين بالفحم .

— وأى شىء تأتى به من هذه الآثار ؟

— سآتى — إن استطعت — بشىء من القنديل ، ومسامير المقعد الكبير ، وما يمكننى قطعه من المهد .

— لا ! لا ! لا تمس المهد بسوء ، ولكن أدخل يدك فى قاع « زير » وأت بشىء مما تحت الغبار ، وإن لم تجد غير الغبار فيكفى أن تأتى ببعضه فى منديل .

— إنها يا سيدى مهمة شاقة ؛ فإنى كلما أردت الدخول بكت والدتى وملأت الدنيا صياحاً ، ولكنى سأفعل المستحيل لإرضائها ، والقيام بما أمرتنى به .. وهنا أدخل فريد يده فى جيبه وأخرج كيس نقوده وأخذ منه جنيهين من الذهب ووضعهما فى يد بيرام وقال له : خذ هذا المبلغ الضئيل واشتر لوالدتك هدية وحاول أن تقنعها أنها إن تركتك حراً فستصبح بعد زمن يسير من أغنى الناس ، وأن ما تدعيه من أن ما فى الكهف أمانات تحرسها الأرواح إنما هو خرافة ، فأخذ بيرام المبلغ ووضعه فى جيبه ثم استأذن فى الخروج على أن يعود ثانية بعد الظهر . فقال له فريد : سنتعشى هنا معاً .

— لا ! يا سيدى أشكرك .

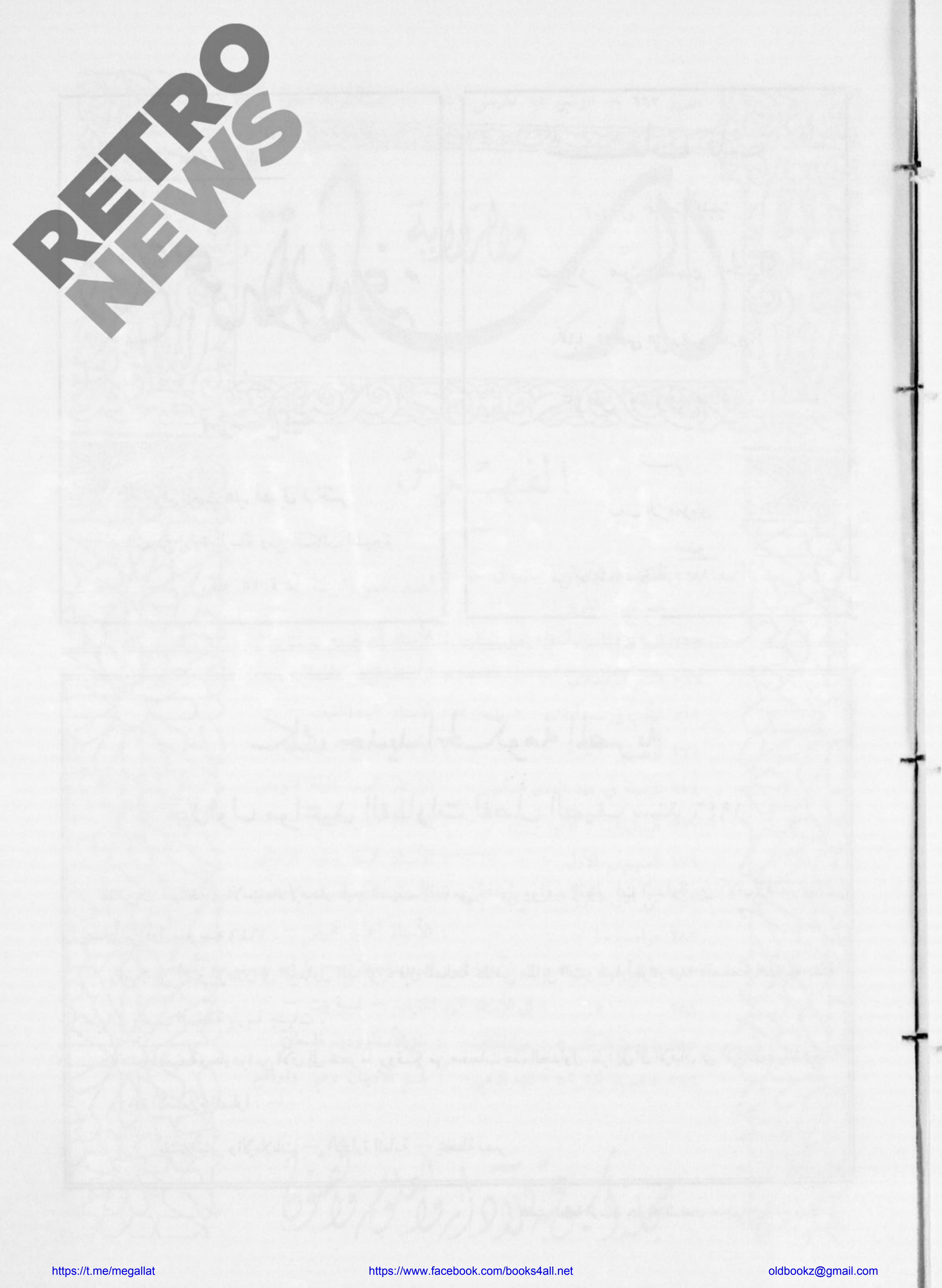
لا ! لا ! لابد بعد عودتك من السوق أن تتناول العشاء معاً ثم تخرج إلى بيتك .

— أمرك يا سيدى !

— سأنتظرك . ولما هم بيرام بالخروج ناداه فريد وقال : هل تسمح أن تشرفنى بمعرفة اسمك ؟ فإنى نسيت .

— إسمى بيرام يا سيدى ... قال هذا ثم انصرف .

(يتبع) وهبى إسماعيل حقى و إبراهيم خير الله



(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

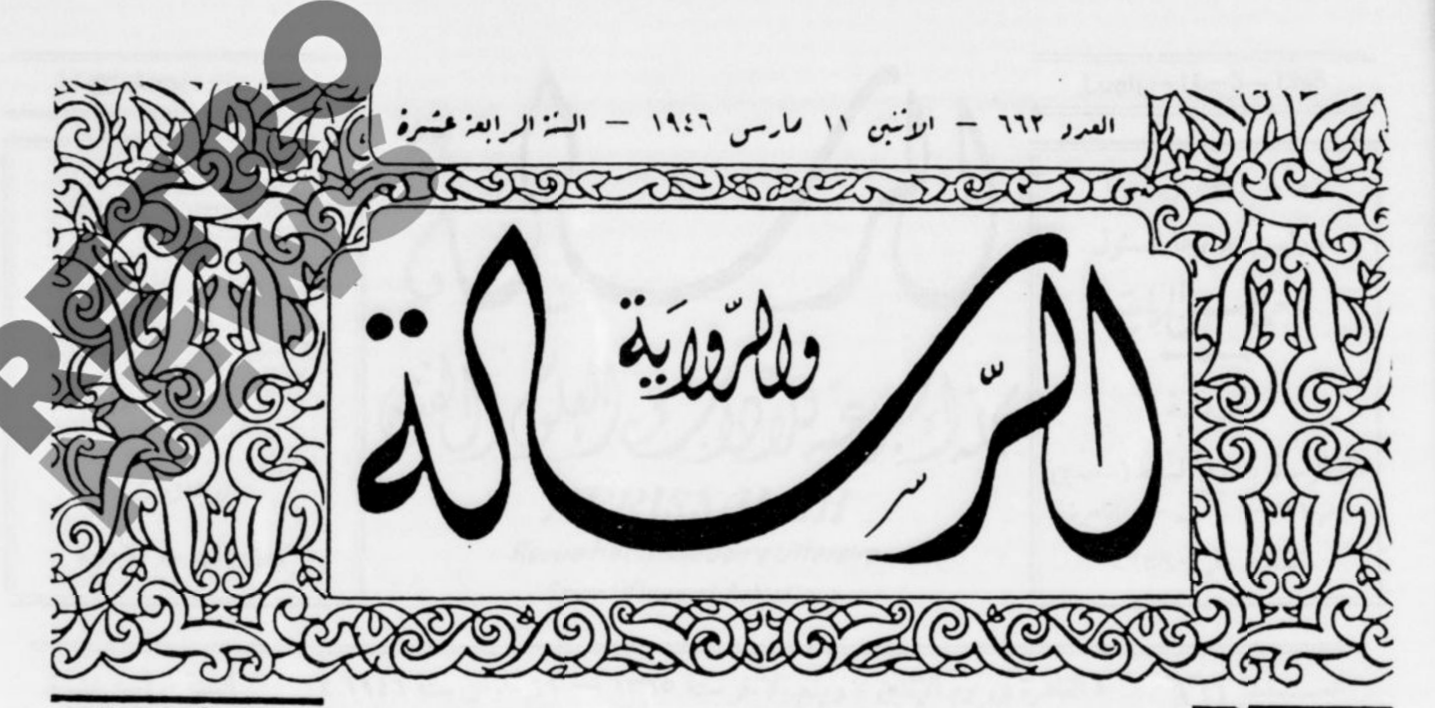




الفهرس

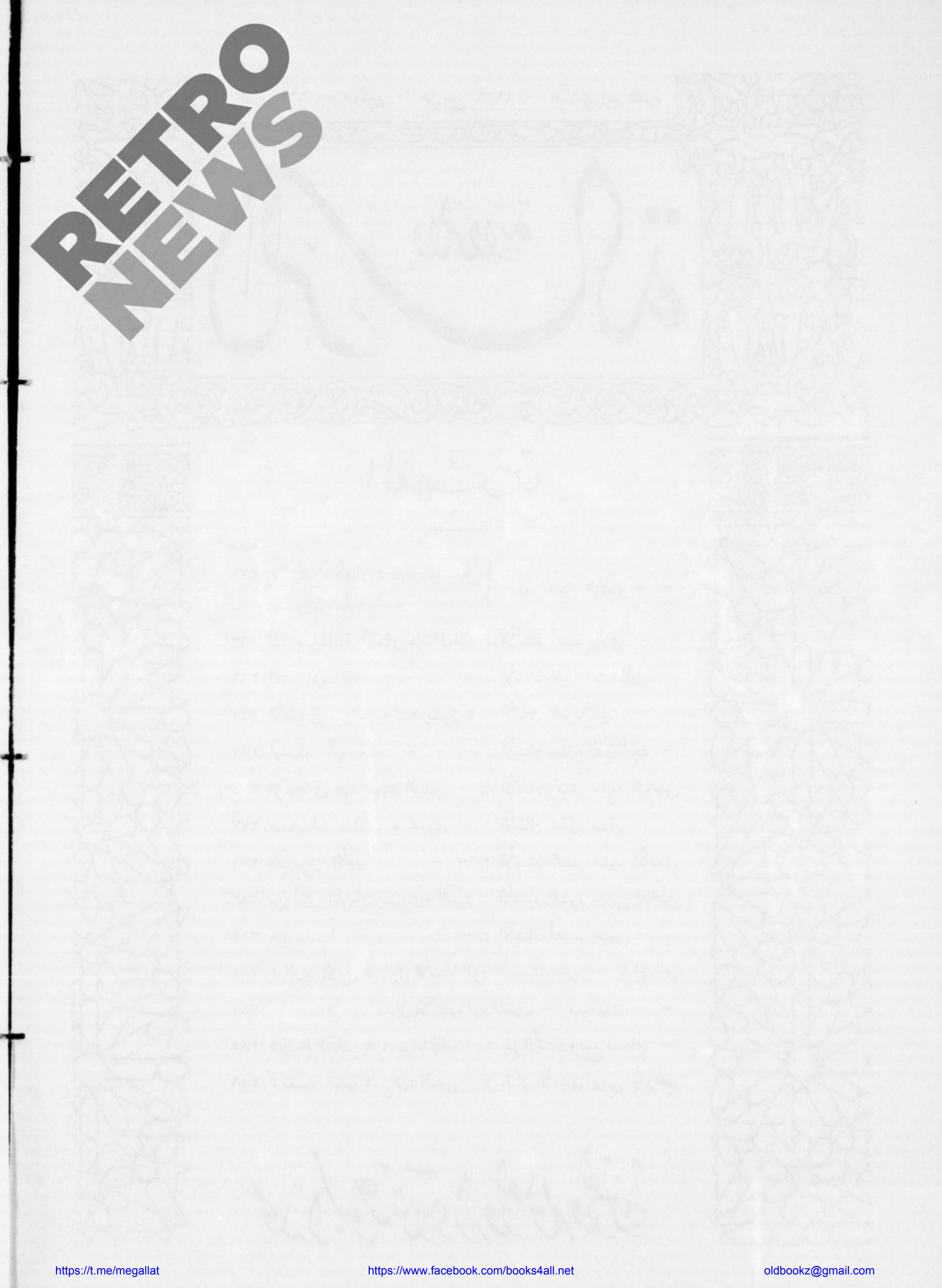
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ٦٦٢ — الاثنين ١١ مارس ١٩٤٦ — السنة الرابعة عشرة



الفهرس

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون



14 me Année No. 662

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

Lundi — 11—3—1946

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٦٦٢ « القاهرة فى يوم الإثنين ٧ ربيع الآخر سنة ١٣٦٥ — ١١ مارس سنة ١٩٤٦ » السنة الرابعة عشرة

جمال الدين الأفغاني (*)

جهاده فى سبيل الشورى والحرية

[بمناسبة ذكرى وفاته التاسعة والأربعين]

فى اليوم التاسع من شهر مارس عام ١٨٩٧ قضى السرطان فى عاصمة الخلافة على الحكيم الثائر المصلح السيد محمد جمال الدين الأفغانى، بعد أن بلغ الرسالة وأدى الأمانة ، ومسح عن عيون الشرقيين ما فتّرها من همود الكرى ، وجلا عن قلوب المسلمين ما غشاها من صدإ الجهل ، فاطمأن الاستبداد ، وأمن الاستعمار، وظن الذين ينقضون أوطانهم ليقيموا عروشهم ، والذين يزيفون أديانهم ليملأوا كروشهم ، أن الصوت قد خفت ، وأن الشعل قد انطفأ ؛ ولكنهم نسوا أن الرسل يبلغون والله يُثبت ، وأن المصلحين يبذُرون والدهر يُنبت ، وأن جمال الدين إنما كان صيحة الحق وإشراقة الهدى انبعثتا فى يومهما الموعود كما ينفجر المكظوم فيدوّى ، ويحلولك الليل فيُصبح . وهل كانت الثورات الديمقراطية التى شبها العرابيون ثم المهديون ثم الاتحاديون ثم السعديون ثم الهاشميون ثم الفهلويون إلا أقباساً من تلك الشعلة المباركة التى حملها الأفغانى وتنقل بها فى ممالك الشرق ، يحرق ويضىء ، وينضج ويُحمى ، ويُقبس ويشمل ، وساعده مرفوعة لا تكل ، وعزيمته ماضية لا تنكل ؟

وسر القوة فى هذا الرجل أنه كان صاحب رسالة لا طالب مُلك : هاجم السياسة الإنجليزية فى (العروة الوثقى) أعنف الهجوم أيام الثورة المهدية ، فدعى إلى لندن ليلوح له اللورد ساليسبُرى بمُلك السودان ليطفئ الثورة ويقترح الإصلاح . فما كان جواب الأفغانى إلا أن قال : « إن السودان لأهله . وهل تملكونه حتى تملكونى عليه ؟ ! »[1]

وأراده السلطان عبد الحميد على مشيخة الإسلام فأباها وقال : إن وظيفة العالم فيما يزاول من تعليم، وإن رتبته فيما يحسن من علم[2] .

أما كيف تهيأت نفسه لرسالة البعث والتجديد على فترة من رسل الهدى وأئمة الإصلاح فجّر فيها الحاكم وكفر المحكوم ، فذلك من علم الله الذى يصطفى من يشاء كما يشاء لنصرة حقه وهداية خلقه . وكل ما نظنه معيناً على هذا التهيؤ أنه ولد فى بيت كريم الأصل يجمع إلى جلالة النسب إلى الحسين ، سؤددَ الإمارة على بعض الأقاليم الأفغانية ؛ وأنه درج فى بيئة تمتز بطباع البداوة من حرية وحميَّة وأريحية وأنفة ؛ وأنه درس فيما بين الثالثة والثامنة عشرة من عمره علوم الدين والدنيا ، وفنون اللسان والعقل ، على منهاج محيط شامل ؛ وأنه حذق فى مراحل حياته ومواطن رحلاته اللغات العربية والأردية والفارسية والتركية والفرنسية ، وألم بالإنجليزية والروسية ، فاتصل منها بثقافة الشرق والغرب فى القديم والحديث ؛ وأنه طوّف ما شاء الله أن يطوّف فى أقطار الهند وإيران والحجاز ومصر وتركية وانجلترا وفرنسا وروسيا ،

(*) أذيعت فى محطة الشرق الأدنى للاذاعة العربية فى مساء يوم الجمعة الماضى .

(١) خاطرات جمال الدين للمخزومي ص ٥٤ .

(٢) المصدر نفسه ص ٧٠ .

فازداد بصراً بأحوال الدول وأخلاق الشعوب ؛ وأن موقع أفغانستان بين الهند وإيران أمكنه من أن يرى ميادين الاستعمار الدل الذل تتواثب عليها قوى الإنجليز والروس ظاهرة وباطنة . فهاله منذ شب عدوان الأجنبي على استقلال أمته وجيرته

كل أولئك الذى ذكرت من كرم المحتد ، وشرف المولد ، وبداوة البيئة ، وعمق الثقافة ، وحذق اللغات ، وإدمان الرحلة ، ومعاناة الاستبداد ، ومكابدة الاستعمار ، لم يخلق وحده الرجل المصلح فى جمال الدين ، وإنما كان مساعداً لسر العبقرية الذى أكنه الله فيه على أن يظهر مهيأ الأسباب مستكمل الوسائل.

* * *

كان رضى الله عنه متواضع النفس لأنه عظيم ، جرئ الصدر لأنه حر ، ندى الراحة لأنه زاهد ، ذرب اللسان لأنه قرشى ، أبى الضيم لأنه أمير ، حاد الطبع لأنه مرهف ، صريح القول لأنه رجل . ولم يبتغ من وراء هذه الصفات — كما قال — إلا سكينة القلب . وكان يحمد الله على أن آتاه من الشجاعة ما يعينه على أن يقول مايعتقد ويفعل مايقول(١) . ومن تمازج هذه الشمائل وتلك الوسائل فيه اتسعت حوله الأرض ، وامتد أمامه الأفق ، وانصرف همه البعيد عن الدار والزوجة والعشيرة إلى الوطن الإسلامى كله ، والشرق الإنسانى كله ، فجمل قصده ووكده أن يدعو إلى إنهاضهما بالوحدة الإسلامية لتدفع غائلة المستعمر ، وبالحكومة الدستورية لتقمع شرة المستبد

وقد آمن بهذه الدعوة إيمانه بالله حتى رأى فى سبيلها السجن رياضة والنفى سياحة والقتل شهادة !(٢)

وكان الذين يقفون من سيرة الأفغانى على الهامش يظنون أنه قصر جهده فى تحقيق هذه الدعوة على الكتابة والخطابة ؛ والواقع الذى لا شك فيه أنه فكر ثم قدر ثم دبر ، ولكن الوحدة كانت من الشتات بحيث لا تلتئم ، والاستبداد كان من الثبات بحيث لا ينهزم

تولى الوزارة وهو فى ريق شبابه لأمير الأفغان محمد أعظم ، فجمع نفسه على الاستقلال ، وأدار أمره على الشورى ، فأوجس الإنجليز خيفة من هذه النزعة ، فأرسلوا ذهبهم إلى منافسه فأضرم الثورة وفرق الكلمة وطرد الأمير . وخرج السيد إلى الهند يبتغى السكينة عند تاجر صديق ، فاستقبله الإنجليز على الحدود ، وأنزلوه بالإكراه ضيفاً على الحكومة . فسألهم الإقامة شهرين ، ولكنهم حين رأوا إقبال الناس عليه ، وإصغاءهم الشديد إليه ، قصروا هذه المدة وأمروه بالخروج . وكادت الأعصاب الهندية المخدرة تثور حين قال لزعماء الهنود وهو راحل :

« وعزة الحق وسر العدل ، لو أن ملايينكم مسخت ذباباً لأخرجت الإنجليز بطنينها من الهند . ولو انقلبت سلاحف ، وخاضت البحر إلى الجزر البريطانية لجذبتها إلى القاع » !

* * *

وفى الآستانة استقبله الصدر الأعظم استقبال التجلة ، وأحله أعيان الدولة محل الكرامة . ثم عين عضواً فى مجلس المعارف ، فرأى فى التعليم رأياً ، وخطب فى الصناعة خطبة ، أحفظا عليه أعوان الجهل من رجال العلم ، وإخوان الضلال من شيوخ الدين . وتولى قيادة الإرجاف شيخ الإسلام لحاجة فى نفسه ، فافترى على الرجل الأباطيل ، وبس حواليه النمائم ، فلم يجد الأفغانى بداً من النزوح إلى القاهرة .

وهنا وجد الصدر الأرحب فى رياض باشا ، فتجلت عبقريته فى التعليم والتنبيه والتوجيه ؛ وأوقد بالزيت المقدس شعلته الوهاجة فى البيت وفى القهوة ، فمشا على ضوئها الهادى طلاب المعرفة وعشاق الحكمة من علماء وأدباء وساسة وقادة . ثم اتخذ من المحفل الماسونى الذى أنشأه ، منارة لهذه الشعلة ، فقسم الإخوان العاملين فيه شعباً لكل وزارة من وزارات الدولة شعبة . فشعبة الحربية تنظر فى ظلامة الضباط المصريين ، وتنذر (ناظر الجهادية) أن ينصفهم من الضباط الجراكسة . وشعب الحقانية والمالية والأشغال تنذر وزراءها أن يساووا المصريين بغيرهم فى العمل والمرتب . وراع أولى الأمر ما قرأوا فى تقارير الشعب ، وما سمعوا من لغط الموظفين ، وما رأوا من قلق المثقفين ، فاستدعاه الخديو توفيق وفاوضه فى ذلك ، فقال له فيما قال : « إن سبيل الإصلاح أن يشترك الشعب فى حكم البلاد عن طريق الشورى » . ثم ازداد جمال الدين إمعاناً فى حملته ، وانقلب الأدب كله أصداء لأحاديثه وأبواقاً لدعوته ، حتى انتهى الأمر — بعد جهاد ثمانى سنوات — إلى أن ضاق الإنجليز بسعة نفوذه ، فزينوا للخديو أن يخرجه من مصر فأخرجه

(١) خاطرات جمال الدين ص ٢١ (٢) المصدر نفسه ص ٢٣

وانتقلت الشعلة إلى باريس ، وسطعت فى العروة الوثقى ، وظلت ألسنتها ثمانية عشر شهراً تومض فى جنبات الشرق كما تومض المنارة فى ظلمات المحيط ، حتى دلت على أوكار الطغيان ونمت بأسرار القرصنة ، فاستقدمه شاه العجم واستوزره ، فلما أشار عليه بالشورى أشاح بوجهه عنه . واستزاره قيصر الروس واستخبره ، فلما نبأه بحديث الشورى نفر منه . واستدعاه خاقان الترك واستشاره ، فلما نصح له بالشورى وتقسيم الامبراطورية إلى عشر خديويات يتولاها أمراء عثمانيون ، زوى عبد الحميد ما بين عينيه ؛ ولكنه ألطف الجواب للحكيم الشجاع ، وظل على إكرامه واحترامه أربع سنين حاول فيها أن يكبله بقيود المنصب والزواج فلم يستطع ، ولكن الموت استطاع أن يكبل الثائر الحر ليبلغ الاستبداد أجله المقدور !

وهكذا كانت حياة جمال الدين كلها جهاداً مضنياً فى سبيل الله والعلم والحرية والشورى .

كان أينما حل تنفس الصبح واستيقظ الهجود ، وأينما رحل ارتجفت العروش واضطربت القيود !

طيب الله ذكرى هذا الإمام العظيم ، وأجزل له ثواب المصلحين المخلصين فى جنات النعيم !

احمد حسن الزيات

آمال تذكيها صحائف مطوية :

المساجد الجامعة

وأثرها فى حياة المسلمين وتربيتهم الدينية

للأستاذ أحمد رمزى

(بقية ما نشر فى العدد الماضى)

كانت فكرة تربية المسجد تعاودنى من وقت إلى آخر . وكانت حوادث الزمن تمر علىّ فلا أشعر بمرورها . لقد قضيتُ أسعد سنوات العمر وأزهرها مغترباً عن بلادى ، مشرّقاً حيناً ومغرّباً أحياناً ، وأطلقت العنان لنفسى أقرأ وأستمع وأبحث ، وأدرس الحركات الشعبية وتأثيرها ، وأتصل بأصناف مختلفة من الناس ، وألمس عن قرب تطور العالم وتمخضه بالحركات الفكرية الكبرى ، ومع ذلك كانت تلازمنى فكرة حمد الله صبحى عن تربية المسجد وأثرها فى حياة المسلم .

واجتهد أن أصل إلى تكييفها وفهمها لإيجاد طريقة أو منهج لتحقيقها . وكان أشد ما يقابلنى من المصاعب ، ويصدنى عنها هو مناقضتها بمنطق يستند على أنها بعيدة عن الإسلام وأنها تقليد للمذاهب والأديان الأخرى ، وفى ذلك هدم للفكرة وإخراج لها من حيز القبول إلى حيز التحريم والإنكار .

ففى يوم من أيام إقامتى بسوريا ولبنان مدة هذه الحرب اتجهت نية بعض الاخوان إلى زيارة الحصون والقلاع التى تركتها الحروب الصليبية . فلما زرناها وقفنا دهشين لأن ما نقش على الحجارة ينطق بفتحها على يد ملوك مصر أمثال بيبرس وقلاوون وابنه الأشرف خليل ، فبدأت أشعر شعوراً جديداً ، بعظمة مصر الإسلامية العربية وأثرها فى العالم العربى ، وحنقت على وزارة المعارف التى أهملت هذه الناحية فلم تلقنى شيئاً عن تاريخ بلادى فى معاهدها سوى أنها أنقصت من قدر ملوك الإسلام الذين تولوا الحكم فيها ، فلم تكشف لى عن صفحة مجد واحدة تحبب إلىّ ذلك العصر المملوء بالفتوح والحروب والمعارك والانتصارات التى منّ الله بها على جند مصر العربية الاسلامية وملوكها ، ومكنتهم من هذه الحصون التى وقفت تقارع الزمن حتى مهد الله فتحها على أيديهم بعد أن عجز غيرهم عنها ، وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم .

وكان أن أخذت نفسى بقراءة المراجع كما كتبها المعاصرون لتلك الحوادث ، فهدانى الله إلى حقائق كانت مغلقة علىّ ، إذ عرفت أهمية المساجد الجامعة وأثرها فى تاريخ المسلمين ، وكيف أسند ملوك الإسلام وظائف الإمامة والخطابة للقضاة وكبار العلماء من مشايخ الحنفية والشافعية والمالكية والحنابلة ، وكيف أرصدوا الأوقاف والأموال والخيرات والنعم الوافرة على مساجد الله . فأين ذهب كل هذا ؟

ولم نتلق شيئاً عن هذه المساجد وتاريخها ما يدفعنا لزيارتها والتحدث عنها كجزء متمم لتاريخنا وشخصيتنا ولكن هذا النقص تكفلت به كتب التاريخ والتراجم والأدب .

فقرأنا فى صبح الأعشى الكثير عن الوظائف الدينية

ودرجاتها وأهميتها ، فمن ذلك صورة تقليدين لمشيخة الشيوخ أحدهما للخانقاه الصلاحية « سعيد السعدا » من إنشاء المقر الشهابي ابن فضل الله العمري، والثاني لمشيخة الخانقاه الناصرية بسرياقوس من إنشاء السيد الشريف شمس الدين ، وكلاهما تحفة من تحف الأدب الديواني ، ودليل على العناية والاهتمام بمراكز الدين وأهمية الإمامة والخطابة بالمساجد في صميم الدولة الإسلامية .

فبالله عليك ماذا يكون موقفنا لو أبقى الزمن على محفوظات ملوك الاسلام بعصر بأكملها ؟ وإنه لشيء عظيم يدل على أن المساجد الكبرى مثل جامع عمرو وابن طولون والجامع الأزهر بعد ذلك وجامع الحاكم والسلطان حسن وجامع الملك الظاهر ، وجامع القلعة ، كان يتولاها أكبر علماء العصر . ولو شئنا أن نؤرخ لكل منها وأن نصف ما مرّ من العزّ عليها ، لاحتجنا كتاباً لكل منها .

إذا تقرر ذلك ، فما الذي يمنع أن يردّ اعتبار هذه المساجد إليها ؟ فتسند وظائف الخطابة والإمامة إلى أكبر علماء الدين وأعلامهم قدراً ، وأكثرهم غيرة على الدين ، مثل فضيلة الأستاذ الأكبر ، ومفتي الديار المصرية ، وقاضي القضاة وهو اسم تاريخي ما أجمل وقعه لو أطلق على رئيس المحكمة العليا الشرعية ، وإلى غيرهم من هيئة كبار العلماء وأساطين الشريعة السمحاء ، وأن يقلدوا هذه الوظائف بمراسيم عالية تصدر بالألقاب التي كانت تستعمل في العهود الاسلامية .

فجامع عمرو بن العاص متى يتولى الإمامة فيه شيخ من فطاحل شيوخ الاسلام من ذوي المراكز العالية والمراتب الكبرى ؟ فيضع ببطاقته مفتخراً بأنه إمام جامع عمرو وخطيبه قبل وظيفته الرسمية العالية ، حينئذ يأتي الكبراء إليه ويزدحم المسجد العتيق بجماهير المصلين ليؤدي لهم بحق رسالة الاسلام .

أما جامع ابن طولون فمتى يعود لسابق عهده ، فتعلق ستائره وتفرش أرضيته بالأبسطة والطنافس ومتى تعود أيامه وتوقد القناديل فيه ؟ إنهم يرونه أثراً من آثار الجاهلية الأولى كمعابد الكرنك وإدفو ، وأراه دعامة من دعائم الاسلام في هذا البلد المسلم . إنه ينتظر عالماً كبيراً بمنزلة القاضي بكار ، يرج بصوته الجمهوري أركانه ويدعو فيه إلى ذكر الله ويعلم الناس في أروقته الكتاب والدين والتقوى . وإذا سألتني ومن يأتي إليه ؟ أجبتك إن شخصية الامام العامل العالم تكفل لك أن تنقل المسجد الجامع من معبد أثري إلى بيت من بيوت الله ، حينئذ يؤمه الألوف لسماع ذلك النداء الخالص الذي يدعو إلى الرسالة المحمدية .

وإذا ذهبت إلى حيّ العباسية مخترقاً الظاهر قابلك الجامع الظاهري ، مفخرة العمارة الاسلامية في العصور الوسطى . لو كان ملكاً لشعب من أصغر شعوب الأرض لما قبل أن يتركه على هذه الحالة . بالله هل سمعتم أن كاتدرائية ريمس حينما هدمتها الحرب الأولى أو كاتدرائية وستمنستر حينما هدمتها الحرب الثانية ، اتخذ الناس أرض الأولى متنزها والثانية مرتعاً ؟ أما في مصر ، فقد انفردنا بهذا الفتح إذ جعلنا الجامع الظاهري الذي بناه أعظم ملوك الإسلام متنزهاً في حي أشعر أنه بحاجة لمسجد جامع يؤمه الناس . إن أهل العباسية في مجيئهم من محطة باب الحديد إلى مساكنهم ، ألا يشعرون بشيء من الخجل حينما يرون المعابد العالية التي يقوم بالإنفاق عليها أفراد من مختلف الطوائف ، وأن مسجدهم العظيم يتخذ متنزهاً ؟

حينما أعادت فرنسا كاتدرائية ريمس ، توالت عليها التبرعات من جميع أنحاء الأرض ، ولو رغبت وزارة الأوقاف في إعادة جامع الظاهر أظن أن الكثيرين من عشاق الفن الإسلامي لا يتأخرون عن مد يد المساعدة إليها وسيكون لنا عودة لهذا الجامع فنذكر ما مر به من حوادث الزمن .

« وما جعله الله إلا بشرى ولتطمئن به قلوبكم » .

إن الطوائف الأخرى تقيم أعيادها واجتماعاتها في معابدها ، ونحن معاشر المسلمين ، في حاجة للرجوع إلى المساجد في هذه المناسبات ، وليس في ذلك من حرج ، لأن ذلك كان سنة من تقدمنا — ذكر ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن الفرات في تاريخه عن حوادث رمضان سنة ٦٧٧ أنه بمناسبة مرور سنة على وفاة الملك الظاهر ركن الدين بيبرس « عملت غدة أعزية بمدرسة

الإمام الشافعي رضى الله عنه وجامع أحمد بن طولون والجامع الظاهرى بالحسينية[١] والمدرسة الظاهرية[٢] والمدرسة الصالحية النجمية[٣] ودار الحديث الكاملية[٤] بين القصرين والخانقاه الصلاحية برحبة باب العيد والجامع الحاكى داخل القاهرة المحروسة وذكر الختمات التى قرأت والخيرات التى عملت ، وفى ذلك دليل على أن المآتم كانت تقام بالمساجد وكان الناس يجلسون للعزاء ، وكانت تقام فيها صلاة الغائب وينادى بالنعي من المآذن .

فهل هناك ما يمنع من الأخذ مرة أخرى بتلك السنن ، وأن يجتمع الناس بالمساجد الجامعة فى أحيائهم لذكرى المولد النبوى ، وللاحتفال بأعيادهم ؟ لا أجد نصاً واحداً يمنع الأخذ بذلك ، بل قد رأيت طول القرون الماضية مايؤكد المنزلة التى كانت للمساجد الجامعة فى مصر وغيرها .

ذكر صاحب الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة ، حديثاً طويلا عن الخطباء ، الذين أمرهم السلطان الغورى أن يخطبوا بين يديه فى أيام الجمع ، يفهم منه الاهتمام الكبير الذى كانت توليه الدولة المصرية فى عهدها الإسلامى العربى لشؤون الخطابة فى المساجد الجامعة . ولذلك لا نختلف مع نظرية حمد الله صبحى بك فى شىء بل إن الفكرة تستند على ماض طويل ، وتحتاج أولا إلى من يحييها ثم من يجعلها ملائمة لتطور الزمن .

ونقول بكل صراحة : إن مظاهر الضعف والتفكك والتدهور الأخلاقى البادية فى صفوف المسلمين المعاصرين ، ترجع إلى اعتكاف علماء الدين ، وإلى اتخاذهم المكاتب والحجرات بدل المساجد ، ولو نزلوا إلى الشعب الإسلامى كما نزل الرسول وأصحابه والتابعون وتابعو التابعين ، وتولوا الإمامة والخطابة بأنفسهم ، لخلقوا حول المساجد هالة من التقديس والاحترام ، ولأصبحت المساجد الجامعة فى قاهرة المعز لدين الله ، عامرة آهلة بألوف المصلين من عباد الله .

إن المساجد الجامعة بيوت الله ، يجب أن يعمل علماء الدين على اجتذاب الناس إليها ، وأن يربى الطفل والطفلة والشاب والفتاة والنساء والرجال على المداومة على الذهاب إليها ، وأن يكون الإمام والخطيب رجل دعوة وإيمان وعلم وجرأة ، عالماً بشؤون الدنيا بقدر علمه بشؤون الدين ، أعظم صفة لديه «الابتكار» وأن يفيض قلبه بمحبة الشعب ودعوة الناس وخدمتهم وإقالة عثرتهم ، فيقول للحيارى تعالوا : هذا هو بيت الله وهذا هو دينه وهذه شريعته وهذه سيرة رسوله ، « وما جعله الله إلا بشرى ولتطمئن به قلوبكم » .

تمر الأيام سريعاً ويتطور العالم ويسير ويواجه أزمة وراء أزمة ، فهل نعيش لنرى ذلك اليوم فى مساجد الله ؟ وهل سيسمع لنا نداء ؟ أم سيخرج من صفوفنا نحن الذين لم نلبس العمامة من يقوم بهذا الغرض الاجتماعى ويدعو لهداية الله ويحمل الأمانة التى تخلى عنها رجال الدين ؟

هذه أسئلة يجيب عنها المستقبل ...

أحمد رمزى

القنصل العام السابق لمصر بسوريا ولبنان

نشر بإعلان ٤٩٧٤ بالعدد ٦٦١ وتطلب المواصفات نظير دفع مبلغ جنيه ، ٥٠٠ مليم والصواب ٥٠٠ مليم فقط ؟

---

(١) الآن حديقة عامة .
(٢) زالت للأسف مع الوجود .
(٣) الباقي منها قليل وأرضها عمارات ومساكن .
(٤) الباقي منها الواجهة فقط .

الفتح الإسلامى

للأستاذ على الطنطاوى

لما وثب الألمان تلك الوثبة ، فطحنوا جيوشاً ، ودوّخوا ممالك ، وطمسوا فى مصور أوربة حدوداً ومحوا دولا ، وأخذتهم العزة بالإثم والعدوان ، فقال فرعونهم : أنا ربكم الأعلى ! ...

وقام من بعدهم اليابان ، فقفزوا كالجنّ على جزر المحيط ، وحازوا أطراف المشرق ، وتمّ ذلك فى اللمحة الخاطفة ، كأنه حلم نائم ، أو كأنه سحر ساحر ...

... أذاع مذيع (عربى ...) من محطة لست أسمّيها ، يمجد هذا النصر ، ويفرغ فيه كل ما يملأ رأس الضعيف من الاعجاب ببطولة القوىّ ، وكان مما وسوس له به شيطانه أن قال : (هذا هو الفتح ، لافتوحاتنا التى لم نمل من الفخر بها وقد مضى عليها ألف وثلثمائة سنة) !

وقالوا : ردّ عليه ، وضَع فى فمه حجراً . قلت : لا ! إنه لم يَأنِ أوان الردّ عليه ، فانتظروا ، فانها ستردّ عليه الأيام .

وها هى ذى الأيام قد قالت فأبلغت ، وردّت فأفحمت ، ولكن أين ذلك المذيع ليستمع ويفكر ، فيرى فتوح هتلر كفتوح تيمورلنك ، عاصفة عاتية مدمرة ، تهب على الكون فتقتلع الأشجار ، وتهدم البنى ، وتدحرج الصخور ، ثم تضعف العاصفة وتضمحل ، ولا تدع وراءها إلا الموت والخراب والفوضى ! وما أسهل الهدم ، وما أهون القتل ! إن كلباً عقوراً يقتل أعظم نابغة فى الدنيا . وأكبر عالم فى الأرض لا يستطيع أن يخلق ذبابة . والبناء الفخم الذى ينشئه مائة مهندس بارع ، يهدمه اللص بقنبلة واحدة ، أو يحرقه بعود كبريت ... والسفينة المدرعة العظيمة التى يجتمع على إنشائها الآلاف ، ويمضى العمر ، يغرقها مجنون فى ساعة ... كذلك كان فتح تيمورلنك وهتلر ... وأين اليوم هتلر وتيمور ومن كان بينهما من فاتحين وغزاة مظفرين ؟ وأين من كان قبلهما ؟ لقد طواهم الزمان ، فلم يبق منهم إلا قبور تحتها رفات رميم ، أو صحائف فيها مجد ميّت ، وربما أغرقهم السيان فى لجته ، فلم يمنحهم قبراً على الأرض ، ولا ذكراً فى التاريخ ... وكذلك الفتوح التى تفخر بها الأمم ، ويشغل بها الطلاب فى المدارس ، كلها فتوح قوة وتغلب ، فإذا ضعف القوىّ ، أو قوى الضعيف ، عاد الغالب مغلوباً ، والمغلوب غالباً .

أما (الفتح الاسلامى) فنسيج وحده فى تاريخ البشر ، لا يشبهه فتح ولا يدانيه ولا يقاس به . إن هذا (المذيع) رأى جانباً واحداً منه ، وخفيت عنه جوانب : رأى الظفر فى المعارك والغلبة فى الميادين ، فقاسها على أشباهها ونظائرها ، وتحكم فيها بما أوصله إليه عقله ، وما دفعه إليه هواه ... أما الجوانب التى لم يرها ، فقد وصفها الامام العبقرى ابن تيمية بكلمة جامعة ، لو كان إعجاز بعد القرآن ، لقلت إنها من معجزات البيان ، هى : (إن المسلمين الأولين لم ينقلوا الإسلام إلى الأمم ، ولكن نقلوا الأمم إلى الإسلام) . إن فى هذه الكلمة القصيرة سرّ الفتح الإسلامى ومزاياه وعلة بقائه واستمراره ، وهاك بعض البيان :

إنها لم تدر فى الأرض رحى الحرب ، ولم يطأها جيش فاتح ، إلا ابتغاء أرض يضمها الفاتح إلى أرضه ، أو شعب يحكمه مع شعبه ، أو غنائم ينالها ، أو ثأر يطلبه ، أوخيرات يستولى عليها ، أو كنز يملكه ، هذه هى غايات الحروب ، وهذه مقاصد الفاتحين .

أما المسلمون فقد خرجوا يُعلنون كلمة الله ، وينشرون دينه ، يبذلون فى سبيل ذلك دماءهم وأرواحهم ، ويفارقون من أجله ديارهم وأولادهم ، لا يريدون علواً فى الأرض ولا استكباراً ، ولا يبتغون دنيا ولا يريدون مالا . وهذه هى المزية الأولى .

وكانت غايتهم إصلاح البشر فى أخلاقهم ومعايشهم ، وسعادة الناس فى دنياهم وآخرتهم ، فكانوا يحملون إليهم مفتاح هذه السعادة ، وهو القرآن ، فان كانوا عقلاء وقبلوا الهداية واستجابوا لها ، وارتضوا هذه السعادة ورحبوا بها ، كفّوا عنهم فلم يقاتلوهم ، وإن لم يقبلوا وركبوا رؤوسهم عناداً ، ولم يحبوا أن يجلبوا لأنفسهم النفع ويمنعوا عنها الضرر ، عدّوهم كالأولاد القاصرين أوالمعتوهين والمجانين ، لابد لهم من وصىّ يقوم عليهم ، ويصرّف شؤونهم فيما فيه صلاحهم ، وفرضوا عليهم أجرة قليلة هى كأجرة الوصىّ الأمين ، فإن دفعوها برضاهم قبلوا منهم ، وإن والوا عنادهم وأبوا إلا الإفساد فى الأرض ، وأذى أنفسهم

وإخوانهم فى الإنسانية ، دعوهم إلى الحروب ، لأن الإسلام يرى البشر كلهم كراكبى السفينة إذا أراد أحدهم أن يخرق موضعه ، كان عليهم أن يمنعوه ويكفوه ويضربوا على يده ، لئلا يهلك نفسه ويهلكهم معه ، فكأن الإسلام وصل منذ أربعة عشر قرناً ، إلى ما تسمى إليه الآن ولا تدنو منه (هيئة الأمم المتحدة) . وهذه هى المزية الثانية .

وكانوا إذا حاربوا ، حافظوا على شرفهم ، وأقاموا على كرمهم فكانوا أشرف محاربين عرفهم ظهر هذه الكرة ، لا يغدرون ولا يمثلون ، ولا يجهزون على جريح ، ولا يحاربون امرأة ، ولا يعرضون لعاجز ، ولا يمسون معبداً ولا يؤذون متعبداً ، ولا يخربون داراً ، ولا يفسدون ماء ، وإن هذه الخلائق فى الحرب لتعدّ غريبة فى هذا القرن ، الذى يسمونه (قرن العشرين) ، ويزعمون أنهم بلغوا فيه نهاية الارتقاء ، وذروة المدنية ، فكيف وقد جاءت فى القرون (المظلمة ! !) التى يسمونها القرون الوسطى ؟ ! هذه الثالثة .

ولم يكن يلهيهم عن غايتهم مال ، ولا يشغلهم جاه ، ولا ينسيهم هذه الغاية خطر ، فكانوا إذا اشتد الخطب ، وادلهمت المعركة وعبست ، يلجأون إلى الله الذى حاربوا من أجله ، وقاتلوا فى سبيله . هذا قتيبة بن مسلم الفاتح المظفر ، يثب عليه كمين من الترك ، ويقع بين حجرى الرحى ، فيقول : انظروا إلى محمد بن واسع ماذا يصنع ؟ فيقولون : هو قائم هناك يشير بأصبعه نحو السماء ، فيشرق وجهه ويطمئن ، ويقول : والله لهذه الأصبع أحب إلىّ من عشرة آلاف سيف يشهر ، أقدموا على بركات الله .

وكانوا يعملون لله وحده ، لا للجاه ولا للذكر . هذا بطل الدنيا وعبقرىّ الحروب خالد ، يعزله عمر فيقاتل جندياً كما كان يقاتل قائداً ، لأن الله لا يجزى القواد وحدهم ولكنه يجزى كل عامل مخلص . وهذا رجل لا يعرفه أحد ، يفعل الفعلة التى تكسبه مجد الدهر ثم يخفى اسمه ولا يعلنه ويقنع بثواب الله : يلقى المسلمون فى معركة من المعارك شدة وكيداً من أحد أبطال العدو ، فينادى قائدهم إن من قتل هذا الرجل فله ألف دينار ، فلا يصبحون إلا ورأسه ملقى فى خيمة القائد ولا يعرف من قتله ، ويسألون فلا يجابون ، فيقوم القائد فيقول : أنشد بالله من فعل هذا ، إذا كان يسمع كلامى ، إلا خرج إلىّ . فيخرج رجل لا يعرفونه ، فيسأله : أأنت فعلت هذا ؟ فيقول : نعم . فيقول : خذ الجائزة فيأبى ، ويقول : إنما فعلت ذلك لله وحده . فيقول له : ما اسمك؟ فيقول : وما لكم ولاسمى ، أتريدون أن تنشروه فى الناس ، فتضيعوا علىّ ثوابى ، وتفسدوا علىّ نفسى ، دعونى .

ووقعوا — وهم المصحرون المدمون ، الذين كانوا يأكلون القد ، ويتبلغون بالتمرة — وقعوا على كنوز كسرى ، وإن الحبة الواحدة منها يأخذها الرجل تغنيه وتغنى ولده من بعده ، وما يراه إلا الله ، فلم يغلّوا منها شيئاً وأدّوها كاملة ، لأن نبيّهم نهاهم عن الغلّ ، ولأنهم إنما خرجوا لله ، لا للمال ولا للكنوز ! هذه الرابعة .

ثم إنهم إذا دخلوا بلدة لم يحملوا إليها الاسلام فى محاضرات يلقونها ، ونشرات يذيعونها ، وكتب يطبعونها ، فيكونوا هم الأساتذة أبداً ، وأولئك كالتلاميذ ، ويكونوا المتقدمين إلى كل خير ، والمستأثرين بكل نفع ، لا ولكنهم يدلون أهلها على منابع الإسلام ، ويرشدونهم إلى الكتاب والسنة ، ثم يتركونهم لينتقلوا هم بأنفسهم إلى الإسلام . فلم تمرّ برهة حتى سبقوا العرب وبذوهم ، وكان منهم أئمة الدين ، وعلماء القرآن والحديث والفقه وعاد العرب الفاتحون وجلسوا بين أيديهم ، وتتلمذوا عليهم ، وأخذوا الدين عنهم . وهذه الخامسة .

ثم إن الفاتحين الأولين ، لم يعلنوا عن الإسلام بألسنتهم ، ولم يدعوا إليه بأقوالهم ، ولكن أروا الناس فى أخلاقهم ومعاملاتهم وسيرتهم أمثلة من أحكام الإسلام ، فحببوه بذلك إليهم ورغّبوهم فيه ، وها هم أولاء فى حمص بعد أن فتحت لهم ودخلوها وأخذوا الجزية من أهلها ، يبلغهم أن الروم قد توجهوا إليهم ، ويعرفون عجزهم عن مقابلتهم ، وحماية أهل البلد الذين صاروا فى ذمتهم ، ويعزمون على الخروج منها ، فيدعون البطاركة والرؤساء ، ويخبرونهم بعجزهم ويردون إليهم ما قبضوا منهم من مال الجزية كاملا فيبلغ العجب والإعجاب قرارات نفوسهم ، ويقولون : والله ما رأينا مثل هذا من الروم وهم أهل ملتنا ، وإن ديناً يأمر أصحابه بهذا لنعم الدين هو ، ولأنتم أحب إلينا منهم . هذه السادسة .

ولم ينجلِ الفتح ، عن غالبين ومغلوبين ، لا تزال تهيج بينهم الأحقاد ، وتضرم نيران الثورات والحروب ، كما هى الحال فى كل فتح ، وإنما انجلى عن أمة واحدة لها ربّ واحد ، ونبى واحد ، وكتاب واحد ، أمة مسلمة ، فلا عرب ولا فرس ولا روم ، ليس منهم من دعا إلى عصبيته ، بعد أن تبت يدا أبى لهب العربى القرشى الهاشمى عم النبىّ ، صلى الله عليه ، وكرمت أيدى بلال

الحبشي وصهيب الرومي وكان من أهل البيت الفارسي سلمان. هذه السابعة

بهذا استقر (الفتح الإسلامي) وخلد ، وبقيت هذه البلاد للاسلام إلى يوم القيامة ، وإذا كانت أحياناً حروب عصبية ومعارك على الملك ، فإنما كانت لمخالفة قواعد الإسلام ، والدعوة إلى العصبيات والقوميات ، وجعل الخلافة ملكا ، وتحويلها وراثية كسروية ، ولو بقيت بكرية عمرية ، لما كان خلاف ولا نزاع .

هذه هي الجوانب التي لم يشهدها ذلك (الذبيح) ولم يعرفها ، فحسب أن الفتح الإسلامي كفتوح هتلر ، فتح غلبة وقهر ... كلا ، إنما هو فتح هداية وإصلاح . على أننا كنا أقوى من جند هتلر قلباً ، وأعظم بطولة ، وأعجب نصراً ، فلقد حارب هتلر بعدّة ضخمة وعديد ، وجيش مدرب شديد ، ووسائل إلى التقتيل والتدمير يعجز عن تصورها إبليس ، ثم غلب هتلر ووسائله وجيوشه ، وقام العرب لفتح الدنيا أمام القرآن ، وهم لا يملكون جيشاً مدرباً ، ولا قائداً عسكرياً متعلماً ، وما سلاحهم إلا سيوف ملفوفة بالخرق، ثم طحنوا بإيمانهم أعظم إمبراطورية في معركتين اثنتين، القادسية ونهاوند ، وأزاحوا عن ظهر الأرض أثقل عرش ، وخلصوا دنيا القرن السابع من جبروت كسرى وقيصر ، ثم انتشروا في أرجاء الكون ، من جنان الشام إلى سهول العراق ومصر ، إلى صحارى أفريقية وتركستان ، إلى جبال الألب والقفقاس ، إلى جزر البحار إلى ثلج روسيا ، إلى لظى الحبشة ، لم يدعوا بقعة من الأرض إلا سكنوها وحكموا فيها باسم الله وبشرع محمد ، وهم كانوا القابعين في رمال الجزيرة ، يخشون تابعاً من أتباع قيصر في الشام ، ويرجون تابعاً من أتباع كسرى في العراق ، ويسمونه ملك العرب !

هذه هي مزية الفتح الإسلامي ؛ فإذا كانت الفتوح عاصفة مدمّرة فهو الغيث المرع ، وإن كانت القتل والخراب والفوضى ، فهو الحياة والبناء والنظام ... فيا أيها (الذبيح) قد بطل فخرك بفتح هتلر ، وقد ذهب هتلر وفتوحه مع أمس الدابر ، ولم يعقب إلا الفساد في الأرض ، وسيذهب كل فتح قام على القهر واعتمد على الظلم ... ويظلّ (الفتح الإسلامي) راسخاً رسوخ الأرض ، باقياً بقاء الزمان ، ولا يزال مفخرة لكل من قال أنا إنسان !

فيا أيها المتنصرون ؛ هاتوا مثل هذا الفتح ، أو فاسكتوا ، لا تفتخروا ! !

(دمشق) **علي الطنطاوي**

الأدب في سير أعلامه :

ملتن ...

[القيثارة الخالدة التي غنت أروع
أناشيد الجمال والحرية والخيال ...]

للأستاذ محمود الخفيف

— ٣ —



البيوريتانية كمذهب :

يتلخص مذهب البيوريتانز في العقيدة الدينية ، في الإيمان بالقدر المحتوم ، ويرون وجوب خشية الله أشد خشية في عمق وإخلاص ، فالله وحده هو الحاكم ، وهو وحده القادر ذو الجبروت والجلال ؛ ويعتقدون أن معينهم الذي يجب أن يستقوا منه دينهم هو كلام الله كما ورد في الأنجيل ، فلا وساطة للكنيسة البابوية بشرح أو تأويل ؛ وهم ينفرون أشد النفور من الكنيسة البابوية لتحكمها في العقول وانغماسها في شؤون السياسة والحكم وأخذها بالبدع والضلالات ، واعتمادها على الزخرف والبهرج الزائف من النقوش والصور والغناء والتماثيل وما إليها من مظاهر الوثنية ؛ وبعد رجالها عن روح الدين ورسالته ، وإقبالهم على الحياة الدنيا وزينتها ، وانخداعهم بغرورها وملذاتها ، وجرى الأشراف على كنائسهم وفق نظام « كلفن » ، فلا تكون الرياسة للقساوسة ، وإنما تكون لفريق منهم يختار ، ويشاركهم فريق من غير رجال الدين على نحو قريب من الديمقراطية بعيد كل البعد عن الاستبداد ؛ ويتمسك البيوريتاني بأهداب الدين ، ويحرص على العبادة ، ويغلو في ذلك كل الغلو ، فكل رب أسرة هو في الواقع قسيسها ومرشدها ومنفذ ما توجبه روح الدين فيها ، وقارئ الإنجيل ومفسره لأبنائها وبناتها ...

أما في السياسة ، فإن شعورهم القوي بأن الله هو الحاكم الأعلى ، وأنه القاهر فوق عباده ، الملوك منهم وغير الملوك ، جعلهم يستصغرون كل سلطة غير سلطته ، ويرون الناس جميعاً بالقياس إلى الله سواء ؛ وينفرون من كل استبداد أو إرهاب في أية صورة من صورها ؛ وقوى هذه الروح عندهم شعور آخر هو تمسكهم بحرية الضمير في الفكر الديني بتخلصه من آراء الكنيسة ، وعلى هذا فحرية الرأي في السياسة جزء من هذه الحرية الفكرية التي بثها مذهبهم في نفوسهم واستمدها من التحرر العقلي العام الذي هو وليد النهضة والإصلاح الديني ، والذي هو مظهر من مظاهر شعور الفرد بشخصه وذاتيته بالنسبة للمجتمع كله ...

وفي آداب المجتمع نرى لهؤلاء البيوريتانز مبادئ خلقية يتمسكون بها تمسكهم بدينهم ويغلون فيها غلوهم فيه ، وعندهم أن الروح فوق الجسد ، فتطهير الروح من مفاسد الحياة لا يكون إلا بقهر الجسد وفطامه عن الشهوات ومحاربة الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، ولقد أسرفوا حتى كرهوا كل زينة وخافوا من كل متعة ، وعدوا طيبات الحياة مبعث النزوات ووسائل الشيطان وحبائله . والبيوريتان صريح شجاع حر الرأي ، إذ هو يميل إلى الطهر في كل شيء ، ويميل إلى النزاهة في جميع صورها ، ولذلك يطلب العدالة والحق قولا وعملا . وكما أن الأسرة البيوريتانية تأثرت بالدين نراها تأثرت كذلك بهذه المبادئ الخلقية ، فرأس الأسرة حريص على أن يغرس هذه الصفات في أفرادها في صرامة وحزم ، ولقد صبغ ذلك الأسرة البيوريتانية بصبغة خاصة في المجتمع الإنجليزي ...

وأثرت نزعتهم الدينية ومبادئهم الخلقية في نظرتهم إلى الفن

والأدب ، فمن حيث نزعتهم الدينية نجد انشغالهم بالدين ومايتصل به ، وتأثرهم بمذهبهم وتحمسهم له ، يصرفانهم عن التفكير فيما سواه من معرفة أو أدب أو فن ، مما يتصل بالحياة الدنيا ومسائلها ؛ بل لقد كرهوا هذه الأشياء وخافوا مغبتها على عقيدتهم ومذهبهم ومالوا إلى حصر الأدب فى أضيق نطاق له . وعندهم أن فى الإنجيل غناء عن كل كتاب غيره ، وحاربوا فى شدة وعنف دراسة آداب الإغريق لما فيها من وثنية ومادية ورجس من عمل الشيطان .. ومن حيث مبادئهم الخلقية نجدهم يحاربون الفنون فى ضروب تعبيرها ، لأنهم يعدونها لهواً ولعباً من غرور الحياة وفتنتها ، فلا يقرون التمثيل ، بل يرون فيه أنواعاً من الإغراء والفتنة تسوق إلى الفجور والضلال ؛ وهم بالضرورة يمقتون الرقص ويعدونه فسوقاً وضلالا بعيداً وحيوانية جامحة ؛ وينظرون إلى الموسيقى نظرة أخف حدة من نظرتهم إلى المسرح والرقص ، فإذا كانت للعبث واللهو والفتنة ، فهى باطل وإثم ، وإذا ذهب الناس إلى الكنيسة ليستمعوا إلى الموسيقى فحسب ، وهم منصرفون عن العبادة بعيدون عن الخشوع ، فوجب إبطالها من الكنيسة . وكره البيوريتانز إلى جانب ذلك التصوير والنقش والحلى والزينة وما يتصل بالجمال ، لأنهم يرون فى ذلك مدعاة للترف وصلة قوية بالدنيا توبق الروح وتميت فى القلوب الورع والخشوع

هذا هو الجانب السىء من البيوريتانية ، وأى شىء أسوأ من أن تكون حرباً على الأدب والفن والمعرفة إلا ما كان معرفة دينية تستمد من الأنجيل ؟

ولم يقتصر الأمر على هذه العيوب الأساسية فى البيوريتانية ، بل إن المذهب نفسه قد تطرق إليه الفساد ، شأن كل مذهب ينشأ قوياً صالحاً ، ثم يجر إليه الغلو والجهل وسوء الغرض ما يبعد به كل البعد عن حقيقته حتى ليقلب كل حسنة من حسناته إلى سيئة وبيلة

فأول ما دخل عليه من فساد هو التعصب ، فقد انقلب التحمس للمذهب والغلو فى الدفاع عنه تعصباً فيه الزراية بغيره ، وإنكار كل حق إلا ما يراه أصحابه أنه الحق ؛ وتبع ذلك التمسك بالشكل دون الجوهر فى كثير من المواقف

وتطرق إلى بعض النفوس النفاق : فأصحابها يظهرون فى العلن التمسك بالمذهب ، ويأتون فى السر ما ينكره ذلك المذهب أشد الإنكار ، وشاع الحمق والغضب وحدة الجدل وسرعة التخاصم والتنابذ بين فريق من البيوريتانز الغالين فى مذهبهم وبين الناس ، وأساء هؤلاء بلا ريب إلى أصحاب المذهب جميعاً ، إذ يحسبهم الناس كلهم من هذا الطراز ...

وظهر بعض البيوريتانز بمظهر الضعف العقلى لجفائهم المعرفة كما ظهرت فى بعضهم الجلافة والغلظة لأنكارهم الفنون ونفورهم من الجمال .

إلا أنه لا يجوز أن نحكم على هذا المذهب بما تطرق إليه من فساد ؛ ولئن كان فيه ذوو العقول الضيقة والحمقى والمتعصبون والمنافقون ، فلقد جاء إلى المجتمع بمبادىء سامية وبث فى النفوس الحمية والأقدام وخبب إليها الحرية .

هذه هى البيوريتانية أو هذا هو الصيف الصارم العابس الذى يمثل عصر ملتن والذى أعقب ذلك الربيع الطلق الرخى الذى يمثل عصر شكسبير ؛ وبين الربيع الراحل والصيف القادم ولد ملتن كما أسلفنا عام ١٦٠٨ ، ولد والبيوريتانية تستقبل فتوتها ، وسيستقبل كذلك فتوته ويبلغها إذ تبلغ البيوريتانية أشدها ، فيكون شاعرها الفذ الذى تتمثل فيه روحها فى أسمى أوضاعها وأجمل صورها ، والذى يجتمع فى فنه جمال الربيع الراحل ، وجد الصيف القادم .

طفولة ملتن ونشأته

انتصف الليل أو تجاوز المنتصف ولا يزال صبى جميل فى الثانية عشرة من عمره جالساً إلى مكتبه فى حجرته الخاصة به فى بيت أبيه بلندن يفرك عينيه الواسعتين الجميلتين بيديه الصغيرتين ، وقد أخذ النعاس يداعب جفنيه ، وأخذ الكلال يغمض مقلتيه ، والمصباح يكاد زيته ينفد ، بعد ساعات طويلة لم يكد يحول فيها الصبى عن الكتب بصره ، وذلك دأبه فى أكثر لياليه . وجلست على مقربة من الصبى إحدى الخادمات وقد أمرها أبوه أن تظل بقربه حتى يأوى إلى مضجعه ؛ وقد أوى أبوه إلى مضجعه منذ

وقت غير قصير بعد أن عزف بعض ألحانه الجديدة والقديمة كما يفعل كل ليلة ما عدا ليلة الأحد؛ وإنها لتعجب من إقبال الصبي على كتبه واستغراقه فى قراءته على صورة لم تشهد مثلها قبل فى صبي مثله لم يتجاوز الثانية عشرة.

وماذا يقرأ الصبي فى تلك السن؟ أيقرأ القصص الخرافيــة وحكايات الجن وأشباهها مما يقرأ أنداده فى مثل سنه؟ لا فهو لا يحب هذا النوع من الكتب كثيراً كما يحبها الصبية من أقرانه؛ ومثل هذه الكتب لا تكون إلا للتسلية، ولن يكون من أجل التسلية هذا السهر الذى تكاد تعشى منه العينان.

كان الصبي يقرأ كتب الأدب وعلى الأخص الشعر، وكان يقرأ التاريخ على قدر ما تسمح سنه، ويدرس اللغــات اللاتينية والعبرية واليونانية والطليانية. وفى ليالى الآحاد حين كانت تجتمع الأسرة حول الموقد، كان يستمع الصبي إلى ما يذكر أبوه عن آخر لحن له من ألحان الموسيقى، إذ كان يشغل الأب نفسه بالموسيقى كما كان يشغل الابن نفسه بالقراءة، وكان لأبيه فى صوغ الألحان حس مرهف وذوق مهذب وإن لم يك طويل الباع؛ كما كان له إلى قرض الشعر ميل، ولكنه سرعان ما انصرف عن الشعر إلى الموسيقى إذ أعيته معاناة قرضه من أول الأمر...

وإنه ليعجب إذ يستعصى عليه الشــعر، وهو يجده سهل الانقياد إلى ابنه منذ سن العاشرة! وها هو ذا ابنــه الآن فى الثانية عشرة يسمع أباه وأصحابه من نظمه ما يطربون له جميعاً وعلى الأخص أبوه؛ وكان ينظر إليه أبوه فى تلك الليالى التى يخلوان فيها من الجــد، ويجلسان قرب الموقد نظرات ملؤها الإعجاب والمحبة؛ ويقول لمن حوله: لقد كنت أريد أن أجعل منه كلفن ثانياً بتوجيهه الوجهة الدينية وإلحاقه بالكنيسة، فإذا به ينفر من هذا ويأبى إلا أن يجعل من نفسه هوميروس آخر، ولست أحب أن أميل به إلى غير ما يريد ويهوى، ولئن فعلت ذلك فما آتى غير العبث، فليمض فيما هو فيه من شعر وأدب.

ويرهف الرجل أذنيه إلى ابنه إذ يتكلم أو يقرأ الشعر فتملأ نفسه الغبطة، فلهذا الغلام الجميل المحيا، فضلا عن ذكائه ورشاقته، صوت حلو النبرات، موسيقى الجرس، وكأن مقاطع كلامه أسجاع مفصلة؛ وإن أذنى أبيه لتحسان ذلك إحساساً صادقاً، فليس يلقى ذلك فى روعه فرط محبته إياه. ولا هى أمنية يخالها حقيقة كما عسى أن يتوهم الآباء من صفات ينسبونهــا لأبنائهم وإن لم يك لهم منها شيء.

وطالمــا أرهف الصبي أذنيه إلى ألحان أبيه فطرب لها قلبه واستقرت نغماتها فى أعماق نفسه؛ وإن أثر هذه الألحان ليبدو جلياً فى أشعاره الأولى وهو بعد غلام، فأخص ما يميزها موسيقى حلوة تختلط بالنفس، حتى ألفاظه فأنك تحس فى كل لفظ منها سحر الموسيقى، وتجده منذ أول شوط له قادراً على أن يختار اللفظ الذى يؤدى المعنى إلى الذهن ويطرب بوقعه وجرسه النفس.

كان أبوه مُـوَثِّقاً وتلك هى حرفته التى اكتسب منها ماله، أما الموسيقى فكانت هويته؛ وكان يكتب للناس الوثائق والعقود والظلامات وغيرها من ضروب الكتابة، وكان الموثق فى تلك الأيام رجلا عند الناس عالى المكانة ينظر إليه عامة الناس إلى عالم خبير، إذ لم يكن الأمر مجرد الكتابة، وإنمــا كان نوعا من الكتابة يقتضى معرفة الصيغ الخاصة والعبارات التى جرى بها العرف، وذلك كله يطلب عند الموثق وله أجره على ما يكتب؛ وبقدر ما يتفق له من طالبى خبرته يكون كسبه؛ ولقد مهر الرجل فى عمله وبات بحرفته ينعم برغد العيش.

واحترف الموثق حرفته فى لندن؛ وقد جاءها منذ أن طرده أبوه من بيته؛ وكان أبوه يعيش على مقربة من أكسفورد، وكان مزارعا من ملاك الأرض يتعصب للكاثوليكية تعصباً شديداً، فلم يعجبه من ابنه ميله إلى البروتستنتية وإقباله على البيوريتانية وعد ذلك منه مروقا من دينه وعصياناً لأمره، ولما لم تجد معه حيلة طرده ساخطاً عليه. فلما جاء لندن اشتغل بالتوثيق فنبه فيه شأنه، وبنى له بيتاً تمتع فيه بهدوء الحياة ونعم بالطيبات من الرزق.

وكانت لندن غداة شخص إليها فى ربيع العصر الأليزابيثى؛ فلم تشغل الموثق جون ملتن حرفته عن الأدب والفن والعلم فأخذ من كل بطرف.

(يتبع) الخفيف

أوهـــام آثارية

للأستاذ صلاح الدين المنجد

العادلية أم الأشرفية ؟ — سنان المهندس أم سنان باشا الوالي ؟ — النصب التذكارية — قصير عمرة ، أهو حمام أم قصر ؟ تاريخ بناء مسجد نور الدين في الموصل .

١ — العادلية أم الأشرفية :

ذكر العلامة الكبير الدكتور عبد الوهاب عزام بك فى مقاله المسمى « فى عيد المعرى » المنشور فى هـذه المجلة (العدد ٦٠٠) ما نصه :

« واجتمعنا ، نحن وجماعة من علماء الشام وأدبائها أعضاء المجمع ، فى دار المجمع ، وهى المدرسة الأشرفية التى بناها الملك الأشرف الأيوبى . اهـ » .

قلت : دار المجمع العلمى بدمشق ، هى المدرسة العادلية ، وهى غير الأشرفية . وتنسب إلى الملك العادل سيف الدين أخى صلاح الدين . كان نور الدين أول من بدأ بها ، فمات ولم يتمها . ثم شرع الملك العادل سنة ٦١٢ هـ ببنائها ، ومات سنة ٦١٥ هـ ولم يتمها . فأتمها من بعده ابنه الملك المعظم .

وقد ذكرتها أمهات الكتب كلها باسم العادلية .

أما الأشرف الأيوبى ، فلم يبن العادلية ، وإنما بنى دار الحديث الأشرفية الجوانية ، وهى « جوار باب القلعة الشرقى ، غربى المصرونية » وما تزال قائمة . ودرس بها فى أيامها ابن الصلاح وأبو شامة وغيرهما .

وبنى الأشرف مدرسة ثانية هى دار الحديث الأشرفية البرانية وهى فى السفح شرقى المرشدية ، وغربى الأتابكية .

(وإن شئت التفصيل فانظر من المخطوطات : النعيمى فى إرشاد الطالب ، والعلموى فى مختصر النعيمى ، وبدران فى منادمة الأطلال ، وبدران فى مختصر المنادمة ، وابن طولون فى تاريخ الصالحية ، وابن كنان فى المروج السندسية . ومن المطبوعات : بالعربية : ابن كثير فى البداية والنهاية ج ١٣ ص ٦٨ ، وبالفرنسية المبانى الأيوبية بدمشق لسوفاجه ج ٢ ص ٧٦ ، ومبانى دمشق التاريخية للمؤلف نفسه ص ٦٢ ، وبالألمانية : وتزنجر وولزنجر E. 3. 5. يمكن مراجعة سوفير فى المجلة الآسيوية : مايس وحزيران سنة ١٨٩٤ . الفصل الثالث ص ٤٢٣) .

٢ — سنان المهندس أم سنان باشا الوالى ؟

وذكر فضيلة الأستاذ الشيخ على الطنطاوى فى مقاله الممتع عن (دمشق) المنشور فى العـدد ٦٥٨ من الرسالة الغراء ، أن مسجد السنانية سمى نسبة إلى سنان المهندس التركى المعروف .

قلت : المعروف أنه ينسب إلى بانيه سنان باشا ، نائب الشام والوزير الأعظم . ولى الوزارة للسلطان مرادخان ، ومات سنة (١٠٠٤) هـ . وقد بدأ بعمارة مسجده هذا سنة ٩٩٥ هـ ، وتمت عمارته سنة ٩٩٩ هـ .

أما سنان المهندس ، فهو الذى وضع تخطيط التكية السليمانية التى قامت مكان القصر الأبلق الذى بناه الملك الظاهر بيبرس فى المرج الأخضر .

(انظر للتفصيل : المنادمة لبدران ، ومختصر المنادمة له ، وذيل العلموى للعدوى ، وكتاب الباشات والقضاة لابن جمعة ، وولزنجر ووتزنجر D. 5. 8 ، ومبانى دمشق التاريخية لسوفاجه ص ٧٨ ، ٨٤) .

٣ — النصب التذكارية :

وذكر الدكتور زكى محمد حسن فى مجلة الكتاب الزاهرة فى مقال له عن قصور الأمويين أنه لا يوجد نصب تذكارية لتخليد انتصارات العرب .

قلت : فى دمشق ، فوق ذروة من ذرى قاسيون ، بناء مربع مفتوح الجوانب ، فوقه قبة . كانت من متنزهات الصالحية ، لاشرافها على الربوة ، وعلى دمشق ، اسمها قبة النصر ، بناها نائب الشام برقوق الذى قاتل سوار بك فأخـذه غدراً ، ثم أقام هذه القبة سنة ٨٧٧ هـ ذكرى انتصاره ، وقد ذكر هذا ابن طولون .

(انظر للتفصيل : تاريخ الصالحية لابن طولون ، الروج السندسية لابن كنان ، المبانى التاريخية بدمشق ص٥ السوفاجه ولزنجر ووتزنجر Dn Iv a ويمكن مراجعة :

Sauvaget un Monument Commémoratif d.époque Mamloukç dans les environs de Damas

٤ — قصير عمرة . أهو حمام أم قصر ؟

وأدخل الدكتور زكى محمد حسن ، فى مقاله عن قصور الأمويين ، المنوه به فى الفقرة السابقة ، أدخل قصير عمرة ، وحمام الصرخ فى عداد القصور .

أما حمام الصرخ ، فاسمه حمام ، ولا محل لدسه بين القصور ، بقى قصير عمرة ، فما هو ؟

لقد أصر الدكتور على جعله أو سرده مع القصور لأمرين :

١ — لأن علماء الآثار ساروا على ذلك .

٢ — لأن فيه ، وفى حمام الصرخ قاعات استقبال (؟)

قلت : قول الدكتور لا يطمئن إليه ، فالرجل ذو الفكر الناقد لا يجعل الحمام قصراً ولو قال ذلك أكبر العلماء الأجانب . لأن قولا كهذا يجدر التروى فيه قبل نقله . فالدراسات الآثارية الحديثة أجمعت على جعل قصير عمرة حماماً لا قصراً ، وأن أمام هذا الحمام كان قصر فتهدم واختفت معالمه . (انظر مجلة المجمع العلمى بدمشق . المجلد السابع عشر مايس حزيران سنة ٩٤٢) .

إن تخطيط قصير عمرة ، وحمام الصرخ يدل على وجود غرفة كبيرة واسعة فى كل منهما ، وقد ظن بعضهم أنها غرفة استقبال (!) ونقل الدكتور هذا الظن . أغرفة استقبال فى حمام ؟ أمر عجب . على كل أنا أشك فيما نقله الدكتور ، وأشك أن تكون غرفة استقبال ، ولن يجد الدكتور أى نص قديم صحيح يثبت ما ذهب إليه ، ويؤيد أن خليفة استقبل الناس فى حمام .

والأقرب للعقل أن تكون هذه الغرفة الواسعة للاستراحة بعد الاستحمام أو للهو واقتناص اللذة قبل الاستحمام ، أو للأمرين معا ، فالملوك لا يستقبلون فى الحمامات .

إن وجود هذه الغرفة الواسعة فى الحمام لا يجعل الحمام قصراً ، فالحمام الأموى الذى كشف فى جبل سيس فى بادية دمشق ، يشبه تخطيطه قصير عمرة والصرخ تماماً . وبرغم الغرفة الواسعة فيه لم يقل أحد إنه قصر ولا جعله فى عداد القصور (انظر : Sauvaget les ruines Omayyades du djebel Seis) .

وفى دمشق حمام اسمه حمام السروجى ، فيه غرفة واسعة تشبه تماماً غرفة قصير عمرة ، وقد لاحظ هذا ايكوشار ، ومع ذلك فلم يجعل أحد هذه الغرفة غرفة استقبال أو يجعل الحمام قصراً . وأنت واجد مثل هذا فى أغلب حمامات دمشق (انظر : Ecochard et lecoeur les Bains de Damas) .

على أن ما يؤيد ما ذهبنا إليه ، من أن هذه القاعة الواسعة فى قصير عمرة ليست للاستقبال ، وجود مشاهد مثيرة على الحيطان ، لا يمكن أن يضعها خليفة فى قاعة يستقبل بها الناس . فمن هذه المشاهد : مشهد امرأة ذات قامة فارعة نصفها الأعلى عار رفعت يديها فوق رأسها المحاط بضفائرها ؛ ومشهد آخر يمثل امرأة عارية تماماً يبدو جسمها كله وهى ترقص وتقوم بحركات تظهر فتنة جسمها . ومشهد ثالث يمثل امرأة مستلقية فى سريرها ، وضعت يدها على ذقنها وأخذت تنظر بيأس . ومشهد رابع يمثل امرأة عارية ، يخفق ثوب شفاف عند سيقانها ، وهى مستندة إلى نضد ، كفها اليسرى على ذقنها ، تحلم وترنو إلى رجل فى الطرف الثانى ، مستلق يتأملها أيضاً ويرنو إليها ، وغير ذلك . (انظر : Gaussen et Savignac Mission Archeolcgioue eu Arabie 111 Les Châteaux Arabes Qeseir Amra Haraneh et Tuba PP 87—92.

وانظر هذه المشاهد مصورة فى ملحق هذا الجزء) .

فهذه المشاهد المثيرة لا توضع إلا فى مكان يلهو الخليفة به مع قيانه قبل الاستحمام أو بعد الصيد ، وهذا أقرب للعقل لو تفكر المرء فيه .

وعلى هذا يكون إدخال قصير عمرة وحمام الصرخ فى عداد القصور غير صحيح .

٥ — تاريخ بناء مسجد نور الدين فى الموصل :

فى المقال الجيد الذى كتبه معالى الدكتور داود الجلبى عن بدر الدين لؤلؤ فى مجلة سومر (ج ١ ، م ٢) — التى تهيئ مديرية الآثار العراقية عليها — إشارة إلى تاريخ بناء مسجد نور الدين محمود بن زنكى فى الموصل .

فقد ذكر الدكتور أن المسجد كملت عمارته سنة ٥٨٦ هـ .

قلت : إن نور الدين توفى سنة ٥٦٩ هـ بدمشق . والمصادر تشير إلى أن نور الدين أمر بعمارة مسجده فى حياته ، وما أدرى إن كان المسجد كملت عمارته بعد سبع عشرة سنة من وفاة نور الدين ؟ ولعل الصواب سنة ٥٦٨ أى بتقديم الثمانية على الستة ، ولعل الدكتور يصف لنا هذا المسجد ، ويحدثنا عنه .

دمشق — صلاح الدين المنجد

٧ - الزندقة في عهد المهدي العباسي

للأستاذ محمد خليفة التونسي

وقد أيد زرادشت عبادة النار وشجع على زيادة بناء بيوتها ، وذهب إلى أن يزدان فى حرب دائمة مع أهرمن لتنازع السيطرة على الكون ولاسيما الإنسان ، وأن من يعمل صالحاً يساعد يزدان فى النصر على أهرمن ، ومن يعمل سوءا يساعد أهرمن على يزدان ؛ ولذا دعا إلى عمل الخير والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر . وكان مبالغاً فى التفاؤل فادعى أن النصر سيكون أخيراً ليزدان على أهرمن فينتصر الخير على الشر ويقضى عليه ، فتبطل المتاعب والفتن ، وعندئذ ينتهى العالم . ويبين أن الإنسان بعد موته يحاسب على أعماله فمن رجحت حسناته عبر الصراط بسلام فلقى يزدان وأنزله منزلا طيباً ، وأن من رجحت سيئاته وقع من الصراط فى النار وصار مستعبداً لأهرمن ، وأن من استوت حسناته وسيئاته صار إلى الأعراف ، وهذه الآراء تمثل آراء كثير من الطوائف الاسلامية منذ ظهر الاسلام إلى اليوم ، وقد ذهب إلى أن الخير هو الأصل وأن الشر طارئ ، ويؤيد ذلك الشهرستانى فى كتابه الملل والنحل فقد قال : « زعموا أن الدنيا كانت سليمة من الشرور والآفات والفتن ، وكان أهلها فى خير محض ونعيم خالص ، فلما حدث أهرمن حدثت الشرور والآفات والفتن[1] » .

ويقول ماسبرو فى كتابه « تاريخ الشرق » ما خلاصته : « إن يزدان خلق كل شىء بكلمته ، واتخذ ستة أرواح لنفسه من طبقة سامية يعينونه على تدبير شؤون العالم وصونه ، وجعل لهم أرواحا دونهم يأتمرون بأمرهم وهم منتشرون فى العالم ، وحيال ذلك خلق أهرمن ستة أرواح شريرة تعادل أولئك الستة فى البطش وجعل لهم جنداً دونهم من الشياطين يطيعونهم فى أداء مايكلفهم به أهرمن من أعمال ، والقوتان دائماً فى نضال مستمر حتى ينتصر يزدان أخيراً على أهرمن وعندئذ تقوم القيامة » .

ومن تعاليمه وجوب إكثار النسل لإكثار جند يزدان فى نضاله أهرمن ووجوب إصلاح الأرض وزراعتها وتربية الحيوان والجد فى العمل ، وتحريم الصوم لأنه مضعف للقوة مثبط على العمل فى الحياة ، وتفضيل العمل على العبادة ، فمن يحرث الأرض ويبذر فيها الحب ويرويها أكرم ممن يتزلف بألف قربان أو يصلى عشرة آلاف صلاة أو يدعو عشرة آلاف دعاء .

ويزعم القلقشندى أن زرادشت : «ادعى النبوة وقال بوحدانية الله وأنه واحد لا شريك له ولا ضد ولا ند ، وأنه خالق النور والظلمة ومبدعهما ، وأن الله تعالى هو الذى مزجهما لحكمة رآها فى التركيب ، وأنهما لو لم يمتزجا لما كان وجود للعالم ، وأنه لايزال الامتزاج حتى يغلب النور الظلمة ، ثم يخلص الخير فى عالمه وينحط الشر إلى عالمه وحينئذ تكون القيامة» . والقلقشندى يخلط صوابا بخطإ فيما زعم ، وأواخر زعمه تنقض أوائله ، ولا يصعب تمييز الخطأ من الصواب فى زعمه هذا إذا عورض بما قدمنا فى بيان مذهب زرادشت وسيرته ، فزرادشت — وإن كان يعتقد بأن أصل الكون واحد هو النور — اضطر إلى القول فى تفسير الظواهر الكونية والحياة الإنسانية بقوة أخرى ضد النور هى الظلمة ونسب إليها الشر الذى هو ضد الخير ، فهو موحد فى أصل الكون ، ولكنه ثنائى فى تفسير مايجرى فيه ، ويزدان عنده ليس فى تدبير الكون وخلقه واحداً لا شريك له ولا ضد ولا ند ، بل له شريك وضد وند هو أهرمن ، فهو يقول كالكيومرتية بأصلين. ومما أسنده القلقشندى إلى زرادشت يشبه أن يكون محاولة للتوفيق بين القول بوحدانية الله كما جاء بها الإسلام ، والقول بأصلين كما جاءت بها المذاهب الفارسية . وتشبه هذه المحاولة كثيراً رأى أبى العتاهية معاصر المهدى العباسى ومادحه وصاحب جاريته عتبة التى اتهم بالزندقة من أجلها حيناً ، ولأسباب غيرها أحياناً أخرى[1] فقد كان يدين بالتوحيد لله ويرى أن للكون طبيعتين[2] على ما سنفصله فى موضعه من هذا البحث إن شاء الله ، فنى مزاعم القلقشندى هنا ظلال لمذهب أبى العتاهية ، ومرجع الخطأ فى هذا

(١) قارن بين ما ذكره الشهرستانى هنا وما ذهب إليه الكاتب الفرنسى جان جاك روسو من أن الناس كانوا سعداء قبل نشوء الحضارة فلما نشأت ظهر الشقاء بين الناس ، وما رتبه على ذلك من وجوب الرجوع إلى الطبيعة فى كل شىء لاستعادة السعادة المفقودة .

(١) أغانى دار الكتب ج ٤ ص ١ .

(٢) المصدر نفسه ص ٥ وانظر ترجمة أبى العتاهية فى هذا المصدر ص ١ — ١١٢ ، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادى ج ٦ ص ٢٥٠ — ٢٦١ (مطبعة السعادة سنة ١٩٣١)

وغيره عند القلقشندى وأمثاله ممن لم يفهموا هذه الأقوال على أنها رموز — إنما هو الوقوف عند ظواهرها دون التأدى إلى البواطن المستترة وراءها ، والجهل بالدوافع التى جعلت أصحابها ينزعون إليها من حيث يشعرون ولا يشعرون ، وقياسها على غيرها من المذاهب الدينية دون مراعاة الفوارق كما أشرنا إلى ذلك قبل .

أما اتهام القلقشندى وابن الأثير[1] زرادشت بادعاء النبوة فأرى أنه غير صحيح ، فابن خلدون يقول فيه إن المجوس يزعمون نبوته ولم يقل إنه ادعى النبوة ، وهناك أبو الريحان البيرونى ، وهو أولى أن تسمع شهادته فى هذا الموضوع ، لأنه أقدم من ابن الأثير والقلقشندى[2] وقد كان فارسياً عارفا بالثقافة الفارسية واللغة الفارسية ومؤلفاً بها واطلع بنفسه على بقايا الطوائف التى تدين بالزرادشتية وغيرها فى عهده واتصل بهم ، وهو أكثر استقصاء وإحاطة بهذا الموضوع من سائر المؤرخين الذين خاضوا فيه وليس لهم ثقافته ولا استقصاؤه ولا عبقريته ولا علمه الواسع بأخبار الأمم الشرقية فى عصره وقبله واطلاعـــه على حوادثها وأساطيرها وأخلاقها لسياحته فيها ومعرفته بلسانها واتصاله بها ووقوفه على كتبها وآثارها[3] . فلقد عقد هذا العالم الكبير فى كتابه « الآثار الباقية » فصلا عنوانه « القول على تواريخ المستنبئين وأممهم المخدوعين عليهم لعنة رب العالمين[4] » وذكر فيه كثيراً منهم سواء من كانوا قبل زرادشت مثل بوذاسف الذى ظهر بأرض الهند ومن كانوا بعده مثل مانى ومسيلمة ولم يعد فيهم زرادشت ، وكل ما ذكره فى هذا الفصل أن الملوك البيشداذية وبعض الملوك الكيانية ممن كان يستوطن بلخ كانوا يعظمون النيرين والكواكب وكليات العناصر ويقدسونها إلى وقت ظهور زرادشت[5] .

فزرادشت لم يدع النبوة كما نفهمها ، وما كان الفرس ليفهموها ولا ليتصوروها كما نفهمها ونتصورها نحن حين نسندها إلى الأنبياء الحقيقيين كموسى وسواه من أنبياء بنى إسرائيل وكمحمد صلاة الله وسلامه عليهم أجمعين ، أو حين نفهمها ونتصورها كما ادعاها المتنبئون كمسيلمة وسجاح والأسود العنسى ، فهذه نظرة فى أساسها يهودية ، لم تصل إلى فارس إلا فى القرن الثالث الميلادى على عهد مانى كما سنذكره مع سببه عند الكلام فيه ، وأمر آخر يؤيد ذلك هو أن هذا المذهب المنسوب إلى زرادشت ليس له من فضل فيه يتفرد به إلا التنقيح والبيان إذا بالغنا فى إسناد الفضل إليه فإنه قد قام بجولة فى أنحاء البلاد الفارسية للاستطلاع ومشاورة حكماء الفرس لإصلاح العقائد التى كانت قبله مملوءة بالخرافات وتطهيرها من الشوائب[1] ، ولا يتفق الادعاء بالنبوة التى تقتضى بنزول وحى من السماء حاسم القول فى كل شىء مع هذه الرحلة والمشاورات الواسعة ، ومما يؤيد ذلك أيضا أن كيستاسف الملك الذى اعتنق الزرادشتية ، منع من تعليمها العامة[2] حين منع تعليمهم كتاب زرادشت ، فالزرادشتية كما اصطفاها زرادشت كانت تحتوى على تعاليم وآراء لا قبل للعامة بفهمها واستساغتها فهى بذلك مذهب خاص وضع كثير منه للخاصة ، وذلك لا يتفق وآثار النبوة التى يقصد بهـا الناس عامتهم وخاصتهم ، وبذلك يكون كيستاسف قد سبق كثيرا من الفلاسفة الذين أوجبوا قصر بعض المعارف على الخاصة دون العامة لأن العامة لا تطيقها ولا تفيد منها وقد تتأذى وتؤذى بهـا : من هؤلاء الفلاسفة سقراط الذى أنكر الكتاب لأنه مفتوح لكل من يقع فى يده وآثر التعليم بالاختصاص ، ومنهم الفارابى الذى حرم تعليم العلم الرفيع على السفلة ، ومنهم الغزالى الذى نادى بأن من المعارف « المضنون به على غير أهله » وألف كتابه « إلجام العوام عن علم الكلام » لأن الناس كما قال فى كتابه هذا ، وكما يعرف العارفون بعقول الناس قد خلقوا أشتاتا متفاوتين فى المدارك ، فهم كالمعادن تختلف صورة ولونا وخاصة ونفاسة ، وكذلك القلوب معادن فبعضها لمعدن النبوة ، وبعضها للولاية ، وبعضها للشهوة البهيمية والأخلاق الشيطانية ، وكل ما قدمنا ينفى ادعاء زرادشت النبوة وإن كان لا ينفى ادعاء أتباعه النبوة له ، والمرء غير مسئول إلا عما يقول ويفعل لا على ما يتقوله عليه الناس ويسندون إليه من أعمال

(١) ابن الأثير جـ ١ صـ ١٠ .

(٢) البيرونى (من ذى الحجة سنة ٣٦٢ هـ إلى رجب سنة ٤٤٨ هـ) وابن الأثير (من سنة ٥٥٥ هـ إلى سنة ٦٣٠ هـ) والقلقشندي عاش فى أواخر القرن الثامن وأوائل القرن التاسع .

(٣) انظر ما كتبه الأستاذ بروكلمان C Brockelmann وفيدمان E wiedemann عن البيرونى فى دائرة المعارف الاسلامية وتعليق الأستاذ محمد بك مسعود عليهما فى الترجمة العربيـة ولا سيما ما نقله عن دائرة المعارف الفرنسية الكبرى .

(٤) و (٥) الآثار الباقية صـ ٢٠٤ .

(١) دائرة المعارف للبستانى : مادة زرادشت Zoroastre Zoroaster المجلد ٩ صـ ١٩٧ — ١٩٨ .

(٢) ابن خلدون فى العبر : جـ ٣ القسم الأول صـ ١٦١ وابن الأثير فى الكامل جـ ١ صـ ١٠١ .

لم يأتها سواء أكانوا أصدقاء أم أعداء، ونحن نعلم أن العظمة فى كل زمان ومكان مبتلاة من هذه الناحية بأصدقائها ابتلاءها بأعدائها والعامية لا العظمة هى المسئولة عن كل ذلك .

وقد كان مما دعا إليه زرادشت إبطال عبادة الأصنام ووجوب التوجه للشمس أو النار عند الصلاة ، وعدم تدنيس العناصر الأربعة : النار والهواء والتراب والماء ، والشفقة على الحيوان ، والتزام الفضائل فى المعاملة ، والإمتناع ما أمكن عن أكل اللحم .

نجح زرادشت فى إقناع الملك كيستاسف بالدخول فى مذهبه وكان لذلك أثره من دخول الناس فيه وإيمان الشعب به ، ولا سيما أنه لم يكشف لهم منه إلا ما تطيق عقولهم ، وبذلك صارت الزرادشتية المذهب الرسمى فى البلاط الملكى والمذهب الذى ارتضته العامة طوعا وكرها . ومن أسباب نجاح الزرادشتية أنها ولا سيما ما كشف منها للعامة لم تبعد كثيرا عما كان عليه الفرس قبله ، فأعظم جهده ينحصر — كما قدمنا — فى التنقيح والتبيين لما كان قبله ، ومكانه فى ذلك لا يزيد فى رأينا كثيرا عن مكان الفيلسوف الهندى الكبير رابندرانات تاجور فى الفلسفة الهندية البرهمية ، حين نقحها وعبر عنها كما ارتضاها عقله . وما كتاب زرادشت الذى سنتحدث به بعد ، إلا كمثل كتاب تاجور «السدهانا» ودواوينه التى نظمها وعبر فيها عن آرائه وإحساساته تجاه الكون الذى يحبه ويعد نفسه جزءا منه ، فلا نبوة ولا تهجم على المشاكل الغيبية عند زرادشت ولا تاجور ، بل فلسفة وفن مردهما الشغف بالكون . والخطأ كل الخطأ أن ننتظر من البراهمة العوام أن يحدثونا حديثا صحيحا بفلسفة البراهمة كما فهمها تاجور ، وكذلك الخطأ فى انتظارنا أن نسمع حديث عوام الفرس بفلسفة الفرس القدماء كما ارتضاها زرادشت ومن شاورهم من حكماء فارس ، وكان كيستاسف سديد الرأى حين حرم تعليم العامة كتاب زرادشت . ومن أسباب نجاح المذهب الزرادشتى أنه كان ينزع إلى التفاؤل والإقبال على الحياة ويبشر العاملين فيها بالخير وهو فى هذا وغيره بل فى شخصيته إجمالا يشبه شخصية تاجور شبها قويا . ولا ريب عندنا فى أنه بهذا التفاؤل كان بشيرا معبرا تعبيرا صادقا عن الآمال القوية الطامحة التى كانت تثقل قلوب الفرس فى ذلك الحين ، وأنه كان ممهدا وصاحب فضل كبير على النهضة السياسية التى انتهت بقيام الملك الفارسى كورش الأكبر على تخليص الفرس من عبودية الميديين ، ثم مد حدود الدولة الفارسية الناشئة إلى خليج الفسفور ، وهدم الدولة الليدية فى آسيا الصغرى .

كان زرادشت بنهضته العقلية ، بشيرا وممهدا لهذه النهضة السياسية ، فقد استطاع — وهو ينقح تعاليمهم القديمة — أن يحدد لهم طريق النجاح فى الحياة ويدفعهم إلى حبها والكفاح فيها ، ويركز آمالهم ومطالبهم منها ، وربما كان ذلك أيضا سببا من أسباب إقبال الملك كيستاسف المتطلع إلى المجد والسيطرة على الزرادشتية .

ولا ريب أن من أسباب نجاحه أنه عرف فى تجوله خلال البقاع الفارسية ومراجعة أعلام الفكر فيها نفسية قومه والحالة التى كانوا عليها ، والغاية التى يتوقون إليها ، كما كان لانتسابه إلى أصل ارستقراطى أثر كبير فى اتزان آرائه وذلك مما يسهل له حمل كيستاسف على مذهبه ، ولا ريب أن مما ساعده على ذلك فهم كيستاسف حالة شعبه وما يتوق إليه وما يطيق وما لا يطيق من مذهبه ، وكل أولئك مما ماز الزرادشتيين من غيرها من المذاهب التى بعدها على ما سنوضحه ، فأنالها من الذيوع والثبات وإقبال الخاصة والعامة عليها ما لم ينل غيرها .

(يتبع) **محمد خليفة التونسى**

« فلسطينيات » :

الأب جريجورى . . . !

للأستاذ نجاتى صدقى

(كلارا هاينز) فتاة يهودية ألمانية فى الثلاثين من عمرها ... نشأت وترعرعت فى (ليبزيغ) من أعمال ألمانيا . ولما بلغت الثامنة عشرة ، أحبت (ريشارد كراوز) أحد زملائها فى مدرسة ليبزيغ الثانوية ، فعقدا النية على الزواج رغم مسيحيته ويهوديتها . غير أن هتلر استولى على الحكم — فجأة ، فانضم ريشارد إلى الشباب الهتلرى ، وفرت كلارا إلى فلسطين .

* * *

وبينما كانت كلارا ذات مساء فى زيارة صديقة لها فى القدس ، تعرفت إلى قسيس روسى فى الخامسة والخمسين من عمره يدعى (جريجورى فون فيخت) وينتمى إلى عائلة روسية ألمانية أرستوقراطية كان قبل سنة ١٩١٧ ضابطاً فى الجيش الروسى ، ثم فر إلى فرنسا ، واشتغل فى جريدة (الترانسيجان) ؛ وإذ حلت أزمة سنة ١٩٢٥ فى فرنسا ، رحل جريجورى إلى فلسطين ، واندمج فى الكنيسة الروسية الأرثوذكسية ، بمثابة قس ... وكان رجلا متعلماً ذكياً ، يجيد اللغات الروسية ، والألمانية ، والفرنسية ، والانجليزية .

ودعى الأب جريجورى مرة لكى يلقى محاضرة خاصة فى حلقة أصدقاء كلاره وصديقاتها فلبى الدعوة ، وكان موضوعه (دستويفسكى) واتجاهاته الدينية ، فأجاد فيها وأفاد ، وبرهن على أن دستويفسكى رجل صوفى يؤمن بأن الله هو المثل الأعلى للفن ، وأن روحه تكمن فى الحب ، والجمال ، والعظمة ، والعبقرية وفى كل شىء بديع ... وإن الناس — فى حبهم للفنون إنما يحبون روح الله المتجسمة فى كل جزء من أجزائها ...

طربت (كلارا) لهذه المحاضرة . وأعجبت بالمحاضر ، وأمطرته أسئلة كثيرة مستفسرة مستفهمة ... وعند الوداع سألته إذا كان يقبل إعطاءها دروساً باللغة الإنجليزية فى بيته ، فرحب الأب جريجورى بهذه الرغبة ، ووعدها ألا يتقاضى منها أجراً ، لأنه رجل زاهد فى الحياة ، لا تهمه المادة ما دامت الكنيسة تعنى بمسكنه وقوته ... !

وهكذا أخذت كلارا تتردد على بيت الأب جريجورى فى القدس فقرأت عليه الدرس الأول والثانى بالإنجليزية ، وكانت فى هذين الدرسين تكتفى بجلب كتابها ودفترها ، وأما الدرس الثالث فقد ذهبت الفتاة لتتلقاه على أستاذها ، وهى تحمل حقيبتين تتضمنان كل ما لديها من ألبسة ومتاع ... !

قال « زيد » احتجت فى أحد الأيام إلى ترجمة مادة إلى اللغة الإنجليزية فقيل لى : (عليك برجل روسى يدعى الأب جريجورى فهو مترجم من الطراز الأول ، فذهبت إليه وطرقت الباب ، فسمعت صوتاً من الداخل يقول (تفضل ... تفضل ...) ولما وطئت قدماى الغرفة وجدت فى ركنها الأيمن رجلا ذا لحية شقراء طويلة ، وقد استلقى على سريره . فسألنى أن أجلس وأفهمنى بأنه يشكو قرحة فى معدته ، وبعد ثوان دخلت علينا من غرفة داخلية فتاة فتانة ، آرية الهيئة ، خرنوبية الشعر ، عسلية العينين ، ممشوقة القد ، بارزة النهدين ، وكان وجهها إذ ذاك ممتقعاً وعيناها تميلان إلى النعاس ، وشعرها مشعثاً ، وقد علت شفتيها ابتسامة مغتصبة ، فمدت إلى أنامل طويلة رقيقة ، ورحبت بى ... فقلت للرجل : ألى الشرف بالتعرف إلى ابنتكم ؟ ... ففتح جريجورى من بين شاربيه ولحيته فماً وأصدر منه ضحكة مزعجة وقال : كلا إنها ليست ابنتى ... وأخذ يدها بين راحتيه وطبع عليها قبلة ... وإنما هى سكرتيرتى ... وزوجتى ... وهى يهودية ألمانية ...

لم يصدق الزائر ما سمع ، وراح يجيل النظر فى جريجورى تارة وفى الفتاة تارة أخرى ، فاحتشدت فى رأسه أسئلة عديدة حار فى تعليلها ... أقسيس ويهودية ؟ أشيخ وصبية ؟ ... أقبح وجمال ؟ ... أموت وحياة ... إلهى ، كيف جمعت هذين الضدين ؟ وكيف وفقت بين هذين العالمين ؟

وخرج « زيد » من لدن الأب جريجورى وخرجت كلارا فى أثره تشيعه ، ولما بلغا الباب الخارجى قالت له : — لقد أصبحت الآن من معارفنا ... فلا تبخل علينا بزيارات أخرى ... ورمقته بنظرة عميقة ساحرة ...

وأقفلت الباب ...

* * *

قضى « زيد » أياماً وليالى وهو يفكر فى أمر ذينك المخلوقين ، وكلما حاول تناسيهما عادا إلى مخيلته فتصور الأب جريجورى بلحيته الراسبوتينية ، وهو يضحك ، ويتألم من مرضه ، وارتسم أمامه هيكل تلك المرأة الحسناء الغريبة الأطوار ، فأحس بدافع الفضول أو حب المعرفة يدفعه إلى القيام بزيارة خاصة لهما فلعله يظفر هذه المرة بما يحل له تلك الرموز والمعميات ...

وإذ بلغ «زيد» باب بيت القس شم رائحة البخور تنبعث منه ، وسمع صوت تراتيل دينية تتصاعد من أرجائه ، فدفع الباب برفق ، وأطل برأسه إلى الداخل ، فشاهد الأب جريجورى يلفظ النفس الأخير ، ومن حوله رهط من الرهبان والراهبات الروس يصلون من أجل روحه وكلارا جاثية إلى جانب سريره تذرف الدمع السخين ، فالتاع لهذا المشهد وارتد إلى الشارع مضطربا مذهولا .

ومضت أيام علم الشاب العربى فى أثنائها أن الأب جريجورى مات ، وأن كلارا ظلت وحيدة حزينة فزارها مرة ليعزيها ، فاستقبلته بوجه شاحب وبعينين غائرتين ووجد عندها (قواصاً) كان من معارف زوجها ، وكان يعزيها بقوله : (موش لازم يبكى) موش لازم يزعل ... مافيش جوزك ، فى ... أنا !) ...

ثم خرج القواص ، وجاء رجل آخر من معارف المرحوم أيضاً فسلم عليها وعزاها . ثم قال لها : —

(أوفدنى أبونا أنسطاس كرياكوس رئيس دير (... ...) وسألنى أن أبلغك رسالة شفهية ... يقول لك أبونا إنه تأثر جداً لفقدك زوجك . وأن المرحوم كان من أصدقائه الحميمين ، ولما علم أنك غدوت وحيدة أحب أن يمد لك يد المعونة فهو يعرض عليك الإقامة فى جناح من الدير ويتعهد لك بكل ما يلزمك من ملبس ومأكل . أفلا تلبين سؤاله ؟

فأجابته كلارا وقد أسندت رأسها بين يدها : قل لرئيسك إذا كانت كلارا قد تزوجت قسيساً وتوفاه الله فذلك لا يعنى أنها مستعدة لأن تتزوج رهبان ديره ... !

وتوطدت عرى الصداقة بين « زيد » وكلارا وعلم منها الشىء الكثير عن علاقتها بذلك القس الروسى الراحل ، علم منها أنه كان يعلمها اللغة الإنجليزية ، فسرعان ما سلبها عقلها بأحاديثه الطلية وبفلسفته الصوفية ، وبآرائه الاعتزالية ، فسألته بأن تتلمذ على تعاليمه ، فسألها بأن تسكن وإياه ، فلم تمانع وانتقلت للحال إلى مسكنه .

وإذ علم رؤساء الكنيسة بفعلته هذه ثارت ثائرتهم وتساءلوا كيف يبيح قس لنفسه الزواج بفتاة يهودية ؟ فطردوه من الكنيسة وحرموه من لقب قس ومنعوا عنه كل مساعدة وألصقوا به شتى التهم ...

أما أهل الفتاة فقد حنقوا جداً على فعلتها هذه وقالوا كيف تبيح فتاة يهودية لنفسها أن ترتمى فى أحضان قسيس روسى كان فيما مضى من الأيام ضابطاً فى الجيش القيصرى ، وساهم فى أعمال الاعتداء على اليهود ، واغتصب نساءهم وقتل رجالهم ؟ ...

وبعد مضى ستة أشهر على حياتهما المشتركة أحس جريجورى بألم فى معدته وتبين له أنها قرحة ، فلزم الفراش وكانت كلارا تشتغل وتقدم له القوت ، ومرت بها أيام لم تعمل فى أثنائها ، فكانا يقتاتان بالشاى والخبز فقط ، ولما اشتد عليه المرض نقلوه إلى المستشفى وأجروا له عملية ، وتطوعت الفتاة بنقل دمها إلى جسمه فلم تنجح العملية ، ومات ذلك الشيخ الذى أحبته كلارا بكل جوانحها ...

لم يترك جريجورى لزوجته أو لخليلته من حطام هذه الدنيا سوى الوصية التالية : « أنا جريجورى فون فيخت ؛ قس فى الكنيسة الروسية ، أوصى بأن ينتقل كل ما فى هذا البيت من أثاث — سريران ، وخزانة ، وطاوله ، وكرسيان ، وأدوات منزلية — إلى السيدة كلارا هاينز وذلك مقابل ما قدمته لى من خدمات أثناء مرضى ! »

وجرى مرة حديث بين « زيد » وكلارا حول الدوافع التى حدت بها إلى معاشرة ذلك القس فقالت وهى تذرف الدمع بغزارة من مآقيها ، إننى أحببته لأدبه وعلمه ... إننى عشقته لخبرته وبعد نظره . لقد تهافت على عدد كبير من الشبان من أبناء جنسى ورفضتهم كلهم ، لأننى لم أبحث عن مال ... أو جمال ... أو قوة جسدية ، إننى بحثت عن رجل يشبع نهمى الروحى ، ويرضى مطامحى الأدبية والفنية ، فعثرت عليه فى نهاية الأمر فى شخص القس جريجورى .! ...

الصهيونى الأول

[مهداة إلى الأقلام النبيلة المجندة لنصرة فلسطين]

للأستاذ محمد سعيد الأفغانى

— ٢ —

في الفاجعة الكبرى : فتنة الجمل :

سقط الخليفة الصابر الشهيد عثمان بن عفان مضرجا بدمه ، ضحية المؤامرة الخطرة التى دبرها باحكام عبدالله بن سبأ مالئ الأرض فتنا وشرورا وفسادا . فضج الناس من هول الفاجعة وفداحة الخطب وجأروا يطالبون بثأر عثمان . فانبلج ذهن ابن السوداء عن خطة مضاعفة ينجو بها هو ومن معه من القصاص ، ثم يتحفز هو لإحكام مؤامرة أكبر ، وسوق هذه الجماهير نحو فاجعة أكبر وكارثة لا تذكر إلى جانبها الكارثة بعثمان رضى الله عنه .

انضم هو ومن تابعه إلى على بن أبى طالب ، حين انبرت السيدة عائشة وطلحة والزبير يؤلبون الجماهير للطلب بدم عثمان ، فكان لابد للامام على من الخروج لرد السيدة ومن معها خشية أن ينبثق صدع جديد ، فلما وصل إلى الكوفة كان ابن السوداء وأعوانه أنشط جنده فى الدعوة لأمره ، وبذلك كانوا فى حرز حريز من الثائرين لعثمان الذين احتلوا البصرة يستعدون .

جرت بين على وأصحاب الجمل مكاتبات ثم سفراء ووفود ، وتفاهم الفريقان ، وفرح الناس بانقشاع الغمة ، وتراضى المسلمين وجمع الكلمة على المشاورة فى كل أمر ، وعلى أن يكون أول الأمور حلا أن يأخذ على فى قصاص قتلة عثمان ، ورتق هذا الفتق الذى أحدثه ابن سبأ وأعوانه فى أرض الجزيرة .

أرسل على إلى رؤساء أصحابه بما تم عليه الإجماع من اتفاق وكذلك فعل طلحة والزبير ، واتفقوا على الصلح ، وبات الناس بليلة لم يبيتوا بمثلها فرحاً وابتهاجاً بما أشرفوا عليه من العافية والسلامة . أما ابن السوداء وأصحابه فقد باتوا بشر ليلة باتوها قط ، وجعلوا يتشاورون ليلتهم فى سر من الناس خشية أن يفطن أحد لما يبيتون من الشر .

المؤامرة :

أشرف الفريقان من أصحاب على وأصحاب الجمل على الصلح والإجتماع ، واطمأنوا إلى نوم هنيء لما وفقهم الله إليه ، وكان فى هذا مايسر الناس جميعا ، إلا هذا الفريق الذين لا يطيب لهم عيش إلا بتأريث الشر ، وهم هؤلاء السبئية المؤلبة على عثمان والوالغة فى دمه ، عرفوا أن لا مقام لهم سواء انتصر على أم خصومه . لأن علياً لن يسكت عن إقامة حد متى تم له الأمر وأمكنته الفرص ، وكذلك أصحاب الجمل إن ظفروا لم يتركوا أحداً ممن شرك فى دم عثمان ؛ لقد كان هم الناس من الفريقين قتلة عثمان أينما كانوا .

جمع ابن السوداء هؤلاء النفر فى ظلمة الليل البهيم ، وكان منهم علباء بن الهيثم وعدى بن حاتم وخالد بن ملجم وسالم بن ثعلبة العبسى وشريح بن أوفى والأشتر ... ، فى عدة ممن وقعوا فى شرك الطاغية عبد الله بن سبأ فلعب بعقولهم وسيرهم وأتباعهم إلى عثمان ، جمعهم فتداولوا بينهم هذا الكلام :

« ما الرأى ؟ وهذا والله على — وهو أبصر الناس بكتاب

لقد كان المرحوم جريشا (تصغير لجريجورى ويستعمل غالباً فى التحبب) أستاذى الروحى ، وزوجى الغيور ، ووالدى الحنون !.

لم يود جريشا مفارقة هذا العالم ... وكان وهو على فراش الموت يصرخ قائلا : — لا أريد الموت ... أريد الحياة ... أريد البقاء إلى جانبك ... لدينا رسالة روحية سنؤديها معا ... فلم يجبه الله إلى سؤاله وفاضت روحه بين ذراعى .

انظر إلى ملابسه ... فها هى معلقة حيث تركها .. هاك كتبه اللاهوتية ، وسريره وعصاه ، وسترة نومه ، ثم ها هى صورة (يسوع) لا تزال حيث أحب أن تكون ... كلا ؛ إن جريشا لم يمت . إنه حى فى قلبى . وقد قطعت على نفسى عهداً بألا أعاشر رجلا سواه !...

فالداخل إلى بيت كلارا اليوم ، يرى فى صدره تمثالا نصفيا للقسيس جريجورى ، وقد علقت أرملته فوقه قنديلا زيتياً لا تنطفىء شعلته ، وإذا ما جاء يوم الأحد من كل أسبوع ارتدت السواد ، وابتاعت باقة من الزهور واتجهت إلى مقبرة تقع على جبل صهيون فى القدس لتبكى ذلك القس الغامض الراحل .

نجاتى صدقى

الله ممن يطلب قتلة عثمان ، وأقربهم إلى العمل بذلك — وهو يقول ما يقول[1] ولم ينفر إليه إلا قتلة عثمان والقليل من غيرهم ، فكيف به إذا شام (نظر) القوم وشاموه ، وإذا رأى قلتنا فى كثرتهم ؟ ؟ ... أنتم والله ترادون ، وما أنتم بأنجى من شىء » .

الأشتر : أما طلحة والزبير فقد عرفنا أمرهما ، وأما على فلم نعرف أمره حتى كان اليوم . ورأى الناس فينا واحد ، وإن يصطلحوا فعلى دمائنا ... فهلموا — يا قتلة عثمان — فلنتواثب على على فنلحقه بعثمان ، فتعود فتنة يرضى منا فيها بالسكون .

ابن السوداء : بئس الرأى رأيت : أنتم يا قتلة عثمان من أهل الكوفة بذى قار ألفان وخمسمائة ، وهذا ابن الحنظلية (القعقاع ابن عمرو) وأصحابه فى خمسة آلاف : بالأشواق إلى أن يجدوا إلى قتالكم سبيلا ؛ فارقاً على ظلعك[2] .

علباء بن الهيثم : — انصرفوا بنا عنهم ودعوهم ؛ فإن قلوا كان أقوى لعدوهم عليهم ، وإن كثروا كان أحرى أن يصطلحوا عليكم . دعوهم وارجعوا فتعلقوا ببلد من البلدان حتى يأتيكم فيه من تتقون به ، وامتنعوا من الناس .

ابن السوداء : — بئس ما رأيت ، ودّ — والله — الناس أنكم على جديلة (ناحية) ولم تكونوا مع أقوام برآء ، ولو كان ذلك الذى تقول لتخطفكم كل شىء .

عدى بن حاتم : — والله ما رضيت ولا كرهت ، ولقد عجبت من تردد من تردد عن قتله فى خوض الحديث ؛ فأما إذا وقع ما وقع ونزل من الناس هذه المنزلة ، فإن لنا عتاداً من خيول وسلاح محموداً ؛ فإن أقدمتم أقدمنا وإن أمسكتم أحجمنا »

ابن السوداء : — أحسنت .

سالم بن ثعلبة : — من كان أراد فيما أتى الدنيا فإنى لم أرد ذلك ، والله لئن لقيتهم غداً لا أرجع إلى بيتى ، ولئن طال بقائى إذا أنا لاقيتهم لا يزيد على جزر جزور[3] . وأحلف بالله : إنكم لتفرقون من السيوف فرق قوم لا تصير أمورهم إلا إلى السيف .

ابن السوداء : — إن هذا قد قال قولا .

شريح بن أوفى : — أبرموا أموركم قبل أن تخرجوا ، ولا تؤخروا أمراً ينبغى لكم تعجيله ، ولا تعجلوا أمراً ينبغى لكم تأخيره ؛ فإنا عند الناس بشر المنازل ، فلا أدرى ما الناس صانعون بنا غداً إذا ما هم التقوا .

ثم تكلم ابن السوداء بعد أن أدلى كل بدلوه فقال :

« يا قوم ، إن عزكم فى خلطة الناس ، فصانعوهم ، وإذا التقى الناس غداً فأنشبوا القتال ولا تفرغوهم للنظر : فإذا من أنتم معه لا يجد بداً من أن يمتنع ، ويشغل الله علياً وطلحة والزبير ومن رأى رأيهم عما تكرهون . فأبصروا الرأى وتفرقوا عليه والناس لا يشعرون[1] » .

وعلى ذلك انفض الاجتماع الأثيم ، وأحكمت الخطة .

قاتل الله ابن السوداء ، فوالله ما أراه إلا شيطاناً خلق من مارج من نار ، ما أبصره بطرق الفتنة وبث العقارب ، وما أدق توهينه تلك الطرق التى أشار بها أصحابه ، ما أفطنه إلى ضعفها وقلة غنائها ، ثم كيف آل به تقليب الرأى حتى اهتدى إلى التى ليس بعدها شر منها : قاصمة الظهر ومبيدة الأمم .

ومنذ الذى يقرأ هذه المؤامرة ، وكيف أدار أصحابها الآراء على وجوهها المختلفة ، ثم لا يرجع ذهنه بسرعة البرق إلى ما ذكره أصحاب السير عن مجلس كفار قريش فى دار الندوة : يجيلون الرأى فى محمد صلى الله عليه وسلم ليثبتوه أو يقتلوه أو يخرجوه ، وقد حضر اجتماعهم ذاك إبليس بهيئة شيخ نجدى ، فجعل كلما عرض أحدهم رأياً فى القضاء على دعوة محمد وهنه وأظهر فساده ، حتى أعيا القوم جميعاً بحجته ، فسألوه : ما عنده ؟ فقال : تختارون من كل قبيلة رجلا جلداً ، فيجتمعون ويضربون محمداً ضربة رجل واحد فيضيع دمه بين القبائل ، ولا طاقة لبنى هاشم بقبائل العرب كافة » .

أليست تلك المؤامرة نسخة (طبق الأصل كما يقولون) عن هذا المجلس ؟

---

(١) كان على بعد أن اتفقت الكلمة خطب فى أصحابه فقال :
« ألا وإنى راحل غدا فارتحلوا ، ألا لا يرتحلن غداً أحد أعان على عثمان بشىء ، وليغن السفهاء عنى أنفسهم » الطبرى ٣ـ٥٠٧ وهم يعنون قوله هذا وقد نزل عليهم كالصاعقة إذ كانوا يرون أنفسهم أخلص جنده وأقواه
(٢) أى : إنك ضعيف فتكلف ما تطيق وأصلح أمرك . القاموس
(٣) يريد : وقتاً بمقدار ما تنحر الذبيحة ويسلخ جلدها .

(١) خلاصة حديث هذه المؤامرة للمؤرخ الطبرى فى تاريخه ٣/٥٠٧ـ٥٠٨

أليس ابن السوداء هذا إبليس بعينه ؟ وأستغفر الله ، فأين يقع منه إبليس ؟ لهو والله أبلغ نكاية بهذه الأمة من إبليس ، وأبعد أثراً فى الدس والكيد . وأخشى أن يكون الذى ظنوه إبليس ابناً من أبناء السوداوات أبطال الشر والمكر والفساد من اليهود : تنكر لهم شيخاً نجدياً إحكاماً لدسيسته .

***

لما كان الغلس انسل هؤلاء المؤتمرون — وما يشعر بهم جيرانهم — إلى الأمر الذى أجمعوا عليه انسلالا وعليهم ظلمة ، فخرج مضريهم إلى مضريهم ، وربعيهم إلى ربعيهم ويمانيهم إلى يمانيهم ، فوضعوا فيهم السلاح ، فثار أهل البصرة ، وثار كل قوم فى وجوه أصحابهم الذين بغتوهم ، وحيرتهم الصدمة فقد كانوا باتوا على صلح تغشاهم الطمأنينة والسكينة .

فجيء الناس جميعاً ، وخرج طلحة والزبير فسألا : « ماهذا ؟ » فقالوا : « طرقنا أهل الكوفة ليلا » . فقالا :

« قد علمنا أن علياً غير منته حتى يسفك الدماء ، ويستحل الحرمة ، وأنه لن يطاوعنا » .

ثم خرجا فى وجوه الناس من مضر ، فبعثا إلى الميمنة — وهم ربيعة — عبد الرحمن بن الحارث بن هشام يعبئها ، وإلى الميسرة عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد ، وثبتا فى القلب .

استطاع أهل البصرة أن يصدوا أولئك المعتدين حتى ردوهم إلى عسكرهم ؛ فسمع على الصوت — وكان السبئيون المتآمرون قد وضعوا طبقاً لخطتهم رجلا قريباً منه ليخبره بما يريدون — فلما قال : « ما هذا ؟ » قال ذاك الرجل :

« ما فجئنا إلا وقوم منهم قد بيتونا ، فرددناهم من حيث جاءوا فوجدنا القوم على رجل ، فركبونا وثار الناس » .

فقال على لصاحب ميمنته : « ائت الميمنة » وقال لصاحب ميسرته : « ائت الميسرة » ثم قال : « قد علمت أن طلحة والزبير غير منتهيين حتى يسفكا الدماء ، ويستحلا الحرمة ، وأنهما لن يطاوعانا » .

والسبئية مجتهدون فى إنشاب القتال لا يفترون ، والتحم الناس بعضهم ببعض ، ودارت المعركة فاصطلى بنارها الناس جموعاً ، وكاد هؤلاء الناس الذين باتوا مصطلحين على خير حال ، كادوا أن يتفانوا ، وانحسرت المعركة عن خمسة عشر ألفاً من القتلى وما لا يحصى من الجرحى ، وكان فيمن قتل رؤوس المهاجرين والأنصار وزعماء الناس وعدد جم من القراء والعلماء والمجاهدين الأولين ، وسجل التاريخ أفجع نكبة حلت بالمسلمين منذ كان للناس تاريخ .

***

وبعد ، فهل ألب الأمصار على عثمان إلا ابن السوداء ؟

وهل غرهم أحد بمثل ما زور لهم من كلام ترويجاً لدعوته ؟

وهل دم عثمان إلا نجاح خطة ابن السوداء هذا ؟

وهل استطاعت الروم وفارس أن تنال من هؤلاء الفاتحين بمثل ما نال منهم ابن السوداء ؟

وهل هذه العشرات الألوف من دماء المهاجرين والأنصار من صحابة محمد صلى الله عليه وسلم وتابعيهم إلا ثمرة خبه وكيده ومكره بهذا الدين وأهله ؟

وما زال المسلمون من يومهم ذاك إلى الآن فى شرور متتالية يزجها إليهم أبناء السوداوات[1] فى مختلف الأعصار والأمصار : دساً فى دينهم وتفرقة لكلمتهم ، واستهانة بتاريخهم ، واستخفافاً بتقاليدهم ومقوماتهم ، ووضعاً من شأن لغتهم ، وإفساداً لأخلاقهم ، وتهويناً من سلامة نظمهم ، وإشادة بكل مذهب أجنبي يفكك عراهم ويأتى بنيانهم من القواعد . والغريب أننا قوم (طيبون جدا) لا نرى غضاضة فى توسيد أمورنا الصغيرة أو الكبيرة إلى الذين كانوا مطايا الاستعمار وجواسيس الأجانب ، وأجراء لكل دعوة هدامة ودولة طامعة . نفعل ذلك عن غفلة تارة وعن غرور تارة ، وقد كتب الله على هذه الأمة ألا تفطن إلى أبناء السوداوات هؤلاء إلا بعد أن يبلغوا منها ما أرادوا ليقضى الله أمراً كان مفعولا[1] .

ترى هل بدأنا نتعظ ؟ ؟

سعيد الأفغاني

---

(١) يصح أن نطلق (أبناء السوداوات) على الذين يقومون فى المجتمع الاسلامى ، فى ميادينه الفكرية والعلمية والتربوية والسياسية و ... بمثل مهمة (الطابور الخامس) لأيامنا هذه ، تسمية لهم باسم أعظمهم شراً ودساً وكيداً : عبد الله بن سبأ ، ابن السوداء .

(٢) من كتابنا المعد للطبع (عائشة والسياسة) .

من أغانى الحرية :

صـــدىُ القَيْد ! !

[إلى قطرات من دم رآها الشاعر فى ميدان قصر النيل يوم هب شباب الوادى هاتفين بالجلاء !]

للأستاذ محمود حسن اسماعيل

صدىء القيـد ! ألا نا رُ من الوادى تذيبه ..
بعد ما طال على النيـل أساه ولهيبـه ؟!

***

صدىء القيد ، وهـذى صرخة الأرواح منـه
زفـرات ، ودمـاء تنقل الأحزان عنه !

***

وهتـاف زمجرت فيـه أناشيـد الضحايا
ظامىء للموت نشـبوا ن إلى خمر المنايا !

***

صدىء القيد ، وناح الـغاشم الطاغى عليـه
وتمـايا كل ظـلم وظـلام فى يديه !

***

دقت الأجراس .. فلنضـرب على تلك السلاسل
بيـد ملت هوان الـطير فى تلك الخمائل !

***

بيـد للنـار والنو ر بهـا رىٌّ وزاد
من دم الأحرار يغذو هـا ، ويسقيها الجهاد

***

غضب النيـل ، وإن يغـضب ، فقل: ذاب الحديد !
وانبرى كالعاصف المجنون شيخٌ ووليـد

***

دقت الأجراس ، فلنسـمع لها فى كل صدر
ولنسر صفاً لنحيا أو نحطم قيد « مصر » !

عـــزاء . . . !

للأستاذ أحمد مخيمر

العزاء العزاء يا مبدع الشعـ ر عزاء لكل قلب عميد
أنا لولا مخافتى موقف الحز ن لما كنتُ باكياً من بعيد
وبكائى كتمته فى ضلوعى ثم رقرقتُ دمعه فى نشيدى
حجزته عن المسيل قوافيـ ه ، فكانت لفيضه كالسدود
وأشد البكاء فى النفس لذعاً ما توارى عن أعين وخدود

سهَّد القلب يا غزالىّ أن بتَّ (م) تعانى مرارة التسهيد
وأنِ ارتبتَ فى خطوب الليالى عند ما حانْ باليقين السديد
وجعلتَ الحياة يأسَ سجينٍ ورجاء الحياة شجو طريد
وعبرتَ الزمان للغيب ملهو داً ، وما كنتَ قبل بالملهود
ساخراً من حقيقة العيش والمو ت ، ومن كل كائن فى الوجود
كلما جاءك الواسون دافه تَ ابتسامات موجع مجهود
باهتات كأنما هن أكفا ن رجاءٍ مَيْتٍ ، وبشر فقيد
بسمات من غور صمتك تنمو كورود نمون فوق اللحود
كشفتْ ما كتمتَ من لهب شب (م) لظاهُ بأضلع وكبود
وأبانت عما دفنتَ من البشـ ر ، وعما كفنتَ من تغريد
ولقد يبسم الحزين إذا لم يلق فى الدمع غاية المستزيد ..

يا صديق العزاء لا تبعث السخـ ر عنيداً من الزمان العنيد
إنما الوالد الكريم سيبقى خالد الذكر ، باقى التمجيد
زودته الحياة بالحكمة الأو لى ، وبالسر أيما تزويد
وأباحت لقلبه نبعها الأسـ مى ، ليحظى هنيهة بالورود
خبر العيش فطرة ، ورأى الد نيـا بعينى مجرب محمود
وتعالى عن الدنايا ، وصفّى قلبه من عداوة وحقود
فهو ناهيك من صفاء وحلم وهو ناهيك من عفاف وجود
تشتكى الأرض منه من طول ماعفـ ـر فى الترب وجهه بالسجود
وتظل الطيور تسأل عن مُلـ قٍ بمنقارهن حب الحصيد
فطرة ذلك الحنان ، وهذا الـ عطف فى ذلك الأبىّ المجيد

العزاء العزاء يا مبدع الشعـ ر عزاء لكل قلب عميد
وإذا كانت الحياة إلى خلـ دٍ ، فإن البكاء غير حميد
شهد الله أن والدك البر (م) رجاء الحياة للتخليد
غاب فى رحلة إلى العالم الأسـ مى بوادى فردوسه المفقود



إلى الأستاذ محمود محمد شاكر :

سلام عليك . وبعد فقد قرأت ردك على فاستغربته ، فإنك ذكرت الآية الشريفة « والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا » واتخذت منها شاهداً على صحة عبارتك وعلى غلط رأيي فيها . والحق أن هذه الآية دليل على بطلان قولك ودليل على صحة قولي . ففيها عبارة (والسلام على) معرفة بأل لأنها تشير إلى (سلام عليه) في آية قبلها هي « وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا » . قال الزمخشري في الكشاف عن هذه العبارة المتصلة بأل : « قيل أدخل لام التعريف لتعرفه بالذكر قبله كقولك : جاءنا رجل فكان من فعل الرجل كذا . والمعنى ذلك السلام الموجه إلى يحيى في المواطن الثلاثة موجه إلى» . وإن لم ترض بهذا أيها الأستاذ فانظر إلى تعقيب الزمخشري عليه ، قال : « والصحيح أن يكون هذا التعريف تعريضاً بالأصل وباللعنة على متهمي مريم وأعدائها من اليهود، وتحقيقه أن اللام للجنس فإذا قال : وجنس السلام على خاصة ، فقد عرض بأن ضده عليكم . ونظيره قوله تعالى : والسلام على من اتبع الهدى ، يعني أن العذاب على من كذب وتولى »

وبديهي أيها الأستاذ أنك لا تعني بقولك (السلام عليكم) في بدء كتابك الأول تعريضاً بأحد إذ لا حاجة للتعريض .

ولو أعدت النظر في تعقيب الزمخشري لوجدت رداً على شاهدك الآخر في الآية الشريفة : « فأتياه فقولا إنا رسولا ربك فأرسل معنا بني إسرائيل ولا تعذبهم قد جئناك بآية من ربك والسلام على من اتبع الهدى »

وبعد أن أظهرت لك الحقيقة بآيتين تناولتهما أنت من القرآن الكريم للرد على ، أقول :

إنك دللت على صحة عبارتك بالاستشهاد بصحيح البخاري ومسند ابن حنبل ، وفاتك أن الحديث لا يستشهد به أهل اللغة والنحو لأن كثيراً منه مروى بالمعنى . وفي خزانة الأدب للبغدادي أقوال للعلماء كثيرة تؤيد ذلك . قال السيوطي : « فإن غالب الأحاديث مروى بالمعنى ، وقد تداولتها الأعاجم والمولدون قبل تدوينها فرووها بما أدت إليه عباراتهم فزادوا ونقصوا وقدموا وأخروا وأبدلوا ألفاظاً بألفاظ — ج ١ ص ٦ »

وقال سفيان الثوري وهو أحد رواة الحديث المعول عليهم « إن قلت لكم إني أحدثكم كما سمعت فلا تصدقوني إنما هو المعنى ج ٤ ص ٦ » . وجاء في الكتاب نفسه كلام لأبي حيان يفيد أن أئمة البصريين والكوفيين كالخليل وسيبويه والكسائي والفراء وغيرهم لم يستشهدوا بالحديث ، وعلل ذلك بما تقدم من العلل .

وأظنك الآن أيها الأستاذ توافقني على إغلاق باب الاستشهاد بالحديث .

أما أهل القبلة فتشهدهم بعد الصلاة مختلف فيه فمنهم من يقول (سلام عليك ...) ومنهم من يقول (السلام عليك ...) وحبذا لو أطلعتني على نص يوثق به يشير إلى أنهم منذ زمن الرسول (ص) يقولون في التشهد « السلام عليك أيها النبي . »

وأما قول الأخفش الذي اتخذت منه حجة لقولك فلا يعتد به لأنك لم تذكر المصدر الذي نقلت عنه .

وحسبك أيها الأستاذ أن تجد القاعدة مختصرة في هذا البيت القديم :

سلام الله يا مطر عليها وليس عليك يا مطر السلام

والحق أنه لم يكن ينبغي لي أن آتيك بشواهد من آي الذكر الحكيم أو الشعر لأني لست بصدد ذلك .

والمسألة هي أن العرف الجاري بين الكتاب القدامى أن يبدأوا كتبهم بـ (سلام عليك أو عليكم) ويختموها بـ (السلام عليك أو عليكم) . وحسبي أن أثبت كلام ابن قتيبة الذي تحاملت عليه في ردك على ، قال : « وتكتب في صدر الكتاب : سلام عليك وفي آخره : السلام عليك ، لأن الشيء إذا بدىء بذكره كان نكرة فإذا أعدته صار معرفة . وكذا كل شيء نكرة حتى يعرف بما عرف ، تقول : مر بنا رجل . ثم تقول : رأيت الرجل قد رجع . وتقول : رأيته قد رجع . فكذلك لما صرت إلى آخر الكتاب وقد جرى في أوله ذكر السلام عرفته أنه ذلك السلام

المتقدم - أدب الكاتب ص ٢٥٤ » .

وحسبي أن أعزز قول ابن قتيبة بالأدلة ، فتفضل بالاطلاع على قسم من الكتب للعصر الإسلامي .

كتب الرسول (ص) إلى المقوقس ما يأتي :

« من محمد رسول الله إلى المقوقس عظيم القبط . سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام .. الخ — فتوح مصر لابن عبد الحكم ص٤٢ ،والطبري ج ٣ ص ٢٨٧»

وكتب الرسول (ص) إلى كسرى فارس :

« بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس . سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله . الخ صبح الأعشى ص ٢٧٦ » وكتب أبو بكر (ر) للمرتدين :

« بسم الله الرحمن الرحيم . من أبي بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى من بلغه كتابي هذا عامة أو خاصة أقام على إسلامه أو رجع عنه . سلام على من اتبع الهدى.. الخ ..الطبري ج ٣ ص ٢٧٦ » .

ومعلوم أن هذه الكتب مدونة ويستشهد بها اللغويون والنحاة . . .

واعلم ياسيدي أني — كما تقول — « قنعت لك ولنفسي وللناس بالنقل مجرداً ... » والسلام عليك

بغداد صبحي البصام

يا ابن أمي :

قرأت في الرسالة المباركة في العدد الأخير : قصيدة للمرحوم أبي القاسم الشابي تحت عنوان (يا ابن أمي) فدهشت لتلك القصيدة العصماء يجيء فيها هذا التعبير الذي تأباه قواعد اللغة .

ذلك أن القاعدة التي ذكرتها كتب اللغة لاستعمال هذه العبارة هي : إذا أضيف المنادى إلى مضاف إلى ياء المتكلم وجب إثبات الياء إلا في ابن أم وابن عم فتحذف الياء منهما وجوبا لكثرة الاستعمال . وتكسر الميم أو تفتح فتقول يا ابن أم ويا ابن عم بفتح الميم وكسرها .

قال الله تعالى (قال يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي)

وقد قرر ابن مالك هذه القاعدة بقوله :

وفتح أو كسر وحذف اليا استمر في يا ابن أم يا ابن عم لا مفر

محمد عبد المقصود هيكل

إلى الأستاذ محمود الخفيف :

لاحظت أنكم جريتم في مقاليكم بالعددين الأخيرين من الرسالة على كتابة كلمتي « بيوريتان » و « البيوريتانية » كما هما . وأرى أنه كان يحسن أن تستخدموا بدلا منهما تعبير « الطهريين » لأن هذه ترجمة للكلمة الإنجليزية تؤدي بالضبط المعنى المقصود ، فضلا عن أنها سهلة فصيحة لا تعقيد فيها .

فلعلكم ترون رأيي والسلام .

وديع فلسطين

نسبة بيت :

نسب الأستاذ العقاد في مقاله عن « حمام الحرم » هذا البيت:

يسقط الطير حيث يلتقط الحـ (م) ب وتغشى منازل الكرماء

إلى الطائي وهو بالطبع يعني أبا تمام ، والمعروف أن البيت لبشار بن برد من قصيدة يمدح بها عقبة بن سلم ، ويقول فيها :

إنما لذة الجواد ابن سلـ م في عطاء ، ومركب للقاء

وأكبر الظن أن هذا الخطأ في النسبة وقع من أستاذنا الكبير سهواً كما هو ظاهر .

محمد احمد عبد

في عالم الكتب :

حـــــــواء الخالدة

[للأستاذ محمود تيمور بك]

بقلم الأستاذ وديع فلسطين

أفردت مجلة « الكتاب » في عدد يناير الماضي فصلا مسهبا عن التآليف التي ظهرت في عام ١٩٤٥ سردت فيه هذه الكتب بعدما بوبتها ونسقتها وفقاً لموضوعاتها . وقد استوقف نظري آنذاك أن المسرحية لم تظفر من هذا الحصاد الوافر بأكثر من أربعة كتب هي : مسرحيتان ترجمها الأستاذ محمد عوض ابرهيم بك عن شكسبير وهما : « الليلة الثانية عشرة » و « أنطوني وكليوباترة » ومسرحية شعرية للأستاذ عامر محمد بحيري عن « خالد بن الوليد » ومسرحية ترجمتها عن الكاتب السويدي أوجست ستريندبرج وهي « الأب » . ودفعني هذا إلى السؤال عن سبب تخلف الإنتاج المسرحي في مصر برغم أن المسرح أصبح من دعائم الثقافة ووسائل التهذيب ، فضلا عن التسلية . فجاء الجواب من صديق من أصحاب دور النشر بأن المسرحيات لا تصادف إقبالا من القراء وأنهم يصدفون عنها ويولون عنايتهم شطر الأقاصيص .

وإنه لأمر يدعو إلى العجب حقاً ، لأن المسرحية في الأدب الغربي لها مقام ممتاز ، بل إنها كثيراً ما تتقدم على القصة . وما ذلك إلا لأن المسرحيات عامة — ولا سيما الأدبية منها — تعتمد إلى حد كبير على جودة الحوار وقوته ، بينما الأقاصيص لا تعلق مثل هذا الشأن على الحوار لأن الوصف يغلب في معظم الأحيان على عنصر الحوار فيها .

ومما يدعو إلى الدهشة كذلك أن غالبية الكتاب العظام في العالم كتبوا المسرحية أمثال شكسبير (الذي اقتصر على كتابة هذا اللون من الفن) وإبسن Ibsen وتشيكوف وجوركي وشنتزلر وجورج برنرد شو ، أما الأدب العربي فهو معرض عن هذا الفن لأسباب قد يكون منها المحافظة على القديم . والمعروف أن العرب الأقدمين لم يكتبوا المسرحية ، وأن المرحوم أحمد شوقي بك كان من رواد هذا الضرب من الأدب بما أنتجه من مسرحياته الشعرية : « مصرع كليوباترا » و « مجنون ليلى » و « قمبيز » ... الخ

لهذه الأسباب مجتمعة ، سرنا أن أقدم الأستاذ محمود تيمور بك على كتابة المسرحية الطويلة — إذا جاز أن يكون في المسرحيات طويل وقصير كالقصص — فهو ولا شك يمهد السبيل لازدهار هذا الفن الذي لم يرتد مجاهله من كتاب الضاد سوى القليلين . وهؤلاء لم يكتبوا للأدب بقدر ما كتبوا للتسلية ، مما أفضى إلى هزال حركة التمثيل المسرحي ، لا في مصر وحدها ، بل في الشرق قاطبة .

ومسرحية « حواء الخالدة » التي نحن الآن بصددها ، قطعة من حياة العرب ، بطلاها عنترة العبسي وعبلة بنت مالك .

أحب عنترة عبلة فتدللت وتمنعت بعدما حملته المشاق والصعاب وسخرته في معابثاتها ومغازلاتها ليقنص لها أسداً ويجيء إليها بجلده ، ولما انصرف عنها أحبته وأخذت تتسمع أنباءه وانطوت على نفسها يوم أنبأها رسول كاذب أن عنترة لقي حتفه . ولكن عنترة لم يمت وعاد إلى بلده بعد غربته ، ثرياً تعلم كيف يجرد الجيوش ويستل الحسام ، وينازل الأعداء ، ويحترب الحروب . عاد وقد غادرته ليونته وطراوته وتدلهه في الحب ، وأصبح رجلا شديد المراس معتزاً بنفسه ، يأبى أن يسأل أحداً أمراً ولو كان هذا الأمر حبيباً إلى قلبه .

وكأنما أرادت عبلة أن تسخر منه ، فرضيت بالزواج من أمير ولكن عنترة بارز ذاك الأمير وبذه وسبى عبلة وشد بها الرحال .

هذا محصل « حواء الخالدة » ، صور تيمور فيها تثني المرأة ودلالها ، إعراضها وإقبالها ، غدرها وغيرتها ، تشفيها ومخاتلتها ، حبها وبغضها ، طمعها وطموحها ، حشمتها وتبذلها . وجعل تيمور بك يوجه عنايته القصوى إلى لغة الحوار حتى إن المرء ليحتاج أحياناً إلى الرجوع إلى المعجم ليقف على معاني بعض الكلمات من أمثال : « الطباهج الرشراش » و « اللوزينج » و « النياق المصفورية » وسواها .

ولعل المؤلف اضطر إلى الالتجاء إلى هذه الكلمات وأترابها لأنه تخير موضوعا عربيا تدور حوادثه في بيداء العرب ، وهم حريصون على الفصاحة والعناية باللغة ، لأنها تجارتهم الوحيدة التي يتعاملون بها في الأسواق .

وحسبنا من المؤلف أنه ولج هذا الباب المسرحي ، وسلك هذا الطريق غير المطروق ، وأنه حاول فيه محاولة موفقة سبقتها منه محاولات مماثلة . ولسنا نزعم أن تيموراً بلغ في « حواء الخالدة » حد الكمال ، وإنما يمكن القول إنه يسير في هذا الإتجاه .



قصة ألبانية :

المهـــــد الذهبي

[مهداة إلى الأستاذ الكبير كامل كيلاني]

نقلها الأديبان :

وهبي اسماعيل حقي وابراهيم خير الله

- ٢ -

... يلعب الحظ أدواراً عجيبة فى حياة الإنسان ؛ فبينما هو يستيقظ من نومه مبكراً ليباشر كعادته عمله فى غير رغبة ولا اشتياق ، وهو لا يفكر إلا أن يومه سيمضى كأمسه فى عمل آلى لا يشعر معه بلذة روحية ولا بقيمة ذاتية ، وإذا بيد القدر تمتد إلى مجرى حياته ، فتحولها إلى ناحية مضادة كلها نعيم وكلها سرور ... إن نقطة التحول فى حياتى بدأت منذ زارنى القروى اليوم ، فكأنى به قد نزل من السماء ليهيئ لى حياة أهنأ وأسعد ، حياة تلمع بأشعة الذهب الذى يمكن تبديله بأرقام ليست لها نهاية من النقود ...

حقاً ، إن بيرام نقطة الفصل فى حياتى بين منطقتين : منطقة الماضى الصامت العابس ، ومنطقة المستقبل الزاهر الباسم ، وعلى ذلك فإننى سأمتع النفس بكل أنواع المتع ما دمت أمتلك نقوداً بهذه الكثرة ... سأجوب كل البقاع ، وأشترى يختاً كبيراً أستخدمه فى رحلاتى ... إن والدى سيدهش عند ما يطلع على الموضوع . ترى هل فى الكهف حجر لم يرها بيرام ؟ وكم يكون عدد الكراسى ؟ وهل كلها ذهب ؟ إن العالم كله ستعتريه موجة من الاستغراب وسيقول : من أين لهذا الشيطان بكل هذا المال ؟ لعل بيرام لا يتحدث إلى أحد فى هذا الشأن . كان يجب أن أكم فاه بمبلغ كبير ، عشرة جنيهات على الأقل ، ليكون ذلك تشجيعاً له على السكوت ، وإغراء لوالدته على تركه حراً ... ترى من هذا الذى هو معه على موعد ؟ كم سينال الاستغراب من صديق الوفى الأديب « محمود » ؟ سأهدى إليه مكتبة قيمة تقديراً لإخلاصه . سأجهز له مكتباً فخماً .

لا أدرى إن كان من المستحسن أن أقص عليه القصة ، أم أترك الظروف تتولى عنى ذلك ؟ وإن كنت على يقين أنه يستطيع أن يرشدنى إلى ما يحسن عمله ، كما يستطيع أن يعرف عهود تلك الآثار وقيمتها التاريخية ؛ فهو أكثر منى ثقافة ، وأطول تجربة ، وأعظم خبرة ، وهو فوق ذلك مدرس نابه ، وأديب ذائع الصيت ؛ ولكن ... كم يكفيه من النقود للقيام بهذه المهمة ؟ إنه يكاد يجن من فرط السرور عند ما يقف على قيمة الكنوز المادية والتاريخية ! على كل حال سأذهب إليه الساعة لأسرد له حكايتى ، أنا فى مسيس الحاجة إلى مخلص يأخذ بيدى إلى الطريق السوى ، فهذا عمل شاق ومن غير المعقول أن أقوم به وحدى !

هذه هى بعض الخواطر التى كانت تمر بمخيلة فريد وهو يقطع الحجرة بعد أن غادره القروى على أن يعود إليه فى المساء ، ولم يقطع عليه سلسلة هذه الأفكار إلا دخول الكاتب يسأله عن رسائل اليوم ، وليستأذنه فى الانصراف !

حرك فريد يديه حركة عصبية ، ولعن فى نفسه المراسلات والمكاتبات ، ثم أذن للكاتب أن ينصرف . ودعا الخادم وأمره أن يخبر الطاهى أن بعض الأصدقاء سيتناولون العشاء معه هنا فى الساعة الخامسة ، وأنه يود أن يكون الطعام فخماً . وتناول عصاه وخرج ميمماً صوب « الليسيه » ليقابل صديقه « محموداً » ، فقد وطد العزم على أن يستعين بنصائحه ويستفيد من إرشاداته .

ولقد كانت السماء ملبدة بالغيوم ، والمطر لا يكف عن الانهمار ، والطريق بما تجمع فيه من ماء ووحل يتعب المارة ويلوث ملابسهم ؛ ولكن فريداً كان عن كل ذلك فى شغل ، فهو لا يبالى ، بل لا يشعر : أفى جفاف يمشى أم فى وحل . فقد طرأت عليه فكرة سيطرت على كل حواسه وصرفته عن كل ما يحيط به ، هذه الفكرة كانت فى مبدئها فرضاً ، ثم لم تلبث أن صارت فى قوة الحقيقة الواقعة عنده ، وهى لا يبعد أن تكون الأزرار مملوءة بنقود ذهبية قديمة ، ثم غطيت بهذا الغبار حتى لا تمتد إليها يد عابثة ... أربعة عشر زراً ... يا لها من ثروة طائلة ... سأهرّب الأشياء

ذات القيمة فى أسرع وقت إلى الخارج ، وسأضع النقود فى بنوك سويسرا وانجلترا ، لأنها بنوك مضمونة ... وإلى هنا كان قد وصل إلى المدرسة وعلم أنه قد بقى عشر دقائق على خروج التلاميذ ، فرأى أن ينتظر فى الحديقة بعيداً عن الناس ، وليخلو إلى نفسه ويواصل حديثها . وما إن أخذ موضعه منها حتى تساءل: ترى ما هى اللغة التى نقشت على اللوحات ؟ أهى اللاتينية أم اليونانية القديمة ؟ كم من المكتشفات ستحتل الميدان فى الأيام القليلة المقبلة ؟ سأترك فخر الاكتشاف لزميلى وصديقى « محمود » إنى واثق أنه سيعجب كثيراً حينما أشرح له مقابلتى لبيرام ... وفى هذه اللحظة دوى فى الفضاء صوت المؤذن منبعثاً من مئذنة مسجد « فوش كلس » يملأ الأرجاء : « الله أكبر ... الله أكبر ! » دعوة يلبيها المؤمنون الصادقون الذين امتلأت قلوبهم من خشية الله ، وترطبت ألسنتهم بذكر الله ... فيسرعون لصلاة الظهر شكراً لله على نعمائه ، وابتهالا إليه أن يوفقهم لرضائه ... فى نفس الوقت دقت أجراس الكنائس القريبة تستحث أتباع المسيح عليه السلام أن يبادروا إليها للتبرك ! وفى هذه اللحظة أيضاً بدأ الطلبة يخرجون من المدرسة زرافات ووحداناً مسرعين إلى بيوتهم لتناول الغداء ، وكلهم يتأبط كتبه وأدواته ؛ فرأى فريد صديقه محموداً خارجاً مع زميل له ، فناداه ، فاستأذن صديقه ولحق بفريد... وبعد أن تصافحا قال له: لماذا أنت هنا يا فريد ولست فى المتجر؟

— جئت آخذك لنتناول الغداء معاً ، ولأقفك على موضوع هام

— ما ذا ؟ هل تمت خطوبتك ؟

— لا ! ولكن لدى أخبار فى نهاية الغرابة . فتعال معى إلى المنزل

— لا أستطيع ؛ فإنى سأعود بعد الظهر لإتمام دروسى .

— إنك عندما تعرف الخبر ستنسى الدروس ولن تفكر فيها ، بل ستلعنها ولا تذهب إليها .

— ما دمت تقول ذلك فسأجىء معك وأفوض أمرى إلى الله . ثم أخذا طريقهما إلى منزل فريد الذى بدأ يقول لصديقه : لا شك يا محمود أننا سندهش « أشقودراه » بل العالم بأسره .

— لست أفهم هذه الألغاز يا عزيزى فأرجو أن تفصح .

— لقد عثرت على كنز ! فنظر إليه محمود فى استغراب وقال : بربك قل الصدق ما ذا بك اليوم ؟ فقد تغير فيك كل شىء .

أؤكد لك أنى وجدت كنزا .

— بالله لا تهزأ بى ، أنت الذى وجدته ؟

— لا ! ولكن قرويا جاءنى فى صباح اليوم وأفضى إلى أنه عثر عليه مصادفة ، وشرح له فريد ما كان من بيرام فتعجب محمود وقال : وهل وقع كلام القروى منك موقع الصدق ؟

— ولم لا ؟ ومن أين لقروى مثله خيال يحسن سبك مثل هذا الموضوع بمثل هذه المهارة ؟ إن من يفعل ذلك لا بد وأن يكون قد قرأ على أقل تقدير عجائب الكشف عن آثار « توت عنخ آمون » ذلكم الملك المصرى القديم . ولكن أنى لبيرام وهو الأمى الذى لا يقرأ أن يطلع على ذلك ويخترع مثله ؟ وإنك ستسمع منه بأذنيك وستحكم كما حكمت أنا — استنادا على طيبته — بصدق قوله .

حرك محمود رأسه دهشة واستغرابا وكانا قد وصلا إلى البيت واستدارا حول المائدة ، وأخذ كل منهما يتكلم بهواه ويدلل لرأيه ، قال فريد : إن قيمة الكنز المادية — وإن كانت عظيمة — إلا أنها ليست بشىء يذكر بجانب قيمته التاريخية .

— لا زلت أشك فمن المستحيل أن تكون هذه حقيقة ؛ إن الرجل قد رأى كل هذا فى المنام .

— فى بعض اللحظات كان يعترينى مثل هذا الشك ، ولكن نظرات القروى ، وملامح وجهه ، وسذاجة حديثه ، جعلنى أعتقد صدق خبره ، وستجعلك كل هذه الأشياء تعتقد رغما كما اعتقدت.

— كل شىء ممكن فى هذه الدنيا !

— ألا تكون هذه الآثار يا محمود من زمن أجدادنا «الإلير» ؟

— لا أعتقد ، فإن التاريخ لم يحدث عنهم أنهم برعوا فى النقش على الأحجار وعمل التماثيل ، وإن كان غير بعيد أن يكونوا قد أخذوا هذه الآثار وهذه التماثيل من معابد يونانية ؛ فقد ذكر التاريخ أنهم أغاروا على شواطىء بحر اليونان كثيراً . وقد يكون الملك « غنس » قد خبأ هذه الكنوز قبل معركته الأخيرة مع الرومان التى أسر فيها .

— لو كان هـذا الفرض صحيحاً لكان كشفاً عظيما جداً . ونسى محمود أنه يأكل من فرط سروره بهذا الفرض ، بل نسى أنه فرض وتخيله حقيقة ناصعة ، وأنه أول من اهتدى إليها فذاع صيته وخلد اسمه فى صفحة كبار المكتشفين فقد أزاح الستار عن فترة من تاريخ ألبانيا كانت فى زوايا الجهل ، فانتصب واقفاً والشركة لا زالت فى يده وأخذ يخطو فى الحجرة إلى نهايتها ثم يعود ببطء

ثم كف عن المشى فجأة وقال بصوت ضعيف : لعل الحروف المنقوشة فى الرخام تلقى لنا ضوءاً على اللغة الألبانية ، ولعلنا نجد لهذه المسألة أدلة « إليرية » وإن كان الشك لا زال يساورنى . وكنا نستطيع أن نحكم على أفكار « هاهن »[1] الذى يقول : إن أصل اللغة لهجة « البلازغ » وكذلك رأى « ماير »[2] الذى يقول : إن أصلها من لهجة « إليرية » ... مستحيل أن يكون هذا حقيقة ، وإلا كانت سعادة لا تعدلها فى الدنيا سعادة ، وكان فتحاً جديداً فى تاريخنا القومى العظيم .

لم يفهم فريد من كلام صديقه شيئاً فقد كان مشغولا بتقدير الأرقام الكثيرة التى يمكن تبديل الكنوز بها من النقود وكيفية إنفاقها . لكنه نادى محموداً وقال له : إن شهرتى – كصياد – ذائعة فى « أشقودراه » فإذا حملت بندقيتى ورافقنى كلبى واتجهت خارج المدينة نحو الغابة ، فإن الأنظار لا تلتفت إلىّ ، وبذلك أستطيع أن أرى بنفسى محتويات الكهف على أن أكون مع بيرام على موعد ، ولكن! بعد أن أطلع على الأشياء التى سيأتينى بها الليلة

ترك محمود دروسه بعد الظهر وبقى مع فريد فى حجرة الطعام يشربان القهوة بعد القهوة ، ويدخنان « السيجارة » بعد « السيجارة » ينتظران بصبر قليل وشوق كثير عودة بيرام ، وكانا كلما سمعا طرقاً بالباب قفزا من مقعديهما يستبينان الطارق ، وقبيل الساعة الخامسة وصل بيرام وبعد أن تصافحوا قال فريد لبيرام مشيراً إلى محمود :

— الأستاذ محمود ، صديق مخلص ، ومدرس نابه ، يحمل أرفع الشهادات ، ويكتب فى أرقى الصحف والمجلات . وإننا فى أشد الاحتياج إليه ليقفنا على قيمة الكنوز التاريخية . فقال القروى فى غير استغراب ، تشرفنا يا سيد محمود ؟ ثم التفت إلى فريد وقال : أنت أعرف بما يفيدنا ومن يفيدنا فى هذه المهمة ، وقد اعتمدت بعد الله عليك فتصرف أنت حسبما تريد . فقال فريد : ولكن لينمحى كل أثر فى نفس محمود يود أن يسمع منك وصفاً مجملا لكيفية عثورك على الكهف من الوقت الذى وقعت فيه فأسك على البلاط لأول مرة ، فشرع القروى يقص عليهما فى هدوء ما سبق أن تحدث به إلى فريد فى الصباح . وقد حاول محمود أن يتأكد إن كان صادقاً حقاً ، فأمطره وابلا من الأسئلة التفصيلية كان يجيب بيرام عليها بمهارة حملت محموداً على الاعتقاد

(١ ، ٢) هاهن وماير . عالمان ألمانيان قاما برحلات علمية كثيرة إلى ألبانيا ولهما مؤلفات قيمة عن أصل اللغة الألبانية .

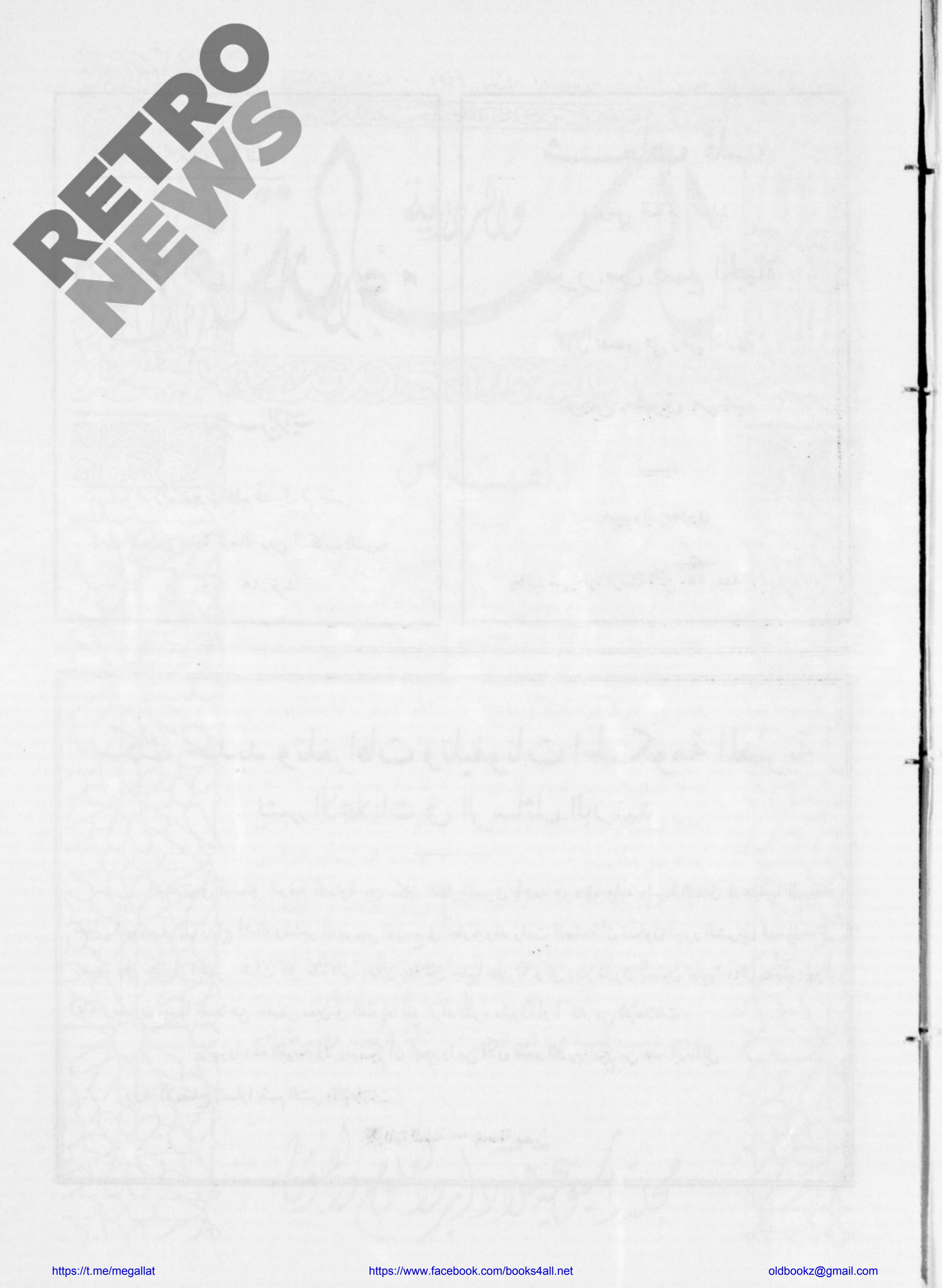
بأن ما يقوله حق لا مرية فيه .

كانت المائدة قد أعدت فأخذوا يتناولون الطعام ونظر فريد ومحمود لم يرفعا عن بيرام الذى كان يأكل فى غير نهم ولا شره وهو يجيب على ما يوجه إليه فى هدوء ورزانة . وبعد أن انتهوا من طعامهم شربوا جميعاً القهوة واستأذن بيرام فى الانصراف ، وقبل أن يأذنا له أكدا عليه ألا يتأخر عن المجىء بالعينات الليلة مهما تكبد من مشقة. وذكره فريد بما يلزم الإتيان به فطمأنهما بيرام بقوله : لكما ما تريدان . والتفت إلى فريد وقال : سآتى بما أمرت به ياسيدى. ثم مد يده مصافحا ، فاستوقفه فريد وأسر إليه : هل أنت فى حاجة إلى نقود أخرى ؟ فقال بيرام بصوت مسموع — لا يا سيدى لا يلزمنى شىء ! ماذا أفعل بها ؟ ثم خرج . ولما عاد فريد إلى مجلسه نظر إلى محمود يستطلع رأيه فى إجابات القروى وكل حديثه ، وسأله عن الأثر الذى تركته مقابلته له . فقال محمود : ألا تعتقد معى أننا لو أدمنا التفكير فى هذه المسألة لذهبت عقولنا من فرط السرور ؟ وأى إنسان يعتوره أدنى شك فى كلام هذا الرجل الساذج ؟

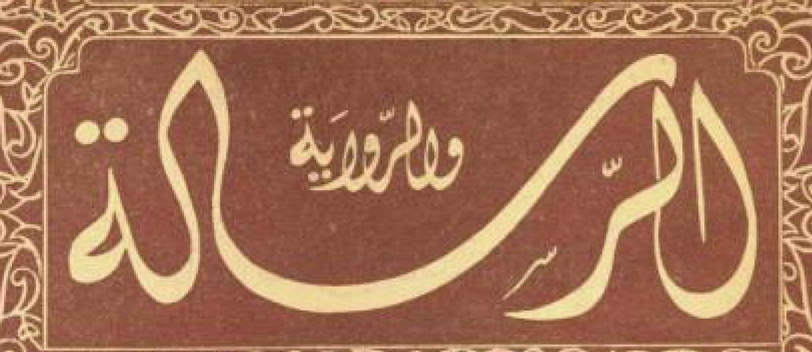
وبينما هما منهمكان فى حديثهما هذا وإذا بباب الحجرة يفتح ويدخل السيد عفت والد فريد ويحييهما تحية المساء. ثم صافح صديق ابنه والتفت إلى فريد وقال : لقد انتظرتك فى المتجر فلم لم تجىء ؟ فقال فريد فى سرور :

— شغلنى عن المجىء أمر مهم سيدر علينا مالا كبيرا ، فرفع الرجل عينيه وتأمل ابنه مليا فى دهشة واستغراب كأنه يستوضحه فقال له فريد : سأقص عليك حكاية غريبة . فأخذ الرجل يجيل طرفه فى وجهى الشابين اللذين كانت تلمع عيناهما سرورا ؛ فلم يشأ فريد أن يطيل حيرته فأخبره بمجىء القروى فى الصباح وما كان منه ، وأنه كان معهما منذ قليل ، وقد فارقهما على أن يعود حاملا عينة مما وجد ...

تعجب السيد عفت مما سمع ، ولم يصدق بادىء ذى بدء لكنه أذعن أخيرا عندما أكد له محمود الخبر وأنه ناقش بيرام كثيرا ، ووجه إليه أسئلة عديدة وأن بيرام كان يجيب دون تردد ولا تلعثم ، ثم هو فوق ذلك أكبر من أن تحوم حوله الشبهات ، فهو سليم القلب ، طيب النفس ، نقى الضمير ... ومع إذعان السيد عفت لم يبد عليه أن هذا الخبر سره كثيرا كما فعل الشابان فقد جلسوا معا وقتا غير قصير تدور أحاديثهم حول الموضوع ، فلما لمس الشابان أنه لا يشاركهما الفرح استأذناه فى الخروج .







الفهرس

صفحة

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ٦٦٣ — الاثنين ١٨ مارس ١٩٤٦ — السنة الرابعة عشرة



الفهرس

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

لجنة النشر للجامعين

« هذه اللجنة ظاهرة أخرى من ظواهر ما يمكن أن نسميه عصر الاحياء »

« البلاغ »

أصدرت من مايو ٤٣ إلى مايو ٤٦

			ص
أحمس	: عبدالحميد جودة السحار	نقد	١٠
* زادوبيس	: نجيب محفوظ	»	١٠
أبوذر الغفارى	: عبد الحميد جودة السحار	»	١٥
قنابل	: محمود بك تيمور	»	١٥
* أخناتون ونفرتيتى	: على أحمد باكثير	»	١٠
ثلاثة رجال وامرأة	: ابرهيم المازنى		٢٠
أقاصيص	: لنخبة من الأساتذة	»	١٥
* سلامة القس	: على أحمد باكثير	طبعة ثانية	١٥
ويك عنتر	: عادل كامل	نقد	١٥
ع الماشى	: ابرهيم المازنى		١٥
حديقة أبى العلاء	: كامل كيلانى		١٥
* كفاح طيبة	: نجيب محفوظ		١٥
خريف امرأة	: ابرهيم المصرى		١٥
قصر الهودج	: على أحمد باكثير		١٥
عشاق العرب	: كامل محمد عجلان		١٥
مليم الأكبر	: عادل كامل		٢٠
فى الوظيفة	: عبد الحميد جودة السحار		١٥
محمد رسول الله	: مولاى محمد على		١٥
عطر ودخان	: محمود تيمور بك	نقد	١٥

		ص
* وا إسلاماه	: على أحمد باكثير	١٥
الأطياف الأربعة	: سيد قطب واخوته	١٥
مرايا الناس	: السيدة وداد سكاكينى	١٥
الشىء الصغير	: الفونسى دوديه	٢٥
* ملك من شعاع	: عادل كامل	١٥
* الفرعون الموعود	: على أحمد باكثير	١٥
ابرهيم الكاتب	: ابرهيم المازنى	٢٥
هتاف الجماهير	: أمين يوسف غراب	١٥
سعد بن أبى وقاص	: عبد الحميد جودة السحار	١٥
تحليل النفس	: محمود محمود	٢٠
مسرحية الأب	: أوجست سترندبرج	١٠
خان الخليلى	: نجيب محفوظ	١٥
شيلوك الجديد	: على أحمد باكثير	١٥
الكأس السابعة	: صلاح ذهنى	١٥
مسرحيات يوربيدز	: محمود محمود	٢٥
همزات الشياطين	: عبد الحميد جودة السحار	١٥
الإمام على	: عبد الفتاح عبد المقصود	٢٥
طفل من القرية	: سيد قطب	١٥
ليلة النهر	: على أحمد باكثير	١٦

تطلب من

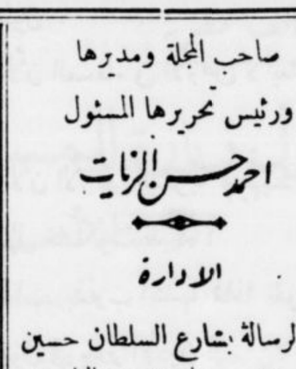
مكتبة مصر ومطبعتها

٦٣ شارع الفجالة . مصر

روايات نالت جوائز أدبية خصم ٢٠ ٪ للجملة

14 me Année No. 663

Lundi —18—3—1946



صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون
ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
ص
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٦٦٣ « القاهرة فى يوم الإثنين ١٤ ربيع الآخر سنة ١٣٦٥ — ١٨ مارس سنة ١٩٤٦ » السنة الرابعة عشرة

إرادة الغفـــلة

للأستاذ عباس محمود العقاد

زيد وعمرو تاجران لهما دكانان فى حى من الأحياء .

وأنت تروّج بضاعة زيد وترغب فيها أبناء الحى وبناته .

فليس لك فى هذه الحالة إلا وسيلة من وسيلتين : إحداهما أن تثنى على الأصناف الجميلة التى يعرضها زيد فى دكانه ولا وجود لها عند غيره ، وأن تشيد برخص الأسعار وحسن المعاملة التى يلقاها المترددون على ذلك الدكان .

والوسيلة الأخرى أن تتناول عمرا بالقدح والتشهير وتنحى بالعيب على كل سلعة يعرضها وكل ثمن يطلبه وكل معاملة يتلق بها قاصديه ، وتتهمه بالاحتيال عليهم بهبوط البضائع وارتفاع الأسعار .

دعاية مكشوفة وأخرى مستورة ، ولكنهما تؤديان إلى نتيجة واحدة ، وهى كساد واحد ورواج الآخر من الدكانين .

ولا شك فى هذه الحقيقة ولا خفاء .

ولكنهما على ما يظهر لنا تحتملان الكثير من الشك ، وتحاطان بالكثير من الخفاء عند أناس فى هذا الشرق التعس يزعمون لأنفسهم أنهم « يفهمونها وهى طائرة » وهم لا يفهمون ما يحبو على أربع فوق جدار العينين .

* * *

فى أيام الحرب الطرابلسية حمل المسلمون والشرقيون على الدولة الإيطالية حملة المظلوم المشترك فى المصاب ، فكانت حملتهم عليها حملة رجل واحد لا يشذ عنها مسلم أو شرقى كائناً ما كان مذهبه فى السياسة والدين .

ثم عملت الدعاية الإيطالية عملها الذى لم تنقطع عنه قط فى إبان الدولة الفاشية ، فسكت عنها من كان قائماً قاعداً بالحملة عليها وعاش منهم من عاش فى بلادها وبين أكناف حكومتها .

ثم نشبت الحرب الحبشية وتجددت الثورة على إيطاليا فى الشرق العربى من أقصاه إلى أقصاه ، وكانت الثورة عليها شاملة للمسلمين والمسيحيين وجملة العرب والشرقيين ، لأنها ثورة المظلوم على الظلمة المستعمرين .

وهؤلاء أصدقاء إيطاليا الجدد ماذا يصنعون ؟

لقد كانوا بالأمس يحملون عليها فكيف يحملون عليها اليوم ؟

إنهم قبضوا الثمن ولا بد من الوفاء بالبضاعة .

أو قل إن الإيطاليين بذلوا المال وان يثابروا على بذله إلا إذا استفادوا منه بعض الفائدة .

فما هى الفائدة المنظورة ؟ وما هى الفائدة المستطاعة !

أما الترويج لدكان « زيد » فغير مستطاع .

فلم يبق إلا التشهير بدكان عمرو المسكين ... ورزقه على الله !

وكذلك قد كان !

وكذلك ظهر للسادة « الغيورين » على حين غرة أن النجاشية الذين جلسوا على عرش الحبشة فى ماضى العصور وحاضرها كانوا يظلمون المسلمين ويعطلون شعائر الإسلام .

ولتسقط « الحبشة » معناها « لتحى إيطاليا » فى ذلك الصراع القائم .

وتمت الصفقة على هذه الصورة بين قبض الثمن وتسليم البضاعة من غير الطريق المستقيم .

أما أنت أيها الرجل الذى لم تقبض ثمنا ولم تسلم بضاعة فقد باعك هؤلاء الدجالون واشتروك وأنت صاغر لا تدرى ما تفهم وما تقول .

إن دخلت فى الصفقة ومضيت مع التيار الذى حملوك عليه إلى حيث يشاءون فأنت كما رأيت بضاعة تباع وتشترى .

وإن فتحت عينيك وقلت لهم إنكم دجالون منافقون ، وإنكم سماسرة استعمار مأجورون — فأنت إذن لست بالرجل الغيور على الدين ، ولست بالمسلم الناصح عن الإسلام والمسلمين ، ولكنهم هم الغيورون الناصحون ... هم أولئك الدجالون المنافقون ، الذين يبيعون فيك ويشترون !

ودارت الأيام ورأينا مذاهب النازية ومذاهب الديمقراطية تصطدم فى أخطر ميدان .

ثم دارت الأيام ورأينا الشيوعية والديمقراطية تتصارعان .

وعادت حكاية الدكاكين من جديد : دكان زيد ودكان عمرو فى الحى المأهول بالشرقيين المساكين .

أما الدعاية لزيد فعرضة للاتهام الصريح .

فلماذا يتعرض لها « السماسرة الأمناء » وهم فى غنى عنها بالانحاء على عمرو فى غير حرج ولا مبالاة .

لتسقط الديمقراطية معناها لتحى الشيوعية ... والثمن مقبوض والبضاعة مسلمة ، وكفى الله المؤمنين القتال .

فالديمقراطية إذن كذب وخداع ، والديمقراطية إذن فخ منصوب للضعفاء ، والديمقراطية إذن مسئولة عما يجنيه الديمقراطيون ، والديمقراطية إذن هى مصدر البلاء وعلة الشرور .

وما شأن « الشيوعية » يا هؤلاء ؟

شأنها أنها بذات الثمن فى الخفاء ، فلا يليق أن تذكر فى معرض النقد والاستياء .

هى ملك معصوم ، أو هى شىء مسكوت عنه إلى أن يخرب دكان عمرو فيقبل « الزبائن » على دكان زيد طائعين أو مكرهين .

ومن المحقق أن الديمقراطيين يكذبون ويخدعون ، ولكن من المحقق كذلك أن الديمقراطية خير من الاستبداد بعد كل ما يقال عن مساوىء الديمقراطيين .

هل تسقط الديمقراطية لأن الضعفاء فى الأرض لا يعاملون اليوم معاملة الأقوياء .

هل تسقط الديمقراطية لأن الأرض البشرية لم يهبط عليها فردوس الملائكة أو لم ترتفع إلى ملكوت السماء ؟

إن كانت المذاهب تعاب بذنوب أبنائها فماذا نقول فى المسيحية والإسلام ؟ وماذا نقول فى سائر الأديان ؟

منذ القدم تبشر الأديان بالخير ولا يزال الشر فى هذه الأرض كما نراه ، فهل نقول إن الأديان لم تنفع أبناءها بشىء لأنهم لا يسلمون من الخسار ؟

منذ القدم تنص الشرائع والقوانين على عقاب الأثمة والمجرمين . ولكن الأثمة والمجرمين لا ينقطعون ولعلهم لا ينقصون . فهل نقول من أجل ذلك : دعوهم يجرمون ويأثمون وأغلقوا المحاكم وافتحوا أبواب السجون ؟

منذ القدم ننادى بالاصلاح ويعمل الناس أعمال المفسدين . فهل نقول من أجل ذلك إن الفساد خير من الصلاح وإن الدعوة إلى الاصلاح سعى عقيم ورأى سقيم ؟

إن الذى ينكر الديمقراطية لأن الديمقراطيين يلامون ويعملون ما يستنكره المنصفون لخليق أن ينكر القوانين والشرائع لأنها تنادى بالخير ولا يزال فى الناس شر كثير .

ولكنهم مع ذلك يقبضون الثمن ويعقدون الصفقة ، ويدخلون فيها تلك الرؤوس التى تستمع إلى ذلك الهراء الذميم فتصغى إليه وتقرهم عليه .

ودعوا دكان عمرو أيها الناس .

وهات يا زيد أجرتك ... فقد أقبل عليك أولئك الناس .

كان دارون يتحدث عن إرادة الحياة أو حب الحياة .

وكان نيتشه يتحدث عن إرادة القوة أو حب القوة .

فاذا جاز لنا أن ننشىء مذهباً جديداً نستمده من غفلة الأغرار وحيلة الشطار قلنا إنها « إرادة الغفلة » قد أصابت أناساً من الشرقيين فاتسع بينهم المجال لكل أفاك دجال ، وأصبحوا بين أمم العالم أعجوبة من الأعاجيب ، لأن أمم العالم تخيب بينهم ألف تدجيلة لكى تصيب بينهم تدجيلة واحدة بعد طول التلفيق والتدبير وتكرار المحاولة والتزييف . أما هؤلاء الصابون « بارادة الغفلة »

صحائف مطوية :

أول زيارة للمسجد الأقصى

للأستاذ أحمد رمزى

كان حتما علىّ أن أسافر بالباخرة التركية « أزمير » من ثغر الأسكندرية فى ربيع سنة ١٩٣٥ ، وإذا تأخرت احتج رياض بك الصديق العزيز مدير المستخدمين ، ومحبته لدى فوق كل شىء ، فلم يكن هناك بد من أن ألحق قطار الصباح المبكر من محطة صغيرة بالريف المصرى لأكون على الباخرة قبل موعد سفرها . وكانت الساعة الرابعة صباحاً حينما استيقظت وخرجت من منزلى فى يوم برده محتمل وسماؤه لا تزال نجومها ظاهرة ، ورذاذ من بعض المطر الليلى يتساقط من جريد النخل العالى ، وكان أمامى أكثر من كيلو متر ونصف سرتها على شريط السكة الحديدية قفزاً على الفلنكات الخشبية ، حتى دخلت القرية وأهلها نائمون . وقد ظهر ضوء المحطة من بعيد ، فإذا بقهوة عبد القدوس فى الشارع الرئيسى تفتح أبوابها وعلى مقعدها قارىء يرتل آيات الذكر الحكيم ، ما طللنا على الزاوية إلا وهو يستقبلنا بقوله تعالى « لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق ، لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين » تهلل وجهى واستبشرت وفرحت بهذا اللقاء وزال أثر التعب ، وعددت هذه نعمة من نعم الله .

ولم يمض على ذلك سوى شهر أو بعض شهر حتى صدر أمر ملكى عينت بمقتضاه قنصلا لمصر بمدينة القدس على رأس قنصلية عامة يشمل اختصاصها كل أراضى فلسطين وشرق الأردن ، فانتقلت من حياة ألفتها فى تركيا أو عودت نفسى عليها إلى حياة أكثر نشاطاً وإنتاجاً وحركة وأعمق أثراً ، ورددت كل ذلك إلى القارىء الذى استفتحت بوجهه .

شعرت بأن نفسى قد اطمأنت وقنعت وتركزت حينما نسيتنى وزارة الخارجية لمدة تزيد على سبع سنوات فى أراضى الجمهورية التركية ، فغدوت لا أشكو من شىء ولا أطلب الرحمة من أحد ، وتحجر قلبى فلم أعد أخاف من الوعيد أو التهديد ، أو يحركنى التهويش ، وكنت أنظر إلى الماضى فأراه قد مرّ بغير تبديل ، وإلى المستقبل فأقول بأنه سيمر على وتيرة واحدة كما ذهب الماضى ، وأحدث نفسى بأن أرجو لكثيرين من ذوى الأطماع والنفوس الطامحة أن ينتهوا إلى الحالة النفسية التى انتهيت إليها ، ذلك لأننى بمضى السنوات ومرورها متشابهة متلاحقة ، وجدت اليقين المفقود ووصلت إلى تسكين البال وراحته ، وهما أعظم ما يمكن أن يصل الإنسان إليه إذا بقى اسمه منسياً . ومر علىّ هذا الزمن وهو مملوء بالحوادث أتفرج عليها وأقيدها وأتأمل فيها ، وكان أكبر انتصار على النفس هو أن يردها صاحبها عن أن تقف فى الصف الأول أو يقعدها عن أن تزج بنفسها فى أمور لا يتسامى إليها إلا أولو العزم الشديد والعبقرية الفائقة .

ووصلت إلى شىء من ذلك بالمران حيناً وبالضغط أحياناً حتى وفقت لحد ما إلى تكييف حياتى ، فلاءمت بينهما وبين عملى وتفكيرى ، وعودتها الرضا مع اليقظة والقناعة مع الانتباه ، ولم يمض وقت طويل حتى تبين لى أن أعظم الأشياء والحوادث من سياسية واجتماعية والتى يراها الناس بمظهر الجد ويلقون عليها مسحة من الاهتمام ، تفقد رونقها الجدى وأهميتها إذا نظرنا إليها بنظرة

من شرقيينا الأعزاء . فما أسرع من ظهور التدجيلة بينهم إلا أن يقبلوها ويقبلوا عليها ، لأنهم يتلذذون بالاستغفال كما يتلذذ بعض الرجال بالاغضاء عن العرض فى غير سبيل ... ولو سبيل المال .

وأقسم إننا لا نمزح فيما نقول ، لأن الغفلة لذة عند المغفلين المطبوعين على هذه الخليقة . فهى نوم أو استرسال ، ولا عناء فى النوم أو الاسترسال ، وإنما العناء فى اليقظة والانتباه ، ومن ترك المخدوع ينام ويسترسل فهو لا يزعجه بهذا الترك المريح ، ولكنه يزعجه أشد الإزعاج حين يفتح عينيه ويصيح فى أذنيه ، ويحذره من اللصوص والطراق .

معشر الدجالين !

ما قولكم فى مذاهب الإصلاح كلها منذ القديم ؟

إن قلتم إنها باطلة فقولوا عن الديمقراطية إنها باطلة لأنها لم تحسم الشرور ولم تجعل الديمقراطيين من الملائكة الأبرار .

وإن طال بكم المطال على هذا المقال فالبركة فى « إرادة الغفلة » التى تفتح لكم مجال القول فتقولون ما تشاءون .

عباس محمود العقاد

بعيدة عن الجد ، وحللنا كل موقف وكل حركة على أنها إنسانية صرفة . وقد أتاحت لى الخدمة بالخارج معاينة الكثير من هذه المواقف فأصبحت بعض المسائل ذات الصف الأول مثاراً للضحك والسخرية لو عرف الناس حقيقتها الأولى .

إن اعتقاد الكثيرين من الناس أن لديهم مزايا خارقة للعادة ، وغالبيتهم من الأذكياء ، كان سبباً فى وقوعهم فى أخطاء ، من ذلك توهمهم أنه بوسعهم غش المجتمع الذى يعيشون فيه أو الضحك على لحى كل من يتصل بهم ، والوصول إلى تغطية الحقائق وإنكارها مدة طويلة من الزمن . إن هؤلاء قابلتهم كثيراً فى أوساط الأمم الشرقية فكانوا أول الضحايا لأطماعهم ، وكانوا هم المخدوعين بأنفسهم حينما حاولوا خداع الناس وغشهم . وكانت هذه الأفكار تعاودنى فى وقت انتهيت فيه إلى الاكتفاء بما كنت عليه ، إلى الاقتناع بأن كفايتى وعملى وتجاربى وهذه هى كل رأس مالى ، أقول قد أوصلتنى بالطرق والأساليب التى اطمئن إليها للنقطة التى تركزت فيها ، فلم أكن أفكر ولا أؤمل ولا أنتظر شيئاً من التغيير أو التبديل أو المزيد .

هذه كانت حالتى حينما دهمتنى حركة من حركات السلك السياسى المصرى ، فإذا أنا بغير تحضير أو بذل مجهود أو رجاء ، أنقل من بلاد اقتطعت سبع سنوات ونصفاً من عمرى فى دراستها وفهمها إلى بلاد جديدة أعلم عنها أشياء وأجهل عنها أشياء ، وما أجهله أكثر مما أعلمه برغم قربها وجوارها ومحبتى لها .

وكان هذا النقل حداً فاصلا فى حياتى ، إذ لو بقيت بتركيا أو نقلت لأميركا لاتجهت حياتى اتجاهاً آخر ، ولربما لم يكن لى هذا الشرف بأن أكتب هذه الكلمة ، وأن يقرأ لى قراء الرسالة بعض ما أكتب اليوم . ولقد جاءت هذه النقلة وليدة المصادفة والأقدار ، رمية من غير رام ، ذلك لأن أولى الأمر لم ينظروا فيها إلى تحقيق شىء من المصلحة العامة أو ما يلابسها من اختيار الأصلح أو الأوفق وإنما قصدوا سد خانة من بعض خانات كانت مفتوحة أمامهم فقذفوا بى إليها ، وكان ذلك من حظى إذ غدوت جندياً من جنود الإسلام والعروبة حينما تفتحت أنظارى على أرض فلسطين ومنازل الوحى الخالدة والنبوة .

وحضر قوم لتهنئتى أو لتعزيتى ، إذ المتفق عليه أن القدس والشرق منفى يرسل إليه من أفلس فى بلاد أميركا وأوربا ليستجم ثم يعود إلى بلاد النور . وهذا ما تراءى لهم ، وقد كان يصح أن يبدو لى شىء من ذلك ، ولكن الآية التى سمعتها من ذلك القارىء الأعمى فى محطة من إقليم الشرقية كانت تخفف وقع كل هذا علىّ وتجعلنى أسلم بأن فى ذلك الخير كل الخير ، وأقول هذه إرادة المولى : « وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى » .

ووصلت إلى مدينة القدس فى الجزء الأخير من سنة ١٩٣٥ لأتولى عملا جديداً ولألقى وجوها جديدة . وكان أول ما قمت به هو توجهى لزيارة المسجد الأقصى ، وكان ذلك فى شهر رمضان ، ودخلته وأنا على نية ثابتة بأنه المسجد الذى ورد ذكره فى الآية التى تلاها القارىء .

دخلته وقد غمرتنى نفحة من نفحات الله ، جعلتنى أشعر فى قرارة نفسى بحوادث التاريخ الجلى التى حملها هذا الصعيد ، وكأن كل ركن من أركان هذا المسجد يشير إلىّ ، وكأن كل حجر من أحجار قبة الصخرة يحادثنى . ثلاث عشرة مائة من السنين ، تركة ضخمة من الجهاد والجد ، هل يدرك أهلها ما هى ؟

إن الأمم الإسلامية التى نعيش وسطها ونحيا ، كانت تبدو فى ذلك الوقت وقد أفلست إفلاساً يكاد يكون تاماً فى حياتها وتنازلت عن حيويتها وعن أى مظهر من مظاهر الاستقلال ، حتى اعتقد كثيرون أنها موطن الخمود والنوم والجمود والتخاذل ، فهل تكون لها عودة ؟ وهل تقوى أذرعتها ونفوسها الواهية على حمل الأمانة ؟ أم ستقعد بها الهمم ؟ يوم لم تعد تفكر فى شىء سوى ملاذها وتكالبها على المادة وما تسوقه إليه غرائزها الواهية ، حينما فقدت كل عناصر القوة والأنفة ، وانحطت إلى درجة الجماد فلم تعد تهمها هذه المساجد والمدارس ، أو تترك فى نفوسها شيئاً أو بعض الشىء ، وبعد أن خيل إلى كثيرين أن ماتت لديها كل دوافع الكفاح وفنيت فيها بواعث الثورة والدعوة لخير العمل ؟

كنت أطوف بالصخرة وأنا أتأمل كل ذلك وأقول متى تتحرك أمم العروبة وتنهض من كبوتها وتستيقظ من نومها العميق وتخلع ما هى فيه من ذلة ومسكنة ؟ إن كل ما أراه أمامى فى وجوههم وسيرهم ومعاشهم وفى المدن وفى القرى يدعو إلى الأسى والألم ، وهم بعيدون كل البعد عن حيوية المبادىء التى قامت عليها الرسالة المحمدية الكبرى .

سرت فى أنحاء الحرم وهو متسع الأرجاء ، لا أقول يكاد يكون خالياً ، بل هو أكثر من أن يكون خالياً ، أما أنا فتخيلته فى نفسى يفيض بصفوف المصلين : كان يبدو لى صحنه ووجهاته

وجوانبه يوم الفتح الأكبر ، يوم دخله سلطاننا صلاح الدين بجند مصر فأقام أول صلاة للجمعة فيه ، وكيف تبارى العلماء والفضلاء فجهز كل واحد منهم خطبة بليغة طمعاً في أن يكون خطيب ذلك اليوم .

كنت أفكر كيف أذن المؤذنون على منائر المسجد الاقصى وأسواره فارتجت المدينة بأصوات التكبير والتهليل ، ومر أمامى كيف تقدم الملك السلطان المتواضع بقبة الصخرة فرسم للقاضى محي الدين محمد بن زكى الدين على القرشى ، أن يخطب ، وكيف ألبسه العماد الكاتب جبة سوداء من تشاريف الخلافة العباسية ، فلبسها وصعد المنبر واستفتح بسورة الفاتحة ، فقرأها بأكلها ، وقرأ أول سورة الأنعام ، ثم قرأ من سورة الأسراء ، ثم قرأ من سورة الكهف ، ثم من سورة النمل ، ثم من سورة سبأ ، ثم من سورة فاطر ، كما نجد ذلك مفصلا فى كتاب الأنس الجليل .

ثم شرع فى الخطبة فبدأها : «الحمد لله معز الأسلام بنصره» وصلى على نبيه الذى أسرى به ليلا من المسجد الحرام إلى هذا المسجد الأقصى وعرج به إلى السموات العلا إلى سدرة المنتهى ، عندها جنة المأوى ... وذكر أبا بكر وعمر وعثمان وعلى وصلى على آله وأصحابه والتابعين ؛ وقال « أيها الناس أبشروا برضوان الله الذى هو الغاية القصوى لما يسره الله على أيديكم من استرداد هذه الضالة وردها إلى مقرها من الأسلام ... وتطهير هذا البيت الذى أذن الله أن يرفع ويذكر فيه اسمه » ... لقد جددتم للاسلام أيام القادسية والملاحم اليرموكية والمنازلات الخيبرية والهجمات الخالدية ... »

كان كل هذا يمر أمام عينى ورأسى مطرق وخطواتى سريعة وأحبس الدمع فى عينى حتى انتهيت من قبة الصخرة واتجهت إلى المسجد فدخلت إلى المحراب لأقرأ أثر السلطان المجاهد بحروف ذهبية :

«أمر بتجديد هذا المحراب المقدس، وعمارة المسجد الأقصى الذى هو على التقوى مؤسس ، عبد الله ووليه يوسف بن أيوب أبو المظفر الملك الناصر صلاح الدنيا والدين عند ما فتحه الله على يديه سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة » .

فأديت تحية المسجد فى هذا المحراب الخالد وترحمت على بانيه وعلى أرواح الشهداء وشعرت براحة تملأ نفسى حينما خرجت متجهاً إلى المجلس الإسلامى الأعلى ، ماراً بمدرسة قايتباى سلطان مصر ، واستقبلنى أعضاؤه ومعهم سماحة مفتى فلسطين الأكبر ، وقد غمر الإيمان نفسى وتملكتنى نشوة لم أتمالك لسانى عن التعبير بما يجول بين جوانحى . قلت :

« إننا فى فلسطين ومصر أمة واحدة ، اشترك الآباء والأجداد فى هذا التراث الإسلامى العربى كما اشتركنا فى السراء والضراء ، فهم قد واجهوا الموت معاً ، وعاينوا الهزائم سوياً ، كما فرحت نفوسهم بأيام النصر المتلاحقة المتتابعة . وها نحن اليوم نلاقى من أيام الشدائد ما يذكرنا بالأيام الحالكة السواد التى عاشها السلف ومن تقدمنا ، فهل كانت أيامهم أقل سواداً من الأيام التى نعيشها ؟ كلا كانت أشد وأوقع ، فلم يفت ذلك فى عضدهم ولا لانت قناتهم أمام مصائبها ، ولذلك ألقوا علينا درساً باستشهادهم وموتهم وهزائمهم ومعاركهم وانتصاراتهم ، ألقوا علينا درس يقظة وصبر وأناة وعناد وتمسك بالعروة الوثقى وتعاليم الإسلام الخالدة .

يا صاحب السماحة! إن دروس الماضى باقية فى نفوسنا لن تبيد أبداً ، وإننا نستمد منها قوة إذا ضعفت قوتنا ، ونستلهم من وحيها آمالا إذا ضعفت آمالنا فى المستقبل . وإنا لنأتى إلى هذه البقعة الطاهرة وننظر إلى هذا الجامع وإلى صحنه ورحباته وصخرته فنجدد عهدنا لكم ، وتغمرنا روح الإيمان والثقة والتمسك بالأمانة التى فى أعناقنا نحن إخوانكم الذين اشتركنا معكم طول القرون الماضية ، ولنؤكد لكم مرة أخرى أن مصيرنا مرتبط بمصيركم وأن حياتنا لا قيمة لها بدونكم .

وأقول إننا نعيش أياماً مملوءة بالآلام والأحزان ، ولكن المستقبل لله وحده ، وهو الذى ذكرنا فى محكم آياته ، وأنزل سكينته على قلوبنا وخط فى سجل القدر أن هذه الأرض لنا ، وأن الأيام التى وعدنا بها مرة بعد مرة ، آتية لا ريب فيها .

إن كل الدلائل لتقنعنى أن الأمم العربية ومعها مصر ستبعث بعثاً جديداً » ...

كانت عيونهم تفيض بالإيمان ودموع الغبطة ، وكانت مودة وصداقة وأخوة ، وبدأت حياة جديدة ودخلت دنيا يعمرها الإيمان والعمل فى سبيل الله ، وكان التوفيق وحقت كلمته تعالى فكانت هى العليا .

حصل ذلك فى صباح يوم السبت ١٤ ديسمبر ١٩٣٥ وكانت أول زيارة رسمية لى بالقدس وأول عمل أبدأه .

أحمد رمزى

القنصل العام السابق لمصر بسوريا ولبنان

على هامش النقد :

« بين الفلسفة والأدب »

تأليف الأستاذ على أدهم

الأستاذ سيد قطب

عنوان يلخص موضوعات الكتاب ، ويلخص الكاتب فى الوقت ذاته — وهى مصادفة فذة ! — فالكتاب بين اتجاهين فى كل موضوعاته : إما فلسفة الأدب ، وإما أدب الفلسفة . والكاتب كذلك فى هذا الكتاب وفى سواه من كتبه وبحوثه يتجه إلى هذين الاتجاهين ؛ فهما قطبا تفكيره وإحساسه بالحياة . سواء كتب فى الأدب أو الفلسفة أو التاريخ وهى موضوعاته المختارة

أخرج قبل هذا الكتاب : محاورات رينان (مترجمة) ، وصقر قريش ، والمنصور بن أبى عامر ، والخطايا السبع (مترجمة). والمذاهب السياسية المعاصرة ، ونظرات فى الحياة والمجتمع . كما نشر عشرات الفصول فى شتى المجلات فى مثل هذه الموضوعات .

وحينما نظرت فى عمل من أعماله لاحظت أنه ينظر للأدب بعين الفيلسوف ، ويتذوق الفلسفة بحس الأديب ، ويتناول الشخصيات والحوادث بشعور مزيج من الفلسفة والأدب على السواء

والأستاذ أدهم هنا فى كتابه الجديد يجول فى ميدانه الأصيل ، ويستخدم أفضل ملكاته ، فينتج أفضل نتاجه . فالكتاب مجموعة فصول متفرقة يلخصها العنوان المتقدم ، وتحتوى على الموضوعات التالية بعد المقدمة : « ملتقى الشعر والفلسفة ، موازنة بين أبى العلاء وشوبنهاور ، أبو العلاء وفلسفة التاريخ ، تولستوى وفلسفة التاريخ ، شوبنهاور وفلسفة التاريخ ، فكرة التقدم ، فلسفة تاريخ الفلسفة ، بين الفن والفلسفة ، البطل والإنسان الأعلى . السياسة والأخلاق ، التمرد على العقل ، التاريخ والأبطال »

فهى من حيث الموضوع تلخص اتجاهاته جميعاً على حسب ما أسلفنا . وهى من حيث الشكل فصول مستقلة . وفى هذا النحو من الكتابة يتفوق الأستاذ على أدهم . وهو هنا خير منه فى أى كتاب ذى موضوع واحد وفصول مترابطة داخل هذا الوضوع

ولست أدرى إن كان هذا القول يسره أو يغضبه . ولكنه هو الواقع — فى تقديرى — فهو حين يكتب بحثاً فى مقال تتجلى أفضل خصائصه من الدقة والعمق والوضوح ، والإحاطة بأطراف موضوعه ، وتجليتها للقارئ ، بحيث تعطيه الكفاية التى يستريح إليها فى حيز محدود ؛ وبحيث يشعر أن فى هذا الفصل غناء ، ما لم يكن من هواة المراجع المطولة فى الموضوع الذى يطالعه

فهو كاتب مقالة مجيد ، بل هو فى الصف الأول عندنا من كتاب المقالة .

ويحسن أن أصوب هنا خطأ أو بدعة يروجها من يفهمون الأدب كما يفهمه عشاق الأزياء و « الموديلات » !

لدينا طائفة من هؤلاء يفهمون أن لفنون الأدب مواسم ومواعيد ، ولكل فن أو لكل « موديل » باباً معيناً لا يتعداه .

فأدب المقالة قد انتهى فى عرف هؤلاء المتحذلقة ، كما أن الأوان هو أوان القصة ، وكل ما ليس بقصة فهو فصل متخلف فى الأدب .

وفى وقت ما كان المطلوب من الأدباء أن يكتبوا تراجم أو يوميات . وكان المطلوب من الشعراء أن يكتبوا ملاحم أو مسرحيات ! كما يطلب من الأدباء اليوم أن يكتبوا قصة أو أقصوصة ، وإلا فهم متخلفون !

كل هذه الحذلقات منشؤها ضيق الأفق وضعف التذوق ، والنظرة إلى الأدب كالنظرة إلى الأزياء كما أسلفت ، لكل زى موعد وإبان !

والحقيقة أن لكل لون من ألوان الأدب موسمه الحاضر فى كل آن ، والعبرة هى بطريقة التناول لا بشكله ، وكل ميسر لما خلق له ، وكل أدب أصيل فى ذاته فهو أصيل فى شكله على تعدد الأشكال وتباعد الأعصار ، والمفاضلة بين فنون الأدب على أساس الشكل الذى تؤدى به مفاضلة زائفة ، فالفنون كلها من هذه الناحية سواء .

وإذا لم يكن بد من المفاضلة ، فإننى أحس أن كتابة « المقالة » قد تكون أشقها جميعاً . إذا أردنا أن نحصل على مقالة جيدة ، فلا بد فى المقالة من فكرة وموضوع ، ولا بد من تنسيق داخلى فى تسلسل الموضوع ، لا يقل عن التنسيق الخارجى بين الفصول المتعددة فى الكتاب ، أو القصة أو المسرحية أو فى الترجمة : وأقل فراغ فى المقالة أو تقصير يظهر للقارئ بارزاً ، فى حين قد تختفى هذه المواضع فى القصة ، لأن الحكاية أو الحبكة تغطى عليها.

ولا أحب أن أرتكب الغلطة ذاتها التى يقع فيها من يفاضلون

بين فنون الأدب على أساس الشكل الذى تؤدى فيه . ولـكنى أريد فقط أن أقول : إن أدب المقالة ليس أسهل ولا أقل مؤنة من سائر الآداب .

ونعود إلى كتاب الأستاذ أدهم ، فأقرر أننى خرجت من كل فصل من فصوله بفكرة واضحة كاملة عن موضوعه – بمقدار ما تستطيع « مقالة » أن تحيط بحدود الموضوع – وكل فصل من هذه الفصول لا يقف عند إعطاء فكرة عن الموضوع الذى يعالجه ، بل هو يصلح مرجعاً قريباً للباحث فى موضوعه ، وعلى الأقل مفتاحاً لمراجعه ودليلا إلى هذه المراجع مأمون الإشارة ، موثوقاً بصدقه فى الهداية إلى الطريق !

ويشعر القارئ – مع سهولة الأداء ودقته ووضوحه – بأن هناك جهداً ضخما قد بذل فى التحضير ، وإخلاصاً للبحث قد توافر فى المراجعة ، وتثبتاً وتدقيقاً أمام الجزئيات التى يعرض لها ... وهذه الخصائص هى أقوى ما تطلبه من كاتب يقدم لك قطافه من شتى حدائق الفكر فى الشرق والغرب فى حيز صغير محدود

كذلك يشعر القارئ فى نهاية قراءته للكتاب أنه خير منه وأوسع نظرة إلى الأدب والأشخاص والحياة قبل أن يقرأه – وهذه ميزة ليست بالقليلة ، وليست كذلك بالشائعة فى الكثير مما تخرجه المطبعة العربية من سيل الكتب فى السنوات الأخيرة – بل لا أبالغ إذا قلت : إنها لا تتوافر إلا لعدد محدود من الكتب الكثيرة التى تصدر فى كل عام .

ومع أن طبيعة الموضوعات التى تناولها الأستاذ على أدهم تجعل مجال الخلق الفنى فيها محدوداً ، إلا أنها استعاضت عن هذه السمة سمات أخرى من الدقة والعمق والوضوح تجعلها فى النهاية عملا فنياً فى هذا الحيز المعلوم ، وبخاصة ذلك الفصل القيم الذى كتبه عن أبى العلاء ، فهو من أفضل ما قرأت عن المعرى فى القديم والحديث . وقد جاء فى مقدمة المؤلف قوله :

« عمل المفكرين والفلاسفة هو إعداد الجو الذى يموج بمختلف الآراء والمذاهب والنظريات . ومن طبيعة القوة الخالقة أنها لا تكتشف الأفكار ولا تبتكر النظريات ، ولا توجد المذاهب الفكرية ، لأنها موكلة بالبناء والتركيب والإنشاء ، وليس من أربها الكشف والتحليل والتوضيح والتفسير . فهى تتناول الأفكار والمذاهب والنظريات ، وتنفخ فيها روح الحياة ، وتضفى عليها الحلل السابغة والألوان الزاهية ، ولكى يزدهر الأدب ويسمو الفن ، لا بد من وجود هذا الجو الملىء بالأفكار ، الحافل بالمذاهب والنظريات . ومن ثم كانت أزمنة الخلق الأدبى العظيم فى تواريخ الآداب قليلة نادرة ؛ وبلوغ هذه الذروة فى الأدب والفن يستلزم تلاقى قوتين : قوة العبقرية الخالقة ، وقوة الزمن . والشاعر أو الكاتب أو الفنان يسمو فنه ويتسع أفقه إذا عرف أشياء قيمة عن الحياة والدنيا قبل أن يتناولهما فى فنه ؛ والتفكير الفلسفى يجدى على الأدب ويزيد ثروة الخيال ، ويعين على إطلاق العقول من قيود الأهواء والنعرات ، وتصفيتها من شوائب التعصب والضيق؛ وتأمل عظمة الكون وجلاله ، يكسب الفكر عظمة وجلالا . وقد تخفق الفلسفة فى معالجة مشكلات الحياة ومسائل الوجود ، وربما كانت تلك المشكلات والمسائل من وراء طاقة عقولنا المحدودة ؛ ولكنى أعتقد أنها توفق على الدوام فى شىء واحد ، وهو أنها ترينا أن الكون أرحب مما نقدر ، وأعظم مما نرى » .

وهذه كلمات جيدة ، وهى تعطى القارئ فكرة عن طريقة المؤلف فى تناول موضوعاته ؛ وفكرة عن نظرته للحياة والأدب والفلسفة أيضاً ، وهى جديرة بأن تفتح أعين الأدباء الخالقين من الشعراء والقصاصين وغيرهم على أن الموهبة وحدها لا تكفى ، فلا بد من التزود والاطلاع ، لا فى موضوع فنهم وحده ، ولكن فى محيط أوسع ، يشمل الفلسفة فيما يشمل .

ومع أننى أنا شخصياً ممن يدعون إلى تخليص الفن ، والشعر خاصة ، من ربقة الذهنيات ؛ إلا أن القصد والاعتدال والدقة فى بيان الأستاذ أدهم لمنطقة الفلسفة ومنطقة الفن فى مقدمته وفى الفصول التى تلتها ، تجعلنى أتفق معه فى وجوب تنوع الدراسات والثقافات لمن يريد أن ينشئ فناً ذا قيمة إنسانية .

وكل ما أبديه من تحفظات هو ألا تظهر الذهنية ، وقد أغالى فأقول ، بل الفكرية ، فى العمل الفنى ، وبخاصة الشعر الذى أحب له أن ينطلق مرفرفاً متخففاً من أثقال الذهن المقيد ، والفكر الواعى على قدر الإمكان .

وفى النهاية أذكر أن كتاب الأستاذ أدهم قد حقق فى اللغة العربية قسطه المناسب من تحقيق هذا الغرض الذى يريده مؤلفه . وهو « تزويد الثقافة المصرية العربية الشرقية بطائفة من الأفكار والآراء والنظريات التى تمهد السبيل للخلق الأدبى والفنى العظيمين »

وقد حقق هذا الغرض بأكثر مما حققتها كتب كاملة ظهرت فى بعض الموضوعات التى تناولها أوفى موضوعات قريبة منها . وذلك بلا شك حسب فصول مختصرة فى كتاب

سيد قطب

من صميم الواقع :

الكأس الأولى ...

للأستاذ علي الطنطاوي

أكثر الموظفين قد شربوا هذه (الكأس الأولى) فصاروا من بعدها سكارى ما يصحون، ولا ينتصحون .. وهذه قصة (الكأس الأولى) فانظروا من هو المسئول عنها: آلذي أخذ الرشوة، أم الذي أعطاها، أم الذي أمر بها، أم الحكومة التي قللت المرتب فدفعت إليها ؟

كانت ليلة مخيفة من ليالي شتاء سنة ١٩٤١، وكانت تعول رياحها كما تصرخ الشياطين، وترقص في الجو كأنها مردة الجحيم قد أفلتت من قيودها، وأقبلت تلذع وجوه الناس بمثل حد المواسي من شدة بردها، والثلج يتطاير كأنه القطن المندوف، ويتراكم على الأبواب والنوافذ، حتى لقد بلغ سمكه على الأعتاب وفي أصول الجدران قريبا من ذراع، والناس قد فزعوا إلى بيوتهم فاعتصموا بها، وخلت الشوارع وأقفرت السبل فلا ترى فيها سالكا ...

في تلك الليلة، كانت نوبة عبد المؤمن أفندي في مخفر (الكسوة): يقضي ليلته وحيداً يرقب الطريق ليحرسه من المهربين والفارين من المكس (الجمرك)، ومن مخالفي أنظمة التموين، منفرداً بعيداً عن رفاقه وعن مساكن القرية، وكان قد أخذ معه على عادته طعامه وسلاحه، ولبس كل ما يملك من دثر الصوف، واشتمل بمعطفه، ولف عليه شملته، وأدخل كفيه في قفازيه، وأغلق عليه بابه، وأوقد ناره، واضطجع على سريره مطمئنا إلى أن أحداً لن يجتاز الليلة هذا الطريق، إلا إذا كان مجنوناً والمجنون لا يؤاخذ ... وحاول أن يهجع ساعة فيدفأ فلم يستطع لا خوفاً من أن يطرقه المفتش، فما في الدولة مفتش يخرج الليلة من بيته، بل من شدة البرد، فلقد كان النفس يتجمد على زجاج الشباك ... ثم استدارت الريح فجعلت ترد الدخان على المدفأة حتى امتلأت به الغرفة ولم يجد لدفعه حيلة، فاضطر لاطفاء النار ولبث يتقلب في البرد حتى أحس بأن أصابعه قد تجمد فيها الدم، فامتلأت نفسه بالنقمة على هذه الوظيفة وعلى حظه من الدنيا، وعلى الرئيس الذي ألقاه في هذه القفرة المنقطعة بعيداً عن زوجته وبنته وولديه بمرتب لا يتجاوز مائة ليرة سورية (نحو أحد عشر جنيهاً) وهو قد أشرف على الأربعين وقطع سن الأمل والنشاط، ونظر فإذا الذين هم دونه سنا وعلماً قد بلغوا بالوساطات والشفاعات المرتبة الخامسة أو الرابعة ... وفكر في هذا المرتب ماذا يشترى به، وكيف يعيش ... وأجرة داره الصغيرة المخربة التي استأجرها من قبل الحرب ثلاثون ليرة في الشهر، وثمن رغيف الخبز من السوق عشرون قرشاً، وكيلو اللحم بخمس ليرات، وكيلو الرز المصري بأربع ليرات والسكر مثله، وكيلو الشاي بعشرين ليرة، والحذاء المتوسط بثلاثين، وثمن القميص مهما استرخصه عشرون، وأجرة الطبيب العادي المبتدىء خمس ليرات، وحبة الكينا الواحدة بأربعين قرشا، ولوح الزجاج إن انكسر زجاج الشباك سبع ليرات[1] ...

وطفق يدير حسابه على الوجوه كلها، ويضرب الأخماس بالأسداس، ويتذكر كل ما تعلمه في المدرسة وفي الحياة من علم الإقتصاد وفن تدبير المنزل، وما سمعه من أشياخ قومه ومجاز أسرته، فلم يسعفه شيء من ذلك كله في الاكتفاء بهذا المرتب، وقصر مصروفه عليه، وتذكر ولده الصغير وأن أثمان كتبه بلغت أربعين ليرة ... أما كتب ولده الكبير الطالب في الثانوية فإن مجرد التفكير في أثمانها يفقده ما بقي من عقله، وإذا هو أكمل الثانوية غداً، ودخل كلية الحقوق مثلا ... رأى بلاء أنكد وخطباً أشد، ذلك أن الأساتذة قد استحدثوا في هذه الأيام شيئا سبقوا فيه التجار والمحتكرين، وأتوا بما لم يأته أحد من الأولين، فطبعوا كتبهم في مطبعة الجامعة، ثم حددوا لها أثمانا تجمل قرش أحدهم عشرة، ثم ألزموا الطلاب بشرائها إلزاما، فلا يدخل الامتحان من لا يدفع هذه الأثمان، وحجتهم في ذلك أن الطلاب لا يشترونها إذا هم لم يجبروهم، مع أن الطلاب وغير الطلاب يشترون كتب العلماء والأدباء من غير إكراه ولا إلزام، لأنها نافعة لهم ولأن فيها متعة، فلماذا لا يجعل هؤلاء الأساتذة كتبهم ممتعة ويجعلون فيها نفعاً ... ؟ وماذا يصنع عبد المؤمن أفندي! أيدع ابنه محروما من التعليم، ويضيع هذا الذكاء النادر الذي راعت بوادره المدرسين، ويسلمه إلى وظيفة حقيرة مثل وظيفته، لا لشيء، بل لأن المدرسين والأساتذة المحترمين ذاقوا لذة الربح، فنسوا فضيلة القناعة، ولأن وزارة المعارف وإدارة الجامعة، لا تحددان الأسعار، ولا تمنعان الأساتيذ أن يكونوا كالتجار.

---

(١) هذه أسعار الحرب، وقد رخص الآن بعضها.

وعى عبد المؤمن أفندى بهذا الحساب ، وأحس بالبرد قد وصل إلى عظامه ، فازدادت نقمته على الوظيفة وعلى الحياة وعلى نفسه . وعظم سخطه حين سمع صوت سيارة ... من هذا المأفون الذى يمر الليلة على الطريق ، فيزعجه من فراشه ليخرج فيفتشه ؟ إنها سيارة مهربين من غير شك ، ولا بد له من ضبطها لئلا يخون أمانته التى يأكل من ورائها الخبز . ثم عاد فتذكر أن الخبز الأبيض القفار لم يستطع أن يأكله من وراء هذه الوظيفة ، فحمل مصباحه البترولى وخرج وهو ساخط على كل شىء . فلما فتح الباب ، هبت عليه عاصفة مثلجة كاد تقتلعه من أرضه ، ولكنه استند إلى الجدار وقفز إلى الطريق ، فأقفله بالحواجز الحديدية قبل أن تصل السيارة ... وصفر لها بصفارته ، فضاع صوتها فى هزيم الرياح ؛ بيد أن السيارة كانت قد وصلت ورأى من فيها المصباح الخافت ، فوقفت ، فنظر عبد المؤمن أفندى فلم يجد فيها إلا السائق ، ووجدها من سيارات الشحن الكبار ، وكانت عادته التى يعرفونها عنه أنه يقوم بالواجب عليه على الوجه الأكمل ، ولم يمد يده فى عمره إلى حرام ، ولكن هذا البرد ، وما فى نفسه من السخط والضيق عدلا به عن عادته ، فاكتفى بادخال السائق إلى المخفر ليسائله ... وأغلق وراءه الباب ، وأعد مسدسه خوفاً من أن تطمع وحدته السائق وتغريه به ، وكان عبد المؤمن أفندى رجلا جلدا جريئا حذراً ، وكانت قد تراءت على وجهه ظلال نقمته التى كان يحسها ، فبدا مخيفا مروعا .

ونظر إلى السائق فإذا هو أحد المهربين المعروفين الذين يقودون القوافل بين عمان ودمشق عن طريق البادية ، وربما بلغت أثمان ما فى السيارة الواحدة منها مائة ألف ليرة ... فهز رأسه ، وأزمع أن يضربه الضربة القاضية ، فما يعقل أن يأخذ السائق أجرة السفرة الواحدة عشرين ألف ليرة ، ويعطى مثلها رشوة لرجال الأمن على الطريق ، ثم يأكل التاجر الباقى ، يسحبه من أفواه المساكين والفقراء ... ويبقى هو الموظف المسكين على مائة ليرة كل شهر ، وقال له :

— أوراقك ، والبيان المصدق بما معك فى السيارة . ثم إن عليك أن تنتظر ريثما تهدأ العاصفة ويطلع النهار لنتمكن من تفتيشها فإذا كان فيها مهرب ، صودرت السيارة وما فيها !

— قال السائق : أتحب الصدق ؟

— قال : نعم .

— قال : وهل تعدنى أن نتفاهم بهدوء ، ومن غير لجوء إلى الشدة ، أو اقتراب من الهاتف (التليفون) ؟

— قال عبد المؤمن أفندى مستغربا : وما ذاك ؟

— قال : إن فى هذه السيارة بضاعة مهربة ، هى لفلان ، وهو من تعلم مكانته وصلته بالنواب والحاكمين ، وله فيها شريك لو سميته لك لأرعبك اسمه ، وإذا أنت حجزتها ، أطلقها هو ، وأبت بسواد الوجه ، وربما نقلك إلى الجزيرة ...

— فصاح به : اسكت .. وقح ! أتهددنى ؟ سترى كيف أفتشها وأحجزها ، واذهب فاعمل ما تستطيعه . إن القانون يمشى على الكبير والصغير ...

— قال الرجل بهدوء : لقد وصفتنى بالوقاحة ، وإنى أسامحك . إنى أتكلم بلسان الواقع ، وأنا أحب أن نتفاهم على مهل . إنك رجل أمين شريف ، وأنا تقديراً لأمانتك أهدى إليك هدية ، قد فوضنى صاحب البضاعة بتقديمها إليك ، تغنيك عن هذا المرتب .

— فغضب وقال : أتعرض على الرشوة ؟ الآن أكتب ضبطا بالحادث ، وأريك ما جزاء من ...

— فوالى السائق كلامه وكأنه لم يسمع شيئا فقال : وهذه الهدية هى عشرة آلاف ليرة ...

فلما سمع بها عبد المؤمن أفندى تراخى ، ورأى السائق ذلك منه ، فقال :

وألف فوقها منى لتدعنى أمر الآن ، فهذا آخر مخفر قبل دمشق ، وأنا أود أن أدخلها فى هذه العاصفة كيلا يعرض لنا أحد ، وإذا أنا وقفت فلن أخبر مخلوقا بما كان بيننا ، بل أقول إنى قادم من طريق آخر ...

لبث عبد المؤمن أفندى لحظة واجما ، ولكن فكره كان يدور كما تدور عجلة (الاكسبرس) ، لا يستقر على فكرة حتى ينتقل عنها إلى غيرها . وكان ماضيه الشريف ، والمستقبل الذى أطل الآن عليه يتقاذفانه ، فكأنه بينهما راكب الأرجوحة ، لا يبلغ طرفاً حتى يكر مسرعا إلى الطرف الآخر . وكان صوت ضميره يهتف به أن : دعها ولا تدنس نفسك بها ، فإنها سحت ، ونفسه تناديه أن خذها ووسع بها على عيالك ، وعلم بها ولدك ... ولبث كذلك وهو يسمع من داخله مثل دقات عقرب الثوانى فى الساعة : خذ ، لا تأخذ . خذ . لا تأخذ . إلى ما لا نهاية له ...

وفى دقة منها ، كان فيها (خذ) ، مد يده فأخذ المبلغ ودسه فى جيبه بلا شعور ، وترك الرجل ينصرف .

• • •

أفاق عبد المؤمن أفندى من ذهلته ، فأحس بمثل ما تحس به

الفتاة التي فرطت ببكارتها في لحظة ضعف وخور ، وتنبهت في نفسه عواطف الخير التي كان يملكها دفعة واحدة ، واحتقر نفسه وأبغضها وكره المال ، وتمنى لو استطاع أن يلحق الرجل فيردها إليه ، ورأى ماضيه الذي فقده الآن حلواً جميلا ، وأحب ذلك الفقر الشريف ، واستحال ما كان يجد من السخط عليه رغبة فيه وشوقاً إليه ، وفكر كيف يلقى غداً أهله وصحبه ، وتوهم أنه سيكون بينهم كمن سقط في حفرة موحلة فامتلأت ثيابه طيناً ، ثم جاء ليجالس الأطهار الأنقياء ، وشعر بجسمه يتلهب كأن فيه ناراً تتوهج ، وبالعرق يقطر في هذا البرد من فوديه ... وصار كلما حركت الريح الباب ظن أنهم قد جاءوا لاعتقاله ، وأن أمره قد افتضح ، وحار في هذا المال أين يخفيه ، فوضعه في جيبه ، ثم خاف أن يفتش ، فنزع حذاءه وجواربه ، فأحاط به رجله ثم لبسها عليه ، ثم تراءى له أن أول مكان يفتش هو الجوارب ، أليس كذلك كان يصنع كلما فتش مهربي الحشيش والهنات الصغيرات ؟ وآلمه أن يرى نفسه قد انحطت إلى دركة مهربي الحشيش ، ولكنه مع ذلك مضطر إلى إخفاء هذا المال ، فأخرجه ولفه في منديل ، ثم خلع سراويله ووضعه في المكان الذي لا يصل إليه أحد ... وعاد يفكر ماذا يصنع بهذا المال ، وماذا يقول لأولاده إذا سألوه من أين لك هذا ؟ وما ألف الكذب ولا تعوده ، وإن هو كذب ألا تفضحه نظراته وحركاته ؟ ثم ما هي الكذبة التي يكذبها ؟ وتصور نفسه أمام المحكمة العسكرية ، وقد سقط من أعين أولاده وأصحابه ... إن زوجته تؤثر أن تراه فقيراً معدماً ، على أن يدخل عليها سارقاً مرتشياً ... واستغرق في خواطره ... فما نبهه إلا حركة في الطريق ، فأيقن أنهم جاءوا لاعتقاله ، ففزع إلى مسدسه ليقتل به نفسه ، ثم تذكر أن أشد المصائب أهون من أن يموت عاصياً ، وأنها فضيحة الدنيا بين الرفاق ، ولا فضيحة الآخرة على عيون الخلائق كلها . فمشى بنفسه إلى القضاء المحتوم ، وفتح الباب ، وكانت الرياح قد هدأت قليلا والثلج قد انقطع ، فرأى سيارة مطفأة الأضواء قد تعثرت بالحواجز التي كان أعادها من غير شعور منه بالذي يفعله ، وحاول سائقها أن يدوس الحواجز ويفر ، ولكنها علقت بالدواليب واعترضت سيرها فاضطر إلى الوقوف ، بعد حركة عنيفة كاد يطوح فيها بالسيارة فيرميها في الأخدود الماثل على جنبي الطريق ...

وصرخ عليه عبد المؤمن أفندي ومسدسه بيده ، فخرج من السيارة وتبعه إلى المخفر وهو مصفر الوجه ، مرتعد الأوصال ، إذ كان حديث عهد بصناعة التهريب ليس له جراءة الأول وثباته ، وأقبل على الجندي فزعاً يقول : دخيلك ، أنا في عرضك ، والله هذه أول مرة ، وقد ورطوني ، وليس لدي إلا هذه السيارة ، هي مالي كله ومنها معيشة عيالي ...

وانكب على يديه يقبلها ، فتنبهت غريزة الطمع في نفس الجندي ، وعاد مثله مثل الرجل الذي أقدم على الفاحشة ، ثم ندم عليها وذهب يحاول التوبة ، فدخلت عليه امرأة أخرى قد لبست بدل الثياب الفتنة والإغراء ودعته إلى نفسها ... وقال للسائق :

— دعك من هذا الكلام الذي لا يفيد . لا بد من مصادرة السيارة وما فيها ، إلا إذا شئت أن نتفاهم ...

وكأن شعور عبد المؤمن أفندي ، وهو يقول هذه الكلمة ، وقد توترت أعصابه كلها واشتدت ، وقد تجمع كالقط الذي يرى الفأر ، مثل شعور المقدم على الوصال المحرّم ، وهو يرى قبح عمله ولكن الميل إليه غالب عليه ، فهو لا يملك لشهوته رداً ، ولما رأى السائق لا يفهم ، ويعود إلى استعطافه ورجائه ، تجرأ وقال له باختصار : كم فوضوك أن تدفع ؟ ثم نظر حواليه هل سمعه أحد ؟ وحول وجهه حتى لا تقع عينه على عين السائق ، وغلب عليه الحياء إذ كانت تلك أول مرة ... فرأى السائق باب الفرج ، وقال عجلا ، الذي تريده ، الذي تأمر به ، بَس[1] اسمح لي أمر .

قال : اثنا عشر ألف ليرة ! وتوهم لما قالها أنه قذف قنبلة ذرية أخرى ، كالتي ألقيت على هيروشيما ، وأحس رجتها في أذنيه ... فارتاع الرجل وصاح : أرجوك ، أنا داخل على حريمك[2] ، والله ما معي إلا خمسة آلاف ، إن السيارة محملة غزلا ، وليست كالتي مرت قبلها ، تلك فيها حرير . قال : هات وامش .

وقبض عبد المؤمن أفندي المبلغ فصار معه ستة عشر ألفاً ، مرتب مائة وستين شهراً في الوظيفة كسبها في ليلة ، فكيف غفل عن هذا المورد أيامه الماضية كلها ... وعاد يفكر في الشرف والطهر وفي الفضيحة . . وأحس كأنه قد جن ... ففتح الباب ، وخرج يعدو مع الريح لا يدري إلى أين يذهب ...

لقد كان يريد أن يفر من المخفر ومن الحكومة ، ومن الرشوات ، ومن صوت الضمير ... ويريد أن يفر من نفسه !

ولم يدر أنه شرب (الكأس الأولى) وفسد ، ولم يعد يصلحه شيء !

(دمشق) **علي الطنطاوي**

(١) بس معربة قديمة ولا بأس باستعمالها .

(٢) هذا من العامي الذي لا ينكره الفصيح

الأدب في سير أعلامه :

ملتن ...

[القيثارة الخالدة التي غنت أروع أناشيد الجمال والحرية والجمال ...]

للأستاذ محمود الخفيف

— ٤ —



طفولة ملتن ونشأته

وأحدثت الوراثة والبيئة أثرهما في جون ملتن، فأحب الأدب وأحب الموسيقى كما أحبهما أبوه ، وظهرت فيه منذ صغره تلك النزعة الاستقلالية التي طرد بسببها الأب من كنف أبيه .

ولا ريب أن جون ملتن قد حرص على أن تنمو هذه النزعة الموروثة في نفس ابنه ، وآية ذلك أنه لم يشأ أن يحمله على ما لا يحب فتركه وشأنه حين أعرض عن الالتحاق بالكنيسة . والحق أن نزوع ملتن إلى الاستقلال سينمو مع الزمن حتى يصبح من أبرز صفاته .

وكان إعجاب جون ملتن بابنه عظيما ، وكذلك كان إعجاب أصحاب أبيه به ، فما سمعوا أشعاره التي ينظمها وهو في الثانية عشرة من عمره إلا أفاضوا من ثنائهم عليه ، وما رأوا إقباله على الدرس إلا تحدثوا بنباهة مستقبله ؛ وأنهم ليرون سمات العبقرية تختلج على محياه الأبلج الجميل وهو بعد في سن اللعب واللهو ...

وأحدثت كثرة الثناء عليه أثراً قوياً في نفسه سوف ينمو على مر الأيام ؛ فقد داخله شعور منذ طفولته أنه فوق مستوى غيره من الأطفال، وأنه سوف يغدو رجلا عظيما، وكان يقوى شعوره بنفسه وإحساسه بمقدرته كلما ازداد اطلاعه واتسع مجال ثقافته .

وكان أبوه عظيم الثقة في كفاية ابنه ومقدرته ، فمول لا يدخر وسعاً في تنشئته ليكون رجلا عظيما ، فاختار له مربياً يعلمه في المنزل هو توماس ينج ، وأرسله إلى مدرسة قريبة هي مدرسة سنت بول ؛ وكان للمربي الذي يتعهده في البيت شهرة في فنه فائقة كما كان (لاسكندر جل) رئيس المدرسة التي ألحق بها صيت عظيم، يمتدح الناس أسلوبه وفنه في التربية والتعليم .

وكان أبوه إذا فرغ من توثيقه ومن ألحانه يعينه بنفسه على فهم ما يقرأ ويرشده إلى الكتب التي تلائم مزاجه وطبعه ، وكذلك كان يعلمه الموسيقى إذ أنس منه إقبالا شديدا على سماع الألحان وتذوقها وتفهم تأليفها .

وشهد مربيه في المنزل ومعلموه في المدرسة أن عقل الصبي أكبر من سنه ، وأن له إلى الأدب ميلا قوياً ، وأن ذوقه الأدبي مولود فيه ، فهو جزء من نفسه ، وهو قوام إدراكه وحسه ، وما وقعت عينا امرىء عليه إلا تبينتا فيه شاعر الغد ؛ فالشواهد فيه على ذلك بينة متعددة ، تطالع المرء في تأمله وتفكيره وفي عذوبة حديثه وسعة ثقافته وجمال عبارته وإشراقها ، وقدرته منذ حداثته على اختيار اللفظ الجميل وقعه في النفس والذهن ، وانفعال نفسه للموسيقى وللبليغ من القول منثوره ومنظومه ، هذا إلى ما تنم عنه ملامح وجهه الوسيم وما تنطق به عيناه الحالمتان الواسعتان من رقة وظرف وصفاء نفس ، وما يتسم به مظهره من رشاقة وأناقة وسلامة ذوق .

وكان محيط قراءته واسعاً في اللغة الانجليزية وآدابها . وكان للشاعر العظيم سبنسر المتوفى سنة١٥٩٩ مكانة عظيمة في نفسه ، تعمق دراسته وتأثر به تأثراً شديداً ، واستوعب قصيدته العظيمة أو على الأصح كتابه الشهير « الملكة الجنية » وأحاط بما فيها من خيال وجمال ، وفطن إلى ما أراده سبنسر فيها من آراء دينية وخلقية ، فقد كان كل فارس من فرسانها الإثنى عشر يمثل فضيلة من الفضائل ، وكان كل من هؤلاء الفرسان بطل فصل من فصول القصة يدور حول معنى مقصود اتخذت الحكاية وسيلة

لإبرازه وألبسه الشعر القوى الجميل لباساً ساحراً حبيباً إلى القلوب ، وكانت شخصية الفارس الأمير أرثر هى الرابطة التى تربط بين فصول القصيدة كلها ؛ ولهذا كانت أهم شخصيات الكتاب وأحبها إلى القراء . ولقد كان سبنسر أعظم شعراء عصر شكسبير غير المسرحيين ، ومن أشدهم تأثيراً فى جيله ، ويعد ثمة من القمم الشوامخ فى تاريخ الشعر الانجليزى كله .

وثمة شاعر آخر أقبل على قراءته الصبى المجد ، هو سلفستر المتوفى سنة ١٦١٨ أى بعد عامين من وفاة شكسبير والذى نقل إلى الانجليزية القصة الشعرية الشهيرة التى نظمها الشاعر الفرنسى دى بارتس سنة ١٥٧٨ وموضوعها يدور حول خلق الدنيا ، والتى طبعت ثلاثين مرة فى ست سنوات وترجمت إلى ست لغـات . ولقد أعجب سبنسر نفسه إعجاباً شديداً بهذه القصيدة وبموضوعها . ولكن وجد فيها الصبى ملتن متعة لنفسه وبخاصة موضوعها الذى ظل خيـاله فى خاطره حتى ظهر بعض أثره فيما بعـد فى قصيدته الخالدة الكبرى ، الفردوس المفقود . ولقد أعجب الصبى فى تلك السن بمقدرة دى بارتس الفرنسى على اشتقاق ألفاظ جديدة لمعانيه ، كما أعجب بمحاكاة سلفستر إياه فى الانجليزية ، فكان لهذه الترجمة أثرها فى ذوقه وفنه إلى جانب أثرها فى خياله وحسه .

وتطاول الصبى إلى قراءة شكسبير فقرأه على قدر ما يتسع له إدراكه ، كما قرأ بعض المسرحيات الشهيرة لشعراء المسرح النابهين غيره فى العصر الأليزابيثى .

وكان كثير المطالعة للإنجيل حتى وعت ذاكرته أكثر أجزائه ، وألف لغته وتذوقها وتأثر بها قلبه ولسانه .

ونهل مع هذا كله من مناهل الإغريق والرومان ، فى التاريخ والأدب والشعر والميثولوجيا ، وأحب المنهل الأخير حباً شديداً فكان لا يمله مهما استزاد منه ، وصارت له خبرة بهذه الناحية من خيال الإغريق والرومان قل أن يتوافى مثلها لمن كان فى مثل سنه ، ولسوف يمتلىء شعره منذ حداثته بالإشارات البارعة إلى آلهة الإغريق وإلاهاتهم فيما يعرض له من وصف فيلبسه الجمال والسحر ...

هكذا نرى الصبى فى أولى مراحل ثقافته ينتقل كالفراشة الطليقة بين أفواف الربيع الأليزابيثى فيبهج نفسه جمال الربيع ، ويملأ حسه افتتان الربيع ، وترن فى جوانب سمعه ألحان الربيع ، وتستقر فى خاطره تلك الأصداء الساحرة الجميلة التى تجاوبت بها قيثارات سبنسر وسلفستر وشكسبير ...

فتطير روحه الوثابة فتطوى العصور إلى ربيع قديم أشبه بهذا الربيع الذى انطوى مهرجانه من قريب ، وذلك هو الربيع الإغريقى فتنعم روحه بزينته وقوته وسحر أساطيره وأنغام مزاميره وتختزن ذلك نفسـه كما تختزن الزهرة العطر ، وتحلم تلك النفس الشـاعرة أحلام الخيال والجمال حتى تصرفها عن حلمها البهيج الرؤى فترة فيها كثير من الجد ولا يكاد يوجد فيها شىء من الزينة .

ملتن فى الجامعة :

وفى السادسة عشرة من عمره تأهب ملتن ليدخل الجامعة ، فقد اجتاز الامتحان الذى يؤهله لها فى يسر ، وتفوق فى نجاحه تفوقا ملحوظا وأقدم مزهوا ليلتحق بكمبردج ، وكانت الكلية التى انتظم فى سلك طلابها ، والتى لبث فيها من عمره سبع سنين هى كريست ، ولسوف تفتخر تلك الكلية فيما بعد بأن كان ملتن أحد أبنائها ، ولكنها اليوم تتلقاه كما تتلقى غيره من الفتيان ، لا تدرى ما ذا يكون غدا من أمره .

وأقبل الفتى على كليته فرحا يداخله من الزهو ما يداخل كل يافع فى مثل موقفه ؛ يحدث نفسه فى حماس عما هو عسى أن ينهل فيها من المعرفة ويصاحب من الأقران ؛ وما هو عسىٌّ أن يأخذ منه بقسط من المناظرة والحوار وتبادل الرأى بينه وبين أقرانه ، وكل أولئك حبيب إلى نفسه التواقة إلى الدرس الطلابة للعلم .

وتلفت الذين سبقوه إلى الكلية يتطلعون على عادة الطلاب إلى أقرانهم الجدد فى أول الموسم ، فوقعت أعينهم من بينهم على فتى أنيق الملبس ، جميل الطلعة ، حلو السمت ، فى قسماته وسامة رائعـة ، وفى ملامحه أمارات الذكاء ، وفى نظراته جد يشبه الكبرياء ، وفى عينيه تأمل وحلم ، وفى مشيته والتفاتته هدوء ودعة ، وفى محيته رقة ودماثة .

وسرعان ما تعرف إليه فريق منهم ، فما لبثوا أن أعجبهم اتساع أفقه وحدة ذكائه ؛ وإن كانوا يرون فيه كثيرا من الاعتداد بنفسه ورأيه ، ويرون فيه كذلك حرصا شديدا ما رأوا قبل مثله على قواعد السلوك واحترام النفس ، يكادون يحسبونه تزمتا وانقباضا لا يرتاحون إليه ؛ وإن فيه لميلا قويا إلى الشعر ، يحفظ منه قدرا عظيما ويشير إلى مواضع الجمال فيما يحفظ ويستمع فى شغف وطرب

إلى ما ينشد أقرانه مما غاب عنه ويعجب كيف غاب عنه ؛ ولما توثقت بينهم وبينه المعرفة رأوا فيه شابا يأخذ نفسه بقواعد الطهر والعفة وهو فى ذلك صلب الارادة لا يلين ولا يحيد .

وما لبث ملتن أن أحس أنه علق من الآمال على الكلية أكثر مما يريه الواقع ، فأين منه أيام قراءاته فى بيته ، وأين منه حريته فى هاتيك الأيام الحلوة ؛ إنه كلما ازداد صلة بالكلية أحس فى نفسه النفور شيئا فشيئا من جوها ، والضيق من كثيرين من القائمين بأمرها ؛ ولكن ما من البقاء زمنا بها بد ، وما على المرء إلا أن يحمل نفسه على الصبر حتى ينقضى أمر بقائه ... بهذا كان يتحدث الفتى إلى نفسه ، كلما ساوره من حاله ضيق أو كدر خاطره أمر .

وكانت الكلية غداة التحق بها ملتن لا تزال فيها على الرغم من النهضة بقية من العصور الوسطى ، وذلك فى روحها وفى مواد دراستها ، وكانت أهم مواد الدراسة بها المنطق والبلاغة والفلسفة المدرسية ، واللغتين اللاتينية والأغريقية ، وشىء من علوم الرياضة ، وقليل من الفلك ، وقدر يسير من التاريخ الرومانى ومن عجب ألا يكون التاريخ الانجليزى ولا الأدب الانجليزى من مواد الدراسة ، على أنه كان لمن يشاء أن يدرس هاتين المادتين أن يفعل ذلك إذا أبدى للكلية رغبته .

ولكن على الرغم من طابع العصور الوسطى ، دبت فى الكلية روح النهضة ، فشاعت فيها رغبة الإصلاح والنهوض ، وملأ جوانبها كفاح من أجل هذا الغرض ؛ وكان دعاة الإصلاح يبتغون أن يصلحوا نواحى الحياة كلها ، التعليم والسياسة والدين والاجتماع ؛ ففى التعليم رغب فريق أن تتخلص الكلية من بقية العصور الوسطى ، وتعنى فى مناهجها ودراستها بما هو أقرب إلى روح العصر ، وما هو أدنى إلى الإنسانية والحرية الفكرية ؛ وفى السياسة تطلع المصلحون إلى إبراز حق الفرد والاعتراف بكيانه واحترام إرادته ؛ وفى الدين قوى الميـــل إلى البيوريتانية والبروتستنتية ؛ وإن كان ثمة خلاف قد دب بين الكالفنية والأرمينية ، أعنى بين عقيدة القدر المحتوم التى آمن بها كلفن ، وبين عقيدة قبول التوبة وغفران الذنب التى نادى بها أرمينيوس الهولندى سنة ١٦٠٣ ؛ وفى الاجتماع دعا المصلحون إلى الفضيلة وإلى محاربة الرذيلة ، وظهر أثر ذلك فى تشدد القائمين على أمر الطلبة ألا يسمحوا للفتيات اللائى يتعهدن حجرات نوم الطلاب بدخول تلك الحجرات إلا إذا غادرها أصحابها .

واستجاب ملتن لهذه النزعة الإصلاحية ، فقد صادفت هوى فى نفسه التى تعشق الحرية وتنزع إلى الاستقلال ، وتعلقت بها روحه الوثابة الفتية ؛ وبدأ بها أول شوط له فى الدفاع عن حرية الفكر ؛ ولكن ذلك أخذ يغضب عليه القائمين بالأمر إذ اتهموه بالتمرد والثورة إلا قليلا منهم ، وسبب له كراهة بعض أقرانه ممن لم يعجبه اعوجاجهم وإسفافهم وشراسة طباعهم .

لم يدع ملتن فرصة اجتماع إلا وقف يندد بالفلسفة المدرسية معلنا أنه لا يرى فيها أية فائدة ، ولئن اقتصرت الكلية على هذا المنهج فلن يكون من ورائه جدوى . وراح ملتن يسخر من تلك الكتب التى تدرس فى الكلية ، والتى هى آثار أشياخ ضيق الصدر من القساوسة تشتم فيها رائحة الحجرات الضيقة المظلمة التى كتبت فيها ؛ ويتساءل : أليس أجدر بنا وأجدى علينا أن ندرس بدلا منها طبائع الكائنات الحية وأخلاق الناس وأحوال دول العالم ؟ ويوجه ملتن سهاما لاذعة إلى مدرسى المنطق والبلاغة ، فهم يتكلمون كما يتكلم المتوحشون والأطفال ، وإنه ليراهم أقرب إلى العصافير منهم إلى الرجال ...

ويعجب الطلاب من حمية هذا الفتى الذى عهدوه فى مجالسهم وديعاً رفيق الحاشية ، وتعجبهم حماسته وجرأته وصراحته وتمرده على القيود التى طال بها العهد ؛ ولكن المدرسين ساخطون عليه ناقمون على ثورته ، يرمونه بالغرور ويتهمونه بالشغب والعنـاد والعصيان ، وقد شاع أمره فيهم حتى ضاقوا به ذرعا من يعلمه منهم ومن لا يعلمه .

وأدى بالضرورة مسلكه هذا إلى الشحناء بينه وبين القائم على أمره من رجال الكلية وهو « شابل » فكان يحس أن الطالب جون ملتن يحتقره بنظراته ، ولعله يراه متوحشاً أو طفلا أو نوعا من العصافير ؛ ويرى أنه يخالف عن أمره ، فلا يؤدى ما يطلب إليه أداؤه كتابة من دروسه ، ولا يتقيد بما رسم له من نظام فى حياته اليومية ؛ يريد أن ينصرف إلى ما يحب من قراءة ، ويعلن إلى معلمه أنه لا يقتنع بجدوى تلك العلوم التى هى تراث العصر المدرسى ، وأنه يأسف على فقدانه حريته التى نعم بها قبل التحاقه بالكلية ؛ ويرى أنه كان يجد فى مدرسة سنت بول من العلم المجدى ما لم يجد مثله هنا ، ومن الحرية ما لا يجد بعضه فى الكلية ، ومن عطف معلميه ومسايرتهم إياه إلى ما يحب ما لا يتمتع هنا بشىء منه .

(يتبع)

الخفيف

السلاجقة
عنصر قوة فى الاسلام

[بدأ الاسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ ، فطوبى للغرباء] « حديث شريف »

للأستاذ حسن حبشى

ليس من شك فى أن ظهور السلاجقة على مسرح التاريخ يعد نقطة انتقال هامة فى التاريخ الإسلامى ، فقد نشأت عدة دويلات من هذه الزمرة الصغيرة التى خرجت من بخارى يقودها سلجوق ويدفعها حبها للمخاطرة . أما من الناحية الدينية فقد كانوا حماة الإسلام ، يذبون عن بيضته ، ويناضلون عنه ، ونبغ فيهم رجال نصروا الحنيفية السمحة ، كما ظهر فى أيامهم أئمة أدرجوا فى عداد المجتهدين ، وحسبنا أن نذكر من هؤلاء حجة الإسلام الغزالى . كتب الأستاذ هربرت لوى يقول : « إنه لا يعزى إليهم فحسب ما منى به الصليبيون من فشل ذريع ، بل يرجع إليهم كذلك الأثر غير المباشر للشرق على الغرب ، ذلك الأثر الناجم عن الاختلاط الذى كان بين الفرنجة والمسلمين فى الحروب المقدسة ، وقد كان ظهورهم شأواً للسلاجقة مقويا للمذهب السنى ، كما يرجع إليهم الفضل فى إعادة الوحدة إلى الإمارات الإسلامية الممزقة ، كما أنهم وضعوا أسس الأمبراطورية العثمانية فى القسطنطينية[1] » .

هاجر سلجوق[2] من تركستان إلى بلاد ما وراء النهر ، ويعزو الأستاذ هربرت ظهور سطوته إلى هذه الهجرة وإلى اعتناقه هو وقبيلته الإسلام . وأصبحوا من دعاة المذهب السنى على عكس الفرس الذين ساروا المذهب الشيعى[3] .

(١) Cambridge med. Hist. vol III p, 299—300

(٢) تزعم القصص الموضوعة أنه من نسل أفراسياب ملك تركستان ، والعدو الخرافى للأسرة الفارسية الأولى (المرجع السابق ص ٣٠٠ س ١٥ — ١٧) وإن كان الأستاذ توت فى « Empire & Papacy » يرى أن الشهرة التي يتمتع بها سلجوق يعتورها كثير من الخرافة .

(٣) لعل سائلا يسأل عن سر ذلك الاختلاف بين هذين الجنسين والذي أراه ينبنى على ما ذهب إليه دوزي « من أنه لما كان الفرس مفطورين على اعتبار ملوكهم من نسل الآلهة فقد نقلوا هذا التوقير الوثنى --

ظهر السلاجقة فى وقت كانت عوامل الضعف والانحطاط تعمل فى جسم الخلافة العباسية ، فقد أحاط الخلفاء العباسيون أنفسهم بالحرس التركى ، وذلك يرجع كما يذهب الأستاذ شفيق غربال بك[1] إلى موازنة النفوذ الفارسى الذى كان قد تغلغل فى جميع مصالح الدولة ، وقصة البرامكة — وهم من أشراف الفرس — وما نكبوا به ، أجلى برهان على ما وصلوا إليه من عليا المراتب فى الدولة « حتى غدوا الحكام الحقيقيين لها مما جعل الخليفة (هرون) يجمع العزم على التخلص من العائلة بأكملها[2] » .

لما تسلم بنو العباس أزمة الحكم ، لم يكن معنى ذلك استتباب الأحوال لهم ، فقد انقلب عليهم بنو عمهم العلويون الذين لولاهم لكان نجاح العباسيين ضئيلا[3] ، وكان بجانب هؤلاء الخوارج والمعتزلة والزيدية وغيرها من الفرق الإسلامية ، وكان الشيعة أعداء أقوياء الشكيمة ، وإن كان ينقصهم التنظيم . ودب الضعف فى الدولة العباسية ، فانسلخ منها كثير من الولايات الخاضعة لها « فكان قيام دولة الأدارسة فى مراكش (٧٨٨ م) على يد إدريس بن عبد الله ، والأغالبة فى تونس (٨٠٠ م) على يد إبراهيم بن الأغلب ، ودولتى الطولونيين والإخشيديين فى مصر . كان قيام هذه الأمارات خسارات فادحة للخلافة منيت بها فى نواحيها الغربية ، ولم يكن الشرق أوطد مركزاً من ذلك ، فقد كان من أثر السياسة التى سلكها الخليفة المأمون أن ظهرت فى فارس وبلاد ما وراء النهر روح قومية عظيمة ، كان من نتائجها قيام دويلات مثل الصفراوية (٨٦٧ — ٩٠٣ م) والسامانية (٨٧٤ — ٩٩٩) كما نشأ من الأخيرة الغزنويون ، لأن البتچين

— إلى على وذريته ، وكانوا يعدون الخضوع التام للامام الناجم من بيت على أعظم عمل يؤديه المرء منهم ويثاب عليه ، كما كان الامام عندهم كل شىء ، فكانوا يرونه الله صيغ فى شكل آدمى » راجع Dozy : Essai sur l'histoire de l'islamisme, p, 219 . وقد ذهب الأستاذ براون لما يقرب من هذا حين تكلم عن ميل الفرس للشيعة ، فذكر مسألة (الحق الالهي) وما كان لها من تأثير كبير فى تاريخ الفرس فى العصور الاسلامية ، وإن كانت ترجع إلى عهد الوثنية . راجع Browne : A Lit. Hist. of persia, vol I p, 130.

(١) مذكرات غير مطبوعة للأستاذ غربال ألقاها على طلبة السنة الثالثة بكلية الآداب فى الفصل الدراسى (١٩٣٦ — ٧ م)

(٢) R. Nicholson : A Lit Hist. of the Arabs p, 260

(٣) Herbest Lœwe in Cam. M. Hist. vol III p, 300

مؤسس هذه الأسرة الأخيرة كان مملوكا تركيا فى البلاط الساماني، كما أن سلطان آل بويه قد شل قوة الخلفاء، وألزمهم قصورهم[١] »

ومع أن هذه الدول اعترفت بالسلطان الديني للخليفة إلا أن هذا الاعتراف كان إسميا . ويذكر السيد أمير على أن هذا الاعتراف كان لإكساب هاتيك الدول قوة ظاهرة ، وحتى تعتبر كل ثورة ضدها ثورة غير شرعية[٢] .

لكن متى بدأ الضعف فى الدولة ؟

التاريخ سلسلة متصلة الحلقات ، ومعنى لا نستطيع أن نحده . ولو فعلنا ذلك ، كان اعتمادنا عادة على الظواهر العامة البارزة التى يمتاز بها عهد من عهد .

وقد ذهب الأستاذ نيكلسون إلى تقسيم الخلافة العباسية قسمين : أحدهما عهد القوة ، ويبدأ باعتلائها العرش حتى حكم الواثق وهو قرن من الزمان . أما عهد التدهور ، فيبدأ بالمتوكل (٨٤٧ — ٨٦١ م) ، ويمتاز بأنه عهد انحطاط سريع أعقبه سقوط هائل خابت كل الوسائل فى علاجه[٣] . أما أبو المحاسن[٤] فيذهب إلى أن تدهور الخلافة بدأ باعتلاء المستكفى عام ٩٠٢ م . وربما كانت علة هذا التدهور أيضا سعة الأقطار التى كانت تحت إمرة الخلافة العباسية ، إذ كانت دولا كبيرة متعددة لا يربطها بها غير دفعها الجزية[٥] .

والملاحظ فى الدولة العباسية أن السلطة — أيام قوتها — كانت فى يد الخليفة ، أما حيث بدأ الضعف يدب فى أوصالها ، فقد انتقلت هذه السلطة إلى أيدى الوزراء ، فأين وزراء المنصور[٦] والسفاح ، من هذه الوزارات الست[٧] فى عهد المأمون ؟

(١) Loc. Cit.

(٢) Cf. Sayed A. Ali : Short Hist. of the Saracens, p. 403.

(٣) نيكلسون : نفس المرجع ص ٢٠٧ (س ١٣ — ٢٢)

(٤) النجوم الزاهرة (طبعة جينبول) ج ٢ ص ١٣٤ ، ونيكلسون هامش رقم ١ ص ٢٠٧ .

(٥) T. Arnold Preaching of Islam, p, 275

(٦) قال الفخرى (الآداب السلطانية ص ١٠٦) « لم تكن الوزارة فى أيامه طائلة ، لاستبداده واستغنائه برأيه وكفاءته ، مع أنه كان يشاور فى الأمور دائماً ، وإنما كانت هيبته تصغر لها هيبة الوزراء ، وكانوا لا يزالون على وجل منه وخوف ، فلا تظهر لهم أبهة ولا رونق »

(٧) الفخرى (الآداب السلطانية) ص ٢٠٢ — ٢٠٨

هذه مقدمة وجيزة لتبيان حال الضعف التى وصلت إليها الدولة العباسية وكاد يودى بها لولا أن قيض الله لها (السلاجقة) ، فأنقذوا الإسلام « كما أن شخوصهم شطر الغرب أضاف عنصرا جديدا إلى الإسلام مكن المسلمين من الوقوف ضد الغزاة الأوربيين ، ووحدوا الإقليم الممتد من ساحل البحر الأبيض المتوسط إلى حدود الهند تحت زعامة واحدة وإن كان لفترة محدودة ، وردوا الصليبيين والبيزنطيين[١] ماذين فى حياة الخلافة العباسية التى ظلت قائمة حتى تخريب المغول لبغداد عام ١٢٥٨ م ، ويعزى إليهم قيام الدولة الأيوبية فى مصر[٢] » .

من هذه العبارة نستدل على ما كان للسلاجقة من شأن عظيم فى تاريخ الإسلام والشرق عامة ، وبخاصة أنهم ظهروا فى وقت قد تمزقت فيه أوصال الخلافة أو كادت ، « وما كان من قبل مملكة متحدة تحت إمرة حاكم مسلم أصبح الآن عدة دويلات مبعثرة لا رابط بينها[٣] » ومما زاد فى تفرق بعضها عن بعض هذه المذاهب المختلفة ، فكان قيام السلاجقة رجحانا لكفة أهل السنة ولم يطل بهم الزمن حتى أسسوا ممالك سلجوقية خارج العراق كما فى الهند وتركيا .

وحد السلاجقة دويلات كثيرة منها فارس والعراق والشام وآسيا الصغرى ، فرفرف علم إسلامى واحد على آسيا من حدود أفغانستان الغربية حتى البحر الأبيض المتوسط[٤] .

عرف السلاجقة بالجرأة والقوة والحول[٥] ، وتناوب الحكم كثيرون من أمرائهم ، وحسبنا إشارة موجزة لبعضهم .

كان لسلجوق أربعة أبناء يدعى أحدهم إسرائيل ، ألقى القبض عليه السلطان محمود وأسره وظل فى أسره سبع سنوات[٦] ومات

(١) يقول لين بول فى (Moham. Dynasties, p, 150) « ولقد أحيوا عصبية المسلمين بعد ركودها ، وأوجدوا جيلا من المحاربين المسلمين المتعصبين الذين يرجع إليهم — أكثر من أى شيء آخر — ما منى به الصليبيون من إخفاق مرات عدة ، وهذا ما يجعل للسلاجقة المكانة الهامة فى التاريخ الاسلامى »

(٢) تاريخ كمبردج السابق (نفس المرجع والجزء والصفحة) .

(٣) S. Lame-Pool op. cit. p, 149

(٤) Camb. Med. Hist. III p, 150

(٥) الأصفهانى : تاريخ آل سلجوق (طبعة مصر ١٣١٨هـ) ص ٥

(٦) Browne op. cit. vol II p, 167

فى أسره ، فأثار ذلك غضب أهله . ورأى ابنه قتلمش الخير فى الهرب ، ومن ثم اتخذ طريقه إلى بخارى حتى يكون بمنجاة من نقمة السلطان ، وهناك أثار حمية أقاربه للأخذ بثأر أبيه ، والثأر عند القبائل - كما يقول نيكلسون - مرض من أمراض الشرف هو أقرب إلى الجنون ، أورد الأستاذ براون[١] (عن الراوندى) أن هجرة قتلمش وأهله ، كانت فى أيام السلطان محمود وبأمره .

وأول من يهمنا أمرهم طغرل بك ، دخل هذا الزعيم السلجوقى بغداد فى ديسمبر عام ١٠٥٥ م ، « وأجلس على عرش وألبسوه لباس التشريف » . ومما زاد فى توثيق العلاقات بين طغرل وبين الخليفة القائم زواج الأخير من ابنة أخى الأول وتدعى خاتون خديجة ، وتذكر الأقاصيص أن هاتفا جاء لطغرل فى المنام يدعوه للخروج لغزو بلاد الموصل وديار بكر وسنجار ، فلبى الهاتف ثم عاد إلى بغداد فشكره الخليفة لنصرته الدين ، وسماه ملك المشرق والمغرب[٢] .

لم يقنع طغرل بك بما نال من سلطة واسعة ، وما هو فيه من نعمة يتقلب فى مطارفها ، بل تاقت نفسه لتوثيق صلاته أكثر بالخليفة ، فهداه تفكيره إلى الزواج من ابنة السلطان[٣] ، وتدعى سيدة النساء[٤] ، ويظهر أن الخليفة لم يكن راضيا عن هذا الزواج ولعله كان يرى فى ذلك طمع طغرل فى أن يكون خليفة من بعده . ومن يدرى ؟ فلربما كان يريد الاستئثار بالحكم من دونه ، ذكر ابن الأثير أن الخليفة انزعج من ذلك وأرسل فى الجواب أبا محمد التميمى ، وأمره أن يستعفى فإن أعفى وإلا تم الأمر[٥] . وعقد له عليها ، لكن عاجله الأجل إذ توفى فى العام التالى فى مدينة طغرشت ، فرجعت ثانية إلى بغداد ، وقد وصفه ابن الأثير[٦] بقوله : « إنه كان حليما عاقلا من أشد الناس احتمالا ، وأكثرهم كتمانا لسره . ظفر بملطفات كتبها بعض خواصه إلى الملك أبى كاليجار فلم يطلعه على ذلك ، ولا تغير عليه ، حتى أظهرها بعد مدة طويلة لغيره » .

جاء بعده ابن أخيه جغرى داود[١] ، ويدعى ألب أرسلان ، وقد حدث قبل توليته أن مال عميد الملك الكندرى لتولية أخيه سليمان بدلا منه ، غير أنه أخفق فى مسعاه مما أثار ضغينة ألب أرسلان ، فما كاد يتبوأ العرش حتى نفى الكندرى إلى مرو ، ولم يطل عليه الزمن فى السجن فقد لقى مصرعه وقتل بأمر ألب نفسه ، وهذا ما ذهب إليه الأستاذ براون[٢] ، وكان مقتله كما يذكر ابن الأثير بعد سنة فى الاعتقال ، وفى ذلك يقول أحد الشعراء مخاطبا السلطان :

وعمك أدناه وأعلى محله ... وبوأه من ملكه كنفاً رحبا
قضى كل مولى منكما حق عبده ... نخوله الدنيا وخولته العقبى[٣]

واختير مكانه الأديب العالم « نظام الملك » . وأهم ما يذكر به عهد ألب أرسلان انتصاره على ملك الروم أرمانوس[٤] Romanus TV ، كما انتصر على قتلمش ، وامتدت رقعة مملكته حتى ليقول ابن الأثير إن ملكه امتد من أقصى بلاد ما وراء النهر إلى أبعد أطراف الشام . ولقد أجمل الأستاذ براون فى كتابه تاريخ الفرس الأدبى (ص ١٧٧) كل أعماله ، وهى جديرة بأن تجعله فى مصاف أعظم السلاطين . أما مصرعه فكان على يد مستحفظ قلعة يدعى يوسف الخوارزمى إذ ضربه بسكين فى خاصرته . وكان قد أخذ البيعة فى حياته لابنه السلطان ملك شاه ، وهو آخر السلاطين السلاجقة الذين ظلت أزمة الحكم فى يدهم ، ولم تتوزع الأهواء بينهم .

حسن حبشى

(١) Ibid, p 170

(٢) Ibid. p 172—173

(٣) وفى قول آخر « أخت الخليفة » وهذا ما ذهب إليه البندارى فى كتابه « راحة الصدور » (راجع Browne Lit. Hist. of Persia, p. 173) ، أما ابن الأثير فقد ذكر أنها ابنة الخليفة .

(٤) Rare accounts p 28

(٥) ابن الأثير : الكامل ج ١٠ ص ٧

(٦) شرحه ج ١٠ ص ١٠

(١) ذكر الأستاذ براون فى Rare acc. (No 1) أنه وجد فى المخطوطات التى عثر عليها أن هذا الاسم يكتب عادة جفرى ، ولكن فى الورقة ٤٥ كتب جغرى .

(٢) Browne : Lit. Hist. of Persia vol III p, 173—4.

(٣) ابن الأثير : ص ١٢

(٤) لا نرى بأساً من إيراد ما ذكره الأصفهانى (تاريخ آل سلجوق ص ٣٧ — ٤٢) فى هذا الصدد « قال ألب أنا أحتسب عند الله نفسى ، فإن سعدت بالشهادة ففى حواصل الخضر من حواصل النسور الغبر رمسى ، وإن نصرت فما أسعدنى » ولما وقع أرمانوس فى يده لم يقتله لقوله « انظر عاقبة بغيى ، والعقوبة التى جرتها إلى جريرتى » ولكن شعبه أبى أن يوليه عليه زاعماً أن المسيح ساخط عليه .

قصص فرعونية :

قصـــة سينوحيت

لأديب مصرى قديم

بقلم الأستاذ محمد خليفة التونسى

الأدب المغبون :

أما قبل أن نضع القصة بين يديك فلنقف وقفة قصيرة لننظر ما حل بأدب مصر التى تدين لحضارتها بالفضـــل العميم كل الحضارات التى أعقبتها منذ فجر التاريخ حتى حضارتنا الراهنة فى جميع بقاع الأرض .

نعرف لكل أمة أدبها : فلكل من الإغريق والرومان والعرب والأتراك والفرس والإنجليز والفرنسيين والإيطاليين والألمانيين والروس أدبهم ، ولأدب كل أمة قراء يقبلون على قراءته ودرسه للتمتع والانتفاع ، وله فى ثقافتنا نصيب كثير أو قليل ، ولكن أدب مصر القديمة لم يقدر له حتى اليوم فى اللغة العربية أنصار يقدمونه إلى أبنائها — ولا سيما المصريون — كما قدر له أنصار مقتدرون فى سائر اللغات الأجنبية الحية ،ولا يعدوما كتب باللغة العربية حتى اليوم أن يكون محاولات فردية ضئيلة لا تجد معيناً ولا موالياً ، وهو شيء قليل لا خطر له ، فهو لا يعرفنا بحقيقة هذا الأدب الرائع وآفاقه التى امتد إليها ، ولم يقدر له أن يكون ذا أثر ما فى ثقافتنا الراهنة التى لأدب كل أمة فيها نصيب

ومحاولتى هذه لا غنى بها عن قراءة ما كتب فى هذا الباب فى المؤلفات الأجنبية المطولة والمختصرة ، فهى محاولة ضئيلة لتعريف القارىء العادى ببعض آثار الأدباء المصريين الأقدمين فى بعض نواحى الأدب ؛ فليعلم أنها جهد المقل إن شاء قنع به فى غير مقنع ، وإن شاء المزيد اتخذ سبيله إلى التواليف الأجنبية الحافلة بكل ما يشتهيه ، وكل ما يقنعه بخطر هذا الأدب الرائع . ولعل هـذا يصادف قارئاً أوسع منى فراغا وأغزر ثقافة وأوفر صبراً فيكون أقدر منى على النهوض بإنصاف هـذا الأدب المغبون ، وإعطائه ما له فى اللغات الأجنبية الحية ، فيصحح نظرتنا إلى أولئك الأجداد الكرام حتى نعرف لهم فضلهم ونقدر أدبهم قدره ، وذلك فى نظرى مظهر لوطنية لا يقل جمالا وفضلا عن سائر مظاهرها الأخرى .

عصر القصة :

أما بعد فربما كنت أيها القارىء محتاجا إلى أن يتهيأ لك جو القصة لتكون أكثر فهما لها وإحساساً بها ، فقليل ما وقفنا عليه فى تعليمنا المدرسى والجامعى من تاريخ المصريين الأقدمين ، وهأنذا أقدمه على قدر المستطاع .

أمر ملك مصر بطليموس فيلادلفوس كاهنا مصريا كان يعيش فى مدينة سمنود ويسمى ما نيثون أن يكتب تاريخ الفراعنة قبله ، فصدع بما أمر وابتكر تقسيمهم إلى طبقات أو أسرات . ومنذئذ حتى الآن وكثير من المؤرخين الذين أعقبوه يتابعونه فى ابتكاره فيسلسلون الفراعنة فى ثلاثين أسرة ، ويقسمون هـذه الأسر إلى ثلاث دول : الدولة القديمة وتبدأ بالأسرة الأولى ومؤسسها مينا أو نارمر على خلاف وتنتهى بالعاشرة . والدولة الوسطى وتنتهى بالسابعة عشرة. ثم الدولة الحديثة وتمتد إلى الثلاثين حين احتل الفرس مصر حتى أجلاهم عنها الإسكندر الأكبر .

قبل أن تأفل شمس الدولة القديمة ، وإن شئت الدقة فقل فى عهد الأسرة السادسة الذى أعقب عهد بناة الأهرام بدأت مصر تضعف بضعف ملوكها ، وظهرت فى كل إقليم أسرة قوية على رأسها أمير اغتصب من الملك وظائف الدولة كالإدارة والقضاء وصار له فيه شبه استقلال ، وبذلك ظهرت الإمارات أو ما يسمى العهد الإقطاعى .

وكان لكل من هذه الإمارات عاصمة ، فكانت تلك العواصم كأرمنت وطيبة وأسيوط تتنازع السلطان وتحترب فيما بينها طمعاً فى توسيع رقعتها بالاستيلاء على أملاك جاراتها ، وامتدت تلك الفوضى حتى نهاية الأسرة العاشرة .

كان أظهر أسرتين إذ ذاك أسرة هركليوبوليس (أهناسية) وأسرة طيبة (الأقصر) وقد ظلتا تحتربان زمناً وتم الغلب أخيراً لأمراء طيبة فبدأ شأنها يعظم وسلطانها يمتد حتى شمل مصر ، وكان ذلك بدء نشوئها وارتقائها حتى نالت شهرتها التاريخية

الخالدة . وكما انتصرت طيبة على سائر العواصم انتصر إلهها أمون على سائر الآلهة المصرية فصار أبرزها ، وعمت عبادته أرجاء مصر وصار لكهنته السلطان على سائر الكهنة والمصريين .

وقد ساعد على نشوء طيبة وتفوقها موقعها الجغرافى . فهى تتوسط سهلا خصيباً واسعاً أمامه أرض قاحلة ذات أخاديد ووهاد مما يساعد على حمايتها وسد وادى النيل عندها فى وجوه غزاتها ، كما ساعد على ذلك قوة حكامها ، وبسالة رجالها الذين يؤلفون جيشها ، وتلك طبيعة رجال الجنوب الأقصى حتى الآن بحكم ذلك الموقع الجغرافى ...

وقد استطاع أميرها أن يوحد مصر ، ويخضع سائر أمرائها لسلطانه ، وذلك بدء الأسرة الحادية عشرة (الدولة الوسطى) وأعقبتها الأسرة الثانية عشرة التى يعد عصرها أزهر عصر فى الدولة الوسطى ، وأول ملوكها أمنمحعت الأول (سحتب آب رع) الذى شق طريقه إلى عرش مصر واستوى عليه فرعوناً جباراً برغم كل الاضطرابات التى كانت تسود مصر ، واستطاع ضم مصر فى وحدة قوية ضما تاماً بأن استمال بعض الأمراء بتوسيع إقطاعاتهم وتأديب العصاة منهم ، واهتم بمصالح الفلاحين ، ووضع الحجارة لتكون حدوداً بين الأراضى ، وبين لكل منهم أرضه ، وأمده بالمياه التى تكفيها ، وجيش الجيوش ورمى بها من كانوا يهددون حدود مصر ولا سيما فى الجنوب لإخضاع بلاد النوبة (كما ورد فى القصة عن خليفته) وملأ جو مصر رغداً وأمناً ، حتى قال بحق : لا جائع ولا ظمآن تحت حكمى . »

ومما يدل على حصافة الرجل وبعد نظره أنه ربى ولى عهده أسرتسن أفضل تربية ، وأسند إليه قيادة كثير من حملاته التى وجهها لدفع الغزاة عن مصر أو لتوسيع أملاكها ، وقبل أن يقضى نحبه بعشر سنوات شعر بضعف الشيخوخة فاعتزل الملك وأقام أسرتسن خلفاً له ، وظل إلى جانبه يرعاه ويسدد خطاه فى السياسة والإدارة والحرب ، ويشرف على أعماله أثناء غيابه عن العاصمة فى غزواته ، إذ أنه كان يقود جيوشه بنفسه .

وحوادث هذه القصة تبدأ فى هذه الفترة أثناء عودة أسرتسن من إحدى حملاته فى غرب (ليبيا) قافلا إلى عاصمته طيبة فى الجنوب ، فنى طريقه جاءه رسول من القصر ينعى إليه أباه ، وكان من رجال حملته الأمير سينوحيت الذى أورد الكاتب القصة على لسانه ـ واقفاً بجانبه والرسول يسبئه بالنعى ، ففر بحياته المهددة مجتازاً واديا شرق إدهى (الدلتا) ثم الصحراء الشرقية ثم شمال سينا حتى بلغ فلسطين التى كان يسكنها العامو ، وبهذا الاسم ورد ذكرهم فى القصة .

ويذهب بعض المؤرخين إلى أن سينوحيت الذى أجرى الأديب القصة على لسانه كان ابناً لامنمحعت ، وقد يزيد بعضهم أنه ابن غير شرعى بدليل ماورد فى القصة من اتصاله المكين بالملكة والأميرات ، وهذه الألقاب الضافية التى أسبغها عليه الأديب مما يدل على قوة قرابته من الملك .

ويذهب البعض أيضا إلى أنه لم يهرب من مصر إلا خوفا على حياته من أسرتسن أن يقتله حتى لا ينازعه بعد موت أبيه العرش الذى استولى عليه قبلئذ بعشر سنوات فى حياة أبيه .

وهذه القصة تصف كثيراً من أحوال مصر وأمنمحعت وأسرتسن والبدو من قبائل الصحراء الشرقية وسينا وسكان فلسطين وعلاقة مصر بجاراتها فى ذلك العهد البعيد (نحو ٢٠٠٠ سنة ق . م) وكل أولئك ينطبق على ما هو معروف فى التاريخ عن ذلك العهد حتى أن أربا ثقة هو العالم الإنجليزى السير فلندرز بترى[١] Sir Flinders Petrie يذهب إلى أنها قصة دونها صاحبها لإثبات حوادث تاريخية كما كان الملوك قبل ذلك يدونون وقائعهم على جدران قبورهم وآثارهم . ويرى أنه لا يبعد أن يعثر المنقبون يوما على قبر هذا الأمير سينوحيت ، وأن يجدوا هذه القصة منقوشة فى قبره .

القصة

حدّث الأمير سينوحيت حافظ أختام الملك ونديمه الوفى ، والفيصل فى المشكلات ، والقيّم على أحوال الغرباء . قال : كنت فى حاشية سيدى الأمير وقرينته العزيزة عنخت أسرتسن سليلة الملوك وشريكة حياة ولى العهد .

---

(١) راجع كتابه : قصص مصرية Egypttan Jales وله أيضاً كتاب تاريخ مصر فى ثلاثة أجزاء A History of Egypt (3 vol) وكتاب مصر قبل التاريخ Prehistoricc Egypt

وحدث فى السابع من بابة من العام الثلاثين أن تسلل الإله القصر ، وقبض روح الملك الطيب سحتب آب رع (امنمحمت الأول) التى صعدت إلى السماء راجعة إلى مصدرها ، وهكذا قدر للقصر الزاهر أن تطبق عليه الكآبة ، فتوصد أبوابه ، ويخر خدمه على وجوههم حداداً على مولاهم العظيم .

حدث ذلك بينما كان جيش مصرى جرار يخوض غمار معارك طاحنة فى الغرب ، إذ كان الملك قد بعث قبل موته بهذا الجيش إلى تمهو (لوبية) وزوده بطائفة من خيرة قواده ، وكانت قيادته العليا للإله الباسل الملك أسرتسن ابنه وخليفته فى ملكه ، وما انتهى الجيش من حروبه حتى قفل راجعاً وقد غنم كثيراً من الأسرى ، وقطعاناً لا حصر لها من الأنعام .

قرّ رأى رجال البلاط أن ينهوا إليه خبر الفاجعة ، فبعثوا إليه برسول يحمل النعى إليه أثناء رجوعه من الغرب قبل أن يصل ، ولما جاءه الرسول كان الظلام قد أطبقَ على الأرض فأفضى إليه برسالته قائلا : « لقد طار الصقر » .

كان غرض الرسول بهذه التعمية ألا يقف أحد من رجال الجيش على جلية ما حدث ، غير أنى لم أكن بعيداً عنه حين أفضى إليه الرسول برسالته ، فسمعتها ، وما كدت أسمعها حتى وعيتها فزلزلت لها زلزالا شديداً .

استحوذ الخوف علىّ ، واشتدت خفقات قلبى ، وسرت فى أوصالى هزة هائلة ، وإذا بساقىّ تنطلقان بى بعيداً عن الجيش ، وكانت عيناى أثناء عدوى لا تنفكّان تنقبان ذات اليمين وذات الشمال عن مأوى ألجأ إليه من مخاوفى ، فما ظفرت بعد لأى إلا بنباتات قليلة انطرحت خلالها مختفياً عن أعين الجيش ، متربصاً أن يمر علىّ فلا يرانى .

وعبر بى الجيش فلم يرنى أحد ، ولم أكد آمن نظراته حتى انطلقت أعدو إلى الجنوب ، ولكن لا لأعود إلى العاصمة بل لأهرب بحياتى ؛ فقد رسخ عندى أن لا حياة لى بعد أن مات الملك .

وطفقت أغذ خطاى حتى انتهيت إلى الجيزة فجعلتها خلفى ، وواصلت سراى حتى بلغت سنفرو فبت ليلتى تلك فيما حولها من المزارع .

وعند ما أشرقت الشمس شرعت أسير ، وفى أثناء الطريق لقينى رجل فخاف منى ، وطلب منى الأمان ، فتركته وتابعت رحلتى ، وقبل حلول الليل رأيتنى عند كراهاو ، وهنا وجدت طوفا على شاطىء النهر لا سكان له ، فامتطيته تاركا نفسى تحت رحمة التيار الذى دفع طوفى إلى شرق آكو ، وهى للربة حربت ربة الجبل الأحمر ، وكان بها كثير من المحاجر ، وهناك بلغت الضفة الشرقية فهبطت من الطوف وتركته .

ولم أتمهل هناك بل انطلقت إلى الشمال حتى بلغت مسلحة أقامها الملك فى ذلك الثغر [1] لمدافعة جموع الساتى ، فاعترانى الخوف من أن يرانى رجال الحامية الذين كانوا يتناوبون حراسة الحدود من فوق الأسوار ، فاختبأت وراء شجرة هناك حتى لا تقع أنظارهم علىّ .

وقد أفلحت فيما أردت ، وبقيت فى مخبئى حتى إذا عسعس الليل برزت أخدس فى مناكب الأرض إلى أن تنفس الصبح ، وإذا أنا عند بتن ، فتركتها وانحدرت فى وادى كيمور [2] .

وفى هذا الوادى مرت علىّ تجربة قاسية شعرت معها بأنى هالك لا محالة ، فقد عرانى ظمأ ملح ، جفف حلقى ، وحشرج أنفاسى ، وجعل صدرى ضيقاً حرجاً . ولكنى لم أيأس ولم أهن ، بل اعتصمت بالصبر ، وأجمعت أمرى ، وإذا أنا بأصوات تطرق أذنى ، وغناء عذب يهبط علىّ بالسكينة والأمل ، ثم إذا رجال من الساتى كانوا يتجولون هناك ، وكان فيهم رجل رحل إلى مصر فعرفها وأحبها ، وقد عرفنى الرجل فأكرم وفادتى ، وسقانى ماء ولبناً فرويت وشبعت ، وقادنى إلى خيمته ، وأضافنى هو ومن معه فأحسنوا ضيافتى ، ثم دعتنى قبيلة أخرى إلى الإقامة بينهم فلبيت دعوتهم ، ونزلت فيهم أياما ، ثم رحلت شرقا حتى بلغت بى الرحلة أدوم فنزلتها .

(البقية فى العدد القادم) **محمد خليفة التونسى**

---

(١) الثغر الموضع الذى يخاف منه هجوم العدو ، وربما كان المقصود بالمسلحة هنا مدينة (عين شمس) التى كان الملك أسرتسن قد بدأ بناءها فى ذلك الحين ، ويعزز ذلك قربها من الجبل الأحمر المذكور فى القصة .

(٢) هو وادى طوميلات جنوبى إقليم الشرقية .

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٦٧٣ — عزله بنقرة ...

ولى عبد الله بن طاهر بعض بنى أعمامه مرو ، فاشتكاه أهلها ، ووفد جماعة منهم على عبد الله وشكوه إليه ، وأكثروا القول فيه . فقدر أنهم يتزيدون عليه فلم يعزله . فلما انصرفوا قال بعض المشايخ أنا أكفيكموه ، وورد على عبد الله فسأله عن حال البلد ، فأخبر بالهدو والسكون ، ثم سأله عن خبر واليهم ، فوصفه بالفضل والأدب وما يجمعه والأمير من النسب ، وبالغ فى ذكر الجميل ثم قال : إلا أنه ، ونقر باصبعه على رأسه نقرة (يعنى أنه خفيف الدماغ) .

فقال عبد الله : ما للولاة والطيش : اعزلوه فعزله .

وانصرف الشيخ إلى مرو فأعلمهم أنه عزله بنقرة ..

٦٧٤ — أبو نؤاس والعباس بن الأحنف

فى (المثل السائر) لابن الأثير :

لما دخل أبو نواس مصر مادحا للخصيب ، جلس يوما فى رهط من الأدباء وتذكروا منازه[1] بغداد فأنشد مرتجلا :

ذكر الكرخ نازح الأوطان فصبا صبوة ولات أوان

ثم أتم ذلك قصيدة مدح بها الخصيب . فلما عاد إلى بغداد دخل عليه العباس بن الأحنف وقال : أنشدنى شيئا من شعرك بمصر ، فأنشده (ذكر الكرخ نازح الأوطان) فلما استتم الأبيات قال له : لقد ظلمك من ناواك ، وتخلف عنك من جاراك ، وحرام على أحد يتفوه بقول الشعر بعدك .

فقال له أبو نؤاس : وأنت أيضا يا أبا الفضل تقول هذا ، ألست القائل :

لا جزى الله دمع عينى خيرا وجزى الله كل خير لسانى
نم دمعى فليس يكتم شيئا ووجدت اللسان ذا كتمان
كنت مثل الكتاب أخفاه طى فاستدلوا عليه بالعنوان[1]

ثم قال ومن الذى يحسن أن يقول مثل هذا !

٦٧٥ — العيون

أبو تمام :

إن لله فى العباد منايا سلطها على القلوب عيون

البحترى :

قال بطلا وأفال الرأى من لم يقل : إن المنايا فى الحدق

٦٧٦ — هذا لا يدعها أبدا

قيل لعبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز : إن بنيك يشربون الخمر . فقال : صفوهم لى . فقالوا : أما فلان فإذا شرب خرق ثيابه وثياب نديمه . فقال : هذا سوف يدعها . قالوا : وأما فلان فإذا شربها تقيأ فى ثيابه . قال : وهذا سوف يدعها . قالوا : وأما آدم فإذا شربها فأسكن ما يكون ، لا ينال أحدا بسوء . فقال : هذا لا يدعها أبدا . ومن قول آدم بن عبد العزيز :

شربنا الشراب الصرف حتى كأننا
نرى الأرض تمشى والجبال تسير
إذا مر كلب قلت قد مر فارس وإن مر هر قلت ذاك بعير
تسايرنا الحيطان من كل جانب
نرى الشخص كالشخصين وهو صغير

٦٧٧ — وعيبه بنى الدنيا لقاء بنانها

فى (ثمار القلوب) : بنو الدنيا هم الناس ، وقيل لعلى (رضى

(١) فى مستدرك التاج : المنازه : المواضع للتنزهات وقد استعمله المصنف (يعنى صاحب القاموس) ، فى كتابه هنا استطرادا فى وصف بعض البلاد .

(١) أنشد الحرمازي هذه الأبيات ثم قال : هذا (والله) طراز يطلب الشعراء مثله فلا يقدرون عليه .

الله تعالى عنه) : أما ترى حب الناس للدنياء ؟!

فقال : هم بنوها .

وسمعت الخوارزمي يقول : أحسن ما قيل في مدح النساء ، قول الشاعر :

ونحن بنو الدنيا وهن بناتها وعيش بنى الدنيا لقاء نباتها

٦٧٨ — فلم يفتلذك المال الا حقائقه

نصيب :

إذا المال لم يوجب عليك عطاءه
صنيعةُ تقوى أو صديق توامقه[1]
بخلت وبعض البخل حزم وقوة فلم يفتلذك المال إلا حقائقه[2]

٦٧٩ — فنفشت أذنابها

في (خزانة الحموي) : كتب ابن جلنك الحلبي إلى قاضي القضاة كمال الدين بن الزملكاني رقعة يسأله فيها شيئا فوقع له بخبز ، واستحى أن أقول : إنه رطلان[3] ، فتوجه ابن جلنك يوما إلى بستان يرتاض فيه ، فقيل : إنه لقاضي القضاة المشار إليه فكتب على حائط البستان :

لله بستان حللنا دوحه في جنة قد فتحت أبوابها
والبان تحسبها سنانيرا رأت قاضي القضاة فنفشت أذنابها[4]

٦٨٠ — اتفاق عجيب

قال صاحب المسهب : كنت بمجلس القاضي ابن حمدين وقد أنشده شعراء قرطبة وغيرها وفي الجلة هلال شاعر غرناطة ومحمد ابن الاستجي شاعر استجه الملقب برحكون . فقام الاستجي وأنشد قصيدة منها :

إليك ابن حمدين انتخلت قصائدا بها رقصت في القضب ورق الحمائم
أنا العبد لكن بالمودة اشترى إذا كان غيرى يشترى بالدراهم

فشكره ابن حمدين ونبه على مكان الإحسانْ ، فحسده هلال البياني ، فلما فرغ من القصيدة قال له هلال : أعد على البيت الذي فيه ورق الحمائم ، فأعاده . فقال له : لو أزلت النقطة عن الخاء كنت تصدق .

فقال له محمد الاستجي في الحين : ولو أزلت أنت النقطة عن العين كنت تحسن (وكان على عين هلال نقطة) فكان ذلك من الاتفاق العجيب والجواب الغريب .

٦٨١ — من زاوية الى زاوية

كان مهيار الديلمي الشاعر الأديب صاحب المحاسن والشعر العذب الرائق مجوسيا فأسلم على يد السيد المرتضى وكان يتشيع .

قال له القاسم بن برهان يوما : يا مهيار قد انتقلت باسلامك في النار من زواية إلى زاوية .

قال : وكيف ذلك ؟

قال : لأنك كنت مجوسيا ، فصرت تسب أصحاب محمد في شعرك ...

٦٨٢ — فلا يسب أبا بكر ولا عمرا

قال ابن قطرال : كنت بالمدينة إذ أقبل رجل بفحمة في يده ، فكتب بها على جدار هناك :

من كان يعلم أن الله خالقه
فلا يحب أبا بكر ولا عمرا

وانصرف ، فألقى على من الفطنة وحسن البديهة ما لم أعهد مثله من نفسي قبل ، فجعلت مكان يحب يسب . ورجعت إلى مجلسي ، وجاء فوجده كما أصلحته ، فجعل يتلفت يمينا وشمالا ، كأنه يطلب من صنع ذلك ولم يتهمني ، فلما أعياه الأمر انصرف .

محمد اسعاف النشاشيبي

---

(١) وامقه يوامقه موامقة ووماقا : أحبه

(٢) افتلذه المال وافتلذه منه : اقتطعه منه ، أخذ من ماله فلذة : قطعة .

(٣) الرطل بالكسر والفتح والأول أفصح والثاني أشهر .

(٤) قاضي : بسكون الياء ضرورة . قال ابن حجة : قول ابن جلنك أظرف ما رأيت في هذا الباب (يعني الاستطراد في البديع) ، ومن الاستطراد قول بعضهم يصف خمرا طبخت حتى راقت وصفت :

لم يبق منها وقود الطابخين لها إلا كما أبقت الأنواء من داري

انظر ما أحلى استطراده من وصف الخمر إلى وصف داره بالخراب .

يوم في الجامعة

مسرحية في مشهد واحد

لصاحب السعادة عزيز أباظة باشا

مثلها طالبات معهد التمثيل وطالباته في حضرة صاحب الجلالة الملك بقصر صاحبة السمو الأميرة شويكار في ليلة عيد الميلاد الملكي السعيد .

الممثلون :

شفيق . يحيى . عباس . طلبة بالجامعة

زينب . سعاد . سميرة . طالبات بالجامعة .

« يدخل الخمسة الأول »

زينب : « لشفيق وهو منهمك في قراءة صحيفة » :

صاح ما الأنباء ؟

شفيق : عن ما ذا ؟

سعاد : عن الدنيا

شفيق : مهازل ! !

عالم يدخـر بالخلف ويغـلى كالمراجـل
يقلب الباطـل حقاً ويرد الحق باطـل

يحيى : وبلاد تخلف الوعـد وسُوَّاس تمـاطل
وشعوب في ظلال السـ ـلم بالختـل تقـاتل

شفيق : « في اشمئزاز »

قيل دولات صـغيرات ودولات كبيره ! !

عباس : قولة الظـلم وإن لم تطمس الحق كبيره
قيـل ضم الناس عدل وعلى الأرض سـلام
ظلموا العدل فما العدل اعتـداء واهتضـام

شفيق : لن يعيش الـكون في سلم ولن تطوى شروره
ما استمر العـالم المغرور يحدوه غروره

يحيى : كل يوم صور للعسـ ـف والغصب جديده
احتلال فانتداب فوصايات رشيده ؟؟

عباس : حفظوا المعنى وزافوا اللفظ والدنيـا شهيده

يحيى : يا دهاة العصر رو ح العصر عدل وتصافى
ياحماة السلم ليس السـ ـلم إذلال الضعاف

زينب : روّحوا عنكم فمصر حرس الله علاها
هى بالفاروق قد أو فت على أسمى مناها

سعاد : ملك منَّ به الله عليها فاجتباها
وحماها كل مكروه وبالنفس افتداها

يحيى : مصر والفاروق صنوان جـلالا وعـلاء
هو يحبوها خلوداً وهى تحبوه ولاء

عباس : ذكرت الولاء لمولى البلاد وباعث نهضتها الرائعه
وأولى العباد بهذا الولاء شباب البلاد بنو الجامعه

شفيق : رعانا وأنشأنا نشأة نباهى بها الشعوب الشبابا

زينب : وهيأنا لغد صالح فكان الدعاء وكنا الجوابا

عباس : وشجع من نبغوا بيننا فزدنا دنواً له واقترابا

شفيق : « في فخر وادعاء »

دعانا فأنزلنا قصره وبوأنا النزل المستطابا

زينب : « في استنكار مرح »

دعاك؟ وهل كنت فيمن دعا؟

سعاد : « في حال كحالتها »

ومثلك ما همَّ إلا وخابا

شفيق : « ينظر لهما في غيظ مرح ويقول في نغمة يائسة » :

دعاهم فأنزلهم قصره فنالوا المنى عنده والرغابا

يحيى : وأطعمنا قبل حلو الطعام رضا فزكا الحمد منا وطابا
وكرمنا فحنينا الرؤوس بأعتابه وخفضنا الرقابا

شفيق : وحملنا

« ثم يستدرك ويقول »

وحملكم مشعلا يهتدى به الجيل بين طوايا الظلَم

عباس : وأيقظ فينا شعور الجهاد وزودنا بالحجى والهمم
وقال إذا شدتمو للبلاد صروحا على الفضل لم تنهدم

زينب : وعلمنا السبق للمكرمات وكرم من بيننا من سبق

شفيق : وقال بأخلاقكم فابدأوا فإن عتاد النجاح الخُلُق

سعاد : وكان لنا مثلا نحتذيه فأنعم وأكرم بهذا المثل

يحيى : رعى شعبه واتقى ربه على سنة الراشدين الأُوَل

فبوأه الله عرش القلوب وأسكنه الشعبُ بين المقَل

[تدخل سميرة وهي تكاد تعدو وتشير إليهم بأوراق في يدها في فرح وزهو]

الجميع : سميرة

سميرة : بشراكمو إخوتى وأبناء جامعتى النابهينا
بلغنا منى العمر فزنا بما حسبناه حلما

بعضهم: « في لهفة » : ألا خبرينا

سميرة : مدينة فاروق زين الملوك للطالبات وللطالبينا

عباس : ألا إنها أمل لم يكن به الدهر إلا شحيحاً ضنينا

يحيى : قطعنا الزمان وأحلامنا تداعبه وعبرنا السنينا

سميرة : ألا فاهدأوا قد ظفرتم به

شفيق : أحقاً تقولين أم تهزلينا

سميرة : أأهزل فى منة للمليك ستلزم أعناقنا ما حيينا ؟

زينب : بربك قولى الذى تعرفين

شفيق : وقولى كذلك ما تجهلينا

[تتكلف سميرة التحفظ في مرح]

سعاد : « فى صبر نافد » :
ألا تنطقين !!

سميرة : « تشير بيدها إشارة لا »

شفيق : « فى حركة صبيانية » : سنمضى إلى العميد فنعلم ما تعلمينا

« يهمون بالخروج فتقف سميرة فى سبيلهم مادة ذراعيها لمنعهم »

سميرة : تعودوا الصبر

يحيى : إن الصبر عادتنا
فى النائبات . وهذى فرحة العيد

شفيق : بحق فاروق قولى ما أحطت به
فما سكوتك عن هذا بمحمود

سميرة : « فى فخر ومرح » :
إذن خذوا أكرم البشرى وأروعها
وتوجوها بتحميد وتمجيد
مدينة الجامعيين التى وعدوا
قدماً فكانت سراباً فى المواعيد
قد هيأ الماهل الفاروق مولدها
على يديه . فكانت خير مولود
قال ارفعوها وساق المال عن سعة
وذاك أقدس تعضيد وتوطيد
وساهمت أمراء البيت تَقْدمهم
أميرة الفضل والإحسان والجود

شفيق : قد كان يعلم ما يلقى الغريب إذا
نبت به الدار من هم وتسهيد

عباس : رمت بنا مصر من أقصى أطارفها
فلم نزل بين إرهاق وتشريد

يحيى : « يشير لشفيق » :
وبيننا فئة لج الشباب بهم
تحت العثار فألقوا بالمقاليد

شفيق : لأنهم حرموا دوراً تزف لهم
رقابة الأهل فى عطف وتسديد

يحيى : ما زال فاروق يهدينا ويكلأنا

سميرة : فى ظل مُلك منيع الركن ممدود

[الجميع فى صوت واحد] :
هذى مدينتنا كدنا نطيف بها
ياعيد فاروق . هذى منحة العيد

سنار



عود الى لقب السفاح :

كنت ذهبت فى مقالات نشرتها بالأعداد (٣٤٦،٣٤٧،٣٤٩) من مجلة الرسالة الغراء ، إلى أن لقب السفاح لم يكن اللقب الحقيقى لأبى العباس عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس ، وإنما هو لقب أطلقه عليه بعض المؤرخين ، وأخذه من قوله فى بعض خطبه (فأنا السفاح المبيح ، والثائر المنيح) فغلب عليه فى كتب التاريخ ، وغطى على لقبه الحقيقى ، ثم ذكرت أن لقبه الحقيقى كان القائم أو المهتدى أو المرتضى ، كما ذكر الخطيب البغدادى فى تاريخ بغداد ، والقلقشندى فى صبح الأعشى .

وقد ذكر الأستاذ ميخائيل عواد نصاجديدا فى العدد الأول من السنة العاشرة من مجلة المعلم الجديد العراقية ، نقله عن هلال بن المحسن الصابى صاحب كتاب رسوم الخلافة ، وقد جاء فى هذا النص أنه اختلف فى لقب أبى العباس ، فقيل القائم ، وقيل المهتدى ، وقيل المرتضى ، لما غلب عليه السفاح ، وإنما ذكر بذلك لكثرة ما سفح من دماء بنى أمية .

ولا شك أن هذا النص يؤيد الرأى الذى ذهبت إليه ، ويثبت أن لقب السفاح قد وصف به أبو العباس من بعض المؤرخين ، ولم يكن لقبا حقيقيا له .

عبد المتعال الصعيدى

اللجنة الثقافية للجامعة العربية :

عقدت اللجنة الثقافية العامة جلستها الأخيرة فى الأسبوع الماضى فبحثت فى مشروع إنشاء معهد لإحياء المخطوطات العربية الموجودة فى العالم وتصوير أقيمها وأفيدها ووضعها تحت تصرف العلماء والبحاثين والناشرين فى أطراف العالم .

وقد قابلت اللجنة هذا المشروع بتحمس شديد لأنه يضمن الوصول إلى كنوز الفكر العربى ويحفظ تراثه الموجود من الضياع والتشتت ، وقد أقرت هذا الموضوع ، وطلبت عرضه على مجلس الجامعة العربية فى دورته المقبلة ، ثم نظرت فى مشروع عقد مؤتمر عام يجتمع فيه عدد كبير من علماء العرب الذين يعنون بالثقافة العربية فيبحثون فى أمرين على غاية من الأهمية فى تقوية الروح القومية والثقافية العربية .

أولهما : وضع مناهج للحد الأدنى من الثقافة العربية فى التاريخ والجغرافيا والأدب والأخلاق ينبغى أن يتلقاها طلاب العرب فى مراحل الدراسة الابتدائية والثانوية لتقوى فيهم الروح العربية الفاضلة ، ويطلعون على ماينبغى أن يطلعوا عليه من الثقافة العربية .

وثانيهما : بحث وسائل تحسين الطرق والأساليب التى تدرس بها اللغة العربية ؛ فأقرت اللجنة فكرة عقد هذا المؤتمر وعهدت إلى مكتبها الدائم بأن يؤلف لجنة من خبراء فى الثقافة العربية يعدون وسائل عقد المؤتمر ويحضرون موضوعاته ويدعون إليه .

الى فضيلة الأستاذ الطنطاوى :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

قدمت — أعزك الله — فى معرض حديثك عن حرية[1] الكتابة ، مثالين اعتمدتهما سناداً لما رويته عما يرتكب فى هذا الزمن من خطيئات ، وما ينشر من مفاسد وإهانات ، تسىء إلى أرباب العلم والأدب ، فيكون نشرها جرماً بالنسبة إلى المجتمع العلمى والأدبى ، كما يكون السكوت عن مثل هذه الافتراءات ، وترك أصحابها يسرحون ويمرحون كما يحلو لهم جرماً أشد وقعاً على ذلك المجتمع ؛ وقد كان أول المثلين عن كتاب أو ديوان ... « قالت لى السمراء ... » ، الذى لم أر فيما قلته عنه إلا الحق الصراح ، والنقد المباح الذى لا يترك فى نفس الطالع حقداً ولا تميزاً ؛ وإنما هو الإقناع مأتى من أحسن نقاطه ، لكل من تهمه الأخلاق ، ويهمه أن يكون الدين أو المجتمع مبنياً على ركيزها .

وأما المثل الثانى ، فكان عن كتاب يدرس فى الصف المنتهى للمدارس الثانوية ، هو : « مختصر تاريخ الحضارة العربية » . وهنا أيضاً لا أرى مانعاً من نقده بما حواه من تخليطات يكفر بمثلها المؤمن ، وغلطات علمية لا تغتفر ، يجب أن يحاسب المؤلف

(١) الرسالة : عدد (٦٦١) ص ٢٤٠ — ٢٤١ تحت عنوان : (مقالات فى كلمات) .

عليها حساباً عسيراً، وإنما الذى راعنى وراع كثيرين غيرى ممن يحفظون لكم كبير المقام، ويرمقونكم بنظرات الإكبار أن تأخذوا على المسيحى، أو غير المسلم، تدريس علم التاريخ، والعلوم كما يراها كل الناس، مشاع لا يجوز أن يحتكرها المسلم أو غيره. وليس عجيبا أبداً أن يدرس هذا العلم مسيحى ما دام يقوم بتأدية قسطه العلمى على أتمه، ويؤدى واجب هذا الفرع من العلم بما يرضى الله ويرضى عباده العالمين الراسخين بذلك العلم.

لقد قلت — حفظك الله — قبل الآن: «أفسمعت بأعجب من تدريس (1) الخواجه ميشيل والخواجة توما سيرة النبى صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر؟»، وما يمنع — يا سيدى — الخواجه ميشيل من ذلك إذا رأيناه عند تدريس سيرة النبى صلى الله عليه وسلم، متحمساً لها، متعمقاً بدراستها، لا يترك كبيرة أو صغيرة، ولا شاردة أو واردة من تلك السيرة إلا أتى عليها، ولا مصدراً إلا كشف عنه وبين محاسنه ومساوئه؟ وما الفرق بين عدنان وغسان، أو (نظيم) و (ميشيل) أو سواهم، والكل درس فى فرنسة، وتلقى علمه وأدبه ونال شهادته التى هو موظف بموجبها، ويتقاضى راتباً بموجب درجتها، من تلك البلاد الأجنبية؟ ليس من فرق بين هذا وذاك، سوى أن الأول رجع إلينا بمذهب شيوعى وزوجة فرنسية ... ولم يرجع الآخر وهو أحرى بذلك — إلا بعلمه.

إن معظم هؤلاء المعلمين يا صاحب الفضيلة، ملحدون، ولأمور دينهم ودنياهم لا يفقهون، وعن طريقها القويم ضالون، وما أنت — أيها الأستاذ — بغريب عن كل ذلك، وما المشادة التى حصلت بينك وبين بعضهم فى زمن ليس بالبعيد، وكانت السبب الأول فى تركك التعليم فى المدارس الثانوية، وتوجهك وجهة القضاء الشرعى، إلا من أدعم البراهين لما أقول.

أنا أول من يقول بإبعاد من لم يكن كفئاً للتدريس عن مسارح التعليم، كائناً ما كان دينه، وأول من يؤيد فكرة القيام بفحص عام لهؤلاء الذين يحملون شهادات الجامعات الفرنسية، وبينهم من يحمل الدكتوراه فى الأدب العربى، وكانت أطروحته عن أحد الخلفاء الراشدين، والمجاز فى علم الجغرافيا، ولا يعلم حدود بلاده على التحقيق! ويقول أثناء إلقاء دروسه: «هؤلاء الجبال يمتدون مرتفعين» وإذا كنت كذلك فلا أرانى معارضاً إبقاء من هو أهل للتعليم من هؤلاء — وهم كثرة أيضا — فى مركزه.

وأخيرا، أرجو أن لا أكون أغضبت فضيلة الأستاذ، بما أقدمت على لفت نظره إليه، وهو الواسع الصدر؛ وما دفعنى إلى ذلك إلا حبى لصراحته وأسلوبه النقدى أولا، ثم لأدفع عنه تهمة أحب البعض ممن يدعون التجدد من الشباب إلصاقها به، وهو بعيد عنها، حيث قالوا: إن فضيلته من (المتعصبين) أو ممن يدعوهم مركزهم الدينى ووظيفتهم الشرعية إلى مثل هذا الكلام فى صدد بعض المعلمين المسيحيين، وأنا أول من يشهد بأن الأستاذ — وهو الجرىء فى كل شىء — لم يقصد بما قال إلا وجه الحقيقة والدين والأخلاق، وهو عما ينعتونه بعيد، ومما يلصقونه براء

وعلى كل حال فالرأى له، وهو أجدر بالرد على هؤلاء، بما عرف به من لسان فصيح، ونطق بليغ، وحجة قوية؛ بشرط أن يميز بين هؤلاء، وأولئك ممن عنيتهم فى صدر كلمتى هذه، والسلام.

دمشق — **عزت عماد**

مجاز فى الآداب والفلسفة

(1) الرسالة عدد ٦٥٠ ص ١٣٧٢ تحت عنوان (تعميم الثقافة الاسلامية)



قصة ألبانية :

المهـــــد الذهبي

[مهداة للأستاذ الكبير كامل كيلانى]

نقلها الأديبان :

وهبي اسماعيل حقي وابراهيم خير الله

— ٣ —

اتجه الشابان إلى المقهى الذى اعتادا الجلوس عليه ، وقبل أن يصلاه قابلهما صديقهما « شفيق حامد » ومر بهما دون أن يحييهما ، فظننا أنه لم يرهما ، أو أن شاغلا شغله عنهما ، ثم إنهما انتحيا فى المقهى ناحية خالية من الناس واتخذا مقعدين متقابلين وبعد صمت لم يدم طويلا قال فريد :

— لا يعلم إلا الله وحده أين أكون بعد شهر من هذا التاريخ ؟

— من الرأى ألا تبرح المدينة إلا إذا دعت ضرورة ملحة.

— وهل أنا مجنون ؟ كيف لا أبرحها وعندى جبل من النقود ؟

— لا تبرحها لترى أولا مقدار النقود التى ستحصل عليها من هذا الكنز .

— إنها عدة ملايين على أقل تقدير .

— ما دمت تريد الملايين يجب أن نظل هنا مؤقتا .

— أظل هنا لأخرج كل يوم إلى المتجر وأقضى نهاراً متعبا فى البيع والشراء كما كنت قبلا ! إن ذلك لن يكون .

— أمهلنى لأتم حديثى . يجب أولا أن تعرف قيمة الآثار المادية ، ثم يجب ثانياً أن تبحث عن طريقة لبيعها ، فإذا ما تم ذلك وأصبحت النقود معك فيجب ابقاء عليها من الضياع أن تضع مقداراً كبيراً منها فى بنوك سويسرا وانجلترا ، ومن النقود الباقية يجب أن تنشىء معهداً خيريا يعلو به ذكرك ، ويخلد اسمك .

— نعم ! فى مقدمة مشروعاتى أن أعمل شيئاً خدمة للوطن وليكن معهداً كما تقول للتعليم بالمجان .

— معهد خيرى لتعليم المواد المختلفة ويتبعه مستشفى لمعالجة الفقراء ، وتجلب لها كبار العلماء ، ومشاهير الأطباء فى العالم ، عدا من يقع عليهم الاختيار من أبناء الوطن البرزين ، وتدفع لهم أجوراً طيبة .

وماذا أيضاً ؟

— تربث لحديثى لما ينته ، ثم تنشىء أيضاً ملجأ للعجزة والمعوزين الذين نكبهم الدهر فى أنفسهم وأهليهم ... وتؤسس مكتباً للمحاماة يضم أشهر المحامين ليقوموا بالدفاع عن أولئك القرويين الذين تضيع كثير من حقوقهم لجهلهم بالقضايا وعدم ترددهم على المحاكم . وتلحق بهذا المكتب داراً للكتب ! ولكن اترك لى أنا هذه الأخيرة فإنى أريد أن أقوم بها .

— لماذا ؟ — هل تريد أن تعمل أنت الآخر شيئا ؟ قال فريد هذه العبارة بتعجب رداً على استدراك صديقه كأنه لم يرقه . فأجابه محمود :

— نعم ! أريد أن أخلد أنا الآخر اسمى ولكن ذلك يتوقف على المقدار الذى ستتنازل لى عنه ، فإن كان كثيراً فسأقوم أنا أيضاً بتأسيس معهد آخر .

— ومن أى أنواع المعاهد يكون هذا المهد ؟

— معهد ثقافى أجمع فيه علماء اللغة ، وأقوم بطبع مجلة شهرية ، وأدون مفاخر الألبان وقصص القدماء وأشعارهم وأغانيهم وعاداتهم بحيث لا أترك بقعة من بقاع ألبانيا إلا سردت تاريخها وطبائع أهلها ، وكل ما مر بها ، وأخرج كل ذلك فى كتب مفيدة ، وأكافىء مؤلفيها أحسن مكافأة تشجيعاً وحثاً على الاستزادة ، وسأؤلف لجنة تقوم بتصحيح وطبع القواميس وترجمة كتب من عيون الأدب العالمى ، وسأنشىء داراً عظيمة للكتب

وصالة عظيمة للمحاضرات .

— هذا حسن ، وستقوم به إن شاء الله .

ثم إنه يلزم تكوين بعثة من رجال ممتازين ممن تفوقوا فى مدارسنا لإرسالها إلى الخارج لتتخصص فى الفنون التى ستقوم معاهدنا بتعليمها . وفى هذه اللحظة دخل المقهى صديقهما شفيق حامد وتلفت عن يمينه وعن يساره وأمامه وخلفه كأنه يبحث عن شخص بعينه ، ولما وقع نظره على فريد ومحمود اقترب منهما لحياهما وسألهما عن السيد لطفى فأجابا أنهما لم يرياه فاستأذنهما وخرج يواصل البحث عنه ، ولم تمض بضع دقائق على خروجه حتى دخل السيد لطفى يتلفت هو الآخر ولما مر بجانبهما قال له فريد : لقد كان هنا منذ قليل « شفيق » يبحث عنك .

— وإلى أين ذهب ؟ . ألم يقل لكما ؟

— لا ندرى ! فقد خرج دون أن يقول إلى أين ذاهب ؟

— لعله يرجع ، فإنى متعب من البحث عنه ، ثم أدنى كرسيه منهما وقال : هل لديكما ما يمنع من أن أتشرف بالجلوس إليكما فقالا له :

— تفضل فليس أحب لدينا من ذلك .

خلع السيد لطفى معطفه ووضعه فوق مسند الكرسى ثم جلس مع الشابين تبدو عليه مظاهر الحزن ودلائل التفكير مما حمل فريدا ومحمودا على سؤاله .

— ماذا عندك ؟ وفيم تفكر ؟

— لا شيء ، فلم يجد للآن جديد وإنى أعتقد أنه بعد قليل من الزمن سيكون لدينا أخبار جديدة مهمة .

— وهل تعتقد أن شيئاً مهماً سيحصل ؟

— أقصد أخباراً شخصية خاصة لا مصلحية عامة .

— طبعاً ، إنك تعرف أننا نحب أن نسمع عنك كل خير ونتمنى لك كل سعادة .

— أعرف ذلك جيداً وأشكركما .

— على كل حال فإننا نهنئك مقدما بما تنتظر من خير .

— آه ! لو تعرفان ما ذا أنتظر ؟ ثم رأى صديقه شفيقا قد دخل من باب المقهى فقال لهما : هذا هو شفيق ؛ وناداه فاقترب منهم وقال للسيد لطفى : أين كنت ؟ فقد فتشت عنك كثيراً ، إنى أريد أن أحدثك على انفراد فى موضوع هام .

— انتظر قليلا حتى أشرب الشاى فقد أوصيت عليه .

— المسألة مهمة ، لا تحتمل الانتظار ، فاعتذر السيد لطفى للشابين ولبس معطفه وخرج مع شفيق .

قال فريد لصاحبه ضاحكا ماذا بهما ؟

— قد سمعت إنه يقول : أعمال خصوصية ، ولست أدرى ما ذا يريد بها ؟

— لا يبعد أن يكون قد التحق بوظيفة ؛ فإنه يسعى لهذا من زمن بعيد ، وأنا أعلم أن حاله سيئة جداً .

— مسكين والله ؛ فقد كانت أسرته من أغنى الناس ، وكانوا جميعاً يرتعون فى بحبوحة النعيم ولكن ! هى الأيام .

— يقال فى المثل : ارحموا عزيز قوم ذل ، فإن مصيبته أكبر من مصيبة من لم يذق للعز طعما .

— لقد باعوا كل شيء بالمزاد ؛ فقد كانت بيوتهم مجاورة لبيوتنا ... وبعد فترة سكوت قصيرة رجعا إلى ما كانا فيه من حديث قبل مجيء السيد لطفى ، فأخذا يتباحثان فى أحسن الوسائل وأنجح الطرق لإنفاق هذه الأكداس المكدسة والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة ...

ولما دقت الساعة الثامنة خرجا من المقهى وفى الطريق دعا فريد محموداً للمبيت معه فى منزله ، ولكن محموداً اعتذر ؛ فقد فهم من بعيد أن والد صديقه قد ثقل عليه أن يراه مع ابنه فى البيت . وقال لفريد . سنتقابل فى الصباح الباكر ؛ ثم افترقا بعد أن تمنى كل منهما لصاحبه ليلة سعيدة .

عند ما وصل فريد إلى منزله قصد إلى حجرة والدته التى كانت مريضة مرضاً مزمناً من سنوات مرت ، وليست تستطيع أن تفارق الفراش ولا أن ترى الموقد غير مشتعل ليلا أونهاراً ، وكان فريد يقضى معها بعض الوقت كل يوم فى الصباح قبل الخروج إلى المتجر وفى المساء بعد العودة منه ، ولما رأته فى هذه الليلة والسرور يشع من قسمات وجهه قالت له بعد أن صرفت الخادم التى تقوم بشئونها : لقد أخبرنى والدك بما حدث فهل أنت مسرور؟ فرد عليها بصوت تعمد أن يكون رزيناً هادئاً فقد ضبط شعوره حتى لا تتأثر والدته ... نعم أنا مسرور جداً ؟ فإن الحظ قد ابتسم لنا وأصبحنا نستطيع أن نمد يد المساعدة للآخرين . وأنت ماذا قلت عند ما بلغك الخبر ؟ . فابتسمت ابتسامة لطيفة وإن ظل بريق الحزن المكبوت فى قلبها يشع فى عينيها ؛ فقد كانت محرومة من كل نعيم فى الدنيا ، وقد علمها المرض أن التقديس لا يكون

إلا للكنوز المعنوية وهى العمل الصالح الذى ستلقاه شفيعاً لها أمام الله يوم الضيق ، والضنك ، يوم القيامة ولذلك أجابت :

— لم أقل شيئاً ! وإنما سررت كثيراً جداً من أجلك أنت . فقال بصوت امتلأ حناناً وعطفاً وإجلالا وتقديراً : سيكون أول عمل أبدأ به أن أرسل فى طلب أشهر الأطباء العالميين المتخصصين ليقتلع جذور هذا المرض الوبيل من جسمك الطاهر. فأخذت يده فى يدها وجعلت تضغط عليها تعبر بذلك على أنها سعيدة بسعادته وأنها تتمنى له كل خير ...

غادر فريد حجرة والدته ، وعطف إلى حجرة المائدة فوجد والده يتناول عشاءه وهو عبوس الوجه ، مقطب الجبين ، شارد اللب ، مبلبل التفكير ، ورد تحية ابنه بصوت ضعيف حزين ، ثم خيم سكون شامل ، لم يكن يقطعه إلا رنين الشوك والملاعق وخشخشة السكين فى الأطباق ، وإن فريداً — وقد تناول عشاءه مع بيرام ومحمود مبكراً — جلس ساجى الطرف ، مطرق الرأس متحيراً ، لا يدرى السر فى حزن والده المفاجىء ، ولا يعرف من أين ولا كيف يبتدىء الحديث معه ؛ فقد انسدت عليه مسالك القول من هذا الجو القاتم ، ولم ير من المستظرف أن يغادر المكان دون أن يتكلما فى الموضوع على انفراد ليكونا طليقين .. وأخيراً وبعد صمت طويل قال الوالد فى تأثر ظاهر : كان يسرنى أن تكون أبعد نظراً ، وأسد رأيا ، وأكثر حكمة ، فلا تقع فى هذا الخطأ الذى وقعت فيه فإن قعودك عن مرافقة القروى إلى الكهف قد يفوت عليك الفرصة ، ففى المثل « إذا خرج الطير من الوكر فإن القبض عليه ثانية مصادفة قد لا تكون » . وها هى السيارات تحت تصرفك فلم تركب إحداها وتذهب معه ؟ ألا تخشى أن يذهب القروى إلى غيرك ؟

— لست أعتقد ذلك ، فقد خرج شاكراً لأنى أعطيته جنيهين

— وهذا أيضاً تصرف سىء ؛ فإن جنيهين مبلغ لا يغرى كان الواجب أن تعطيه خمسة على أقل تقدير .

— إنه غير محتاج ؛ فقد سألته عند انصرافه أن يأخذ غيرها فرفض .

سكت التاجر لحظة والغضب يشيع فى وجهه ، ثم قال فى شىء من الحدة : ولماذا أطلعت محموداً على هذا الموضوع ؟ ألا تعلم أنك بهذا العمل قد برهنت على قصر نظرك ، وقصور عقلك ، وعقم تفكيرك ، وأن محموداً سيطالب هو الآخر بمثل نصيبك فى هذا الكنز ؟ ولن تستطيع أن تدافع عن أحقيتك منه ... فنكس فريد رأسه ولم يقل شيئاً بل جمد فى مكانه يستمع إلى والده وهو يقول : أتستبعد أن يتسلل محمود فى هذا الوقت إلى القروى ويعرض عليه شروطاً أسخى ؟ وطبيعى لا يرفض القروى ، بل إنه يرحب به وينساك وينسى هذه الساعات التى قضاها معك هنا ... إنك دائماً لا تحسن التصرف فى الأمور التى تتولاها وأنا غائب ! فرفع فريد رأسه وعارض والده فيما نسبه لصديقه وقال له فى قوة : لا ياوالدى ! إن محموداً لا يفكر فى مثل هذا .

— يا بنى ، مثل هذه الأعمال يجب على الإنسان أن يخفيها حتى عن أقرب الناس إليه ، فقديما قيل : « استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان » وأنت لا زلت فتى غراً ، قليل الدراية بأخلاق الناس ومعاملتهم ...

— إنني ياوالدى لم يصادفنى مثل إخلاص محمود ولا مثل مروءته وحفظه لحقوق الزمالة .

— قد يكون ما تقول حقا ، ولكن على الإنسان أن يحتاط لنفسه . ثم ساد بينهما الصمت حتى فرغ الوالد من طعامه وقال: متى يأتى القروى ؟

— سيأتى فى منتصف هذه الليلة .

— أذن عليك أن تنتظره حتى يجىء بالعينات لنراها ونعمل حسابا مبدئياً لما قد نحصل عليه من مكسب . فإنه قبل الشروع فى العمل يجب أن نتعقل ونتروى ؛ لأن أقل خطأ يتركنا صفر اليدين . وإن عليك ألا تسير خطوة واحدة فى غير الطريق التى أرسمها لك ، فالآثار ذات القيمة يلزم نقلها على الخيل أو السيارات أولا وإخفاؤها فى الدور الأسفل من هذا المنزل ، وإن كان فى الأزيار نقود — كما أعتقد — فإنه لا بد من سفرك إلى الخارج لتبيعها على دفعات متواليات . وأما الأشياء الأخرى فما نستطيع تصريفه منها نبقيه وما لا نستطيع تصريفه نرسله إلى الخارج أيضاً

— هذه يا والدى عملية شاقة تحتاج — كما تقول — إلى كثير من التبصر والحكمة .

— نعم يابنى ! ومن أجل ذلك فإن المكسب سيكون عظيما وسيعيننا على توسعة تجارتنا وإنشاء متجر كبير لنا فى « تيرانا » العاصمة ... إنك لم تقص على ما اتفقت عليه مع بيرام ، وماذا يكون نصيبه من المكسب ؟

— لقد اتفقت أن تبذل له معونتنا ، وأن نقتسم ما نحصل عليه مناصفة .

— أنت جنون ؟ كيف نتفق معه هذا الاتفاق ؟ ولكن لا بأس ! فسأعرف كيف أرضيه . إن مائتين من الجنيهات نفرغها فى جيبه — بعد أن ننقل من الكهف كل شىء — مبلغ لن يحلم به ولن يقدر أنه سيحصل عليه . فقال فريد : وماذا نعطى محموداً ؟

— إنك قد أدخلت محموداً فى هذا الموضوع من غير داع، وهذا خطأ كبير، فلنترك له تماثيل الأحجار، واللوحات المكتوبة وليذهب بنفسه ليأخذها بعد أن ننتهى من بيع الأشياء الأخرى

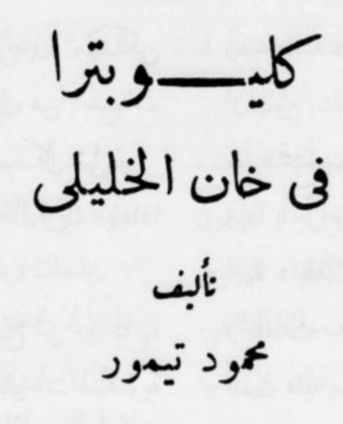
— قد يكون ثمن التماثيل واللوحات أكثر من ثمن تلك الأشياء ؟

— إن ذلك هو الواقع ! ولكن من المستحيل تهريبها خارج القطر ، ثم إن الحكومة ستعلم — إن عاجلا وإن آجلا — بشأنها وتستولى عليها ، والمهم أن ننجو نحن بما نريد .

مكث التاجر مع ابنه طويلا يتحدث إليه فى هذه المسألة وكان كل هم الوالد أن يؤسس لهما تجارة جديدة فى « تيرانا » وفى العاصمة الثانية « دورس » أكبر موانى ألبانيا . ولكن « فريداً » كان غير مرتاح لهذا الرأى فكان إذا أبداه والده اعتصم بالصمت ، وقد كان من رأيه أن التوسعة فى التجارة لا فائدة منها ما دامت لديهم هذه الكثرة من النقود ... ثم إن « السيد عفت » أوى إلى فراشه وترك ابنه فى انتظار « بيرام » فقام « فريد » إلى الموقد — وكانت ناره قد خبت — فأشعله ، وجلس بجانبه يتصفح جريدة صباحية ؛ إذ لم يكن إلى هذا الوقت قد استطلع الأخبار ؛ ولكنه عجز أن يحصر انتباهه فى الجريدة فقد كان بعيداً بعقله عنها وعن كل ماحوت . وإن عينيه لم تغادرا السطر الأول ؛ فقد احتلت اقتراحات محمود بؤرة شعوره ، وسيطرت على تفكيره ؛ فرأى نفسه على رأس معهدين كبيرين ومشى وراء خياله فى تلك الشوارع الواسعة التى ضمت المؤسسات الخيرية التى أنشأها ، وتحدث كرئيس أعلى لتلك المؤسسات إلى كبير الأطباء ، ومديرى المعاهد ، وأمناء دار الكتب ، وإلى المؤلفين ، وإلى غيرهم من الموظفين الذين يأتمرون بأمره ؛ فكانوا جميعاً يحوطونه بهالة من الإكبار والإجلال ، كسباً لعطفه ، واغتناما لمودته ، ثم طار فى عالم اللذات فرأى أن المؤسسات تحت رعاية طيبة لا تحتاج إلى الكثير من عنايته ، وأن فى استطاعته أن يقوم بسياحات واسعة فى أوربا ، وأمريكا ، وأفريقية ، لتمتع نفسه تمتع من يملك مثل ثروته . وإنه لفى هذه الأحلام اللذيذة وإذا بأجراس الكنيسة تعلن انتصاف الليل فتدق اثنتى عشرة مرة ، فاهتز جسمه ، واضطرب قلبه ، وأرهفت حواسه ، وانقطعت سلسلة أفكاره ؛ فقد اقترب موعد « بيرام » ... ولقد طغت عليه موجة من الخوف والحزن كادت تعتصر قلبه ، وتسلبه شعوره ، حينما دقت الساعة الأولى بعد منتصف الليل ، فأخذ يدور فى الحجرة فى غير وعى؛ وظل هذا حاله إلى أن دقت الساعة دقتين فثاب إليه بعض الرشد وقصد إلى حجرة الأضياف وأطل منها على الطريق غير عابىء بقارس البرد ؛ فإن حرارة جسمه ، وثورة غضبه ، وإشفاقه من أن يتحكم فيه سوء الطالع وتلعب به يد الأقدار ، جعلته فى حالة لا يحس معها برداً ...

أمسكت السماء عن المطر ، وانجابت السحب فى بعض الإماكن ، وأرسلت النجوم من عليائها على الأرض ضوءاً خافتاً ضعيفاً ، ومضى الوقت وئيداً وئيداً ، واشتد الحزن بفريد شيئاً فشيئاً ؛ فملأت الدموع عينيه وضاق به المكان ، فرجع ثانية إلى حجرة المائدة ، ووقف بجوار الموقد — وقد نسى أن يضع عليه وقوداً — جامداً كالتمثال ، إلى أن طلع الفجر ، واستنار الكون فأيقن أن رجاءه قد خاب ، وأن أمله قد ضاع لأن « بيرام » لم يرجع .

(يتبع)



(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين – عابدين)

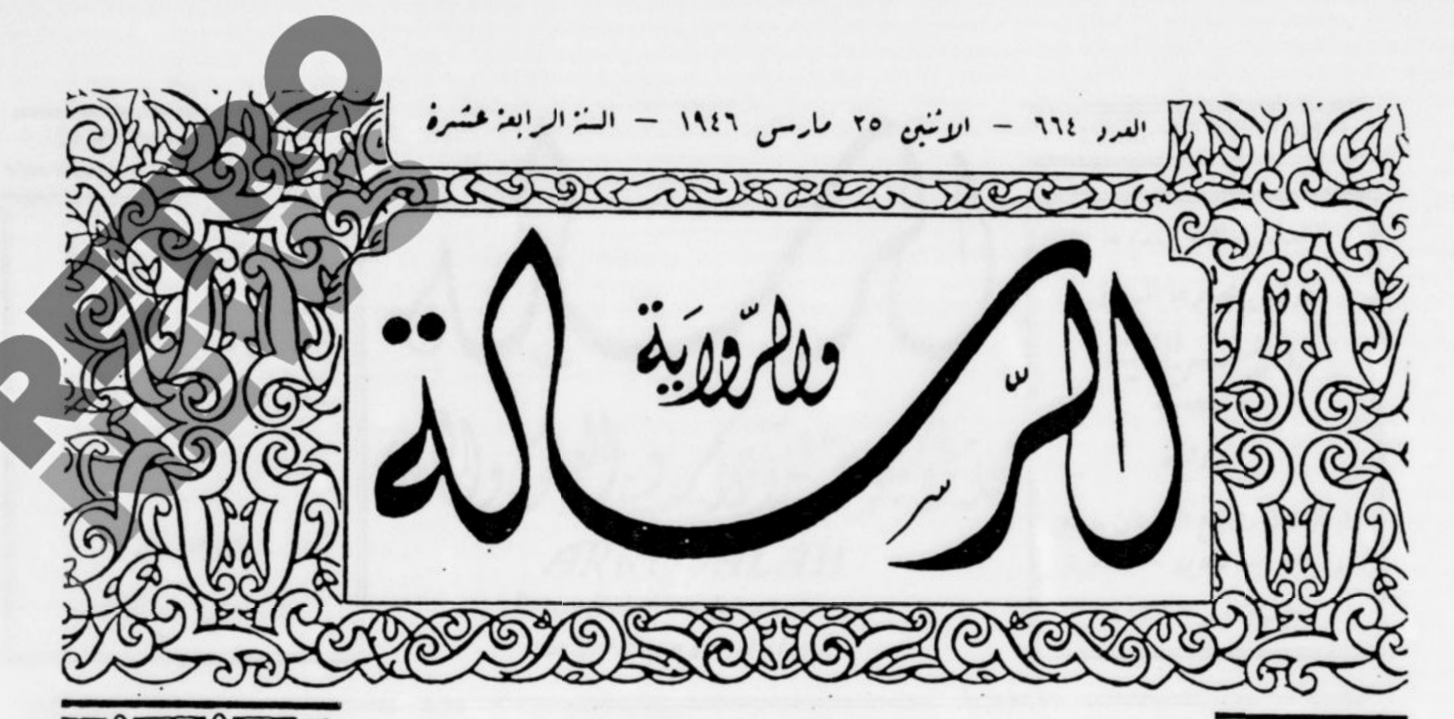
السنة الرابعة عشرة



الفهرس

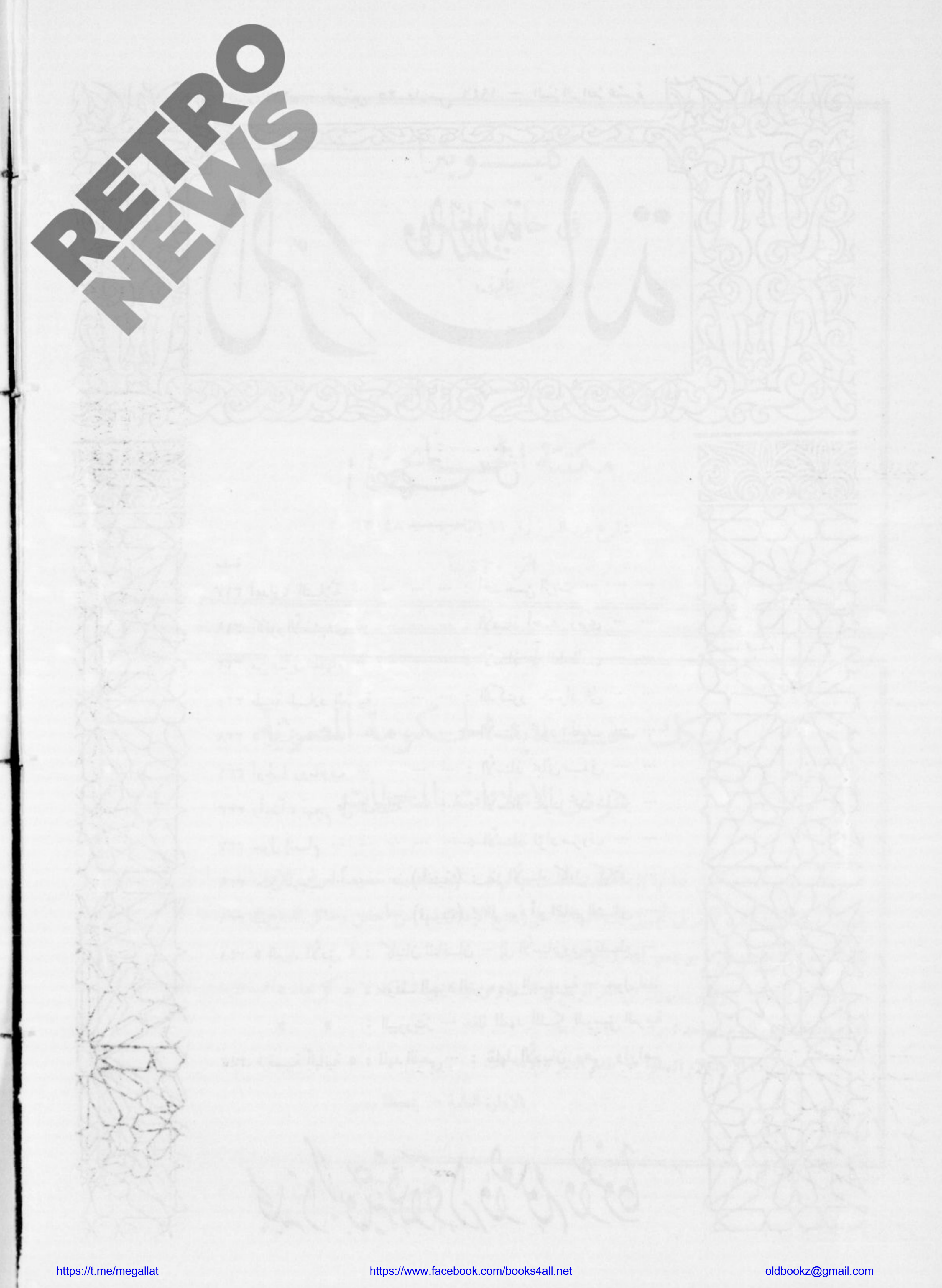
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ٦٦٤ – الاثنين ٢٥ مارس ١٩٤٦ – السنة الرابعة عشرة



الفهرس

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون


RETRO
NEWS

14 me Année No. 664
Lundi—25—3—1946

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٦٦٤ « القاهرة فى يوم الإثنين ٢١ ربيع الآخر سنة ١٣٦٥ — ٢٥ مارس سنة ١٩٤٦ » السنة الرابعة عشرة

أعداؤنا الثـــلاثة

كانت « الرسالة » أول من حصر أعداءنا الثلاثة فى الجهل والفقر والمرض حين اقترحت على وزارة الشؤون الاجتماعية أن تحرر دستورها الإصلاحى تحت هذه العناوين ، لأنها مُجَمَّاع العلل التى يصدر عنها كل فساد وينجم منها كل شر [1] ؛ وقالت يومئذ : إن هذه الوزارة تجديد رسمى لدعوة النبوة ، فلاك الأمر فيها الدرس والروية والمشورة والعزيمة والنفاذ ، على أن يكون كل رأى فى وجهه ، وكل عمل فى وقته ، وكل أمر فى أهله . ثم انتظرنا وانتظر الناس ، فإذا هى وزارة كسائر الوزارات : مكاتب وكتاب ، وسعاة وحجاب ، وأوراق تفرّق وتجمّع ، وأرزاق تقدّر وتوزّع ، ثم علم من غير عمل ، أو عمل من غير علم ؛ وإذا نحن بعد ثمانى سنوات من عمرها لا نزال من الأمية والفاقة والعلة فى الموضع الذى كنا فيه إذا لم نكن تأخرنا عنه . ذلك لأنها وزعت جهدها الضئيل ومالها القليل على ما سلبت من اختصاص الوزارات فعجزت عن أداء ما خلقت له ؛ وتعاقب عليها الوزراء والوكلاء تعاقب الظلال الخفاقة فلم يمهلوا حتى ينضجوا الرأى ويرسموا الخطة ويبتغوا الوسيلة . فإذا سنح لها خاطر فى الإصلاح بدأته من آخره أو أخذته من طرفه فينتشر عليها الأمر وتلتبس أمامها الوجهة . فالأمل إذن فى استعدائها على الجهل والفقر والمرض وهى مصابة بهن جميعاً أشبه الأشياء باستثمار الصفصاف واستيلاد العقيم . ولكن علل الشقاء المصرى كانت قد برزت فى وعينا القومى بروز العقيدة الراسخة والضرورة الملحة ، فهى تثب إلى العيون وثوب الحصى ، وتقع فى القلوب وقوع النبل ، فمن حاول أن يفر منها أو يغضى عنها كان كالمصحِر فى وسط الزوبعة أنّى اتجه وجد الرمل فى وجهه والظلام فى وجهته . وذلك مثل الذين تزعموا نهضة الأمة فى مدى ربع قرن فقصّروا الجهود وحصروا الأفكار فى مكافحة العدو الرابع وهو الاحتلال . ولو كتب الله لهم التوفيق لشبوها على الأعداء الأربعة فى وقت واحد ؛ ولو مهد لهم سبيل الفوز لجعلوا الميدان الأول للعدو الأول وهو الجهل ؛ لأنه هو الذى ولد الفقر والمرض ثم استعان بهما على سلب الاستقلال ، وجلب الاحتلال ، وقتل الروح القومية فى الشعب ، فلم يكن له رأى عام لنقص إدراكه ، ولا خير مشترك لضعف إنتاجه ، ولا كيان صحيح لوهن جسمه . ولكن زعماءنا اختاروا أسلم الميادين ، ونهجوا أسهل الطرق ، وابتغوا عرَض الحياة ، لأن محاربة الاحتلال لا تكلفهم غير تأليف المظاهرات وإنشاء المقالات وإلقاء الخطب ، ثم تنتهى بهم وشيكاً إلى الحكم والثروة والجاه عن طريق الدستور أطال الله عمره وأعز نصره ! أما محاربة الجهل والفقر والمرض ، فجهاد لا يثبت له ولا يصبر عليه إلا أولو العزم من المجاهدين المخلصين المضحين الذين يعملون ليرضى الله ، ويشقون ليسعد الناس ، ويموتون ليحيا الوطن !

(١) العدد ٣٢٩ (٢٣ أكتوبر سنة ١٩٣٩) وما بعده .

على أن الزعيم الحكيم يستطيع أن يدرك من وراء السياسة والحكم رضا قلبه ورضا شعبه ورضا ربه إذا تأبى على المطامع، وتعالى عن الشهوات، ووجّه قوى الحكومة والأمة كلها إلى هذا الجهاد المقدس. إنه إن أحسن التنبيه وأخلص التوجيه وأحكم القيادة، أبلى بلاء الرسل دون أن يتصدى لخاطر الرسالة، وجوزى جزاء الملوك دون أن يتعرض لمكاره المُلك، فأجناده يضحّون وهو يُعيّد، وقواده يحاربون وهو ينتصر، وأنداده يفنون وهو يخلد!

* * *

ليت شعرى هل كان يفكر فى ذلك صاحب الدولة رئيس الحكومة القائمة حين قطع العزم على أن يكون برنامجه فى الحكم مفاوضة الاحتلال فى مصر والسودان على الجلاء، ومجاهدة الجهل والفقر والمرض حتى الفناء؟!

نعم، طوى برنامجه السياسى على هذين المطلبين، ثم أخذ يهيىء لهما الأسباب ويُرصد الأهَب، فألف وفد المفاوضة من رجالات السياسة، وفى الوقت عينه ألف مجلساً أعلى لشؤون الطبقات الفقيرة من وزراء المعارف والشؤون والصحة والزراعة والتجارة، وجعل لنفسه الرياسة فى الوفد المفاوض وفى المجلس الأعلى، ثم بدأ العمل فى الميدانين على السواء. والذى يعنينا اليوم ذكره أن هذا المجلس الأعلى قرر القيام بطائفة من أضخم المشروعات الثقافية والاقتصادية والصحية، تحقق العدالة الاجتماعية، وترفع مستوى العيش لجمهور الشعب وهو صلب المجتمع وأداة إنتاجه وعدة دفاعه؛ ورأى تنفيذاً لتلك الأعمال الخطيرة أن يعقد لها قرضاً وطنياً بخمسين مليون جنيه يُثمّر فيه عفو المال وفضلات الرزق فتجدى على صاحبها مرتين: مرة فى نفسه، وأخرى فى جنسه!

من تلك المشروعات العتيدة ما يعالج الجهل كاصلاح التعليم الإلزامى، ومحو الأمية فيمن شبوا عن الطوق وجاوزوا حد الإلزام. ومنها ما يعالج الفقر والمرض كتقسيم القطر إلى وحدات اجتماعية عامة، تنقسم كل منها إلى عشرة آلاف وحدة، تتمثل فى كل وحدة جميع الوزارات المشتركة فى هذا المجلس الأعلى فتكون سفيراً بين الحكومة والفلاح، وصلة بين العلم والزراع، ورسولا من الطب إلى المرضى، ووسيطا بين التاجر والمنتج، وبرزخاً بين الناس والمعرفة؛ وتلك هى الأعمال التى أنشئت لها وزارة الشؤون فلم تستطع النهوض بها، ولم تصارح الناس بالعجز عنها؛ وظلت تعمل على هامش الحكومة: تصدر المجلة، وتعلن الموالد، وتسجل النقابات، وتزور المساجين، وتستقبل العمال، وتأخذ شيئا من كل شىء، ولا تؤثر أبداً فى أى شىء! وكان من وسائلها المرجوة لو رزقت ملكة الإبتكار، أن تدبر المال والرجال بمثل ما يدبره اليوم رئيس الحكومة فتذلل العقبة التى وقفت دونها خائرة حائرة لا تعرف لأمرها قِبلة ولا دِبرة.

لقد عبأ رئيس الوزراء قوى الحكومة والشعب لمحاربة أعدائنا الأربعة، وليس فى الأمة اليوم كما يقول شبابها ويردد كهولها من يضن بماله ونفسه على هذه الحرب، فهل آن لمصر السادرة فى الخلاف واللهى أن تدرك سر النهوض، وتعرف حقيقة الإصلاح، وتعلم أن الأمة لا تكون متمدنة إلا إذا امّحت هذه الفروق المخيفة بين الخاصة والعامة، وبين المدينة والقرية؟ إنك ترى الفقير القروى فى جسمه الضاوى وثوبه الخلق وجهله المطبق، ثم ترى الغنى الحضرى وعليه زهرة العيش ونضرة الصحة ونور العلم، فلا تصدق أن هذين الرجلين يرأمهما وطن واحد، وترعاهما حكومة واحدة!

إن معرة الاحتلال العسكرى تصيب المحتل فى شرفه وضميره، لأنه يبرره بضعفنا ويؤيده بقوته؛ ولكن معرة الإنحلال الفكرى والجسدى والاجتماعى تصيب الشعب فى كرامته ودينه، لأنه يرضاه وهو قادر على الافلات من ربقته.

لذلك كنا أحرياء أن نفكر بعض التفكير فى عاقبة هذه الأمور؛ فان الوزارة الصدقية محدودة الأجل بنتيجة المفاوضات، فإذا أخفقت مفاوضة الاحتلال، أو مال ميزان الانتخابات إلى الشمال، اعتزلت الوزارة الحكم لا محالة. وإذن يحق لنا أن نتساءل عن مصير العملين العظيمين اللذين بدأهما صدقى باشا؛ فأما المفاوضات السياسية فسيستأنفها وفد يتلوه وفد إلى أن يرث الله الجزر البريطانية ومن عليها، لأن هذا النوع من الجهاد كلام ونحن نجيده، وسلام ونحن نريده. وأما هذه الهبّة الإصلاحية فأغلب الظن ألاّ تستمر، لأنها بناء ونحن نحب الهدم، وعناء ونحن نؤثر الراحة، ومجد ونحن نكره أن يكون لغيرنا الإكرام! والله سبحانه وتعالى قادر على أن يخيب هذه الظنون. وأن يقول للشىء كن فيكون!

احمد حسن الزيات

كافور الأخشيدى

للأستاذ أحمد رمزى

احتدم الجدال فى إحدى الليالى بين مصرى وعراقى ، فقال الأول : « رحم الله الحجاج بن يوسف الثقفى » ؛ ورد عليه الثانى وقد تملكته سورة الغضب : « رحم الله كافوراً الأخشيدى » . واشتد حنق المصرى إذ وجدها كبيرة على نفسه أن يحكم بلاده كافور ، فلما ألقى إلىّ ذلك قلت : « يا صاحبى لا تحزن ، إن أبا المسك الأستاذ كافور كان أميراً من أكبر الأمراء ، وعاهلا من أعظم ملوك المسلمين بمصر ، ويزيد بلادنا فخراً أن تولاها مثله كما لا ينقص من قدره سواد لونه ، بل فى ذلك دليل على علو همته . وإن لونه لم يقعد به عن بلوغ أعلى المراتب ، ودليل على أننا لا نفرق بين الأبيض والأسود ، لأننا جميعاً سواء . وإذا أخذ عليك ولاية كافور علينا ، فقل إن ملكه شمل مصر والشام ، وإنه كان يخطب له على المنابر بمكة والمدينة والحجاز جميعه ودمشق وحلب وأنطاكية والثغور وفيها طرسوس[1] والمصيصة وغيرها من الأقاليم التى خضعت لسطوته ودانت لسلطانه كما ذكره الفرغانى ونقله ابن خلكان فى ترجمته لكافور . فإذا وجدت معرة بكافور فاسأل غيرنا تجدهم قد شاركونا فيها ، فكيف وليس فى الأمر معرة علينا ، بل مفخرة لنا ؟ »

« أليس كافور من أبناء السودان ، وكلنا ننشد الوحدة الشاملة ؟ فكيف تستكثر على أحد أبنائه ملك مصر وهذه الأنهار تجرى من تحته ؟ وهل كان كافور عاطلا هملا حتى تؤاخذنا به ، أو نبرأ من ولايته وإمارته ، وهو الذى قال فيه أبو الطيب المتنبى برغم تحامله بعد ذلك عليه :

قواصد كافور توارك غيره ... ومن قصد البحر استقل السواقيا
فجاءت بنا إنسان عين زمانه ... وخلّت بياضاً خلفها ومآقيا

وهو القائل فيه :

فإن لم يكن إلا أبو المسك أو هُمُ ... فإنك أحلى فى فؤادى وأعذب
وكل امرئ يولى الجميل محبب ... وكل مكان ينبت العز طيب »

قال : « أو لم تسمع بقارع الهجاء وشنيع الذم ؟ » قلت : « إذاً فلنتخذ ماتنشره جرائدنا ومجلاتنا الحزبية دليلا على إفلاسنا وفنائنا ، فمتى كان يقام وزن للهجاء والتشنيع الذى يمليه الحقد والنفس الموتورة ؟ »

أما أنا فآخذ بما ذكره الذهبى[1] عن كافور إذ قال : « كان يدنى الشعراء ويجيزهم ، وكانت تقرأ عنده فى كل ليلة السير وأخبار الدولتين الأموية والعباسية . وكان عظيم الحرمة ، وله حجاب » ؛ ثم قال : « إنه تقدم لدى الأخشيد صاحب مصر لعقله ورأيه وسعده إلى أن صار من كبار القواد ، ثم أتابك ولده أبى القاسم أنوجور ، ووصل إلى أن زاد ملكه على ملك مولاه الأخشيد » . وتكلم على مقدرته وكفايته وحسن تدبيره فقال : « إنه كان خبيراً بالسياسة فطناً ذكياً جيد العقل داهية » ، وضرب مثلا لذلك حين قال : « إنه كان يهادى المعز صاحب المغرب ويظهر ميله إليه ، وكان يذعن بالطاعة لبنى العباس ، ويدارى ويخدع هؤلاء وهؤلاء حتى تم له الأمر » . أليس فى ذلك دليل على قوته ؟

وأذكر لك ما عثرت عليه من أن كافور كان أول من غزا ، ولازمه التوفيق فى فتح الأقاليم النوبية ، فقد هاجمها قبله أبو منصور تكين التركى هى وبرقة فى عام واحد ، ولم يتم فتحها على يديه . ولما غزاها كافور كان التوفيق حليفه ، لأن جيش المسلمين كان من السودان ، وفى ذلك يقول الشاعر :

ولما غزا كافور دنقلة غدا ... بجيش كطول الأرض فى مثلها عرض
غزا الأسود السودان فى رونق الضحى ... ولما التقى الجمعان أظلمت الأرض

فهو أول من تمت الوحدة على يديه . وهو حامل لواء الإسلام والعروبة فى أراضى السودان . ولو شئت أن تعلم عن كافور وأيام كافور وأياديه البيضاء ، وأنفاسه الطاهرة ومجده وسلطانه وحسن بلائه ، فعليك بكتب التاريخ تنبئك عن عقل ودراية وحكمة وسياسة وحسن تصريف للأمور وفهم للناس وطبائعهم ، وهذه أشياء شهد له بها المعاصرون ووفوه حقه فيها . أما نحن فنرى

(١) هما مدينتان فى ولاية أضنه داخل الجمهورية التركية

(١) النجوم الزاهرة جزء رابع .

فيه رجلا عظيما من عظماء القرن الرابع الهجرى ، خدم بإخلاص مولاه الأخشيد ، وصان استقلال مصر سنوات ، وواجهته المصاعب والمشاكل والحروب ، فتغلب عليها وخرج من مآزقها ، وهو بطل من أبطال تاريخ مصر العربية ، ولذلك تجدنى من أنصار كافور ومن المعجبين به ومن الداعين لحفظ ذكراه ، ولو كان لى من الأمر شىء ، لبحثت عن قبره ، وأقمت قبة عليه ، ثم لطلبت من أولى الأمر فى مصر والسودان أن يطلق اسمه على ميدان أو شارع بالقاهرة وأم درمان والخرطوم ، صيانة لذكره وإقراراً لفضله ، وتوكيداً لصلات مصر والسودان .

فإذا كان الأميركان من الملونين يبحثون عن صورة بوشكين الشاعر الروسى المشهور ، ويضعونها فى أحسن مكان لصلة القربى معهم لسمرة لونه ، فكيف ينكر فضل كافور وهو ملك من أعظم الملوك ؟ ولم لا يقوم السودان ويقعد له ويحتفى به وهو منه وإليه منسوب ؟

إننى يا صديقى لا أتفق معك ولا أجاريك فى قولك بأن الوطنية والكرامة تمليان حذف اسمه وسيرته وعهده من كتب التاريخ ، بل أقول : إنهما تمليان علينا نشر فضائله ومحاسنه ؛ وإنى كلما تأملت فى عصر أستاذنا أبى المسك كافور وقرأت عنه وعن أخلاقه وسيرته بين الناس ، بدت شخصيته ممتازة محبوبة عليها وقار واحترام وحشمة ، لا بأعماله السياسية وحياته العامة ، وهى ليست موضع نزاع ، بل بأدبه وتواضعه وخضوعه لأحكام الله ، وكرمه وإخلاصه لمن حوله ، ولصلاته ودأبه على عمل الخير وإسداء المعروف ، وهى نواح إن أهملتها بعض كتب التاريخ ، فقد وجدت مبعثرة ، ولذلك رأيت أن أشير إليها .

قال ابراهيم بن اسماعيل إمام مسجد الزبير : « إن كافورا كان يداوم الجلوس بالغداة والعشى لقضاء حوائج الناس ، وكان يتهجد ويمرّغ وجهه ساجداً ويقول : « اللهم لا تسلط علىّ مخلوقاً » . وكان لا يأنف من أصله ومولده ، ويحمد الله أن رفع من قدره ، وينسب ما لقى من خير إلى توفيق الله ونعمته . فقد ذكر أبو بكر المارداني ، وكان وزيراً لكافور ولأبى منصور تكين التركى : « إن كافورا كان دائم التحدث بنعمة الله عليه ، ويذكر أيامه بالسودان ، وكيف جىء به إلى مصر وعمره أربع عشرة سنة ». وحدّث أنه كان بمدينة الفسطاط فى السوق المنسوبة لبنى حباسة طباخ يبيع الطعام ، فعبر كافور فى شبابه وطلب منه شيئاً من الطعام، فضربه بالمغرفة على يده وهى حادة ، فوقع مغشياً عليه ، فأخذه رجل ورشّ عليه الماء ، وأواه حتى وجد العافية . قال : « فكلما عزّت عليه نفسه يذكر ما أصابه من الطباخ ، وقد يركب ويأتى إلى ذلك الزقاق ، ويسجد شكراً لله على نعمائه » . وكان يفعل ذلك فى إبان ملكه ومجده وعظمته .

قلت لصاحبي وقد يكون فى ذلك بعض المبالغة من أصحاب السير؛ ولكن ما الحكمة فى ذلك وكافور لم يعقب نسلا ولم يترك أهلا ولم تصمد دولته بعده ليتملقها الكتاب والمؤرخون ؟ وهذه ناحية أخرى تحبب إلىّ الرجل : هى فهمه للناس وعطفه عليهم وأخذهم باللين مع تعاليه عن تصديق الوقيعة وقبول الفتن . فقد ذكر ابن خلكان فى ترجمة الشريف ابن طباطبا ولايزال قبره يزار بقرافة الإمام الشافعى : « أنه كان طاهراً كريماً فاضلا صاحب ضياع ونعمة ظاهرة وعبيد وحاشية ؛ وكان يرسل لكافور فى كل يومين جامين حلوى ورغيفاً فى منديل مختوم، فحسده بعض الأعيان وقال لكافور « الحلو حسن فما لهذا الرغيف فإنه لا يحسن أن يقابلك به » فأرسل إليه كافور يعتذر عن قبول الرغيف ، فركب الشريف إليه وعلم أنهم قد دسوا عليه ، فلما اجتمع به قال له : « أيدك الله إنا لا ننفذ الرغيف تطاولا وتماظا ، وإنما هى صبية حسنية تعجنه بيدها وتخبزه فترسله إليك على سبيل التبرك ، فإن كرهته قطعناه » فقال كافور : لا والله لا نقطعه ولا يكون قوتى سواه »[1] .

وكان محدثى قوياً لا يلين ، فيه عنجهية من بقايا القرون التى سبقت الإسلام والرسالة المحمدية ، فهو مصر على التفرقة بين الناس حسب ألوانهم كما قسم هتلر النـاس وصنف الشعوب أصنافاً ، فقلت له إن ابن زولاق ، وهو حجة فى الموضوع ، قد اعترف لكافور فقال « إنه كان ديّناً كريماً » ، فانظر ما نقله صاحب الكواكب السيارة فى ترتيب الزيارة عن ابن الجلى فى تاريخه ، إذ قال :

حدثنى أبو الحسن البغدادى قال : وردت إلى مصر وأنا مع

---

(١) ذكر صاحب كنز الدرر ونقله صاحب النجوم الزاهرة : أن سماط كافور كان فى اليوم مائتا خروف كبار ومائة خروف رميس غير الأوز والدجاج والحمام والحلوى والشراب .

أبي وكنت دون البلوغ فى أيام كافور الأخشيدى ، وكان أبو بكر المحلى يتولى نفقة كافور ومصالحه وخواص خدمته ، فانتسجت بينه وبين أبى مودة ، فكان يأتى إلى أبى ويزوره ، فجلس فى بعض الأيام يتحدث ويتذاكر أخبار كافور ، فقال أبو بكر لأبى وأنا أسمع : إن هذا الأستاذ كافور له فى كل عيد أضحى عادة ، وهو أنه يسلم إلىَّ بغلا محملا ذهباً وورقاً وأمضى مع صاحب الشرطة ونطوف من بعد العشاء إلى آخر الليل حتى أسلم ذلك لكل من أجد اسمه فى تلك الجريدة فأطرق أبوابهم وأقول لهم هـذا من عند أبى المسك كافور .

وقال أبو جعفر مسلم بن عبد الله بن طاهر العلوى النسابة : ما رأيت أكرم من كافور : كنت أسايره يوماً وهو فى موكب خفيف يريد النزهة وبين يديه عدة جنائب ، فوقعت مقرعته من يده ، ولم يرها ، فنزلت عن دابتى وأخذتها من الأرض ، فقال : أيها الشريف ، أعوذ بالله من بلوغ الغاية ، ما ظننت أن الزمان يبلّغنى حتى تفعل أنت هذا معى ، وكاد يبكى ... فقلت : أنا صنيعة الأستاذ ووليه . فلما بلغ داره ودعنى . ولما سرت التفت ، فإذا بالجنائب والبغال كلها خلفى . فقلت : ما هذا ؟ قالوا : أمر الأستاذ أن يحمل مركبه إليك بجنائبه . فأدخلته دارى ، وكانت قيمته تزيد على خمسة عشر ألف دينار !

تلك أقاصيص موزعة مفرقة أوقفتنى الصدف عليها فى مواضع متعددة ، وهى تكشف الطريق لنا لبحث نفسية كافور ، فهذا رجل وصل إلى درجة من أعلى درجات عصره وكانت تهابه الدنيا ، فانظر إلى تواضعه وخجله ، وإلى نفسه الهادئة المطمئنة ، وقس على ذلك فقاقيع الرجال ممن نلقاهم كل يوم ، وهم لا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم من الأمر شيئاً تراهم يخفون ضعفهم بالتظاهر بالقوة ، وجهلهم بتعاليهم على الناس ، وهم فى مشيتهم وغطرستهم وحديثهم وما يبدو فى وجوههم مضحكة ومهزأة للعصر الذى نعيش فيه وللعصور القادمة : « يا أيها الناس ، ضرب مثل فاستمعوا له ، إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ، ولو اجتمعوا له ، وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه. ضعف الطالب والمطلوب » صدق الله العظيم (١) .

وفى ذى القعدة سنة ٣٦٢ هـ ، وهى السنة التى قدم فيها المعز لدين الله إلى القاهرة من بلاد المغرب ، ركب لكسر خليج القنطرة ، فكسر بين يديه ، ثم سار على شاطئ النيل حتى بلغ إلى بنى وائل ، ومر على سطح الجرف فى موكب عظيم ، وخلفه وجوه أهل الدولة ، ومعهم أبو جعفر أحمد بن نصر يسير فى ركابه ، ويعرفه بالمواضع التى يجتاز عليها ، وتجمعت الرعية للدعاء له ، ثم عطف على بركة الحبش ، ثم على الصحراء ، وسار على الخندق الذى حفره القائد جوهر ، ومر على قبر كافور ، وعلى قبر ابن طباطبا الحسنى ، ثم عاد إلى قصره (١) .

عثرت على هذا النص عرضاً ، فوقفت مندهشاً أمام النصوص التى تقول : بأن تابوت كافور نقل إلى القدس ودفن بها وكتب على قبره :

ما بال قبرك يا كافـور منفرداً
بصحصح الموت بعد العسكر اللجب ؟
يدوس قبرك آحـاد الرجال وقد
كانت أسود الشرى تخشاك فى الكتب

ودخلت بحراً يموج بالمسائل ، وكلها تحتاج لتحقيق ، وسنرى ما يكون من أمرها .

أحمد رمزى

القنصل العام السابق لمصر بسوريا ولبنان

(١) ٧٢ من سورة الحج .

(١) ابن زولاق فى كتاب سيرة المعز لدين الله نقله المقريزى فى الخطط لما ذكر ما كان يعمل عند فتح الخليج .

من غزل الفقهاء

للأستاذ علي الطنطاوي

قال لي شيخ من المشايخ المتزمّتين، وقد سقط إليه عدد من الرسالة، فيه مقالة لي في الحب:

— مالك وللحب، وأنت شيخ وأنت قاض، وليس يليق بالشيوخ والقضاة أن يتكلموا في الحب، أو يعرضوا للغزل؟! إنما يليق ذلك بالشعراء، وقد نزه الله نبيّه عن الشعر، وترفع العلماء وهم ورثة الأنبياء عنه، وصرّح الشافعي أنه يزري بهم؛ ولولا ذلك لكان أشعر من لبيد ...

فضحكت، وقلت له:

— أما قمت مرة في السَّحر، فأحسست نسيم الليل الناعش، وسكونه الناطق ... وجماله الفاتن، فشعرت بعاطفة لا عهد لك بمثلها، ولا طاقة لك على وصفها؟

أما سمعت مرة في صفاء الليل نغمة عذبة، من مغنّ حاذق قد خرجت من قلبه، فهزت منك وتر القلب، ومسّت حبّة الفؤاد؟

أما خلوت مرة بنفسك تفكر في الماضي فتذكر أفراحه وأتراحه، وإخوانا كانوا زينة الحياة فطواهم الثرى، وعهداً كان ربيع العمر فتصرم الربيع، فوجدت فراغا في نفسك، فتلفتّ تفتش عن هذا الماضي الذي ذهب ولن يعود؟

أما قرأت مرة قصة من قصص الحب، أو خبرا من أخبار البطولة فأحسست بمثل النار تمشي في أعصابك، وبمثل جناح الطير يخفق في صدرك؟

أما رأيت في الحياة مشاهد البؤس؟ أما أبصرت في الكون روائع الجمال؟ فمن هو الذي يصور مشاعرك هذه؟ من الذي يصف لذائذك النفسية وآلامك، وبؤساك ونعماك؟ لن يصورها اللغويون ولا الفقهاء ولا المحدثون، ولا الأطباء ولا المهندسون. كل أولئك يعيشون مع الجسد والعقل، محبوسين في معقلهما، لا يسرحون في فضاء الأحلام، ولا يوغلون في أودية القلب، ولا يلجون عالم النفس ... فمن هم أهل القلوب؟ إنهم الشعراء يا سيدي، وذلك هو الشعر!

إن البشر يكدّون ويسعون، ويسيرون في صحراء الحياة، وقيد نواظرهم كواكب ثلاثة، هي هدفهم وإليها المسير، ومنها الهدى وهي السراج المنير، وهي الحقيقة والخير والجمال، وإن كوكب الجمال أزهلها وأبهاها، إن خفي صاحباه عن بعض الناس فما يخفى على أحد، وإن قصرت عن دركهما عيون فهو ملء كل عين، والجمال بعدُ أسّ الحقائق وأصل الفضائل، فلولا جمال الحقيقة ما طلبها العلماء، ولولا جمال الخير ما دعا إليه المصلحون. وهل ينازع في تفضيل الجمال إنسان؟ هل في الدنيا من يؤثر الدمنة المقفرة، على الجنة المزهرة؟ والعجوز الشوهاء على الصبية الحسناء؟ والأسمال البالية على الحلل الغالية؟

فكيف يكون فيها من يكره الشعر، وهو جمال القول، وفتنة الكلام؟ وهو لغة القلب فمن لم يفهمه لم يكن من ذوي القلوب. وهو صورة النفس، فمن لم يجد فيه صورته لم يكن إلا جماداً. وهو حديث الذكريات والآمال، فمن لم يذكر ماضياً، ولم يرجُ مستقبلا، ولم يعرف من نفسه لذة ولا ألماً، فليس بانسان.

* * *

ومن قال لك يا سيدي إن الله نزه نبيه صلى الله عليه وسلم عن الشعر لأن الشعر قبيح؟ إنما نفى عنه أن يكون شاعراً كمن عرف العرب من الشعراء، وردّ عليهم قولهم: «إنه شاعر». لأن الشاعر يأتيه الوحي من داخل نفسه، والنبي يجيئه الوحي من السماء، وهذا الذي لم تدركه العرب، فقالوا قولتهم التي ردّها الله عليهم!

وأين وجدت حرمة الشعر، أو مذمته من حيث هو كلام جميل، يصف شعوراً نبيلا؟ إنما يقبح إذا اشتمل على الباطل، كما يقبح كل كلام يشتمل عليه.

ومن أين عرفت أن العلماء قد ترفعوا عنه، والكتب مملوءة بالجيّد من أشعارهم، في الحب والغزل ووصف النساء؟

أو ما سمعت بأن النبي صلى الله عليه وسلم أصغى إلى كعب وهو يهدر في قصيدته التي يتغزل فيها بسعاد ... ويصفها بما لو ألقي

عايك مثله لتورعت عن سماعه ... وتصاممت عنه ، وحسبت أن التقى يمنعك منه وذهبت تلوم عليه ، وتنصح بالإقلاع عنه قائله ...

وما سعاد غداة البين إذ برزت
إلا أغن غضيض الطرف مكحول
تجلو عوارض ذى ظَلم إذا ابتسمت
كأنها مَنْهل بالراح ميعــلول
هيفاء مُقبلةً عجزاء مدبرةً لا يشتكى قصر منها ولا طول

وأن عمر كان يتمثل بمثل ما تكره أنت ... من الشعر ، وأن ابن عباس كان يصغى إلى إمام الغَـزلين عمر بن أبى ربيعة ، ويروى شعره ؟ وأن الحسن البصرى كان يستشهد فى مجلس وعظه ، بقول الشاعر :

اليوم عندك دَلها وحديثها وغداً لغيرك كفها والمعصم

وأن سعيد بن المسيب سمع مغنيا يغنى :

تضوَّع مسكا بطن نعمان أن مشت به زينب فى نسوة خفرات

فضرب برجله وقال : هذا والله مما يلذ استماعه ، ثم قال :

وليست كأخرى أوسعت جيب درعها
وأبدت بنان الكف للجمرات
وعلّت بنان المسك وحْفاً مُرَجَّلا
على مثـــل بدر لاح فى الظلمات
وقامت تراءى يوم جمع فأفتنت برؤيتها من راح من عرفات

فكانوا يرون هذا الشعر لسعيد بن المسيب !

* * *

ومالى أدور وأسوق لك الأخبار ، وعندنا شعراء كان شعرهم أرق من النسيم إذا سرى ، وأصفى من شعاع القمر ، وأعذب من ماء الوصال ، وهم كانوا أئمة الدين وأعلام الهدى .

هذا عروة بن أذينة الفقيه المحدث شيخ الإمام مالك يقول(١) :

ان التى زعمت فؤادك ملها خُلقت هواك كما خلقت هوى لها
فبك الذى زعمت بها وكلاكما يبدى لصاحبه الصبابة كلها
ويبيت بين جوانحى حبٌّ لها لو كان تحت فراشها لأقلها
ولعمرها لو كان حبك فوقها يوما وقد ضَحِيَتْ إذن لأظلها
وإذا وجدت لها وساوس سلوة شفع الفؤاد إلى الضمير فسلها

(١) الأغانى الجزء ٢١ .
٢٤ ، ٢٦

بيضاء باكرها النعيم فصاغها بلباقة فأدقها وأجلها
منعت تحيتها فقلت لصاحبى ما كان أكثرها لنا وأقلها !
فدنا فقال ، لعلها معـذورة من أجل رقبتها، فقلت: لعلها!

هذه الأبيات التى بلغ من إعجاب الناس بها أن أبا السائب المخزومى لما سمعها حلف أنه لا يأكل بها طعاماً إلى الليل !

وهو القائل ، وهذا من أروع الشعر وأحلاه ، وهذا شعر شاعر لم ينطق بالشعر تقليدا ، وإنما قال عن شعور ، ونطق عن حب ، فما يخفى كلام المحبين :

قالت (وأبثثتها وجدى فبحت به) :
قد كنت عندى تحب الستر ، فاستتر
ألست تبصر من حولى؟ فقلت لها: غطى هواك وما ألقى على بصرى

هذا الشاعر الفقيه الذى أوقد الحب فى قلبه نارا لا يطفئها إلا الوصال :

إذا وجدت أوار الحر فى كبدى عمدت نحو سقاء الماء أبترد
هبنى بردت ببرد الماء ظاهره فمن لحر على الأحشاء يتقد ؟ !

وهذا عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، أحد فقهاء المدنية السبعة الذين انتهى إليهم العلم ، وكان عمر بن عبد العزيز يقول فى خلافته(١) : لمجلس بن عبيد الله لو كان حيا ، أحب إلى من الدنيا وما فيها . وإنى لأشترى ليلة من ليالى عبيد الله بألف دينار من بيت المال ، فقالوا : ياأمير المؤمنين ، تقول هذا مع شدة تحريك وشدة تحفظك ؟ قال : أين يُذهب بكم ؟ والله إنى لأعود برأيه ونصيحته ومشورته على بيت المال بألوف وألوف . وكان الزهرى يقول : سمعت من العلم شيئا كثيرا ، فظننت أنى اكتفيت حتى لقيت عبيد الله فإذا كأنى ليس فى يدى شىء !

وهو مع ذلك الشاعر الغَـزِل الذى يقول :

شققت القلب ثم ذررت فيه هواك فليم فالتـام الفُطور
تغلغل حب عثمة فى فؤادى فباديه مع الخافى يسير
تغلغل حيث لم يبلغ شراب ولا حزن ولم يبلغ سرور

أفسمعت بأعمق من هذا الحب وأعلق منه بالقلب ؟ ولم يكن يخفى ما فى قلبه ، بل كان إذا لقيه ابن المسيب فسأله : أأنت الفقيه الشاعر ؟ يقول : « لا بد للمصدور من أن ينفث » فلا

(١) ابن خلكان فى الوفيات .

طبيعة البلاد العربية (*)

للدكتور جواد على

على الرغم من الموقع الممتاز الذى تشغله البلاد العربية فى وجه الكرة الأرضية ، وعلى الرغم من الأهمية العسكرية التى تتمتع بها هذه البلاد باعتبارها قنطرة عظيمة تصل بين قارات ثلاث هى قارات العالم القديم ، فإنها كانت ولا تزال قليلة السكان جداً بالنسبة إلى سعة مساحتها واتساع أرضها ، وفيها بقعة كبيرة تكاد تكون خالية من السكان تتغلب عليها الطبيعة الصحراوية ، هى البقعة المعروفة بالربع الخالى ، وحولها منطقة واسعة قليلة السكان كذلك . ويغلب على هذه المناطق الجفاف والتغير السريع فى درجات الحرارة بين الليل والنهار تغيراً يؤثر فى طبيعة السكان تأثيراً كبيراً ، فيصعب على الإنسان والأجسام الحية تحمله .

(*) من كتاب « العرب قبل الاسلام » للدكتور جواد على لم يطبع بعد .

ينكر عليه ابن المسيب . وهو القائل (1) :

كتمتَ الهوى حتى أضر بك الكتم
ولامك أقــوام ولومهم ظــلم
ونم عليك الكاشحون وقبلهم عليك الهوى قد نم لو نفع الكتم
وزادك إغراء بها طول بخلها عليك وأبلى لحم أعظمك الهم
فاصبحت كالنهدى إذ مات حسرة
على إثر هند أو كمن سقى السم (2)
ألا من لنفس لا تموت فينقضى شقاها ولا تحيا حياة لها طعم
تجنبت إتيان الحبيب تأثماً ألا إن هجران الحبيب هو الاثم
فذق هجرها إن كنت تزعم أنه رشاد ألا يا ربما كذب الزعم

ألا إن هذا هو الشعر !

البقية فى العدد القادم

على الطنطاوى

(1) أمال القالى .

(2) قال البكرى فى اللآلى ، هذا من للقلوب كخرق الثوب المسمار وترجمة النهرى هذا فى الأغانى (١٩) .

على أن فى الروايات اليونانية القديمة وفى المصادر السريانية والعربية ما يشير إلى أن بعض هذه المناطق الصحراوية الجرداء فى الوقت الحاضر لم تكن فى السابق على ما هى عليه الآن ، بل كانت مخصبة معشبة كثيرة الكلأ والماء ، معتدلة نوعاً ما فى درجات الحرارة . ولم يكن هنالك بطبيعة الحال فروق كبيرة بين الحرارة والبرودة فى الليل والنهار ، وأنها كانت عامرة توجد فيها المدن المأهولة والقرى .

وتلاحظ فى الوقت الحاضر آثار أنهار وعيون ونبات وواحات لا بد وأنها كانت مأهولة معمورة ، ثم تغير الطقس فيها وحدثت فيها كوارث طبيعية دعت إلى هجرة سكانها عنها وإلى تحولها إلى تربة صحراوية . ولما جاء الإسلام كانت هذه الأماكن نسياً منسياً ، فتصور الناس أنها من أعمال قوم عاد أو من أعمال الجن (1) .

وقد عرف أكثر الرواة العرب مثل تلك الانقلابات الطبيعية والتقلبات الجيولوجية ، فأشاروا إليها فقالوا إنما حدث ما حدث انتقاماً من تلك الأقوام القديمة والشعوب التى أجابت داعى الهوى وكفرت بأنعم الله فأذاقها الله سوء العذاب (2) .

وفى القرآن الكريم – وهو أصدق مرجع بين أيدينا – إشارات كثيرة إلى تلك الأقوام التى عاشت فى الأيام الخالية فى شبه جزيرة العرب تؤيد هذا الرأى وتقويه . ففى كتاب الله آيات مفصلة عن عاد وإرم ذات العماد التى لم يخلق مثلها البلاد (3) وقوم ثمود الذين جابوا الصخر بالواد (4) . وعن الأيكة (5) . وردت عرضاً على سبيل القصة والوعظة .

وقد عرض المفسرون لهذه الآيات وأطنبوا فى وصف تلك الأماكن والمحلات ، وذكروا شيئاً مما كان قد رسخ فى

(1) mortizy arabia p, 25 . المسعودى ج ١ مروج ص ٩٤ (طبعة أوربا) . النقائش ٢٨٩ ، ٤٠٢ .

(2) mortizy p, 28

(3) القرآن الكريم سورة ٨٩ آية ٧

(4) القرآن الكريم سورة ١١ آية ٩٦ وسورة ٢٢ آية ٤٢ وفى مواضع أخرى .

(5) القرآن الكريم سورة ١٥ آية ٧٨ وسورة ٢٦ آية ١٧٦ سورة ٣٨ آية ١٣ سورة ٥٠ آية ١٤ .

مخيلتهم عن تلك الأقوام . وهي صورة وإن كان رواء الوضع يتغلب عليها ، ومادة الخيال فيها خصبة ، إلا أنها صورة مهما قيل فيها فإنها مستمدة من واقع قديم تؤيده الآثار والتجارب العلمية الحديثة .

وكانت عناية الأهالي بالسدود عظيمة على ما يظهر من آثارها في هذا اليوم . فعلى تلك السدود التي كانت تحافظ على مياه الأمطار أو مياه الأنهار والعيون كانت تتوقف حياة الأرض والسكان . والظاهر أن الناس في ذلك الوقت كانوا على علم بأصول خزن المياه كالذي نشاهده من آثار سد مأرب ، ومن آثار السدود الأخرى في اليمن أو قرب يثرب في الحجاز (المدينة) وفي أرض بني سليم . وكانت تعرف بأسماء مختلفة تختلف باختلاف القبائل ولهجاتها فتعرف باسم « مسك للماء » أو « مسد » أو سد أو مساك للماء[١] .

ولم تخل البلاد العربية الشمالية من السدود[٢] . وقد استمر العرب على إنشاء السدود حتى بعد تدهورهم في العصور الجاهلية التي سبقت الإسلام واتصلت به بل حتى في العصور الإسلامية كالعصر الأموي[٣] .

وامتازت منطقة يثرب بكثرة ما أنشىء فيها من النواظم والسدود والترع الفنية . ففي وادي بطحان وهو واد من أودية المدينة سد للماء . وفي وادي العقيق سد آخر عند جبل شوران[٤] وثالث في وادي مخزول وقد كان حتى زمن الرسول[٥] . ثم سد رابع هو سد معونة قرب الأرحاضية جنوب المدينة[٦] ، وخامس في وادي أظم[٧] .

وحتى نجد لم تكن لتخلو من هذه السدود[٨] . وقد وجدت السدود بكثرة في جنوب الحجاز[٩] ، وفي أراضي قبائل هذيل وبني سليم . وقد حافظت أراضي بني سليم على خصبها وإنباتها حتى العصر العباسي . ولما أهمل أمرها في هذا العهد بسبب الفتن والكوارث السياسية تحولت منذ هذا الوقت إلى أرض قاحلة صحراوية غادرها الناس وعافوها حتى غدت اليوم من المناطق المظلمة المقفرة التي لا تزار[١] .

وقد اشتهرت بنو سليم على ما يظهر بنشاطها وبذكائها الخارق ، فابتكرت ولا شك طرقاً فنية لاستنباط الماء وخزنه إلى وقت الحاجة . فلما أراد الحجاج حفر آبار على طريق الحج لم يجد من يحسن حفر الآبار واستخراج الماء غير رجال هذه القبيلة[٢] .

وطبيعي أن يكون للعرب علم خاص بطرق استنباط الماء وإقامة الحواجز ، وكيفية حفر الآبار والتعرف على نوع الأراضي التي يمكن استخراج الماء منها وإلا فكيف يعقل أن تنشأ هذه الحواجز وأن تحفر تلك الآبار لو لم يكن لهم علم بذلك ؟ ثم إن النصوص اليمانية التي عثر عليها حتى الآن وهي قليلة تؤيد هذا الرأي وتدعمه[٣] .

وقد انتقل هذا الفن إلى المسلمين فظهر نفر من العلماء في العصرين الأموي والعباسي نظموا صرف المياه وكيفية السيطرة عليها وتوزيعه . وألف بعضهم في « كتب المياه » وفي إحياء الأراضي « الموات » وقد أضافوا إلى معلوماتهم العربية الخالصة ما أخذوه عن الأعاجم من آراء ونظريات وما قرأوه في كتبهم من أبحاث[٤] .

على أننا نسمع في نفس الوقت أصواتاً ترتفع من جوف البلاد العربية ومن مختلف الأنحاء تشكو الجفاف وتتألم من تراكم الأتربة في مجاري الأنهار . ومن جفاف مياه الواحات فجأة ومن موت النباتات والأشجار وتحول الأرض إلى صحار رملية ، وقد استمرت تلك الشكاوى بدون انقطاع حتى القرن التاسع عشر . وقد تكون من بين أسباب هذا الجفاف وتحول المياه أسباب

---

(١) moritzy p, 27 . البكري ٤٦٣ ياقوت جـ ٣ ص ٥٦٤
(٢) moritzy p, 27
(٣) نفس المصدر أيضاً البكري ٤٦٢ ياقوت جـ ٢ ص ٢٤٩ .
(٤) moritzy p, 27 . البكري ص٤٦٢ ياقوت جـ ٢ ص٢٤٩
(٥) moritzy p, 27 . البلاذري فتوح ، ١٠ ، ١٣ .
(٦) moritzy p, 27 . ابن سعد ٢ ، ٢١ .
(٧) moritzy p, 27 . ياقوت جـ ١ ص ٣٠٥ .
(٨) moritzy p, 27 . البكري ٢٠٥ ياقوت جـ ٣ ص ٧٣٨
(٩) moritzy p, 27

(١) البكري ٤٦٧ ياقوت جـ ١ ص ٨٦٠ جـ ٢ ص ٨٥٥ . moritzy p, 27
(٢) البكري ص ٢٠٧ moritzy p, 28
(٣) moritzy p, 26
(٤) moritzy p, 26 . راجع أيضاً الفهرست لابن النديم (الأوربية) ٢٦٩ . وص ٥٥ .

سياسية نشأت عن تضعضع مركز الخلافة والثورات والانقلابات العسكرية الكثيرة التي كانت تدبرها الأسر الشريفة أو أصحاب القوة والبسطة من الأعاجم وأصحاب العساكر والأتباع . فلم يعد في وسع الحكومة الاهتمام بشؤون الزراعة والري وسائر الشؤون الأخرى . وقد تكون عوامل طبيعية وقتية أو طوارىء طبيعية فجائية سببت انحباس الأمطار وإلى غور المياه إلى الأعماق . على كل فهي كوارث مزعجة حولت تلك الأماكن المنبتة المأهولة إلى أماكن صحراوية رملية لا يمكن لأحد النزول بها لعدم ملاءمتها لشروط الحياة[١].

وقد خلقت هذه الكوارث الطبيعية والتقلبات الجيولوجية التي حدثت في الأزمنة التي سبقت الإسلام قصصاً مختلفة وحكايات توارثها الناس جيلا بعد جيل عن هلاك تلك الأقوام وتبدل وجه المعمورة وتحول الأرض المأنوسة إلى أرض موحشة . وقد تردد صداها في الكتب العربية ؛ فني كتب الأدب والتأريخ سيل من هذه الأخبار عن عاد وثمود وطسم وجديس ووبار[٢] .

تكون الكوارث الطبيعية في بعض الأوقات على صورة انحباس مياه الأمطار مدة طويلة مقرونة برياح شديدة جافة حادة تحرق المزروعات ، وتجفف الأرض . وقد يعقب ذلك هزات أرضية لا تترك شيئاً في تلك البقعة التي تتحول عندئذ إلى صحراء جرداء[٣] يتركها سكانها إلى منطقة أخرى تصلح للزراعة والرعي والعيش .

يقول المستشرق موريتس لا بد وأن تكون هنالك حقيقة تاريخية فيما يروى عن هلاك قوم عاد وثمود . فإذا ما عرفنا أن منطقة الحجر كانت منطقة ثمود ، وأن هذه المنطقة منطقة بركانية كثيراً ما كانت تثور وتلقي بحممها على ماجاورها وأن «الحرات» هي فوهات تلك البراكين وأماكن حممها عرفنا لِمَ هلكت ثمود وزالت معظم آثارها من عالم الوجود[٤].

(١) moritzy p, 28 .

(٢) نفس المصدر ص ٢٨ .

(٣) نفس المصدر .

(٤) moritzy p, 28 .

والحرّات هي مناطق بركانية خمدت براكينها وبقيت حممها وموادها التي كانت تقذفها ، وقد بردت منذ مدة قبل ظهور الإسلام ، إلا أن الدخان كان لا يزال يخرج من بعضها حتى في العصور الإسلامية . فقد ذكروا أن النيران كانت تخرج من حرة النار في جنوب شرقي المدينة ، وكانت تشاهد في عهد الخليفة عمر بن الخطاب[١] . وتحدث الناس عن نشاط بركاني ظهر فجأة في الحرة الكبرى التي تقع على مقربة من المدينة سنة ١٢٥٦ م . وقد دام ذلك عدة أسابيع ، وذكروا أن حمم هذه الحرة أخذت تسيل (Lave) وتزحف نحو المدينة حتى أصبحت على مسافة كيلو مترات قليلة من المدينة التي لم تنج منه إلا بمعجزة[٢] .

ولم نعد نسمع بحوادث بركانية مهمة منذ سنة ١٢٥٣ للميلاد في أكثر أنحاء شبه جزيرة العرب غير ما ذكرناه آنفاً . ففي هذه السنة حدث انفجار بركاني عظيم في منطقة عدن ثم خفت صوت البراكين منذ ذلك الحين ولم نعد نسمع بحوادث حرّات تخرب وتدمر كما كانت تفعل في السابق . ومعنى هذا أن تطوراً جيولوجياً عظيما حدث في هذه المنطقة بدون شك[٣] .

وقد بحث العلماء في طبيعة البلاد العربية من حيث الوجهة الجيولوجية ورأوا أن هذه البلاد قد جابهت عدة انقلابات وتطورات أرضية حدثت فيها منذ العصور الجيولوجية حتى الآن . ورأى الجوابون آثاراً صدفية ومحاراً في الربع الخالي استدلوا منه على أن هذه المنطقة كانت مغطاة بالمياه ويجوز أنها كانت تحت مياه البحر[٤] .

وبنى المستشرقون على هذه الفرضيات العلمية نظرياتهم عن الأصل السامي وعن موطن الأصل السامي وهجرات الساميين . كما بحثوا عن موطن العرب الشماليين ، ووطنهم الأصلي هل كان

(١) moritzy p, 13 الطبري ج ١ ص ٢٩٨٢ (أوربية) .

(٢) Wusteufeld, Ge, medina moritzn p, 14 p, 18 ابن إياس ١ ، ٩٤ .

(٣) moritzy p, 14

(٤) راجع ما كتبه الرحالة الانكليزي برتام توماس . ودوتي وفلبي وغيرهم عن وصف تربة جزيرة العرب .

فى اليمن أو فى شمال اليمن ، وهل كانت الكوارث الطبيعية هى العوامل الأساسية فى الهجرة أو عوامل أخرى[١].

تتحدث الكتب عن حادثة انفجار سد مأرب وكيف أن هذا الانفجار سبب جفاف منطقة كبيرة من أرض اليمن كانت تتغذى منه . وكيف تمزق الناس أيدى سبأ وكيف هاجرت القبائل من الجنوب نحو الشمال .

وقد أدى ذلك الجفاف والتحول إلى تبدى القبائل المستقرة وتنقلها من مكان إلى مكان على سنة الأعراب . وهى ظاهرة تحدث كثيراً فى شبه الجزيرة ، فتنتقل على أثرها العشائر المتحضرة إلى البادية حيث تتخذ عيشة البدو الرحل . وقد حدث مثل هذا التطور فى العصور الإسلامية أيضا ولاسيما فى الأوقات التى تردت فيها الحالة السياسية وضعف فيها نفوذ الحكومة فلم يعد فى إمكانها صيانة الأمن ولا السيطرة على النظم الاقتصادية ؛ فكانت القبائل المتحضرة أو النصف متحضرة تضطر لحماية نفسها إلى الالتجاء إلى الصحراء حيث لا تصل إليها لهيب الحروب السياسية والثورات وحيث لا تضطر إلى الاشتراك فى حروب لا نفع لها منها ولا ضرر .

ويشاهد السواح فى الوقت الحاضر آثار بيوت ومنازل فى أمكنة قاحلة رملية لا يمكن أن يستقر بها الإنسان فى مثل هذه الظروف بأى حال من الأحوال . وقد كانت مأهولة فيما مضى كما يظهر ذلك من هذه الآثار . فكيف حل فيها هذا الخراب وحولها هذا التحول !

وفى المصادر اليونانية أسماء مدن وقرى رآها الكتبة اليونانيون وحلوا بها وقد أعجب بها هؤلاء . إلا أنها اندثرت فيما بعد ولم يبق منها أى أثر حتى عند ظهور الرسول الكريم . وفى المصادر العربية مثل هذه الأسماء أيضاً زالت من عالم الوجود . وقد أنشأ المسلمون عدداً من المدن والقرى لم يبق منها اليوم أى أثر . وقد حدث مثل هذا الحادث فى العصور الحديثة كذلك[٢].

إن الجفاف هو أعظم عدو هدد البلاد العربية وحارب الحضارة والعمران فى شبه جزيرة العرب . وهو الذى حول الجزيرة العربية إلى صحار رملية لا تصلح للانبات ولا للسكنى . وللجفاف عوامل مساعدة هى الشمس والتغير السريع فى درجات الحرارة وهبوب الرياح وتبدل مجارى المياه[١].

وقد بحث عن هذا العامل العالم المستشرق كيتانى فتوصل إلى هذه النتيجة ، وهى أن جو بلاد العرب قد تغير وتبدل ، ولما حل به الجفاف لم يعد فى إمكان الإنسان ولا الأجسام الحية البقاء . فتركت تلك الأراضى التى تحولت إلى صحراء مقفرة[٢].

والظاهر أن جو بلاد العرب كان مشبعاً فى الأزمنة القديمة التى سبقت الإسلام بالرطوبة وكانت الأرض مخصبة منبتة لوجود المياه ثم جف الجو وتوسعت منطقة الجفاف هذه وارتحل عنها السكان[٣].

جواد علي

(١) راجع أبحاث المستشرقين فى الهجرة مثل غويدى وكيتانى وبيكر راجع أيضاً المقتطف جـ ٢ مجلد ١٠٥ تاريخ يولية ١٩٤٤ ص ١٢١ .

(٢) كما حدث فى تبوك عام ١٨٨١ م راجع moritzy p, 30

(١) نفس المصدر ص ٣٦ .

(٢) Leond coetani annali 11 l'arabia nello storia del movdo 16 Jan 1907 Becker vol 1 p,291

(٣) moritzy p, 36 .

الأدب في سير أعلامه :

ملتن ...

[القيثارة الخالدة التي غنت أروع
أناشيد الجمال والحرية والخيال ...]

للأستاذ محمود الخفيف

— ٥ —



وكان تشابل عنيداً ضيق الصدر ، وكانت وظيفته تقتضيه ألا يتساهل فيما كلفته به إدارة الكلية ، ولم يكن في وسعه أن يتغاضى عن تمرد ذلك الطالب وإلا تعرض لمؤاخذة القائمين بالأمر ، فما يحب هؤلاء أن تشيع العدوى في بقية الطلاب ؛ لهذا لم يكن بد من معاقبة جون ملتن عل في ذلك رادعاً له وعبرة لغيره .

وعوقب الفتى بإبعاده من الكلية إلى حين ؛ وقيل إنه عوقب بالضرب إلى جانب ذلك ، وإن كان أكثر المترجمين له ينكرون ذلك أو يستبعدونه ؛ على أن الضرب في ذاته يومئذ كان أمراً يقع في الكلية ، فلم تكن العقوبة البدنية محرمة حتى في الكلية .

وقضى ملتن فترة النفي في لندن غير آبه بما حدث ؛ يظهر في كل حين عدم مبالاته ، فلن تنال منه قسوة مدرس يتجنى عليه ، كما ذكر في بعض رسائله إلى « ديوداتي » أحد خلانه في مدرسة سنت بول ؛ وإنه ليفضي إلى ديوداتي أنه جد سعيد بإبعاده عن كمبردج فما يطيب بها المقام لرهط أبولو ؛ وأنه يستمتع بفراغه فيغشى المسارح كثيراً ، ويقرأ من الكتب ما يحب غير مقيد بقيود تشابل ؛ وأنه يسرح الطرف في شوارع المدينة إذ يذرعها جيئة وذهابا ، ويمد عينيه إلى حسان لندن وقد لُحْن له بعد أيامه الجافة في كمبردج أروع مما كن حسناً وأشد فتنة ، حتى إنه ليرى من الحكمة أن يبادر بالرحيل قبل أن تمسه جراح كيوبيد .

وتكشف لنا رسائله المنظومة والمنثورة إلى صاحبه عن بعض نوازع نفسه ، فهو يحب المسرح ويكثر غشيانه ؛ ولن يفعل ذلك متزمت يرى من أدلة الاستقامة أن يحرم على نفسه زينة الله التي أخرج لعباده ؛ وهو يمد عينيه إلى الغيد ولكنه هنا يخشى الغواية فيطلب النجاة ؛ وكان حريا أن يقع في حبالهن وأن يقعن في حباله بما توفر له من الجمال والوجاهة وأناقة الملبس ورشاقة الجسم ، ولكنه حريص على عفته متمسك بطهره ، تهفو إلى الجمال روحه إلا أنه يحلق ويأبى أن يرد ...

وعاد ملتن إلى الكلية ، وقد انقضى أمر النفي ؛ ولكنه لم يعد إلى تشابل فقد نقل إلى غيره ، وهو إجراء له مغزاه ، إذ لم يكن مثل هذا النقل بالعمل المعتاد في تلك الأيام ، ومنه يفهم أن القائمين على أمر الكلية يحملون تشابل شيئاً من اللوم .

ولم يفل النفي حدته ولا أوهن نشاطه ولا أذل كبرياءه ؛ وعادت نفسه الحرة تنشد الاصلاح ، وانطلق لسانه الفصيح يندد بما يرى من عيوب أيا كان أصحابها ؛ فلا تنقطع له شكوى ، ولا يفتر له نقد .

ونال أقرانه شيء غير قليل من نقده ؛ وكانوا أحرياء إلا قليلا منهم ، ألا يرتاحوا إليه ، وإن أعجبهم كثير من خصاله وراقهم شخصه ، فأن تمسكه بالفضيلة وتشدده في الطهر والعفة هو في ذاته تأنيب صامت لما يظهرون من نقائص ، ناهيك بما يقول في كل فرصة ، وبما يرسله كل آونة من عبارات التهكم أو نظرات الازدراء . وقف يخطب ذات مرة فقال « كيف آمل أن أجد فيكم الرغبة إلى الخير وأنا أرى في حفل عظيم كهذا الحفل وجوهاً تنطق بالعداوة يكاد يبلغ عددها عدد ما هنا من رؤوس » .

وكان جزاؤه على ذلك العنت من الكثير من طلاب الكلية ، فأخذوا على طريقة الطلاب يعابثونه ويهوشون عليه ويلاقونه أينما تكلم بشغبهم وزياطهم ، ويسخرون منه كما سخر منهم ، وجعلوا عفته موضعاً لاستهزائهم به ، وكانوا قد أطلقوا عليه من

قبل إسم « السيدة » لما رأوا من رقته وظرفه ودماثته ، فأخذوا الآن يعيدون هذه التسمية فى موضع الأعنات والاستهزاء ، فاذا سأل أحدهم صاحبه عنه قال هل رأيت سيدة الكلية ، أوهل رأيت سيدة كريست ، ويقصدون أن يسمعوه هذا وهو على مقربة منهم ليغيظوه ، فيكظم غيظه ويحاول أن يغيظهم بترفعه عنهم وازدرائه إياهم .

ولم يأبه ملتن بما يقولون ؛ ففيه على رقة حاشيته صبر على النضال ، يلذ له الأذى فى سبيل إعلان رأيه والدفاع عن مبدئه ، ولذلك نراه ينهض ذات مرة خطيباً ، فيشير فى خطابه إلى هذه التسمية ، فيقول متهكما إنه يعتقد أن ليس مردها إلى حسن وجهه وقصر قامته وجمال هيكله فحسب ، ولكن إلى طهره كذلك ورقة حاشيته ودماثته وحسن سلوكه ؛ ثم يتساءل فى ازدراء عما إذا كان يقصر اسم الرجولة على من كانت لهم القدرة أن يعبوا أقداحا كبيرة من الخمر ، أو على الفلاحين الذين غلظت أيديهم وجمدت من أثر الحراث ، أوعلى من يبرهنون على رجولتهم بالعربدة والفجور والفسوق ؟ ... ويستخذى الجميع أمام حماسته وشجاعته ورباطة جأشه .

ولا يفوته أن يقارن بين نفسه وبين من اتهموا قبله من النابهين الأعلام بمثل ما اتهم به ، قائلا إن ديموستين نفسه لم ينج من اتهام أعدائه إياه بالنقص فى رجولته !

والحق أن مرد هذه التسمية لم يكن إلى ضعف فيه ولا إلى خور ، فقد كان منذ يفاعته شجاع القلب والرأى ، ولسوف يقيم الدليل فى مستقبل أيامه على أنه ماحمل القلم يوما أشجع منه ؛ وكان فى الكلية لا يهمل المران على استعمال سيفه يوماً ؛ وكان لا يرهب التحدى ، ولا يحب أن يصانع ذا غاظة أو يتواضع لذى كبرة ، وإن كان فى غير ذلك من المواقف جم الأدب مرموق الوداعة ...

وما سماه أقرانه هذا الاسم أول الأمر إلا لأنهم أساءوا فهم وداعته ورقة حاشيته ، ثم عادوا يرددونه رغبة منهم فى إغاظته وإمعانا فى إعناته ، ولا يجد الشباب عادة فى الزراية على من لا يتابعهم إلى ما يحبون من العبث واللهو الخشن أنكى من نعته بالأنوثة .

وكان مرد عفته واعتصامه بالفضيلة إلى معنى طريف يضاف إلى وازع الدين وداعى الخلق ؛ وذلك أنه كان يرى أن الشاعر الذى يعد نفسه لرسالة سامية ، ينبغى قبل كل شيء أن يكون أهلا لما يستشرف له ، ولن يكون لذلك أهلا إلا إذا سمت نفسه وخلت من الأوضار ، واتصلت فى كل متجه بالمثل الأعلى لاتتخلف قط عنه ، أو على حد تعبيره ينبغى أن يكون هو قصيدة سامية .

ولقد نجح ملتن نجاحا عظيما فى ضبط نفسه وكبح جماحها ، على الرغم من توقد عاطفته وشاعرية روحه ، وتفهمه أسرار الجمال ، وتفطنه إلى موطن الفتنة فى دنيا الطبيعة وفى دنيا الناس ، هذا إلى ما اتصف به من فراهة الجمال وروعة الشباب ؛ ولذلك فأن سيطرته على نفسه مع هذا أعظم من أن تكون نجاحا ، فأنها تشبه أن تكون معجزة .

وحق لهذا الشاب أن يفخر بقهر نفسه ، أو على الأصح بقهر شهوات نفسه ، فقد أطلق نفسه على سجيتها بعد إذ جنبها مزالق الضلال ومهاوى الفتنة لتنطلق حرة فى مسارح الجمال ومواطن الرأى ...

وكان ملتن يؤمن بأن من يسمو بنفسه لا بد أن تواتيه قوة خارقة على التعبير عما يريد من معانى السمو ، وبقدر ما يكون من طهر نفسه يكون ما يتوافى له من البيان فيما ينهض لبلوغه من معارج القول

وإلى جانب ذلك كان ملتن كثير الذهاب بنفسه ، يعتقد أنه فوق غيره فى الذكاء والعلم ، يتداخله منذ صغره شعور قوى بتفوقه وامتيازه ، وهو نوع من الاعتداد بالنفس حرى أن يسمى الكبرياء العقلية ، جعل ملتن الشاعر الشاب يؤمن بفكرة هى تغليب العقل على العاطفة ، وهذه هى الحكمة ، ثم يأخذ نفسه من غير هوادة بما تقتضيه منه الفكرة ، فلا ينقاد لعواطفه كيما يعيش حكيما معتصما بالزهد والعفة

وإنه ليعتقد أنه خلق لعظيمة من العظائم فى دنيا الشعر ، وأن الزمن يهيئه فيعزله عن الناس ويرفعه فوقهم درجات ليتسنى له أن يأتى بما لا يستطيعون أن يأتوا به ، وكأن ولوعه بالأدب وشغفه بالبيان واستمساكه بالفضيلة ، كل ذلك إرهاص يكون بعده الإعجاز !

ولم تصرف ملتن عنايته بالأدب والشعر عما فرضت عليه الكلية من دروس . كذلك لم تصرفه عنها كراهته إياها ودعوته القائمين بالأمر إلى إصلاحها ، وتوجيه المطاعن إليها ، فهى أمر لا بد منه إذا شاء أن يظفر بالأجازة الجامعية ؛ وهو منذ صغره دؤوب على العمل صبور جليد ، فما ينوء اليوم بأن يجمع بين دروسه الرسمية ومتعة نفسه من الأدب والشعر وغيرهما مما لا يدخل فى محيط الدروس المقررة .

ويشهد أكثر القائمين على أمر الكلية أنه طالب مجد فى عمله ، نشط فى طلب المزيد من العلم ، يحب أن يحيط بما يدرس إحاطة تامة ، ولولا نزعته الاستقلالية ونفوره من القيود ورغبته أن يختار الوقت الذى يحب لينجز ما كلف من عمل ، ما شكا منه أحد ، ولا كان بينه وبين تشابل عريفه الأول ما كان من شحناء وتنابذ .

ولم يتخلف ملتن عن أقرانه على الرغم من فترة إبعاده عن الكلية ، فحصل عند نهاية الأجل المقرر للدراسة الأولى على درجته العلمية الأولى ، وكان اللاهوت هو العلم الأساسى الذى اختار من أول الأمر أن يمتحن فيه ، ويحصل على درجته ، فدرسه ودرس ما يتصل به أو يتفرع منه من معرفة .

ولئن درس اللاهوت على عسره دراسة جد ، واستوعب ما يحيط به ، فإن قلبه كان يجد العزاء فى مجال آخر محبب إليه ، وأى مجال أحب إليه من الشعر وأنغامه وأحلامه ؟ وهل يشغله عنه شاغل مهما جل ، وهو من افتتن به وظن أنه خلق له منذ سن العاشرة ؟ لذلك كان يعمد إلى قيثارته يغنى عليها أناشيده كلما نفض من اللاهوت يده !

فنى أول سنة له فى الكلية ، وقد دخل فى سنته الثامنة عشرة ، نظم الفتى باللاتينية — أول ما نظم — قصائد ست ، ثم نظم واحدة بالإنجليزية ، ولعله اختار اللاتينية لأنها لغة أوفيد ، وهو به متعلق مشغوف منذ صغره ؛ وكانت معظم أشعاره اللاتينية مراثى فى مناسبات على نحو ما يفعل عادة من يستطيع النظم من الطلاب ؛ ولكن طموح ملتن وثقته فى نفسه ألقيا فى روعه أنه شاعر حقاً ، وأنه لا يتكلف النظم كما يتكلفه غيره ، وأنه ما يسطر على القرطاس شيئاً إلا استحق أن يعيش وأن يشيع فى الأدباء ! ولكن الذين كتبوا تاريخ حياته ، ممن لهم علم باللاتينية ، يرون التقليد فى هذه الباكورة يغلب على الأصالة . وكان ملتن يقلد أوفيد ، وقد اتجه بقلبه وخياله إليه ، كما يصنع الأفراخ النواهض من الشعراء أن يتأثر كل منهم فى صدر شبابه بواحد ممن حلقوا قبلهم فى سماء الشعر !

وكانت القصيدة الإنجليزية كذلك مرثية بكى بها الشاعر الشاب طفلة من ذوى قرباه ، وعنوانها « فى موت طفلة جميلة أودت بها سعلة » . ونلمس فى هذه المرثية خصائص ملتن الأولى فى الشعر : فموسيقاه حلوة ، وألفاظه تنساب فى يسر وإشراق ، وإن لها فى السمع لجرساً ساحراً جميلا ... وهو كثير الإشارة إلى الميثولوجيا الإغريقية والمسيحية ، يكثر من ذكر الآلهة ؛ وهو يأتى بالصفة تتداعى بها إلى الذهن المعانى المتصلة بما يصف فى قوة ومهارة ، فتوحى بذلك الأبيات القليلة معانى كثيرة ، بل لقد يجعل للكلمة الواحدة معنى واسعاً بما يسبقها أو يلحقها به من الكلام ، فيرمز للموت هنا مثلا بالشتاء ، وقد ناجى الطفلة فى مستهل القصيدة باسم زهرة من أشهر زهرات الربيع يكفى النطق بها لتذكر الأنفس الربيع وموسمه الحافل؛ ثم يعود فيتحدث عن الطفلة كأنها ملاك عاد إلى أفقه ، وقد اتخذ صورة الإنسان لحظة ، ليُرى الناس كيف يحتقرون هذه الأرض ، وكيف تهفو إلى السماوات أرواحهم ، ويسأل أمها تبعاً لذلك ألا تحزن ، فما فقدت شيئاً ... !

وبعد ذلك بسنتين ينظم باللاتينية أولى غرامياته ، وفيها يذكر أن عينيه وقعتا فى سرب من حسان لندن على فتاة استأثرت بلبه ونفذت نظرتها إلى أعماق قلبه ... فتاة هى فينوس حسناً وشكلا ... وسرعان ما جرحه كيوبيد بها فى ألف موضع من جسمه ... ثم غابت عن بصره وتولت وقد شغفته حباً... فأحس كأنه يحترق وكأن اللهب يحتويه ... ولم يرها بعد ذلك أبداً ، وأصبح بعدها كغيره من العشاق ينعم بشقاء حلو !

وأردف هذه القصيدة بأخرى لاتينية غرامية كذلك يصف فيها الحب ، ولا يشير فيها إلى موقف بعينه كما فعل فى سالفتها ، ولكن ... إلى الهوى وأسقامه وأحلامه ...

ويحرص ملتن دائماً أن يسمو بحبه ، فما تنم كلماته ولا إشاراته عما يستهجن من قول أو فعل ، وما يصدر عن مثله إلا كل سام نبيل ، وقد جعل سمو النفس وطهرها كما رأينا وسيلة إلى سمو التعبير ؛ على أنه يفصح أحياناً عما يظهره أنه يحس شيئاً من المرح إذ يصف هيام الحب وأحلامه ومتعه ؛ ولعله أراد بذلك أن يوحى إلى لداته أنه يتخفف من تزمته ، أو مما يأخذونه على أنه تزمت منه ، وما هو فيما يرى إلا التوقر والاحتشام والجد ؛ ولقد أشار فى بعض خطبه إلى شىء من هذا ، فجهر بأنه اليوم يحبذ المرح والسرور ، وإن كان قصير الباع فى التندر والفكاهة ؛ ولعله كذلك يجد فى هذا المرح الذى يصفُ والذى يحبذ ، وفى هذا الحب الذى يصوغ ألحانه ؛ ما يرد به على من أطلقوا عليه ذلك الإسم السخيف الذى ضايقه بعض الثقلاء به !

(يتبع) الخفيف

فلسطينيات :

أولجـــا رومانوف

للأستاذ نجاتي صـــدقي

يعرفها الناس باسم « السيدة المسكوبية » ، وهي تجيد خمس لغات أوربية ، كما أنها تتحدث قليلا بالعربية العامية ، ويعجبها أن تعرب عن أفكارها أحياناً باللفظ العربي الفصيح فتقول مثلا: « يغلب على ظني أن الأمر كذا وكذا » و « ثق يا عزيزي بأنني متمسكة برأيي » ، و « أجل » ، و « ربما » ...

والسيدة المسكوبية هذه تقع في حدود الخمسين من عمرها ، قصيرة القامة ، نحيفة الجسم ، عظيمة الهيئة ، مجعدة الوجه ، غائرة العينين ، مصفرة الأسنان ، وبعضها قد نخره السوس ، لكنها تحتفظ بشعر أشقر طويل تضفره وتعقده حول رأسها ، وهي تحاول دائماً أن تكون ضحوكا لعوباً ، ميالة إلى تقليد الفتيات اليافعات الطارقات حديثاً أبواب الحياة...

وتسكن هـذه السيدة في دير الأرز الواقع بين منعطفات المرحلة الثالثة من طريق الآلام في مدينة القدس القديمة ... وغرفتها على قدرها ، طولها أربعة أمتار ، وعرضها متران ، ويتألف أثاثها من سرير مفرد ، يستند إلى قوائم أربع ، إلا أن فراشه يُقبل الأرض ! وخزانة ضيقة عتيقة عرجاء ، تقف في الزاوية كما يقف المسكين مستعطياً ... ومائدة صغيرة تستعمل لكل شيء : للطبخ والأكل والزينة ، ففدت سوداء براقة لاختلاط دهانها بالزيوت التي تنساب عليها من الصحائف والملاعق ، وبساطاً «موزاييكا» حيك من مختلف الشرط البالية ، وصورة علقت على الحائط تمثل « الخضر » راكباً على فرسه وهو يلقم التنين رأس حربته ... وألبسة وقبعات نشرت على مشجب خشبي ... أما باب الغرفة ، فقد دقت فيه من الداخل مسامير صغيرة تستعمل لتعليق بعض المناشف وأوائل منزلية أخرى ... وألصقت عليه من الخارج رقعة كتب عليها : « أولجا نيقولا يفنا رومانوفا »

وتدعى السيدة المسكوبية بأنها منحدرة من آل رومانوف قياصرة الروسيا ، وأن « الدهر الخؤون » طوّح بها إلى بلاد العرب ، وأنها فقدت زوجها ، ولم تنجب منه أولاداً ؛ فتفرغت للعبادة والخدمة في الصليب الأحمر ، وهي تعتقد أن لها « صلات قدسية » مع بعض القديسين ، وبوسعها أن تكون وسيطة فيما بينهم وبين قاصديهم من طلاب الحاجات .

وللسيدة المسكوبية جيران يشفقون عليها فيمدونها بين حين وآخر بما تيسر من حواضر البيت ، وتغتنم هي الفرص في كثير من الأحايين فتقف عنـد باب غرفة جارها وتناديه ، فإن كان داخلها ورد عليها سألته :

— هل لي أن أعرف الوقت الآن ؟

وإن كان خارجها دفعت الباب صارخة :

— ما بك يا جاري ... عساك بخير ؟ فإن لم تجد في الغرفة أحداً تناولت شيئاً ، وانسحبت على عجل !

وفي أحد أيام شهر كانون الثاني (يناير) سنة ١٩٤٣ حلّ في الدير ضابط بولوني اسمه «يوزيك غروزني» سرح من الجيش لعـدم صلاحيته للخدمة العسكرية ، واستأجر غرفة في الطابق الأسفل من الدير ، وكان متاعه ما جلبه معه من الجيش من سرير عسكري وأحزمة وألبسة وأدوات أكل ...

وهنا تبدأ القصة :

فبينما كان يوزيك مستلقياً على سريره ذات مساء ، يستعرض بحرقة وألم الأيام العصيبة التي مرت به منذ أن فر من بولونيا ، حتى اشتراكه في معارك ليبيا ووقوعه جريحاً ، وإحالته إلى هذا الدير عاطلا ، إذ به يلمح امرأة تقف عند نافذة غرفته وهي تبسم له وتقول بالبولونية :

— حضرتك جارنا الجديد ؟

— نعم !

— أأنت جندي ؟

— أجل ، وسرحت لعطل في ساق

— ومن أية بلدة بولونية أنت ؟

— من لودز

— أحقاً أنت من لودز ؟ يا لغريب المصادفات ! إنني قضيت شطراً من شبابي في هذه المدينة الجميلة !

— وحضرتك ما اسمك ؟ ومن أين ؟

— أنا أولجا نيقولا يفنا رومانوفا ! (ورفعت رأسها إلى العلاء قليلا) إن الدم الأزرق يجرى فى عروقى ، دم آل رومانوف !

فانتفض يوزيك فى سريره وانتصب واقفاً وهو يحدق النظر بـ «الأميرة» المشردة ، وكان يتنابه عاملان خفيان : عامل الكره للروس ، وعامل الحاجة إلى المونة . يود أن يصرخ فى وجه «سليلة» آل رومانوف ، ويسمعها قارص الكلام فى حق أبيها وعمها والحاشية القيصرية كلها ، لكنه أحس أنه أصبح من مساكين هذا الدير ، وهو فى مسيس الحاجة إلى من يساعده ويواسيه ، وعليه أن يكون سمحاً متواضعاً ، فخرج إلى حيث تقف السيدة المسكوبية ، وقرع قدمه اليمنى بقدمه اليسرى ، وحياها بإصبعيه التحية العسكرية البولونية ، ثم انحنى على يدها وطبع عليها قبلة رشيقة !

وتوالت الزيارات فيما بعد بين يوزيك وأولجا ، فكانت هى تدعوه إلى شرب الشاى عندها ، وكان هو يشترى لها بعض الهدايا من المعاش الذى يتقاضاه من الوكالة البولونية . وهكذا توطدت أواصر الصداقة فيما بينهما ، وشعرا بالدفء إلى جانب بعضهما ... وفى ليلة كانا يتبادلان فيها أنخاب الفودكا ، فاتحها يوزيك بالزواج ، فأسبلت عينيها خجلا وتمتمت قائلة : «حقاً إنك لعفريت يا يوزيك ... أيتزوج عملاق لم يبلغ الأربعين من امرأة ضعيفة قد ناهزت الخمسين ؟!

قال : ولم لا ؟ الحب يا سيدتى لا يقر بحد للأعمار ، ولا يعترف بالسمن أو الهزال ... الحب هو تبادل العاطفة المشبوبة بين نفسين متجانستين متفاهمتين ...

قالت : أتحبنى إذن ؟

قال : فلتشهد السماء على حبى لك ... ولنشرب نخب الحب والزواج ...

ولم تمض أيام على هذا الحديث حتى عرف كل من فى الدير أن أولجا أصبحت زوجة ليوزيك ، وأنهما سعيدان فى زواجهما هذا . ومن مظاهر هذه السعادة أنهما كانا دائماً منطويان على نفسيهما فى غرفة أولجا ، يشربان الشاى نهاراً ، والفودكا ليلا ، ويدخنان ويتماجنان ويقهقهان عالياً ، ويعربدان أحياناً بصورة تقلق راحة الجيران ، إلا أن هؤلاء كانوا يتسامحون مع العروسين الجديدين ، ويغضون الطرف عما يبديانه فى الدير من طيش ناتج عن انفعالات النفس والعاطفة ...

وحدث فى منتصف الليلة الثانية من الشهر الثانى لزواج يوزيك بأولجا أن هبّ سكان الدير مذعورين على صراخ عنيف ، وقرع شديد على باب الممر المؤدى إلى الغرف ، وسمعوا أولجا تكيل السباب والشتائم ليوزيك ، فتقول له : — اذهب أيها السكير إلى غرفتك ... إننى آويتك وأحسنت إليك ... اذهب أيها المتشرد ... وكان يوزيك يجيبها : لقد سرقتنى يا فاعلة كذا وكذا ... والله لأبطشن بك ... واحتدم الجدل فيما بينهما وحطم يوزيك باب الممر ، ثم اقتحم غرفة أولجا ولكمها على عينها لكمة قوية تركت حولها هالة زرقاء ، فاستنجدت بالجيران ، ولكن أحداً منهم لم يجرؤ على التدخل ، فاستنجدت مرة أخرى بأهل الحى ، فجاءها الحراس واعتقلوا يوزيك ، واقتادوه إلى دائرة الشرطة حيث حرر الضابط المسئول محضراً ، وكانت أولجا هى المدعية والشاهدة ، فقالت فى إفادتها : «لقد حطم زوجى الأبواب وضربنى ، فاننى أطلب له أقسى درجات العقوبة» ... ولما عادت إلى بيتها وسكنت إلى نفسها أخذ ضميرها يؤنبها ، فراحت تبكى وتنتحب وتتساءل قائلة : — «رباه ! من الذى سبب لزوجى الاعتقال غيرى ؟ ... ومن الذى أسكره ، وسرقه ، وقاده إلى سطح الدير سواى ؟» .

يبدو أن الإنسان مهما انحطت أخلاقه وفسدت ، ومهما تدهور إلى مصاف الأسافل وتخبط فى حضيض الحياة ، يظل حاملا فى نفسه القليل من الكرامة ، واليسير من المعنويات ، فتراه إذا ما هزته مساوئه يثوب إلى رشده ، ولو إلى حين ، فيذكر أنه لا زال ينتمى إلى بنى الانسان ، وأن ما يقوم به من أعمال شريرة لأمر يناقض الأنظمة العامة التى اتفق عليها الناس ، يخالف الطبيعة البشرية على الجملة .

وهكذا أحست أولجا بعامل خفى يدفعها لأن تسعف يوزيك ، فعادت للتوّ إلى دائرة الشرطة وقالت للضابط المسئول : — أودّ إدخال بعض توضيحات فى إفادتى .

فقال — وما هى ؟ ...

وأيضاً، تهجم على التخطئة!

للأستاذ محمود محمد شاكر

إلى أخي البصام :

السلام عليكم ورحمة الله ، وبعد فيخيل إلى — والله أعلم — أنك رجل واسع المعرفة ، مغرًى بالتحصيل ، دقيق البصر ، تطلب الكلام وإسناده ووجهه ومكانه وضوابطه . وحسب طالب المعرفة أن يكون كمثلك .

وقد طلع على مقالك فى الرسالة ، فما أدرى والله من أى أمريك أعجب ؟ من واسع معرفتك ، أم من حسن تهديك إلى مواطن الشبهة فى كلامى . أم لعلى أعجب من استجلابك للحجة بعد الحجة فى تخطئة شىء كان الناس فى غنى وراحة عن اضطرابهم بين صوابه وخطئه ؟

ومختصر القول هو أنك تريد أن تقول إن الكتاب ينبغى أن يبدأ كما بدىء فى بعض كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكتب أصحابه بقولك : « سلام عليك » فإذا كان الختام قيل : « والسلام عليك » ، وأن من بدأ الكتاب بقوله : « السلام عليك » فقد أخطأ . أفهذا شىء من أدب الكتابة واتباع السنة وحسب ، أم هو قاعدة توجب الاتباع نحواً ولغة ورواية ، فيكون من بدأ بقوله : « السلام عليك » معرفاً فقد أخطأ فى حق النحو واللغة والرواية ؟ وكلامك كله يدل على أن البدء بالسلام المعرف خطأ من قبل النحو واللغة والرواية . أليس كذلك ؟

فإذا كان ذلك كذلك ، فقد رويت لك قول صاحب اللسان فى مادة (سلم) : « ويقال السلام عليكم ، وسلام عليكم ، وسلام بحذف عليكم » ، وهذا ولاريب قول اللغة والرواية والنحو فيما رواه لنا الرواة ، فى تحديد بدء السلام (الذى هو التحية) . هذه واحدة .

ثم ذكرت لك قول الأخفش الذى رددته على ، وقلت إنه لايعتدّ به (هكذا) ، لأنى لم أذكر مصدره الذى نقلت عنه ، وفيه تصريح بين كتصريح صاحب اللسان ، ثم زاد فأظهرنا على العلة فقال إن « سلام عليكم ، حذفت منه الزيادة (وهى الألف واللام) كما يحذف الحرف الذى هو من أصل الكلمة فى قولنا : (لم يك) . وعلة أخرى هى أنه لما كثر استعمال « السلام عليك » بالألف واللام حذفا لكثرة الاستعمال . وهذا تقرير يدل على أن اللغة

قالت : وإننى لأقر بأن زوجى لم يقصد من تحطيم الأبواب إلحاق الأذى بى ، أو العبث بحوائجى ، وإنه فعل ذلك وهو تحت تحت تأثير الخمر فقط ، وأما اللكمة التى أصابتنى منه فقد كانت عفواً ...

وبالرغم من هذا التوضيح فى الإفادة حكم على يوزيك بالسجن أسبوعين ، وفى السجن قص على زملائه قصته فقال فيما قاله :

« ... وكان من عادة زوجتى إذا ما وجدتنى ثملا أن تفتش جيوبى ، وتأخذ ما تجده فيها من مال . وحدث مرة أن قبضت معاشى وجئت البيت ، فوجدتها قد أعدت لى زجاجة كبيرة من الفودكا فأتيت عليها . ولما لعبت الخمر برأسى قالت لى : « هيا يا منى قلبى لنتنزه فى ضوء القمر ! » . فقمت أترنح مستنداً إلى ذراعها ، واقتادتنى إلى حيث أرادت . ولا أذكر كيف أفقت فوجدتنى ملقى على السطح فتفقدت معاشى فلم أجده ... فأدركت للحال أن « الأميرة » سرقتنى .

فقال أحد الساجنين : — ماذا تقول ... أميرة ؟ ...

فأجاب يوزيك : — أجل ، تدعى زوجتى أنها من سلالة آل رومانوف ! ...

فقال سجين آخر : — ومن تكون زوجتك إذن ؟

قال : — ليست زوجتى سوى امرأة مقامرة فى حياتها . فرت من روسيا إبان الحرب الأهلية ، ثم قامت بأعمال مظلمة هنا وهناك ، وتجولت بين تركيا والبلقان وعمان ! ... وها هى اليوم تبارك الناس فى النهار وتسطو على فى الليل .

ولما خرج يوزيك من السجن كانت أولجا تنتظره ، فتصالحا وتعانقا ، وعادا إلى مسكنهما سوية ، وكانت هى قد أعدت له كعكا وشايا ، فجلسا إلى المائدة ، ودار بينهما حديث عتاب . وحديث آخر عن الإنسان وحظوظه العاثرة ...

نجاتي صدقي

والنحو والرواية تجعل الأصل في السلام المبدوء به هو التعريف .

فإن شئت أن تعرف أن وقع هذا الكلام عن الأخفش فاطلبه في ص ١٥٢ ج ١ من كتاب تهذيب الأسماء واللغات للنووى وفي غيره أيضاً . هذه ثانية .

فإذا شئت أن تزداد علماً فخذ كتاب « المخصص » لابن سيده ج ١٢ ص ٣١١ واقرأ قوله : « فأما قولهم : سلام عليك ، فإنما استجازوا حذف الألف واللام منه ، والابتداء به وهو نكرة ، لأنه في معنى الدعاء ، ففيه وإن رفعت معنى المنصوب » . يريد كأنك تدعو فتقول : « سلاما » . وقوله « استجازوا » دليل على أن الأصل هو التعريف بالألف واللام في ابتداء التحية ، وأن الحذف ترخُّص منهم ، وهو شبيه بقول الأخفش . هذه ثالثة .

فإن شئت أن تضرب الأمثال لنفسك بالشعر كما ضربتها لى ، فاقرأ قول جرير فى ديوانه ص ٤٤٣ وفى النقائض ج ١ ص ٢١٢

يا أمّ ناجية السلام عليكم ... قبل الرواح وقبل لوم العذّل

هذه رابعة .

وإن شئت أن تقرأ قول لبيد فى الخزانة ج ١ ص ٢١٧ — ٢١٨ ، وفى ديوانه :

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ... ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر

فاقعل تجد قولهم أن كلمة (اسم) مقحمة ، وتقدير الكلام فيما يقول النحاة : « ثم السلام عليكما » ، وتجد أيضاً فى إحدى روايات « إلى سنة ثم السلام عليكما » . هذه سادسة .

فانظر لنفسك هل أخطأ كل هؤلاء وأصبت أنت ؟

واعلم مشكوراً أن المقام فى هذا كله مقام ابتداء لا مقام ختام مسبوق بسلام منكرٌ غير معرف .

وأما نص ابن قتيبة فهو كلام بين لا غموض فيه ، فالرجل يقول لك : « تكتب فى صدر الكتاب : سلام عليك ، وفى آخره السلام عليك » ولم يقل لك إنه ينبغى ، ولا أن القاعدة « أن تكتب فى صدر الكتاب كذا ... » ، وهو إنما ذكر هذا فى كتابه فى (باب الهجاء) لا فى باب أدب الكتابة كما ترى ، ولم يأمر الرجل ولم ينه ، ولم يقل لك إن من قال فى أول كتابه « السلام عليك » معرفاً فقد أخطأ ، كما شئت أنت تقوّله . وأما ما ذكره من أمر التعريف ، فإنه أراد أن يعلمك لِمَ عُرّف ثانيا وقد جاء منكراً وهو أول ، وكان حقه أن يأتى فى الآخر منكرا مرفوعاً كما جاء فى الأول فقال لك : « لأن الشىء إذا بدىء بذكره كان نكرة ، فإذا أعدته صار معرفة ، وكذا كل شىء . تقول : مر بنا رجل ، ثم تقول : رأيت الرجل قد رجع . فكذلك لما صرت إلى آخر الكتاب ، وقد جرى فى أوله ذكر السلام عرفته أنه ذلك السلام المتقدم » ، ويريد أن يقول إن التعريف هنا « للمعهد لا للجنس » . هذا كل ما فى كلام الرجل ، لم يوجب شيئاً ولم يمنع شيئا .

وأما الآية التى فى سورة مريم من قول عيسى عليه السلام : « والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ... » ، وما جاء من قول الزمخشرى فيها : « قيل أدخل لام التعريف لتعرفه بالذكر قبله » يعنى فى قول الله تعالى ليحيى : « وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ... » فذلك تفسير من الزمخشرى لمعنى (ال) فى قول من قال إن التعريف هنا للعهد . وأبى الزمخشرى أن يكون كذلك ، لأن العهد ههنا باطل عنده ، فالسلام المذكور فى قصة يحيى كان من قول الله سبحانه قبل مولد عيسى ، وهو آت فى أول السورة فى الآية (١٥) ، ثم مضى بعدها « واذكر فى الكتاب مريم » وذكر الله سبحانه قصتها ، حتى أفضت إلى كلام عيسى وهو فى المهد إذ قال : « والسلام على يوم ولدت ... » فى الآية (٣٣) ، فبين السلام الأول والثانى (١) انقطاع فى المدة (٢) وانقطاع فى السَّرْد (٣) واختلاف فى مبتدىء السلام وملقيه ، فالأول من الله والثانى من عيسى . هذا وسلام عيسى فى الآية الثانية المعرف فيها السلام ، ابتداء ولا ريب .

ومن أجل ذلك ذهب الزمخشرى إلى أن التعريف ههنا للجنس لا للعهد (وهذا كما ترى يخالف كل المخالفة ما أراده ابن قتيبة فى كلامه) . ثم ذكر الزمخشرى نكتة البلاغة فى التعريف فقال إن تعريف الجنس هو الصحيح لا تعريف العهد « ليكون ذلك تعريضاً باللعنة على متهمى مريم وعلى أعدائها من اليهود » . وهذا عندى تعليل ضعيف جداً من الشيخ رضى الله عنه ، وكان خليقاً به أن يصرف عنه وجهه . ولولا أنه كان مولعاً بنكت البلاغة لما وقع فى مثل ما وقع فيه . وإن شئت أن تزداد فقهاً ومعرفة بما قلت فاقرأ تفسير الشهاب الخفاجى والألوسى والقونوى وأبا حيان

وكتاب الأنموذج للرازى وتدبر ما فيها كل التدبر .

وأما قوله فى الآية الأخرى من سورة طه : « والسلام على من اتبع الهدى » إن معنى التعريف ههنا التعريض بحلول العذاب على من كذب وتولى ، فهذا جيد وحسن لقوله تعالى فى الآية التى تليها : « إنا قد أوحى إلينا أن العذاب على من كذب وتولى » . وهذا أيضاً طلب لنكت البلاغة ، وتبيان لأن التعريف ههنا للجنس . ولكن الزمخشرى لم يقل لك ، ولا غيره فيما أحسب يقول لك : إن تعريف الجنس ينبغى أبداً أن يكون متضمنا معنى التعريض بشىء كالعذاب أو الويل أو الهلاك أو سوى ذلك كله .

ولو كان ذلك كذلك أيها الصديق لكان قصر تعريف الجنس على التعريض عجباً من العجب المضحك ، فانظر إلى قولك « سلام عليك » التى كان أصلها « سلاما عليك » منصوبة بفعل محذوف ، والتى عدل بها من النصب إلى الرفع على الابتداء للدلالة على ثبات معنى السلام واستقراره ، مع بقائها فى معنى الدعاء ، فأنت إذا عرفتها تعريف الجنس فقلت « السلام عليك » اقتضت التعريض ، فعندئذ تقول لى كما قلت : « وبديهى أيها الأستاذ أنك لا تعنى بقولك (السلام عليكم) فى بدء كتابك الأول تعريضاً بأحد إذ لا حاجة إلى التعريض » .

نخذ عندئذ أختها وهى قولهم « حمد لله » التى كان أصلها « حمداً لله » منصوبة بفعل محذوف ، والتى عدل بها من النصب إلى الرفع على الابتداء للدلالة على ثبات معنى الحمد واستقراره ، مع بقائها فى معنى من معانى الشكر والدعاء . فإذا عرفتها تعريف الجنس فقلت : « الحمد لله رب العالمين » أفيقتضى ذلك تعريضاً أو توبيخاً أو تهكماً !!! ألا يكون هذا عندئذ عجباً من العجب المضحك ...

ومن أجل تعريف الجنس ما أتعب الزمخشرى نفسه فى آية مريم وفى آية طه ، وفى سورة الفاتحة من تفسير قوله : « الحمد لله » فاقرأه هناك وتدبره كل التدبر .

وأما مسألة حديث التشهد فأراك جُرْت فيها على الحق . ولقد قلت فى مقالك : « أما أهل القبلة فتشهدهم بعد الصلاة مختلف فيه ، فمنهم من يقول (سلام عليك) ومنهم من يقول (السلام عليك) » . وقبل كل شىء ، فتشهد أهل القبلة لا يكون « بعد الصلاة » وهو « من الصلاة » ومن تركه أو بدّل فيه بطلت صلاته . هذه واحدة ، وأما الثانية ، فاختلاف أهل القبلة ليس يقال كما رويتَ ، فالصحابة جميعاً والتابعون من بعدهم ، وأئمة المذاهب من عرفت منهم ومن لم تعرف ، مذهبهم تعريف السلام فى التشهد كله إلا (ابن عباس) من الصحابة ، والشافعى من أصحاب المذاهب ، فإنه ارتضى تشهد ابن عباس وآثره لأنه عنده (هو) أتم الروايات وأكملها ، ولكنه لم ينكر التعريف ، ولا استنكره المزنىّ ولا سواه من أئمة مذهبه . فلو أنت عنيت نفسك فرجعت إلى شرح البخارى كابن حجر (ج ٢ ص ٢٦١ وما بعدها) والعينى (ج ٦ ص ١٠٩ وما بعدها) لعرفت أن الصحابة والتابعين مجمعون على روايته بالتعريف فى التشهد جميعاً ، ولرأيت أن أكثر الصحابة قالوا فى حديث التشهد إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعلمهم التشهد كما يعلمهم السورة من القرآن ، ولرأيت النووى وهو من أصحاب الشافعى يقول : « قوله السلام عليك أيها النبى ، يجوز فى السلام فى الموضعين حذف اللام وإثباتها ، والإثبات أفضل » . أبعد هذا يا سيدى تطالبنى بأن أطلعك أنت « على نص يوثق به يشير إلى أنهم منذ زمن الرسول (ص) يقولون فى التشهد السلام عليك أيها النبى » ! عسى ولعل ، ولعل أهل القبلة أخطأوا جميعاً وأصبت أنت ! بما أوتيت من التدقيق والتحقيق والفحص وطلب المواثيق ! !

وأما إنكارك الحديث على ما خيّلت لك ، وأنه مما لا يستشهد به أهل اللغة والنحو ، واحتجاجك على ذلك بشىء اقتطعته من بحث فى خزانة الأدب ج ١ ص ٦ ، ولم تتمه على وجهه بالتدقيق والتحقيق والفحص وطلب المواثيق كدأبك وعلى عادتك ، فهذا باب وحده لو ارتطمت فيه لم تعرف مخرجك منه . وما الذى ألجأك إلى هذا أيها العزيز ؟ ألأنى أتيتك بحديث المسند ج ٤ ص٤٣٩ وفيه النص على أن المسلمين كانوا يبدأون التحية بقولهم « السلام عليك » ؟

والحديث الصحيح الذى استخلصه رواتنا رضى الله عنهم ، فنفوا عنه كذب الكاذبين ، وتحريف النالين ، وانتحال المبطلين حجة فى اللغة والنحو ، ولو زعم لك زاعم أنه لا يكون حجة فى اللغة ولا فى النحو فاعلم أنه مبطل ، وأنه غافل لا يدرى ما يقول . ولو رجعت إلى الخزانة التى نقلت عنها (وحسبك ولا أزيدك) علمت أن صاحبك نقل الذى نقلت لى فى كلامك ، وأنه رجل عالم طالبُ حق لا مغرور بباطل ، فقد ذكر وجوه اعتراض المبطلين فى الاحتجاج بالحديث ثم نقضها حجة حجة ، وصرح

بأن تدوين الأحاديث وضبطها وقع فى الصدر الأول من الاسلام قبل أن تفسد اللغة وترتضخ الألسنة بالمكنة الأعجمية ، كما يعلم ذلك من درس تاريخ رواية الحديث وتدوينه حقّ دراسته ، ثم صرح فى آخر كلامه بأن لا فرق بين جميع روايات الحديث مهما اختلفت ألفاظها ، فى صحة الاستدلال بها فى اللغة والنحو . وكنت حقيقاً أن تقرأ كلَّ هذا قراءة طالب العلم ، فلا تسألنى أن أغلق باب الاستشهاد بالحديث ، من أجل كلمات رويتها لم تحسن وضعها فى مواضعها .

وإلا فحدثنى أيها العزيز لم ترى علماء اللغة ، كصاحب اللسان ، وابن الأثير ، والزمخشرى صاحبك وصاحب كتاب الفائق ، وسواهم ممن عرفت ومن لم تعرف — يملأون كتبهم استشهاداً بالحديث على معانٍ لم توجد فى غير الحديث ، ولو طلبت لها شاهداً من الشعر أو غيره لم تجد . فإما أن يكونوا هم المبطلين ، وإما أن تكون أنت على حق ، فنبطل من أجلك نصف اللغة ونصف النحو وأشياء أخرى كثيرة .

ثم انظر إلىّ أيها الصديق ! ألست أنت الذى تقول هذا ، وتقول لى أيضاً فى صدر من كلامك معلّما ومنبّها ومقرعاً إنه « فاتنى أن الحديث لا يستشهد به أهل اللغة والنحو » . هو أنت أنت الذى لم يلبث فى آخر كلامه أن يأتى بشىء يناقض هذا كل المناقضة ، فنقلت كتاب رسول الله إلى المقوقس ، وهو من الحديث ومما رواه المحدثون ، وكتابه إلى كسرى ، وهو من الحديث ، وكتاب أبى بكر إلى المرتدين ، وهو من رواية أهل الحديث ، ثم أردفت ذلك بقولك : « ومعلوم أن هذه الكتب مُدَوَّنة ويستشهد بها اللغويون والنحاة » ؟! ياعجبا كل العجب ! فمن الذى روى لك هذه الكتب ؟ أليسوا هم الذين رووا لك الحديث ، وحديث التشهد ، وحديث السلام فى السند ؟ وأين دوّنت هذه الكتب إلا فى الكتب التى دوّن فيها الحديث ؟ وما فرق ما بين تدوين الحديث وتدوين هذه الكتب ؟

وإن كنت قد ارتضيت هذه « الكتب المدونة » حجة يوثق بها ، فخذ كتاب الزمخشرىّ صاحبك ، وهو المسمى بالفائق ج ٢ ص ٣ ، واقرأ فيه وفى غيره أيضاً : « من محمد رسول الله إلى بنى نهد بن زيد . السلام على من آمن بالله ورسوله ... » إلى آخر الكتاب ، ولم يعترض الزمخشرى أيضاً على هذا البدء ، ولم يقل إنه خطأ فى اللغة ولا فى النحو .

ثم خذ صاحبك الطبرى ج ٣ ص ١٥٦ الذى نقلت منه كتاب رسول الله إلى المقوقس ، وكتاب أبى بكر ، وصاحبك « كتاب صبح الأعشى » ج ٦ ص ٤٦٥ ، الذى نقلت عنه كتاب الرسول إلى كسرى ، ثم اقرأ هداك الله : « لمحمد النبى رسول الله صلى الله عليه وسلم من خالد بن الوليد . السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ... » إلى آخر الكتاب .

فهل قنعت أيها العزيز بما سقت إليك ؟ وأمحضك النصح أن لا تتبع تلك الناجمة التى نجمتْ بين أهل اللغة تريد أن تتبجح بالعلم والمعرفة والفقه ، فتأتى صواب الناس ترميه بالخطأ على الشك والتوهم وسوء التأويل وفساد الفهم . واعلم أن العربية تعلّم العقل ، فمن شاء أن يطلبها بحقها فليصبر عليها صبر المؤمن . وأنت امرؤ فيك خير فلا تضيع ما آتاك الله بالعجلة والتسرّع ، فتثبت قبل أن تحكم ، وتدبر قبل أن تقطع ، واستقص قبل أن تستوثق ، وانظر لنفسك قبل أن تزلّ بك قدمٌ ، واعلم أن شرّ أخلاق الناس اللجاجة ، وشرُّ اللجاجة لجاجة العالم ، وشر لجاجة العالم لجاجته فيما لا يعلم أو فيما لا يحسنُ ، وأن نصف العلم قول المرء فيما لايدرى لست أدرى . فالفهمَ الفَهْمَ فيما تلجلج فى صدرك ، هداك الله وأعانك وسدّد خطاكَ . والسلام عليك ورحمة الله .

محمود محمد شاكر

من مذكراتي في أمس القريب :

حول إنعـــام ...

للأستاذ فؤاد صروف

في ٢٦ أبريل ١٩٤٥ :

شرف الملك أمس حفلة افتتاح معمل المصل الجديد ، وأنعم على الدكتور شوشه برتبة باشا . فنعم المنعِم ونعم المنعَم عليه ...

وقد كنت منذ سنوات في مجلس أديب كبير ، فدار الحديث على الرتب والأوسمة . وكان أغلب الرأي بين المتحدثين أن تُلغى الرتب كما فعلت العراق وسوريا ولبنان ، ولكن الكبير قال : إذا ألغيناها فكيف نستطيع أن نميز الرجل الذي يستحق التقدير والتمييز لما يسديه من خدمة إلى الدولة ، أو لما يتفوق فيه على الأقران من علم أو أدب أو فضل ؟ وكانت الكلمات الأخيرة في السؤال لا تزال تضطرب على شفتي السائل ، حين دخلت المجلس سيدة ذكية حصيفة ، فوجه السؤال إليها ، فقالت دون أن تتردد لحظة واحدة : حسبه تقدير النخبة من المثقفين . فكان قولها فصل الخطاب .

والدكتور شوشه ، ظفر أمس بعد إنعام الملك السامي ، بالحسنيين : تقدير الملك المتمثل في رتبة عالية ، وتقدير النخبة من المثقفين ، الذين عرفوه فأنزلوه من تقديرهم في المنزلة العالية .

وحين قرأت ذكر الدكتور على توفيق شوشه أمس ، تزاحمت الخواطر على ذهني ، فقد عرفته أول ما عرفته ، حين كان وكيلا لمعامل الصحة مديراً لها . فكان يومئذ مكباً على البحث العلمي الأصيل ، مستغرقاً فيه دون أن ينصرف عن شئون الإدارة . ولم يكن بحثه بحثاً في فراغ — على ما يقول علماء الطبيعة ، بل كان بحثاً في مشكلة معينة ، لها صلة بالإنسانية التي تتعذب ، وبالإنسانية المصرية على وجه خاص . فقد كان همه أن يكشف سبيلا لمكافحة سم العقرب الذي يكثر المصابون به في مصر . وقد فعل .

ثم عرفته محاضراً مجيداً بالإنجليزية والعربية ، وقد قيل لي إنه أحسن محاضر بالألمانية ، ولكنني لا أعرفها . وعرفته زميلا محترم الرأي في المجمع المصري للثقافة العلمية ، وكنت سكرتير المجمع حين تولى رئاسته . فتجلى لي في كل هذا رجلا آخر : فهو رجل ليس واسع العلم دقيق البحث وحسب ، بل يستطيع أيضاً أن يبسط العلم وينقله من لغة إلى لغة نقلا بارعاً ، تعلو عبارته العلمية الدقيقة سمةٌ من طرافة الأدب . وقد أتيح لي أن أنشر في المقتطف ، وفي كتب المجمع السنوية ، نصوص أربع من محاضراته في الغازات الحربية ، وسيرة كوخ وأعماله ، والمعركة اليومية في الجسم البشري ، وتقدم الطب خلال خمسين سنة . وكان لابد من أن أديم النظر فيها عند تصحيح التجارب ، وكنت أتوسل بتلك التجارب لكي أذهب إليه في المعامل لأظفر بشيئين : أن أخصها معه فأضمن دقتها ، وأن أستمتع بتعليقه عليها وعلى ما فيها من وجوه التعبير . فتعلمت في خلال هذه الساعات التي كنت أسترقها من وقته ، بين إدارة المعامل وبحثه العلمي الأصيل ، أن أقدر أسلوبه البارع في تقريب العلم ، وحسه اللغوي الدقيق في التعبير عن المعاني العلمية ومصطلحاتها ، قديمها وجديدها على السواء .

ثم عين وكيلا لوزارة الصحة ، وكأن السنين الطويلة التي قضاها في تحصيل العلم وممارسة بحوثه الأصيلة ، وإعداد المحاضرات لتقريب معانيه وإلقائها ، وما علمه بالتجربة من حاجة مصر إلى الإصلاح الصحي من وجوهه الكثيرة ، وما فطر عليه من حب الخير والعمل — قد احتشدت جميعاً ، لتكون الأساس لمشروعات الصحة المتعددة التي وضعها أو محصها مع الوزراء الذين تولوا الوزارة ، والمتخصصين من رجال الوزارة ورجال كلية الطب ، فصح فيه يومئذ ذلك القول المأثور: « هذا المنصب لهذا الرجل » .

هذه المعاني الثلاثة : البحث العلمي الأصيل الذي يحول بعض المجهول معلوماً — والمحاضرة العلمية المثقفة التي تجعل بعيد معاني العلم دانياً منقاداً ، وتطبيق قواعد العلم وأغراض العلم في أعمال الحكومة والإدارة لتحقيق خير الشعب — هي التي تألقت في ذهني حين علمت بأن جلالة الملك تفضل فخصه بإنعام سام ، كان إنعاماً على العلم والعمل النافع جميعاً .

وهذه المعاني الثلاثة تقرر حقيقة ، وترسم دستوراً لجميع العاملين . أما الحقيقة ، فسطورة في سجل خدمته ، وأما الدستور فركن من الخطة العظيمة التي لا بد لمصر من أن تختطها — منذ اليوم بل منذ الساعة ، لكي تعد نفسها لمواجهة مشكلات الغد وحلها ، حتى تستطيع أن تقيم في هذا الوادي عالماً أفضل من

عالم أمس الغابر، عالماً يقوم على الوفر دون العوز، وعلى الصحة دون السقم، وعلى العلم دون الجهل، وعلى أخلاق الرجال.

وفي وضع هذه الخطة وإنفاذها، لابد لنا من أن نربي العلماء الذين يتولون العلم ببحوثهم الأصيلة. ولست في حاجة إلى إقامة الدليل على أن العلم قوة، وينبغي أن نطلبه ولو في الصين. فليس ثمة ناحية من نواحي حياة الفرد أو المجتمع لم يتغلغل فيها العلم فرفع من شأنها وأصلح من أمرها: الزراعة والصناعة والغذاء والصحة والمواصلات والمخاطبات. وكثير مما أنجبه العلماء في سائر بلاد الناس، يصلح لنا فيصح أن نتعمق فيه ونتدرب عليه ثم نتخذه في ما يصلح له من شئوننا: ولكننا نجد في بيئتنا مشكلات خاصة، لا يصلح لبحثها أو حلها إلا علماؤنا. وهم ماضون في ذلك بحمد الله، ولكن عددهم يجب أن يزداد أضعافا. وتأييدهم من الحكومة والشعب يجب أن يستفيض في الميزانية، وعلى ألسنة الناس وفي مجالسهم وصحفهم، وصلتهم بالصناعة المصرية ينبغي أن تتوثق. وحبذا لو طالع القراء الكتب السنوية التي أصدرها المجمع المصري للثقافة العلمية — هذا المجمع الذي كان الدكتور شوشه أحد مؤسسيه، ثم أحد رؤسائه — إذن لوجدوا في مئات من الصفحات، في خمسة عشر مجلداً نفيسا أو تزيد، عشرات من المسائل القومية في الزراعة والصناعة وتوليد الطاقة، وحفظ التربة، وكفاح المرض، وتجويد الغذاء وتحسين الصحة العامة لا يصلح لبحثها وحلها إلا الأكفاء من المصريين، الذين جرى حب البلاد والشعب في عروقهم، وتدربوا على البحث العلمي الأصيل. وما خَبَرية الدكتور شوشه وسم العقرب، ومرشحات الماء في المنازل الريفية والقرى الصغيرة والمتوسطة التي أخرجها منذ سنوات، سوى مثلين وحسب.

أما تبسيط العلم وتقريب معانيه البعيدة، وبث روحه العالية في جماعات الناس التي لم تظفر لسبب من الأسباب بالقسط الذي تتوق إليه منه، فقد أصبح لزاما في هذا العصر الذي اتسع فيه نطاق المعرفة اتساعا لا عهد لنا بمثله في عصر سابق من عصور التاريخ. فكل علم من العلوم القديمة قد نما واتسع نطاقا وتشعب فروعا، فتولدت منه علوم جديدة كل منها أدق من سابقه معنى وأشد عناية بالتفاصيل، فهو لذلك أشق على الحصر والإحاطة به. فقد كشف المنظار عن كواكب ونظم منظومة من النجوم والسدم يتعذر على عقل واحد أن يلم بها جميعا، وأصبح رجال الجولوجيا يذكرون ألوف الملايين من السنين، على حين كان رجال العصور السابقة لا يذكرون إلا الألوف، وأماط علم الطبيعة اللثام عن كون منتظم في الذرة، والبيولوجيا عن كائن حي في الخلية. وأبان علم وظائف الأعضاء طائفة يتعذر حصرها من أسرار الأعضاء، وأثبت علم النفس وجود عوالم وعوالم من الفكر والشعور في كل حلم، وجاء رجال علم الإنسان فوصفوا لنا صورة عجيبة عن قدم الإنسان على سطح الأرض، وجاراهم رجال الآثار فأخرجوا من جوف الأرض مدناً وحضارات، وتبعت ذلك المخترعات العجيبة التي يسرت أساليب الحياة، ولكنها خلقت طائفة كبيرة من المشكلات الاقتصادية والاجتماعية تكاد تستعصي على الحل.

وفي هذا كله روعة تأخذ بمجامع النفس، ولكن يكمن فيه خطر لا بد من تبيينه والتحذير منه. فالتخصص يزداد على الزمن تعمقا في شئون لا يدركها المثقف من أوساط الناس، والمثقف الوسط يتسع نطاق ما يعرفه، ويضيق نطاق ما يفهمه. ولما انقسمت المعرفة على هذا النحو عجزت عن توليد الحكمة، وصار لكل علم، ولكل فرع من علم ألفاظ خاصة لا يفهمها إلا المتخصصون. وصار زعماء معظم الأبحاث عاجزين عن وصف ما يكشفون بلغة الناس.

ومن هنا اشتدت الحاجة إلى المعلم الذي يستطيع أن يُفهم الشعب ما يفعله المتخصص أو يكشفه، فمهمته أن يتعلم لغة المتخصص، كما تعلم المتخصص لغة الطبيعة، ثم يحطم الحاجز اللغوي القائم بين المتخصص والأمة، أو الحاجز اللغوي بين لغة ولغة أو كليهما، كما هي الحال عندنا الآن.

ومن آيات التوفيق في كفاح هذا الخطر، أن قام في الغرب علماء وهبوا هذه القدرة التي نطلبها في هذا الطراز من المعلم المثقف. والدكتور شوشه مثال بيننا لما أسداه أولئك العلماء إلى قومهم. فعلمه الواسع الدقيق يمده بالقدرة على الغوص على المعاني البعيدة في العلوم التي توفر عليها، وخياله الخصب يمهد له تصوير تلك المعاني صورا شائقة قريبة، وحسه اللغوي الأدبي يمكن له إفراغها في عبارات ناصعة عربية وبيان عال. والقوى الثلاث تضبط إحداها الأخرى: فالعلم يضبط الخيال فلا يشذ، ويمسك القلم فلا يغرق، وإذا العبارة القصيرة، أو المحاضرة الطويلة، آية في الوضوح والرواء والإحكام.

(البقية في صفحة ٣٤٠)

من الأغانى العالمية :

حنين الغريب

[لناظمها فوستر]

بقلم الأستاذ كامل كيلانى

ذكرنا فى العدد ٦١٤ من الرسالة أن جمعية مصرية ألفت لتعريب الموسيقى العالمية قوامها الأساتذة على مصطفى مشرفة باشا وكامل كيلانى ومحمد زكى على وإسماعيل راتب وعلى بدوى ، وأنها اختارت عشر أغان لعباقرة الموسيقى فنقلها نظماً إلى اللغة العربية الأستاذ كيلانى ، ثم نشرتها على الناس منظومة مدونة . ونزيد اليوم أن الجمعية لا تزال دائبة على تنفيذ هذا المشروع العظيم ، وأنها على وشك أن تخرج للناس مجموعة أخرى من هذه الأغانى . ويسرنا أن ننشر منها هذه الأغنية الجميلة لتكون لمشاق هذه الفكرة ومرتقبيها عجالة لهفان وعلالة مشوق .

يانهر سُوَانى[1] : نفسى تهواكْ قلبى حيَّاكْ
من كلِّ أرضٍ فكرى يرعاكْ قلبي يهْوَى نجْواكْ
فى التلِّ العالى فوق الوديانْ أمشِى حيْرانْ
فى الروضِ الخالِى تحتَ الأفْنانْ تقْتُلنى الأحزانْ
يا صِحابى : يا رفاق : بلِّغُوا السَّلامْ
يافؤادى: كمْ تُلاقى من لاعِجِ السَّقامْ

يا عَهْدَ الوادى ، يا عَهْدَ النُّورْ عَهْدَ صِباىْ
أجْرى وأُغَنِّى وأدُورْ وأناجِى ليْلاىْ

يا عَهْدًا وَلَّى والدَّهْرُ سَعِيدْ حُلْوُ التغريدْ
ترعانى أُمِّى ، والعيْشُ رَغِيدْ أتَراهُ يعُودْ !
يا صِحابى يا رِفاق : بلِّغُوا السَّلامْ
يا فؤادى كمْ تُلاقى من لاعِجِ السَّقامْ

أوطانِي فِيها كُوخٌ أرْعَاهُ أنا لا أنْساهْ
كم تَشكوى قلبى حُزْنًا ذِكراهْ سَحَرتْنى رُبَاهْ

والنَّخْلُ تجْنِى النُّورَ البَسَّامْ بيْنَ الأكَامْ
أفْدِى بحَيَاتِى تلكَ الأيَّامْ أفْدِى عَهْدَ الأحْلامْ
يا صِحابى يا رِفاق : بلِّغُوا السَّلامْ
يا فؤادى كمْ تُلاقى مِنْ لاعِجِ السَّقامْ

---

(١) نهر بجنوب أمريكا .

ليتنى ... !

للمرحوم أبى القاسم الشابى

«أيها الشعب ليتنى كنت حطّا با فأهوى على الجذوع بفأسى
ليتنى كنت كالسيول إذا سا لت تهد القبور رمسا برمس
ليتنى كنت كالرياح فأطوى كل ما يخنق الزهور بنحسى
ليتنى كنت كالشتاء أغشّى كل ما أذبل الخريف بقرسى
ليت لى قوة العواصف ياشعـ ـبى فألقى إليك ثورة نفسى
ليت لى قوة الأعاصير لكن أنت حى تقضى الحياة برمس
أنت روح غبية تكره النو ر وتقضى الدهور فى ليل ملس
أنت لا تدرك الحقائق إن طا فت حواليك دون مس وجس
فى صباح الحياة ضمخت أكوا بى وأترعتها بخمرة نفسى
ثم قدمتها إليك فأهرقـ ـت رحيقى ودست ياشعب كأسى
فتألمت ثم أسكتُّ آلا
مى وكفكفت من شعورى وحسى
ثم نضدت من أزاهير قلبى باقة لم يمسها أى إنسى
ثم قدمتها إليك فمزقـ ـت ورودى ودستها أى دوس
ثم ألبستنى من الحزن ثوباً وبشوك الصخور توجت رأسى
ها أنا ذاهب إلى الغاب ياشعـ
ـبى لأقضى الحياة وحدى بيأسى
ها أنا ذاهب إلى الغاب علّى فى صميم الغابات أدفن نفسى
ثم أنساك ما استطعت فما أنـ ـت بأهل لخمرتى ولكأسى
سوف أتلو على الطيور أناشيـ ـدى وأفضى لها بأحزان نفسى
فهى تدرى معنى الحياة وتدرى أن مجد النفوس يقظة حس
ثم أقضى هناك فى ظلمة الليـ ـل وألقى إلى الوجود بيأسى
ثم تحت الصنوبر الناضر الحلـ ـو تخط السيول حفرة رمسى
وتظل الطيور تلغو على قبـ ـرى ويشدو النسيم فوقى بهمس
وتظل الفصول تمشى حوالىّ كما كن فى غضارة أمس
أيها الشعب أنت طفل صغير لاعب بالتراب والليل مغس
أنت فى الكون قوة لم تسسها فكرة عبقرية ذات بأس
أنت فى الكون قوة كبلتها ظلمات العصور من أمس أمس

والشقى الشقى من كان مثلى ... فى حساسيتى ورقة نفسى »

* * *

هكذا قال شاعر ناول الشعـ ... ـب رحيق الحياة فى خير كأس
فأشاحوا عنها ومروا غضابا ... واستخفوا به وقالوا بيأس :
قد أضاع الحياة فى ملعب الجن ... فيا بؤســـه أصيب بمس
طالما خاطب العواصف فى الليـ ... ـل وناجى الأموات فى كل رمس
طالما رافق الظلام إلى الغا ... ب ونادى الأرواح من كل جنس
طالما حدث الشياطين فى الوا ... دى وغنى مع الرياح بجرس
إنه ســـاحر تعلمه السحـ ... ـرَ الشياطين كل مطلع شمس
أبعدوا الكافر الخبيث عن الهيـ ... ـكل إن الخبيث منبع رجس
اطردوه ولا تصيخوا إليــه ... فهو روح شريرة ذات نحس

* * *

هـكذا قال شاعر فيلسوف ... عاش فى شعبه الغبى بتعس
جهـل الناس روحه وأغانيـ ... ـها فساموا شعوره سوء بخس
فهو فى مذهب الحياة نبى ... وهو فى شعبه مصاب بمس
هـكذا قال ثم سار إلى الغا ... ب ليحيا حياة شعر وقدس
وبعيدا هناك فى معبد الغا ... ب الذى لا يظله أى بؤس
فى ظلال الصنوبر الحلو والزيـ ... ـتون يقضى الحياة حرسا بحرس
فى الصباح الجميل يشدو مع الطيـ ... ـر ويمشى فى نشوة المتحسى
نافخا نايه حواليه تهتز ... ورود الربيع من كل قنس
شعره مرسل تداعبه الريـ ... ـح على منكبيه مثل الدمقس
والطيور الطراب تشدو حواليـ ... ـه وتلغو فى السرو من كل جنس
وتراه عند الأصيل لدى الجد ... ول يرنو للطائر المتحسى
أو يغنى بين الصنوبر أو ير ... نو إلى سدفة الظلام المبسِّى
فإذا أقبل الظلام وأمست ... ظلمات الوجود فى الكون تقسى
كان فى كوخه الجميل مقيما ... يسأل الكون فى خشوع وهمس
عن مصب الحياة أين مداه ... وصميم الوجود أيان يرسى
وعبير الورود فى كل واد ... ونشيد الطيور ساعة تمسى
وهزيم الرياح فى كل فج ... ورسوم الحياة من أمس أمس
وأغانى الرعاة أين يواريـ ... ـها سكون الدجى وأيان تمسى؟
هكذا يعرف الحياة ويفنى ... حلقات السنين حرسا بحرس
يا لها من معيشة فى صميم الـ ... ـغاب تضحى بين الطيور وتمسى
يا لها من معيشة لم تدنسـ ... ـها نفوس الورى بخبث ورجس
يا لها من معيشة هى فى الكو ... ن حياة غريبة ذات قدس

أبو القاسم الشابى

حول إنعام . .

(بقية المنشور فى صفحة ٣٣٨)

وهذه مهمة شاقة كالصبابة لا يعرفها إلا من يعانيها ، ولولا العمل العظيم الذى يضطلع به الدكتور شوشة فى وزارة الصحة ، وما لمشروعاتها من أثر خطير فى مستقبل الشعب المصرى ، لكنت رجوته ، ولكنت أحث الحكومة ، على أن ينقطع للمحاضرة فى الموضوعات التى توفر عليها وشغف بها .

ولكن العمل الذى يضطلع به فى الحكومة ينزل فى الصميم من مستقبلنا . فصحة الشعب ، من أى النواحى أتيتها ، هى والأرض رأس مالنا الأول ، وواجب محتوم على كل قادر أن يشارك فى دراسة المشكلات واقتراح حلول لها والعمل عملا جادًّا متصلا على تنفيذها . وقد مضت سنون على الدكتور شوشه ، وهذه الناحية من حياة مصر فى المركز من عنايته ، وقد طالما سمعته يتحدث فيها مع زملائه حين كانت وزارة الصحة وكالة ، ثم فى وزارة الصحة وكلية الطب ومعهد الأبحاث وغيرها من الهيئات .

وما قطعه هو وزملاؤه . ليس إلا مرحلة قصيرة من طريق وعر ، فى حرب تُشن على الجهل والمرض والفاقة ، وستظل أرحاؤها تدور ؛ حتى تصبح الكنانة جنة على الأرض .

فؤاد صروف



كليتان تتنافسان :

بين كلية اللغة العربية وكلية دار العلوم تنافس طال أمده ، وكنا نحب أن يكون هذا التنافس بينهما فى ميدان التجديد الذى مات بموت الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده ، ولكنهما يتنافسان على وظائف التدريس فى المدارس الأميرية ، وفى دخول معهد التربية ، وما كان يصح أن يكون بينهما تنافس على ذلك ، لأن المدارس الأميرية بعد أخذ الحكومة فى تعميم التعليم الابتدائى وتوسيع التعليم الثانوى ستسع أبناء الكليتين ، وربما تحتاج الحكومة إلى كلية أخرى من نوعهما ، ويجب أن يعلم أبناء الكليتين أنه يوجد كلية آداب بجامعة فؤاد وكلية آداب بجامعة فاروق ، كما يوجد بهما كليتان للطب وغيره ، وليس بين هذه الكليات مثل هذا التنافس على الوظائف ، مع أن باب الوظائف لا يتسع أمام هذه الكليات ، كما يتسع أمام كلية اللغة العربية وكلية دار العلوم . ويجب على الحكومة أن تبادر بإزالة أسباب ذلك التنافس ، لأنه مما يضر بمصلحة الوطن ، ونحن فى أشد الأوقات حاجة إلى جمع الكلمة ، وإزالة أسباب الخصام بين طوائف الأمة .

عبد المتعال الصعيدى

إلى الأستاذ وديع فلسطين :

قرأت بشغف تلك القصة التى أهديتها إلى[1] ، وإذا كنت لم أر فيها أفكارك الخاصة ، فقد رأيت فيها أسلوبك الخاص الذى أضفيته عليها ، كما لمست فى مقدمتها شخصيتك واستعدادك اللذين عرفتهما من قبل .

إنك تسير فى الطريق الصحيح ، وإننى أرى من الآن تلك المكانة التى ستتبوأها قريباً بفضل اجتهادك ومثابرتك ومواهبك ، فإلى الأمام .

حماده الناغل

موقف اليهود العرب من الصهيونية

كتب شيخ الصحافة فى الشام الأستاذ يوسف العيسى صاحب جريدة « ألف باء » مقالا بليغاً عن الموقف الأخير الذى وقفه اليهود العرب من الصهيونية ذكر فيه أن ممثل اليهود أمام لجنة التحقيق السيد عبادى أجاب هذه اللجنة حين سألته عن الفرق بين اليهودية والصهيونية بقوله :

إن اليهود والعرب يسلمون كل التسليم بالفكرة الصهيونية ، وبوجوب إنشاء الدولة اليهودية فى فلسطين ، وبلزوم هجرة اليهود والعرب من العراق ومصر وشمالى أفريقية إلى هذه الدولة اليهودية الجديدة

قال الأستاذ العيسى : « وهكذا قطعت جهيزة قول كل خطيب ، وانتهى التدجيل الكلامى الذى دأب زعماء اليهود العرب يسمعونه مواطنيهم المسيحيين واليهود من أنهم يشجبون ويلعنون ويمقتون كل من يقول بالصهيونية لأنهم يعتبرون أنفسهم عرباً » .

ثم قال الأستاذ : « كنا دائماً نتجنب إدخال اليهود الوطنيين فى القضية الصهيونية ونحافظ على التفريق بينهما كلما كتبنا فى الموضوع ؛ أما اليوم فقد أراحنا هؤلاء المواطنون من هذا التكلف وصاحوا بأعلى أصواتهم أنهم لا شأن لهم معنا بل هم مع الصهيونية ضدنا ، أما اليوم وقد صرح الزبد عن الخمر وأظهروا حقيقتهم برضاهم واختيارهم ، فقد حذفنا من قاموسنا كلمة صهيونيين وغير صهيونيين لأن الخصام السياسى أصبح محصوراً بين عرب ويهود على الإطلاق » .

(دمشق) ناجى الطنطاوى

حول لفظ البيوريتنز :

لست أرى ما ذهب إليه الأستاذ وديع فلسطين مع احترامى له وثنائى على حسن عنايته ، فليست هذه الألفاظ صفات ، وإنما هى أسماء لها مدلول أوسع مما تدل عليه الكلمة فى اشتقاقها اللغوى . وهل نترجم الكاثوليكية مثلا والبروتستنتية إلى العربية ، والمعتزلة ، والمرجئة ، والقدرية ، والشيعة ، إلى الأفرنجية ؟

هذا ، ولست أنكر أن إيراد تلك الأسماء الأفرنجية وسط الكلام العربى فيه شىء من الثقل ، ولكن ذلك هو الصواب فيما أعتقد والسلام .

الخفيف

حفلة المعهد الملكى للموسيقى العربية :

قدّم الدكتور محمد شرف الدين سليمان منذ عامين فى حفلة المعهد الملكى للموسيقى العربية للأستاذ على محمود طه « أرواح وأشباح » وقد اختار لحفلته هذا العام أوبريت « دموع الرشيد » وهى للشاعر عبد القادر محمود وسيقوم بإخراجها الأستاذ عثمان أباظة فنرجو للمعهد التوفيق فى عهده الجديد .

عبن

(١) مسرحية «الأب» تأليف أوجست سترندبرج . لجنة النشر للجامعيين



قصة ألبانية :

المهـــــد الذهبي . . .

[مهداة للأستاذ الكبير كامل كيلاني]

نقلها الأديبان :

وهبي اسماعيل حقي وابراهيم خير الله

— ٤ —

أخذ « محمود » طريقه إلى بيته — بعد أن فارق فريداً — وهو يكاد يطير من شدة الفرح ، يلقي التحية على من يقابله من إخوانه ، ويرد تحياتهم بثغر باسم ، ووجه باش ، وصوت يشيع فيه السرور ... وإن رأسه لميدان فسيح تتسابق فيه الأفكار حول المشروعات العمرانية والثقافية التي أراد أن يشق بها طريقه إلى الخلود والمجد ، فسيكون أول مكتشف يجلو عن جبين التاريخ الألباني العظيم ما غمض من حقيقته . وسيتسع بذلك أفق حياته ، ويصبح إنساناً آخر غير محمود المدرس الذي خرج في صباح هذا اليوم إلى المدرسة يعمل جاهداً طول نهاره ، ويعود متعباً مع الليل . سيصبح « مليونيراً » ترنو إليه العيون ، وتشير إليه الأصابع ، ويسير في ركابه الاحترام . وإنه لمشغول بهذه الأفكار إذ مر به صديقه فتحي ماشياً على حذر خشية أن تزلق رجله فيسقط في الوحل ، ولقد اختلس النظر إلى محمود على ضوء الكهرباء التي أنارت الطريق ، لكنه لم يخطر له على بال أن محموداً سيكون — بين عشية وضحاها — مذكوراً على كل لسان ، وموضوع حديث كل إنسان ، وأن اسمه سيتداول مع الأجيال المقبلة ، لما وفق إليه من اكتشافات غيرت وجه التاريخ ، وسجلته مع الخالدين ...

إن المظاهر الخارجية قد لا تعبر تعبيراً صادقاً عما تنطوي عليه نفس الإنسان ، من نعيم أو شقاء ، أو حزن أو سرور ؛ فإن فتحي قد رأى محموداً ولم يلحظ فيه هذا التحول ، وكذلك لم تلحظه أمه ولا أخواته الثلاث عندما جلس معهن على المائدة ، ليؤنسهن ، ويسامرهن ، فقد تناول عشاءه في منزل فريد . ولقد رأينه أكثر سروراً منه في كل وقت ، ولكن لم يمتد بهن الخيال أبعد من أن نجاحه في عمله المدرسي وتمتعه بثقة أصدقائه هو الذي يضفي عليه ثوب هذا السرور دائماً .

إن الإنسان ليضيق به المكان ، ولا يستطيع الاستقرار فيه إذا أفعمه الفرح ، وكذلك كان محمود ؛ فقد استحال عليه أن يقنع نفسه بالبقاء في المنزل ، بعد أن فرغت أمه وأخواته من عشائهن ، وانصرفن لبعض الشئون ، فغادر البيت وليس له مقصد معين . ولما كان الوقت قريبا من شهر رمضان : والناس جادون في الاستعداد له ، فإن المحال التجارية والمقاهي كانت تعمل إلى وقت متأخر من الليل ، فراق لمحمود أن يذهب إلى المقهى ثانية يقضي فيه شطراً من هذا الليل ، وقدر أنه سيتلاقى — حتما — مع فريد ، فإنه لن يستطيع الصبر على الانتظار في البيت ، ولكنه أخطأ التقدير ، فلم يجد إلا صديقه « شفيقا » فحياه وقال له : هل أنت هنا وحدك ؟ فرد عليه شفيق التحية وقال : ما دمت قد حضرت فلن أكون وحدي .
ثم جلسا متقابلين ونظر محمود إلى شفيق وقال وهو يبتسم : إن ملامح وجهك ، ونبرات صوتك ، تدلنا على تغير طرأ عليك فماذا بك يا شفيق ؟

— لا شيء ! وكيف أتغير ؟

— لا أدري ! ولكنك لست كما أنت في كل يوم .

— إن الإنسان لا يدوم على حال واحدة ، وتلك سنة الطبيعة وناموس الوجود . وعسى الله أن يأتي بالفرج . وعندما نطق شفيق بهذه العبارة اجتهد أن يملك زمام نفسه أمام نظرات محمود النفاذة إلى القلوب . ولكن محموداً وقد أراد التسلية ، وقتل الوقت ، فقد أمطر شفيقا وابلا من الأسئلة ؛ فقال له : ألست من أصدقائك ، ومن حقي أن أعرف ما حل بك ؛ فقد أستطيع أن أمد لك يد المساعدة ؟

— لم يحل بي مكروه ، والحمد لله . ثم لماذا تسألني هذا السؤال ؟

— لأني رأيتك هذا اليوم في الطريق مهموما ، وآية ذلك

أنك لم تحينا . فتحرك شفيق فى كرسيه فى حركة عصبية وقال فى شىء من الغضب : ذلك لأن لدى أشغالا هامة ، فليس صديقك فريد هو المشغول وحده .

— ولماذا تقحم فريداً فى هذا الكلام وهو ليس معنا .

— إنه متكبر ، يدل بثراء والده ، ويضع نفسه فى غير موضعها ، وأولى له أن يطرح هذا جانبا وإننى أمقته لذلك .

— لو تعلم عنه مثل ما أعلم ، ما خالجك شك فى سمو خلقه ، وصفاء نفسه ، إنه مثل من أمثلة المروءة والنبل .

— أنا لا أعلم عنه إلا أن ثراء والده أفسد خلقه ، ووأد مروءته ، وإن الغنى الذى يفاخر به ليس وقفا عليه ؛ فربما أصبح أناس آخرون فى وقت قريب أكثر منه ثراء ، وأيسر منه حالا

— « اشقودراه » كبيرة وبها كثير من الأغنياء .

— نعم ! ولكنى أقصد أن من الممكن أن يظهر فى سمائها أغنياء جدد فجأة لا يستطيع الخيال أن يصل إلى ما يملكون من مال. فاضطرب قلب محمود خوفا من أن يكون شفيق قد التقى ببيرام وعلم من أخباره شيئا ، ولكنه اجتهد فى إخفاء تأثره وقال : نعم ! ذلك ممكن وميسور ، وإنه ليكفى الإنسان ليكون غنياً أن يربح « يانصيب دوبلين » .

— وما قيمة « اليانصيب » ؟ . إن سبلا كثيرة للغنى تنفتح أمامك ، إذا أسعدك الحظ ، وواتتك الظروف .

— وماذا تكون هذه السبل ؟ بربك دلنى على إحداها !

— ها أنت تسخر من كلامى! ولكن حقا توجد طرق كثيرة

— أنا لا أنكر أنها توجد ! ولكنى أومن بأن الحظ لن يحالفك أبداً .

— وأنى لك ذلك ؟ ألأنه خدم صديقك فريداً ، أم ماذا ؟

— وما شأن فريد هنا ، لكل إنسان خطة فى الحياة .

— على كل حال ، سأحدثك بعد قليل . ثم سكتا وقتاً تشتت فيه فكر محمود واعتقد أن شفيقا قد اشتم عبير الكنز — لا محالة — وأن بيراما — لا بد — وأن يكون قد خانهما . ولم يتحول عن هذا الاعتقاد إلا عند ما قال شفيق : هل تعرف شيئاً عن مادة « أبونوس » .

— نعم أعرفه ! ولماذا ؟

— ما قيمة هذا المعدن بين المعادن الأخرى ؟

— إن قيمته عظيمة ! كالذهب تقريبا ، ولكن لماذا تسألنى عنه ؟ هل اكتشفت منجماً ؟

— إن لم أكن قد اكتشفته فسأكتشفه قريبا . فقال محمود ضاحكا — بعد أن اطمأن أن بيرام لم يفلت من يدهم ، وأن شفيقا إنما يحلم بآبار من «أبونوس»: أرجوك ألا تنسانى ياشفيق ، ثم أخذ الحديث مجرى آخر إلى أن انتصف الليل فقام كل منهما إلى منزله . وقد آثر محمود أن يسلك إلى بيته طريقا طويلا يمر بمنزل فريد ، رجاء أن يقابله بيرام عائداً فإن ميعاده قد حان ، ولكنه لم يصادفه .

قضى محمود ليلة « نابغية » فقد أخذ موضعه من سريره ، ولكن النوم ضل طريقه إلى عينيه ، فلم يغمض له جفن . وقد تمثلت له حوادث النهار حقائق لا يعتورها شك ، ولا يتسرب إليها وهم . ولقد امتد به الخيال فذهب يرافقه السيد عفت ونجله فريد إلى « دومن » وقابلوا بيراما فى بيته وأرشدهم إلى الكهف وقادهم فى مسالكه ورأوا بأنفسهم ما احتواه الكهف من ذهب نضار ، وتماثيل عجيبة ، انفسح لها مجال الفخر بأن يد الزمن عجزت أن تمتد لها بسوء طوال هذه القرون العديدة ، التى مرت بها ، وفى هذا دلالة على أن صانعها فى ذلك العهد الغابر قد ضرب فى جودة الفن بسهم وافر . وأن الألبان أهل حضارة قديمة ، ومدنية عريقة ، وهذا الكهف بما فيه شاهد عدل ، وحجة دامغة على من يدعى الإنكار .

وهاهى ذى الأزيار الكبيرة قد امتلأت بالذهب ولا يعلم إلا الله وحده متى جمع هذا الذهب ؟ ومن أين جمع ؟ ومن جمعه ؟ فقد تكون الجنود الألبانية المنتصرة قد غنمته من عدو مغلوب فى ذلك العهد البعيد ، أو تكون الحكومة القائمة آنذاك قد استبدلت به الأسرى والسبايا التى عادت بها جيوشها المظفرة ، أو تكون قد جمعت من أفراد الشعب ظلما بأيدى حكام طغاة ضلت الرحمة طريقها إلى قلوبهم ...

وهاهى ذى قد زالت من الوجود الوسائل والغايات التى جمع بها ومن أجلها هذا الذهب ، وبقى هو ليبدأ اليوم صفحة جديدة فى حياة أناس آخرين لا صلة تربطهم — فى الواقع — بمن جمعه ، ولم يقدروا فى يوم ما أن القدر قد كتب لهم فى سجل حياتهم هذه السعادة ، وهذا النعيم .

ها هو ذا القنديل المعلق فى وسط الكهف يقرأ علينا من أخبار ذلك القصر المظلم الذى كان يشع فيه ضوؤه ، ويقص علينا من تاريخ أهله العجب العجيب ، فهؤلاء أمراء الأجناد وأبطال الحرب ينتظم عقدهم كل مساء إذا أوغل الليل ، يديرون

مع الحاكم خطط الهجوم على العدو ، ويتشاورون فى أنجع الطرق وأضمن الوسائل للتغلب عليه ، وإن عددهم ليتناقص واحداً واحداً على مر الأيام حتى لم يبق منهم أحد ، فقد فنوا جميعا ، ولحق بهم الملك بعد قليل — سنة الله فى خلقه ، ولن تجد لسنة الله تبديلا. ولقد قام على أنقاضهم جماعة فهموا الحياة فهما آخر فكان وقتهم موزعا بين الرقص والغناء وغيرهما مما يشيع البهجة والسرور فى النفس ، ويمسح عن القلب ما يكون قد علق به مما يباعد بينه وبين الانشراح .

وقد طوى الزمن هؤلاء وأولئك فأصبحوا تاريخا يسرد وبقيت وحدى تذكاراً لذلك الماضى البعيد ...

المهد فى زاوية من زوايا الكهف يتحدث فى صلف عن أولئك الملوك الذين تأرجحوا فيه أطفالا وداعبوا فيه صغارهم حكاما كباراً ، وهم معقد رجاء الأمة ، وملتقى آمال الشعب .

دارت كل هذه الخواطر فى رأس محمود فباعدت بينه وبين النوم إلى أن طلعت الشمس ، فهب من سريره واستبدل ملابسه وأسرع إلى منزل فريد ، وكله شوق إلى رؤية ما استحضره بيرام من العينات .

ولكنه لما دخل على فريد ، ورأى الألم والحزن مرتسمين على صفحة وجهه ، والقلق والاضطراب فى حركاته وسكناته قال له : ماذا بك ؟ ألم يأت بيرام بعد ؟

— لقد انتظرته إلى طلوع الشمس . لكنه لم يأت .

— كيف ذلك ؟ أتراه كان يهزأ بنا ؟

— لا أدرى ! وإنى متعب جداً ، ولم أذق طعم الراحة طيلة الليل وأود أن أستريح فأذن لى ، فخرج محمود وترك فريداً يستعد للنوم . ولما كان فى الطريق غير بعيد عن منزل فريد رأى السيد لطفى يذهب ويجيء — فى طول الشارع وعرضه — كأنه يراقب من فى المنزل ، أو كأنه على موعد مع أحد ، فعجب من وجوده هذا الوقت المبكر فى هذا المكان ، الذى ليس لأحد فيه صلة به ، ثم فى سرعة البرق تذكر ما دار بينه وبين شفيق فى الليلة المنصرمة ، وبدأ يتسرب الشك إلى قلبه ، وكان قد حاذاه ، فحياه تحية الصباح ، فرد لطفى تحيته فى صوت مضطرب خافت ، وبدا عليه شيء من الارتباك ، فقد كان يود ألا يراه أحد من أصدقائه فى وقفته تلك . أما محمود فقد أسرع فى طريقه إلى المدرسة شارد التفكير ، حائر اللب ، يود أن يعرف لماذا تأخر بيرام ؟ ولماذا وقف لطفى أمام منزل فريد بالذات فى هذه الساعة المبكرة

وقد أحس فى نفسه شعورا قويا بأن شفيقا وصديقه لطفى إنما يقومان معا بعمل مشترك ، وليس بعيداً أن يكونا قد أوقعا بيراما فى الشرك . ولقد طغى هذا الشعور على محمود — وكان قريباً من المدرسة — فرأى أن من الحيطة ان يرجع ، ويقف فريدا على ما كان من شفيق ليلة أمس ، وأنه رأى السيد لطفى الآن يدور حول منزله ، ويطلعه على إحساسه من أن شفيقا ولطفى يعملان معاً لغرض مشترك . وبينا هو عائد لمح من بعيد السيد لطفى يتحدث فى كثير من الاهتمام إلى قروى ربط رأسه بمنديل أحمر ستر كثيراً من وجهه ، بحيث يصعب على إنسان لم يكن رآه كثيراً — أن يعرف من هو ، ولكن محموداً أحس إحساسا قويا أن هذا القروى لن يكون غير بيرام ، فاندفع نحوهما بغضب وقال بحدة :

— أين كنت يا بيرام ؟ لماذا لم تجيء الليلة كما وعدت ؟ أتكذب علينا ؟

— تمهل ياسيدى ! ولا تجعل للغضب سبيلا إلى قلبك ، فسأقص عليكم كل شيء .

وهنا تدخل السيد لطفى ، وقال لمحمود بصوت شاع فيه الغضب ... ... :

— إن هذا الرجل لا سلطان لك عليه ، فقد تكلم معى أولا وليس من حقك أن تقف معنا ، فامض فى طريقك ، ولا تتدخل فيما ليس من شأنك .

— كيف تقول إنه تكلم معك أولا ؟إنه أكد الأيمان أنه لم يسبقنا إلى معرفة أمره أحد .

— لا أريد أن أعرف ماذا قال لكم ، ولكن أريد أن تفهم أنه مرتبط معى فقط .

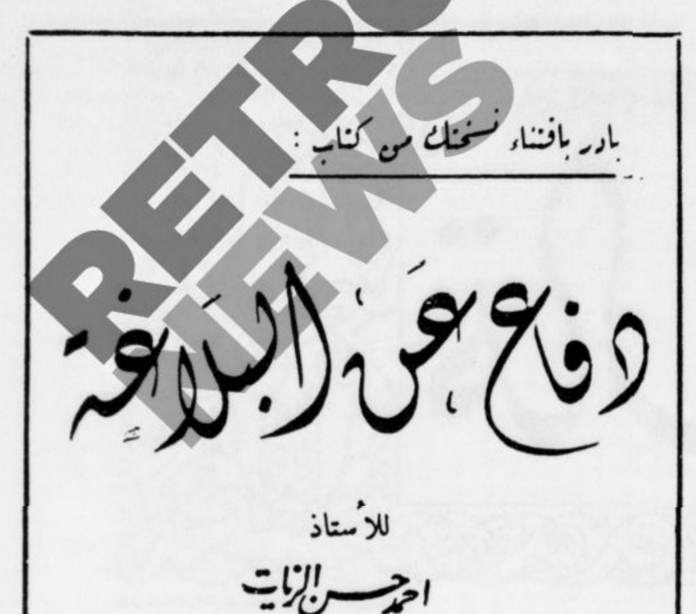
— معك أنت ؟ قال محمود هذه الكلمة بغضب شديد ، دل عليه احمرار وجهه ، وبريق عينيه ، وتقلص شفتيه، وخشونة صوته ثم تراميا بألفاظ شديدة اللهجة قوية الوقع ... ولكن بيراما قد وضع حداً لهذا التراشق بالشتائم ؛ فقد صاح فيهما :

— مهلا أيها الفاضلان ! فلست مرتبطا مع أحد منكما ، فلا تقتتلا من أجلى ، فهمتى فى هذا المنزل . وأشار إلى منزل السيد عفت والد فريد : فقال محمود :

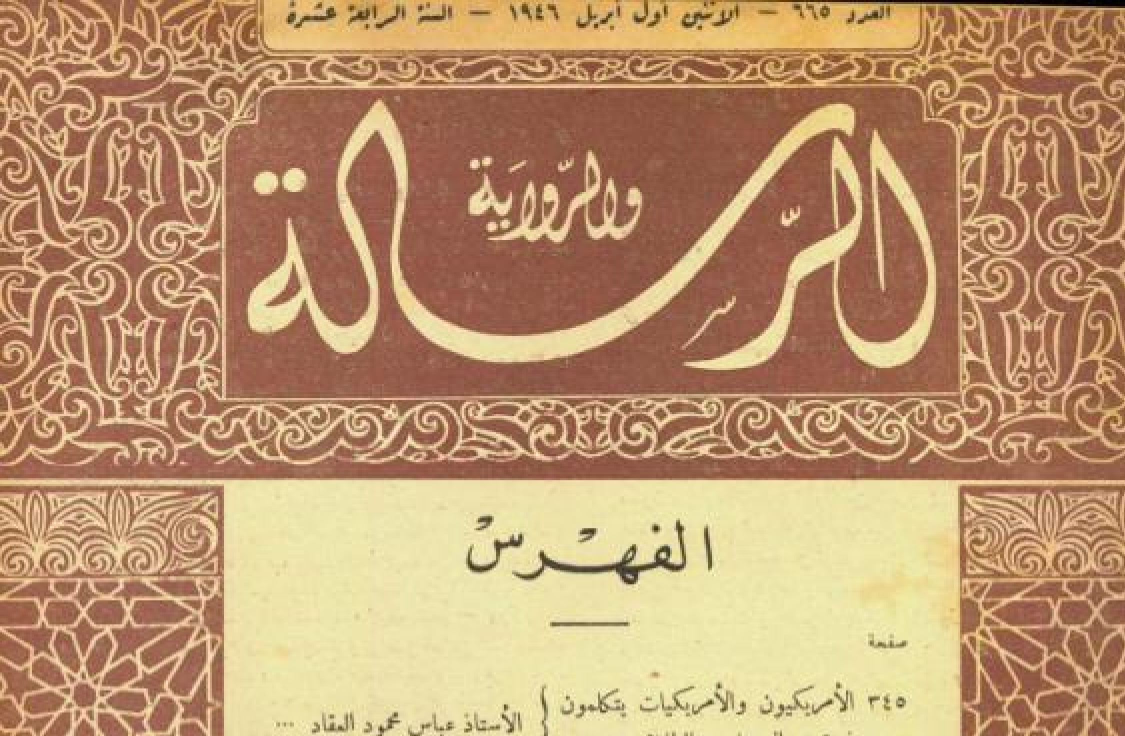
— حسن ! عليك أن تذهب إليه الآن .

فابتعد السيد لطفى عنهما وقال مهدداً متوعداً :

— اذهبا حيث شئتما ، وسترى . (البقية فى العدد القادم)



(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)



الفهرس

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ٦٦٥ — الاثنين أول أبريل ١٩٤٦ — السنة الرابعة عشرة



الفهرس

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

محكمة كوم حمادة الوطنية

إعلان بيع فى القضية المدنية رقم ٨٨٠ سنة ١٩٣٥

إنه فى يوم الاثنين ٢٩ أبريل سنة ١٩٤٦ فى الساعة الثامنة أفرنكى صباحا بسراى المحكمة .

سيباع بطريق المزاد العلنى العقار الآتى بيانه بعد والمملوك إلى كل من : — أولا : ن ١ عبد المجيد على الصوفانى ثانياً — ورثة حسنين حيده وهم . ن ٢ عبد العليم ن ٣ علي ن ٤ عبد المقصود ن ٥ حفيظة ن ٦ كشاف حسنين حيده ن ٢ عبد الحفيظ ن ٨ عبد القادر ن ٩ محمود ن ١٠ إمام السيد حيده ن ١١ السيد محمد حيده عن نفسه وبوصايته على القصر أحمد وحامد وتوفيق السيد حيده ن ١٢ نظيمة سالم حيده ن ١٣ نجية ن ١٤ ساكنة السيد حيده ثالثاً — ورثة عبد الغنى السيد حيده وهم ن ١٥ عبد القوى ن ١٦ عباس ن ١٧ محمود عبد الغنى السيد حيده ن ١٨ السيد محمد السيد حيده رابعاً ورثة زكية السيد حيده وهم ن ١٩ محفوظة ن ٢٠ وسيلة محمد حسنين حيدة خامساً — ورثة محمد على حيده وهى ن ٢١ زكية محمد على حيدة سادساً — ورثة إبراهيم محمد على حيده وهم ن ٢٢ رضا عبد الهادي حيده ن ٢٣ مسعوده عز العرب حيده ن ٢٤ زكية محمد على حيده بصفتها وصية على السعداوى ، محمد إبراهيم محمد حيده سابعاً — ورثة عبد السيد السيد حيده وهم ن ٢٥ حيده عبد السيد السيد حيده عن نفسه وبصفته قيما على أخويه محمد ، أحمد عبد السيد حيده ن ٢٦ فهيمة ن ٢٧ خطرة ن ٢٨ فاطمة ن ٢٩ البكباشى السيد عبد السيد السيد حيده ثامناً — ورثة وسيلة عبد السيد السيد حيده وهم ن ٢٩ أمين محروس عسل أغا عن نفسه وبصفته وصيا على عبد العليم ، أحمد ، عبد القوى ، عبد اللطيف ، فردوس ، زهية ، وحيدة أمين محروس أغا ثم ن ٣٠ سنية أمين محروس أغا تاسعاً — ورثة زكية عبد السيد السيد حيده وهم ن ٣١ على ن ٣٢ شاكر ن ٣٣ زاهية ن ٣٤ صبحية ن ٣٥ مصطفى ن ٣٦ أمنة علوانى محمد مناع .

الجميع من أبى الحناوى مركز كوم حمادة عدا الثانى والثالث والرابع والثالث عشر مقيمون بعزبة أرباب المعاشات بناحية أشمون منوفية وأما التاسع والعشرون فهو أركان حرب اللواء الثالث البيادة ومقيم بشارع كليوبترا ن ١٤ بمصر الجديدة وأما من الحادى والثلاثين حتى السادسة والثلاثين فقيمون بناحية علقام مركز كوم حماده .

وهذا البيع بناء على طلب مصلحة الأملاك الأميرية وبناء على حكم نزع الملكية الصادر من هذه المحكمة بتاريخ ٢٦ — ٥ — ١٩٣٥ والمسجل بمحكمة اسكندرية الوطنية فى ٢٨ — ٥ — ١٩٣٥ ن ١٠٣٢ وفاء لمبلغ ١١٧ جنيه و ٩٤٠ مليم وما تستجد من المصاريف على أن يكون البيع بثمن أساسى قدره ٥٤ جنيه و ٤٠٠ مليم وهذا بيان العقار .

٢ ف و ١٣ ط و ١٧ س كائن بزمام ناحية أبو الحناوى مركز كوم حمادة بحوض القصالى والتمساح ن ٥ قطعه ٦٤ حدها البحرى بجوار مواد ن ٦٤ بحوضه و ١٨ قصبة باسم الحكومة ويبحر مائلا الغرب بجواره ٩ قصبة وبجوار ن ٦٢ بحوضه نحو ١٠ قصبة باسم ورثة المرسى بدر وأحمد البقل بدر وحسن بدر وإخوته وعبد المقصود بدر ومدلان بدر وإخوته أحمد المرسى بدر وعبد السيد المرسى بدر وعبد اللطيف بدر ومغرب مائلا لقبلى بجوار ن ٦ بحوضه ٣ قصبة باسم منصور إبرهيم رحومة وبجوار ن ٦١ بحوضه ١٢ قصبة باسم الحكومة والحد الغربى مائلا الشرق بجوار ن ١ بحوضه ن ٢ ٩٤ قصبة منكسر خفيف باسم الحكومة والحد القبلى بجواره ن ١٠ قصبة والحد الشرقي مائلا الشرق وبجواره ١١ قصبة ومعدل من بجواره ٤٨ قصبة ويميل الغرب بجواره ١٨ قصبة .

٢ ف و ١٣ ط و ١٧ س فقط سبعة أفدنة وثلاثة عشر قيراطا وسبعة عشر سهما

فعلى راغب الشراء الحضور فى الزمان والمكان المبين بعاليه للمزايدة وجميع الأوراق مودعة بقلم كتاب المحكمة لمن يريد الاطلاع عليها .

كاتب البيوع

محكمة المحمودية الجزئية الوطنية

إعلان بيع فى القضية المدنية رقم ٥٤٦ سنة ١٩٤٥

نشرة أولى

إنه فى يوم الأحد ٢٨ أبريل سنة ١٩٤٦ الساعة ٨ أفرنكى صباحا وما بعدها بسراى المحكمة سيباع بالمزاد العلنى العقار الآتى بيانه بعد المملوك إلى عبد الحميد حسن على مغربة بناحية العطف ن ٢ محمد حسن على مغربة بكفر الرصافه ن ٣ أحمد حسن على مغربة عسكرى بحرس الحانه طرة وهذا البيع بناء على طلب إسماعيل أحمد بدوى التاجر من المحمودية بناء على حكم نزع الملكية الصادر من هذه المحكمة بتاريخ ٣ مارس سنة ١٩٤٦ ومسجل بمحكمة دمنهور الابتدائية الوطنية فى ٦ منه ن ٨١ سنة ١٩٤٦ .

وهذا بيان العقار

١٨ ط ثمانية عشرة قيراطا شائعه فى منزل ٢٤ ط ضمن سكن العطف مركز المحمودية مديرية الجيزة بحارة قبم ن ٤ ملك فى جميع ما اشتمل عليه ومحدود بحدود أربع الحد البحرى إسماعيل البنى بطول ٢٠ متر و ٤٣ س مكون من أربعة خطوط الأول من الشرق إلى غرب ميل البحرى بطول ٥ متر و ٣٤ س ثم يتجه إلى غرب ميل لقبلى بطول ٥ متر و ٣٥ س ثم قبلي بطول ٣ متر و ٢٥ س ثم يغرب بطول ٦ متر و ٤٩ س والحد القبلى شارع غير ملون وبه باب بطول ١٥ متر و ١٥ س والحد الغربى سيد أحمد نعيم بطول ٨ متر و ٣٠ س ثم ينكسر من الشرق شارع غير ملون مكون من ثلاث خطوط الأول من بحرى إلى قبلى بطول ٤ متر و ٥٠ س ثم يغرب بطول ٢ متر و ٥٠ س ثم يقبل بطول ٦ متر و ٣٠ س والجملة ١٤ متر و ٨٠ س ومساحة القدر المراد نزع الملكية ١١٦ متر و ٣٢ س شارع ١٥٥ متر و ١٠ س مساحة المنزل جميعه .

وهذا البيع وفاء لمبلغ ١٣ جنيه و ١٨٠ مليم والمصاريف وما يستجد منها بثمن أساسى قدره ١٥ جنيه خمسة عشرة جنيه مصري وباقى الشروط والاوراق بدوسيه الدعوى لمن يرغب أو يريد الاطلاع عليها .

فعلى راغب الشراء الحضور فى الزمن والمكان المبين عليها للمزايدة .

كاتب البيوع

إدارة البلديات — طرق

تقبل العطاءات بإدارة البلديات (بوستة قصر الدوباره) لغاية ظهر يوم ١٤ أبريل سنة ١٩٤٦ عن مناقصة رصف وصيانة طرق برأس البر . وتطلب الشروط والمواصفات من الإدارة على ورقة دمغة فئة الثلاثين مليما مقابل دفع مبلغ ٣ جنيه خلاف مصاريف البريد وقدرها ستون مليما لا غير م

٥١٠٣

14 me Année No. 665

Lundi—1—4—1946

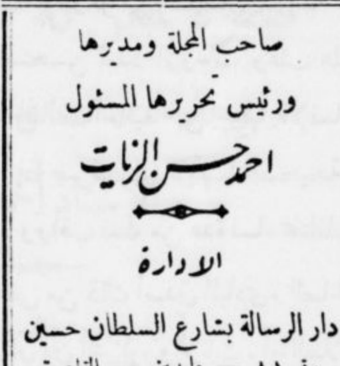
الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire

Scientifique et Artistique



صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠ في مصر والسودان

٨٠ في سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٦٦٥ « القاهرة في يوم الإثنين ٢٨ ربيع الآخر سنة ١٣٦٥ — أول أبريل سنة ١٩٤٦ » السنة الرابعة عشرة

الأمريكيون والأمريكيات

يتكلمون في تعدد الزوجات والطلاق

للأستاذ عباس محمود العقاد

عرضنا في كتابنا عبقرية محمد لمسألة تعدد الزوجات ، ولخصنا في عدد ماض من الرسالة ما كتبه المصلح الهندي السيد محمد علي عن هذه المسألة في كتابه عن الإسلام والنظام العالمي الجديد ، وخلاصته « أن الإسلام يزكي وحدة الزوجة ويفضل هذا الزواج على كل زواج . إلا أن الشرائع لا توضع لحالة واحدة ، والدنيا كما نراها عرضة لطوارئ الشذوذ والاختلال ، ومن هذه الطوارئ ما ينقص الذكور عدة ملايين ويزيد الاناث بمقدار هذا النقص في عدد الذكور ، فضلا عن الزيادة التي تشاهد في عدد النساء من كل أمة على وجه التقريب في غير أوقات الحروب . وإن تعدد الزوجات في أمثال هذه الأحوال لخير من البغاء المكشوف . فقد قبلت المرأة الأوربية مشاركة الخليلات المعترف بهن وقبلت مشاركتهن في الخفاء ، وأصبحت هذه المشاركة نظاما اجتماعيا مقررا لا معنى بعد قبوله وتقريره للاعتراض على تعدد الزوجات الشرعيات ، فهو على الأقل أصون للآداب وأكرم للنسل وأجل بمنزلة المرأة من مهانة الابتذال ، وأصلح للاعتراف به في علاقات المجتمع وقوانين الأخلاق » .

ولم يكد هذا المقال يظهر في « الرسالة » حتى وصلت إلينا مجلة أمريكية حديثة من طراز جديد تسمى المساجلة أو المناقشة أو الحوار Debate وتدور على موضوعات اجتماعية أو سياسية تختلف فيها الآراء ، ويؤيد كل رأي منها فريق من الكتاب أو القراء ، ومن هذه الموضوعات موضوع الطلاق وتعدد الزوجات وهل الأفضل للمجتمع الانساني أن نبيح تعدد الزوجات تجنبا للطلاق أو نبيح الطلاق تجنبا لتعدد الزوجات . فكان من الطريف حقا أن نطالع هذه الآراء كما تخطر عندهم للرجال والنساء والفتيان والفتيات . فانهم في الواقع يقدمون الوجهة « الذوقية » في هذه المسألة على الوجهة الاجتماعية الخطيرة التي من أجلها توضع الشرائع وتسن المباحات والمحظورات ، ولكن الوجهة الذوقية مع هذا قد تتغلب في أثرها على الوجهات الاجتماعية مع جلالة خطرها وضرورة النظر في علاجها . لأن المعارضة في تعدد الزوجات تفقد الكثير من أسبابها القوية إذا أمكن التغلب عليها من جانب الذوق والشعور .

قالت الآنسة فرانسين دوفال وهي ممن قبلن تعدد الزوجات : إنها تعرف فتاة صديقة لها طلبت الطلاق بعد زواجها بستة شهور ، لأنها علمت أن زوجها يغيب عن المنزل بعض الليالي ويعتذر بالاستعداد لامتحان الحقوق ، وهو في الحقيقة يقضي تلك الليالي في صحبة فتاة أخرى كان يعاشرها قبل الزواج ، وأن

الطلاق فى هذه الحالة أكرم الحلول فلا ملامة على الفتاة أن تطلبه ولا على الشريعة أن تنص عليه .

قالت : « وإننى وإن كنت أعتقد أن تعدد الزوجات يوافق الرجال أكثر مما يوافق النساء لحسبه شيئا لا يخلو من الطرافة والغرابة . ولست من الطفولة بحيث يخفى على أن كواكب الصور المتحركة يعشقهم كثير من النساء ويملن وهن يعشقهم أنهن لا يسيطرن على قلوبهم ومشيئتهم . ومهما يكن رأيك مثلا فى (إيرول فلن) فإنك لن تجهل الواقع الذى لا شك فيه من أمره وهو أن طائفة كبيرة من النساء يقبلن الشركة فيه . نعم ليس كل الرجال فى وسامة إيرول فلن أو فكتور ما تيور أو قان جونسون أو كلارك جابل ؛ ولكن الرجال الذين لهم نصيب من الوسامة والقسامة كثيرون فى كل مكان . فلماذا لا تشترك فى قربهم عدة نساء ؟ إنهن ينفردن فى الحجرات متى كبر الأطفال وتتقدم السنون فتبرد حرارة الشباب وتهدأ مرارة الغيرة ولا يبعد أن يجد هؤلاء الشريكات مواطن للتسلية والمقارنة فى التحدث عن ذلك الرجل الذى ارتبطن به جميعا برابطة الزواج . ولقد عشت معظم أيامى فى ضاحية مدينة كبيرة فلا أحسب صديقاتى إلا مستغربات عاتبات لو أصبحت من حظى غدا أن أكون واحدة من هؤلاء الزوجات المشتركات . ولكن هب الرجل كان مليح الشمائل قادرا على إيوائنا جميعا ألا يخطر لك أن اللاغطات بحديث زواجى يلغطن إذن من الغيرة لا من الانكار ؟ » .

وكتبت آمى هتشنسون وهى زوجة لها ولدان — فقالت إنها نشأت فى ولاية (أوتاه) التى أقام فيها المورمون الذين يدعون إلى تعدد الزوجات ، وأنها قضت فى عشرة زوجها أربع عشرة سنة ولا ترى للزوجة أن تطلب الطلاق إلا إذا آمن زوجها بمذهب تعدد الزوجات !.

وقالت : « ما من امرأة ولدت فى هذه الدنيا الحديثة ترضى أن تشاطرها أخرى فى حقوق فراشها إلا إذا كانت قد أضاعت صوابها . وهذه كلمة مكشوفة لا مراء . ولكنها هى أهم ما تفكر فيه رأة حين يذكر لها تعدد الزوجات . ثم ما ذا يقول الأطفال إذا فارقهم « بابا » ليلتين أو ثلاث ليال أو أكثر من ذلك ليذهب إلى زوجاته الأخريات ؟ » .

وكتب جوزيف ماردفلد — وهو من المشتغلين بدراسة علم الأجناس والسلالات — فاستحسن تعدد الزوجات وغلب عليه حكم الصنعة فعلل استحسانه بالفائدة العلمية التى يجنيها الإنسان من هذه التجربة الضرورية إذا صرفت إلى غايتها الصحيحة . فنأخذ رجلا قويا ذكيا وسيما ونراقب نسله من عدة نساء مختلفات النماذج والأخلاق ، ونستخلص من ذلك أصدق المبادىء الصالحة لتحقيق الكمال المثالى فى القران بين الذكور والإناث . أما الطلاق فهو لازم للفصل بين الزوجين كلما ظهر النقص فى شروط القران واستحال التوفيق بينهما على النحو الذى ينفع الذرية ونوع الإنسان . ويرى هذا الكاتب أن تجربة المورمون فى القارة الأمريكية قد أسفرت عن نجاح لاريب فيه وأنجبت فى اقليم أوتاه جيلا من أصحاء الرجال والنساء صمدوا للمقاومة التى كانت تحيط بهم من كل صوب ، وذللوا الصعوبات التى أقامها لهم رجال الدين وغيرهم من أعداء تعدد الزوجات .

***

وأنكر فرانك شيهان تعدد الزوجات كما أنكر الطلاق لأنه لا يريد أن ينفصل ما عقده الله ليبقى منعقدا مدى الحياة . وحاول أن يعلل إنكاره بعلة اجتماعية فقال إن السماح بتعدد الزوجات ظلم للطبقات الفقيرة ، لأن إيواء الزوجة فى العصر الحاضر يكلف الزوج نفقات لا قبل بها للفقير بغير جهد جهيد . فكيف بالزوجات المتعددات ؟ وكيف نستخدم القانون لتمييز طبقة واحدة من طبقات المجتمع وحرمان سائر الطبقات من هذه المزية ؟ .

قال : « ولنتكلم بعد هذا عن الحياة اليومية التى يحياها رجل يجمع بين زوجات متعددات ، ولنقدر أنهن لا يعشن تحت سقف واحد بل فى حجرات متقاربات . ولنتخيل الزوجة رقم (١) حين تنظر إلى النور موقدا فى مسكن الزوجة رقم (٢) ثم ينطفىء النور ساعة الرقاد . أين يا ترى يكون الزوج هذه الساعة ؟ أعند هذه الزوجة أم عند الثانية أم عند الأخرى ؟ ... » .

***

وعلى هذا المثال تبدى الآراء فى هذه المسائل الجلى فيثبت للناظر فيها شىء واحد على الأقل وهو أن المعارضة فى مذهب تعدد الزوجات لا تستند إلى سبب أخطر من سبب « المزاج » كما يصح

نظرة لمعركة عين جالوت

وقتل قائد التتار كتبغا فى ٢٥ رمضان ٦٥٨ هجرية

للأستاذ أحمد رمزى

[ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا أفرغ علينا صبراً وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين] قرآن كريم

قلت مرة لصاحب من إخواننا الذين يغلب عليهم التشاؤم « إن فى الكون قوات طبيعية هائمة لا تلبث أن تصيب الرجل الذى اختارته العناية لعمل عظيم ، فتستفيق من غشيته متنبهاً ليقبض على تلك القوى الضائعة ويجمعها ويحشدها ويحركها ويقودها ببصيرته وعزيمته وجرأته ، ليغير معالم الأشياء فيخلق من الجمود حركة ومن الخمود حياة ومن التسليم أملا ، ويحوّل مجرى التاريخ ليكتبه كما يشاء . هؤلاء الرجال الأفذاذ كثيرون فى تاريخ الإسلام ، كانوا كالصخور الصلبة التى توجه السيول ، وكانوا كالسدود الضخمة التى تحوّل مسير المياه إلى جهات ونواح غير التى كانت تقصدها بدفعتها الأولى » .

« وأعرف فى تاريخ مصر العربية معارك كثيرة ومواقف خالدة كانت كالسدود العالية تصد حوادث الزمن وتقارع نكبات الدهر لتتغلب عليها : ولكننى أعرف منها معركتين فاصلتين يجب أن يعرفهما كل واحد منا لأنهما مفخرة لنا ولآبائنا ولأجدادنا ، وقعت كل منهما فى أرض فلسطين الشهيدة ، فى الجزء الشمالى منها أى على مقربة من بحيرة طبرية ، تلك البحيرة التى أعدها وماحولها بقعة من أجمل بقاع الأرض ، أما أولى المعركتين فهى معركة حطين ، وأما الأخرى فهى معركة عين جالوت . كان بطل الأولى سلطاننا صلاح الدين وكان صاحب الأخرى سلطاننا الشهيد المظفر قطز ، ففى الأولى تحطم ملك أورشليم وفى الأخرى تحطمت أطماع هولاكو فى فتح مصر ، وفى الأولى ظهرت مزايا جند مصر وعسكرها على فرسان أوروبا ، وفى الأخرى انتهت خرافة المهد

أن تعبر عن أشباه هذه الأسباب .

فالدواعى التى تلجىء المشترع إلى إباحة تعدد الزوجات عند الضرورة التى تسوغه أخطر جدا من هذه الموانع التى تساق لحظره على النحو الذى أجملناه فيما تقدم . فهذه الزوجة التى يخشى عليها الكاتب الأخير من وساوس الغيرة هل يظنها تنجو من هذه الوساوس إذا كانت السهرة التى يغيب فيها زوجها قد انقضت فى الحانة أو الماخور أو فى الأندية التى لا فرق بينها وبين الحانات والمواخير ؟ أو هل تنجو من هذه الوساوس إذا كانت السهرة مع زوجة رجل آخر يخونها فى تلك الساعة كما تخونه لأنهم جميعا لا يستسهلون الطلاق ؟

إن الذين يبيحون تعدد الزوجات لا يبيحونه لأنه حسنة مشتهاة ولا لأنهم يفضلونه على الاكتفاء بالزوجة الواحدة متى تمت شروط الوفاق والعشرة الدائمة بين الزوجين ، ولكنهم يبيحونه لأن السيئات التى تبيحها الحضارة أبغض منه وأولى بالمحاربة والانكار ، ويعلمون أن كرامة الزوجة التى تشاركها فى رجلها زوجة أخرى أعز وأوفر من كرامة الخليلة التى يعترف بها المجتمعات الأوربية والإمريكية ولا تحسب لها حسابا فى الشرائع والقوانين غير حساب التهاون والاغضاء .

ولعل هذه الأجوبة التى قدمناها لا تشتمل على جواب هو أولى بالتدبر وإطالة الروية من جواب الفتاة التى قالت إن النساء لا يرفضن المشاركة فى الرجل الوسيم القسيم وإنهن إذا لغطن بحديث هذا الزواج فأغلب الظن أنهن يلغطن من الغيرة لا من الإنكار .

فهذه فتاة من بنات العصر الحديث فى القارة الامريكية موطن الحرية النسائية التى جاوزت جميع الحدود ، كشفت عن دخيلة شعورها فإذا هو ينم على حقيقة المانع النفسانى الذى يجنح بالمرأة إلى التأفف من المشاركة فى المعيشة الزوجية ، وإذا هو مسألة استحسان للزوج الذى يستحق هذه المشاركة لا مسألة كرامة أو مسألة من مسائل العقيدة والروح .

ونحسب أن الأجوبة الصريحة التى من هذا القبيل أجدى من الفصول المنمقة والمباحث المتعمقة فى الإبانة عن مركز المرأة الصحيح من مسائل الزواج والطلاق .

عباس محمود العقاد

من أن جيش المغول لا يغلب ، فغلب وهزم وتشتت شمله ، وظهر أن الدماء التي تجرى في عروق الآباء والأجداد ، أقوى وأمتن وأثبت من الدماء التي تجرى في عروق فرسان أوربا وزمازمها من الاسبتار[1] والداويّة ، وعلم الناس والعالم بأكمله والأجيال السالفة واللاحقة أن صلاح الدين وقطز هما من رجال الله » .

فاذا فتحت خريطة لفلسطين الشقيقة ، فابحث عن بيسان ، تجدها تحت جسر المجامع جنوبي بحيرة طبرية وتطل على وادي نهر الأردن ، وعلى اليسار وادي جالوت حيث كانت تقع بليدة باسم عين جالوت ، ففي هذه الناحية ومنذ سبعمائة وسبع سنوات ، التقى جيش مصر بقيادة سلطانها الملك المظفر قطز مع جيوش المغول ودارت بينهما معركة هائلة فاصلة ، وكان مجيء المغول من الشمال حيث أراضي البقاع الخصبة — بقاع العزيزي المشهورة — وهي الواقعة الآن داخل حدود الجمهورية اللبنانية . وكان مجيء جيش مصر من القاهرة إلى الصالحية إلى غزة إلى الرملة ثم عكا ثم إلى المصاف بعين جالوت .

ولما التقى الجمعان كتب الله النصر للمسلمين فسجد ملك مصر المظفر قطز شكراً لله ومرّغ وجهه في تراب الأرض ، أما قائد المغول فكان اسمه كتبغانوين ، وقد قتله بطعنة واحدة أمير من أمراء مصر هو جمال الدين أقوش الشمسي . وكتبغا اسم تترى مركب من كلمتين قيل إن معناه الثور الذي يدهشك أو يدعو للدهشة أو يثير الإعجاب ، وكان أولى أن يُسمى بالثور الهائج . ونوين قيل في معناه قائد العشرة آلاف ؛ وجندهم كما نعلم تتحرك بالآلاف وعشراتها .

وصفه الشيخ قطب الدين اليونيني فقال « رأيته ببعلبك حين حاصر قلعتها وكان شيخاً حسناً له لحية طويلة مسترسلة قد ضفرها مثل الدبوقة ، يعلقها من خلفه بأذنه ، وكان مهيباً شديد السطوة » دخل الجامع[2] ، وصعد المنارة ليتأمل القلعة ومن فيها من جنود الإسلام ، قال : « خرج من الباب الغربي ودخل دكانا خربا وقضى أمراً والناس ينظرون إليه » ثم أردف ذلك بقوله . :

ولما بلغه خروح العساكر المصرية حار في أمره ماذا يفعل ولكن حملته نفسه الأبيّة على اللقاء وظن أنه منصور على جارى عادته ، فحمل يومئذ على الميسرة فكسرها ثم أيد الله المسلمين وثبتهم في المعركة » وجاء النصر من عنده تعالى .

وجيء بالأسرى وبينهم ابن القائد العظيم فأخذه الملك المظفر قطز وسأله : « أهرب أبوكَ » . فأجاب : « إن مثله لا يهرب » . وعرضت القتلى فتعرف الابن على أبيه وصرخ باكياً ، فعلم المظفر بموته وسجد لله شكراً مرة أخرى .

وكان المغول يؤمنون بعبقرية كتبغا ويستبشرون به خيراً ، إذ هو الذي أخضع البلاد لهم من حدود فارس الشرقية إلى حدود الشام ، ولما قتل ذهب سعدهم ، وألف قوادهم الهزيمة واعتاد رجالهم الفرار . وكانوا يعتقدون بالتنجيم والعرافة ، ذكر ابن الفرات في تاريخه أن هولاكو ملكهم لما دانت له الدنيا بفتح بغداد واستيلائه على العراق وحلب وامتلاكه دمشق ، حدّث نفسه أن يقهر الديار المصرية ويفتحها ويطأها بجنده .

قال : إنه أحضر نصير الدين الطوسي وقال له « اكتب أسماء مقدمي الجند وانظر أيهم سيملك مصر ويجلس على تخت السلطنة » فكتب أسماءهم وحسب ودقق النظر فما ظهر له أن يملك مصر غير رجل اسمه كتبغا فذكر ذلك لهولاكو وكان اسم صهره كتبغا نوين فسلّمه قيادة جنده وسيّره لفتح مصر وكان مقتله في عين جالوت » بعد أن أدرك أيام جنكيزخان وحارب تحت قيادته وقاد جحافلهم إلى النصر طول أيام هولاكو .

وإني لأتخيل كتبغا هذا على صورة « تاراس بولبا » في القصة الروسية رجلا جباراً عملاقاً مهيب الطلعة يلبس البغلطاق التترى وقد استبدل بالشاربين الطويلين المنحدرين على كتفيه باللحية الطويلة التي وصفها الشيخ قطب الدين والتي كان يعلقها على أذنيه لإرهاب الناس وقذف الرعب في قلوبهم .

ومن الغريب أن يكون بين عسكر المغول فتى لا يكاد يدرك سن البلوغ واسمه كتبغا أيضاً فيؤخذ أسيراً ويربى بقلعة مصر ويطلق عليه اسم زين الدين ، ثم يؤمّر في عهد المنصور قلاوون ، ثم يستقر في نيابة السلطنة بالديار المصرية ، وأخيراً ينادى به سلطانا فتصح النبوءة المذكورة بعد ست وثلاثين سنة من معركة عين

---

(١) الاسبتار Hospitaliers والداوية أو الهيكليون Templiers وهم منظمات صليبية لقتال المسلمين .

(٢) هذا الجامع البعلبكي للأسف خرب اليوم وإن كانت أعمدته باقية كما هي .

جالوت التي أخذ فيها من بين الأسرى .

ويصح أن نشير هنا إلى ما ابتدعه المغول فى فن الحروب وما أدخلوه من التغيير فى كيفية ترتيب الجنود والزحف وتسوية الصفوف لأنه ابتداء من جينكيزخان . اتجه هؤلاء إلى ضبط الزحف بعشرات الآلاف من الرجال وإلى توجيه ضربات حاسمة من عدة جهات بطرق وأساليب لم تخطر على بال هنيبال ولا الاسكندر الأكبر وغيرهما من كبار قواد العالم . وهذا ما سنعرض له إن شاء الله فى دراسة حملات جنجيز وأولاده وأثرها فى التربية العسكرية بمصر وفى عقلية كبار قواد الدولة المصرية وملوكها وما أخذوه من الأنظمة عنها ، ولا أترك هذا دون أن أعطى فكرة أولى عما ابتدعه كتبغا نوين من أساليب الحروب وخداعها لأنه من تلاميذ مدرسة جنكيزخان فى هذه الناحية .

فقد نقل صاحب البداية والنهاية أنه كان يعتمد فى حروبه للمسلمين أشياء لم يسبقه أحد إليها ، فكان إذا فتح بلداً ساق مقاتلة هذا البلد إلى البلد الذى يليه ، فكان هؤلاء اللاجئون يدخلون فى هروبهم الخوف والرعب على الناس . وإذا دخلوا البلد شاركوا الناس فى أقواتهم ، فاذا حاصرهم تقصر مدة الحصار عليه لاضطراب شؤون التموين والاعاشة لدى البلد الذى يقصده ، وإذا رفض أهل البلد قبولهم وإيواءهم ساق هؤلاء المقاتلة اللاجئين عليهم لقتالهم وتلقى الضربات الأولى ، وحينما يضعف الطرفان يقذف بجنوده لاتمام الفتح . ومن حيله التى لا يمكن أن تقرها قوانين الحرب أن يبعث إلى المدينة المحاصرة من يقول : إن ماءكم قد قلّ بعد طول الحصار وإنّا على وشك أن نأخذكم عنوة فنقتلكم جميعاً ، أما إذا فتحتم صلحاً أبقينا عليكم فيفتر أهلها بذلك ويقولون إن الماء عندنا كثير فلا نحتاج إلى ماء فيقول الرسول لا أصدق حتى أبعث من عندى من يشرف عليه فان اقتنعت بأنه كثير انصرفت إلى بلد آخر . فيقولون ابعث من يتأكد ، فيرسل برجال من جيشه معهم رماح مجوّفة محشوة سماً ، فاذا دخلوا المدينة التى أعيته الحيل فى فتحها لعظم أسوارها وقلاعها أدخلوا فى آبارها وصهاريجها تلك الرماح على أنهم يقيسون أعماق المياه فيقذفون السم فى قاع المياه ويكون سبباً فى هلاك كل من يشرب منه .

ولو شئنا أن نعدّد أساليبهم فى القتال وطريقتهم فى ابتداع الحرب الخاطفة والهجوم فى جبهتين تفصل الواحدة عن الأخرى مئات الأميال لتبين لنا أن آسيا هى أم الحروب وأن الأوروبيين لم يبتدعوا شيئاً جديداً . ولقد أجمع المؤرخون على مقتل كتبغا فى عين جالوت ، وذكر المقريزى أن رأسه حُمل إلى القاهرة ، ولذلك تعجبت حين اطلعت على حاشية للاستاذ الدكتور مصطفى زيادة تقول « إن السلطان كتبغا كان تترى الأصل وهو الذى قاد الجيوش التترية التى انكسرت على يد السلطان قطز » . إذ هناك إجماع على مقتل قائد التتار وعلى اسم قاتله وهو الأمير جمال الدين الشمسى وكان من أعيان الأمراء المصريين وأماثلهم وشجعانهم ، ذكره صاحب النجوم الزاهرة فى المنهل الصافى ضمن وفيات ٦٧٨ وذكره ابن كثير ضمن وفيات هذه السنة فقال « إنه أحد أمراء الاسلام وهو الذى باشر قتل كتبغانوين » . أما المقريزى فيقرر وفاة الشمسى سنة ٦٧٩ وهو الأصح إذ كان آخر عمل له أنه تولى نيابة السلطنة المصرية بمدينة حلب عن السلطان المنصور قلاوون وتوفى ودفن بها كما جاء ذلك فى أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ، وكان قبل ذلك نائباً لسلطان مصر بمدينة دمشق وهو الذى قبض بها على الأمير عز الدين إيدمر الظاهرى حينما توقف عن البيعة للمنصور قلاوون ، ويدل تاريخه على الهيبة ووفرة الحرمة والوقار والنفوذ التى كان يتمتع بها لدى ملوك مصر نظراً لأياديه البيضاء فى معركة عين جالوت وأن هذه الهيبة كان يتمتع بها حتى مماليكه بالقاهرة وهو غائب عنها لما كان أميراً بالشام . فقد قبض الملك الظاهر بيبرس على عدة من أمراء مصر بدمشق ولما وصل إلى جمال الدين الشمسى لم يجسر أن يقبض عليه بل تركه على حاله ومات رحمه الله فى الخمسين من عمره .

فلا محل إذاً لكى تختلط شخصية كتبغا نوين مع العادل زين الدين كتبغا وإن تشابها فى الاسم . وقد ورد فى السلوك أنه فى سنة ٦٧٨ أنعم المنصور قلاوون على أربعين من رجاله فرفعهم إلى مرتبة الأمراء وذكرهم واحداً واحداً بالاسم ، وكان منهم زين الدين كتبغا وسنجر الشجاعى وأغلب المؤرخين يقررون أنه أخذ أسيراً فى عين جالوت وهوشاب وإن كان البعض اشتبه عليه نسبته إلى المنصور بقوله المنصورى فظن أنه أخذ أسيراً من يوم معركة حمص (رجب ٦٧٨) فيكون بين أخذه أسيراً وتعيينه

من غزل الفقهاء

للأستاذ علي الطنطاوي

(بقية ما نشر في العدد الماضي)

واسمع يا سيدي أنشدك ما يحضرني من غزل الفقهاء ، لا أستقصي ولا أعمد إلى الترتيب ، وإنما أروى لك ما يجيئني ، وما يدنو مني مصدره .

هذا أبو السعادات أسعد بن يحيى السنجاري الفقيه الشافعي المتوفى سنة ٦٢٢ هـ فاسمع من شعره ما ترقص منه القلوب ، وتطرب الألباب: حلاوة ألفاظ ، وبراعة معنى ، وحسن أسلوب ، قال من قصيدة له :

وهواك ما خطر السلو بباله ولأنت أعلم في الغرام بحاله
ومتى وشى واش إليك بأنه سال هواك فذاك من عذاله
أو ليس للكليف المعنى شاهد من حاله يغنيك عن تسآله
جددت ثوب سقامه ، وهتكت ستر غرامه ، وصرمت حبل وصاله

أفزلة سبقت له أم خلة مألوفة من تيهه ودلاله

وهذا الإمام الصوفي عبد الله بن القاسم الشهرزوري الملقب بالمرتضى أفما قرأت قصيدته :

لمعت نارهم وقد عسعس الليل ومل الحادي وحار الدليل

التي لم يقل في معاني أهل الطريق مثلها ، والتي تطاول بها أعلى شعراء (الرمزية) منكباً ، وتسابق بها أوسعهم خطوة[1] ؟

أو ما سمعت شعره ؟ هاك منه قوله :

فعاودت قلبي أسأل الصبر وقفة
عليها فلا قلبي وجدت ولا صبري
وغابت شموس الوصل عني وأظلمت
مسالكه حتى تحيرت في أمري

وهاك قول ظهير الدين الأهوازي الوزير الفقيه ، تلميذ أبي اسحق الشيرازي[2] :

(١) تجدها كاملة في ترجمته في الوفيات ، وتجد بعضها في المنتخب من أدب العرب لمدارس مصر .

(٢) الوفيات ٢ — ٩١

أميراً أقل من سنة ، وهذا لا يمكن وقوعه نظراً لما تطلبه الجندية الإسلامية في مصر من تهيئة واستعداد وتدريب ، ولا يتحقق ذلك إلا بعد سنوات طويلة .

والعادل كتبغا رجل من أعاظم رجال القرن السابع والقرن الثامن الهجري ، وقد وفاه المؤرخون حقه أيام توليه السلطنة ، وبعد عزله منها وإقامته أميراً بالشام وهو الذي قضى على الفتن عند مقتل الأشرف خليل ، ووطد أركان الملك للناصر محمد وهو في العاشرة من عمره ، وقد بدأ حياته وهو على دين التتار ، وأسلم وحسن إسلامه ، وقال عنه صاحب الدرر الكامنه « كان قليل الشر يؤثر أمور الديانة شجاعا مقداما سليم الباطن رفيقا بالرعية » وفي عهد سلطنته لجأ إلى مصر آلاف من بلاد التتار وهم الاويراتية فسكنوا بالقاهرة واختلطوا بأهل البلاد . ولما عزل من السلطنة تولى قلعة صرخد ثم نائبا بمدينة حماة ، وفي أثناء نيابته بها هجم التتار على الديار الشامية في عام ٧٠٢ فحضر الجهاد وهو محمول على محفة لمرضه وكبر سنه وهذه نهاية ما يمكن أن يصل إليه الإيمان وكان ذلك في معركة « شقحب » التي ساهم فيها شيخ الإسلام ابن تيمية وحرض فيها جيوش المسلمين على القتال .

وفي يوم الجمعة الموافق يوم عيد الأضحى من تلك السنة توفي العادل زين الدين كتبغا التتري الأصل وهو مسلم ومؤمن ونقل إلى التربة التي بناها بسفح جبل قاسيون بمدينة دمشق غربي الرباط الناصري رآها ابن كثير وقال « هي تربة مليحة ذات شبابيك وبوابة ومئذنة وله عليها أوقاف للصرف على وظائف من قراءة وأذان وإمامة » وختم بقوله « كان من خيار الملوك وأعدلهم وأكثرهم براً وكان من خيار الأمراء والنواب رحمه الله » .

وانتهت حياة الشاب التتري الذي جاء محاربا للاسلام والمسلمين فأصبح مجاهداً في سبيل الإسلام والمسلمين فأعطى مثلا لقوة الإسلام وعظمته وأثره في شؤون الكون وكيف ينقلب أعداؤه فيصبحون سيوفا يذودون عنه وأنصاراً يقاتلون في سبيله .

أحمد رمزي
القنصل العام السابق لمصر بسوريا ولبنان

وإنى لأبدى فى هواك تجلدا   وفى القلب منى لوعة وغليل
فلا تحسبن أنى سلوت فربما   ترى صحة بالمرء وهو عليل

وقول أبى القاسم القشيرى الإمام الصوفى العلم :

لو كنت ساعة بيننا ما بيننا   ورأيت كيف نكرر التوديعا
لعلمت أن من الدموع محدثا   وعلمت أن من الحديث دموعا

والبيت الثانى من مرقصات الشعر .

وكان مع ذلك علامة فى الفقه والتفسير والحديث ومن فقهاء الشافعية الكبار ، وهو صاحب الرسالة التى يعتدها الصوفية ككتاب سيبويه عند النحويين ، ولا ينصرف الإطلاق إلا لها ، ومن شعره :

ومن كان فى طول الهوى ذاق لذة   فإنى من ليلى لها غير ذائق
وأكثر شىء نلته من وصالها   أمانى لم تصدق كخطفة بارق

ومن شعر القاضى عبد الوهاب المالكى الفقيه المشهور المتوفى سنة ٤٢٢ والمدفون فى قرافة مصر ، وصاحب الخبر المستفيض لما خرج من بغداد وخرج أهلها لوداعه وهم يبكون ويعولون وهو يقول : والله يا أهل بغداد ، لو وجدت عندكم رغيفا كل يوم ما فارقتكم . ويقول :

سلام على بغداد فى كل موطن   وحق لها منى سلام مضاعف
فوالله ما فارقتها عن قلى لها   وإنى بشطى جانبيها لعارف
ولكنها ضاقت على بأسرها   ولم تكن الأرزاق فيها تساعف
وكانت كخل كنت أهوى دنوه   وأخلاقه تنأى به وتخالف

ويقول فيها :

بغداد دار لأهل المال طيبة   وللمفاليس دار الضنك والضيق
ظللت حيران أمشى فى أزقتها   كأننى مصحف فى بيت زنديق

وهو معنى جيد وتشبيه عجيب .

وهو القائل :

متى يصل العطاش إلى ارتواء   إذا استقت البحار من الركايا
ومن يثنى الأصاغر عن مراد   وقد جلس الأكابر فى الزوايا
وإن ترفع الوضعاء يوما   على الرفعاء من إحدى الرزايا
إذا استوت الأسافل والأعالى   فقد طابت منادمة المنايا

ومن غزله الذى يتغزل فيه بلغة الفقه والقضاء ، فيأتى فيه بالرقص المطرب قوله :

ونائمة قبلتها - فتنبهت   وقالت تعالوا واطلبوا اللص بالحد
فقلت لها إنى (فديتك) غاصب   وما حكموا فى غاصب بسوى الرد
خذيها وكفى عن أثيم ظلامة   وإن أنت لم ترضى فألفا على العد
فقالت قصاص يشهد العقل أنه   على كبد الجانى ألذ من الشهد
فباتت يمينى وهى هميان خصرها!   وباتت يسارى وهى واسطة العقد
فقالت ألم تخبر بأنك زاهد ؟   فقلت : بلى مازلت أزهد فى الزهد

وهاك القاضى الجرجانى مؤلف (الوساطة) على بن عبد العزيز الفقيه الشافعى ، الذى ذكره الشيرازى فى طبقات الفقهاء[1] ، صاحب الأبيات المعلمة المشهورة :

يقولون : لى فيك انقباض ، وإنما   رأوا رجلا عن موقف الذل أحجما
أرى الناس من داناهم هان عندهم   ومن أكرمته عزة النفس أكرما
وما كل برق لاح لى يستفزنى   ولا كل من لاقيت أرضاه منعما
وإنى إذا ما فاتنى الأمر لم أبت   أقلب طرفى إثره متندما
ولكنه إن جاء عفواً قبلته   وإن مال لم أتبعه لولا وربما
وأقبض خطوى عن أمور كثيرة   إذا لم أنلها وافر العرض مكرما
وأكرم نفسى أن أضاحك عابساً   وأن أتلقى بالمديح مذمما
ولو أن أهل العلم صانوه صانهم   ولو عظموه فى النفوس لعظما
ولكن أهانوه فهان ودنسوا   محياه بالأطماع حتى تجهما
أأشقى به غرسا وأجنيه ذلة ؟   إذن فاتباع الجهل قد كان أحزما

ويا ليت كل عالم ينقش هذه الأبيات فى صدر محرابه ، وعلى صفحة قلبه ، ويجعلها دستوره فى حياته ، وإمامه فى خلائقه !

والأبيات الأخرى :

وقالوا : توصل بالخضوع إلى الغنى   وما علموا أن الخضوع هو الفقر
وبينى وبين المال شيئان حرما   علىّ الغنى : نفسى الأبية والدهر
إذا قيل هذا اليسر أبصرت دونه   مواقف خير من وقوفى بها العسر

وله فى هذا المعنى الشعر الكثير الجيد ، أما غزله فسهل حلو منه قوله :

مالى ومالك يا فراق   أبداً رحيل وانطلاق
يا نفس موتى بعدهم   فكذا يكون الاشتياق

وقوله :

قد برح الحب بمشتاقك   فأوله أحسن أخلاقك

(١) الوفيات ١ — ٤٠٨

لا تجفه وارع له حقه فإنه آخر عشاقك

وهاك القاضي سوار (الأصغر) بن عبد الله من أهل القرن الثالث الذي يقول:

سلبت عظامى لحمها فتركتها عوارى فى أجلادها تتكسر
وأخليت منها مخها فكأنها أنابيب فى أجوافها الريح تصفر
إذا سمعت باسم الفراق ترعدت مفاصلها من هول ما تتحذر
خذى بيدى ثم اكشفى الثوب فانظرى
بلى جسدى لكننى أتستر!
وليس الذى يجرى من العين ماءها ولكنها روح تذوب فتقطر

وهاك قاضى القضاة ابن خلكان المشهور، وكان يعشق الملك المسعود بن المظفر، وكان قد تيمه حبه، قال القاضى التبريزى: كنت عنده فى العادلية (دار المجمع العلمى اليوم) فى بعض الليالى، فلما انصرف الناس من عنده قال لى: نم أنت ههنا. وألقى على فروة، وقام يدور حول البركة، ويكرر هذين البيتين إلى أن أصبحنا فتوضأنا وصلينا، والبيتان هما:

أنا والله هالك آيس من سلامتى
أو أرى القامة التى قد أقامت قيامتى

ولما فشا أمره، منع الملك ابنه من الركوب، فاشتد ذلك على ابن خلكان، فكان مما قال:

إن لم تجودوا بالوصال تعطفاً ورأيتم هجرى وفرط تجنبى
لا تمنعوا عينى القريحة أن ترى يوم الخميس جمالكم فى الموكب
لو كنت تعلم يا حبيبى ما الذى ألقاه من كمد إذا لم تركب
لرحمتنى ورثيت لى من حالة لولاك لم يك حملها من مذهبى
ومن البلية والرزية أننى أقضى ولا تدرى الذى قد حل بى
قسما بوجهك وهو بدر طالع وبليل طرتك التى كالغيهب
لو لم أكن فى رتبة أرعى لها العهد القديم صيانة للمنصب
لهتكت سترى فى هواك ولذ لى خلع العذار ولو ألح مؤنبى
لكن خشيت بأن يقول عواذلى قد جن هذا الشيخ فى هذا الصبى
فارحم فديتك حرقة قد قاربت كشف القناع بحق ذياك النبى
لا تفضحن بحبك الصب الذى جرعته فى الحب أكدر مشرب

وله فيه شعر كثير جدا.

ومن شعر محمد بن داود الظاهرى، وكان فقيهاً على مذهب أبيه داود وكان شاعراً:

أنزه فى روض المحاسن مقلتى وأمنع نفسى أن تنال محرما
وأحمل من ثقل الهوى ما لو انه يصب على الصخر الأصم تهدما

ومن شعر أبى الفضل الحصكفى [1] الفقيه الشافعى:

أشكو إلى الله من نارين: واحدة فى وجنتيه وأخرى منه فى كبدى
ومن سقامين: سقم قد أحل دمى من الجفون وسقم حل فى جسدى
ومن نمومين: دمعى حين أذكره يذيع سرى وواش منه بالرصد
ومن ضعيفين صبرى حين أبصره ووده وراء الناس طوع يدى

* * *

ولو ابتغيت الاستقصاء، وتتبعت المراجع، لجمعت من غزل الفقهاء كتابا، فأين بعد هذا يزعمون أن الفقهاء كرهوا الشعر، وتنزهوا عنه؟

أما إنها لم تفل ألسنة علمائنا، ولم تكل أقلامهم، ولم تخفت أصواتهم، إلا حين أضاعوا ملكة البيان، وزهدوا فى الأدب، وحقروا الشعر ... فهل لعلمائنا عودة إلى ما هم أخلق به، وأدنى إليه، وأقدر لو أرادوه عليه؟!

وردت فى المقال المنشور فى العدد الماضى كلمتان فى أبيات سعيد بن المسيب على غير وجههما الصحيح وهما:

وعلت فتات المسك، وقامت ترانى يوم جمع، وصوابهما: وعالت، وتراءى.

على الطنطاوى

(١) نسبة إلى حصن كيفا فى العراق، وأظنه هو المعروف اليوم بتل كيف والتحقيق عند صديقنا الأستاذ العزاوى.

هذا هو الريف :

بعثة طبيــــة ... ! (*)

للأستاذ سـيد قطب

« إلى المترفين في المدينة أولئك الذين يتشدقون بإصلاح الريف وهم لا يدرون شيئاً عن هذا الريف »

كانت الساعة تقارب العاشرة صباحاً ... كانوا قد تلقوا الدرسين الأول والثاني في مدرسة القرية ، ثم انطلقوا ... انطلقوا من الفصول كالعصافير الحبيسة حينما تنطلق من القفص بعد حبس طويل ، انطلقوا يقفزون ويركضون ، ويزعقون ويتصايحون ، لغير ما قصد ولا غاية إلا تأكيد شعورهم بأنهم طلقاء بعد الحبس الطويل !

ثم لكي يفرغوا لنقل ما تحمله جيوبهم من بعض الأطعمة إلى بطونهم ، فلقد حملوه نحو ساعتين ، ولكن « النظام » في الفصل لم يكن ليسمح لهم بعملية تفريغ الجيوب !

ثم لكي ينصرف أبناء الأغنياء منهم إلى « عشة عم خليل » بائع القصب والبلح ، فيشتروا منها بمليم !

ولم تكن هذه كل قيمة « الفسحة » ، فلقد كان لهؤلاء الأطفال مآرب في تلك الفسحة القصيرة — ربع الساعة — لقد كانت المدرسة في طرف القرية على حدود الحقول الواسعة . وإذا كانت وظيفة الحقل أن ينبت للناس وللماشية الحبّ والأبّ ، فلقد كانت له وظيفة أخرى عند تلاميذ المدرسة ، وعند غيرهم من سكان القرية ... إنه يقوم لهم بوظيفة المراحيض العمومية !

انطلق التلاميذ إذن في كل مكان يفرغون ما تحمله جيوبهم في بطونهم ، وما تحمله بطونهم في الحقول القريبة ... ولكنهم فوجئوا بجرس المدرسة يدق دقاً عنيفاً متواصلا قبل الميعاد المقرر للحصة الثالثة .

وانتظموا صفوفاً بعد قليل ، ولم يسمعوا تلك النداءات المعهودة التي يؤدون على أساسها بعض الحركات الرياضية الساذجة ، ولكنهم سمعوا ناظر المدرسة يلقي عليهم خبراً غريباً عجيباً لم يسمعوا به قبل الآن ... إنهم الآن ذاهبون إلى « دُوّار العمدة » ، وسيسيرون في الطريق بنظام . وكان هذا يقتضيهم أن يقطعوا شوارع القرية كلها تقريباً ، فدوار العمدة في أقصى الطرف الآخر من القرية ، والناظر يحذرهم من الإخلال بالنظام في أثناء السير ، والالتفات إلى اليسار أو إلى اليمين ، وبخاصة عند مرورهم « بسويقة القرية » ، حيث يعرض القصب والبلح والتفاح البلدي الفج !

يذهبون إلى دوار العمدة ؟ ولماذا ؟ وهم لم يدخلوا هذا الدوار قط ، وإن سمعوا من آبائهم وأهليهم أنهم يذهبون في بعض الأحيان ، عند ما يستدعيهم أحد الخفراء ، أو لأداء شهادة ، أو للشكوى من بعض الفلاحين ... أما هم ... هم تلاميذ المدرسة ، فما لهم وكل هذه الأشياء ؟

وكان هو جريئاً بعض الشيء على ناظر المدرسة ومدرسيها ، فاستطاع أن يسأل : ولماذا نذهب إلى دوار العمدة ؟

سأل ، ويا ليته لم يسأل ! لقد كان الجواب كارثة عظمى لم تخطر له ولا لزملائه على بال .. إن « الحكيم » هناك — أي الطبيب — وهو يطلبهم جميعاً !

الحكيم ؟ يا للداهية ! اليوم دنت آخرتهم ولاشك ، فعهدهم بالحكيم هذا ألا يزور القرية إلا في يوم أغبر أكدر ، يوم يقع في البلد قتيل ، ثم تحضر « النيابة » ، ويحضر معها الحكيم لتشريح الجثة !

والنيابة والحكيم هذان هما الشيئان الهائلان المخيفان في القرية كلها . أما في أذهان الأطفال ، فهما « هيولى » لا يتصورون لها شكلا ولا حجما ، فخيالهم الصغير يستطيع أن ينطلق في تصورهما كيف شاء ، ولكنه لن يميزهما بحدود مما يميز الأشخاص والأشياء .

ثم ها هو ذا الحكيم يطلبهم ، يطلبهم هم بالذات ، فما ذا يكون الأمر ؟

إنهم لا يعرفون لماذا يطلبهم مطلقاً ؛ ولكنهم واثقون

(*) فصل من كتاب (طفل في القرية) يظهر في أول أبريل .

فى قرارة نفوسهم أنه لن يكون خيراً ، وأنهم لن يخرجوا من الدوار — إذا خرجوا — وهم سالمون مثلما دخلوا بحال من الأحوال !

وما وظيفة الحكيم ؟

أليست وظيفته أن يشرّح جثث الموتى ، وأن يبقر بطون المصابين ، أو يقطع أيديهم وأرجلهم لمجرد الإيذاء ، أو لكى يفحمها ويلتذ بفحصها ؟ أو أن يسقى بعض المرضى « الفنجان » — أى السم — ليموتوا ، حتى لا يتعب فى علاجهم ، أو تلبية لرغبة العمدة الذى يرشوه للتخلص من خصومه الذين يصابون فى الحوادث !

فما هم وهذا الحكيم ؟

إنهم ليسوا قتلى يشرحهم ، وليسوا مصابين بقطع أوصالهم ، أو يسقيهم « الفنجان » ... ولكن ، أو يستدعيهم إلا لأمر ما ؟ أخف شىء يصنعه بهم هو « التجريح » ... (وهو الاصطلاح الذى يطلقونه على عملية التطعيم) ، تلك العملية المرعبة التى ينتدب لها بعض معاونى الصحة ، وبعض المرضين فى الحين بعد الحين ، فتروّع القرية ترويعاً ... وما إن يعلن أن فى البلد « الحكيم الصغير » (تمييزاً له من « الحكيم الكبير » الذى يطلبهم الآن والذى يرافق النيابة دائماً ولا يحضر منفرداً) ما إن يعلن هذا فى القرية حتى ترتج وترتجف ، فتخرج الأمهات إلى الشوارع مولولات مذعورات يلتقطن أطفالهن من كل مكان فى ذعر وعجلة ، ثم يغلقن على أنفسهن الأبواب ، ويصعدن إلى السطوح استعداداً للقفز عليها من بيت إلى بيت ، فكثيراً ما يدق هؤلاء الشياطين الأبواب ، ويكسرونها بمساعدة الخفراء ، ويهجمون على من فيها « للتجريح » !

فأما من تستطيع القفز إلى البيوت المجاورة ، فلن تقصر فى سلوك طريق النجاة ، وأما من لا تستطيع ، فإنها تختبئ فى صومعة الغلال ، أو فى خم الدجاج ، حيث لا يخطر على قلب « الحكيم » أنها هناك !

هذا هو الحكيم الذى يعرفونه ... فما بالهم بالحكيم الكبير الذى لا يحضر إلا مع النيابة ، والذى لا يقع أحد فى يده ، ثم ينجو إلا بمعجزة من معجزات القدر ، أو ببركة « تميمة » لولى من كبار الأولياء ، ؟ !

وارتجفت مفاصلهم جميعاً وهم يسمعون الخبر الفاجع ، واصفرت وجوههم ، وعلا صوت بعضهم بالنحيب والعويل !

* * *

ووصلوا إلى الدوار ، ولا يعلم إلا الله كيف وصلوا . ووقفوا صفاً طويلا . أوله فى داخل الدوار — أى فى منطقة الخطر — وآخره فى الشارع أمامه ... وعن اليمين وعن الشمال وقف الخفراء ببنادقهم « ولبدهم » الطويلة (جمع لبدة) ؛ ووقف أحد المدرسين فى أول الصف وأحدهم فى آخره . أما الناظر فقد سبقهم إلى الحكيم ليطمئنهم قليلا ، ويظهر أمامهم بمظهر الشجاعة المطلوب!

وكان ترتيب الصف حسب الطول ، فتقدم كبار التلاميذ وتبعهم الصغار أو القصار . وفى هذه اللحظة أصبح القصر نعمة كبرى من نعم الله !

فأما الذين تقدموا فلا يعلم عنهم أحد شيئاً إلا الله ، وأما المتخلفون فهم فى تطلع مستمر وقلق دائم ، ينظرون ماذا سيُفعل بأول الداخلين ، ليعرفوا نوع المصير الذى ينتظرهم بعد حين !

وكانت مفاجأة حينما بدأ بعض الكبار يخرجون ، بينما بقية الصغار لا يزالون فى الصف الطويل ... وانبعثت الصيحات والأسئلة التى لم يستطع كبحها الخفراء ولا المدرسون :

— دخلتم للحكيم ؟

— نعم دخلنا !

— وماذا صنع بكم ؟

— لا شىء ! غزّنا فى إصبعنا بالدبوس وشفط الدم ! الدم ! ولكن رؤيتهم لهم أحياء أصحاء مطمئنة على كل حال !

— وماذا هذا فى أيديكم ؟

— حق من الصفيح نأتى فيه بعينة براز وزجاجة صغيرة نأتى فيها بعينة بول !

— عينة براز وعينة بول ؟ ولماذا ؟

— لا ندرى ! هكذا طلب منا الحكيم !

— الحكيم نفسه طلب منكم هذا ؟

— لا ... الحكيم الكبير غزنا . والحكماء الصغيرون سلمونا الحق والزجاجة وطلبوا منا العينة للحكيم !

***

وتوارى الفزع قليلا ليحل محله التساؤل المصحوب بالدهشة والاستغراب لهذا الطلب الغريب !

إن أحداً لم يطلب منهم مثل هذا الطلب من قبل . وماذا يصنع الحكيم بهذه العينات العجيبة ؟ إنهم إن فهموا غزهم بالدبوس وشفط الدم ، فإنهم لا يفهمون طلب العينات . إن الغز والدم لازمتان طبيعيتان للحكيم ... ولكن هذا ! من يدرى ؟ إنه الحكيم !

وعلى سهولة الطلب ورخصه فإنه بدا صعباً عزيزاً فى كثير من الحالات ... لقد طلب إليهم جميعاً أن ينطلقوا إلى دورات المياه بمساجد القرية ، وأن يعودوا بعد نصف ساعة ومعهم المطلوب .

وليس كل تلميذ بمستعد لتلبية هذا الطلب فى مثل هذا الوقت ، ولا سيما أن « الفسحة » المدرسية كانت قد أفرغت ما فى البطون ... لو كان هذا قبل الفسحة لكان كل شيء حاضراً وبخاصة إحدى العينتين التى لا تأتى هكذا عند اللزوم !

فأما الذين كان فى أمعائهم بقية فقد انطلقوا مطمئنين ، وأما الذين أحسوا أن أمعاءهم لا تستجيب لهم ، أو حاولوا ولم يفلحوا ، فقد علا وجوههم الاصفرار ، وارتفعت دقات قلوبهم من الخوف ، وركبتهم الحيرة التى تركب المذعورين !

ماذا يصنعون ؟ وكيف يعودون إلى الدوار ، أو كيف يغيبون عن الموعد المرسوم ؟

إن أقل ما يتصورونه إن هم عادوا فارغين أن يبقر الحكيم بطونهم ليتناول منها العينة المطلوبة أو أن يدخل فى أجسامهم قنوات طويلة لسحب هذه العينة . وفى الأولى الموت أو خطر الموت ، وفى الثانية العار أمام إخوانهم وعند القرويين !

وهنا تتفتق الحيلة ، وتبدو قيمة التعاون !

إن التلاميذ لإخوة ، فمتى تظهر قيمة هذه الأخوة إن لم تظهر الآن ؟ !

لقد انطلق المحرجون يرجون إخوانهم أن يمدوهم بعونهم ، وأن يتولوا عنهم ملء هذه الأحقاق !

وهنا تظهر الطبائع على حقيقتها . فالشدائد هى أفضل محك لها ! فأما ذوو الأصل الطيب والطبع النبيل من التلاميذ فقد تقدموا لمعاونة زملائهم بلا تردد . وأما قليلو الأصل وذوو الطبائع اللئيمة ، فبعضهم امتنع شفاء لحزازات قديمة ، وبعضهم تمنع لؤما وانتهازاً للفرصة !

ولكن هذا التعاون لم يسد الحاجة إلا إلى حد معين ، وبقى عدد من الإخوان الذين لا يجدون ما ينفقون ! ... وهنا تفتقت عبقرية أحدهم عن حيلة بارعة :

إن فى مراحيض المساجد متسعاً للجميع !

أما كيف كان ذلك ! فلا بد من بيان عن هذه المراحيض :

كان فى القرية نحو عشرة مساجد مبنية كلها على الطراز العتيق . وكانت دورات المياه بها عجيبة . فهى مؤلفة من « مغطس » هو حوض مبنى من الطوب ومطلى بالسمنت من الداخل والخارج ، يملؤه عامل خاص ، يمتح بالدلو من البئر ويصب فيه حتى يمتلىء . وفى الحائط الخارجى للمغطس ركبت صنابير تصل من البناء مباشرة إلى الماء بداخله . ومنها يتوضأ المصلون .

ولكن المغطس لا يستخدم فقط للوضوء . إنما هو الحمام المختار لعدد كبير من الناس الذين يعوزهم الماء فى بيوتهم للغسل ، فيذهبون إليه فى جنح الظلام قبيل الفجر ، حيث يتسورون حائطه ، ويرفعون غطاءه الخشبى ؛ ثم يغطسون ، فينقون أجسامهم من الأوضار المادية والمعنوية ، ويدعونها هناك للمتوضئين !

ويلحق بدورة المياه المراحيض ، وبناؤها عجيب . فهى تقع فى صف طويل ، يفصل بين كل اثنين منها حائط ؛ ولكنها من الداخل متصلة بقناة مكشوفة يجرى فيها الماء للجميع من منفذ فى الحوائط الفاصلة بسعة القناة . وتملأ هذه القناة بالماء من البئر كما يملأ المغطس ومن هذا الماء الجارى المتصل ، يتناول المصلون وغير المصلين للاستنجاء بأيديهم ، وهم داخل المراحيض ، والماء يجرى ويتصل بالجميع !

أما بناء المراحيض ذاتها فأعجب . فالمرحاض يتكون من

« كتفين » يجلس فوقهما من يريد . وبينهما فجوة واسعة تضطر الجالس إلى أن يباعد مابين رجليه كى لا يسقط فى الفتحة الكبيرة. فى هذه الفتحة يتساقط ما يتساقط ، فيتراكم قريباً من الجالس . لأن خزانات المساجد محدودة ، والعدد الذى يتردد عليها ضخم جداً — إذ ليس فى المنازل مراحيض إلا نادراً — وجميع الرجال والأولاد الكبار يلجأون إلى المساجد والحقول . أما النساء والأطفال ففى سطوح المنازل متسع للجميع !

وتبقى هذه الحالة طوال السنة ، والرائحة التى لا تطاق تنبعث من هذه المراحيض المكشوفة ، والمواد النازلة على مرأى من الجالس لقضاء الحاجة ، والبعوض يتبادل مواقفه تارة على هذه المواد المكشوفة ، وتارة على وجوه الجالسين ، فإذا خلت منهم المراحيض أخذ طريقه إلى المصلين وإلى البيوت المجاورة جيئة وذهابا حيثما يريد !

وفى موعد خاص يستقدم « السَّرَبَاتِيَّة » أى الذين يكسحون المجارير . يستقدمون من المدينة القريبة بمقاولة خاصة لنزح خزانات مسجد أو عدة مساجد ، ولهذا النزح طريقة عجيبة .

إن العربات الخاصة لم تكن تستخدم هناك على النحو المتبع فى بعض المدن الخالية من المجارى . وما الداعى لهذه العربات ؟ وهناك طريقة طبيعية مقتبسة من البيئة الزراعية ؟!

ألا تستخدم القنوات فى الحقول لنقل الماء من مكان إلى مكان ؟ فلماذا لا تستخدم كذلك فى نقل هذه المواد من المجارير إلى الحقول ؟!

ألا إنها لتستخدم ! فما هو إلا أن تحفر قناة مكشوفة من المسجد الذى يراد كسح خزاناته إلى الحقول خارج القرية ، وتمر هذه القناة بالبيوت والحوانيت فى وسط الشارع ، ثم يربط جردل بحبل ويعلق هذا ببكرة ، ويقف عاملان يتناوبان فوق الخزان ، يملآن هذا الجردل من الخزان ويصبانه فى أصل القناة وبعد هنيهة يجرى التيار حاملا كل شىء إلى الحقول المحظوظة بهذا السماد الطبيعى الثمين !

هذا ويتفق أن تكون عدة مساجد متفرقة فى القرية فى حاجة إلى التطهير ، فتوفيراً للقنوات المتعددة ، توصل قناة بقناة ، وإذا بالقرية كلها شبكة واحدة من القنوات المتصلة ... وعلى سكان البيوت والحوانيت أن يتمتعوا بالمنظر الفذ والرائحة القوية أسبوعا أو أسبوعين ... فتلك بيوت الله ، ولا يجوز أن يتأذى أحد من فضلات المصلين !

* * *

قرب المواد المطلوبة فى فتحات هذه المراحيض العجيبة ، هو الذى فتق الحيلة البارعة التى نبتت فى ذهن هذا التلميذ العبقرى !

وما إن طلع بها على إخوانه الملهوفين ، حتى طلع عليهم الفرج بعد الضيق ... وماهى إلا دقائق حتى كانت الأحقاق كلها مليئة ، فتسلمها الحكماء فى اطمئنان عميق ... وسمح للتلاميذ بإجازة بقية اليوم ، فعادوا إلى منازلهم غير مصدقين !

* * *

وعلم فيما بعد أنها كانت بعثة طبية للقيام بإحصاء طبى عن حالات الانيميا والبلهارسيا والانكلستوما والإسكارس .

ولكنه لم يعلم كيف كانت النتائج التى دونتها البعثة فى إحصاءاتها الرسمية الوثيقة !!!

سيد قطب

الأدب في سير أعلامه :

ملتُن ...

[القيثارة الخالدة التي غنت أروع
أناشيد الجمال والحرية والخيال ...]

للأستاذ محمود الخفيف

— ٦ —



وبينما كان يتكلف ملتن المرح ، ويستجيب لدواعي الشباب فيغني أنغام الحب ، كانت نفسه تنطوي على معان غير هذه هي في الواقع أرَب مشاعره ومنتجع خواطره ومتجه خياله ، فتراه ينظم قصيدة استهلها بقوله « إيه يالغة قومي » أشار فيها إلى رغبته في التخلص من اللعب واللهو وعبر عن عظيم طموحه فقال إنه يفضل أن يتخذ لغة قومه سبيلا إلى موضوع أخطر شأنا فيستخدمها إذ يسمو عقله حتى يبلغ أسباب السموات فيطلع إلى الآلهة وهم منصتون إلى ما يترنم به أبولو ؛ ثم يغني هو بدوره فينبيء عن الأشياء الخفية التي وقعت ولم تزل الطبيعة في مهدها .

وهكذا يصور له كبرياء عقله موضوعا عظيما لشعره فيتخيل وهو دون العشرين ملحمة كونية تدور على خلق الدنيا وتكشف عن أغراض الدين وعن وظيفته فيها ؛ وما ترتضي طموحه موضوعا أقل من هذا ، ولا تقنع فطرته الشاعرة ولا عبقريته الباكرة بما يقنع به غيره من الشعراء فيتعلق خياله بأعظم ما يتعلق به خيال وأعمقه ، وماذا وراء الخليقة والآلهة في مسارح الذهن ومطارح الخيال ؟ وإنا لنلمح فيما يطمح إليه صورة مبهمة غامضة للفردوس المفقود ، ونراها هنا إغريقية الأشباح أولمبية الآلهة ، فهل كان يفكر الشاعر الناشيء منذ ذلك العهد في آيته الكبرى ويريد أن يتخذ من ميثولوجيا الأغريق مادتها ولباسها ؟ ذلك ما لانستطيع الجزم به ؛ على أننا نجزم في هذا الصدد بأن الشاعر كان يومئذ يشغل باله ويهجس في نفسه موضوع عريض فخم ، ولسوف نرى أن هذا الموضوع لن يبرح يطرق خياله ويهز نفسه حتى يتغنى بالفردوس المفقود ...

وإنه ليرتفع بشعره إذا تناول أمراً يتصل بالدين ، فيمد جناحي عبقريته ويرتفع ويحلق في أفق لم يكن ليبلغ في العلو مثله في غير ما يتصل بالدين ؛ تجد مثلا رائعاً لذلك في أنشودته الجميلة النبيلة التي نظمها سنة ١٦٢٩ وهو في الحادية والعشرين من عمره في عيد ميلاد المسيح وسماها « أنشودة في صباح الميلاد » وهي إذا نظرنا إلى سنه وقتئذ جديرة بالاعجاب حقاً ، تستحق ما نالت يومئذ من عظيم الثناء ويستحق صاحبها ما اكتسب من ذيوع الصيت ونباهة الاسم . ولقد أحس كل من قرأها أنه تلقاء روح عبقرية وثابة غلابة تملأ النفس شعوراً بتكامل القوة وإعجابا بروعة الفن وافتتانا بسحر الخيال . هذا إلى براعة الموسيقى وسمو اللحن وجلال الفكرة ، ولعلها في زعم بعض مؤرخي الأدب أجمل أنشودة في بابها في اللغة الانجليزية كلها .

تخلص ملتن في هذه الأنشودة من تأثير أوفيد ، وما عسى أن توحيه أوصافه وصور جماله من فتنة وإغراء ، وأراد أن يلبس معانيه لباساً روحانياً طهوراً وذلك بأن يطلق روحه من عقال الجمال اللغوي فيختار موضوعاً يواتي مايطلب . ولقد جمع في أنشودته هذه بين جلال الدين وجمال الطبيعة ، وكأنما أراد بذلك أن يشير إلى وظيفة الشاعر الملهم إلهاما قدسياً وإلى صفات فنه ، فجاءت هذه الأنشودة مثلا يضرب به لمقدرته على التوفيق بين الجمال الذي يطرب له والسمو الروحي الذي يتعلق به .

تتألف هذه الأنشودة من سبع وعشرين فقرة بكل فقرة

ثمانية أسطر ؛ ومهد لها بمقدمة من أربع فقرات ، فهى كما ترى ليست بقصيرة وبخاصة إذا ذكرنا بعض ما يختص به شعر ملتن وهو الإيجاز البليغ الرائع فى التعبير عن المعنى المراد ، والإيحاء القوى الواسع فى استعمال الكلمة المختارة .

يصف ملتن الطبيعة قبيل مولد الطفل وبعد مولده فيبدع ويعجب ؛ يصور فرحة الكون المتطلع إلى المولود تنبعث من سمائه وأرضه لحناً جديداً تغنى به الكواكب وتجاوبها الأرض ويمتزج به غناء الملائكة ، فتنتشى أنفس الرعاة والناس ، ويحسون تآلفاً واتساقا بين موسيقى الكون وموسيقى نفوسهم ؛ وما هذا اللحن الجديد الذى تتجاوب به أرجاء الطبيعة وتستجيب له الأنفس إلا رمز لما يبشر به المسيح وما يدعو إليه من سلام وصفاء ومحبة . ويملأ الشاعر نشيده بما أبدع من صور ، فهناك رهط الرعاة فوق المروج الخضر فى هيئتهم القروية الساذجة . وهناك الصفان الأول والثانى من قبيل أولى أجنحة من الملائكة بين لابس خوذة وحامل سيف ، ومدرع بدرع براق . ثم هناك رهط من الآلهة بين إغريقية وفرعونية ، وأنماط من الأرواح الطيبة والخبيثة ، وعدد من عذارى الميثولوجيا ومخلوقاتها من طير ووحش وجن . هذا إلى ما سوّى خياله من مباهج الطبيعة ومفاتنها ، وما ابتدع بيانه من ضروب التعبير وصور التشبيه ، وأشكال المجاز ، وألوان الاستعارة ، تنظمها جميعاً موسيقى تكافىء موضوع الأنشودة وتواتى غرض الشاعر ، وينهض كل أولئك أدلة قوية على ذوق مطبوع وفن موهوب وذهن متمكن .

وكأنما أغراه نجاحه فى أنشودته هذه بهذه الناحية الدينية فأراد أن يعكف عليها . فهاهو ذا ينظم قصيدة جعل موضوعها صلب المسيح، وأخذ يمهد لوصف ما لاقاه من ألم هائل وعذاب مخيف ؛ غير أنها لم تصادف ما صادفته أنشودة الميلاد من هوى فى نفوس سامعيها من أقرانه فكرهها وشهد على نفسه أنه أخفق فيها ، وأمسك عن إتمامها لأنها « مطلب فوق ما يصح أن تتطاول إليها سنه يومئذ » ؛ وكان ملتن على شدة اعتداده بنفسه يرى مواطن الضعف فيما يأتى من عمل فينتقد نفسه ويتخلص من ضعفه وتلك إحدى محامده وهو من أجلها خليق بأوفر الثناء .

وفترت بعد تلك القصيدة حماسته لما هو موصول بالدين ، وتطامن طموحه إلى حين ؛ فانصرف إلى مجال آخر لم يتناوله من قبل وهو مجال الطبيعة ومشاهدها وما يبث فيها من جمال . ولعل إغلاق الكلية بضعة أشهر لتوقى الطاعون وزيارة ملتن أثناء ذلك للريف مما ساعد كذلك على إقباله على هذه الناحية الجديدة فى شعره .

نظم ملتن فى العام التالى قصيدة فى عيد الربيع عنوانها : « أغنية فى أحد أصباح مايو » فوصف شهر الورد وبهجته وما يبثه فى النفوس من مرح وشباب وسحر ، وكيف ترتدى الغابات والخمائل برداءه ، وتزهى الربى والخمائل بنعمائه ؛ ونظم قصيدة أخرى هى « نجوى البلبل » تفيض كسابقتها باحساسه بالجمال والمرح وتعبر عن حيوية الشباب ولهوه ؛ وتنبىء بأنه لا يزال يهفو إلى الحب قلبه وتتعطش إلى لذاذاته نفسه .

ويرهن ملتن بقصيدتيه هاتين على استعداد عظيم لوصف مشاهد الطبيعة ، وتجلت فى هذه الناحية مقدرته على الإيحاء والتصوير بالكلمة المختارة تجر وراءها مختلف الصور حتى ليرى المرء بعين خياله ما يرى مثله ببصره من صور الكون ومشاهده ، وتلك موهبة تجعله يصنع بألفاظه ما يصنع الرسام بريشته ؛ وسيغدو ملتن من شعراء الطبيعة الأفذاذ فى أدب العالم كله ، وسيظل فى الأدب الانجليزى بعد شكسبير فى وصف الطبيعة الشاعر الذى لا يتطاول إلى أفقه حد …

وظهرت دلائل ما يعتلج فى أطواء نفسه من حب فى سلسلة من الأغنيات نظمها بالطليانية ، بعد قصيدتيه الأخيرتين ، وقد كتب إلى صديقه ديوداتى يقول : « أكتب إليك ما أكتب وأنا دهش منه ! اعلم أنى أنا الذى طالما تهزأت بالحب واحتقرته وضحكت من شركه قد وقعت بغتة فى هذا الشرك » . والحق أن ملتن كان يومئذ يضطرب بين الاستجابة القوية لداعى الحب والخوف من ضلالاته حتى غلبه الحب على أمره ، فأخذ يغنى الحانا يشهد من قرأها أنها من أجل الحانه وأعذبها ارتفع فيها بالحب إلى جوه المثالى وأفقه العذرى وخياله الشاعر .

وكانت الفتاة التى يشير إليها فى أغنياته الجديدة طليانية الأصل يزينها نمط من الجمال الأجنبى يعد جديدا على نفسه جديدا فى ناظريه ، وقد افتتن بمحياها الأسمر وعينيها الدعجاوين ، وأخذ حبها بمجامع

قلبه ، وأحست بموقعها من نفسه فلم تلبث أن بادلته الحب ، وطارحته أحاديث الهوى ، فقد نظم أغنياته بالطليانية استجابة لطلبها إذ قالت له « إن الطليانية لغة الحب » .

ونظم ملتن فى نفس السنة أبياتا عن شكسبير لتطبع فى صدر مجموعة من آثاره ، وتبين الناس فى هذه الأبيات مبلغ ما أوتيه من قوة البلاغة ومهارة التعبير فضلا عن أصالة الخيال الشعرى وجماله . وحسبك منه قوله : « ما حاجة شكسبير إلى صرح من الأحجار يعمل جيل فى إقامته فوق عظامه المجيدة ؛ ما حاجة رفاته إلى هرم يومىء إلى النجم ؟ يا ابن الذكر الحى يا أيها العزيز ، ويا وارث الصيت المجيد ، يا أيها العظيم ما حاجة اسمك إلى تزكية ضعيفة كهذه ، وقد بنيت لك من إعجابنا ودهشتنا تمثالا لا يبلى ؟ إنك قد أفضت علينا من شعرك الدفاق ما يخجل حياله كل فن متعثر بطىء ، واستمد كل قلب من أوراق كتابك الذى يجل عن كل قدر ، تلك الأسطر التى تنتمى إلى « دلفى » ، تلك الأسطر الخوالد التى تركت فيه أعمق الأثر ، ولقد سحرتنا عن أنفسنا حتى أحالتنا إلى مرمر من فرط ما تخيلنا وعجبنا ! وكان لك وأنت هكذا دفين ، من عظمتك ومن أبهة ذكرك وفخامته قبر من أجل الظفر بمثله يتمنى الملوك الموت » .

وبعد نشر هذه الأبيات القوية فى صدر تلك المجموعة من آثار شكسبير دليلا على أن ناشريها كانوا ينظرون إليه يومئذ وهو لا يزال طالباً فى الكلية نظرتهم إلى شاعر بدأت تتحقق له نباهة الإسم .

ونظم ملتن فى سنتيه الأخيرتين بالكلية بضع قصائد فى مناسبات ، أهمها ثلاث مرثيات وقصيدة كتبها عن نفسه هى أقرب إلى شعر التأملات . أما المرثيات فاثنتان منها كانتا عن هوبسون الشيخ أحد موظفى الكلية وقد قضى فيها من عمره سنين طويلة ، وفيها يمزج ملتن العطف بروح الدعابة . وكانت الثالثة عن سيدة فى مقتبل العمر تدعى ليدى ونشستر أحدث موتها حزنا عميقا فى أوساط المجتمع العليا . ولقد ذاعت مرثية الشاعر الشاب ذيوعا عظيما فى تلك المناسبة ، وأحبها كل من قرأها وأثنى على الشاعر من أجلها ثناء كبيراً .

أما القصيدة التى كتبها عن نفسه فكانت فى عيد ميلاده الثالث والعشرين ، وفيها يعجب الشاعر من سرعة انقضاء الزمن ، ويأسف أن يخلو ربيع حياته الأخير من البراعم والأكمام ؛ وهو بهذه الاشارة يضطغن على نفسه ، فربيعه زاخر بالحياة والنماء ، ولعله يقصد أن أكثر ما جادت به يراعته لم ينشر ليدل على وفرة ثماره ، أو لعله ضرب من الطموح ، فهو إذ يستقل ما عمل حتى يومه هذا إنما يشير إلى ما هو جامع له عزمه فى غده .

والشواهد على عزمه المصمم قائمة فى موضوع ألقاه فى سنته الرابعة والعشرين وهى السنة التى غادر فيها الكلية ، وكان الطلاب يتناظرون فى العلم والجهل وأن العلم يجلب للمرء من السعادة أكثر مما يجلب الجهل ؛ وتحدث ملتن فأفاض وأجاد فى بيان فضل العلم وقارن بين أوروبا فى عصر الظلمات وبينها فى عصر النهضة ، وأشار إلى الإنسان فى بداوته إذ كان يهيم على وجهه ويتخذ من الجبال بيوتا ويعيش بلا دين ولاقانون ولاثقافة كما تعيش ضوارى الوحش ، وإلى الإنسان فى حضارته وما ينعم به من المعرفة ويهتدى به من الدين ويتمتع به من روابط الثقافة ، واختتم كلامه فأهاب بالمستمعين أن يكتسبوا كل يوم معرفة جديدة حتى يكون شأنهم شأن الاسكندر حين بكى لأنه لا يجد أمامه عوالم أخرى تطويها انتصاراته ...

وفى سنة ١٦٣٢ غادر ملتن الكلية بعد أن حصل على درجتها العلمية الثانية وبعد أن قضى فيها سبع سنين ؛ رحل عنها وإنه ليأسف على رحيله كثيرون والكل به معجبون . ولا غرو أن تتغير نظرة الأساتذة والطلاب إليه عما كانت قبل ممن كان له مثل متانة خلقه ورجاحة عقله وفصاحة لسانه وقوة جنانه وشاعرية روحه وطموح نفسه ، خليق بمن عرفوه أن يأسفوا على فرقته وأن يعجبوا بشخصيته . ولقد طلب إليه أكثر من مرة القائمون على أمر الكلية أن يبقى بينهم زميلا بعد أن تخرج فيها ولكنه لم يجد فى نفسه الميل إلى ذلك ؛ ونجد مصداقا لتغير نظرتهم إليه فيما كتبه بعد ذلك بعشرة أعوام إذ أشار إلى ما لقى من احترام على أيدى أساتذة الكلية يفوق ما لقى أنداده منه ، وإلى رغبة هؤلاء الأساتذة فى أن يبقى معهم إلى أن قال « ولقد وثقت فوق ذلك من اختصاصهم إياى بالمودة والعطف وذلك من كتبهم التى تلقيتها قبل رحيلى وبعد ذلك بزمن طويل وكلها تفيض بعطفهم على ومودتهم إلى ومحبتهم إياى » .

أما هو فما كان يذكر أيامه فى كمبردج بخير ، بل ما برح يشكو من تخلفها فى المعرفة وتمسكها بالماضى وتعودها عما كان يرجو من نهوض .

(يتبع) **الخفيف**

كعب الأحبار هو الصهيونى الأول

للأستاذ محمود أبو رية

[نشر الأستاذ سعيد الأفغانى أن الصهيوني الأول هو عبد الله بن سبأ الذى تظاهر بالاسلام على عهد عثمان . وإنا على احترامنا لما نشر الأستاذ الأفغانى نبين أن الصهيونى الأول فيما حققناه هو (كعب الأحبار) ذلك الكاهن اليهودى الذى أسلم على عهد عمر خداعاً ونفاقاً ، وكان أول من أرسل الصيحة (بالصهيونية) فى بيت المقدس ، ولكن الفاروق فطن لهذه الدعوة الخبيثة وقضى عليها . ولما وجد أن عمر صخرة عاتية تحول بينه وبين ما يريد بالاسلام من كيد ، أخذ مع جماعة من فارس يأتمرون به ليقتلوه . ولما اندك حصن الاسلام بقتل عمر أرصد مكره ودهاءه لما أسلم من أجله ، فأنشأ يبث من إفكه — ما شاء أن يبث — فى تفسير كتاب الله وأحاديث رسوله . وإنا نكشف هنا عن حقيقة هذا الحبر الذى لا يزال يظفر بثقة المسلمين ، ويعتبرونه من خيار التابعين ، حتى يكون الناس على بينة من أمره ، ويعرفوا مبلغ ضرر هؤلاء اليهود الذين تظاهروا بالاسلام وانطوت قلوبهم على غيره]

لما قويت شوكة الدعوة الإسلامية واشتد ساعدها لم ير الذين كانوا يقفون أمامها ، ويصدون عن سبيلها ، إلا أن يكيدوا لها من طريق الحيلة والخداع ، بعد أن عجزوا عن النيل منها بوسائل القوة والنزاع .

ولما كان أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود ، لأنهم بزعمهم شعب الله المختار فلا يعترفون لأحد من غيرهم بفضل ، ولا يقرون لنبى بعد موسى برسالة ، فإن رجالهم وأحبارهم لم يجدوا بعد أن غلبوا على أمرهم ، وأخرجوا من ديارهم ، إلا أن يستعينوا بالمكر ويتغلبوا بالدهاء لكى يصلوا إلى مايبتغون . وهداهم المكر اليهودى إلى أن يتظاهروا بالإسلام ويطووا نفوسهم على غيره حتى يخفى كيدهم ويجوز على الناس مكرهم . وكان أقوى هؤلاء الدهاة (كعب الأحبار ووهب بن منبه وعبد الله بن سبأ) فاستغلوا بإسلامهم واندسوا بين المسلمين مظهرين عبادتهم وتقواهم . ولما وجدوا أن حيلهم قد راجت وأن المسلمين قد اغتروا بهم وسكنوا إليهم ، جعلوا أول همهم أن يضربوا المسلمين فى صميم دينهم فيدسون فيه ما يريدون من أساطير وخرافات وأوهام لكى يهى هذا الدين ويضعف . ولكى يحكم هؤلاء الدهاة أمرهم كانوا يزعمون تارة أن هذه المفتريات من كتابهم ويدعون أخرى أنها من مكنون علمهم ، وما هى فى الحقيقة إلا من مفترياتهم ، وأنى للصحابة أن يفطنوا لتمييز الصدق من الكذب من كلامهم ، وهم من ناحية لا يعرفون العبرانية التى هى لغة كتبهم ، ومن جهة أخرى فإنهم لا يجارونهم فى دهائهم ومكرهم . وبذلك كان الصحابة ومن تبعهم يأخذون كل ما يبثه هؤلاء الدهاة بغير بحث ولا نقد معتبرين أنه صحيح لا ريب فيه .

وإنا نلم هنا بطرف صغير من تاريخ زعيم هؤلاء الدهاة وشيخهم وهو (كعب الأحبار) وهو الذى نسوق من أجله هذا الحديث .

كعب الأحبار :

هو كعب بن ماتع الحميرى من آل ذى رعين ، وقيل من ذى الكلاع — من اليمن — كان من أحبار اليهود وعرف بكعب الأحبار ، أسلم على عهد عمر على الراجح وسكن المدينة فى خلافة عمر وتحول إلى الشام فى زمن عثمان فسكنها ومات بحمص سنة ٣٤ هـ .

وقد استصفاه معاوية وجعله من مستشاريه لكثرة علمه كما كانوا يقولون عنه أو كما زعم هو فى قوله « ما من الأرض شبر إلا مكتوب فى التوراة التى أنزل الله على موسى ، ما يكون عليه وما يخرج منه إلى يوم القيامة !!! »

وقد اغتر به الصحابة ومن بعدهم فرووا عنه وسمعوا منه ، وكان أكثر من روى عنه من الصحابة أبو هريرة الذى كان كذلك أكثرهم تحديثاً عن النبى ، ذلك بأن هذا الكاهن سلط عليه قوة دهائه لكى يستحوذ عليه ويهيمه ليلقنه كل ما يريد . ومما اتخذه من أساليب المكر والخداع ليطويه تحت جناحه أن قال فيه كما روى الذهبى : ما رأيت أحداً لم يقرأ التوراة أعلم بما فيها من أبى هريرة ! !

(١) على أنه قد دفن بحمص فان له قبراً يزار بالقاهرة بحي الناصرية قائم بمسجد يسمى باسمه .

سبب إسلامه :

وضع هذا الكاهن لإسلامه سبباً عجيباً فقد أخرج ابن سعد عن سعيد بن المسيب قال : قال العباس ما منعك أن تسلم فى عهد النبي وأبى بكر ؟ فقال إن أبى كتب لى كتاباً من التوراة فقال اعمل بهذا وختم على سائر كتبه ، وأخذ علىّ بحق الوالد على الولد أن لا أفض الختم عنها ، فلما رأيت ظهور الإسلام قلت لعل أبى غيب عنى علماً ففتحتها فإذا صفة محمد وأمته فجئت الآن مسلماً !

وروى عبد الله بن عمر أن رجلا من أهل اليمن جاء إلى كعب فقال له : إن فلاناً الحبر اليهودى أرسلنى إليك برسالة ! فقال كعب هاتها ، فقال له الرجل : إنه يقول لك ألم تكن سيداً شريفاً مطاعاً ؟! فما الذى أخرجك من دينك إلى أمة محمد ؟ فقال له كعب أتراك راجعاً إليه ؟ قال نعم ! قال فإن رجعت إليه فخذ بطرف ثوبه لئلا يفر منك ! وقل له : يقول لك ، أسألك بالذى فلق البحر لموسى ، وأسألك بالله الذى ألقى الألواح إلى موسى بن عمران فيها علم كل شيء !! ألست تجد فى كلمات الله تعالى أن أمة محمد ثلاث أثلاث : فثلث يدخلون الجنة بغير حساب ، وثلث يحاسبون حساباً يسيراً ثم يدخلون الجنة ، وثلث يدخلون الجنة بشفاعة أحمد !! فإنه سيقول لك نعم ! فقل له يقول لك كعب : اجعلنى فى أى الأثلاث شئت !

كيف كانوا يمكرون بالمسلمين :

اتبع هؤلاء الأحبار طرقاً عجيبة لكى يستحوذوا على عقول المسلمين ، وإليك طرفاً من هذه الأساليب :

أخرج الترمذى عن عبد الله بن سلام وهو من أحبار اليهود أنه مكتوب فى التوراة فى السطر الأول « محمد رسول الله عبده المختار مولده مكة ومهاجره طيبة وملكه فى الشام » وهذا الذى قاله ابن سلام قد أحكمه الداهية كعب ، فقد روى عنه الدارمى : فى السطر الأول محمد رسول الله عبده المختار لا فظ ولا غليظ ولا صخاب بالأسواق ولا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر ، مولده بمكة وهجرته بطيبة وملكه بالشام[1] وفى السطر الثانى : محمد رسول الله أمته الحمادون يحمدون الله فى كل منزل ويكبرون على كل شرف رعاة الشمس يصلون الصلاة إذا جاء وقتها ولو كانوا على رأس كناسة ! ويأتزرون على أوساطهم ويوضئون أطرافهم وأصواتهم بالليل فى جو السماء كأصوات النحل .

كعب وعمر :

لما أتى كعب إلى المدينة على عهد عمر مظهراً إسلامه أخذ يعمل فى دهاء لما أسلم من أجله ، فكان أول أمر وجه إليه همه أن يفترى الكذب على النبي ، ولكن عمر فطن لكيده فنهاه عن أن يروى عن النبي شيئاً وتوعده بأن يترك الحديث عن رسول الله أو يلحقه بأرض القردة .

وعلى أن عمر رضى الله عنه قد ظل يراقب هذا الداهية بحكمته وحزمه وينفذ إلى أغراضه الخبيثة بنور بصيرته كما جرى ذلك فى قصة الصخرة التى ستعرفها بعد ، فإن شدة دهاء هذا الرجل قد تغلبت على حزم عمر ويقظته فظل يعمل بكيده فى السر والعلن حتى انتهى الأمر بقتل عمر بمؤامرة اشترك فيها هذا الكاهن وجماعة معه منهم الهرمزان ملك خورستان وكان قد جيء به أسيراً إلى المدينة .

قتل عمر :

ذكر المسور بن مخرمة[1] أن عمر لما انصرف إلى منزله بعد أن أوعده أبو لؤلؤة جاءه كعب الأحبار فقال يا أمير المؤمنين (أعهد) فأنت ميت فى ثلاث ليال (رواية الطبرى فى ثلاثة أيام) قال وما يدريك ؟ قال أجده فى كتاب التوراة ! قال عمر : أتجد عمر بن الخطاب فى التوراة ؟ قال اللهم لا ، ولكن أجد حليتك وصفتك ، وأنك قد فنى أجلك ! قال ذلك وعمر لا يحس وجعاً . فلما كان الغد جاءه كعب ، فقال بقى يومان ! فلما كان الغد جاءه وقال: مضى يومان وبقى يوم ! وهى لك إلى صبيحتها ، فلما أصبح خرج عمر إلى الصلاة وكان يوكل بالصفوف رجالا فإذا استوت كبّر ، ودخل أبو لؤلؤة فى الناس وبيده خنجر فضرب عمر ست ضربات إحداهن تحت سرته وهى التى قتلته . ودخل عليه

---

(١) تخصيص الملك فى الشام على لسان هؤلاء الأحبار إنما كان لغرض سياسى وقد عقدنا له فصلا برأسه فى كتابنا (حياة الحديث المحمدى)

(١) ص ٢٤ ج ٣ تاريخ ابن الأثير .

كعب وقال له : ألم أقل لك إنك لا تموت إلا شهيداً وإنك تقول من أين وإنى فى جزيرة العرب ؟ وفى رواية أخرى : لما دخل كعب على عمر قال له « الحق من ربك فلا تكونن من الممترين »

ومما يمتلخ عرق الشك فى أمر تآمر كعب بعمر ما أخرجه الخطيب عن مالك ، أن عمر دخل على أم كلثوم بنت على وهى زوجته فوجدها تبكى ، فقال ما يبكيك ؟ قالت هذا (اليهودى) أى كعب يقول إنك باب من أبواب جهنم ! فقال عمر ماشاء الله ! ثم خرج فأرسل إلى كعب فجاءه فقال يا أمير المؤمنين والذى نفسى بيده لا ينسلخ ذو الحجة حتى تدخل الجنة ! فقال ما هذا ! مرة فى الجنة ! ومرة فى النار ! فقال : إنا لنجدك فى كتاب الله على باب من أبواب جهنم تمنع الناس أن يقتحموا فيها فإذا مت اقتحموا !!

وقد برت يمينه فقد قُتل عمر فى ذى الحجة سنة ٢٣ هـ

فهل بعد ذلك يمترى أحد فى أن كعباً هو رأس مؤامرة قتل عمر !

ولعل المسلمين قد ازدادوا ثقة بكعب بعد مقتل عمر إذ حسبوا أن التوراة كما يزعم فيها علم ما كان وما سيكون وما هو كائن ! ولكن لما كثر كذبه وفشا بهتانه أخذ بعضهم يقابل ما يرويه بالشك فقد روى البخارى أن معاوية قال فيه (إنا كنا لنبلو عليه الكذب ، وقال عنه على (إنه لكذاب) وكذبه كذلك عبد الملك بن مروان .

قصة الصخرة بين عمر وكعب :

لما افتتحت إيلياء وأرضها على يدى عمر فى ربيع الآخر سنة ١٦ هـ ودخل عمر بيت المقدس دعا كعب الأحبار وقال له : أين ترى أن نجعل المصلى ؟! فقال كعب : إلى الصخرة . فقال له عمر: يا ابن اليهودية ، ضاهيت والله اليهودية ، وفى رواية أخرى خالطتك يهودية ! وقد رأيتك وخلعك نعليك !

ولما أخذوا فى تنظيف بيت المقدس من الكناسة التى كانت الروم قد دفنته بها سمع التكبير من خلفه فقال ما هذا ؟ فقالوا كبر كعب وكبر الناس بتكبيره ! فقال علىَّ به فأُتىَ به فقال يا أمير المؤمنين : إنه قد تنبأ على ما صنعت اليوم نبى منذ خمسمئة سنة ! قال وكيف ؟ فقال إن الروم أغاروا على بنى إسرائيل فأديلوا عليهم فدفنوه ! إلى أن وليت فبعث الله نبياً على الكناسة فقال أبشرى، أورى شلم، عليك الفاروق ينقيك مما فيك! وهكذا يلعب بعقول المسلمين .

وقال كعب مرة : « إن الله قال للصخرة أنت عرشى الأدنى وأنها موضع قدم الرحمن . وقد وضع كعب وإخوانه فى فضائل بيت المقدس وغيره من البقاع التى فى الشام أكاذيب كثيرة ملأت مؤلفات .

ما بثه كعب فى التفسير والحديث :

بلغ من دهاء كعب أن جعل بعض الصحابة يروون عنه أحاديث معزوة إلى رسول الله. وفى كتب الحديث فى باب رواية الأكابر عن الأصاغر أن العبادلة الثلاثة[1] وأبا هريرة ومعاوية وغيرهم قد رووا عن كعب الأحبار .

ولا نستطيع أن نسوق هنا كل ما بثه فى تفسير كتاب الله ، وما رواه من أحاديث عن رسول الله لأنها إذا جردت تملأ مجلدات وإنما نجتزىء ببعض الأمثال :

قال لمعاوية عن ذى القرنين : إنه كان يربط خيله بالثريا .

وقال عن العرش : إنه لما خلق اهتز تعظيما فطوقه الله بحية لها سبعون ألف جناح ، فى كل جناح سبعون ألف ريشة ، فى كل ريشة سبعون ألف وجه ، فى كل وجه سبعون ألف فم ، فى كل فم سبعون ألف لسان يخرج من أفواهها كل يوم من التسبيح عدد قطر المطر وعدد ورق الشجر ... الخ فالتوت الحية على العرش ... وهى ملتوية عليه فتواضع عند ذلك !

وقال الأرضون السبع على صخرة والصخرة فى كف ملك والملك على جناح الحوت والحوت فى الماء والماء على الريح والريح على الهواء ريح عقيم لا تلقح وأن قرونها معلقة فى العرش .

وقال : إن لله ديكا عنقه تحت العرش وبراثنه فى أسفل الأرض فإذا صاح صاحت الديكة .

وما قاله كعب لم يلبث أن جاء حديثاً مرفوعا .

(١) هم عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو ابن العاص .

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٦٨٣ — قضية خمرية ...

في (شرح المقامات) للشريشي :

قال أحمد بن ظبيان الحائز : اجتمع قوم على شراب لهم فغناهم مغنيهم بشعر حسان :

إنَّ التي ناولتَني فرددتُهـا
قُتِلتْ (قُتِلتَ) فهاتها لم تُقتل[1]

كلتاهما حلب العصر فعاطني
بزجاجة أرخاها للمِفصل[2]

(١) يقال : قتلت الخمر إذا مزجتها ، وقد أحسن كل الاحسان في تجنيس اللفظ : دعا عليه بالقتل في مقابلة المزج (شرح الشريشي)

(٢) المفصل : اللسان لأن به يفصل بين الحق والباطل ، وليس فيما اعتمده عبيد الله بن الحسن من الأسجاح وخفض الجناح ما يقذف في نزاهته أو يغض من نبله وبراعته (شرح الشريشي)

فقال بعضهم : امرأتي طالق إن لم أسأل الليلة عبيد الله بن الحسن القاضي عن علة هذا الشعر لمَ قال : (إن التي) فوحد ثم قال : (كلتاهما) فثنى ؟ فأشفقوا على صاحبهم وتركوا ما كانوا عليه ، ومضوا يتخطون القبائل حتى انتهوا إلى بني شقرة ، وعبيد الله بن الحسن يصلي ، فلما فرغ من صلاته قالوا قد جئناك في أمر قد دعتنا إليه ضرورة ، وشرحوا له خبرهم ، فقال : (إن التي ناولتني فرددتها) عنى بها المزوجة بالماء ثم قال من بعدُ (كلتاهما حلب العصير) يريد الخمر المحتلبة من العنب والماء المحتلب من السحاب[1] المكنى عنها بالمعصرات في قوله تعالى وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا.

٦٨٤ — وصرت أنسى أنتي أنسي

ابن الحجاج البلوي : أنشدني العثماني لبعضهم في النسيان

أفرط نسـياني إلى غاية
لم يدع النسيان لي حسا

فصرت مهما عرضت حاجة
مهمة ضمنتها الطرسـا

وصرت أنسى الطرس في راحتي
وصرت أنسى أنني أنسى

٦٨٥ — على يد الإفلاس

قال ابن الهبارية :

يقول أبو سـعيد إذ رآني
عفيفاً منذ عام ما شربت

على يد أي شيخ تبت ؟ قل لي
فقلت : على يد الإفلاس تبت

٦٨٦ — وإنه تركناك فلنفسك

قال أبو العيناء : كنا عند ابن أبي دؤاد ومعنا محمود الوراق وجماعة من أهل الأدب والعلم فجاءه رسول إيتاخ فقال : إن الحاجب أبا منصور يقرأ على القاضي السلام ويقول : القاضي يتعنى ويجيء في الأوقات وقد تفاقم الأمر بينه وبين كاتب أمير المؤمنين (يريد ابن الزيات) فصار يضرنا عنده ، قصد القاضي . وما أحب أن يتعنى إليَّ لهذا السبب إذ كنت لا أصل إلى مكافأته .

فقالُ : أجيبوه عن رسالته . فلم ندر ما نقول ونظر بعضنا إلى بعض فقال : أما عندكم جواب ؟

(١) السحاب : اسم جنس جمعي واحده سحابة يذكر ويؤنث ويفرد ويجمع (التاج)

وفي التوراة : أربعة أنهار في الجنة ، وفي حديث أبي هريرة أحد من رووا عن كعب أن النبي قال : النيل وسيحان وجيحان والفرات من أنهار الجنة ، أما ابن عباس وقد روى كذلك عن كعب فقد جعلهم خمسة أنهار .

***

هذا هو كعب الأحبار — الصهيوني الأول — أبرزناه على حقيقته بعد أن نزعنا عنه ثوب الرواية الإسلامية فبدا لهم عارياً — كما خلقته الصهيونية — حتى يكون المسلمون على بصيرة من أمره ، ولعلهم بعد ذلك يعملون على تطهير كتب التفسير والحديث والتاريخ من مفترياته ومفتريات إخوانه من كهنة اليهود ليبدو نور الدين مشرقاً في محكم آياته ، وتتجلى لهم فضائله في ناصع بيناته ، ويتحقق قول الله : سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق .

(المنصورة) محمود أبو رية

قلنا : القاضي (أعزه الله) أعلم بجوابه منا .

فقال للرسول : إقرأ عليه السـلام ، وقل له : ما أتيتك متكثراً بك من قلة ، ولا متعززاً بك من ذلة ، ولا طالباً منك رتبة ، ولا شاكياً إليك كربة ، ولـكنك رجل ساعدك زمان ، وحركك سلطان ، ولا عِلم يؤلف ، ولا أصل يعرف ، فإن جئتك فلسلطانك ، وإن تركتك فلنفسك . فعجبنا من جوابه .

٦٨٧ — القدر والطلب

قال الطرطوشي : القدر والطلب كأعمى ومقعد فى قرية يحمل الأعمى المقعد ويدل المقعد الأعمى .

٦٨٨ — نصيح . . .

قال محمد بن الجهم : من شأن من استغنى عنك ألا يقيم عليك ، ومن احتاج إليك ألا يزول عنك ، فمن حبك لصديقك وضنك بمودته ألا تبذل له مايغنيه عنك ، وأن تتلطف فيما يحوجه إليك ، وقد قيل فى مثل هذا : أجع كلبك يتبعك ، وسمنه يأكلك . فمن أغنى صديقه فقد أعانه على الغدر ، وقطع أسبابه من الشكر . والمعين على الغدر شريك الغادر كما أن مزين الفجور شريك الفاجر .

٦٨٩ — انظر إلى وجهك ثم اعشق

جاريةٌ أعجبهـــا حسنُها فمثلُها فى النـاس لم يخلق
خبّرتهـــا أنى محبٌّ لهـا فأقبلت تضحك من منطقى
والتفتت نحو فتاة لهـــا كالرشأ الوسـنان فى قرطق
قالت لها قولى لهذا الفتى : انظر إلى وجهك ثم اعشق

***

اسمعيل القراطيسى :

وقد أتانى خبر ســـاءنى مقالها فى السر : واسوأتاه !
أمثل هذا يبتغى وصلنـــا أما يرى ذا وجهه فى المراه ؟!

٦٩٠ — فتوى الفتوة

قال الصفدى فى شرح اللامية :

أخبرنى من لفظه الشيخ العلامة أثير الدين أبو حيان سماعاً من كتابه المسمى مجانى العصر فى ترجمة جمال الدين ابرهيم الوراق الـكتبي (عرف بالوطواط) أنه كان بينه وبين بعض القضاة مودة فلما تولى ذلك القاضى قضاء الديار المصرية توهم جمال الدين أنه يحسن إليه ويبره ، فسأله فلم يجبه إلى شىء من مقصوده . فاستفتى عليه فضلاء الديار المصرية فـكتبوا على فتياه بأجوبة مختلفة وصير ذلك كتاباً ، وسماه (فتوى الفتوة ومرآة المروة) وقد راحت به نسخة إلى المغرب .

قلت : سألت أنا الشيخ أثير الدين عن ذلك القاضى فيما بينى وبينه فأخبرنى أنه شهاب الدين محمد الخولى ، وقد وقفت أنا على ذلك الـكتاب ونقلته بخطى ، وهو فى الجزء الثانى عشر من التذكرة والفتيا نثر حسن ، وأجوبة الجماعة أهل عصره نثر ونظم . ومعنى الفتيا : أيجوز لمن حسنت حاله وارتفعت منزلته ألا يحسن إلى صاحبه ولا يفى له بشىء من دنياه ؟

٦٩١ — فإن لم نجد عقلا فماذا نحيف

قال الصاحب فى رجل كثير الشرب ، بطىء السكر :

يقال لمـاذا ليس يسكر بعد ما توالت عليه من نداماه قرقف
فقلت : سبيل الخمر أن تنقص الحجى فإن لم تجد عقلا فـماذا تحيّف ؟

٦٩٢ — ما يمنعك من ذلك ؟

قال رجل لخالد بن صفوان : إنى أحبك

قال : وما يمنعك من ذلك ولست لك بجار ولا أخ ولا ابن عم ؟ (يريد أن الحسد موكل بالأدنى فالأدنى)

٦٩٣ — جوابان لسؤالين

سأل إنسان ابن الجوزى فقال : ما لنا نرى الـكوز الجديد إذا صب فيه المـاء ينش ويخرج منه صوت شكواه ؟

فقال : لأنه يشتكى إلى برد الماء ما لاقاه من حر النار .

فقال السائل : فما لنا نراه إذا ملأناه لايبرد فإذا نقص برد ؟

فقال : حتى تعلموا أن الهواء لا يدخل إلا على ناقص

نجوى الشهيـــد...

للشاعر حسين محمود البشبيشي

[لكأني بتلك الأرواح الشهيدة ، قد ترنمت بهذه الأنغام وهي تموت أجسادا ، لتخلد أرواحا ...]

أبي ، إن مزقوا بالنار قلبـاً بين أحناني
وســار الظلم مختالا على أطال أشلائي
ومت ولم يعد مني سوى ماض وأصداء
أبي لا تبك فالدنيـا سبيل النازح النائي
أبي لا تبكني فالموت لم يذهب بأضوائي

أبي لا تبـكني أبدا
قتلت على الثرى جسدا
وروحي ظل متقـدا
أبي لا تبك من خلدا

فلم يذبل سوى جسدي وروحي لم تزل تسرى
فسل فتياننا عنهـا ... ففيهم يقظة العمر
وفيهم صورة لفتاك ... رغم الموت والقبر
فما متنا ... ولكن مات من لم يسع للنصر
وماتت نفس من قد عاش بين الذل والقهر

أبي لا تبك من خـلدا
قتلت على الثرى جسـدا
وروحي ظل متقـدا
أبي لا تبـكني أبدا

وأنتم يا بني الأوطان ... أنتم عمري الثاني
ففي أضلاعكم قلبي وفيكم روح وجداني
سأخلد في شبابكم باحساسي وإيماني
إذا ما نصركم قد لاح أحيا ميت جثماني
وأسعد كلما ابتسمت بكم آمال أوطاني

قتلت على الثرى جسـدا
وروحي ظل متقـدا
وبين قلوبكم خـلدا
أبي لا تبـكني أبداً

أبي إن حقق الله على الأيام مسعانا
وتم جلاؤهم عنـا ... فلا تحزن لما كانا
وحسبك أننـا للنيل أرواحاً وأبدانا
تظللنا سمـاء النيل أطفـالا وشبانا
وقد عدنا لأرض النيل يوم الموت قربانا

أبي لا تبـكني أبدا
وحسب فتاك أن خلدا

من ليالي الفراق :

دمـــوع...

للشاعر عبد الرحمن الخميسي

دموعُك هذي التي تسكبين صبيبُ لظًى في فؤادي الأمين
فلا تحبسي سَيْلها ، إنني أراكِ بما فيه تحترقين !!
وصُبي على كَبِدي ... نارها فأحمل عنكِ الشقاء الدفين
يُفَدِّيكِ مني ما خلَّفتْه رزايا الزمان ، وظُلم السنين !
ألا قرّبي شفتيكِ ، وألْقي على كتفي رأسَكِ المستكين
فذاكَ المساء لنا حارسٌ يهوِّم في رحَبات السكون
وهذا هو النهر مَيْتٌ ... عليه من البدر ثوبٌ وضيء حزين
وذاك الشتاء عجوزٌ تدِبُّ فتسرى البرودةُ في العالمين
وهذا هو البدرُ يصعدُ في مراقي السماء كليلَ الجبين
محياه ... دُرَرٌ من سَناه يُبعثرُها في حمى العاشقين
ونحن على شاطئ النيل ، لا يرانا سوى شجرَ الياسمين
فلا تكتمي شهقةً في الضلوع بحرقتِها كدتِ تختنقين ... !!
دعيني أرشف دموعَكِ حتى أذوق بها لذعاتِ الشجون
وأشربُ بأنفاسِكِ المحرقاتِ سلافاً تخدِّرُ روحي الحزين
فأنسى الحياةَ وما فوقها سوى أننا في ذُرى الخالدين !

(يافا) عبد الرحمن الخميسي

البريد الأدبي

كيف صار والد المرحوم أحمد حسنين باشا أزهريا ؟

كان الشيخ محمد حسنين البولاقى من كبار علماء الدين فى الأزهر ، وكان أبوه من عظام أمراء البحر فى الأسطول ، وكان العرف المتبع أن يكون التعليم المدنى للخاصة والتعليم الدينى للعامة، فكيف صار ابن أمير البحر الأرستقراطى أزهرياً ؟

حدثنا صديقنا الأستاذ محمود حسن زناتى عن أبيه — وكان أبوه رحمه الله أستاذاً للطيب الذكر المغفور له أحمد حسنين باشا — أن الصبى محمد حسنين وقع فى نفسه منذ صغره أن يقرأ القرآن ويحفظ آداب الدين ، وازداد هذا الميل فيه حتى سأل أباه أن يرسله إلى الأزهر . فسخر منه أبوه وأمره ألا يجرى هذا الأمر على لسانه وألا يخطره بباله ، فتوسل إليه بالشيخ الانبابى شيخ الأزهر إذ ذاك فلم يقبل الوسيلة . وأصر الابن على طلبه ، وأصر الأب على رفضه ، وزاد على ذلك أن توعده بالطرد إذا أقدم على هذه المعرة . ولكن العاطفة الدينية كانت تعصف برأس الغلام عصفاً شديداً فلم يحفل بوعيد أبيه ، ودخل الأزهر وأوى إلى الشيخ الانبابى فآواه وأكرم مثواه وأنفق عليه حتى بلغ الغاية من الفقه فى الدين والتبحر فى علوم العربيــة . ثم ظفر بشهادة العالمية وارتقى إلى كرسى من كراسى الأزهر .

وفى ذات يوم دعا شيخ الأزهر أمير البحر إلى داره فلبى الدعوة ، وعرض عليه أن يزور الأزهر فقبل العرض ، وعلى حلقة من حلقات الدروس ازدحم فيها الطلاب واصطف حولها الوقوف ، وقف الشيخ الانبابى وسأل أمير البحر : أتعرف هذا العالم الشاب يا باشا ؟ فحدق الباشا فى العالم ثم فغر فاه وقال دهشاً : هذا إبنى محمد ! فقال الشيخ الانبابى فى لهجة لا تخلو من تأنيب وسخرية: نعم هو ابنك محمد يا باشا ؟ وإنى أناشدك الله أن تقول الحق: أيكما أعظم قدراً عند الناس وأرفع مكانة عند الله ؟ فلم يسع الباشا إلا أن يقول : هو ولا شك .

ومنذ ذلك اليوم كان الشيخ محمد حسنين ابن الباشا يغدو إلى الأزهر ويروح إلى القصر فى عربة فخمة يجرها جوادان مطهمان !

من أخلاق العلماء :

وعلى ذكر الشيخ الانبابى روى لنا الصديق موقفا من مواقفه التى يعتز بها الخلق ويكرم فيها الدين؛ وخلاصته أن اللورد كرومر رغب فى أن يزور شيخ الأزهر ، وكان الشيخ الانبابى قد جعل إدارة الأزهر فى داره بحى الظاهر ، فلما كلموه فى أمر تلك الزيارة أنكر أن يكون للورد معه شأن ، ولما قبل أن يزوره وسئل كيف يستقبله أبى أن يلقاه على باب الدار، وصمم أن يسلم عليه وهو قاعد . فقالوا له إنه كبير الانجليز وقد يجد فى هذا اللقاء إهانة له ولقومه ، وخير من ذلك أن نجلسه فى غرفة ثم يدخل الشيخ عليه فيقف هو وينتهى الأمر . فقال : هذه حيلة وأنا أكره الالتواء والتحيل ، وسألقاه على الوجه الذى أختاره فدعونى وإياه .

وأقبل اللورد كرومر فى جبروته وسلطانه فاستقبلوه إستقبال الملوك ؛ ودخل على الشيخ فى البهو وفى يده قبعته فلم يهتز الشيخ ولم يقف . إنما رد التحية وصافح اللورد وهو قاعد ، ثم قال لكبير من كبار المصريين كان حاضر الزيارة: قل للورد إنى أحترمه ، ولكنى سلمت عليه قاعدا لأن دينى ينهانى أن أقوم له . فانحنى اللورد وأثنى وشكر، ثم قال بعد ذلك لمن معه : هذا أول شيخ رأيته فى مصر يكرم نفسه ويحترم دينه !

الأستاذ منصور جاب الله :

كان الأستاذ منصور جاب الله كالشمعة التى تحترق لتضىء ما حولها . كان أديبا ملء إهابه ، وكان فناناً ملء بردنيه ، اتخذ الأدب غاية ، ولم يلتمسه وسيلة ، فتعفف عن التكسب به على وفرة إنتاجه ، وعلى أنه لم يكن على شىء من الثراء قل أو كثر ، وإنما كان غنى النفس عفيف القلب طاهر اليد واللسان .

وكان رحمه الله آية فى الوفاء للصحب والأصدقاء ، وإذ يعوزه أن يسد خلة لأحد منهم ، أو تتقاصر يده عن معونتهم ، يعمد إلى مساعدتهم بأدبه ، فيكتب لهم المحاضرات أو المقالات التى تدر عليهم المكاسب ، لا يقتضى على ذلك أجراً إلا المثوبة من عند الله . واقد عرفنا فيما عرفنا عنه أنه كان يساعد بعض إخوانه الذين نالوا درجات جامعية عالية ، فيعد لهم المراجع وينسق لهم

الفصول والأبواب ، ثم يصوغ الرسالة فى صيغتها النهائية ، ثم يتقدم بها الطالب فينال درجة الدكتوراة أو الماجستير ! !

إذن مات هذا الأديب المغمور ، فهل ذكره أحد ؟ أو نعته صحيفة من تلك الصحف التى كان يرسل قلمه فيها فياضاً جزلا ؟ لم يذكره أحد ، وجزى الله صديقه الأستاذ عبد اللطيف النشار إذ أنشد على قبره هذه الأبيات :

على « منصور » يبكى قارئوه ... فقد عرفوا له صدق الزماع
تنسك فى اليفاعة للأمالى ... وأخبت فى الشبيبة للسيراع
فكان بجده كهلا وشيخا ... فعاش كفاء أعمار تباع
له صغرى عجالات وضاء ... وكبرى ذات حسن وامتناع
فيا أسفا عليه وقد توارى ... وراء الغيب كالشفق المشاع

رحم الله الفقيد وعوض فيه الأدب خيراً .

فؤاد علي الاديب
جامعة فاروق — كلية الآداب

ملاحظة على مقال « غزل الفقهاء »

طالعت للاستاذ الكبير على الطنطاوى فى عدد الرسالة الأخير مقالا ممتعاً عن « غزل الفقهاء » وقد نسب فيه إلى الشاعر الفقيه « عروة بن أذينة » بيتين من الشعر هما :

قالت « وأبثثها وجدى فبحت به »
قد كنت عندى تحب الستر ، فاستتر
ألست تبصر من حولى ؟ فقلت لها :
غطّى هواك وما ألقى على بصرى

ولكنى كنت أطالع فى كتاب « شـــاعر الغزل » للأستاذ الكبير عباس العقاد فوجدته فى صفحة ١٣٢ ينسب هذين البيتين إلى الشاعر الغزلى « عمر بن أبى ربية » المخزومى الذى لم يشتهر بالتنسك والتفقه وإنما اشتهر بالتشبيب ومتابعة النساء فى خلواتهن .

ابراهيم عبد المجيد النزى

(مهد العرب) للدكتور عبد الوهاب عزام

مهما تباينت آراء النقـاد فى مقدار تأثير البيئة فى الأدب فلا مفر لفهم هذا الأدب فهما صحيحا من دراسة بيئته التى أمدته بالغـذاء ، وتعهدته بالنمو ، وأحاطته بالرعاية ، واستمد عناصره من مشاهدها ، والأدب العربى لا يزال بعوزه ليسهل هضمه تلك الدراسات التى تتناول بيئاته الطبيعية لاتصال تلك الآثار الأدبيــة ببعض الأماكن ، أو القبائل ، أو الحيوان ، أو النبات ، أو القصص ، مما يعين على استكناه روح البيئة التى ولدت ونشأت تلك الآثار بين أحضانها . فكانت هذه الدراسة الموجزة ، الوافية لمهد العرب عاملا قويا يتكىء عليه طلاب الأدب العربى عامة ، وقديمه خاصة ؛ لأنها تجلو لهم هذا المهد الذى كان له فى حيــاة العالم السياسية ، والإجتماعية ، والروحية ، والأدبية ، أعظم الأثر ، ويعين الباحث الأدبى على تمثل هذا الشعر واستمراء روحه ، وتعمق مراميه ، والوصول إلى أهدافه ، مما عجز عن القيام به المعاجم والشروح التى تتعلق بالألفاظ والأساليب ، وهذا الكتاب يقوم على وصف الجزيرة العربية الطبيعى ؛ وأقسامها وأعلام بلدانها ؛ ومحالها ؛ ووصل كل هذا بطرف مما يتصل به من الأشعار والأخبار والأساطير فى غير توسع ولا تعمق ، وذكر فيها أمهات القبائل ومواطنها فتناول بالكلام مهد العرب والجزيرة وأقسامها وما يتصل بكل قسم من بعض الأخبار والشعر ، فتناول الحجاز مولد الاسلام ومبعث النور الذى تتجه إليه القلوب والأوجه كل حين ، ويملأ كل قلب إليه حنين

بهذا الروح القوى استلهم — الدكتور — تلك الأماكن التى توحى بأروع الآيات التى تصور بهاء ذلك الماضى الحافل الذى يلقى فى النفس الجلال ، ويشيع فيها الخشوع ، وهكذا تكلم عن نجد ، والأحساء ، واليمن ، وحضرموت ، والربع الخالى ، وعدد سكان الجزيرة فى القديم والحديث ، تناول كل هذا الشتيت المبعثر ، ونسقه عقدا جميلا ؛ بهذا الأسلوب الأدبى الجزل ؛ فكان خير ما يقدم بين يدى الدراسات الأدبية والتاريخية .

محمد عبد الحليم أبو زيد



قصة ألبانية :

المهـــد الذهبى ...

[مهدة للأستاذ الـكبير كامل كيلانى]

نقلها الأديبان :

وهبى اسماعيل حقى وابراهيم خير الله

تتمـة

— ٥ —

أسرع محمود إلى فريد فى حجرة النوم — بعد أن قابل بيراما بالسيد عفت فى حجرة الأضياف — فوجده ما زال مستلقيا فى سريره ، فقال له :

— قم ، فقد جاء بيرام .

فقفز فريد من السرير وقال فى لهفة :

— وهل أحضر العينة ؟

— ليس معه شىء ، وإن الموضوع قد ارتبك ، فإن الخائن قد أخبر أناسا آخرين .

— وكيف كان ذلك ؟ ألا عليه اللعنة من الله .

قص محمود على فريد ما حدث — منذ دقائق فى الشارع من منزله — بينه وبين السيد لطفى وبيرام ، وسرد عليه ما دار بينه وبين شفيق فى الليلة الفائتة ، وختم حديثه بقوله :

— إننى بعد أن سمعت إلى شفيق ليلة البارحة فى المقهى ، بدأ الشك يتسلل إلى قلبى .

فقال له فريد وهو جاد فى استبدال ملابسه :

— والآن ما العمل ؟

— أمامنا مشاكل كثيرة ، كلها يتطلب سرعة الحل .

وكان فريد قد أتم تبديل ملابسه ، فصحب محمودا إلى حيث والده وبيرام يجلسان ، فلما وقع نظره على القروى ابتدره — من غير أن يحييه — بقوله :

— كيف أخبرت غيرنا بهذه المسألة ... ؟

ولم يدعه بيرام يتم حديثه فقد أجابه فى سرعة بقوله :

— لقد أخطأت خطأ كبيرا يا سيدى ، ولكن مع الأسف الشديد ، هذا هو الذى حصل .

— ولكنك ، أكدت لى أننى الوحيد الذى أفضيت إلى بهذا الموضوع .

— ولم أكن كاذبا حين قلت لك ذلك يا سيدى .

— إذن ما ذا حدث ؟

— سأشرحه لك كما وقع ، ولك أن تحكم — بعد ذلك — لى أو علىّ . قبل أن أجىء إليكم ، قابلت شابا أعرفه معرفة سطحية ، وهو طويل الجسم ، حسن الهندام ، جميل المنظر ، يرتدى — فى معظم أوقاته — معطفا أسود ، فصاح الجميع بصوت واحد :

— شفيق حامد .

— نعم ، هو شفيق حامد ، ها أنتم تعرفون اسمه . إننى متصل بهذا الشاب — من زمن بعيد — اتصالا غير وثيق . ونحن أيها السادة أناس أغبياء ، لم تصقلنا التجارب ، ومن السهل أن نتأثر بغيرنا ؛ لعدم ثقافتنا فى المدارس ، ولقلة درايتنا بأخلاق الناس ، بالأمس قابلت هذا الشاب ، وسألته عن تاجر يبتاع الآثار ، فأجابنى أنه لا يعرف أحدا ، ولم أتحدث إليه بأكثر من ذلك ، ولكنه — على ما يظهر — كان ذكيا ؛ فقد ارتاب فى أمرى ، لأنى عندما خرجت من هنا ليلة أمس وجدته ينتظرنى فى المحل الذى اعتدت النزول فيه كلما جئت إلى المدينة ، ولقد هددنى بأنه سيرفع أمرى إلى الحكومة إن لم أصارحه . أنا لا أستطيع الكذب ، فقد خفته كثيرا ، وخشيت أن ينفذ وعيده . ولما رأى ذلك منى ، قادنى إلى بيته ، ثم تركنى فيه وحيدا ، وعاد بعد قليل مع صديق له .

فقال محمود :

— السيد لطفى ؟ فقد تذكر أن شفيقا قد جاء إلى المقهى ،

واستدعاه حينما كان جالسا معه هو وفريد ، فأجابه بيرام فى هدوء واطمئنان :

— لم يذكر اسمه أمامى . ولكنى — إزاء تهديدهما لى — أخبرتهما أننى عثرت — بمحض الصدفة — فى حفرة قريبة من بيتى على بعض نقود قديمة ، ولم أقل لهما أكثر من ذلك ، وقد وعدتهم أن أرشدهم إلى الحفرة ، فإنى ما كنت أستطيع الإفلات منهم بغير هذا الوعد .

فقال له فريد فى حدة وغضب :

— إنك مخطىء .

ولكن السيد عفت — وهو الذى حنكته الأيام — بدأ يتكلم فى هدوء ورزانة فقال :

— إن المسألة — بوضعها الآن — ليست صعبة التسوية ، وإنه يجب البحث عن شفيق ولطفى والتفاهم معهما .

فأمن الجميع على هذه الفكرة ، ثم سأل فريد بيراما :

— ولماذا لم تأت بالعينة ؟

فتولى السيد عفت الإجابة عنه ، — فقد عرف منه السبب — فقال :

— قد فاض النهر هذه الليلة ، وأضحى من المستحيل الوصول إلى « دومنى » .

وقال بيرام :

— إن الجو جميل فى هذا اليوم ، ونستطيع أن نذهب جميعا الليلة .

فى هذه اللحظة دخل الخادم ، يعلن سيده أن شابين يريدان مقابلته ، فعلم الجميع أنهما لا بد وأن يكونا شفيقا وصديقه .

قال السيد عفت :

— انتظروا سأخرج أنا وحدى إليهما ، وغادرهم إلى حيث الشابان ينتظران . ولكن القروى بدا عليه كثير من الاضطراب وعدم الاطمئنان ، وخاض فى بحر عميق لجى من الأفكار . ثم إن فريدا قال له فى صوت العاتب :

— إنك السبب فى كل هذا الارتباك يا بيرام ! ولولا أنك أطلعت هذين الشقيين على هذا الموضوع ، ما حدث هذا اللغط ، ولا كانت هذه الضجة .

— إننى معذور يا سيدى ! فأنا رجل غير مثقف ، وإن قلبى يضطرب — خوفا وفرقا — عند ما يذكر اسم الحكومة أمامى إننى أضحى بكل شىء فى سبيل أنى لا أقاد إلى دار الشرطة ، وأنى لا أوقف موقف الاتهام .

نخفت ثورة الغضب من نفس فريد وأسرع إلى حيث أبوه والشابان ، فوجد شفيقا بجوار المكتب ، يرغى ويزبد ، ويهدد ويتوعد بأنه سيخطر أولى الأمر ، ووجد التاجر يجيبه — فى هدوء لفظ ، وخفوت صوت — قائلا :

— ولكن ذلك فى غير مصلحتك ، وأولى لك وأنفع أن نتفاهم فى جو يسوده الصفاء . فقال شفيق فى صوت أقل حدة :

— أنا أريد قسطى من هذا الكنز .

وهنا تدخل السيد لطفى وقال :

— يا شفيق ! إن السيد عفت أهل للثقة والشرف ، وهو أكبرنا سنا ، وأطولنا تجربة ، فلنترك له هذه المسألة ، يتولى التصرف فيها بحكمته ، ولنا من مشهور عدالته ، وكثرة خبرته ، أكبر الرجاء فى أن يصل إلى كل منا نصيبه فى غير صخب ولا منازعة . فهدأت ثائرة شفيق ، ووقع منه هذا الرأى موقع القبول . وانتقلوا جميعا إلى حجرة الاستقبال وانضموا إلى محمود وبيرام ، ثم أخذوا يتبادلون الرأى ويتشاورون فى الأمر ، وبيرام بينهم ينظر إلى كل منهم نظرة فاحصة ، فى ثبات ورزانة ، ولا ينطق بكلمة إلا إذا تطلب الموقف أن يقول شيئا . وأخيرا — وبعد طول جدل ومناقشة — استقر الرأى على أن يخرجوا — بعد الظهر — فى سيارة فريد بملابس الصيد ومعداته إلى قرية بيرام وينتظروا فى بيته إلى أن يجن الليل ، فيتسللوا إلى الكهف ، ويحصون بأنفسهم الأشياء الموجودة فيه ، ثم بعد عودتهم يبحثون عن أنجع الوسائل ، وأنجح الطرق فى تصريفها .

وقد اختتم التاجر الحديث بقوله :

— والآن ! يجب أن نتعاهد على أن نعمل متحدين فى إخلاص ، وعلى أن تسمعوا لإرشادى ونصحى ، فتعاهد الجميع على ذلك ، ثم انصرفوا على أن يجتمعوا فى الرابعة مساء وهم على أتم استعداد لبدء الرحلة . ولقد استبقى فريد محمودا ليعاونه على تجهيز السيارة ، وأما السيد عفت فقد بقى مع بيرام ؛ لأنه قرر

بقاءه فى البيت إلى أن يعودوا فيستأنفوا السفر إلى « دومن » حيث الكهف العجيب .

ولقد تناول محمود وبيرام غداءهما على مائدة السيد عفت ، ثم توجه محمود إلى منزله بعد الغداء مباشرة ليستبدل بملابسه ملابس الصيد . وما إن وافت الساعة الرابعة حتى التأم الجمع ، لكنهم وجدوا أن السيارة لا تتسع لجميع كلاب الصيد التى معهم ؛ فاقترحوا أن يتركوا كلب لطفى فى منزل فريد إلى أن يرجعوا ، ثم أخذوا أماكنهم فى السيارة إلا بيراما ، فإنه انتحى بالسيد عفت بعيدا عنهم وقال له هامسا :

— إننى لا أستطيع مغادرة أشقوداره ، قبل أن أدفع دينا صغيرا لتاجر هنا قد وعدته أن أؤديه إليه فى هذا اليوم ، وأخاف إن أنا لم أف بوعدى أن يجىء إلى القرية ويرانا هناك ، وحينئذ نقع فى ورطة يتعذر علينا الخلاص منها .

فقال له السيد عفت :

— وكم يبلغ دينك ؟

— إنه صغير جدا ، لا يزيد على ستة جنيهات .

فتشكك التاجر لحظة ، لكنه طرد عنه هذا الشك عندما رأى السيارة وبها الشبان ينتظرون بيراما ، وقال :

— انتظر إلى أن أحضر لك المبلغ ، ثم دلف إلى المنزل وعاد بعد قليل وسلم له النقود ، فوضعها فى جيبه وعمد إلى السيارة وأخذ مكانه منها ، فانطلقت بهم ، والتاجر ينظر إليهم وهو يخشى أن تلفت كثرتهم الأنظار إليهم .

أخذت السيارة طريقها إلى القرية مارة بسوق المدينة ، وقبل أن يجتازوه رجا بيرام فريدا — وقد جلس إلى عجلة القيادة — أن يقف السيارة ، فإنه سينزل ليؤدى دينا صغيرا — حل موعده — فى هذا المكان وأشار إلى محل معين ، فأوقف فريد السيارة ، ونزل بيرام واتجه إلى المحل الذى أشار إليه . فناداه شفيق وقال له :

— أسرع يا بيرام ! لنصل قبل الغروب .

وانتحى فريد بالسيارة فى الجانب الأيمن من الطريق حتى لا تعطل المارة ، وانتظروا وقتا غير قصير ، ولكن بيراما لم يرجع فزفر فريد زفرة حارة وقال :

— لست أعلم ، ما سبب هذا التباطؤ !

فقال السيد لطفى :

— أسرع إليه يا شفيق ! واستحثه على العودة بسرعة .

فنزل شفيق وقصد المحل الذى دخله بيرام ، لكنه عاد مسرعا وهو يصيح !

— إننى لم أجده هناك . فاستولت الدهشة على الجميع ، وتملكتهم الحيرة ، وقالوا :

— وإن أين ذهب هذا اللعين ؟ عد ثانية يا شفيق ! وسل عنه صاحب المحل . فرجع شفيق ، ولما رآه الرجل قال له :

— عمن تبحث يا سيدى ؟

— أبحث عن القروى الذى دخل هذا المحل منذ قليل ، فقال الرجل مبتسما :

— أظنك تبحث عن بيرام .

— نعم أبحث عنه ، ولكن من أين لك معرفة هذا الرجل ؟ .

— كيف لا أعرفه ، وهو أكبر شيطان ، وأذكى محتال أنجبته جبالنا . إنك لو علمت كيف لعب بكبار التجار ، وابتز أموالهم ، لاستولى عليك العجب . إن الوقت لا يتسع لأقص عليك أعمال ذلك الداهية المغامر . ثم حانت من الرجل التفاتة إلى السيارة فى جانب الطريق ، فاتسعت الابتسامة على شفتيه وقال :

— يلوح لى أنه قد أوقعكم فى شباك حيله . وفى هذه اللحظة انضم إليهما السيد لطفى ، فقد استبطأ شفيقا فجاء يستعجله ، وقد سمع الرجل يقول لشفيق :

— إن هذا الشيطان يلج على التجار بيوتهم ، فى ساعات مبكرة ، ويزعم لهم أنه اكتشف — مصادفة — آثاراً قديمة ، وكنوزاً عظيمة ، ويبتز نقودهم على حساب هذا الكشف ...

جمد السيد لطفى فى مكانه حينما سمع هذا الكلام ، فقد انماعت الآمال التى بناها على أساس هذا الكنز فى حرارة الحقيقة المؤلمة ، لكنه لم يلبث أن انفجر ضاحكا حتى كادت أنفاسه تنقطع ، فقد تذكر ما حدث منذ الصباح الباكر أمام منزل السيد عفت وفى داخله . ثم عاد مسرعا إلى رفاقه فى السيارة ، وأكد لهم أن بيرام غير موجود ، وأنه محتال كذاب ، وأعاد عليهم ما سمعه من

الرجل ، فاصطبغ وجهاهما بحمرة الغضب وضاقت فى عينيهما الدنيا ، وامتلأ قلباهما بالحزن ، وأخيراً لم يجدوا مناصاً من العودة إلى المنزل يجررون أثواب الخزى ، وتركوا شفيقاً يواصل البحث فى السوق عنه .

سمع السيد عفت صوت السيارة أمام المنزل فخرج مسرعاً فرأى السيد لطفى وفريداً ومحموداً ينزلون منها فسألهم فى لهفة :

لماذا عدتم ؟ ماذا حدث ؟ أين بقية الرفاق ؟ .

فاستغرقوا جميعاً فى الضحك وقالوا :

— لم يخطر لنا على بال أن قروياً ساذجا ، لم يذهب إلى المدرسة ولم يقرأ شيئاً عن المغامرات يستطيع أن يخدعنا إلى هذا الحد ، ثم شرحوا للتاجر كل ما جدّ بعد أن فارقوه . وكان كل واحد منهم يأخذ بنصيبه فى الشرح والتفصيل ضاحكا . أما السيد عفت فلم يستطع أن يتمالك نفسه وقال مغضباً :

— يجب البحث عن هذا السافل حتى نقبض عليه ، ونسلمه للشرطة ، إنه أخذ منى نقوداً ، وكذلك أخذ من فريد .

— وقال السيد لطفى :

— لقد أعطيته أمس جنيهاً ذهباً ، وكذلك فعل شفيق ، وإن النقود لم تكن لنا ، فقد اقترضناها .

وقال فريد — موجهاً حديثه إلى والده : —

— أعتقد يا والدى أننا لن نستطيع أن نمد له يد السوء ، فإننا نعجز أن نثبت ضده إدانة يؤاخذ عليها القانون ، ويبدو لى أننا لم نكن أول من وقع فى فخه ، وأنه مثل هذا الدور مع كثيرين .

فأجابه والده — وهو يكظم غيظه — بقوله :

الواقع أننى لم أصادف فى حياتى كلها قرويا له ذكاء هذا الرجل ، فقد أتقن حيلته ، وحملنا على أن نؤمن إيمانا عميقاً بكل ما يقول ، فقد كان بريق عينيه ، ونبرات صوته ، ينفذان إلى القلب فيمسحان عنه ما يكون قد علق به من شك .

وقال محمود :

— لقد عرف هذا الرجل كيف يلقى فى روعنا جميعاً أن ما جاء به حقيقة لا يشوبها خيال . فعباراته كانت دائماً هادئة رزينة ، خالية ، من المبالغة والتمويه ، وإن إجابته — فى غير ارتباك — على ما وجهته إليه من الأسئلة جعلتنى أشعر بالفرح يغمرنى من منبت شعرى إلى أخمص قدمى ؛ فقد أيقنت أن الحظ قد ابتسم لنا ، وأن الدنيا قد أقبلت علينا ، وما خالجنى شك أن هذا الرجل يستطيع أن يتفنن فى الكذب إلى هذا الحد .

واضطر السيد عفت — مع ما كان يحس به من حزن يعتلج فى قلبه — أن يجارى الشبان فيما هم فيه فطلب قهوة للجميع وعطف بهم إلى حجرة الطعام واستداروا حول المائدة وأخذ كل منهم يقص على الباقين ما كان قد اعتزمه من المشروعات على أساس هذا الكنز ، فقال محمود لفريد مازحا :

— وهكذا بقيت معاهدنا — يافريد — فكرة حبيسة فى نفوسنا لم تتنسم نسيم الحقيقة ، ولم تأخذ مكانها اللائق بجلالها فى عالم الوجود . ثم أردف بعد صمت لم يدم طويلا . والله ياسادة ! لقد كدت ليلة أمس — بعد أن طار عنى النوم — أن أقوم إلى مكتبى فأحبر قصيدة عامرة فى وصف ذلك المهد الذهبى الذى حرك بيرام فى قلوبنا الشوق إلى رؤيته ، ولكنى — تحت تأثير الإعياء — فضلت الانتظار ريثما أراه ليكون الوصف أتم وأشمل .

أما السيد لطفى فقد اعتدل فى جلسته وشرع يقول :

— تصوروا أننى قضيت ليلة أمس بين لذيذ الأحلام ، ومعسول الأمانى ، وكان أول شىء فكرت فيه — استغلالا لهذا الكنز — أن أسترد — بأى ثمن كان — قصرنا الذى ألجأتنا الضرورة إلى بيعه — وهنا سالت على خديه عبرة لم يستطع ردها — واستمر يقول : ولم يكد ضوء النهار يشيع فى الكون حتى أسرعت إلى هذا المكان وبى شوق كثير لرؤية القصر ، ولقد مررت ببابه كثيراً ، فناجيته أحرّ مناجاة ، وإنه ليدور بنفسى آنذاك أنه لن يمضى أكثر من يومين ثم نعود إليه ، ونسعد مرة أخرى بسكناه ، ونمرح فى جنباته ونلبسه حللا من الفخامة ليتناسب مع عهدنا الجديد ... كم رتبت من حفلات الابتهاج باستعادة مجدنا القديم ، واسترداد عزنا الداثر . ثم التفت إلى محمود وقال : ولقد رآنى محمود وقتئذ . فقال محمود :

— لعل ذلك حينما كنتُ خارجا من هنا قاصداً إلى المدرسة قبل أن تقابل بيراما .

— نعم ! وإني لم أكن أعلم أن بيراما سيحضر في هذا الوقت ، فقد كنا على موعد معه بعد الظهر لنرحل إلى قريته سويا ويرشدنا إلى الكهف . وإنما الذي دفعني إلى الخروج في ذلك الوقت المبكر هو رغبتي في أن أرى قصرنا وأناجيه على ما سمعت ، ثم صمت فصاح الجميع :

— أما إن بإراما لأبليس !

وفي هذه اللحظة وصل شفيق ، وجعبته ملأى بشتى الأخبار وأخذ في سردها واحداً واحداً ثم ختم حديثه بقوله : فها أنتم أيها السادة — بعد أن سمعتم الكثير من أعمال هذا الرجل — ترون أننا لسنا أول ضحاياه ، فقد سبقنا عدد ليس بالقليل من سراة أشقودراه وكبار التجار فيها . فقال فريد :

— إنني لو رأيت بيراما بعد هذا سأعانقه بحرارة وأقبل جبينه ، اعترافا بفطنته وسرعة خاطره ، وسأقول له : مرحى ! مرحى ! يا أذكى من أنجبته القرى !

وقال السيد عفت ضاحكا ، محاولا أن يستر ما يحسه من ألم وغضب :

— من الرأى أن تكتموا ما حدث لنا عن الناس جميعاً ، حتى لا يفطن إلى بيرام أحد ، فيقع غيرنا في مثل ما وقعنا نحن فيه ، فاننا سنشعر من غير شك عند ذلك بشيء من التعزية تخفف من مرارة الخيبة التي ذقناها من يد هـذا الرجل ولسانه ، ...

وقال محمود أخيراً :

— الحق يقال : إن بيراماً ليس من الرجال العاديين . فهو فذ بين اللصوص ، محبوك الحيلة ، إنه لا يسرق وإنما يبيع أحلاماً لذيذة جميلة ، تنتقل بالإنسان إلى عالم مليء بالآمال والسرور والسعادة . إن النقود التي استطاع أن يسلبها منكم لهي ثمن زهيد جداً لما أضفاه علينا من سعادة يعجز الوصف عنها . فقد أرجحنا جميعاً بهوادة ولطف شعرنا معهما بلذة ليس في مقدور الإنسان أن يأتي على وصفها — في مهده ... الذهبي ... الخيالي ...

وهبي اسماعيل حقي وابراهيم خير الله





الفهرس

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ٦٦٦ — الاثنين ٨ أبريل ١٩٤٦ — السنة الرابعة عشرة



الفهرس

مجلة إسبوعية للآداب والعلوم والفنون

مصلحة السجون — إعلان مناقصة

تقبل عطاءات لغاية الساعة العاشرة من صباح يوم ١٥ أبريل ١٩٤٦ عن توريد صوف مغزول ميكانيكا للبطاطين وخوص وليف نخيل بلدى ويمكن الاطلاع على الشروط بوزارة التجارة والصناعة وبالغرف التجارية المصرية وتشترى نقداً من المصلحة بمبلغ ٢٠٠ مليم للصوف و ٧٠ مليم للخوص والليف

ويقدم الطلب المرسل بالبريد على عريضة تمغة فئة ٣٠ مليم وطوابع البريد لا تقبل .

٥١١٤

إدارة البلديات — طرق

تقبل العطاءات بإدارة البلديات (بوستة قصر الدوباره) لغاية ظهر يوم ١٤ أبريل سنة ١٩٤٦ عن مناقصة رصف وصيانة طرق رأس البر . وتطلب الشروط والمواصفات من الإدارة على ورقة دمغة فئة الثلاثين مليما مقابل دفع مبلغ ٣ جنيه خلاف مصاريف البريد وقدرها ستون مليما لا غير .

٥١٠٣

مجلس بلدى — طنطا

يعلن عن مزايدة علنية لتقليع وبيع الأشجار الموضح بيانها بالمجلس وقد تحدد ظهر يوم الخميس ١٨ أبريل سنة ١٩٤٦ موعداً لحضور المزايدة بديوان البلدية وتطلب الشروط مجانا على ورقة دمغة بخلاف ٣٠ مليم أجرة البريد .

٥١٤٨

محكمة الوايلى الجزئية الوطنية

إعلان بيع

إنه فى يوم الثلاثاء ٢٣ أبريل سنة ١٩٤٦ من الساعة ٨ صباحا وما بعدها لآخر اليوم والأيام التالية إذا لزم الحال بعزبة الجواهرجى قسم مصر الجديدة .

سيباع بالمزاد العلنى زراعة محاصيل زراعية ومواشى جميعها موضحة الأوصاف بمحضر الحجز المرقوم ١٨ — ١٠ — ١٩٤٥ نفاذاً للحكم رقم ٣١ مدنى الوايلى سنة ١٩٤٦ تعلق الشيخ إبراهيم زكي سامى شيخ عزبة الجواهرجي قسم مصر الجديدة .

وفاء لمبلغ ٩٧٢ جنيه و ٢٧٥ مليم المحكوم به ورسم الدعوى وأتعاب المحاماه ورسم التنفيذ والدوامغ — وأجرة النشر .

وهذا البيع بطلب حضرة على حيدر سامى أفندى ناظر وقف المرحوم حسين أغا الجواهرجى ومقيم بشارع الملكة نازلى رقم ٣٢١ بمصر .

فعلى راغب الشراء الحضور فى الزمان والمكان المحددين أعلاه

المحضر

فى يوم الاثنين ١٣ مايو سنة ١٩٤٦ من الساعة ٨ أفرنكي صباحا بناحية نزه الخاجر مركز طهطا وزمامها وزمام ناحية تزله على مركز طهطا وما بعدها من الأيام التالية .

سيباع علنا محاصيل زراعية الموضحة بمحضر الحجز التحفظى المرقوم ١٢ أغسطس سنة ٩٤٥ ملك عبد المجيد جودة سليمان من نجع الخمايسة تبع تزله على مركز طهطا نفاذاً للحكم رقم ١٤٥٣ سنة ٩٤٠ مدنى طما وفاء لمبلغ ٢١٩ جنيه و ٥٨٠ مليم بخلاف أجرة النشر وما يستجد .

بطلب الأستاذ لويس أفندى بنيامين المحامى بطما .

فعلى راغب الشراء الحضور للمزايدة .

طالب البيع

14 me Année No. 666

Lundi—8—4—1946



ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠



العــدد ٦٦٦ « القاهرة فى يوم الإثنين ٦ جمادى الأولى سنة ١٣٦٥ — ٨ أبريل سنة ١٩٤٦ » السنة الرابعة عشرة

إلى مشيخة الأزهر ووزارة المعارف :

حل حاسم لمشكلة الأزهر

غاية الأزهر التى اتجه إليها منذ اكتمل أمره أن يفقه الناس فى الدين وفيما تفرّع عن أصوله من شتى العلوم ؛ وسبيله إلى هذه الغاية أن يعلم اللغة وما اتصل بآدابها من مختلف الفنون ؛ فالدين واللغة إذن هما علة وجوده وجوهر علمه وثمرة عمله . ومن مزية الإسلام أن يمرُن مع الزمن ويتجدد بالعلم ليلائم كل عصر ويعالج كل حالة . ومن طبيعة العربية أن تتطور مع الجماعة وتتسع بالحضارة لتعبر عن كل معنى وتدل على كل ذات . وكان من ثمر هذه المرونة فى الدين هذا الفقه العالمى العجيب ، ومن أثر هذا التطور فى اللغة هذا الأدب الإنسانى الخصيب . فلما تدفقت الخطوب على حواضر الإسلام والعروبة فمال الميزان ودال السلطان وانتقض الأمر وعجز العقل ، جهل المسلمون مرونة دينهم فأغلقوا باب الاجتهاد ، وأنكر العرب تطور لغتهم فصدوا عن سبيل الأدب . وتقدم الغرب وتأخر الشرق ، وسيطر العلم وتعطل الإسلام ، وتطور التعليم وجد الأزهر ، وولى المصريون وجوههم شطر أوربا يأخذون عنها ما كانت أخذته عنهم ، ثم استأنفوا السير فى ركب الحياة . ولكن الأزهر ظل فى موقفه فلم يسر ، وأخذته الصيحة من كل مكان فلم ينتبه ، وسألوه أن يمدهم بشيوخ الدين ورجال العربيــة وهما غايته ووسيلته فلم يستطع . حينئذ اضطر أولو الأمر إلى إنشاء (دار العلوم) لتعليم اللغة ، ثم إلى إنشاء (مدرسة القضاء) لتطبيق الشريعة ، وتركوا الأزهر المعمور مُتحفاً لآثار غير ثمينة من الكتب القديمة والآراء العقيمة ؛ يتعبد بألفاظها قوم من فارغى القلوب قد اطمأنوا إلى الخمول ، ورضوا بالدون ، وعاشوا على فضل الناس ، حتى دخلت النهضة المصرية فى أوائل ربيعها المزهر ، فهب كل وسنان وانتعش كل ذابل . وتيقظ الأزهريون من رقادهم الطويل فإذا هم عراة من حلل الثقافة الحديثة ؛ فطفقوا يخصفون على سوءاتهم مما تناثر حول الأزهر من ورق الربيع ؛ ولكنهم ظلوا متميزين من سائر المصريين بهذا الورق الذى لا يدفىء ولا يستر ، ففزعوا بأنفسهم عن معرة التخلف ، وتنافسوا فى اقتباس المعرفة ، وأرادوا الدين للدنيا ، وطلبوا العلم للحياة ، وهتفوا وهتفنا معهم بالإصلاح . ولكن بقايا الراقدين على حطام الماضى يفزعون من هذا الإصلاح لأنه يجرفهم كما يجرف السيل الهشيم ! فهم يُلقون بأجسادهم إلقاء فى طريق الشباب ليعوقوهم عن بلوغ الأمد المحتوم ، والأمد المحتوم الذى سيبلغه الشباب الأزهريون ولاشك هو أن يتعلموا ليعيشوا ما دام الإسلام لا يتبنى الرهبان ولا يبنى الأديرة . وقد أخذوا ، منذ نقل الأستاذ المراغى طيب الله ذكره صورة النظام الجامعى إلى الأزهر ، يفكرون فى مصيرهم بعد العالية والتخصص ، وفى موقفهم من دار العلوم وكلية الآداب ، ويقولون لأنفسهم حينا وللناس حينا آخر : نحن خمسة عشر ألفاً

من شباب الأمة أو نزيد ، فينا مواهب وعلينا تكاليف ولنا مستقبل ؛ فلِمَ نتعلم إذا قضى علينا ألا نعمل ؟ وكيف تنفق أموال الدولة على معاهد قصارى أمرها أن تخرّج في كل عام قوما متبطلين لا همّ لأنفسهم ولا لله ولا للوطن ؟ وإذا كان تعليمنا على هذا النهج الخاص لا يؤهلنا لابتغاء الرزق إلا من تعليم اللغة والدين في المدارس ، فما غاية الحكومة إذن من قيام هذه المعاهد التي تنافسنا في الحرفة وتخاصمنا على القوت ؟ وإذا كان تخلف الأزهر في عهد إسماعيل قد اضطر على مبارك باشا إلى إنشاء (دار العلوم) فما الضرورة الملجئة اليوم إلى بقائها والأزهر جامعة والدرس مُستقصًى والمدرس مختص ؟ ولكن الدرعميين والجامعيين في الجهة الأخرى يجيبون على هذه النجوى أو الشكوى بأن الإعداد مختلف والتحصيل متفاوت ، وما تستوى الفوضى والنظام ولا النقص والتمام ولا التقليد والأصالة . ووقف الفريقان يتلاحيان ، رأياً إزاء رأى ، وإضراباً وراء إضراب ، واحتجاجا إثر احتجاج ، ومن هنا نشأت المشكلة بين المعاهد وأعضلت . وجهدت مشيخة الأزهر ووزارة المعارف جهدهما أن تعالجاها بالدواء المسكن لا بالطِّباب الحاسم ، فكانت كالثوب المتداعى كلما رتق من جانب تفتق من جانب آخر .

لذلك نتقدم اليوم إلى هاتين الجهتين باقتراح نرجو إذا خلصت النيات وصدقت العزائم ، أن يكون مقطع الحق في فض الخلاف وإصلاح الأزهر .

ذلك الاقتراح هو :

١ — أن يلغى التعليم الابتدائي من جميع المعاهد الدينية ليُلقى بمقاليده إلى وزارة المعارف ، تلزمه وتقسِّمه وتعممه على الوجه الذى تراه . وذلك بدء الوحدة الثقافية بين أبناء الأمة

٢ — أن تجعل المعاهد الدينية في القاهرة وفي الأقاليم مدارس ثانوية يدخلها حاملو الشهادة الابتدائية العامة ، و تعلم فيها اللغات والرياضيات والآداب والعلوم على منهج وزارة المعارف . وفي أول السنة الثالثة منها يتجه طلابها اتجاهين على حسب مرادهم واستعدادهم : إما اتجاها إلى الدين وعلو . ، وإما اتجاها إلى اللغة وفنونها . فاذا انقضت السنوات الدراسية الخمس تقدم طلاب الشعبتين إلى امتحان الشهادة الثانوية مع سائر إخوانهم من جميع المدارس، يمتحنون معهم فيما يتفقون فيه ، وينفردون انفراد شُعب التوجيهية فيما اختصوا به . والناجحون في هذا الامتحان سيجدون أمامهم طريقين هم بالخيار في سلوك أحدهما : طريق الوظيفة الوسط ، وطريق الدراسة الأزهرية العليا . فاذا اختاروا طريق الوظيفة عينوا كتَبة في المعاهد الدينية ، أو في المحاكم الشرعية ، أو في المجالس الحسبية ، أو في بعض الأقسام من وزارات الأوقاف والمعارف والشؤون ، أو عينوا موثقين شرعيين في المدائن والقرى . ذلك إلى أن لهم الحق بحكم شهادتهم أن يسابقوا في الامتحان إلى أى وظيفة من وظائف الدولة . وإذا اختاروا طريق الدراسة العليا دخلوا القسم الجامعي بالأزهر

٣ — أن يقتصر في التعليم الجامعي في الأزهر على كليتين اثنتين : كلية الدين وتندمج فيها كلية الشريعة وكلية أصول الدين. وكلية اللغة وتندمج فيها كلية اللغة العربية ودار العلوم وقسم اللغة العربية من كلية الآداب بجامعتى فؤاد وفاروق . ويشترك الكليتان في الدراسة العميقة للغتين العربية والأوربية ، وتنفرد كلية اللغة بتاريخ الآداب العربية والأجنبية ، كما تنفرد كلية الدين بتاريخ الأديان السماوية والأرضية . وذلك بالطبع فوق ما تختص به كلتا الكليتين من علوم الدين ، أو من فنون اللغة . وما يتصل بهذه أو بتلك من العلوم الحديثة . ومدة الدراسة في الكليتين أربع سنين للعالية أو الليسانس ، وست سنين للتخصص أو الدكتوراه . ومن يرد من طلاب الكليتين الاستعداد للتعليم قضى في معهد التربية سنتين بعد الليسانس لمن يريد التعليم في الثانويات ، ومثلهما بعد الدكتوراه لمن يريد التعليم في الكليات . والمتخرجون في كلية اللغة يزاولون تعليم اللغة والأدب في المعاهد الدينية ، وفي جميع مدارس الدولة ابتدائية وثانوية وعالية ، فضلا عن مزاولتهم الترجمة والتحرير والصحافة . وأما المتخرجون في كلية الدين فيزاولون القضاء ، والمحاماة ، والامامة ، والوعظ ، والخبرة ، والتفتيش في المساجد والمعاهد ، وتدريس الدين والشريعة في كل مكان يدرسان فيه .

بهذا النظام يحتفظ الأزهر بقديمه ويشارك في جديد الناس ، وبهذا النظام تمحى الفروق المعنوية والمادية بين طلابه وسائر الطلاب ، وبهذا النظام تتحقق وحدة الثقافة وتنقطع أسباب الفرقة ويساهم الأزهر في شركة المدنية . فان أردتم الإصلاح فهذه سبيله واضحة ؛ وإن أبيتم إلا التخدير والتجبير والتقيّة ، فأضيفوا من فضلكم كلية للدين إلى جامعة فؤاد ثم أغلقوا الأزهر !

احمد حسن الزيات

يوم من أيام مصر الخالدة بأنقرة

الغازى مصطفى كمال

بدار المفوضية الملكية المصرية

للأستاذ أحمد رمزى

في مساء يوم الأحد ٢٦ مارس سنة ١٩٣٣ شرف أتاتورك أو الغازى مصطفى كمال رئيس الجمهورية التركية وزعيم تركيا بزيارته دار المفوضية الملكية المصرية بأنقرة ، وكان ذلك فى منتصف الليل تماماً حين دقت الساعة الثانية عشرة ، وحدث هذا فى الحفلة التى أقامتها المفوضية بمناسبة عيد ميلاد المغفور له الملك أحمد فؤاد الأول طيب الله ثراه . ولما دخل وقف المدعوون من رجال الحكومة وأعضاء السلك السياسى وغيرهم ، وقد تملكتهم الدهشة ، لأنها كانت أول مرة يزور فيها الرئيس الغازى دار مفوضية أجنبية ، إذ لم يسبق حدوث شيء من ذلك للسفارات أو المفوضيات التى يتولاها السفراء والوزراء المفوضون ، فما بالك بزيارته لمفوضية على رأسها قائم بالأعمال !

وكتبت فى مذكراتى اليومية عن أثر هذه المفاجأة وقت دخوله ما يأتى : « كنت ترى فى عينيه بريقاً يشع من القوة المعنوية الهائلة التى تعتمد على إرادة راسخة فعّالة ، وتلمس من نظرته الحادة قدرة وثقة فى النفس يدعمها إيمان ثابت وعقيدة لا تلين فى الرسالة التى سلمتها الأقدار إليه لخدمة بلاده وأمته » !

كان يوماً لا ككل الأيام التى عشتها لا أدرى كيف ابتدأ ، ولا أشعر متى انتهى حتى مطلع الفجر ، إذ كان يحمل إلىّ فى كل ساعة مفاجأة ، فقد أصبحنا كعادتنا لم نغير موعداً للقيام ، ولكن المفوضية كانت فى حركة دائمة منذ الصباح الباكر ، إذ حضر « العتالون » فأخذوا ينقلون كل شيء من مكاتبنا ، ويجئ الخدم بعدهم لترتيب الحجرات وتنسيقها لحفلة المساء . وفى الساعة الحادية عشرة من صباح ذلك اليوم زارنا مدير المراسم أو التشريفات أو البروتوكول مهما كما شئت ، وكان اسمه شوكت فؤاد بك ، جاء لابساً بدلة « البونجور » ، وفى يده قبعته العالية ، ومعه قفازه ، حضر ليعرب لحضرة توحيد السلحدار بك القائم بأعمال المفوضية الملكية المصرية عن تهانى حكومة الجمهورية التركية وأمانيها الطيبة لجلالة ملك مصر المعظم ولشعب مصر ، وقد أفرغت هذه الزيارة فى قالب خاص من الود الصميم والمجاملة ، فكانت خير ما يعبر عن العواطف الودية الأكيدة التى تشعر بها تركيا نحو مصر ، ولما تناول القهوة والمرطبات انصرف مشيعاً بالاحترام اللائق .

وأمضينا اليوم قياماً لا نملك وقتاً يتسع لطعام أو راحة ، إذ المخابرات التلفونية لم تنقطع مع استانبول ، والخدم فى حركة وذهاب وإياب بين المحطة والمفوضية ، وبينهما وبين المدينة لاستكمال ما يلزم لمأدبة العشاء التى سيحضرها رئيس الوزراء والوزراء ، والتى ستعقبها حفلة ساهرة لمئات المدعوين .

وكنت مأخوذاً ذات اليمين وذات الشمال أتنقل بين الطابقين ، ولما وجدت برهة أخلو فيها لنفسى أخذت أرتب ملابس السهرة وكانت الساعة السادسة مساء ، فإذا بجرس التليفون يدق ويدعونى بسرعة إلى المستشفى العسكرى ، لأن القائم بالأعمال الأستاذ توحيد السلحدار بك قد أصيب فى حادث تصادم وقع بين سيارته وعربة نقل محملة بالرمال . فتركت ما بين يدىّ ، وخرجت مسرعاً إلى الطريق العام ، ومنه لمحت سيارة أجرة من نوع فورد الخشبية ، وهى التى تحمل أربعة أو خمسة من الركاب يشتركون فيها ، حتى أشرت إليها بالوقوف وقفزت فيها ، وكان الأتراك يطلقون عليها اسم «قابتى قاشتى» ، وأهل أنقرة ينطقون الكاف قافاً ، ومعنى ذلك أخذ وهرب ، أى استلم وأسلم رجليه للريح . وذهبت إلى المستشفى فأدخلت تواً إلى حجرة العمليات ، فوجدت توحيد بك هناك والدم قد غمر بدلته وقميصه ، ورأيت طبيب الغازى يعنى به ويضمد جرحاً كبيراً فى جبهته ، ويعالج ذلك برفق وتؤدة ، وقد بدا بعض الاصفرار على وجه الجريح ، ولكنه لم يفقد شيئاً من ثباته وهدوئه ورباطة جأشه . ولما أراد الطبيب أن يستعمل مخدراً يخفف من ألم الجرح وشدة وقع الصدمة رفض ذلك ، إذ تمثلت رجولته فى شجاعته وصموده واحتماله لما يشكو منه فى رأسه ويده ، فدهش من حضر لما رأوه يقظاً واعياً يحادثهم والطبيب بلازم عمله فى خياطة جرح الجبهة .

وكان معنا فى الحجرة نعمان رفعت بك وكيل الخارجية ، وقائد الحرس الجمهورى ، وهو ضابط يجمع فى شخصيته مظاهر الجندية التركية التى خلدتها المعارك والحروب الدائمة والأخطار المزمنة ، وكان شديداً فأطلقنا عليه « صاحب الضبط والربط » ، قال : « إنه حضر بأمر عال من فخامة رئيس الجمهورية ، وأن الأمر الصادر إليه يلزمه ألا يترك توحيد بك لحظة واحدة حتى يستعيد قواه ، وأن يتصل بالغازى مباشرة لأى حادث يطرأ . فشكره توحيد بك على هذه الالتفاتة ، وطلب إليه أن يرفع للرئيس شكر المفوضية وتقدير مصر قاطبة . ولما أتم الطبيب عمله وقام توحيد بك ، التفت إليه وأعلمه بأن واجبه كطبيب يحتم عليه أن ينصحه بأن يستريح هذه الليلة ولا ينهك نفسه بعمل » . فأجابه بغير تردد : « كيف أقبل الراحة وقد دعوت الناس لحفلة مليكى؟ إن إخلاصى يملى علىّ أن أحضر الحفلة ، أما الألم فشىء هين يسهل علىّ احتماله فى سبيل قيامى بواجبى نحو بلادى ، وقد اعتادت هذه الرأس أن تتحمل وتحمل الكثير » . ثم التفت إلى قائد الحرس ، وإلى وكيل الخارجية ، وقد أبديا كلاهما ضرورة الرفق بصحته والعودة للراحة . فقال : « أبلغا الغازى والحكومة التركية أننى بخير والحمد لله ، وإنى لعاجز عن التعبير عن شكرى لهذا الاهتمام الفائق الذى لا أعتبره موجهاً لشخصى ، بل لمليكى وبلادى » . وترك المستشفى مستنداً على ذراعى الطبيب وقائد الحرس ، وركبنا سيارة أوصلتنا إلى منزله ، واستأذن وكيل الخارجية والقائد ، وبقى معنا الطبيب لا يتركه حتى بدّل ملابسه ولبس ثياب السهرة ووضع أوسمته ، واتجهنا إلى دار المفوضية المصرية ، وقد استعدت لحفلة الليلة كأن لم يحصل شىء ، وكأن التصادم أمر قد كان لأيام مضت ، ولم يظهر على توحيد بك غير رباط الجرح واليد .

وكان الوقت قد أزف لحفلة العشاء التى تبدأ فى الثامنة ، وأخذ المدعوون من علية القوم يحضرون ويأخذون أماكنهم ، وفى مقدمتهم رئيس الوزارة التركية عصمت باشا ، وهو الرئيس الحالى للجمهورية ، وقبيل انتهاء المأدبة أخذ المدعوون للسهرة يفدون ، وهم من كبار رجال الدولة والسلك السياسى بأكمله المكون من ثلاثين هيئة بين سفارة ومفوضية ، وقد توزعوا فى أركان الدار وحجراتها ، وقد بدت تتألق فى رونقها وحسنها .

وكان الجميع يهنئون بالعيد ، ويستفسرون عن صحة توحيد بك ، ويبدون إعجابهم بعزيمته ، وقالت قرينة وزير النرويج: « لا أقدر أن أطيل النظر إليه وهو على هذه الحالة ، فأرجو أن تنصحه ليعود إلى منزله فيستريح ، إذ أخشى أن ينفتح الجرح فى أى وقت فيسبب له نزيفاً » . فقلت لها : « كيف يحصل هذا وطبيب الغازى يلازمه ملازمة الظل لا يتركه لحظة واحدة ؟ ! »

وفى منتصف الليل تماماً ، والناس فى شغل بأنفسهم ، وهم جماعات متفرقة ، بعضهم يرقص على نغمات الموسيقى ، وبعضهم يلعب الورق ، والمقصف عامر ، دخل الغازى فاستقبلته الفرقة بالنشيد الجمهورى ، ثم بنشيد مصر ، واتجه بخطوات ثابتة نحو القائم بالأعمال ، فعانقه على مرأى من الحاضرين ، وهنأه على رباطة جأشه وقال : إنه يحضر إلى بيت مصر كما يحضر إلى بيته ، فهو صاحب الدار ، وإن مجيئه إلى المفوضية هو تحية منه للشعب المصرى فى عيد مليكه المعظم ، فبلغ مصير ذلك ، كما أنه تقدير منى لشخصك . ثم اتجه إلى ركن صغير بإحدى الصالات فجلس ومعه توحيد بك ، ووزير الخارجية توفيق رشدى بك ، وانضم إليهم صاحب السمو الملكى الأمير زيد وزير العراق المفوض بأنقرة ، فأجلسه الغازى إلى شماله على نفس المقعد ، وجلس الكونت دى شامبران سفير فرنسا ، ودارت فى تلك الجلسة أحاديث تناولت الكثير من الشؤون ، ولم يأت الوقت بعد لإذاعتها . وفى الساعة الثالثة صباحاً طلب الغازى من توحيد بك أن يستريح وألح عليه فى ذلك وقال له : إننى معجب بموقفك وتصميمك ، وأفهم مايمليه عليك الواجب ، ولكنى أنا « مصطفى كمال » سأنوب عنك فى الترحيب بضيوفك . ونزل توحيد بك على إشارته ، ولازمته حتى ركب إلى منزله . ولما رجعت من توديعه ، إذا بوكيل الخارجية يدعونى إلى الركن الجالس فيه الغازى ، وكان قد انضم إلى الجماعة وزير المجر ، وها أنا أعطى القارئ صورة من بعض ما دار من الحديث :

استؤنف الكلام بشأن المجر ، فذكر وزيرهم ما نزل بهم من الظلم وما حاق بهم من الاضطهاد ، وكأنه شعر بألم عميق ، أو أراد أن يستعطف الغازى على وطنه ، إذ ضرب مثلا لأنواع

الإرهاق التي يلاقيها ، فقال وقد اغرورقت عيناه : « لقد أصبح والدي تشيكوسلوفاكيا وصارت جدتي رومانية ليحافظا على أملاكنا ومزارعنا في البقاع التي انتزعت من وطننا ، وهكذا تشتتت أسرتنا وأصبحت مجرباً وحدي . فنظر إليه الغازي محدقاً وقال : « إنما أنت رب عائلة ، ومواطن طيب القلب ، ولكنك بعيد عن أن تكون رجل سياسة . أنظر إليّ تجدني لست بصاحب عائلة ، ولم أشغل نفسي بطلب البنين ، وذلك لأكرس حياتي منذ نشأت لخدمة بلادي ». وكان الجنرال ناجي باشا ، وهوأستاذ الغازي في الكلية الحربية ، قد انضم للجماعة فعقب على ذلك بقوله : « لك سبعة عشر مليوناً من الأولاد هم أبناؤك الترك ». وهنا قال وزير المجر كلمة لم تعجب القارئ وهي : « إنك تستطيع أن تدفع العدوان عن بلادك ، لأنك في الأناضول ، أما بلادي ، فهي بين الأعداء المحيطين بها من كل جانب » . فسأله الغازي مسترسلا : « إلى أي عنصر تنتسب ؟ » فأجاب بغير تردد : « إلى العنصر التركي كأهل المجرجميعاً » . فضحك الغازي وأجابه : « لا تنس أنكم ظللتم قروناً حتى نهاية الحرب الماضية (١٤ — ١٩١٨) كان كل رأس مالكم ونخركم اللذين تتقربون بهما إلى شعوب أوربا وحكوماتها وسياسيها هو أنكم أعداء الترك الألداء ، وإنكم كنتم أول من تحرر من تحت نيرهم ، فأنتم كما ترى تدفعون ثمن الكفارة غالياً الآن » .

ثم التفت إلى سفير فرنسا ، وقد دنا الكونت استرودوج سكرتير السفارة الفرنسية من المجلس بإشارة من الغازي ، فقال لفخامته : قل له أن يحضر ورقاً وقلماً ، وأريد أن أملي عليه شيئاً . ولما أحضر الورق أملاه ما يأتي : « لا أستطيع بحال أن أقول للترك إن فرنسا صديقة لهم ، إذ كيف أصل لإقناعهم بذلك ؟ إن هذا لن يكون إلا بعمل ظاهر ، وهي لا تفعل شيئاً من ذلك ، حتى المعاهدة التي عقدناها أخيراً لم تصادق مجالسها النيابية عليها للآن » .

وانتقل الحديث إلى ذكر جنيف وتخفيض السلاح ومشروع اتفاق الدول الأربع العظمى : بريطانيا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا ، وهو المشروع الذي أطلق عليه اسم « الدير كتوار الرباعي » إحياء لنظام المحالفة المقدسة بعد حروب « نابليون » . وهذا مشروع يبغضه الغازي ، فتحمس كل التحمس وقال : « ما معنى الدول العظمى ؟ » وأشار إلى السفير أن يكلف استرودوج بأن يكتب مرة أخرى ما سيمليه ، وأن ينقل ذلك إلى دولته فيما يلي : « إن فرنسا لن تكون لها سيطرة على تركيا ، وإن تركيا لن تذعن لشيء تقرره فرنسا مع تلك الدول ما دمت أنا على قيد الحياة ، ولو فرضنا أن الحكومة قبلت ذلك ووافقها المجلس الوطني الكبير ، فإني لن أقبل ذلك ، ولو أحوجنا الأمر لوجدتم الشعب التركي بأكمله ورائي يشد أزري ، ويبذل أقصى جهده ، وإنه لجهد لو تعلمون عظيم ، وقد سبق أن برهن على ذلك مرة للعالم ، وإني مستعد أن أقوده ثانية ليبرهن لكم مرة أخرى ! »

هذه صورة خاطفة لبعض ما كان يدور في أحاديثه العديدة التي حرصت على جمعها وصيانتها توفراً مني على رغبتي يوماً في نشرها ، وكنت كلما أتاحت لي الظروف لقياه ، وقفت أتأمل هذه القوة الدافعة المجسمة فيه ، وأعجب بسوقه للحديث ومجانبته الانزلاق وتوجيهه المخاطب للناحية التي يرى الوصول إليها ، فكنت أغبط نفسي على كل دقيقة أقضيها معه ، وكان يعرف ذلك عني ، ويفهم روحي ، ويعلم أنني أعرف بالتفاصيل كل حادث مهم مر به في حياته ، وإني أداوم على قراءة خطابه التاريخي بالتركية وباللغات الأخرى . وفي أثناء جلوسي أمامه مر الخادم النوبي الذي يخدم توحيد بك ، وهو يلبس ملابس الحفلات بمصر ، وعلى رأسه الطربوش ، ليقوم ببعض الخدمة للجالسين ، ولما أتم عمله وتراجع صاح به الغازي بالعربية قائلا : تعال هون اخلع طربوشك نخلعه ، ثم قال البسه فلبسه وانصرف . وكنا على مقربة من حادث الطربوش المشهور الذي وقع في ٢٩ أكتوبر سنة ١٩٣٢ ، إذ لم تمض على وقوعه خمسة شهور ، وهنا اتجه الحاضرون إليّ ، وكانت وظيفتي ومركزي لا يسمحان لي بمواجهته بالخطاب ، فإذا هو يقول لي : متى تخلعون الطربوش ؟ وهنا وقفت متردداً كيف أجيب ، وأخيراً فتح الله عليّ بكلمة قلتها في تلك الليلة هي : « يا فخامة الرئيس ، إن الطربوش غطاء الرأس عندنا ، كما كان يوماً ما عندكم ، وها نحن لا نزال في الدور البدائي من كفاحنا وجهادنا في سبيل تحريرنا وتحقيق مثلنا العليا التي تتمثل في مواجهة الحضارة الحالية وأخذها والاستفادة منها ،

ألا ترى أن الطربوش رمز يذكرنا بعصر نعيش فيه لنخرج منه إلى عصر جديد ؟ وإنه عنصر هام يذكى روح العمل لدينا ؟ ويذكرنا كل يوم وكل ساعة بالواجب المحتم علينا وبالسعى فى خلاص البلاد ؟ ولا شك أنك لم تخلع القالباق أو الطربوش إلا حينما تخلصت بلادك من قيودها وانتصرت فى عراكها وكفاحها ، إننا فى اليوم الذى نتخلص فيه من قيودنا وتتغلب على العقبات التى أمامنا نفكر فى خلعه واستبداله ، ويكون ذلك بوحى إرادتنا وحدها ، ولكن قبل أن نصل إلى أهدافنا الكبرى ، وننقلها من عالم الخيال إلى عالم الحقائق ، لا توجد إرادة فى العالم تفرض علينا أو تجبرنا على رفعه ، ذلك لأنه يذكرنا كل يوم بعرا كنا الدائم المستمر ، وبأن أمامنا واجباً نعمله وأعباء نحملها وعقبات نقتحمها ومصاعب نتغلب عليها » .

ولم يكن الغازى ينتظر ذلك ، فتلألأ وجهه وأدنانى منه ، وقال كلاماً كثيراً عن مبادئ الثورة الكمالية ويقظة الشعب التركى وآماله ، وهنا تحدث الزعيم الخالد عن أدوار حياته الأولى فى البلاد العربية ، والتفت إلى سمو الأمير زيد ووجه إليه عبارة رقيقة ، وتكلم عن عرش سوريا وما يقال بشأنه ، ثم عرض لحادث الطربوش المشهور ، وقال كلاماً لا تسمح الظروف لى بنشره الآن ، ثم قال : « كنت أقود الأتراك فى داخل حدودهم وأراضيهم ، وكنت أكتفى بذلك ، أما اليوم ، فسمعت صوتاً جديداً ، ونغمة حلوة ، جعلانى أشعر بأن هناك خارج حدودنا من يفكر مثل تفكيرى ، ومن يأخذ نفسه بالعمل الصالح لخدمة بلاده » . وكان الجمع قد ازداد حولنا ، إذ وصل الغازى إلى القمة فى أحاديثه ، فأخذ يعبر عن روحه وإيمانه ، وقد ارتسمت على وجهه عظمة الخالدين ، وازداد إشعاع العينين من قوته الدافعة المؤمنة ، وكان الفجر قد أخذ يبدو وراء الشفق والتلول التى تحيط بأنقرة ، وأمامه شباك بعرض الحائط ، وقد بدأت شمس يوم الإثنين ٢٧ مارس ١٩٣٣ تقدم علينا ، فنظر إلى العدد المحتشدين من الأتراك وممثلى الدول الأجنبية ، وحدق فى وجوههم واحداً واحداً ثم قال : « إن نهضة تركيا شاملة ، وهى ستعم ما حولها من الأمم ، إذ ليس بالتهويش والوعود تحيا الأمم ، بل بالإخلاص والعمل الصالح ، وإنى لألمس نهضة الشرق وشعوبه ، وأراها قادمة لا ريب فيها ، كما أرى فجر هذا اليوم وقدوم شمسه إلينا ... انظروا إلى ضوء الشفق يحمل إلينا الشمس من الشرق مطلع سراج الدنيا ، إن العالم ينتظر بعثاً جديداً ، وسيعود الشرق — كما بدا — قوياً عظيما » ... ثم نظر يميناً وشمالا وقال : « إن الذى يتكلم هو مصطفى كمال ، لا رئيس الجمهورية التركية ، مصطفى كمال التركى : إننى أشعر بأن الأمم فى الشرق ستتخلص من نكباتها وويلاتها ، وإن أول ما تشكو منه هو الاستعمار ، فهذا لن يعيش ولن يبقى حينما تبدأ يقظتها ووعيها واتجاهها للحقائق بدل الأوهام والأحلام

« إن أكبر دعائم الاستعمار هم رجال السياسة المحترفين الذين تستعملهم الدول الأجنبية لأغراضها . لقد تأكدت مما رأيت فى بلد من البلاد — ولا داعى لذكر اسمه — أن تسعين فى المائة من المتصدين للمسائل العامة عملاء للدول الأجنبية ، يخدمون مصالحها على حساب أمتهم » .

وكانت الشمس قد أشرقت ، فقال : « انظروا إلى طلوع الشمس ، إنه يمثل لنا نهضة الشرق وأممه ! »

وقام الغازى من مكانه ، وقد وضع يده بيدى ، وسرت معه إلى الباب الخارجى ومنه إلى سيارته ، حيث ركب ومعه ناجى باشا وقال : « إنه يذهب لتناول طعام الفطور لدى أستاذه الجنرال ناجى باشا » . وانتهت ليلة من ليالى مصر الخالدة بأنقرة !

* * *

كثر التحدث عن تلك الليلة ، وما دار فيها من أحاديث ، وعلق الكثيرون من أهل الرأى ورجال السياسة والممثلين الأجانب عليها ، وكان لها صدى فى الشرق والغرب ولدى الحكومة التركية والمفوضيات الأجنبية ، إلا فى مصر ، وهى التى قصدت بهذه الزيارة وأكرمت بها ، لم يكن لها أى أثر ولا صدى ولا حماس ، ولا ما يشبه الحماس فيها ، وسنعرض لهذا كله فى حديث لاحق .

أحمد رمزى

القنصل العام السابق لمصر بسوريا ولبنان

أين الأقـــلام ؟

للأستاذ على الطنطاوى

نحن اليوم فى معركة مع الاستعمار ، قد اندلعت نارها ، وطار فى كل أرض من أرض الإسلام شرارها ، فهل رأيت جيشاً فى معركة يدع مدافعه فلا يطلقها ، وينسى دباباته فلا يسيّرها ، ويلقى بنادقه فلا يحملها ؟ هذا ما نفعله نحن حين نهمل أقلامنا فلا نسخرها فى هذا النضال ، وإن من أمضى أسلحتنا وأنفذها وأبقاها على الزمان وأثبتها للغير، لهذه الأقلام ... فما لهذه الأقلام نائمة لا تفيق ، جامدة لا تتحرك ؟ وما لبعضها لا يزال يلهو ويلعب ، كأنه مدفع العيد يتفجر بالبارود الكاذب وسط المعمعة المدلهمّة التى جُنّ فيها الموت ؟ !

***

إنها معركة الاستعمار : استعمار البلاد بالجيوش ، والأسواق بالشركات ، والرؤوس بالمذاهب ، والقلوب بالشهوات ، فجنود العدو تخطر على أرضنا ، وشركاته تتحكم فى أسواقنا ، ومذاهبه الخبيثة تملأ رؤوسنا ، وتقليده فى إباحته وشهوته وسفوره وحسوره ، وتكشفه فى نسائه وفى أدبه يفسد قلوبنا ... فأين تلك الأقلام تنبه القوم النيام ، وتطهر الرؤوس والقلوب ، وتحمل نور الحق لتبدد به ظلمة الباطل ؟ !

أين تلك الأقلام تعرّف هذا الشعب بنفسه ، وتتلو عليه أمجاد أمسه ، وتذكره أنه لم يخلق ليذل ويخنع، وإنما خلق ليعز ويحكم ، وأن الله ما براه من طينة العبيد ، بل سوّاه من جِذْم الصيد الأماجيد ، وأنه أثبت من هؤلاء المستعمرين ... أصلا فى الأرض ، وأعلى فرعاً فى السماء ، وأكرم نفساً ، وأشرف عنصراً ، وأنقى جوهراً ، وإنها إذا أفقرت الأيام الغنى ، وأذلت العزيز ، فإن الفلك دوار ، والأيام دولاب ، فلا يغتر الفقير بالغنى الحادث ، ولا ييأسَ الغنىّ على اليسار الذاهب ، فإن كل شىء يعود إلى أصله ، وإنَّ كل حال إلى زوال ... !

. أين الفوهرر الذى نطح النجم كبرياء ؟ وأين الدوتشى ؟ فاعتبروا يا فهاررة اليوم ... فما أنتم بأمنع من الموت ، وما أنتم بأعصى على القدر ، وإن هذا الكون دياناً جباراً ما شاركه أحد كبرياءه إلا قصمه ... وما أنتم حتى تشاركوا الجبار كبرياءه ؟ !

***

وأين تلك الأقلام تفهم الشعب أن المستعمرين ما زهدوه فى قرآنه ، وصرفوه عن دينه ، وشغلوه عن تاريخه ، إلا ليسلبوه أحدَّ أسلحته ، ويجردوه من أمتن أدراعه ، حتى إذا قابلوه أعزل عارياً ، هان عليهم اصطياده ، وسهل استعباده ، فكان إليهم قياده! وإنه آن لنا أن ننتبه لمكرهم بنا ، وأن نفيق من غفلتنا ، ولا نمشى إلى الهوان بأرجلنا ، ونمكن عدونا منا بملكنا ... !

وأين تلك الأقلام تعلن للناس أن هذه القوانين الأجنبية فى محاكمنا ، إنما هى أثر من آثار الاستعمار الذى نحاربه ، وأن لنا شرعاً هو أفضل من قانونهم ، وديناً هو أحسن من نُظمهم ، وأننا نستطيع أن نأخذ القانون المدنى والجزائى من ديننا وفقهنا ، وأن نحكم فى محاكمنا بما أنزل ربنا ، وأن من العار علينا أن نفتقر إلى قوانين عدونا ... وما قوانينه ؟ إن كانت من فكره فلنا أفكار ، وإن كانت من تجاربه فلنا تجارب ، وإن كانت من دينه ... وأنى ؟ فما فى الوجود دين تستمد منه القوانين كلها إلا الإسلام ... !

فهل رأيت غنياً مؤلّفاً (مليونيراً) أورثه أبوه صناديق الذهب ، ثم يتكاسل عن القيام إليها ، ومعالجة قفلها ، ثم يذهب فـ (يشحد) ذليلا اللاليم والقروش من أكف أعدائه ليتبلغ بها ؟

هذا مثالنا حين نترك ديننا ونأخذ قوانين المستعمرين !

***

أين تلك الأقلام تقول للناس : إن الإسلام جاء يكسر الأصنام وأنتم رجعتم تعبدون أصناماً من لحم ودم ، تأكل الخبز والحلوى والذهب وورق النقد (البنكنوت) ... وتأكل كل شىء وتهضمه معدها ... أصناماً تسمونها « زعماء ! » تجدون وتتعبون ليستريحوا هم ، وتَشْقَون لينعموا ، وتنخفضون ليرتفعوا ، وتدفعون إليهم ما كسبتموه بأيديكم الخشنة من العمل ، وأنتم تقبّلون أيديهم الناعمة من الكسل ، وتمنحونهم كل نعمة ... ولا يمنحونكم شيئاً ... وإن من بقايا الاستعمار هذه الأحزاب التى لا تتقاتل إلا على أكل الحكم ، وامتصاص دمكم وحكمكم !

وهذا الأسلوب الأحمق الذى يشترط فى معلم المدرسة الابتدائية وكاتب المحكمة الجزئية ، شروطاً فى نفسه ودرسه ، وامتحاناً وتجربة ، ولا يشترط فى الوزير شرطاً ، فكل من أراد الوزارة وسلك سبيلها نالها ، ومن نالها يوماً لصقت به (معاليها) إلى آخر أيامه ...

ستقولون : وما ذا نعمل وهذه سنة المتمدينين فى كل بلاد الله ؟ نعم هى سنة المستعمرين ، ولكن فى بلادهم هم علماء ، فلا تلقى وزيراً جاهلا ، وشعباً يقظاً ، وصحافة ساهرة ، وإن فيها انتخابات صحيحة ، وإدراكا شعبياً ، أما الأحزاب ، ففى بلد واحد من بلادنا (كمصر مثلا) أكثر مما فيها كلها ، وهل فى أميركة إلا حزبان : الجمهوريون والديمقراطيون ؟ وهل فى انكلترا إلا ثلاثة : الأحرار والعمال والمحافظون ؟ فكم حزباً فى مصر يا أيها المصريون ؟

فإذا كرهتم الاجتهاد ، وأبيتم إلا أن تكونوا مقلدين ، فقلدوا فى المذهب كله ، ودعوا التلفيق !

***

وأين هذه الأقلام تقول للناس : إن ثكنات قصر النيل فى القاهرة ، ومطار المزة فى دمشق ، ومعسكر الحبانية فى العراق ، حصون العدو وقلاع المستعمر ما فى ذلك خلاف ، ولكن للاستعمار قلاعاً أخرى ، إن تكن أخفى فقد تكون أخطر ، وهذه القلاع هى بيوتنا التى انتشر فيها (التحرر ...) فى الشباب والشابات ، و (التجدد ...) فى الصلات بينهما ، فقلل الزواج وزهد فيه الشبان ، وكسّد البنات ، ونشر الأمراض ، وشغل بالهزل عن الجد ، وبالسعى للشهوة عن العمل للوطن ... ولقد قلت إنها أخطر ، لأن ثكنات قصر النيل قتلت عشرين مصرياً فى عشرين سنة ، وهذه تقتل كل سنة مليوناً من أهل مصر ، كان يكون منهم العبقرى النابغ ، والقائد البارع ، والأديب الملهم ، والعامل النافع ، ويكون منهم حماة الحى ، ودرع الوطن ، خسرناهم لانصراف الشباب عن الزواج وزهدهم فيه ، ولولا هذا التحرر ، وهذا التجدد . ولو عادت بنا الأيام كما كنا من خمسين سنة ، إذ لا تلقى شاباً فى العشرين إلا متزوجاً ، ولا فتاة فى الثامنة عشرة إلا ذات بعل ، لزادت مصر مليون إنسان فى كل سنة ، أفرأيتم كيف قتل استعمار البيوت هذا المليون ؟

* * *

أين تلك الأقلام تفضح أكبر خدعة سربت إلينا ، وترد أفظع كذبة جازت علينا ، وهى دعواهم أن من الخير لنا أن نأخذ المدنية الغربية بكل ما فيها ، وأن كل ما جاء من أوربة فهو خير ورشاد ، وكل ما بقى لدينا من الشرق فهو شر وفساد !

وهذا من أقبح ما خلّفه فينا الاستعمار

فأين تلك الأقلام تدل الناس على مزايانا لنحتفظ بها ، وشرور الغرب لنتجنبها ، وتقيم لهم الميزان العادل ، وتحكم فيهم الحكم السديد ، فنرتفع عن أن نكون قردة مقلدين ، ونرجع عقلاء مميزين ، يعرفون ما يأخذون وما يدعون !

* * *

وبعد ، فهذى المعركة ، وها هم أولاء المسلمون فى كل بقاع الأرض يكتبون بدمائهم على جبين الزمان أروع قصائد المجد ، وأبلغ آيات البطولة والبذل . ها هم أولاء يردون بأيديهم وبأيمانهم وبحقهم الجيوش التى لم يستطع ردها هتلر بحديده وناره ... لا يرونها أكبر من أن تغلب ، ولا يرون نفوسهم أصغر من أن تَغلب . ها هى ذى المعجزات تظهر كل يوم على أيدى أتباع محمد : فى ميدان الاسماعيلية ، وفى شوارع الأسكندرية ، وفى بلاد الشام ، وفى مدن فلسطين ، وفى الهند ، وفى جاوة ، وفى إيران ، فأين تلك الأقلام تدوّن خبرها وتخلد ذكرها ؟ !

أين الشعراء وأين ملاحمهم فيها ، وهناك شىء ينطق الجماد بالشعر ؟ أين القصصيون وأين ما وضعوا فيها من القصص ، وهناك قد جلس الزمان يقص من أفعال هذا الشعب أعجب الأقاصيص؟ أين من فى نفوسهم قرائح ، أفلا تفيض اليوم بالبينات هذى القرائح ؟ أين من بين أصابعهم أقلام ... ألا تلتهب اليوم بالحماس هذى الأقلام ؟ !

أين كتاب العربية وشعراؤها وبلغاؤها ؟ !

يا خجلتاه غداً من كتاب التاريخ إذا جاءوا يترجمون لأديب فيقولون : لقد رأى أعظم بطولة بدت من بشر ، وشاهد أجل الأحداث التى رآها الناس ، ثم لم يكتب فيها حرفاً ... لقد شغلته عنها شواغل الأيام ، ومباهج الأحلام ، وملذات الغرام !

(دمشق) **علي الطنطاوي**

ألدوس هكسلي

مؤرخ طبيعي للإنسانية

بقلم اسكندر هندرسون

مؤلف كتاب « تفسير لشخصية ألدوس هكسلي »



كان ألدوس هكسلي Aldous Huxley فى وقت ما لا أدريا وماديا ، أما الآن فهو يؤمن بمعتقدات مستمدة من الفلسفة الدينية الهندية وهو فى قصصه ومقالاته وقصائده يكشف عن شخصية شديدة التعقيد ، دقيقة على الفهم ، ذات ميول متضاربة لا يوازن بينها إلا ذهن جبار مشغوف بالتأمل والتفكر .

فمنذ سبعة عشر عاما ، قال فى كتابه « دراسات صحيحة Proper Studies » (١٩٢٧) : لو ألزمت بتحديد موقفى لقلت إننى امرؤ مثقف يوجه اهتمامه الأكبر إلى دراسة العالم الخارج دون التأمل الباطنى ... وأنا أفهم التفسير المادى للحياة الباطنة .

ولكنه فى سنة ١٩٤٤ يقرر أن أركان عقيدته هى : « أن هناك لاهوتا ، أساسا ، براهما ، ضوءا مبينا ينير الفراغ ، هو القانون غير الظاهر الذى يكمن وراء كل الظاهر ؛ وأن الأساس حالّ فى الأشياء ومتجاوزلها فى وقت معا ؛ وأن فى مقدور الإنسان أن يحب الأساس الإلهى ، ويعرفه ، ويتحد معه وحدة فعل بعد وحدة قوة ؛ وأن البلوغ إلى هذه المعرفة الاتحادية باللاهوت هو القصد والهدف الأخير للوجود الإنسانى » .

ولقد كان هكسلي دائما يدرك العناصر المتضاربة فى شخصيته وفى مجموعة مقالاته : « اعمل ما شئت Do what you will » (١٩٢٩) وضع خلاصة لفلسفة « عبادة الحياة life worship » أو « الافراط المعتدل balanced excess » ، بناها على الإيمان بمبدأ أساسى هو تعدد جوانب كل شخصية . قال : « إن عابد الحياة هو يقينى أحيانا ، وصوفى أحيانا أخرى ، لا أدرىٌّ ، ملىء بالسخرية ، ومؤمن فياض بالإيمان ... والخلاصة أنه يقبل كل نفس من نفوسه المتعددة ، حين تظهر فى عقله الظاهر ، ويعتبرها إذ ذاك نفسه الحقة فى تلك اللحظة . هو يقبل كل نفس وجميع النفوس — حتى الخبيثة ، حتى الوضيعة المذبة ، حتى العابدة للموت والمسيحية بطبعها . هو سيقبل كلا منها وسيعيش فى كل منها عيشة مفرطة » .

إن شخصية ألدوس هكسلي المعقدة ، والقالب العلمى لذهنه ، وأسلوبه النثرى الجلى الساطع ، يمكن اعتبارها ميزات ومواهب موروثة ، فان من سلفه الذين حملوا إسم هكسلي أفرادا كانوا من جبابرة العقول فى القرن التاسع عشر بانكلترة .

ولد فى ٢٦ يوليه سنة ١٨٩٤ ، وكان الإبن الثالث لليونارد هكسلي وجوليا آرنولد . أما أبوه ، الذى ولد فى سنة ١٨٦٠ ، فكان ابن توماس هنرى هكسلي العالم الذى بذل أعظم الجهد فى تقريب مذهب داروين من عقول عامة الشعب . وأما أمه فكانت ابنة أخ ماثيو آرنولد ، مؤلف « رستم وسهراب » وغيرها من القصائد الكثيرة ، ومؤلف « الثقافة والفوضوية » وغيره من كتب النقد الأدبى الرائع . وكانت أيضا حفيدة توماس آرنولد القسيس والناظر المشهور لمدرسة ركبى الذى أدخل إصلاحات كثيرة على نظام المدارس العامة الانكليزية .

كانت البيئة التى نشأ فيها ألدوس هكسلي بيئة تهذيب وثقافة كما كان أجداده رجال تهذيب وثقافة . عين أبوه أستاذا مساعدا لليونانية فى جامعة سنت آندروز ولما يتجاوز عمره الثالثة والعشرين ثم صار رئيسا لتحرير مجلة The Cornhill Magazine وهى من أبرز المجلات الانكليزية . وقد احتفظ بهذا المنصب سنوات كثيرات ، كما عين مستشارا أدبيا لشركة الطبع والنشر سميث والدر . وفى سنة ١٨٧٢ تزوجت خالته مارى أوغستا آرنولد بالناقد والمحرر توماس همفرى وارد ، وكانت من أبرز كاتبات الروايات فى عصرها . وروايتها « روبرت إلزمير Robetr Elsmere »

التى نشرت فى سنة ١٨٨٨؛ ، قد نالت الشهرة فى كل أنحاء أوربا وأمريكا .

وفى قصة « التاريخ الهزلى لرتشارد جرينو » ، وهى من القصص الأولى لألدوس هكسلى ، إشارة إلى تلك الرواية المشهورة التى كتبتها خالته ، إذ يصف البطل بأنه « قد قرأ المجلدات الثلاثة لرواية روبرت إلزمير وابتلعها ابتلاعا وهو بعد فى الثامنة من عمره » . وقد استمرت المسز همفرى وارد تكتب سنوات كثيرات ، وظهرت روايتها الأخيرة فى سنة ١٩٢٠ ، وهى السنة التى توفيت فيها . وكان زوجها الناقد هو الذى خول ألدوس هكسلى فرصة نشر مقالاته النقدية الأولى ، إذ طبعت فى مجموعة منتخبات شعرية إنكليزية نشرهات . هـ . وارد فى سنة ١٩١٨ .

هكذا ورث ألدوس هكسلى العلم عن أسرة والده والأدب عن أسرة والدته ، فليس عجيبا أن يصير أديبا ، ولا أن تتجلى الروح العلمية فى أدبه بصور شتى . بل إنه حين كان صبيا أراد أن يتخذ العلم مهنته ، مثل أخيه الأكبر جوليان ، العالم البيولوجى العظيم . ولكن عينيه أصيبتا بمرض حال بينه وبين عمله العلمى ثلاث سنوات . وتلك السنوات الثلاث أكسبته هذه النظرة المستقلة إلى الحياة التى تلاحظ فى الكثير من كتاباته .

تعلم ألدوس هكسلى فى إيتون ، ثم ذهب كأبيه إلى كلية باليول بأكسفورد . وقد أحب كلا المعهدين . فهو يقول : « إن ذهنى من النوع الذى يحب التدريب المدرسى ويقبله قبولا تاما . فأنا ثقافى بولادتى ، ذو ميل إلى الأفكار وصدوف عن النشاط العملى ، ولذلك شعرت بالراحة والاطمئنان فى الظلال المدرسية » وقد أحب أكسفورد حبا خاصا إذ تركت له هناك حريته الكاملة فى أن يعمل كما يشاء ، وكان معنى ذلك أنه أقبل على قراءة كل شىء ، وفضل ذلك على مجرد تدوين الملاحظات أثناء سماع المحاضرات . فهو يقول « أما أنا فانى لم أستمع قط إلى أكثر من محاضرتين فى الأسبوع » .

أما فى البيت فقد نشىء على حب شعر وردزورث وفلسفته ، وآراء رسكن فى الجمال والفن . يقول ألدوس : « لما تقوضت أركان الكثير من العقائد الدينية المتزمتة ، صطر كثير من الأسرات الذكية ذات الفكر المتسامح يعتبر شعر وردزورث إنجيل ذلك النوع من الحلولية ، ذلك الاعتقاد المبهم بوجود عالم روحى ، الذى ملأ — إلى حد غير كاف — الفراغ الذى كانت تشغله العقائد القديمة . وحين كنا أطفالا ربينا على التقليد الوردزورثى ، وغرس فى قلوبنا الاعتقاد بأن جولة بين التلال يوم الأحد تعادل بكيفية ما الذهاب إلى الكنيسة » .

ومن قصتى هكسلى الأولين ، الليئتين بالتهكم والهزل ، Limbo سنة ١٩٢٠ ، و Mortal Coils سنة ١٩٢٢ ، ومن روايته الأولى Chrome Yellow سنة ١٩٢١ ، يتبين رد الفعل الذى قابل به جو الوقار الأخلاق الرفيع الذى فيه نشأ . فى شبابه كان بطبيعته الذهنية حذرا ، متشككا ، غير ميال إلى الغلو الأخلاقى . ولكنه تحت ظاهره المتهكم الساخر قد احتفظ دائما بعنصر جاد لا يقل وقارا ورصانة عن ماثيو آرنولد نفسه . وقد أخبرنى مرة قائلا : « فى قصصى المبكرة كنت أيضا أرد على الناحية المتزمتة التفيهقة من نفسى » .

وكانت أهم المؤثرات فى تطور أسلوبه المبكر كتابات الأدباء الفرنسيين فى آخر القرن التاسع عشر وأول القرن العشرين ، وخاصة رمبو ، ولافورج ، وأناتول فرانس . وقد أخبرنى فى سنة ١٩٣٥ قائلا : « أظن أن لافورج ذو شأن المراهق ، ولكنى حين قرأته من وقت قريب لم أشعر له باعجاب زائد . وأناتول فرانس ... لقد كنت فى وقت ما أظن أن تهكمه هو قمة الذكاء والبراعة » . وقد مال أيضا إلى كتابات ريمى دى جومون ، وخاصة بسبب اهتمام ريمى بالتاريخ الطبيعى ، وهو اهتمام ما انفك هكسلى يبديه ، وخاصة فى كتابه : Point Counter Point (سنة ١٩٢٨) .

وفى أكسفورد نظم هكسلى قدرا كبيرا من الشعر ، وهو دون كتاباته النثرية أهمية ، ولكنه مع ذلك هام إذ يلقى ضوءا على مزاجه ؛ لأنه يتجلى فيه شعور عاطفى خيالى ميال إلى المثل العليا ، منهمك فى الصراع بين العاطفة والعقل ، ذلك الصراع الذى هو السبب فى انقسام النفس ، والذى تطور فيما بعد فى كتابيه Point Counter Point و Brave New world (سنة ١٩٣٢) . والقصائد المبكرة تنم أيضا عن رجل حيى عزوف عن الاختلاط بغيره من الرجال والنساء ، يفرح إذ ينجو

(البقية على صفحة ٣٨٦)

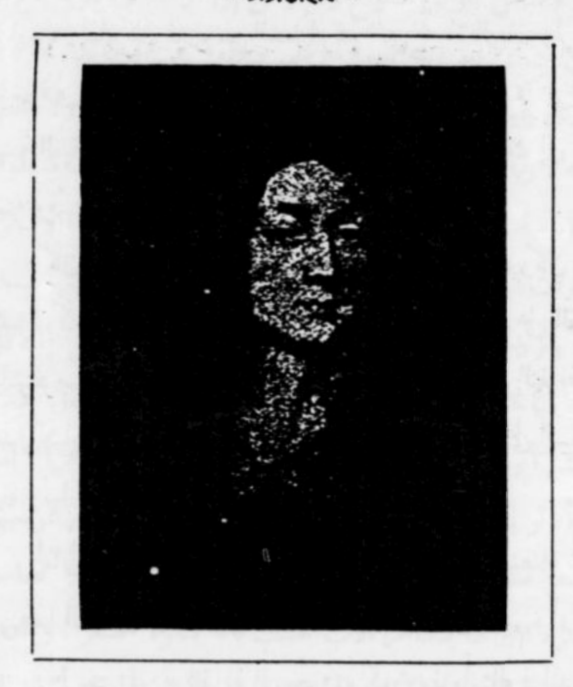
الأدب في سير أعلامه :

ملتن ...

[القيثارة الخالدة التي غنت أروع
أناشيد الجمال والحرية والجمال ...]

للأستاذ محمود الخفيف

— ٧ —



في هورتون :

على مسافة سبعة عشر ميلا من لندن كانت تقع قرية هورتون الصغيرة الجميلة ، حيث اشترى الموثق جون ملتن بعض الأرض وأقام بيتاً ليأوى إليه إذا اعتزل العمل وجنح للراحة .

وكانت هورتون قرية هادئة تحيط بهـا المروج والمراعى ، والحقول بين ضيقة محصورة وواسعة منبسطة ، والغابات والخمائل عن يمين وشمال ، تتراءى بينها على بعد أبراج وندسور ، تلك القلعة العـالية القديمة ، فيتألف من مجموعها مجتلى ساحر جميل تستريح النفس لمرآه ، ويسعه البصر من أوله إلى منتهاه .

واتخذ ملتن طريقه إلى هورتون ، تاركا وراء ظهره الـكلية ومن فيها من ثقلاء وظرفاء ، ومن أولى الغلظة والعنت من العرفاء ، ومن المتبجحين بالعلم من الأغبياء ، مبتعداً عن دروسها ومناظراتها ، وقد نفض قدميه من ثراها ويديه من كتبها .

وأوى الفتى إلى هورتون لا ليقضى بين ربوعها أياماً معدودات ثم يعود إلى لندن ، ولـكن ليقيم فيها سنين تطول أو تقصر حسبما يشاء ، فهو لا يتقيد في مقامه بشيء !

وما ذا عسى أن يصنع ملتن في تلك القرية ؟ وهل درس ما درس في الجامعة وحصل على درجتين من درجاتها ليركن إلى البطالة والدعة في ظلال الريف ؟ ليس هذا مما ألفه الناس ، ولا هو مما يجرى على سنن العقل ، وليس يقره عليه أحد ؛ بذلك كان يحدث الموثق نفسه ويحدثه أصحابه ، ويتناقله بينهم من يعرفونه من الناس !

ولـكن الشاعر لا يأبه لـمـا يقولون ، فقد عقد العزم بادئ الرأى على رفض أية وظيفة في الحـكومة ، كما رفض الالتحاق بالـكنيسة ، وإن كان قد درس اللاهوت ؛ وليس يعنيه أن يبين لهم وجهة نظره ، فأكبر الظن أنهم لن يقروه عليها ؛ وهل فيهم من يقره على إقامته في الريف ، حيث تكون له عزلة يستريح فيها من ضجيج المدينة ولهوها وزحمتها ليتفرغ للقراءة والدرس ، فيستدرك ما فوتت عليه قراءته الـكلية من كتب ، ويستكمل ثقافته في الأغريقية واللاتينية ، فهما عدته فيما يتهيأ له من رسالة ؟ وهو إنما يزداد شعوراً بأنه يتهيأ لرسالة ، وأن عليه أن يستزيد من المعرفة والحـكمة ليـكون أهلا لـمـا يستشرف له .

ذلك كان مأربه من إقامته في الريف ، فهمه في الحياة أبعد من كسب القوت وأجل من ذلك شأناً ، وما يرى العلم والحـكمة بل والفضيلة نفسها إلا وسائل يتوسل بها إلى ما يبتغى من غاية ؛ وإنه لواثق أن الناس ينكرون عليه ذلك ، وأنهم يعدونه حلماً من الحلم يوسوس به الشباب في صدر شاعر سحره عن نفسه ، وأذهله عن الصواب حب الشعر ... وما ذا عسى أن يقولوا غير ذلك وليس فيهم من يصدق أن الشعر مطلب ترصد له الحياة ، وغاية يحتقر في سبيلها المال والجاه !

وكان أبوه يطمع أن يلتحق الفتى بالـكنيسة ، ولـكنه منذ صغره لا يحب أن يحمله على ما لا يريد ، فحسبه أن يمنى بذلك نفسه ، على أنه كان خليقاً أن يدرك بعد أمنيته عن التحقيق ،

فهو أعلم الناس بابنه ، وأخبرهم بنوازعه وآرائه .

كانت صفات ملتن تحول بينه وبين الـكنيسة ، فبإؤه ونزوعه إلى الحرية لا يسمحان أن يتقيد بقيد ، ورغبته فى التفرغ لقراءته والتهيؤ لرسالته يبتعدان به عن أن يشغل نفسه بغيرهما ؛ وإنه فضلا عن ذلك ليحس فى نفسه الـكراهة لرجال الدين ، ويشمئز قلبه إذا ذكرت عقيدة روما الـكاثوليـكية ، فهى عنده علة التعصب وأصل تحـكم القساوسة واستبدادهم وجمودهم ؛ وهو فتى يعشق الحرية الفـكرية وحرية العمل ، ولا يستطيع أن يتصور كيف تخلو الحياة منهما وتسمى مع ذلك « حياة » ! ولا نجد ما يوضح رأيه فى رفض الالتحاق بالـكنيسة خيراً مما كتبه بعد ذلك ببضع سنين عن الـكنيسة وأشار فيه إلى ما نحن بصدده قال : « أما عن الـكنيسة التى أزمع إعدادى لخدمتها منذ طفولتى حتى بلغت مرحلة من مراحل نضجى ، فإنى مذ رأيت مبلغ ما دخل فيها من طغيان ، وأن من يلتحق بها يجب أن يكون عبداً ، وأن يقسم على ذلك قسما ، وجدت خيراً لى أن أفضل الصمت الذى ليس فيه ما يعاب على الوظيفة الـكلامية المقدسـة التى تشترى بالقسم سلفاً ، وبالعبودية ، وتبدأ بهما ! »

ولم يكن ملتن حتى ذلك اليوم بيوريتانى المذهب ، وإن كانت عفته وطهره وترفعه عن الدنايا تمثـل خلق البيوريتانية ، وإن لم يقصد ؛ أما عن مذهبه الدينى ، فكان حتى ذلك الوقت يتبع الـكنيسة الإنجليزية الحرة ، دون أن يعنى بتحديد ما فيما يتعلق بقواعد مذهبها ؛ ولقد كان يكره من هـذه الـكنيسـة ما كان يكرهه من كنيسة روما من التعصب لرأيها والرقابة على المذاهب الأخرى وعلى المطبوعات ؛ وأبغضت نفسه طريقة كبير أساقفتها (لود) فى تعقبه مخالفيه والتجسس عليهم ورفع أسمائهم إلى الملك ؛ ويعد ملتن فى هذا الاتجاه كذلك أقرب إلى البيوريتانية فى ناحية من نواحيها ، وإن لم يرم إلى ذلك .

وإن شخصاً هذه نظريته إلى الـكنيسة ورجالها لخليق ألا يقبل مركزاً دينياً مهما منى أبوه نفسه أن يقبل ، ومهما ألح عليه أصحابه أن يفعل !

أما القانون ، وقد كانت لحرفة أبيه صلة به ، فقد فـكر فيه عقب تركه الـكلية ، ولـكنه ما لبث أن انصرف عنه ؛ وأما الوظيفة الحـكومية ، فلم تـكن أحب إلى نفسـه من الوظيفة الـكنسية ، وما ترتاح نفسه فى الواقع ، ولا يتجه قلبه وعقله إلا إلى الشعر ، فلتـكن له من عزلته فى هورتون فرصة أجمل بها وأعظم من فرصة يتهيأ فيها لما يريد !

وعكف الفتى على محرابه فى هورتون ، قلما يبرحها إلى لندن إلا لماماً ليشترى بعض الـكتب ، أو يستمع إلى الموسيقى ، أو يستعين بمن يفهمه بعض مسائل الرياضة ، وألف حياة الريف واستروح نسيمه ، واستغرقت فى هدوئه نفسه ، واستمتع بصفائه حسه ، وتقلب فى مشاهده بصره فى بُكره وآصاله وفى متوع نهاره ، وإذا كان غيره من الشعراء قد تغنى بحياة الريف ولم يره ، فلسوف يحيا ابن المدينة حياة الريف حقبة من عمره ، ثم يمسها مسة العبقرية فيغنيها ويصور مشاهدها ، ويضيف بذلك إلى أدب لغته وفنها ما تباهى به وتعتز !

كان يقضى كثيراً من ساعات نهاره بين كتبه ، وكان يقوم الليل كدأبه منـذ سن العاشرة ، وقد قوى جلده على القراءة واشتد صبره ، ويعجب المقيمون فى القرية من ذوى الثقافة من هذا الشاب الذى تخرج فى الجامعة ، ولا يزال يكب على الـكتب ليله ونهاره كأنما هو مقبل على امتحان !

أما أهل القرية فإنهم لم يألفوا أن يقيم بينهم إقامة متصلة شاب من هذا الطراز ؛ وقد ظنوا أول الأمر أنه لاغب يستجم ، أو زائر لن يلبث حتى يبرح القرية إلى حيث يكون مقام أمثاله فى المدينة ؛ وكانت ترمقه عيون فتيان القرية وصباياها فى إعجاب ومحبة ؛ فهم حيال شاب عليه فوق رونق الشباب وغضارته روعة الجمال وسيماء الوقار والاحتشام ، وإنهم ليحسون فى صوته عذوبة الموسيقى ، ويرون فى محياه إمارات النبل والأريحية والـكرم ؛ وما يطمع القرويات منه فى أكثر من أن يرينه ويراهن ، وإن كان له فى كل قلب محبة ، وما عسى أن تنتظر صبايا القرية فوق ذلك من هذا الشاب الذى يتهامسن بأنه تخرج فى الجامعة وأنه من ذوى المحتد ؟ على أنه فضلا عن ذلك كان فى شغل عنهن بعرائس شعره !

وإنه لأشد بالطبيعة ولوعا ، يقلب فى مشاهدها بصره ، ولـكم يرى فى مجالى القرية مما يشرح صدره ويهز قلبه ؛ وكانت تعجبه الوجوه القرويات الوضاء لما توحيه سذاجتها من طهر ؛

كما كان يطرب لأغانى الرعاة ويحس ما فيها من المعانى والأخيلة والصور القروية ، التى يراها الآن تتصل بنفسه صلة قوية بتأثير بيئته الجديدة ؛ وتبعث تلك الأغانى ما كمن فى ذاكرته من أشعار أوفيد وألحان سبنسر مما يتصل بالحياة القروية فيرجع إليها ويعيد فى هذا الجو قراءتها فيستشعر من جمالها ويستبين من معانيها أكثر مما اتفق له من قبل ؛ وهكذا يعيش عيشة الريف ويقرأ أدب الريف ، فيكون لذلك أثره العميق فى خيـاله وحسه ، ولا يلبث أن تتضح صبغته فى فنه !

ولـكن الموثق الشيخ وقد ركن إلى الراحة فى القرية لا يزال يأمل أن يراجع ابنه نفسه فيرضى بوظيفة من الوظائف ، فأنه ما يرى حياته هذه إلا ضربا من البطالة لا يسيغها عقله ولا يحبها لابنه ، ويدأب الرجل على الشكوى إلى جيرانه ويصل نبأ شكواه إلى ابنه فتتكدر خاطره حينا ، لأنه يكره أن يغضب أباه ويكره فى الوقت نفسه أن ينصرف عما يتهيأ له من رسالة تهجس بها نفسه.

ويرد الفتى على أبيه بقصيدة لاتينية جميلة فيتوسل إليه أن يدعه فيما هو فيه ، ويرجو منه ألا يحتقر الشعر ويتساءل كيف يدهش أبوه وهو الموسيقى النابه من أن يكون ابنه شاعراً ؟ ألقد قسم أبولو إله الموسيقى والشعر موهبته بين الأب وابنه ؛ والموسيقى والشعر صنوان ، والشعر أقوى مواهب الانسان دلالة على قداسة عنصره ؛ وإنما يتظاهر الأب فحسب بأنه يكره الشعر . ويحتقر الشاعر فى قصيدته الثراء والمادة مما يدل على أن أباه قد أشار إلى رغبته فى أن يعمل على كسبهما ويستطرد موجها الخطاب إلى أبيه فيقول : « يا أبت لقد عودتنى منـذ الصغر أن أطلب المعرفة من أجل المعرفة فـكيف تطلب إلىَّ أن أحفل بالمـال ، وأنت دون الناس جميعاً من لا يخلق ذلك به . يا أبت إن الوالد الذى لا يقتصر على أن يعلم ابنه اللاتينية فيعلمه معها الأغريقية والعبرية والفرنسية والطليانية والفلك وعلوم الطبيعة ، لا يسأله أن يجعل كسب المال غرضه من الحياة . يا أبت إنى اخترت ما هو خير بذلك وكأن بوحيك ما اخترت . وإنى أعلم أنك تقر ذلك بقلبك وتشاطرنى الرأى فيه . وعلى هـذا فما دمت أيها الوالد العزيز لا أستطيع أن أقابل جميلك بمثله ، فانى أرجو أن تـكتفى منى بالاعتراف به وببقائه أبدا فى ذاكرتى ؛ وإذا كان لأشعارى الفنية أن تتطاول إلى الأمل فى الخلود ، فسوف يكون لى من اسمك موضع لشعرى » .

وأكبر الظن أنه قد أصلح بهذه القصيدة ما بينه وبين أبيه ، فلم يعد أبوه يشـكو من إقامته فى هورتون ، ولعل الرجل إنما صالح نفسه على هذا الوضع إذ لم يجد لشـكاياته من جدوى ، ولم يهتد فى إقناع ابنه إلى وسيلة .

وظفر ملتن بالهدوء فى عزلته الريفية الجميلة ، واتفق له جو شعرى ساحر ، ندر أن اتفق مثله لغيره من الشعراء فى مستهل عهدهم بالشعر ، فما نعلم منهم إلا من لقى أول أمره عنتا وضيقا كثيرين ، وإنهم ليبتلون بالعذاب من الحياة ومن أنفسهم ، وما كان لينعم ملتن بما نعم به لولا زكانة أبيه وسماحة طبعه وإدراكه قيمة الفن وإيمانه به .

ولـكن عبثا آخر يهبط على الشاعر فى عزلته من صاحب لم يعرف اسمه ، فقد عثر فيما بعد بين أوراق ملتن فى تلك الحقبة على ورقتين بهما سطور من رسالة كان يرد بها على كتاب صاحبه ، وقد جاء فيه أنه لا يرضى لملتن أن يقضى سنى عمره حالما فى عزلته شأن أنديميون مع القمر بينما يمضى الزمن مسرعا . ورد ملتن بأنه يقضى أرب نفسه من الثقافة والمعرفة ليـكون أرفع مما هو قدرا ، ولولا أنه يؤمن بهذا الذى يأخذ نفسه به فى غير رفق لما وقف مصمما فى وجه كثير من غرور الحياة كالطموح إلى المناصب والرغبة فى جمع المال ، والميل إلى البناء بزوجة وتـكوين أسرة ، والإقامة فى مسكن خاص . ويرسل ملتن إلى صاحبه تلك القصيدة التى نظمها وهو فى الجامعة واستغل فيها ثمار جهوده ليدرأ بها عن نفسه تهمة التبطل والخمول .

وأقبل ملتن على القراءة إقبالا عظيما ؛ وكان أكثر همه منصرفا إلى الشعر فى أشهر آداب الأمم ، وعلى الأخص الأغريق والرومان ، واطلع إلى جانب ذلك على الأدب الفرنسى والأدب الإيطالى ، وقرأ الفلسفة القديمة وبخاصة أفلاطون ، وفلسفة العصور الوسطى كما قرأ التاريخ يستخرج منه الحـكمة والعـبرة ؛ وعنى بعصر شـكسبير عنايته بعصر بركليس ، فـكان أكثر وقته مخصصا لهما وأحب هوميروس وفرجيل وأوفيد ودانتى حبا لا يضارعه إلا حبه لشـكسبير وسبنسر ، وكان ولعه عظيما بما استحدث فى العصر

الأليزابيثي من صور البيان ، وما تولد فيه من مشرق اللفظ وبديعه ، وما افتنه المفتنون أثناءه من أساليب الوصف والغناء ؛ وأعانه على استيعاب ذلك سليقة فنية خالصة ، وروح إلى الفن وجماله متعطشة ، وعبقرية طامحة توحي إليه أن يجرى فى مضمار هؤلاء العباقرة الأفذاذ وألا يتخلف عنهم فى شىء .

أما عن أدب عصره فالأرجح أنه قليلا ما كان يتناول بعض آثار ذلك العصر ، لأنه قليل الإشارة إليها فيما كتب قليل التأثر بها ، ولعل مرد ذلك إلى أنه حصر ثقته فى الروائع السالفة من أدب العالم ، ولم يجد ما يكافئها إلا آثار شكسبير وأفذاذ عصره .

ولم يك يقرأ ملتن قراءة عجلان لا يقع على مطلب حتى يطير عنه إلى غيره ، وإنما كان يقرأ قراءة المتثبت المتقصى ، الذى يعمل فكره ويقدح ذهنه فى غير ملل أو نصب ؛ يتكىء على نفسه حتى ينفذ إلى أعماق ما يقرأ ، ولن يبرح ينشره ويطويه ويقلبه على أوجه الرأى جميعا حتى يطمئن إليه ، ويقضى فى أمره بالقبول أو بالرفض . ولقد عثر سنة ١٨٧٤ على كراسة من مخلفات ملتن بها ملاحظات واقتباسات من نحو ثمانين مؤلفا دونها أثناء قراءته ومنها يقف المرء على مثال لكدحه وصبره على عناء الدرس .

على هذا النحو قضى ملتن ست سنوات فى هورتون ؛ وما نظن أن شاعرا قبله أو بعده اتسع أفق ثقافته أكثر مما اتسع أفقه ، وما نظن أن أحدا من الناس شاعرا كان أو غير شاعر قد أعد نفسه لما يريد من أمر بما هو أقوى مما أعد به هذا الفتى للشعر نفسه

وكان يزور المدينة أحيانا فلا تغريه حياتها عما وطن عليه النفس من الجد ، وأقصى ما كان يقضيه فيها إذا حل بها بضعة أسابيع ، ولكن ذلك كان نادرا فان معظم إقاماته بها كانت لا تعدو بضعة أيام ؛ وكان فى المدينة يسعى إلى حيث يستمع الموسيقى ، كما كان يغشى المسارح ويزور علية القوم ، ويمتع ناظريه بما يرى من جمال الحياة ، ولكنه يملك زمام نفسه ، ويسيطر عليها سيطرة قوية تامة قل أن توافى مثلها لغيره فى سن كسنه ، فاذا قضى أرب مشاعره من الجمال ، وأرب جسده من الراحة ، واشترى ما تتطلب دراسته من كتب عاد إلى هورتون فأقبل على أوراقه وكتبه .

(يتبع) **الخفيف**

الدوس هكسلي

(بقية المنشور على صفحة ٣٨٢)

من حقائق الصراع الانسانى إلى عزلة عالم الأفكار المبهمة . وأبحاثه الحاضرة فى التصوف والفلسفة الدينية تمثل عودة إلى تفضيله المتأصل هذا للحياة الباطنة ، هذا التفضيل الذى ظل كمينا زمنا ما إذا حكمنا بكتاباته اللاأدرية التى نشرها فى العقد الثالث من القرن العشرين ، وهو الزمن الذى تصادف أن كان زمن مادية وكلبية عامة فى إنكلترة .

وقد ظل هكسلى عدة سنوات تحت التأثير الشخصى الشديد للروائى د . هـ . لورنس ، مؤلف Sons and Lovers وغيرها من الروايات الفذة . وقد تقابلا أول مرة فى سنة ١٩١٥ ، ولكنهما لم يكثرا من رؤية أحدهما الآخر حتى السنوات من ١٩٢٦ إلى سنة وفاة لورنس . وقد كتب هكسلى فى سنة ١٩٢٧ قائلا : « إن لورنس من الأفراد القلائل الذين أشعر نحوهم بتقدير وإعجاب حقيق . فالأشخاص البارزون الآخرون الذين قابلتهم أشعر بأننى على أية حال أنتمى إلى نفس الجنس الذى ينتمون إليه . أما هذا الرجل فان به شيئا مختلفا ، وهو شىء أسمى فى النوع لا فى القدر » .

وفى سنة ١٩١٩ تزوج هكسلى بماريا نايز ، وهى بلجيكية ؛ وله ابن واحد . وقد قضى قسما كبيرا من حياته خارج إنكلترة ؛ عاش فى فرنسا وإيطاليا وقام بأسفار واسعة فى الهند وبورما (التى كتب عنها وصفا ممتعا فى Jesting Pilate سنة ١٩٢٦) ، وفى المكسيك وغواتمالا وهندوراس وجزائر الهند الغربية (اقرأ كتابه Beyond the Moxique Bay سنة ١٩٣٤) . وهو منذ قبيل الحرب التى وضعت اليوم أوزارها يعيش فى الولايات المتحدة الأمريكية وخاصة فى كليفورنيا .

وهكسلى فى مظهره إنكليزى صميم ، فهو طويل القامة رمادى العين ، وشعره الكثيف مرتب إلى الوراء من الجبهة . وهو ذو أدب جذاب ساحر . والمرء فى حضرته يلاحظ أولا صوته الجميل ويديه الطويلتين اللينتين ، وهو مشغوف بعقدهما حول ركبته حين يجلس ويتحدث . وبين آن وآخر يكتسى فمه بابتسامة هادئة تهكمية ، ولكنها فى العادة ذات مسحة حزينة .

(عن مجلة الأدب والفن الانجليزية) **اسكندر هندرسون**

مقابلات بين أقوال جحا

وأقوال الشعراء والكتاب

للأستاذ كامل كيلاني

١ — الأسلوب الجحوى

لقد كان الأسلوب الجحوى — ولا يزال — مثالا رائعاً يفيض من إشراقه ومرحه على حقائق الحياة المرة فيكسوها من ألوانه الزاهية جدة وإشراقا .

والأسلوب الجُحَوىّ الباسم : يكاد يقابل الأسلوب العلائى العابس . حتى ليبلغ جحا — أحيانا — فى سَبْر أغوار الحياة بسخريته المرحة الباسمة ما يبلغه المعرى بسخريته العابسة القاتمة .

وقد عرضت للموازنة بينهما فى غير هذا المقام ، فلأجتزىء بهذه اللمحة العابرة الآن .

وبحسبنا أن نعرض على القارىء أمثلة قليلة على ما نقول :

٢ — تقسيم الأرزاق

فنحن إذا استمعنا إلى صرخة « ابن الرومى » وحيرته فى تقسيم الأرزاق ، ومافيها من تفاوت يحار فى تعليله اللُّب وينقطع منه نياط القلب حين يقول :

« لا تعجبن لمرزوق أخى هوج حظا تخطى أصيل الرأى طرافا
تخالق الناس أعراء بلا وبر كاسى البهائم أوباراً وأصوافا »

أو يقول :

« إن للحظ كيمياء إذا ما مسّ كلباً أحاله إنسانا
يفعل الله ما يشاء كما شا ء متى شاء كائنا ما كانا »

أو أصغينا إلى « ابن الراوندى » ونستعيذ بالله من جرأته وتنطسه فى إلحاده وكفره حين قال :

« قسمت بين الورى حظوظهم قسمة سكران بيّن الغلط
لو قسم الرزق هكذا رجل قلنا له : قد جننت فانمط »

إلى آخر ما يزخر به غلاة الساخطين الناقمين من أساليب تكاد لفرط عنفها تلتهب النهابا ، وتكاد لغليانها تقذف بالحمم ، وترمى بشواظ من نيران الفكر ، ويكاد إهاب قائلها يتفطر من الغيظ والنقمة .

ثم رُحنا نستمع إلى جحا لنتعرف كيف يعبر عن هذه المعانى الحزينة بأسلوبه الباسم الذى تنطوى فى ابتسامته أعنف معانى المرارة والجد ، رأينا العجب العاجب :

رأينا فيلسوفنا الساخر يحتكم إليه أربعةٌ من عارفيه ليقسِمَ بينهم زكيبة مملوءة بلحاً .

فماذا يصنع ليعبر بأسلوبه المرح عن تلك المعانى الملتهبة التى عرض لها أعلام الساخطين على توزيع الأرزاق ؟

يقبل عليهم متباهلا ويسألهم متغابياً :

« أىُّ قسمة تريدون ؟ قسمتى أم قسمةَ الله ؟ » .

فيجيبونه على الفور : « بل قسمةَ الله يا جحا » .

فيعطى أحدهم بلحاتٍ خمساً أو ستاً .

ويعطى الثانى حُفنتين أو ثلاثا .

ثم يعطى الثالث كل ما فى الغرارة من بلح .

ثم يحرم الرابع فلا يعطيه شيئاً . ويتركه يضرب كفاً على كف من فرط الحيرة والدهش .

فإذا سألوه : « أىُّ قسمة هذه يا جحا ؟ » .

أجاب فى تفاؤل الساخر العميق :

« أليست هذه قسمةَ الله ؟ أليس يعطى واحداً دراهم معدودة ، ويعطى الثانى قليلا من الدنانير ، ويعطى الثالث من خزائن الأرض وكنوزها ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة . ثم يترك الرابع فلا يعطيه شيئاً » .

أليس فى هذا لون من التعبير الجحوى الباسم المرح يترجم عن قول من أسلفنا من كبار الساخطين ؟

أليس فى هذا لون من قول المعرى :

« كذلك مجرى الرزق : وادٍ به ندى
ووادٍ به فيض ، وآخر ذو جَفْرِ »

وقوله :

« لقد جاءنا هذا الشتاء وتحته فقير معرَّى أو أمير مدوَّج
وقد يرزق المجدود أقوات أمة ويحرم قوتاً واحداً وهو أحوج »

وقول الآخر :

« كان يحيي إهالـكا منَ ظمأ   فضل ما أوبق ميتا من غرق »

أو قول الحلاج :

« كم عاقل عاقل أعيت مذاهبه   وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا
هذا الذى ترك الأوهام حائرة   وصير العالم النحرير زنديقاً »

إلى آخر ما قاله المبدعون الساخطون .

٣ — النطف العذاب

وإلى القارىء معنى ثانيا :

« يقول « ابن الرومى » :

« وما اللجج الملاح بمرويات   وتلقى الرى فى النطف العذاب »

فـكيف يعبر جحا بأسلوبه المرح عن هذا المعنى الجاد :

يخبرنا الرواة أنه كان يستحم ذات يوم فى البحر ، فلما اشتد به العطش جرع منه جرعة ليروى بها ظمأه ، فزاده الماء الملح عطشاً على عطش ، وأحس كأن معدته تلتهب .

فأسرع إلى نهر قريب منه فشرب منه نطفاً عذابا ، فارتوى وهدأت ثائرة العطش ، فأسرع إلى وعاء فملأه من النهر ثم صبه فى البحر قائلا فى ثورة الغضب :

« قبح الله غرورك أيها البحر ، فـما أدرى فيم كبرياؤك وصلفك ؟ وما أدرى والله كيف يسمى ماؤك الأجاج ماء ؟ إليك أيها المتعجرف هدية أحضرتها لك من الماء لترى حقيقة الماء الجدير بهذا الإسم » .

٤ — فائدة المصائب

وإذا قال « ابن الرومى » :

« ومحال أن يسعد السعداء   الدهر إلا بشقوة الأشقياء »

وقال المتنبى :

« بذا قضت الأيام مابين أهلها   مصائب قوم عند قوم فوائد »

وقال أبو العلاء :

« غنى زيد يكون لفقر عمرو   وأحكام الحوادث لا يقسنه
وجرم — فى الحقيقة — مثل جَمْر   ولـكن الحروفَ به عكسنه »

وقال :

« وسخط الظباء بما نالها   تولد منـه رضا الحابل »

فـكيف يعبر صاحبنا عن هذا المعنى بأسلوبه الجحوى الرائع :

يخبرنا الرواة أن جحا سافر — ذات مرة — لزيارة بنتيه ، وكان زوج أولاهما زارعا وزوج الأخرى فخارياً : يصنع الفخار ويبيعه .

فعرّج على الأولى يسألها : كيف أنت ؟

فأجابته : بخير — يا أبتاه — إذا أغاثنا الله فى هذا العام بما نأمله من الغيث . فادع لنـا الله سبحانه أن ينزل علينا أمطاراً غزيرة تحيي موات أرضنا ، وتجلب لنا مانرجوه من رخاء وهناء .

ثم عرّج على الأخرى ، ولما سألها عن حالها أجابته :

نحن بخير — ياأبتاه — إذا انقطع الغيث عنا فى هذا العام . فادع لنا الله أن يكف عنا المطر حتى ينجو من البوار والتلف ماعندنا من الآنية والتحف التى جهدنا فى صنعها من الفخار والخزف .

فخرج صاحبنا وهو لا يدرى بأى الدعوتين يبتهل إلى الله ؟ فمصيبة هذه فائدة تلك . واستجابة إحدى الدعوتين — كما ترى — شقاء إحدى بنتيه وهناء الأخرى ، ولا مناص من ذلـكم على أى الحالين ؟

وفى هذه القصة تعبير رائع عن قول المتنبى الذى أسلفناه :

« بذا قضت الأيام مابين أهلها   مصائب قوم عند قوم فوائد

ثم يخبرنا الرواة أيضاً : أن لصاً سرق منه عشرين دينارا . فذهب جحا إلى المسجد ضارعا إلى الله أن يعيدها إليه . وأراد الله سبحانه أن يلهم تاجراً من أهل القرية كادت العواصف أن تغرق سفينته أن ينذر لذلـكم الرجل الصالح عشرين ديناراً إذا كتب الله السلامة لمركبه .

فلما ظفر التاجر بالسلامة ، وفى لصاحبنا بنذره بعد أن قص عليه قصته .

فأطرق جحا برأسه إلى الأرض ثم قال بعد تأمل عميق :

« تباركت يارب فى علاك : لو أننى سلفت أحداً غيرك هذا المبلغ لأعاده فى هـدوء ، دون أن يخطر على باله أن يزعج أحداً ويعرضَ حياته للتلف ، ليرد مبلغى إلىّ »

وهو — كما ترى — تعبير جحوى بارع ينطوى — فى

فكاهته — على أقصى الجد المرير . وفى هذا يقول فى بعض خواطره :

وهكذا ترك لى « أبو مرة ظالم بن الحارث » زاده كله ، فرحت آكل من طعامه هنيئاً مريئاً بعد أن هيأت لى كوارثه ونكباته ، ما لم تهيئه لى مباهجه ومسراته .

إلى أن يقول : وكم سعد سعيد بشقوة شقى ، وللقدر تصريف خفى . وغرق مركب بمن فيه ، ولم ينج أحد من راكبيه . فهلك السفر والربان ، وراحوا زاداً للسمك والحيتان .

تم هذا كله فكان ماذا ؟

قامت المنادب فى ديار الغرقى والناحات ، وأعلنت الأفراح فى قاع البحر وعمت المباهج والمسرات . ولولا غرق المركب بمن فيه من الناس، لما تم للسمك مايطمح إليه من بشر وإيناس، ولما أقام الولائم والأعراس . وكم للقدر من عجائب وفنون ، ولله فى خلقه شئون .

(البقية فى العدد القادم)

كامل كيلانى

حزب الاستقلال المراكشى

مظهر من مظاهر الكفاح العربى للحرية

لباحث فاضـل

فى فاتحة يناير ١٩٤٤ تأسس بمراكش حزب سياسى كبير تحت اسم (حزب الاستقلال) انتظمت فى سلكه جميع الأحزاب والهيئات السياسية الموجودة من قبل . وفى يوم ١١ يناير ١٩٤٤ حرر مذكرة قدمها إلى جلالة ملك مراكش وإلى ممثلى انجلترا والولايات المتحدة وفرنسا وروسيا يعلن ضرورة الاعتراف باستقلال مراكش استقلالا تاما وإجراء انتخابات لتأليف مجلس تأسيسى ينظم البلاد تنظيما دستوريا وتوقيع الحكومة المراكشية على وثيقة الأمم المتحدة ليصبح لها الحق فى مشاركة العالم الحر فى مؤتمراته ومسئولياته فى تنظيمات ما بعد الحرب .

وقد وجدت الأمة المراكشية فى مذكرة حزب الاستقلال تعبيراً صريحاً وصادقا عن رغبتها فاندفعت تؤيدها بكل حماسة بوادى وحواضر ، ورأى الفرنسيون والحلفاء بأعينهم إجماع أمة بأكملها طيلة ثلاثة أسابيع إلى أن انقلبت ميادين التأييد وتقرير المصير إلى ميادين قتال ودماء ووحشية مظلمة تسجل العار الأبدى على الفرنسيين .

وأقيل من منصبه ونفى إلى الصحراء صاحب المعالى وزير العدلية الإسلامية سيدى محمد بن العربى ، وصاحب المعالى وزير المعارف العلامة الحاج احمد بركاش ، وسعادة محافظ العاصمة ، كما اعتقل الكاتب العام لحزب الاستقلال احمد بلافريج وقدم للمحاكمة العسكرية هو وثلة من الزعماء السياسيين ، بحجة الاتصال بالألمان ، وقد حكمت المحاكم العسكرية ببراءتهم جميعاً ، فأخرج بالافريج من السجن العسكرى إلى جزيرة كورسيكا حيث هو الآن منفى مع زوجه .

وقد أكد حزب الاستقلال فى تلك الظروف السود أن موقفه لم يتغير وأن مذكرة ١١ يناير هى الأساس الوحيد لكل تفاهم مع الفرنسيين . أما الفرنسيون فقد نظموا هجوما سياسياً مضاداً هو إعلان دار الحماية عزمها على إدخال بعض الإصلاحات بعد أن تؤسس لجاناً رسمية تدرس لها ما تحتاجه مراكش من الإصلاحات . وقد كتب حزب الاستقلال مذكرة مطولة قدمها للفرنسيين وأظهر فيها ما يحتوى عليه برنامج دار الحماية من مراوغة وسخف ، كما أكد أن مذكرة ١١ يناير هى وحدها الحل الوحيد الممكن للتقارب بين المراكشيين والفرنسيين .

ماذا يريد الفرنسيون من مراكش ؟

يريدون أن تبقى جاهلة ، ولا أدل على ذلك من أن المراكشيين لم ينتجوا زهاء ثلث قرن كامل قضوه تحت تحكمات الفرنسيين سوى ثلاثة أطباء ونحو سبعة محامين ونزر من المدرسين !

ويريدون منها أن تكون مفككة العرى متنازعة مقسمة على نفسها ، ولا أدل على ذلك من (الظهير البربرى) التهير الصادر يوم ١٦ مايو ١٩٣٠ والمرسومات والقرارات التى تبعته والتى فرضت على سكان البوادى المغربية أن يخرجوا عن الإسلام بالنار والحديد والشنق، وأن يقطعوا كل صلة باللغة العربية وأن يعزلوا عزلا عن كل اتصال ببقية مواطنيهم المراكشيين .

ويريد الفرنسيون من مراكش أن يكون فلاحوها متشردين

وقطاع طرق ، ولا أدل على ذلك من مرسوم ١٩٢٧ القاضي باعتبار نزع أراضي الفلاح المراكشي لفائدة « المستعمر » الفرنسي من المصلحة العامة . وليتصور القارىء أن مراكش من الأقاليم التي تشيع فيها الملكية الصغيرة ، فتكوين (عزبة) للتعمير تطلب اعتياديا نزع أراضي مئة إلى مئة وخمسين فلاحا مراكشياً يسلمون أراضيهم العزيزة لسيدهم المستعمر وينزلون هم إلى المدن يائسين من الحياة يزيدون في عدد البؤساء المجرمين . وهذه السياسة مستمرة منذ صدر مرسوم ١٩٢٧ .

ويريد الفرنسيون من مراكش ألا يسمع فيها صوت غير صوتهم ولا تنفذ إرادة غير إرادتهم ، وليس أدل على ذلك من أن مراكش تعيش قانونياً وعملياً تحت الحصار « الأحكام العرفية » منذ سنة ١٩١٤ إلى اليوم ، وهي مقسمة إلى مناطق على رأس كل منطقة منها حاكم عسكري ليس لسلطته حدود ، وعلى رأس الحكام العسكريين القائد الأعلى لجيوش الإحتلال بيده تفويض تام لإصدار أوامر باسمه متى شاء وكيف شاء ، فالمراسيم الملكية نفسها يوقف تطبيقها أو يناقضها أو يعدلها بحسب مصلحة جيش الإحتلال ووفقاً للمرسوم الملكي نفسه الصادر سنة ١٩١٤ القاضي بوضع البلاد تحت حالة الحصار « الأحكام العسكرية » وطبقاً لهذه الحالة المؤلمة ليس للمراكشيين ولا جريدة واحدة أو مجلة ، بينما تصدر الجالية الفرنسية عشرات الجرائد والمجلات من كل الألوان والنزعات . وليس للمراكشيين الآن ولا جمعية واحدة . وقد حلت إبان حوادث يناير ١٩٤٤ جميع الجمعيات والهيئات التي كان سمح بها من قبل لغايات استعمارية مختلفة . والمراكشيون محظور عليهم بحكم مرسوم ١٩٣٨ أن ينتسبوا لأية نقابة ، ومحظور عليهم أن يعقدوا أي اجتماع كيفما كانت صبغته ، ومحظور عليهم أن يتظلموا أو يقدموا عرائض تكشف عن رغباتهم . وليس للمراكشيين أية هيئة انتخابية تمثلهم إزاء السلطة بينما ينتخب الفرنسيون في مراكش للمجالس البلدية والغرف الفلاحية « الزراعية » والتجارية والصناعية ولمجلس شورى الحكومة المراكشية والبرلمان الفرنسي مباشرة برغم وضع مراكش الدولي والوطني . والمراكشيون محظور عليهم التعليم الحر بينما أطفالهم الصغار على حد ما جاء في خطاب جلالة الملك يوم ١٨ نوفمبر الأخير متشردون في الطرقات العامة لا يجدون مدارس تكون منهم رجالا قديرين ، ولا تتسع المدارس الحالية لأكثر من ثلاثين ألف طفل فقط .

والمراكشيون يعيشون تحت نظام بوليسي محكم ، يسير الإنسان والأرصاد الجواسيس تتبعه وأخباره يبحث عنها حتى في منزله ومع أولاده ، وكل شخص من المحتمل استدعاؤه لإدارة المحافظة على الأمن حيث يذوق ألواناً من التعذيب الجثماني والكلام على تهمة مختلقة أو تافهة ، ومن الممكن إبقاؤه تحت يد الشرطة في آفاق التعذيب المظلمة شهراً أو أكثر ثم إطلاقه من غير أن يمر بمحكمة أو يسمع له بدفاع يثبت براءته عند البوليس ... ليتصور القارىء أن روح الشرف وعاطفة التضامن والشجاعة ونقاوة الضمير وكل ما يعتبر فضيلة في علم الأخلاق يعتبر في نظر الفرنسيين في مراكش جرائم خطيرة يطارد أصحابها وينكل بهم شر تنكيل ؛ لأن العقلية الاستعمارية الفرنسية لا تعترف بحياد لأحد مطلقاً ؛ فإما خادم لهم يدل على غيره ويتعلق لأصغر الجواسيس وهو يتظاهر بالرضى والابتسام ، وإما عدو تعرقل مصالحه اليومية باستمرار وينتظر به أول فرصة ليرمى به في السجن أو ليساق إلى غرف التعذيب في قسم المحافظة على الأمن .

هذه هي الحالة النفسية والمادية التي تعيش عليها مراكش تحت الاستعمار الفرنسي المفروض ، ولكن المراكشيين يفضلون الموت على هذه الحياة التعيسة التي سامتهم من البؤس الفظيع ما لا يطيقون . لذلك صرخ حزب الاستقلال حزب مراكش الأعظم والوحيد باسم اثني عشر مليون مراكشي أن (لاحماية) ، فزلزل الفرنسيون للتأييد الجارف الذي لقيته هذه الصرخة العنيفة من ملايين المواطنين ابتداء من صاحب الجلالة ملك البلاد المحبوب إلى أصغر فلاح في جبل الأطلس ، ثم سددوا بنادقهم المجرمة ونيرانهم إلى صدر شعب بريء وقالوا إن يد الألمان حركته .

وهذا الشعب الذي لم يخجل الفرنسيون أن يقولوا إن يد الألمان حركته هو الشعب الذي قدم بسخاء دم أبنائه النفيس ليحرر صقلية وتونس وإيطاليا وفرنسا ووضع جميع موارده الاقتصادية وقواعده الحربية تحت تصرف المكافحين في سبيل الحرية لتصبح العدالة فارضة على الجميع أن يحترموا له حريته هو أيضاً من غير أن يضطر إلى إراقة دمه مرة أخرى .

مراكش « خبير »

فلسطينيات :

العـــزاب . . . !

للأستاذ نجاتى صدقى

تجاوز فهيم عبد الجواد الخامسة والأربعين ولا يزال عـزَبًا. فـكم من مرة نصحته أمه فى شبـابه أن يدخر عندها كل يوم خمسة قروش فلا تمضى أربع سنوات أو خمس إلا وتـكون قد جمعت له مهر العروس … لـكنه كان يقابل رأيها هذا بابتسامة ساخرة ويقول لها : حسن . هاك نصف جنيه عن عشرة أيام ! فينساها ، وتنسى أمه مسألة الادخار إلى أن تثار الحـكاية من جديد ، فتنصحه ويدفع ، فينسى ، فتنسى ، وهكذا ظل فهيم دون زواج .

فـكان مكبوت العاطفة ، رقيق الشعور نزقا فى بعض الأحايين . وفى عصر أحد الأيام ، بينما كان يحاول إغلاق مكتبه الذى يتعاطى فيه أعمال تأجير البيوت ، جاءته فتاة أجنبية ، وسألته عن غرفة مفروشة أو غير مفروشة ، لـكنها رجته والحت فى السـؤال فوعدها خيراً … ولما علم منها فى سياق الحديث أنهـا جاءت المدينة فى ذلك اليوم ، وأنها وحيدة لا أهل لها ولا معيل ، أحب أن يمثل معها دور العاطف عليها ، فحدثها عن مصاعب الحياة ، والحرب وذيولها ، وغلاء المعيشة ، وأزمة المساكن ، وكانت الفتاة توافقه تارة وتخالفه تارة أخرى ، وفى نهاية الأمر دعاها لتناول العشاء معه ، فترددت ، فأغراها بما كل المدينة القديمة الشرقية وبالتفرج على بيوتها وفرشها ، فترددت ثانية ، لـكنها استعرضت فى مخيلتها صوراً خيالية براقة قرأت فى هذه الدعوة ما يكشف لهـا أسراراً طالما طالعتها فى الروايات والقصص ، فأومأت إليه برأسها موافقة ، وذهبا سوية إلى مسكنه فى دير الأرز الواقع فى وسط المدينة القديمة .

كانت الساعة وقتئذ تقارب الثامنة مساء ، وقد انتشر الظلام فى حارات المدينة وأزقتها ، ولم ينرها سوى قناديل زيتية تـكاد لا تعكس ضوءها إلا على نفسها فقط ! . وكانت الفتاة تسير إلى جانب فهيم أفنـدى وتتعثر ، فيعينها بوضعه راحته تحت رسغها برفق ، وإذا ما تراءى له أنها ستقع ، تأبط ذراعها ، فتشـكره بكلمات غير واضحة متقطعة . ولما اقتربا من الدير قال لها : حذار من إحداث ضجة أثناء دخولنا الدير . سيرى على أطراف قدميك

قالت : وهل من شىء تخشاه ؟ إننى ضيفتك ، ومن يجرؤ ويمانع فى زيارتى لك ؟ …

قال : للمسألة صلة بالتقاليد وليس بقواعد الاتيـكيت . فمن عاداتنا ألا تزور امرأة رجلا أعزب فى بيته .

قالت : حقاً إنها لعادة غريبة ! …

ودخلا الدير كما أفهمها فهيم أفندى ، وصعدا إلى الطابق الثانى بهدوء مطلق ، وولجا الغرفة بهدوء أيضاً .

ودير الأرز هذا كان فيما مضى من الأيام ملجأ للمتعبدات اليونانيات ، إلا أنه تحول إلى مسكن لرقيق الحال من الناس ، فضمت جدرانه مهاجراً بولونياً ، ولاجئاً يونانياً ، ومجلد كتب ، وممرضاً ، وبائع الحصار ، وغيره بائع الألبـان ، وصاحب مكتب تأجير البيوت فهيم عبد الجواد ، وكان جميع ساكنى هذا الدير من العزاب ، ولذا كانوا يفرضون على بعضهم بعضاً رقابة أخلاقية شديدة الوطأة .

وما إن أجلس فهيم الفتاة إلى المائدة حتى سمع لغطاً خلف الباب ، ثم رأى وجهاً يطل عليه من النافذة التى تعلوه ، فعرف فيه وجه جاره مجلد الـكتب ، وقد اتقدت عيناه فغدتا أشبه بالجمر وأخذ ينقر الزجاج بسبابته مشيراً إلى فهيم أن يفتح باب الغرفة .

فما كان من فهيم إلا أن زجره ، لـكن المجلد تمادى فى النقر وعلى حين غرة حطم الزجاج بجمع يده فأحـدث فيه فجوة ومد أصابعه منها إلى المزلاج الداخلى وفتحه … وكان الهرج خلف الباب يتزايد ، ثم بادر المجلد فهيما بقوله :

— ألا تخاف ربك يا جارى ؟ !

فقال فهيم : خسئت أيها اللئيم ، إنهـا ضيفى ، وحاشا أن أدنس بيتى …

فقال المجلد : فوالله إن لم أقض السهرة برفقتـكما أثرت سكان الحى عليـكما ! …

وكانت الفتاة ترتجف من شدة الخوف والفزع ، وكان زملاء

في كتاب البخلاء للجاحظ

قرأ عظيم من عظماء الفكر في مصر كتاب البخلاء للجاحظ في طبعة وزارة المعارف التي ضبطها وشرحها وصححها الأستاذان أحمد العوامري بك وعلى الجارم بك، عضوا مجمع اللغة العربية الملكي فرأى فيها بعض المآخذ على التصحيح أو على الشرح آثر حفظه الله أن ينشرها في الرسالة خدمة لهذا الكتاب القيم عسى أن تفيد من اقتناه في هذه الطبعة، ومن يريد أن يعيد طبعه عنها. ونحن ننشرها شاكرين للأستاذ العظيم فضله على اللغة، وعطفه على الأدب، وصلته بمواصلة الرجل الكامل الذي يأخذ كل شيء مأخذ الجد الصارم، وإن لم يكن من صميم عمله ولا من حر اختصاصه.

في الجزء الأول

في ص ٢٨ : « وإذا كان البكاء (الذي) ما دام صاحبه فيه فإنه في بلاء — وربما أعمى البصر وأفسد الدماغ ودل على السخف وقضى على صاحبه بالهلع، وشُبِّه بالأمة اللكعاء وبالحدث الضرع — كذلك، فما ظنك بالضحك الذي لا يزال صاحبه في غاية السرور إلى أن ينقطع عنه سببه ؟ »

قال الشارحان : لم تكن (الذي) في النسخ التي بين أيدينا وقد أثبتناها من نسخة الشنقيطي ليكون المعنى بها أوضح.

ثم قالا في رقم ٥ من الشرح : وقوله « كذلك » خبر كان.

وأنا أرى أن كلمة « الذي » مقحمة لأنها تفسد المعنى، وأن جواب الشرط « إذا » هو قوله : فما ظنك بالضحك الخ لا قوله « كذلك » ؛ لأن كلمة كذلك إنما هي لضم « الحدث الضرع » إلى « الأمة اللكعاء » في تشبيه صاحب البكاء بهما، ومن الخطأ الفصل بين كلمتي الضرع و(كذلك) بتلك « الشرطة » — بذلك تتحرر العبارة، وتنزل على المعنى المعقول الذي يريده الجاحظ وهو أن البكاء مطلقا ما دام صاحبه متلبسا به فهو في بلاء ؛ وربما أعمى البصر، وشبه بالأمة اللكعاء وبالحدث الضرع كذلك. وإذا كان هذا شأن البكاء على الإطلاق « أي لا شأن نوع منه » فما ظنك بالضحك الخ.

المجلد يدفعون باب الغرفة بعنا كيهم وكادوا يحطمونه لو لم يسارع فهيم إلى فتحه، فإذا به يشاهد المرض وقد رفع مجلد الكتب على كتفيه، وهو في قميص النوم، وبائع الخضار وقد التف بعباءة وهو حاسر الرأس حافي القدمين، وبائع الألبان واقفاً بسرواله الواسع وبيده هراوة ثقيلة ...

ما هذه الاغارة ؟ وما الذي يريده هؤلاء القوم ؟ ...

إنهم العزاب ... شموا رائحة الأنوثة المسكرة تعبر بأبواب غرفهم، فهبوا من فراشهم وتتبعوا الأثر إلى أن قادتهم أقدامهم إلى غرفة فهيم، وكان منهم ما كان ...

قال المرض لجاره الذي أخل بشروط العزوبة :

— نحن جيران يا أخي منذ خمس سنوات، وهل قصرت معك في شيء ؟ هل طلبت يوماً روحي ولم أضعها تحت تصرفك ؟

وقال بائع الخضار : يافهيم ... إنني أعهدك صريحاً فلو أطلعتني منذ الأمس على قصدك لكنت مددت لك يد المعونة، ولسترت عليك الأمر، ولما درت هذه الكف ما تفعله الكف الأخرى.

وتقدم بائع الألبان مزمجراً والهراوة في يده وقال : وحق من بسط الأرض، ورفع السماء، إن لم تقبلنا في سهرتك هذه، لأنثرن دماغك في جنبات هذه الغرفة ! ...

أما المسكينة فكانت تسمع ولا تفقه، لكنها أدركت أنها بيت القصيد، وأنها قد وقعت في الفخ.

ولما رأى فهيم أن المسألة قد تأزمت، وأن غرفته ستصبح مسرحاً لرواية مخزية، ولفاجعة مؤلمة، قال للفتاة بلغة لا يفقهها جيرانه : —

— لا تجزعي، سأغلق عليك الباب، وسأذهب في طلب بوليس الأخلاق ...

وأقفل الباب على الفتاة واجتاز العزاب وقد تربعوا في الممر يهدرون كالإبل. وبعد دقائق معدودات، عاد فهيم وبرفقته نفران فتبعثر العزاب هنا وهناك، وخرجت الفتاة بحراستهما، وقد سترت رأسها ووجهها بمنشفة حتى لا يراها أحد، ثم تركوا الدير أربعتهم وساروا في الطريق معا، دون أن ينبسوا بكلمة واحدة.

وإذ بلغوا مسكن النفرين، وقف فهيم يستودعهما ويشكرهما على حسن صنيعهما. فأجابه أحدهما : لا شكر على واجب. ولكن هلا تفضلت مع الفتاة لنقضي السهرة عندنا ؟ !

نجاتي صدقي

على أن من يريد إقحام « الذى » بعد كلمة البكاء لتقابل كلمة «الذى» الواردة بعد كلمة الضحك فى جواب الشرط ، لا بد أن يحذف الواو قبل كلمة « ربما أعمى » لتكون ربما وما بعدها خبرا لكان .

وجاء فى صفحة ٣٤ : « وإن من أعظم الشقوة ، وأبعد من السعادة ، ألا يزال يتذكر زلل المعلمين ، ويتناسى سوء استماع المتعلمين » وأظن أن كلمة (من) فى قوله وأبعد من السعادة زائدة أو واجبة التقديم على « أبعد » ؛ وإذا حذفت على اعتبارها زائدة فلا بد من جر « أبعد » بالعطف على أعظم .

وجاء فى صفحة ٧٧ : « قال أبو مازن وأرخى عينيه وفكيه ولسانه ، ثم قال : سكران والله ! أنا سكران » . وقال الشارحان تعليقا على (قال) الثانية : كان يمكن أن يستغنى عن قال هذه ، والصواب فى رأيى أن قال الأولى صحتها « مال » إذ لو حذفت قال الثانية لبقى الإشكال فى ثم .

وجاء فى صفحة ٨٩ : «قد عرفت الرأس حق معرفته ، وفهمت كسر الإكسير على حقيقته » والصواب على ما أظن سر الإكسير لا كسر الإكسير . وفى الصفحة نفسها «وعرفت التنجيم والزجر والطرق والفكر» وقد فسر الشارحان كلمة الفكر بقولهما : يحتمل أنه يريد بالفكر هنا طرق التفكير ، والذى أراه أن المراد بالفكر هنا هو قراءة أفكار الناس لا كيفية تفكيره هو ، وهذا النوع هو الشائع الآن عند كثير من المتكهنين .

وجاء فى صفحة ٩٠ : « ولولا أن أكون سببا لتلف نفسك لعلمتك الساعة الشىء الذى بلغ بقارون » وفسر الشارحان المراد بتلف النفس هنا بما قد ينشأ بتعلم هذا العلم من طغيانها وتمردها . وأقول إن المراد صعوبة حمل هذا العلم لما ذكره بعد من عجائبه ، تلك الصعوبة التى تقتضى بذل جهود مهلكة . وفى الصفحة نفسها فسر الشارحان « صنعة التلطيف » فى قول الجاحظ : « ولكنى سألقى عليك علم الإدراك ، وسبك الرخام ، وأسرار السيوف القلعية ، وعقاقير السيوف اليمنية ، وعمل الفرعونى ، وصنعة التلطيف على وجهه» فسرا صنعة التلطيف بصنعة النقش والتزيين . والأظهر أن التلطيف عملية كيميائية كما جاء فى طبعة ليدن . وما لا يعرف معناها بعد مراجعة كتاب الحيوان ، فالغالب أن معناها التصعيد أى تأويل الأجسام إلى غازات ، أو تخفيف الكثيف وجعله رقيقا .

وجاء فى صفحة ٩١ : « ولست أرضاك ولو كنت فوق البنين ، ولا أثق بك وإن كنت لاحقا بالآباء ، لأنى « لم أبالغ » فى محبتك » والصواب فى محنتك لا فى محبتك ؛ لأن عبارة « لم أبالغ » لا تتفق فى هذا المقام مع فى محبتك ، إذ الأب يصف حالة قائمة بنفسه قبل الكلام وأثناءه وبعده ، فإذا فرضنا أن (فى محبتك) غير محرفة ؛ فلا بد أن يكون ما قبلها محرفا عن « لا أبالغ » وبهذا التصحيح قد تكون عبارة ذلك الأب مفهومة . على أن الحق هو أنها صحيحة ، والمحرف إنما هى العبارة التالية ، إذ الأب يقول لابنه إن معارفى التى شغلنى تحصيلها عنك لم تترك لى وقتا أستزيد فيه من اختبارى درجة عقليتك وامتحان مبلغ استعدادك . ولذلك تمشت عبارة « لم أبالغ » مع عبارة « فى محنتك » لأن الوالد يبالغ دائما فى محبة ابنه .

وجاء فى صفحة ٩٣ : «احتال الآباء فى حبس الأموال على أولادهم بالوقف ، فاحتالت القضاة على أولادهم بالاستحجار» وقال الشارحان وقد عدل عن الحجر ، وهى الكلمة المألوفة إلى الاستحجار التى لم نجدها بهذا المعنى فيما بين أيدينا من المراجع . وأقول : ليس الإستحجار هو الحجر حتى يكون الجاحظ قد عدل عن هذه إلى تلك ؛ بل الواضح أن الاستحجار هو طلب الحجر ؛ واحتيال القاضى فى الاستحجار هو سعيه بسوء نية فى جعل أحد الناس يطلب الحجر على الموقوف عليه ، وهذا ظاهر لا يدعو للتشكك ولا للرجوع إلى المعاجم .

وفى الصفحة نفسها يقول الجاحظ : « يا ابن الخبيثة : إنك وإن كنت فوق أبناء هذا الزمان فإن الكفاية قد مسختك » وأقول إنها مسحتك بالحاء المهملة لا مسختك كما فى المتن ، ولا محنتك كما فى نسخة ليدن ، ولا جننتك بتشديد الجيم كما ينطق بعض المستشرقين . وذلك أن مسح الرجل أو مسحه بالتشديد معناها قال له قولا حسنا ليخدعه به ؛ فالمراد إذن أن الكفاية أى رغد العيش الذى أنت فيه قد فتنتك وخدعتك عن نفسك .

وجاء فى صفحة ١٠٢ : « وزرته أنا والمكى ، وكنت أنا على حمار مكار ، والمكى على حمار مستعار ، فصار الحمار إلى أسوأ من

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٦٩٤ — وأنت في جد

في (مسالك الأبصار) : قال عبد الله بن الربيعي : دخلت أنا وأبو النصر البصري (بِيعة[1] ما مَرجَس) وقد ركبنا مع المعتصم نتصيد . فوقفت أنظر إلى جارية كنت أهواها ، وجعل هو ينظر إلى صورة في البيعة استحسنها حتى طال ذلك ، ثم قال أبو النصر :

فتنتنا صورةٌ في بيعـــة ! فتن اللهُ الذي صورهـــا !
زادها الناقشُ في تحسينها فضَّل حسن أنه نضَّرها
وجهها (لا شك عندي) فتنة وكذا هي عند من أبصرها
أنا للقَس عليها حاســـد ليت غيري عبثاً كَفَّرها !

قال الربيعي : فقلت له : شتان ما بيننا ، أنا أهوى بشراً ، وأنت تهوى صورة .

قال لي : هذا عبث ، وأنت في جد .

٦٩٥ — وصاحبها عند الكمال يموت

حكي أن إنسانا رفع قصة إلى الصاحب كمال الدين بن العديم فأعجبه خطها فأمسكها وقال لرافعها : أهذا خطك ؟

قال : لا ، ولكني حضرت إلى باب مولانا فوجدت بعض مماليكه فكتبها لي . فقال : عليّ به . فلما حضر وجده مملوكه الذي يحمل مداسه وكان عنده في حال غير مرضية . فقال له الصاحب : أهذا خطك ؟ قال : نعم . قال : فهذه طريقتي فمن الذي أوقفك عليها ؟

قال : يا مولانا كنت إذا وقعت لأحد على قصة أخذتها منه وسألته المهلة علي حتى أكتب عليها سطرين أو ثلاثة . فأمره أن يكتب بين يديه ليراه فكتب :

(١) البيعة — بالكسر — متعبد النصارى ج بيع كعنب .

حال المذود) والصواب الزَّور لا المذود ، والزور : الضيوف جمع زائر ، مثل ركب وصحب جمع راكب وصاحب .

وجاء في الصفحة نفسها : «فأعاد المسألة فأمكنه من أذن من لايسمع إلا مايشتهي» ، وقال الشارحان :« فأمكنه إلى آخره ، أمكنه من الشيء مكنه بتشديد الكاف منه ، وفاعل أمكنه يعود إلى المكي، وضمير المفعول إلى المسألة بمعنى الطلب ليطابق المرجع . وأقول إن هذا التفسير يفسد عبارة الجاحظ ، وهي من أجمل العبارات . والصواب أن صاحب البيت هو الذي أمكن المكي من أذن صماء كما تقول : أعارني أذنا صماء . وجمال العبارة هو في التمكين الموهم بلوغ المقصود ، ثم اتباع هذا التمكين ببيان أن الباب الذي انفتح لا يؤدي إليه ، وإنما يؤدي إلى نقيضه .

وجاء في صفحة ١٠٣ :«وصديق كنا قد ابتلينا بمؤاكلته ، وقد كان ظن أنا قد عرفناه بالبخل على الطعام ، وهجس ذلك في نفسه ، وتوهم أنا قد تذاكرنا أمره ؛ فكان يتزيد في تكثير الطعام ، وفي إظهار الحرص على أن يؤكل حتى قال : من رفع يده قبل القوم غرمناه دينارا . فترى بغضه إن غرَّم دينارا . وظاهرُ لائمته ، محتمل في رضا قلبه ومايرجو من نفع ذلك له ».

وقال الشارحان بعد أن فسرا هذا الكلام على هذا الضبط : (ولا يخفى مافي هذه العبارة من إيجاز وغموض ، وأقول : إن سوء الرسم هو الذي أدى إلى تفسيرهما المعقد ، وصواب العبارة أن تضبط هكذا « فترى بغضه أن غرم دينارا ، وظاهرَ لائمته ، محتملين في رضا قلبه إلى آخره) وإذن يكون معنى العبارة أنك أيها القارىء ترى أن بغضه للكرم المدلول عليه بتغريمه الدينار ، والدينار أكبر قيمة من كل طعامه ، ثم إكراهه نفسه على الظهور بمظهر من يلوم على عدم الأكل ، هاتين الخصلتين المتناقضتين قد وسعهما قلبه فاحتملهما لما يرجوه من الظفر في النتيجة .

(يتبع)

وما تنفع الآداب والحلم والحجا   وصاحبها عند (الكمال) يموت

فكان إعجاب الصاحب بالشعر أكثر من الخط لأن فيه تورية لطيفة ، ورفع منزلته حينئذ .

٦٩٦ — قد أبلغناه محبته

فى (شرح النهج) لابن أبى الحديد : قيل لأبى مسلم الخراسانى إن فى بعض الكتب المنزلة : (من قتل بالسيف فبالسيف يقتل) فقال : القتل أحب إلى من اختلاف الأطباء ، والنظر فى الماء ، ومقاساة الدواء والداء . فذكر ذلك للمنصور بعد قتل أبى مسلم ، فقال : قد أبلغناه محبته ...

قال المنصور للمهدى : ما أُيدت بمن أُيد به من كان قبلى ، أيد معاوية بزياد ، وأيد عبد الملك بالحجاج . فقال المهدى : قد أيدت بمن فوقهما . فقال تعنى أبا مسلم ؟ قال : نعم . قال : قد كان كذلك لكنه خيرنا بين أن نقتله أو يقتلنا فاخترنا قتله ...

٦٩٧ — وعليه زينهم

فى (تاريخ بغداد) :

قال أبو بكر بن شاذان : سألت أبا الطيب محمد بن الحسين اللخمى أن يملى على شيئا فأبى ، ثم سألته فأجاب ، فقلت له : أعطنى ورقة . فقال لى : والورق من عندى ؟ ! كتب ، وأنشدنى هذه الأبيات :

رب ، ما أقبح عندى عاشقا   مستهاما يتفقا سِمَنا !
قلت من ذاك؟ أنا؟ فاستضحكت   ثم قالت : من تراه ؟ فأنا ؟
قلت : زورينى فقالت : عجبا   أنا والله إذن قارى منى
إذ يصلى وعليه زيهم   أنت تهوانى وآتيك أنا ؟ !

٦٩٨ — إن اهتمامك بالمعروف معروف

قال عبد الأعلى بن حماد النرسى ، قدمت على المتوكل بسر من رأى ، فدخلت عليه يوما فقال لى : يا أبا يحيى ، قد كنا هممنا لك بأمر ، فتدافعت الأيام به ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، سمعت مسلم ابن خالد المكى يقول : سمعت جعفر بن محمد يقول : من لم يشكر الهمة لم يشكر النعمة ، وأنشدته :

لأشكرنك معروفا هممت به   إن اهتمامك بالمعروف معروف[1]

ولا ألومك إن لم يمضه قدر   فالشيء بالقدر المحتوم مصروف

فجذب الدواة فكتبهما ، ثم قال : ينجز لأبى يحيى ما كنا هممنا له به ، وهو كذا ، ويضعف لخبره هذا .

٦٩٩ — لا يعقل

أبو سعيد الكرمانى :

عزلت وما خنت فيما وليت   وغيرى يخون فلا يعزل
فهذا يدل على أن من   يولى ويعزل لا يعقل

٧٠٠ - أهذا أيضا مما أعده ؟

فى (الكشاف) : عن عمر بن عبد العزيز (رضى الله عنه) أنه شكر عبد الملك حين زوجه ابنته ، وأحسن إليه فقال : وصلت الرحم وفعلت وصنعت وجاء بكلام حسن . فقال ابن لعبدالملك: إنما هو كلام أعده لهذا المقام ، فسكت عبد الملك . فلما كان بعد أيام دخل عليه والابن حاضر ، فسأله عن نفقته وأحواله فقال : الحسنة بين السيئتين . فعرف عبد الملك أنه أراد ما فى هذه الآية : « والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا ، وكان بين ذلك قواما[1] » فقال لابنه : يا بنى ، أهذا أيضا مما أعده ؟ ...

٧٠١ — حتى تغرب الشمس

قال أحمد بن طاهر : كنت فى مجلس بعض أصدقائى يوما ، وكان معى على بن عبيدة الريحانى[2] فى المجلس ، وفى المجلس جارية كان يحبها ، فجاء وقت الظهر فقمنا إلى الصلاة وعلى والجارية فى الحديث . فأطال حتى كادت الصلاة تفوت فقلت له : يا أبا الحسن ، قم إلى الصلاة ، فأومأ بيده إلى الجارية وقال : (حتى تغربَ الشمس) فجعلتُ أتعجب من حسن جوابه ، وسرعته وكفايته .

---

(١) شكرت له وشكرته وأنكر الأصمعى شكرته وقال بابه الشعر (المصباح) شكرته وشكرت له وباللام أفصح ، وشكرت نعمة الله (اللسان)

(١) القوام : العدل بين الشيئين لاستقامة الطرفين واعتدالها ، ونظير القوام من الاستقامة السواء من الاستواء . وقرىء قواما (بالكسر) وهو ما يقام به الشيء (الكشاف) ، وفى اعراب القرآن للعكبرى : (وكان بين ذلك) أى وكان الانفاق و(قواما) الخبر ، ويجوز أن يكون (بين) الخبر و (قواما) حالا .

(٢) هنيات : جمع هنية ، فى (النهاية) : أنه أقام هنية أى قليلا من الزمان ويقال هنيهة أيضا فى (المصباح) : مكثت هنيهة أى ساعة لطيفة .



مجون كالجنون :

إذا جاز لغيرنا من أمم الغرب أن يستحلوا الكذب الطريف فى أول ابريل لأنهم قلما يكذبون فى سائر الأيام ، فما الذى يجيز لنا نحن أن نتعمد الكذب فى هذا اليوم ، وحياتنا ومعاملاتنا وأخلاقنا ومبادئنا كلها كذب صراح فى جميع أيام العام ؟ لقد كان الأخلق بنا أن نستريح فى هذا اليوم إلى الصدق ترفيها لأنفسنا وألسنتنا من عناء الكذب المتصل فى كل ساعة وفى كل شىء . وإذا لم يكن بد من هذا التقليد البليد فمن لوازمه أن يتوخى الكذاب الطرافة والظرف فيما يكذب ليكون له من هذه الحال مبرر . ولا ندرى أى طرافة وأى ظرف فى هذه الكذبة المؤلمة التى صاغها ذلك الطالب الماجن حول حياة الأستاذ منصور جاب الله ، وبعث بها إلى الرسالة فنشرتها فى العدد الماضى ! لقد رُوِّع أصدقاء الأستاذ منصور ، وبخاصة صديقه الأستاذ كامل كيلانى ، فقد بات بليلة الوفى المرزوء يكابد مرارة الحزن ، ويعد كلمة الرثاء ، ويتمنى مع ذلك على الله أن يرد علينا فى الصباح خبر يكذب الخبر لأننا لم نقرأه فى صحيفة ولم نسمعه من أحد . وقد حقق الله ما تمناه ، وجاءنا من الأستاذ منصور هذا الكتاب الذى يكذب والحمد لله ما نشرناه :

سيدى ... رئيس تحرير « الرسالة »

تحية واحتراما ، وبعد ، فقد دهشت أن يعمد أحد المجان إلى صحيفة الأدب الرفيع الوقور ، فيتخذ منها متنفسا لمجونه العابث ومرتعا لهذه العادة السخيفة التى يسمونها « أكذوبة إبريل » .

وإنى إذ أشكر الصحب والإخوان الذين شملونى بعطفهم وأولونى برهم ، أعجب لهذا العابث الذى يزعم أنه ينتسب إلى إحدى جامعاتنا ، حين تزيد فى القول فادعى أنى أكتب الرسائل الجامعية لأصحابها ، وأنى أحرر المقالات والمحاضرات للأصدقاء المعوزين .

من أين علم هذا ؟ وكيف لى بهذا ؟ إن مثل هذا التعريض لا يليق بشاب ينتظره مستقبل لامع وأمة ناهضة .

إنها على كل حال سانحة طيبة لأبادل إخوان الأدب وأهل الفضل شعورهم . جزاهم الله خيراً ، وأجزل بين الأبرار ثوابهم . والسلام عليكم ورحمة الله .

(اسكندرية) **منصور جاب الله**

رسالة فى القدر :

[لصاحب ديوان « وحى المرأة »]

سيدتى الفاضلة :

تلقيت كتابك الكريم الحزين ، وإنى لألمس فيما يضطرم فيه من لاعج الألم : وفيما ينطوى عليه من احتجاج كظيم وثورة مكبوتة ، مبلغ السعادة التى فجعك فيها القدر ، ذلك القدر الذى فجعنى مثل فجيعتك .

وما أحسب أهل الحضارات القديمة من الأمم الخالية إلا على عذر فى تصورهم أن الآلهة تحسد من تهيأت لهم السعادة فى تمامها وكمالها من البشر ، فتبتدرهم بما يقتضب تلك السعادة عليهم .

ولقد كنت فى صدر حياتى أعجب للمأساة عند الاغريق وتصورهم فيها للقدر يقضى قضاءه لغير موجب نعقله ، فلا تجدى حيلة ولا شفاعة ، لا حيلة فى الأرض ولا شفاعة فى السماء تقف فى وجه القدر الطاغية فيما يروونه من أساطير تاريخهم . وذلك أنهم كانوا — مع إيمانهم بسلطان الأرباب على البشر — يجعلون القدر فوق الأرباب .

وإننى لأذكر اليوم هذه الصورة للقدر التى كنت أعجب لها عند الإغريق الأقدمين ، ثم أذكر هذا الذى ما نزال عليه نحن عامة المسلمين من الاعتقاد بالمقدور المكتوب من قديم لكل واحد منا ، وما يستتبعه من الدعاء بدعائنا المأثور « اللهم لا أسألك رد القضاء ، ولكن أسألك اللطف فيه » فلا أملك نفسى من مراجعة النظر والتفكير . أجل ، إنى لأديم التفكير فى هذا على الرغم منى .

ولست أزعم ولا أنت تزعمين يا سيدتى أن الفجيعة التى نزلت بنا لم تنزل قط بأحد غيرنا . ولكنى لا أجد فى ذلك عزاء وأظنك مثلى ، وإنما ذلك أدعى إلى زيادة الأسى على حظ البشر المساكين .

وكل ما يستطيعه الإنسان فى رأيى ويليق بكرامته أن يواجه الحقيقة وينظر إلى وجهها سافرة معتصما بذلك الاستسلام الجليد النبيل الذى عرف به الفلاسفة الرواقيون . فهل نحن مستطيعون ؟

وقبل أن أختم هذه الكلمة اليائسة التى كنت أود لو قلت

غيرها من قبيل الكلام الذي تعوده الناس في هذه المناسبات الحزينة ، أعتذر مخلصاً للسيدة الفاضلة عن خروجي عن المألوف ، وأرجو أن تتقبل اعتذاري . أما اعتذار السيدة عن ترديدها لشعر الديوان في بكاء حبها الضائع وإلفها الراحل فهو حقها ، فالديوان ديوانها مثل ماهو ديواني ؛ إنه ديوان كل من أصيب في حبيب . أما ثناؤك الكريم يا سيدتي على ناظم الديوان ، فانه ينصرف إلى صاحبة وحيه ولك عليه أجزل الشكر مني

عبد الرحمن صدقي

حول نقل الأديب

تتحف الرسالة الغراء قراءها الفينة بعد الفينة بما يمتعى الأستاذ الجليل النشاشيبي في (نقل الأديب) ويشفعه بالبيان والنقد مما لا يذر طلبة لمستزيد .

وفي عدد الرسالة الأخير رقم ٦٦٥ الطرفة الأولى (قضية خمرية) التقطها الأستاذ من (شرح المقامات) للشريشي . غير أنه لم يعقب عليها بالرد على تفسير القاضي عبيد الله بيتي حسان في زعمه أنه يريد بقوله (كلتاهما حلب العصير) الخمر ومزاجها ، فالخمر عصير العنب والماء عصير السحاب . كدأبه في التنقيب والاستيعاب .

إن تلك الطرفة الأدبية (على ما زعم القاضي) سبق بقصها الأصبهاني في الأغاني ، أخبار الواثق ج ٩ ص ٢٨٨ طبع الدار ، وحكاها الحريري استطراداً في درة الغواص الوهم ١٠٨ ثم نقلها عنه ابن حجة الحموي في أوائل (ثمرات الأوراق) كما ذكر الشريشي .

وقد فند ابن الشجري في أماليه تفسير القاضي بأوجه ثلاثة : الأول أن (كلتاهما) للمؤنث والماء مذكر ؛ والثاني أن (أرخاهما) للمشاركة والزيادة والماء لا إرخاء منه ؛ والثالث التدافع بين قولى القاضي الخمر عصير العنب وحسان حلب العصير للزوم إضافة الشيء إلى نفسه . ثم ارتأى بعدئذ أن الشاعر أراد كلتا الخمرتين الصرف والممزوجة حلب العصير .

نقل ذلك كله عن الأمالي الشهاب الخفاجي في شرح الدرة ، وكذا البغدادي في خزانة الأدب ج ٢ ص ٢٤٠ .

ولسيدي الأستاذ الجليل آي الاكبار والاجلال .

محمد الطنطاوي
مدرس بكلية اللغة العربية

المرأة ووظائف النيابة والقضاء :

« الرسالة » مهبط الوحي الشعري ومنار البيان النثري فلا غرابة في أن يتسع صدرها لعرض موجز لقضية طريفة أثيرت أخيراً في إحدى المجلات وهي قضية المرأة وحقها في تولي وظائف النيابة والقضاء ... فقد سألت المجلة سعادة النائب العام فتركزت إجابته في نقط ثلاث : هي أن طبيعة العمل في النيابة طبيعة شاقة . وأن القانون لا يسمح للمرأة أن تتولى النيابة . وأن حرمان المرأة هذا الحق هو في الواقع — عند رأيه —.

هذا رأي النائب العام . وللرد عليه نقول : أفليست المرأة تحمل ليسانس الحقوق كالرجل ؟ وإذا كانت قد استوعبت قواعد التقنين وأصول التشريع ووسائل التحقيق وطرائق المرافعات كما استوعبها الرجل سواء بسواء ، فما المانع الجدي الذي يحول دون الانتفاع بها في وظائف النيابة ما دامت الأداة والوسيلة بين يديها ... ؟

وإذا احتج حضرة النائب العام بأن هناك بعض القضايا التي قد تخجل من ممارستها وتحقيقها « النائبة » فاحتجاجه هذا يدفعه أن المرأة بطبيعة الحال قد درست مثل هذه القضايا ، والدراسة مهما كانت تحمل لون التصور والتخيل للوقائع والتطبيقات العملية .

وإذا طلبت المرأة أن تتولى النيابة ففي طلبها هذا رضاء ضمني منها للقيام بسائر تبعات وظيفتها ... وعندئذ تسقط الحجة القائلة بأنهم يحرمونها لا ظلماً لها وإنما محاباة لها وإكراما ...

هذا ويعرض سعادة النائب العام بطلب زميلة فاضلة أرادت الاشتغال بالنيابة مع اشتراطها أن تعمل وكيلة للنائب العام في قضايا الأحداث ... ولست أدري ... أكان يجب أن تشكر على اختيارها هذا القائم على المنطق والدراية والقياس ... أم كان ينتظر أن تمنع وبعرض رأيها ... الحقيقة أن خير من يزن ويقدر أحوال ودوافع الجريمة عن الأحداث هي المرأة ... إنها وحدها التي تحمل التوجيه والتربية في عطفها الأموي. ثم ألم تتجه الإرادة والرغبة إلى تخصيص قضاة للأحداث، فلم لا تترك هذه الوظائف للمرأة ... وظائف قضاة الأحداث ونيابة الأحداث ...

وبعد فهذه مشكلة نعرضها على صفحات « الرسالة » الغراء راجين من كتابها القانونيين أن يسارعوا إلى دراستها ...

(إسكندرية) **عواطف بيومي**

قصص فرعونية :

٢ - قصة سينوحيت

لأديب مصرى قديم

للأستاذ محمد خليفة التونسى

[ملخص ما نشر فى العدد ٦٦٣]

أشرك ملك مصر أمنمحعت الأول قبل وفاته بعشر سنوات ابنه وولى عهده أسرتسن الأول فى حكم مصر ، وكان أسرتسن يقوم بقيادة الجيوش فى حملاته على البلاد الخارجية بينما يبقى أبوه فى العاصمة لتدبير شئون مصر .

فى إحدى حملات أسرتسن على ليبيا كان يرافقه بطل القصة سينوحيت الذى كان حافظ أختام الملك ونديمه ومستشاره والقيم على شئون الغرباء ، وبينما الجيش عائد إلى العاصمة من الغرب جاء رسول من القصر إلى أسرتسن يحمل إليه نعي أبيه سراً ، وسمع سينحوت بموت أمنمحعت فقرر الفرار من الجيش بل من مصر ، لأنه رأى أن فى بقائه فيها خطراً على حياته بعد موت أمنمحعت واستبداد أسرتسن بالأمر فيها ، فاختفى فى أحد الحقول حتى مر الجيش على مكمنه فلم يره ، ثم سار إلى سنفرو ثم الجيزة ثم عبر النيل إلى الشرق على طوف وجده هناك حتى وصل الجبل الأحمر ، ثم سار إلى الشمال مجتازاً مسلحة عند عين شمس كانت تحمى مصر من غارات الأسيويين ثم انحدر فى وادى كيمور (طوميلات) وفيه كاد يهلك ظمأ لولا أن عثر عليه رجل من الساتى (بدو آسيا) فعرفوه وأنقذوه وأضافوه عندهم أياماً ، ثم رحل عنهم إلى أدوم . . وها هو ذا سينوحيت يروى بقية القصة . . .

لم تطل إقامتى فى أدوم[١] أكثر من ستة أشهر ، وهناك وافانى من الأمير أمونشى الحاكم على مرتفعات تنو[٢] رسول يطلب منى أن أرحل إليه ، إذ كان فى حاشية هذا الأمير بعض المصريين الذين كانوا يعرفوننى ، فوصفونى عنده ، وأخبروه بمنزلتى[٣] فلبيت دعوته وأتيت ، فطلب منى الإقامة معه معللا ذلك بقرب بلاده من مصر ، وبأن من اليسير على ، وأنا فى بلاده ، أن أقف على ما يجرى فى مصر من أحداث .

وربما كان الرجل خالجه أن أمراً ما هو الذى ألجأنى إلى أن أهجر بلادى ، فشاء الوقوف عليه ، فحاول استدراجى لأكشف له عنه ، فسألنى عما دفعنى إلى المجىء ، وعما جرى فى البلاط ، وما إذا كان الملك سحتب آب رع (أمنمحمت الأول) قد رحل إلى السماء[١] .

فهمت حيلة الرجل فلم تنطل علىّ ، وقلت له مداوراً حتى لا يهتدى إلى ما كان : « إننى لم آت هنا فراراً من ذنب جنيته : فأنا لم أنطق بفاحشة ولا أصغيت إلى رأى امرىء ، ولا حوكمت أمام القضاء ، ولكنى — إذ كنت فى تمهو (ليبيا) — ترددت فى السفر ، غير أننى وجدت أنه لا يليق بشجاعتى أن أعدل عما أزمعت من الرحلة فرحلت ، لم يكن من أمرى غير ما حدثتك ، فأنا لا أدرى ما دفعنى إلى هذا الاقليم » .

قال الأمير : « إنما هى مشيئة الإله الكريم[٢] ، وإنَّ ذكره ليلقى من الروع فى قلوب الأجانب ما يلقى عام القحط فى قلب الفلاح » .

فقلت : « عفواً فلقد تسلم ابنه مقاليد الملك ، وتربع على عرشه ، وإنه لفريد بين من سبقوه فى أخلاقه وعظمته ، فهو حازم أريب فى كل مايدبر من أساليب ملكه ، وهو يسبغ عطفه على كل من يخلص له ، وهو — إلى ذلك — قائد بارع دوخ بجيوشه الأقطار الأجنبية عند ما كان أبوه حياً فى القصر[٣] ، وهو بطل صنديد فريد فى قتاله : إنه — إذا دارت المعركة —

---

(١) ، (٢) أدوم مكان زراعى فى الجنوب الشرقى من فلسطين شمالى خليج العقبة ، وبجانبه مرتفعات كان يطلق على سكان بعضها تنو ؛ وأميرهم فى ذلك الوقت هو أمونشى كما يسميه الكاتب ، وقد كانت خيرات هذا المكان وفيرة نترك للقصة تفصيلها .

(٣) يلاحظ أن معرفة جوع الساتى فى الصحراء وبعض حاشية الأمير أمونشى لبطل القصة عنوان على عظيم مكانته فى البلاط المصرى ، وعلى اهتمام الأمم الساكنة شرق مصر بأخبارها ، وكان لقربها منها واختلاط أهل البلدين معاً أثر كبير فى ذلك كما يفهم من القصة .

(١) يلاحظ أن الأمير يريد التجسس على أحوال مصر من سينوحيت الذى يفطن إلى مقصده فأخذ يراوغ فى الجواب ، ثم يصكه فى رفق وكياسة بما يملأ قلبه خوفاً من مصر وإجلالا لها بعد أن ينفى عن نفسه التهم من الذنوب ، حتى يبين للأمير الذى ظنه مجرماً مضطراً إليه ، سهل الكشف عن عورات وطنه أنه ليس مضطراً إلى الاغتراب ، وأنه ما يزال مخلصاً لوطنه غيوراً عليه .

(٢) هو الملك ، وقد كان المصريون أول من ألهوا ملوكهم وأسبغوا عليهم صفات الآلهة .

(٣) حكم أسرتسن الملك مصر فى آخر حياة أبيه أمنمحعت الأول عشر سنين كما ذكرنا فى المقدمة ، وكان أبوه يخلفه فى الحكم عند ارتحاله للحرب كما يفهم من القصة .

لَيقْتحم صفوف أعدائه الطَّغام غير هياب ولا وجل ، فيطيحُ أبواقهم ، ويهشم جماجمهم ، ويصدع صفوفهم بضرباته القوية حتى يشل قواهم ، فيكفوا عن القتال ، ويولوا الأدبار ، وهو مقتحم لايأبه بالأخطار ، ولا قبل لأشجع الشجعان بالوقوف فى وجهه ، كما أنه عداء سريع لا يستطيع أحد أن يفلت منه ، بل يتخطفه قبل أن يبلغ مأمنه ، وإذا ما استحرَّ القتل انقضَّ على أعدائه فنفضهم من حوله نفضاً ، وهجم ذات اليمين وذات الشمال ومن الخلف ومن الأمام ، وتساقطت ضرباته المنيفة الثقيلة فى كل ناحية ، والويل لمن حلت عليه إحدى ضرباته ، إنها لتُجندله وتسحقه ، إنه هو الأسد الهصور ينشب برائنه فى أعدائه بلا شفقة ، فإذا هم كالكلاب الذليلة الخاشعة قد انفضوا من حوله ، حتى إذا ما انهزموا لم يعفهم بل يطاردهم حتى يلحق بهم ، ويمزقهم شر ممزق . لقد أمدته الآلهة ببطشها وجبروتها ، وإنها دائماً لترعاه ، وتكفل له الغلبة على الأعداء الذين لا يؤمنون بها . وقد جمع إلى كل ذلك فضائلَ جمةً ؛ فهو أنيس حلو الشمائل لطيف المعشر نافذ البصيرة قدير على أن يخلب الألباب ويستميل القلوب ، وما من أحد فى شعبه إلا وهو يؤثره على نفسه ، ويفتديه بحياته . وقد تمرَّس بالحكم ومصاعبه منذ ولد ، وكان مولده بشيراً بتكاثر الذريات ، وشعبه متمسك به ، يحبه ويستريح إلى حكمه ، وهو حريص على أن يمد حدود مصر نحو الجنوب ، وإن كانت الأقاليم الشمالية لم تخضع له[1] ، وهذه قبائل الساتى[2] لم تذق ضرباته ، ولكن من يدرى فربما اجتاح يوما هذه الأقاليم ، خير لك أن تقدم له فروض الولاء حتى يعرفك ، ولا ريب أنه سيشملك بعطفه[1] » .

فقال : « ما أسعد مصر ! إن موقعها حسن وشئونها مدبرة بإحكام وسداد ، وهأنذا أعاهدك على أن أقدم إليك كل مساعدة أستطيعها ما دمت أنت بجانبى آية تقديرى لمصر التى أنت منها » .

وقد أوفى الأمير بعهده فزفَّ إلىَّ كبرى بناته ، وترك لى أن أختار ما أشاء من أرضه ليقطعنى إياه ، وكان — فيما عرض علىَّ غير ذلك — مقاطعة « له على جانب عظيم من الخصوبة ووفرة الثمرات ، اسمها « ياع » كانت حافلة بالحبوب من حنطة وشعير ، فياضة بالفواكه من عنب وتين ، زاخرة بالعسل ، ونبيذها كثير كالماء ، وكانت تمرح فيها قطعان لا حصر لها من الماشية[2] .

ولم يقنع الأمير أن غمرنى بعطاياه ، بل أقامنى — رغبة فى استبقائى إلى جانبه ، والانتفاع بى فى ولايته — أميراً على قبيلة من أضخم القبائل التى تمرح فى ولايته ، فكان رجالها يتكفلون بطعامى كل يوم ، فيقدم لى خير الأطعمة من خبز ولحوم وطيور وغزلان ، وأشهى الأشربة من لبن ونبيذ ، وكان يقدم لى الزبد مستخلصاً من اللبن ، وكثيراً ما كنت أصيد الغزلان أو تصيدها لى كلابى المكلَّبة[3] فوق ما كان يُقدَّم إلىّ من رجال القبيلة .

أقمت فى تلك القبيلة سنوات طويلات رزقت فى أثنائها عدة أولاد ، ولما بلغ أولادى أشُدَّهم جعلتهم زعماء على العشائر ، وكنت حاكما باراً كريماً أمد الطعام للجوعان ، والماء للظمآن ، وأبسط رعايتى على كل من يطلب الأمان ، وأبذل عونى لكل من أذله الزمان ، وأعاقب اللصوص وقطاع الطرقات حتى عم

(١) كانت العاصمة أولا طيبة (قرب الأقصر) فى الجنوب وكان سلطان الملك ضعيفاً على الشمال بدليل تجول قبائل الساتي الأجنبية بلا رقابة شمالى عين شمس كما ورد فى القصة ، وكانت عناية الملك متجهة إلى الغزو جنوباً ، ثم صارت العاصمة فى الشمال قرب منف لتكون وسطا ولتسهل منها مراقبة الدلتا وحمايتها .

(٢) قبائل أسيوية كانت تتجول جنذاك فى الأراضى التى تمتد من الدلتا إلى الشرق ، ولم يكن المصريون يأبهون بتجوالها لأنهم لم يكونوا مسيطرين على الدلتا كل السيطرة ، ولأنهم كانوا دولة متحدة قوية منظمة بينما هذه القبائل رحالة متفرقة ضعيفة ، ولم يكن المصريون حينذاك قد ذاقوا مرارة الاحتلال ، وكانت لهم على الحدود الشمالية الشرقية مسالح تحميها من الغارات منها مسلحة عين شمس المشار إليها فى القصة ، وقد استطاعت هذه القبائل بعدئذ فتح مصر وإخضاعها وهم المعروفون بالهكسوس .

(١) لا ينتظر من مهاجر ضاق وطنه عن إيوائه وهرب بحياته خوفاً من ملكه أن يكون أشد وطنية ولا أبلغ قولا من سينوحيت فقد جمع فى جوابه الحسن الأريب بين الترهيب والترغيب ، فنزع من قلب الأمير كل طمع فى عداوة مصر ودل على أن حالها لم تتبدل شراً بل خيراً بموت السابق وتولية اللاحق ، ورفع ملكه ، وهو الفار من وطنه خوفاً منه ، إلى أعلى منزلة ، وملأ قلب الأمير اطمئنانا إلى خلائق الملك وطيب شمائله وميلا إلى حبه والوفاء له من طريق غير مباشر فهو يتحدث بما يتحدث كأنه يصف أمرا لا يعنيه سوى إحقاق الحق فيه ، وهو يترك للإيحاء أن يفعل فعله للوصول إلى ما يطمع فيه .

(٢) لا تزال هذه البلاد حتى اليوم على ما وصفتها القصة

(٣) المدربة على الصيد .

الأمن والرخاء إقليمى ، وكنت أواسى بمالى من انتهب ماله ، وكان قصرى ملجأ لذوى الحاجة ، وماضنت بمساعدتى على أحد ممن لاذ بى .

وكان الأمير قد أسند قيادة جيشه إلىَّ ، فكنت فى غزواتى عند حسن رأيه فىَّ ؛ وأظهرت من البسالة والحنكة ماظننى أهله ؛ فماغزوت قوما إلا انتصرت عليهم ، وظفرت منهم بمغانم كثيرة وماعدت من حرب إلا وأنا أسوق معى أسراهم وماشيتهم ، وكنت لا أنفك أدبر مكايد الحروب ، وألتى فى المعارك بنفسى ضاربا بحسامى أو راميا بنبالى[1] ، وكانت جوع الساتى تهجم على بلاد الأمير فتعيث فيها فسادا ، فاستطعت أن أوقف غزواتهم وأنقذ البلاد من شرورهم ، وأردهم إلى مواطنهم فى القفار .

ولمانمت أخبارى إلى الأمير عظمت مكانتى عنده ، وتمكنت محبتى فى قلبه .

وكان هناك فى أرض تنو بطل صنديد شديد البأس لانظير[2] له فى قوته وشجاعته ونزاله ، وربما كان قد امتدت عيناه إلى ما أنا فيه من نعم وفيرة وخير سابغ ، فطمع فى أن يقتلنى ليستحوذ على ثروتى .

جاء هذا الرجل يوما يتحدانى ويطلب مبارزتى ، فلم أدر ما دفعه إلى معاداتى ، ولما استشارنى الأمير فى أمره أجبته : « لست أعرف الرجل ، ولا أرانى نداً له فى بطشه ، ولا كفؤا له فى قتاله ، ولا أذكر أننى انتهكت له حرمة ، ولا هجمت دارا ولا عثت فى أرض . فماذا يدعوه إلى مبارزتى ! لست أظنه إلا حسودا .

ليعلمن هذا الزنيم أننى لست كالعجل بين البقر يتربص[3] هجوم الثور عليه ليفتك به ، فإن الثور المرير[4] ولوع بالنطاح ، وليس على الثور الحرع إلا الفرار . سأتدبر أمرى معه ولو أنه بدوى مدرب على القتال ، ولنتركه وشأنه حتى يظهر أنه شجاع مقدام ولوع بالنزال وأنه يعنى ما يتوعد به » .

شاع خبر المبارزة فى البلد وما جاوره ، وبات أهل تنو ليلتهم تلك ومالهم من حديث تلوكه ألسنتهم إلا حديث المبارزة بينى وبين البدوى فى الصباح . ونمت أنا تلك الليلة حتى إذا ما تنفس الصبح نهضت من نومى لآخذ للمبارزة عتادها ، فأعددت قوسى ووضعت نبالى فى كنانتى[1] ، وما طلعت الشمس حتى كانت الجموع ممن نمى إليهم خبر المبارزة فى الجهات المجاورة قد تجمهرت لشهود المبارزة ، وكان القوم يبكون ، والنساء يولولن خوفا على من خصمى الجبار الذى جاء ليبارزنى وقد لبس درعه ولأمته ، وحمل فأسه ، وتأبط كنانته الحافلة بالنبال ، وكان المتجمهرون فى حزنهم يودون لو أن مبارزا غيرى افتدانى وتقدم عنى لمبارزته .

وحل موعد المبارزة فخرجنا ، ودعوته إلى أن يبدأ الرمى ففوق نباله إلى ، بيد أنى حدت عن طريقها فطاشت نبلة فنبلة ، وحلت نوبتى فتفترت له ثم سددت إليه قوسى ، وما هو إلا أن أطلقت نبلتى الأولى حتى أصمته فى نحره ومرقت من عنقه فخر مجدلا يتلوى ويصرخ من شدة أوجاعه ، فاستللت فأسه التى أعدها لذبحى ، وأجهزت بها عليه ، ثم وقفت فوقه وهتفت بأعلى صوتى هتاف الانتصار

عندئذ صاح المتجمهرون صيحات الفرح والغبطة ، حتى لقد بلغ الأمر بمن كانوا معه أن عداهم هذا الشعور الفياض فشاركوهم فى ابتهاجهم وحمدوا إلههم منث إله الحرب وأثنوا عليه ، كما ركعت له وصليت إذ مكننى من عدوى . وعندئذ أقبل على الأمير فاحتضننى وعانقنى عناقا حارا دل على محبته وإخلاصه لى ، وابتهاجه بفوزى على غريمى .

وقد انتقمت من خصمى ما وسعنى الانتقام ، فصنعت به مثل ما أجمع رأيه على أن يصنع بى ، فما كدت أفرغ من القضاء عليه حتى ذهبت إلى فسطاطه فحطمته بعد أن استحوذت على كل ما فيه من متاع ، كما ضممت إلى ثروتى كل ما كان له من أنعام .

ونبهتنى هذه الواقعة إلى حقيقة حالى ، وأحسست بآلام وحدتى فى غربتى ، وفرط شوقى إلى وطنى ، فعملت على تقوية مكانتى بالاستزادة من الأموال والأنعام لتكون عونا لى عند البلاء ، كما بعثت إلى مولاى الملك هذه الرسالة : « لقد جعلت الإله معتمدى ، فانظر — يا مولاى — ما وهبنى من خير جزاء اعتمادى عليه . لقد غادرت وطنى مهاجرا خاملا ، فصرت ذا ولاية وسلطان ، ونبه صيتى . وهأنذا — بعد أن كدت أهلك من المخمصة — صرت أمد الناس بالطعام ، وبعد أن كنت عريان أصبحت أختال فى أنفس حلل الكتان ، وبعد أن كنت وحيدا طريدا أصبحت ذا أسرة كثيرة الأبناء ، وفى خدمتى كثير من الحشم ، ولى قصر باذخ فخم ، وأراض خصيبة شاسعة .

(البقية فى العدد الآتى)

محمد خليفة التونسى

(٢) النبال السهام .
(٢) النظير المثيل .
(٣) يتربص ينتظر .
(٤) المرير القوى .

(١) الكنانة وعاء من جلد للسهام .

محكمة الجيزة الوطنية الجزئية

إعلان بيع عقار

نشرة ثانية عشر فى القضية رقم ٢٣٠٥ سنة ١٩٣٥

إنه فى يوم الثلاثاء ٢٣ أبريل سنة ١٩٤٦ من الساعة الثامنة أفرنكى صباحا بسراى المحكمة بالجيزة سيباع بالمزاد العلنى العقار الآتى بيانه بعد ملك ورثة المرحوم موسى عضيم وهم فاطمة محمد صيام زوجته عن نفسها ووصية على أولادها القصر عبد الفتاح وموسى الشهير بممدوح وجوهرة أولاد موسى عضيم

(٢) عباس موسى عضيم

(٣) شفيقة موسى عضيم

المقيمين جميعاً بجزيرة أمبابة مركز إمبابة جيزة

وهذا البيع بناء على طلب وزارة الأوقاف بصفتها ناظرة على وقف جامع السلمة وسنان باشا ومحلها المختار قسم قضاياها بباب اللوق بمصر ووفاء لمبلغ ١٤٣ جنية و ١٢٢ مليم وما يستجد من المصاريف وبناء على حكم نزع الملكية الصادر من هذه المحكمة بتاريخ ١٧ ـ ١١ ـ ١٩٣٥ ومسجل بمحكمة مصر الأهلية فى ٢٠ منه بنمرة ١٨٨٤ وبناء على الحكم الصادر من هذه المحكمة بتاريخ ٣ يولية ١٩٤١ القاضى بقصر البيع على المقادير الآتية .

بيان العقار

(١) نصف المنزل البالغ مسطحه ١٠٦ متر مربع و ٣٠ س بحوض النخل والعبادية رقم ٨ بحارة العمدة بناحية تاج الدول وكفر الشيخ إسماعيل مركز إمبابة مديرية الجيزة البحرى منزل موسى عضيم والشرقى حارة العمدة والقبلى الحاج حسين دكرورى والغربى حارة أبو رية وسيكون الثمن الأساسى لهذا المقدار ٤ جنيه و ٩٥٠ مليم بعد تخفيض الخمس .

(٢) ٧٦ متر و ٧٥ س من المنزل البالغ مسطحه ١٧١ متر مربع و ٧٥ س بحوض داير الناحية رقم ٢١ بشارع غربى البلد رقم ٢١٩ بواقع ناحيه الجيزة والدقى مركز الجيزة البحرى بعضه منزل محمد حفناوى وعلى عوض وبعضه شارع غربى البلد وبه الواجهة والباب والشرقى بعضه منزل مريم شحاته على والقبلى بهية جاد وبعضه منزل إبراهيم عبد السميع وبعضه طلبة خليل النجار وبعضه منزل عبد النبى سالم وفتحية منزل حلمية مصطفى الأبحر والغربى منزل مصطفى أبو غنيم وسيكون الثمن الأساسى فى هذا العقار ٤ جنيه و ٤٨٠ مليم .

فعلى راغب الشراء الحضور فى الزمان والمكان الموضحين به اليه للمزايدة وشروط البيع وباقى الأوراق مودعة بقلم الكتاب لمن يريد الاطلاع عليها .

كاتب البيوع

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

يوم الاثنين ٨ ابريل

معرض عام

لأحدث أزياء

فصل الصّيف

عند

شيكوريل

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)


العدد ٦٦٦ — الاثنين ٨ أبريل ١٩٤٦ — السنة الرابعة عشرة



الفهرس

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون



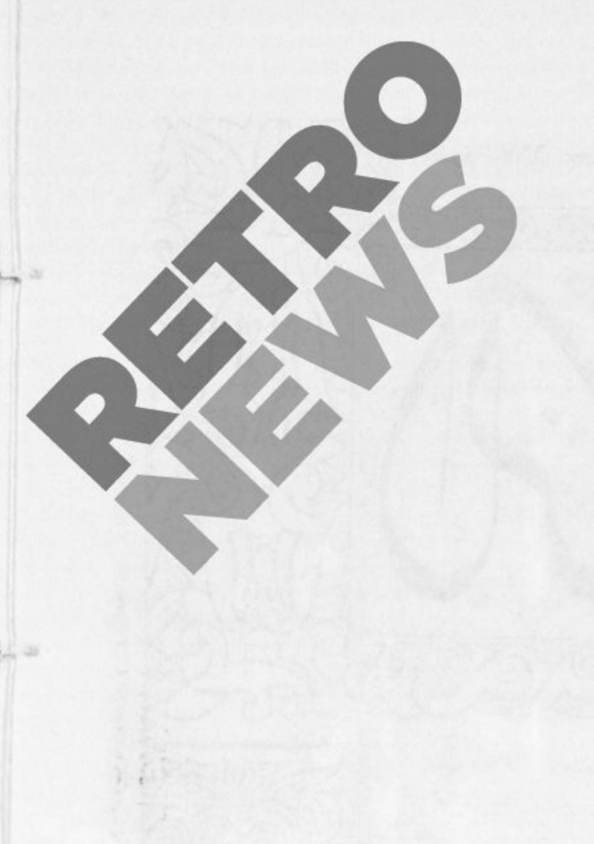
العدد ٦٦٧ — الاثنين ١٥ أبريل ١٩٤٦ — السنة الرابعة عشرة

الرسالة والرواية

الفهرس

صفحة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون


RETRO
NEWS

14 me Année No. 667
Lundi—15—4—1946

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٦٦٧ « القاهرة فى يوم الإثنين ١٣ جمادى الأولى سنة ١٣٦٥ — ١٥ أبريل سنة ١٩٤٦ » السنة الرابعة عشرة

مستقبل الجامعة الأزهرية

للأستاذ عباس محمود العقاد

الجامعة الأزهرية معهد يراد به البقاء ، ما فى ذلك ريب عند أحد من المصريين ، لأنها مرجع العلوم الدينية والثقافة العربية ، وهى عدا هذا أقدم جامعة فى العالم بأسره ، فالأمة التى تملكها قمينة أن تحافظ عليها وتستديم بقاءها وازدهارها . ومن أول أسباب الاستدامة أن يتجدد التوفيق بينها وبين مطالب الزمن بغير انقطاع ، وأن تكون مطلوبة لما حضر ولما سيأتى ، ولا يقتصر طلبها على ما مضى وكفى .

ومع هذه الرغبة الوثيقة ، لا نرى فى الأمر مشكلة تعترض الراغبين فى دوامها ودوام ازدهارها إلا من ناحيتين لا يصعب تذليل العوائق فيهما : أولاهما الثنائية فى نظم التعليم بمدارس الأمة الواحدة ، والثانية أن تكون نتيجة التعليم فى الجامعة الأزهرية تخريج « طائفة معاشية » يربط بعضها ببعض تحصيل المعاش أو حاجتها هى إلى المعاش ، وإنما الواجب أن يكون بقاؤها منوطا بحاجة الأمة إليها لا بحاجتها هى إلى الأمة ، ولا سيما حاجتها من الوجهة المعاشية دون غيرها .

وقد أحسنتم التوصيف والتعليل حين أشرتم فى عدد الرسالة الماضى إلى « بدء الوحدة الثقافية بين أبناء الأمة » .

فإننا لا نعرف فى البلاد الإسلامية داعيا إلى انفصال طائفة من الطوائف بمنهج من مناهج العلم أو مسلك من مسالك المعيشة ، لأن رجال الدين من المسلمين لا يعتزلون الحياة ولا ينفصلون عنها ولا يلوذون بالصوامع ولا يترهبون ، ويستطيع الرجل منهم أن يسلك فى معاشه مسلك المهندس والطبيب والصانع والفيلسوف ، وكل ذى عمل من الأعمال الدنيوية التى يزاولها سائر الناس . فإذا استعد للدراسة كما يستعد المهندسون والأطباء والصناع والفلاسفة ؛ فليس فى ذلك ما يخل بوظيفته المقبلة أو ينقص من عدته التى يستعد بها لغده . بل هى عزلة التعليم التى تضيره وتقطع ما بينه وبين أبناء العصر من صلات المعيشة وأسباب التفاهم وتبادل الشعور ، فلا تزال الفجوة بينه وبين عصره بابا للاختلاف والاشكال .

فمن الواجب قبل كل شىء أن نبطل الثنائية فى نظم التعليم بالمدارس الابتدائية والثانوية ، وأن يتدرب الأزهرى للتخصص فى علومه العالية كما يتدرب كل مصرى للتخصص فى جميع العلوم العالية ما دام فى دور التأهب والتحضير . فيتعلم الأزهرى اللغة الأجنبية ويتعلم المبادىء الضرورية من معارف العصر الحديث ، ويبدأ فى التعلم وفى إمكانه بعد أن يتبين حقيقة ملكاته وميول عقله ونفسه أن يصبح من الأطباء أو علماء الفلك والرياضة كما يصبح من فقهاء الدين أو فقهاء اللغة العربية .

وقد أردتم فى مقالكم القيم بالعدد الماضى من الرسالة « أن

يقتصر فى التعليم الجامعى فى الأزهر على كليتين اثنتين : كلية الدين وتندمج فيها كلية الشريعة وكلية أصول الدين . وكلية اللغة وتندمج فيها كلية اللغة العربية ودار العلوم ، وقسم اللغة العربية من كلية الآداب بجامعتى فؤاد وفاروق ، وتشترك الكليتان فى الدراسة العميقة للغتين العربية والأوربية ، وتنفرد كلية اللغة بتاريخ الآداب العربية والأجنبية ، كما تنفرد كلية الدين بتاريخ الأديان السماوية والأرضية ، وذلك بالطبع فوق ما تختص به كلتا الكليتين من علوم الدين أو من فنون اللغة ، وما يتصل بهذه أو بتلك من العلوم الحديثة ... »

وعندنا أن هذا الرأى فى إجماله مقبول لا يكثر عليه الخلاف ولا أرى من جانبى ما أخالفكم فيه قبل الدخول فى التفصيلات .

أما التفصيلات ، فهى مما يعرض لنا عند البحث فى تقسيم الكليات ، وفى مدد التعليم التى يحتاج إليها الطالب الجامعى فى كل منها .

فنحن نعتقد أن المجال يتسع فى الجامعة الأزهرية لثلاث كليات على الأقل : إحداهما للدين الإسلامى ، والثانية للدراسات الدينية والفلسفية ، والثالثة لدراسة اللغات والآداب ، ويجد الطالب فى كل واحدة منها ما يشغله سنوات قبل الوصول إلى دور التخصص والاستيعاب .

سمعت فى حياة الشيخ المراغى أنه رحمه الله كان يفكر فى تدريس « مقارنة الأديان » بالجامعة الأزهرية ، فاستكبرت الاقدام على ذلك قبل تمكين المقدمات التى يتطلبها هذا البحث الجسام ، فإن علم المقارنة بين الأديان أخطر العلوم على من يهجم عليه بغير أهبة وتمهيد ، وأنفع العلوم لمن يشارفه بعد تأهب صالح وتمهيد طويل .

وهذا العلم وحده — وما يتصل به من المسائل الإلهية — يستغرق السنوات للاحاطة به والايغال فى شعابه ودروبه ، وهو يدرس ببعض الاسهاب تارة وببعض التلخيص تارة أخرى فى الجامعات العلمية والجامعات الدينية ، ويلتق بعلوم أخرى لا محيص عن الإلمام منها بالقدر المفيد ، كعلم الإنسان وعلم الأجناس البشرية . وعلم اشتقاق اللغات ، ودلالات الكلمات التى تدل فيها على أسماء الأرباب وشعائر العبادات .

فدراسة هذه المباحث لازمة للطلاب الأزهريين وهم أحق بها من سائر الطلاب ، ولا يتأتى لهم أن يدرسوها مع التخصص لغيرها أو التوسع فى أبواب التخصص الأخرى ، وإنما يتوسمون هنا ويأخذون بأطراف من علم يحتاج إليه رجل الدين .

على أن « المقارنة بين الأديان » حظ مشترك بين المسلمين وغير المسلمين ، ويجوز أن يدرسه المسيحى والإسرائيلى والبوذى ومن لا دين له ، كما يجوز أن يدرسه الطلاب الأزهريون .

لكن الموضوع الذى تتعين دراسته فى الجامع الأزهر ، ولا يعقل أن يستوفيه طلاب جامعة من جامعات الدنيا غير الجامعة الأزهرية هو موضوع المدارس الفكرية الإسلامية التى أنشأها المتكلمون والمعتزلة وأئمة التصوف والحكمة فى المشرق والمغرب من الصدر الأول إلى أواخر الدولة الفاطمية ، فإن هذا المحصول الهائل من التفكير الإنسانى أمانة لا بد لها من حفيظ بين أمم الحضارة الإنسانية . فمن عساه يكون أولى بحفظ هذه الأمانة من معاهد الأزهر وعلمائه ؟ ومن أين لهذه المذاهب وهذه الدراسات من يفهمها ، ويصبر على تمحيصها واستخلاص زبدتها فى غير مصر والبلاد العربية ؟

إن المستشرقين لا يفهمونها ولا يؤتمنون عليها ، ولا أعرف فيما اطلعت عليه من كتبهم كتابا يدل على حسن فهم وحسن إنصاف مجتمعين ، فإن وجد من يفهم على الندرة ، فهم متهمون فى الإنصاف ، وإن وجد من ينصف فليس هو من الصابرين على التعمق والتفرغ للتحصيل . وليس من المروءة أن نكل إلى غيرنا ما نحن أحق به من واجباتنا وأعمالنا ، وليس فى غير المعاهد الأزهرية مكان لاستيفاء هذه الواجبات والأعمال .

ومن الإجحاف أن نستخف بمحصول هذه المدارس الفكرية لأنها فى الواقع تشتمل على كثير من النفيس القيم ، كما تشتمل على كثير من البخس الزهيد . ولا إخال أن مسألة من مسائل الفلسفة التى تصدى لها حكماء أوربة فى قديم العصور وحديثها لم تدخل فى نطاق هذه الدراسات على وجه من الوجوه ، وقد وصل بعض المفكرين الإسلاميين فى مسائل منها إلى مقطع القول الذى وقف عنده بعدهم خلفاؤهم فى مباحث المنطق والحكمة الإلهية من الأوربيين وغير الأوربيين . ولعل البخس الزهيد

الذى أشرنا إليه يفيد فى دلالته التاريخية أو دلالته النفسية ما يكافىء العناء فى تحصيله ويعوض الباحثين عن غثاثته وقلة غنائه، فلا يضيع فيه الوقت بغير جزاء.

هذه المادة الزاخرة وما يقترن بها من مواد المقارنة بين الأديان السماوية والأرضية أعظم من أن تضاف كما تضاف العلاوة على حمل التخصص فى الدراسات الأخرى. لأن أبواب البحث فى الدين الإسلامى وحده تستغرق السنوات بعد السنوات إذا لوحظ فيها أن تحيط بجوانب الفقه والتشريع والتاريخ والتطبيق على المذاهب الإجتماعية التى تتمخض عنها أطوار الأمم جيلا بعد جيل، ومن القصور أن يفوت العالم المسلم تحصيل المعلومات عن تلك المذاهب الاجتماعية، وهى تتطلب منه رأيا وردا وإقناعا لمن يحسبونها مغنية عن إصلاح الدين أو مناقضة لقواعد الدين فى الإصلاح. فهل يتأتى للعالم المسلم فى أربع سنوات أو ست سنوات أن يتوسع هذا التوسع فى علم دينه، ثم يتوسع فى الوقت نفسه توسعا مثله فى علوم الديانات ومذاهب المسلمين وغير المسلمين؟

والذى يصدق على كلية الدين يصدق على كلية اللغة العربية. لأن تعلم النحو والصرف والبلاغة لا يجدى بغير تعلم الأدب وفروعه؛ وتعلم الأدب وفروعه فى لغة واحدة لا يتمم ثقافة الأديب المتخصص لهذه الثقافة مع هذا الإتساع فى آفاق الكتابة وهذا التنوع فى قواعد النقد ومناهج التعبير، وهذا التعدد فى شواهد كل قاعدة من قديم اللغات وحديثها. فلا بد مع اللغة من أدب، ولا بد مع الأدب العربى من آداب أمم أجنبية، ولا بد مع هذا جميعه من مشاركة فى بحوث اللغة الإنسانية نفسها، وهى التى تسمى عندهم «بالفيلولوجية». لأنها دراسة لا بد لها من مكان تدرس فيه، ولا مكان لدرسها غير الجامعات الكبرى ولا سيما الجامعات التى تزود الطالب بكل ما يحتاج إليه فى ثقافته الأدبية واللغوية، وليست ست سنوات أو ثمانى سنوات بالوقت الكثير على هذه المطالب اللازمة التى تنفق فيها الأعمار الطوال.

***

وأيا كان الرأى فى عدد الكليات أو عدد السنوات؛ فالمهم فى الأمر أن ننتهى بالتقسيم إلى نظام واحد فى التعليم، فلا يبقى للثنائية أثر بين كليات الجامعة الأزهرية وغيرها من الجامعات، ولا يحسب الفرق بينها جميعا إلا كما يحسب الفرق الآن بين كلية الطب وكلية الزراعة أو كلية الآداب.

ويومئذ يجد العالم الأزهرى مكانه من وظائف الحكومة كما يجد الطبيب والمهندس والضابط أمكنتهم فى كل ديوان يحتاج إليهم، ومن لم تتسع لهم الدواوين فشأنهم فى ذلك شأن المتعلمين العاملين فى الحياة الخارجية، لأنها تتسع لهم وتزداد سعة كلما شاعت المعرفة وتشعبت مناحى التثقيف والإطلاع. ويحق للعالم الذى تفتقر مباحثه إلى التشجيع الحكومى، ولا تقوم على إقبال الشعب وحده أن يعتمد على المرتبات والمكافآت التى رصدت فى الأوقاف للعلماء الأزهريين من قبل النظام الحديث.

ويبدو لنا أن الجامعة الأزهرية لن تلقى فى طريقها عقبة تزعج أبناءها إذا زالت الثنائية من التعليم، وقام التعليم فيها على إخراج أناس تحتاج الأمة إليهم، ولا يكون قصاراهم من السعى أن يحتاجوا إلى الأمة فى تدبير سبل المعاش.

عباس محمود العقاد

من صميم الحياة :

الخـــادمة . . . !

هذه قصة (المشكلة) التي قلما تخلو منها دار في مصر والشام … (ع)

للأستاذ علي الطنطاوي

قال : إن لديّ قصة أحب أن أقصها عليك ، وإنك لتعلم أني لست ممن يؤلف القصص ، ولست ممن يحسن الاستعارة والتشبيه وسائر أبواب المجاز التي تعلمنا أسماءها في المدرسة ، فلا تأمل أن تسمع مني قصة أدبية معقودة من وسطها بعقدة فنية ، مردودة الأول على الآخر ، فيها الصورة النادرة ، والفكرة المبتكرة ، والأسلوب البارع ، فليس عندي من ذلك شيء ، وإنما هي واقعة أرويها كما رأيتها وسمعتها ، وإن فيها لدرساً نافعاً لمن يرى الحياة مدرسة ، فهو يدأب على الاستفادة منها والانتفاع بها ، فهل تحب أن تسمعها ؟

قلت : نعم

قال : لا أدري من أين أبدأ القصة لتجيء محكمة الوضع يرضى عنها أهل الأدب ، فدعني أبدأها من نصفها ، فما لك في أولها كبير نفع ، وإن أولها ليلخص مع ذلك في كلمة ، هي أن لي أقرباء إخوة ثلاثة شباباً أعزاباً يقيمون مع أمهم العجوز التي ربتهم وقامت عليهم منذ تركهم لها أبوهم أيتاماً صغاراً ، حتى إذا كلّت وهرمت ، وعجزت عن خدمة الدار ، ذهبوا يفتشون لها عن خادم تعينها ، ولو فتشوا عن ثلاث زوجات لهم لكان ذلك أهون عليهم وأدنى إليهم ، فلما طال التفتيش وزادت الحاجة ، وجدوا بنتاً من (التواني) فقنعوا بها ، وأنت تعلم أن (التواني) قرية منزوية في حدود (القلمون) الأدنى ، مما يلي (القطيّفة) ضائعة بين تلك الأودية القفرة والجبال ، وأن أهلها من أقذر القرويين وأجفاهم وأبعدهم عن المدنية ؛ على صحة فيهم وجمال . وكانت بنتاً — كما يقولون — ذكية ، فسرعان ما ألفتهم وألفوها ، وأقامت فيهم سنين طويلة ما أنكروا منها شيئاً ، ولم أرها أبداً على كثرة ما كنت أتردد على الدار ، حتى كان اليوم الذي جئته مبدأ قصتي هذه …

***

وكنت أزور أقربائي هؤلاء ، فدعوني إلى الشاي ، فإذا هي تدخل فتقدمه إليّ ، وإذا فتاة في نحو السادسة عشرة قد تخمرت بخمار أبيض لفّته من فوق رأسها إلى ما تحت ذقنها ، فعلَ القائمة إلى الصلاة ، فسترت به شعرها وجيدها ، وبدا منه وجهها مدوّراً أبيض مورّداً يطفح بالصحة والصبوة ، ويُشعُ منه السحرُ والدلال ، وكانت تلبس ثوباً قصيراً لا يكاد يعلو عن الركبتين ، يكشف عن ساقين بضّتين غضّتين ممتلئتين في غير سمن ، ممشوقتين في غير هزال ، مصبوبتين صبّ التمثال ، وفوق الثوب صدار من وشي رقيق كالذي تتخذه أنيقات الخادمات ، قد شدّ شدًّا ، فهو يُبرز من ورائه نهدين راسخين ، يلقيان عليه ظلاً لهما خفيفاً لا يعرف موقعه من النفس إلا من قرأ سطور النهود في صدور العذارى … وكانت تحمل الشاي بأكف كأنها خلقت بلا عظام ، وكان جسمها ينبض بالعاطفة التي تلين أقسى الرجال ، وتستخرج الصبوة من قرارات النفوس فتظهرها ، ولو قيدتْها قيود من الخلق المتين ، ولو غطّتْها ستُور من الهمّ الدفين ، ولو أنساها صاحبَها علمٌ يشتغل به ، أو مال يسعى وراءه ، ولو أن الصبوة قد ماتت ، لردّها هذا الجمال المطبوع حيّة … أما عيناها ، فدعني بالله من وصفهما ، فما أدري ما لونهما وما شكلهما ، فإن لهما سرًّا يشغلك عن التفكير في وصفهما … إنهما تروعانك فتبقى معلقاً بهما ، فإذا حاولت أن تضبط نفسك وتعود إلى ما كنت فيه ، لم تشعر إلا وأنت قد عدت إليهما … إن فيهما مغناطيس يجذب الأبصار والقلوب … !

فلما خرجت ، قلت : أهذه هي الخادم القروية التي جئتم بها من (التواني) ؟

قالوا : نعم .

قلت : فأخرجوها من هذه الدار ، فإنها أخطر من البارود !

فضحكوا وعدّوها نكتة …

***

وعدت مرة أخرى ، فإذا هي بلا خمار ، فسألتها عنه ، فقالت

— ويا ليتها لم تقل ، فما كنت أدرى أن لها مع جمالها هذا الصوت الذى يرن كأجراس الفضة فى مواكب الأحلام . . أو كرنات الميدان فى خيال متذكر ليلة غرام — قالت :

— إنى قد استثقلته فألقيته أمام الأقرباء ، وأنت منهم (مُشْ هيك) ؟

وشفعتها ببسمة من فيها ، وغمزة من مقلتيها ، وهزة من كتفيها ... فما هذه البنت ؟ ! ومن أين لها هذا كله ؟ ! وحياتك لو أنها ربيت فى مسارح (مونمارتر) فى باريز لكان هذا كثيراً منها ، فكيف تعلمته فى مزابل (التوانى) ؟ !

وعبستُ فما أحببت أن أوغل معها فى هذا الطريق ، فولّت ترقص رقصاً لا تمشى مشياً ، وشعرها الذهبى حقاً لا تشبيهاً ، المنشور على كتفيها وظهرها ، البالغ حقويها يرقص معها !

وعدت بعد ذلك ، فإذا هى قد جزّت شعرها على (المودة) ، وأمرّت يد الزينة على وجه ما يحتاج إلى زينة ، وطرحت صدارها ، ولبست ثياب فتاة غنية مدللة ، لا ثياب خادم ، فانفردت بأكبر الأخوة من أقربائى فقلت له :

— إنك أنت واخوتك من أمتن الناس خلقاً وأقومهم سيرة ، ولكن هذه البنت تفتن والله العابد ، وتستنزل الزاهد ، وتحرك الشيخ الفانى .. وإنها لتسحر بكل نظرة وكل حركة ، ويكاد جسمها يتفجر إغراء بالمعصية ، وإذا أنتم أبقيتموها فى هذه الدار فما أظن الأمر ينتهى بسلام !

واستجاب لما قلته له ، ورآه حقاً ، فأخرجها وأدخل مكانها زوجة صالحة ... !

***

قال : ودخلت البنت داراً أخرى ، دار قوم مترفين منعّمين لا يسألون عن المال أين ذهب ، وكانوا كلهم ثلاثة : أباً تاجراً جاهلا ، همه عمله فى النهار ، وسهراته فى الليل ، وأماً شغلها ثيابها وزياراتها واستقبالاتها ، وولداً شاباً فى العشرين طالباً فى الجامعة صاحب جِد ودراسة وخلق ودين ، غير أنه كان — ككل الصالحين من لداته — يطوى صدره على مثل البارود المحبوس فى القنبلة إذا طار منها مسمار الأمان ، أو صدمتها صدمة فرجّتها تمزقت ومزقت من حولها ! وكانت الصدمة لها هذه الخادمة اللعوب !

وبدأت من اليوم تولى اهتمامها صاحبنا الذى أسميه (الشاب) كراهة أن أصرح باسمه ، وتنسج حوله خيوطها ... فإذا ناداها لحاجة له — ولم يكن له بدّ من أن يناديها — قفزت قفزة الغزال وأقبلت تحفّ بها شياطين الشهوة ... فتراه منصرفاً عنها ، فتبسم له ، وتسأله عما يريده ، بصوت يقطر فتونا ، وتسلط عليه من عينيها مغناطيس مكهرباً يذيب القلوب ، ولو كانت من صفا الجلمود ، وإن أعانته فى رفع نضد ، أو تسوية كرسى ، أو ناولته شيئا ، دنت الملعونة منه حتى لامست بهذا الجسم اللدن الدافىء المكهرب ، جسمه القوىّ القَرِمَ ... إلى (اللحم) ! ... أو قرّبت وجهها الفتان من وجهه حتى يحسّ لسع أنفاسها ، ويشم رائحة جسمها ، وإنها لأفتن من كل عطور الدنيا وطيبها ، وأين العطر من ريح جسم المرأة ؟ أو تتعمد حركة تزيح ثوبها القصير لحظة عن بياض فخذيها . وكان المسكين بشرا ، اجتمعت عليه صبوة الحب فى نفسه ، وإغراء الجمال فى خادمته ... وحماقة أبويه اللذين جاءاه بها وغفلا عنه وعنها ، وصارا يتركانه معها وحيدين فى الدار طول النهار ، حتى لقد بعثاها مرة تناوله الصابون فى الحمام ... وثار فى أول الأمر عليها ، وأعرض عنها ، ثم أحسّ أن سمّها سرى فى جسده وروحه ، فاستنفر آخر قوى الفضيلة فى نفسه وألح على أبويه فى إخراجها من المنزل ، فأبيا ، وكيف يفرطان فيها وقد وجداها بعد طول البحث ، وكبير العناء ؟ وهل تدع (الستّ) زياراتها وسينماها ، وتشتغل هى : بالطبخ والكنس لمجرد أن البنت الخادمة جميلة و (دلّوعة) ويخشى منها ؟ كلام فارغ !

هكذا كان يفكر الأبوان المحترمان .. وضُربا بالعمى عن حقيقة لا تخفى على عاقل ، هى أن الرجل والمرأة حيثما التقيا وكيفما اجتمعا : معلماً وتلميذة ، وطبيبا وممرضة ، ومديرا وسكرتيرة ، وشيخاً ومريدة ، فإنهما يبقيان رجلا وامرأة ، ولذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم : « ماخلا رجل بامرأة (هكذا ، على الاطلاق) إلا كان الشيطان ثالثهما !

ومرض الشاب ، وعجز عن الاحتمال ... فكانت الخادمة هى التى تقوم على خدمته ، وتصرم الليل كله ساهرة عليه ، وتبدل ثيابه فتراه كما هو وتستبيح بالنظر واللمس كل إصبع فى جسده ، وهو لا يحسّ بها ؛ حتى إذا تماثل للشفاء ، ومرّ فى طريق النقاهة

رآها إلى جانبه ، وكان المرض قد أضعف عزمه وأوهن إرادته ، فانكسر السد وطغى الحب ... وفى ليلة كان فيها النعاس قد نال منها ، حلف عليها إلا أن تستريح وتنام ، ولم يكن فى الغرفة سرير ، فاندست معه فى سريره ... وكان هذا أكثر من أن يحتمله أعصاب رجل فى الدنيا ، فطار النعاس ، وكانت النتيجة المحتومة لهذه المقدمات ! ودخلت (الست) فى الصباح ، فرأت الخادمة بين ذراعى ابنها ! !

صحت البنت من سكرتها ، وصحا الأهلون وأرادوا إصلاح ما فسد ، وهيهات ! إن الماء قد انسفح على الرمل فمن يردّ الماء المسفوح ؟ وعود الكبريت قد احترق فمن يعيد العود المحروق ؟ وعرض البنت قد مزق فمن يرتق العرض الممزق ؟ لا أحد !

ووثبوا يفتشون كالمجانين عن طريق للخلاص ، وأقبل الشيطان مرة ثانية ، وكانت المؤامرة ، وانجلت عن ستر هذه الجناية بجناية أخرى ، هى أن ترد البنت إلى أبيها الذى يطلبها ليزوجها من ابن عمها ، وقبلت : وماذا تصنع إذا هى لم تقبل ؟

وكان الفصل الآخر من المأساة وإنى سأختصره اختصارا :

هذه البنت الحلوة المستهترة التى ذاقت طراوة الحضارة ولينها وحريتها وفسوقها وعريها ، عادت إلى القرية المنقطعة فى أودية (القلمون) الأدنى وجباله ، لتعيش حياة قروية قذرة صعبة ، ولكنها طاهرة مستورة مقيدة ، لتلبس الملاءة الزرقاء الشاملة بعد (الروب) الذى لا يستر ربع الجسد ، والسراويل البالغة الكعبين بعد (الكلسون) الذى لا يتجاوز طوله الإصبعين ، وتشتغل فى الحقل بالأكف التى كأنها خلقت بلا عظام والأظافير ذات (المانيكور) ، وتأكل بعد (الكاتو) والفرانى [١] خبز الشعير ، وتعاشر بعد شباب دمشق البقر والحمير ، وتمشى إلى الإصطبلات بدل السينمات .

دبّر الأمر على عجل ، وعقد العقد ، وسيقت العروس (الشامية ...) إلى القرية ، وحسب ابن العم كأنما رأى ليلة القدر فدعا فهبطت عليه حوراء من حور الجنان ... وكان الدخول ، وتجسم خيال المسكين فكان واقعا ، والحلم صار حقيقة ، واحتوى بين ذراعيه الخشنين ذلك الجسم الذى تتقطع عليه نفوس أبناء الأمراء حسرات و ... فإذا الثمرة مقطوفة !

قلت : ثم ماذا ؟

قال : ما ذا ؟ صار ابن العم فى السجن ، والبنت فى القبر ، وافتضح الشاب فضيحة لن ينجو من آثارها مهما عاش !

على الطنطاوى

(١) الفرانى ج فرنية هى الكاتو بعينه — راجع المعاجم مادة (فرن) .

د . هـ . لــــورنس

D. H. LAWRENCE

للأستاذ فخرى قسطندى

لعل د . هـ لورنس أجدر القصصيين المحدثين بالدراسة والبحث وأحقهم بالذكر والتنويه . فهو ظاهرة طبيعية فذة كتلك الظواهر التى تبرز إلى عالم الوجود كلما ارتقى الفكر وتقدم العصر وتعقدت الحضارة . وهو كغيره من الكتاب له نواح من الإجادة والافتتان يغبطه عليها القارىء والناقد ، وله نواح من النقص والضعف ينعيها القارىء والناقد أيضا . وتفسير ذلك هين ميسور ، ذلك أن لورنس كان فنانا مطبوعا ، ولكنه يخشى أن يتملك الفن زمام نفسه ويطغى على حواسه ، فهو يضطرب لذلك أشد الاضطراب ، ويجزع لذلك أشد الجزع ، وما دام فى نفس الفنان اضطراب وجزع ، فنى نتاجه اختلال وقصور .

ولورنس أمير من أمراء الكتابة الفنية عند الإنجليز بلا مراء ، لا يسبقه فى هذا المضمار أحد من كتاب القرن العشرين . ولا غرو فقد كان نادرة فى انتقاء الكلمة اللائقة ، وصياغة الاستعارة المبتكرة ، تتصرف أنامله الرقيقة الصناع فى اللغة فتخلقها خلقا جديداً ، وتضفى عليها ثوبا شعريا جميلا تجعلها أقرب الشبه بالشعر المنثور منها بالنثر الرقيق الأنيق .

وينفرد لورنس من بين سائر الكتاب بالجدة والطرافة والإبتكار التى تبدهك دون كبير انتباه فيما تقرأ له من وصف وقصة ومقال . وحسبه أنه كاتب الفكرة وأنه كاتب العاطفة ؛ ولكنه ليس كاتب الفكرة الصرفة أو العاطفة الخالصة . فهو يقول « أنا أفكر » ثم يستدرك سريعا ويقول « أنا أحس » . ومن ثم فإن الفكرة والعاطفة عنده تتداخلان وتتشابكان وتطغى كل منهما على حدود الأخرى . وعهدنا بالعاطفة المشبوبة أن لها شأنا كبيرا فى تلك الرنة الموسيقية الرائعة التى تشيع فى كتابات كبار الأدباء وأئمة الروائيين . فلا عجب إذن أن يكون لأسلوب لورنس وقع جميل وسحر أخاذ .

ولد لورنس من أب سكير عربيد ، يشتغل بالتعدين فى قرية بالقرب من نوتنجهام ، وقد حرم عطف الأب منذ نعومة أظفاره ، إذ كان أبوه متهالكا على الملذات غارقا فى غمرة من المفاسد والموبقات ، فلم يلق بالا إلى أسرته ولم يرع مصالحها ، غير أن حدب الأم عوضه ما قد فقده من عطف الأب . إذ كانت أمه تنفث فيه موجة إثر موجة من ذلك الحب الحبيس الذى كانت تحتجزه لزوجها أيام أن كانت تعده رجل أحلامها ومحط آمالها .

ويحدثنا لورنس فى كتابه «أبناء وعشاق Sons And Iovers» كيف أن أماً ذاقت أهوال الجحيم كى تتعهد وليدها المريض بالرعاية والعناية ، وتنقذه من التهلكة والموت .

وليس ثمة شك فى أن لورنس كان يصور جزءا من نفسه وبعضا من أمسه حين يعرض لهذا الحدث وما على شاكلته من الأحداث التى اكتنفته فى طفولته . وقد شعر لورنس بحب الأم المفرط يجيش فى كيانه ويجرى فى عروقه فيأسره ويتملكه . وقد يكون حب الأم خيرا فى عالم يمكث فيه الأطفال أطفالا ، غير أنه شر مستطير فى عالم يشبون فيه عن الطوق ويدخلون فى طور الرجولة . فكما أن المرء يفسد طفله كلما بالغ فى إعزازه وتدليله ، كذلك أفسدت تلك الأم وليدها بما أغدقت عليه من حب جامح فياض . فقد انقلب حب لورنس لأمه وجدا وهياما ، ويتجلى ذلك بوضوح فى مرثيته التى يشيد فيها بذكرها والتى مطلعها :

معشوقتى الصغيرة ! محبوبتى !

أقبلك قبلة الوداع ، يا أحب مخلوق إلى .

فهنا استحالت عاطفة البنوة إلى صبابة ووله ، ولم يعد لورنس ينظر إلى أمه كشىء أثير عنده عزيز عليه فحسب ، بل كمحبوبة خليقة بالتشبيب والتقديس . ويقول مدلتون مرى Middleton Murry فى كتابه « ابن امرأة Son of awoman » الذى ترجم فيه للورنس « أنه لم يكن فى مقدوره أن يسبغ حبه على امرأة أخرى مادامت أمه على قيد الحياة . ولقد كان لهذه التنشئة أثر ضار ، إذ أشرب كاتبنا عقيدة جديدة شاذة ناضل عنها بكل قواه ، وضحى فى سبيلها بما كان يرتجى له فى ميدان الأدب من رفعة وسمو وجاه ، فما وهنت له عزيمة ، وما فترت له همة ، وما خف له حماس حتى دهمه الموت وفارق الحياة .

ذلك أن لورنس ذهب إلى القول بأنه ما من سبيل إلى فهم

الحياة على حقيقتها ما لم نتصل بالمرأة اتصالا جنسيا ، فنقرب الشقة بيننا وبين الجنس الآخر ونفهم نياته وخفاياه ، ونطلع على أحاجيه وأسراره ونبرزها للعيان . وما كانت الحياة عند لورنس إلا رجلا وامرأة ، رجلا سبرنا أغواره واستقصينا أعماقه وأدركنا ماهيته ، وامرأة تحيطها بغلالة من الإبهام والغموض والالتواء والتعقيد ، ولا أمل لنا فى فهم الحياة ما لم تبد لنا المرأة كما هى مجردة عارية من جميع الدوافع والنوازع والمغريات والمؤثرات . وإذا كانت الحياة كذلك فلا غنى للرجل عن المرأة ، ولا غنى للمرأة عن الرجل ، فكلاهما شطر يكمل الآخر ولا ينفصل قط عنه . ومن ثم فليس ببعيد أن تثير سيرة المسيح فى لورنس الحقد والموجدة ، وتؤجج فى صدره نيران الغيظ والكراهية ، إذ كأن المسيح الشخصية الوحيدة الفريدة فى تاريخ البشرية التى تهدم نظريته من أساسها . فلم يلجأ المسيح إلى المرأة يبتغى منها أن تملأ ما فى حياته من فراغ وأن تسد ما بها من نقص . ولم يدع المسيح إلى الحياة الجنسية يؤززها ويعضدها ، بل فرق ما بين الروح والجسد بنطاق من الطهر والعفاف ، وأحدث خرقا لا سبيل إلى رتقه ما لم نرجع إلى الحياة البدائية الأولى حيث كان اتصال الجنسين حرا طليقا لا تعوقه العوائق ولا تعترضه العقبات .

والفتح الجديد الذى فتحه لورنس فى القصة هو محاولته أن يفلسف الجنسيات . ولا أدل على ذلك من أن أسلوبه بدع فى مرماه ومغزاه ، إذ هو يسمى فى غير خجل وحياء إلى التعبير عن العلاقات الجنسية بين العشاق ، وما تستتبعه من لذة ونشوة حسيتين عظيمتين ، وقد يصيب لورنس ويجيد ويوفى على الغاية ، وقد يخطىء ويخفق ويقصر دون بلوغ الغاية ، ولكنه على ذلك كله حاول أن يبتدع أسلوبا غير معهود من قبل فيما كتب الكتاب وألف المؤلفون . ومن الكتاب من يثنى على لورنس لنجاحه فى التعبير عن الجنسيات ، ومنهم من يرثى لفشله فى هذا الضرب من الكتابة دون اعتبار لأى معيار من معايير الأخلاق ، فما زالت تدوى حتى الآن تلك الصرخة : الفن للفن Art fo arts saek . والذى يعنينا هو أن لورنس كان يعمد إلى كد الذهن ، وإعنات الفكر ليتحقق ما كان ينشده من التعبير عن الجنسيات فى لغة مثيرة غنية بالصور الحسية والاستعارات غير المألوفة . فما كانت المتعة الجنسية وما يدخل فى نطاقها من لذة ونشوة غير مشاعر وأحاسيس خفية لا يسهل الافصاح عنها إلا عن طريق المجاز ، وبرغم ذلك كله فإن لورنس لم يظفر بالنجاح المنشود ولم يبلغ الغاية المرموقة .

ويبدو لنا التجديد الذى أدخله لورنس على القصة قويا رائعا أخاذا فى تقديمه لقصته « عشيق ليدى تشاترلى Lady Chatleily's Loves » بقوله « إن الصورة التى يفيض عليها الشعور وينحسر هى التى تقرر حقاً مصائر حياتنا ، وهنا تكمن الأهمية العظمى للقصة حين نتصرف فيها تصرفا صحيحاً ، فنى مقدورها أن تقود فيض شعورنا المتسق فى مواضع جديدة ، وفى مقدورها أن تقود شعورنا بعيداً فى ارتداده عن الأشياء التى انتهت إلى العدم . ومن ثم كان فى استطاعة القصة حين نتصرف فيها تصرفا صحيحاً على المواضع الخفية جداً فى حياتنا ، لأن فيض الشعور المرهف فى حاجة إلى أن ينحسر ويتدفق منظفاً ومجدداً فى الأماكن الخفية العاطفية فى حياتنا » ، والذى لا شك فيه هو أن لورنس يريد أن يصور الحياة كفيض يتعاقب عليه الجزر والمد . فالحياة إذن أفراح وأتراح ، وحب وبغض ، وآمال وآلام ، وحقائق وأوهام ، وتفاهة وخطر ، إلى غير ذلك مما يضمه كتاب الحياة الملىء بين دفتيه . أما ما يعنيه لورنس بفيض الشعور وانحساره فهو أن النفس البشرية ذات خوالج مختلفة ونوازع متنافرة . ونحن لا نرى فى الشخوص التى يعرضها علينا لورنس فى قصصه الطويلة والقصيرة إلا النفس فى حالة قبضها وبسطها ورضائها واستيائها .

وحين ينقم لورنس على المدنية الحديثة ، ويصب جام سخطه عليها يضع نصب عينيه فلسفته للجنسيات . فالمدنية الحديثة معتلة معوجة ، مختلة مضطربة ، متداعية منهارة ، لأن الإنسان الحديث أطلق العنان للعقل . وأسلم له قياده ، وتركه يهيمن على عواطفه ، ويسيطر على حياته . حتى بلغ الأمر بالعاطفة أنها صارت نتاجا تافها للعقل ، ولورنس ينحى باللائمة على الرجل المتمدين الحديث لأنه بإذعانه للعقل ، أفقر الدم الذى هو ينبوع العاطفة ، ومن ثم فقد أرسل لورنس غضبته المدوية بأن على المرء أن يحيا حياة عاطفية لا تكبلها الأديان ولا تحدها الطريق . ولورنس يذهب إلى أبعد من هذا فينادى بالاتصال الجنسى ويحث عليه ، إذ أن فيه تحقيقا

للحياة الفطرية العاطفية القديمة التي لا يشوبها تكلف وتصنع أو أوشاب وأدران .

ولورنس يحمل على المدنية الحديثة لأنها حطت من قدر الحياة القديمة ، وشوهت من قيمتها . ذلك لأن التكالب على جمع المال ، وتحصيل الثروة وطلب الجاه ، وحب السيطرة والرئاسة ؛ دفعت بالمرء فى طريق غير مأمون العاقبة ، فأخمدت شعوره بدلا من أن تذكيه ، وأسكنت عاطفته بدلا من أن تثيرها ، ومن ثم فقد صار من الصعب أن يأخذ فيض الشعور وانحساره طريقه المعهود .

هـذه النقدات الجارحات التي أرسلها لورنس عن طريق قصصه أثارت ثائرة النقاد عليه ، وأحفظتهم ضده ، فحملوا عليه حملات شعواء ونددوا بآرائه وكتبه . وكأنه أراد أن يقابل العدوان بالعدوان ، فلجأ إلى إصدار قصته الطويلة «عشيق ليدى تشارلى» التي وصف فيها وصفاً سافراً العلاقات الجنسية بين الرجل والمرأة . والواقع أن رغبته الجامحة فى أن يكتب لجمهرة القراء قصصاً تكشف بوضوح عن انحسار العاطفة وفيضها كان بليغ الأذى بعيد الضرر .

ولقـد قصر لورنس نفسه فى مستهل حياته الأدبية على وصف ذلك اللون من ألوان الحياة الذى يدور على حياة المعدنين المضطربة التعسة ، ونفوسهم الحزينة الكسيرة ، وآمالهم المحطمة الذابلة . ولقد وفق لورنس فى هـذه الناحية توفيقاً بعيداً ، وأجاد إجادة كبيرة لا تتوفر إلا فيمن خبروا مثـله صنوف الألم ومتاعب الحياة فى مهـد الصبا وميعة الشباب . فلما تألق اسمه فى سماء الأدب حين حظيت قصته الطويلة « الطاوُوس » بالرواج والذيوع ، ترك هـذا اللون من ألوان القصص إلى غيره مما لم يستكشف من قبل ، وما أتينا على ذكره حين عرضنا لفلسفته . فلما كانت قصته الطويلة « عشيق ليدى تشارلى » ، لم يجد بداً من أن يشد رحاله بعيداً عن انجلترا حيث أغضب الرأى العام ، وابتدأ تجواله فى طول الأرض وعرضها ، فزار فرنسا وإيطاليا وألمانيا ، واستقر به المطاف فى المكسيك . وهناك عاش ناعم الحال رضى البـال يحيا لفلسفته ويعيش على كتبه ، وهناك أيضاً خبر الحياة البدائية الطبيعية البعيدة عن أدران المادية والمدنية .

وصفوة القول أن لورنس كان شاعرى النزعة يحتل مكانه فى عالم الأدب بجانب أميلى برونتى ، وتوماس هاردى وغيرهما من الكتاب الذين حاولوا أن يفهموا الحياة ككل ، ولم يعرضوا لها من جانب واحد يقتلونه دراسة وبحثاً . ولئن كان لورنس قد تنكب جادة الصواب فى بعض الأحيان ، فله بعض العذر إذ عاش عيشة مضطربة قاسية أملت عليه ما أذاعه للرأى العام .

ومهما يكن من شىء فللورنس على القصة فضل كبير ، إذ أدخل عليها الجرأة فى التفكير والصراحة فى التعبير .

فخرى قسطندى

ليسانسيه الامتياز في الأدب الانجليزى

الأدب في سير أعلامه :

ملتن ...

[القيثارة الخالدة التي غنت أروع أناشيد الجمال والحرية والخيال ...]

للأستاذ محمود الخفيف

- ٨ -



آثاره في هورتون :

كان كل هذا العناء وكل هذا الكدح من أجل الشعر ، فالشعر كان في قرارة نفسه بحيث لو حاول بكل ما في وسعه ألا يكون شاعرا ما استطاع . وهو يعتقد أن الله سواه ليكون شاعرا ، ولذلك فهو يعلي قدر رسالته ويجعل لها شبه ما للرسالات الإلهية من سمو وخطر ؛ فلا يقتصر على طلب الحكمة والوقوف على ما هو بسبب من تلك الرسالة والإفادة منه ، بل يتطهر إلى جانب ذلك فينقي نفسه من كل شائبة ليكون لرسالته أهلا وليتنزل عليه نورها . ثم إنه يستغرق في حال صوفية يمدها كذلك من مكونات الشاعرية فيتقرب إلى الله ويبتهل إليه ، لأنه يؤمن أن وحي الشعر يهبط من الله ، يوضح ذلك قوله : « إن مثل هذا لن يصل إليه المرء إلا بالصلاة والقنوت لتلك الروح السرمدية ، لله الذي يؤتي الحكمة ويهب البلاغة فيغني بهما الأنفس ، ويرسل رسله بالنار المقدسة من لدن عرشه فيطهر بها روح من يشاء من عباده . ويجب أن يكون مع الصلاة قراءة مختارة في جد متصل ، يصحبها تدبر يقظ ، وتعمق للأعمال والمسائل ما هو خير منها وما يبدو كأنه خير . ولقد وصف ملتن مدة إقامته هذه في هورتون بقوله : « إنها سنوات كثيرة مليئة بالدراسة والتفكير ، قضيت كلها في البحث عن المعرفة الدينية والمدنية » .

وحق لأصحابه أن يعجبوا من صبره على المقام في الريف ، وزهده في مباهج المدنية . وعجب حتى (ديوداني) من ذلك فكتب إليه يسأله عما هو فيه ، فرد عليه ملتن قائلا : « لقد طالما تساءلت عما أنا في شغل به ، وفيم أفكر ، فاعلم أن ذلك بمعونة الله هو الخلود . وأرجو أن تغفر لي هذه الكلمة فإنما أهمس بها في أذنك . أجل ، إني أريش جناحي استعدادا لأن أطير فأحلق تحليقة » . وكان كتاب صاحبه هذا إليه ، ورده عليه في أخريات أيامه في هورتون .

وما كان يريش جناحيه إلا ليطير في سماء عالية ، ويحلق في آفاق فسيحة ، فإن موضوعا عظيما لن يبرح يهجس في خاطره ، ولن يزال حديث نفسه ومنتجع هواه ؛ فأي موضوع هو ومتى ينهض له ؟ ذلك ما لم يتبينه يومئذ على وجه التحديد ؛ ولكن المرء يستطيع أن يستخلص من مادة دراسته ومن طول انكبابه عليها أنه يتأهب لرسالة عليا يتحقق له بها الخلود . ويقول الدكتور جونسون في هذا الصدد : « مِن هذا الذي يعد به وقد جمع فيه بين الحماسة والتقوى والتعقل يمكن أن نتوقع الفردوس المفقود » .

على أنه لا يزال بينه وبين الفردوس المفقود سنوات طويلة ، فماذا جرت به يراعته في هورتون ، أو على الأصح ماذا تغنت به قيثارته ؟

نظم ملتن ثلاث قصائد ، وغنائيتين مسرحيتين إحداهما قصيرة تقرب من مائتي سطر ، والأخرى طويلة نيفت على الألف . ولئن عظمت شهرة قصيدته الكبرى « الفردوس المفقود » فيما بعد حتى بهر نورها القلوب والأبصار ، وأنسى الناس هاتيك القصائد

التى نظمها فى هورتون ، فإن جمهرة النقاد متفقون على أنه بلغ ذروة الفن فى تلك القصائد الخمس ، وعلى أنه لو لم ينظم غيرها ، لـكانت كفيلة أن تحله فى الصفوة المختارة من الشعراء الغنائيين فى العالم كله قديمه وحديثه ، إن لم تجعل له موضع الصدارة بينهم أجمعين .

وقد نشرت تلك القصائد سنة ١٦٤٥ بعد رحيله عن هورتون بست سنوات ومعها بعض أشعاره اللاتينية . وكان ما ذكره ملتن عنها أنها بمثابة امتحان لقدرته وأنها مقدمة بين يدى وعده الخسب ، ولم يفتأ بعدها يعد بعمل خالد فى دنيا الشعر دون أن يشير إلى تلك القصائد كأنه نسيها أو كأنه لا يرى فيها شيئا يحقق جانبا مما يعد به ، وتـكشف تلك القصائد الجيلة الخمس ، فضلا عما ترى الناس من مقدرته الفنية ، عن كثير من خلجات نفسه واستجابة حسه ونوازع قلبه ، ومتجه فلسفته . لذلك كانت عظيمة الخطر كسجل لحقبة من حياته ، أما تلك القصائد فهى « الليجرو » ، و « البنسروزو » و « أركاوس » و « كومس » و « ليساوس » .

أما الأولى والثانية فـكلتاهما تعيض الأخرى فى موضوعها ؛ فمعنى لليجرو فى الطليانية « الرجل الطروب » ومعنى البنسروزو « الرجل المتفـكر » . وتصف الأولى كيف يكون المرح واللهو فى أحضان الطبيعة وفى زحمة المدنية ، وتصف الثانية كيف يكون التفلسف فى الحياة والركون إلى العزلة ، والتفـكر بين الأوراق والـكتب . وأما الثالثة فهى الغنائية القصيرة . وأما الرابعة فهى الغنائية الطويلة . وأما الأخيرة فهى فى رثاء صديق

* * *

افتتح ملتن قصيدته الأولى « الليجرو » بقوله « إليك عنى أيهـا الأسى المتلـكىء » ثم راح يصف الأسى فصوره فى صورة مخيفة سوداء . وحسبك أن ينعته أنه ولد من أحلك سواد فى منتصف الليـل ، ومن الـكلب الخرافى ذى الرؤوس الثلاثة والذيل الثعبانى ، ذلك الوحش الذى يقوم على حراسة أغلاق العالم السفلى ؛ ويولد الأسى من هذين مجتمعين فهو ابنهما ... ويعود الشاعر فيقول : « اذهب أيها الأسى فابحث عن مأوى لك بين الأشباح المرعبة والصراخ والمناظر الخبيثة حيث يمد الليل الـكئيب جناحيه الحريصين على الظلام ، وحيث تغنى البومة طائر الليل هنالك تحت الظلال السود وتحت الصخور المـكتئبة المتداعية كذوائبك المهوشة . اذهب أيها الأسى ، وابق أبدا فى تلك الصحراء الخرافية القصية المظلمة التى ينتهى عندها العالم فى الغرب على حافة المحيط » .

وينتقل الشاعر بعد هذه الصورة الـكريهة إلى مناجاة الفرح فيقول :

« أقبلى أيتها الآلهة الجميـلة الطليقة التى سميت فى السماء « أفروسين »[1] ، وسماك الناس السرور الذى يشرح الصدر ؛ أنت يا من ولدتك ڤينوس[2] وحملتك وأختين لك أخريين إلى باخوس[3] ؛ أنت يا من حملت بك أورورا[4] ، وهى تلاعب زفير[5] حيث لقيها أول أيام مايو وهما يمرحان على سرر من البنفسج الأزرق والورود الجنية تفتحت لساعتها وغسلها الندى ، فجئت ابنة حسناء بضة مرحة . ثم يمضى الشاعر يعرض صور المرح الذى تجلبه معها عذراء الأساطير التى يناديها ، فهناك الشباب المتوثب الطروب ، واللعب والبسمات العذاب ، والضحك الذى يمسك جنبيه . ويعود فيهتف بتلك العذراء ، ويسألها أن تسرع إليه تخطر على أطراف أصابعها مصطحبة معها عذراء الجبل ، الحرية الحلوة ممسكة إياها بيمناها ، ويشعر المرء بالبون العظيم بين ما سرده من صور الأسى وبين ما صوره من أشكال المرح وأعاطه ، ويقابل بين الناحيتين فتزداد كل منهما انجلاء تلقاء الأخرى .. »

ثم يعمد ملتن إلى فنه الذى امتاز به فيرى فى أسطر متتابعة إلى صور كثيرة متلاحقة يرسلها واحدة تلو الأخرى ، يريد أن يقول : إنها أطياف الفرح يوحيها إلى النفوس إذا لاذت به . وكلها مما يملأ القلوب بهجة ونشوة ، « فهناك ضوء القمر فى الليل الساجى وغناء القبَّرة ينبعث من برجها العالى فى السماء ، ثم صياح الديك بعد ذلك يبدد به الظلام ، بينما يسوق أمامه فى نشاط حسانه إلى باب الحظيرة ، ثم كلاب الصيد ونفيره توقظ فى مرح الصباح الناعس ، والشمس تنحدر من الباب الشرقى متشحة بالشعل فتبدد السحب ، والحراث يصفر لحناً على مقربة من الأرض التى خططها بالأمس ، وحالبة اللبن تغنى طربة ، والرعاة يتلو كل منهم

---

(١) إحدي إلهات الجمال والرقة الثلاثة ومعني اسمها البهجة وأختاها ما « أجاليا » أو الضوء و « ناليا » أو النماء

(٢) إلهة الربيع فى الأساطير اللاتينية .

(٣) إلهة الخمر .

(٤) إلهة الفجر .

(٥) ريح الغرب المؤذنة بالربيع .

قصته إلى جانب الألفاف الخضراء ، والقطعان والمراعى والمروج الخضر، والجبال والنهيرات والأنهار الواسعة تجتنبها العين فى نظرة ، والأبراج الشاهقة بين الأشجار لا يبعـد أن تكون مقراً لذات حسن ، فهى لذلك مهوى البصر لـكل عين قريبة ! ويتراءى غير بعيد دخان ينبعث من كوخ قائم بين شجرتين عتيقتين باسقتين من أشجار البلوط ، حيث يطعم الرعاة طعامهم الشهى الريفى قدمته إليهم الراعيات ، ثم انطلق النساء منهن والصبايا إلى الحصاد يحصدن الزرع ويسوينه حزماً ؛ وثمة فرحة أخرى طليقة يبتعثها مرأى القرى القريبة يلحن للعين على مرتفع ، هنالك حيث تصلصل الأجراس المرحة تباعاً ، ويغنى المزمار الطروب فيشجى الفتيان والصبايا ، إذ يرقصون جماعات فى الظلال الرقطاء ، وقد خرج الـكبار والصغار يرتعون ويلعبون فى يوم بطالة ضاح ، ولن يزالوا فى مرحهم حتى ينطوى ضوء النهار الطويل . ثم إن لهم بعده متعة فى الصهباء تدار عليهم أكوابها إلى جانب المواقد ، ومتعاً فى حكاياتهم عن الحصاد وموسمه يقضون فيها شطراً من الليل ... »

ولن ينسى الشاعر أن يورد صور المرح فى المدينة ، وقد وفاها حقها فى القرية ، فينتقل بخياله إلى المدن ذات الأبراج وما تزدحم به من أخلاط الناس وأنماطهم ، وفيهم زمر الفرسان وذوو البأس من البارونات ، يتفق لهم فى ملابس السلم نصر عال على أسراب الغوانى ، تمطر أعينهن البراقة السحر على من يبتغون الوسيلة إلى قلوبهن ، ومن يرتقبون مايجزين به اللباقة والفروسية ، إذ تسعى كلتاهما جاهدة للظفر بعطف ملـكة الجمال . ويستطرد ملتن فى وصف متع المدينة ومباهجها ، فيسوق منها صوراً متتالية كأنها صور فلم بهيج : فثمة حفلات الأعراس وإليها يشير فى مهارة بذكر « هيمن » إله الزواج فى أساطير الإغريق بملابسه الصفراء ومصباحه الذى يلوح به ، وثمة الولائم والسوامر ومعالم الزينة تتخللها الثنائيات المسرحية بمشاهدها القديمة ، كما يتخللها مايحلم بمثله شعراء الشباب فى أمسيات الصيف على ضفاف الغدران المنعزلة ، يضاف إلى ذلك روعة التمثيل ، فإما ملاهى بن جونسون وإما ملاهى أحلى الشعراء فناً ولحناً ابن الخيال الساحر شكسبير يتغنى فيها بألحانه البرية ألحان غابات وطنه ومشاهدها(١) .

(١) يشير ملتن بذلك إلى الفرق بين فن بن جونسون الذى تثقف الأغريقية واللاتينية وفن شكسبير الذى غنى على سجيته ولم يعرف إلا قليلا من الأغريقية وأقل منه من اللاتينية .

ويعود الشاعر فى ختام قصيدته الرائعة إلى مناجاة إلهة الفرح فيسألها أن تحيطه بجو ملىء بالأغانى الشعرية الجميلة التى تدرأ عن القلب الهم الذى يأكله ، تلك الأغانى الرقيقة العذبة التى تتمثل فى الشعر القوى الرصين يجمع بين جمال السبك ومهارته ، وروعة الفن وفتنته ، فيبلغ من السحر ما يحطم به ما يقيد النفس من قيود الحياة ومشاكلها فتحرمها من نشوة الموسيقى ، ويبلغ من الجمال ما يوقظ به أرفيوس(١) نفسه ، فيرفع نفسه من غفوته الذهبية على سريره المتخذ من أزهار الجنة ، ويستمع إلى تلك الألحان التى لو كان تغنى بمثلها لاستمال إليه أذن بلوتو ...

تلك هى خلاصة قصيدته الأولى الليجرو ، وشتان بين هذه الخلاصة فى لباس النثر وفى لغة غير لغتها ، وبين الأصل فى لباس الشعر وفى بلاغة ملتن وبراعة فنه وروعة لحنه !

* * *

ويفتتح ملتن قصيدته « البنسروزو » بنقيض ما افتتح به قصيدته الأولى فيقول : « إليك عنى أيتها المسرات الخادعة ، من الحماقة وحدها ولدت بغير أب . ما أقل عونك على العقول الرزينة ، وما أقل ما تبثينه فيها من ألاعيبك ... استقرى فى بعض الرؤوس الـكليلة ، وسيطرى على تلك المخيلات المولعة بما لا يحصى عدده من الأباطيل والمظاهر البراقة ، تبلغ فى كثافتها وعددها ما يبلغ الهباء الملق فى أشعة الشمس »

ويناجى الشاعر الشجن ليأتى إليه ، وينعته بالحكمة والقدسية ، بل يغلو فيجعله أقدس مايلحق به التقديس ؛ ويصف آلهة الشجن بأنها أعظم سناً من أن تطيقها عيوننا ، وعلى ذلك فأننا نراها مجللة بالسواد ، ولـكن هذا السواد لن يشينها ، فما أشبهها بمملكة أثيوبيا الجميلة التى غالبت فى الأساطير جنيات البحر فبذتهن ملاحة وأغضبتهن بذلك وأساءت إليهن .

ولا يفتأ الشاعر يدعو هذه الآلهة إليه مصطحبة من يليق من رفقة ، ويضفى عليها صفات الحكمة والتؤدة والتعقل والوقار

(١) أرفيون . فى الأساطير الأغريقية . أهدى إليه أبولو قيثارة بلغ من مهارته فى العزف عليها أن كان يتبعه الصخر والشجر والوحوش أينما سار وقد أراد أن يستنقذ زوجته بسحر الموسيقى من بولوتواله العالم السفلى .

والدأب والجد ، وبصورها تنقل بصرها من السماء إلى الأرض متدبرة متفكرة ، أما الرفقة التى تصطحب فالسلام والهدوء والصوم والعزلة والتأمل والصمت ؛ ويجعل الشاعر من هذه المعانى شخصيات فيتحدث عنها ويصفها كأنما يتحدث عن أشخاص .

ويعرض الشاعر أنماطاً من الصور تناسب حالة التفكر التى يصف أوماسماه الشجن العاقل . وبقدر ما كان فى قصيدته السالفة من مرح وجلبة وفتون ، تنطوى قصيدته الثانية على الوجوم والهدوء والسكون . وأكثر صوره هنا فى الليل ، فهو يحب أن يمد سمعه إلى صوت الكروان ، ويحب أن يمشى فى سكون تحت القمر حتى يبلغ فى السماء أقصى ارتفاعه ؛ ويحب أن يجلس فى ضوء مصباحه فى هدأة الليل لا يسمع إلا صوت خفرائه ، فيقرأ فلسفة أفلاطون ، ويقرأ الشعر والمسرحيات والقصص الرفيع . والليل هو الوقت الذى يعشق فهو قائم كله لا يبرح مكانه حتى الصباح كما لا يبرح الرب الأكبر من النجم أفقه ، فاذا كان الصباح فليكن صباحا تكتنفه الغيوم وتتناوح فيه الرياح الهوج ، ويتساقط المطر ؛ وإذا ما قدر للشمس أن تبدد الغيوم بعد لأى فليتوار عن ضوئها فى كوخ أو فى عش منعزل بين الشجر لا تقع عليه عين ، وهناك فلينم حتى ينهض وفى أذنيه موسيقى حلوة من ألحان جن الغابة . وهو يحب أحيانا أن ينقل الخطا متأملا فى فناء كتدرائية قوطية عتيقة عالية الأقواس ، توحى إلى النفس ذكرى الدين ، ثم يستمع إلى الأرغن يتصاعد فى الجو لحنه فيذيبه اللحن من فرط انتشاء روحه ويستنزل كل ما فى السماء حتى يراه ماثلا أمام عينيه . وأخيراً فما أحب إلى نفسه أن يقضى عمره فى صومعة منعزلة حيث لا يبرح يطلب الحكمة ويستزيد من المعرفة مما هو بسبب من كل ما فى السماء وما فى الأرض ، حتى تهيىء له خبرته الطويلة حالا أشبه بحال النبوة .

وتلك هى خلاصة قصيدته الثانية ، وهى من حيث الأسلوب والبيان والفن الشعرى كسابقتها روعة بناء وبراعة تصوير وقوة أداء وسمو فن ، كما أنها مليئة كأختها بالاشارات إلى أساطير الأغريق والرومان فلا تكاد تخلو فقرة منها من إله أو آلهة .

ولا يكاد يفرغ المرء من قراءة القصيدتين حتى يتبين أنهما تصفان حياة الشاعر فى عزلته بهورتون ، فذلك الأليجرو أوالفتى الطروب هو ملتن فى إحدى حالاته ، وذلك البنسروزو أو الفتى المتفكر هو كذلك ملتن فى حالته الأخرى ، وما هاتيك الصور التى صورها فى القصيدتين إلا ما كان يقع تحت بصره من حياة الريف ومباهجه وحياة المدينة ومسراتها ، ثم ما كانت تحسه نفسه من حب العزلة وطلب الحكمة والانكباب على الدرس ، وما كان يهجس فى خاطره من تطلع إلى حالة كحالة النبوة .

أما من حيث الفن فقد بلغ ملتن فى هاتين القصيدتين ذروة الشعر الغنائى ، ولم يبلغ قبله ولا بعده من الشعراء فى لغة قومه مثل ما بلغه من السمو فيهما . ولا تزال القصيدتان حتى اليوم ينظر إليهما شعراء الغناء نظرتهم إلى قمتين شامختين تطاولان النجم ، وينطق سموهما بالتحدى والاعجاز . ولا تجد فى وصفهما أبدع مما ذكره ماكولى عنهما إذ يتعرض لبيان خصائص شعر ملتن ، فعنده أن من أبرز خصائصه قدرته على أن يؤثر فى نفس قارئه بما توحيه ألفاظه من صور وأخيلة وأفكار تتداعى من بعد ، أكثر مما يؤثر فيها بالمعنى الذى يؤديه اللفظ ، فكأنما ينتقل تأثيره إلى ذهن القارىء بهذه الصور وبهاتيك الأخيلة والأفكار كما تنتقل الكهرباء إلى هدفها خلال موصل . وكذلك من أشهر خصائصه جزالة اللفظ وإشراقه وجماله وعذوبة موسيقاه وهى جميعاً أظهر ماتكون فى قصيدتيه السالفتين . يقول ماكولى : « لن تجد هذه الخاصة أظهر فى شىء مما كتبه ملتن منها فى الاليجرو والبنسروزو ، ويستحيل على المرء أن يتصور أن تبلغ الصياغة اللغوية درجة أرفع فى الكمال مما بلغته فيهما . وتختلف هاتان القصيدتان عن غيرهما كما تختلف خلاصة العطر عن ماء الورد العادى ، أو كما يختلف ذلك القدر الغالى من العطر الذى نعبه حريصين عليه عن ذلك السائل المائع الرقيق .

وما هما فى الحقيقة بقصيدتين أكثر مما هما طوائف من التلميحات ، يستطيع كل امرىء أن يتخذ من كل واحدة منهما قصيدة لنفسه ، فكل تلميحة وصف منها كافية لبناء مقطوعة »

ولم تخل القصيدتان من هنات يتمسك بها النقاد ، ولكنها أقل من أن تشينهما أو تنزل بهما عن المستوى الفذ الذى بلغتاه . ونحب أن نرجىء الكلام عن هذه الهنات حتى نفرغ من شعره كله فى هورتون ثم ننظر فيما له وما عليه .

(يتبع) **الخفيف**

الإسلام والحكمة

للأستاذ عبد المتعال الصعيدى

لا يزال هناك فريق من الناس ينفر من الحكمة وعلومها ، ولا يعلمون ما للحكمة من شأن عظيم فى الإسلام ، وأن القرآن نوّه كثيراً بشأنها ، وذكر أن من فضل الله على بعض الأنبياء أنه أوتيها ، وجمع بينها وبين النبوة ، ومن أولئك الأنبياء الذين جمعوا بينهما ، نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وفضله فى ذلك يربو على فضل كل الأنبياء . ولا غرو فهو الذى أخرج من تلك الصحراء القاحلة ، أمة كانت ترتع فى البداوة والجهالة ، فجعلها خير أمة أخرجت للناس ، شأن العلم عندها أرفع شأن ، تحمل مصباحه بيمينها لتضىء به العالم شرقا وغربا ، وشمالا وجنوبا ، لا تبغى بذلك إلا وجه العلم ، ولا تقصد من ورائه مغنما من مغانم الدنيا ، ولا تجعله وسيلة لحكم الشعوب وإذلالها ، ولا تحتكره لمصلحتها ، ولا تكتمه عن الشعوب لئلا ينتفعوا به كما تنتفع به ، وكان العلم مشاعا فى عصرها بين كل الأمم ، وكان العلماء فى عهدها موضع التجلة على اختلاف شعوبهم وأديانهم ، وكان علمهم موضع التقدير والاحترام ، وتشد إليه الرحال فى سائر الأقطار ، وتبذل نفائس الأموال فى الحصول على كتبه من بلاد الروم ، ومن بلاد غيرهم من الأمم السابقة فى الحضارة ، فلم يكن هناك حواجز من دين أو غيره بين العلماء ، ولم يكن هناك حواجز من دين أو غيره بين العلماء والملوك ، فاجتمع العلماء إخوانا فى مجالس العلم ، لا فرق بين مسلم ونصرانى ، ويهودى ومجوسى ، وصابئ ووثنى ، وقد أزالت رابطة العلم ما بينهم من فوارق ، وغمرتهم بفيض عظيم من التسامح ، إذ كان شعار هذه الأمة التى جمعت بينهم ، أن الحكمة ضالة المؤمن يطلبها أنى وجدها ، وأن العلم غاية المسلمين يطلبونه ولو بالصين ، وأن فضل العالم على العابد كفضل النبى صلى الله عليه وسلم على أدنى رجل من المسلمين .

ولم يكن هذا كله إلا لأن القرآن الكريم رفع شأن العلم والحكمة على كل شأن ، وجعل تعليم الحكمة من الأغراض التى بعث من أجلها الأنبياء ، ليقضوا بها على الجهل والطغيان ، ويجعلوا مقام العلماء فوق كل مقام ، فتصلح الدنيا بعلمهم وحكمتهم ، ويسعد الناس بهديهم وإرشادهم .

وقد جاء تنويه القرآن الكريم بالحكمة على وجوه شتى ، فمرة ينوه بشأنها فى ذاتها ، كما جاء فى الآية — ٢٦٩ — من سورة البقرة « يؤتى الحكمة من يشاء ومن يُؤْتَ الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً وما يَذَّكَّرُ إلا أولو الألباب » .

ومرة يعقد سورة باسم حكيم من الحكماء ، وهو لقمان بن باعورا الحكيم القديم ، وقد ذكر الله فى هذه السورة ممتناً ما آتاه من الحكمة ، فقال فى الآية — ١٢ — من آياتها (ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن الله غنى حميد) .

ومرة يجعل الحكمة مما تفضل به على بعض أنبيائه ، فيذكر أنه تفضل بها على إبراهيم وآله ، فى الآية —٥٤٠ — من سورة النساء (أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما) .

ويذكر أنه تفضل بها على داود ، فى الآية — ٢٠ — من سورة ص (وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب) .

ويذكر أنه تفضل بها على عيسى ابن مريم فى آيات كثيرة ، فيقول فى الآية — ٤٨ — من سورة آل عمران (ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل) ويقول فى الآية — ١١٠ من سورة المائدة (إذ قال الله ياعيسى ابن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس فى المهد وكهلا وإذ علمتك الكتاب والحكمة) الآية .

ويذكر أنه تفضل بها على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وأنه بعثه فى أمة أمية لينقلها بتعليم الدين والحكمة ، من الأمية إلى العلم ، ومن البداوة إلى الحضارة ، فيقول فى الآية — ١٢٩— من سورة البقرة (ربنا وابعث فيهم رسولا منهم ، يتلو عليهم آياتك ، ويعلمهم الكتاب والحكمة ، ويزكيهم ، إنك أنت العزيز الحكيم) ويقول فى الآية — ١٦٤ — من سورة آل عمران

(لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم ، يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين) ، ويقول فى الآية — ٢ — من سورة الجمعة (هو الذى بعث فى الأميين رسولا ، منهم يتلو عليهم آياته ، ويزكيهم ، ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين ، وقد جاء بعد هذه الآية آية لها شأن نبينه فيما يأتى ، وهى قوله تعالى (وآخرين منهم لما يلحقوا بهم ، وهو العزيز الحكيم)

وقد اضطرب المفسرون فى بيان معنى الحكمة اضطرابا كبيراً، فذهب فريق منهم إلى أن المراد بها السنة ، وهى ما ورد عن النبى صلى الله عليه وسلم . وذهب فريق منهم إلى أن المراد بها المعرفة بالدين ، والفقه فيه ، والاتباع له . وذهب فريق منهم إلى أن المراد بها العلم بأحكام الله تعالى ، التى لا يدرك علمها إلا ببيان الرسول صلى الله عليه وسلم ، والمعرفة بها منه . وذهب فريق منهم إلى أن المراد بها الفصل بين الحق والباطل ، وذهب فريق منهم إلى أن المراد بها معرفة الأحكام والقضاء ، وذهب فريق منهم إلى أن المراد بها العقل والفهم ، وذهب فريق منهم إلى أن المراد بها كل كلمة وعظتك ، أو دعتك إلى مكرمة ، أو نهتك عن قبيح .

ولقد تهيب هؤلاء المفسرون أن يحملوا الحكمة على معناها الشائع عند العرب وغيرهم ، لأن كلمة الحكمة عند العرب ترادف كلمة الفلسفة عند اليونان ، وتُنْطَقُ عندهم (فيلا سوفيا) وفيلا معناها الإيثار، وسوفيا معناها الحكمة ، وقد اشتق العرب من ذلك كلمة الفلسفة بمعنى الحكمة ، كما اشتقوا كلمة الفيلسوف من (فيلوسوفوس) بمعنى الحكيم ، وهو فى الأصل بمعنى المؤثر للحكمة .

ثم جاء بعد هؤلاء المفسرين فريق لم يتهيب ما تهيبوه ، من حمل الحكمة على معناها الشائع عند العرب وغيرهم ، فذهب إلى أن المراد بالحكمة معرفة الأشياء بحقائقها ، وهو بعينه ما يقوله العلماء فى تعريف الفلسفة ، من أنها العلم بحقائق الأشياء بقدر الطاقة البشرية ، وعلى هذا يكون تعليم الكتاب إشارة إلى العلوم النقلية ، ويكون تعليم الحكمة إشارة إلى العلوم العقلية ، وهى العلوم التى تدخل تحت كلمة الحكمة أو الفلسفة ، وتشمل ما يشمله اسم الفلسفة النظرية والعملية .

ولا يراد من تعليم النبى صلى الله عليه وسلم ذلك لأمته إلا أن يهيئها له ، بأن يعلمها الدين الصحيح ، ويعمل على محو الأمية فيها ، بتعليمها القراءة والكتابة ، ويحبب إليها النظر فى العلوم على اختلاف أنواعها ، ويرشدها إلى الاستفادة ممن سبقها من الأمم إلى درس العلوم ، لتبنى على أساسها ، وتقوم بقسطها فى النهوض بها ، فتؤدى زكاة العقل فى رفع منار العلم ، والوصول به إلى ما لم تصل إليه الأمم قبلها ، ولا تقف به عند الحد الذى وصل إليه قبل أن تتناوله . فلا يتم ذلك إلا بالتدريج ، وهو سنة الله فى الترقى والنهوض ، وهذا هو الذى تشير إليه الآية السابقة فى سورة الجمعة (وآخرين منهم لما يلحقوا بهم ، وهو العزيز الحكيم) فقد قيل إن المراد بالآخرين الفرس ، ويؤيده ما روى عن أبى هريرة قال : كنا جلوساً عند النبى صلى الله عليه وسلم ، إذ نزلت سورة الجمعة فتلاها ، فلما بلغ (وآخرين منهم لما يلحقوا بهم) قال رجل : يا رسول الله ، من هؤلاء الذين لم يلحقوا بنا ؟ فلم يكلمه حتى سأله ثلاثا ، قال — وسلمان الفارسى فينا — فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على سلمان ، وقال : والذى نفسى بيده ، لو كان الإيمان بالثريا ، لتناوله رجال من هؤلاء .

وقيل إن المراد بهم التابعون ، وقيل هم جميع من دخل فى الإسلام بعد النبى صلى الله عليه وسلم ، إلى يوم القيامة . وقد كان أن تلك الحركة العلمية الإسلامية أخذت فى التدرج إلى أن دخل الفرس فى الإسلام ، وهم قوم لهم سابقة فى العلم والحضارة ، فوصلت بهم الحركة العلمية الإسلامية إلى ذروتها ، ودونت على عهدهم العلوم الدينية ، ونقلت علوم الحكمة إلى اللغة العربية ، فدرسها المسلمون ، وبذوا فيها من تناولها قبلهم من السابقين ، وحققوا بذلك ما وعد الله من تعليمهم الكتاب والحكمة ، وما كان الله تعالى ليخلف وعده .

وما أخطأ المسلمون حين أخذوا علوم الحكمة عمن سبقهم إليها من الأولين ، لأن الله قد حثنا على النظر فى الآية — ١٨٥— من سورة الأعراف (أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شىء وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم فبأى حديث بعده يؤمنون) فهذا حث على النظر فى جميع الموجودات

والتأمل فيما أودعه الله فيها من عجائب وأسرار ، لاستنباط العلوم والمعارف التي تدل على عظيم قدرته ، وتشهد ببديع حكمته .

فإذا وجدنا نظراً لمن كان قبلنا في جميع الموجودات ، ووجدنا لهم علوما تمنى ببحثها وكشف أسرارها ، وجب علينا أن ننظر في تلك العلوم ، وأن ننقل ما ألف فيها من كتب إلى لغتنا ، لنستعين بها فيما أمرنا الله به من النظر في الموجودات ، ولا نضيع زمناً في بحث ما سبقونا إلى بحثه فيها ، فما كان فيها موافقاً للحق قبلناه منهم، وما كان غير موافق للحق صححناه لهم، ولا يصح أن يمنعنا خطؤهم من الانتفاع بصوابهم ، كما لا يصح أن يمنعنا من النظر فيها أن يضل بعضنا به ، لنقص في فطرته أو لغير ذلك من الأسباب ، لأن هذا الضرر إنما يلحقها بالعرض لا بالذات ، ولا يصح أن يترك ما يكون نافعاً بطبعه لضرر يوجد بالعرض فيه ، وشأنها في ذلك شأن العسل ، حين أمر النبي صلى الله عليه وسلم بعض أصحابه أن يسقيه أخاه ، فزاد إسهاله به ، فلما شكا ذلك إليه قال له : صدق الله وكذب بطن أخيك . يعني صدقه تعالى في قوله في الآية — ٦٩ — من سورة النحل (يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس) .

وليست هذه العلوم وحدها هي التي عرض لبعض أصحابها ذلك الضرر ، فقد عرض مثله لكثير من العلوم ، كعلم الفقه الذي يعد من أمهات العلوم الدينية ، فكم من فقيه كان الفقه سبباً لقلة تورعه ، وخوضه في الدنيا ، مع أن صناعته تقتضي بالذات الفضيلة العملية .

ولقد حوى القرآن الكريم كثيراً من مسائل تلك العلوم ، ولا سيما مسائل الحكمة العملية ، لأن الدعوة إليها هي الأهم ، أما الحكمة النظرية فليس من شأن الأنبياء تقرير مسائلها ، وليس من شأن الكتب المنزلة شرح علومها ، وإنما يوجه الأنبياء الناس إليها توجيها ، وتشير الكتب المنزلة إلى بعض مسائلها إشارة مجملة .

وقد جاء ما يمكن أن يعد فصلا من الحكمة العملية في سورة الإسراء ، وذلك من قوله تعالى في الآية — ٢٣ — (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا ، إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما ، فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما) إلى قوله تعالى في الآية — ٣٩ — (ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة ، ولا تجعل مع الله إلها آخر ، فتلقى في جهنم ملوما مدحورا) .

ولقد حوت السنة النبوية كذلك كثيراً من مسائل الحكمة العملية ، كما حوت كثيراً من مسائل الحكمة النظرية ، كالطب وغيره ، وكان من طبه صلى الله عليه وسلم مايسمى الطب النبوي ، وقد وضع العلماء فيه كتباً أثبتوا فيها ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم ، في هذا العلم ، وقد شهد له المقوقس أمير مصر بهذه الحكمة ، وذلك حين أرسل إليه يدعوه إلى الإسلام ، فأرسل إليه هدايا فيها طبيب ، فقبل النبي صلى الله عليه وسلم هداياه ، وقال للطبيب : ارجع إلى أهلك ، نحن قوم لا نأكل حتى نجوع ، وإذا أكلنا لا نشبع . وقيل إن رسول النبي صلى الله عليه وسلم ، هو الذي قال ذلك للمقوقس ، فقال له : أنت حكيم جئت من عند حكيم .

وكان في عهد النبي صلى الله عليه وسلم حكيم يقال له الحارث ابن كلدة ، رحل إلى مدرسة جند يسابور ، فتلقى علوم الحكمة من الطب وغيره على فلاسفتها ، ثم رجع إلى بلاد العرب فاشتغل فيها بعلاج المرضى ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم ، يأمر أصحابه بالعلاج عنده .

ولما فتح عمرو بن العاص مصر وجد من فلاسفتها يوحنا النحوي فقربه عمرو من مجلسه ، وكان يصغي إليه ويستمع إلى حكمته ، ويُعْجَبُ بما يسمعه منها ، ويكثر من الثناء عليه .

وكذلك فعل الملك الصالح عمر بن عبد العزيز مع حكماء عصره وكان في ذلك كله تمهيد للنهضة العلمية الكبرى ، التي حصلت في عهد العباسيين ، فزخرت بها البلاد الإسلامية علما وحكمة ، وصار المسلمون في ذلك العهد حكماء العالم ، والفضل في ذلك للنبي الحكيم ، الذي قضى على تلك الأمية ، ومهد لمن جاء بعده طريق الحكمة .

عبد المتعال الصعيدي

فى كتاب البخلاء

« طبعة وزارة المعارف »

لأستاذ عظيم

— ٢ —

فى الجزء الاول

جاء فى صفحة ١١٢ : « واستلف منه على الإسوارى مائة درهم فجاءنى وهو حزين منكسر فقلت له : إنما يحزن من لا يجد بدا من إسلاف الصديق ، مخافة أن لا يرجع إليه ماله ، ولا يعد ذلك هبة منه ، أو رجل يخاف الشكية ، فهو إن لم يسلف كرما أسلف خوفا » قال الشارحان فى قوله : ولا يعد الخ ، الواو للحال والجملة حال من فاعل يرجع ، أى غير حاسب أن ذلك المال الذى استلفه هبة بل كأنه حق له لا يرد .

وأقول إن هذا تعقيد فى الإعراب وفى التفسير إذا أخذنا عبارة المتن كما هى ، إذ يكون المتعين فيها اعتبار جملة (ولا يعد ذلك) حالا من فاعل (يجد) أو من فاعل (اسلاف) الذى هو نفسه فاعل يجد ، وإذن فالمعنى أن الذى يحزن إنما هو الرجل الذى يضطر إلى أن يعطى الصديق سلفة غير عاد إياها هبة . أما إذا أريد جعل جملة (ولا يعد الخ) حالا من فاعل (يرجع) كما يقول الشارحان فلا بد من حذف حرف النفى (لا) قبل (يعد) ويكون المعنى : مخافة أن يمسك المستلف عن رجع السلفة عادا إياها هبة .

وفضلا عن هذه الصورة الثانية التى تقتضى حذف لا مع بقاء (يعد) مرفوعا ليستقيم تفسير الشارحين يجوز مع حذف لا أيضا أن ينصب هذا الفعل بالعطف على يرجع .

وجاء فى صفحة ١١٤ : «وكان يقول : أشتهى اللحم الذى قد تهرأ ، وأشتهى أيضا الذى فيه بعض الصلابة . وقلت له مرة : ما أشبهك بالذى قال أشتهى لحم دجاجتين » وقال الشارحان فى تفسير قوله (وقلت له مرة) أى لما قال أشتهى اللحم الخ . وكان مقتضى الظاهر أن يقول : فقلت له الخ .

وأقول إنما يصح الاعتراض لو كان الجاحظ ذكر أن ذلك البخيل (قال) أو (قال مرة) ؛ أما وقد ذكر أنه (كان يقول) فمعنى هذا أن قول البخيل تكرر مرارا ، فالجاحظ أجابه على مرة منها .

وجاء فى صفحة ١٢٠ : « ثم قال خالد هأنذا مبتلى بالمضغ ، ومحمول على تحريك اللحيين ، ومضطر إلى مناسبة البهائم ، ومحتمل ما فى ذلك من السخف والعجز . ما أبالى ! احتملته فيمن ليس لى منه بد ، ولى عنه مذهب » وقال الشارحان : وقوله فيمن ليس لى منه بد الخ ، أى فى مؤاكلة من لا فرار من مؤاكلته كأولادى وأهل بيتى . وفى النسخ التى بين أيدينا : (فيمن لى منه بد ، ولى عنه مذهب) وهو تحريف ظاهر لايلائم السياق ، ولا سيما أن بد لا يعرف استعمالها إلا مقرونة بالنفى .

وأقول إن هذه العبارة التى فى النسخ الأخرى لا يمكن أن تكون صحيحة حتى على فرض أن كلمة بد يجوز استعمالها بغير نفى ؛ وذلك لأن المعنى يكون مكررا فى عبارتين تكريرا سخيفا لا يقبله الجاحظ ولا خالد القسرى الذى يدعى الرواية عنه . والذى عندى أن الجاحظ يكون قد أراد أنه احتمل ذلك المظهر السخيف فى الأكل سواء مع أهل بيته الذين لا يستطيع التوارى منهم ولا يخشى نقدهم إياه ، أو مع أضيافه الغرباء الذين يستطيع التوارى منهم فيأمن شر نقدهم . وعلى هذا الترديد المستوفى لأوضاع الصورة المتعينة فى هذا المقام تكون جملة الجاحظ هى : (ما أبالى آحتملته فيمن ليس لى منه بد ، أو فيمن لى عنه مذهب) وذلك بهمزة الإستفهام وأم التى للتسوية . ويصح أن تكون الجملة تقريرية إثباتية منفصلة عن (ما أبالى) فتكون صحتها : (احتملته فيمن ليس لى منه بد ، وفيمن لى عنه مذهب) باضافة كلمة فيمن فى الفقرة الثانية ، ليستقيم الوضع العربى .

وجاء فى صفحة ١٣١ : « وقيل له أيضا : فكيف سخاؤه على الخبز خاصة ؟ قال : والله لو ألقى إليه من الطعام بقدر ما إذا حبس نُزْف السحاب ما تجافى عن رغيف » وقال الشارحان فى تفسير ذلك : لو ألقى الخ ، هكذا فى نسخة الشنقيطى . والطعام البر بضم الباء . أى لو أعطى من الطعام مقدارا لو جعل كومة واحدة

فارتفعت حتى وصلت إلى السحاب ، فمنعت ماءه من أن يصل إلى الأرض ، ما تجافى الخ .

وأقول : إن العبارة محرفة وإن التفسير تعسفي لوروده على أصل غير صحيح ، والأصل كما أرى هو : « بقدر ما إذا يبس نزف السحاب » ، أى لو أن الله رزقه من الأرغفة بمقدار لو يبس لنزف ماء السحاب وتشربه ، لما نزل منه عن رغيف . وهذا كناية عن البخل البالغ درجة لايتصور وقوعها العقل . ويلاحظ أن قوله ما تجافى عن رغيف يفيد أن الطعام هنا ليس هو البر بل هذا الخبز ورغفانه .

وجاء فى صفحة ١٥٧ : «وأنتم أيضاً إنما اكتريتم مستغلات غيرنا بأكثر مما اكتريتموها منا ، فسيروا فينا كسيرتكم فيهم ، وأعطونا من أنفسكم مثل ماتريدونه منا» ، وقال الشارحان: إذا رجعنا إلى نسخة ليدن وجدنا هناك اضطراباً فى الضمائر لايفهم منه معنى . لذلك وضعنا (غيرنا) بدل (غيركم) و (منا) بدل (منه) و (منا) بدل (منهم) ، وهذا ما نظنه الوضع الأصلى .

والذى أراه أن العلة فى هذا الغموض هو تصحيف وقع فى كلمة (أكريتم) فسارت (اكتريتم) . فإذا أصلحناهذه الكلمةوحدها استقامت العبارة بدون احتياج لكل التغييرات التى لجأ إليها الشارحان ؛ إذ يكون المعنى : إنكم أيها المستأجرون قد أكريتم أى أجرتم من باطنكم مستغلات مملوكة لغيركم بأجرة تزيد على الأجرة التى استأجرتم بها من أصحاب الملك ، وأنتم لا تجدون على أنفسكم حرجا من اقتضاء هذه الأجرة الزائدة من المستأجرين من باطنكم ، فسيروا فينا كسيرتكم فى هؤلاء المستأجرين من باطنكم وأعطونا من أنفسكم مثل ما تريدونه منا .

كل ما قد يعترض به على هذا التفسير أن أولئك المستأجرين من الباطن لم يذكروا فى العبارة حتى يعود عليهم الضمير فى كلتى فيهم ومنهم — ولكن وجودهم مفهوم حتما من سياق العبارة . وكأن الواضع أشار إلى هـذا باستعمال كلمة غير على لفظها المفرد وإعادة الضمير عليها فى (منه) بصيغة المفرد ، ولو كان الضميران فى فيهم ومنهم عائدين على (غير) لراعى النسق وجعلهما هاء فقط .

وجاء فى صفحة ١٦١ : « وليس كل خرق يُرْقع، ولا كل خارج يَرْجع » والأشكل (يُرْجَع) .

وجاء فى صفحة ١٦٨ : « فإن للنفس عند كل طارف نزوة ، وعند كل هاجم نزوة » . وقال الشارحان : لعلها نزة ، مصدر للوحدة من نزه إذا استعجله وألح عليه ، لأننا نستبعد على الجاحظ مثل هذا التكرار .

وأرى أن صواب الكلمة (بزوة) من بزا عليه يبزو بزوا تطاول . وبزاه وأبزاه وأبزى به : قهره وقوى عليه .

وجاء فى صفحة ١٧١ : «وأنت لم تنفق الحرائب ، وتبذل المصون ، إلا وأنت راغب فى الذكر والشكر ، وإلا لتخزن الأجر ... » وقال الشارحان : وأنت لم تنفق الخ ، فى النسخ (لو لم) ونعتقد أن لو مقحمة من النساخ كما هو ظاهر . وأنا أعتقد أن كلمة (لو) ضرورية . ويلوح لى أن السبب فى قول الشارحين إنها مقحمة من النساخ هو أنهما قرآ هذه الجملة مفصولة من جواب الشرط ، وهو قول الجاحظ فى أول الصفحة التالية : (فقد سرنا لقلة عدد خبزك الخ) .

وجاء فى صفحة ١٧٤ : « فاحسب أن البخل عليهم غالب ، وأن الضعف لهم شامل ، وأن سوء الظن يسرع إليهم خاصة ، ثم لا تداوى هذا الأمر بما لا مؤنة فيه ؟ »

وقال الشارحان : فاحسب أن الخ . أى هب البخل غالباً عليه الخ ، وقوله : (البخل) أى فكرة الحكم عليك بالبخل ويجوز أن تكون كلمة البخل محرفة عن الخجل .

وعندى أن كلمة البخل محرفة عن (التجنى) المذكورة فى السطر السابع من صفحة ١٧٣ ، وبها يستقيم المعنى لا بهذا التخليط ، وأرى أن كلمة (ثم) فى الجملة محرفة عن (فلم ؟) .

وجاء فى صفحة ١٧٧ : « قلت هذا ما لا شك فيه ، وقد علمت عندى بالصواب ، وأخذت لنفسك بالثقة ، إن وفيت بهذا القول » وأنا أظن أن (علمت) محرفة عن (عملت) وهى ومابعدها جواب الشرط الآتى فى قوله : إن وفيت بهذا القول ؛ لأنه لامحل لقوله علمت بعد قوله هذا ما لا شك فيه . وما أتى به فى الشرح سهو ظاهر

« لم يتبع »

قصـــــــة الذرة

الأستاذ فوزى الشتوى

دوى اكتشاف آل كورى فى العـــالم أجمع خواص الراديوم العجيبة الغريبة ، وخلق مجالّى حديث وبحث واسـعى النطاق ؛ فاحتضنه الأطباء لعـلاج الأمراض المستعصية مثل السرطان ، ولـكنه أوجد صداعا دائما لعلماء العلوم الطبيعية الذين يريدون تفسير ظواهره وخواصه وسر اشعاعاته وقوته البالغة .

أحسوا أن كل علومهم عن الطبيعة والمادة معلومات قليلة القيمة لا تزال فى مهـدها . فلم يعد أى عالم يستطيع الجهر بأنه يدرك شيئا عن سر المادة . فهل الذرة وحـدة صماء لا تنقسم أم هى عالم آخر غير العالم الذى أدركوه وفـكرة أخرى غير التفكير والمنطق الذى ساروا على هديه كل تلك السنين ؟

وكان المعروف فى أواخر القرن الماضى أن عناصر عالمنا تتألف من سبعين عنصرا — وقد زادت الآن إلى ٩٣ — مثل الأكسوجين والحديد والذهب وغيرها . فهل هذه العناصر هى الوحدات التى تتركب منها مواد الـكون ؟ أم أن الطبيعة تحتفظ بسر ما زال مجهولا ؟

كانت ظاهرة الإشعاع فى الواقع أمراً يستدعى كثيراً من العلم والتجربة لتفسير خفاياها . وأحس العالم بحاجته الماسة إلى تجارب عظيمة متشـعبة ليكشف نواحى الغموض التى تحيط بالأشعاع . فاندفع العلماء بكل نشاط فى هـذا السبيل تخدمهم المصادفة مرة وخدمتهم علومهم أخرى فتكللت أبحاثهم بالنجاح .

الذرة المعقدة

ولم يمض وقت طويل حتى انغمر العلماء فى أبحاث الذرة . فحتى تلك اللحظة كان العلماء يعتقدون أن الذرة أصغر الجسيمات فأثبتت أشعة إكس المجهولة ، والنشاط الأشعاعى أن الذرة بناء شديد التعقيد مؤلف من جسيمات أصغر . وكان أول رواد هـذا البحث السير تومسون أستاذ العلوم الطبيعية فى جامعة كبردج بانجلترا . ولم يقتصر عمــــله على الأبحاث والنتائج التى وصل إليها بنفسه بل درب فريقا من الشبان ليواصلوا العمل وحدهم ، ويكتـسبوا الشهرة الدولية . ومنهم السـير ارنست ردرفورد والبروفسور ولسون والبروفسور لنجفين الفرنسى .



شكل — ١ أول رواد الذرة السير توماس

بدأ تومسـون تجاربه على أشـعة إكس (المجهوله) ولـكنه احتاج أن يعود إلى تجارب كروكس وأنبوبته . وأنت تذكر أن سيالها الـكهربائى كان ينحرف بالمغناطيس كما تذكر أن كروكس أطلق على الأشعة حالة رابعة للمادة سماها حالة الأشعاع . وقد أثبت تومسون أن دقائق هذه الأشعة أصغر من الذرة وسماها Corpuscle جسيمة ولـكن العلماء أطلقوا عليها فيما بعـــد إسم Electron الـكهرب أى وحدة الـكهرباء .

والمعروف أن الايدروجين هو أخف العناصر الـكيماوية ، وأن ذرته هى أخف الذرات ؛ وقد أدت تجارب تومسون إلى حقيقة غريبة محيرة ؛ فإنه أثبت أن وزن كهربها يساوى واحدا إلى ١٨٠٠ من وزن ذرة الإيدروجين . فـكان هذا الـكشف أول فتح فى مجاهل تركيب الذرة وبنائها . فم يتألف باقى تكوينها ؟

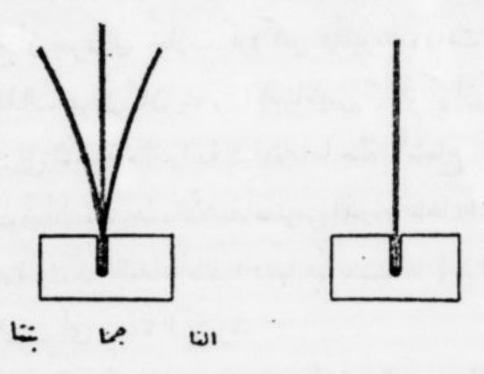
ومن الحقائق التى يسهل استنتاجها أن تلك الـكهارب سالبة الشحنة الـكهربائية لأنها منبعثة من مهبط كروكس السالب . وليس من شك أن الشحنة الـكهربائية السالبة تحتاج إلى شحنة موجبة تعادلها . فإن المواد فى حالتها الطبيعية السا كنة يجب أن تكون متعادلة الشحنات الـكهربائية ولهذا استولى الشك فترة على العلماء فى حقيقة كشفهم للـكهارب السالبة . ولـكنهم لم

ييأسوا بل استمروا فى طريقهم حتى يثبت ما يلغى نظريتهم الأولى أو تستقر بكشف باقى تكوين الذرة .

ألف باء الذرة

ولم تمض فترة حتى وفق أرنست رذرفورد أحـــد تلاميذ تومسون ومساعديه إلى تفسير معقول . فأجرى مجموعة كبيرة من التجارب البارعة لتحليل الأشعة المنبعثة من عنصر الراديوم . ومنها أثبت أنها تتألف من ثلاثة أنواع سماها على حروف الهجاء اليونانية وأولها ألفا Alpha والثانية بتّا Betta والثالثة جاما Gamma .

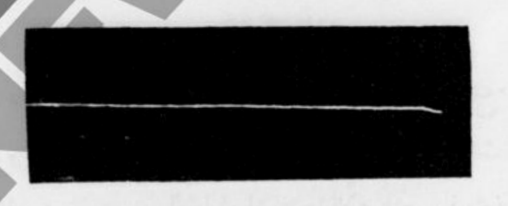
وكانت طريقة التحليل بسيطة ولـكنها كانت من أهم الأسباب فى ذيوع اسم رذرفورد وأهلته فيما بعـد لأن يحتل مركز أستاذه تومسون . وقد ذكرنا من قبل أن العلماء عرفوا ناحية واحدة من بناء الذرة وهى الـكهارب السالبة التى يتحتم أن تتعادل بكهارب موجبة فأين هى هذه الـكهارب الموجبة ؟



شكل — ٢ حلل ردز مورد شعاعات الراديوم، وترى إلى اليمين وهي مندفعة فى خطوط مستقيمة ، وإلى اليسار بعد مرورها من مجال مغناطيسى وقد أصبحت ثلاثة .

فلو أتيت بكتلة من رصاص بها جحر عميق ، ووضعت فى هذا الجحر قطعة راديوم فإن الأشعة تخرج من الجحر مستقيمة ولـكنك لو مررتها فى مجال مغناطيسى فإنها تنقسم إلى ثلاث شعب تنحرف إحداها إلى اليمين، والثانية إلى اليسار، بينما يسير الثالثة فى خط مستقيم . ومن الطبيعى فى هذه الحالة أن ندرك أن الأشعتين اللتين تنافرتا مختلفتا الشحنة . وقد سميت الموجبة منهما بأشعة ألفا بينما سميت السالبة بأشعة بتا ، أما الأشعة المتعادلة فاطلقوا عليها اسم جاما .

وثبت أن أشعتى ألفا وبتا تتألفان من جسيمات صغيرة تحمل الشحنات الـكهربائية ولـكن أشعة جاما ليست مكهربة وهى عبارة عن إشعاعات ضوئية وإن اختلفت عن أضوائنا الـكهربائية فى قصر موجتها .

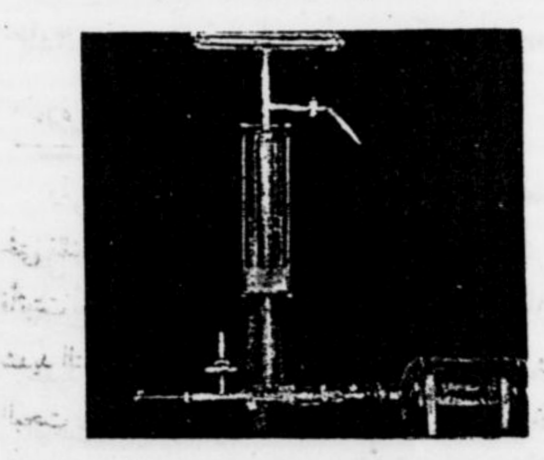


شكل — ٣ صورة أشعة منطلقة وقد انحرفت فى النهاية لاصطدامها بنواة ذرة أخرى فى الجهاز الخاص .

وأثبت رذفورد أن أشعة جاما تشبه أشعة إكس فى موجتها ولـكنها أقصر ، أما أشـعة ألفا فقد بهرته كما بهرت العالم فقد وجدها ذات شحنة كهربائية موجبة . وكانت أثقل فى الوزن من أشعة بتنا السالبة كما أن سرعتها المتدرجة الزيادة Velocities كانت أقل منها ، وقد قاس رذفورد سرعة هذه الأشعة فوجدها تنطلق بسرعة عشرين ألف ميل فى الثانية .

حجر الفلاسفة يتحقق

واستولت الدهشة على رذفورد حين حلل أشعة ألفا بالمرقب الطيفى Speltroscope فإنه وجدها تتحول إلى غاز هليوم . وبمعنى آخر إن ذرات الراديوم تفرز ذرات هليوم ، وكان الـكشف غريبا . ولـكن ماوليه كان أغرب فقد انتقل إلى التجارب على اليورانيوم فوجد أن استخلاص أشـعة ألفا وبتا منه تحولانه بالتدريج إلى مادة أخف فى وزنها الذرى ثم تصـبح راديوم فإذا والينا استخلاص الأشعتين منه تحول إلى معدن الرصاص .



شكل — ٤ فى هذا الجهاز يمكن تصوير الجسيمات وخط سيرها

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٧٠٢ — هكذا هي النفوس البشرية

قال أبو القاسم السلوى الفخار : دخل علينا شيخنا الابلى يوما وأنا أعجن طين الفخارة ، فقال لى : ما علامة قبول هذه المادة أكمل صورة ترد عليها ؟ فقلت أن تدفع عن نفسها ما هو من غير جنسها من حجر أو زبل أو غيره ، فأدركه وجد عظيم حتى إنه صاح وقام وقعد ، وبقى هُنَيَّات[1] مطرقا برأسه مفكراً ثم قال : هكذا هى النفوس البشرية .

٧٠٣ — قضيب البان الموصلي

فى (تاريخ ابن الوردى) : عزم قاضى الموصل أن يقول للسلطان فى إخراج قضيب البان من الموصل . قال : فرأيت قضيب البان مقبلا على هيئته المعروفة ، فمشى خطوة فاذا هو على هيئة كردى ... ثم مشى خطوة فاذا هو على هيئة بدوى ... ثم مشى

(١) هنيات : جمع هنية ، فى (النهاية) : أنه أقام هنية أى قليلا من الزمان ويقال هنيهة أيضاً . فى (المصباح) : مكثت هنيهة أى ساعة لطيفة .

وبهذا الكشف تحقق حلم الأقدمين فى تحويل المعادن إلى بعضها البعض ، فقد كانوا يطمعون فى تحويل المعادن الخسيسة مثل الرصاص والحديد إلى ذهب وفضة من المعادن الثمينة . وقد حقق رذرفورد حلمهم ، ولكن بالعكس ، فاكتشف أن اليورانيوم والراديوم يتحولان إلى هليوم ورصاص .

وبهذا الكشف وضع رذرفورديد العالم على المفتاح الذى أتاح للعالم اختراع القنبلة الذرية ، والذى يرجى بعده استغلال الطاقة الذرية . ومن يدرى ، فمجال التكهن واسع الآفاق لم يعد قبله من نهاية ولا مستحيل !

فوزى الشتوى

خطوة فاذا هو على هيئة فقيه ... بصورة غير الصورة المتقدمة ، وقال لى : يا قاضى ، هذه أربع صور رأيتهن ، فمن هو قضيب البان منهن[1] حتى تقول للسلطان فى إخراجه ؟ ! فلم أتمالك أن أقبلت على يديه أقبلهما .

٧٠٤ — اكتف بالبلاغة ...

كتب عبد الله بن زياد الحارثى إلى المنصور رقعة بليغة يستميحه فيها فوقع عليها : إن الغنى والبلاغة إذا اجتمعا لرجل أبطراه ، وإن أمير المؤمنين مشفق عليك فاكتف بالبلاغة ..

٧٠٥ — بأى ذنب نتفت

كان بلال بن أبى بردة لا يجيز شهادة من ينتف لحيته أو يأكل الطين . قال ابن طباطبا فى بعض من كان ينتفها :

يا من يزيل خلة الرحمن عما خُلقت
هل لك عذر عنده إذا الوحوش حشرت
فى لحية إن سئلت بأى ذنب نتفت

٧٠٦ — اسم ممدود وجمعه مقصور

فى (بغية الوعاة) للسيوطى : هذه فائدة رأيت ألا أخلى منها هذا الكتاب : رأيت فى تاريخ حلب لابن العديم بخطه قال : رأيت فى جزء من أمالى ابن خالويه : سأل سيف الدولة بحضرته ذات ليلة : هل تعرفون اسما ممدودا وجمعه مقصور ؟ فقالوا : لا ، فقال لابن خالويه : ما تقول أنت ؟ قلت : أنا أعرف اسمين ، قال : ما هما ؟ قلت : لا أقول لك إلا بألف درهم لئلا تؤخذ بلا شكر ، وهما صحراء وصحارى وعذراء وعذارى . فلما كان بعد شهر أصبت

(١) ابن الوردى : فى سنة (٥٧٠) توفى الشيخ قضيب البان الموصلي بالموصل . قال الشيخ على القريني : دخلت على قضيب البان بيبت له بالموصل فرأيته ملء البيت ، ثم عدت إليه فرأيته فى زاوية البيت على قدر العصفور فخرجت ثم عدت إليه فرأيته كحاله المعتاد ...

السبكي : من الكرامات الطور باطوار مختلفة وهذا الذى تسميه الصوفية بعالم المثال ، ويثبتون عالما متوسطا بين عالمي الأجسام والأرواح سموه عالم المثال وقالوا : هو ألطف من عالم الأجسام وأكثف من عالم الأرواح ، وبنوا عليه تجسد الأرواح وظهورها فى صور مختلفة من عالم المثال ، ومنه ما حكى عن (قضيب البان) انه اتهمه بعض من لم يره يصلى بترك الصلاة وشدد النكير عليه فتمثل له على الفور فى صور مختلفة وقال فى أى هذه الصور ما رأيتنى أصلى .

حرفين[1] آخرين ذكرهما الجرمى فى كتاب التنبيه وهما : صلفاء وصلاق[2] (وهى الأرض الغليظة) وخبراء وخباري (وهى أرض فيها ندوة).ثم بعد عشرين سنة وجدت حرفا خامسا ذكره ابن دريد فى الجمهرة وهو سبتاء[3] وسباتى (وهى الأرض الخشنة) .

٧٠٧ — ما رأيت رهنا مثله قط

تقدم رجل إلى بقال يسأله شيئا ، فامتنع ، فدنا منه فسارّه فدفعه إليه . فقيل له ما قال لك ؟ قال: رهننى طلاق امرأته (وذلك أنه حلف بالطلاق أنه يرده غدا) .

فقال بعضهم : ما رأيت رهنا مثله قط .

٧٠٨ — ولا قاض فأقضى ولا زوج فأرضى

قال أبو العباس الخضرى : كنت جالسا عند أبى بكر محمد ابن داود (الظاهرى صاحب كتاب الزهرة) فجاءته امرأة فقالت له : ما تقول فى رجل له زوجة لا هو ممسكها[4] ولا هو مطلقها ؟

فقال : اختلف فى ذلك أهل العلم، فقال قائلون : تؤمر بالصبر والاحتساب[5] ، ويبعث على التطلب والاكتساب .

وقال قائلون : يؤمر بالإنفاق ، وإلا يحمل على الطلاق .

فلم تفهم قوله وأعادت مسألته ، وقالت له : رجل له زوجة لا هو ممسكها ولا هو مطلقها .

فقال : يا هذه ، قد أجبتك عن مسألتك ، وأرشدتك إلى طلبتك ، ولست بسلطان فأمضى ، ولا قاض فأقضى ، ولا زوج فأرضى . انصرفى رحمك الله . فانصرفت المرأة ولم تفهم جوابه .

٧٠٩ — وأبناء اليهود

قال الصفدى : كان أبو البركات بن ملكا يهوديا وأسلم ، وكان كثيرا ما يلعن اليهود . قال مرة بحضور ابن التلميذ : لعن الله اليهود .

فقال : نعم وأبناء اليهود .

فوجم أبو البركات لذلك وعرف أنه عناه .

٧١٠ — طبيب . . .

فى (شذرات الذهب) : قال ابن حجر : كان علاء الدين على بن نجم الدين — رئيس الأطباء بالديار المصرية — فاضلا مفتنا ، وكان ذا حدس صائب جدا ، يحفظ عنه المصريون أشياء كثيرة ، وكان له مال قدر خمسة آلاف دينار قد أفرده للقرض ، فكان يقرض من يحتاج من غير استفضال[1] بل ابتغاء الثواب. قال المقريزى : كان يصف الدواء للموسر بأربعين ألفا ، ويصف الدواء فى ذلك الداء بعينه للمعسر بفلس .

٧١١ — فعند بسط الموالى يحفظ الأدب

قال الحسن بن وهب لرجل رآه يعبس عند الشراب: ما انصفتها، تضحك فى وجهك ، وتعبس فى وجهها !

إذا ذاقها وهى الحياة رأيته يعبِّس تعبيس المقدم للقتل

وقد أحسن الشيخ صدر الدين حيث قال :

إذا أقطب وجهى حين تبسم لى فعند بسط الموالى يحفظ الأدب

٧١٢ — السكر ، السكران

السكر ما زال معه العقل حتى لا يفرق بين السماء والأرض ، ولا بين الطول والعرض .

وقيل هو أن يجمع بين اضطراب الكلام فهما وإفهاما ، وبين اضطراب الحركة مشيا وقياما .

ويحكى أنه لما جلس أبو بكر محمد بن أبى داود الأصفهانى الظاهرى بعد أبيه يفتي استصغروه فدسوا إليه رجلا وقالوا له سله متى يكون الرجل سكران ؟ فسأله الرجل فقال : إذا عزبت عنه الهموم ، وباح بسره المكتوم . فعلم بهذا الجواب موضعه من العلم . قيل للامام أحمد بن حنبل بماذا يعلم الرجل أنه سكران ؟ فقال : إذا لم يعرف ثوبه من ثوب غيره ، ونعله من نعل غيره.

---

(١) الحرف : الكلمة .

(٢) فى القاموس : صلا فى بكسر الفاء .

(٣) السبتاء كالصحراء وقيل : أرض سبتاء لا شجر فيها .

(٤) لا ممسكها أى أنه لا يقدر على نفقتها .

(٥) احتسب بكذا أجرا عندالله: اعتده ينوى به وجه الله. والاحتساب فى الأعمال الصالحات وعند المكروهات هو البدار إلى طلب الأجر وتحصيله بالتسليم والصبر (القاموس ، اللسان) .

(١) أخذ حقه واستفضل ألفا إذ أخذه فاضلا عن حقه (الأساس) فى (البدر الطالع) : لم يكن الطبيب محمد بن صالح الجيلانى الفارسى يعالج الفقراء احتسابا كسنة بقراط فى الأوائل ، وابن زهر وصاحب الحاوى فى المتأخرين ، ويحتج بأن الموت خير للفقراء .

نجـــاة الربان

بمناسبة افتتاح مسجد (القصاصين) الذى أنشأته وزارة الأوقاف تذكارا لنجاة صاحب الجلالة الملك .

للأستاذ كامل كيلانى

فاروقُ يا نورَ اليقين … ويا منارَ العاملين
يا بسمةَ الأيامِ وال … آمالِ والفـــوزِ المبين
يا باعثَ النهضاتِ ، يا … وحىَ الهداة المصلحين
يا غرةَ الأجيالِ مُشْـ … ـرِقةً على طولِ السنين
يا جنةَ الوادى الخصيـ … ـبِ وحارسَ الوادى الأمين
يا فرحةَ الإقبالِ وال … إسعادِ للعانى الحزين
يا معقِدَ الأملِ الكريمِ ، … ومعقِلَ الفضلِ الحصين
وملاذَ موهوبينَ تحـ … ـفزهم اشأوِ الخالدين
بكريمِ صُنعِكَ مقتدين … وبنور رأيك مهتدين
هتفوا بفاروق وغنَّوا … — حين غنَّوا — صادقين
عـرفوكَ رائدَهم وأنـ … ـتَ لكلِّ توفيق ضمين
ألطافُ برِّك جمَّـةٌ … موفورةٌ للعـائذين
الجهلُ قـد حاربتَه … والفقرُ والداء الدفين
بحُسـامِ رأيٍ حاسمٍ … وقناةِ عزمٍ لا تلين
تأسـو بيمناكَ العليلَ … وتمسحُ الدمعَ الهتون
طلْقَ المحيَّا ، نافذَ اللمحات ، … وضَّـاحَ الجبين
نوراً يُشيعُ سعـادة … فى قلبِ مكلومٍ حزين
نجَّاكَ يا فـاروقُ ما … يسرتَ مِنْ خفضٍ ولين
نجَّـاكَ أمنُ اللهِ ، يا … أمنَ الضعافِ الخائفين
وحباكَ بالألطافِ اللطيفُ ، … كما حبوتَ القاصدين
كفَّاكَ أمسكتا بحبـ … ـلٍ من عنايتهِ متين
للبرِّ أنت نجوتَ وال … إحسانِ فى دنيا ودين
نجاك برُّكَ بالضعيفِ ، … وذاك أجـر المحسنين
وأتاكَ غوثُ اللهِ ، يا … غوثَ اليتامى المعوزين
وصنائعُ المعـروفِ تنـ … ـجى ربَّها فى كلِّ حين
نجت الكِنانةُ والعرو … بةُ إذْ نجا حامى العرين
اللهُ نجـاهُ فنجَّى … رُكنَ نهضتِنا الركين
إنَّ السفينَ إذا نجا … رُبَّانُها نجتِ السفين

أبدعتَ فى التعبيرِ فنًّا … رائعـــاً لِلمبدِعين
أودعتَ شُكرَ اللهِ أسْـ … ـلوبَ الملوكِ الصالحين
أسلوبَ عرفانِ الجميلِ : … جميـلِ ربِّ العالَمين
ونظمتَ فى مغناهُ بيْـ … ـتاً عامِراً بالمؤمنين
بيتاً على التقوى يؤسْـ … ـسُ آيةً للشاكرين
يدعونَ للفـاروق فيـ … ـه دعوةَ المتبتلين
فيرددُ الدعـواتِ أمْـ … ـلاكُ السماء مؤمِّنين

وهـــم ...

للأستاذ عبد الرحمن صدقى

لقد ثار بى — مُذْ أنْ طَفِئْتِ — التوهُّمُ
وقرَّ بنفسى أنَّ قتْلِى مُحَتَّمُ
وأنَّكَ قـد عُوجِلتِ قبلَ رحمةً
من القدَرِ الجارى ، ومثلُك يُرْحَم
لقد شاء أن يُعْفِيكِ من هول مصرعى
أوافيـكِ مخْوُلاً يُضَرَّجُنى الدم
وبات يقينى أنَّ قتلَ واقـعٌ
وإنى له المستنظِرُ المتـوسِّم
قضيتُ الليالى بعـد موتك مُوجِساً
كما أوجس القتلَ الشريدُ المجرَّم
أعيش وهـذا مصرعى مِلءُ خاطرى
منَ الوهم مرفوعٌ لعينى مجسَّم

٢٦٠٣١



إلى الأستاذ محمود أبو رية :

فى الصفحة ٦٠٧ — ٦٠٨ من كتاب (عمر بن الخطاب) تأليف الأخوين : على وناجى الطنطاوى ، محاولة تحقيق قضائى فى مقتل عمر رضى الله عنه ، فيه إدانة لكعب الأحبار وبيان لشركائه ، فياحبذا لو اطلعت عليه وأتممت هذه المحاولة ، وأكملت التحقيق ، ومهدت لـ (الحكم) .

(دمشق) ابن مصطفى

هما لعروة بن أذينة :

فى عدد الرسالة ٦٦٥ لاحظ فاتر الأديب ابراهيم الترزى نسبة البيتين . قالت :

تروعنى منه على الوهم ميتة
ممزقة شوهاء حمراء عندم
وتمتد أيامى فأخطب وده
وأركب متن الليل والليل أبهم
تدب بجسمى هزة الروع والرضا
إذا خلت أن الهول آت ميمم
يسكن نفسى أن تحقق حذسها
وتذكر ما أغفيت منه فتبسم
وينجاب ليلى لم يضرج بمقتلى
ألا إنه الوهم الكذوب المخيم
فكيف أعزى النفس عنك معللا
وكل تملانى حديث مرجم

عبد الرحمن صدقى

(وأبثثتها وجدى فبحت به)
قد كنت عندى تحب الستر فاستتر
ألست تبصر من حولى ؟ فقلت لها
غطى هواك وما ألقى على بصرى

لعمر بن أبى ربيعة . والبيتان لعروة بن أذينة كما قال الأستاذ الألمعى الطنطاوى فى (غزل الفقهاء) . فى الشعر والشعراء والأغانى ج ٢١ ساسى ، والأمالى للقالى ج ٢ ص ١١٠ طبع الدار وسمط اللآلى ج ١ ص ١٣٧ ، والتنبيه على أوهام القالى ص ٢٧ ، وأمالى المرتضى ج ٢ ص ٧٣ مقنع أى مقنع .

محمد الطنطاوى
مدرس بكلية اللغة العربية

ذخائر الأدب العربى فى العراق :

نوهت مجلة (الرسالة) الغراء بعددها (٦٦٣) فى حقل (البريد الأدبى) بأن اللجنة الثقافية للجامعة العربية بحثت فى جلستها الأخيرة مشروع إنشاء معهد لإحياء المخطوطات العربية الموجودة فى العالم ، وتصوير أقيمها وأفيدها ووضعها تحت تصرف العلماء والبحاثين والناشرين فى أطراف العالم ؛ لضمان الوصول إلى كنوز الفكر العربى وحفظ تراثه الموجود من الضياع والتشتت .

وقد تذكرت — لدى قراءة هذا النبأ — مئات المخطوطات العربية المكدسة فى العراق ، وبخاصة فى النجف وكربلا والحلة ، وفى بعض المكتبات الخاصة الشهيرة فى بغداد والكاظمية ، وفى مكتبات الجوامع ، وجميعها لا تزال مخطوطة لفحول علماء وأدباء العربية والتى تتناول مختلف المواضيع والأبحاث العلمية والأدبية والفلسفية ، وهذه المخطوطات لا تزال للآن ومنذ مئات السنين تعبث بها يد البلى بدون أن يقيض لها من يعيدها إلى الحياة ، ويعمم فائدتها على قراء اللغة العربية ، وذلك لعدم وجود الناشر والمطبعة أولا ، وللكسل المستولى على من يملك هذه الذخائر النفيسة ثانياً .

خيـذا لو توسطت اللجنة الثقافية فى الجامعة العربية لدى وزارة المعارف العراقية لجمع هذه المخطوطات النفيسة وإرسالها إليها لفحصها ومعرفة قيمتها الأدبيـة ، وتقدير فائدة تصويرها ونشرها ، ولا يكلف هذا العمل سوى تشكيل لجنة من بعض ذوى الاختصاص والمعرفة لجمع هذه الذخائر من أماكنها المختلفة فى العراق فتسدى بذلك خدمة جليلة لأدبنا العربى ، وتحيى فى الوقت نفسه هذه المخطوطات العربية وتنشر منها ما كان ذا فائدة وأهمية فى الوقت الحاضر .

(بغداد) مهدى القزاز

جامعة أدباء العروبة :

ألف فريق من رجال الأدب والفكر فى العالم العربى جمعية باسم « جامعة أدباء العروبة » تهدف إلى دعم الصلات الثقافية بين أبناء العروبة فى سائر أقطارها ، واستقلال الفكر العربى بخصائصه ومميزاته وتوحيد الأهداف والمثل العليا للجامعة العربية .

وقد تم تأليفها بالقاهرة على أن يكون لها فروع فى البلاد العربية .

وقد عقدت الجمعية العمومية جلستها الأولى فى مساء الأربعاء الماضى بمقر الجامعة (١٩٦ شارع محمد على) وتكونت هيئة المكتب من حضرة صاحب المعالى دسوقى أباظه باشا رئيساً ، وحضرات الأساتذة الدكتور محمد وصفى نائباً للرئيس، والدكتور إبراهيم ناجى وعادل الغضبان والدكتور فخر الدين السبكى ومحمد مصطفى حمام وكلاء ، وطه عبد الباقى سرور سكرتيراً عاما ، وجميلة العلايلى أمينة للصندوق ، وعباس حسان خضر ، وعلى توفيق حجاج وعبد الله شمس الدين ويس شاكر المهندس مراقبين . وتألفت الهيئة الاستشارية من الأساتذة الدكتور إسماعيل حسين وحسين منير وعبد العزيز الاسلامبولى وأحمد عبد المجيد الغزالى .

طه عبد الباقى سرور
السكرتير العام

تاريخ بناء جامع نور الدين فى الموصل :

اطلعت على ما كتبه الأستاذ الفاضل صلاح الدين المنجد فى العدد ٦٦٢ من هـذه المجلة (ص ٢٧٣) بشأن تاريخ جامع نور الدين الذى ورد مغلوطا فى مقالى المنشور فى مجلة سومر (ج ١ ، م ٢) فأقول إن التاريخ المذكور هو ٥٦٨ ، وقد وقع الغلط على يد صفاف الحروف .

ولم يكن هـذا الغلط الوحيد فقد وقع فى المقال المذكور أغلاط مطبعية جمة ، وكنت قد أرسلت جدولا فى تصحيحها إلى مديرية الآثار القديمة فى بغداد ، ورجوته أن يدرج فى العدد القادم من مجلة سومر .

أما الجامع النورى فقد هدم من أساسه ، وبوشر بإنشائه من جديد .

(الموصل) الدكتور داود الجلبى

قصص فرعونية :

٣ ـ قصـــــة سينوحيت

لأديب مصرى قديم

للأستاذ محمد خليفة التونسى

[ملخص ما نشر فى العددين ٦٦٣ و ٦٦٦]

[أشرك ملك مصر أمنمحعت الأول قبل وفاته بعشر سنوات ، ابنه وولى عهده أسرتسن الأول فى حكم مصر ، وكان أسرتسن يقوم بقيادة الجيوش فى حملاته على البلاد الخارجية ، بينما يبقى أبوه في العاصمة لتدبير شئون مصر .

« فى إحدى حملات أسرتسن على ليبيا كان يرافقه بطل القصة سينوحيت الذى كان حافظ أختام الملك ونديمه ومستشاره والقيم على شئون الغرباء في مملكته ، وبينما الجيش عائد إلي العاصمة من الغرب جاء رسول من القصر إلى أسرتسن ينعى إليه أباه سراً ، وسمع سينوحيت بنعيه فقرر الفرار من الجيش ومصر جميعاً لأنه رأى فى بقائه فى مصرخطراً على حياته ، بعد موت أمنمحعت واستبداد أسرتسن بالأمر فيها ، فاختفى فى أحد الحقول حتى مر الجيش على مكمنه دون أن يراه أحد ، ثم سار إلى سنفرو ثم الجيزة ، ثم عبر النيل إلي الشرق على طوف وجده هناك حتى وصل الجبل الأحمر ، ثم سار إلى الشمال مجتازاً مسلحة عند عين شمس كانت تحمي مصر من غارات الأسيويين ، ثم انحدر فى وادى كيمور (طوميلات فى إقليم الشرقية) وفيه كاد يهلك ظمأ لولا أن عثر عليه رجل من الساتى (بدو آسيا) فعرفه أحدهم وأنقذوه وأضافوه أياما عندهم ، ثم رحل إلى أدرم فبقي فيها نحو ستة أشهر ، ثم دعاه أحد أمراء فلسطين إليه فلبى دعوته ، وهناك سأله الأمير عن سبب هربه فلم يجبه جوابا يطمئن إليه ، وحاول الأمير أن يعرف منه أحوال مصر ، وأ[...]ر ريبته فى قوتها بعد موت أمنمحعت وتولية أسرتسن ، ولكنه أجابه بأن مصر لم تضعف بل زادت قوة بتولية أسرتسن ووصفه له وصفاً يدل على بلاغة وإخلاص ، وكان وصفه جامعاً بين أبلغ الترغيب فى الملك والترهيب منه ، فأقطعه الأمير أرضاً وولاه ولاية يحكمها وزوجه كبرى بناته فأنجبت له كثيراً من الأبناء الذين صاروا رؤساء للعشائر فى الولاية التى يحكمها أبوهم من قبل الأمير ، وولاه الأمير قيادة جيشه فأبلى فى مكافحة أعدائه البدو وتأمين بلاده خير بلاء ثم جرت بينه وبين أحد البدو مبارزة انتصر فيها على البدوى وقتله واستحوذ على أمواله ، وقد وقعت هذه المبارزة (١) فى آخر المدة التى أقامها هناك والتى تربو على عشرين سنة . وقد رأى بعدها أن موقفه دقيق حرج فى اغترابه ، فاستكثر من الأموال لتكون له عوناً عند البلاء ، كما أرسل إلى ملك مصر رسالة يلتمس فيها أن يأذن له بالعودة إليها بعد أن صار شيخاً ضعيفاً ، ويصف له كيف كان فى أول اغترابه بائساً وحيداً ثم كيف صار حاله كما هو وأبناؤه والذين أنجبهم على إحدي ولايات فلسطين وعشائرها ... وهذه بقية الرسالة والقصة ...]

« أو لم يأن لى أن يصفح مولاى عن جريمة هربى ، فأعود إلى وطنى ، وأسترد مكانتى فى البلاط ، وأحظى بالعيشة الراضية فى تلك البقعة المباركة التى تركت فيها قلبي . إنه لا سعادة لى إلا بأن أرجع إلى تلك البقعة حيث ولدت ونشأت ، ثم أموت وأدفن هناك ، فما أسعد من يقضى نحبه فى بلد ولد ونشأ فيه ! لشد ما تحملت — يا مولاى — فى غربتى من آلام ! وطالما صبت نفسى إلى أن أرانى فى وطنى مرة أخرى لأنعم فى جنباته بالراحة والسلام ، وما أكثر ما قدمت من القرابين للآلهة علها تنظر آلامى وتحقق آمالى . حبذا لو تكرم فرعون مصر العظيم فشملنى بعطفه ، ومكننى من أنعم بإحسانه ، وأتقدم بولائى إلى ربة قصره ، وأقف على حالها وحال بنيها وبناتها . إذن لرد مولاى إلىّ بذلك شبابى الضائع ، فهأنذا أشعر بالشيخوخة تسعى إلىّ ، والخور ينسرب فى كيانى ، والكلال يرين على عينىّ ، والاضمحلال يدب فى رجلىّ ، والفتور يتغلغل فى عروقى ، والبطء ينتاب نبضات قلبى .

ويحى ! فإن المنية القاسية لتسعى إلىّ لتختطفنى ، وما أوحى ما تقذف بى إلى الهاوية الأبدية ، فهلا يتاح لى أن ألحق بسيدة القصر سلطانة العالمين ، فأجد راحة الموت على يديها » .

لم يمض بعد ذلك وقت طويل حتى أتانى جواب الملك المعظم وقد حقق آمالى وما فوقها ، فقد عفا عنى وسمح لى بالعودة إلى وطنى ، وولاَّنى ولاية من قبله فى الخارج ، كما أتحفنى بكثير من الإتاوات ، وأرفقها بتحية أولاده ، وها هو ذا أمره الملكى

(١) هذه المبارزة تشبهها شبها قويا مبارزة وقعت فى فلسطين أيضا بين سيدنا داود وجبار من فلسطين يسمى جليات (فى القرآن الكريم جالوت) بعد أكثر من ألف سنة من سينوحيت ذكرها العهد القديم : الأنبياء : صموئيل الأول : الاصحاح ١٧ الفقر ٤ — ٥٤ . والقرآن : سورة البقرة : الآيات ٢٤٩ — ٢٥١ .

الكريم : « من حورس بن رع صاحب التاجين ، وحاكم مصر العليا والسفلى ، وروح النسل ، ومانح الحياة ، والخالد على مر الدهور . الأمر الملكى العالى الموجه إلى الشريف سينوحيت لإعلامه بما رأى جلالة الملك فيما التمس منه .

هأنتذا قد فررت من الدلتا إلى أصقاع أجنبية ، وارتحلت من أيدوم إلى تنو ، وجست خلال بلاد شتى طوعا لما جال بخاطرك فتأمل ، ويحك ، ما أداك إليه طيشك !

لست أدرى ماذا حملك على هذه الهجرة ، وأنت لم تجترح جرما ، ولم تحتكم إلى مجلس الأشراف لتسمع حكمه فيك . إنها أوهامك الكاذبة التى دفعتك إلى تلك الهجرة .

ولقد كان ما كان من أمرك على ما علمنا وعلمت ، فلا تتحول عما أزمعت من الرجوع إلى وطنك بعد أن وضح لك المذهب السوىّ ، كما أن مولاتك الملكة لا تزال تتألق فى القصر على غاية من الرغد والعافية ، وقد نما أولادها وصاروا زينة القصر ، واتخذوا منازلهم فى القصر ، وقد ابتهجت الملكة وأولادها بنبأ مقدمك حين نُمى إليهم ، وسيسعدهم أن يجزلوا لك الهبات ، وأن يرعوا حقوقك . ولتثق أنك ، عند عودتك إلى القصر الذى فيه نشأت ستكون حيث يليق بك ، فدع كل ما فى يديك ، وعد إلينا بنفسك ، حتى إذا بلغت مصر فاجمل وجهتك القصر المعظم فإنك ستكون فيه زعيما على أندادك مرة أخرى .

هأنتذا تشعر بالشيخوخة تدب إليك ، والضعف يخترم قواك وقد صار التفكير فى دفنك بعد موتك يقلق فكرك ، ويعذبك . لا تجزع فإنك ستعود إلى الوطن المقدس ، حتى إذا حان حينُك زملوك بلفائف الكتان ، وصبوا عليك الزيت حنوطا ، ووضعوك فى نعش مُذهب قد طلى رأسه بطلاء لازوردى ، وغطى بغطاء فى شكل السماء ، وعندما تشيع جنازتك ستجرها الثيران ، وبين يديها المرتلون يُرددون أمامك أناشيدهم ، وإذا ما أنزلت فى قبرك — حيث يقبر أبناء الملك — رقصوا أمامك رقصة الدفن ، وقام النائحون يجأرون بصلواتهم ومراثيهم لتأبينك ، ونحرت القرابين على روحك ، وشيد فوق قبرك هرم من الرخام الناصع .

هذا ما ستكون عليه شعائر دفنك فى وطنك بين أهلك ، ولن تموت كما تخشى فى أرض أجنبية فيلفك الأسيويون فى أديم شاة ، ثم يشيعونك وهم يدقون الأرض ، ويبكون على جثتك إلى أن يغيبوك فى لحدك وعليك أن تبادر إلينا بالرجوع » .

كنت مجتمعا برجال قبيلتى حين أتانى الجواب ، وما كدت أستوعبه حتى خررت على وجهى ، وعفرت بالتراب رأسى ، ولم أتمالك نفسى أن أقفز وأن أطوف بفسطاطى ، وأصيح قائلا : « عجبا لى ! كيف أجاب إلى ما طلبت ، وما أنا إلا تابع تمرد على سيده ، وأبق من وطنه مهاجرا إلى أقطار أجنبية . لشدّ ما أجد من غبطة بعد أن عفا مولاى عنى وأذن لى أن أرتد إلى وطنى آمنا على حياتى ، ولأقيم فى بلاطه عالى الشأن راضى المعيشة إلى أن يوافينى أجلى » .

ولم ألبث أن كتبت إلى مولاى هذا الكتاب ، قدمته بين يدى رحيلى إلى وطنى : « إننى خادمك سينوحيت ، أتقدم إلى جلالتك بخشوعى وولائى وتحياتى ، ملتمسا العفو عما جرته علىّ حماقتى حين أبقت من مصر ، وإنك لرب المغفرة أيها الإله النبيل المهيمن على العالمين ، وإنى لأتوسل إلى رع وحورس وهاتور وسائر الأرباب العظام أن تهبك الخلود ، وتلهمك الحكمة والسداد فى كل خطاك ، وتكفل لك الأمن والسلام ، وتغدق عليك نعمها ظاهرة وباطنة ، وتبسط سلطانك على الصحراء ، وتمده على كل ما تطلع عليه الشمس من السهول والحزون .

لقد أسبغت نعمك علىّ أيها الإله الجليل كما يسبغ رع نعمه على مريديه ، وقد اطلعت على ما حاك فى صدرى فشملتنى برحمتك وهديتنى من ضلال ، وآويتنى من اغتراب . وإنه ليحلو لى أن أعيد ما كتبته يا مولاى إلىّ من روائع حكمك وآيات بلاغتك ، وما كنت إلا خادما تافها لا يستحق شيئا من هذه النعم ولا بعض هذا الاهتمام ، لولا أنك — فى جلالك ورحمتك — كالإله العظيم حورس تظلل برعايتك جميع رعيتك .

ولقد ظللت لك — يا مولاى — التابع الأمين الوفىّ فى كل ما قلت وفعلت ، وإن أمراء هذه الجهات شهداء على ما أقول

وحسبك يا مولاى أن كل السكان هنا ينظرون إلى جلالتك فى خضوع الكلاب الوفية ، ما تبدلت عواطفى نحوك ، وما كانت هجرتى إلا رؤيا حالم فى الشمال بأنه قد صار نجأة فى أبو (قريب أسوان شمالا) أو رؤيا حالم من جيرة الوادى فى الجنوب بأنه رحل إلى مستنقعات الشمال ، فأنا لم أجن ذنبا أخشى مغبّته ، ولم أدنس أذنى بالإصغاء إلى الأشرار ، ولم يلهج باسمى لسان فى مجامع القضاء ، وما فتئت فى غربتى أرفع ذكرك وأشيد بعظمتك ، وما كانت هجرتى من مصر نظاما مدبرا ؛ بل خاطرا فطيرا مرتجلا تلجلج فى صدرى فانطلقت قدماى انطلاقا ، لقد قدرت الآلهة على الهجرة ، ثم قدرت لى العودة ، وهأنذا أتزلف إلى جلالتك مطاطىء الرأس لعلك تعفو عنى ، وتتجاوز عن سيئاتى . ولا على الإنسان أن يعود إلى وطنه ، فما مقامى فى هذه الغربة كمقامى عندك فى القصر ، أيها الملك العظيم الذى نشر الإله رع رهبتك وجبروتك على كل البلاد ، فكل سكانها ينظرون إليك خشية وهيبة بقلوب مضطربة وعيون زائغة .

سأترك كل ما فى يدىّ هنا طوعا لأمرك الكريم لمن له الأمر بعدى ، غير أنى أطمع أن تأذن لرسولك إلىّ أن يختار ما يروق له هنا . وسأبقى مدينا لك وحدك بحياتى التى أنقذتها من العذاب ، وأدعو رع وحورس وهاتور ومنث — وأنت صفيها ومختارها — أن تصفيك الحياة الراضية الخالدة » .

وأقمت مهرجانا عاما فخما فى إقليم (ياع) ثم دفعت إلى أبنائى كل ما تحت يدى من أموال وأنعام ، وخلفنى ابنى الأكبر فى زعامة القبائل فاختص بكل مالى من الحدائق والبساتين والحقول والأنعام . وما فرغت من ذلك حتى وليت وجهى شطر الجنوب فى عصبة من رجال الساتى (البدو) كانت مهمتهم خفرتى فى الطريق طوال رحلتى إلى مصر ، ومضينا نغذّ السير حتى بلغنا طريق حورس قرب الفرع الشرقى للنيل حيث أقيم هناك حصن لدفع الغارات عن الحدود ، فاستقبلنا حاكم الإقليم بحفاوة ، وبعث رسولا إلى البلاط يخبر الملك بمقدمنا ، وما هى إلا أيام قضيناها هناك فى طريق حورس حتى بعث الملك إلينا كبير المشرفين على مزارعه فى أسطول من السفن تحمل الإتاوات

الملكية إلى العصبة التى تولت خفرتى فى أثناء الطريق من رجال الساتى ، فأذنت فيهم ، وسمت كلا منهم ما يستحق منها ، وبلغتهم تحيات الملك وشكره ورضاه ، فحملونى تحياتهم إليه وتقديرهم لنعمته ، وكروا إلى بلادهم راجعين .

أما أنا فقد تابعت رحلتى حتى بلغت ثتوى (العاصمة) وعندما تنفس الصبح وافانى رسل الملك يدعوننى إلى المثول بين يديه ، فسرت معهم حتى بلغنا القصر ، فصافحت أرضه ، وفى فنائه وجدت أولاد الملك متهيئين لاستقبالى ، ثم اقتادنى رجال الحاشية إلى حجرة الملك المذهبة الفاخرة ، وفيها وجدت جلالته مستويا على عرشه الفخم ، فسجدت بين يديه ، وعندئذ أحسست بالعمى يرين على عينى ؛ وبالإنحلال يشل أعضائى فيمنعها الحركة ، وشبه لى أن قلبى زال عن مكانه ، وكانت قد حالت بى الحال حتى لم يعرفنى جلالته ، فأشفق علىّ ، وأمر رجال الحاشية أن يقيمونى ، ويتحدث إلىّ برفق ولطف ، ليسرّى عنى ما ألمّ بى من الدهشة ، ويطلق لسانى مما عقله من الاستغراب ، فأحسست بالحياة تعود إلىّ بعد الموت ، وبالنطق يعود إلى لسانى بعد الحصر ، وبدأت أعى ما حولى وأتأهب لفهم ما يلقى إلىّ .

قال لى جلالته : « هأنتذا أخيرا فى القصر بعد أن جست خلال القفار ، وتمرّست بالأسفار النائية ، فقد مسّك الضر ، ونال منك الوهن ، وصرت شيخا ضعيفا حتى ليعسر تحنيط جثتك ، ماذا أنت ؟ وفيم وجومك ؟ أهو الخوف قد عقد لسانك وحصره عن الكلام ؟ » .

فاستجمعت قواى ، وتحاملت على نفسى ، وبادرت جلالته قائلا : « ومم الخوف يا مولاى ؟ إننى لم أسمع من جلالتك ما أخشاه ! إنما أنا إنسان ضعيف ، لا تؤيده قوة علوية تدفع عنه ما يوحى محضرك من رهبة فى قلبه ، وهأنذا أمامك ، وحياتى منك وإليك ، وقد وضعت حياتى كلها بين يديك » .

وما هى إلا لحظة حتى دخلت الملكة والأميرات ، وشاء جلالته أن يتبسط معى ، فقال مداعبا : « هذا سينوحيت قد أقبل كأنه أحد رجال العامو (بدو آسيا) ! » .

فتجاهلتنى الملكة والأميرات ، وهتفن معا : « ما هذا سينوحيت أيها الملك ! » .

فأجاب : « بل هو سينوحيت نفسه » .

ابتهجت الملكة والأميرات بمقدمي ، وبادرن إلى جناحهن في القصر ، وسرعان ما عدن وقد تقلدن القلائد ، وانتطقن المناطق ، وتهيأن بآلات الرقص ، وطفقن يرقصن وينشدن هذا النشيد :

جادك(١) الأربابُ بالخير العميم ... أيها الملك وأصفوك(٢) الخلودا
وأحاطوكَ بآياتِ النعيمْ ... وحبَوْا(٢) عهدك عزاً وسعودا
ورعا مَسراك أربابُ النجومْ ... أين أبحرت هبوطا وصُعودا
جامعَ التاجين في تاجٍ يقومْ ... حوله الثعبانُ وضّاء فريدا
فوق رأسٍ لك جبارٍ حكيمْ ... لم يزل في كلّ ما يمضي سديدا(٣)

* * *

قد أزلت البوس عن مصرَ فزالا ... وغدت أقدارُها في راحتيك
دان قطراها جنوبا وشمالا ... لك، واستخذى(٤) أعاديها لديك
كل من فيها — إذا شاء سؤالا — ... لا يرى من ملجأ إلا إليك
حيث ضاق الناس بالعيش احتمالا ... لم يكن معتمدٌ إلا عليك
دمت للخائف والعاني ثُمالا(٥) ... تبذل النعمى وتُرجى من يديك

* * *

قد حباك الحكمَ والبأسَ الإله ... فأزل خوفك عن هذا المريبْ
ويحَ سينوحيتَ قد طال أذاه ... فحياه من الخوف كئيب(٦)
فر من مصر بلا ذنب جناه ... وهو المولود فيها والربيبْ
خوفه بأسك منها قد نفاه ... فانثنى والخوف يغرى بالذنوبْ
فارددُ المجدَ إليه والحياه ... إنه فينا ومنا لقريبْ

وما انتهى الرقص والنشيد حتى قال جلالة الملك « ياسينوحيت لا تثريب عليك ، فلن يصيبك ما تكره ، ولن يحيق بك سوء ، وليهدأ قلبك ، ويفرخ روعك ، إنك منذ الآن من رجال حاشيتي بل صفيي من بين جميع النبلاء ، فانطلق إلى القصر الذي اختصصناك به ، ثم عد إلينا في البزة التي تليق بك » .

وأمر الملك رجاله أن يذهبوا بي إلى خزائنه لآخذ ما أشاء من نفائسها ، وخرجت مع الأميرات وأيديهن في يديّ ، حتى بلغنا الباب العظيم ، ثم حللت قصرا من قصور الأمراء أهداه إليّ الملك ، وقد حُمِلت إليّ فيه خيرات كثيرة من القصر الملكي الأبيض ، وجاءتني نفائس من الحلل الملكية والعطور التي يصطفيها الملك .

وقد وجدت قصري فخما وأثاثه فاخرا ، ورأيت له جنة ذات فواكه وأشجار ، وفيه كثير من الأتباع والخدم الذين أعدوا لخدمتي ، وما كدت أحل بقصري حتى انتزعوا ثيابي الحقيرة ، وألبسوني حلة بيضاء فاخرة من الكتان ، ورشوا عليّ من أجود عطور مصر وأطيبها ، بعد أن أزالوا لحيتي وقصوا شعري ونسقوه ثم قذفوا بثيابي القديمة إلى عرض الصحراء .

ونمت هناك على فرش وثيرة ، فتذكرت أيامي بالرمل وأهله وما آل إليه حالي من نعمة في هذا القصر الفخم ، بعد أن صرت في عداد النبلاء ، وعندئذ أحسست بالشباب يعود إلي بكل مزاياه .

أقمت بقصري منعما ، وكان الطعام يحمل إليّ ثلاث مرات أو أربعا من القصر كل يوم ، وكانت الأسرة الملكية تغمرني بإناواتها على الدوام ، ووهب لي الملك كل ما أمام قصري من الحقول والبساتين مما لا يهبه إلا لرئيس ديوانه .

ومع كل هذه النعم التي أضفاها الملك علي لم يغفل عن أن يفي بوعده الخاص بمدفني ، فقد أمر جلالته بأن يشاد لي هرم من الرخام الناصع ، فوضع تصميمه كبير المهندسين في القصر ، وشيده كبير البنائين فيه كأتقن وأجمل ما شيد في حياته ، وقد حفر قبري تحته في صخرة ، وبعد أن تم الهرم قام رئيس النقاشين نفسه بنقشه وزخرفته ، وهكذا حظيت بما لا يطمع في الحظوة به من كان مثلي تفاهة ورقة حال ؛ ولست أرجو إلا أن أقضي ما بقي من عمري مستمتعا بجوار مولاي بما أنا فيه من فضله وبره ، حتى أفارق الحياة ، فأنقل إلى مدفني .

محمد خليفة التونسي

(١) جادك : أمطرك .
(٢) أصفوك وحبوك : منحوك دون غيرك .
(٣) سديدا : على صواب .
(٤) استخذى : ذل وخضع .
(٥) ثمالا : ملجأ ومغيثا .
(٦) كئيب عابس .

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)



العدد ٦٦٨ — الاثنين ٢٢ أبريل ١٩٤٦ — السنة الرابعة عشرة



الفهرس

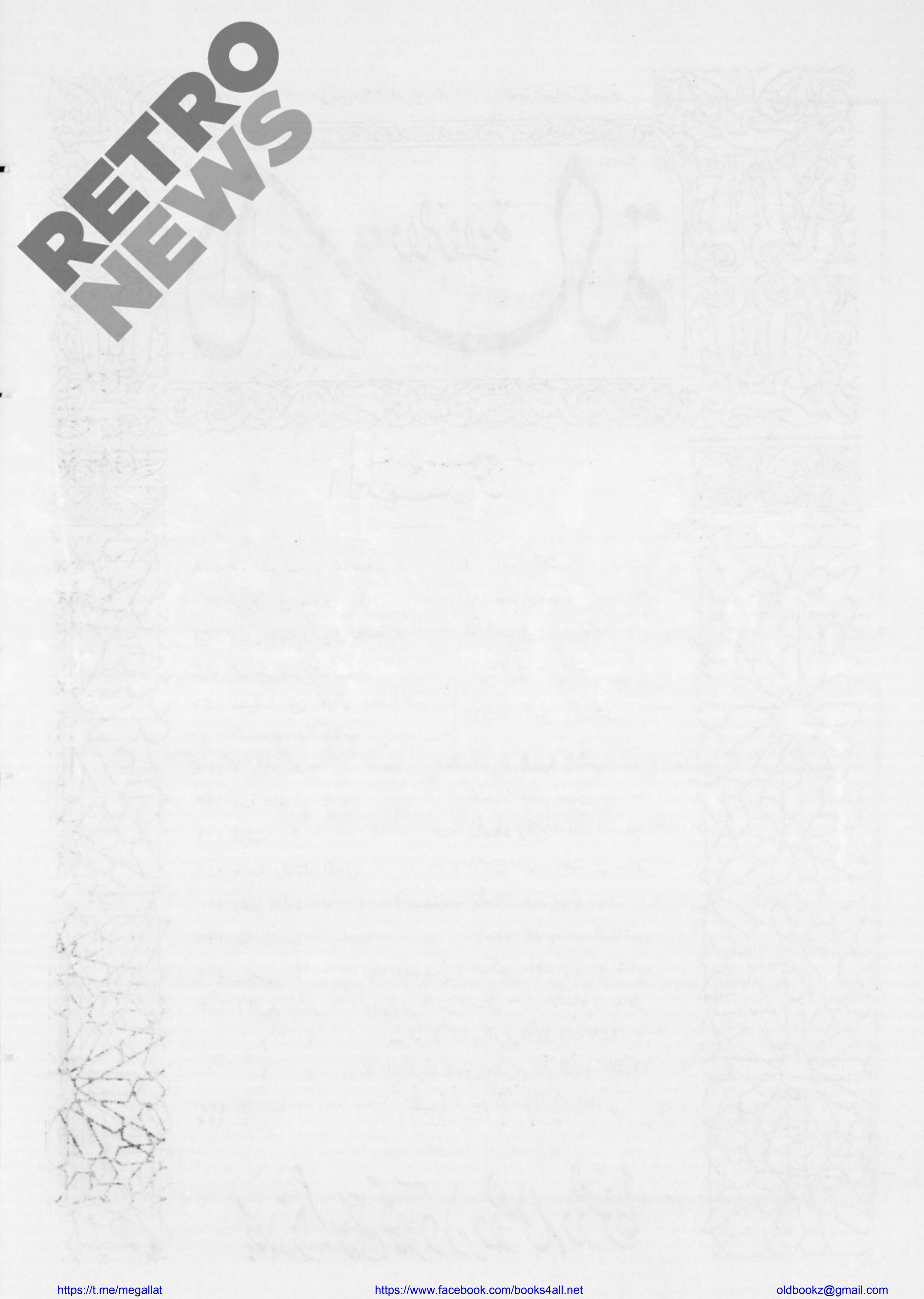
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ٦٦٨ — الاثنين ٢٢ أبريل ١٩٤٦ — السنة الرابعة عشرة



الفهرس

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون


RETRO
NEWS

14 me Année No. 668

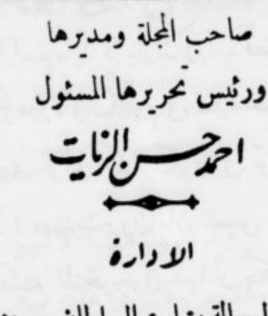
Lundi—22—4—1946

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique


صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٦٦٨ « القاهرة فى يوم الإثنين ٢٠ جمادى الأولى سنة ١٣٦٥ — ٢٢ أبريل سنة ١٩٤٦ » السنة الرابعة عشرة

يوم عظيم لسورية العظيمة !

وأى يوم أعظم من يوم الجلاء : جلاء المحتل عن أراضى الوطن ، وجلاء الذل عن نفوس الناس ؟ ولكل أمة جعل الله من نوره هذا اليوم ، يشرق فى أمسها إشراق العيد ، أو يعض فى غدها وميض الأمل . وهو أجلٌ من آجال الله إذا جاء لا يُؤخر! إنما يسبقه ليل طويل بالألم ، مظلم باليأس ، مرعد بالهول ، مطلول بالدم ، هَواديه خطوب وأعجازه ضحايا !

ولقد كان ليل سورية الباسلة من أطول هذه الليالى وأهولها ! كابدت فى أوائله مشانق جمال ، وفى أنصافه مدافع غورو ، وفى أواخره قواذف أليفا روجيه !

ثم خفقت أشباح الشهداء بيضاً على حواشيه ، ولمعت بروق الآمال تباعاً بين غواشيه ، فانصدع الظلام المكفهر ، واستبان الطريق المبهم ، واستطاع المجاهدون الجاهدون أن يسمعوا على مآذن (الأموى) : حى على الفلاح ، وأن يبصروا تباشير الفوز على غرة الصباح !

وفى الصباح المسفر حمدت سورية الحبيبة سُراها الطويل المرهق، فضمدت جروحها الدامية ، وكمَّدت جفونها القريحة ،ثم ذهبت إلى (المزة) فركلت آخر جندى من جنود الاستعمار ورفعت فوق مطارها العلم ، ورجعت إلى (النوطة) فحملت ورودها الجنيَّة إلى قبور الشهداء، وعزفت أمامها النشيد . ثم خرجت فى زينتها وبهجتها تستقبل وفود الدول العربية التى جاءت تشاركها السرور فى يوم حريتها المشهود وعيد استقلالها المشترك . ثم أطلقت لنفسها المحتشمة عنان الفرح والمرح ، فصدحت شوارعها بالأهازيج ، وهتفت منازلها بالأغانى ، ودوَّت مساجدها بالأدعية ، وفاض النور والحبور على دمشق وأخواتها ، فجلون عن أنفسهن فى يوم واحد ما ركمته المحن والأحداث فى قرون !

حيَّاك الله يا سورية ! لولا ليلك الطويل الحالك ما أسفر لك هذا النهار الضاحك ! ولولا جهادك الصادق الصابر طيلة ربع قرن ما أتم عليك الله هذا النصر المؤزّر ! ولولا دماؤك المسفوحة على ثرى وطنك الغالى ما جنيت هذه الثمرة التى تتحلب لها الأفواه فى أكثر الدول ! ولكنك يا سورية خرجت من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر ! خرجت من جهاد الطمع والعدوان فى غيرك ، إلى جهاد الهوى والأثرة فى نفسك ! والانتصار على العدو الخارجى سهل كالانتصار على الداء الظاهر ، ولكن الانتصار على العدو الداخلى صعب كالانتصار على الداء المضمر . والمجاهدون فى سبيل الوطن لايبتغون عاجل الثواب ؛ فإذا سول لهم الشيطان أن يبتغوه وكَلَهم الله لأنفسهم فيخسرون ماربحوا ، ويفسدون ما أصلحوا، ويسلبهم الله مجد الجهاد فلا ينالون سعادة هنا ولا شهادة هناك !

ما أزهى نفوسنا بجلاء المحتل عنك يا سورية ! وما أبهج قلوبنا بكشف الضر عنك يا دمشق ! فهل آن لأكدار النيل أن تصفو يا بَرَدَى ، ولعار « التل الكبير » أن يُغسل يا مبسلون ؟ !

ابن عبد المطلب

الأزهر فى مفترق الطرق

كان للاقتراح الذى عرضناه على مشيخة الأزهر ووزارة المعارف لحل مشكلة الأزهر رجْع واحد فى مختلف البيئات هو المشايعة على الأصل فيه والاتفاق على الغاية منه . والأصل فيه توحيد التعليم الابتدائى والثانوى بين أبناء الأمة ؛ فلا يكون الفرق بين المتوجهين إلى الدين أو إلى اللغة ، إلا كالفرق بين المتوجهين إلى الحقوق أو إلى الطب . والغاية منه تجديد الأزهر ليساير الزمن ، وتنظيمه ليزامل الجامعة ، فيخرّج للعالم العربى كله رجالا للدين وعلومه أو للغة وفنونها يكون لهم ما للجامعيين من فضيلة المشاركة ومزية الإخصاء . إنما كان الاختلاف فى مدد الدراسة ، أو عدد الكليات ، أو حفظ القرآن من المناهج ، أو تصفية الحال القائمة ، وهو اختلاف فى الفروع لا فى الأصل ، وفى الوسائل لا فى الغاية . والذى يعنينا الآن أن يقبل القائمون على أمر الأزهر هذا الاقتراح . فإذا قبلوه أمكن المختصين والمفكرين يومئذ أن يديروا الرأى فيه فيفصلوا المجمل ويكملوا الناقص .

على أن أخوف ما أخافه على هذا الاقتراح أن يطول استئذانه على المكاتب الرسمية حتى يُنسَى ، أو تحول بعض الحوائل النفسية دون النظر فيه حتى يهمل . والشائع الذى يثبته الواقع أن الرأى أو الأمر إذا لم يدل عليه إلحاح الضرورة ، أو يدفع إليه ضغط الحوادث ، لا يخطره أحد بباله مهما كان أثره فى سياسة الدولة أو خطره على حياة الأمة . والأمر من قبل ومن بعد إنما يعنى شباب الأزهر ، فإذا تركوه رهن الطوارق أو جعلوه فى أيدى المقادير ، ظلوا كما كانوا : طلابا من غير علم ، أو علماء من غير عمل .

الأزهر يقف الآن فى مفترق الطرق ، ولا يذهب به إلى الأمام إلا طريق واحد ، فإذا ضله رجع إلى الوراء أو خبط فى مجاهل الأرض لا يصيب غرضاً ولا يبلغ غاية . والنتيجة الحتمية لهذه الحال أن ينتقل معنى الأزهر إلى الجامعة ويبقى لفظه المبارك حيث كان . ومن بوادر هذا الانتقال المعنوى انضمام دار العلوم إلى جامعة فؤاد الأول ؛ فإن معنى ذلك الانضمام سلب الاختصاص اللغوى من الأزهر . ولن يجدى على كلية اللغة العربية ما يمدونها اليوم من التسوية بينها وبين دار العلوم فى معهد التربية ؛ فإن دار العلوم ستُفيد من نفوذ الجامعة ونُظمها ما يوسعها ويعمقها حتى تستوعب شؤون العربية وآدابها استيعاباً لا يترك وراءه فضلة .

بقى الاختصاص الدينى للأزهر ، والكلام فى سلبه حديث قديم لا يزال يتردد على أفواه ذوى الرأى كلما فكروا فى توحيد القضاء الأهلى والشرعى والمختلط ؛ فهم يشيرون بأن تتسع كلية الحقوق فى تدريس الشريعة ليستطيع المتخرجون فيها أن يكونوا قضاة أو محامين فى الدوائر التى ستنشأ للأحوال الشخصية فى كل محكمة أهلية ، شأنهم فى ذلك شأن زملائهم فى الدوائر المدنية والتجارية والجزائية .

أما أصول الدين فقد فكرت كلية الآداب — وأظنها لا تزال تفكر — فى أن تنشىء لها معهداً أو كلية تدرسها على المنهج الجامعى فى التقصى والاستيعاب والموازنة . فإذا أصبح تراث الأزهر نهباً مقسما بين كليات دار العلوم والحقوق والآداب ، وأضفت إلى ذلك أن التعليم الابتدائى والثانوى سيكون كله بالمجان — والمجانية ميزة الأزهر — شككت فى أن يتقدم بعد ذلك اليوم إلى المعاهد الدينية طالب يريد أن يتعلم ليعيش .

الأمر إذن جد ؛ وجده أخطر من أن يعالج بالتهوين أو التسكين أو المطل . وليس من الإخلاص للأزهر أن نقول إن علوم الدين والدنيا فيه ، وأن له من جلالة الأثر فى نفوس المسلمين ما يبقيه ويكفيه ؛ فإن « المجاورة » بمعناها الموروث عهد قد انقضى ، والتعبد بدراسة الفقه للفقه تقليد قد مضى ؛ وانتقال القيادة العالمية اليوم إلى رجال العلم الخالص أمر يبعث على طول التفكير فى إعداد النشء لمجابهة الحياة بأنظمتها المتنوعة وأسلحتها الجديدة . والكلمة الآن للشباب من الأساتذة والطلاب ، فإلى هؤلاء وهؤلاء نسوق الحديث . والحزم الجدير بأهل الذكر أن ينضجوا الرأى فى هذا الاقتراح قبل أن يجاوزوا (منعرج اللوى) ، فإنى لأخشى ألا يتبينوا وجه الرشد فيه إلا بعد ذهاب الفرصة وزوال القدرة . وإن فيمن يفاخر بهم الأزهر من أمثال الأساتذة : شلتوت وعرفة والجبالى والغمراوى ودراز وأبى العيون والمراغى والمدنى والبهى والصعيدى ، مَن نربأ بهم أن يتركوا جامعتهم القديمة العظيمة فى مهب الأعاصير تزلزل أركانها وتهدد كيانها ، وقصارى ما يملكون لها دعاء لا يصنع معجزة ، أو بكاء لا يدفع مضرّة !

احمد حسن الزيات

بطون جائعة وأموال ضائعة

للأستاذ علي الطنطاوي

ولد لي في هذا الأسبوع مولود جديد ، فأهدى إلى أمه أكثر من عشرين علبة شكولاتة ، من هذه العلب التي جدّت في دمشق ، وصارت (مودة) الوقت ، كل علبة منها لعبة كبيرة بأشكال وألوان ، ما عرفناها قبل الآن ، منها ما هو على صورة طيارة بأجنحتها وذنبها ومحركاتها ودواليبها ، ومنها ما هو على شكل عربة بخيولها ولجمها وسائقها ، كل ذلك مصوّر مشكّل دقيق الصنعة ؛ ومنها ما هو على هيئة سرير له فراش ووسادة من الحرير ، وفي كل منها قبضة من السكر والشيكولاته ، وهي ملفوفة بالورق الصقيل الشفاف ، معقود عليها شريط من خالص القزّ ، لا يقلّ ثمن إحداها عن عشرين ليرة سورية ... فلما ذهبنا نفتحها تقطع الشريط وتمزّق الورق ... ثم تسلمها منا أولاد الدار ، وأبناء الضيوف ، لأنها لعب خلقت لهم لا للكبار ، فلم تكن إلا أيام حتى تكسرت في أيديهم ، وكيف لا تتكسر وهي مصنوعة من قطع الخشب الملون الملصق بعضه ببعض ، لا تحتمل صدمة ولا نقرة ؟ وعادت حطباً انتهى به الطريق إلى المدفأة ، فاحترقت أربعمائة ليرة كان يمكن أن يشترى بها من (خبز البلدية) عشرون ألف رغيف[1] ، ومن الثياب النسائية المستعملة (التي توزعها وزارة التموين) أربعمائة ثوب ، ويمكن أن يتزوج بها من الفقراء أربعة رجال ... هذا وأنا رجل معتزل الناس لا أديم مواصلتهم ، ولا أؤدي حقوقهم ، خارج على مواضعاتهم ، ثائر على عاداتهم ، لا أصنع إلا ما أجده نافعاً معقولا ، ولي من جرأة جناني ، ومضاء لساني عاصم من لومهم وتعنيفهم ، وهذا هو المولود الثالث لا الأول ، فكيف تكون الحال لو كنت من الأثرياء الذين يخالطون الناس ، ويقومون بحقوقهم ؟ وكيف لو كان المولود صبياً بكراً ؟

(١) ذلك لأن البلدية في دمشق تبيع الخبز للفقراء ، كل كيلو بعشرة قروش ، فالطن منه بمائة ليرة فقط !

ففكروا كم ننفق من الأموال في أشياء لا يأتي منها خير ، وما في تركها ضرر ، ونحن نشكو الفقر والمرض والجهل ؟

أعرف رجلا تزوج فأهدى إليه يوم زفافه ، من أصدقائه وصديقاته وأقربائه وقريباته ، مائة وست عشرة باقة زهر ، ثمن أدناها خمس ليرات ، وقد يبلغ ثمن أعلاها العشرين ، فحار أولا أين يضعها ، ومن أين يأتي لها بالكؤوس والأواني ، ثم بدا له لجملها حول سرير العروسين ، فكان لها منظر رائع خلاب ، ثم مرت الأيام ففسدت وجفت فاستأجر رجلا يحملها ليلقيها في إحدى ... المزابل !

ألف ليرة تلقى على مزبلة ، ونصف الأمة يتضوّر جوعا ! !

وأعرف آخر من التجار أبى له سفهه وتبذيره وكفره بنعم الله إلا أن يوزع السكر على نحو خمسمائة مدعوّ لحضور عقد ولده في علب من الفضة في كل منها صحن من البلور ، لا أدرى من أين جاء بها فما في بلدنا منها ، قالوا ، إن ثمن الواحدة منها خمس عشرة ليرة ، فهذه سبعة آلاف وخمسمائة ليرة ، دون باقي المصروفات ، في الفرش والزينة والثياب ... وإن من نساء هؤلاء التجار الفجار الأشرار من تشترى المعطف الواحد بألف ليرة ، وإذا لم تصدقوا فاسألوا تجار الفرو !

والتبذير في أتراح هؤلاء الأغنياء لا يقل عنه في أفراحهم ، فلا تخرج جنازة أحدهم حتى يمشي معها رجال المولوية بقلانسهم التي تشبه علب اللبن ، وثيابهم التي تحكي إذا داروا المخاريط الناقصة التي وصفوها لنا في درس الهندسة أيام المدرسة ، ولا يمشون حتى يقبض شيخهم الرسم المقرر ، خمسمائة ليرة ... وأمام الجنازة الآس والحناء ، وبعدها حفلة (التنزيلة) ، ثم (الصباحية) و (العصرية) وللنساء فيها كسوة خاصة تشترى من أجلها ، فلا يصل الميت إلى القبر حتى ينفق عليه إن كان من الموسرين خمسة آلاف ليرة ، ما أنفق قرش واحد منها في طاعة الله !

وإن حول كل دار من هذه الدور التي تهدر فيها الأموال لمساكن فيها ناس مثلنا ، من بني آدم ، من إخواننا في الدين وفي الوطن ، وفي اللسان ، يشتهون عشر معشارها ، أو أقلّ منه ليشتروا به طعاماً يملأ بطون أولادهم ، وثياباً تستر أجسادهم ، وإن لهؤلاء الناس (لو عرف الأغنياء !) عيونا تنظر كعيوننا ،

وقلوبا تتألم كقلوبنا ، ولهم بنون وبنات هم قطع أكبادهم ، وهم على هلهلة ثيابهم ووساخة أبدانهم أحبة إليهم أعزة عليهم كعزة أولادنا علينا ، وربما كانوا أزكى من أولادنا نفوساً وأطهر، وأذكى عقولا وأمهر ، وكانوا أرضى لله وأنفع للوطن منا ، ولكن الفقر عطل قرائحهم ، وكفّ أيديهم ، وكبل أرجلهم .

إن هؤلاء وإن لم يكن فى أعراسهم باقات الزهر ، ولم يكن فى جنائزهم مولوية ولا آس ، ولم يعرفوا طريق المدارس والملاهى ، ولم يزهوا بغالى الثياب ، ولم يتمددوا على أرائك السيارات ، ولم يعرفوا المشيخة التى يأكلون بها الدنيا بالدين ، ولا الزعامة التى يجمعون بها المال بالوطنية ، إنهم هم عماد هذا الوطن ، وهم جمهرة أهله ، وهم يزرعون القمح ويقدمونه إلينا ثم يعيشون على الذرة والشعير ، وهم يبنون لنا القصور ثم يقيمون فى الأكواخ مع البقر والحمير ، وهم يصنعون بأيديهم الشيكولاتة التى لا يذوقونها ، ويحيكون الثياب التى لا يلبسونها ، وهم يسهرون فى الطرقات ليحرسونا ونحن نيام ، وهم يمشون إلى الميادين ليدافعوا عن أوطاننا ونحن آمنون ، وهم قد دفعوا ثمن الاستقلال مهجهم وأرواحهم ، ثم لم يأخذوا من خيراته شيئاً ...

إن هؤلاء هم ركن الوطن وعماده ، وهم أهله وقطانه ، فحرام علينا أن ننساهم ونهملهم ! حرام أن تبقى هذه الأموال ضائعة ، وهذه البطون جائعة ! حرام فى دين الله ، وفى شرعة الانسانية ، وفى قانون الشرف ، فأين المصلحون ، فأين المصلحون ؟ أين رجال الجمعيات ؟ أين أرباب الأقلام ؟

لقد كنت أصفّح (أعداداً) عتيقة من مجلة الهلال ، فوجدت فى (عدد) منها أن فى بلاد السويد جمعية اسمها (جمعية أمناء الأزهار) عملها جمع الأموال التى يشترى بها أهل الميت وأصدقاؤه باقات الزهور التى تحمل مع الجنازة ثم توضع على القبر ، وإنفاقها فى بناء مساكن صحية للعمال والفقراء ، يسكنون فيها بأجر يسير ، وأنها أنشأت (إلى تاريخ ذلك الخبر) نحواً من ألف مسكن .

فلماذا لا يكون فينا رجال مثل رجال هذه الجمعية ، يأخذون المال من هنا ، فيضعونه هناك ، فيصلحون به أخلاق الأمة بانقاذها من داء التبذير والأثرة والمفاخرة بالباطل ، ويدفعون عن أغنيائها حسد فقرائها وبغضاءهم ، ويعودون عليها بالخير لما فى أجسادها وعقولها وصناعاتها وحضارتها إذ ينفقون هذا المال فيما هو أولى به من وجوه الاصلاح ؟

لماذا نأخذ عن الأوربيين السم وندع الترياق ؟

كم ينفق فى الشام ومصر والعراق وسائر بلدان هذا الشرق الإسلامى فى الزفاف وحفلاته ، والمآتم وملحقاته ... والأعياد والمواسم وأيام الولادة والختان ، فيما لا ينفع أحداً ألبتة ، ولا يعود عليه بعائدة ، ولا تناله منه فائدة ؟

حتام تهدر الأموال ويراق الذهب ، اتباعا لعادات قبيحة وتقليداً كتقليد القردة ، وجمهور هذا الشعب يشكو الفقر والمرض والجهل ؟

هل تذهب بشاشة العيد ويمحّى رواؤه ، لو اصطلح الناس فيه على تقديم السكر الملبّس الوطنى بدلا من الشيكولاتة وصرفوا فرق الأثمان فى بناء مدرسة أو مستشفى فى كل بلد ؟

هل يبطل أنس العرس ، وتضيع بهجته إذا لم يكن إلا باقتان من الزهر ؟

هل يكتب على العروسين الشقاء الدائم إذا وزعت الحلوى على المدعوّين فى قراطيس بدلا من العلب ؟

هل يحرم الميت التقى من نعيم الجنة ، ويضاعف على الشقى العذاب إذا لم يمش فى جنازته رجال الطريقة المولوية التى لا يقول بها عقل ولا نقل ، ولا يقرّها شرع ولا طبع ؟

فالى متى نضيع أموالا نحن اليوم أحوج إليها من كل يوم مضى لأننا فى عهد تجديد وبنيان ، ولأننا فى أول طريق الاستقلال؟

فيا أيها الأغنياء لا تغتروا فان النعم لا تدوم ، وإن بعد اليوم غداً ، وإن بعد الحياة موتاً ، وإن بعد الموت لحساباً عسيراً ، أمام رب الأرباب الذى خلقكم وخلق الفقراء من طينة واحدة ، لم يخلقهم من التراب ويخلقكم من الأسمنت المسلح ... ولم يميزكم عنهم إلا بمال أعاركوه ليكون محنة لكم وليطول عليه حسابكم .

ويا أيها المصلحون هذا باب من أوسع أبواب الاصلاح فلجوه بارك الله فيكم إن فعلتم ، وأيدكم .

ويارب منك أنت التوفيق ، فأعطِ المخلصين مقدرة ، وأعط القادرين إخلاصاً ، فاننا نشكو إليك شكاة عمر : ضعف التقى وفجور القوىّ !

(دمشق) **على الطنطاوى**

على هامش النقد :

همزات الشـــياطين

مجموعة أقاصيص : عبد الحميد جودة السحار

الأستاذ ســـيد قطب

كان هذا الكتاب — وهو حلقة من سلسلة لجنة النشر للجامعيين — مفاجأة كاملة لى . فأنا أعرف مؤلفه الشاب ، فأعرف أنه أديب مجتهـد ؛ وقد قرأت له ما سمح وقتى المحدود بقراءته من كتبه الكثيرة التى يتجه بها غالباً إلى التاريخ الإسلامى ليعيد عرض وقائعه الجافة فى صورة قصصية يحافظ فيها على دقة التاريخ مع سهولة العرض وتشويقه ، وهو عمل نافع مشكور .

وقرأت له قصته الأولى عن : أحمس بطل الاستقلال ، وهى لا تبشر بشىء ! ثم قرأت — على وجه الخصوص — كتابه « فى الوظيفة » وأعجبنى فيه قدرته على التصوير السريع باللمسات الخاطفة ، وقلت عنه فى عدد «الرسالة» بتاريخ ٢٢ يناير ١٩٤٥ :

« إن صاحب هذه الصور الانتقادية موهوب فى فن التصوير السريع . ومهما أخذت عليه من عيوب فى عمله الفنى ، فإنك لن تخطئ اللامح التى يريدها ، والسحنة التى يبغيها ، وهذا وحده يكفى .

« إنه ذو عين لماحة ، تسجل الحركة الحسية ، كما تسجل الحركة النفسية . ثم تغلف اللمحة المرسومة بروح السخرية ، وتمزجها بعنصر الفكاهة ، حتى ليخيل إليك أنه ينظر إلى الدنيا كما ينظر إلى ملهاة كبيرة ؛ تأخذ عينه فيها لمحاتُ التناقض ، وتأخذ حسه فيها مواضع السخرية ، وتأخذ نفسه فيها مواطنُ الدعابة ... »

ولـكن هذا كله شىء ، و« همزات الشياطين » شىء آخر ، ومع أنها موسومة بهذه السمة التى عبرت عنها فى تلك الفقرات ، إلا أن الشقة بينها وبين جميع أعمال المؤلف الشاب بعيدة ، فهى وثبة واسعة المدى ، لا بالقياس إلى جميع أعماله ، بل بالقياس إلى أقصى ما كان يتوقعه الناقد لهذه الأعمال !

وقبل أن أبعد فى طريق التعميم أخصص ما ذا أعنى بأنه وثبة واسعة المدى : تحتوى هذه المجموعة على اثنتى عشرة أقصوصة ، وقد صدرها المؤلف ببحث مختصر مفيد عن الرواية والأقصوصة يؤلف مع الفصل الذى احتوى عليه كتاب « فنون الأدب » عن القصة والمسرحية تأليف (ه . ب تشارلتن) وتعريب الأستاذ زكى نجيب محمود . والفصل الذى كتبه الأستاذ محمود تيمور عن « فن القصص » ... كل ما تحويه المكتبة العربية تقريباً عن هذا الباب الضخم من أبواب الأدب : باب القصة !

من هذه المجموعة أقصوصة طويلة بعنوان «وسوسة الشيطان» تستغرق أكثر من ثلاثين صفحة ، وهى الأقصوصة الرئيسية فى المجموعة ... وهذه هى الأقصوصة الفذة البارعة فى المجموعة ، وفى أعمال المؤلف كلها منذ أن أخذ يكتب وينشر . أما بقية المجموعة فشىء عادى فيه الخطأ وفيه الصواب ، وبعضها تبدو فيه العجلة التى لا تغتفر لمن يملك أن يخرج مثل هذه الأقصوصة الرئيسية !

وهذه الأقصوصة هى التى فاجأتنى مفاجأة تامة ، جعلتنى أعاود النظر فى كل ما قرأته للمؤلف ، لعلنى أكون قد أخطأت فى تقديرى أول الأمر ، أو لعل بعض كتبه التى لم أكن قرأتها توحى بهذه الوثبة الواسعة !

ثم عدت بعد هذا كله مقتنعاً بأنها وثبة واسعة ، ومفاجأة كاملة ! وقادتنى هذه المفاجأة إلى أن أراجع كل ما تحويه مكتبتى من الأقاصيص المؤلفة باللغـة العربية — وهى تكاد تشمل كل ما تحويه المكتبة العربية فى هذا الباب فوجدت هذه الأقصوصة تقف وحدها متفردة بين هذا الحشد من الأقاصيص .

وأردت أن أتابع الموازنة ، فعدت إلى ما تحويه مكتبتى من الأقاصيص المترجمة — وهى تكاد تشمل كذلك كل ما نقل إلى اللغة العربية — فوجدت هذه الأقصوصة تقف رافعة الرأس مع أعظم ما أعجبت به فى هذه المجموعة ... ترتفع على معظمه ، وتساوى أقله ، وتنحنى أمام عدد صغير جداً لا يبلغ عشر أقاصيص من حوالى المائتين !

تصور هذه الأقصوصة تجربة نفسية كاملة للخطيئة . وهى تمثل — مع استقلالها وأصالتها صراع كل « بافنوس » أمام

« تاييس » وكل « عبد الرحمن القس » أمام « سلاَّمة » ، بل صراع كل « آدم » أمام فتنة الفاكهة المحرمة . وهي تصور هذا الصراع باللمسة الهينة ، والإيماءة القصيرة ، واللفظة الموحية ، والحركة المعبرة ، وتلم في الطريق بكل خلجة وكل خاطرة وكل تأثر وكل انفعال ، وتجمع بين السرعة المتحركة في السياق ، والدقة الكاملة في رسم الخلجات الخفية ، والوسوسات الخافتة ، وتصور « فلماً » كاملا للصراع النفسي في موقف خاص !

وذلك كله دون حذلقة ، ودون إبراز للتحليل النفسي الذي يأخذ هيئة التفسير العلمي فيفسد الفن القصصي ، إلا في موضعين عابرين ألم بهما إلماماً سريعاً لحسن الحظ ، فلم يفسدا السياق ، وإن غضا من قيمته الفنية قليلا .

والصعوبة التي تواجه ناقد القصة أنه لا يملك عرض الجمال الفني فيها كما يريد ، فالتلخيص عبث وقتل لهذا الجمال ، فهو — على أحسن الأوضاع — يلخص الفكرة ، وماذا تجدي الفكرة إذا لم يستطع تصوير طريقة العلاج ؟ وكل وصف لطريقة العلاج يعد تشويهاً بالقياس إلى حقيقة العمل الفني في السياق !

ولكنني بعد هذا كله ملزم أن أعرض على القارىء هذا التشويه :

صلاح شاب في الثلاثين ، متدين ، واثق بنفسه وبإيمانه ، فقد وصل إلى هذه السن ولم يرتكب معصية قط — على الأقل حسبما يعتقد — فهو صاحب حق في الجنة لا منازعة فيه ، ولأنه لم يعان من قبل أية تجربة نفسية ، فهو يقسو على الخطيئة والخطاة ، ولا تنفسح نفسه لأي عطف عليها أو عليهم ، ولا يحاول أن يستمع لأية معذرة من الظروف والملابسات والاضطرار .

وحين يسمع من الواعظ تحذيره من النفاق وتخويفه للناس من عذاب النار ، لا يحفل ولا يجفل ، فإنه ناج من النار ! وحين يقص على زوجته نبأ طرد عبدالتواب أفندي من عمله لأنه اختلس يعلق على هذه الجريمة بقسوة ، ولا يقبل من زوجه التماس أية معذرة لهذا السارق الأثيم ! وحينما تتقاعس زوجه عن صلاة الفجر لأن حلاوة النوم تقعد بها في السرير ، يلح عليها حتى تقوم ، لأنه « يود أن يزحزحها عن النار ... » وحينما يعلم أن فتاة يتركها أهلها لتشتغل بالتدريس بعيدة عنهم ، يهم بأن يذهب إليهم ليوبخهم على هذا الاستهتار ! ويخرج صلاح لعمله بعد الصلاة وقراءة « الحزْب » وهو يحلم بالجنة التي دخلها فلم يجد « سميرة » زوجه ، ثم إذا هي تدخلها إكراماً لخاطره !... يخرج حيث يعد له المؤلف ، أو تعد له الحياة ، الفتنة الأولى مع هذه المدرسة ذاتها :

« أغلق صلاح باب مسكنه خلفه ، وقبل أن يهم بالنزول في الدرج ، فتح باب المسكن المواجه له ، وخرجت منه فتاة واسعة العينين ، ناهدة الصدر ، نحيلة الخصر ، وما إن تلاقت عيناه بعينيها حتى غض من بصره ، وتأخر خطوات ليفسح لها الطريق ؛ فمرت من أمامه ، وملأت خياشيمه رائحة عبقة أنعشت نفسه ، ولكنه ظل مطأطىء البصر ، وهبطت الدرج قافزة ، ولم يقدر صلاح على أن يقمع شهوة التطلع طويلا ، فنظر من بين أهدابه المسبلة ، فوقع بصره على ثديين يترجرجان صاعدين هابطين ، فأغمض عينيه ، وتعوذ من الشيطان الرجيم ، وخفت وقع أقدامها وتلاشى ، فوجد نفسه يهبط مسرعاً — وما كان لينزل إلا متمهلا وقوراً ، متخذاً سمة الكهول الموقرين — وسأل نفسه عما دفعه إلى الهبوط السريع ، فرد ذلك إلى جو الربيع الذي أنعشه ، ودب فيه نشاط حبيب إلى النفس ، وبلغ الطريق فلمحها تغذ في السير ، وتصعد إلى الطوار خفيفة رشيقة ، وما تقطع في الطريق خطوات ، حتى تعود لتقفز إلى الطوار ثانية كأنها خيال يطير ، لا يبغي المكوث على الأرض ولا يطيق اللصوق بها . ووجد نفسه يغذ في السير ، ولكن علام الإسراع ، وما هنالك حاجة إلى الإسراع ، فما زال في الوقت متسع ؟ وأحس همساً خفيفاً ينبعث من داخله يستفسر : ترى أتغذ في السير لتلحق بها وتتطلع إليها ؟ وما همس هذا الهاجس في نفسه حتى تفزع وجفل ، وضيق من خطوه ، وتعوذ وابتدأ في قراءة المعوذتين ! »

ثم تتابع الحياة دورتها ، ويتابع المؤلف خطوات صلاح . وصراعه مع نفسه ، ومغالطته لها ، وهواجسه وخطراته ، وتناقض أحاسيسه ، وإقدامه وإحجامه ، واقترابه في كل إقدام وكل إحجام من الهزيمة والاستسلام ؛ في أسلوب بارع فائق لا نستطيع مجاراته فيه ولا نملك تلخيصه ، حتى نلتقي بالبطل في موقف الهزيمة الأول : « وانطلقا في الطريق الهادىء الساكن الممتد على النيل ، وسارا صامتين كأنما استعارا صمتهما من صمت المكان ، واقتربت « بديعة » منه حتى التصق كتفها بكتفه ، واصطدمت يدها بيده أكثر من مرة ، واستقرت يدها في يده أخيراً ، فراح يضغطها

ضغطاً خفيفاً ، فكان يحس بنشوة لذيذة تسرى فيه ، ما كان يحسها لو أن اليد التى كانت فى يده يد «سميرة» ، واستمر السكون مخيماً عليهما ، وكان سكوناً خارجياً ، ولم تكن نفساهما ساكنتين ، بل كانتا تمتلجان بشعور فوار ، فقد كان كل منهما يتمنى أن يضم صاحبه إلى صدره ليطفئ ناره !

« وبلغا مقعداً خشبياً ، فجلسا يحدقان فى النيل برهة ، ثم زحفت « بديعة » على المقعد بخفة حتى التصقت به ، فملأ عبيرها الشذىّ أنفه ، وحرك نفسه ، فتاق إلى أن يضمها إليه ، ويطوقها بذراعيه ، ويمطر وجهها قبلات ، ولكنه قمع شهوته ، وقاوم رغبته ، ورمى بنظره إلى النيل ، وجعل يرقب موجاته المتكسرة محاولا أن يتشاغل عن هواتف نفسه ، ولكن رغبته خنقته وسيطرت عليه ، فارتد بصره إليها ، وراح يتطلع إليها فى وله واشتهاء . . والتقت العيون ، فترجمت عما تخفى الصدور ، فمالت « بديعة » وأسندت ظهرها إلى صدره ، فخفق قلبه ، وارتفع نبضه ، وسرى الدم حاراً فى بدنه ، حتى أحس به يكاد يشوى وجهه ، وانبهرت أنفاسه قليلا ، وضاقت حدقتا عينيه قليلا ، واضطرب كثيراً ، وأحس شعرها الأسود السبط الجميل الذى تمنى يوم جلست أمامه فى السينما أن يمر بيده عليه ، يلمس خده ، فسرت رعدته فى جسمه ، وارتفعت يده دون أن يتكلف ذلك ، وراحت تمر على شعرها فى حنان ، فرفعت عينيها المتكسرتين إليه وهى مستلقية على صدره ، واستدارت قليلا كأنما استدارت للقبل ... ورنت إليه فى دلال ، وزمت شفتيها تدعوه فى خبث إلى اللثم والعناق ... فلم يستطع أن يقاوم تلك الفتنة المرتمية فى أحضانه ، ولا نداء العينين الواسعتين الساحرتين ، ولا الشفتين المزمومتين المرتجفتين قليلا ، المغريتين كثيراً ! »

وهكذا يمضى المؤلف بصلاح المسكين فى سياق مصور دقيق على هذا الطراز حتى يصل به إلى الدار : « وتذكر فى الطريق دعاء ما كان يجرى له ببال قبل اليوم ، ولم يتحرك به لسانه أبداً ، فأخذ يردده فى نفسه فى حرارة يحس نارها تصهر صدره ، ولأول مرة يحس جلال ذلك الدعاء ، واستمر يردده وهو يصعد الدرج : « اللهم إنى أعوذ بك من شر نفسى ... اللهم إنى أعوذ بك من شر نفسى » !

« ودق الباب ففتحته زوجه ، فدخل وأغلقه خلفه ، ثم طوقها بذراعيه ، وراح يقبلها فى لهفة وهو يغمغم : « سميرة .. سميرة ؟ » كأنما كان فى سفر طويل عاد منه ، وخطر داهم يهدد حياته ، وأحس كأنه يود أن يفضى لها بكل شىء ، وأن يقص عليها قصة ضعفه ، ولكنه تريث ، وتخلصت منه فى رفق ، وسألته فى ارتياب : ما بك الليلة ؟ فقال : لا أدرى ، إنى إليك مشتاق كأنى لم أرك منذ سنين ! فقالت : أأعد العشاء ؟ فقال : انتظرى حتى أصلى العشاء !

« ودخل حجرته ، وأخذ يخلع ملابسه ، ولم ترحمه نفسه المهتاجة ، بل راحت تخزه ، فسمع صوتاً يهتف به من أغوار نفسه : « يا لك من منافق ! كيف سمحت لنفسك أن تضع شفتيك الآثمتين على شفتيها الطاهرتين ؟ وكيف رضيت أن تلف ذراعيك الملوثتين بخصرها ؟ وأن تلصق صدرك الخبيث بصدرها ؟ يا لعارك ! »

ثم يعتزم التوبة والتكفير بألا يلقى بديعة مرة أخرى . ويصر على ذلك إصراراً ونفسه تهتف به إليها هتافاً ، ويصمد فى الظاهر وهو يقرب من الخطيئة الكبرى ... ثم تقع هذه الخطيئة فى أشد لحظاته إصراراً على ألا يلمح « بديعة » أو يراها ! . ثم يصبح الصباح ! ... « واستمر ضميره يخزه وخزاً شديداً ، وهو يتلوى من العذاب ، وضاق صدره فترقرق الدمع فى عينيه فلم يستطع حبسه ، فجرى على خديه ، واستمر فى عذاب حتى ارتفع صوت المؤذن يؤذن بالفجر . فأحس كأنه نار تصب فى أذنيه . فوضع إصبعه فى أذنه ليصمها عن سماع الأذان الذى يزيد من أشجانه ، ولكن صوت المؤذن كان يقرع سمعه فكأنه شواظ من نار سددت إلى قلبه فحرقته حرقا ، وارتفعت النار إلى صدره فأضنته ، وأحس «سميرة» تنهض من فراشها ، فأحس عرق الخجل يتصبب منه حتى يغمره ، واقتربت من سريره فود أن تبتلعه الأرض قبل أن تمسه ، ولكن يد « سميرة » لمست كتفه فى رفق ، وهمست فى حنان : — صلاح ... صلاح ... انهض قد أذن المؤذن ...

« فهم بأن يصيح فيها أن تبتعد عنه ، وألا تلمسه ، ولكن صوته انحبس ، ولم يجد مخرجا . فعادت تهزه وتهتف : — صلاح قم . الصلاة خير من النوم . واقتربت بوجهها من وجهه ، فلمحت

مقابلات بين أقوال جحا

وأقوال الشعراء والكتاب

للأستاذ كامل كيلاني

(بقية المنشور فى العدد ٦٦٦)

٥ – صغار الأشياء

يقول شيخنا المعرى :

العمل – وإن قل – يستكثر ، إذا اتصل ودام ، لو نطقت كل يوم لفظة سوء ، لاسودت صحيفتك فى رأس العام .

ولو كسبت كل يوم حسنة ، عُدِدْتَ – بعد زمن – من الأبرار .

إن اليـوم ائتلف من الساع ، والشهر اجتمع من الأيام ، والسنة من الشهور ، والعمر يستكمل بالسنين .

الرجل مع الرجل عصبة ، والشعرة مع الشعرة ذؤابة (وهى الضفيرة المرسلة من الشعر) والحجر فوق الحجر جدار ، والنخلة إلى النخلة حائش (جماعة من النخل) .

ويقول بعض شعراء أوربة .

« قطرات المياه منها محيط وصغار الحصى تكوّن أرضاً
ودقيقاتنا تؤلف جيـــلا بعد جيـــل فى إثره يتقفى
وقليـل الحنان والحب ممـا يجعل الأرض جنة الخلد خفضاً »

فكيف يعبر صاحبنا عن هذه المعانى بأسلوبه الجحوى الفاتن :

٦ – برميل العسل

يقول :

« كان والينا الجديد – فيما سمعت وسمع غيرى من الناس – مما ترامى إلينا من أخباره يحب العسل حباً شديداً ، ويؤثره على غيره من ألوان الحلوى ولذائذ الفاكهة جميعاً .

وقد احتشدنا لاستقباله وتأهبنا للاحتفاء بمقدمه بعد أن اجتمع رأينا على أن نهدى إليه برميلا كبيراً نملأه بأحب الطعام إليه وهو العسل .

وتعاهدنا على أن يسهم كل واحد منا فى تلك الهدية بأيسر نصيب . فيلقى فى ذلك البرميل الكبير بمقدار فنجان صغير .

وخطر ببالى – حينئذ – خاطر عجيب فقد سوّلت لى نفسى أن أهرب من أداء هذا الواجب اليسير الذى لا يكلفنى شيئاً .

وقلت فى نفسى ، والنفس أمارة بالسوء :

إن مئات غيرى من الناس ، سيقومون بأداء هذا الواجب عنى . ولن تقدم هديتى شيئاً ولن تؤخر . فلو ملأت الفنجان ماء أو عسلا لما نقصت الهدية شيئاً ولا زادت ، ولما شعر أحد بتقصيرى .

ولكن شد ما دهشت حين فتح الوالى برميل العسل أمامنا ، فوجده مملوءاً ماء كله . وليس فيه قطرة واحدة من العسل .

لعلكما أدركتما السر فى ذلك – يا ولدىّ – فإن تلك الفكرة الخاطئة التى مرت على بالى ودفعتنى إليها الأثرة والأنانية

دموعه تجرى على خده . فهمست فى فزع : – صلاح . مابك ؟ أتبكى ؟ ... قم يا حبيبى . قال : دعينى . قالت ما بك يا حبيبى ؟ قال : رأيت رؤيا مفزعة . رأيت نفسى أطرد من الجنة » .

ولا تنتهى الأقصوصة حتى يكون هذا الواثق فى نفسه وقوة إيمانه ، المستعز بمكانه فى الجنة ، القاسى على الضعف والخطيئة ... معذبا مولها ، لا تهب عليه نسائم الرحمة إلا من الإقرار بالضعف والخطيئة والرجوع إلى التواب الغفار عن طريق الخطأ والاستغفار !

« ونهض صلاح ليغتسل من إثمه ، وانطلق حزيناً كئيباً يحتقر نفسه ، ويعجب لضعفه ، وسمع صوتاً آتياً من أغوار نفسه كأنه همس ينبعث من مكان سحيق ، ولكنه بلغ أذنيه واضحاً قوياً ، وانساب فيها عذباً ندياً :

« كل ابن آدم خطّاء . وخير الخطائين التوابون »

فتمتم والدموع تخضب وجهه : « اللهم إنى أستغفرك وأتوب إليك »

هذا عمل فنى رائع لا تصوره تلك المقتطفات بل تشوهه !

وإن المؤلف الشاب ليستطيع أن يلقى بكل أعماله إلى البحر ، ثم يقف بهذا العمل الفنى وحده . فإذا قدر له أن يخرج عشر أقاصيص فقط من هذا الطراز ، فليكن على ثقة أنه سيسلك فى سجل العظماء من رجال الفنون ! ولكن هذا عمل عسير !!!

سيد قطب

إلى إنفاذها قد مرت على بال كل واحد من أصحابي المثين الذين اجتمعوا لتكريم الوالى .

وهكذا كانت هديتنا إليه برميل ماء لا برميل عسل . وقد تركت الهدية فى نفس الوالى بعد ذلك أسوأ الأثر ، وكانت سيرته معنا كما كانت سيرتنا معه من أقبح السير .

وكان هذا أبلغ درس وعيته فى شبابى ، وأدركت مغزاه ، فلم أنسه طول حياتى .

٧ — دولاب الزمن

يتمثل بعض الشعراء ، فيما يتمثلون من أخيلتهم البارعة ؟ أن الزمن بحر ، ونحن راكبوه على سفائن — من أعمارنا — لا تلبث أن تحطمها الأمواج المصطخبة الثائرة . وفى هذا يقول شيخ المعرة :

« ركبنا على الأعمار والدهر لجة فما صبرت للموج تلك السفائن »

ثم يتمثل شاعر آخر أن سفينة الحياة تخيل لرائيها أنها واقفة على حين يجرى بها الزمان ، وفى هذا يقول (مهيار الديلمى) :

وإنا لفى الدنيا كركب سفينة نُظَنُّ وقوفاً والزمان بنا يجرى »

ثم يتمنى شاعر ثالث لو استطاع أن يلقى بمراسى هذه السفينة فى ذلك البحر الزمنى ، لتقف ولو يوما واحداً ، فيقول الشاعر المبدع « لامرتين » فى قصيدته البحيرة وهو من المعانى التى افتن الشعراء فيها وأبدعوا فى صوغها وتصويرها إبداعا :

« هكذا وأبدا ، نظل مدفوعين إلى سواحل جديدة من الحياة فى ليل الأبدية المظلم ، لا رجع ولا عود . فهل يتاح لنا أن نلقى مراسى سفينتنا فوق أوقيانوس الزمن ؟ وهل يقر قرارنا يوما واحدا ؟ »

وقد أبدع البحترى — قبل لامرتين — فى هذا المعنى أى إبداع حين قال :

« ليت أن الأيام قام عليها من إذا ما مضى زمان يعيده »

ومن قبلهما التفت « امرؤ القيس » إلى طول الليل التفاتة فريدة ، فتمثله خياله المبدع الوثاب ، كأنه واقف لا يتحرك ، بعد أن شدت نجومه — إلى جبل يذبُلَ — بأوثق الأسباب ، وأمتن الحبال لتمنع الليل عن الحركة وتعوقه عن الانتقال . فقال فى معلقته الخالدة :

« فيالك من ليل كأن نجومه بكل مغار الفتل شدت بيذبل »

ثم جاء المعرى فمثل لنا العاشق الولهان يود لو استطاع أن يديم ظلام الليل فلا ينتهى ، ويتمنى لو يزيدُ فى سواده سوادَ قلبه وسواد عينه ليطيله قليلا . فقال :

« يود أن ظلام الليل دام له وزيد فيه سواد القلب والبصر »

وقال صَرَّدر :

« يا ليت عمر الفتى يُمَدُّ له ما امتدّ منه الرجاء والأمل »

وقال :

« فليت الفتى كالبدر جدد عمره يعود هلالا كلما فنى الشهر »

ثم جاء « ابن الفارض » فقال :

« يا ليل طل ، يا نوم زل يا صبح قف : لا تطلع »

ولو شئنا أن نتقصى ما قاله الشعراء فى هذا الباب لامتد بنا نفس القول دون أن نبلغ من ذلك مداه . ولكن حسبنا أن نشير إلى قول الشريف الرضى :

« يا ليلة كاد من تقاصرها يعثر فيها العشاء بالسحر »

وقوله :

« ردوا علىّ ليالى التى سلفت لم أنسهن ولا بالعيش من قدم »

وقول مالك بن الريب :

« فليت الغضا لم يقطع الركب عرضه
وليت الغضا ماشى الركاب لياليا »

وقول الشريف أيضاً :

« ولو قال لى الغادون ما أنت مشتهٍ
غداة جزعنا الرمل : قلت أعود » .

يحسبنا هذا القدر على وجازته . وقديماً قالوا :

« حسبك من القلادة ما أحاط العنق » .

فلننتقل إلى الدعابة الجحوية لنرى كيف تعبر فى سذاجة نادرة عن هذه الأعماق والدقائق المنوية ، التى صاغها المبدعون فى دورة الفلك ودولاب الزمن :

يُسْأل جحا وهو صغير :

« أيكما أكبر : أنت أم أخوك ؟ » .

فيقول :

« أخى يكبرني بعام واحد ، فاذا جاء العام القابل تساوينا فى العمر » .

ويُسأل وهو كبير :

« كم سنك يا جحا ؟ » .

فيقول : « أربعون عاما ! » .

فيقول له بعض سامعيه :

« ألم تقل لنا ذلك منذ سبعة أعوام ؟ » .

فيجيب جحا فى غير تلعثم ولا ارتباك :

« وهل يغير الحرُّ كلامه ؟ » .

* * *

فأنت ترى فى القصة الأولى : تدفعه الرغبة المفكرة ، أو التفكير الراغب (Wishful thinkngi) إلى أن يتمثل : أن دولاب الزمن قد وقف بأخيه عاما ليدركه جحا .

فاذا كبر : دفعته الرغبة أن يتمثل قدرته على وقف دورة الفلك عند سن الأربعين لأنه لا يريد أن يتخطى هذه السن أبدا . وحسبه أن يعيش على هذه الأمنية ما دام فى تخيلها سعادته .

ورحم الله الشاعر الذى يقول :

« مُنى إن تكن حقاً تكن أحسن المنى
وإلا فقد عشنا بها زمناً رغدا »

٨ — المرأة والسن

ومن بديع لفتاته حين رأى صديقاً له مكتئباً حزيناً ، فسأله عما يحزنه ، فقال :

« لقد نشب بين زوجى وأختها عراك عنيف لا أدرى كيف ينتهى ، وقد جئت لأستعين بك على فض ذلك النزاع بحكمتك وكياستك » .

فسأله جحا : «أتراهما تشاجرتا لاختلافهما على عمريهما ؟ »

فقال له : « كلا يا صاحبى لم يدر لهما هذا المعنى على بال » .

فقال جحا : « عد إلى بيتك مطمئناً فلن يطول شجارهما يا صاحبى » .

٩ — الإسراف والاعتدال

يقول الشاعر :

« يتمنى المرء فى الصيف الشتا فاذا جاء الشتا أنكرهُ
ليس يَرضَى المرء حالا واحدا قتل الإنسان ما أكفرهُ »

ويستمع صاحبنا جحا إلى رجل يشكو زمهرير الشتاء ويلعن برده القارس ، وينبرى للشاكى أحد المتحذلقين فيسفه على شكواه ، ويقول له : « لقد كنت تشكو فى الصيف الماضى وقدة الحر ، وعنف القيظ ، فمالك تبرم بالشتاء إذا جاء ؟

فيعجز الشاكى وأصحابه عن الإجابة ، ويلتفت جحا التفاتة رائعة . فيقول :

« لقد طالما شكا الناس زمهرير الشتاء ، وقيظ الصيف ، فهل رأيت أحداً يشكو : اعتدال الربيع ؟ » .

وكأنما أوحى بهذه الإجابة البارعة إلى ابن الوردى قوله فى ذم الإسراف والغلو :

بين تبذير وبخلَ رتبة وكلا هذين ، إن زاد قتل

١٠ — مناجاة النفس

ويقولون : إنهم سمعوا جحا يتحدث فى غرفته وليس معه أحد ، وكأنما يحدث شخصاً آخر ؛ فلما فتحوا باب الغرفة ليتعرفوا جلية الأمر وجدوه يحدث نفسه . فسألوه : « كيف تحدث نفسك يا جحا ؟ » .

فقال : « لقد برمت بغباء الناس وضيق عقولهم ، وعجزهم عن فهم الدقائق التى تقصر أفهامهم عن بلوغها . واشتقت إلى محادثة بارع فطن ذكى يفهمنى وأفهمه ، فلم أجد غير نفسى ، فرحت أناجيها وأفضى إليها بدخْلتِى » .

ألا تذكرنا هذه القصة بقول الشاعر الأندلسى المبدع « ابن حمديس » .

« سواى من يعتد من أنسه ما نال من حظ ومن كأسه
وحق مثلى أن يرى خاليا بنفسه يبحث عن نفسه »

* * *

وقد نسبت هذه القصة إلى الساحر المبدع « برنارد شو » كما نسبت إلى جحا من قبله . ولعلها من مختلقات الرواة ؛ فإذا صحت نسبتها إليه أيضاً فهى من توارد الخواطر ، وما أكثر ما تلتقى العقول الكبيرة كما التقت عقول جحا وبرنارد شو وابن خفاجة الأندلسى .

كامل كيلانى

الأدب في سير أعلامه :

ملتن ...

[القيثارة الخالدة التي غنت أروع أناشيد الجمال والحرية والجمال ...]

للأستاذ محمود الخفيف

— ٩ —

أشعاره في هورتون :

وكانت قصيدة ملتن الثالثة في هورتون هي الغنائية المسرحية أركادس ، وهي في الواقع نبذة من غنائية مسرحية فهي لا تعدو مائتي سطر ، ويمكن أن نعدها قصيدة مدح لولا هذه الصورة المسرحية التي وضعها فيها الشاعر .

نظم ملتن هذه الغنائية الصغيرة سنة ١٦٣٣ تكريما لسيدة عظيمة علت بها السن هي كونتس سلسبرى ؛ وقد مثلها بين يديها أحفادها وهم أبناء إيرل بردجووتر وابنته ؛ ووضع ألحانها رجل من أشهر ملحني العصر جميعا هو لو وكان صديقا حميا لملتن ، ما ذهب ملتن إلى لندن مرة إلا قضى عنده ساعات يستمتع بموسيقاه ، وكان ملتن يقدره حق قدره ويعجب بألحانه إعجابه هو بشعر صديقه الشاعر . وتبدأ المسرحية بأغنية صغيرة مدح للكونتس يتقدم بها منشدون بين يديها أحفادها من بنين وبنات في ملابس ريفية ، ويبلغ ملتن في هذه الأغنية أعلى درجات الإجادة والإمتاع ؛ فثمة ألفاظ حلوة ولحن بديع ومعان جليلة تكافئ مقام السيدة التي يمتدحها . وبينما يتقدم المنشدون والمنشدات بين يدي السيدة يظهر جني الغابة فيتجه نحوهم ويوجه إليهم الحديث ممتدحا السيدة في شعر من النسق العالي بالغ الروعة والسحر ؛ ويختم الجني حديثه بأغنيتين إحداهما موجهة إليهم ، والأخرى موجهة للقرويين والرعاة جميعا ، وفيها يثني الجني على السيدة ويتغنى بمجدها وأنعمها .

***

وفي سنة ١٦٣٤ نظم ملتن قصيدته الرابعة في هورتون فقد طلب لو إلى صديقه الشاعر نظم غنائية مسرحية أخرى لتكريم إيرل بردجووتر بمناسبة ولايته المنصب الرفيع الذي كان قد رقي إليه منذ ثلاث سنوات وهو منصب الرئيس اللورد لمجلس مقاطعة ويلز وذهابه ليقيم في قلعة لادلو . ولقد أقيمت الحفلات للورد في جهات كثيرة وبالغ عشيرته وأصدقاؤه في تكريمه ، ومن هؤلاء لو الملحن النابغة ، وكان لو أستاذ الموسيقى لابني اللورد وابنته ، ولم يقتصر على تلحين الأغاني في هذه الغنائية المسرحية ، بل اشترك كذلك في تمثيلها ...

وكانت أليس ابنة اللورد وهي فتاة ناهد في نحو الخامسة عشرة من عمرها ، وأخواها وهما دونها في العمر أهم الشخصيات في تمثيل هذه الغنائية .

تخيل الشاعر سيدة تاهت في مسالك الغابة وأحراجها وهي في طريقها وأخويها إلى قلعة أبيها ، وظلت تبحث عبثا عن أخويها وظلا يبحثان عنها في غير جدوى ، وتمثل لها كومس الجني الشهواني الساحر في زي أحد القرويين ، وتظاهر أنه يهديها السبيل ، ثم إذا هو غوي مبين أخذ يحتال عليها ويراودها عن نفسها فاستعصمت ، ولكنه دأب في غوايته حتى حضر أخواها فتغلبا على كومس وقبيله إلا أنهما ألفيا أختهما لا تستطيع التحرك بما صنع بها سحر كومس فأخذتهما الحيرة ، ولم يخرجهما من ورطتهما إلا سابرينا إحدى العذارى الخرافية التي أبطلت سحر كومس وهي من خلق ملتن ؛ وتنطلق الفتاة وأخواها بعد ذلك

إلى القلمة ، وكان يحمى الفتاة ويعصمها من الزلل من البداية حتى النهاية من عالم الأرواح روح ساهر عليها يتنكر فى زى أحد الرعاة ، وكان لهذا الروح فضل عظيم فى القضاء على كومسى ، وبعد انتصاره انطلق إلى عالمه الذى هبط منه .

هذا هو موضوع الغنائية ، ولقد تأثر ملتن فى بناء هذا الموضوع على هذه الصورة بما قر فى خاطره من قراءاته المتنوعة الواسعة ، فالشبه عظيم بين غنائيته فى بنائها وبين « قصة الزوجات العجائز » لبيل ، وملخص هذه القصة أن سيدة حملت من تسالى إلى بريتن بسحر ساحر لعين يسمى ساكربنت تعلم من أمه ميرو وهى ساحرة شهيرة كيف يغير صور الناس ، وتبقى السيدة فى بريتن مسحورة عن نفسها تنسى ذاتها كما تنسى أصدقاءها ، ويبحث عنها إخوتها فيرد عليهم صدى يتبعونه حتى يقعوا فى يد ساكربنت فيسحرهم ويسخرهم فى أداء أعمال حقيرة . وينجى السيدة حبيبها بعد ذلك وقد اطلع على سر ساكربنت على يد عفريت رجل فقير كان قد صاحبه . ويموت الساحر ولكن تبقى السيدة مسحورة ولن يفك السحر عنها حتى يحطم وعاء زجاجى له بيد أنثى لا هى عذراء ولا زوجة ولا أرملة ، وينطفىء بتحطيمه ضوء كان يلقيه ، وبعد لأى توجد الأنثى المطلوبة فيحطم الوعاء وينطفىء الضوء ، وتنطلق السيدة المسحورة وغيرها من فرائس الساحر ...

وثمة شبه كذلك بين غنائية ملتن ومسرحية جون فلتشر « الراعية الوفية » وهى مسرحية ريفية كتبها صاحبها سنة ١٦١٠ وأعاد نشرها سنة ١٦٣٤ وهى السنة التى كتب فيها ملتن غنائيته. ومن هذه المسرحية أخذ ملتن فكرة انتصار العفة فى النهاية كما أخذ فكرة الروح الحارس الذى يحمى العذراء . فنى المسرحية سيدة كانت عفتها فى خطر لولا هذا الروح الحامى . وفى مسرحية فلتشر يبرز إله النهر فينجى العذراء كما تنجى سابرينا عذراء غنائية ملتن . ويستعمل فى كومسى نبات لشفاء الجروح كما يستعمل نبات غيره فى الراعية الوفية ، وفوق ذلك تنطوى غنائية ملتن على فقرات لها أشباه فى المعنى والفكرة فى مسرحية فلتشر .

أما شخصية كومسى الذى سميت باسمه الغنائية ، فهى من ابتكار ملتن فقد جعل لكومسي أبوين من الميثولوجيا ، فأما أبوه فهو باخوس إله الخمر ، وأما أمه فهى سيرس الساحرة التى كانت تحيل من يشرب سائلا لها إلى حيوان ، وعلى ذلك فقد جمع كومسى بين المرح والعربدة ورثهما عن أبيه ، وبين السحر ورثه عن أمه ، وامتاز كومسى عن أمه بأنه لا يحيل أشكال الناس إلى حيوانات فحسب ، ولكنه يغير عقولهم حسبما يشاء فيوحى إليهم ما فى نفسه من شهوة وفسوق .

وتعج غنائية ملتن بتلميحات مأخوذة كلها من ميثولوجيا الأغريق والرومان ، كما أن فيها ألفاظا وعبارات وصفات تشبه نظائرها فى شعر من سبقه من شعراء قومه ، وعلى الأخص سبنسر وشكسبير .

أما فلسفة ملتن فى الغنائية ، فمشتقة من فلسفة أفلاطون وآرائه فى الفضيلة . وقد تعمق ملتن دراسة هذه الفلسفة وأحبها حباً شديداً ، إذ صادفت هوى فى نفسه ، وقد كانت نفسه حريصة على العفة كوسيلة إلى السمو الروحى والبيانى .

ولكن على الرغم من هذا كله نجد الغنائية فى جملتها وعليها طابع ملتن ، فهى ملتنية الروح واللفظ والأسلوب والموسيقى والفلسفة ، وفيها سمات عبقريته وشواهد قوته ، بحيث لا يمكن ردها إلا إليه كما ترد آثار فحول الشعراء إليهم بمجرد سماعها ، ولو لم يذكر أول الأمر أنها لهم ، فنى أماراتها وخصائصها وروحها ما يشير إليهم إشارة تغنى عن ذكر الإسم ، وتلك ميزة يختص بها هؤلاء الفحول ، فالشاعر منهم أصدق أصالة وأبرز فناً من أن يضيع فى غيره ، وتلك الميزة هى مقياس فحولته ، إذ لولاها لكان كغيره من سائر الناس ، ومن هؤلاء الفحول الأفذاذ « ملتن » صاحب هذه الغنائية يومئذ وصاحب الآية الكبرى يوم يعلى الفردوس المفقود ...

مثلت أليس ابنة اللورد السيدة التى ضلت فى الغابة ، ومثل أخواها دور الأخوين ، أما اللحن (لو) فقد أخذ دور الروح الحارس ، ومثل أحد الشبان دور كومسى ، كما مثلت إحدى الفتيات دور سابرينا ، وهؤلاء هم أشخاص الغنائية جميعاً ، فهى كما ترى نوع من المسرحيات القليلة الحوادث والأشخاص تعنى بالموسيقى والشعر وتقوم فيها الأرواح والأشباح إلى جانب الناس .

تبدأ الغنائية بمنظر يمثل غابة وحشية ، ثم يظهر على المسرح

أو يهبط عليه الروح الحارس ، فيتكلم فى شعر رقيق بليغ عن موطنه ورهطه فى عالم السماوات ، ويشير إلى دنيا الناس وما فيها من آثام بقوله : «هذه البقعة المظلمة التى يسميها الناس الأرض» وينعى على الناس حياتهم المضطربة وغفلتهم عما تهيئه لهم الفضيلة بعد ارتحالهم من عالم الفناء ، ولكنه يغتبط بأن بين الناس قلة يطمحون إلى وضع أيديهم على ذلك المفتاح الذهبى الذى يفتح لهم قصر الخلود ؛ ولهذه القلة مهبطه ومن أجلها رسالته ، ثم يشير إلى اللورد بأنه من أنصاف الآلهة الذين يحكمون فى الجزر مستمدين سلطانهم من نبتيون إله الماء ، ويمتدح خصاله ويتحدث عن ابنيه وبنته وعن مسيرهم فى الغابة ، وأنه أرسل من قبل جوف كبير الآلهة ليحميهم فى ظلمات الغابة ، ومم يحميهم ؟ هكذا يتساءل ليسترعى الأسماع ، ثم يقول : إنه سوف يقص ما لم يرد مثله فى شعر ولا فى قصص ، فى كوخ كان ذلك أو فى قصر . ثم يذكر فى إثر ذلك كومس ومولده وما ورثه عن أبيه وعن أمه ، وما هو فى مقدوره من السحر ، فيصور للأذهان صورة عجيبة حقاً ، ويشوقها إلى ما عسى أن يقع على يد كومس ، ولكن جوف يكف شره عمن يرعاهم من الناس ، ولذلك أرسل هذا الروح فى مثل لمحة النجم ليحمى هؤلاء المدلجين ، فليتنكر فى زى شخص يعرفونه ، وليكن هذا الشخص هو أستاذ الموسيق ، وهنا يثنى الروح أعظم الثناء على فنه ووفائه ؛ ثم يرهف سمعه ويقول : إنه يسمع خطوات بغيضة تقترب ، فعليه أن يختفى ؛ وبهذه الوسيلة يعبر ملتن عما يريد أن يقول عن اللورد وعن صديقه الموسيقى على لسان ذلك الروح فى فيض من الشعر المرسل الرصين الرائع الذى يملك الأنفس عذوبة جرس وحلاوة معنى ، والخيال الساحر البارع الذى يذهل السامعين عن أنفسهم وعن عالمهم برهة ..

ويظهر كومس فى المنظر الثانى وفى إحدى يديه عصاه السحرية وفى الأخرى زجاجته ، وفى إثره يمشى قبيله تمثل رؤوسهم أغاطاً من الوحوش ، ولكن أجسامهم آدمية ، ومنهم الذكور ومنهم الأناث ، ويلبسون جميعاً ملابس براقة ، ويقبلون فى زياط وجلبة يتواثبون ويتراقصون وفى أيديهم المشاعل ، وتسكن ضوضاؤهم بعد برهة ، ويتكلم كومس وقد سكتوا ، فيصف مولد الليل ، ويجرى الشاعر على لسانه وصفاً رائعاً لمغرب الشمس فى شعر مقفى جميل اللحن ، فالنجم الذى يوحى إلى الرعاة موعد العودة بقطعانهم يتخذ سمته فى السماء ، وعجلة النهار الذهبية تبرد فى ماء الأطلنطى ، والشمس على الأفق الغربى تطلق آخر شعاع لها صوب القبة قد تنشاها الطَّفَلْ ، ثم تهبط متخذة طريقها إلى غرفتها الشرقية فى الجهة الأخرى ...

ويدعو كومس قبيله بعد هذا الوصف إلى اللعب واللهو تحت أستار الظلام ، ويصف ما عسى أن يجرى فى الليل من صور المرح ، ويشير إلى الناس وكيف يغطون فى نومهم ومعهم مواعظهم ونظراتهم وحكمهم فهم من الطين ؛ ولكن كومس وقبيله من النار فهم لذلك أكثر خفة وانطلاقا ، والليل كفيل أن يغطى لهوهم ولعبهم ، ومادام الصباح الذى يكشف نوره العيوب لا يزال بعيداً ، فهلم إلى اللهو والزياط والمجون ؛ ويدعو كومس أتباعه أن يمسك كل منهم بيد صاحبه ثم ليضربوا الأرض بأقدامهم راقصين ... ويأخذ هؤلاء فى رقصهم لاهين عابثين ، ولكن كومس لا يلبث أن يدعوهم إلى السكون ثم الاختفاء ، فانه يسمع أقداما قريبة وينبئه سحره أنها عذراء ضلت فى متاهات الغابة ، ويتحدث فرحا عما يعده لها من السحر ويصف كيف يحتال عليها وكيف يتنكر لها فى زى فلاح تأخر به سعيه من أجل عيشه عن العودة إلى كنه حتى هذه الساعة ، ثم يعلن إلى قبيله أنه سوف يسمع ماذا تقول العذراء .

وتتقدم السيدة فتظهر على المسرح ، وتحدث نفسها قائلة إنها سمعت لتوها جلبة وأصوات مرح وغناء ومزمارا كمزامير الرعاة والفلاحين ، وتقول إنها توجس خيفة من عبث هؤلاء وتوقحهم ، ولكن ماذا عساها تصنع ، وإلى أى طريق فى متاهات الغابة تلوى وجهها عما تحذر ؛ وتذكر أخويها قائلة بأنهما تركاها لتستريح وقد بلغ بها الجهد وذهبا ليحضرا لها شيئاً يمسك صلبها من ثمار الغابة وماتظن أنهما قد ضلا ، وقد سرقهما الظلام منها . ثم تلتفت حولها وتقول إنها تظن أن هذا هو المكان الذى كان ينبعث منه الغناء والمرح ، ولكنها لا تجد إلا الظلام وحده ، وتهجس فى نفسها المخاوف فكأنها تسمع أصوات رجال ينادونها وترى أشباحا تهتف بها وتتخيل ألسنة هوائية تنطلق بأسماء رجال ، وهذه أشياء كفيلة بأن تلقى الخوف فى النفوس ولكنها لا تزعزع

فلسطينيات :

قصـــــة فتاة ...!

للأستاذ نجاتى صدقى

قيل لى إن فى الدار فتاة تحمل رسالة إلى، وتود مقابلتى... فتوجهت إليها، فوجدت نفسى أمام فتاة فى العشرين من عمرها، مكتنزة الجسم، «مبتسمة» العينين، وشعرها أسود كثيف، ووجهها لا يحمل المساحيق، فهو بطبيعته ناصع البياض، وخدّاها وردّيان يعلوهما القليل من البُثر، المعروف بين الناس بـ (حَبّ الصِّبا)، وقد عصبت رأسها بمنديل حريرى ملوّن، ولبست ثوبا قصيراً، وكانت ساقاها عاريتين، وتحتذى حذاء صيفياً.

دعوت الفتاة إلى غرفة ربة البيت... وبعد أن تبادلنا التحية ناولتنى رسالة ففضضتها، فكانت من صديق محام يقول فيها:

«أخى العزيز...

... وحاملة هذه الرسالة هى الآنسة حمى أيَّان من مرجان الجليل، وهى فتاة تحب الغناء، وأعتقد أن لها صوتاً جيداً، فهل لك أن تساعدها فى إبراز مواهبها...؟

خذ بيدها، ولك عند الله الأجر والثواب» (....)

ودار بينى وبين الفتاة الحوار التالى:

— ألك أهل فى هذا البلد؟

— كلا... وهذا أول عهدى بالمدينة...!

— وكيف تأتين بمفردك إلى مدينة ليس لك فيها أهل تلجئين إليهم؟...

— سأعود اليوم إلى بلدى بعد أن آخذ ردك.

— غير أن ما تطمحين إليه لا يأتيك على وجه السرعة، يجب أن تنتظرى بعض الوقت.

سأنتظر إذا ما رأيت فى الأفق بارقة أمل...

— وكيف تؤمنين معيشتك إلى أن تبلغى مأربك؟...

— أقوم بأى عمل كان... خادمة فى بيت... أو ممرضة فى مستشفى.

— وأهلك؟

وما يهمنى أهلى!... أريد أن أكون فنانة... إن صوتاً يهمس فى أذنى دائماً: قومى أيتها الفتاة، واطرقى أبواب الاستديوهات، والاذاعات، والفرق الموسيقية. إنك ستكونين مطربة كبيرة، أو ممثلة بارعة... مارسى الآن الفن فى هذا البلد الصغير، ومتى بزغ نجمك فارحلى إلى مصر التى تقـــدر المواهب والعبقريات...

— وهل تحملين رسالة إلى أحد غيرى فى هذه المدينة؟

— أجل أحمل رسالة إلى حميد افندى صَبَّاره مدير ستوديو الزهرة للتمثيل السينمائى...

— عجباً... إننى أدرى بهذه المدينة ومؤسساتها الفنية، ولكنى لم أسمع قط بأن فيها ستوديو للتمثيل السينمائى!...

— كيف لا... وقد تلقيت من هذا الاستوديو لائحة التوظيف وطُلب منى تعبئتها، ثم دُعيت للحضور إلى المدينة، كى نشرع بالمفاوضة... وإليك صورة من تلك اللائحة إن كنت تود الاطلاع عليها...

عقلا يستمسك بالفضيلة ويمشى أينما اتجه فى حمى حارس قوىّ هو الضمير، وتلوذ السيدة بالأيمان ذى العين البريئة وبالأمل ذى اليد البيضاء، وبالعفة الملك ذى الجناحين الذهبيين الذى لا يقهر، وتعوذ بهؤلاء أن يدرأوا الأذى عن حياتها وعن شرفها.

ثم تغنى العذراء أنشودة جميلة توجهها إلى إكو[1] تسألها عن أخويها قائلة «إيه يا إكو الحلوة يا أجمل عذراء، أنت يا من تعيشين خافية فى قوقعتك الهوائية. يا من يطيب لك أغنية البلبل الحزينة يرفعها إليك متوجداً فى لياليه على ضفة ميندر[2] الخضراء وفى واديه الموشى بالبنفسج؛ أيتها العذراء ألا تدليننى على اثنين جميلين أشبه ما يكونان بفتاك نرجس؟ أو إذا كنت أخفيتهما فى كهف من كهوف الزهر فدلينى عليهما يا ملكة الرَّجْع ويا ابنة قبة السماء، ولئن فعلت لأدعون لك أن تبلغى السماوات فتكونى هناك الصدى الجميل الرشيق لكل ألحان الجنة».

(يتبع) الخفيف

(١) إحدى عذارى الجبل فى الميثولوجيا الأغريقية أحبت شاباً جميلا اسمه نرجس أو قد ذابت توجداً عليه حتى لم تعد إلا صوتاً. ومن هـذا الاسم كلمة Echo الانجليزية ومعناها الصدى.

(٢) نهر فى آسيا الصغرى شهير بالتواءاته الكثيرة.

وقرأت فيها :

« حضرة الآنسة سلمى ليان المحترمة .

تحية وسلاما ،وبعد ، تلقينا كتابك الذى تطلبين فيه الانضمام إلى ستوديو الزهرة للتمثيل السينمائى ... ويسرنا أن نحيطك علماً بأن الهيئة الإدارية للستوديو نظرت فى طلبك ، ورأت قبل مفاوضتك أن تتلقى منك أجوبة على الأسئلة التالية : هل تحبين الرياضة ؟ ... أتركبين الخيل ؟ ... أتسوقين السيارة ؟ ... أتسبحين ؟ وأى نوع من الرقص تحسنين : الشرقى أم الغربى ؟ ... وهل أنت اجتماعية فى حياتك العامة ؟ ... أتعزفين على آلة ما ؟ ... أتحبين الغناء ؟ ... وإن كنت تغنين فهل صوتك من درجة سوبرانو أم آلتو ؟ ... وإلى أى ناحية من المطالعة تميلين ... الرواية — القصة — الشعر ؟ ...

نرجو إعادة هذه اللائحة بعد الإجابة على ما جاء فيها من أسئلة ، مرفقة بثلاث صور لك فى أوضاع مختلفة ، الأولى نصفية تتطلعين فيها بكامل وجهك ... والثانية تمثل جانب وجهك ... والثالثة تبين هيكلك بأجمعه ... ونأمل أن تأتى هذه الصور بعيدة عن التكلف ، ومشبعة بالروح الرياضية .

وتفضلى بقبول الخ ... إدارة ستوديو الزهرة للتمثيل السينمائى

ثم تابعت الفتاة حديثها قائلة : وذهبت فى ذلك اليوم إلى ستوديو الزهرة فوجدته غرفة صغيرة تحتوى على طاولة ، وتلفون وملفات ، وأربعة كراسى ، ومتكأ ، وصور لجميع ممثلى هوليود ، وكان حميد افندى منهمكا فى دراسة بعض الأوراق يدخن ويشرب القهوة ... ولما عرفته بنفسى ، ورأى أمارات الدهشة بادية على محياى اضطرب وقال : المعذرة أيتها الآنسة ، إننا نشغل هذه الغرفة مؤقتاً الآن إلى أن يتم بناء الستوديوهات ... نرجو ألا يزعجك ذلك ... فالفنانة يا آنستى لا تعير مثل هذه التوافه اهتماماً ... الأيام أمامنا ، وكل شىء مع الصبر جميل ... أتعرفين كيف بدأ ستوديو مصر عمله ؟ ... لقد كانت حالة مؤسسيه مثل حالتنا تماماً ، استأجروا فى بادىء الأمر غرفة فى شارع كلوت بك ، ثم نهضوا شيئاً فشيئاً إلى أن بلغوا درجة الكمال . تصورى أن الممثل السينمائى استهل حياته فى ستوديو مصر بعشرة جنيهات فى الشهر ، وهو يتقاضى اليوم خمسة عشر ألف جنيه لاشتراكه فى فيلم من الأفلام ... التضحية يا آنستى هى مفتاح النجاح والسعادة ...

هيَّا ضعى يدك فى أيدينا ، وقولى توكلت على الله . نحن عشاق فن مثلك ، ومبتدئون ، تشجعى واعملى معنا ... لا تحملى المال رائدك الآن . وثقى بأنه سيأتى عليك يوم تولجين فيه أبواب السعادة والهناء ، وسننشر صيتك فى كل أقطار العرب ، وسيصير لك معجبون ، وسترد لك الرسائل من كل حدب وصوب تحمل لك عبارات الثناء والإطراء ، والكل يطلب رسمك أو توقيعك ، وأنت لا تبخلين عليهم بذلك مطلقاً ... وإذا ما خرجت بسيارتك وقف الناس على جانبى الطريق يهتفون لك وأنت توزعين عليهم الابتسامات ذات اليمين وذات الشمال !

هيا يا فتاتى شمّرى الردن عن ساعد الفن ! ... أما شروط الإتفاق فستكون مدار حديثنا هذا المساء على مائدة العشاء .

وتركت حمدى أفندى على أن أعود إليه ...

قلت لسلمى : أيتها الفتاة ، احذرى المدينة ، ولا تغرنك مظاهرها ، فهى أشبه بالمستنقع الذى تنمو على سطحه الحشائش الطرية الرقيقة ، وأزاهير الليْنوفر والأقحوان ، فيظنها الإنسان مرتعاً من مراتع أمنا الطبيعة ، فينطرح عليها طالباً متعة النفس وراحة الجسم ، فاذا بالأزاهير تغوص ، وبالحشائش تزول ، ويظهر مكانها حمأ أسود تنبعث منه رائحة المياه الآسنة ، وهيهات للانسان أن ينجو من براثنه ، فهو كلما حاول الافلات من الحمأ تشبث به وامتصه قليلا فقليلا حتى يختنق تماماً .

قالت الفتاة : إننى لا أفقه شيئاً مما تقول ، جئت المدينة لأكون ممثلة أو مطربة وأنت تحدثنى عن المستنقعات ! ... أتشك فى حسن صوتى . أأغنى لك (أيها الراقدون) أم (أضحى التنائى) !

قلت : ما هذا الذى تقولينه أيتها الفتاة ؟ ... نحن لم نعتد أن نرى فتياتنا يتركن بيوتهن ليطرقن دور الفن ، فالمطربة عندنا تكتشف صدفة أن صوتها جميل ... هلا أطلعتنى على حقيقة أمرك ؟ ... أفصحى القول ، واسردى علىَّ قصتك ...

ارتبكت سلمى ، وامتقع وجهها ، وطأطأت رأسها قليلا ، وروت لى مأساتها ، ومفاد هذه المأساة أن قلبها مال إلى شاب من شباب الحى لكن أهلها منعوها من الاتصال به ، وهددوها

نظرات فلسفية :

« الذات » ... !

الأستاذ زكريا ابراهيم

أجل « الذات » ! صاحبة الجلالة « الذات » ! حولها تدور كل موضوعات الفلسفة ، ونحوها يتجه كل بحث إنسانى . هى المركز فى دائرة الوجود ، وهى المحور فى كرة الإنسان ! غفل عنها الفلاسفة حيناً ، ثم اهتدوا إليها ، فاهتدوا إلى نفوسهم ، ومنذ ذلك الحين أصبحت هى نقطة البدء ونقطة الانتهاء .

أىّ موضوع لم يتطرّق إليه شك المفكرين ، وأية حقيقة لم ترْقَ إليها شُبهات الفلاسفة ؟ لقد امتدّوا بشكّهم إلى كل موضوع ، ونشروا شُبُهاتهم حول كل حقيقة ؛ أما «الذات» فقد بقيت دون متناول الشك ، وفوق كل شبهة ! أستغفر الله ، بل « ذاتى » هى وحدها التى لا سبيل لى إلى أن أشكّ فيها ، لأن بينى وبينك هوّة لا يمكن عبورها ! فكل منا عالم مُغْلق على ذاته ، وذاتك نفسها هى بالنسبة إلىّ « موضوع » كسائر الموضوعات الخارجية ! أما الوجود فلا علم لى به إلا عن طريق شعورى الخاص ؛ وهذا الشعور هو الحقيقة الوحيدة المباشرة التى يمكن أن تدركها « الذات » . فالذات هى كل شىء بالنسبة إلى صاحبها ، وكل حقيقة لا بدّ أن تكون موسومة بطابعها .

إننا لا نتلق الحقائق التى نؤمن بها من الخارج ، بل نصنعها فى الأعماق الباطنة من نفوسنا . وكل حقيقة لا تنبثق من ثنايا النفس ، لا بد أن تكون زائفة مموّهة . فالحقيقة من شأنها دائما أن تكون « ذاتية » ؛ وحتى إذا لم تنبع الحقيقة من أبعد أغوار النفس ، فإنها لا بد أن تمرّ على « الرقيب » الذى يطبعها بالطابع الذاتى الخاص ! ولعلّ هذا هو المعنى الذى قصد إليه جيته حين قال : « إنّ ما ورثته عن آبائك وأجدادك ، لابدّ لك أن تحصّله بنفسك حتى يصبح مِلكا لك » . فالإنسان لا يفهم تماما إلا ما فكر فيه بنفسه ، وهو لا يؤمن إيمانا قويا إلا بما هداه إليه عقله . أما ما قاله الآخرون ، أو ما رُوِىَ عن السابقين ،

بالضرب والقتل إن هى حاولت التحدث إليه ، ودعوها مرة لتقدم القهوة إلى ضيوف أبيها ، وإذا بالضيوف أطباء جاءوا ليفحصوها ، ولما تبين لأهلها أنها عذراء زوجوها من ابن عمها الذى تكرهه ، وكان عاجزاً فى حياته الجنسية ، والتحق بالجيش بعد شهر من زواجه ، فأحبت الفتاة أن تنفصل عنه ، وقدّمت شكواها إلى المحكمة الكنسية ، فحولت هذه أوراق القضية إلى روما ، وانقضت ثلاث سنوات والفتاة تنتظر النتيجة ، فكانت مقيدة بزوج لا تشعر بكيانه ، وكان أهلها يدفعونها إلى الخدمة فى البيوت لتعول نفسها ، وكانوا يهينونها ، ويسمعونها لاذع الكلام ، فضاقت ذرعاً بهذه الحياة ، وعقدت النية على أن تفر إلى المدينة لتمتهن التمثيل علّها تأخذ فيه دور المآسى ! ... ولتحترف الغناء علّها تبث فيه ما فى نفسها من لوعة وألم ! ...

استمعتُ إلى مأساة سلمى ، ثم أقنعتها بضرورة العودة إلى ذويها ... وبعد مضى سنة علمت أنها فرّت ثانية من بيت أبيها ، وأحبت شابا مسلما وسألته أن يتزوجها .

فقال لها — لكننى أريدك أن تعتنقى الدين الإسلامى ؟

قالت — أسلمت ! ...

قال — ولا أريدك أن تكونى سافرة .

قالت — سأتشح بالسواد من أجلك ...

قال — ولا أريدك أن تخرجى من البيت .

قالت — لن أخرج من البيت إلا إلى مثواى الأخير ! ...

وأعلنت إسلامها فى الجريدة الرسمية ، وانزوت فى بيتها الجديد ... فقد مثّلت دورها ... وغنّت أغنيتها ، ولا ينغص عليها حياتها إلا أهلها الأولون الذين يحاولون عبثاً الوصول إليها فجاءها شقيقها مرة كبائع زيت ... وجاءها عمها كبائع أقمشة متجول ... وجاءتها شقيقتها كبائعة زهور ... وآخر من جاءها أبوها فكان يقرع باب الدار قرعا عنيفاً ويصرخ قائلا : سلمى سلمى ... أبشرى يا ابنتى ... أبشرى ... لقد جاءك الطلاق من روما ! ...

نجاتى صدقى

فهذا ما لا يمكن أن يفهمه المرء جيداً ، إلا إذا دلّته عليه نفسه ، وأثبته له عقله . فكل حقيقة مهما كان من انتشارها وسيادتها ، لا بد أن تهبط إلى الأغوار السحيقة التي تصنع فيها الحقائق ، حتى تتلقى من « الذات » اعترافا بصحتها ، وإقراراً بصدقها . ولهذا فان كل إيمان لا بد أن يكون « فردياً » حتى يكون إيماناً حقيقياً ...

ولكن ، هل جاءت قيمة « الذات » من أنها صانعة « الحقيقة » فحسب ؟ كلا ، بل هي أيضاً خالقة « الشخصية » . ففي أبعد أغوار الذات ، تكمن قوى الفرد التي تحدد شخصيته وتعيّن سلوكه في الحياة . وهذه القوى الكامنة التي لا تظهر بوضوح في «الطبقة السطحية» من الذات ، بل تنتشر في المسارب الخفية منها ، مكوّنة وجودها الفرديّ الخاص بمعناه الحقيقي .

وكثيراً ما تكون هذه القوى الكامنة التي تكوّن جوهر الذات مجهولة لدينا ، فتجيء أفعالنا مفاجئة للآخرين . وقد نزعم أن إمكانياتنا قد استوعبت واستهلكت ، فاذا بنا نجد أن من الممكن أن ينبثق من أعماق نفوسنا شيء جديد . ولهذا فإن من الخطأ البالغ أن نحكم على نفوسنا بأنها ليست أهلا لهذا العمل أو ذاك ، لأن التجربة كثيراً ما تظهرنا على أن في استطاعتنا أن نعمل ما كنا نعتقد أن ليس لنا عليه يدان !

وليست الحياة الفردية سوى تحقيق مستمر لكل القيم المتضمّنة على شكل قوى أو إمكانيات في ثنايا الذات . وتحويل القوة إلى فعل هو جوهر الحياة الإنسانية ومعناها الأوحد . وهذا التوتر الذي يوجد بين ما حُقّق ، وما لا بد أن يُحقّق ، هو القوة المحرّكة الأولى في الحياة الإنسانية . فإذا حقق إنسان كل ما لديه من قوى مدخرة ، وإمكانيات كامنة في أعماق نفسه بحيث لم تعد لديه قوة جديدة يمكن أن يحققها ، فلا بدّ أن تصل حياته إلى نهايتها ؛ لأن ذاته أقفرت ، وإقفار الذات معناه الموت.

ولكن ما دام المرء حياً ، فلن يكون في وسع أحد أن يقول عنه ، ولن يكون في وسعه هو أن يقول عن نفسه ، إن شيئاً جديداً لا يمكن أن يُنتظر منه ! فطالما كانت الذات حيّة خصبة ، كان لا بد لها أن تزهر ! وقد تعرض للذات أحداث بسيطة ، فتكون مدعاة لظهور أمور جديدة ، أو إيقاظ أفكار كامنة ، أو تولّد معان لم تكن منتظرة !

أجل ! إنها الذات ! والذات عالم يعجّ بالأفكار والمعاني ؛ ومن أعماق هذا العالم الصاخب تنبثق الأفكار العظيمة ، والمعاني الجليلة ! فهل من حرج على الفلاسفة إذا لخصوا رسالتهم في عبارة موجزة ، فقالوا على لسان شيخهم سقراط : « أيها الإنسان : اعرف نفسك » ! ؟

إن « الذات » هي الحقيقة الأولى والأخيرة ، فليس بدْعاً أن تؤكد الذات نفسها بكل قوة على لسان شوبنهور قائلة : « إن العالم من تصوّري » وهل يقوم للعالم الخارجي وجود بدون الذات المفكرة ، التي تخلع عليه معنى من عندها ؟. إنها الذات وكفى !

(مصر الجديدة) **زكريا إبراهيم**

مدرس الفلسفة بالمدارس الثانوية

طنجة والنظام الدولى

ضرورة تقريره وحدة مراكش واستقلالها في المؤتمر الدولى القادم

للأديب عبد المجيد بن جلون

تقع مدينة طنجة عند المدخل الغربى للبحر الأبيض المتوسط وهى مدينة جميلة خضعت لمؤثرات غريبة وحكم عليها موقعها الجغرافى بأن تنفرد عن أمها مراكش بالنظام الدولى .

ولسنا نريد أن نتحدث هنا عن النظم المطبقة فيها بقدر ما نريد أن نلفت النظر إلى ما لهذا النظام من أثر سيء فى حياة المراكشيين الذين يقطنونها .

وأول ما يلاحظ هو أن المدينة أصبحت وكراً من أوكار الجاسوسية فى العالم ، ففيها تلتقى أجناس مختلفة لا حصر لها ، تفد إليها من الشرق والغرب ، وبذلك تلتقى فيها الأخبار ويسهل إذاعتها والتقاطها ، ولكل من الشيوعية والفاشية والديمقراطية فيها عيون ساهرة أو أفواه ناطقة . وقد كان لوجود هذا المزيج البشرى الغريب تأثير عميق على أحوال المدينة العامة ، فانتشرت المراقص والحانات وأمكنة المقامرة ونقل إليها هؤلاء الوافدون عليها — وهم من طبقات منحطة فى الغالب — كل ما يوجد فى العالم من موبقات .

ثم إن هؤلاء الوافدين عليها قد تجاهلوا أن هناك غيرهم فى المدينة مع أن عدد المراكشيين ينيف على مئة ألف يشتط الأجانب فى اغتصاب حقوقهم من الإدارة الدولية ، ولما كانت هذه الإدارة تتأثر بعوامل مغرضة ، ولما كان الفرنسيون والأسبانيون يخشون من أن يستفيد المراكشيون من الأنظمة الحرة التى يعمل الأجانب على استصدارها ، فقد استطاعوا أن يصلوا إلى غاياتهم بالتفريق بين التشريعات الخاصة بالأجانب والتشريعات الخاصة بالوطنيين ؛ وبذلك صدرت قوانين استثنائية لحق الأهالى منها ضرر بليغ .

صحيح أن جلالة ملك مراكش المثل بواسطة مندوب هو السلطة التشريعية العليا للمدينة ، وأن كل ما يخصها يصدر بمراسيم ملكية ، ولكن كل هذا من الناحية الشكلية فقط ، أما الحقيقة الواقعة فهى أن حق الاعتراض الذى يتمتع به أعضاء مجلسها قد أفقد المراكشيين كل سلطان ؛ وبينما يدفع الأهالى الوطنيون ٩٠ ٪ من ضرائب المدينة ، إذا بالأجانب يتمتعون بالمدارس الخاصة والقوانين الاستثنائية والامتيازات المجحفة ، أى إن الأجانب يعيشون فيها على حساب المراكشيين .

ولما كانت لبعض الدول الممثلة فى المجلس أغراض معينة تعمل على تحقيقها ، ولما كانت هذه الأغراض المعينة تتضارب فى بعض الأحيان ، ولما كان النفوذ يتنقل بالدور بين الأعضاء تحت الرياسة الإسمية لمندوب جلالة الملك — فقد تعرضت المدينة ونظامها للخلل بسبب كثرة الإبرام والنقض وفوضى الأهواء والنزعات .

ثم بعد ذلك نجد أن المدينة كانت تتمتع قبل النظام الدولى بنهضة ثقافية واجتماعية قد تعرضت فى حياتها للشلل بسبب استفحال أمر الأجانب فيها ؛ وهكذا تعطلت فيها مشروعات الإصلاح كما تعطلت فيها الصحف العربية وهى التى كانت يوما ما المهد الذى نشأت فيه الصحافة العربية المراكشية ، ويكفى أن نقول لكى نبرهن على مبلغ الضرر الذى ألحقه الأجانب بها ، أنه لم تصدر فيها صحيفة واحدة باللغة العربية منذ نشأ النظام الدولى فيها ، وأن الصحف تصدر فيها بعدة لغات أخرى ، ذلك أنه يوجد فى القانون الذى صدر سنة ١٩٢٣ بند خطير يمنع الأهالى من القيام بأى نشاط سياسى مهما كان طابعه مراكشياً ، وهذا البند ينص على منعهم من مطالبة فرنسا وأسبانيا بإصلاح الموقف فى مراكش تحت ستار « منع الدعاية للقضية المراكشية » أو « عدم القيام بأى نشاط ضد نظام الحماية فى منطقتى مراكش الخاضعتين للحماية الفرنسية والأسبانية » .

* * *

ولعل الأجانب قد أدركوا مساوىء هذا النظام ، ولذلك قرروا إعادة النظر فيه بواسطة عقد مؤتمر فى خلال الشهور القليلة القادمة ، وأملنا هو أن يدركوا هذه الحقائق التى سردناها ، فيعيدوا إلى مندوب جلالة الملك سلطته الحقيقية ، ويفكوا عن مئة ألف من المراكشيين القيود الثقيلة التى فرضها عليهم نظام

سنة ١٩٢٣ بحيث تكون الأغلبية الساحقة من المراكشيين بنسبة ١٠ إلى ١٠٠ بحجة أنهم يؤلفون هذه النسبة الضخمة . ونحن نعرف أن المؤتمر سوف يتألف من أعضاء دول الجزيرة كما نعرف أن مراكش إحدى هذه الدول ، ولذلك يجب ألا تمثل فيه فحسب ، بل يجب أن يكون صوتها مسموعا وأن يكون هذا الصوت صادراً عن الشعب المراكشي ذاته .

ونحن متأكدون من أن أى نظام دولى مهما كان لونه لن يحقق مصالح هذه المدينة ولا مصالح القطر كله ، ولذلك يجب أن ينظر المؤتمر فى مسألة مراكش كلها لا فى مسألة طنجة وحدها ، على اعتبار أن المدينة غير منفصلة عن أمها الكبرى ، فلأجل بحث مسألة طنجة يجب البحث فى مسألة مراكش كما يرجع الباحث فى الفروع إلى الأصول .

إن الداء الوبيل الذى لن يستقر معه نظام فى أى شبر من الأقاليم المراكشية هو نظام الحماية ، نظام التقسيم والتبديد والفوضى ، ذلك أن الأساس الذى يقوم عليه نظام الحماية فى مراكش أساس فاشل ، وهو أساس يعبر عن قصر فى النظر شنيع ، وهذا الأساس هو تقسيم مراكش إلى عدة مناطق . فلو فرضنا أن الأخاء والحرية والمساواة والعدالة تحققت — ولو فى الخيال — فى كل منطقة من هذه المناطق ، فان ذلك لن يغنى فتيلا فى إرضاء المراكشى ، لأنه ممنوع من أن يمد يده لمصافحة أخيه ، ولأنه قد انتزع انتزاعا من أمه مراكش .

وإذن فليس هناك حل لهذه المشكلة المراكشية سوى إلغاء الحماية ، وإلغاء التقسيم ، وتقرير مبدأ جديد هو مبدأ الوحدة المراكشية ، ولا سبيل إلى تحقيق هذه الوحدة — من وجهة النظر العملية — إلا بالغاء الحماية وتقرير مبدأ الاستقلال ، ثم بعد ذلك تجتمع دول معاهدة الجزيرة الخضراء ـ ومنها مراكش ـ لتنظر فى نظام جديد يحفظ كرامة المراكشيين ومصالح الأجانب فى وقت واحد .

مبدأ الحماية والتقسيم مبدأ جائر تحمل المراكشيون بسببهما أفظع التضحيات ، ومبدأ الاستقلال والوحدة هو المبدأ الذى يجب أن يقوم عليه كل بحث يتعرض لأى جزء من أجزاء مراكش؛ وكل حل غير هذا بعيد عن أن يثبت الأمن والنظام ، أو يضمن الديمقراطية لشعب حارب فى سبيل الديمقراطية عشر سنوات كاملة فى حربين عالميتين ! الديمقراطية ! إنها النظام الذى ساهم المراكشيون فى تدعيمه بأعز ما يملكون من دماء ، ومع ذلك ما يزالون إلى اليوم محرومين من التمتع بأبسط مزاياها .

عبد المجيد بن جلون

وادى الخلود . . .

[مهداة إلى وفد الجنوب]

للأستاذ سيد قطب

على ضِفاف الخلودْ   وفى شِعاب الزمنْ
والدهرُ طفلٌ وليد   قد كان هذا الوطن

يا نجرُ من ذا رآك   تطوف تلك السماء
وليس حيٌّ سواك   تُهدى إليه الضياء ؟

رأتك تلك الضِّفاف   رأتك تلك البُرور
رأتك قبل المطاف   وأنت طفلٌ غرير

وشبتَ والدهر شابْ   وحنّكتْكَ الحياه
والنيلُ بادى الشباب   والزهرُ يقفو خطاه

ينساب مثل النغم   فى عزف نايٍ طروب
وكانسياب الحُلم   تُضفِى عليه الغيوب

خريرُه صلواتْ   مُعطَّراتُ النشيدْ
وموجُه أغنياتْ   مرتّلات القصيد

يا نيلُ كم من شِراع   يا نيلُ كم من سفين
أسلَمْتَها للوداع   على مدارِ السنين !

يا نيلُ كم من جُموع   ماجتْ بتلك الضفاف
يا نيلُ كم من زروع   وذى وذى للقطاف !

وأنت صِنْو الخلودْ   وفى يديك الزّمامْ
وكل عامٍ تعود   مجدِّدَ الأيام

تَجرى فتجرى الحياه   ويُمرِع الشاطئانْ
ويستفيق الرُّعاه   وتمرحُ القطعان

وينشط الزرزور   فيجمعُ العيدان
وعشُّه معمور   بفرخه الوسنان

أكاد خلفَ القرون   أحسُّ رِكزَ الجموع
أراهمُ مُهطِعين   فى موكب للربيع

قد شمَّروا للحصاد   وخلَّفوا « أمشير »
فى فرحة الأولاد   تسابقوا للبُكور

وموكب للرَّوَاح   فى كل يوم يؤوبْ
يزفُّه الفلَّاح   على مدار الغُروب

من الحقول المريعه   إلى الحِمَى والديار
تضمُّ فيه الطبيعه   عيالها الأبرار !

لُحونُه من صِياح   ومن رُغاء النَّعَم
ومن رجيع النُّباح   ومن ثُغاء الغَنَم

على مدار القرون   يسيرُ فيه الرُّعاه
كأنهم خالدون   ما بُدّلوا فى الحياه !

أحبُّ فيك الخلودْ   يا أيها الوادى
أحب فيك الصمود   للقاهر العادى

تصبُّ فيك الوفود   وأنت يقظانُ ساهر
تصوغهم من جديد   كأنما أنت ساحر !

يا مهبط الأسرار   من الغيوب العميقة
يا موطن الأسحار   من القرون السحيقة

يأوى إليك الزمان   خوف البِلى والفناء
يأوى لحصن الأمان   فيستمد البقاء !

ووجهُكَ الفتان   بلونه الأسمر
يا طالما يزدان   بزرعك الأخضر !

ترنو له عيناى   فى فتنة العاشق !
يا أرض يا دنياى   يا آية الخالق

يا أرض كم تحلمين   بالزهر أحلام شاعر
رؤاك طولَ السنين   يا أرض تلك الأزاهر

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٧١٣ — إن ذا من العجب

أمر بالكرم إن عبرت به تأخذني نشوة من الطرب
أسكر بالأمس إن عزمت على الشرب غدا إن ذا من العجب

٧١٤ - ولكن أعلل قلبا عليلا

جحظة :

إذا ما ظمئت إلى ريقها جعلت المدامة منه بديلا
وأين المدامة من ريقها ولكن أعلل قلبا عليلا

وريحك المعروف يشمه أنفى
فى خاطرى مألوف مميزُ العَرف

يا أرض هذا الصعيد مقدس فى ضميرى
سرى عليه الجدود وأخلدوا للقبور

يكاد فرط الحنين إليهمُ فى شعورى
يردُّهم شاخصين إلىَّ خلف الدهور !

يا أرضُ سرٌّ دفين مغيَّبٌ فى ثراك
ردَّنا مُوثَقين إليكِ أسرَى هواك

هذا الثرى المنثور فى صفحة الوادى
عرفتُه فى الضمير رفاتَ أجدادى !

يا أرضُ هذا النشيد من وحيك العبقرىّ
فنوّليه الخلود بسرّك القدسىّ

٧١٥ - على ما يقال

قال شيخ الإسلام ابن دقيق العيد :

وأطيب شيء إذا ذقته رضاب الحبيب على ما يقال

٧١٦ — أبو نؤاس الناسك

من مجون أبي نؤاس أن الأمير لما نهاه عن الخمر وحبسه ، فكلمه فيه الفضل بن الربيع وأخرجه كتب إليه :

أنت يابن الربيع علمتنى الخيـ ـر وعودتنيه والخير عاده
فارعوى باطلى وراجعنى الحلـ ـم فأحدثت عفة وزهاده
لو ترانى ذكرت بى الحسن البصـ ـرى فى حال نسكه أو قتاده
التسابيح فى ذراعىّ والمصـ ـحف فى لبتى مكان القلاده
فإذا شئت أن ترى طرفة تعـ ـجب منها مليحة مستفاده
فادع بى لا عدمت تقويم مثلى فتأمل بعينك السجاده
لو رآها بعض المرائين يوما لاشتراها يعدها للشهاده
أثر لاح للصلاة بوجهى توقن النفس أنه من عباده
ولقد طالما شقيت ولكن أدركتنى على يديك السعاده

٧١٧ — يعبد الله على حرف

قال أبو عمرو الزاهد : دلك بعض الزهاد المرائين جبهته بثوم وعصبها ونام ليصبح بها أثر السجود ، فانحرفت العصابة إلى صدغه ، فأخذ الأثر هناك .

فقال له ابنه : ما هذا يا أبت ؟

قال : أصبح أبوك ممن يعبد الله على حرف .

٧١٨ — وبيانها سحر مقلتها

وصف أحمد بن أبي خالد جارية كاتبة فقال : كان خطها أشكال صورتها ، ومدادها سواد شعرها ، وقرطاسها أديم وجهها ، وقلمها بعض أناملها ، وبيانها سحر مقلتها .

٧١٩ — بنفس المصيبة

قال المبرد : لما توفيت والدة إسمعيل بن إسحق القاضي ركبت إليه أعزيه وأتوجع له ، فألفيت عنده الجلة من بنى هاشم والفقهاء

والمدول ومستورى مدينة السلام ، ورأيت من ولهه ما أبداه ولم يقدر على ستره ، وكل يعزيه وقد كاد لا يسلو ، فلما رأيت ذلك منه ابتدأت بعد التسليم فأنشدته :

لعمرى لئن غال ريب الزما ... ن فينا لقد غال نفسا حبيبه

ولكن على بما فى الثوا ... ب عند المصيبة ينسى المصيبه

فتفهم كلامى واستحسنه ، ودعا بدواة وكتبه ورأيته بعد قد انبسط وجهه ، وزال عنه ما كان فيه من تلك الكآبة ، وشدة الجزع .

٧٢٠ — أنت الفداء لمن ابتدأ هذا فأحسن

قال عون بن محمد الكندى : كنا مع مخلد الموصلى فى مجلس وكان معنا عبد الله بن ربيعة الرقى ، فأنشد مخلد قصيدته التى يقول فيها :

كل شىء أقوى عليه ولكن ... ليس لى بالفراق منك يدان

فجعل[1] يستحسنه ويردده ، فقال له عبد الله : أنت الفداء لمن ابتدأ هذا المعنى فأحسن فيه حيث يقول :

سلبتنى من السرور ثيابا ... وكستنى من الهموم ثيابا

كلما أغلقت من الوصل بابا ... فتحت لى إلى المنية بابا

عذبينى بكل شىء سوى الصد (م) فما ذقت كالصدود عذابا[2]

فضحك الموصلى ...

٧٢١ — خليا سبيل الصبا يخلص إلى نسيمها

تزوج أبو الفرج بن الجوزى امرأة اسمها نسيم الصبا فأقام معها مدة ، ثم وقعت بينهما وحشة ففارقها فاشتد كلفه وزاد غرامه وراسلها فأبت عليه وطال بينهما الأمر . ثم حضرت مجلس وعظه يوما فلاحت منه نظرة فرآها وقد استترت بجاريتين ، فتنفس الصعداء وأنشد قول قيس بن الملوح (مجنون ليلى) :

أيا جبلى نعمان بالله خليا ... سبيل الصبا يخلص إلى نسيمها

(١) أى مخلد ، قائله .

(٢) العباس بن الأحنف .

أجد بردها أو تشف منى حزازة ... على كبد لم يبق إلا صميمها

فاستحيت ثم ذهبت وقد داخلتها الرقة ، فحكت لبعض النساء ذلك فمضت فأخبرته فراسلها فأجابت فتزوج بها .

٧٢٢ — الأقيشر والشرطى

فى (الأغانى) :

شرب المغيرة بن عبد الله الملقب بالأقيشر يوما فى بيت خمار فى الحيرة ، فجاء شرطى من شرط الأمير ليدخل عليه فغلق الباب دونه فناداه الشرطى : أسقنى نبيذا وأنت آمن .

فقال : والله ما آمنك . ولكن هذا ثقب فى الباب فاجلس عنده وأنا أسقيك منه . ثم وضع له أنبوبا من قصب فى الثقب ، وصب فيه نبيذا من داخل والشرطى يشرب من خارج الباب حتى سكر . فقال الأقيشر :

سأل الشرطى أن نسقيه ... فسقيناه بأنبوب القصب

إنما نشرب من أموالنا ... فسلوا الشرطى ما هذا الغضب

٧٢٣ — وقع بين موسى وفرعون شمرية

قال الاصمعى : سألت أعرابيا وقد خرج من الصلاة : ما قرأ الإمام ؟ قال : ما أدرى إلا أنه وقع بين موسى وفرعون شِمِرّيّة[1]

٧٢٤ — مصيبتان

كتب أحمد بن يوسف الكاتب لبعض إخوانه من الكتاب وقد ماتت له ببغا ، وقد كان له أخ يضعف :

أنت تبقى ونحن طرا فداكا ... أحسن الله ذو الجلال عزاكا

فلقد جل خطب دهر أتانا ... بمقادير أتلفت ببغاكا

عجبا للمنون كيف أتتها ... وتخطت عبد الحميد أخاكا

كان عبد الحميد أصلح للمو ... ت من الببغا وأولى بذاكا

شملتنا المصيبتان جميعا ... فقدنا هذه ورؤية ذاكا

(١) شر خصومة شديدة ، فى الأساس : أجاءه الخوف إلى شر شمر أي خاف شرا فرده الخوف إلى شر منه ، وفى (اللسان والتاج): معنى شر شمر إذا كان شديدا يتشمر فيه عن الساعدين .

زوجتى ... !

وفاء ورثاء

للدكتور أحمد زكى أبو شادى

سافر إلى نيويورك يوم الأحد الماضى الدكتور أحمد زكي أبو شادى ليقيم بها هو وأسرته ، وقد أرسل إلينا ليلة سفره هذه القصيدة ومعها كتاب يقول فيه :

« كان بودى أن أزورك مودعاً قبيل مبارحة وطنى الذى لم تسمح لى الظروف بخدمته كما أود ، ولكن أحوالى الخاصة لم تمكنى من مغادرة الأسكندرية لهذا القصد ، وسأبحر منها مع أولادى على الباخرة فلكانيا Vulcania يوم الأحد ١٤ أبريل وعلى فمى بيت المتنبي :

إذا ترحلت عن قوم وقد قدروا ألا تفارقهم فالراحلون همو !

وكان بودى لو حملت رسالة توديعى طاقة باسمة لا هذه المرثية الحزينة لزوجتي ولكنها أغلى ما أملكه الآن وقد ارتسمت فيها ذكرياتى وعواطفى وأشجانى »

كتب الله للدكتور السلامة ، ومن عليه فى مهجره بطيب الاقامة .

ماذا تُفيدُكِ لوعتى وبكائى ؟ هذا فَناؤكِ مُؤْذِنٌ بفنائى !

أسْديتِ عمركِ للحياة فاوفت ومضيتِ للأبرار والشُّهداء

لهفى عليكِ وقد أتيتُ مودّعاً فبكيتُ فوق جبينكِ الوضاء

زاد المماتُ جمالَه وتناثرتْ منى الدموعُ عليكِ كالأنداء

كانت حُشاشتى المذابةَ حرقةً وبقيّةَ المكنوز من نَعمائى

فترنحتْ بفجيعتى ، وتضوّعتْ بسريرتى ، وتلألأت بوفائى

وروَت مُحياً كان جنةَ نعمتى وملاذ تفكيرى ووحى ذكائى

وطرحتِ آلام الحياة عزيزة فبدوْتِ بين سماحةٍ وصفاء

وأُقبّلُ الوجه الحبيب ، وطالما أودعتُ فيه صبابتى ورجائى

شملَ السلامُ هدوءه وتبدّدت غِيرُ السنين ، وزال بَرْحُ الدّاء

وأكادُ أنسى للمماتِ خشوعه لما نسيتُ تجلّدى ومضائى

كم كنتُ أعللُ بالخيال توهماً وأرى الشّفاء ولاتَ حين شفاء

ويغالطُ القدرَ العتىَّ تفاؤلى وأنا الخصيمُ لخِدْعةٍ ورياء

آبَى اعترافاً بالممات ، كأننى لما بكيتُكِ قد أضلّ بكائى

أو أن هذا الموت حق ثابت إلا على الأحبابِ والخلصاء

أو أن عيشى أن أراكِ بجانبى مهما هُزلتِ فلا يُهدّ بنائى

أعتاضُ باللمحات عن أغنيّةٍ وعن الحديث المذب بالإيماء

وأعدُّ أنفاساً وهَبْتِ ، ذخيرتى وحفيفَ ألفاظٍ همستِ ، رخائى

وأموّهُ الألمَ الدفين وأتّقى علماً به ، وأصدُّه بغبائى

وأكادُ أقسو فى مجانبةٍ له أوليس جسمكِ رمز كل نقاء ؟

متنزّهاً عن كل ماشان الورى مترفعاً عن عِلّةٍ وعناء

حتى صُدمتُ ، ولا كصدمةِ شاهق متحطمٍ بصخوره الصّماء

فجننتُ من حُزنى وعِفتُ حصانتى ودفنتُ كلّ رجاحتى العمياء !

***

لهفى عليك زميلتى فى رحلتى وشريكتى فى الصفو والضراء

لم أرضَ غيرى أن يسير مُشيّعاً أو أن تُوزّع حرقتى وعنائى

وكتمتُ نعيك ، كم أضن بذكره وأحوطُه بنُهاىَ واستحيائى

لبّيتُ رغبتك الزّكيةَ دائماً ووعيتُها نبلاً ولطفَ حياء

وجعلت مأتمك الرهيبَ عواطفى وبخلتُ بالتنويهِ والإفضاء

حتى تفجّر بى الأنين ملاحماً وجرى النظيمُ بأدمعى ودمائى

ما كنت أحسب أن يومك سابق أو أن أيامَ الحياةِ ورائى

كنا نُهيّئ للرحيل متاعنا وننسّقُ الآمالَ غيرَ بطاء

ونهيبُ بالدنيا لتشهدَ حظنا ونهشّ للأيامِ والأنباء

ونردُّ عاديةَ الأنامِ تسامحاً مستغفرينِ لجاحدٍ ومرائى

متسابقين لنملأ الدنيا سَنى بالحبّ والإيثارِ والإيحاء

فاذا رحيلكِ للنّوى ، ووداعنا للحظّ ، والباقى الكليمُ ذَمائى

غدرت بى الدنيا ، كأنى لم أصُغْ فيها الثناء فما أفادَ ثنائى

ووهبتها ـ كرماً ـ عزيز مواهبى فجنتْ علىَّ شهامتى وعطائى

اليومَ أدركُ أىَّ عبءٍ فادحٍ عنى رفعتِ وما مدَى أعبائى

كم كنت أحلم بالهناءةِ والرّضى لك فى نهاية عُمركِ المتنائى

فأودُّ من قلبى بقاءكِ بعد ما أفنَى وأحسبُ فى هواكِ بقائى

وأعدُّ عمركِ وحده عمرى وما أرضَى سواكِ من الحياة جزائى

فتناثرَ الحلمُ الجميلُ وأقفرتْ دنياىَ من حُلمٍ ومن أضواء

وبقيتُ وحدى لاعزاء أرومه والذكرياتُ تزيدُ من بُرحائى

يا طالما ناجيتها فى نشوتى واليوم قد أصبحنَ من أعدائى

ما نعمتى فيها ؟ وأنتِ هى التى جملتِ بصُحبتها الأسى نعمائى

يامن فُتِنْتِ بكل ما هو رائعٌ   وخلقتِ ألوان الجمالِ ازائى

ورسمتِ لى دنيا مُنوَّعة الشذى   قدسيَّةَ الألحانِ والأصداء

وبثثت بى حبّ الطبيعة فاغتدت   أمىّ ، أضعتِ عزاءها وعزائى

يامن غناؤكِ شدْوُها وحنينها   وصداهُ فى قلبى الشجى غنائى

لما سكَتِّ تَقاطرَتْ عبراتها   واستسلمتْ للَّوْعةِ الخرساء

ومضى الرَّبيع مع الشتاء فلم أجد   إلا مظاهر وحشة وخلاء

تبكيكِ أخلص من وفت لرواتها   وتصوفت بمروجها الغنّاء

ورأت بها الخير اللباب فما شكت   منها وناجتها أرقّ نِجَاء

وتناولت ألَقَ النجوم فأترعت   منه دنان الحب للشعراء

كم ألهمتنى من عُيونكِ صورة   جمعت أحبّ عواطفٍ ومرائى

وتبسُّمٌ تتبسَّمُ الدنيا له   ويغيب عن معنى وعن خيلاء

ورشاقةٌ معسولةٌ ملحونةٌ   كقصيدةٍ خلابةٍ عصماء

كم كنت أهتف بالنشيد ولم يكن   إلا خطوط جمالك الوضاء

تجرى البراعةُ فى يدى مزهوة   بتغزلى ، ويهزنى إملائى

مترنماً بالحبّ بين ولائمٍ   للزهر والأمواه والأضواء

وإخالُ فى دعةِ المروج جناننا   وأشيم فى ألقِ الغديرِ سمائى

أيامَ كنا والشبيبةُ والهوى   حلفاء فى أمنٍ مِن الغرماء

أيام كنا نستعيدُ تُراءنا   قُبلا، ونضحك من غنى وثراء

أيام كنّا الحاكمين بأمرنا   الساكنِيْن منازلَ الجوزاء

أيام كنا ذاهلين عن الرَّدَى   نجرى ونمرح فى الربى الفيحاء

ونخوض موج البحر ملء دعابة   متعانقين على هديرِ الماء

متحمسين كأنما خمرُ الصبا   خمر الألوهةِ من أعزّ سماء

متلمسين بكلّ شىء لذةً   ومطوعين المستحيل النائى

وإذا غضبنا عاد حبك غافراً   وتعثرت شكواك عند ندائى

وفرحت بى فرح الحبيب بإلفه   قد عادَ بعد مخاطرٍ هوجاء

عشنا السنين كأنها أنشودة   علويةٌ جلَّت عن الضوضاء

متجددين ، وإذ فقدتك لم يكن   فقدى لغير فتاتىَ الهيفاء

من رامها أهلُ الفنون نموذجاً   للمبدعين ومن لها أهوائى

من صوتها الحلو الشجى سلافتى   وحنانها العذب السخى دوائى

من لم تدع غير البشاشة وحدها   تفشى خواطرها لنقدِ الرائى

من أشربت حب الدعابة سمحة   واستضحكت لمصاعب الأشياء

من لم تر الدنيا سوى تغريدة   فأبتْ هواجسها أشدّ إباء

من لم تردّدْ غير آمالِ الصبا   لتردَّنى لطلاقتى ورضائى

من عشت أفديها بكل جوارحى   فإذا الفداء يهونُ وهى فدائى

من علمتنى أن أقدس واجبى   مهما شقيت فأستطيب شقائى

من لم تودِّعْ فى السقام وفاءها   للناس حين مضوْا بكلّ وفاء

من لم تفارقها الشجاعةُ مرة   حتى الممات ، شجاعة العظماء

فمضت وخلّتنى وحيداً عابراً   قفرَ الحياةِ أنوء بالأنواء

هيمان ، قربك وحده مستنقذى   ظمآن ، ليس سِواكِ رىً ظمائى

أقتاتُ بالحزنِ المبرّح راضياً   وأعافُ كلّ ملاحةٍ وسناء

وأضعت فنى بعد موتك فى الأسى   وكأنما صُوَرُ الجمال بلائى

من طالما ناجيتها متغزّلا   غرداً ، فمات بهاؤُها وبهائى

كانت لروحى منك أُنسَ مدامة   ومجالَ أشواقٍ ونبعَ صفاء

ومثلتِ أنتِ بكلّ ما أحببتهُ   فالآنَ أينَ تهافتى ونجائى ؟

أين ابتساماتكِ الشذيةُ بالمنى   والنورِ حين أهيمُ فى الظلماء ؟

أين ابتداعكِ للحديثِ تفنُّناً   وتسلسلا يغنى عن الندماء ؟

أين اغتباطكِ بالمروءة والندى   والعطف والغفران والإسداء ؟

قُبِرَتْ كما غاب النهارُ أشعةً   وكأنما أشلاؤها أشلائى

وتركت فى دنيا القساوة والأذى   متهالكا أمشى على الرمضاء !

* * *

قالوا : تصبر ! إن حولك رفقة   منها ، وحسبك صفوةُ الأبناء

ورثوا مكارم خلقها وسماتها   إرثاً تُدلّ به على الآباء !

ياليتهم عرفوا شمول عواطفى   ووفاء وجدانى وصدْقَ ولائى

شيم شقيت بها وما عف الورى   فأثارَهُمْ شممى وفرطُ إبائى

وبقيت أسخر من جراحى هازئاً   بفواجع الآلامِ والأرزاء

مستلهماً من لم تدعنى مرة   فى الحادثاتِ أضيقُ بالأحياء

فالآن بعد ذهابها ومصابها   لم يغننى شممى ولا استعلائى !

* * *

تمضى الحوادثُ والسنونُ وتنقضى   أممٌ على أممٍ صباحَ مساء

ويظَلّ قلبى هيكلاً لكِ خالداً   أبداً يرتّل لوعتى ورثائى !

احمد زكى أبو شادى



رواية من الفسق العالي :

ليت الذين ينتصرون لعامية المسرح يشهدون رواية (تاج المرأة) فى دار الأوبرا الملكية فيروا كيف تتسلسل العربية البليغة على أفواه الممثلين تسلسل الذهب ، وترن فى أسماع المشاهدين رنين الفضة ، وتؤدى معانى الكاتب الفرنسى النابغ أداء صادقاً قوياً لا تضيع فيه لمحات النظر ، ولا لفتات الذهن ، ولا براعة الحوار ، ولا حلاوة النكتة .

لقد كان تمثيل هذه الرواية نصراً عظيما للغة العربية وللفرقة القومية فى وقت واحد : كان نصرا للغة العربية لأنها استطاعت بدقة الترجمة وقوة التمثيل أن تبرهن لخصومها على أنها اللغة الطبيعية للمجتمع الحديث والمسرح المهذب . وهل تكون الطبيعية شيئاً آخر غير هذا الانسجام العجيب بين الحركات والكلمات ، وبين المواقف والعواطف ، وبين التمثيل والواقع ؟

كانت اللغة لسلاستها ومرونتها أداة جيدة التوصيل بين المؤلف والترجم ، وبين المترجم والممثل ، وبين الممثل والجمهور ؛ فالممثلون مندمجون فى أدوارهم لا يحسون نبواً فى العبارة ولا حرجاً فى الأداء ، والمشاهدون مأخوذون بسحر التمثيل وجاذبية الرواية لا يشعرون بوجود مستقل عن هذا الوجود الذى خلقه فى الفرنسية اسكندر دوماس ، وصوره فى العربية الأستاذ كامل البهنساوى !

ثم كان نصراً للفرقة القومية لأنها أقامت الدليل العملى على أن فى مقدورها أن تؤدى رسالة الفن على وجهها الصحيح إذا تهيأت لها الإدارة الرشيدة والتوجيه المصيب ، فقد كان الأداء خالياً من الشقشقة الخطابية ، والتمثيل بريئاً من البهلوانية المسرحية ، وهما البليتان اللتان باعدتا من قبل بين اللغة والطبع وبين المسرح والحياة .

فإلى المترجم الفاضل التهنئة الصادقة على جمال الترجمة وحسن الاختيار ، وللأستاذين والأستاذات : سراج منير ، وجورج أبيض ، وفاخر فاخر ، وإحسان شريف ، وأمينة رزق ، وروحية خالد ، الثناء الحق على روعة التمثيل وطبيعية الحوار .

إلى الأستاذ بن مصطفى

لم يكن ما نشرناه فى « الرسالة » الغراء عن « كعب الأحبار » تفصيلا لتاريخه ، أو استيعاباً لترجمته ، وإنما هو — كما ذكرنا — طرف صغير من أمر هذا الكاهن قبسناه من فصل طويل كسرناه فى كتابنا « حياة الحديث » — الذى لم يطبع بعد — على (الإسرائيليات فى الحديث) ، وحشدنا فيه كل ما عثرنا عليه من أدلة وحجج لاستيفاء بحثنا وتأييده .

على أنه مما يسرنا أن نقرأ كتاب (عمر بن الخطاب) الذى ألفه الأستاذان على وناجى الطنطاوى ، حتى إذا وجدنا فيه ما لم يكن فى كتابنا ، زدناه على بحثنا ، وجعلنا هذا الكتاب من مصادرنا .

هذا ، وإنى أشكر لك ما تفضلت به من لفت نظرنا إلى هذا الكتاب القيم .

(المنصورة) **محمود أبو رية**

معرض الكتاب العربى الأول لسنة ١٩٤٦ :

تعتزم وزارة المعارف إقامة معرض يطلق عليه « معرض الكتاب العربى » لمدة أسبوع يبدأ من يوم الخميس ٣٠ مايو سنة ١٩٤٦ بالسراى الصغرى بالجزيرة . والغرض من إقامة هذا المعرض هو التعريف بالمسائل الآتية :

١ — تطور حركة التأليف من فجر النهضة الفكرية الحديثة حتى الوقت الحاضر .

٢ — تطور حركة الطباعة منذ إنشاء مطبعة بولاق الأميرية

٣ — تطور الصحيفة اليومية الإخبارية والدوريات الأدبية منذ قيام الصحافة فى مصر

٤ — تطور فكرة توضيح الكتب بالرسوم والصور

٥ — تطور الكتاب المدرسى من حيث موضوعه وطبعه .

٦ — تطور حركة التأليف للأطفال والشباب

٧ — نهضة التأليف والترجمة فى عهد المغفور له الملك فؤاد

٨ — النهضة الفكرية فى عهد صاحب الجلالة الملك فاروق .

هذا ، ويسر الوزارة أن يتفضل كل أديب بالمساهمة فى إقامة هذا المعرض بما يستطيع تقديمه على سبيل الإعارة .

وقد كلفت الوزارة مندوبها الدكتور ابراهيم جمعة مدير قسم المتاحف والمعارض الثقافية بالاتصال بعزتكم فى هذا الشأن رجاء التكرم بإعارتنا ما يمكن تقديمه فى موعد غايته يوم السبت ٢٧ أبريل سنة ١٩٤٦

(مراقب الثقافة العامة) (وكيل المعارف)

محمد عبد الواحد خلاف محمد شفيق غربال

« تاج المرأة » على مسرح دار الأوبرا الملكية

ما ألذ ساعة يقضيها الإنسان فى دار التمثيل يشاهد صورة حية من صور المجتمع ، ينقلها بوضعها الصحيح ، ووقائعها المحسوسة الملموسة ، ممثلون كأنهم أصحاب الصورة فى إبراز الشعور وفى أداء الأغراض التى رمى إليها المؤلف فى الابتداع، وفى تقسيم الفصول ، وفى التفنن فى التمهيد لكل حدث يقع ، ولكل كلمة تمهّد إلى ما يليها ، والنكتة المضحكة وما يتبعها من لذعة مؤلمة ، وأين تقع العقدة وأين ومتى يحلها وفق ما هو مفروض لمثله الأعلى الذى تصوره فى ذهنه قبل خلق روايته .

ما أحلى تلك الساعة وما أشهاها لنفس تعلم جيداً أن التمثيل سيبقى أبد الدهر برغم مزاحمة السينما له ودفعها إياه بعنا كبها الجبارة من طريقها ، وأن بقاءه منوط بالحياة ذاتها، والاستمتاع بها نفسها، عن طريق المشاهدة والسمع ، بانتشار العلم بين جميع الأوساط ، وذيوع الثقافة الفنية ، والإحساس الواعى بفتنة الفن وسحره .

ما أحلاها ساعة يرى فيها نصير التمثيل أينما تلفت مقاعد دار الأوبرا ومقاصيرها وشرفاتها حافلة بأيقاظ الذهن والروح والشعور يطمئنون دعاة الأدب والفن على أن البلد بخير وعافية ، وأن نهضته صحيحة سليمة ، وأنهم يتلقفون صور الحياة ، ناطقة بالحياة ، حباً للحياة .

بل ما أحلى أن يعى جيدا ، ويدرك جيدا ، ويعمل جيدا أولئك المشرفون على إبراز التمثيل إلى عالم الواقع ، أن من أقدس واجباتهم ، وأسمى غاياتهم إظهار ثقافة الأمة على حقيقتها ، والأخذ بيد هذه الأمة لتتوقل معها مدارج الصعود ، وأن هذا ميسور لها إذا قدرت أن مذهب الفن للفن هو رسالتها ، وأن كسب المال الوفير هو وسيلة لا غاية .

لقد نعمت بهذه الساعة السعيدة فى دار الأوبرا حيث كانت فرقة التمثيل تمثل رواية « تاج المرأة » لمؤلفها دوماس العظيم ، ومترجمها الأستاذ الفاضل كامل الهنساوى .

لقد نعمت فعلا بساعة سعيدة ، كانت تتجاذبنى خلالها انفعالات شتى ، وأحاسيس متنوعة ، واضطرابات تميل بى تارة إلى كل جانب استجابة لعواصف الحياة وهى تعصف هوجاء دائما على غير قياس وبدون تدبر ، وقد نسقها فأبدع تنسيقها مؤلف عظيم موهوب فطر على انتزاع أسرار الحياة ليبسطها على المسرح ، وتارة تجذبنى جمل وألفاظ ، وإيماءات وإشارات وتنقلات ، وانخفاضات فى الصوت وارتفاعات ، ولين فى مخارج الكلمات أو شدة ، وانفعالات واضحة فى قسمات الوجوه ، واللواحظ والابتسامات أتقنها الممثلون والممثلات أجود إتقان . ولم تصدم سمعى كلمة واحدة نابية ، أو جملة واحدة مخلخلة قلقة ، أو لفظة تدل على أن المترجم لم يؤد الأمانة حقها ، أو إلى ضعف فى التوفيق بين اللغتين الفرنسية والعربية ، أو التصرف والتهاون ولو قليلا فى مقاصد المؤلف، أوالتراخى فى إبراز روحه العظيمة على حقيقتها فى العظمة والجلال ، هكذا يكون الانسجام الحقيقى بين المؤلف والمترجم والممثل والمخرج ، فيمثلون روح الرواية الواحدة كل من ناحيته متساندين .

إنها لساعة تدفع بى بغير تحفظ إلى إسداء الشكر لهذه الفرقة التى أتحفتنا بتمثيل هذه الرواية فى هذا الفصل ، وكنت أود أن أطالبها المزيد من هذه الروايات الرفيعة ، لأنها على الأقل تنفع كتاب الرواية المسرحية منا فتفتح أمامهم آفاقاً لم يجرؤوا بعد على ولوجها ، فضلا عن أنها تعالج مشكلات اجتماعية لا تختلف عن مشكلاتنا الاجتماعية والخلقية والعائلية فى وسطنا الراقى والوسط ، ولكنى أوفر على نفسى مطالبة هذه الفرقة التى لا تريد أن تعترف بأن لها رسالة ثقافية ، وأن عليها واجبات نحو الأمة والحكومة .

حبيب الزحلاوي



الأوذيسة ... !

بين هوميروس ودريني خشبة

للأستاذ زكى المحاسنى

أين أنت يا عولس بعد أن دكّت العصور عهدك القديم ، وهدمت حرب الأمس قومك الحديث ، وضاع كل شىء من آثارك إلا كتاباً خلدك بين أناشيده هوميروس أبو الشعراء ؟

هلمَّ عولس من أطباق ثراك إن كان معروفاً ثراك ، وجىء حمى العربية تلق كتابك فيها منشوراً ، وذكرك بلسانها مسطوراً .

تلك هى « الأوذيسة » تنشر فى لغة العرب اليوم أول مرة ، ولئن سبق الأستاذ دريني خشبة فأخرج للناس «قصة طروادة» ، فإنما كانت « الإلياذة » معروفة لدى العرب المحدثين منذ نظم ملحمتها الكبرى سليمان البستانى بلغة الضاد .

ولئن لم يكن للأستاذ خشبة فى « قصة طروادة » سابقة التعريب ، فقد كانت له فيها طرافة الرواية ورقة البيان ، وقد كثر فيها صليل السلاح وعراك الحروب ، فدارت حوادثها فى البطولة والحماسة . أما « الأوذيسة » ، فأكسبت الأستاذ خشبة سابقة النقل إلى العربية منذ نظمها « هومير » باليونانية العتيقة ، وكانت سيرة الأخطار فى البحار ، وغرائب الحدثان فى الحب والوفاء .

وقد ذكر المؤرخون أن العرب فى العصر العباسى عرفوا « الإلياذة » وترجمها المرحوم « الرهاوى » أحد المقربين من الخليفة المهدى . أما « الأوذيسة » ، فلم أجد أحداً من المؤرخين وأهل الأدب القديم قد ذكر أن العرب ترجموها أو عرفوها ، فأكبر عندى ذلك أن أجدها اليوم بالعربية فى جلة آثار النهضة الثقافية التى تهب فى هذه الآونة على وادى النيل .

لكن الأستاذ خشبة لم يلزم ترجمتها فى النص ، ولا رعى الأناشيد فى الشعر ، وإنما ابتكر طريقة أخذ نفسه بها فى سرد الأدب اليونانى القديم منذ أخرج كتابه الأول « أساطير الحب والجمال عند الإغريق » ، وهى طريقة تنزع إلى الفن ومرانته أكثر مما تلم بالتاريخ وجموده .

إن حوادث « الأوذيسة » لنى وعى راويها الأديب الذى يجىء بها على أنماط قصصية آخذ بعضها بهامات بعض ، وهو بهذه الطريقة ذو سابقة أيضاً فى أخبار الأساطير .

يتجهم لهذا الفن القصصى ناس يؤثرون عليه ترجمته بالنص ، وقد يعسرون فيطلبون أن تكون الأوذيسة شعراً فى العربية على نمط ما فعل البستانى بالإلياذة ، لأن ذلك أبقى للأثر وأقرب تقليداً لأصله ، وإن مذهب هؤلاء النقاد فى نثر كان شعراً هو مذهبهم فى ماء كان خمراً .

لكن أمثال أولئك الناقدين إذا ألموا بهذه الأوذيسة وتركوا مذهبهم قليلا ، أنساهم أسلوب الأستاذ خشبة تلك الشروط ، فراحوا مغمورين بسحر من القول وبراعة فى الوصف ، فجاسوا بأنظارهم خلال الحدثان منذ انتهت الحرب الطروادية ، حتى عاد عولس إلى بلاده ، فإذا فرغوا من كل ذلك حصلوا على السيرة الثانية التى تركها هوميروس ميراثاً للآداب العالمية .

ضاع عولس فى اليم وتفرق شمل صحابه ، وأروع ما على اليم من أخطار تلك الجزيرة التى كان يملك عليها بوليفيم زعيم السيكلوب الإنسان الجبار . أما وصف بوليفيم ، فنسج أسطورة مغرقة فى الخيال . كان على هيئة إنسان ضخم كجذع شجرة السنديان عريض الألواح ، وكان طوالا جسيما ، يداه كغصنين ، ورأسه كصخرة كبيرة ، إنه ليستطيع أن يضع فى كفة إنساناً ، وأن يطبق أصابعه عليه . أما جبهته ، فصفحة مبسوطة فى بُهرتها عين واحدة كفم البئر .

ومشى مهرولا ، فاهتزت الجزيرة التى أرسى عليها مركب عولس وصحابه ، وأحس عولس ورفاقه أن الكهف الذى أووا إليه يكاد يكون لهم مرقد المنية ، فها هو ذا بوليفيم مقبل نحوهم بقطيعه يهش عليه بشجرة لها فرعان ، كل فرع منهما كعمود

المركب الكبير . أما أغنامه فكانثيران مرسلة الشعور إلى الأرض لحومها غذاؤه ولبنها شرابه .

ودخل الكهف البوليفيم فوجد ضيوفه ، فلم يحسن لقاءهم ؛ وإنما أخذ باثنين منهم فألقاهما فى الفضاء حتى نطحا برأسيهما سقف الكهف ثم انحطا على الأرض هشيمين ، فأكلهما شيئاً على النار بغير سفّود ، وجلس يتلمّظ فسدّ باب الكهف بجسمه وأخذ يغط فى نوم عميق .

فريع عولس وصحبه وعرفوا موتهم عند انتباهته ، فاحتالوا له فى يومهم الثانى . فتقدم إليه عولس بكيده ودهائه وسكب فى فمه زق خمر معتّقة من دنانِ القسّ فوبوس إلـه آزماروس . فكرعها الوحش وسكر بنشوتين ، ثم نام . فهب عولس وجمعه إلى النار فأوقدوها وأشعلوا رأس ذلك الغصن الذى يهش به الوحش على غنمه ، وفقأوا عينه كما يطفىء الحداد عمود الحديد المشتعل بحوض من الماء .

وكان عولس حين تقدم إلى الوحش بخمره فسأله عن اسمه أجابه : إسمى أوتيس . ومعناها (لا أحد) . فلما أحس الجبار بهول النار صرخ صرخة دوّت فى الجزيرة حتى مادت . فريع الجبابرة وجاؤوا ركضاً يسألونه الخبر ، وكان الظلام مطبقاً على الكهف وما حوله . فسألوه من آلمك أو قتلك . فقال وهو يجود بالنفس الأخير : لا أحد .

فانصرفوا وهم به هازئون .

***

تلك حوادث عولس وهى كثيرة منذ انصرف الآشيون إلى أمصارهم بعد أن فتحوا طروادة وخربوها . عاد ملكهم آغاممنون جريحاً إلى بلاده متحاملا على نفسه ، وارتمى البطل مينيلاس على شواطىء مصر ، وغرق آجاكس عند الصخور التى تتلاطم عليها أمواج البحر . أما عولس فقد كتب له أوفى نصيب من العذاب فظل السنين العديدة فى جزيرة كاليبسو أسيرا عند الجن ، أو مطروحا على ثبج البحر بمركبه القلق من جزيرة إلى جزيرة ، وكان ابنه تلماك يقطع الآفاق بالبحث عنه راكبا على عجلة مجنحة أعطاه إياها نسطور الساحر .

يقول « كروازى » فى كتابه عن الأدب اليونانى القديم :

(لئن كانت الإلياذة قصة السير إلى الغزوة ، أو الغزوة ذاتها ، فإن الأوذيسة إذن هى قصة المودة) .

وعلى مثال كروازى يحاول من يدرس الأوذيسة أن يؤرخها وينقدها ، ويبين وجوه الصحة والأصالة فيها ، ووجوه الوضع والاختلاق ، وكل ذلك لم يتعرض إليه الأستاذ دريني خشبه لأنه أسلف الكلام عليه مجملا فى مقدمة الإلياذة ، ولو فصل الكلام فيهما بعض الفصل فجعل لكل منهما مقدمة خاصة لكان ذلك به أجدى وبفنه أوفى .

وكأن القادر قد سيرت قلم الأستاذ خشبه ، فقد أخرج الإلياذة والحرب فى دنيانا قائمة . وكانت الإلياذة تاريخ حرب مصبوغة بالدماء يشتجر فيها الحديد وتستعر النار . فلما وضعت الحرب أوزارها وسكنت أصوات المدافع أخرج أمس للناس قصة الأوذيسة وكانت الأوذيسة سيرة الصداقة والمحبة ، والوفاء والألفة ، بعد الشقاء والعذاب .

زكى المحاسنى

شعـــاب قلب

دروس نفسانية تحليلية

صور من صميم الحياة

تحايل قصصي على ذهن القارىء

عرض مشوق مرغب

بقلم

حبيب الزحلاوى

يطلب من إدارة الرسالة الثمن ١٥ عدا البريد

كتاب الفصول والغايات

معجزة أبى العلاء المعري

لم تبق منه إلا نسخ معدودة

الثمن أربعون قرشاً

يطلب من إدارة مجلة الرسالة

زوروا :

متحف فؤاد الأول

لسكك حديد وتلغرافات وتليفونات الحكومة المصرية
(أمام مخزن بضائع محطة مصر)

لتشاهدوا تطورات وسائل النقل البرية والبحرية والجوية فى مختلف الأزمان ولتروا أكبر وأدق مجموعة من النماذج والخرائط والصور المضاءة لتاريخ النقل فى مصر والخارج .

المتحف مفتوح للزيارة كل أيام الأسبوع ما عدا أيام الاثنين والعطلات الرسمية كما يأتى

فصل الصيف — من أول مايو إلى آخر أكتوبر
من الساعة ٠٠ ٨ إلى الساعة ٣٠ ١٣

فصل الشتاء — من أول نوفبر إلى آخر أبريل
من الساعة ٣٠ ٨ إلى الساعة ٠٠ ١٤

رسم الدخول ٢٠ مليما

تليفون رقم ٤١٩٦٤

دار الكتب الأهلية بميدان إبراهيم باشا بمصر تليفون ٤٩٥٦١

تقدم القائمة الأولى ببعض مطبوعاتها

م	
٤٠	مستقبل الثقافة فى مصر جزآن للدكتور طه حسين
٣٠	زهرة العمر للأستاذ توفيق الحكيم
٢٥	شجرة الحكم » » »
٢٥	سليمان الحكيم » » »
٢٠	بجماليون » » »
٢٠	راقصة المعبد » » »
٢٠	سلطان الظلام » » »
١٥	رصاصة فى القلب » » »
٢٠	أهل الكهف » » »
٢٠	شهر زاد » » »
٣٠	الأوذيسة للاستاذ دريني خشبة
٢٥	الالياذة » » »
٢٥	فلسفة الأخلاق فى الاسلام للاستاذ محمد يوسف موسى
٢٥	المدخل لدراسة الفلسفة الاسلامية » » »
٣٥	رسالة الهناء للمعرى شرح الأستاذ كامل كيلانى
٣٠	مغامراتي فى أوربا للاستاذ عبد المنعم حسن
٢٠	البعث للشاعر ابن محمود
٢٥	النساء خائنات للاستاذ عصام
٣٥	السيف والنار فى السودان لسلاطين باشا
٢٠	الزواج والمرأة للاستاذ أحمد حسين
٢٥	قصة الكفاح بين روما وقرطاجنة للدكتور توفيق الطويل
٢٠	من والد إلى ولده للاستاذ أحمد حافظ عوض
٢٠	صور جديدة من الأدب العربى للاستاذ كامل كيلانى
١٥	حدث فى باريس للاستاذ أحمد عطية الله
١٥	هكذا أغنى للشاعر محمود حسن إسماعيل
٢٥	رحلات للاستاذ عبد الوهاب عزام
١٥	الاستمتاع للاستاذ سليم سعده
١٥	ساره للاستاذ العقاد
١٥	هتلر فى الميزان للاستاذ العقاد
٢٠	غانيات للصاوى
٢٠	العاصية للصاوى
١٥	النجاة لابن سينا
١٢	حديقة الحلويات للاستاذ عز الدين فراج
١٢	الفاكهة قيمتها الطبية والغذائية للاستاذ عز الدين فراج
١٤	التعاون للاستاذ أحمد لاشين
١٥	مصرع فرنسا للاستاذ محمد عبد الحميد
١٢	فى بيوت الناس للاستاذ سليمان نجيب بك
١٥	ديوان المحاسبة فى الميزان سعد الدين سلامة
١٥	الوجديات للعلامة محمد فريد وجدى

م	
١٥	الحرب الحديثة للاستاذ رياض محمود
١٠	المنقذه للاستاذ محمود تيمور
١٠	ألف باء الكهرباء للاستاذ عبد العزيز محمد
٢٢	ألف باء التجارب الكهربائية للاستاذ عبد العزيز محمد
١٠	خلاصة فنون الحرب لمصطفى حلمى عزب
١٠	البكتريولوجيا الزراعية محمود مصطفى الدمياطى
٨	هنرى الثامن عبد الرحمن فهمى
٦	بولين أبو بكر المنفلوطى
٥	أثر القرآن فى تحرير الفكر البشرى لعبد العزيز جاويش
٧	كيف تنجح فى الحياة أبو الخضر منسى
٧	الدماء سعاد منسي
١٠	أشواق للشاعر محمود أبو الوفا
١٠	هاملت سامي الجريديني
١٠	خمسة فى سيارة سامى الجريديني
١٠	الرسائل الضائعة سامى الجريديني
١٥	منار الرشيد ابراهيم السيد
١٨	الفنون الجميلة محمود فؤاد
٣٥	على إطلال المذهب المادى فريد وجدى
١٠	فن القراءة والالقاء مصطفى الدمياطى
٦	يوم مع قدماء المصريين محمد صابر
٢	التمرينات الرياضية محمود كامل
٣	الألعاب السويدية إبراهيم أبو جبل
٣	التمرينات الفرنسية فتحى عزمى
٨	الانفصال الشبكى دكتور عطا الله فهمي
٨٠	العين فى الصحة والمرض دكتور عطا الله فهمى
١٠	تاريخ الطيران على محجوب
٢٠	مسائل الشرق جزءآن أوجين يونغ
١٥	قصد الشارع من وضع الشريعة للشيخ محمد منير
٢٥	التصوير والحفر للاستاذ رياض شحاته
١٢٠	المنجد قاموس عربى آخر طبعه للاب لويس اليسوعى
٤٥	منجد الطلاب قاموس مدرسى عربي للاب لويس اليسوعي
٥	من أمير إلى سلطان مصطفى فاضل باشا
٦٠	مكتبة الحبيب للثقافة ٥ أجزاء مجلده لفريد بك رفاعى
٢٠٠	قاموس سعادة إنجليزى عربى مجلد ١٧٠٠ صفحة كبير
٢٥	روح الاشتراكية غوستاف لوبون ترجمة عادل زعيتر
١٠	أدب الدنيا والدين الحصرى
٥٠	الخلق الكامل أول وثانى جاد المولى بك
٣٠	النزعات الاستقلالية فى العصر العباسى للاستاذ عبد الفتاح السرنجاوى

يضاف ٢٥ ٪ مصاريف إرسال وكل طلب غير مصحوب بنصف القيمة لا يمكن إرساله . المراسلات : باسم رشدى خليل

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

العدد ٦٦٩ — الاثنين ٢٩ أبريل ١٩٤٦ — السنة الرابعة عشرة



الفهرس

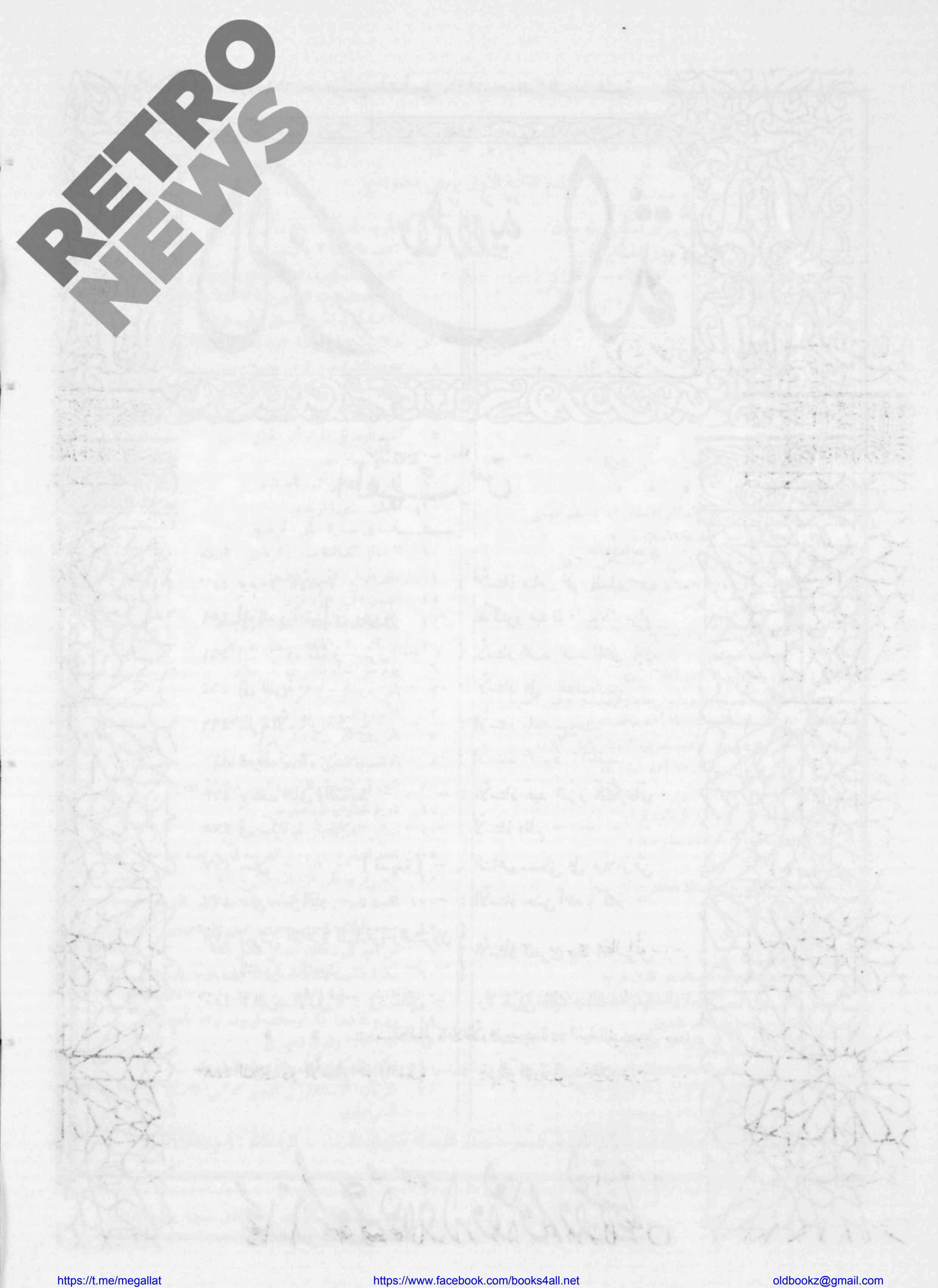
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ٦٦٩ — الاثنين ٢٩ أبريل ١٩٤٦ — السنة الرابعة عشرة



الفهرس

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون


RETRO
NEWS

14 me Année No. 669

Lundi—29—4—1946

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠



العـــدد ٦٦٩ « القاهرة فى يوم الإثنين ٢٧ جمادى الأولى سنة ١٣٦٥ — ٢٩ أبريل سنة ١٩٤٦ » السنة الرابعة عشرة

يوم ولا كالأيام !

للأستاذ عباس محمود العقاد

كان يوم الاثنين الماضى فى مصر يوم شم النسيم .

وشم النسيم فى مصر يوم ولا كالأيام أو عيد ولا كالأعياد .

لأن العالم كله لا يعرف يوما من أيام المواسم تلاقى فيه من المراسم والشعائر وتراث الأديان الباقية والبائدة ما تلاقى فى هذا اليوم .

ففيه من شعائر الأديان البائدة أنه يوافق عيد الحصاد أو عيد الربيع ، ويحتفل به الناس كما كانوا يحتفلون بعيد الخليقة قبل آلاف السنين .

وفيه من شعائر الدين الاسرائيلى أنه يوافق عيد الفصح ، أو عيد الخروج من مصر مع موسى الكليم .

وفيه من شعائر المسيحية أنه يأتى يوم اثنين ولا يأتى يوم أحد ، ليقترن بعيد القيامة ولا يختلط به فى احتفال واحد .

والغربيون يذكرون عيد القيامة بأسماء تدل على بعض هذه التواريخ من جوانب متعددة .

فاسم « ايستر » الذى يعرف به فى اللغة الانجليزية مأخوذ من استر أو اشتار ، أى عشتروت ربة الربيع .

واسم باك Paques الفرنسى وباسكا Pasqua الإيطالى مأخوذان من كلمة باسكا اليونانية Pascha وهى مصحفة من كلمة فسح العبرية وتكتب Pasah بالحروف اللاتينية ، وهى فى العبرية تقارب معنى فسح فى العربية بمعنى الافساح والتسريح ، إشارة إلى اقتران العيد بانطلاق الاسرائيليين من أسر فرعون .

فالربيع والفصح والقيامة وشم النسيم موسم واحد متفق الموعد مختلف المراجع والأصول .

ولكل شعيرة من شعائر هذا الموسم سبب جديد وسبب قديم ، أو تعليل يقول به مفسرو الأديان ، وتعليل يقول به التاريخ .

فالإسرائيليون كانوا يذبحون فيه الحملان ويأكلون فيه فطيرا غير مخمر ، ويقولون فى تعليل ذلك إن ملك النقمة الذى ضرب أبناء المصريين بالموت كان ينظر إلى الأبواب فإن رأى فيها أثر الدم من الضحية تركها ، وإن لم يره دخل البيت وأهلك أول أبنائه ، وهى علامة للتفرقة بين بيوت المصريين وبيوت الاسرائيليين .

ولما هب بنو إسرائيل للفرار من أرض مصر ، أعجلوا عن انتظار العجين حتى يختمر فأكلوا خبزهم فى ذلك اليوم فطيرا ، فهم يحيون تلك الذكرى بأكل الفطير فى مثل ذلك اليوم من كل عام .

أما مراجع التاريخ فتقول إن ذبح الحملان وأكل الفطير من أقدم شعائر الرعاة على سبيل القربان والاحتفال بالخير الجديد . فيتقربون إلى إله الزرع بذبح حمل مولود فى عامه ويأكلون الحب الجديد غير مخلوط بخميرة من محصول قديم . وقد شاع أكل الفطير فى المراسم الدينية تقربا إلى الآلهة بين أتباع الأديان التى

تعرف بأديان الأمومة ، ويراد بها الأديان التى يعبد فيها الإله وأمه معا ، ويقال عن أمه فى معتقداتهم إنها هى مصدر الخصب والولادة والنماء .

وقد كان المصريون الأقدمون يحتفلون بعيد الربيع فى موسم قريب من موسم الفصح أو موسم القيامة بعد ذلك ، وكانوا يرمزون فيه للخصب والولادة بأكل البيض لأن البيضة رمز كل ميلاد ، ويرمزون فيه للمحصول الجديد بما يأكلونه من البقل الأخضر والبصل الأخضر كما نفعل فى هذه الأيام .

فأخذ الإسرائيليون شيئا من مراسم هذا الموسم ، وجاء المسيحيون فزجوا بين عيد الربيع الذى تبعث فيه الأرض وعيد القيامة الذى يبعث فيه السيد المسيح ، واعتقد بعض شراحهم أن السيد المسيح حوكم وقضى عليه بالموت فى يوم احتفال اليهود بعيد الفصح وهو اليوم الرابع عشر من شهر نيسان ، وعدل فريق منهم عن هذا الموعد إلى الاحتفال بعيد القيامة فى يوم الأحد الأول بعد أول قمر كامل يلى موعد الاعتدال الربيعى ، أو موعد دخول الربيع .

ويأتى شم النسيم فى الاثنين التالى لعيد القيامة ، فهو يوم ولا كالأيام ، لأنه من أيام الطبيعة وأيام العقيدة وأيام التاريخ ، وفيه بيان ولا كبيان لمبلغ الاتصال بين الأديان من قديم وحديث ، ولو تقصينا فروعه وشعابه فى تاريخ كل زمرة وشعائر كل نحلة لما وسعه سفر كبير .

ولم يكن هذا العيد معروفا باسم شم النسيم فى العصور التاريخية القديمة ، ولكنه سمى بذلك بعد شيوع اللغة العربية فى البلاد المصرية ، ولا يذكر على التحقق سبب هذه التسمية ولكننا قد نفهمه من مصطلحاتنا التى نجرى عليها اليوم فى الدلالة على معناه .

فالمصرى يسمى الرياضة فسحة أو شم هواء ، وليس أقرب من تحويل عيد « الفسحة » أو عيد الفدح إلى عيد شم الهواء أو شم النسيم ، ولا سيما فى الموسم الذى تستطاب فيه النسمات ، وتضيق فيه الصدور برياح الخماسين .

وقد شاع بين المصريين المحدثين أن « شم النسيم » يوم تختلس فيه النسمات تختلسا ، وتباكر فيه الحدائق والبساتين قبل امتلاء الفضاء بأشعة النهار ، ومن لزم منهم المساكن ولم يخرج للنزهة فى ظلال الأشجار فالرأى عندهم فى الاستمتاع بطيب الهواء خلال ذلك اليوم أن يغلقوا عليهم النوافذ من الصباح ليحفظوا فى البيوت بقية من هواء الليل الرطيب قبل أن تلهبه حرارة الشمس بأنفاس الطريق .

وتذكرنا هذه العادة بطريفة من طرائف الزعيم الكبير سعد زغلول رحمه الله ، وقد تحدث إليه بعضهم عن حصافة « ذوى الرأى » فى البلاد ، وكان الموعد كموعد هذه الأيام .

قال رحمه الله : إنى محدثكم عن حصافة ذوى الرأى هؤلاء ، ولا أعفى نفسى مما يصيبهم فى هذه الأحدوثة ، فقد اتفقنا قبل يوم من أيام شم النسيم أن نقضيه فى دار صديق من أصدقائنا ، ونحن جماعة من ذوى الرأى كما تسمونهم سامحكم الله ، وكان فينا العالم والكاتب والفقيه والمنطيق ومن يشار إليهم بالبنان فى كل معضلة من معضلات الزمان .

وتوقعنا حرارة الجو المعهودة فى موسم شم النسيم فاتفقنا على أن نتقيها باغلاق النوافذ والأبواب منذ الصباح ، ثم أغلقناها كما اتفقنا وقضينا سويعات من بكرة النهار فى هواء رطيب محتمل ، ونحن نغبط أنفسنا على هذه الحيطة ونرثى لمن فاتهم أن ينعموا بهواء البيوت وخرجوا إلى القيظ فى الخلاء .

غير أن الحجرة ضاقت بأنفاس من فيها ، وزادهم ضيقا على ضيق كثرة المدخنين من نزلائها ، وجعلوا يقولون فيما بينهم إنه قدر أهون من قدر ، وأن احتمال الدخان خير من التلظى بنار الجو المحترق الذى قد يلفحنا بشواظه من وراء النوافذ والأبواب ، لو فتحت النوافذ والأبواب .

واختنقنا ضيقا ونحن على هذا الاعتقاد ، وتفصدنا عرقا ونحن على هذا الاعتقاد ، ومضى نصف النهار ونحن على هذا الاعتقاد .

ثم قدم إلينا قادم من أصدقائنا ففتحنا له الباب اضطرارا ؛ فأوشك أن يرجع أدراجه لحبسة الهواء فى داخل الدار .

أيام العروبة تبدأ فى سورية !

للدكتور عبد الوهاب بك عزام

سورية الكريمة العزيزة ، سورية الجميلة الجليلة ، سورية العربية الأبية ، سورية الشجاعة الجريئة المجاهدة الصابرة تغسل اليوم عنها العار ، وتستقبل الكرامة ، وتبسم للحرية بعد أن طال عبوسها للعبودية ، وتطوى صحيفة لعدوها سوداء لتنشر صحيفة لنفسها بيضاء ، وتختم جهاد المعتدين لتبدأ جهادا فى الحياة السعيدة المجيدة ، وتستأنف سيرتها العظيمة لتصل حاضرها الكريم ، وماضيها الخالد بمستقبلها الوضاء .

دمشق العتيقة الحديثة ، دمشق الماضية الحاضرة التى ثبتت للخطوب ثبات قاسيون، وابتسمت للمحن ابتسام مروجها وجنانها

دمشق مجتمع الأحداث قد زخرت فيها كما اندفقت فى البحر أنهار

دمشق قد استدار لها الزمان ، ورد عليها الدهر مجدها المنشود ، فهى اليوم ظافرة فرحة تأسو جراحها ، وتمد لمستقبل عدتها . قد انجلت عنها الغمرات كما ينجلى النقع عن البطل المرزأ يعصب جراحه ولواء النصر فى يده .

مرزأ بتلق الخطب منصلت تنشق عنه من الأهوال أجفان

ليت شعرى كيف الغوطة والربوة ودمّر والهامة اليوم ؟

أترى أشجارها تمايل طربا ، وأوراقها تصفق فرحا ! وكيف قاسيون ذو القمة الجرداء والسفح الأخضر .

نسر يرى اللوح منه هامة عطلا لكنه ذنب الطاووس جرار

كيف قاسيون اليوم ؟ أتراه شمخ برأسه عزة ، بعد أن رمى عنه آثار المذلة . وحلق على الرياض فرحا فى هذا النهار ، بعد أن وقع كئيبا فى ذلك الليل ؟

وكيف بردى ذو الفروع السبعة ؟ أهواليوم جذلان مطرد يصفق ماؤه بنسيم الحرية ، وتمحو جريته الظلال البغيضة التى تراءت على صفحته سنى الاستعباد ؟

قال متعجبا : ما بالكم تسجنون أنفسكم هذا السجن الثقيل فى هذا اليوم البديع ؟

قلنا : قدر أهون من قدر . أليست حبسة الهواء هنا أهون من نار الفضاء خارج الدار ؟

فضحك وهو يقول : أى نار فضاء ؟ إن الفضاء ليخفق بالنسيم الجميل ، وإنه كما يقولون ليشفى العليل .

وتقدم إلى النافذة ففتحها ، وتقدم غيره إلى نافذة غيرها ففتحها ، فإذا بالنسيم كما وصفه جميل يشفى العليل !

ونظر بعضنا إلى بعض متضاحكين ، وفاتنا ونحن خلاصة ذوى الرأى أن نجازف بالتجربة ، فنغنم نصف النهار ونستريح من كل ذلك العذاب .

وطرافة القصة كلها فيما ساقه فيها الزعيم الكبير من العبرة وأحاطه بها من التهكم والفكاهة ، ولكنه قد جار على نفسه هنا وجار على أصحابه بعض الجور لأخذهم بجانب الخطأ وحرمانهم جانب الانتفاع بحق « الرأفة » فى الحكم أو بحق الصواب . فلو اتفق أن الهواء كان على عادته من الحرارة والغبار فى تلك الآونة لما كان بقاؤهم وراء النوافذ المغلقة خلوا من الرأى السديد أو بعيدا كل البعد عن وجه الصواب .

* * *

ونحسب بعد هذا أن الخروج من شم النسيم بأضحوكة واحدة أو بمفارقة واحدة فريضة لا فكاك منها لتحية العيد الذى يسمى بعيد الربيع وعيد الشباب والحب والجمال . وهل يستحق الربيع اسمه إذا تنزهت فيه الدنيا عن الأضاحيك والمفارقات ؟

ربما كان من مفارقاته الخالدة أننا نحن المصريين احتفلنا به زمنا إذ كان الاحتفال به — بين ظهرانينا — احتفالا بالنجاة منا والخروج من بلادنا . وأننا قد وصلنا به ما تقدم من تاريخنا العريق كأنما كانت فترة بنى إسرائيل عارضا بين فصول الرواية الأبدية لا يدخل فى حساب المؤلف الخالد مؤلف التواريخ والأحقاب ، وقد كانت لتلك الفترة العارضة صفحة متجاوبة الأصداء ، لا يخفت دويها المتتابع مع الزمن فى مسامع بنى آدم وحواء .

عباس محمود العقاد

وليتنى أرى الآن جامع بنى أمية هل نطقت جوانبه تسبيحاً وتهليلا ، وهل تهم قبة النسر بالتحليق كما يحلق الطائر الوحشى قطع الشرك أو انفتح عنه المحبس ! ؟

وكيف أبطال تاريخنا فى المدينة وحولها ! كيف معـاوية والوليد؟ وكيف نورالدين وصلاح الدين؟ وكيف الظاهر والعادل؟ وكيف أبطال الجلاد فى عصرنا الذين نازلوا الباطل المدجج عزلا فزلزلوه حتى هدموه ؟

وليت شعرى هل انبعث الأذان من قبر بلال فى مقبرة الباب الصغير إيذانا بالفجر من هذا المهد المبارك ؟

* * *

وحلب الشهباء ، مدينة سيف الدولة والمتنبى ، حلب التى أمدت الثغور بأبنائها قرونا ، ودفعت الروم عن الشام عصوراً ، كيف جذلها اليوم، وأين متنبيها ينشد قصائد المجد ليرويها الدهر؟

وكيف قلعة حلب اليوم وقد لفظت المذلة ، واعتزت بما فيها من آثار المجاهدين الأولين . لقد دخلتها أول مرة قبل خمسة عشر عاما ورأيت جنود السنغال فيها يخطرون ، وينهون ويأمرون فأنشدت وفى النفس ما فيها من حسرات :

سادات كل أناس من نفوسهمُ
وسادة المسلمين الأعبد القزُم

فقد رفع اليوم عليها لواء الحرية ، ورحض عنها عار العبودية ، فخالت بناء جديداً ، ومرأى جيداً ، وكأن كل شيء فيها قد استحال! ليت شعرى هل نطقت فيها الآثار الصامتة ، وضحك على بابها الأسد الباكى (١) .

* * *

وليتنى اليوم فى حمص أقف فى روضتها كما وقفت من قبل ، أستمد من ضريح خالد بن الوليد كل معنى جليل ! ليتنى اليوم على قبر خالد أبشره أن الزمان قد استدار ، واستقلت الشام بأبنائها الأحرار ، فليصفق نهر العاصى طربا ، وليزهر الديماس فرحا فقد أقبل الربيع بربيع الحرية الناضر ، وعهدها الزاهر .

يادار هذا أوان السعد فاغتبطى لاعادك النحس بعد السعد يادار

وحماة المجاهدة ، هل تبدل أنين نعيرها غناء ، واستحالت دموعها فى البساتين ماء ؟ ما أجمل غناء النواعير فى حماة اليوم ! قد مضى عهد البكاء ، فليدم اللهم هذا الغناء .

وكيف أبو الفداء فى قبره اليوم ؟ يا أبا الفداء لقد طال المهجود ، فقم وأضف إلى تاريخك هذا الفصل الجديد .

* * *

يا سوريتنا الجميلة الحبيبة ! حيا الله فيك كل مدينة وقرية ، ونضر كل دارة وبقعة ، وحباك السعد مطرداً مع الزمان ، دائراً مع السنين .

ورحم الله كل مجاهد أمدك بحياته ، وسقى ترابك بدمه ، وثوى فى الأرض كلمة باقية فى سطور تاريخك الخالد .

ونضر الله وجوه المجاهدين الأحياء ، الذين صبروا وصابروا ، وبسموا للخطوب السود فى الظلام المكفهر حتى تبلج الصباح .

« فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا »

وحيا الله هـذا الرئيس الأمين ، الطاهر القلب ، المبارك الناصية « شكرى » شكر الله مساعيه ، وحيًّا أصحابه الكرام ، وحيا كل من شارك فى تحرير سورية بيده أو لسانه .

وبعد فيا سوريتنا العزيزة ، قد رفع الزمان الأعباء عن كواهل الأعداء فوضعها على كواهل الأبناء ، فليحملوا أعباء الواجب ، وليؤدوا تكاليف المجد ، وليبنوا مستقبلهم بأيديهم لأبنائهم ، وليعلموا أن حاضر العرب يؤمل فيهم ، وماضى العرب ينظر إليهم ، ومستقبل العرب ينتظرهم ، فليجمعوا القلوب والأيدى ، وليحسنوا البناء .

ألا إنه قد فتحت لهم صحائف فى التاريخ جديدة ، فليجيدوا الكتابة فى هذه الصحائف التى تخلد كل شىء .

إنهم يبنون أجيالا ، ويكتبون تاريخاً ، فلينظروا كيف بناء الأجيال وكتابة التاريخ .

يا سورية الجميلة ! إن أبناءك اليوم قد رجعوا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر .

عبد الوهاب عزام

---

(١) فى مدخل القلعة صورتان من الحجر لأسدين يقال إن أحدهما يضحك والآخر يبكى .

الأزهر فى مفترق الطرق

منذ أعوام ...

للأستاذ محمد محمد المدنى

حياك الله — ياصاحب الرسالة — وبياك ، ولا زلت موفقا راشداً تنافح عن الحق ، وتدعو إلى الخير ، وتهدى إلى الصواب .

وجزاك الله خيراً عن «الأزهر» أنت وصاحب «العبقريات» عباس ، فلقد نوهتما به فى الناس ، وما كان خاملا ، ولكن بعض الذكر أنبه من بعض ، وأقررتما حقه فى حياة عزيزة كريمة ، يرفع بها لواء الإسلام ، ويذود عن حمى الدين ، وينشر ثقافة العرب ، ويحفظ التراث الغالى الذى لم يبق على ظهر الأرض من يستطيع أن يحفظه سواه !

ولا زالت « الرسالة » الغراء مشرق نور ، ومصدر علم وأدب ومنتدى رأى وحكمة ، ومحجة صلاح وسداد ...

***

أما بعد فإن الأزهر من حيث نظامه ، وأقسامه ، وخططه ، ومناهجه ، وقوانينه ، ولوائحه ؛ لا يكاد ينقصه شىء : جمع بين الحديث والقديم فى نظام رتيب رزين لا إفراط فيه ولا تفريط ، وقرر من الكتب والدراسات والأساليب ما هو أدنى إلى تحقيق غايته ، وتقريب رسالته مع احتفاظه بشخصيته التاريخية ، وطابعه القوى الإسلامى ، وقسَّم مراحل التعليم فيه أقساما لا يستغنى لاحقها عن سابقها ، وأعد للدراسات العلى وللاخصاء كليات ثلاثاً ، له أن يزيد عليها كلما قضت بذلك حاجة العلم توسعا وإخصاء ، وفيه إلى ذلك « جماعة » ذات شأن وخطر ، كفل لها القانون حصانة ، وجعل لها مقاما محموداً ، ومنحها سلطاناً أى سلطان فى شئون العلم والدين ، وله مع هذا مجلة تحمل اسمه الرنان وذهبه الرنان أيضاً ! ، وللمجلة « مدير » عظيم ! ... و «مدد» من الكتاب كذلك عظيم ...

هكذا الأزهر فى نظامه وأقسامه ، وخططه ومناهجه ، وقوانينه ولوائحه ، وهو من هذه الناحية بخير والحمد لله ، وإن كان فى بعض التفصيل محتاجا إلى تهذيب أو تقويم .

وكان فضيلة الأستاذ الأكبر المغفور له الشيخ المراغى يعتقد — ويعتقد معه رجال دعوة الإصلاح — أن هذا النظام فى جملته هو خير النظم ، وأن الأزهر لا يحتاج إلى تعديله ، وإنما يحتاج إلى « تنفيذه » ، وليس الغرض تنفيذه شكلا ومظهراً ، ولكن جوهراً وروحاً ، وبأيد قوية حازمة ، وأعين بصيرة ، وقلوب مؤمنة ، وعقول على التدبير له والتفكير فى شأنه مقصورة ، فإن المظهر الذى لا روح له ، ولا حقيقة تؤيده ، يضر ولا ينفع ، ويؤخر ولا يقدم ، وإن التطبيق الصالح لنظام فيه بعض المزايا خير من التطبيق السيء لنظام من أرقى النظم .

كانت المعركة بين رجال الإصلاح وبين فضيلة الأستاذ الأكبر المراغى رحمه الله لا تعدو هذه الدائرة ، وكان لفضيلته ناحيتان : ناحية يرى بها رأى المصلحين ، ولا يجادلهم عليه ، ولا ينازعهم فيه ، بل كان يقرر فى عبارات صريحة جريئة أن نظام الأزهر لم ينفذ ، وأنه هو منذ تولى أمره لم يخط خطوة جادة فى سبيل تنفيذه على النحو الذى يطمئن إليه قلبه ويستريح إليه ضميره ؛ وناحية كأنها تحول بينه وبين ما يريد ، وتغلبه على أمره ، ذلك بأنه كان رجلا خطيراً ، نزَّاعا إلى غايات ، نظَّاراً إلى جوانب ، يغار على نفسه ، ويعتز بشخصه ، ويحسب للسياسة حسابها ، فيلمحها ويتطلع إليها ، ويراقب تياراتها ، ويفيد منها ، ويحارب بها ، ويجرى فى كثير من أعماله وأحواله على أساليبها ، فلم يكن من السهل عليه مع هذا أن ينفذ ما شرع ، وأن يحقق ما رأى ، فكان قصاراه أن يصابر الداعين ، ويلاين المهاجين ، وينتحل المعاذير فى لباقة وحسن تخريج ، ويحيل على الزمن ، ويُرى أنه يتربص للظروف والمناسبات ، ولكن رجال الدعوة أعيَوْا به وأعيابهم ، فانقلبوا عليه وانقلب عليهم ... فكانت ثورة الأزهر !

ولعل الأستاذ الزيات وقراءه الكرام لم ينسوا أن الرسالة الغراء كانت حاملة لواء تلك الدعوة . ولست أنسى أنها نشرت فى بعض أعدادها المذكرة المراغية المشهورة فى إصلاح الأزهر ، ثم علقت عليها بهذه الكلمة الجامعة اللاذعة التى ضمنها الأستاذ الزيات خلاصة الدعوة وغايتها حيث يقول : « هذه المذكرة هى مقطع الصواب فى هذا الباب ، وما نظن أحداً ممن تحرى وجوه

الصلاح لهذه الجامعة الإسلامية العظمى قد بلغ من ذلك بعض ما بلغ الإمام (المراغى) فى هذه الكلمة ... فلم يبق عليه إلا أن ينفذ ما وضع ، ويطبق ما شرع .

« إذا كنت ذا رأى فكن ذا عزيمة
فإن فساد الرأى أن ترددا » (١)

وقد توالت النذر ، وتتابعت الصيحات ، على صفحات الرسالة ، وفى التقريرات المرفوعة ، وفى المحاضرات العلنية الجامعة ، وكان منها تلك المحاضرة التاريخية التى ألقاها رجل كبير مسئول، لرأيه وزن وتقدير فى الأزهر وفى غير الأزهر ، هو فضيلة الأستاذ الشيخ محمود شلتوت عضو جماعة العلماء ووكيل كلية الشريعة « يومئذ » ، وقد عرض فيها لحالة الأزهر قديما وحديثا ، وبين مدى انتفاعه بقانون الإصلاح المبنى على المذكرة المراغية ثم قال موجها كلامه إلى إخوانه وأبنائه من الأزهريين :

« أيها الإخوان . أيها الأبناء . لا أحب أن أبرح مكانى هذا حتى أصارحكم بما يجب أن نحسب حسابه ، وأن نجعله نصب أعيننا من التفكير والعناية : إن الازهر حقيقة كان مقصراً فيما مضى ، ولكن الأمة لم تكن قد نهضت هذه النهضة ، ولم تكن قد مارست من الشئون ما تمارس اليوم ، فلم يكن الفرق بينها وبين الأزهر يومئذ ملحوظا ، أما اليوم فإن الأمة قد تنبهت وأصبحت تكلف أبناءها نشاطا فى خدمتها ، ودأبا على ترقية شئونها ، وإخلاصاً وتفانياً فى أداء واجباتها ، وهى ترقب عن كثب ما تعمله كل طائفة لتحل هذه الطائفة محلها من الإعتبار أو الإهمال .

« ولست أشك فى أن أبناء الأزهر اليوم قد وسعت الحياة مداركهم ، وملأت بالآمال نفوسهم ، وخلقت فيهم استعداداً حسناً للاضطلاع بأكبر المهام ، ومنافسة أعظم الجامعات ، وإنه لا ينقصهم سوى شىء من العناية الجادة الحازمة يتصل بهم ، فيربط بين قلوبهم ، ويكشف لهم عن وجهتهم ، وينظم جهودهم ويبرز أعمالهم ؛ وليس من الرأى أن نترك هذه النفوس المستعدة المتطلعة إلى المجد حائرة دون أن نهديها السبيل (٢) »

(١) الرسالة المجلد الأول من السنة التاسعة ص ٦٩١

(٢) محاضرة (السياسة التوجيهية العلمية فى الأزهر) لفضيلة الشيخ محمود شلتوت — ص ١٤ . وقد ألقيت هذه المحاضرة بدار كلية الشريعة فى فبراير سنة ١٩٤٣ .

تلك صفحة من تاريخ الجهاد فى سبيل الأزهر ، وفى الرسالة صفحات وصفحات !

***

و ... أما بعد — مرة أخرى — فإن الأزهر كما تقول يا صاحب الرسالة فى مفترق الطرق ، وهو فى مفترق الطرق منذ ذلك العهد ، حين وضع نظامه الجديد ثم اكتفى فى تنفيذه بالعرض دون الجوهر ، وبالقشور دون اللباب ، وسيظل فى مفترق الطرق حتى يأذن الله له بنفحة من نفحات الجد والعزم والإقدام يُقصَد بها وجهُ الله فحسب ، ولا تلوبها السياسة ولا الأغراض ولا المناصب ولا الدسائس عن غايتها . يومئذ يندفع الأزهر من مفترق الطرق سيراً إلى الأمام ، يسابق فيسبُق وإنه لسباق !

أما إذا طالت وقفته ، فإن ركب الحياة لا يستأنى له ، ولا يصبر عليه ، ويومئذ تكون التى نسأل الله ألا تكون !

وأحب أن أقول : إن عهد المغفور له الأستاذ الأكبر المراغى قد مضى بماله وما عليه ، واستأنف الأزهر عهداً جديداً وشيخاً جديداً ، فمن الخير أن نعتبر بما كان حتى لا نقع فى مثل أخطاء الماضى . من الخير أن نقدم مصلحة الأزهر جامعتنا المحبوبة على كل مصلحة ، وأن نسوسه بسياسة غايتها نجاحه هو لا النجاح على حسابه ؛ غايتها توجيهه توجيهاً علمياً إسلامياً نافعاً مثمراً صادقاً لا توجيهاً سياسياً ولا حزبياً ولا طائفياً ظاهره فيه الرحمة وباطنه من قبله العذاب !

لقد انقضى هذا العام الدراسى فى الأزهر كما انقضت أعوام من قبله ، ولم نر إلا وجوها جديدة ، ومناصب جديدة ، وعلاوات ودرجات وترقيات ، أما ما وراء ذلك فإنى أكون مقتصداً جداً إذا قلت إن الحال هى الحال !

وقد يقال : إن الإدارة الجديدة لم يمض عليها بعد زمن نحاسب معه على ما قدمت أو أخرت ، ولكن هبوا الصبح لم يشرق فأين تباشيره ؟ أين ما يدل على نوايا الخير والإصلاح والنهوض ؟

كنت أتوقع أن يكون أول ما يهتم به فضيلة الأستاذ الأكبر الجديد ، أن يجمع كل ما كتب فى الصحف أو التقارير على عهد فضيلة الشيخ السابق ، وأن يضم ذلك إلى محاضر اللجان

المتعددة التى ألفت لبحث أسباب الركود وعوامل الضعف ، وأن يراجع جميع المشروعات التى وضعت ثم طويت ، وأن يدرس جميع المشاكل التى تسبب القلق للدراسة فى كل عام من مطالب للطلاب أو الأساتذة ، وأن يتصل بالمختصين فى كل وزارة ليصون حقوق الأزهر التى فى يديه ، ويسترجع حقوق الأزهر التى انتزعت منه .

كنت أتوقع أن يسأل عن البرنامج العملى الذى وضعته لنفسها « جماعة كبار العلماء » باقتراح من بعض أعضائها ، لوضع تفسير للقرآن الكريم خال من الحشو والروايات الموضوعة والإسرائيليات ، ولبحث ما جد ويجد من المعاملات ، ولتنظيم الوعظ والإرشاد على طريقة مجدية ، ولكذا وكذا ... مما جاء فى هذا البرنامج الذى وضع ثم أقر ثم أميت . فبأى ذنب قتل ؟

كنت أتوقع أن يسأل عن قسم تخصص المادة فى الأزهر وما سبب توقفه ؟ وهل كانت ريحه تجرى رخاء كما أراد القانون؟

كنت أتوقع أن يسأل عن اللجان التى ألفت لترجمة المفيد من كتب الغرب العلمية تمهيداً لإخراجها والانتفاع بها .

كنت أتوقع أن يسأل عن حالة البعوث العلمية التى تفد إلى الأزهر من سائر البلاد الإسلامية شرقيها وغربيها ليعلم : أيقوم الأزهر بأداء أمانته فى هذه الناحية ؟ وما مدى قيامه بها ؟

كنت أتوقع أن يقرأ مجلة الأزهر ، ثم يسأل عن مشروع إصلاحها وماذا فيه ؟ وفى أى درج من الأدراج هو الآن ؟ لينفض عن الغبار ، وينفى عنه القتار !

كنت أتوقع أن يسأل عن « مشروع بناء الجامعة الأزهرية » وبعض المعاهد الدينية تمهيداً لاستئناف العمل فيه ، وقد شرف فضيلته بعد انتهاء الحرب ، وفى ظلال الأمن والسلام .

كنت أتوقع ذلك كله ، وكنت أتوقع أكثر منه ، لأنى أعرف أن الأستاذ الأكبر الجديد رجل أزهرى من تلاميذ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده ، يغار على الأزهر ، ويسره صلاحه ونجاحه ، وأنه قد ضم إلى ثقافته الأزهرية ثقافة أوروبية ، وتقلب فى مناصب عدة ، وكنا نسمع عنه من أصدقائه المتصلين به أنه غير راض عما كان قبله من المطاولات والمراوغات .

كنت أتوقع ذلك كله ليسير الأزهر فى عهده الجديد سيراً حثيثاً إلى الإمام ، فيتدارك مافاته ، ويحقق ما أخذ على عاتقه تحقيقه ويثبت للناس بالأعمال لا بالأقوال أنهم فى حاجة إليه ، وأن غيره لا يغنى عنه .

ولكن شيئاً مما توقعته لم يكن ، أو أنا على الأقل لم أره ولم أعلم به ، وما أحسب الأمر من السر والكتمان ، بحيث يكون ولا أعلم أنه كان !

ومهما يكن من شىء فلا أحب أن نيأس ، وقد كنا سمعنا أن فضيلة الأستاذ الأكبر قال فى أول خطبة له بعد أن تولى منصبه مخاطباً أبناء الأزهر : « أما والله لأدفعنكم بكلتا يدىّ إلى الطريق ! » فإن كان موعد هذا الدفع لم يحن بعدُ فرجو ألا يطول بنا الانتظار !

* * *

وأما بعد مرة ثالثة ، فإن لى فى شأن اقتراح الأستاذ الكبير الزيات ، وما أتبعه به الأستاذ الكبير العقاد ، رأياً ، وليس المجال اليوم بذى سعة فأدلى به ، فإلى اللقاء — إن شاء الله — فى حديث بعد هذا الحديث .

محمد محمد المدنى

المدرس فى كلية اللغة العربية

لمحاربة المرض والفقر والجهل :

إلى القرية ... ياشباب

للأستاذ على الطنطاوى

لما كنت موظفا (فى بغداد) كنت أجلس كل عشية على سطح منزلنا فى (الأعظمية) أشرف على الحقول التى تمتد إلى غير ما حدّ ، أرقب الشمس وهى ترجع إلى خدرها ، والفلاحين وهم يؤوبون إلى منازلهم فى خط طويل متسلسل كأنه نهر جار، نهر يجرى منذ عصور مديدة لا يقف ولا ينقطع ولا يبلغ مصبّه ، يسوقون دوابهم التى أنهكها العمل ، وأضناها الكد ، كما أضنى أصحابها الشغل المتواصل فى الحقول ، الشغل السرمدىّ الذى يبدأ مع الفلاح حين تبدأ حياته ، ولا ينتهى حتى تنتهى ، يشتغلون وهم أطفال ، ويشتغلون وهم شباب ، ويشتغلون وهم شيوخ ، لا يستريحون ولا ينالون على تعبهم إلا لقمة من خبز الشعير ... فيالروعة الواقع !

هؤلاء الذين يشتغلون هم ونساؤهم وأطفالهم ودوابهم ليقدموا للناس القمح لا يأكلون خبز القمح! هؤلاء الذين يرفعون عماد الدولة لا تدرى بهم الدولة ، ولا تهتم بهم ! هؤلاء الذين يملأون بالذهب صناديق السادة الكسالى يحتقرهم السادة ، ولا يدعون فى جيوبهم قرشاً يشترون به ثوبا نظيفا لطفلهم الذى يتبع طفل السيد ، كأنه الكلب الجائع يسأله قطعة من (العيش) الأبيض الذى يزرعه أبوه هو ، فلا يعطيه إلا الحجر الذى يرجمه به ، إنه يستنكف عن أن يمسه بيده الناعمة الرخصة البنان ...

كنت أرى ذلك فيذهب بى الفكر إلى عشرات من المشاهد رأيتها فى قرى الشام وفيما زرت من قرى مصر ...

يذهب بى الفكر إلى حوران يوم زرت رفيقاً لى كان معلماً فى إحدى قراها ، فرأيته يسكن عند الفلاح فى داره المبنيّة من الأحجار السود المكدسات ، بعضها فوق بعض ، لا يمسكها أسمنت ولا طين ، ولايدرى الساكن تحتها متى تهبط عليه فترديه قتيلا . وفى هذه الدار غرف متعددات ، فى الأولى البقر ، وفى الثانية الحمير ، وفى الثالثة الخرفان ، وفى الرابعة الفلاح وأسرته ، يعيشون كما تعيش تلك البهائم ... ولقد أمسكت بأنفى لما دخلت الغرفة ... لأن الرائحة كادت تقتلنى : رائحة الدواب التى تأتى من هناك ، ورائحة (الجلّة ...) التى يوقدونها فى وسط الغرفة ، فى حفرة حفروها فيها ، لأنهم لايملكون ثمن الحطب ولا الوقود، ولكنى صبرت وولجت متوكلا على الله . ولما صافحنى الفلاح بيده المتشققة الخشنة شعرت كأنى ألمس مبرداً ، ولكنى صبرت (أيضا) لعلمى بأن هذه اليد الخشنة هى التى تقدم إلى الخبز الذى أعيش به ، والمال الذى آخذ منه راتبى ، وأشترى منه هذه الثياب التى أفتخر بها على الفلاح ، وأخشى أن يدنسها بيته . ثم رأيت أطفاله وأردت نفسى على مداعبتهم ، فإذا هم يحملون الأقذار على ثيابهم ، والذباب على أفواههم ، والقذى فى عيونهم ، والمرض فى أجسامهم ، وليس فى القرية طبيب ، وليس فيها دائرة صحة ، وليس عند الفلاح مال ، وليس عنده علم . إن السادة الذين أخذوا ماله وثمرة كدّه لم يعلموه ، ولم يعطوه أجرة الطبيب ... ثم جاء الفلاح بالأكل وأعقبه بالشاى ، وإنى أعفى القارئ من وصف هذا الأكل وهذا الشاى ... أخشى أن يصيبه الغثيان !

ويعود بى الفكر إلى حوران ، وقد زرت تلك القرية مرة ثانية ، وكان ذلك فى وقت الحصاد ، يوم حق للفلاح أن يتمتع بتعبه بعد سعى موسم كامل ، يوم نال مكافأته على هذا التعب الطويل ، والشغل المضنى ، فاذا الدائنون المرابون والجابى ، ينتظرون على باب المنزل . فلما رجع الفلاح إلى منزله هاشاً باشاً مبتسما ، يحمل المال الذى حصل عليه بجدّ يمينه وعرق جبينه ، اعترضوا طريقه قبل أن يصل إلى أولاده ، فأخذوا المال كله فلم يف بالذى يطلبونه وبقى عليه للحكومة أربع وثلاثون ليرة ...

يا للقانون ! يا لحق الخزينة ...

يا أيها الجابى شدّ ركابك ! يا أيها الجندى أعدّ سوطك وسلاحك ! يا أيها الناس أقيموا القيامة على هذا اللص الذى أكل أموال الدولة ...

حلّ البلاء بساحة الفلاح المسكين ، ونزل عليه جنود الدرك يقيمون حتى يؤدى المال ، يتشهون عليه المآكل ، ولا يرضون بغير الدجاج والخرفان ، وهم فى بيوتهم لا يأكلون إلا الزيتون

والجبن ، ويأخذون شعيره ليطعموه دوابهم ويضربون وجهه وظهره ... إنهم يطلبون بقية الضريبة ...

ولكن لم يبق عنده شيء .

إذن فلتبع أمتعته .

ولم يجدوا عنده إلا الفراش القذر ، واللحاف الخلق ، والبساط المخرق ، والقدر الأسود ، فباعوها بالمزاد العلني وتركوه على الأرض .

ولما رجع الجباة كلهم إلى العاصمة ... وجمعوا ماملأ الخزانة تبسم ولي الأمر ، وقال لأعوانه :

— لقد اجتمع مال يكفي السنة كلها ، وإننا لا نستطيع أن نرد هاتيك الوسائط كلها والشفاعات ، فأعدوا مرسوما بإعفاء فلان بك من الضرائب المتراكمة عليه من سبع سنين ، وهي تسعة وعشرون ألف ليرة وسبعة وخمسون قرشاً ...

أعفوه ، ولكن تسعة عشر ألف فلاح صاروا ينامون على الأرض ، لم يبق لهم فراش !

* * *

كنت أذكر ذلك وأنا أنظر إلى خط الفلاحين الذين يعودون إلى دورهم ، وقد غاب أوله خلال الظلام ، فأفكر في هؤلاء الفلاحين إلى متى يعشون ؟ أما لمشاهم نهاية ؟ أما لطريقهم آخر ؟ أكتب عليهم أن يشاركوا البقر والحمير في عملهم وطعامهم وسكناهم ؟ أكان لزاما عليهم أن يعملوا أبداً ليستريح الـ (بك) أو (الباشا) ؟ ويجوعوا ليأكل ؟ ويفنوا جسومهم ونفوسهم ليأخذ هو الذهب فينفقه على موائد الخمور ومجالس الفجور ؟

أيبقى هؤلاء الناس مجاهلين ، يعيشون بمعزل عن الحياة ، يترفع الشاب المتعلم عن الجلوس إليهم ومصالحتهم والسلام عليهم ، وإذا بعثوه ليكون معلماً لهم ، أو موظفاً فيهم ، أقام الأرض وأقعدها ولم يدع وسيلة للتخلص من هذا (النفي) إلا توسل بها ؟

إن الفلاحين في بلاد العرب ، هم جمهرة السكان ، هم حياة البلاد ، هم الشعب ، فإلى متى يبقون محرومين من العلم والصحة والنظافة والإنصاف والمدنية ؟

فكروا في هذا أيها الشباب ...

يا أيها الشباب الذين يعرفون القرية ومعيشتها وحالة أهلها ...

يا أيها الشباب الذين يحبون بلادهم ، ويريدون صلاحها ...

إن الشاب النافع هو الذي يخدم ويعمل ويدع أثراً صالحا ، أما صاحب الجعجعة والكلام الفارغ فلا ينفع أحداً ، إن ميدان القرية أحوج الميادين إلى همم الشباب ، وذكائهم ، ومعرفتهم ونشاطهم ، لا أريد أن يترك الطلاب مدارسهم ليزرعوا الأرض ، ويعيشوا في الحقل ، ولكن أريد أن يفكروا بمثل (مشروع إنعاش القرى) الذي قام به في صيف سنة ١٩٣٣ نفر من طلاب الكلية الأميركية في بيروت ، فانتخبوا من المتطوعين للعمل في القرية فريقاً بحثوا أسبوعا في (مؤتمر) عقدوه ، ودرسوا أحوال القرية اللبنانية ، وعرفوا داءها ، وفتشوا عن دوائها ، وكان يعاونهم بعض الأساتذة والخبراء الفنيين ، ثم ألفوا أربع بعثات وأرسلوها إلى القرى ، فدرست الحال عن كثب ، ورأت أن العمل في قرية واحدة يقيمون فيها الصيف كله أسهل وأنفع ، وأنه يجب على أعضاء البعثة أن يحملوا خياما يبيتون فيها ، وطعاماً لهم وشرابا ، ليخففوا عن الفلاح ولا يرزؤوه شيئاً ، وليروه لونا من الحياة جديداً ويحببوه إليه ، وكان من أهم أغراض أصحاب ذلك المشروع :

١ — الصحة ، فيكون في البعثة الصحية قسم للدرس والإحصاء والتعليم ، وقسم للتطبيب .

٢ — النظافة ، بتعليم الناس ومحاضرتهم ، وبالعمل على إصلاح مجاري الماء ، الطيب والخبيث ، وتنظيف الطرق وتجفيف البرك .

٣ — الزراعة ، بإرشاد الفلاح إلى طرقها الجديدة ، وآلاتها الحديثة ، وأصول مكافحة الحشرات والأمراض .

٤ — تعليم الأميين من الفلاحين ، والعمل على إنشاء المدارس لأولادهم .

* * *

إننا اليوم على أبواب العطلة الصيفية ، وسيبقى أكثر الطلاب في المدن ، يرتادون القهوات ، ويؤمون السينمات ، ولا ينفعون خلالها ولا ينتفعون . فهل يعمل فريق من الطلاب في كل بلد على (إنعاش القرى) على نحو ما ذكرنا ، فيكون لهم من ذلك صحة في أجسامهم ، وقوة في نفوسهم ، وخبرة ببلادهم ، وخدمة

نظرية الأجناس البشرية
والكونت دى غو بينو

للأستاذ ماجد بهجت

جدير فى هذا الظرف الذى يمثل فيه زعماء النازية أمام محكمة نورمبرج الدولية ومن بينهم روزنبرج حامل لواء العقيدة الجنسية وزعيم حركتها ، أن نقدم إلى قراء العربية خلاصة عن نظرية الأجناس البشرية التى بشر بها الكونت دى غوبينو الفرنسى، ولا سيما وأن هذه النظرية شغلت الرأى العام طول الحرب وهى ما تزال موضع تفكير الناس واهتمامهم . على أنا حاولنا جهدنا الاختصار تاركين لأهل العلم والاختصاص الإفاضة والتطويل . وقد اقتصرنا على ماجاء فى أصل النظرية لدى الكونت دى غوبينو وتأثيرها فى حينه . هذا ولعلنا نعود إليها ثانية لنستكمل بحثها والتطور الذى طرأ عليها فى العهد النازى .

الكونت دى غوبنو :

فى يوم من أيام ١٤ يولية الذى دك فيه الباستيل وخرج الأحرار منـه يعلنون حقوق الانسان ومبادئ الحرية والمساواة تمخضت امرأة حامل من الأسر الفرنسية النبيلة عن غلام هو الكونت « جوزيف ارتوردى غوبينـو » ، وقد اشتهرت هـذه الأسرة بعدائها للثورة الفرنسية ومبادئها فشب الطفل يوسف على منوال نفسه ، شريفاً فيه نزعة الأرستقراطيين وعلى شفتيه نبرات الأمر ، محباً لمطالعة مشغوفاً بالسياحات ، أراد أبوه الضابط فى حرس شارل العاشر ملك فرنسا أن يجعل منه ضابطاً مثله فى السلك العسكرى فأدخله بعد إعداده الإعداد الدراسى اللازم مدرسة سان سير الشهيرة ، لكنه لم يحظ برؤية ابنه متوشحاً الأوسمة يختال ببزته العسكرية إذ انتقل إلى دار الفناء، فانتقل ابنه إلى عهدة عمه الكونت تيبو يوسف دى غوبينو الذى اشتهر فى يوم ٩ بترميدور باطلاقه رصاص مسدسه مع بعض المتهوسين على يعاقبة المؤتمر الوطنى . أراد الكونت العم أن يستعمل سلطته فلايدع ابن أخيه يتصرف فى الأموال التى خلفها له أبوه على هواه فكان نزاع بينهما انتهى بأن استقل الكونت الشاب بثروته فسكن باريس وانكب انكباباً منقطع النظير على الدرس والقراءة ، فانه ليستمر عليها أياماطوالا حتى إذا شعر بحاجته إلى اللهو والراحة عمد إلى قطعه من الحجر ينحت فيها على شكل أقنوم أو تمثال جميل أو إلى يراعه يجبر على القرطاس ما تجيش به نفسه من المشاعر والأهواء ، وكأن كتاب مدام دى ستال عن سياحتها فى ألمانيا قد أثر فيه فيؤثر تلك البلاد برحلاته وتجواله ثم يتحول إليها ويلتحق بجامعة مدينة ينا ، وهناك يبدأ حبه للعنصر الجرمانى الأشقر حتى إذا عاد إلى بلاده انكب كعادته

لإخوانهم ، ومأثرة باقية عند الناس وعند الله ، ونجاة من ملل الصيف وحرّه ، ويكون لهم من هـذه الإقامة فى القرية تحت الخيام ، وهذا التعاون مع إخوانهم على هذا العمل الصالح سعادة تمر الأيام ويذهب الشباب ، ولا تمحى من النفس ذكراها ، ويكون ذلك هو الدواء الشافى لهذا الداء المثلث الذى استعصى على الأساة ، داء الفقر والجهل والضعف ... هل يقبل على ذلك شباب (الإخوان المسلمين) السباقين إلى كل خير ؟

وهل يعمل هؤلاء الشباب على إنشاء (أدب القرية) ؟ ذلك بأن يدعوا الكتاب والشعراء إلى وصف حياة القرية ، وأن يكتبوا فيها القصص ، والمباحث ، ويختلطوا بالفلاحين، ويترجموا لنا آمالهم وآلامهم . وهذا اللون من ألوان الأدب موجود فى كل الألسنة واللغات إلا اللسان العربى ، فانه قليل فيه أو هو نادر ، وعلة ذلك احتقارنا الفلاح ، وإهمالنا شأنه ، ونسياننا أن الفلاحين ناس مثلنا ، يبذلون فى سبيلنا كل شىء دون أن تصل إليهم مكافأة ، أو ينالوا ربحاً ، أو يسمعوا شكراً؛ بل إنهم ليتمنون أن ينظر إليهم الـ (بك) كما ينظر إلى كلبه العزيز عليه ، الأثير لديه ...

فيالهؤلاء المساكين !

إن المروءة والشرف والواجب الوطنى ، والدين والإنسانية ، وكل مبدأ مقدس يدعوكم إلى مساعدة الفلاح ، ياأيها الشباب ...

فيا أيها الشباب : إلى القرية ... إلى القرية !

* * *

لا . لست اشتراكياً ، ولا شيوعياً ، ولكنى إنسان ، وإنى مسلم !

على الطنطاوى

على مطالعة كتب المشرقيات محاولا استخراج برهان لشيء يجول فى خاطره ، أو غاص فى كتب علمية مختلفة بيولوجية وفزيولوجية أو فلسفية وتاريخية يستنتج منها مادة لنظرية جديدة .

العوامل النفسية لدى الكونت دى غوبينو :

هى نظرية جديدة تتجاوب مع نفس هذا الشاب الارستقراطى الذى أتت الثورة على امتيازاته فزحزحتها ، وتتفق مع هذه النزعة الاستعمارية فى الفتح والتوسع التى بلغت أشدها فى القرن التاسع عشر أوحت إليه بها كل هذه العوامل المحيطة به ، فهو لا يرتضى أن يتساوى مع غيره لأنه أرفع منهم شأنا ، ولا يريد أن يكون وإياهم على صعيد واحد من حيث سلالة العرق وجريان الدم ، لكن مثل هذه الأوهام لا يمكن أن تنطلى على طبقات الشعوب الأوروبية ، لا سيما وأن مبادىء الثورة أعطتهم الدليل تلو الدليل على أن مسألة تأخر أناس وتقدم آخرين هو محض تهذيب وتثقيف أصاب منه واحد بسهم وحرم منه الآخر .

من هم إذاً ؟ هم هؤلاء الشرقيون الذين انحطت مدنيتهم فى هذه العصور الحديثة وقلت وسائل دفاعهم ، مما جعلهم عرضة لأطماع سكان أوروبا الغربيين . وجد الكونت دى غوبينو ضالته فلم يبق عليه إلا أن يدعم رأيه بالبرهان ويؤيده بالمنطق العلمى .

يدخل الكونت السلك السياسى الخارجى وتظهر له كتابات أدبية عديدة، منها مأساة فى خمسة فصول وقصص فروسية مختلفة، وإنها لتمضى خمس عشرة سنة يقيم فى أثنائها تارة فى برن عاصمة السويسريين ، وتارة فى فرنكفورت من أعمال ألمانية حيث تجرى له مقابلة مع الوزير الألمانى الشهير بسمرك ، ولكنه يظل فى كل هذه المدة دائب العمل على البحث والتنقيب ، وفى حوالى سنة ١٨٥٣ يدفع بنظريته إلى النشر .

النظرية :

إن المخلوقات من حيوان ونبات وجماد تخضع لقانون طبيعى أزلى يتميز بعضها من بعض . فهنالك فصيلة خير من فصيلة ، وعنصر خير من عنصر ، وبطون خير من بطون .

ففى الحيوان ترى الخيول العربية مثلا أفضل من غيرها .

وفى النبات ترى الورد الجورى له رائحة زكية هى أعبق وأشهى على الشم من غيرها .

وفى الجماد تجد للفولاذ متانة تفل الحديد . كذلك الإنسان — وهو عنصر من الحيوان — فإن لبعضهم تفوقا على آخرين ، وهذا الإنسان المتفوق « إنسان أعلى » « Sur homme » ، وإنه ليكثر عدد المتفوقين فى شعوب دون شعوب ، فبطبيعة الحال تكون هذه الشعوب التى كثر أفرادها المتفوقون ، شعوبا متفوقة « شعوباً عليا » « Snrpeuples » ، وما دام قانون الطبيعة يعطى الغلبة للسامى المتفوق فإن من الحق الطبيعى لهذه الشعوب المتميزة أن تكون لها السيطرة ، وأن تقبض بيدها على مقدرات العالم .

هذا وإن تطور تاريخ تطور الشعوب — كما تقول النظرية — هو تطور العرق ذاته ، ولقد كانت الأمم ذات البشرة البيضاء سباقة إلى المدنية والرقى ؛ بل إنه كتب لها دائما الظفر فى جميع الميادين فدلت على علو كعبها وسمو محتدها . وهناك فوارق ذات بال فى الجنس الأبيض نفسه ؛ فإنها ليست كلها سواسية ، فالرفعة والسمو منحصران فى العناصر المتحدرة من أصل آرى فقط ، لاسيما ما كان منها من هذه الكتلة المختارة أحفاد الجرمان والفرنك القدماء، وأن زعم الساميين القديم بأرجحيتهم وحصر مظاهر القوة والجمال والذكاء فيهم ، والعوامل التى تؤهلهم لأن يتحكموا بالعالم على هواهم ، هو مجرد بطلان وأوهام، فإن العنصر السامى أحط من أن يبلغ المستوى الذى فيه العنصر الآرى فلا عبرة هنا لبياض بشرته .

تعتمد النظرية فى إثبات دعواها على أربعة عوامل : روحية ، وعلمية ، وتاريخية ، وواقعية .

١ : إن القدرة العلوية شاءت أن تختار عنصرا متفوقا من بنى الإنسان ، لتعهد إليه بالإدارة ، ولتكل إليه أمر القيادة فى العالم .

٢ : إن العلم فى ذاته فيه دافع إلى السيطرة والغلبة ، فإنه يسلم صاحبه وسائل ارتقائه وسموه .

٣ : إن التاريخ يحدثنا عن الأبطال وحدهم ، فهم السادة المطاعون القابضون على زمام الأمور .

٤ : إن الواقع يصف لنا حاجة الأمم الماسة إلى التوسع ، وبسط النفوذ نتيجة لزيادة الإنتاج وكثافة النسل .

وتنتهى النظرية بالدعوة إلى وجوب إنشاء امبراطورية واحدة تضم جميع هذه الشعوب التى كتب لها ابيضاض الجلدة وصفاء الدم فتهيمن على العالم وتسيره بإرادتها الجبارة .

وقع النظرية فى فرنسا :

لم يؤبه للنظرية عند ما نشرت فى فرنسا ، ولم تلق شيئا قليلا أو كثيرا من الاهتمام ، الأمر الذى أسقط فى يد صاحبها ووقع فى خيبة شديدة على عكس ما كان يؤمله ويرتجيه ، بل كانت مثارا للهزء والضحك الشديدين، فكل ما قيل فيها أن الكونت دى غوبينو وهو من الاشراف أراد أن يثأر لأهل طبقته التى تدهورت عزتها هى والجاه الذى حملته دهرا طويلا ؛ بل إن الكتاب الذى أصدره الكونت نفسه فيما بعد عن قراءة الخطوط على أشكالها المختلفة أى قراءة ما يكتب بالعكس ، وبشكل عمودى أو مائل وغير ذلك كان له وقع أكبر من النظرية للبراعة التى أظهرها الكاتب فى هذا المضمار لدى غواة هذا الفن .

وإذا أردنا أن ننصف النظرية لا نجد أنها أتت بشىء جديد فلم ينتظر الأنبياء وكبار المتشرعين أو القواد الفاتحون من الاسكندر المقدونى إلى يوليوس قيصر إلى شارلمان إلى نابليون أن يطمعوا فى جمع العالم فى امبراطورية تحت إمرة واحدة . ويظهر بطلان النظرية وفساد دعواها من تجريد الشعوب السامية عن كل سؤدد ومجد، وقد دلت هذه الشعوب فى مختلف أدوار التاريخ على تقدمها ونجاحها . وليس أدل على ذلك من هذه المدنيات الباهرات التى سطع نورها من شواطىء النيل وما بين دجلة والفرات وفى رياض الشام وأنحاء العربية السعيدة فى اليمن يوم كانت تلك النخبة المختارة من الجرمان والفرنك قبائل بربرية تعيش عيشة ابتدائية . ولقد كان يهون الأمر لو أن النظرية قدرت أن تبرهن على صفاء الدم وطهارة أى جنس من الأجناس البشرية عن الاختلاط بغيرها .

وقع النظرية فى ألمانيا :

ظل الكونت دى غوبينو حياته مسافرا متنقلا من بلد إلى بلد ومن عاصمة إلى عاصمة ، يمثل بلاده كمعتمد أو سفير فلم يعتب عليه بلد أوروبى ، ناهيك عن أنه مكث حقبة من الزمن فى طهران وعاش مدة فى الريودى جانيرو ، ولقد كانت آخر هذه العواصم مدينة استوكهلم ، قام على أثرها بجولة فى روسيا وأنحاء بلاد اليونان ، ثم عاد إلى فرنسا وأحيل على المعاش . ولا يخطر على بالنا أنه انقطع فى كل هذه الحقبة عن الحياة الأدبية فهو ما فتىء مؤمنا بنظريته يدنا أعمى يجد فيها فتحا جديدا ، يتحدث عنها فى كل مجلس يضمه ، الأمر الذى حدا بالأميرة غون بجشتيان أن تقول فيه : « هذا دون كيشوت حقيقى فى قالب علماء الاجتماع ولباس رجال السياسة » .

لم يشأ القدر أن يترك الخيبة التى لحقت بالكونت تقتله من جراء الفشل الذى أصيبت به نظرية الأجناس البشرية ؛ فقد قدر له أن يجتمع فى روما بالموسيقار الألمانى الشهير ريشار فجنر ، فأغرم هذا بالنظرية وبصاحبها ووعده إذا قدم وإياه ألمانيا أن يعمل جهده على نشرها . وهكذا كان فاجتمع الصديقان فى مدينة بايرون حيث احتفل أدباؤها بصاحب النظرية احتفالا باهرا وأظهروا استعدادهم لنشر آرائه ، وكان أول عمل قاموا به أن أسسوا من بينهم رابطة سموها باسمه ونشروا كتبه بالألمانية ، ومنذ ذلك الوقت اشتهر دى غوبينو فى الأوساط العلمية والسياسية ، إذ أن النظرية جاءتهم فى وقت كانوا فيه على وشك انتهائهم من تحقيق الوحدة الجرمانية يفكرون بتأسيس امبراطورية مترامية الأطراف ، فاتخذها رجال غليوم الثانى وسيلة لدفع الشعب على غزو المستعمرات ونشر العلم الألمانى فى الآفاق البعيدة حيث تقول النظرية بأن السيادة للغالب المتفوق ، وليس جديرا بالغلبة والتفوق غير الآريين ، والعنصر الجرمانى أسمى عنصر آرى .

ولقد لعبت النظرية دورا مهما فى عالم الأدب والسياسة ، فتغنى بها الكاتب الألمانى الشهير فريدريك نيتشه وأوحت إليه بعض آرائه عن السبرمان ، ومنها انبعثت فكرة الدى الجرمانى Pan germinisme قبل حرب سنة ١٩١٤ ، وكانت للوطنية الاشتراكية بمثابة الحجر الأساسى ، ولها التأثير الأول فى تجريد الأقلية اليهودية عن الجنسية الألمانية واعتبارهم عرقا رديئا منبوذا لا يجوز الاتصال به ، ولا ندرى ما ستخلقه فى المستقبل .

عامل انتشار النظرية فى ألمانيا :

لا شك فى أن الشعوب الشمالية هى أرقى الشعوب المتمدنة على الإطلاق . ولقد ولد فيهم هذا التفوق كثيرا من المنجهية والعزة بأنفسهم، بل ويخامرهم فى بعض الأحايين احتقار لغيرهم من الشعوب التى لم تبلغ شأوهم فى العصر الحديث . وما من أحد زار لندن عاصمة الانكليز المعروفين بأنفتهم إلا قرأ على بعض الأندية ومحلات اللهو العامة هذه العبارة « الشعوب الملونة غير مرغوب

فيها » وقد شاهدت بنفسى فى برلين شريطا سينمائيا تظهر فيه فتاة أوروبية شقراء تنشأ وتترعرع عند جماعة من أهل سيبريا النائية فتحب فتى جميلا من بينهم وتتأهب وإياه للاحتفال بالعرس، ولكن المصادفة تجعلها تلتقى بفتى أوروبى أقل جمالا من عريسها المنتظر الذى أحبته من كل جوارحها ، وبالرغم من ذلك كله تشعر باحساس يدفع بها إلى الأوروبى عندما يفضى إليها باعجابه بها ، وإيثاره إياها فتلحق به غير لاوية على شىء تحت تأثير هذه القوة الكامنة فيها التى جذبتها نحو جنسها طائعة أو كارهة . فاذا كان بعض هؤلاء الشماليين كأهل سكنديناوة مثلا لم تظهر غطرستهم ، فلأنهم مكتفون بأرضهم لا يطمعون فى سواها . كذلك الشعب الألمانى فإنه شعب راق شمالى أولع بنظرية الأجناس البشرية لأنه كما ذكرنا يطمح إلى إنشاء امبراطورية واسعة تليق به كأكبر أمة فى أوروبا ، فوجد فيها باعثا يدفعه إلى تحقيق مآربه وصدى لما يصبو إليه فى الفتح والتوسع . أما الإنكليز والفرنسيس فانهم ليسوا بحاجة إليها فقد أسسوا امبراطوريتهم منذ عهد بعيد ، واستولوا على ما استطاعوا الاستيلاء عليه . وخلاصة القول أن هذا الشعور بالتكبر والخيلاء أحس به كل غالب مسيطر إلا أنه لم يأخذ شكلا علميا فى قالب نظرية إلا على يد الكونت دى غوبينو .

الوطنية ونظرية الأجناس البشرية :

يخيل إلى البعض لأول وهلة أنه ضرب من الخرق أن يقال إنه كان وما زال لنظرية الأجناس البشرية تأثير فعال فى إيقاظ الروح القوى وتأجيج الشعلة الوطنية فى العالم ، لعلمهم أن الوطنية هى الشعور بواجب كل شعب من الشعوب نحو أرضه ولغته وتاريخه . ونحن لا نذهب غير هذا المذهب فى تعريف الوطنية ؛ إنما نريد أن نقول إن ظهور نظرية الجنس جعل كل شعب يفكر فى أمره ، ويمعن النظر فى مصيره لعاملين اثنين : الأول دعوة النظرية إلى ضم الأمم الجرمانية فى إمبراطورية واحدة . والثانى زعم النظرية بوجوب وضع العالم أجمع فى قبضة هذه الكتلة الجرمانية المختارة ، فلا يخفى أن العامل الأول يفقد الشعوب التى من أصل جرمانى استقلالها ، والعامل الثانى يضع الشعوب الأخرى تحت نير الاستعمار يضاف إلى ذلك أن كل شعب غره الشنآن القومى الذى تطنب به النظرية ، وإذا كان الكونت دى غوبينو يحصره فى الجرمان وحدهم فان الأقوام الأخرى فسرته على هواها ، وفيما ورثته من تقاليدها وأيامها ترى الرفعة فيها والتفوق فى قومها .

كل هذه الأمور أيقظت الروح القوى ، فأخذت الشعوب تقوى فى أفرادها فكرة الوطن والتعلق به ، ولم تفت الإشارة إلى ذلك العالم الفرنسى هنرى ديسون فأتى فى كتابه عن الإسلام بما ملخصه « رأينا فى العالم إثر نشر الكونت دى غوبينو نظريته عن الأجناس البشرية تحولا غريبا ، فقد تمسكت أكثر الأمم بأهداب القومية تمسكا شديدا ، وادعت باتصالها الوثيق بعرقها الأصلى فى حين أن الحقيقة تكذب ذلك ، فلم تسلم أمة من الامتزاج والاختلاط حتى لنتمكن من القول إنه ليس فى هذا العالم من جنس صاف سليم . وقد شملت هذه الموجة القومية إبان الحرب العالمية المنصرمة أمم الشرق المسلمة ؛ فبينما كانت تدعو إلى الجامعة الإسلامية تحولت إلى السعى وراء جامعة عربية . وهكذا الأمر فى تركيا وفارس؛ فقد تركت زعامتها الإسلامية فى سبيل المثل الأعلى التركى ، واهتمت الثانية بشؤونها الخاصة . وهكذا الحال فى وادى النيل ، فقد رأى سكانه أنفسهم مصريين قبل أن يكونوا مسلمين . ولعل أقوى ما بقى عليه الشعور الإسلامى فى أقصى الشرق المسلم فى وزيرستان والهند وفى أقصى المغرب المسلم فى طرابلس الغرب وتونس وما وراءهما » .

يغلب على ظن الناس أن النظام القوى خير نظام يعيشون فيه ، ولكن الواقع وبخاصة فى هذه الأيام الأخيرة يرينا المداوات تجرهم إلى التقتيل والتقطيع كأن مدنيتهم لم تقدهم فى غير التفنن فى شحذ الشحناء واختراع المهلكات . ما ذا كان يضير هذه الشعوب أن تعيش متآخية مجتمعة لا غالب ولا مغلوب ، ولا آكل ولا مأكول ؟ ... غير أن العلماء يجدون بأن النظام القوى هو مرحلة لا بد منها يمر فيها الناس قبل أن يجمعوا شملهم فى إنسانية واحدة . وإنا نتمنى من صميم الفؤاد أن يمر العالم بهذه المرحلة فلا يقضى عليه الجشع والأثرة وحب الاستيلاء ، ولنا فى التاريخ أكبر العبر ، وقد جاء فى القرآن الكريم « ولا تنازعوا فتفشلوا » .

ماجد بهجت

الأدب فى سير أعلامه :

ملتن ...

للأستاذ محمود الخفيف

— ١٠ —



تابع لمسرحية كومس الغنائية :

وما إن تتم العذراء أغنيتها حتى يبدو كومَس ، وقد طرب لهذه الأغنية وعجب كيف ينبعث مثل هذا اللحن من صدر أحد بنى الفناء ، وما يذكر أنه سمع لحنا مثله حتى ولا ذلك الذى كانت تغنيه أمه مع عذارى البحر فتسحر اللاحين به عن أنفسهم ، وتغرق سفنهم ؛ ويتقدم الساحر من الفتاة فيسألها من تكون فما يمكن أن يكون مثلها ممن ينتمون إلى هذه الغابة إلا أن تكون هى إلهتها ، فهى تقيم فيها مع بان إله الرعاة أو سلفان إله الغاب ؛ وترد الفتاة عليه وقد تمثل لها راعياً عليه سيماء الورع والهدوء قائلة إنها ماغنت فخورة بلحنها ، إنما تستميل (إكو) علها ترد عليها من مخبئها . ويسألها الراعى ماذا أضلها ، فتجيب بأنه الظلام وهذه المتاهات الملتفة الأوراق ؛ فيستنبئها أكان تركها بسبب عدم الوفاء أم بسبب الجفاء ؟ فتقول إنما كان ذلك ليبحثا فى الوادى عن نبع سائغ برود . ويعجب الراعى كيف يتركانها على ضعفها ، وليس معها من يحميها ، فتجيب أنهما أزمعا أن يعودا على عجل ؛ ويقول ربما كان العائق الظلام ، فتجيب بقولها ما أسهل الحدس عليها وهى فيما هى فيه من تعس ؛ ويسألها الراعى أيكون فقدهما أهم عندها مما هى فيه من حاجة إلى معين ، فتنبئه أنهما أخواها ، ويستفهمها أوصافهما ، فما تجيبه حتى يقول إنه رأى اثنين كما وصفت عند تل قريب ، وأنه أكبرهما أن يكونا من بنى الإنسان وحسبهما من تلك الخلائق السماوية التى تعيش فى ألوان قوس الغمام وتلعب فوق السحب المشتبك بعضها ببعض ، وقد أخذه خوف منهما فصلى إذ مر بهما ، فان كان هذان من تبحث عنهما فان رحلة أشبه بالارتحال إلى السموات تصل بها إليهما .

وتسأله الفتاة عن أقرب السبل إلى ذلك فيقول إنه يقع صوب الغرب من أجمة أشار إليها ؛ وتبدى الفتاة خوفها وقلة حيلتها ، فأن التنقل فى الغابة فيما يرسله النجم من ضوء قليل أمر يشق على أمهر هداة السبيل . ويعرض الراعى عليها أن يهديها أو أن يسير بها إلى كوخ متواضع ولكنه أمين ؛ وتقبل الفتاة ما يعرض قائلة إن الرفق الذى يبديه إنما يوجد فى الأكواخ المسقوفة بتلك الأخشاب المسودة بالدخان أكثر مما يوجد فى الأبهاء المزدانة من قصور الأمراء ؛ ثم تتجه إلى السماء مستعيذة ، وتسترد بصرها ملتفتة إلى الراعى قائلة : دونك أيها الراعى فاهدنى السبيل ...

ويظهر على المسرح بعد ذلك الأخوان فيناجى أكبرهما القمر والنجوم مستعيذاً بنورها ، أو متلهفاً إن لم تجبه الكواكب إلى بصيص من الضوء ينبعث من كوخ . ويقول الآخر إنه يرهف سمعه عله يصيب صوت قطيع ينبعث من حظيرة أو زمارة راع أوصياح ديك بعد ساعات الليل ؛ ثم يعلن أسفه على أخته العذراء الضعيفة ويتساءل ترى أين أنت يا أختاه ! ربما كنت مستلقية على ضفة باردة رطبة أومسندة جسمك الواهن من الحزن والخوف إلى جذع خشن ، وقد نال منك الجوع والحر . ويعود أكبر الأخوين فيدعو أخاه إلى الهدوء والصبر ، ويقول له إنه لا يخلق بالمرء أن يقدر السوء وأن يستعجل بالشر ، وأنه لايظن أن الخطر أحدق بأخته فمثلها من لا يزلزل هدوءها الظلام والسكون لأنها معتصمة بالفضيلة . ويسترسل الأخ الأكبر فى امتداح العزلة ، ويذكر كيف تريش الحكمة فيها جناحيها بالتأمل ، ويقول إن

من يحمل بين جنبيه نفساً مضيئة يستمتع بالنور وإن كان فى قاع الظلمة ، وإن من ينطوى على نفس مظلمة وأفكار سوء فانه يكون فى مثل حلكة الليل ، وإن مشى فى شمس الظهيرة فهو من نفسه فى جب . ويلوح أن ملتن يشير هنا على لسان المتكلم إلى عزلته هو فى هورتون وطلبه الحكمة والمعرفة لتستضئ بهما نفسه .

ويرد أصغر الأخوين بقوله إن الزاهد لا يمسه فى عزلته أحد ولا يطمع فى توافهه أحد ، ولا يريد رأسه الأشيب أحد بسوء ، ولكن أحرى بالجمال وهو أشبه بشجرة التفاح الذهبى أن يقوم على حراسته تنين . وكيف يطمئن قلبك على عذراء لا حول لها تخبط فى ظلام الغابة ؟ إنك إذن كمن يلقى بكنز بخيل لدى باب أحد اللصوص ثم يطمئن على سلامته . وما أخشى على أختنا من الظلام والوحشة وإنما أخشى مما يجرانه عليها من اعتداء وقاح تطمعه وحدتها .

ويعود أكبرهما فيذكر لأخيه أنه لا يتكلم عن سلامة أختهما كلام الواثق ، ولكنه إن وجد نفسه بين الخوف والأمل فانه يفضل أن يميل إلى الأمل . ثم يقول إن أخته ليست كما يتصور أخوه لا حول لها قط ، فان لديها قوة خفية لا يتذكرها أخوه ، ويسأله أخوه متعجباً ما تلك القوة إلا إذا كان يقصد قوة الله ، فيجيب إنه يقصد قوة الله إلى جانب قوة أخرى وهبها الله إياها فصارت قوتها هى ، ويعنى بها العفة . ثم يستطرد قائلا العفة يا أخى العفة ، ويقرر أن من تتدرع بها لا تخاف شيئاً ولن يستطيع أن يلطخ طهرها أحد . ويسأل أخاه أيؤمن بهذا الذى يقول ؟ فان كان لا يؤمن به فانه يعيد على سمعه ما ذكره الأقدمون من الأغريق عن قوة العفة ؛ ويذكره بقصة ديانا آلهة القمر والصيد وقوسها وسهامها وعفتها التى هابها الآلهة والملوك .

ثم يذكر مينرفا آلهة الحكمة ، وما كانت مينرفا تحول إلى مثل الحجارة الباردة إلا بنظراتها الناطقة بقوة العفة ، ويسترسل فى قوله فيذكر أن النفس إذا اعتنقت العفة فى إخلاص، أحيطت بألف من الملائكة يدرأون عنها كل ما هو بسبب من الذنب والخطيئة ، ويصلونها بالسماء فتسمع ما لا تسمع غيرها من الآذان . وفى هذا الموضع من الغنائية يطنب « ملتن » على لسان أحد الأخوين فى بيان فضل العفة كما امتدح من قبل العزلة وطلب الحكمة .

ويطرق سمع الأخوين صوت فينصتان ويقدران أنه إما أن يكون صوت ضال مثلهما أوصوت لص يدعو منسره؛ ويسأل الله أصغرهما لأختهما السلامة والنجاة ، ويتأهب أكبرهما للدفاع ، ويستنجد السماء له ولأخيه ...

ويظهر عقب ذلك الروح الحارس فى زى أحد الرعاة فيظنه الأخوان راعياً يعرفانه من رعاة أبيهما ، ويسألانه ما خطبه ، وهل فقد من غنمه شيئاً ، فهو يبحث عنه ، ويجيبهما أن الأمر أخطر مما يظنان ، ثم يسأل عن أختهما فينبآنه أنهما تركاها قليلا وعادا فلم يجداها ، فيطلعهما على مخاوفه وهواجسه ، فيسألانه أن يفصح فيقص عليهما ما علمه عن كومَس وقبيله وما برع فيه من السحر، ويصف ما يبعثون فى الغابة من جلبة وضوضاء ، ثم يقول : قد سمعت أغنية حلوة يرتفع بها صوت رقيق ملؤه الخشوع يسرى فوق متن الهواء كما تسرى نفحات العطر المقطر ، صوت بات الصمت ذاته حياله كالمأخوذ عن نفسه ، حتى لقد ود لو أنكر ذاتيته وذهب إلى غير عودة إذا كان صوت كهذا يحل محله ... وأرهفت أذنى أستمع فتبينت أنه صوت سيدتى أختكما الحبيبة ، فمضيت لتوى صوب الصوت ولكنى ألفيت ذلك الساحر اللعين قد أدركها قبل أن أصل وظهر لها فى لباس قروى وهى تسأله عن اثنين تاها فى ظلمات الغابة ؛ فاستخلصت أنها تسأل عنكما فخففت أبحث فى الغابة حتى لقيتكما هنا ، ولست أعلم ما ذا كان من أمر الفتاة بعد ذلك .

ويجزع أصغر الأخوين مشفقا على أخته ؛ أما أكبرهما فيظل على يقينه وثقته فى الفضيلة والاعتصام بها ، فقد تهاجم الفضيلة ولكنها لا تغلب ، وتباغتها القوة الظالمة ولكنها لا تزعزعها ؛ وأن ما يريده السوء من خطر جسيم يصبح إذا امتحنت به الفضيلة أعظم دواعى الفخر . ولا بد من أن يرتد الشر فينطوى على نفسه فهو من نفسه ينبت ثم إنه يأكل نفسه . ويعلن الفتى عزمه على مقاتلة ذلك الساحر حتى يرد ما اقتنص وهو صاغر أو يجره من ذوائبه إلى ميتة كريهة فيذهب لعيناً كما لعنت حياته ؛ ولكن الروح الحارس أو الراعى يرد عليه بأن شجاعته هذه وإن كان يكبرها لن تجدى عنه شيئاً فذلك الساحر قادر على أن يشل بسحره مفاصله ويتلف كل عضلة فى جسمه ؛ ويتعجب الفتى

ويسأله كيف تجرؤ إذن على أن يدنو من الساحر كما فعل ؟ فيظهره الراعي على سر ، وذلك أن صبياً من الرعاة دله على نبات يكشف السحر ويأمن به من غوائل السحرة ويفرح بذلك الإخوان ، ويعتزمان لقاء الساحر وكسر زجاجته وقهره .

ويتغير المنظر على المسرح ، فإذا بجانب من قصر عظيم يتبدى للأعين وقد صفت فيه الموائد المغطاة بالأقمشة الموشاة ، وزخر بأنماط الزينة وترقرق فيه لحن موسيقى هادئ . وتجلس العذراء على كرسي مسحور ، ويظهر كومس وقبيله فيمد إليها يده بكأس ، فتأخذها ولكنها تضعها جانباً وتهم بالوقوف ، فيأمرها الساحر أن تجلس ، فانه إن هز عصاه أحالها إلى تمثال من المرمر أو صنع بها كما صنع أبولو[1] بدافنى ؛ وترد العذراء عليه مغضبة بقولها لا تفخر أيها الأحمق، إنك إن استطعت أن تسيطر بسحرك على جسمي فلن تنال من حرية عقلي بكل ما أوتيت من السحر .

ويترفق الساحر في قوله ، ويحاول إغراءها بأن تشرب من كأسه ، وألا تغضب ، وأن تنفي عن نفسها الهم، ففي ذلك القصر لا يعرف الحزن؛ وهذا الشراب الذي تحتويه الكأس يملأ النفس حبوراً وقوة وشبابا . ولن يبلغ مبلغه في هذا السبيل ذلك الشراب الذي أعطته في مصر زوجة ثون لهيلينا[2] ابنة جوف ؛ وما أحوج العذراء إليه كما يحتاج كل امرئ إلى ما ينعشه بعد النصب ويريحه بعد العناء ، وقد مسها التعب والجوع ، وهذا الشراب يدرأ عنها ذلك جميعاً ، وتصيح به الفتاة : إنه لن يفعل أيها الكذوب الخائن ، وإنه لن يرد إلى لسانك ما نفيته عنه بكذبك من الصدق والأمانة . أهذا هو الكوخ الأمين الذي حدثتني عنه ؟ وماهذه الأشباح المنكرة التي أرى ؟ هذه الشياطين القبيحة الرؤوس ! يا رحمة الله احرسيني ... اذهب عني بسحرك أيها الساحر البغيض ، لو كان ماتقدمه لي كأساً من شراب جونو[3] الذي تشربه إذ تطعم على مائدتها ما تناولته من يدك الخائنة ؛ إنه لن يعطى الطيبات من الأشياء إلا الطيبون ، ولن تسيغ الخبيث نفس عاقلة تضبطها الحكمة .

ويعلن كومس عجبه من حماقة بني الإنسان وتصديقهم كلام الفلاسفة في القناعة والزهد ؛ ولم تخرج الطبيعة إذن كنوزها وثمارها وزينتها إن لم يك ذلك لتدخل بها السرور على الأنفس المتطلعة إلى كل معجب جميل ، وما غناء الحرير والذهب الذي يعبده الناس جميعاً وغيرهما من الجواهر ؟ إن الإنسان إذا قنع بالتافه من الطعام والشراب والخشن من الثياب لم يعرف أنعم الله ولم يشكره ؛ وأين تذهب تلك الأنعم إذا تراكمت بعضها فوق بعض لزهد الناس فيها ؟ ويهيب الساحر بالعذراء ألا تخدع نفسها بتلك الكلمة الجوفاء ألا وهي العفاف ؛ فان الجمال لا يكنز وإنما يجب أن تتناوله الأيدي ؛ وإذا تصرمت الأيام ذوى كما تذوى الوردة في عودها . والجمال فخار الطبيعة ، ولذلك يجب أن يعلن في القصور والولائم وعظيم الحفلات حيث يتدبر الناس في عجيب صنعه ؛ ويختم الساحر كلامه بأن يدعو الفتاة إلى التفكر فيما يقول فهي في زمن الشباب ...

وترد عليه العذراء قائلة : ما تصورت من قبل أن تنفرج شفتاي بالكلام في جو كريه كهذا الجو ، ولكن ما الحيلة وهذا الساحر يدلس على الرأي ويظن أنه قادر على أن يسحر فكري كما سحر عيني فيأتي بكلام زائف يلبسه لباس العقل ؛ وإني لأكره أن تتمكن الرذيلة من أن تدلي بحججها ولا يكون للفضيلة لسان يصد تبجحها . أيها المخادع لا تتهم الطبيعة البريئة كما لو كانت تريد أن تبث في قلوب بنيها الزهو والخيلاء بما تفيض عليهم من كنوزها . إنها ما تخرج خيراتها إلا للطيبين الذين يعيشون وفق قوانينها الحكيمة ، ويسيرون حسب ما يقتضيه الاعتدال . ولئن أتيح لكل رجل ممن أضنتهم الفاقة قدر بسيط لائق به مما جملته الأبهة والترف ركاما بعضها فوق بعض في أيد قليلة ، فإن أنعم الطبيعة بذلك توزع في عدالة ، وعندئذ فلا تتلف في خزائنها ، وعلى ذلك يكون شكر المتفضل النعم قد أدته كل نفس . ألا إن النهم لا يتجه إلى السماء ومن حوله ما تمتلئ به مائدته الفخمة ، ولكنه يضيف إلى نهمه كفرانه بالنعمة ؛ ذلك

(١) أحب أبولو إله الشعر والموسيقى هذه العذراء ، وتبعها فالتمست الغوث فأحالها إلى شجرة من شجرة الغار .

(٢) جاء في الأوذيسة أن هيلينا ابنة زيوس (جوف) وزوجة مينالوس الأسبرطي وصفت لزائري زوجها هذا الشراب الذي يملأ النفس مرحا وفتوة وكانت أعطتها إياه في مصر بوليدامنا زوجة ثون .

(٣) جونو زوجة جوبتر أوزيوس كبير الآلهة وملكة السماء .

عن الفرنسية :

يوسف الثانى والضابط (*)

للأستاذ عبد العزيز الكردانى

خرج الإمبراطور يوسف الثانى — عصر يوم — يرتاض بالقرب من مدينة ڤيينا — قصبة النمسا — فى عربة مقفلة ذات مقعدين كان يقودها بنفسه .

وكان الامبراطور يرتدى لباساً عادياً بسيطاً ، وفى صحبته رجل من حاشيته متجرد من زيه الرسمى .

فلما استهل الإمبراطور الإدلاج فى طريق المدينة بغته وابل من هطل غزير ... ورأى — على مسافة قريبة منه — رجلا يصطنع الزى العسكرى من رتبة الملازم الثانى يشير إليه علامة الاستيقاف . وكان بينا من اتجاه الرجل أنه يتخذ الطريق إلى المدينة ... كالإمبراطور تماما ؛ فجذب الإمبراطور مقود الخيل ، وتريث ينتظر مقدم الضابط !

قال الضابط :

— هل يتفضل سيدى بمنحى المقعد الخالى إلى جواره . أظن سيدى لن يضيق بهذا الطلب كثيرا ! وأكون شاكراً لسيدى تجنيبه الثوب الذى أرتديه اليوم — لأول مرة — معابثة ماء المطر !

فقال الإمبراطور فى بشاشة :

— لا عليك ! ق ثوبك وهيا معى ! من أين أنت قافل ؟

فأجاب الضابط :

— آه ! لقد كنت فى زيارة واحد من أصدقائى ... يشتغل حارس صيد وقد بالغ فى إكرامى . . . وقدم إلى وجبة مختارة !

— وما هذا الذى قدم إليك ؟

— خمن . !

(*) كان جوزيف الثانى (Joseph II) امبراطورا على ألمانيا من (١٧٦٥) إلى (١٧٩٠) .

الكفران الدنىء النبى فيمتلىء ويخوض فى حق طاعمه . أأزيدك من قولى أم كفاك ما قلت ؟ إنه لا يسعنى إلا أن أقول شيئا أرد به على ذلك الذى يجرؤ أن يسلح لسانه البذىء بكلمات حقيرة يوجهها ضد تلك القوة المتشحة بأشعة الشمس ، قوة العفة ، ولكن ما غناء ذلك ؟ إنك لا أذن لك ولا قلب حتى تفهم ذلك الرأى السامى وذلك السر العلوى اللذين ينبغى النطق بهما ليتكشف لك المبدأ الخطير العاقل ألا وهو مبدأ العفاف ، ومثلك من لا يستحق أن يعرف من السعادة أكثر مما هو فيه ، فاهنأ بلباقتك الحبيبة إليك وفصاحتك المرحة التى مرنت على لجاجها الخادع . وإنك لأصغر عندى من أن ترى نفسك وقد لزمتك الحجة . ولئن تكلمت فإن ما لهذه القضية الطاهرة من أحقية فى الكلام لا تقاوم جدير أن يشمل جوانب نفسى حماسة بحيث يتحرك بالعطف على كل أصم من الجماد وتهتز الأرض الجافية فإذا بصرح سحرك الذى امتد عاليا صوب السماء ينقض كومات فوق رأسك الزائف .

ويحدث كومس نفسه قائلا : إن لكلامها لوقعا ، وإنى لأحس أن كلماتها إنما تمليها عليها قوة عليا ، ومع أننى لست من بنى الفناء ، فإن رعشة باردة تهز كيانى كله كما بعث جوف الرعد إذ غضب فألقى بأبيه ساتورن فى العالم السفلى ، وكما تثير السلاسل المهتزة من رعد فى آذان ملاحى ساتورن ، ومع ذلك فيجب على أن أتغافل عما أحس وأعود إلى محاولتى معها وأنا أكثر مما كنت قوة ، ثم يتجه إلى العذراء قائلا حسبك هذا فإنه مما تلغون به فى الحديث عن الخلق ، وإنه ليخالف قوانيننا وقواعدنا ، ولست أطيق منه أكثر مما فعلت ، وما هو إلا مظهر نفس غاضبة ، ولكن هذه الكأس تشفى ذلك كله سريعا . إن رشفة واحدة منها تغرق النفس المكتئبة فى فيض من السرور تقصر دونه مباهج الأحلام فارجعى إلى صوابك واشربى ...

ويندفع أخواها وقد شهر كل منهما سيفه ، ويضرب أحدهما زجاجة فيلقيها من يده فتتحطم فوق الأرض ، ويهم أتباعه بالمقاومة ولكن الأخوين يدفعانهم بسيفيهما ، وعندئذ يدخل الروح الحارس ...

(يتبع) الخفيف

— حسن ... أيكون قدم إليك الثريد الفاخر مع نبيذ الشعير ؟ !

— آه ! حسن ! لقد قدم خيراً من هذا !

— ... طبقاً من الـكوكروت (Choucroute)[1] .

— أفضل من هذا !

— ماذا ؟ ! لسان العجل !

— ... أطيب من هذا أيضا !

— أوه ... صدقنى ... لقد أفرغت كل جعبتى ، ولا إخالنى مستطيعاً — بعد — أن أذهب فى التخمين إلى أبعد من هذا !

— ... لقد قدم إلى أيها السيد ديكا برياً ... ديكا قنص فى حقول صيد جلالة الملك !

— أو لا توجد أراض أكثر جودة من أراضى جلالته ؟

— هذا أمر مفروغ منه يا سيدى !

***

وخيم الصمت برهة ؛ وكانا قد قاربا المدينة وقطعا الطريق إلى نهايته . ولـكن المطر ظل على تدفقه وانهماره ؛ فاستوضح الإمبراطور رفيقه أي حى يقطن ؟ ولـكن الضابط أبدى رغبته فى النزول متأدبا .

— سيدى ... هذا إفراط منك فى الأريحية ، أخشى أن أكون قد ...

فقطع عليه الامبراطور :

— لا ... لا تقل هذا ، دلنى على متجهك ؟

فلم يسع الضابط إلا أن يعين مسكنه ، ثم بدا له أن يتم تعرفه بالرجل الذى أفاض عليه من كرمه وظرفه . فتوجه إلى الإمبراطور مستفسراً أى مهنة يشغل ؟ ولـكن يوسف الثانى قال متخابثا :

— حسن ... أظن أنها الآن نوبتك فى الحدس والتخمين!

— ربما كان سيدى من رجال الجيش ؟

— تماما ...

— سيدى من رتبة « الملازم الأول » .

— آه ! تقول : ملازم أول ؟ ! أوه ... لا ! أرفع من هذا .

— إذن فسيدى من رتبة « اليوزباشى » ؟

(١) مأكول يصنع بورق (الـكرنب) بفتح فضم أو بضم ففتح .

— أعلى من هذا أيضا !

— أيكون سيدى من رتبة « الاميرالاى » ؟ !

— يمـكن تخطئة هذا الحدس أيضا .

— كيف ؟ ! ماذا يكون سيدى إذن ! أيكون (مارشالا)

— لا ... مازلت بعد مجانباً التوفيق !

— آه ! يا إلهى ! ! إنه الإمبراطور ! !

فقـال الإمبراطور وهو يفك عرى معطفه ليظهر أوسمة الشرف التى تزين صدره :

— هو كذلك . !

وفقد الضابط اتزانه ، وأرتج عليه حين أراد أن يلتمس المعاذير ؛ ولـكنه استطاع — بعد لأى — أن يفصح للامبراطور ضارعاً عن رغبته فى الإذن له بالنزول من العربة ؛ فأجاب يوسف الثانى متلطفا :

— ليس الآن ! إننى لن أفارقك إلا عندما تقف العربة ببابك ! ...

وهنالك أذن له فى النزول .

عبد العزيز الكرداني

في كتاب البخلاء

طبعة وزارة المعارف

لأستاذ عظيم

— ٣ —

الجزء الثانى

جاء فى صفحة ٧ : « قال : فهو ذا المجوس يرتمون البصرة وبغداد وفارس والأهواز والدنيـا كلها بنعال سندية » . وقال الشارحان (يرتمون البصرة) أى يجوبون هذه البلاد ويطوفون بها ... ولـكن رتع لازم فضمنه هنا معنى جاب أو قطع فبداء . وأقول : إنها يرقمون أو يترقمون ؛ يقال : رقع الأرض برجليه ، ضربها . ويقال : ترقع البلاد ، تـكسب فيها فى الخصب .

وجاء فى صفحة ١٣ :« بقيت مخففا معدما ، وفقيرا مبلَطاً » (بفتح اللام) . وأرى أن الأرجح أن تـكون مبلِطا بكسر اللام لتزاوج مخففا ومعدما . وأبلط الرجل بالبناء للفاعل أو المفعول من معانيها افتقر وصار لاصقا بالأرض أو بالبلاط .

وجاء فى صفحة ٢٧ :« وكان على ثقة أنه سيأتى عليه فى الشتاء، مع صحته وبُدنه ، وفى شـك من استبقائه فى الصيف » . وفسر الشارحان : (استبقائه) بالاستبقاء منه . وأرى الأولى أن تـكون الـكلمة محرفة عن (استيفائه) ؛ لأن الشك إنما يكون فى قدرته على استيفاء أكل الرأس لا على استبقاء بعضه . وهذا يتلاءم مع اللفظ بدون تقدير كلمة (منه) .

وجاء فى صفحة ٣٠ : « وكيف صنع فيلويه فيما بينك وبينه ؟ قالت : كان يُجرى على فى كل أضحى درهما ! فقالت : وقد قطعه أيضا » ؛ والصواب : وقالت أو ثم قالت .

وجاء فى صفحة ٣١ :« وحتىَ ربما استخرج عليه أنه لابن ، جلاد الدم » . وقال الشارحان : (جلاد الدم) قاتل كما يفهم من المقال وإن كان المعنى اللفظى لايؤدى ذلك إلا بشىء من التجوز . وأرى أنها (حلال الدم) وهى عبارة مفهومة لا تدعو للتجوز .

وجاء فى صفحة ٣٤ :« وبعد ، وكيف تشتهى الطعام اليوم » وأظن الواو زائدة أو هى فاء .

وجاء فى صفحة ٥٢ : « وإذا مد أحدكم يده إلى الماء فاستسق » . والواو قبل إذا زائدة قطعا كما فى عيون الأخبار لأنها مبدأ كلام صاحب البيت الذى يطلب إلى الضيوف سماعه .

وجاء فى صفحة ٥٤ : « قلت له فلم لا يتخذ موضع (مذار) من بعض (دقاق) أرضه فيذرّى لـكم الأرز ؟ ثم يكون الخيار فى يده ، إن أراد أن يعجل عليـكم الطعام أطعمكم الفرد ، أو إن أحب أن يتـأنى ليطعمكم الجوهرى » . وقال الشارحان : إن العبارة غير مستقيمة فى جميع النسخ ، ثم تـكلفا فى تفسير الفرد والجوهرى تـكلفا ظاهرا . وأرى أن عبارة الجاحظ محرفة ، ولعل أصلها : (فلم لا يتخذ موضع مُذَرّىً فى بعض رقاق أرضه فيذرى الخ وكلمة (الفرد) أصلها العرض ، والجوهرى أصلها الجوهر . ويكون المراد : فقلت له : لماذا لا يعمد إلى بعض عماله فيـكون هو المذرى لأرزه ، وتـكون التذرية على أرض رقاق أى لينة مترية . وما نتج من التذرية سيكون بالطبع أرزا ، ثم عصفا ، فعبر عن الأرز بالجوهر ، وعن العصف والـكسارة بالعرض . فإن كان الضيوف مستعجلين صنع لهم العرض خبزا ، وإن انتظروا صنعه لهم من الجوهر . وهذه الفـكرة الخبيثة قد استعاذ المخاطب بالله منها خشية أن يحتذيها ذلك المضيف البخيل .

وجاء فى صفحة ٨٠ : « فتذاكروا الزيت وفضل ما بينه وبين السمن ، وفضل مابين الأنفاق وزيت الماء» ولعل (الانفاق) محرفة عن (الأنفـاط) وهى الأنواع المختلفة من النفط وهو الزيت الحجرى . ولعل مراده بزيت المـاء زيوت الأزهار التى تستقر بالأنبيق ، فـكأنهم فاضـلوا بين السمن وزيت الطعام ، وجرهم هـذا إلى الـكلام فى أنواع الزيوت الأخرى ، من معدنية ومائية .

وجاء فى صفحة ٩٥ : « ولقد وهب لرجل ألف بعير ، فلما رآها تزدحم فى الموادى قال: أشهد أنك نبى» وقد فسر الشارحان الموادى تفسيرا غير مفهوم ، والأقرب أن تـكون (المرادى) جمع مرداء ، وهى الأرض الفضاء لا نبت فيها ، والإزدحام فيها مفهوم بلا عناء .

وجاء فى صفحة ١٧٢ : « ولأن الحوائج تنقضُ » والصواب تُقتضى . وجاء فى الصفحة نفسها قوله : «قلت له فإذا أتيت رجلا فى أمر لم تتقدم فيه بمسألة ، كيف يكون جوابه لك ؟ » وصواب (أتيت) أنّبت ؛ لأن هذا البخيل قال لسائله إنه مستعد لا للاعطاء بل لتأنيب من يشاء أن يؤنبه هذا البخيل لمصلحته ، سواء أكان من يقع عليه التأنيب هو من يسأل هـذا البخيل غداً ردّ جميله بإعطائه الغير مقابل هذا الجميل ، أم كان من يقع عليه التأنيب شخصا آخر . فلما سمع السائل من البخيل هذا القول دهش ولم يفهم كيف يستطيع هذا البخيل أو غيره أن يؤنب إنسانا على أمر لم يسبق أن كلمه فيه ذلك الإنسان . وقد دفعه هذا الدهش إلى الاستفهام من البخيل عن هذا التأنيب الغير المسبوق بما يقتضيه وعما يكون جواب المؤنب . واستفهامه عن جواب المؤنب ليس استفهاما حقيقياً بل لفت نظر إلى ما يكون حتما وعادة من دفع هذا المؤنب إلى مقابلته بكل شر .

وجاء فى صفحة ١٩٥ : « وقال الأفوه الأودى :

تَهنا لثعلبة ابن قيس جفنةٌ   يأوى اليها فى الشتاء الجوّعُ
ومذانب لا تستعار وخيمة   سوداء عيب نسيجها لا يُرقع
وكأنما فيها المذانب حَلْقَةٌ   ودم الدلاء على دلوج يُنزع

وقال الشارحان فى تفسير البيت الأخير : « يقول كأن المغارف (المذانب) وقد أحاطت بحافة هـذه الجفنة حلقة لاستدارتها حولها ، وكأن ما يغرفه منها الآكلون لعظمه وثقله ماء دلاء يرفعه النازعون بمشقة . وأقول : إن هذا التفسير متكلف ملتبس ، وأظهر مبهماته عبارة (ماء دلاء) ، فإن المذكور فى البيت دم دلاء ، ولا ندرى كيف يجعل الدم ماء . والأصح أن كلمة (حلقة) فى البيت محرفة عن (خلفة) ، وكلمتى (ودم) مصحفتان عن كل كلمة واحدة هى (وذم) والوذم جمع وذمة وهى الرباط من جلد أوليف مثلا يشد بها طرفا خشبة الدلو إلى عروتيه . وإذن يكون معنى البيت بعد التصحيح : كأن تلك المذانب (للمغارف) إذ تراها متعاقبة يخلف بعضها بعضا على النشل من القدر تحسبها أخشاب دلاء انفصلت وانتزعت على أربطتها من عروتى تلك الدلاء أثناء الدلوج من البئر إلى الحوض . هذا ما يخيل إلى أنه الأصل وأنه المراد . ويؤكده عندى أن المغرفة هى ساق متصلة بكتلة مقورة من الخشب وهيئتها كهيئة الدلو إذا انفصلت ، وفى أحد طرفيها الوذمة التى هى أوسع قطراً منها . والتصحيح والتفسير على هذا الوجه يقتضيان جعل (ينزع) بالتاء بدل الياء . وبعد أن كتبت هذه الملاحظة اتفق أن زارنى الأستاذ الشيخ علام نصار وكيل محكمة مصر الشرعية فلما قرأها قال : إنه لا يتصور كيف تكون المغارف كخشب الدلاء المنزوعة من عرواتها عند الدلوج من البئر إلى الحوض . وفى ذات مساء قال لى فى التليفون : إنه راجع هذه الأبيات فى ديوان الأفوه الأودى فوجدها كما صححتها .

ولـكن هناك تحريفا آخر فى كلة (دلوج) فإنها بالديوان (قليب) وأن (تَهنا) فى البيت الأول أصلها (فينا) وأن (خيمة) و (نسيجها) و (ترقع) فى البيت الثانى أصلها (جفنة) و (نشيجها) و (ترفع) . وقد أرسل إلى كتاب الطرائف الأدبية وفيه هذه التصحيحات بصفحة ١٩ فشكرته على فضله ، وطلبت إلى حضرة مراقب المجمع إعادة الكتاب إليه . ومن رأيى أن (فينا) لا بد أن تكون هى الصحيحة دون (تَهنا) ، وأما (جفنة) بدل (خيمة) فى البيت الثانى فمحل نظر ؛ وأن (نشيجها) لا بد أن يكون أصلها (نشيشها) . وهـذا التصحيح قد يجعلنى أعدل عن تصوير حالة المذانب عنـد الدلوج وأن أقول إنه يستعمل (الوذم) فى معنى رشاء البئر . أى أن استخراج ما فى القدر بواسطة هذه المذانب يصور دلاء تنزع من القليب برشائها وهى صورة جيدة لا بأس بها .

وجاء فى صفحة ٢٠٧ : « وقال الأعشى :

الشرف العَود فأكنافه   ما بين حمران فينصوب

ومن رأيى أنها العود بالضم لا بالفتح ، وهو كناية عن ارتفاع قامته ماديا أو ارتفاع هامته معنويا ، والثانى هو المقصود طبعا .

وجاء فى صفحة ٢٢٠ :

ونار كسجر العُود يرفع ضوءها   مع الليل هبات الرياح الصوارد

والصحيح أنها كسحر العَوْد ، أى حمراء كرئة البعير . ولو جاز أن يكون الأصل كما هنا لـكان الـكلام تافهاً ؛ لأن النار دائماً هى سجر العيدان ضؤل خشبها أو جزل .

حنـــين ...

للشاعر مصطفى على عبد الرحمن

أنيرى لى الدنيا وهاتى الذى ينسى ... فياطالما لجّ اشتياقى إلى أمسى
أنا التائه العانى أنا المدلج الذى ... يسير على شك ويخبط فى يأس
أريد من الدنيا رضاءك لحظة ... أعيدبها أنسى وأحيى مدى حسى
وأخشى على نفسى من الموت قبلما ... تقيمين أعلام البشائر فى نفسى

***

ذكرت لياليــــنا الحبيبات مُبعداً
عن الدار لا صفوى لدى ولا كأسى
أبيت على هم وأصحو على أسى ... ألا شدّ ما أصحو عليه وما أمسى
وأمشى وراء الوهم والوهم قاتل ... فلا شاطئ يدنو ولا زورق يرسى
فياضلة الفكر المعذب ما ونت ... تكيل له الأيام تعساً على تعس

***

هنا ملعب فيه انتشينا مع الصبا ... وكأن لنا منه مراح وسامر
هنا فى ضياء العمر كان لقاؤنا ... بعيدين عما تتقيه النواظر
هنا كانت الدنيا ونشوة سحرها ... وطوفان نور من سنا الحب غامر
به سبحت أحلامنا كل مسبح ... وغنت لنا آمالنا والبشائر

***

بكيت على يومى يمرّ ولا أرى ... له فى شعاب النفس رجعاً لأنغام
بكيت على أحباب قلبى تفرقوا ... وخلفت وحدى فى مجاهل إظلامى
بكيت على الآمال تذوى على المنى ... على بسمة كانت على ثغرى الدامى
أما عودة للأمس فى ظل نشوة ... أحطم فى أنوارها كيد آلامى

***

أيا شاطئ الإلهام كيف تمزقت ... أمانىّ فى تلك الرحاب النواضر
وأصباحنا مابال أصباحنا مضت ... وخلفن لى ظلم العشايا البواسر
فؤادى ألا تحنو على قلبىَ الذى ... أتاك لهيفاً مستثار الخواطر
أرى بسمة تعلو محياك نورها ... كأنك من أحلامنا جد ساخر

***

ويا أيها الحلم البهيج الذى انطوى ... أتلقاك منى النفس والعين ثانيا
فأسبح فى أنوارك البيض لحظة ... وأمرح فى أجوائك الزهر هانيا
وتنسى بك الهمّ الدفين حشاشة ... على الألم اللذاع تقضى اللياليا
حشاشة قلب بات لهفان صاديا ... ينادى فلا يلقى المجيب المواسيا

***

يحن إليك القلب لهفان مثلما
يحن جديب القفر للسلسل العذب
أهيم بدنيا الناس وهى جديبة ... وإن حاط بى أهلى ورافقنى صحبى
ذنوبى هوى فى ثورة الجن صاخب ... يناديك قلبى لا رأيت جوى قلبى
فهل آن إسعادى وهل آن أن أرى
من العطف ما يحيى البشائر فى جدبى

إلى سعادة الأمين العام لجامعة الدول العربية :

كن حامل النـــار

للأستاذ حسن أحمد باكثير

« جاء فى تصريح رسمى لعبد الرحمن عزام باشا أن جامعة الدول العربية تطالب بجلاء الجيوش الأجنبية عن شمال أفريقيا كما تطالب بجلائها عن سوريا ولبنان ومصر، فقابلت صحف فرنسا هذا التصريح بعاصفة من الاحتجاجات وكتبت ترد عليه بعناوين ضخمة قائلة : لا ياباشا ! ! وفى اعتقادى أن الجامعة ينبغى أن تعجل بإنشاء جيش عربى ضخم يتولى عنها الرد على أمثال هذا التحدى الفرنسى الوقح » .

ياحامل النور فى يمناه مؤتلقاً ! ... مانفع نورك إن لم يُمس نيرانا ؟
ما نفع نورك فى دنيا تسود بها ... شرائع كفرت بالنور كفرانا ؟
النور ينفع فى دنيا مطهرة ... وليس ينفع فى دنيا كدنيانا
دنيا يسود بها من حاز فى يده ... ناراً ولو كان رب النار شيطانا
أما رأيت فرنسا غير عابئة ... بحق قومك طغيانا وعدوانا ؟
أما سمعت نواياهـــا يردّدها ... فى مجلس الأمن بيدو نحو لبنانا؟
أما شهدت صنوفا من جرائمها ... فى المغرب الملتظى روحا وجثمانا؟
ماذا أجابت فرنسا حين قلت لها : ... « العالم العربى استيقظ الآنا



معرض القـــاهرة
السادس والعشرون
للتصوير والنحت
للأستاذ نصرى عطا الله سوس

نحب أن نمهد لحديثنا عن هذا المعرض(1) بذكر بعض الأصول والبديهيات التى اهتـدينا بهديها حين كتبنا هذا المقال، والتى كثيرا ما يؤدى الجهل بها أو التشكك فيها إلى الخطأ فى الحكم والتقدير، ومن ثم فوات المقصود من إنتاج الفن أو مشاهدته:

البديهية الأولى — والأخيرة! — هى أن الفن هو التعبير الموفق عن العاطفة الصادقة، فالمصور يلجأ إلى التصوير للتعبير عن عاطفة جاشت بها نفسه وامتلأ بها قلبه، وهذه العاطفة تختلف عن عواطفنا اليومية العادية بقوتها، ووضوحها وكمالها، وفى الفن لا نرى الأشياء بعين الحاجة أو المنفعة؛ بل نراها لمجرد رؤيتها ونتأملها لغاية التأمل، وهذه النظرة للأشياء تتسم بدقة الإدراك ونقاء الأثر الذى تحدثه فى نفس الفنان، وبالتالى فى نفس المشاهد.

وخاصية فن التصوير هى التعبير عن عاطفة أو إحساس تلقيناه عن طريق العين، وأثارته فينا الخصائص الشكلية للأشياء والمعانى، ولذا لا يمكن التعبير عنه إلا بالأشكال والألوان. ولو أمكن التعبير عنه بوسيلة أخرى، كاللغة مثلا، لبطلت الحاجة إلى فن التصوير وانتفى وجوده.

وليست الغاية من الفن محاكاة الطبيعة أو النقل الأمين عنها كما يظن الكثيرون، فالفن لا يعطينا صورة من الأشياء بل من جوهر الأشياء، وحقيقتها الكاملة بما فيها من إمكانيات مستترة وقيم عليا. ويختلف نصيب الأعمال الفنية من العظمة والجودة باختلاف نصيبها من القوة التعبيرية التى تقوم على قوة الحافز العاطفى ومتانة وصدق الأداء، وقوة الأثر وخلود الذكر من نصيب الأعمال الفنية التى تعالج العواطف الإنسانية العنصرية والأصيلة، والتى تطرد فى الناس على اختلاف البيئات والزمان، والتى تعالج الحقائق الباقية والقوانين الكونية والمثل الإنسانية العليا، على أن يتسم الاداء بالقوة والكمال والبساطة، ويعبر عن دقة الفهم ولطف الإحساس.

***

المستوى العام للمعرض أعلى منه فى السنوات القليلة الماضية، وهنـاك عدد لا بأس به من المصورين ينفرد كل منهم بطابع مستقل، وشخصية متميزة وعالم خاص، وأعمالهم الفنية مرآة صـافية لعواطف وإحساسات، كثيرا ما تحول مشاغل حياتنا اليومية دون تمهدها والتمتع بها. ورسالة الفن أولا وأخيرا هى أن يتمم نواحى النقص فى حياتنا النفسية والروحية، وأن يمهد لنا سبيل استنهاض هذه العواطف والإحساسات، وأن يعاونها على ارتياد آفاق جديدة، حتى يعاودها شبابها وعمقها وحيويتها،

(1) بالسراى الصغرى للجمعية الزراعية الملكية. أبريل ١٩٤٦.

وأمة الضاد تأبى أن يظل به ... جيش غريب يريها الذل ألوانا
ماذا أجابت؟ لقد قالت مزمجرة ... صخابة: (لا) بصوت ظل رنانا
صوت تؤيده نار ولو تركت ... تأييده لانقضى وارتد دخانا
ياحامل النور! خل النور ناحية ... إن لم تحله لظى تورى حنايانا
كن حامل النار وارفعها مؤججة ... ألهب بها كل قلب ذل أو هانا
واسحق بها كل ضعف فى عزائمنا ... وامحق بها كل وهن فى سجايانا
وابعث سخائمنا وانشر حفائظنا ... واملأ جوانحنا حقدا وأضغانا
أحرق بها كل جبار يهددنا ... والذع بها كل طاغ قال بهتانا
وابلغ بها كل ناء من مقاصدنا ... واحلل بها كل صعب من قضايانا
يا صاحب الحق ليس الحق منتصراً
إن لم يجد من جيوش الحق أعوانا
كوّن لحقك جيشا غير ذى خور ... إن كنت تبغى له عزاً وسلطانا
الحق شرعتنا والحق غايتنـا ... والضعف علتنا والضعف بلوانا
والجيش عدتنا والجيش عزتنا ... والجيش سطوتنا والجيش منجانا

كما أن هناك عددا كبيرا من الصور التى ينقصها النضوج والإتقان. وقديما قيل إن الذوق لا يعلل ، وكثيرا ما اتخذ هذا القول ذريعة للتسامح والتهاون والاستهتار ، وحسبنا هذه الإشارة ، وفيما يلى عرض سريع لمآثر المعرض :

عرض محمود سعيد بك لوحتين لا تمثلان خير إنتاجه . ومكانة سعيد بك معروفة ، ولكنه لا يحاول أن ينوع أو يرتاد آفاقا جديدة . وصوره هذا العام ليست إلا نسخا أخرى من موضوعاته التى ألفناها .

وقدم الأستاذ مصطفى دربالة دراسة رائعة (للبوظة) فى عدة لوحات وفق فى معظمها توفيقا نادرا إلى التعبير الصادق المتقن عن روح (البوظة) وطابع شخصيات روادها ونفسياتهم .

وفى صور الأستاذ زوريان أشود طلاقة وحرية فى التعبير الجيد عن الخصائص الكلية للأشياء . وله صورة وجهية (صوره نورا) نعتبرها أنموذجا كاملا لما يجب أن يكون عليه هذا الفن ، ففيها يمتزج المعنى والمبنى وتأتلف كل عناصر الفن ، وفضلا عن أنه وفق إلى التعبير عن روح صاحبة هذه الصورة ، منعكسة على سماتها وملامحها ، فالصورة ذات مميزات بارزة إذا نظرت كشىء قائم بذاته .

وعرض الأستاذ نعيم جاب الله ثلاث لوحات قيمة تدل على حيوية كبيرة : فالطبيعة التى تبدو للعيون هامدة خامدة تتجلى فى صوره نشطة نشاطا عارما ، مليئة بالقوة والحياة . ونحن نشهد لهذا المصور الشاب بعمق الشعور ودقة الذوق المتلين فى حسن اختياره للألوان ، ونشهد له بإحساسه القوى بالنور المصرى الصافى ، وهو إحساس نفسى لا بصرى فقط — ورسالة الفن تتلقاها العين ولكن تؤديها النفس — وصوره تذكرنى بقول الشاعر كيتس : « الألحان المسموعة حلوة ، ولكن غير المسموعة أحلى » لأن فيها ألحانا غير مسموعة ، وهى بذلك تؤدى رسالة الفن التى تقصر عن أدائها الألفاظ .

وقد قلت عن « الآنسة إحسان خليل » لعامين خليا فى مجلة الرسالة : « إن هذه الفتاة فنانة حتى أطراف أناملها . والذى يتأمل المناظر الطبيعية التى رسمتها يحس أنها تتناول الفرشة بقلبها الرقيق لا بأصابع يديها » . وصورها هذا العام تعبر بجلاء عن شاعريتها وروحها الصوفية الرقيقة ، ففيها صلاة وعبادة للطبيعة ، وفيها نفاذ إلى روح المنظر ، وفيها موسيقى تراها العين ويحسها القلب ، كما أنها توحى بالسلام والاطمئنان اللذين نحسهما عند ما نخرج من أسر النفس ، ونرتفع عن مستواها لتندمج فى الكون الكبير .

والأستاذ عز الدين حموده رسام أنيق ودقيق فى اختيار موضوعاته : (مدام سول ، فى أحلام الترف ، شرقية) وهو موفق فى الأداء ، وصوره جياشة بالمعانى النفسية . ولعل حسن اختياره لموضوعات صوره ، وكلها صور سيدات ، هو سر توفيقه . غير أنى أحس أنه غير موفق كثيرا فى « فى أحلام الترف » ويبدو هذا بجلاء عندما نقارن هذه الصورة بصورة سعيد بك : «زبيده» ففى الأخيرة تكاد كل ذرة تعبر عن « أحلام اللحم » كما أن الشاهد يحس على الأثر أن للصورة روحا ، وهذا لا يتوفر فى صورة حموده .

والأستاذ منير شريف موفق جدا فى التعبير عن إحساسه بمناظر البحر ، وهو يؤدى إحساسه هذا فى بساطة وخلو من التعقيد ودون لجوء إلى التزويق والمحسنات . وسر نجاحه أن الأداء عنده طريق ممهد سهل للوصول إلى عاطفته ومشاركته فيها .

وتطغى الروح الأكاديمية على معروضات جماعة الدعاية الفنية (وقوامها الأساتذة حبيب جورجى ، شفيق رزق ، نجيب أسعد ، الآنسة صوفى جرجس) ولكنهم ينسجون على منوال واحد فى التعبير . ومن الصعب جدا تمييز أعمال أى منهم من أعمال بقية الجماعة ، وجانب الصنعة عندهم يطغى على جانب الإحساس وإن كانت الصنعة نفسها لا تمتاز بالقوة أو المهارة . وتنطبق هذه الأقوال على مدرسى الفن فى المدارس والمعاهد ومنهم الأساتذة عبد العزيز درويش ، وسند بسطا ، وكامل مصطفى محمد (ونشهد له بالنجاح فى صوره الوجهية : الآنسة كوليت ، جارتى) وصدقى الجباخنجى ورمزى السيد مصطفى إلى حدما . فهل نستنتج من هذا أن ممارسة الفن كمهنة يقتل الموهبة ويذهب بحيويتها ؟ ؟

وللأستاذ يوسف كامل صور وجهية لا بأس بها (نصرى . عبد القدوس) . والأستاذ طويل ريمى يقتصد جدا فى الأداء ، فينجح إذا كان الإقتصاد اقتصارا على التعبير عن الخصائص الجوهرية مثل



معرض القاهرة السادس والعشرون

للتصوير والنحت

للأستاذ نصرى عطا الله سوس

نحب أن نمهد لحديثنا عن هذا المعرض(١) بذكر بعض الأصول والبديهيات التى اهتدينا بهديها حين كتبنا هذا المقال، والتى كثيرا ما يؤدى الجهل بها أو التشكك فيها إلى الخطأ فى الحكم والتقدير، ومن ثم فوات المقصود من إنتاج الفن أو مشاهدته:

البديهية الأولى — والأخيرة! — هى أن الفن هو التعبير الموفق عن العاطفة الصادقة، فالمصور يلجأ إلى التصوير للتعبير عن عاطفة جاشت بها نفسه وامتلأ بها قلبه، وهذه العاطفة تختلف عن عواطفنا اليومية العادية بقوتها، ووضوحها وكمالها، وفى الفن لا نرى الأشياء بعين الحاجة أو المنفعة؛ بل نراها لمجرد رؤيتها ونتأملها لغاية التأمل، وهذه النظرة للأشياء تتسم بدقة الإدراك ونقاء الأثر الذى تحدثه فى نفس الفنان، وبالتالى فى نفس المشاهد.

وخاصية فن التصوير هى التعبير عن عاطفة أو إحساس تلقيناه عن طريق العين، وأثارته فينا الخصائص الشكلية للأشياء والمعانى، ولذا لا يمكن التعبير عنه إلا بالأشكال والألوان. ولو أمكن التعبير عنه بوسيلة أخرى، كاللغة مثلا، لبطلت الحاجة إلى فن التصوير وانتفى وجوده.

وليست الغاية من الفن محاكاة الطبيعة أو النقل الأمين عنها كما يظن الكثيرون، فالفن لا يعطينا صورة من الأشياء بل من جوهر الأشياء، وحقيقتها الكاملة بما فيها من إمكانيات مستترة وقيم عليا. ويختلف نصيب الأعمال الفنية من العظمة والجودة باختلاف نصيبها من القوة التعبيرية التى تقوم على قوة الحافز العاطفى ومتانة وصدق الأداء، وقوة الأثر وخلود الذكر من نصيب الأعمال الفنية التى تعالج العواطف الإنسانية العنصرية والأصيلة، والتى تطرد فى الناس على اختلاف البيئات والزمان، والتى تعالج الحقائق الباقية والقوانين الكونية والمثل الإنسانية العليا، على أن يتسم الاداء بالقوة والكمال والبساطة، ويعبر عن دقة الفهم ولطف الإحساس.

***

المستوى العام للمعرض أعلى منه فى السنوات القليلة الماضية، وهناك عدد لا بأس به من المصورين ينفرد كل منهم بطابع مستقل، وشخصية متميزة وعالم خاص، وأعمالهم الفنية مرآة صافية لعواطف وإحساسات، كثيرا ما تحول مشاغل حياتنا اليومية دون تمهدها والتمتع بها. ورسالة الفن أولا وأخيرا هى أن يتمم نواحى النقص فى حياتنا النفسية والروحية، وأن يمهد لنا سبيل استنهاض هذه العواطف والإحساسات، وأن يعاونها على ارتياد آفاق جديدة، حتى يعاودها شبابها وعمقها وحيويتها،

(١) بالسراى الصغرى للجمعية الزراعية الملكية. أبريل ١٩٤٦.

وأمة الضاد تأبى أن يظل به جيش غريب يريها الذل ألوانا»
ماذا أجابت؟ لقد قالت مزمجرة صخابة: (لا) بصوت ظل رنانا
صوت تؤيده نار ولو تركت تأييده لانقضى وارتد دخانا
ياحامل النور! خل النور ناحية إن لم تحله لظى تورى حنايانا
كن حامل النار وارفعها مؤججة ألهب بها كل قلب ذل أو هانا
واسحق بها كل ضعف فى عزائمنا وامحق بها كل وهن فى سجايانا
وابعث سخائمنا وانشر حفائظنا واملأ جوانحنا حقدا وأضغانا
أحرق بها كل جبار يهددنا والذع بها كل طاغ قال بهتانا
وابلغ بها كل ناء من مقاصدنا واحلل بها كل صعب من قضايانا
يا صاحب الحق ليس الحق منتصراً إن لم يجد من جيوش الحق أعوانا
كوّن لحقك جيشا غير ذى خور إن كنت تبنى له عزاً وسلطانا
الحق شرعتنا والحق غايتنا والضعف علتنا والضعف بلوانا
والجيش عدتنا والجيش عزتنا والجيش سطوتنا والجيش منجانا

كما أن هناك عددا كبيرا من الصور التي ينقصها النضوج والإتقان. وقديما قيل إن الذوق لا يعلل ، وكثيرا ما اتخذ هذا القول ذريعة للتسامح والتهاون والاستهتار ، وحسبنا هذه الإشارة ، وفيما يلى عرض سريع لمآثر المعرض :

عرض محمود سعيد بك لوحتين لا تمثلان خير إنتاجه . ومكانة سعيد بك معروفة ، ولكنه لا يحاول أن ينوع أو يرتاد آفاقا جديدة . وصوره هذا العام ليست إلا نسخا أخرى من موضوعاته التي ألفناها .

وقدم الأستاذ مصطفى دربالة دراسة رائعة (للبوظة) فى عدة لوحات وفق فى معظمها توفيقا نادرا إلى التعبير الصادق المتقن عن روح (البوظة) وطابع شخصيات روادها ونفسياتهم .

وفى صور الأستاذ زوربان أشود طلافة وحرية فى التعبير الجيد عن الخصائص الكلية للأشياء . وله صورة وجهية (صوره نورا) نعتبرها أنموذجا كاملا لما يجب أن يكون عليه هذا الفن ، ففيها يمتزج المعنى والمبنى وتأتلف كل عناصر الفن ، وفضلا عن أنه وفق إلى التعبير عن روح صاحبة هذه الصورة ، منعكسة على سماتها وملامحها ، فالصورة ذات مميزات بارزة إذا نظرت كشيء قائم بذاته .

وعرض الأستاذ نعيم جاب الله ثلاث لوحات قيمة تدل على حيوية كبيرة : فالطبيعة التي تبدو للعيون هامدة خامدة تتجلى فى صوره نشطة نشاطا عارما ، مليئة بالقوة والحياة . ونحن نشهد لهذا المصور الشاب بعمق الشعور ودقة الذوق الممثلين فى حسن اختياره للألوان ، ونشهد له بإحساسه القوى بالنور المصرى الصافى ، وهو إحساس نفسى لا بصرى فقط — ورسالة الفن تتلقاها العين ولكن تؤديها النفس — وصوره تذكرنى بقول الشاعر كيتس : « الألحان المسموعة حلوة ، ولكن غير المسموعة أحلى » لأن فيها ألحانا غير مسموعة ، وهى بذلك تؤدى رسالة الفن التى تقصر عن أدائها الألفاظ .

وقد قلت عن « الآنسة إحسان خليل » لعامين خليا فى مجلة الرسالة : « إن هذه الفتاة فنانة حتى أطراف أناملها . والذى يتأمل المناظر الطبيعية التى رسمتها يحس أنها تتناول الفرشة بقلبها الرقيق لا بأصابع يديها » . وصورها هذا العام تعبر بجلاء عن شاعريتها وروحها الصوفية الرقيقة ، ففيها صلاة وعبادة للطبيعة ، وفيها نفاذ إلى روح المنظر ، وفيها موسيقى تراها العين ويحسها القلب ، كما أنها توحى بالسلام والاطمئنان اللذين نحسهما عند ما نخرج من أسر النفس ، ونرتفع عن مستواها لنندمج فى الكون الكبير .

والأستاذ عز الدين حموده رسام أنيق ودقيق فى اختيار موضوعاته : (مدام سول ، فى أحلام الترف ، شرقية) وهو موفق فى الأداء ، وصوره جياشة بالمعانى النفسية . ولعل حسن اختياره لموضوعات صوره ، وكلها صور سيدات ، هو سر توفيقه . غير أنى أحس أنه غير موفق كثيرا فى « فى أحلام الترف » ويبدو هذا بجلاء عندما نقارن هذه الصورة بصورة سعيد بك : «زبيده» ففى الأخيرة تكاد كل ذرة تعبر عن « أحلام اللحم » كما أن المشاهد يحس على الأثر أن للصورة روحا ، وهذا لا يتوفر فى صورة حموده .

والأستاذ منير شريف موفق جدا فى التعبير عن إحساسه بمناظر البحر ، وهو يؤدى إحساسه هذا فى بساطة وخلو من التعقيد ودون لجوء إلى التزويق والمحسنات . وسر نجاحه أن الأداء عنده طريق ممهد سهل للوصول إلى عاطفته ومشاركته فيها .

وتطغى الروح الأكاديمية على معروضات جماعة الدعاية الفنية (وقوامها الأساتذة حبيب جورجى ، شفيق رزق ، نجيب أسعد ، الآنسة صوفى جرجس) ولكنهم ينسجون على منوال واحد فى التعبير . ومن الصعب جدا تمييز أعمال أى منهم من أعمال بقية الجماعة ، وجانب الصنعة عندهم يطغى على جانب الإحساس وإن كانت الصنعة نفسها لا تمتاز بالقوة أو المهارة . وتنطبق هذه الأقوال على مدرسى الفن فى المدارس والمعاهد ومنهم الأساتذة عبد العزيز درويش ، وسند بسطا ، وكامل مصطفى محمد (ونشهد له بالنجاح فى صوره الوجهية : الآنسة كوليت ، جارتى) وصدقى الجباخنجى ورمزى السيد مصطفى إلى حدما . فهل نستنتج من هذا أن ممارسة الفن كمهنة يقتل الموهبة ويذهب بحيويتها ؟ ؟

وللأستاذ يوسف كامل صور وجهية لا بأس بها (نصرى . عبد القدوس) . والأستاذ طوبل ريمى يقتصد جدا فى الأداء فينجح إذا كان الإقتصاد اقتصارا على التعبير عن الخصائص الجوهرية مثل



فى مقالين :

أرسل إلينا الأستاذ الشيخ محمود أحمد الغمراوى شيخ معهدى دسوق والزقازيق سابقا مقالا بهذا العنوان يناقش فيه ما كتبناه وكتبه الأستاذ العقاد فى موضوع الأزهر . وقد جاءنا المقال بعد طبع الملازم الأولى من « الرسالة » فاضطررنا أن نرجئه إلى العدد المقبل .

... ولا تقولن زاك هناك :

فى الرسالة الغراء (٦٦٦) فى المقالة البليغة ذات العنوان (أين الأقلام) لصاحب الفضيلة العالم الأديب الأستاذ (الشيخ على الطنطاوى) الدمشقى — هذا القول :

« أين تلك الأقلام تفضح أكبر خدعة سربت إلينا ، وترد أفظع كذبة جازت علينا ، وهى دعواهم أن من الخير أن نأخذ المدنية الغربية بكل ما فيها ، وأن كل ما جاء من أوربة فهو خير ورشاد ، وكل ما بقى لنا من الشرق فهو شر وفساد .

وهذا من أقبح ما خافه فينا الاستعمار .

فأين تلك الأقلام تدل الناس على مزايانا لنحتفظ بها ، وشرور الغرب لنتجنبها ، ونقيم لهم الميزان العادل ، ونحكم فيهم الحكم السديد ، فنرتفع عن أن نكون قردة مقلدين ، ونرجع عقلاء مميزين ، يعرفون ما يأخذون وما يدعون » .

وقد ذكرنى كلام القاضى الفاضل بشىء سمعته فى خطبة خطيب فى بيروت سنة (١٣٤٣هـ) فرأيت روايته فى الرسالة الكريمة ، وهو يظاهر مذهب الشيخ .

سمعت ذلك الخطيب منذ ثلاث وعشرين سنة يقول :

« ... فقد اعتقدت[١] العربية العُقَد لبنها وكثرت ،

(١) اعتقد فلان عقدة إذا اشترى ضيعة أو اتخذ مالا من عقار وغيره

(شيخ يقرأ) ولا ينجح إذا انقلب الاقتصاد إلى قصور فى التعبير مثل (فناء العزبة) .

وقد خطا الأستاذ أحمد شاكر خطوة موفقة فى صوره الوجهية (المصور : مدام نجاتى بك) وبقى أن يعمل للوصول إلى المستوى نفسه فى المناظر الطبيعية . وينطبق القول نفسه على الأستاذ عزت إبراهيم .

وفى المعرض أكثر من صورة تمثل الأمومة ، وأحسنها وأقواها صورة الأستاذ إدوار رزق الله ، وما من ناقد يستطيع أن ينكر على الآنسة مرجريت نخلة قدرتها التعبيرية ، ولكن النهج الذى تؤثره فى الأداء يغلب عليه طابع « الكاريكاتور » . وأعتقد أن الأستاذ جمال الدين سجينى رساما أكثر منه مثالا .

وتمتاز صور الآنسة جينان جاكلين ، بشىء من الشاعرية والعاطفة الشابة ، وإحساس بالنور يبدو على أتمه وأقواه فى (فى الجزيرة)؛ ولكن الأداء يخونها أحيانا . وتدل معروضات الآنستين بثينه أحمد وعائشة عبد العال على روح فنية لم يكتمل نضجها بعد ، ولكنها سليمة ، كما أن الآنسه تحية وهبه لم تبذل كل ما كان يمكنها أن تبذله من مجهود .

ومما يلفت النظر أن خصائص الروح المصرية ممثلة تمثيلا ملحوظا فى التماثيل المعروضة هذا العام . ويكفى أن نذكر تمثال (العمدة) للأستاذ عبد الحميد حمدى وهو يمثل الطيبة والسذاجة التى تكاد تصل إلى حد البلاهة ، و (رأس شيخ) له أيضا ، و (عامل) للأستاذ ميشيل جرجس ، وهو يمثل الطيبة والخشونة وقوة الاحتمال . ومن أبرز المثالين هذا العام الأستاذ ناتان أبسخيرون ، وحسبه تمثاله الرائع « أحلام » . وللأستاذ حلمى يوسف تمثال جيد للمرحوم أحمد ماهر باشا .

وقد عرضت الآنسة عايده عبد الكريم — وهى ما تزال طالبة — عدة تماثيل تمتاز بالحيوية والنضوج . وما من شك فى أن هذه الفتاة ينتظرها مستقبل باهر فى فن النحت؛ فهى واسعة الأفق، قديرة على التنويع ، خبيرة بالعواطف النفسية وتجيد التعبير عنها .

والمعرض فى مجموعه جدير بالدراسة والتأمل ، وفيه فرصة متاحة للجميع للمتعة الذوقية الرفيعة .

نصرى عطا الله سوسى

واحتشدت لهم فى تأثيل خير المال وورثت . فما أجنَّ من ضيع هذا الميراث وما ألأمه ! وإذا استجديت (ياهذا) غيرك بعد فقدان ثروتك لا يجديك ، وإذا انتميت إلى غير جدك وأبيك لا يعليك ذلك لكن يوطيك . وهل يسوغ لعاقل أن ينسى نفسه (ونفسه كريمة لديه يوم الذكر) ويجحد صنيعة أهله وقد أحسنوا اليه فيغدو مثلا مضروبا فى السفه واللؤم والكفر ؟ ومن يجنح إلى الخسران وفى يده الربح ، ومن يقبل الخذلان وقد ماشاه النجح؟ ومن يستحب على الوجود العدم ، وأن تضمحل أمته فى الأمم ؟

فيا أيها العربى ، إنك عربى ولا يراك سواك إلا عربياً ، وإن شئت أن تأبق إباق العبد من بيت عربيتك وتسل ثيابها ، وتصرم أسبابها ، فلن يعطيك الغرب ذلك ، ولن يضعك وأن أبيت إلا هنالك ، وهو إما يلقاك عربيا قمياً ، وإما يلقاك عربياً قويا ، فيحتقرك ضعيفاً صغيراً ، ويوقرك عظيما كبيراً ، ويتعبدك ذليلا ، ويؤاخيك جليلا ، فالبس البس جلد القوة ، وجد كما جد الغربى ، واستعد بما استعد ، واعلم علمه ، واخبرفنه ، وابل نظامه ، وحقق (ياهذا) تحقيقه ، واسلك فى الكون طريقه — وقبيح الشرق قبيح الغرب . فلا تجهل ولا تُقبح[1] ولا تقولن ذاك هناك ، فثمة داء ، وهناك دواء . فيا عليل اطلب هذا ودع البم — وجود عيشك تجويده ، واتقن صنعك إتقانه ؛ فلن يفلح بعد اليوم إلا التَّقِن[2] واقتصد فى دنياك اقتصاده ، وجد إما وفر مالك جوده ، وأخلص أخلص فى كل عمل قلدته إخلاصه .

وذر السخفاء البله من العظاميين وانبذ عبيد الجهل ، والزم العصاميين وخالص أهل الفضل ، فليس من يهدم دعائم عربيتك كمن يشيد ، ولا الأحمق الأفين كالرجل الحازم الرشيد ، وماجاهل أمر مثل عالمه ... »

السهمى

إنها مشكلة التعليم كله لا الأزهر وحده !

نحن فى حاجة إلى المصلح المثقف الذى يتفرغ إلى دراسة المشاكل الاجتماعية دراسة فهم وخبرة ورغبة ، قبل أن يخرج الينا وفى يده مشروعات مرتجلة . ونحن فى حاجة إلى الكاتب الذى يحسن التوجيه ويجيد الكشف عن خفايا الأدواء ويصدق فى وصف الدواء .

حياتنا ... كلها ارتجال ... وما ينفع الارتجال فى إصلاح حياتنا الاجتماعية وملاك الأمر فيها — كما يقول الأستاذ الكبير الزيات — « الدرس والروية والمشورة والعزمة والنفاذ ، على أن يكون كل رأى فى وجهه ، وكل عمل فى وقته ، وكل أمر فى أهله ... »

أجل لقد صدق الإستاذ الزيات فى وصفه أسباب فشل وسائل الإصلاح فى مصر ... ولقد صدق أيضا وبلغ الغاية فى مقاله عن مشكلة الأزهر ...

فقد كان فى مقاله ذاك باحثا يسير فى هدى عقيدة ، ويمضى فى ظل معرفة ، ويقرر فى ثقة الدارس الواعى المتبصر ...

قرأت المقال فأثار فى نفسى خواطر شتى كلها تدور حول أصول التعليم ووسائل التربية فى مصر ... أحببت أن أسارع فأعرض بعضها عرضاً سريعاً .

رأيت أن اتجاهات التعليم فى مصر اتجاهات تنكبت سبيل الصواب وبعدت عن مقتضيات الأحوال فلم تساير طبيعة الواقع ، ولم تتساوق مع واقع الظروف ... كلها ارتجال فى ارتجال .. أو لنكن أكثر صراحة فنقول إنها برامج فرضتها ظروف أطل من بين ثناياها شبح المستعمر على رغبته تارة من بعيد تلميحا ، وتارة أخرى من قريب تصريحاً ...

وما ظنك ببرامج جاءت أصولها على هذه الحال وفى هذه الظروف ... ولغرض معروف ؟ إنها تهدف أول ما تهدف إلى تقييد العقلية الفتية المصرية بقيود الاستعمار ... ولقد أثرت حقاً وكان تأثيرها الإيجابى مركزاً فى قهر روح الابتكار فى الشبيبة المصرية ، وقتل روح الاختراع والتجديد ... بفرض نظام مدرسى عقيم لا يعمل على اكتشاف مواهب الطفل صغيراً ، ولا يهدف إلى توجيه رغبة الشاب يافعاً .

نظام مقسم تقسيما عقيما ... خدعنا بما فيه من مقاييس للسن

---

(١) أقبح الفتى : جاء بفعل قبيح .

(٢) فلان تقن من الأتقان : موصوف بالاتقان أي حاذق في عمله .

فليست المسألة مسألة تقسيم مراحل تعليمية أولية وابتدائية ... وثانوية وعالية .

المشكلة مشكلة تقسيم الوسائل التربوية ...

والمشكلة مشكلة مسايرة هذه الوسائل التربوية للظروف الاجتماعية والمادية والثقافية والنفسية .

والمشكلة مشكلة التطبيق السليم لهذه الوسائل السليمة .

فهل أدرك رجالنا هذه الحقائق ؟ هل عملوا على تلافى الأخطاء ؟

الواقع أنهم تركوا الأمور تسير سيراً مرتجلا كما ارتجلت من قبل البرامج ؛ ففى كل عام نظام جديد يهدم نظاما قديما ... وحتى هذا الجديد لا يلبث طويلا ، وقبل أن ينتج أثراً يمكن الحكم به على صلاحيته يقذف به فى أغوار النسيان ليحتل مكانه غيره ...

قد يقال إننا أخذنا عن الغرب طرائق التربية ... نعم أخذنا ولكن كان تقليدنا فى الشكل لا فى الجوهر ... غيرنا البرامج بيد أننا لم نحسن التطبيق ... ولم نستطع أن نفهم أن المدرسة توجيه وإرشاد وخلق وإصلاح ...

فالإعداد فاسد، لأنه يمهد السبيل لنيل شهادة النجاح فى المدرسة فحسب ، ولكنه لا يسلح الطالب بما يضمن له أسباب النجاح فى خضم الحياة ... فالمدرسة المصرية تعنى كل العناية بالامتحان وتغفل عن خلق روح الاجتماع والكفاح فى الحياة .

والمدرس المصرى يأمر ويبطش ليطاع، على حين أن المدرس الأوربى يوجه ويشجع ويعطف ليطاع عن حب متبادل ...

وشتان بين طاعة أنت مجبر عليها ومحبة أنت راغب فيها ...

إن إعداد المدرس فى مصر إعداد مرتجل . والأمل لم يزل معقوداً على معهد التربية ودار العلوم والآداب والأزهر ... ولكن على شريطة أن تأخذ وزارة المعارف بما اقترحه الأستاذ الكبير صاحب الرسالة .

اسكندرية — آنسة عواطف بيومى

الفيلسوف جحا :

على أثر المحاضرة التى ألقاها الأستاذ كامل كيلانى عن جحا وتاريخه وفلسفته ارتجل الأستاذ محمود غنيم هذه الأبيات :

إنى حسبتُ « جحا » مجانة ماجن
فإذا به رجل جليلُ الشانِ
هو فيلسوف قام ينشر ذكره
بين البريةِ فيلسوف ثان
ما زال يطريه ويعلى شأنهُ
متحدثاً عنه بكل لسان
حتى حسبتُ « جحا » رشيداً ثانياً
أو من أقارب « كاملٍ كيلانى »

وارتجل كذلك الأستاذ حليم دموس هذه الأبيات :

يا حارس الفصحى وناشرَ ما انطوى
من تالدٍ منها ومن مستطرفِ
ألّفتَ بين فكاهةٍ ونباهةٍ
وكشفتَ عن ذهن نقى مرهف
وجعلت هزل (جحا) دروساً للحجى
فإذا الحقائق تنجلى فى أحرفِ
وعصرت منها للعصور وأهلها
كأساً من الأدب الرفيع الألطف
فوقفتُ فى الوادى أمامك خاشعاً
وعرفتُ أنىَ جاهل لم أعرفِ
فاهنأ بحكمتك التى دونتها
لتنير من سبل الهداية ما خفى

والبيت الأخير لسعادة أحمد حلمى باشا مدير بنك الأمة العربية



الغلاف ذو الأختام الحمر

للكاتب الفرنسي موريس ليبلانه

بقلم الدكتور محمد غلاب

فى مساء اليوم الخامس والعشرين بعد وفاة « جا كيلين » أنس زوجها « جيوم » من نفسه الشجاعة على دخول غرفة تلك التى أحبها حبا شديد العمق خصب السعادة .

وكان يريد أن يتنسم على الأخص عطر الماضى بقراءة تلك الرسائل التى كتبها هو إليها فى الأوقات التى كانت الحياة فيها ترغمهما على مفارقات قاسية . وكانت « جا كيلين » تحفظ كل رسائلها فى علبة من الأبنوس المطعم بالصدف لا يفارقها مفتاحها أبدا . فلما فتح هذه العلبة ألفى بها عدة حزم من الرسائل مربوطة بأشرطة مختلفة الألوان ، ووجد على كل حزمة علامة تميزها من غيرها وتعين عصرها ، فعلى إحداها مثلا كتبت « جيوم فى الجزائر » وعلى الثانية « جيوم فى الجيش » وهكذا ، وكانت تحت هذه الحزم كراسة معروفة تماما لجيوم ، وهى نوع من اليوميات التى كانت « جا كيلين » تقيد فيها إحساسهما المشترك ، ومسراتهما وأحزانهما .

غير أن جيوم حين أخرج هذه الكراسة زحزح قطعة من القطيفة كانت تغطى قاع العلبة ، فلما رفع هذه القطعة دهش كل الدهش إذ ألفى تحتها غلافا أصفر مختوما بخمسة أختام حمر وكأنه يحتوى على كمية من الأوراق .

فلما نظر إلى هذا الغلاف عرف خط زوجته وقرأ عليه هذه الجملة : « يسلم بعد موتى إلى صديقتى هاريت ديسيز » .

لم يتردد جيوم ثانيــة فى فتحه ، فمع أنه حميــد الأخلاق إلى حد بعيد ، وبرغم أنه طول حياة جا كيلين لم يفتح قط رسالة موجهة إليها فإنه بحركة فجائية وبدون تردد ، وبدافع غريزة تغلبت فيه على كل شىء قد فض الأختام ومزق الغلاف .

إنها رسائل ، ورسائل رجل .

تناول إحداها بيد مرتعشة .

إنها تبتدىء بهذه الكلمة : « عزيزتى المعبودة ... » .

أدار الصفحة ونظر إلى الإمضاء فألفاه : « رفائيل » .

وفى الحال فهم كل شىء ، فقــد كان « رفائيل دورميفال » أثناء الشهور الأخيرة التى سبقت مرض « جا كيلين » يتردد على منزلهم ، بل طالما دخل جيوم فألفى هذا الرجل جالسا بالقرب من زوجته ، فالآن قد أدرك معنى صمتهما الذى كان يسببه لهما حضوره الضايق .

وفى هذه اللحظة كانت الساعة تدق الحادية عشرة مساء ، فنهض وغادر الحجرة وتناول قبعته ومعطفه وخرج إلى الطريق ، فاستقل سيارة أجرة إلى نادى شارع كابوسين فصعد إليه فألفى هناك عدة مناضد مشغولة بلاعبى الورق ، وفى نهـاية إحدى القاعات الكبيرة كان عدد من الأشخاص يلعبون « البوكر » فوقع نظره بينهم على رفائيل دورميفال ، فاقترب جيوم من المنضدة وألقى عليها بضع قطع من الذهب ليشترك فى اللعب . وبعد دقائق رأى الحاضرون بدهشة فائقة أنه بدون مبرر ، أو بمبرر تافــه قد أخذ يسب دورميفال بأفظع الأساليب ، وفى النهاية تبادلا البطاقات واتفقا على تعيين شهود المبارزة .

وبعد ذلك عاد جيوم إلى منزله فتناول صورتى جا كيلين الفوتوغرافيتين اللتين كانتا تزينان موقد غرفته وألقى بهما فى النار . ثم دخل حجرة الاستقبال فخلع صورتها الزيتية ومزقها وألقى بها فى النار كذلك قطعة إثر قطعة ، وعلى أثر هــذا نام نوما هادئا بعض الشىء ، وحينما استيقظ فى اليوم التالى ألفى نفسه ساكنا لأنه كان يخيل إليه أنه قتل تلك الميتة مرة ثانية ما دام قد قتلها فى نفسه نهائيا وإلى الأبد ، وأن ذكريات الخيانة المرعبة لن تتسلط عليه أبدا ، وأن كائنا واحدا يمكن أن يذكره بهذه الخيانة وهو رفائيل دورميفال ، وهــذا الكائن سيموت ولن يبقى بعد ذلك شىء من الماضى .

وفى الساعة العاشرة اجتمع الشهود ، وفى الرابعــة حدثت

المبارزة ، وعندما ألفى جيوم نفسه تجاه خصمه أحس كأن الغيظ منه والحقد عليه يقفزان به ، وإذ ذاك فقط تألم وعرف بحق وبهيئة عميقة أن الحياة لن تكون ممكنة بالنسبة إليه مادام هذا الرجل يحيا .

هاجمه مرتين بعنف بالغ أشده حتى اضطر الشهود إلى التفريق بينهما ، وفى المهاجمة الثالثة ألقى بنفسه عليه واخترق جسمه بضربة من سيفه فهوى وأسلم الروح لساعته .

وبعد أن فارق جيوم شاهديه أخذ يتنزه فى الغابة ساعة ، ولم تكن أية فكرة تهيجه إذ ذاك ، غاية ما فى الأمر أنه كان يحس بأن عقله كثيف مظلم مختلط لا تستطيع الفكرة أن تصدر عنه ، بل لم يعد يعرف هل لا يزال يتألم ؟ وهل شفى غليل حقده من خصمه ؟ وفى ساعة العشاء ألفى نفسه من جديد فى منزله ، وعلى أثر ذلك أنبأه خادمه بأن سيدة تنتظره فى حجرة الاستقبال منذ ساعة على الأقل ، فاتجه إليها فألفاها « هاريت ديسيز » تلك الصديقة المخلصة وكاتمة السر التى أوصت « جاكيلين » بتسليم رسائلها الغرامية إليها والتى لم يكن جيوم قد رآها منذ وفاة زوجته لأنها كانت قد سافرت فى اليوم التالى ، فتبادلا معاً بضع كلمات أعلنت إليه هاريت فيها أنها تصل الساعة مباشرة من الجنوب ، وأنها نالت الحكم بالطلاق ضد زوجها ، وأنها معتزمة الزواج على أثر مضى العدة . فقال بغير اكتراث : — آه .

وفى الحال سألته فى نبرة مرتبكة قائلة :

ألم تجد بين أوراق جاكيلين حزمة لى ... غلافا مختوما ؟

فنظر جيوم إلى تلك الشابة نظرة شزراء وكاد يوبخها على تآمرها مع زوجته الراحلة ، ولكن ما الفائدة فى ذلك ؟

أجابها على سؤالها بقوله :

— نعم وجدت غلافا باسمك

— وإذاً ، فأين هو ؟

— قد أحرقته

فظهرت الكآبة على وجهها وقالت :

— كيف ! أحرقته ! كيف ! لكن لم يكن ذلك من حقك

— لم يكن ذلك من حق !

— لا ، فهذه الرسائل كانت ملكى ، وجاكيلين كانت تحفظها ، لتؤدى لى بذلك خدمة ، ولكن كان من المفهوم أن أستعيدها فى يوم أو فى آخر ... ولما رأت أن جيوم لا يظهر عليه أنه فاهم استمرت تقول فى دهشة :

— آه ! ألم تقل لك جاكيلين ؟ مسكينة جاكيلين ! أنا لم أطلب منها كتمان السر إلى هذا الحد ولا سيما ما يتعلق بك

فقال فى رعدة وفزع : — ماذا ؟ ماذا ؟

— نعم لما كنت منتظرة الطلاق فقد كنت أخشى أن تكتشف هذه الرسائل عندى ، وكنت أحتفظ بها إلى حد يمنعنى من إبادتها ! وقد كانت جاكيلين وحدها هى التى تستطيع أن تحفظها لى ما دامت تعرف سر حياتى .

— أى سر ؟ . تمتم جيوم بهذا السؤال فأجابته قائلة :

— آه ! أنت لا تعرف ، فأنا أحب أحد الناس ... هو أحد أصدقائك ، وكان يتردد كثيرا على منزلك ...

فتمالك جيوم قواه وسألها قائلا :

— أهو رفائيل دور ميفال ؟ .

فأجابته الشابة وفى قلبها ذلك الاسترواح الذى يشعر به المحب حينما يذكر اسم محبوبه قائلة :

— نعم ، نعم هو رفائيل . يجب أن نتزوج ، وسأراه بعد قليل . نطقت بهذه الكلمات وهى واقفة تستعد للخروج ، وكان وجهها جميلا سعيدا يتلألأ بكل ما لديها من سرور وكانت عيناها تبتسمان ، وكانتا مبللتين قليلا كأن الهناء قد ألانهما .

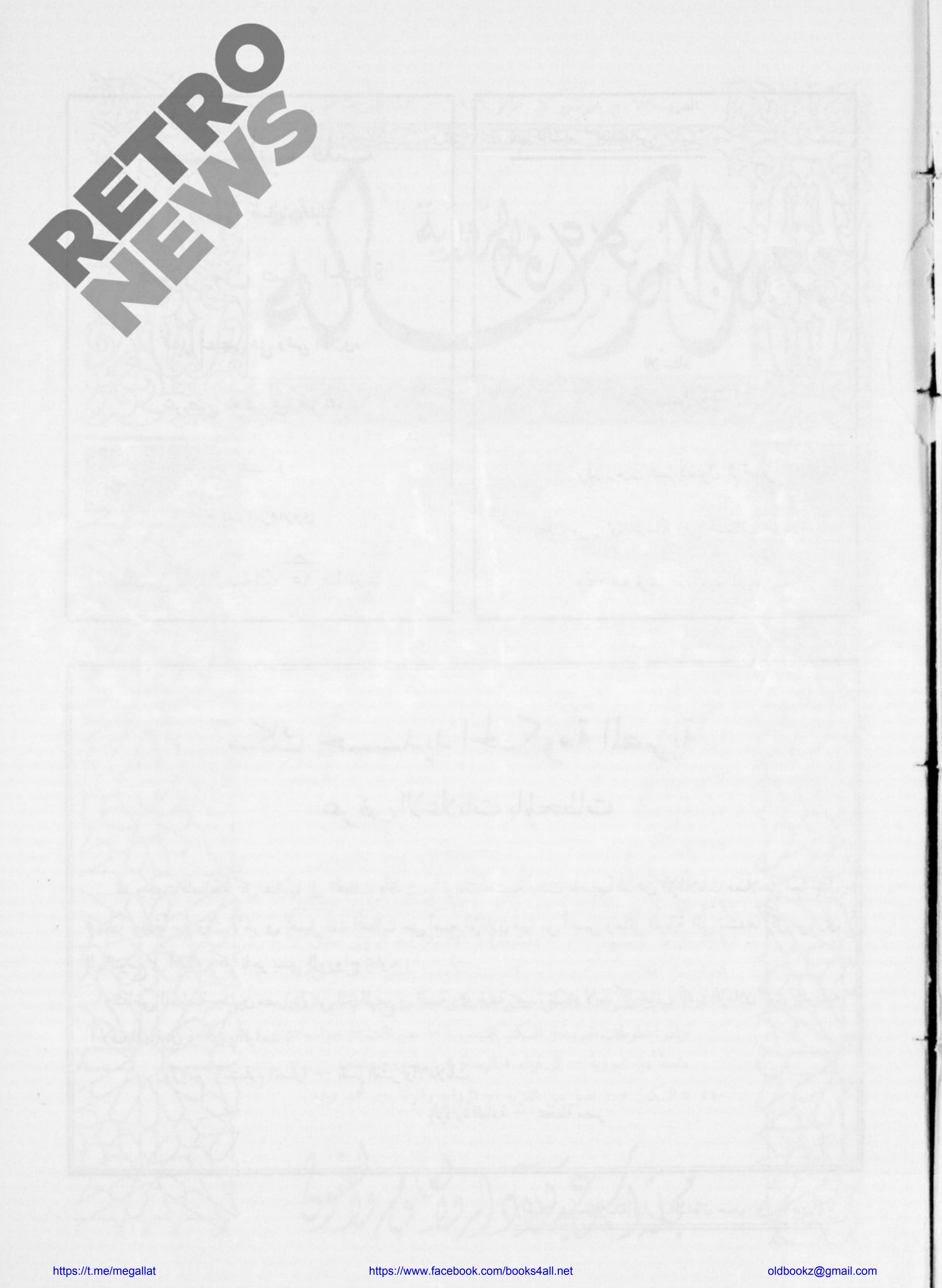
ففأفأ وتمتم قائلا : — أنت ذاهبة ... أنت ذاهبة ...

— نعم أنا ذاهبة إلى منزله ... إنه لا يتوقع مجيئى إلا غدا . أية مفاجأة ! لهذا كنت أسر لو حصلت على رسائله لأننا كنا نعتزم أن نقرأها معاً على أثر نيلنا حريتنا .

اسمى ... اسمى ...

كان جيوم إذ ذاك يشعر أنه صار مجنونا ، إذ فهم أن شيئا هائلا وفظيعا قد وقع ، شيئا سيترك له ذكرى أكثر إرعابا وتعذيبا من موت زوجته نفسها ، وكان يود أن يهيىء هذه السيدة لوقع ذلك النبأ المؤلم ، ولكنه لم يكن يعرف ماذا يقول فقد رفضت شفتاه النطق بتلك الكلمات المروعة ، وجعل ينظر إليها مضطربا كما ينظر الإنسان إلى أولئك الذين أصيبوا بكوارث تتجاوز القوى البشرية . وبدون أن ينبس بكلمة ، وبدون أية إشارة ، وفى رعشة الخوف والغم والقلق تركها تخرج .

محمد غلاب


RETRO
NEWS

شعاب قلب

دروس نفسانية تحليلية

صور من صميم الحياة

تحايل قصصي على ذهن القارىء

عرض مشوق مرغب

بقلم

حبيب الزحلاوى

يطلب من إدارة الرسالة الثمن ١٥ عدا البريد

بادر باقتناء نسختك من كتاب :



للأستاذ

احمد حسن الزيات

وقد زيدت عليه فصول لم تنشر

يطلب من إدارة الرسالة ومن المكاتب الشهيرة

وثمنه ١٥ قرشاً عدا أجرة البريد

سكك حديد الحكومة المصرية

عرض الاعلانات بالمحطات

لقد وجهت المصلحة كل عنايتها إلى المحطات فأقامت بها لوحات خشبية أعدت خصيصاً لعرض الإعلانات فضلا عن أنها تبذل مجهوداً صادقاً من وقت لآخر فى تجميل تلك المحطات حتى أصبح الإعلان فيها من أحسن وسائل الدعاية التى تنشدها كل من يرمى إلى التوسع فى أعماله وكل تاجر يسعى إلى رواج تجارته .

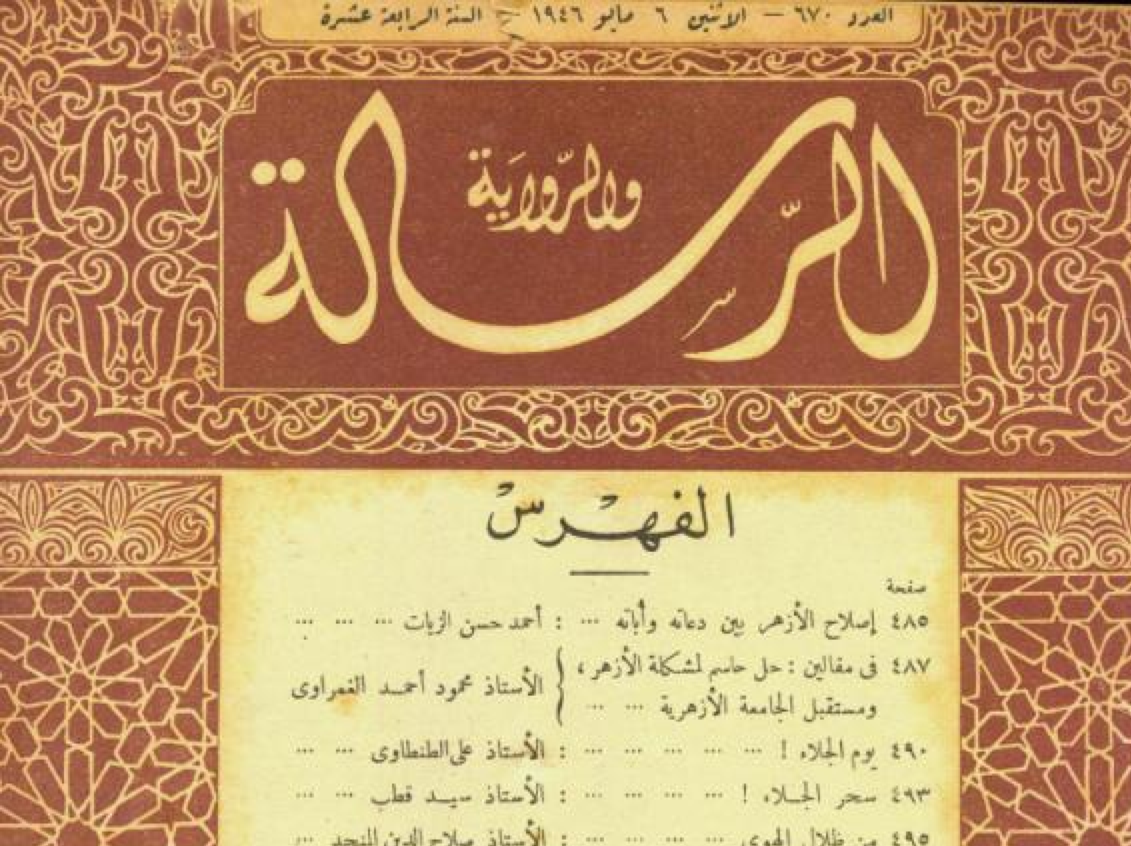
وتتقاضى المصلحة جنيهين مصريين عن المتر المربع فى السنة وهى قيمة زهيدة تكاد لا تذكر بجانب أهمية الإعلان الذى يتصفحه آلاف المسافرين فى اليوم الواحد .

ولزيادة الاستعلام اتصلوا — بقسم النشر والاعلانات

بالإدارة العامة — بمحطة مصر

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

العدد ٦٧٠ — الاثنين ٦ مايو ١٩٤٦ — السنة الرابعة عشرة



الفهرس

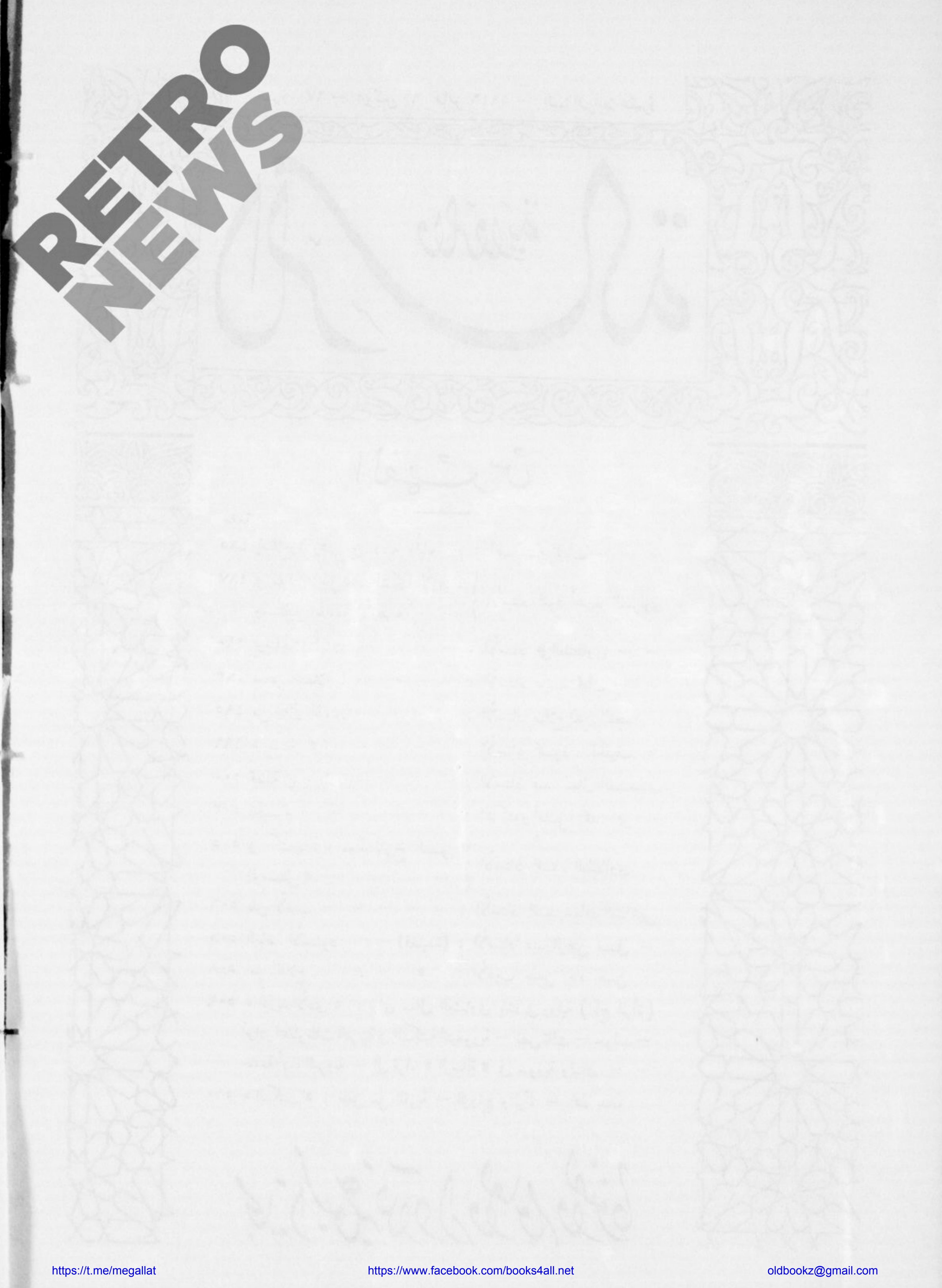
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ٦٧٠ — الاثنين ٦ مايو ١٩٤٦ — السنة الرابعة عشرة



الفهرس

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون


RETRO
NEWS

14 me Année No. 670

Lundi—6—5—1946

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٦٧٠ « القاهرة فى يوم الإثنين ٤ جمادى الآخرة سنة ١٣٦٥ — ٦ مايو سنة ١٩٤٦ » السنة الرابعة عشرة

إصلاح الأزهر بين دعاته وأباته

نقرأ بعد هذه الكلمة مقالا للأستاذ محمود الغمراوى صور فيه المخاوف التى تساور بعض علماء الأزهر من عواقب الاقتراح الذى اقترحته الرسالة فى عدد مضى على مشيخة الأزهر ووزارة المعارف لحل مشكلة الأزهر . صور الأستاذ الفاضل ما توهم من تلك المخاوف تصويرا يروعك منه حِفاظ المؤمن وإشفاق الناصح ؛ ولكن الألوان والظلال التى اختارها لصورته جعلتها أدخل فى باب الخطابة منها فى باب المنطق! من تلك الظلال «هذه السهام التى تسدَّد إلى الأزهر ، وهذه الأسنة التى تُشرَع على القرآن» . ومن تلك الألوان هذا « الفرض الذى يقتل الأزهريون بأيديهم لغتهم ودينهم » وهذا التهويل عليهم « بالبلاء الوافد والخطب الراصد والموت الحاصد » . والأستاذ أعلم الناس بأن المستعمرين أنفسهم لم يبلغوا من الجحود بآيات الله أن سول الشيطان لهم بعض ذلك ، بَـله الذين يؤمنون بأن العالم لا يسعد إلا بالدين ، وأن الدين لا يجدد إلا بالأزهر ، وأن الأزهر متى استكمل أداة التعليم وساير حاجة العصر نهض بالشرق نهضة أصيلة حرة ، تنشأ من قواه وتقوم على مزاياه وتتغلغل فى أصوله . ذلك لأن ثقافته المشتقة من مصدر الوحى وقانون الطبيعة متى اتصلت بتيار الفكر الحديث تفاعلت هي وهو ، فيكون من هذا التفاعل ما يريد به الله تجديد دينه وكفاية شرعه وإدامة ذكره .

على أن الأستاذ الغمراوى قصر جهده فى مقاله على عرض اقتراح الرسالة فى صورة الهولَة ليُفزِّع بها المخلصين لدينهم ولغتهم فلم يشر بتعديل فيه ولا بتبديل منه ، كأنه يرضى للأزهر أن يظل كما هو يعلك الكلام ، ويجتر الماضى ، ويقتات الفتات ، ويبطل الاجتهاد ، ويعطل العقل ، ويصم أذنيه عن أصوات العالم وحركات الفلك !

ولكن الأستاذ من صدور العلماء المعروفين بطول الباع فى علوم الدين ، وسعة الاطلاع على فنون اللغة ؛ فلا بد أن يعلم أن ميزة الإسلام التى تفرد بها هى مسايرته للتطور ومطاولته للزمن ؛ فإذا حصرناه فى زمان محدود ، أو قصرناه على نظام معين ، سلبناه هذه الميزة ، وفصلناه عن دنيا الناس ؛ فهو إذن من المصلحين المحافظين الذين يجددون بقدَر ، ولا يتقدمون إلا فى أناة وحذر ، لأنه يرى الحال داعية إلى الإصلاح ، ولكنه يطلب من الأستاذ العقاد ومنى أن نراجع الرأى فيما كتبناه لعلنا نجد « لونا آخر من العلاج يكون فيه للأزهر الشفاء والعافية » .

ذلك هم المجددون المحافظون ، وأما غيرهم ممن يعارضون الاقتراح فطائفتان : طائفة السلفيين المتزمتين ، وهؤلاء قد وقفوا عند حدود النقل ، فلا يرون لفهم أن يبتكر ، ولا لعقل أن يعترض ، ولا لمصلح أن يجدد ، لأن التجديد بدعة ، وكل بدعة على إطلاقها ضلالة . وطائفة الأحرار المستقلين ، وهؤلاء يعارضون الاقتراح لا لأنهم يناهضون الإصلاح ، وإنما يخشون أن يفلت زمام الأزهر من أيديهم

فتصبح قيادته لوزارة المعارف . ويخيل إلى أن المعارضين الأفاضل على اختلافهم فى أسباب المعارضة لو قرأوا الاقتراح على عادة الأزهريين من التفلية والتحليل لما وجدوا فيه مبعثا للخوف ولا مثاراً للشك . وبحسبنا أن نوضح ما أشكل من جوانب الرأى لنصبح جميعا متفقين على الأسس التى يجب أن يقوم عليها بناء الأزهر القديم الجديد .

***

يرى الأستاذ الغمراوى والذين يذهبون مذهبه أن الاقتراح «يجبُّ نصف الأزهر ويدق رأسه » :

١ — لأن إلغاء التعليم الابتدائى من المعاهد الدينية يستتبع إلغاء حفظ القرآن ، إذ كان حفظه كله أو نصفِه شرطا فى قبول الطالب ، وإلغاء هذا الشرط ينقص الإعداد الدينى تلك السنوات الست التى كان يقضيها الصبى فى حفظ القرآن .

٢ — ولأن تحويل المعاهد الدينية إلى مدارس ثانوية تساير منهاج وزارة المعارف فى الثقافة العامة ، وتنفرد فى سنى التوجيه بعلومها الخاصة ، يحرم الأزهر ست سنوات أخرى كان يقضيها الطالب فى دراسة اللغة والدين بأقسامه الابتدائية والثانوية .

٣ — ولأن المواد المدنية على نهجها المعروف فى برامج الوزارة ستطغى على المواد الدينية ، فيقل المحصول الدينى واللغوى لدى الطلاب ، وتضعف الملكة الأزهرية الخاصة لفهم الدرس والكتاب .

٤ — ولأن الاعتماد على حملة الشهادة الابتدائية العامة فى تغذية أقسام الأزهر الثانوية يعرضها للهزال بانصراف التلاميذ عنها إلى المدارس الثانوية الأخرى اتباعاً لأهواء العصر المادية .

وسترى بعد إيضاح ما انبهم أن هذه الأسباب منتفية عن معنى الاقتراح فى أصله ، وما أراب من استراب إلا إجمال فكرته وإيجاز شكله .

***

١ — لا يستتبع إلغاء التعليم الابتدائى من المعاهد الدينية إلغاء حفظ القرآن واستقطاع ست سنوات من زمن الإعداد الدينى واللغوى ، لأن المعاهد الدينية الابتدائية إنما تستقبل داخليها وهم فى سن الثانية عشرة ، وهى السن التى ينتهى فيها الصبى من الدراسة الابتدائية العامة دون أن يأخذ من زمن الدراسة الأزهرية وقتاً كثر أو قل ، وإنما تكون مداركه وملكاته قد تهيأت لحفظ القرآن فى مدى السنوات الثانوية الخمس أو الست عن رغبة وفهم . ومن الذى يمنع مشيخة الأزهر أن تجعل حفظ القرآن فرضاً على كل طالب فى كل سنة من سنى الدراسة فى المدارس الثانوية الأزهرية وأمرها فى يديها ، وإعدادها منها وإليها ؟

٢ — إن المعاهد الدينية التى نقترح جعلها مدارس ثانوية بالمعنى الرسمى المعروف ستظل بالطبع تابعة للأزهر خاضعة لإدارته ، فله إذا شاء أن يزيدها سنة أو أكثر ، وأن يبدأ الدراسة الدينية واللغوية من سنتها الأولى ، على شرط أن يحافظ على مواد الثقافة العامة المقررة فى برنامج الوزارة من لغات وآداب وعلوم ورياضة ، وأن يتقدم طلابها المنتهون إلى امتحان التوجيهية العام ، ليكون لهم ما لسائر إخوانهم من ميزة الشهادة الرسمية ، ولتفتح لهم أبواب الوظائف التى أجملناها فى الاقتراح لحاملى الشهادة الثانوية . وإذن تكون مدة الدراسة الدينية واللغوية اثنتى عشرة سنة لا ستاً كما ظن الأستاذ .

٣ — لا خوف من طغيان المواد المدنية على المواد الدينية فى الدرس والتحصيل ما دام الوقت متسعاً ، والأستاذ كفؤاً ، والكتاب مهذباً ، والمنهاج مستقيما ، وتوزيع المواد دقيقاً ، والإدارة حازمة ، والمراقبة يقظى ؛ فإن الوقت إذا أُحسن استخدامه اتسع ضيقه ، والكتاب إذا حُذف فضوله قصر طوله .

٤ — من المحال أن ينصرف التلاميذ عن المدارس الثانوية الأزهرية ؛ لأن الاقتراح يقصر وظائف تدريس الدين واللغة والأدب فى جميع مدارس الدولة والأمة على الأزهر ، فإذا أضيف إلى ذلك وظائف التحرير والترجمة ومهنتا الصحافة والتمثيل ، كان الراغب فى ممارسة أمر من هذه الأمور محتوماً عليه أن يدخل الأزهر لأنه لا يستطيع بلوغه إلا عن طريقه .

وجملة الأمر أن الاقتراح يرمى إلى تجديد الأزهر وتوحيد التعليم على الوجه الذى يحفظ للأزهر طابعه وللأمة وحدتها . فإذا تجاذب الباحثون أطراف الرأى فى حدود هذين الغرضين ، استبان الطريق ، واتحدت الوجهة ، وتلاقوا جميعاً عند الغاية المقصودة لا محالة !

احمد حسن الزيات

فى مقالين:

حل حاسم لمشكلة الأزهر، ومستقبل الجامعة الأزهرية

للأستاذ محمود أحمد الغمراوى

شيخ معهد دسوق والزقازيق سابقا

...أما بعد، فقد قرأت ما كتبتم فى العدد رقم ٦٦٦ من مجلة «الرسالة» إلى مشيخة الأزهر ووزارة المعارف من حل حاسم لمشكلة الأزهر، وما كتبه حضرة الأستاذ عباس محمود العقاد فى العدد رقم ٦٦٧ عن مستقبل الجامعة الأزهرية، فوجدتكما ترميان إلى غرض واحد يستوقف النظر ويدعو إلى التأمل.

وقبل التحدث أقدم بين يدى الحديث إلى حضرتى الأستاذين شكرا خالصا لعنايتهما بأمر الأزهر وبحث أدوائه ودوائه فى وقت شغل فيه المنسوبون إلى الأزهر بالتافه من شئونهم، غير مكترثين لما يكتنف الأزهر من خطر، ولا ناظرين إلى ما يهدد وجودهم ووجوده من بلاء وافد، وخطب راصد، وموت حاصد.

وإن فى عناية الأستاذين الكبيرين بالبحث فى مستقبل الأزهر وحل مشكلته، قياما بحق تتقاضاه من كل ذى شعور كريم مكانة الأزهر التاريخية، وقيامه بحفظ الشريعة واللغة العربية زهاء ألف عام، فاستحقت مصر بذلك تقدير الأمم الإسلامية وأن تكون زعيمة الأمة العربية. وفى هذه العناية من جانب الأستاذ الزيات خاصة وفاء واعتراف بما للأزهر من صلة وثيقة بفنه البارع وأدبه الرفيع، وبما يدين به قلمه العربى الفصيح من بلاغة وحسن إلهام امتاز بهما على الأقلام؛ ففى قنة الأزهر نبتت شجرته، ومن ماء مزنه ارتوت نبعته، ومن عودها كانت قصبته. وإذا كان رجل الفن من أغير الناس على فنه، وأحرصهم على خلود مدرسته، فأكبر ظنى أن الأستاذ الزيات حين تقدم إلى مشيخة الأزهر ووزارة المعارف بما تقدم به من علاج رأى أن فيه حلا حاسما لمشكلة الأزهر، كان ثائرا من أجل الأزهر لا عليه، وغاضبا مما يجرى فيه من الأحداث وحواليه، وإلا فما أظن طبيبا يتقدم لطب مريضه بدواء قاتل يرديه، ولا أحسب ابنا بارا يريش سهمه لتثقفه ويرميه فيصميه. ومن أجل ذلك يطمع الأزهر أن يراجع الأستاذان الرأى فيما كتباه عن مستقبله وحل مشكله، فقد يجدان لونا آخر من العلاج يكون فيه للأزهر الشفاء والعافية فيوافيان به القراء إن شاء الله.

* * *

اتفقت كلمة الأستاذين على أن غاية الأزهر أن يفقه الناس فى الدين وفيما تفرع من أصوله من شتى العلوم؛ وأن سبيله إلى هذه الغاية أن يعلم اللغة وما اتصل بآدابها من مختلف الفنون. فالدين واللغة هما علة وجوده، وجوهر علمه، وثمرة عمله؛ وأنه لهذا ولكونه أقدم جامعة فى العالم بأسره تكون الأمة ذات الشأن الأول فيه حقيقة بأن تحافظ عليه وتستديم بقاءه وازدهاره.

واستشرف القارىء، وأذن لما يرد بعد هذا القول لعله يسمع رأيا نافعا، أو يرى علاجا ناجعا، يطب الأزهر فيشفى داءه، ويرجع إليه العافية ويكفل بقاءه، حتى يرى الأزهر قد تشامخ بناؤه، وعمر فناؤه، وصفت سماؤه، وطاب ورده وماؤه، وحىّ أمله وقوى رجاؤه، وازدحمت بالوافدين عليه لطلب العلم أرجاؤه، وتجاوبت بالعلم فى جوانبه أصداؤه.

ولكننا لم نجد بعد البيان الذى مهداه، والقول الذى قدماه، سوى سهام تصوب، وسنان تحرَّب، وقد شمر الراميان عن ساعديهما، وكشفا عن ساقيهما ينتضلان، والأزهر بينهما كدريئة تتنائل إليها السهام، تارة من عن اليمين ومرة من الأمام، مسددين إليه الرماية، يرميان جاهدين إلى غاية!

أما الغاية فهى:

١ — أن يلغى التعليم الابتدائى من جميع المعاهد الدينية ليلقى بمقاليده إلى وزارة المعارف تلزمه وتقسمه وتعممه على الوجه الذى تراه، وذلك بدء الوحدة الثقافية بين أبناء الأمة.

٢ — أن تجعل المعاهد الدينية فى القاهرة وفى الأقاليم مدارس ثانوية يدخلها حاملو الشهادة الابتدائية العامة وتعلم فيها اللغات والرياضيات والآداب والعلوم على منهج وزارة المعارف. وفى أول

السنة الثالثة منها يتجه طلابها اتجاهين على حسب مرادهم واستعدادهم : إما اتجاها إلى الدين وعلومه ، وإما اتجاها إلى اللغة وفنونها ...

٣ — أن يقتصر فى التعليم الجامعى فى الأزهر على كليتين اثنتين: كلية أصول الدين وتندمج فيها كلية الشريعة ، وكلية اللغة وتندمج فيها كلية اللغة العربية ودار العلوم وقسم اللغة العربية من كلية الآداب بجامعتى فؤاد وفاروق ، ويشترك الكليتان فى الدراسة العميقة للغتين العربية والافرنجية ، كما تنفرد كلية الدين بتاريخ الأديان السماوية والأرضية ...

ويقول الأستاذ العقاد : إنه لا يرى من جانبه ما يخالف فيه الأستاذ الزيات قبل الدخول فى التفصيلاتِ التى تعرض عند البحث فى تقسيم الكليات ، وفى مدة التعليم التى يحتاج إليها الطالب الجامعى فى كل منها .

والمهم عنده أن ينتهى التقسيم إلى نظام واحد فى التعليم فلا يبقى للثنائية أثر بين كليات الجامعة الأزهرية وغيرها من الجامعات، ولا يحسب الفرق بينها جميعا إلا كما يحسب الفرق الآن بين كلية الطب وكلية الزراعة أو كلية الآداب .. ؟

فالهدف الذى يرميان نحوه ، وبيت القصيد عندهما هو تحقيق الوحدة الثقافية بين أبناء الأمة ، أو كما يقول الأستاذ العقاد : ألا يبقى للثنائية أثر بين كليات الجامعة الأزهرية وغيرها من الجامعات ؛ وتوحيد الثقافة أو إبطال الثنائية فى التعليم لا يتم فى رأيهما إلا إذا ألغى نظام التعليم فى المعاهد الابتدائية التابعة للازهر وحولت المعاهد الثانوية إلى مدارس ثانوية كنظام وزارة المعارف على النحو الذى رسمه قلم الأستاذ . فاذا رضى الأزهر أن يترك ست سنوات وهى نصف المدة المقررة لتأهيل الطالب لنيل الشهادة العالية (إذا ساعده الحظ ولم يرسب فى أثناء الطلب مرتين أو ثلاثا) وإذا تجاوز أيضـا عن ست سنوات أخرى يقضيها الراغب فى دخول المعاهد الدينية فى حفظ القرآن الكريم وتبع ذلك أن يتجاوز عن اشتراط حفظ القرآن فى قبول الطالب بالمعاهد الأزهرية ، لأن القرآن لم تبق له أهمية ، ولم يعد ذا صلة بالعقيدة الإسلامية والأحكام الشرعية ؛ إذا تجاوز الأزهر عن هذا طوعا أو كرها ، ورضى أن يجبَّ نصفه وتدق رأسه ، كان الأزهر جديرا بالحياة حريا بالبقاء : فيحتفظ بقديمه ؟! ويشارك فى جديد الناس ، ويساهم فى شركة المدنية . وحينئذ يصير الطالب الأزهرى جديرا بأن يكون عالما حقا ، وأن تفتح له أبواب السماء فيجد مكانه من وظائف الحكومة كما يجد الطبيب والمهندس والضابط أمكنتهم فى كل ديوان يحتاج إليهم !

يقولون لا تبعد وهم يدفنونه ولا بُعْدَ إلا ما توارى الصفائحْ

أما إذا ظل الأزهر على تعصبه كما هى عادته ، وأبى له جموده أن يتنازل عن وجوده ، فإنه يكون غير صالح للبقاء وليس أهلا للحياة ؛ لأنه غير قادر على مسايرة الزمن فيجب أن يسلب اختصاصه ويعطى تراثه لمن هو أقدر منـــه على مسايرة الزمن والمشى مع القافلة ، فيكون تراث الأزهر نهباً مقسما بين كلية الحقوق ودار العلوم وكلية الآداب : تستقل الحقوق بالشريعة ، وتحمل دار العلوم لواء اللغة ، وتضطلع كلية الآداب بدراسة أصول الدين : تدرسها على المنهج الجامعى فى التقصى والاستيعاب والموازنة .

وإذا حرك أزهرى ساكناً أو نبس ببنت شفة قيل له : صه ! لست هنـاك : لست فى العير ولا فى النفير ، إنما أنت شخص متبطل ، تنتمى إلى طائفة معاشية ، يربط بعضها ببعض تحصيل المعاش؛ أوحاجتها هى إلى المعاش؛ فلا هى لنفسها ولا لله ولا للوطن.

لقد جربناك وجربنا أزهرك فلم نجد عندكم غناء ، ودعونا الأزهر للسير فى ركب الحياة فلم يستجب للداعين نداء ، وقال بهير قَطِع . وسألته الأمة أن يمدها بشيوخ الدين والعربية فعجز ولم يستطع ، حتى اضطر أولو الأمر بسبب عجزه ، إلى طرحه ونبذه ؛ وأنشئوا دار العـلوم لتخرج لهم أئمة فى علم اللغات ، وابتنوا مدرسة القضاء لتصنع لهم أئمة قادرين على تشريع ما يوافق الهوى والرغبات . فها نحن أولاء ندعوكم أيها الحمقى الجامدون والغلاة المتمردون لتختاروا إحدى خصلتين لكم فى كلتيهما هدى وقصد وفلاح ورشـد . وليستا كخصلتى الضبع إذ خيرت الثعلب بين أن تقتلـه أو تمزقه ؛ ولـكنها خيرة فيها صلة للرحم ورعاية لذمامه وهى أقرب للعدل والتقوى ؟ أعرض عليكم لآخر مرة أن تختاروا واحدة من اثنتين : إما أن تقتلوا أنفسكم وتقبروا لفتكم

وتتخلوا عن دينكم وتتركوا من زمن دراستكم للغة وللدين ست سنوات تقضونها فى دراسة اللغة والدين بالأقسام الابتدائية والثانوية بالمعاهد الدينية وذلك شيء يسير لا يتجاوز نصف الزمن المقدر للدراسة فى الأزهر وفى المعاهد لنيل شهادة العالمية .

ثم لا تتشبثوا باشتراط حفظ القرآن فيمن تحدثه نفسه بالدراسة فيما يسمى كليات الأزهر فقد علمتم مما قدمناه لكم أن حفظ القرآن لم تبق له أهمية ، ولم يعد ذا صلة بالعقيدة الإسلامية والأحكام الشرعية ، فسوف نكتفى ونستغنى عن كل ذلك بما دوّن فى الكتب الأخلاقية والقوانين المدنية .

فان لم تختاروا هذه ولم تطب نفوسكم بأن تتركوا جمودكم وتقبروا بأيديكم لغتكم ودينكم ، فإنكم تكونون قد اخترتم الخصلة الثانية : وهى أن نقتلكم بأيدينا ، فنقطع الصلة بينكم وبين الأمة ، ونعلن البراءة منكم فى العالمين ، كما تبرأ الهنود من المنبوذين ، وحينئذ ترون العذاب ، وتنقطع بكم الأسباب ، وتغلق فى وجوهكم السبل والأبواب .

هذه هى النذر التى يراها الأستاذ الزيات ظاهرة فى الأفق ، رآها بما جعل الله له من نور يمشى به ، ويسعى بين يديه وبيمينه ، فأنذر الأزهريين (وهم قومه وعشيرته) أنذرهم ما يرصدهم فى الأفق من المصائب ، وحذرهم ما يرتقبهم وينتظرهم من وخيم العواقب ؛ ونصح فأبلغ وأخلص فى النصح ، فجزاه الله من أخ وفى ، ومؤمن صادق أبى . ولقد أعذر إذ أنذر ، فعسى ألا نتمارى نحن الأزهريين بالنذر .

أما الخطتان اللتان عرضها للاختيار ، فإنهما كما بينت ليس فيهما حظ لمختار . وعسى أن يكون الله مدخراً خيراً منهما للأزهر عنده .

يحيى رفات العظام بالية والحق يا مال غير ما تصف

ولعله يرى بما أوتى من نور سبيلا لا حبا يصل منه الأزهر إلى النجاة والحياة .

وقد وددت لو أن فى الوقت سعة لأبين أن الأزهر قد أدى للأمة ما طلبته منه : فهو الذى أعطى الأمة دار العلوم فى خير عهودها إثماراً وإنتاجا حيث كانت تخرج أمثال حفنى ناصف وعبد العزيز جاويش . وهو الذى قامت على كواهل رجاله وعقول علمائه وعلومهم مدرسة القضاء . وهو الذى خرج للأمة بل للعالم الإسلامى عظماء العلماء والمفكرين أمثال المرحومين الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده وأبى خطوة والطويل والبحيرى والشربينى وغيرهم ممن لا يتسع الوقت الضيق لذكر أسمائهم . وإنه لم يضق ذرعا بما أدخل فيه من علوم نافعة فقد أوسع لها صدره حتى صار لا يستطيع أن يتنفس بالمقدار الذى يحفظ كيانه وحياته التى تمكنه من أداء مهمته التى ينتمونها فى صدر مقالكم . ولعل الأزهر قد قصر فى حق نفسه من هذه الناحية .

وددت لو أن فى الوقت متسعاً للافاضة فى هذا ؛ غير أن حرصى على أن تدرك هذه الكلمة فى عدد الرسالة القادم هو الذى يحملنى على أن أختم الحديث بإهدائك أكرم التحيات والسلام عليك ورحمة الله .

محمود أحمد الغمراوى

شيخ معهد دسوق والزقازيق سابقاً

يوم الجـــلاء ....!

للأستاذ على الطنطاوى

« . . ماظننتم أن يخرجوا ، وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله ، فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا ، وقذف فى قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين فاعتبروا يا أولى الأبصار »

— ١ —

ماذا فى دمشق ؟ فى كل ميدان فيها عرس ، وفى كل حيّ فرح ، وفى كل شارع مهرجان ! ما هذه الزحمة ؟ ماهذه الوفود ؟ الطرقات كلها مترعات بالناس ما فيها موطئ قدم ، وحيثما سرت تر قباباً من الزهر وستائر من الحرير ، وعلى دمشق سماء من صغار الأعلام ومصابيح الكهرباء ، قد انتظمتها حبال فدارت بها ، ثم انعقدت على أشكال العقود والتيجان ، فكانت منظراً عجباً ، إذا رأيتها فى الليل حسبت السماء قد ركبت فيها ، فسطعت كواكبها ولألأت نجومها ، وإذا أبصرتها فى النهار ظننت الربيع قد عاد مرة ثانية ، فكان كل شارع روضة فتانة ، ضرب فيها موعد حب ، وكل بناء عريشة ورد وفلّ وياسمين ... وأغلى الطنافس مبسوطات على الجدران ، وأحلى الصور معلّقات على الطنافس ، والسيوف المذهبة والتحف الغالية ... مايضنّ الناس بقيّم ولا يبخلون بثمين .

والرايات : السورية والمصرية والعربية السعودية والعراقية واليمانية والأردنية ... أستغفر الله العظيم ، بل هى راية واحدة اتحدت حقيقتها وتعددت ألوانها ، لأمة واحدة اختلفت أزياؤها وتناءت أوطانها ، فألفت بينها قبلتها وأدناها قرآنها . أمة آخى الله بين أفرادها من فوق سبع سماوات ، فأراد الظالمون تفريقها بخشبات ينصبونها على الطرقات ، يسمونها حـــدوداً ، خسأ الظالمون ... وخابوا ... إن بناء تقيمه الله لاتهدمه خشبة نخرة ولا خرقة مرقعة !

لقد أوقد الليلة فى دمشق خمسمائة ألف مصباح ، ونشر فيها ألف ألف علم ، عدّت عداً ، ورفع فيها مائة قبة من النور يعدو تحت إحداها الفارس من سعتها ، ووضع فى أرجائها مائة مذيع مصوّت ، يخرج منه النداء والهتاف والخطاب فيسمع فى أقصى الغوطة ويردد صداه الجلمود من قاسيون ، ومشت فيها خمسة آلاف (عراضة)[1] وموكب ، وأقيمت ألف (دبكة[2]) ، ففى كل مكان ازدحام ، وعلى كل ثغر ابتسام ، وفى كل قلب فرحة ، وكل الناس مبتهج مسرور ، الرجال والنساء والشيوخ والأطفال ، والهتاف متصل ما ينقطع ، والنشيد دائب ما يسكت ، والخطب والمحاضرات والزغاريد[3] والأغانى ، من المصوّتات[4] والرداد[5] والحاكيات[6] والأفواه ، والطبول تقرع ، والمدافع ترعد ، والطيارات تركض فى السماء ، والسيارات تزحف على الأرض ، والصواريخ تنفجر فى الجو فتساقط منها الأنوار أمطاراً ، والجيش يحمل مشاعله ينشد ويزمر ، يشارك الأمة فى أفراحها ، وما عهدنا (هذا) الجيش يشاركنا فى فرح ولا ترح! ما عهدناه إلا عونا للغاصب علينا ، ضاحكا فى مآتمنا عابساً فى أفراحنا ... يدور بالمشاعل فى شوارع دمشق ، يذكر بالجيش الإسلامى لما حمل القرآن مشعل النور الهادى فأضاء به الأرض وهدى أهلها . وعلى كل جبل من جبال دمشق نيران ضخمة أضرموها ، كما أضرمت من قبل نيران (الفتح) على جبال مكة ، إيذانا بتطهير الكعبة وتهديم الأصنام ، و (إجلاء) الشرك عن البيت الحرام .

وفى كل دقيقة يفـد على دمشق وفد جديد : مواكب وعراضات من كل بلد وقرية وناحية ، قد لبسوا أحسن ثيابهم وجاءوا يعرضون أمتع فنونهم ، وأعجب ألعابهم ، ويهتفون أجمل هتافاتهم ، فكأنه عيد الأولمب عند اليونان : فمن صراع إلى دبكة إلى قفز إلى لعب بالسيف والترس ، إلى عدو بالخيل ، إلى تمثيل وغناء ...

وهيا كل ضخمة ، أعـدها الشباب ، فوضعت على ظهور السيارات ، على أشكال القلاع والمدافع والمدرعات ، وشىء يمثل أيام العذاب ، ومراحل الجهاد من ميسلون إلى الجلاء — فالعين رائية كل لون وشكل ، والأذن سامعة كل نغمة ولحن ، وفى

(١) موكب شعبي يتقدمه قوال يقول فيردد الناس مقاله .
(٢) رقص قروى له أغان خاصة وأبرع الناس فيه أهل لبنان .
(٣) هتاف النساء .
(٤) أردنا بها مكبرات الصوت .
(٥) جمع راد وهو الراديو لأنه يرد الصوت الذى خرج من المذياع .
(٦) أى الفونوغرافات .

كل فؤاد هزة طرب ، وعلى كل لسان صيغة حمد وكلمة ابتهاج ، والليل يتصرم وما تخلو الساحات ، ولا يفتر النشاط ، ولا يسكت الضجيج ، وما يفكر أحد بمنام ، فكأنما قد جنّ البلد .

* * *

فماذا فى دمشق ؟ أى يوم هذا من أيامها ، عظمت أيام دمشق وكرمت وجلت ؟

ألا إنه يوم الفرحة الكبرى ، إنه اليوم الذى كان يتمنى كل شامى أن يراه ، ولا يبالى إذا رآه أن يموت من بعده . إنها الغاية التى سرنا إليها خمساً وعشرين سنة وتسعة أشهر ، نطأ الحراب ، ونخوض اللهب ، ونسبح فى الدم ، ونتخطى الجثث ، ونتنشق البارود .

إنها الأمنية الكبرى التى كان يتمناها كل سورى ، وكل عربى وكل مسلم .

إنه يوم الجلاء .

لقد جُنت دمشق وحُقّ لها أن تجن ، فقد عاد الحبيب بعد طول الفراق ، وآب المسافر بعد ما امتد الغياب ، وعانقت الأم وحيدها بعد ما ظنت أن لا لقاء ، وخرج الفرنسيون وزال الانتداب !

* * *

إنه يوم الجلاء ...

فيا أيها الذين عادوا من ميسلون بقلوب كسيرة ، ونظروا إلى موكب الغاصب بعيون دامعة ، وحملوا الظلم بأعصاب صابرة ، وشاهدوا جبروت المحتل وطغيانه ووحشيته ، والعرش الذى أقاموه على دماء قلوبهم وعزائم سواعدهم هوى ، والبلاد التى برأها الله واحدة قسمت فجعلت دولا ... والوطنى المخلص نفى أو سجن ، أو حكم عليه بالموت شنقاً ، والخائن الملعون قد أعطى الرتب والذهب ...

ويا أيها الذين خرجوا على الظلم ، وعرضوا أرواحهم للموت ، على شعفات الصخر ، من جبال اللاذقية إلى جبل الدروز ، وعلى السهول الفيح ، من أعالى حلب إلى أدانى حمص ، وعلى ثرى الجنات من أرض الغوطة ، لم يخشوا فرنسا إذ كانت تخشاها الدول ، ويرهب بأسها الأقوياء ...

ويا أيها الذين نشأوا[1] فى عهد الانتداب ، فرأوا فى كل مدرسة مستشاراً فرنسياً هو الآمر الناهى والمدير[1] تمثال ، وفى كل وزارة مستشاراً هو الفاعل التارك ... والوزير صنم ، وفى كل قضاء مستشاراً هو الحاكم وهو المنفذ وهو الأمير ، وفى وسط المدن مراكز للعدو ، وعلى الجبال قلاعاً له قد وجهت مدافعها إلى البلد لتضرب أبناءه إذا طالبوا بحق أو أبوا ظلماً ، لا إلى الفضاء لتردّ عنه الأعداء ، وفى كل طريق جنداً من الفرنسيين والمغاربة المسلمين ... والسنغاليين والشركس والأرمن و ... الدمشقيين الخائنين ، يلوّحون بأسلحتهم فى وجوه أهل البلد ، ويرمونهم بالشرر (فى السلم) من نظراتهم ، وبالنار (فى الثورات) من بنادقهم ...

ويا أيها الشهداء الذين قضوا بنيران العدو الباغى ، فى سبيل الله ثم فى سبيل الحرية ، وهل تسمع أرواحكم دعائى يا أيها الشهداء ؟

ويا معشر العرب فى قاص من الأرض ودان .

إنا نحمد الله إليكم ، تبارك اسمه ، وجل جلاله ، فقد أكمل نعمته ، وأتمّ منّته ، وأخرج الفرنسيين من الشام كله ، فلم يُبق منهم أحداً .

اذهبوا الآن إلى (المزّة) وادخلوا القلعة ، وأمّوا الثكنة الحميدية ، فانه لا يمنعكم حارس سنغالى وجهه يقطع الرزق ، ولا يردكم ضابط فرنسى ، ولا تحجزكم سِلْك ذات أشواك ... وسيروا فى طريق الصالحية فادخلوا قصر (المفوض السامى) الذى كان يتنزل منه وحى الضلال على قلوب الخونة المارقين من طلاب الحكم وعشاق الكراسى ، فيكونون لربه عبيداً أذلة ، وعلى أبناء بلدهم فراعنة مستكبرين ، ولجوا قصر (المندوب) الذى كان ينصبّ منه (أمس) الموت الزؤام على من يدنو من حماه ، واسرحوا وامرحوا حيث شئتم ، فالبلاد بلادكم ، لا فرنسى ، ولا إنكليزى ، ولا طليانى ولا روسى ، ولا أشقر ولا أسود ...

ألا لا مفوض (سامى ...) اليوم ، ولا مندوب !

لقد ذهبوا جميعاً ، وما تركوا من جنات زرعوها ولا عيون ، ما تركوا إلا بيوتاً كانت عامرة فجعلها حكمهم خرائب ، وجناننا صيّروها مقابر ، وضمائر نفرٍ منا كانت نقية فدنسوها ... ذهبوا وما أورثونا خيراً قط .

* * *

هـذا قصر المفوض السامى الذى كان بالأمس يزعم أنه إله

(١) كذلك يكتبها الناس والقاعدة فيها (نشؤوا) فمتى نتخلص من هذه الفوضى ؟

(١) واسمه فى مصر الناظر .

٢٦ ٠ ٣٦

الأرض ، تعالى الله ما من إله غيره ، وكان كما نزت برأسه نزوة من حماقة جعلها قانونا ، وحمل الناس عليها بسنان البندقية وفم المدفع ، قوانين ينقض بعضها بعضاً ، ويلغى أواخرها الأوالى ، ولا يحصيها عالم ولا جاهل : (إن المفوض ، بناء ، وبناء ... يقرر تعديل الجملة الثانية من الفقرة الأخيرة من المادة ١٨ من القرار ١١٠٥ ل.ر) فلا يعرف جنى ولا إنسى ، ماهذه الفقرة ، ولاماهذه المادة ، ولا ما هذا القرار ... لقد ذهب وأورثنا عشرة آلاف قرار مثل هذا ! ذلك هو التشريع الفرنسى الذى يحسبه القردة المقلدون ، أفضل من شرع ربنا ، لأن عليه (الطابع الأوربى) !

هذا هو قصر المفوض الذى سرقه من فيصل ، فيافيصل ، يا أيها الملك ! ارفع رأسك مرة واحدة وانظر ... إنها لم تطل المدة .. إن اللص قد طرد ، وإن الباغى قد دارت عليه الدوائر ، فما دافعت عنه جنوده ، ولا حمته حصونه ، ولا أغنت عنه مدافعه وطياراته . لقد جرب فينا أسباب الموت كلها فما صنعت شيئاً . لم تحرقنا ناره ، ولم يقتلنا حديده ، لأننا أمة لا (يمكن أن) تموت ! وأحرقته هو نار حماستنا ، وقتله حديد عزائمنا ، فولى عنا باللاعنة ، كما دخل علينا باللعنة !

* * *

اليوم يوم الجلاء .

اليوم يبكى رجال (منا) كانوا يأكلون الطيبات ، وينامون على ريش النعام ، من بيع ضمائرهم للأجنبى ، على حين كان الناس ينامون على التراب ، ويأكلون الخبز اليابس .

اليوم يبكى رجال حملتهم الخيانة فوضعتهم على مقاعد العز فى أبهاء الحكومة فصاروا من كبار الموظفين .

اليوم يبكى رجال كانت لهم فى سجلات (الاستخبارات) أسماء ، فصاروا اليوم أيتاما كالأجْراء فى المزبلة بعدما مات الكلب .

ولكن الشعب كله يضحك اليوم ، وتضحك معه الدنيا .

اليوم يضحك البلد بالزينات والأعلام ، ويضحك الليل بالأضواء والمشاعل ، وتضحك المنائر بالتكبير ، وتضحك النواقيس بالرنين ، وتضحك الأرض والسماء !

اليوم يرى الشاميون الفرحة الكبرى التى تنقش ذكراها على قلوب الأطفال والشباب فلا تمحى أبداً ، وتكون لقلوب الكهول والشيوخ شبابا جديداً ، كما كانت الفجيعة فى ميسلون شيخوخة مبكرة لهذه القلوب التى شابت من الهول قبل الأوان !

* * *

لقد نامت دمشق البارحة ملء جفونها من بعد ما صرمت تسعة آلاف وثلاثمائة وسبعاً وتسعين ليلة[١] وهى تنام مفزّعة الفؤاد ، مقسمة اللب ، تخشى أن تصيبها من الفرنسيين بادرة طيش ، أونوبة لؤم ، تذهب بدار عامرة : أو تضيع حقاً ظاهراً ، أو تريق دماً بريئاً ؛ وأغفت تحلم بالمجد والحرية ، وقد مرت عليها تلك الآلاف من الليالى ، لا تحلم فيها إلا بتهاويل الظلم والموت والخراب ، وتأنس بطيوف الأحبة من جند العرب فى مصر والعراق والحجاز ونجد ، وقد زهت بهم دمشق أن قدموها ضيوفا كراماً بل إخواناً وأصحاب البلد ، وقد كانت تروّعها كلما نامت أشباح الأبالسة تتراءى فى صور جند من الشقر أو السمر أو السود الفرنسيين والمغاربة[٢] والسنغاليين ، وأمنت الأم على ولدها أن تتخطفه الشراكسة زبانية (كوله) فتلقيه فى سجن عميق ، أو منفى سحيق ، أو تذيقه النكال والتعذيب ، لوشاية كاذبة ، أوتهمة باطلة ، أوطمعاً بفدية أومال ، واطمأن السكان على منازلهم أن تدمرها فى هدأة الليل قنابل الطغاة أو تحرقها نارهم أوتسرقها أيديهم ! لقد نامت دمشق البارحة وهى تودع عهد الانتداب ، عهد الجهاد والعذاب ، لتستقبل عهد الحرية ، عهد البناء . ونهضت دمشق تسبق الفجر الطالع تؤم الشوارع التى يعرض فيها جيش العروبة ، فما طلعت الشمس وفى النوافذ والشرفات وعلى ظهور المبنى والعمارات ، فى شارع فاروق وفؤاد والجامعة السورية والسنجقدار ، وميدان المرجة وضفاف النهر ، وفوق قباب التكية السليمانية ، وعلى أشجار المسالك ، وفى كل مكان يشرف على الطريق ، ما طلعت الشمس وفى ذلك كله شبر واحد خالٍ من رجل إنسان قد قام لينظر ويتطلع ، وأجرّ المقعد الواحد بعشر ليرات ، ومكان الوقوف بليرتين . فكان هذا المنظر أحد الأعاجيب .

ونصب الفسطاط ، واجتمعت تحته الأقطار العربية كلها ، جاءت وفود ملوكها وأمرائها من القاهرة والرياض وبغداد وبيروت وعمان ، وصنعاء والقدس ، يهنئونها فى عيدها ،

(١) من يوم الاحتلال ٢٥ تموز يوليوسنة ١٩٢٠ إلى يوم الجلاء ١٧ نيسان (إبريل) ١٤٩١ .

(٢) المغاربة من أكرم إخواننا علينا ، ولكن منهم ومنا خوارج علينا ، ضربوا بسيف عدونا وإنا لنلعن خوارجهم كما نلعن خوارجنا

بعد الجلاء عن سورية :

سحر الجـــــلاء !

للأستاذ سيد قطب

[مهداة إلى الأستاذ توفيق الحكيم]

فى العدد الماضى من جريدة « أخبار اليوم » وصف صحفى بعنوان «رأيت يوم الجلاء فى سوريا» بقلم الأستاذ توفيق الحكيم صدرته الجريدة بهذه المقدمة :

« رأت أخبار اليوم بمناسبة الجلاء عن سوريا أن توفد الأستاذ توفيق الحكيم لشهود عيد الجلاء ، وكذلك أوفدت مصورها الخاص ليسجل حفلات الجلاء ... وفيما يلى ننشر أولى رسائل الأستاذ توفيق الحكيم »

وقد بدأ الأستاذ توفيق وصفه الصحفى يقول :

« أولئك الذين عرفوا أو سمعوا بذلك الكسلان الجالس طول يومه على إفريز مقهى لا يصنع شيئا ولا يعنى بأحد ولا يهتم لأمر ، قد دهشوا ولم يصدقوا أعينهم عند ما أبصروه ينزل من طائرة حربية محلقة فى جو دمشق ، وخلفها سرب من طائرات القتال المصرية .

« ما هذا الشعور الذى حرك الساكن ، ونشط الهامد ، وأحيا الجماد ؟ إنه الفرح بالجلاء الأجنبى عن أرض شقيقة لنا عربية ، والجلاء عن سوريا ليس إلا مطلع ذلك الفجر الجميل فى ليل الشرق الطويل ... الخ الخ »

***

قرأت هذا فلم أدهش ولم أكذب عينى لأن توفيق الحكيم قد طار مندوبا لأخبار اليوم مع مصورها الخاص ليسجلا حفلات الجلاء عن سورية !

فما فى هذا شىء يدعو إلى الدهش أو العجب ، فهى «واحدة» من « وحايد » الأستاذ توفيق « كصينية البطاطس » و « عدو المرأة » . و « البيريه » على الرأس و « حمار الحكيم » ...

ويشاركونها فى أفراحها ، ويقبسون أول شعاعة من شمس الحرية التى أشرقت على العرب بعد ليل طويل ، وكان مشرقها دمشق .

قفوا لحظة على هذا الفسطاط فإنها ستقف عليه الأجيال ، إنه سيقدسه التاريخ ، إنه سيكون لنا كما كانت حطين للجدود .

إنها ساعة حاسمة فى تاريخ العالم ، فقد تحرك فيها الفلك ، وانقلبت فى تقويم البشر ورقة جديدة . إن الأيام ما زالت سجالا بين الشرق والغرب ، والدنيا بينهما نُوَباً : قام الشرق يحمل منار الحضارة وسيف الظفر بأيدى المصريين والبابليين والحيثيين والفينيقيين ، ثم انتقلا إلى الغربيين إلى اليونان والرومانيين ، ثم عادا إلى الشرق الذى أيقظه محمد ، إلى المسلمين ، ثم آبا إلى الغرب لما ترك الشرقيون هدى محمد ، وهاهما يتحركان الآن ، ليعودا إلى الشرق ...

وعز الشرق أوله دمشق[1] ...

***

لقد ضاع حلمك ياغورو ، وتبدد ، وخابت أمانيك يادى غول ، وحقق الله الأمنية التى كان يجيش بها صدر يوسف العظمة ، شهيد ميسلون ، وسيحقق أمانىّ سعد ورشيد وعبد الكريم وعمر المختار وعبد القادر وجناح فى الهند ، ولم لا ؟ وأهل سورية التى نعمت بالجلاء لا يزيدون إلا قليلا عن سكان القاهرة اليوم ، والعرب كلهم بدولهم وحكوماتهم ... أقلّ من مسلمى الهند !

فتيهى يا دمشق واعتزى ، فقد كنت عاصمة العرب فى أول الدهر ، حين أنشىء فيك الملك الضخم ، وأقيمت الدولة العظمى ورسا عرش عبد شمس على ثراك ، فطالت فروعه النجم ، وأظلت المشرق والمغرب ، وطلع على الدنيا مجداً ورخاء وأمنا . وعدت اليوم عاصمة العرب حين كنت أول بلد عربى خلص لأهله بعد الاحتلال ، فلا يشاركهم فيه جيش حليف ولا منتدب ولا وصى ولا محتل ...

يا دمشق لقد عادت أيام معاوية وعبد الملك والوليد ، لقد اتصل التاريخ الذى كان انقطع منذ قرون !

(لها بقية) علي الطنطاوي

---

(١) شوقي

وأخيراً « قطط الحكيم » التي ظهر في مجلة الاثنين يحملها بين يديه ، كآخر رفيق بعد الحمار الذي أوفده في مهمة خاصة ! !

لم يدهشني إذن أن يطير الأستاذ توفيق ليسجل حفلات الجلاء في سورية مع مصور أخبار اليوم ... إنما الذي أدهشني حقاً هو ذلك الانقلاب في رأى الأستاذ توفيق وشعوره إزاء قضايا الشرق العربي والاستعمار الفرنسي . وهو انقلاب يجب تسجيله ، لأن تسجيله مفيد .

حينما كانت الأزمات على أشدها بين أمم الشرق العربي وفرنسا ... حينما كان بعض الكتاب يحملون على فرنسا حملات نارية لأنها تستخدم الوسائل البربرية في قمع الشعور الوطني في نفوس العرب ... حينما كانت دماء بعضهم تغلي لأنه لا يطيق أن تتحكم هذه البربرية في مصير العرب في سورية ولبنان وفي الشمال الإفريقي ...

في هذه الأوقات كان للأستاذ توفيق الحكيم رأى آخر ، أشار إليه الأســـتاذ « عبد المنعم خلاف » إشارة صريحة على صفحات الرسالة بعد مشادة عنيفة بينه وبين الأستاذ توفيق في جلسة من جلسات لجنة التأليف والترجمة والنشر وأشرت إليه من بعيد في مقالة لي بالرسالة بعنوان : « هذه هي فرنسا » !

ولقد كان الأستاذ توفيق يثور وينفعل ، لأن فرنسا في خطر ، ولأن فرنسا ذخيرة إنسانية فداؤها كل شيء . ومن كل شيء هذا الشرق العربي الجاهل المجنون !

لقد أدهشني ولاشك ذلك الانقلاب . ولكنه أفرحني أيضا ، فهذا « سحر الجلاء » وسره العميق ! هذا هو النور الذي يكشف الغشاوات الوقتية التي تحجب النور حتى عن العيون الفطنة اللماحة مثل عيني الأستاذ توفيق الحكيم !

« وهبطنا مطار المزة ، فوجدنا في الانتظار دولة سعد الله الجابري رئيس الوزراء . فما كاد يراني حتى ابتدرني قائلا :

— وأين حمارك ؟

فقلت على الفور :

— أوفدته ليشيع المحتل الراحل بما يناسب المقام !

وكدت أتابع الحوار فأنوب عن دولة سعد الله الجابري لأقول :

— ولكن المحتل الراحل هو « فرنسا » يا أستاذ توفيق !

إلا أنني ذكرت « سحر الجلاء » سحر الاستقلال ذلك الذي يكشف الغشاوات الوقتية التي تحجب النور حتى عن العيون الفطنة اللماحة مثل عيني الأستاذ توفيق الحكيم .

* * *

كم في مصر من المخدوعين بفرنسا ! وكم فيها من المخدوعين ببريطانيا ! وكم فيها من المخدوعين بأمريكا ! وكم فيها من المخدوعين بالعالم الغربي على وجه العموم !

هؤلاء جميعا أدعوهم لمراجعة الوصف الطلي الذي قدمه الأستاذ توفيق الحكيم عن يوم الجلاء في سورية ، بعد الانقلاب العظيم كم هم كثيرون ... أولئك الذين حجب الاحتلال الطويل لبلادهم ذلك النور عن عيونهم ، فتركهم لا يتطلعون إلا إلى وهج الغرب المستعمر الذي يعشي الأعصاب والعيون .

وكم نحن في حاجة إلى « سحر الجلاء » ليجلو الغشاوة عن هذه العيون ، فتبصر النور القريب . النور الذي يشع من داخل نفوسهم هم ، وهم به لا يشعرون !

إنني فرح بهذا الانقلاب في شعور الأستاذ توفيق الحكيم ، فليعذرني إذا أنا تجاوزت معه أسلوبي المعهود !

* * *

وبعد فما أحرى هذا الانقلاب أن يزيد كلمة « الجلاء » في أنفسنا إعزازاً ، وأن يزيدنا عليها إصراراً . فهذا الجلاء في سورية هو الذي سحر أحد عشاق فرنسا المعجبين المتحمسين ، فجعله يرسل حماره ليشيع المحتل الراحل بما يناسب المقام !

وليس هو بالمكسب اليسير أن يسترد الشرق رجلا فنانا من طراز الأستاذ توفيق الحكيم ، يطير ليحضر حفلات الجلاء في سورية ، فهذا وحده كسب يغرينا بطلب الجلاء العاجل عن الشرق كله . ولعل الأستاذ توفيق وإخوانه من عشاق فرنسا ، لا ينسون سحر الجلاء إذا نحن طلبناه للشمال الإفريقي أيضا . ولعله يومئذ يرسل حماره ليشيع المحتل الراحل بما يناسب المقام .

سيد قطب

أوراق مبعثرة :

من ظلال الهوى ...

للأستاذ صلاح الدين المنجد

ماذا تريدين منى ، فى هذه العشية الصافية ؟
لِمَ تنظرين إلى بعينيك المجرمتين ، هذه النظرات الفاتنة ؟
لم ترسلين من شفتيك ، الرفافتين بالخطايا ، بسمات آسرة ؟
أتحاولين إغرائى مرة أخرى ؟
لقد أوى قلبى ، كعصفور جريح ، إلى عشه وأغمض عينيه .
فدعيه ينعم بالهدوء ...
وابتعدى عنى ... أنت يا خائنة .

* * *

نشواى ، يا أفعى من أفاعى الجحيم .
اسمعى ... لن آسف على ما مضى .
لقد ذبت فى هواك الخادع ،
وقدمت إليك روحى صافية كالدرة ، نقية كالندى .
فلما آنست منى الحب والعطف ،
وشع فى عينى الوله واللطف ،
تلونت تلون الحرباء ، يا نشوى ، وأعرضت عنى لاهية جذلى . فانثنيت على قلبى ، أبكى هواى ، وأذيب فى دمى أساى .
فلم عدت هذه العشية يانشوى تؤرثين أشجانى ، وتهيجين أحزانى ؟
لقد مللتك فدعينى .
دعينى ، ويلك ، يا خائنة !

* * *

نشواى يا نشوى .
أيامك المواضى ، حلم شهى ، رف وامّحى .
وهمسك الحلو فى أذنى ، فى عشيات الربيع ، ضاع ونأى .
وزهرك المنضور ، المخضل بالعطور ، جف وذوى .
لا تقربى شفتيك اللاهبتين من فمى .
ابتعدى ، فأنفاسك تهيجنى ...
حولى نظراتك عنى ، فالشهوة فيهـا تفور ، والنـار فى جسمك تثور .
أتبكين ... ؟
عودى ، ودعينى ، أنت يا خائنة .

* * *

كانت بسماتك زهرات فردوس موهوم ، فى رحيقها سم مختوم؛
وغمزات عينيك ، كن شظايا من جحيم ملعون .
وكانت شفتاك ترعشان بين شفتى ، كورق الورد الندىّ ، فى نسمات الربيع .
وكنت أرويك الهوى حلوا .
فاصفرت البسمات يا نشوى ، وضاعت غمزات .
وتلوت الأفعى وقالت لا أريد ، لا أريد .
فلم عدت تهيجين أشجانى يا نشوى ، وتثيرين أحزانى .
فجراحى ندية وقلبى متعب ، ودمى يسيل .
فابتعدى عنى ، ابتعدى ، أنت ياخائنة .

* * *

لكن تعالى يا نشوى تعالى ...
لا تخفك نظراتى وزفراتى .
لِمَ تدبرين وكنت مقبلة ، وترعشين وكنت هادئة ؟
أأدعك قبل أن أنتقم ...
أين دمائى التى أهرقتها ، وقلبى الذى ضل ؟
سأمتص دماءك ، فهى دمائى .
وسأمزقك ألف قطعة وقطعة .
شد ما أبغضك ...!
اقتربى ، ولا تعودى ، أنت يا خائنة ...

* * *

آه ! ما أضعفنى ...
لا تخافى ، فأنا كاذب فيما أقول ...
اقتربى ، فأنت قرة العين ، وهواى المرتجى .
اقتربى ، ولا تعودى ، أنت يا فاتنة ...

(القاهرة) صلاح الدين المنجد

جامعة فاروق الأول — كلية الآداب

نشر ضمن إعلان ٥٢٠٨ بالعدد ٦٦٩ فقرة رقم ٢ — يدخل هذه المسابقة من تخرج فى كلية الآداب بجامعة فاروق أو بجامعة فؤاد الأول سنة ١٩٣٣ والصواب بعد سنة ١٩٣٣ .

الأدب في سير أعلامه :

ملتن ...

[القيثارة الخالدة التي غنت أروع أناشيد الجمال والحرية والجمال ...]

للأستاذ محمود الخفيف

— ١١ —



تتمة الكلام عن مسرحية كومس :

ويهرب كومس وقبيله ، ويحسب الأخوان أنهما غلباه على أمره ، ولكن الروح الحارس يلقى إليهما أن أختهما لا تزال مقيدة بسحر كومس لا تستطيع حراكا كأنها التمثال الحجرى ، فكان عليهما أن يختطفا عصاه ، فانه لا يبطل سحره إلا إذا قرىء ما على العصا قراءة عكسية تبتدىء من النهاية . على أن الروح يخبرهما بأن لديه حيلة فليس لهما أن ييتئسا ، أما حيلته فهى أنه سيستنجد بسابرينيا عذراء نهر السفرن ؛ ويصف لهما سابرينيا ومستقرها بين عذارى الماء ، وكيف أتيح لها أن تكون من نبات الخلود ، ويذكر ما فى طاقتها من عون لطالبى العون حتى إن الرعاة لينشدون لها الأغانى ويلقون فى النهر زهرات من كل لون تحية لها ، وهى تحب أن تنجد العذارى مثلها إذا كن فى مثل ما كانت فيه من ضيق وشدة ، وأعظم ما ينهض بها إلى النجدة الغناء ، ولذلك فانه يستحثها بأغنية ، ثم يهتف منشدا متوسلا إلى سابرينيا بكل عزيز عندها من الآلهة والألاهات فلا يكاد يخلو سطر من نشيده من اسم من أسماء هؤلاء .

وتظهر سابرينيا وحولها بعض عذارى الماء ، فتغنى أغنية قصيرة تصف فيها من أين أتت وكيف أقبلت سريعة خفيفة حتى إنها لتطأ الزهر فلا تنحنى سوقه ، وتعلن إلى الراعى أنها رهن طلبه ، ويشير الراعى إلى الفتاة المسحورة ويؤكد عذرتها ويذكر ما عانت من السحر ، وتجيب سابرينيا أنه ليس أحب إليها من أن تأخذ بيد العفة المضطهدة ، وتتجه إلى الفتاة وتلق على صدرها نقطا من سائل معها وعلى شفتيها وطرف إصبعها فتبطل سحر كومس . وما تكاد تنطلق حتى تنهض الفتاة كأن لم يكن بها شىء . ويبتهج الروح الحارس أو الراعى فيثنى على سابرينيا ويدعو لها من قلبه بكل جميل ، وينبىء الفتاة أنه سيصحبها إلى قصر أبيها حيث يلتقى المهنئون من الأصدقاء ، ويطرب الرعاة والقرويون ، وسيضاعف حضورها طربهم ، ويزيد الحاضرين جميعا فرحا على فرح .

ويتغير المنظر على المسرح ، فتمثل مدينة لادلو وقلعة الرئيس اللورد ، ويتقدم على المسرح رهط من الراقصات القرويات وفى إثرهن الراعى ومعه الأخوان وأختهما ، ويخاطب الراعى القرويات ويسألهن فى أغنية قصيرة أن يذهبن ، ويتمنى لهن عودة إلى سرور كهذا السرور ، ثم يقدم الأخت وأخويها إلى أبيها فى أغنية أخرى مثنيا على شباب الفتيين ، وعلى عفة الفتاة ، وانتصار الجميع على الحماقة والنزق .

ويختم الراعى المسرحية بأغنية طويلة ، فيذكر إلى أين يذهب بعد أن أتم عمله ، ويصف مواطن الحبور والجمال التى ينطلق إليها وصفا يعيد إلى الذهن قصيدة الأليجرو ، وما تفيض به من صور المرح وتلميحات الميثولوجيا .

ويعلن الراعى أن من يريد أن يلحق به من بنى الفناء فسبيله الفضيلة ، فالفضيلة وحدها هى التى تعلم النفس كيف تسمو وكيف تنطلق ، ولئن مس الفضيلة الضعف فلها من السماء عون .

* * *

تلك هى خلاصة الغنائية المسرحية ، وهى تتضمن كثيراً من آراء ملتن وفلسفته ، فكل شخصية فى الغنائية تعبر عما يريد ملتن من معان، وتصف فى الواقع ناحية أوموقفاً من مواقف حياته ، فالعذراء تستمسك بالعفة كما استمسك هو بها ، وتواجه الإغراء الشديد وتقاومه كما واجه وقاوم ، وأكبر الأخوين يمتدح الفضيلة ويدافع عنها ويؤمن بها كما يفعل ملتن وكما يحس ، وكومس نفسه نراه فى وصف الطبيعة وصلتها بالنفس عن طريق ما تحدثه مشاهدها ومسراتها من أثر فى الحواس يعبرعن جانب من إحساس الشاعر الشاب ، وأصغر الأخوين يفصح بكلامه عن وساوس الشك التى تطوف أحياناً بنفس ملتن على الرغم من استعفافه وزهده وعزلته والتى يتغلب عليها بالصبر وقوة العزيمة فيحس لذة النصر .

أما عن فلسفته فى الغنائية ، فأساسها الصراع بين العفة تمثلها العذراء، والشهوة يمثلها كومس، ومهما يكن من إغراء الشهوات وتحايلها فإن الغلبة للفضيلة ؛ ولن تعدم الفضيلة عوناً من الله ، ويتجلى هـذا العون فى الروح الحارس الذى دل الأخوين على طريق الخلاص

وللتن نظرة فى الطبيعة وصلة النفس بها ، فهو لايحرم طيباتها وزينتها ، ولكنه كذلك لا يذهب فى الاستمتاع بها مذهب كومس ، فيجعل الأمر فيها أمر لذة وفجور واغتنام ونهب فى غير مبالاة كما تفعل البهيمة . وعنده أن تأخذ النفس من طيبات الحياة كما تقضى الحكمة ، ومقومات الحكمة عنده الاعتدال والقناعة والعفة ، وعلاقة المرء بالحياة والطبيعة على هذه الصورة طريق من طرق السمو الروحى بالنفس الإنسانية إلى معارج الكمال ومسالك الهداية

ويتم كلام كومس فى امتداح الطبيعة عن نزوع نفس ملتن إلى الطبيعة وجمالها وقوة إحساسه بمباهجها وزينتها ؛ ويتضح هذا الميل القوى فى ذلك المعنى البديع الذى نطق به كومس ، ألا وهو قوله : إن الإنسان بزهده فى جمال الحياة ومتعها لايؤدى حق الشكر للمنعم ولا حق الثناء عليه . وما يخاف ملتن إلا شيئاً واحداً هو الفتنة ، ولكن إذا اعتصمت النفس بالفضيلة تمتعت بأنعم الله ونجت من الزلل ، فالطبيعة مما أنعم الله به علينا ، وأنعم الله خير كلها ، والغرائز والميول الطبيعية كذلك خير واتباعها تنفيذ لمشيئة الخالق ، وهو لذلك يحب الطبيعة من ناحيتين : أولاهما : ما تظهره من جمالها الذى يبهج النفوس ؛ وثانيهما : ما تخرجه من كنوز خيراتها وما تبثه فى الكون من نماء وتجديد واتساع وكل أولئك من مقومات الحياة

وكذلك يتم كلام أكبر الأخوين عن الفضيلة كما يتم كلام العذراء عن العفة والعذرية ، عن ميل كان فى نفس ملتن أثناء مقامه فى هورتون ، فقد كان يميل إلى البقاء عزباً حتى يتفرغ لرسالته ، وأراد أن يستعفف حتى لا يزل ، فتولدت فى نفسه فكرة ، وهى أن الشهوة أصل الفسوق كله والفجور والرجس ؛ وعلى ذلك فلا بد من تغليب العقل على العاطفة ، أو الروح على الجسد ، وهذا الصراع بين العفة أو الطهر وبين الشهوة يتضمن بالضرورة قيام وساوس الشهوة فى نفسه ، شأنه فى ذلك شأن كل فتى مثله ، ومرد الشهوة إلى العاطفة ، ومرد الرغبة فى قهرها إلى الحكمة ، وما دام أنه يحس العاطفة فى نفسه إحساساً قوياً ، وأنها أمر طبيعى ، فهى إذاً لم تخرج فى مظاهرها أو نتائجها عما تقضى به الحكمة كانت أمراً مشروعاً لا نكران له ، ومن ذلك نشأت فى رأسه فكرة سوف تظهر فى كثير من آثاره ، وهى العمل على وجود التوافق والانسجام بين القلب والعقل

وثمة شىء آخر نستخلصه من الغنائية ، وهو صفة شائعة فى بقية شعره فى هورتون ، ونعنى بها روحه الإنسانية وتتضح فى شدة إحساسه وصدق استجابته لمعانى الحياة ، وشعوره بكل ما يشعر به القلب الإنسانى من دواعى الفرح أو الحزن أو الراحة أو الألم ، وكل ما يهجس فى النفوس من رغبات وينهض بها من مطامح ؛ وفى هذا كله أبلغ دليل على أن ملتن لم يكن الشاعر المتزمت كما عسى أن يفهم من تمسكه بالفضيلة ، كما فيه خير مصداق لقول القائل : « إن ملتن كان خاتمة الأليزابيثيين »

ليسيداس :

كانت ليسيداس آخر قصيدة نظمها الشاعر فى هورتون ، وكانت فى رثاء صديق له هو إدوارد كنج أحد زملائه فى كمبردج وكان شاعراً له قدره ، وقد غرق هـذا الصديق سنة ١٦٣٧ أثناء رحلته من شستر إلى أرلندة ، وأعد أصحابه فى كمبردج عدداً

من المراثى انتظمها كتاب صغير ، وكان من بينها مرثية ملتن !

بدأ ملتن مرثيته بإشارة إلى بعض الأزهار التى يوحى ذكرها الشعر قائلا إنه يعود إليها ليقتطفها مبتسرة لم تتفتح ، وهو يرمى بذلك إلى أنه يعود مرة ثانية إلى الشعر قبل أن يتم استعداده كما يجب ، فإن حدثاً جللا يعز عليه معه أن يظل صامتاً ، وذلك هو موت ليسيداس ، وكان ليسيداس اسماً اصطلاحياً على أى راع من الرعاة ، وقد شبه ملتن صديقه بالراعى تلميحاً إلى الشعر الغنائى ونشأته على ألسنة الرعاة …

ويتساءل الشاعر : منذا الذى لا يغنى لليسيداس وهو الذى عرف كيف يغنى وكيف يطرب ؟ فلا أقل إذاً من أغنية دامعة على هذا الراحل العزيز !

ثم يستحث ملتن ربات الشعر اللائى يقمن فى سفح الأولمب عند البئر المقدسة ، حيث موطن (جوف) ويسألهن العون ، فقد كان ليسيداس قرينه ، كانا راعيين معاً على تل واحد يطعمان غنماتهما ويسقيانها من نبع واحد ويأويان بها إلى ظل واحد ويغنيان لها بزمارة واحدة … ويستطرد فى وصف حياتهما معاً وما يحيط بهما من مظاهر الجمال والاستمتاع على صورة أشبه بما جاء فى قصيدته الأليجرو ، وهو إنما يقصد حياة الشعر وجمال دنياه !

وينتقل بعد ذلك انتقالة حزينة بذكر ما حدث من موت ليسيداس فيذكرنا بقصيدته البنسروزو ؛ فسوف يقع نبأ فقده فى أنفس الرعاة أو الشعراء كما تقع الحشرات والصقيع على الزهر والحشائش النضرة .

ثم يسأل الشاعر عذارى الماء أين كن حين أطبقت اللجة على ليسيداس الذى أحببن ؟ ولكن ما ذا يجدى هذا الحلم وما عسى أن يصنعن لو أنهن كن حاضرات …

ويتساءل الشاعر بعد ذلك فى فقرة حزينة تعد من أبلغ ما كتب عن جدوى الشعر ومعاناة قرضه إذا كان مصير الشاعر إلى مثل هذا الفناء المباغت ؛ أليس أجدى على المرء أن يرتع ويلعب ؟ إن الصيت والرغبة فى المجد هما اللذان يحفزان الأنفس النبيلة فتحتقر اللعب وتقبل على المتاعب ، ولكن القدر المباغت يذهب بهذا كله . وإنما يشير ملتن فى هذه الفقرة إلى ما يخشى على نفسه كما يشير إلى ما حدث لصاحبه ، ثم يستدرك قائلا إن أبولو يرد عليه مذكراً إياه أن المرء يفنى ولكن المجد والصيت لا يلحق بهما الفناء ، وكأنه بذلك يعزى نفسه …

ويعتذر الشاعر عن نبتيون إله البحر بفقرة جميلة رائعة الخيال ويبرئه من إغراق ليسيداس ويعود باللائمة على الحظ العاثر ، ثم يلمح إلى جامعة كمبردج ويذكر مبلغ حزنها على ابنها الذى فقدته .

ويبتعد الشاعر عن جو المرثية الذى جعله كله ريفياً فيحشر فى آلهة الأغريق التى يلمح إليها « لود » كبير الأساقفة يومئذ ويشتد فى الحملة عليه وعلى شيعته ويرميهم بالجهل ، ويأتى فى حملته عليهم بجملة قوية فيصفهم بأنهم « تلك الأفواه العمياء » ويقصد بالأفواه النهم والجشع والإقبال على الدنيا ، والابتعاد عن الحياة الروحية . وأما العمى فهو عمى بصائرهم وموت أرواحهم . وتفسر هذه الحملة على لود فى هذا المقام بأن صاحبه إدوارد كنج كان يكره كبير الأساقفة وشيعته كما كان يكرهه ملتن لجمودهم واستبدادهم، وطالما قرأ ملتن وصديقه كنج الفلسفة معاً وعلوم الدين فكأنما يكره الشاعر إذ يرثى صديقه أن يموت ذلك الصديق ويعيش لود وأتباعه .

ويعود ملتن إلى جوه القروى ، جو الرعاة والشعر ، فينادى الوديان والشطآن أن ترسل زهرها من كل لون وفى مآقيه دموع الندى ليوضع هذا الزهر حيث يوسد ليسيداس .

ويدعو الشاعر الرعاة أن يمسكوا عن البكاء فما مات ليسيداس وإن طواه اليم ، فهو كالشمس كوكب النهار ، تغرق فى ماء المحيط ، ثم ما هى إلا ساعات وترفع جبهتها الوضاءة من اليم فيكون الاصباح ، وسيرفع ليسيداس جبهته فى عالم النعيم الدائم؛ حيث يتلقاه القديسون والصالحون ، وهو منذ اليوم جنى الماء يتلمس الخير عنده كل من يرد الشط .

وتعد هذه المرثية من أجمل المراثى فى اللغة الانجليزية إن لم تكن أجملها وأعظمها جميعاً . وهى فى غير تحفظ أجمل مرثية فى صديق فى تاريخ تلك اللغة . أما من حيث قوة الشعر فيها فقد بلغ ملتن هنا ما لم يبلغه فى غيرها من السمو والقوة ، حتى لتعد نموذجا لشعره إذ يكتمل ، وللشعر الانجليزى فى أرفع درجاته ، ولروح الشعر على الاطلاق فى أية لغة وفى أية مناسبة ، إذ يكون له من السحر والروعة ما يكون للأثر الفنى الخالد المعجز .

* * *

هذه القصائد الخمس هى كل ما نظم ملتن أثناء مقامه فى هورتون ، وهى كما أسلفنا القول كفيلة أن تحل ملتن بين الصفوة من شعراء الغناء ، كما أنها كفيلة وحدها لو لم يكن له

غيرها أن تجعل منه شاعراً فذاً مرموق المكانة ، بيد أنها على الرغم من ذلك لم تخل كما قلنا من هفوات .

تزدحم قصيدتاه الاليجر والبنسروزو بتلميحاته الميثولوجية ازدحاماً يكاد يحس معه المرء أن شعر ملتن هنا غلبت فيه الصنعة على الفن ، وأنه يميل إلى إظهار معرفته بالأغريقية واللاتينية أكثر مما يعنى بفنه . وكذلك تعد عليه فى هاتين القصيدتين هفوات عند وصفه الطبيعة تدل على أنه أحياناً ينقل عما يقرأ أكثر مما ينقل عما يرى ، فهو يشير مثلا إلى زهرات فى زمان غير زمانها ويجعل لها لونا غير لونها ، كما أنه يصف أوراق شجرة من الأشجار بما هو بعيد عن طبيعتها . ويؤخذ عليه فى قصيدة الأليجرو أنه أغفل أمر الحب كصورة من صور المرح ، وإغفال صورة كهذه تعد من أقوى صوره أمر معيب وبخاصة إذا كان مرده إلى مبالغة ملتن فى الحرص على العفة ، فلا يصح أن يتعمد شاعر إهمال هذه الناحية الإنسانية القوية تشيعاً منه لنزعة من نزعات الفكر ، فان ذلك لا يتفق مع صدق الفن وصراحته .

أما مسرحيته الغنائية كومس فاننا وإن صرفنا النظر عن ضعف بنائها كمسرحية غنائية نجدها لا تخلو من مآخذ ، وأهمها هذه الطريقة الوعظية التى لجأ إليها ملتن ، أوهذه النزعة التعليمية التى جعلته يطنب فى إرسال آرائه على ألسنة المتحدثين فى المسرحية بصورة كادت تبعث على الملل فى كثير من المواقف . وحسبك أن يتناقش الإخوان فى مائة وستين سطراً فيما إذا كانت الفضيلة تعصم أختهما من الخطر ، وأن يطيل الروح الحارس حبل الكلام فيستنفد وحده مائة وسبعين سطراً قبل أن تتخذ أية خطوة لإنقاذها ، مما يبعد المسرحية عن روح المسرح وما تتطلبه من حركة وفعل ، ومما يجعل المرء يحس أن مواقفها متكلفة لمجرد التعبير عن أفكار الشاعر . ويأتى بعد ذلك عيب آخر وهو مبالغة أكبر الأخوين فى ثقته بالفضيلة ، الأمر الذى يضعف فى النفس اللهفة على الفتاة وقد تاهت فى ظلمات الغابة . ومثل ذلك العيب إغراء كومس الفتاة ، فان إغراءه لم يزد على كونه بعض الآراء الفلسفية الجامدة مع إشارة إلى سحر ذلك الشراب ، ولو أنه كان حواراً قصيراً يعرض فيه جوانب الرأى لكان أوقع فى النفس وأدنى إلى روح الدراما ، وأبلغ فى الاغراء وفى امتحان عفتها من ذلك الكلام الشبيه بلغة المدارس أو أسلوب المقالات . والحق أن الغنائية كلها مواقف وأشخاصا إن هى إلا وسيلة أراد بها ملتن أن يعبر عن أفكاره ، فلو أننا قارنا بينها وبين الدراما المسرحية لرأينا كأنما ظهر الملقن على المسرح فى هذه الغنائية ، وأخذ يلقن كل شخصية ما تقول ...

أما من حيث فلسفته الغنائية ، فقد خلط ملتن بين العفة وبين العذرة ، والعفة إذا انتهت إلى الزواج أمكن الجمع بين مباهج الحياة وجمال الطبيعة والحكمة المطلوبة ، ولكن أن تظل الفتاة عذراء أبدا أو يظل الفتى عزبا أبدا دون أن يقرب الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، ثم يحاول مع هذا الزهد الصارم أو هذا الحرمان أن يأخذ بقسط من جمال الحياة وثمرات الطبيعة فهذا ما يصعب تصوره . ومرد هذا الاضطراب إلى تذبذب الشاعر بين الطبيعة وفرط حبه إياها حبا تجلى فيما قاله على لسان كومس وبين حرصه على قواعد الخلق التى التزمها منذ صغره ، والتى هى أقرب الأشياء إلى طبيعة البيوريتانية التى كان يميل إليها . ولعل تمسكه يومئذ بأن يظل عزبا ليتفرغ لرسالته مع شغف نفسه بالجمال وإحساسه بالحياة كان له أثره فى هذا التناقض الذى أضعف فلسفته .

وكذلك يؤخذ على ملتن أنه لم يرنا كيف تكون العفة سبيلا إلى قوة خفية سماوية ، فهذه مسألة ظلت مبهمة ، ولهذا ضعف وقعها فى النفس .

ومما يلفت النظر فى الغنائية أن كومس فى محاولته إغراء الفتاة قد سخر من العفة فى ذاتها وعدها كلمة جوفاء ، كما أنه أغراها بالطبيعة ومفاتنها وطيباتها ، فلما أرادت أن ترد كان ردها موجها إلى محاجته فى الطبيعة ، أما ما سخر به فلم ترد عليه إلا بامتداح العفة فحسب ، كقولها إنها القوة المتشحة بأشعة الشمس ، وكان أولى بها أن تبين أثر العفة فى تطهير النفوس لتستبين قوتها ، ولقد بدا ملتن هنا فى أضعف مواقفه فى الغنائية ، حتى لكأنه لا يدرى ماذا يقول .

هذه هى المآخذ التى توجه إلى شعر ملتن فى هورتون ، ومهما يقل فيها ، فهى أقل من أن تذهب بشىء من قيمة هذا الشعر الذى بلغ الذروة الفنية ، والذى قل أن يقع المرء على نظيره فى اللغة الانجليزية كلها روعة أداء ، وعذوبة موسيقى ، وإشراق لفظ ، وسمو معنى ، مما يجعله مزيجا فذا من جمال العصر الأليزابيثى ومن ثقافة ملتن ، مزيجا طبعه بطابع الفحولة ، حتى بات بين ما أنتجت الدنيا من شعر فى قديمها وحديثها وله مقام معلوم .

(يتبع) الخفيف

القضايا الكبرى في الإسلام

قضية زيد وزينب

للأستاذ عبد المتعال الصعيدي

قضية زيد بن حارثة وزينب بنت جحش من أكبر القضايا الإسلامية، وتمتاز بما كان فيها من تنحى القاضي الذي رفعت إليه أولًا عن الحكم فيها، لأنه رأى أن له فيها شأناً، فلا يصح أن يحكم فيها وله شأن بها، وذلك أصل معروف من أصول القضاء وقد عمل به النبي صلى الله عليه وسلم في هذه القضية وإن لم يكن محل ريبة، ليضع ذلك التشريع في القضاء الإسلامي، ويأخذ به القضاة في التنحي عن نظر القضايا التي يكون لهم فيها شأن.

ويرى الذين كتبوا في هذه القضية أنها تبتدىء من النزاع الذي حدث بين زيد وزينب بعد زواجها، وإني أرى أنها تبتدىء من ذلك الزواج نفسه، وأن ذلك الزواج لم يكن إلا تمهيداً لهذه القضية التي لم يكن أمرها مقتصراً على زيد وزينب، وإنما كانت وسيلة لإبطال عادة ظالمة من أكبر عادات العرب في جاهليتهم، بل من أكبر عادات الأمم القديمة من عرب وغيرهم. وقد اختيرت هذه القضية لإبطال هذه العادة، واختير أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم هو البادىء بإبطالها في أمر نفسه، لأن ذلك هو شأن كل مشرّع، ولأنه كان لتلك العادة سلطان على النفوس، فلا يهوّن من أمرها إلا أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم هو البادىء بإبطالها.

كان العرب في الجاهلية يلحقون بعض الأجانب بأولادهم، ويعطون الدعيّ جميع حقوق الولد في الإرث وحرمة النسب وغيرهما، كما كانوا يخلعون أبناءهم من نسبهم لسبب من الأسباب فيأتي الرجل منهم بابنه إلى الموسم ويقول: ألا إني قد خلعت ابني هذا، فإن جرّ لم أضمن، وإن جر عليه لم أطلب، فلا يؤخذ بجرائره.

وكان زيد بن حارثة من بني كلب، وأمه سعدى بنت ثعلبة من بني مَعْن بن طَيّ، فزارت قومها ومعها زيد ابنها، فأغارت خيل من بني القَيْن على قومها، فاحتملوا زيداً وهو غلام يفقه، فأتوا به سوق عكاظ فعرضوه للبيع، فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة بنت خوَيلد، فلما تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم وهبته له، وقد مكث عنده حتى حج ناس من كلب فرأوه فعرفهم وعرفوه، ولما رجعوا إلى قومهم أعلموا أباه حارثة بموضعه، فخرج هو وأخوه كعب بفدائه فقدما مكة، ثم أتيا النبي صلى الله عليه وسلم وهو لم يبعث بعد، فقالا له: يا ابن عبد المطلب، يا ابن سيد قومه، أنتم أهل حرَم الله، تفكون العاني، وتطعمون الأسير، جئناك في ولدنا عندك، فامنن علينا، وأحسن في فدائه، فإنا سنرفع لك. قال: وما ذاك؟ قالوا: زيد بن حارثة. فقال: أو غير ذلك؟ ادعوه فخيروه، فإن اختاركم فهو لكم بغير فداء، وإن اختارني فوالله ما أنا بالذي أختار على من اختارني فداء. ثم دعاه فقال له: هل تعرف هؤلاء؟ قال: نعم، هذا أبي، وهذا عمي. فقال له: فأنا من قد علمت، وقد رأيت صحبتي لك، فاخترني أو اخترهما. فقال: ما أنا بالذي أختار عليك أحداً، أنت مني بمكان الأب والعم. فقالا له: ويحك يا زيد، أتختار العبودية على الحرية، وعلى أبيك وعمك وأهل بيتك. فقال لهما: قد رأيت من هذا الرجل شيئاً ما أنا بالذي أختار عليه أحداً: فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم ذلك أخرجه إلى الحِجْر فقال: اشهدوا أن زيداً ابني يرثني وأرثه. فلما رأى ذلك أبوه وعمه طابت أنفسهما، ثم انصرفا إلى قومهما.

فصار زيد يُدعى زيد بن محمد حتى جاء الله بالإسلام، فكان من أسبق الناس إسلاما، ثم هاجر إلى المدينة، وقد زوجه النبي صلى الله عليه وسلم مولاته أم أيمن، فولدت له ابنه أسامة. فلما كانت السنة الخامسة من الهجرة أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يبطل عادة التَّبني، لأنه لا يصح أن يكون الولد ولداً بقول تنطق به أفواهنا، وإنما الولد قطعة من أبيه، فهو أبوه بذلك أراد أو لم يرد، وهذه هي الحقيقة والفطرة وما عداها كذب وغش، وليس للرجل أن يكون له حق إرث أقربائه، ثم يأتي بأجنبي عنهم فيجعله ولداً له، ويؤثره بإرثه دونهم، فذلك ظلم من أكبر الظلم، وقطيعة لا ترضاها شريعة من الشرائع العادلة.

فأراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يختار له زوجا ليعقبه عليها ويبطل بالفعل قبل القول تلك العادة الظالمة، ولهذا خالف ما فعله

معه فى الزواج الأول حين اختار له مولاته أم أيمن ، فكان نسبها قريباً من نسبه ، لأن قرب منزلة الزوجين فى النسب له أثره فى الألفة بينهما ، وفى عدم تعالى أحدهما على الآخر ، فتطيب بذلك عشرتهما ، وتستقر به رابطة الزوجية .

ولكنه فى الزواج الثانى كان يعلم أن مآله إليه ، فلم يختر فيه لزيد بل اختار لنفسه ، ليقضى الله ما أراده من إبطال عادة التبنى ولا يكون عليه حرج فى زواج من لا يريدها إذا أرادها لنفسه أولا ، ولهذا اختار لزيد هذه المرة زوجا من أعلى قريش نسباً ، وهى زينب بنت جحش الأسدية ، وأمها أميمة بنت عبد المطلب جد النبى صلى الله عليه وسلم ، وكانت بيضاء جميلة ذات خلق ، ومن أتم نساء قريش ، فلما خطبها النبى صلى الله عليه وسلم رضيت وظنت أنه يخطبها لنفسه ، فلما علمت أنه يخطبها لزيد أبت ذلك وقالت : أنا ابنة عمتك يارسول الله ، فلا أرضاه لنفسى . وكذلك أبى أخوها عبد الله بن جحش ، فأنزل الله فى شأنهما الآية (٣٦) من سورة الأحزاب (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبيناً) فلما سمعت ذلك زينب وأخوها رضيا وسلما . وجعلت زينب أمرها بيد النبى صلى الله عليه وسلم ، فأنكحها زيداً ليقضى الله ما أراده من زواجه بها .

وما كان الله ليزوج زينب زيداً على غير رغبتها لتكون زوجا دائمة له ، وهو قد شرع فيما شرع استئمار النساء فى النكاح حتى يكون النكاح عن رغبتهن ، ويكون عشرة طيبة راضية لانزاع فيها ولا خلاف ، بل محبة وإخلاص وتعاون على المعيشة ، وذرية صالحة متآلفة بتآلف الأب والأم .

فلما دخل زيد على زينب لم يمكنها أن تتغلب على ما تشعر به من رفعة نسبها على نسبه ، ولم يمكنها أن تحبه كما تحب الزوج بعلها ، لأن الحب ميل فطرى من صنع الله تعالى ، وليس من صنع الإنسان ولا غيره من الخلق ، فلم يحسن عشرتهما ، ولم يهنآ بذلك الزواج كما يهنأ غيرهما ، فكانت تتعالى على زيد بنسبها ، وكان زيد لايطيق ذلك ولا يحتمله ، لأنه لم يكن أرادها لنفسه عن حب لها حتى يحتمل ذلك منها ، وإنما كان شأنهما واحداً فى ذلك الزواج . أريد لها أن تتزوج به فرضيت تنفيذاً لأمر الله ، وأريد له أن يتزوج بها فرضى تنفيذاً لأمره أيضاً .

فكان زيد يشتكيها إلى النبى صلى الله عليه وسلم المرة بعد المرة ، فيأمره باحتمالها والصبر عليها ، فيصبر زيد ويحتمل تنفيذاً لأمر النبى صلى الله عليه وسلم ، حتى ضاق بها ونفد صبره ، ولم ير بدًّا من طلاقها ، فذهب إلى النبى صلى الله وسلم يشكوها إليه وأخبره هذه المرة بأنه يريد طلاقها ، فأمره أيضاً باحتمالها والصبر عليها ، وقال له : اتق الله وأمسك عليك زوجك .

كل هذا والنبى صلى الله عليه وسلم لايقضى له بفراقها . ولو كانت قضية غير هذه القضية لقضى فيها بالفراق ، وأراح الزوجين من هذا الشقاء الذى ينافى شريعة الزواج ، ويخالف حكمته المذكورة فى قوله تعالى فى الآية (١٨٩) من سورة الأعراف : (هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها) .

ولكن النبى صلى الله عليه وسلم يعلم أن له صلة قوية بقضية زينب ، وأن الله لم يرد أن يزوج زيدا زينب على غير رغبتها إلا ليطلقها فيتزوجها بعده ، ويبطل بذلك بنوته له بالفعل قبل أن يبطلها بالقول ، فأمسك عن الحكم فيها بما كان يجب أن يحكم به فى نظيرها ، ليضرب بذلك مثلا للقضاة بعده ، فيمسكوا عن الحكم فى كل قضية يكون لهم صلة بها . وقد كان للنبى صلى الله عليه وسلم أعداء من اليهود والمنافقين ، نخشى أن يطعنوا عليه بالباطل ، وأن يقولوا إنه تزوج امرأة ابنه ، وخشى على زيد أن يقوم بنفسه شىء إذا تزوجها بعده .

ولم يكن بعد ذلك إلا أن يتولى الله الحكم فيها ، حتى لا يكون لأحد كلام فى حكمه ، فأنزل فى الحكم بطلاقها وزواجها من النبى صلى الله عليه وسلم قوله فى الآية (٣٧) من سورة الأحزاب : (وإذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه : أمسك عليك زوجك واتق الله ، وتخفى فى نفسك ما الله مبديه ، وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه ، فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا ، وكان أمر الله مفعولا) وكانت زينب تفتخر بذلك على أمهات المؤمنين فتقول : زوجكن آباؤكن ، وزوجنى الله من فوق سبع سموات .

عبد المتعال الصعيدى

الجـــذام

للدكتور أصلى محمد باهى

لمحة تاريخية :

إن من أخبث الأمراض التى منى بها الإنسان فى هذه الدنيا هو « الجذام » أو « الأسد »؛ ويرجع تاريخ نشأته إلى العصور الخالية . وقد حاول بعض علماء أوربا أن يثبتوا أن مصر من عهد الفراعنة كانت مهد هذا الداء الوبيل مستشهدين على ذلك بما وجد من نقوش وتماثيل فى هياكل لأناس لابد أن يكونوا قد أصيبوا بهذا المرض وهم على قيد الحياة ، وخلدوا إما لسمو مكانتهم أو لأغراض أخرى وخلدت معهم أمراضهم لا عن تعمد بل عن براعة فى فن النحت فى ذلك العصر الغابر . إلا إن هناك فريقا آخر يقيم الحجة ، ويؤكد أن الصين والهند وبطاح آسيا هى منبته الأصلى ، وهو إنما جاء إلى مصر عن طريق العدوى بالتنقل والاختلاط . وأخيرا جمع الفريقان رأيهما فى صعيد واحد وقالوا سواء أكانت مصر منبعه أم أن آسيا منبته ، فلا امراء فيه أنه انتقل إلى أوربا من مصر فى القرون الأخيرة قبل الميلاد ، وقد ذكره الشاعر الفيلسوف : « تيتوس لوكريتيوس كاروس » . (عاش من سنة ٩٩ إلى سنة ٥٥ ق . م) فى شعره . ووصفه الطبيب الرومانى « سلزوس » (عاش من سنة ٩٣ ق . م إلى سنة ٧ ب . م) وصفا دقيقا بيناً مما لا يدع شكا فى أنه مرض الجذام بعينه . وقد نعت فى ذلك الوقت بداء « التفيل الاغريقى » وأثبت العالم الألمانى « فون برجان » أن هذا المرض انتشر فى إسبانيا وسهول لومبارديا بشمالى إيطاليا وألمانيا وفرنسا فى القرن الثانى بعد الميلاد . وجاء بعده زميله العالم الباتولوجى « فرشو » وذكر فى مصنفاته أن أوربا أنشأت مئات الملاجىء للمجذومين فى مختلف أنحائها وذلك فى القرن السابع بعد الميلاد . وذلك يدحض الرأى الذى كان شائعا قبلا ، وهو أن الجذام لم يغز أوربا إلا عقب الحروب الصليبية أى حوالى القرن العاشر للميلاد ، ويقول الداحضون لهذا الرأى إن هذا المرض جاء إلى أوربا قبل فجر المسيحية ، إلا أنه ازداد انتشارا عقب الحروب الصليبية .

وما جاء القرن الثانى عشر حتى شمل الجذام انجلترا والدانيمارك والبلاد الاسكندنافية وسائر أرجاء أوربا ، ثم استمر فى الانتشار والازدياد حتى القرن الرابع عشر إذ بلغ إذ ذاك أوج ازدهاره ، فلما أفاقت أوربا من غفوتها وأدركت خطره ، ومن ثم أخذت فى مكافحته ، ابتدأ فى الهبوط والزوال إلى أن جاء القرن السابع عشر فاختفى من بعض الأقطار تماما ، وهى تلك التى ضربت بسهم وافر فى المدنية ، وبقى منه النزر اليسير فى تلك التى لم ترتق بها سبل الكفاح بعد إلى القدر المطلوب .

جوهره :

الجذام مرض مكروبى ، أى أنه لا ينشأ إلا بالعدوى بجرثومته. وقد تكون العدوى عن طريق الاختلاط أو بالوراثة ، أى أن يولد الطفل من أبوين مجذومين . ومكروب الجذام يشبه كثيرا مكروب السل ، وهو صغير جدا. ولا نقصد أنه صغير لعيننا المجردة ؛ بل نقصد إنه صغير جدا بالنسبة لأنواع أخرى من المكروبات . ولأجل أن نعطى القارىء فكرة تقريبية عن حجم هذا المكروب نقول إنه إذا وضع من المكروب ألف واحد وضعا طوليا بحيث يكون رأس الواحد بعد نهاية الآخر ، وفى خط مستقيم على نمط عربات قطار السكة الحديد كان طول هذا الخط أربعة ملليمترات فقط . أما إذا وضعت الألف منه وضعا عرضيا أى كصف من الجند كان سمكها ٠٫٣ من الملليمتر ، ومن ذلك يمكن للقارىء أن يصور لنفسه طول المكروب الواحد وعرضه .

ويعزى اكتشاف مكروب الجذام ، إلى العالم النرويجى « أرماور هانزن » فى عام ١٨٧٣ ، وأما الذى درس حياته بالتفصيل ، ووضع الأسس الحديثة لدراسته البكتريولوجية ، فهو العالم الألمانى « نايسر » وذلك فى سنة ١٨٧٩ ، ومدة تفريخ المرض ، أى الوقت الذى ينقضى من وقت دخول جرثومته فى الجسم حتى تظهر أعراضه عليه ، هى من ٣ إلى ٥ سنوات وقد تصل فى بعض الحالات إلى ١٠ سنوات .

أعراضه :

هناك نوعان يتميز بهما المرض فى نشأته ونموه ونهايته ، وهذا يتوقف على الطريق الذى يسلكه المكروب بعد دخوله فى الجسم، فمنه ما يلازم أعصاب الجسم ويسير معها أينما سارت ، ومنه ما يحاول النفاذ إلى الجسم عن طريق الأقنية اللمفاوية . وأهم أعراضه أورام تظهر على جسم المريض فى مواضع مختلفة على شكل عقد متفاوتة فى الحجم تثبت فى مكانها ؛ وتتجمد وتنمو بمرور الوقت ، وقد تتقيح وتخرج منها إفرازات صديدية. وأكثر ما تظهر هذه الأورام فى الأطراف والوجه ، وقد تنتشر على طول الحاجبين والأنف والشفتين والخدين بحيث يتشوه الوجه ، ويكتسب طابع وجه الأسد ، ولذا سمى الجذام أيضا بمرض « الأسد » أو « التأسد » .

وكثيرا ما تنتشر العقد الجذامية على طول أصابع اليدين والقدمين ، فإذا ما أصابها التقيح أعقب ذلك عادة تنخر فى عظام الأصابع فتسقط من نهايتها ، وقد تتكرر هذه العملية إذا سار المرض من تلقاء نفسه فى هذا الاتجاه ، فلا يلبث المريض أن يفقد أصابع يديه أو قدميه . وقد يجىء الوقت الذى لا ترى من يديه إلا الكفين بعد أن فقدتا أصابعهما العشر كذلك يكون الحال بالقدمين .

وبعد أن ينال المرض غايته من أجزاء الجسم الخارجية يحول طريقه إلى الأعضاء الداخلية فيصيب الكبد والطحال والكليتين والأعضاء التناسلية وهلم جرا كلا بدوره ، ويحدث فيها من التشويهات ما شاء له ، ويأكل خلاياها الحية ويترك مكانها أوراما خبيثة ملآى بملايين الملايين من مكروبه تزحف بمرور الوقت إلى ما يجاورها من أجزاء الجسم السليمة أو تبعث برهط منها عن طريق الدورة اللمفاوية إلى أجزاء أخرى من الجسم بعيدة عنها ، وتلك تنشىء مستعمرة لها فى هذا الجزء الذى حلت به ، وهكذا دواليك إلى أن يقضى المريض نحبه . وعلى ذلك فريض الجذام شخص حكم عليه بالموت البطىء ، لا بل هو شخص تعس حكم القدر عليه أن يرى جسمه يتساقط أجزاء ويأكله المكروب حيا كما تأكل الديدان رمة بالية . هذه صورة مصغرة لأعراض هذا المرض الوبيل ، فى بدئه ونهايته .

ولدراسة هذا المرض ومكافحته أجرى العلماء تجارب عدة على أنواع مختلفة من الحيوان ، فحقنوا الفيران والماعز والقرود بمكروب الجذام ، وفى كثير من الحالات ظهرت أعراض المرض عليها بعد ردح من الزمن . وقد وفق « آرننج » للحصول على إجازة من السلطات المختصة بجزيرة « هاواى » لعمل تجارب على قاتل يدعى « كينو » حكم عليه بالإعدام ، وقد خفف هذا الحكم إلى السجن المؤبد لكى يحقنه « آرننج » بمكروب المرض ، وبعد حقنه بعامين تقريبا ظهرت عليه أعراض الجذام المعروفة ، وابتدأ جسم هذا الرجل الذى كان يتدفق قوة وبطشا يتهدم شيئا فشيئا . وبعد سنتين أخريين كان « كينو » فى أثنائهما يكافح المرض بقوة جسمه ، قرر طبيب السجن إحالته إلى مستعمرة المجذومين « بمولكاى » بجزيرة « هاواى » حيث قضى المريض نحبه متأثرا من وطأة المرض .

مدى انتشاره فى الامم المختلفة :

سبق أن ذكرنا أن الجذام بعد أن كافحته أوربا تضاءل وقل عدده حتى يمكن أن يقال إنه قارب الزوال من تلك القارة ، وإذا تبسطنا فى القول قلنا إنه تركز الآن فى النرويج وروسيا وإسبانيا والبرتغال والبلقان وجزيرة ايسلنده . ومهما يكن مجموع ما هو موجود منه اليوم فى أوربا بالنسبة لعدد سكانها فأنه لا يعد شيئا مذكورا فى عالم الوبائيات ، ولا سيما بعد أن تتاح لنا فيما بعد فرصة للمقارنة بينه وبين ماهو موجود فى بقاع أخرى من الكرة الأرضية . ويقدر الإخصائيون ما هو موجود الآن منه فى أوربا بنحو ٥٠٠٠ حالة ، وإذا علمنا أن عدد سكان الصين يعادل تقريبا عدد سكان القارة الأوربية اعترانا الدهش أو بالأحرى الذهول حينما يقال لنا إن بالصين ما يزيد عن مليون مجذوم ، وهذا يوضح لنا مرة أخرى مبلغ تأثير المدينة فى مكافحة المرض والقضاء عليه وكذلك استتبابه وتغلغله فى تلك الأقطار التى لا تزال تغط فى سبات عميق من التواكل والخمول . أليس من المزعج لا بل من المؤلم أيضا أن يكون المرض منتشرا فى الصين بنسبة تعادل ٢٠٠ ضعف قوة انتشاره فى أوربا ... !!؟

ويوجد فى الهنـد نحو ٣٠٠٫٠٠٠ مجذوم وفى مصر نحو ١٠٫٠٠٠ مصاب بهـذا المرض ، وأكثر بقاع الأرض إصابة به هى « كولومبيا » فى أمريكا الوسطى وجزيرة « مدغشقر » بالمحيط الهندى ، وهذه الجزيرة هى التى تحمل الرقم القياسى لهذا المرض . وليس أدل على ذلك من أن بتلك الجزيرة التى يزيد سكانها عن المليون نحو ٨٠٠٠ مريض بالجذام أو ما يعادل أضعاف قوة انتشاره فى الصين وعشرة أضعاف قوة انتشاره بمصر . ولا داعى لأن نقارنه بقلة انتشاره فى أوربا إذ ربما نصاب بدوار بالرأس أو ذهول .

كيف كافحت أوربا حتى قضت عليه :

لا مشاحة فى أن الحضارة فى العصور المختلفة هى التى تـكيف حياة الفرد ؛ بل حياة الأمة ، والأمم التى تأخذ بأسبابها تطبعها بطابعها الخاص فتهديها إلى ما يجب عليها عمله فى أمر من الأمور أو فى مشكلة اجتماعية خاصة ، وتنهاها عما لا يتفق وروح تلك الحضارة . وقوة تفكير الفرد مستمدة من ينبوع حضارته . وهذا مرض الجذام خير دليل على ما للمدنية من قوة فعالة للقضاء على الخبيث من الأمراض ، وإسعاد الشعوب بإرشادها إلى ما يحميها مما يهدد كيانها أو ينغص عليها حياتها .

إن أول ما فعله الأوربيون فى القرون الوسطى حينما انتشر المرض بين ظهرانيهم ، ورأوا من ضحاياه الـكثيرين فى الشوارع والطرقات يسيرون هنا وهناك ، أن اشمأزوا من رؤيتهم ، وتأففوا من لمسهم وتجنبوا الاختلاط بهم أو التعامل معهم ، وهذا هو العزل الفطرى ، عزل السليقة والأيحاء ، وهو فى تاريخ الطب الحجر الأول فى نظام العزل الذى نعرفه اليوم « بالعزل أو الحجر الصحى » . أزعجتهم فى بادىء الأمر تلك التشويهات الخطيرة التى أحدثها المرض بأجسام ضحاياه ، وبالرغم من أن جوهره وأسبابه كانت مجهولة لهم تماما إذ لم يكونوا يعلمون من علم المكروبات شيئا ، إلا أنهم رأوا بالرغم من ذلك كله ضرورة إسكانهم فى بيوت خاصة بهم ومنعزلة عن الأصحاء من أبناء جلدتهم ، وقد اختيرت لهم فى أغلب الأحيان بيوت واقعة خارج المدن لضمان عدم اختلاطهم بباقى السكان .

ولمـا كان عدد المجذومين فى ذلك العهد كبيرا ، وإيواؤهم ثم إطعامهم لا تقوى الحكومات على القيـام به منفردة ، انبرى أغنياؤهم إلى مد حكوماتهم بالإعانة والتبرع والإحسان ، وصرح للمجذومين فوق ذلك أن يجوبوا الطرقات للاستجداء ليساهموا هم أيضا إلى حد ما فى سد نفقاتهم ، إلا أنه فرض عليهم فى نفس الوقت أن يرتدوا لباسا خاصا ، ويضعوا فوق رءوسهم غطاء معينا ليراهم الجمهور من بعيد ويتميزهم . وإذا غفل عابر سبيل عن أن يرى مجذوما مقبلا عليه كان محتما على المجذوم أن يرفع رداء نصفيا يغطيه حتى الذراعين بضع مرات متوالية فى الهواء مؤديا حركة تشبه طائرا يرفرف بجناحيه حتى يسترعى نظر من هو مقبل عليه ليحذره ، ولا يصطدم به ، والويل ثم الويل للمجذوم إذا هو غفل عن ذلك فإنه كان يعاقب إذا ذاك عقابا صارما .

أصلى محمد باهى

في كتاب :

«معالم تاريخ العصور الوسطى»

للسنة الثانية الثانوية طبعة سنة ١٩٤٥

للأستاذ محمد الطنطاوى

كتاب قيم طوى شتيت المعانى فى وجيز العبارات ، تلبية لداعى الوقت الدراسى الذى تتناهبه مختلفات العلوم . وجمل هذا الاختصار الأنيق الرعاية الدقيقة فى رواية المعانى من حوادث وغيرها ، وكذلك ينبغى أن توضع كتب الوزارة ، فإنها المصادر الفريدة لمعلومات النشء العالقة بعقولهم ، الخالدة فى صحائف أذهانهم يثلون اليها عندما يتسع أفق تفكيرهم كأساس يعتمدون عليه فى تنمية معارفهم .

طالعت قرابة نصف كتاب (المعالم) الأول ، فعنت لى ملاحظات فيما قرأت أبتغى بعرضها تلافيها فى الطبعة المقبلة خدمة للعلم والتاريخ .

جاء فى ص١٣ :(ولم يكن لبنى هاشم منافسون سوى بنى أمية وهم أحفاد عبد الدار أحد إخوة قصى)

والجملة الثانية تفيد أمرين : الأول أن بنى أمية أحفاد عبد الدار ، والثانى أن عبد الدار أحد إخوة قصى .

وأقول إن كلا الأمرين لا ينطبق على الواقع . فإن كتب الأنساب تروى أن قصياً نسل عبد الدار وعبد مناف وغيرهما ، وأن عبد مناف نجل عبد شمس وهاشما وغيرهما ، وأن عبد شمس أعقب أمية وإخوته .

ومن ذا يتضح أن بنى أمية حفدة عبد مناف كبنى هاشم ، وأن عبد الدار أحد أبناء قصى . فصحة الجملة (وهم أحفاد عبد مناف بن قصى) والجملة حينئذ يستبين منها أن بينهما رحما ماسة وذلك هو الهدف الذى ترمى إليه .

وجاء فى ص١٨ فى الغزوات :(وقد اشترك النبى صلى الله عليه وسلم فى تسع منها)

والظاهر من هذا الكلام أنه صلى الله عليه وسلم لم يشترك فى باقى الغزوات .

وأقول إن المعروف أن الغزوة ما خرج فيها النبى صلى الله عليه وسلم سواء أوقع فيها قتال أم لا ، وأن القتال كان فى تسع منها فقط . فالنبى صلى الله عليه وسلم اشترك فى الغزوات كلها ، وبالتالى قاتل مع المسلمين فى التسع . فالصواب فى الجملة (وقد قاتل النبى صلى الله عليه وسلم فى تسع منها) كما فى سيرة ابن هشام وغيرها

وجاء فى ص ١٨ أيضا : (ونالوا أول انتصار لهم فى السنة الأولى بعد الهجرة فى غزوة بدر ... وقد أحسن المسلمون معاملة الأسرى) ...

تقتضى الجملة الأولى أن غزوة بدر الكبرى كانت فى السنة الأولى بعد الهجرة .

وأقول إن كتب المغازى والسير اتفقت على أن تلك الغزاة وقعت فى السنة الثانية . وبها اعتز المسلمون وأوهن كيد الكافرين .

وجاء فى ص ١٨ و ١٩ : (ولما نكث بنو قريظة عهدهم ... فقاتلوهم وقتلوا منهم خلقا كثيراً ... فأخذ النبى بعد هذا يقلب وجهه فى السماء ... فأمر أن يولى وجهه شطر المسجد الحرام)

يفيد القارىء لهذا الكلام من الجملتين الأخيرتين أن تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة بعد غزوة بنى قريظة التى كانت فى السنة الخامسة من الهجرة .

وأقول إن كتب المغازى والسير وأسباب النزول مطبقة على أن تحويل القبلة لم يتأخر حتى هذا الحين بل كان قبيل غزوة بدر الكبرى التى كانت فى السنة الثانية بعد الهجرة .

وجاء فى ص ٤٩ لمناسبة قتل الحسين رضى الله عنه : (ومن على زين العابدين بن الحسين تناسلت ذرية النبى صلى الله عليه وسلم)

إن هذه الجملة بوساطة تقديم المعمول تشعر بقصر التناسل من الذرية الشريفة على سيدنا على زين العابدين .

وأقول إن التناسل قد استمر فى ذريتى السبطين (الحسن والحسين) معا إلى عهدنا والأعلام منهما مشهورة فالصواب حذف الجملة أو تقديم الفعل .

وجاء فى ص ٦٦ : (منافسة العلويين لخلفاء بنى العباس ... ومن ذلك دولة الأدارسة بالمغرب والدولة الفاطمية ... ودولة بنى بويه وهى من غلاة الشيعة) .

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٧٢٥ — فلما وردا على لم أعقل ما عملت

في (الأغاني) : اصطحب شيخ مع شباب في سفينة في الفرات ، ومعهم مغنية ، فلما صاروا في بعض الطريق قالوا للشيخ معنا جارية لبعضنا وهي مغنية فأحببنا أن نسمع غناءها فهبناك ، فإن أذنت لنا فعلنا ، قال : أنا أصعد إلى ظلال السفينة فاصنعوا أنتم ما شئتم ، فصعد ، وأخذت الجارية عودها فغنت :

حتى إذا الصبح بدا ضوءه وغابت الجوزاء والمرزم[1]

أقبلت — والوطء خفي — كما ينساب من مكمنه الأرقم

فطرب الشيخ وصاح ، ثم رمى بنفسه بثيابه في الفرات وجعل يغوص ويطفو ويقول : (أنا الأرقم ، أنا الأرقم) فألقوا أنفسهم خلفه ، فبعد لأي ما استخرجوه ، فقالوا له : ما أصابك ؟ فقال : دب شيء من قدمي إلى رأسي كدبيب النمل ، ونزل في رأسي مثله فلما وردا على قلبي لم أعقل ما عملت .

(١) الجوزاء : برج في السماء ، سميت لأنها معترضة في جوز السماء (التاج) وفي (اللسان) : والجوزاء نجم ، وفي ثمار الأزهار : الناس مجمعون على أن البروج اثنا عشر برجاً ، وتسميها كل أمة بلغتها ويتفقون في المعنى على معاني لغة العرب (المرزمان) نجمان من نجوم المطر ، وقد يفرد . (اللسان) وفي الصحاح : مرزما الشعريين نجمان أحدهما في الشعري ، والآخر في الذراع .

٧٢٦ — وفي بيته مثل الغزال المربب

قال المبرد : اتهم سعد بن مصعب بن الزبير بامرأة في ليلة مناحة أو عرس ، وكانت تحته ابنة حمزة بن عبد الله بن الزبير ، فقال الأحوص (وكان بالمدينة رجل يقال له سعد النار) :

ليس بسعد النار من تذكرونه ولكن سعد النار سعد بن مصعب[1]

ألم تر أن القوم ليلة جمعهم بغوه فألفوه لدى شر مركب

فما يبتغي بالشر لا در دره وفي بيته مثل الغزال المربب

٧٢٧ — ثم لم يرجع إليكم

قال الجاحظ : قال رجل من فقهاء المدينة : من عندنا خرج العلم . فقال ابن شبرمة : نعم ثم لم يرجع إليكم .

٧٢٨ — أصبت

في كتاب الأم للشافعي : أخبرنا عبد المجيد عن ابن جريج قال : أخبرنا عطاء . قال سمعت عبيد الله بن عمير يقول : اجتمعت جماعة فيما حول مكة ، فحانت الصلاة ، فتقدم رجل من آل أبي السائب أعجمي اللسان ، فأخره المسور بن مخرمة وقدم غيره . فبلغ عمر بن الخطاب ، فلم يعرفه بشيء حتى جاء المدينة ، فلما جاء المدينة عرّفه بذلك ، فقال المسور : أنظرني يا أمير المؤمنين ، إن الرجل كان أعجمي اللسان ، وكان في الحج فخشيتُ أن يسمع بعضُ الحجاج قراءته فيأخذ بعجمته . فقال : هنالك ذهبت بها ؟ فقلت : نعم . فقال : أصبت

(١) في البيت خرم وهو سقوط حركة من أول بيت الشعر .

أقول يحسن حذف (وهي) بعد بني بويه لتكون جملة مستقلة ليس فيها عطف دولة بني بويه على ما قبلها لئلا يوهم العطف أنها علوية نسباً كالأدارسة والفاطمية .

وجاء في ص ٨٢ عن والي مصر عبد العزيز بن مروان (ويظن أن أول الدنانير العربية ضربت في عهده)

أقول هذا الظن غير منسجم مع ما سلف في الكتاب نفسه من اليقين عن الخليفة عبد الملك بن مروان ، ففيه ص٥١ (وضرب نقوداً خاصة للعرب بعد أن كانوا يتعاملون بنقود الرومان والفرس فضرب في عهده الدينار وهو نصف جنيه بالتقريب) — وهذا ما ينبغي التعويل عليه من أقوال مذكورة في النقود الإسلامية للمقريزي و (الكامل) لابن الأثير ، ليس منها من أضاف الضرب إلى عبد العزيز . نعم ورد في النجوم الزاهرة أنه أشار على الخليفة بذلك لكن لا تصل الإشارة إلى حد النسبة إليه .

محمد الطنطاوي
المدرس في كلية اللغة العربية

٧٢٩ – وتأخذ الواحد من أمه

يا موت ، ما أجفاك من نازل! تنزل بالمـــرء على رغمه
تستلب العذراء من خدرها وتأخذ الواحـــد من أمه

٧٣٠ – فاقرأ عليهم سورة المائدة

دعى ابن حجاج إلى دعوة مع جماعة فتأخر عنهم الطعام ، فقال لصاحب الدعوة :

يا ذاهباً فى داره آيبـــا من غير ما معنى ولا فائده
قد جن أضيافك من جوعهم فاقرأ عليهم سورة المـائده !

٧٣١ – لا كان دهر يولى على بنى الناس مثلك

قال أبو الفداء : غضب أرغون شاه على فرس له قيمة فضربه حتى سقط، ثم قام فضربه حتى سقط ، وهكذا مرات حتى عجز عن القيام ، فبكى الحاضرون على هذا الفرس فقيل فيه :

عقرت طرفك حتى أظهرت للناس عقلك
لا كان دهر يولى على بنى الناس مثلك

٧٣٢ – كلام بكلام

مر رجل بآخر يأكل فسلم عليه فقال : هلم ، فهم الرجل أن يقعد معه ، فقال الآكل : رفقاً ، أما عرفت هذا ما هو ؟

فقال : ما هو ؟

قال : على أن أقول هلم ، وعليك أن تقول هنيأ حتى يكون كلاما بكلام . فقام الرجل .

فقال : قد أعفيتك من التسليم ومن تكليف الرد

فقال : قد أعفيت نفسى إذاً من هلم

٧٣٢ – وهل يصلح العطار ما أفسد الدهر

نظر شيخ من الأعراب إلى امرأته تتصنع وهى عجوز فقال :

عجوز ترجّى أن تكون فَتيّة وقد لَحب الجنبان واحدودب الظهر[1]
تدس إلى العطار سلعة بيتها وهل يصلح العطار ما أفسد الدهر[1] ؟
وما غرنى إلاّ خضاب بكفها وكحل بعينيها وأثوابها الصفر
وجاؤوا بها قبل المحاق بليلة فكان محاقاً كله ذلك الشهر[2]

٧٣٣ – ونطقهم عندها بهمس

قال أبو مروان عامر بن غصن :

يا فتية خيرة فدتهم من حادثات الزمان نفسى
شربهم الخمر فى بكور ونطقهم عندها بهمس
أما ترون الشتاء يلقى فى الأرض بسطا من الدمقس
مقطب عابس ينادى : يوم سرور ويوم أنس

(١) لحب فلان إذا نحل (الأساس) لحب الجنبان بالبناء لما لم يسم فاعله – قل لحمهما ، وقد لحب مثل عرق (المبرد) لحب اللحم عن العظم : قشره (اللسان) .

(١) سلعة بيتها : يريد السويق والدقيق وما أشبه ذلك ، وكل عرض فالعرب تقول له سلعة (المبرد) العرض – بفتح ثم سكون – غير النقد .

(٢) المحاق – مثلثة – هنا : آخر الشهر إذا أمحق الهلال فلم ير (اللسان) كله : للشهر .

الرباط الأسود

للأستاذ عبد الرحمن صدقي

قد غبرَ العامُ وما يُحمدُ
وحلّ عامٌ مثلُه أربدُ
دنيايَ مِن بَعدكِ يا زوجتي
آنسُ منها قبرُكِ الموصَد
وكلُّ أيامِيَ مشئومةٌ
ولو طغى اللهوُ بها والدّد(1)
نِضْو أسىً ، في عُنُقي ربْطةٌ
سوداءُ كابٍ لونُها أكمد(2)
يرنو إليها صاحبي مُنكِراً
وقد تولّى العامُ أو أزْيد
يسألني من رحمةٍ لحظُهُ
أما أنَى تخلعُها الموعد(3)
يالوْعَتا من خاطرٍ مزعجٍ
يهتاجُ أشجاني ويسْتَوْقد
يرُوعِ نفسي ، وكأني به
يروعُ مَن تحت الثرى ترقد
كأنني أجحد عهدَ الهوى
وعهدُنا الوثوقُ لا يُجْحَد
يامهجتي قَرّي ، ويا روحَها
قرّي ، فما انحلّ لنا مَعقَد
لمّا تزَلْ عِرسَيْن نغشى معاً
تشابكتْ مِنّي ومنكِ اليد
أسْري وتَسْرين على بَرْزَخٍ
يتصلُ اليومُ به والغدُ
يربط روحَيْنا برغم الردى
هذا الرباطُ الشّاكلُ الأسود

(١) الدد : اللعب .
(٢) النضو : المهزول .
(٣) أنى : مثل آن .

أمل الفلاح

[القصيدة الفائزة بالجائزة الأولى ،
في مسابقة الشعر البريطانية هذا العام]

للأديب حسن جاد حسن

الله للفلاح في بؤسه — وصرخة الآمال في نفسه
يبخسه الدهر ، وأوطانُه — عون مع الدهر على بخسه
وما سرى في أفقه كوكبٌ — إلا وغض الطرف من نحسه
مضنى يقصّ الدهر عن كدحه — وتسمر الأيام في بأسه
على محيّاه سطور الضنى — قد خطّها المقدور في طرسه
منه تمحّن الصفحة يطوى بها — دفائنَ الأسرار عن تعسه
تحسّ ذل البؤس في صوته — وتدرك التبريح في جرسه
الفقر والجهل وأسقامه — معاولٌ تهدم في أسّه
يبيتُ صفر اليد من عُدمه — والذهب الإبريز من غرسه
وقوتُه ما خلّفت أرضه — من حنظل الزرع ، ومن يبسه
يعيش بين البهم في كونه — كأنه لم يك من إنسه
من أسكن المترفَ فردوسه — يسكن في المعتم من رمسه
ومن كسا الوادي حرير المنى — مرقّع الأطمار من لبسه
فكم شواه القيظ في جمره — وكم طواه البرد في قرسه
جنديّه المجهول في كدحه — ورمزه الصادق في قُدسه
مَن كلما مسّ الثرى كفُّه — أحاله تبراً ندى مسّه
عَيٌّ فصيح الشكو في عِيّه — يبثّه لله في همسه
قد خطّها شكوى على أرضه — ذاك اليراع الحرُّ من فأسه
هل للمنى الجرحى بأحشائه — هزة عطفٍ من بني جنسه ؟
فكفكفوا المسفوح من غربه — وبدّدوا المربدّ من يأسه
طِبُّوا لعاصي الداء في جسمه — واشفوا عضال الجهل في نفسه
واسقوه عذب الماء ، لا آسناً — يرنق « المكروب » من كأسه
وكافحوها فيه أميّةً — تنفث روح الشر من رجسه
تضاعفِ الصحة من عزمه — ويرهف التعليم من حسّه
لا تحرموه من جنى غرسه — واحموا الجنى الغالي من وكسه



رأى معالى العشماوى باشا فى رواية تاج المرأة :

نشرنا فى العدد ٦٦٦ من « الرسالة » رأينا ورأى الاستاذ الزحلاوى فى رواية (تاج المرأة) التى نقلها إلى العربية الأستاذ كامل بك الهنساوى ، ويسرنا أن ننشر اليوم رأى صاحب المعالى وزير المعارف فى كتاب أرسله إلى المترجم الفاضل هذا نصه :

عزيزى الأستاذ كامل الهنساوى بك

تلقيت كتابك ، وإنى ليسرنى أن أعبر لك عن إعجابى برواية (تاج المرأة) التى ترجمتها للمسرح المصرى ومثلتها على مسرح الأوبرا « الفرقة المصرية للتمثيل والموسيق » . ويعنينى بصفة خاصة أن أعبر لك — فوق إعجابى بالموضوع والتمثيل — عن إعجابى بلغة الترجمة التى أعدها لونا من الأدب الرفيع يهنأ عليه من استطاع أن يقدمه للمسرح المصرى العربى وأن يلفته إلى هذا الفن الرفيع .

ولقد كان قيام « الفرقة القومية » أول قيامها فى العهد الذى كانت تتبع فيه وزارة المعارف وكنت وكيلا لها — لكى تحقق هذه الناحية وتعنى بها دون نظر إلى الربح أو الخسارة أو توازن الميزانية . فالأمر أمر نشر ثقافة فنية عالية لا ينبغى النظر فيه إلى مقدار ما يكلف الدولة من نفقات . وقد قدمت الفرقة طائفة مختارة من هذا الأدب الراقى متأثرة بالفكرة التى أوحت بانشائها . ولعل من الخير أن تبقى هـــذه الخطة ترسمها « الفرقة المصرية للتمثيل والموسيق » .

وإنى أوافقك على ضرورة التقدم إلى زميلى وزير الشئون الاجتماعية بالسعى لتحتفظ الفرقة برسالتها الأولى فى خدمة المسرح المصرى العربى خدمة تقوم على أساس من الفن الرفيع والأدب العالى . وتفضل بقبول تحيات المخلص

محمد العشماوى

نوادر المخطوطات العربية فى المكتبة التيمورية :

فى المكتبة التيمورية التى ضمت إلى دار الكتب المصرية من عشر سنوات حوالى عشرين ألف مجلد من أقيم المؤلفات بينها بضع مئات من الكتب المخطوطة النادرة فى مختلف علوم اللغة والدين والفقه والأدب وسواها ، ولمناسبة ظروف الحرب نقلت هذه الكتب كلها من المكتبة العامة إلى المغارات فى المعادى لحفظها فيها ، وقد بدئ أخيراً باعادتها جميعاً إلى موضعها فى دار الكتب .

وقد تقرر تكليف القسم الأدبى بالدار بمراجعة المخطوطات النادرة فى المكتبة التيمورية لاختيار ماينبغى نشره وطبعه منها ، وبين هذه المؤلفات الخطية نحو ٥٠٠ بأيدى بعض جلة العلماء لتكون خاصة بمكتباتهم ، و٣٠٠ بأيدى المؤلفين أنفسهم ، و٤٠٠ ليست مؤرخة ، و ٣٠٠ بها تواريخ كتابتها وهى منذ القرن الهجرى السادس وما بعده .

وقد ندب للقيام بهذا العمل الأستاذ أحمد لطفى السيد ، والأستاذ محمد عبد الجواد الأصمعى من محررى القسم الأدبى .

١ — نص ثالث

كنت قد أشرت فى جوابى للأديب الذى عقب على مقالتى (من غزل الفقهاء) بشأن بيتى عروة بن أذينة ، إلى نصين معتبرين : نص الأغانى للاصبهانى (الجزء ٢١) ونص البكرى فى شرح الأمالى لأبى على القالى (١ : ١٣٧) ، على أن البيتين لعروة لا لعمر بن أبى ربيعة وإن ذكرا فى ديوانه الذى جمع فى عصر متأخر ، وأخذها من هناك (فيما يظهر) الأستاذ العقاد . وقد أرانى اليوم الطالب النابغة السيد عصام العطار من طلاب المعهد العربى فى دمشق نصاً ثالثاً أورده شاكراً له مثنياً عليه .

جاء فى الجزء الأول من زهر الآداب للحصرى (ص ١٥١) :

« وكان عروة بن أذينة على زهده وورعه ، وكثرة علمه وفهمه ، رقيق الغزل كثيره (إلى أن قال) ومرت به سكينة

واستبدلوا من كوخه جنةً ... من رافه العيش وفردوسه
هـــذى أمانيه ، نواعيرهُ ... أشجتْ بها الشادوف فى مَيسه
يلهو الحمى الناعم فى خيرها ... عن مأتم الفلاح فى عُرسه
خلّوه والسلم رفيف المنى ... يستقبل الآمال من شمسه
إن تُسعدوه اليوم فى ظله ... ينس مرير العيش من أمسه
أو تُنهضوه تنهضوا بالحمى ... وترفعوا المخفوض من رأسه

حسن جاد حسن

بقلم الأستاذية بكلية اللغة العربية



طفـــل من القرية

تأليف الأستاذ سيد قطب

للأستاذ وديع فلسطين

وهذا صوت آخر من القرية يردده الأستاذ القدير سيد قطب فيدعو فى أسلوبه التهكمى الخاص إلى تدارك الريف المصرى بعناية أولى الأمر ، لأن الجهالة لا تزال تخيم على عقول قطانه ، والفقر ما فتئ يحرمهم قوتهم ، والداء ما برح ينهش أبدانهم فى غير رحمة ولا إشفاق ، والخرافات تتناقلها الألسن والأجيال فتصير لها صفة الحقيقة الماثلة الثابتة .

هى ذكريات وعاها الأستاذ سيد منذ كان صبياً يعيش فى القرية ويتعلم فيها ويخضع لقوانين الفطرة التى لم تكن المدنية قد تغلغلت إليها بعد . ذكريات شاء أن يدونها فى كتابه الجديد « طفل من القرية » يبسط فيه أحوال طلاب الكتاتيب والمدارس الأولية ومدرسيهم وأهليهم وبيوتهم وعاداتهم ووسائل تربيتهم وتطبيبهم .

فهو يحدثك عن الأولياء والمشايخ الذين يقدسهم الريفيون وينسبون إليهم أداء أعمال يعجز عنها الطب ويحار فيها نطس المطببين . فإذا مرض طفل أمكن شفاؤه بحمله على الرقاد ليلة إلى جانب رجل مجذوب مخلول العقل ! وإذا عالج « تمورجى » عليلا وشفاه ، جعلوا منه طبيباً نابه الذكر يؤخذ برأيه وإن كان خطلا ، وتنفذ مشورته وإن كان فيها القضاء العاجل على السقيم ! وإذا باع رجلا جانباً من أرضه ليوسع على نفسه قليلا فى معيشته وبرد عنه الضائقات ، حزنت زوجه وانتحبت وبكت بئس المصير ! وإذا هجر ابن القرية إلى المدينة طلباً فى المزيد من العلم ، وما

بنت الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم فقالت له : أنت الذى تزعم أنك غير عاشق ، وأنت تقول :

قالت وأبثثها سرى (الخ) البيتين .

والله ما خرج هذا من قلب سليم قط » .

ولو تتبعت المصادر لوجدت نصوصاً أخرى كثيرة ، ولكن المسألة أهون من أن يبذل فيها هذا الجهد .

٢ — جواب

على ما نشر فى بريد « الرسالة » (٦٦٦) :

جوّز أبو حنيفة وحده ولاية المرأة القضاء فى المدنيات دون الجنائيات ومنعها سائر الفقهاء ، ولم يعرف التاريخ امرأة واحدة وليت القضاء .

أو ما كفى المرأة أن تكون (نائبة) الرجل ووكيلته فى الدار ، حتى تكون (نائبة) الأمة فى البرلمان و (نائبة) العدل فى المحكمة ؟

إنه ما بعد هذه (النائبات) إلا أن تكون هى (القاضية) !

على الطنطاوى

القاضى

جامعة أدباء العروبة :

اجتمع مجلس إدارة جامعة أدباء العروبة فى دار الدكتور محمد وصفى نائب رئيس الجامعة طائفة من رجال البيان والأدب وتدارسوا فيما بينهم وسائل النهوض بالأدب ليؤدى رسالته كاملة فى تحقيق الوحدة العربية والحرية والكرامة لشعوبها . وتكلم حضرات الأساتذة صاحب المعالى دسوقى أباظة باشا ، والدكتور وصفى ، والدكتور اسماعيل حسين ، وطه عبد الباقى سرور ، وعبد العزيز الاسلامبولى ، ومحمد عبد المنعم إبراهيم المحامى ، ومحمد عبد الوارث الصوفى ، وعبد الله شمس الدين ، وخالد الجرنوسى ، وعبد الحميد الاسلامبولى ، ومحمد مصطفى حمام . ثم قرر الحاضرون إقامة مهرجان لأدب الربيع فى النصف الأول من شهر مايو المقبل ، وترجو الجامعة من حضرات الشعراء والأدباء الذين يريدون المساهمة فى هذا المهرجان الاتصال بالسكرتارية ١٩٦ شارع محمد على تليفون ٤٧٣٥٠ .

إلى قراء الرسالة فى سورية ولبنان :

نرجو أن تطلبوا من شركة فرج الله ماينقصكم من أعداد الرسالة ولا سيما الأعداد التى تأخرت عنكم أثناء الإضراب فى فلسطين .

يستتبع ذلك من جاه مؤات ومستقبل مضمون ، ودعته عائلته بالزفرات الحارة ، وسكبت على فراقه العبرات مدرارة ! وإذا أمّت القرية بعثة طبية تتقصى حالات البلهارسيا والانكلستوما وديدان الاسكارس ومدى تفشيها فى القرية ، كان الإهمال ديدنها وأداء المهمة بُغيتها ، ولا جرم إذا كانت جميع المعلومات التى حصّلتها فى بحوثها غير دقيقة ! وإذا لعبت الجرذان ليلا فى كومة تبن على جانب طريق ، شاع أن الجن والعفاريت يقطنون هذا المنعرَج ، وأن السير فيه خطر لا تؤمن مغبته ! وإذا اقتنى رجل كتاباً فى السحر وفك العقد ، سعت إليه النسوة متخفيات ، واستعرنه ليقرأنه فى خلوة بمنأى عن الأنظار !

هذا بعض ما عكف الأستاذ قطب على الإسهاب فى وصفه وتصويره فى كتاب « طفل من القرية » فى سلاسة وبساطة مصحوبتين بتهكم وازدراء . وهو لا يكتم ألماً ممضاً دفيناً بين جوانحه على تلك الحالة الفاشية فى القرى المصرية ، ولا يخفى رغبة مشبعة بالأمل فى إصلاح تلك الأحوال المؤسية المؤسفة .

ولئن كانت بعض المدارس الأدبية الحديثة تبشر بدعوة جديدة قوامها أن يسخّر الأدباء أقلامهم — ولو قليلا — فى خدمة المجتمع والدفاع عن قضاياه ، فإن كتاب الأستاذ سيد قطب يعد مساهمة طيبة منه فى هذه الحركة المباركة وتأييداً لهذا الاتجاه المحمود .

الزواج والمـــــرأة

للأستاذ أحمد حسين

لفضيلة الأستاذ محمود أبو العيون

أهدى إلى الكاتب الألمعى الأستاذ أحمد حسين كتابه « الزواج والمرأة » ولقد قرأته بإمعان وتأمل فرأيته قد عرض لمسألة المرأة من نواح كثيرة كانت موضع جدل ونقاش عنيف بين كتاب الاجتماع فى العصر الحديث — عرض لنظرية الداعين إلى محاربة الغريزة الجنسية وتعطيل عملها فى الحياة ولنظرية الدعوة إلى الإباحة الجنسية إطلاقا وخطرها على الأمن والسلام ... وعرض بإسهاب للدولة والأسرة ، وأن الأسرة أوفق للمجتمع الصحيح ولنظرية التسوية بين الرجل والمرأة فى الوظيفة ، ولمسألة الزواج والأمومة ، هل فيهما غض من شأن المرأة ، ثم عرض للمرأة وحقوقها فى الإسلام ، وللبحث فى السفور والحجاب وللشروط اللازمة لنجاح الحياة الزوجية

وفى الحق إن عرض الأستاذ لتلك النظريات والبحوث كان عرضاً شيقاً بديعاً وفى أسلوب رائع حكيم وأدب رفيع ومنطق سليم ؛ ومما بهرنى وأخذ فى نفسى ما أثبته بالأدلة من الكتاب والسنة من حقوق المرأة فى الإسلام مما لم يتوفر مثله للمرأة الغربية التى تحررت من القيود والأوضاع .

بقى أنه عرض فى ختام كتابه لمسألة تعدد الزوجات والطلاق فى الإسلام ، ووددت لو كان قلم الأستاذ قد بلغ نهاية الشوط مجلياً ، ولكنه للأسف حاول ربط آيتى العدل فى النكاح : « وإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة ، ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم » ، ليصل من ذلك إلى ما قصد إليه ، وهو وجوب الاكتفاء بزوجة واحدة ، وأن القرآن ذهب فى رأيه إلى حد كاد يلغى معه هذا الحق « تعدد الزوجات » أصلا ، ولكن الربط الذى فهمه وقرره غير صحيح ، فإن معنى العدل فى الآية الأولى كما فسره فقهاء المذاهب جميعاً العدل فى النفقة وفى المبيت ، والعدل فى الآية الثانية قصد به العدل المطلق ، وهو يشمل المحبة والميل ، وهذا ليس فى استطاعة الإنسان مما لا يصح التكليف به ، ولهذا أتبع الله ذلك بقوله : « فلا تميلوا كل الميل » ، فقال صلى الله عليه وسلم ما معناه : « اللهم إنى قد عدلت فيما أملك فاغفر لى فيما تملك وما لا أملك » ، أى العدل فى المحبة ، وقد ثبت أنه عليه الصلاة والسلام كان يحب بعض نسائه أكثر من البعض الآخر ، وقد مرض مرة فكان يحمل من بيت إلى بيت استيفاء للعدل فى المبيت بين أزواجه ، فاستأذن نساءه فى أن يتمرض فى بيت عائشة فأذن له .

فالعدل فى الآيتين ليس واحداً ، والتوفيق بينهما ما قلناه ، كما هو ظاهر واضح ، وللأستاذ العظيم رأى فى تعدد الزوجات غلا فيه عن أكثر القائلين بتقييده فهو يرى منع التعدد إطلاقا ولأى سبب من الأسباب ، وغيره يرى منع التعدد لعاجز عن الإنفاق على أكثر من واحدة فحسب .

محمـــد عبده

لفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ مصطفى عبد الرازق

للأستاذ محمد عبد الحليم أبو زيد

شيخ الأزهر الحالي شخصية لها جهادها الحافل في خدمة الفلسفة ، والأدب ، والتاريخ ، والدين . ولها تأثيرها القوى فى هذا الإزدهار العلمى المتوثب ، وفى تقديمه اليوم لشخصية — محمد عبده — من معانى الوفاء ، والتقدير ما يعد مأثرة من مآثره العديدة فى ميدان الوفاء ، ومن أولى بالإحتفاء بأنجب أبناء الأزهر من الأزهر ، وشيخ الأزهر ، وهو المكان الذى غذاه ـ الإمام ـ بعلمه ، وتعهده بجهاده ؛ حتى صار متجه فكره ، وهدف إصلاحه ومسرح نشاطه ...

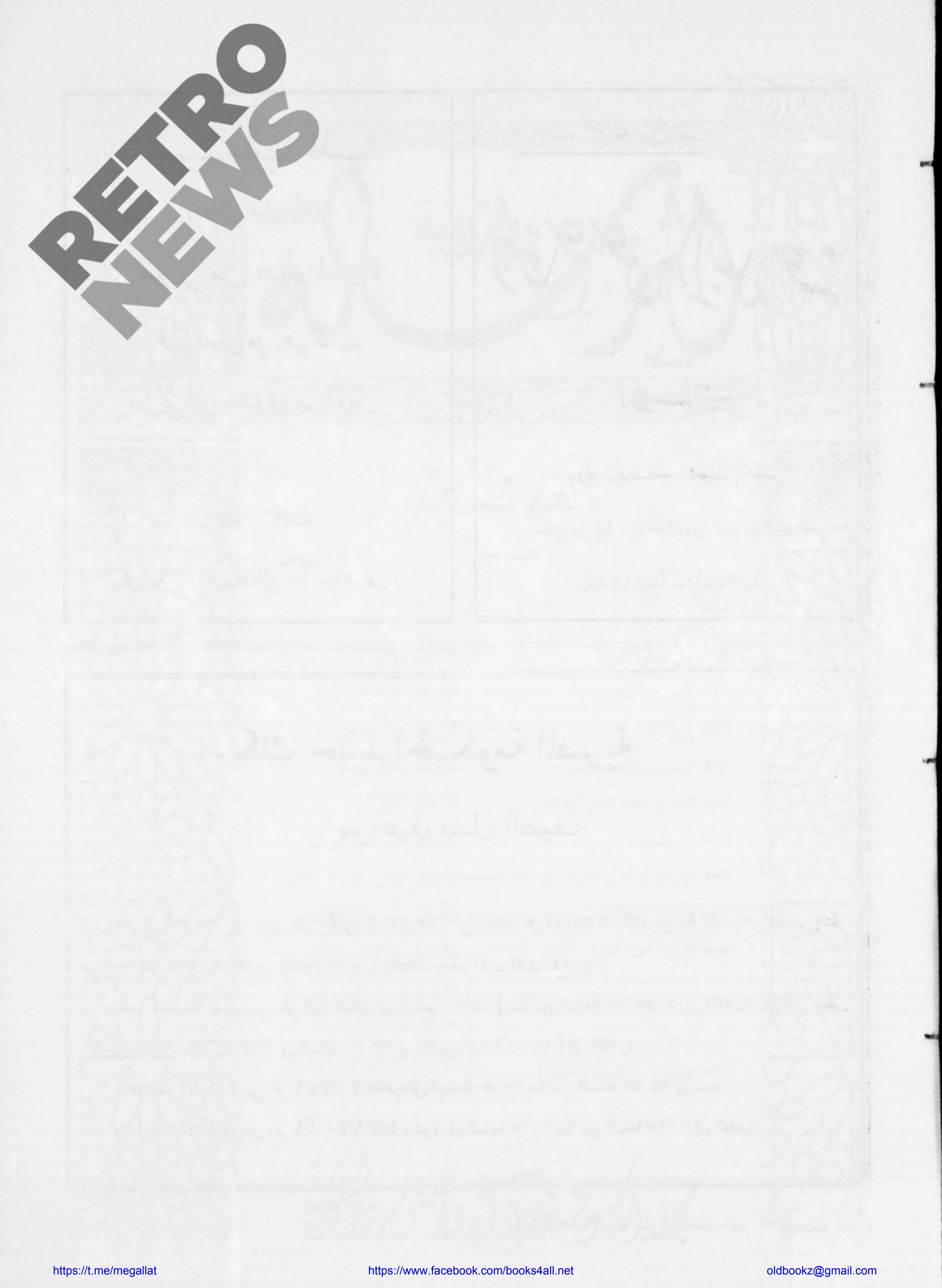
لقد أقدم شيخ الأزهر على دراسة شخصية الإمام دراسة علمية ترتكز على إبراز تلك العوامل المختلفة التى لها أثرها الفعال القوى فى تكوين شخصيته ، وصقل رأيه وقوة منطقه ، وتزويده بتلك الخصائص التى كان لها فى مجرى سياسة أمته ، وعقليتها ، ودينها أقوى المؤثرات ، وشخصية الإمام لها أكثر من جانب ، فعلى من يأخذ فى تصويرها أن يسرح طرفه فى كل تلك النواحى ويعمل عقله حتى يتهدى له الإلمام بها ؛ فكان لها مجالها فى الثورة العرابية ، ولها رأيها فى المبادىء الوطنية ، ومذاهب الإصلاح ، وفى ميدان التدريس والصحافة . وهذا النضج العلمى الذى يطالعك فى كل ما يتناوله ، وصلته بالأفغانى ، وكفاحه فى الأزهر ونشأته ، كل هذا يتطلب من يجلوه ، ويكشف عنه بدراسة الأسباب التى انتهت إلى المسببات ، أو المقدمات التى أنتجت هذه النتائج ، وليس هذا بالمركب الذلول ؛ بل هو مزلة الأقدام ومضلة الأفهام ، فتحليل الظواهر الفكرية والخلقية ، والرجوع بها إلى مصادرها الأولى ؛ دونه كل مشقة وعسر . ولقد وفق الأستاذ الأكبر فى إعطائنا تلك الصورة على تعدد جوانبها ، واختلاف نواحيها ، على أتم ما تكون جلاء ، وأوفى ما تكون دقة ودراسة وتمحيصا ، فعرفنا الإمام فى نشأته ودراسته ، وفى الأزهر ، ومع الأفغانى ، ودعوته إلى الإصلاح ، والتقينا به فى ميدان التدريس والصحافة ، وتبينا مبادئه الوطنية ، ومنهجه فى الإصلاح ، وموقفه من الثورة العرابية .

ورأينا فى تعدد الزوجات معروف وهو الإباحة المطلقة وفى تقييده شر مستطير ... بعض هذا الشر يمس الأخلاق والآداب وبعضه يمس ناحية الاجتماع ، والكلام فى ذلك كثير لا تحتمله هذه العجالة العابرة .

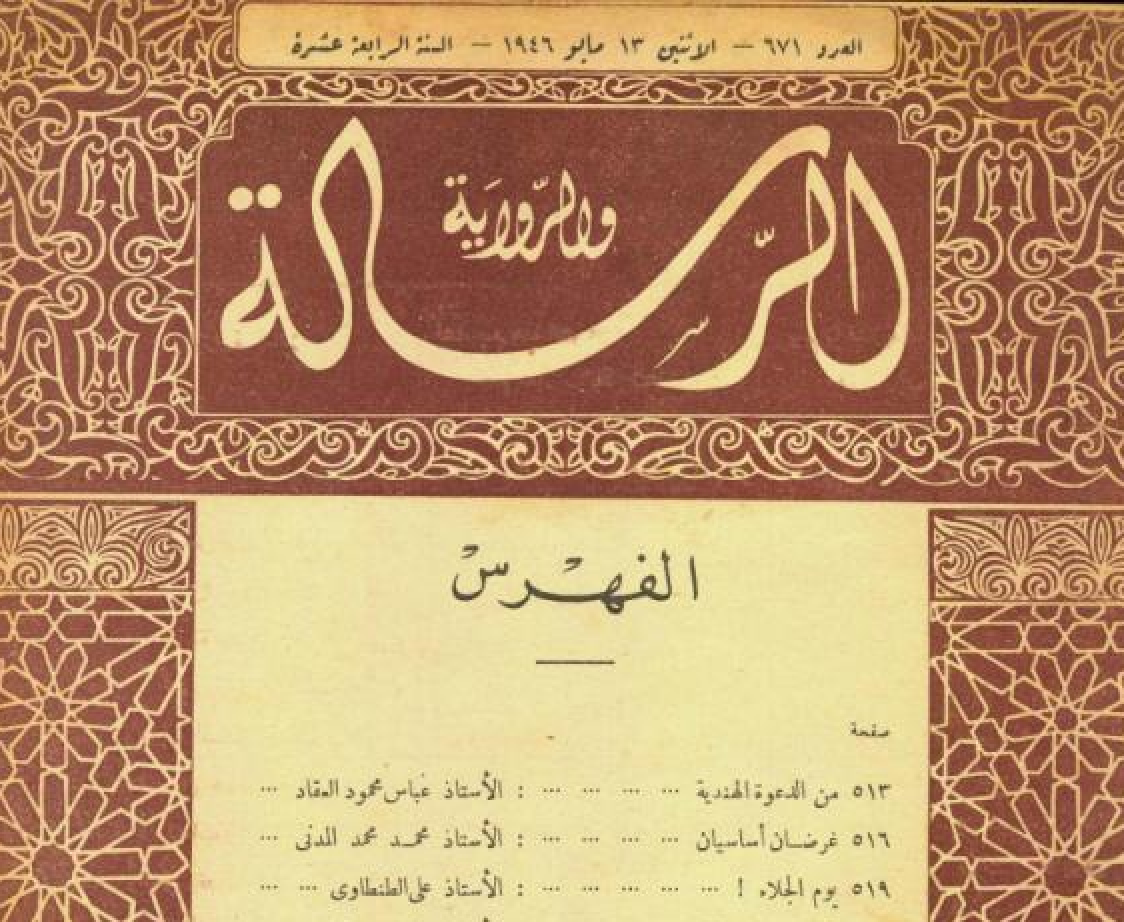
أما الطلاق فله فيه رأى ، وهو اشتراطه أن يقع فى ساحة القضاء ... فهو بهذا الشرط قيد حقاً ثابتاً منحه الشارع الحكيم للانسان وأعطاه الحرية الكاملة أن يطلق حينما يشاء — واستحب أن يتقدم ذلك بعث حكم من أهل الزوج وحكم من أهل الزوجة « إن يريدا إصلاحاً يوفق الله بينهما » ولكن الأستاذ على أى حال كان أيسر من غيره ممن رأى تقييد الطلاق بقيود لم تكن مشروعة فى كتاب الله ولا سنة رسوله فهم يدينون من طلق بغير إذن القاضى ويرون تعزيره وحبسه بل والحكم عليه بالتعويض لمطلقته .

ولقد كتبنا فى هذا الموضوع ووفيناه حقه وأدرك جمهور المسلمين ماينجم عن تعدد الزوجات وعن تقييد الطلاق من الشرور مما يهدد نظام المجتمع ويفسد قدسية الأخلاق .

وبعد فاننا نثنى الثناء الجم على الأستاذ الجليل أحمد حسين لجهوده المشكورة التى بذلها فى هذه البحوث القيمة ونظرياته السليمة ، وندعو الله سبحانه وتعالى أن يكثر من أمثاله العاملين المجاهدين .


RETRO
NEWS

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)

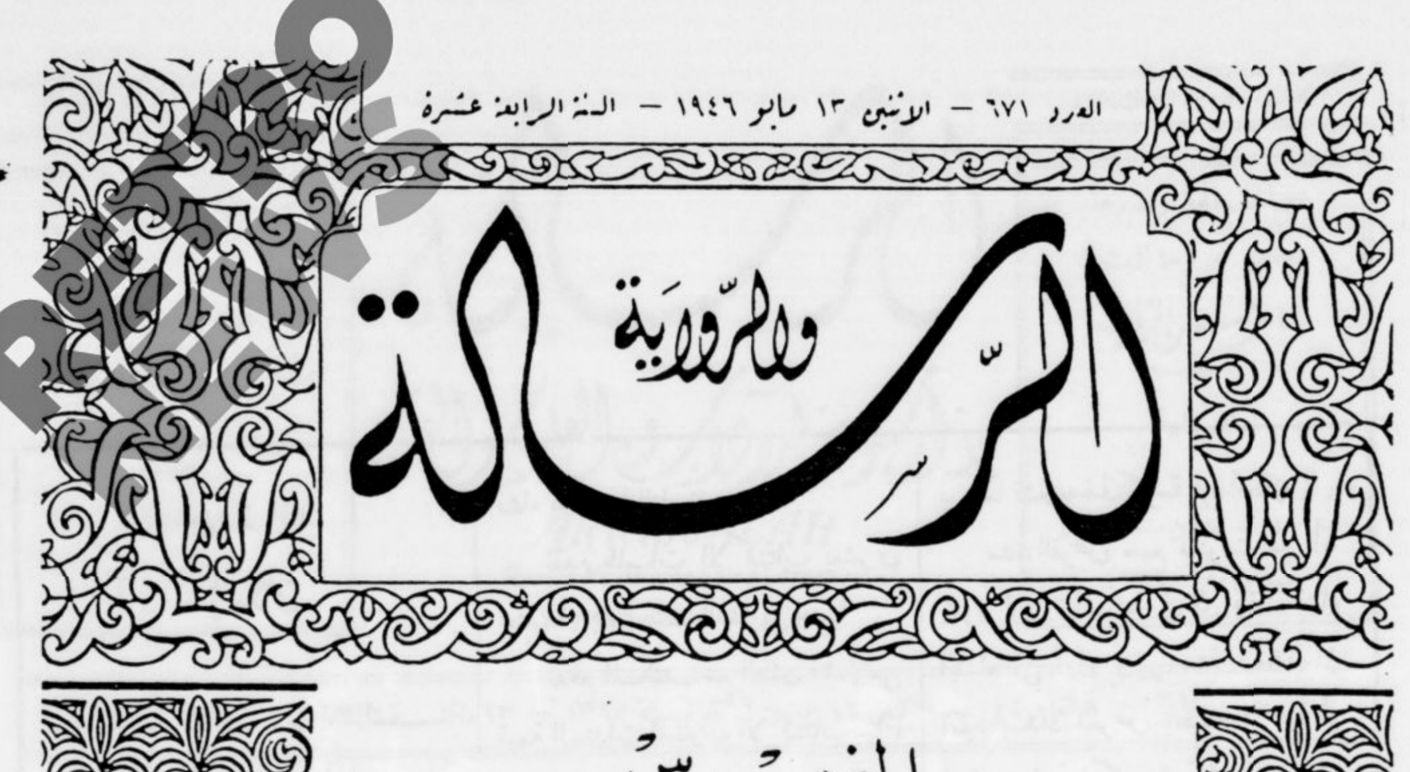


الفهرس

صفحة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ٦٧١ — الاثنين ١٣ مايو ١٩٤٦ — السنة الرابعة عشرة



الفهرس

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

وزارة المالية

إعلان

تنفيذاً للقانون رقم ٤٧ لسنة ١٩٤٦ بالترخيص لوزير المالية بإصدار قرض بمبلغ ٣٠ مليون جنيه لمدة سبع سنوات وبفائدة سعرها ٢¼ ٪ لتمويل القطن الذى تشتريه الحكومة ، قررت وزارة المالية قبول طلبات الاكتتاب فى هذا القرض ، وقد اعتمد الاكتتاب فى ٢٠ مليون جنيه منه ، والباقى وقدره ١٠ مليون جنيه معروض للاكتتاب العام .

يبدأ الاكتتاب بالبنك الأهلى المصرى بالقاهرة والاسكندرية فى أثناء ساعات العمل بالبنك المذكور من يوم الاثنين ٢٠ مايو سنة ١٩٤٦ وللحكومة أن تقفل باب الاكتتاب فى أى وقت تشاء بعد هذا التاريخ .

تقدم طلبات الاكتتاب بعشرين جنيها أو بمضاعفات العشرين جنيها يدفع المكتتب مع الطلب ٢٠٪ من قيمة السندات المطلوب الاكتتاب بها ، أما الباقى فيجب دفعه ، بعد التخصيص ، فى ميعاد لا يتجاوز ٣١ مايو سنة ١٩٤٦

تدفع فائدة القرض بواقع ٢½ ٪ سنويا كل ستة شهور بواقع نصف الفائدة السنوية فى أول يونيو وأول ديسمبر من كل سنة على أن تدفع فوائد الستة الشهور الأولى فى أول ديسمبر سنة ١٩٤٦ عن نصف سنة بالكامل

رأس مال القرض وفائدته معفيان من كل ضريبة مباشرة أو غير مباشرة حالية أو مستقبلة فيما عدا رسم الايلولة على التركات .

وتكفل سداد القرض وفوائده موارد الخزانة العامة وبوجه خاص ثمن بيع ما تشتريه الحكومة من أقطان .

مدة القرض سبع سنوات غير أنه يجوز لوزارة المالية فى أى وقت تشاء ابتداء من أول يونيو سنة ١٩٤٨ أن تقوم بسداد القرض بالقيمة الاسمية أو أن تستهلكه استهلاكا جزئيا بالقيمة الاسمية بطريق الاقتراع بجلسة علنية .

سندات القرض لحاملها وتصدر بالفئات الآتية) ٢٠ جنيها و ١٠٠ جنيه و ٥٠٠ جنيه و ١٠٠٠ جنيه .

وسيعطى للمكتتبين شهادات موقتة يمكن التعامل بها فى بورصتى الأوراق المالية بالقاهرة والاسكندرية .

ويمكن الحصول على نسخ من البيان ونماذج طلبات الاكتتاب من البنك الأهلى ومن البنوك الأخرى بالقاهرة والاسكندرية وكذا من سماسرة بورصتى الأوراق المالية .

(٥٣٠٦)

14 me Année No. 671

Lundi—13—5—1946

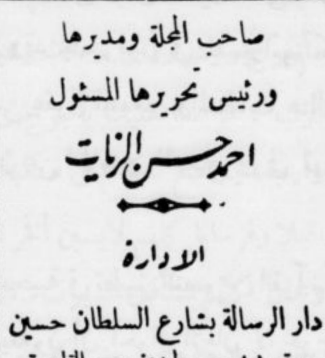
الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire

Scientifique et Artistique


صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٦٧١ « القاهرة فى يوم الإثنين ١٢ جمادى الآخرة سنة ١٣٦٥ — ١٣ مايو سنة ١٩٤٦ » السنة الرابعة عشرة

من الدعوة الهنـــدية

للأستاذ عباس محمود العقاد

أتلقى منذ كتبت بالرسالة مقالى عن الإسلام والنظام العالمى الجديد كتبا ورسائل مطبوعة وغير مطبوعة ، يتكلم المطبوع منها عن القاديانى والجماعات التى تناصره أو تنفصل عنه ، وتفسر الرسائل الأخرى بعض ما يؤخذ على الدعوة القاديانية أو تنحى على هذه الدعوة باللائمة وتحاسبها على التفرقة بين المسلمين وإحداث البدع فى عقائد الإسلام .

ومن أعجب هذه الرسائل رسالة مؤيدة للقاديانى من زاوية الحصنى بدمشق طبعت فى أعلاها الشهادتان والبسملة ، وأن الدين عند الله الإسلام ، ثم هذه العبارة : « نحمده ونصلى على رسوله الكريم وعلى عبده المسيح الموعود ، وقال كاتبها : « إن أحمد عليه السلام ادعى النبوة حقا ، وليس فى ادعاء النبوة مخالفة للاسلام أو لدين من الأديان كما تقولون ، وإن المسيحية تنكر مجىء أحد بعد المسيح عليه السلام سوى رجوعه إليها بالرغم من وجود ذكر النبى بعد المسيح فى أول إصحاح من إنجيل يوحنا . وأما القرآن المجيد فآياته بينات واضحات فى بقاء الوحى وبقاء النبوة غير التشريعية ، ولا يوجد غير آية واحدة تخالف حسب تفسير الشيوخ الآيات الكثيرة المفسرة بعضها لبعض وهى قوله تعالى : « ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين » . ولم يتفق المفسرون على معنى لفظ خاتم النبيين بمعنى آخرهم زمنا ، وهم لو اتفقوا لنجم عن اتفاقهم تكذيب للقول بمجىء المسيح عليه السلام . فإن لفظ خاتم النبيين لا يفيد انقطاع النبوة بل على العكس يفيد ضرورة عرض كل دعوى من دعاوى النبوة على خاتم النبيين أجمعين محمد صلى الله عليه وسلم ليختم ويصدق على صحتها سواء أكانت تلك الدعوى قبله أم بعده ... »
إلى آخر ما قال فى هذا المعنى .

على أن البريد قد حمل إلينا رسائل أخرى تنفى عن القاديانى أنه ادعى النبوة بمعنى من معانيها المعروفة فى الأديان الكتابية ، ومن تلك الرسائل رسالة مطبوعة فى لاهور أذاعتها « الجماعة الأحمدية لإشاعة الإسلام » وذكرت فى صدر البيان عن هذه الجماعة أن مقاصدها هى خدمة الإسلام وتوحيد المسلمين والدفاع عن الدين ونشر الدعوة إليه ، وأن أعمالها لخدمة هذه المقاصد هى تأليف بعوث للتبشير فى أنحاء العالم وتدريب المبشرين على هذا العمل ، وترجمة القرآن الكريم إلى لغات مختلفة ، واستخدام الإذاعة فى تعميم الآداب الإسلامية . ثم شفعت ذلك بتلخيص عقائدها وهى :

١ — إننا نعتقد باختتام النبوات بمحمد ، كما قال مؤسس الجماعة : إنه لا نبى من الأولين أو الآخرين يعقب نبينا المعظم ، وإن الذى ينكر ختام النبوات يعتبر خارجا عن حظيرة الإسلام وليست له عقيدة فيه .

٢ – وإننا نؤمن بأن القرآن الكريم كتاب الله الكامل والآخر ، وإنه باق لم ينسخ منه جزء إلى آخر الزمان .

٣ – إننا نحسب من المسلمين كل من يشهد بأن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله كائنا ما كان المذهب الإسلامى الذى ينتمى إليه .

٤ – وإننا نعد حضرة مرزا غلام أحمد القاديانى مؤسس الحركة الأحمدية مجدد القرن الرابع عشر ، ونثبت أنه ما ادعى النبوة قط كما قال بكلامه : إننى لا أدعى النبوة ... وكل ما أدعيه أننى محدَّث ، وأن معنى المحدث هو الذى يسمع كلام الله ... كلا . ما أنا مدع للنبوة وما مدعى النبوة عندى إلا خارج على الدين ، وإنما يكذب علىّ الذين يحسبوننى من أولئك المدعين » .

وأيا كان الصدق فيما يقال عن دعوى النبوة هذه من إثباتها أو إنكارها ومن قبولها أو رفضها فإن الصدق الذى لا نشك فيه هو أن أتباع القاديانى يخسرون بادعاء النبوة له ولا يكسبون ، وأن حركة التجديد فى الإسلام يقوم بها الداعون إليها دون حاجة منهم إلى أمثال هذه الدعاوى التى تفض الأنصار وتفرق المتفقين ، ولا تستميل إليها أحدا من المؤمنين بالأديان فى المشرق أو المغرب ، إن لم تجمعهم كلهم على محاربتها وتكفير المبشرين بعقائدها .

ونعود فنقول إننا قرأنا شيئا من الكتب التى ألفها المجددون المسلمون فى الهند ممن لا يقولون بنبوة القاديانى ولا يقولون بأنه هو المسيح الموعود أو مهدى آخر الزمان ، فلم نر فى أقوالهم ما يمس عقائد الإسلام وإن كانت لهم تفسيرات وتخريجات لا يقرها جميع الفقهاء ، وشأنهم فى التفسير والتخريج شأن الفرق الإسلامية التى تجتهد فى الدين ولا تنقض أصلا من أصوله ، فهى فى حظيرة الإسلام لا تضيق بها حرية البحث التى كفلتها للباحثين هذه الديانة السمحة فى مختلف العصور والأقطار .

ومما تتميز به هذه الجماعات المجددة أمران :

« أحدهما » فرط النشاط فى التبشير بالدعوة المحمدية وترجمة الكتب النافعة فى هذا المسعى إلى اللغة الانجليزية على الخصوص مع المثابرة على نشرها وترويجها فى أمريكا وأوربة والجزر البريطانية ، وإسناد هذا العمل إلى فئة من الشبان المثقفين المستعدين لدفع الاعتراض العقلى أو النقلى بالمعقولات التى يفهمها الغربيون ، أو بالنصوص التى يتوسع أولئك الشبان فى تفسيرها على نحو كفيل بالإصغاء والاقناع . وقد يتصرفون فى تفسيراتهم كما قدمنا ولكنهم يقتربون بها من عقول المتعلمين والمتعلمات هناك فلا يعرضون عنهم كما يعرضون عن الجامدين المتحجرين فى فهم الكلمات والحروف .

والأمر الآخر طرائفهم العجيبة فى تطبيق النصوص القرآنية على الأحوال الزمانية ، لأنهم يعلمون أن أحوال الزمان لا تخرج على مدلول تلك النصوص إذا اهتدى ذوو البصيرة إلى فهمها وحسن تطبيقها ، وما دام القرآن كتابا باقيا لا يختص به عصر دون عصر ولا قبيل دون قبيل ، فهو يحتوى فى مضامينه كل ما يشغل المؤمنين به فى العصور الحديثة كما احتوى فى مضامينه كل ما شغل المؤمنين به منذ نزوله فى عصر النبى عليه السلام .

وهذا مثل من أمثلة كثيرة من طرائف هذه التطبيقات العصرية التى ينشرونها باللغة الانجليزية ، وهو رسالة عنوانها : « تسليم أوربة وأمريكا » أى تحويلهم إلى عقيدة الاسلام Islamization of Europe and America لمؤلفها السيد محمد على مترجم القرآن إلى الانجليزية ومؤلف الرسالة التى لخصناها عن نظام العالم الجديد .

فالسيد محمد على يستشهد فى صدر هذه الرسالة بكلمة للكاتب المشهور برنارد شو فى « الزواج » يتنبأ فيها بأن الامبراطورية البريطانية كلها ستدين بديانة إسلامية منقحة قبل نهاية القرن العشرين » .

ويقول السيد محمد على إن هذه النبوءة قديمة فى القرآن والتوراة ، ولكن الذين يقرأون الكتب السماوية لا يفطنون لمعانيها ولا يفسرونها على وفاق مدلولها . فان ظهور المهدى أو المسيح بين المسلمين مقرون بظهور المسيخ الدجال ، وسيادة بعض الأمم التى سميت بأجوج ومأجوج !

والقرآن الكريم يقول عن يأجوج ومأجوج إنهم سينطلقون فى اليوم الموعود « وتركنا بعضهم يومئذ يموج فى بعض ونفخ فى الصور فجمعناهم جمعا » وأنهم كانوا محبوسين محجوزين « حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون » .

قال السيد محمد على : وقد ذكرتهم التوراة فى سفر حزقيال

حيث جاء فيه : « يا ابن آدم اجعل وجهك على جوج أرض مأجوج رئيس روش ما شك وتنبأ عليه وقل : هكذا قال السيد الرب . ها أنذا عليك يأجوج رئيس روش ما شك وتوبال ، وأرجعك وأضع شكائم فى فكيك وأخرجك أنت وكل جيشك خيلا وفرسانا كلهم لابسين أفخر لباس ، جماعة عظيمة مع أتراس ومجانّ كلهم ممسكين السيوف : فارس وكوش وفوط معهم كلهم بمجن وخوذة ، وجومز وكل جيوشه وبيت توجرمه من أقاصى الشمال مع كل جيشه شعوبا كثيرين معك » .

أو حيث جاء فيه : « ها أنذا عليك يأجوج رئيس روش ما شك وتوبال ، وأردك وأقودك وأصعدك من أقاصى الشمال .

فهل يدرى القارىء من هم يأجوج ومأجوج هؤلاء فى رأى السيد محمد على ورأى القاديانى من قبله ؟

إنهم هم الروس والإنجليز ، أو السلاف والتيوتون فى الشمال ؛ ومصداق ذلك أن الماشك قريبة من الموسكو ، وأن الروش قريبة من الروس ، وأن ميشك وتوبال نهران فى روسيا تنسب إليهما موسكو وتوبلسك العاصمتان المعروفتان الآن ، وأن الروس والانجليز معا قد جمعوا شعوب الأرض للتغالب على ملك الدنيا ، وسينقلب بعضهم على بعض ويموج بعضهم فى بعض ، قبل أن يجمعهم داعى السماء إلى كلمة الحق والسلام .

وهذا مثل من أمثلة التفسيرات والتطبيقات التى قلنا إنهم يترخصون فيها ويمتدون بها إلى حوادث الزمان الحاضر وما يليه ، ويعتقدون أنها وما سيعقبها من الحوادث العالمية مكنونة فى آيات الكتب السماوية تنتظر من يفتح الله عليه بفهمها وإدراك مغازيها فيتولى تبصير الأمم بما أنذرتهم به السماء وما ساقته إليهم من البشائر ، وهم لا يفقهون .

أما الفتح أو الإلهام فقد جاء فى كتاب من تأليف ميرزا أحمد القاديانى نفسه عنوانه « تعاليم الإسلام » وموضوعه حل المشكلات الدينية من وجهة النظر الإسلامية . وفيه أن العقل والتعليم مصدران من مصادر المعرفة الإلهية ولكنهما فى مرتبة دون مرتبة الإلهام ، وأن الإلهام درجات تبدأ بالحدس الصادق وتنتهى « بعين اليقين » وهو أعلى مراتب الملهمين ، وأنه من الخطأ أن نخلط بين الإلهام الفنى والإلهام الدينى ، لأن الإلهام الفنى قد يكون فى الشر كما يكون فى الخير . وقد يقال إن اللص وهو يحاول سرقة المكان سنحت له خاطرة ملهمة لتيسير السرقة ، ثم تيسير الهرب من الحراس ، وليس هذا من الإلهام الربانى فى شىء ، وإنما يكون إلهام الله فى سبيل الحقائق العليا والكشف عن الأسرار الروحية والنفاذ إلى لباب الخلق وبواطن الحكمة الإلهية ، وهذه منزلة يرتقى إليها طلاب الوصول إلى الله ومنهم ميرزا أحمد القاديانى فى رأيه وآراء مريديه .

وبعد فإن الأمر الجدير بالعناية من حركة هؤلاء الدعاة أنهم يذيعون محاسن الإسلام ويجتهدون فى نشره وتفسير الاعتراضات الغربية التى تتجه إليه ، وفى هذه الحركة نفع مشكور ، وإن لم تبلغ مرماها المقصود من « تسليم الأوربيين والأمريكيين » لأنها تزيل الشبهات ، وتدحض الأكاذيب ، وتقرب بين الشعوب ، وترفع المسلمين فى أنظار الأمم التى كانت تظن بهم الظنون .

أما التفسيرات التى ذكرنا آنفا مثلا من أمثلتها فلا ضير فيها ما دامت تصون الإيمان ولا تفسد العقل بما يناقض التفكير المستقيم . ونعود فنقول إن الغيورين على الدعوات المجددة على اختلافها يخسرون بالغلو فى تعظيم أئمتهم ، ويكسبون لعقائدهم ولأولئك الأئمة كما وقفوا على حد الاعتدال .

عباس محمود العقاد

غرضـــان أساسيان

للأستاذ محمد محمد المدنى

غرضان أساسيان يجب أن يرى إليهما كل من تهمه حالة الأمة الثقافية ، ويغار على مستقبل الدين والشريعة واللغة العربية ؛ ولا أعتقد – مهما تعددت الآراء ، وتقارعت الحجج أن أحدا ينـازع فيهما على الحقيقة ، أو يغض النظر عما تجنيه الأمة من إصابتهما .

هذان الغرضان هما :

١ – توحيد الثقافة العامة بين أبناء البلاد .

٢ – الاحتفاظ بما تفردت به مصر – بفضل الأزهر – من تخريج طائفة من العلماء بعضها يبرز فى الدين ، وبعضها يبرز فى الشريعة ، وبعضها يبرز فى اللغة العربية .

والأول من هذين الغرضين أمر طبيعى بالنسبة للأمم ، ذلك بأن الأمة السعيدة الهانئة المثمرة القديرة على أن تؤدى رسالتها فى الحياة ، هى الأمة المتقاربة ثقافة ، المنسجمة عقولا ، المتفاهمة أفرادا ، المتوحدة النظرة إلى نواحى الحياة . ولا تجد أمة تفرقت بها الأسباب فى الدين أو اللغة أو الأفـكار أو الآمال أو الآلام أو الغايات إلا كانت أمة مقضيا عليها بالقصور والضعف والخمول والتقطع والانحطاط والذل .

والثانى من هذين الغرضين أمر عظيم قد ندبت له العنـاية الإلهية مصر من بين سائر الأمم ، وجعلته من أسباب زعامتها على العالم العربى ، وكان لها ذكرا فى الأولين ، وسيبقى لها – إن شاء الله – لسان صدق فى الآخرين .

على هذا الأســاس يجب أن يدور الـكلام ، وبهذا الميزان يجب أن توزن الآراء ، فالنظام الذى يستطيع معه الأزهر أن يحقق هذين الغرضين ، هو النظام الحسن المقبول ، وأى نظام يظلم أحدهما أو كليهما يجدر بنا أن ننظر إليه فى احتياط وحذر .

والأستاذان الـكبيران : الزيات والعقاد ، يقرران هذا ، فهما حين يدعوان إلى توحيد الثقافة العامة لا يغضان النظر عن رسالة الأزهر ، ولا عن حاجة الأمة الإسلامية لهذه الرسالة .

فالأستاذ الزيات يقول : « إن العالم لا يسعد إلا بالدين ، وإن الدين لا يجدد إلا بالأزهر ، وإن الأزهر متى استـكمل أداة التعليم ، وساير حاجة العصر ، نهض بالشرق نهضة أصيلة حرة ، تنشأ من قواه وتقوم على مزاياه وتتغلغل فى أصوله . ذلك لأن ثقافته المشتقة من مصدر الوحى وقانون الطبيعة متى اتصلت بتيار الفـكر الحديث تفاعلت هى وهو ، فيـكون من هذا التفاعل ما يريد الله به تجديد دينه وكفاية شرعه وإدامة ذكره » .

والأستاذ العقاد يقول : « الجامعة الأزهرية معهد يراد به البقاء ، ما فى ذلك ريب عند أحد من المصريين ، لأنها مرجع العلوم الدينية والثقافة العربية ، وهى عدا هذا أقدم جامعة فى العالم بأسره ، فالأمة التى تملـكها قمينة أن تحافظ عليها ، وتستديم بقاءها وازدهارها » .

ويقول حين يعرض لمدارس الفـكرية الإسلامية ومحصولها العظيم : « إن هذا المحصول لايعقل أن يستوفيه طلاب جامعة من جامعات الدنيا غير الجامعة الأزهرية ... وإنه أمانة لا بد لها من حفيظ بين أمم الحضارة الإنسانية ؛ فمن عساه يكون أولى بحفظ هذه الأمانة من معاهد الأزهر وعلمائه ؟ ومن أين لهذه المذاهب وهذه الدراسات من يفهمها ويصبر على تمحيصها واستخلاص زبدتها فى غير مصر والبلاد العربية ... وليس فى غير المعـاهد الأزهرية مكان لاستيفاء هذه الواجبات والأعمال » .

ففيم إذن الخلاف ، وقد اتفقنا على القاعدة والأساس ؟

١ – لقد أظهرت التجارب أن الدين والشريعة الإسلامية واللغة العربية لا يمـكن دراستها دراسة عالية لها حظ من التبريز والتفوق ، ما لم يسبق ذلك إعداد خاص وتـكوين معين يستطيع معهما الطالب أن يخوض هذا المجال . ومن تلك التجارب التى أصبحت معروفة مشهورة مسلما بها أن طلاب دار العلوم وطلاب قسم اللغة العربية بكلية الآداب إنما يفلح منهم ويتقدم فى طريقه بخطى ثابتة ، أولئك الذين درسوا دراسة أزهرية حتى نالوا الشهادة الثانوية ، أما الذين درسوا على نظام التجهيزية أو الذين حصلوا على الشهادة الثانوية الحـكومية فإنهم يلاقون الأمرين فى دراستهم للغة العربية ، ويحملون منها وتحمل منهم عبأ ثقيلا يود كلاهما لو استطاع أن يتخفف منه . وقل مثل ذلك فى طلاب كلية الحقوق فإنهم لا يزالون يعتبرون دروس الشريعة الإسلامية أشق الدروس لا فرق فى ذلك بين من لم يحصلوا على الليسانس ومن حصلوا عليها والتحقوا بقسم الدكتوراه ، وما ذلك إلا لأنهم لم يتمرسوا بما يتمرس به الطلاب الأزهريون فى دراستهم الابتدائية والثانوية

ولم يعودوا البحث والفهم الاستقلالى وتلقى كتب الشريعة كما عود الأزهريون .

على أن الطالب الأزهرى نفسه إذا لم يكن قد أتقن دراسته الابتدائية والثانوية ، وكون بها عقله تكوين فهم واستقلال ، فإنه يعانى فى الكليات ويعنى ، وقد لا يتمكن من الاستمرار فى هذه الدراسات العلى .

٢ — والمدارس الثانوية التابعة لوزارة المعارف مكتظة بالبرامج فى كل ناحية إلا فى النواحى التى تمد للدراسة الأزهرية العليا . والتعليم الثانوى مع ذلك موضع شكوى عامة لضعفه ، فإن جميع كليات الجامعة تشكو من هذا الضعف « الذى تبدو آثاره فى المعلومات العامة واللغات العربية والأجنبية » وتشكو من « أن الطلبة لا تتحقق فيهم الصفات المطلوبة للدراسة العالية من حيث روح التعقل وقوة الملاحظة والاعتماد على النفس وحب البحث ، حتى إنهم يضطرون أساتذتهم إلى إملاء الدروس عليهم إملاء مما يعوق سير الدراسة العالية فى صورتها الكاملة »

بذلك تشهد تقارير وزارة المعارف نفسها ، ومنها نقلت مانقلت من النصوص؛ فإذا أردنا أن نقوى هذا الطالب فى دراسته الثانوية ليكون قادراً على الدراسة فى الكليات الأزهرية فماذا نصنع معه ؟ والمفروض أن هـذا الطالب لم يدرس على الطريقة الأزهرية فيما تلقى من التعليم الابتدائى ، وأنه لم يربعد علوم الأزهر ولم يألف أساليبه فى البحث والدرس . أنضيف إليه أعباء أخرى فوق أعبائه التى ينوء بها كاهله ؟ أنكلفه بدراسة النحو والصرف والبلاغة والفقه والتوحيد والمنطق والعروض وما إليها من العلوم التى لا بد من حصول الطالب الأزهرى على قسط وافر منها يحيط به إحاطة فهم وتدبر ، ويهضمه عن تعقل وتصرف ؟ وهل يؤدى ذلك إلا إلى ضياعه من الناحيتين ، واشتداد ضعفه ؟

وهبنا ألزمناه درس هذه العلوم الأزهرية إلى جانب منهاجه الحكومى ، أفندرسها له بمقدار ما كان فى التعليم الابتدائى الأزهرى فننزل بالمستوى الثانوى إلى المستوى الابتدائى ؟ أم بمقدار المنهاج الثانوى فكيف يطيقه ؟

٣ — ومن حق القراء علينا أن نذكر لهم هنا منهاج المعاهد الأزهرية الابتدائية ليعلموا : أنتنى عنها المدارس الابتدائية الحكومية فنلغيها من الأزهر ؟ أم هى معاهد واجبة البقاء لأنها تحقق الغرضين : توحيد الثقافة العامة ، والتمهيد للدراسة الأزهرية الثانوية والعالية .

قد يظن بعض الناس أن الطالب الأزهرى الابتدائى إنما يدرس بعض الأحكام الفقهية ، وبعض العقائد الدينية ، وبعض كتب اللغة العربية ، وأنه إنما يتاقى إلى جانب ذلك تجويد القرآن وطرفا من سيرة الرسول والصحابة ، أما ما وراء ذلك من مواد الثقافة العامة فهو منها محروم ، ولذلك نسمع النداء بوجوب توحيد الثقافة العامة كأن الأزهر يعيش فى صومعة ، ولا يشارك فى دنيا الناس ! كلا أيها القراء : إن الأزهر فى معاهده الابتدائية يدرس على منهاج جامع شامل لايذكر بجانبه منهاج المدارس الابتدائية ؛ وبين يدى الآن هذا المنهاج الأزهرى ، ولو استطعت لنقلت لكم صورة منه ، ولكنى أقربه إليكم تقريبا :

مواد الدراسة بالقسم الابتدائى على وجه الإجمال هى : الفقه بمذاهبه الأربعة . التوحيد ، السيرة النبوية وسيرة كبار الصحابة تجويد القرآن الكريم ، الإنشاء ، النحو . الصرف . الإملاء . المطالعة والمحفوظات . التاريخ . الجغرافيا . الحساب . الهندسة . الجبر . تدبير الصحة . الرسم . الخط .

ففى الفقه يقرأ كتابان أحدهما صغير فى السنة الأولى ، والآخر أكبر منه فى السنوات التى تليها ، وفى النحو تقرأ كتب أربعة : الأجرومية وشرحها ، والأزهرية ، وشرح القطر ، وشذور الذهب؛ وفى الصرف يقرأ كتاب متوسط فى سنتين ، والتوحيد يقرأ فى ثلاث سنوات ، وفى التاريخ تدرس كل الموضوعات التى يدرسها تلاميذ المدارس الابتدائية من تاريخ مصر القديم والحديث بتوسع؛ وتزيد المعاهد سيرة النبى صلى الله عليه وسلم وكبار الصحابة ، والحساب فى المعاهد أوسع جداً من الحساب فى المدارس ، وقل ذلك عن الهندسة والجغرافيا وتدبير الصحة ... الخ .

فماذا بقى على الطالب الأزهرى فى المعاهد الابتدائية من مواد الثقافة العامة حتى ينادى المنادون بضرورة استكماله ؟ لم يبق إلا اللغة الأجنبية ، ولسنا نجد مانعا من إدخالها فى المعاهد الدينية ، بل نحن نرى ذلك واجبا فليخفف عن الطالب الأزهرى كتابان من كتب النحو الأربعة مثلا ، ليعطى بدلها لغة أجنبية فى سنتيه الثالثة والرابعة كما يعطى تلاميذ المدارس ، وحينئذ تكون معاهد الأزهر الابتدائية قد أعطت الأمة طلابا يشاركون فى ثقافتها العامة

ويمتازون بعلوم الشريعة والدين واللغة على طريقتهم الخاصة التي لا غنى لهم في أقسامهم الثانوية ولا في دراساتهم العالية عنها .

فإذا قيل : إن هذا المنهاج المزدوج ثقيل على الطالب فإننا نقول: إن طالب الأزهر ليس كتلميذ المدرسة الابتدائية ؛ فالأول يلتحق بمعهده بين الثانية عشرة والسادسة عشرة بينما يلتحق الثاني بين الثامنة والعاشرة ، فهذا الفرق في السن يجعل الطالب ناضجا قادرا على تحصيل ما يكلف تحصيله من هذه العلوم في سهولة ويسر ، ولذلك مزية أخرى هي أن طالب الأزهر يستطيع في الفترة الأولى من حياته وقبل انتسابه إلى معهده أن يتفرغ لحفظ القرآن الكريم الذي هو شرط أساسي لقبوله ، والذي هو أمر ضروري لطالب الدين والشريعة واللغة : يقوم لسانه ، ويصلح لهجته : ويضبط لغته ، ويكون مرجعه الملازم له في العقائد والآداب والأحكام ، بل يكون له طول حياته كنزاً لا يفنى ، ومعيناً لا ينضب .

وقد دلت التجارب على أن من لم يحفظ القرآن الكريم في أول حياته وعهد صباه المبكر ، فلن يستطيع حفظه بعد ذلك . وليس من الممكن أن يستكمل التلميذ في المدرسة الابتدائية علومه ولغته الأجنبية ثم يكلف في أثناء دراسته الثانوية أن يحفظ القرآن .

هذا ، وفي المعاهد الدينية بعد ذلك معنى لا ينبغي أن ننساه : ذلك هو تربية الطالب تربية دينية يستمدها من هذه المصادر التي يعتمد عليها في دراسته من كتاب وسنة وعقائد وأخلاق وأحكام تشريعية وكتب تغلب عليها الروح الإسلامية ، وتغرس في نفسه حب الدين واحترام الشريعة وتقديسها ، فيشب على ذلك ويشيب عليه ، وبذلك نكون قد أوجدنا طائفة من مثقفينا تتحمس للدين والخلق الإسلامي الكريم ، وتغار على علومنا وآدابنا القومية في وسط هذه التيارات المضطربة الجامحة التي تهدد كياننا ، وتكاد تقطع الصلة بيننا وبين ماضينا المجيد . وقد أدرك هذا المعنى غيرنا من رجال الأديان الأخرى ، فهم يبكرون بإعداد رجل الدين منذ نعومة أظفاره ليضمنوا له التحمس الديني والانفعال الروحي على صورة تصاحبه طول حياته ، لأنها تكون قد ارتسمت في نفسه ، وصادفت منه قلباً خالياً فتمكنت كما يقولون . فأين لنا مثل ذلك إذا اعتمدنا على تلميذ المدرسة الابتدائية ، وهو لا يعرف من دينه إلا معارف سطحية لا تسمن ولا تغني من جوع ؟

٤ — أما الدراسة الثانوية في الأزهر ، فقد كانت عدلت مناهجها يوماً ما لتكون مشابهة تمام المشابهة لمناهج المدارس الثانوية بزيادة العلوم الدينية واللغوية والعقلية ؛ فلما طبق هذا النظام بدأ وجه الخطأ فيه سافراً ، فقد طغت علوم المدارس على العلوم الأزهرية ، وعلى روح التفكير والاستقلال في البحث المقصود بثها في نفوس الطلاب ، وحينئذ لم يجد الأزهر بداً من إلغاء ذلك النظام وإحلال النظام الحالي مكانه ، وهو نظام لم يقطع الصلة بين الطالب الأزهري وبين مواد الدراسة الثانوية المدرسية قطعاً ، ولكنه زحزح هذه المواد عن مركز الصدارة ليفسح لعلوم الدين والشريعة واللغة والعلوم العقلية مجالا لا تجده في غير هذه المعاهد ، وهذا من غير شك تصرف حكيم ، على أن يضاف إلى برامجه أيضاً دراسة اللغة الأجنبية كما في المدارس الثانوية .

هذا هو رأيي الذي وعدت به في مقالي السابق، وأعتقد أني قربت به من شقة الخلاف ، بل لعلي أزلت أسباب الخلاف ، وما كان الأستاذ الزيات ، وهو الذي يعيب على الأزهر الضعف ، وتعطيل العقل ، وإبطال الاجتهاد ، ويرجو بالأزهر تجديد الدين ، ونهضة الشرق عن طريق ثقافته المشتقة من مصدر الوحي وقانون الطبيعة ؛ ما كان ليرضى أن يبتر الأزهر هذه البترة النكراء ، أو أن يجادل في الحق بعد ما تبين ؛ وذلك أيضاً ما أعتقده في الأستاذ الكبير العقاد الذي يتحدث عن العقلية الأزهرية حديث الاعتراف والإعجاب ، وما كانت العقلية الأزهرية لتفوز بهذا الاعتراف وهذا الإعجاب لو نشئت في المدارس الابتدائية .

أما بعد ، فإن الأزهر — كما قلت في مقالي السابق — لا يحتاج إلى تعديل جوهري في نظامه الحاضر ، وإنما يحتاج إلى « تنفيذه » معنى وروحاً بأيد قوية حازمة ، وأعين بصيرة ، وقلوب مؤمنة ، وعقول على التدبير له والتفكير في شأنه مقصورة ... وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ...

محمد محمد المدني

(الرسالة) : يوافقنا صديقنا الأستاذ المدني على الغرضين المفهومين من اقتراح الرسالة وهما : « تجديد الأزهر وتوحيد التعليم على الوجه الذي يحفظ للأزهر طابعه وللأمة وحدتها » ولكنه يخالفنا في التطبيق . وأرى أن المناقشة في تطبيق المبدأ قبل إقراره عناء لا يجدي ، وبناء لا يقوم .

يوم الجــلاء ...!

للأستاذ على الطنطاوى

– ٢ –

فى عمر الإنسان ساعات هى العمر، تفنى الليالى وتنقضى الأعمار وتخلد هذه الساعات ذكرى فى قلوب البنين. وفى تاريخ الأمم أيام هى التاريخ، تمرّ السنون متحدرّة فى درك الماضى، منزعة إلى هوّة النسيان، وتبقى هذه الأيام جديدة لا تبلى، دانية لا تنأى، مشرقة لا تغيب ... وللإنسانية أيام هى ركن الإنسانية، لولاها ما قام لها بنيان، ولا ثبت لها وجود ... أيام قد عمت بركاتها، وشملت خيراتها البشر جميعاً ... أيام هى ينابيع الخير والحق والعدل فى بيداء الزمان، وهى المفخرة لأمة أرادت الفخار، وما أكثر هذه الأيام الغرّ فى تاريخنا! تلك الأيام التى أفضلنا فيها على العالم كله، وسمونا به إلى ذرى الحضارة: يوم الهجرة، وبدْر، والقادسيـة، واليرموك، ونهاوند، وأيام قتيبة وابن القاسم فى المشرق، وعقبة وطارق فى المغرب، ومحمد الفاتح فى الشمال، ويوم عين جالوت، وحطين، واليوم الأغرّ الذى أعاد لنا يوم حطين، وكان فجر اليوم الجديد للعرب بل للمسلمين أجمعين: (يوم الجلاء)!

إنه يوم مُعْلَم فى موكب الزمان، إنه شَعَارَة من شعائر المجد يقف عليها الفلك كلما دار دورته وقفةً فيها خشوع وفيها فرح وفيها إجلال. إننا قد ابتهجنا بالجلاء، وهتفنا له ورقصنا وصفقنا، وملأنا منازل العربية أنساً به وفرحا، ولكنا لم نعرف قدر يوم الجلاء، إنما يعرفه من سيأتى بعدنا، يعرفه غداً من ينعم بظلّ هذه الشجرة التى نبتت اليوم. هنالك وقد امتدت فروعها ونمت حتى ظلّلت بلاد العربية والإسلام، يقول أبناؤنا: ياما أكرم ذلك القضيب الطرىّ الذى صار الجذع الضخم لهذه الدوحة الباسقة! وهنالك يبلغ من خطر هذا اليوم أنه سيمجد الجيل الجديد شيوخاً قد لا تكون لهم مزية إلا أنهم رأوا هذا اليوم بعيونهم، وعاشوا فيه حقيقة لا بالخيال. وسيجلس هؤلاء الشيوخ فى صدور المحافل يحدثون الناس عن الذى رأوه، ويصفون كيف بدت تباشير الفجر المبارك، ليوم العروبة الجديد، وسيكون لكل حركة تحركناها اليوم وكل كلمة قلناها، معنى كبير لا نتصوره نحن الآن! سيصير هذا اليوم بتفصيلات وقائعه ودقائق أحداثه ملكا للتاريخ الذى يقدس كل ما يدخل حماه، ويومئذ يُعرف (يوم الجلاء)!

* * *

وقد زعم العداة أننا فرحنا هـذا الفرح لأننا أُعطينا ما لم نكن نحلم به، كالفقير المسكين إذ يطلب فلساً فيمنح ديناراً، كلا! إننا لم نأخذ إلا الأقل من حقنا. إن الجلاء ليس عجباً، وإنما كان العجب العجاب أن يكون فى ديار الإسلام احتلال. العجب أن لا نحكم نحن الأرض ونحن خلقنا من أصلاب من حكموها، وورثنا القرآن الذى به دانت لهم الأرض!

ولكنا فرحنا لأن الله جعلنا نقرأ هذا التاريخ الماجد العظيم قبل أن يكتب، وأن ندرك أول الاقبال كما شهدنا آخر الادبار، فنحن المخضرمون ... وإذا كان نور التوحيد قد سطع من الحجاز فكانت المدينة عاصمـة الراشدين، ثم مشى إلى دمشق فصارت عاصمة الأمويين، فكذلك كان مطلع شمس الحرية، بدت من الحجاز والجزيرة فكانت أول قُطر لنا خلا من أجنبى، ثم امتدت أنوارها إلى دمشق ... وهى تمشى الآن إلى القاهرة وإلى بغداد، ثم تسلك طريق الأندلس، الفردوس الاسلامى المفقود الذى سيعود، والطريق الآخر الذى يصل إلى الـ (باكستان) ديار الأطهار(١)، فلا يبقى فى ظلال المآذن كافر يحكم بغير ما أنزل الله!

وزعموا أن هذا الجلاء قد أتى عفواً بلا تعب، وأننا لم نرجف عليه بخيل ولا ركاب، ولولا أنها جاءت به مصلحة الانجليز ما جاء! وكذب هؤلاء الزاعمون ولؤموا ...

كذبوا والله ... أو فليخبرونى: أجاهدت أمة على ضعفها وقلة عددها، وعلى كثرة عدوّها وقوته مثلما جاهدنا؟ إن فى

(١) وتلك ترجمة الكلمة، والباكستان أمنية كل مسلم فى الهند، يقودهم إلى تحقيقها مولاى محمد على جناح لا يشذ عنها إلا أبو الكلام أزاد وقليل من المسلمين معه.

مصر العزيزة سبعة عشر مليونا ، وفى أندونسية سبعين ، وفى الهند مائة ، ونحن لا نعدّ كلنا بدونا وحضرنا ، رجالنا ونساؤنا ، أكثر من ثلاثة ملايين ، وقد ابتلينا بفرنسا ذات الطيش والحمق والملايين المائة والعُدَدَ والآفات .. فسلوا الفرنسيين : هل أرحْناهم يوماً واحداً من ميسلون إلى يوم الجلاء ؟ أما ثرنا على فرنسا وكسرنا جيوشها فى خمس مواقع ؟ سلوا الجنرال ميشو القائد الذى حارب الألمان عند المارن: أما أباد حملته مجاهدون منا ، لم يتعلموا فى مدرسة حربية ولا درسوا فنون القتال ، وغنمنا عتادها كله فلم يعد من الحملة بعد معركة المزرعة إلا مائتان وخمسون جندياً فقط ! سلوا النوطة عن معارك الزور وعما صنع حسن الخراط ؟ سلوا النَبْك وجبالها ، وحماة وسهولها ، وجنرالات الفرنسيين عن بطولة قوادنا الأبطال ، فوزى القاوقجى ، وسعيد العاص ، والبطل المفرد سلطان الأطرش ، وعشرات وعشرات إن لم أعدهم اليوم ، فما يجهلهم أحد !

أما ضرب الفرنسيون دمشق أقدم مدن الأرض العامرة بالقنابل مرتين ، فى عشرين سنة ؟ أما أحرقوا حىّ الميدان وهو ثلث دمشق ودمّروه فلم ينهض من كبوته إلى اليوم ؟ أما أضرموا النار فى جرمانا والمليحة وزبدين وداريا ودير بحدل والهيجانية والغزلانية وتلّ مسكن ودير سلمان وقرى أخرى لا يحصيها من كثرتها العدّ ؟

بل سلوا شوارع دمشق ودروبها وساحاتها ، عن إضراباتها ومعاركها ومظاهراتها ؟ أما لبثت فى مطلع سنة ١٩٣٦ خمسين يوما مضربة لا تجد فيها حانوتا واحداً مفتوحاً ، مقفرة أسواقها كأنها موسكو حين دخلها نابليون ، فتعطلت تجارة التاجر ، وصناعة الصانع ، وعاش هذا الشعب على الخبز القفار ، وطوى ليله من لم يجد الخبز ، ثم لم يرتفع صوت واحد بشكوى ، ولم يفكر رجل أو امرأة أو طفل بتذمر أو ضجر ، بل كانوا جميعاً من العالم إلى الجاهل ، ومن الكبير إلى الصغير ، راضين مبتهجين ، يمشون ورؤوسهم مرفوعة ، وجباههم عالية ، ولم نسمع أن (دكاناً) من هذه الدكاكين قد مس أو تعدى عليه أحد ، ولم يسمع أن لصاً قد مدّ يده خلال هذه الأيام إلى مال ، وقد كانت الأسواق كلها مطفأة الأنوار ليس عليها حارس ولا خفير ، فهل قرأ أحد أو سمع أن بلداً فى أوربة أو أميركة أو المريخ يسير فيه اللصوص جياعاً ولا يمدون أيديهم إلى المال المعروض حرمة لأيام الجهاد الوطنى ؟ ولقد بقى الأولاد فى المعسكر العام فى المسجد (الأموى) أياماً طوالا يرقبون وينظرون ، فإذا فتح تاجر محله ذهبوا فأغلقوه ... ففتح (حلوانى) مشهور ، فذهب بعض الأولاد فحملوا بضاعته ، صدور (البقلاوة والنمورة والكنافة) إلى المسجد ، وتشاوروا بينهم ماذا يفعلون بها ؟ فقال قائل منهم : نأكلها عقاباً له ! : اخرس ويلك ، هل نحن لصوص ؟ ثم أرجعوها إليه بعد دقائق وما فيهم إلا جائع ! !

فهل قرأتم أو سمعتم أن صبيان باريز ولندن ونيويورك فعلوا مثله ؟

وقد عمد الفرنسيون آخر أيام الإضراب إلى فتح المخازن قسراً ، فكان أصحابها يدعونها مفتوحة ولا يقتربون منها ، وفيها أموالهم التى تعدل أرواحهم

و (التبرعات) ؟ ألم يكن الناس يعطونها من غير أن يطلبها منهم أحد ؟ ألم يكونوا يتسابقون إلى دفعها ؟ ألم يرفض كثير من الناس أخذ (الاعانات) ويقولوا : اعطوها غيرنا ممن هم أحوج إليها منا ، نحن نجد طعاماً هذا النهار !

لقد وقع هذا وشاهدته أنا مراراً ، فأىّ وطنية أعظم من هذه الوطنية ؟ وأى اتحاد أوثق من هذا الاتحاد الذى تصبح فيه المدينة كلها أسرة واحدة ؟

والبطولة والجهاد ؟ ألم يفعل الشاميون الأفاعيل ؟ ألم يهجموا على النار والحديد ، ويقاوموا بالحجارة أروع وأبشع ما وصلت إليه حضارة الغرب من ضروب التقتيل والإهلاك والتدمير ؟ ألم يفتح الأطفال صدورهم للرصاص ؟ ألم يصمد الفتية العزل للجيش اللجب لا يزولون حتى يزول عن مكانه هذا الجبل ، ثم يصدمونه صدمة الند للند ، ثم لا ينجلى الغبار إلا عن حق يظفر أو شهيد بقتل ، أو جريح يؤسر ؟ ألم تلبث دمشق مدة الانتداب

وهى فى حرب ساحتها شوارعها وميادينها ، لا تكاد تختفى منها الخنادق والأسلاك والرشاشات والدبابات حتى تعود فتظهر مرة أخرى ، ولا تهدأ النار فى ركن من أركانها حتى يندلع لسان النار فى ركن آخر ، ودمشق ثابتة على جهادها ؟

ألم يشيّع الأمهات أبناءهن إلى المقبرة ضاحكات هاتفات ؟ ألم يجاهد الطفل الصغير ، والمرأة العجوز ، والشيخ الفانى ؟ ألم تمتلئ السجون بالأبرياء ، ألم تضق المقابر بالشهداء ؟

فهل تكلم تاريخ هؤلاء الفرنسيين فى آذانهم ؟ هل عرفوا لهذا الشعب حقاً ، هل قدروا له تضحيته ، هل رفعوا قبعاتهم عن رؤوسهم حينما كانت تجوز بهم مواكب شهدائه ؟ هل خشعت قلوبهم حينما رأوا مسيل دمائه ؟ لا . إنهم نسوا تلك الدعوى الكاذبة ، دعواهم أن أجدادهم هم الذين أعلنوا حقوق الإنسان ، وأنهم غسلوا بدمائهم صفحة الاستعباد والاستبداد ، ونسوا ما كتبه روسّو وفولتير ومنتسكيو ، وما قاله ميرابو وسييس ولافاييت ، وما كان يكذب به الفرنسيون (أيام ثورتهم تلك) على الشعوب ، إذ يعلنون أنهم نصراء المظلومين !

إنى ماخططت هذه الكلمات لأؤرخ فيها جهاد الشام ، فانها تؤلف فيه الأسفار الضخام ، ويخلد حديثه على طول المدى ، وما ذكرت نبأ إضراب الخمسين ، لأنقصى أخباره ، وأجمع حوادثه ، وإنما أردت أن أردّ كذبة ما زلنا نسمعها حتى من الأصدقاء ...

وما عظمة جهادنا فى هذا الإضراب الشامل وحده ؛ ولا فى المظاهرات الدامية ، ولا فى القتال والنضال ، بل العظمة فى هذه التربية الوطنية العجيبة التى أثبت الشعب العربى فى الشام أنه بلغ فيها غاية الغايات ، فكان فى اتحاده واجتماعه على الفكرة الواحدة وتحمله الجوع والألم فى سبيلها ، وإقدامه على الموت من أجلها ، مثلا للشعوب القوية الحرّة . وما ظنك بشعب فقير يدع فيه التاجر مخزنه ، والعامل مصنعه ، والطالب مدرسته ، ثم يؤلفون جميعاً صفاً واحداً ، فينتزع حقه من أفواه البنادق ، ومنافذ الدبابات ويسجل جهاده على ثرى وطنه بمداد دمه ؟

وما ظنك بشعب تودع فيه المرأة ولدها ، ثم تدفعه إلى الشوارع ليجاهد ويناضل ، ثم ينعى إليها ، ثم يحمل إلى دارها ميتاً ، فتغسله بيدها ، وتخرج فى جنازته تهتف وتزغرد ، ودموعها تسيل على خديها ، وتدع المرأة أولادها بلا عشاء لتدفع المال للفقراء من أبناء الوطن ...

أيقال لهذا الشعب إن استرد حريته ، وجلا عن أرضه عدوّه : لقد جاءك الجلاء عفواً وبلا تعب ؟

كلا . إنها ما جاهدت أمة مثل جهادنا ، ولا حملت مثل ما حملنا . إنا قد رأينا الموت ، وألفنا الفقر ، واعتدنا الجوع ، وأصبحت مدينتنا بلاقع ، وأهلها مفجوعين ، ونساؤها ثاكلات ، أفيكثر علينا أن ننعم بالجلاء ؟ وهل أخذناه بعد ذلك منحة من الانكليز ؟

كلا ثم كلا ، إنا أخذنا حقنا بعون الله ثم بعزائمنا ، ولو والله عاد فاستلبه منا أهل الأرض مجتمعين لقارعناهم عليه ونازلناهم حتى نستعيده كاملاً أو نموت دونه . وليس فى الدنيا أقوى ممن يريد الموت ، لأن الذى يريد الموت لا تخيفه وسائله ولا آلاته !

* * *

أستغفر الله ! اللهم إنا نبرأ إليك من أن نعتمد على أنفسنا ، فانه لا حول ولا قوة إلا بك ، اللهم لك الحمد وبك التوفيق ، ولا اعتماد إلا عليك .

اللهم لك الحمد على أن أحييتنا حتى رأينا هذا اليوم العظيم ، وشهدنا جيشنا يعرضه زعيمنا تحت علمنا ... فان هذه الفرحة تطغى على تلك الآلام ...

على أننا لم نعرض هذا الجيش الصغير الذى ربّاه الفرنسيون ، وأعانهم على حرب هذا الوطن ، ثم جاءنا تائباً فقبلنا من كرمنا توبته ، واستغفرَنا فغفرْنا له حوبته ، بل عرضنا الفصيلة الأولى من جيش العروبة ، فرفرفت أعلامها فوق الصفوف ، واجتمع فيها جنودها من أقطارها كلها[1] ... هذه بقية جيش الماضى الذى خفقت له تحت كل نجم راية ، وسما له فى كل ربع علم ،

(١) إلا المغرب فك الله إساره .

وكتب له فى كل معركة ظفر ، وهذه نواة جيش المستقبل الذى سيعيد بعون الله تلك الأمجاد .

لقد طالما رأيناه يعرض علينا هذا الجيش ، يعرضه سادة الأمس كما يعرض المعلم الظالم عصاه على التلاميذ ، والطاغية الجبار سيفه. يقولون لنا : انظروا إلى قوة فرنسا ... واحذروا أن تفتحوا باسم الحرية أفواهكم ... وإلا نزلت هذه السيوف على أعناقكم ، وضربت هذه المدافع دوركم ، وكان هؤلاء الجند الذين هم أبناؤكم عونا عليكم ... فجاء رئيسنا يعرضه اليوم ، ليقول : انظروا إلى جيشكم الذي يذبّ عنكم ، ويحمى حريتكم ، إنه لكم !

فلا تلوموا دمشق إن مشت كلها من قبل مطلع شمس يوم الجلاء لتشهد هذا العرض . إنه عرض مبارك ، التقى فيه أول مرة الإخوان الذين كانوا يتعارفون على السماع لا يعرف الأخ منهم أخاه ، فمشى فيه الجندى المصرى إلى جانب العراقى ، والنجدى إلى جنب اللبنانى ، والأردنى مع اليمانى ، مشوا جميعاً فى طريق واحدة على قدم واحدة إلى غاية واحدة .

اسمعوا ، فهذه هى المدافع ترعد وتدوّى وتزلزل الجوّ رجّة واهتزازاً ! انظروا فهذه هى الطائرات تحوّم وتحمحم ، وتعلو وتنحط ، وتجئ وتذهب ، ولكن لاتفزعوا ، فانها لن تؤذيكم ، إنها ليست مدافع الفرنسيين التى تدمر ، ولا هى طائراتهم التى تصبّ الحمم ! لقد ذهب الفرنسيون ولن يعودوا . إنها مدافعنا نحن ، لقد صارت لنا ياقوم مدافع ... إنها طياراتنا ، لقد صار للعرب طيارات ، إنها أول مرة نسمع فيها المدافع تنطق بارادتنا وأيدينا ، ونرى الطيارات تعلونا فلا ترمينا بالقنابل التى فيها الموت بل بالقراطيس التى فيها السكر ، تسقط فى مظلات صغيرة هدية من مصر ومن العراق ، وبشرى بأن أيامنا الآتية ستكون حلوة كالسكر .

فيا أيها الإخوان المصريون والعراقيون : شكراً شكراً . ويا إخواننا جميعاً لكم الشكر .

أنتم أفضتم على هذا العيد بهاءه . أنتم ألبستموه رونقه . أنتم جعلتموه أعظم وأجلّ ، حين جعلتموه (يوم العروبة) كلها ، لا يوم سورية وحدها ، وبكم بعد الله قوينا على حمل أثقال الجهاد ، وأعباء الظلم ، حتى منّ الله علينا فظفرنا ، وعليكم أنتم سنتقف عزائمنا وأموالنا ومواعدنا ، وفيكم سنبذل مهجنا وأرواحنا ، حتى يمنّ الله على أقطار العربية كلها بالحرية كما منّ بها علينا ، بالحرية النقية التى لا تعكرها حماية ولا وصاية ولا انتداب ، إننا لن نالق السلاح وفى الدنيا بلد إسلامى يحتله أجنبى !

وأنت ياعلمنا ... اخفق مطمئناً ، فقد عدت إلى مكانك ، ولن تنزل منه أبداً . لن يغلبك عليه علم غاصب آخر ولو ظاهرته عفاريت الجن ومَرَدَة الشياطين وجاء معه بعشرة قنابل ذريّة ، لن يأخذه منك أبداً ونحن أحياء ، إلا علم (الوحدة العربية) أولاً ثم علم (الخلافة الإسلامية) ثانياً إذ يبقى فيه عالياً خفاقاً إلى يوم القيامة .

(دمشق) **على الطنطاوى**

بين الشرق والغرب

قمـــر مصر ...

فى سماء باريس

للأستاذ راشد رستم

صديق ...

لقد عدتَ يا صديق إلى مصر بعد أن أكملتَ فى الغرب دراساتك ، وها أنت ذا اليوم من آحاد الوطن الذين بهم يستبشر، ومنهم الخير ينتظر .

ولقد أديتُ لك ما طلبت منى – فزودت لك بما شئت من النظرات ، ومررت على ماسألتنى أن أمر عليـــه من المشاهد ، وجستُ خلال ديار أردتَ منى أن أذكرك فيها ، كما أنى وصلت لك ماانقطع برحيلك مع من كان بينك وبينهم مودة ...

ولعل فيما قمت لك به من الرغبات مايخفف عنى ما أنت فيــه الآن ، كما تقول ، من « وحشة المكان وغرابة السكان » ...

... أليس غريباً حقا أن يعود الوطن مكاناً للوحشة وأن يصير أهله موضعاً للغرابة ! .

***

لا تحزن يا صديق على عودتك من هنا « هــكذا سريعاً » كما تقول ، مع أنك مكثت فينا خمس سنوات كاملات ! وأنك خلفتنا هنا بعدك « نستمتع بحياة الغرب الهنيــة طويلا ، ونرشف من بحرها الطامى كثيراً وكثيراً » ...

تأكد يقينا أنك السابق فى رحلتك ، وأنك الفائز فى عودتك، أما نحن فسنحتمل الغربة زماناً آخر ، إلى أن نلحق بك لنجتمع كما كنا نجتمع ، ونلتقى مثل تلاقينا ، ونلهو ونعمل كما كنا نلهو ونعمل ، ولا تحسبن للفوارق التى بيننا وبينك الآن حسابا ، فقد يستمتع المرء بالقليل كثيراً ، ويلهو بالـكثير قليلا ...

أتظن يا صديق أنه فى الإمكان أن يبقى هنا كل من يجىء إلى هنا ؟ أم أن له أن يبقى ليكون عليه أن يعود ! ...

إن الأوطان تنتظر أبناءها ...

« وهذه مصر أم الدنيا ، ولعـل الذين يقولون عنها ذلك هم الذين لم يروا غيرها . أو لعلهم هم الذين جاءوها من بلاد أقل منها » على رسلك يا أخى ... ما هكذا يقال عن الأوطان ...

وما لنا وهذا التحليل بل هذا التملل ! . لماذا فكرت فيه ؟ ولمـا ذا يخطر على بالك وقد عشت فى بلاد كلها وطنية وحماسة للوطن ! أليس بلاد كل إنسان هى « أم الدنيا » عنده ؟

بلادى وإن جارت على عزيزة وأهلى وإن ضنوا على كرام

إن مصر هى مصر ، وهى أم الدنيا ، وهى مما ليس منه بد ، رضيت بذلك يا صديق أم حملت به تحميلا ...

وها أنا ذا أترك هذا الأمر قليلا . . فقد سرح منى الفكر أمام هـــذه الخاطرات الخطرات . . وما جئتنا به من النزعات الغربيات ، بل النزوات الغربيات ...

وقد لاحت منى نظرة إلى النافذة نحو العلاء فى السماء . وقد سكن الليل إلا من دوىّ المدينة العظيمة الساهرة ، فإذا قمر باريس يطل خلال الستائر الشفافة ، ساخراً من ضوء مصباحى الصغير ، ضاحكا مما أنا فيه من تفكير ، وما جئت به أنت يا صديق من تعيير ...

إن هذا القمر يذكرنى بأصفى سماء يسبح فيها قمر .. يذكرنى « بأقمار » فى مصر كثيرة . فى شمالها وصعيدها ، فى غيطانها وعند غدرانها ، فى الريف والحضر ، عند السواقى وتحت الشجر ، على رمال الصحراء ، عند سفح الهرم . بين المعمور وبين المهجور ، فى البحر وفى النهر ، فى الليل وبعض النهار ، وحيداً وغير وحيد ، ثم قمراً فى آخر الليل عالقاً بذيل الظلام ، محتفياً بموكب الفجر ، مختفياً أمام ذات الخدر وقد أزاحت عن وجهها الحجاب ...

هذا القمر المصرى لا أنساه وصوت الزمار البلدى الشجى آخر الليل عند سفح الهرم ، والأربعون قرناً تشاطرنا الحـظ والإيناس ...

هذا القمر لا أنساه مع نغمات الناب ، فى جلسة الحصيـر بالريف ، وقد نام أهل القرى فى غسق الليل من قسوة النهار ، إلا قليـلا منهم الساهر السامع ، يستمتع وينتعش بنغمات الصبا والبياتى على صوت هذا الناب . والهمّ به قد غاب ، وتلك المواويل

الحمر وفيها أجناس الناس أجناس، وفيها غرام أهل الغرام أموكول إلى من هو رابض بين الضلوع، وإلى ما هو صاعد مع الأنفاس ...

هذا القمر الساخر لا أنساه وهو ينظر إلينا صامتاً ونحن في البيداء .. فيزيد التيه تيهاً، ويجعل من الحقيقة خيالا ومن العقل خبالا، ومن الرمال حبالا ... ومن النفس حالا وحالا – هنالك في العراء، وسط رهبة السكون المخيف يزداد المجهول في علمنا مجهولا ...

هذا القمر الباسم لا أنساه في بيتنا الكبير العتيق ذي الحركة المدوية نهاراً، والسكوت المهيب ظلاماً، وقد أطل القمر عليَّ صغيراً كما يطل الليلة علي كبيراً. وكانت مربيتي العجوز، وقد احتوتنا رهبة الجدران العالية والغرف الواسعة، تقول لي: اطفئ المصباح ياولدي. فهذا القمر ما أحلاه، وهذا السناء ما أبهاه، ثم تتولانا وحشة الليل فتأخذنا سنة من النوم، ثم نصحو فإذا القمر قد تحرك في بروج السماء قليـــلا ... فتقول العجوز: سبحان الخلاق! ...

وها أنا ذا اليوم هنا في باريس أطفئ الليلة هذا المصباح كما أطفأت أخاه من قبل، في تلك الليالي الخوالي، وهذا هو القمر لا يزال ما أحلاه، وهذا هو الضياء لا يزال ما أبهاه ...

وأنت يا قمر باريس! هل أنت قمر ذاك الزمان، وقمر ذلك البيت الكبير العتيق، وقمر مربيتي العجوز! أم زادتك هذه السنون الثلاثون تحويلا وتحويراً، كما زودتني الليالي والأيام تحميلا وتحذيراً ...

هنا لك كنت تسمع أيها القمر حديثاً ساذجاً، بين صغير وعجوز، كلاهما مغرم بالقمر المنير وبما يغري الوجه المنير في خيال هادئ، ولطف جميل.

هنا لك كان يسمع الصغير أحاديث العجوز، وهي تناجي القمر تسأله عن كل شيء، وتطلب منه كل شيء، تدعوه أن يحمل لها في رهبة الليل وجلال الصمت سؤلها عند ربها «فالق الحب والنوى، وفاطر السموات العلا» تسأله أن يحمل سلامها إلى أهلها فرداً فرداً، وأن يعود إليها في غدها لتراه في غدها ...

ثم تقول وكأنها قد أدت صلاتها – نم يا ولدي. نم وادع ربك يستجب لك، وأنت ياقمر مُسّيت خيراً وفي حفظ الله ...»

ثم تقرأ الفاتحة وتنام إلى الصباح ...

نعم إن وجه هذا القمر يذكرني الليلة تلك الأحاديث وذاك النغم وذلك الجو السحري البريء، فيثير مني في هذا الغرب وفي هذه السن تفكيراً .. قد يكون عن تلك السذاجة تكفيراً ...

وإن المرء لينعم بالخيال كما يشقى بالذكرى، على أنه لا يدري أكان خيراً له أن تقف به الليالي أم أنها به تجري ...

وها هو ذا القمر يختفي وراء السحب وإلا فستخفيه منازل باريس .. فأين سهلك الفسيح يا مصر .. حيث يمتد البصر فيذهب فيه مع النهاية إلى اللانهاية ...

أين النخيل يا مصر لكي يختفي هذا القمر خلالها كما يختفي وجه الحسناء خلال أصابع الحسناء ...

يا صديقي ...

هذا القمر أول ماعرفناه كنا في مصر، وحقاً إن لمصر قمرها كما أن لها غير القمر

أما أن يكون لمصر كل ما لغيرها، فتلك أمنية يرجوها الجميع لها، ولكن أين الشرق من الغرب، وأين ما بينهما من خيالات الحقيقة، وحقائق الخيال ...

فاجعل الأمر سهلا، ولا تحملنا مالاطاقة لنا به، ولا تجعل مصراً من الغرب وهي في الشرق، بل اجعل لمصر في الشرق ما لمثلها في الغرب.

اجعل من مصر أعظم ما يمكن أن يكون من مصر، وستجدن منها إذن كل ما تطمع من حياة ذقتها غرباً وتريدها شرقاً ...

راشد رستم

السيد جحا

الحالم اليقظان

للأستاذ كامل كيلانى

١ — مزيج الأضداد

يقول ابن زيدون :

« ياهل أنى من ظن بى ، فظنونه
شتى ترجح بينها الأضداد »

وما أكثر ماتترجح الأضداد فى الحياة ، فيصعب تمييزها وتشتبه على الألمعى البارع ، حتى ليصرخ شاعرنا « أبو العلاء » متبرما بعجز الإنسان عن تعرف الصادق من الكاذب ، والجاد من الهازل والغافل من المتغافل ، والهادى من الهاذى فيقول :

« يكفى عناء من الدنيا ومنقصة
ألا يبين لك الهادى من الهاذى »

وقلما رأينا خلة محمودة ، أو ميزة فريدة مشهودة ، إلا رأينا ضدها من الخلال ، شديد القرب والشبه بها ، وثيق الاتصال .

وكثيراً ماتشتبه على أذكى الباحثين سمات العبقرية بالجنون ، والشجاعة بالتهور ، والاقتصاد بالبخل ، والإبداع بالسخف ، والتسامح بالعجز ، والتغابى بالغباء ، والتباله بالبله .

وقديماً قال ابن المقفع :

« وما من خلة هى فى الغنى مدح إلا وهى فى الفقر ذم »

وقال الشاعر :

« وسورة علم لم تسدد فأصبحت
وما يتمارى أنها سورة الجهل »

٢ — قصة الحكم الثانى

وما أكثر ما تجلو لنا ملابسات القول وبواعثه مايقلب المعنى الذى يتبادر إلينا رأساً على عقب .

وكيف تحكم على إنسان يسمع بهزيمة جيشه فلا يتحرك ، وينادى خادمه ليأتيه بالعطر يتطيب به قبل أن يقتحم عليه الثوار قصره ويقتلوه .

لا شك فى أنها غفلة بلغت المدى .
أو شجاعة لاتعبأ بالردى .

فإذا تجلت لنا ظروف القصة ، وعلمنا أن صاحب القصة هو الحكم الثانى الذى وهب حياته لتشجيع العلم والعلماء . وعلمنا كيف تألب عليه الحساد وحرضوا عليه سواد العامة ، بعد أن اتهموه بالمروق من الدين ، فاقتحموا عليه قصره بعد أن هزموا حرسه ، وكادوا يفتكون به فلم يجد وسيلة يعبر بها عن احتقاره لخصومه وتساميه إلا أن ينادى خادمه قائلا :

« علىّ بالغالية يا غلام »

وهنا تشتد دهشة الخادم فيقول :

« عجباً أهذا وقتُ الغالية يا أمير المؤمنين ؟ »

فيجيبه الحكم الثانى ساخراً :

« ويلك بم يعرف رأسى من رؤوس العامة إذا قطع ، إن لم يكن مضمخا بالغالية ؟ »

رأينا حينئذ فى هذا الرد الساخر ، أبلغَ تحقير لخصومه ، وأفتكَ إزراء بأعدائه الثائرين المتوثبين للايقاع به .

٣ — بين الأمين وكوثر

ولعل قريباً من هذا الباب قول الأمين لمن بلغه نبأ اندحار جيشه : « ويلك ، لقد اصطاد كوثر سمكتين وأنا لم أصطد إلا سمكة واحدة » وقريب من هذا قول الساخر الذى سئل عما يطلب قبل أن يصلب بلحظات يسيرة :

« لا أطلب غير الماء »

فلما سئل : « ألا تفضل الجعة ؟ »

أجاب : « كلا فقد أخبرنى الطبيب أنها تسبب لشاربها مرض الزلال » .

٤ — كيسان النحوى

من بدائع الجاحظ وطريف دعاباته ، ذلكم التندر الكاريكاتورى البارع الذى رسم به أعجب نموذج للذاهل الحالم والصفه بكيسان النحوى فنعته : « بأنه يسمع غير مايقال له ، ويكتب غير ماسمع ، ويقرأ غير ما كتب ، ويفهم غير ماقرأ » .

وقد نظم بعضهم هذا المعنى فقال :

« تقول له : زيد ، فيكتب خالداً

ويقرؤه عمراً ، ويفهمه بـكرا »

وهى غفلة يكاد يتسم بها كل مفـكر عميق ، إذا حصر ذهنه فى فـكرة بعينها .

٥ — غفلة نيوتن

ولعل أكثركم يعرف قصة نيوتن الذى هدته دقة الملاحظة إلى تعرف الجاذبية ، وكيف أراد أن يلقى بيضة فى الماء الغـالى ويمسك بساعته عشر دقائق حتى تنضج وكيف نظر – بعد قليل – فرأى أنه يمسك البيضة فى يده ، أما الساعة فقد ألقى بها فى الماء مترقباً نضجها وشيها .

٦ — بين وزيرين

ولعل بعضـكم يذكر قصة الوزيرين العباسيين حـين التقى مركباهما فى نهر دجلة ، فأراد أحدهما أن يلقى إلى صاحبه بتفاحة ، وما كاد يهم بذلك حتى شعر بحاجة مفاجئة إلى البصق فى النهر .

فما ذا صنع ؟

ألقى بالتفاحة فى النهر ، وبصق فى وجه صاحبه .

وحاول أن يعتذر عن سوء فعله فقال : «غلطنا» فأجابه الآخر : « تُلطنا » (أى : لحقنا العار ولطخنا) .

٧ — ضلال المتسرعين

وإنما لجأنا إلى هذه المقدمات لننبه إلى أن كثيراً من الطرائف والدعابات الجحوية قد حملت على غير محملها وفهمت على غير وجهها فتوهم بعض المتسرعين من سامعيها أو قارئيها أن صاحبها أبلهُ أو مخبول .

وما هو – على الحقيقة – بأبله ولا مخبول ، ولـكنه ساحر يتلعب بالعقول .

ومن هنا وجب على الباحث أن يجلوَ الظروف والبيئة ، ويوضحَ الملابسات ، حتى يأمن الناقد من الحيف والجور ، وينجو من التسرع والخطإ فيما يرتجله من أحكام بعيدة فى الغالب عن الصواب .

٨ — سفينة السلام

وكيف نحـكم إذا سمعنا أن رجلا رأى مركبه تعنف به العواصف ، وتشتد فتتقاذفه الأمواج الثائرة ، ولا يلبث أن تتمزق أشرعته ، فينهمك ملاحوه فى إصلاحها . فيصيح بهم هذا الرجل :

علام تتـكبدون عناء الصعود إلى أعلى السفينة ؟ إنها لا تهتز من أعلى بل من أسفل . فما بالـكم لا تربطون أسفلها بقاع البحر حتى تأمنوا اهتزازها ؟ .

لا شك فى أننا نحسبه معتوها إذا لم ننظر إليـــه على ضوء ما أسلفناه . ومن يدرى ؟ فلعلنا إذا رأينا مايصنعه قادة العالم لإنقاذ سفينة السلام التى تتقاذفها الأنواء وتمزق العواصف أشرعتها ، ورأينا كيف تشغلهم أسافل الأمور عن أعاليها ، فيقترحون ربط السفينة من أسفل ، بدلا من العناية بإصلاح أشرعتها العليا . عذرنا جحا فيما رآه .

٩ — جواب الحانق

ونحن إذا سمعنا أن رجلا كان يملأ جرته من النهر ، فأفلتت الجرة من يده ، فجلس يترقب خروجها من الماء ، حـكمنا عليـه بالبله ، كما حـكم بعض الناس على صاحبنا جحا .

ولـكننا حين نتمثله وهو محنق مغتاظ لسقوط الجرة وضياعها وإنه لفى دهشته وحيرته وهو مسترسل فى غيظه وغضبتـه ، وإذا بثقيل يقطع عليه تفـكيره ويزعجه بسؤاله :

« عم تبحث يا أستاذ ؟ »

فلا يرى متنفساً لغيظه فى غير التهـكم والسخرية بذلـكم الفضولى فيقول :

« لقـد أفلتت الجرة من يدى إلى قاع النهر فجلست أترقب عودتها إلى ، ومتى عادت أمسـكت بها من أذنها وفمها حتى لاتعاود السقوط مرة أخرى .

(البقية فى العدد القادم) كامل كيلانى

التاريخ في سير أعلامه :

ملتن . . .

[القيثارة الخالدة التي غنت أروع أناشيد الجمال والحرية والخيال . . .]

للأستاذ محمود الخفيف

- ١٢ -



رحلة إلى إيطاليا :

قضى ملتن نحو ستة أعوام في هورتون بين كتبه وأوراقه ، وهي في الحق عزلة طويلة ما كان ليطيقها لولا عزم مصمم ورغبة قوية في الاستزادة من المعرفة والتأهب لعظيمة في دنيا الشعر .

بيد أن القلق أخذ يساوره والسأم يهجس على قلبه في نهاية العام الخامس من مقامه في القرية أي سنة ١٦٣٧ قبيل نظمه مرثيته الرائعة ليسيداس ، تتبين ذلك مما كتبه إلى صاحبه ديوداتي في سبتمبر من تلك السنة ، وكان ديوداتي قد صار يومئذ طبيبا تشغله مهنته فعتب عليه ملتن عتبا عنيفا أن لم يف بوعده في زيارته وكانت لهجة الكتاب غاضبة شاكية تنم عن حال من الضجر والسأم من طول مصاحبة الكتب والإبتعاد عن الدنيا إلى هذا المضطرب الضيق المحدود في القرية .

والحق إن هذه العزلة وإن أجدت على الشاعر كثيرا من الثقافة والاطلاع لم تخل من بعض الآثار السيئة ، فقد زادت من ذهابه بنفسه واعتداده برأيه ووثوقه من ارتفاع مستواه عن غيره ، وإلى ذلك يعزى إلى حد ما صرامته في الجدل فيما كتب بعد وتعاليه على مخالفيه في الرأى وعنفه في الخصومة ، وغياب ما عرفه خلانه في مجالسته من عذوبة روحه ورقة حاشيته وطلاوة حديثه .

وكانت قد ماتت أمه في أبريل من هذه السنة ، وبموتها ازداد قلقه وازداد ميله إلى الرحيل عن هورتون ، وأصبح يحس أن مقامه فيها قد أشرف على النهاية ، فقد كان يجد في ابتسامة أمه له وحدبها عليه وثقتها في مستقبله وفرحها بطموحه عزاء له وبهجة لروحه في هذه العزلة القاسية ، أما أبوه فقد جاوز السبعين وهجر ألحانه وقراءاته ، ورغبت نفسه عن الحديث في الأدب والفن إلا قليلا ، ولهذا لم يعد ابنه يجد عنده ما كان يجده من قبل من بشاشة وإقبال إذ كان يفضي إليه بآماله ويحدثه عما يقع عليه في مطالعاته من رأى سديد أو تعبير بليغ أو نادرة حلوة .

ورد عليه ديوداتي يتمنى له راحة البال وهدوء الحال ، ويسأله عما هو فيه . وكتب إليه ملتن كتابا لم يك فيه ما كان في سابقه من الضجر ، وما ذلك إلا لأنه قد عقد العزم على أن يرحل . وكان يفكر أول الأمر في الإقامة في أحد فنادق لندن ، وفي هذا الكتاب أجاب ملتن إذ يرد على تساؤل صديقه بتلك العبارة التي أسلفنا الإشارة إليها ألا وهي تهيؤه لعمل يسلكه في الخالدين .

وصح عزمه في ربيع سنة ١٦٣٨ على الرحيل إلى إيطاليا لتكون رحلته فيها متعة لنفسه وثقافة لعقله ، فما إن تزال الثقافة هي حافزة إلى كل ما يعمل من عمل ، كأنما يضن بوقته أن يكون فيه قسط للراحة أو للمتعة الخالصة .

ولم يبخل الموثق الشيخ على ابنه بالمال اللازم له وللخادم يتبعه فأمده بثلثمائة وخمسين من الجنيهات وكانت تساوى يومئذ نحو ألف مما نتداوله اليوم ، وحمد ملتن لأبيه سخاءه ، وكان يتوجس خيفة منه حين هم بطلب ذلك المال ، وكان حريا أن يخاف ، فهو قد بلغ الثلاثين من عمره ولما يزل في رأى أبيه عاطلا لم ينهض بعمل مما كان يحبه له ، وكأنما لم يكفه ذلك فجاء يطلب من أبيه مالا ليستمتع بالرحيل إلى إيطاليا !

والحق إنها يد للموثق الشيخ تضاف إلى سالف أياديه على ابنه ، ولم ينس الإبن أنه تركه لما كان فيه من الشعر ، إذ آنس منه وهو بعد غلام أنه يحب أن يجعل من نفسه هوميروس آخر

وكان أبوه يحب أن يكون منه كلفن ثان ، ولم ينس أنه قبل ولو على كره انصرافه عن الوظيفة مدنية كانت أو دينية ، وأنه وافق على مقامه فى هورتون ليتفرغ للدرس والاطلاع وهو خريج الجامعة ؛ لم ينس الشاعر الشاب شيئا من هذا ولذلك فهو مغتبط بسماحة أبيه ونور بصيرته ، ومرد ذلك فيما يرى الشاعر إلى ما تذوقه أبوه من نعمة الثقافة ، وما فتح عليه عينيه من نور المعرفة .

وكانت إيطاليا يومئذ منتجع خواطر الرجال والشباب من كل أمة على اختلاف ثقافاتهم وميولهم ، فكانت تجتذبهم إليها اجتذابا ، وكان لا يحس المرء بكامل ثقافته إلا إذا زار معالمها أو معالم النهضة فى أنحائها ، وكان بها لكل عقل متعة ، يجد فيها ضالته رجل الفن ومحب البحث فى الآثار القديمة والعاكف على دراسة التاريخ والمولع بالمعار ، والمفتتن بمشاهد الطبيعة والمشتغل بالفلسفة والعلم ، ولا عجب ففى إيطاليا ازدهرت الحضارة الرومانية ، وفيها أشرقت شمس النهضة الأوروبية ومنها انبعثت أشعتها ، وهى مهد أوفيد وفرجيل ، وموطن دانتى وبترارك وتاسو ورفائيل وميكائيل أنجلو وجاليليو ، وكانت فى النصف الأول من القرن السابع عشر حين رحل إليها ملتن كسوق انفضت إلا قليلا ، فلا يزال بها من سحر النهضة وجمال مواكبها بقية .

وكان أمرا طبيعيا أن ينجذب ملتن إلى إيطاليا وهو ابن النهضة بدراسته وروحه وفنه ، وما يزال يتجه بخياله وعقله إلى الربيع الأليزابيثى الراحل وكان موكبا من مواكب النهضة وإن له فى مشاهد إيطاليا وفى لقاء شعرائها ورجال الفن والذوق فيها وإن كانوا ظلالا لمن مضى من الأفذاذ ، لمتعة يطرب لها قلبه ، وتأنس بها روحه .

وكان لملتن أكثر من عدة إلى إيطاليا ، فإلى جانب ما أمده به أبوه من مال ، كان له باللغة الإيطالية علم كاف ، وبتاريخ إيطاليا معرفة وثيقة ، كما أنه حصل على كتب توصية به من بعض ذوى الحيثية ، وكان من بين تلك الكتب كتاب من سيرهنرى وتون وقد قضى سير هنرى سنين من عمره فى إيطاليا ، وله فيها أصدقاء من ذوى المكانة

ونصح سير هنرى لملتن فيما نصح له به أن يتجنب المناقشات الدينية ، وأن يكون حريصاً فى هذا ما وسعه الحرص ؛ وكان سير هنرى خبيراً بما عسى أن يجلب على المرء المتاعب فى إيطاليا ، كما أنه كان يلمس من تحمس ملتن لرأيه ومن شدة كراهته لبابوية روما وقساوستها ما جعله يكرر له النصح فى إلحاح وشدة

وصل ملتن إلى باريس فى أبريل أو مايو سنة ١٦٣٨ ، وهناك لقيه السفير الإنجليزى بالترحاب والحفاوة وقدمه إلى جروشيس وكان جروشيس يعيش منذ بضع سنين فى كنف ملك فرنسا لويس الثالث عشر ، وكان رجلا مشهور المقام فى الأدب والفلسفة والسياسة والبحث الدينى ، وكان قد حكم عليه فى بلاده بالسجن مدى الحياة بسبب آرائه الدينية التى خالف بها مذهب كلفن فى القضاء المحتوم ، وفر بمساعى زوجته إلى فرنسا ، حيث طاب له المقام ، وأظهر جروشيس الحفاوة بملتن وأبدله المودة وأثنى عليه ، وذكر له ما سمعه عن نباهة شأنه فى الشعر

وفى يوليو بلغ ملتن فلورنسه عن طريق نيس وجنوة ، وأقام الشاعر فى فلورنسة شهرين ، وقد أحب ملتن فلورنسة وأهلها حباً قوياً ، وكانت تمتاز يومئذ بجماعاتها الأدبية ، وكان بها من تلك الجماعات ست شهيرة ، وكانوا يسمونها الأكاديميات ، وشتان بينها وبين الأكاديميات الحديثة ذات القوانين المحددة والأصول المرعية فى البحث والدرس ، وإنما كانت هذه منتديات يلتقى فيها ذوو الثقافة فيتناقشون فيما يعرض لهم من المسائل فى جلسات ترفع فيها من بينهم الكلفة وتزداد الألفة ؛ وقد تنقل ملتن بين هذه الجماعات وكان يقابل فيها جميعاً بالحفاوة والمودة ، وأصغى ملتن وتكلم فى تلك المنتديات ، وكان هو ومضيفوه ينتقلون من حديث إلى حديث حيثما تتشعب طرق الكلام ، فتناولوا الأدب والعلم والفلسفة والرقابة على المطبوعات والسياسة والدين ؛ وتكلم ملتن عن عقيدته الدينية كما تعرض لعقيدتهم ، وأصغوا إليه فى دماثة وهدوء ، ووافقوه على كثير مما يقول ، بل إنهم ذهبوا إلى أكثر من ذلك فشكوا إليه وقد وثقوا منه ما يعانون من استبداد الكنيسة وطغيانها ، الأمر الذى يمقتونه أشد المقت ؛ وقد جاء فيما كتبه ملتن عن تلك الزيارة سنة ١٦٤٤ قوله : « جلست بين المثقفين من رجالهم ، وقد عدونى سعيداً أن ولدت فى انجلترة بلد الحرية الفلسفية كما تصورها يومئذ ، فى حين أنهم لم يترك لهم شىء إلا أن يئن المثقفون منهم مما يلاقونه من عنت وشدة ، وإلى ذلك يعزى ما أحاط بأولى الألمعية من الإيطاليين من ظلمة ، وإليه يعزى أنه لم يكتب طوال هذه السنين الكثيرة فى إيطاليا إلا الملق والادعاء ! »

وكان مما اعتاده أعضاء هذه الأندية أن يلقى كل واحد منهم ما يبرهن به على ذكائه وسعة اطلاعه ، واستمع ملتن إلى كثير مما

ألقى أمامه بالإيطالية ، وجاء دوره فتلا فى إحدى هذه الجماعات عن ظهر الغيب بعض قصائده اللاتينية التى نظمها فى أول شبابه ، وبعض قصائد أخرى نادرة وقع عليها أثناء مطالعاته ، كما أنه ألقى عليهم بعض ما نظم بالإيطالية ، وقد طربوا كثيراً لهذه القصائد الأخيرة وبالغوا فى امتداحها ، وعبروا عن شعورهم نحو صاحبها بمدائح لاتينية ذكر ملتن أنها « مما يضن به الإيطاليون على من يقطنون فى هذا الجانب من الألب » .

وبلغ من فرط سروره بهذه المدائح أنه اعتزم أن تكون معظم أشعاره فى المستقبل باللاتينية ليذيع صيته فى القارة ، ولكنه ما لبث أن ترك هذه الفكرة بعد أن عاد إلى وطنه ؛ على أنه لم ينس تلك المدائح التى اختصه بها أهل فلورنسة فنشرها فى مقدمة ما نشر من أشعاره اللاتينية سنة ١٦٤٥ ، ولعله أراد بنشرها أن يطلع الحاقدين عليه من بنى وطنه على ما لقيه من ثناء وحفاوة بين الإيطاليين ، فقد أثنى الإيطاليون فيها على ذكائه وعلمه وحذقه اللغات ، وجماله وفصاحته وما يتصف به من فضائل ، وطول باعه فى الفلك والفلسفة والتاريخ وبالغ أحدهم وهو السنيور فرانسيني فراح يؤكد لملتن فى قصيدته أنه ما من سر مهما بلغ من عمقه تخبئه الطبيعة فى السماء أو فى الأرض إلا وهو على علم وثيق به ، وأنه قد بلغ حد اكتمال الفضيلة وأن ألحانه الحلوة ترفعه إلى السماء .

واتخذ ملتن طريقه إلى روما فقضى فيها شهرين ؛ وهناك طاف بأبنيتها وآثارها القديمة وتعرف إلى كثير من ذوى النباهة والمكانة ، وقوبل بالحفاوة فيها كما قوبل فى فلورنسة ، وإن كانت حماسة أهل روما لم تصل إلى مدى حماسة أهل فلورنسة ، ولم يتبع ملتن فى روما ما نصح له به سيرهنرى ، فأخذ يتكلم فى حماسة وصراحة عن مذهبه البروتستنتى ورأيه فى الإصلاح الدينى ، ولعل ذلك هو السبب فى فتور حماسة أهل روما نحوه ، بل إن بعضهم انصرف عن الحفاوة به حينما نما إليهم ما يقول فى الدين ، وما كان ملتن بالرجل الذى يستطيع أن يخفى فى نفسه رأيا يؤمن بصوابه ، وما كان ليخاف عنتاً أو أذى فى سبيل عقيدته ، ومن أبرز خلاله منذ صغره الجهر بما يعتقد لأنه يرى أن الكتمان نوع من المذلة إذا كان الباعث عليه الخوف . وهكذا أخذ فى مدينة البابا نفسه يتكلم فى طلاقة وجرأة لا يهمه كيف يقع كلامه فى نفوس سامعيه ، ولا يخيفه أقل خوف ما عسى أن يكون من موقف السلطات حياله ؛ أشار إلى ذلك فيما كتب فقال « لم يكن من دأبى أن أثير المناقشات الدينية فيما أغشاه من الجماعات ، ولكنى كنت إذا سئلت عن عقيدتى لا أخفى شيئاً مهما يكن ما أتعرض له من ألم ... لم أخف عن أى سائل يسألنى أى مذهب أعتنق مهما كان هذا السائل ؛ وكنت إذا هاجم أى شخص فى مدينة البابا العقيدة الأصلية لا أتردد فى الدفاع عنها بكل طلاقة » .

وتعرف ملتن إلى رجل ألمانى الجنس هو لشتنيس ، وكان يقوم على شؤون مكتبة الفاتيكان ، وكانت له مكانة عظيمة فى نفوس الكثيرين من عظماء القساوسة ، وقد أراد أن يظهر للشاعر الإنجليزى عرفانه لجميل أهل انجلترا معه حين كان يطلب العلم فى اكسفورد وقد قدمه هذا الألمانى إلى الكاردينال العظيم فرنسسكو باربرينى ، وكان الكاردينال يومئذ هو كل شىء فى روما ، وأقيم للشاعر حفل موسيقى فى قصر باربرينى وهناك استمع ملتن إلى المغنية الشهيرة ليونارة بارونى فأعجب بها إعجابا شديدا عبر عنه فى قصائد ثلاثة لاتينية قصيرة أهداها إلى المغنية العظيمة .

ولو كان رجل آخر مكان ملتن لأثرت فيه أمثال هذه الحفاوات وبخاصة ما جاء منها من قبل رجال الدين ، ولتخفف من صراحته وحدته فى الكلام عن عقيدته الدينية وركن إليهم شيئا قليلا ، ولكنه لم يدع لمثل هذه الأمور سبيلا إلى التأثير فى رأيه فلم يتحول عنه قيد شعرة الأمر الذى جعل البعض يصدون عنه بعد إقبال ، وجعل الجزويت ينكرون أقواله ومسلكه إنكاراً شديداً .

ولم تك تلك القصائد الثلاث كل ما أوحته إيطاليا إلى ملتن ، فبين قصائده اللاتينية خمس غيرها وجهها الشاعر إلى سيدة إيطالية لم يذكر اسمها سحرته « بسمو حركتها وبحاجبيها الأسود الذى يلقى فى النفوس الحب » .

وتوجه ملتن بعد ذلك إلى نابلى ، وهناك زار رجلا كان لزيارته إياه أجمل وقع فى نفسه وذلك هو مانسو العظيم ماركيز فيلا ، وكان مانسو فى الثامنة والسبعين من عمره ، ومرد عظمته إلى أنه كان راعى الأدب والفن مدة جيلين ، آوى فى أولهما الشاعر تاسو وفى ثانيهما مارينى ؟ وها هو ذا يلقى شاعراً ثالثاً سوف يكون أعظم خطراً فى تاريخ الأدب العالمى من ذينك الشاعرين ، وقد رحب به مانسو واستطاع على الرغم من شيخوخته أن يطوف به على الأماكن التى وصفها حين كتب حياة تاسو ، وأحب ملتن هذا الشيخ فامتدحه بقصيدة جميلة ذكر فيها أنه يود لو كان له راع مثل مانسو راعى

الشعراء ؟ ليعنى بدفنه إذ يموت ، ويقيم له تمثالا من المرمر يتوج الغار هامته . وقد أشار ملتن فى هذه القصيدة إلى مايعتزم فى دنيا الشعر كما أثنى على موطنه إنجلترة وعلى مكانتها فى الشعر والأدب ؛ وأهدى إليه مانسو كأسين منقوشتين وعبارة جاء فيها « لو أن دينك كان مثل عقلك وهيكلك ورشاقتك ووجهك ومزاجك ما كنت بريتانيا فقط بل كان مقامك بين الملائكة » .

واعتذر إليه مانسو لأنه لا يستطيع بسبب عقيدته الدينية أن يظهرله من الحفاوة به مايستحق مخافة الرقباء فى المدينة ، وعاد ملتن إلى روما فلبث فيها شهرين آخرين ثم ذهب مرة ثانية إلى فلورنسة ، وفى هذه المرة استطاع أن يزور العالم العظيم جاليليو وكان نزيل السجن فى المرة الأولى ؛ بسبب آرائه فى الفلك ومخالفته بها رأى الكنيسة ، وزاره ملتن فى بيته على مقربة فلورنسه بعد أن حصل على إذن من السلطات ، وكم تأثر الشاعر لمرأى هذا العالم الشيخ قد كف بصره وأحيط بالرقابة الشديدة وبدا محطم الهيكل شديد الضعف ، على أنه كان لايزال محتفظا بقواه العقلية ، ولو اطلع ملتن على الغيب ساعتئذ لرأى لنفسه صورة شبيهة بصورة جاليليو فى ضعفه وفقد بصره ومعاناته الآلام من أجل عقيدته ...

وسافر ملتن بعد ذلك إلى البندقية ومنها أرسل إلى وطنه ما اشترى من كتب ومخطوطات وكان بينها صندوقان لكتب الموسيقى ، ومن البندقيه اتجه إلى جنيف ليعود منها إلى موطنه ، وكان يجب أن تطول رحلته أكثر من هذا ، ولكن ما ترامى إليه من أنباء وطنـــه جعله يؤثر العودة ، عبر عن ذلك فى قوله « رأيت أن ما يلحق بى الشين أن أرتحل طلباً للمتعة فى الخارج بينما يعانى بنو وطنى الآلام من أجل الحرية فى بلادى » .

هذه هى رحلة ملتن إلى إيطاليا ولسنا نجد لما شهده من المدن والآثار صوراً فى شعره اللهم إلا ماوصف به روما فى الفردوس المستعاد ، وهى صورة ليست بذات أهمية كان يستطيع مثلها لولم يسافر؛ كذلك لم يظهر لملتن أثر لاستمتاع بلهوالحياة ، بل إنه أشهد الله وهوفى جنيف فى طريقه إلى موطنه أنه لم يأت شيئا فى رحلته تخجل منه الفضيلة .

(يتبع) الخفيف

جامعة فاروق الأول

الاسكندرية

اعـــــلان

تعلن جامعة فاروق الأول عن الوظائف الخالية بكلية الهندسة المبينة بعد :

عدد

١ أستاذ ب من الدرجة الأولى (٧٥ — ٩٠) لكرسى التصميم المعمارى .

١ أستاذ ب من الدرجة الأولى (٧٥ — ٩٠) لكرسى توليد وتوزيع القوة الكهربائية .

١ أستاذ ب من الدرجة الأولى (٧٥ — ٩٠) لكرسى المنشئات المعدنية والكبارى .

١ أستاذ جـ من الدرجة الثانية (٦٠ — ٧٥) لكرسى تصميم الآلات الكهربائية .

١ أستاذ جـ من الدرجة الثانية (٦٠ — ٧٥) لكرسى المواصلات السلكية واللاسلكية .

ويشترط فى الطالب أن يكون

ا — حائزاً لدرجة دكتوراه من جامعة معترف بها .

ب - مارس التدريس الجامعى .

جـ - قد مضى ما لا يقل عن ١٥ سنة على حصوله على درجة البكالوريوس .

د — له مؤلفات وأبحاث علمية مبتكرة وخبرة علمية ممتازة .

هـ - ملماً باللغة الإنجليزية .

ويجب (١) أن يرفق المرشح بطلبه بياناً عن تاريخ حياته العلمية والجهات المختلفة التى اشتغل بها والمدة التى قضاها فى كل منها والأعمال الهامة التى اشترك فى تنفيذها .

(٢) أن تقدم طلبات موظفى الحكومة عن طريق المصالح التى يعملون فيها وأن يبين فيها الدرجة والماهية وتاريخهما .

وإذا كانت اللوائح المالية المقررة لا تبيح منح المرشح الدرجة والماهية المعلن عنهما فإن هذا الإعلان لا يكسبه الحق فيهما .

وترسل الطلبات برسم عميد كلية الهندسة فى ميعاد لا يتجاوز آخر يونية سنة ١٩٤٦ . ٥٢٧٩

نظرات فى أدب المتأخرين

للأستاذ عباس حسان خضر

الأدب والحرفة :

منذ احتاج الأديب إلى استكمال عدته من الدراسة والثقافة اضطر إلى استدبار وجوه المكاسب ، ونحى عنه الصوارف ، وراح يمتص رحيق الآداب ليخرجه للناس أدباً مصفى . واتخذ كثير من الأدباء بعض آدابهم بضاعة نافقة فى سوق المدائح ، فطافوا بها على القصور ، وانتجعوا الغنى ؛ وقد جعل ابن الرومى مكافأة الأديب حقاً لازماً إذ قال :

إن امرأ رفض المكاسب واغتدى … يتعلم الآداب حتى أحكما
فكسا وحلى كل أروع ماجد … من حر ما حاك القريض ونظما
لثقة برعى الأكرمين حقوقه … لأحق ملتمس بألا يحرما

فاجتمع لأولئك المال وإحكام الآداب ، على أننا لم نعدم من عزف عن ذلك المورد ، وعكف على منهل الأدب ، ينهل منه ويعل ، ويفيض على خاطره ، فيرسله غزلا وتشبيباً أو حكمة وفلسفة

وكثيراً ما حاق البلاء بالمشتغلين بالأدب لما شغلهم عن تدبير أمرهم ودفع ما نزل بهم ، حتى عدت « حرفة الأدب » مجلبة للبؤسى وشؤماً على من أدركته ، قال يعقوب الخزيمى :

ما ازددت فى أدبى حرفاً أسر به … إلا تزيدت حرفاً تحته شوم

وقرنها شاعر آخر بإجادة الخط ، فشكا من اصطلاحهما عليه :

لما أجدت حروف الخط حرفنى … عن كل حظ وجاءت حرفة الأدب
أقوت منازل مالى حين وطنها … مخيما سفط الأقلام والكتب

ولقد وصل ماجرته حرفة الأدب إلى قصر الخليفة الشاعر ابن المعتز حين قتله المقتدر ، وزعم أنه مات حتف أنفه ، فقال على بن محمد ابن بسام :

لله درك من ميت بمضيعة … ناهيك فى العلم والآداب والحسب
ما فيه لو ولا ليت فينقصه … وإنما أدركته حرفة الأدب

قال مؤرخو الأدب : ولما ولى الأمور أولياء من الأعاجم لا يقيمون للشعر وزناً أهملوا الشعراء ، فانصرف هؤلاء إلى الحرف والصناعات ، فكان منهم الجزار والحمامى والقصار ، وكثر قولهم فى الأشياء التافهة كالسبحة والمخدة والمروحة ؛ وعدوا ذلك نزولا بالأدب عن درجاته وحطاً له فى دركاته . وقد رأيت أن هذا ليس صحيحاً كله ، ولئن صح أن الشعر فقد شيئاً بيعده عن ظل الممدوحين الوارف — لقد كسب به أشياء ، أولها أن هؤلاء الشعراء — وقد عدموا الممدوحين المندفقين من الملوك والأمراء — وجدوا بديلا أجل منهم وأعود عليهم باللذة الروحية ، وهو سيد الخلق ، فهشت له نفوسهم ، وجعلوا ينشدون المدائح النبوية ، وازدهر هذا الفن فى قصائد لا تتأخر قيد أنملة عن قصائد الفحول من المتقدمين ، وحسبك بردة البوصيرى التى أولها :

أمن تذكر جيران بذى سلم … مزجت دمعاً جرى من مقلة بدم

وقد كان من الشعراء ذوى الصناعات المعيشية من أجاد وافتن فى القول كأبى الحسين الجزار ؛ وإلى جانب إجادتهم فى أغراض الشعر المختلفة برزت صناعاتهم فى أشعارهم ، واستخدموا مصطلحاتها فى معانيهم ، فأحسنوا وظرفوا ، قال الجزار :

لا تلمنى مولاى فى سوء فعلى … عند ما قد رأيتنى قصابا
كيف لا أرتضى الجزارة ما عشـ … ـت قديماً وأترك الآدابا ؟
وبها صارت الكلاب ترجيـ … ـنى وبالشعر كنت أرجو الكلابا

وكتب إليه النصير الحمامى :

ومذ لزمت الحمام صرت به … خلا يدارى من لا يداريه
أعرف حر الأسى وبارده … وآخذ الماء من مجاريه

فكتب إليه الجزار :

حسن التأنى مما يعين على … رزق الفتى والعقول تختلف
والعبد قد صار فى جزارته … يعرف من أين تؤكل الكتف

على أنه لا يقدم الأدب ولا يؤخره — من حيث القيمة الذاتية — أن يكون الأدباء من ذوى الحرف أو من أهل الرياسات

وصف الأشياء التافهة :

رأيت مما عابه مؤرخو الأدب على الشعراء المتأخرين وصفهم للأشياء التافهة . ولست أدرى كيف يعد هذا تخلفاً فى مضمار الشعر ؟! كأن مقياس الإجادة فى الوصف عندهم أن يكون الموصوف جليلا ، فمن يصف الفيل مثلا أشعر ممن يصف العصفور ، لمجرد أن العصفور صغير والفيل كبير ؛ وواصف جبال (الهملايا) — على هذا القياس — أشعر شعراء العالم ولا جدال ... !

والهبل لأم عنترة القائل :

وخلا الذباب بها فليس ببارح … غرداً كفعل الشارب المترنم

هزجاً يحك ذراعه بذراعه قدح المكب على الزناد الأجذم

لأنه يصف الذباب فيشبهه فى مرحه بالشارب المترنم ، ويمثله وهو يحك ذراعه بذراعه بمقطوع اليد مكباً على الزناد ليقدحه ، وما الذباب ؟ وما الأجذم المكب ؟ أوَ ليسا تافهين حقيرين ؟ ! وما إعجاب النقاد ومنهم الجاحظ بهذا التصوير ؟ !

ويا ويح امرئ القيس ! ألم يجد غير قلوب الطير المتناثرة ، والحشف البالى ، فيبنى لها بيتاً فخما كهذا :

كأن قلوب الطير رطباً ويابساً

لدى وكرها العناب والحشف البالى

والعجب العجاب أن يكون العائبون مؤرخى الأدب المحدثين وهم يعلمون أن كل شيء يصلح موضوعا للأدب ما دام موضع حس الأديب وانفعال نفسه ، ولا يهم بعد ذلك أن يكون هذا الشيء جبلا أو نملة . ثم لننظر ما قال شعراؤنا المتأخرون فى أشيائهم التافهة ، قال شهاب الدين الحلبى فى سبحة :

وسبحة مسودة لونها يحكى سواد القلب والناظر

كأننى عند اشتغالى بها أعد أيامك يا هاجرى

وقال محمد بن سوار بن إسرائيل فى مروحة :

ومحبوبة فى القيظ لم تخل من يد وفى القر تجفوها أكف الحبائب

إذا ما الهوى المقصور هيج عاشقا أتت بالهوا الممدود من كل جانب

وقال ابن نباتة فى دواة فولاذ :

دواة لها جنس الحديد وبأسه وزادت عليه فى الندى فهى أبهر

وكمل معناها راعك منشئاً ففولاذها فى الحالتين مجوهر

على أنك ترى هؤلاء الشعراء لم يتصدوا لوصف هذه الأشياء باستقصاء أجزائها وصفا مقصودا لذاته ، وإنما استثاروا بها خواطرهم فأتت بهذه المعانى الشعرية الجميلة ، فجاء قولهم متحركا نابضا بالحياة ، لاعيب فيه إلا أنه ليس مقولا فى رضوى وثهلان !

البديع :

يكاد ينعقد الإجماع على استهجان ما امتلأ به أدب المتأخرين من ألوان البديع ، فهم يأخذونه جملة واحدة بأن العناية مبذولة فيه إلى الزخارف البديعية والتحسينات اللفظية ، مرتبين على ذلك انتقاصه وتهجينه وتنفير المتعلمين منه ، ولعلهم يبتغون من وراء ذلك صرف الناشئين عن التكلف إلى الاسترسال . ولكنى أقرر أولا أن ثمة فرقا بين الصنعة والتكلف ، فالصنعة لا بد منها فى كل عمل فنى يقترب من الكمال ، يزاولها الفنان فتكون من تمام جمال الفن . ولقد كان زهير يأخذ شعره بالصنعة إذ كان يعاود حولياته بالتنقيح والتثقيف ، وتعاقب بعده شعراء تناولوا أشعارهم بالتصنيع والتحسين كالحطيئة وبشار ، حتى كان مسلم ابن الوليد وأبو تمام وابن المعتز فالتفتوا إلى المحسنات اللفظية والمعنوية وحسن موقعها فى الكلام ، فاتخذوها فى صناعتهم الشعرية قصداً ، وكثيراً ما كانت تواتى أسلافهم عفواً ومن فيض الخاطر ، وازدانت بها آيات الكتاب وأحاديث الرسول . أما شعراؤنا المتأخرون فقد زادوا فيها وأكثروا منها حتى صارت ركنا من أركان الأدب ، وأصبحت غرض كل أديب ، وقد ترامى بها الحال حتى جاوزت الألفاظ إلى الأشخاص فى البيتين الظريفين الآتيين :

وقالوا يا قبيح الوجه تهوى مليحاً دونه السمر الرشاق

فقلت : وهل أنا إلا أديب فكيف يفوتنى هذا الطباق !

ولا ينبغى أن يغض التكلف المرذول من قدر البديع المحكم الصنع ، وما البديع إلا مادة زينة كالذهب والأزهار ، يختلف المزيَّن بها باختلاف الصياغة والتنسيق ، وهنا الحد بين الصنعة والتكلف .

وكيف نُحمل على التخلى عن الصنعة فى الآثار الأدبية ؟ أليس اختيار الألفاظ وإحكام النسج وترتيب الأفكار والمعانى صناعة ؟ ولو تخلينا عنها لما استقام للشعر وزن ولا اطردت له قافية .

ويقولون: إن المتأخرين كانوا يصنعون فى أدبهم ليموضوا فقره فى المعانى . ولو أنهم حقا شعروا بشيء من ذلك لعملوا على تلافيه ، والشعور بالنقص مبدأ الكمال ، كما يقال . ولا يصح الخلط بين أدب عصر المماليك وبين أدب العصور السابقة ، فإن الأول كان حقاً فقيراً فى المعانى والأفكار ، بل كان فقيراً فى الصنعة نفسها ، وكان متكلفاً غير مقبول ، وما عنه نتحدث .

وبعد فقد قصدت إلى نفض الغبار عن محاسن فى أدب المتأخرين عدت عليه مساوئ ، ولعلى بهذا قضيت بعض حق لزمنى من التمتع بقراءة بعض هذا الأدب زمناً لقيت فيه العنت من نبش قبور المخطوطات بدار الكتب المصرية ، وإلى القائمين على إحياء الآثار الأدبية يساق الحديث .

عباس حسان خضر

كتب قرأتها :

فى غربال ميخائيل نعيمة

للأستاذ حبيب الزحلاوى

كتاب يساير الجيل بعد الجيل ، يمضى قدُماً مع الفكر فى تطوره ، والعقل فى تدبره ، والقلب فى يقظته . تقرأ فيه صورة التوثب فى شبابك ، وسورة التريّن فى كهولتك ، وآية التوطد والاستقرار فى شيخوختك . تلمح فيه الدقيق من رسوم الحياة مجسمة فى سطور تعبر كل كلمة وجملة وعبارة فيها عن معنى جديد من معانى الحياة دائمة التجدد . إنما هو كتاب خالد ، قد يصلح على كر السنين ، لزمنك ، ولمن يأتى بعد زمنك

هذا الكتاب هو « الغربال » ومؤلفه هو الأستاذ ميخائيل نعيمة ...

من خلائق مؤلف كتاب « الغربال » صفاء فى الذهن ، كما يقول الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد ، واستقامة فى النقد ، وغيرة على الإصلاح ، وفهم لوظيفة الأدب ، وقبس من فلسفة ، ولذعة من التهكم » .

لم يغال الأستاذ العقاد فى وصف مزايا المؤلف الأدبية ، ولم يفتعل له من الخلائق ما ليس فيه .

إن نظرة فاحصة تُلقى على فصول الكتاب تكفى لإقامة البرهان وإنهاض الدليل ، على أن الأستاذ العقاد لم يداهن مؤلف « الغربال » ولم يرائه كما راءى وَيمالق أكثر أدباء هذا العصر خصوصاً من يدّعون أنهم من النقاد المتجردين عن الأهواء والأغراض . كما أنها تشير بوضوح إلى اتجاهات المؤلف ، وإلى الهدف الذى صوّب إليه سهامه ، والغاية التى رمى إليها ، وأنه كان لا محيص ألبتة لصاحب نفس كبيرة مثله ، يعرف الحب والتمرد والحرية ، عن صرخة مدوية يصرخها فى وقت كثر فيه لغط الرجعيين المتحجرين من الكتّاب المحافظين فى مستهل هذا القرن واشتد نقيق الضفادع ، أعنى الكتاب الذين أخذوا يهرفون بالتجديد العصرى ، والحديث المبتكر .

صدر كتاب « الغربال » إثر صدور « الديوان » لمؤلفيه الأستاذين عباس محمود العقاد وابراهيم عبد القادر المازنى ، وانفجرت فوهة بركان « الديوان » تقذف الحمم عقب صدور «منهل الوراد فى علم الانتقاد» لمؤلفه المرحوم قسطاكى بك الحمصى، لذلك رأيت أن أقول كلمة عابرة فى الكتابين الأخيرين توصلا إلى تعريف الكتاب الأول ، ولأقرر أيضاً أن فن النقد الأدبى سلك إلينا المسلك الطبيعى فى تدرجه وتطوره .

لم يكن الأدب العربى يعرف أن للنقد قواعد بأصول تعرف به مزايا هذا الفن ومدارسه وأساليبه وتقسيماته . وقد عرفنا ، نحن أبناء هذا الجيل أن المرحوم قسطاكى الحمصى نقل لنا ما كتبه جهابذة فن النقد عند الفرنسيين أمثال سنت بوف ، وربنان ، وتين ، وفرديناند برونتير ، وأميل فاجيه ، وأدلف بريسون ، وجول لوميتر . فكان رحمه الله مُشعل المصباح الأول فى جادّة هذا الفن فى مستهل القرن العشرين ، أى فى عام ١٩٠٧ .

أما كتاب الديوان فقد كان معولا فى قبضة رجلين قويين أهويا به على ثلاثة من « أصنام الأدب » كنا نحسبهم آلهة فى ثياب شعراء ؛ وقد حدث ذلك فى عام ١٩٢١ .

أما كتاب « الغربال» فقد صدر فى عام ١٩٢٣ يحمل فى طياته جواهر القواعد التى نقلها قسطاكى الحمصى عن الفرنسيين ، ولباب فنون النقد التى أخذها هو عن كبار النقاد من الروس والأمريكان والإنجليز ، ولم يتحرج من انتزاع المعول من قبضتى العقاد والمازنى وهزّه فى وجوه شعراء وكتاب ، فأرعبتهم هزة المعول تلك أكثر مما أوجعتهم ضربات العقاد والمازنى ، ثم أخذ يعرفنا بالكاتب والشاعر والناقد ، يوضح لنا معالمهم ، ويعدد خصائصهم ، ويشرح مزاياهم ، فقال فى الكاتب :

« ... إنما الكاتب قلب يخبر ، وعقل يفكر ، وقلم يسطر ، فحيث لا شعور فلا فكر ، وحيث لا فكر فلا بيان ، وحيث لا بيان فلا أدب .

« الشعر والفكر والبيان ، ثلاثة لا يكون رجل كاتباً إلا إذا توفرت له أكثر من توفرها لسواد إخوانه فى البشرية ، ولولا تفاوت الناس بعمق الشعور واتساعه ، وحدّة الفكر واندفاعه ، وجمال البيان وجلائه ، لكان كل من عرف القراءة والكتابة كاتبا ...

« على سطح هذه الأرض قلوب عديدة ، غير أن أكثرها تتدفق الحياة من حوله ومن فوقه ، فتنحدر عنه انحدار الموجة عن الصخرة . إن أمثال هذه القلوب لا تخبر ، وإن خبرت ، فعن تخمة فى البطن ، أو تكمش ، أو عن وجع فى الرأس .

« وعلى الأرض عقول كثيرة ، وأكثرها تتناوله الأشياء ولا يتناولها ، وتغربله ولا يغربلها ، فأمثال هذه العقول لا تفكر بل تدور مع الليل والنهار ، بقوة العادة والاستمرار .

« وعلى الأرض قناطير من الأقلام ، ولكن منها ما يقول له العقل والقلب اكتب « نعم » فيكتب « لا » ، إن مثل هذا القلم لا يسطر ، وإن سطر خروفاً سوداء على أوراق بيضاء لاعلاقة لها بين عقل الكاتب وقلبه .

« ومن نكد البشرية — وقد يكون من حسن حظها — أن أمثال ما ذكرت من العقول والقلوب والأقلام ، هى القاعدة السائدة فيها ، وما اختلف عنها فشذوذ ، وكل شاذ نادر ، لذلك ندر وجود الكتاب والشعراء وأبناء الفن .

« للناقدين ولع بتحديد مراتب الكتاب والشعراء ، والمقابلة بين الواحد والآخر ، وتفضيل هذا على ذاك ، أو ذاك على ذلك ، وقد يكون فى مقابلتهم وتفاضيلهم نفع لهم ولقارئيهم ، أما أنا فإن عثرت على كاتب له قلب يخبر ، وعقل يفكر ، وقلم يسطر ، شكرت ربى ألف مرة ومرة ، وتركت للقارىء المقارنة بينه وبين سواه ، ومحاسبته بالخطأ والصواب ، والحلال والحرام ، والنفع والضرر ، فتقديرك الكاتب منوط بما تقرأ من نفسك وعنها ، فى سطوره وبين سطوره ، لا بما يقرؤه سواك ، فرب كتاب أطالعه فألقيه ترديد أصداء بعيدة ، هى أصداء أفكار وعواطف خبرتها ونبذتها من زمان ، ويطالعه سواى فيرى فى كل سطر من سطوره فكراً جديداً وعاطفة جميلة والعكس بالعكس .

« لذلك لست أرى جزيل نفع فى المقارنة بين الكتاب والشعراء ، ومتى أنست من كاتب قلبا يحس ، وفكراً يقابل ويستنتج ، وقلماً يصور بإخلاص ، قست إذ ذاك مقدرته الكتابية ، لا بعدد ما يضمن سطوره من « الحقائق الراهنات » و « المعجزات البينات » وغريب المفردات ، بل ما يثيره فىّ من العواطف والأفكار ، وبما يوجه إليه بصرى من ظواهر الأمور وبواطنها حتى إنى لأوثر كاتباً يخالفنى فى كل رأى أراه ، على كاتب ينطق بأفكارى وعواطفى ، فقد يروقنى من الثانى جلاء فى الإفصاح ليس لى ، وتلك منّة صغيرة ، ولكن منة الأول علىّ أكبر وأوفر ، لأنه يكشف لعينى عوالم كانت خفية عنها ، ويفسح لفكرى وعاطفتى مجالا ما كان لهما ، فيدفعنى بذلك إلى تصفية حسابى مع نفسى ، وإلى تقويم بضاعتى الروحية ، ولولا ذاك لما عرفت أنى من أبناء هذه الحياة ... »

فى الناس من يعتقد أن لا فائدة ألبتة للنقد الأدبى ما دامت أقيسته قائمة على الذوق الذاتى ، وفيهم من يقول إن فى مكنة كل كاتب التصدى للنقد ، فيتجنى إذا طاب له التجنى ، ويتعسف إذا حفزته نزوة إلى العسف ، وإنه فى الواقع لا يجنى من النقد سوى عداوة الناس ، وخصومة الأصدقاء . فإلى هؤلاء وأضرابهم أقول : ما أكثر ما يقال فى الناقد من حق ومن باطل ، وما أحوج الناقد إلى الجرأة والصبر على مخالفة الناس ، لا لأنه أعرف ببواعث نفسه على النقد من سواه ، وأبصر فى تسديد مهامه إلى أهدافها ، وأكثر نخوة على الحياة الأدبية من كل الناس ، بل لأنه غيور على الأدب مخلص للحياة الأدبية ، بيد أن مؤلف « الغربال » يقول ... :

« ... إن مهنة الناقد الغربلة ، لكنها ليست غربلة الناس ، بل غربلة ما يدونه قسم من الناس من أفكار وشعور وميول ... وظيفة الناقد حك فكره بفكر المؤلف ، واستجهار عاطفته ، وتنقية قمحه عن زوانه وإحساكه .

(البقية فى العدد القادم) **حبيب الزحلاوى**

بناة العلم فى الحجاز الحديث :

السيد أحمد الفيض آبادى

للأستاذ عبد القدوس الأنصارى

« فصل مستل من الجزء الأول من سلسلة « بناة العلم فى الحجاز الحديث » . وهو الكتاب الذى يمثل مبادىء اليقظة العلمية الحديثة لمهد العروبة والاسلام ، فى العصر الحديث ، بأسلوب يجمع بين متعة الفن القصصى وعمق البحث العلمى ، لمؤلفه الأستاذ عبد القدوس الأنصارى صاحب مجلة « المنهل » بمكة ورئيس تحريرها. والكتاب تحت الطبع .

عهد جديد :

كان الفتى قد بلغ الخامسة عشرة من عمره . وكانت الأحلام المعسولة تتراقص أمامه كما تتراقص مياه الغدير الصافى للظمآن فى الفيافى الجرداء . وكانت الحياة فى نظره رؤى وأحلاماً فيها الكثير من الغموض والاظلام . وقد كسبته الحوادث والأحداث الجسام التى مرت عليه قطمانها وهو ناعم الأظفار ، مرونة محدودة ودقة نظر غير بعيدة الأهداف فى الحياة والأحياء ... وكان الفتى خجولا منطويا على نفسه محباً للعزلة أنى وجد إليها سبيلا .

وكان لا يبتسم لشىء بقـدر ما يبتسم للدرس والكتاب ، وما يستتبعانه من حفظ ومطالعة وتكرار .

وكأن انطوائيته فتحت له آفاق الدأب على تحصيل ما يرسم له من علوم . فكانت متعته وهجيراه أن يتخيل نفسه وقد بز الأقران ، وصار علماً فى العلم والأدب العربى يشار إليه بالبنان .

وكانت لديه مع ذلك نفس مكبوتة نزاعة إلى الإلمام بهذه الفنون العصرية التى بدأت تستهويه نغماتها القادمة من آفاق مصر والشام ؛ كما استهوت نغمات « سلامة » ابن أبى عمار المشهور بالقس لعبادته وتقواه . ولكنه فى حالته الراهنة ، وهو الطالب بالمسجد النبوى ، لا يكاد يشعر بوجود أية فجوة ينسل من خلالها إلى ذلك الروض الذى يتخيله أنيقا كل الأناقة ، والذى يحن إلى الاستظلال بأفيائه كل الحنين .

وفيما هو كذلك وإذا به فى أمسية من أماسى الربيع الساجية أمام شخصية بعيدة الصيت هى شخصية السيد أحمد الفيض آبادى التى اشتهرت بالنبل وسمو الأخلاق ، وقد تسربت إلى الفتى إشاعات بأن هذه الشخصية مزمعة أن تفتتح معهداً لتعليم الناشئة ما يصلح مستقبلهم فى معاشهم وفى معادهم . فيتقدم بالفتى أستاذه ومربيه إلى هذه الشخصية ، ويجرى بينهما حوار لا يتذكر الفتى الآن أكان قصيراً أم طويلا ، ولكنه يتذكر على كل حال أنه كان حواراً ممتعاً رصعت حواشيه بالبسمات وحسن التفاهم ، وتبودلت خلاله عبارات المجاملة والتقدير . وكان الفتى طيلة جلوسه بين يدى الشيخين المتحاورين يحدق النظر بملء عينيه وبقلبه أيضا إلى هذا الرجل الذى بدأ يستشعر له الحب والتقدير برغم بساطة مظهره وتواضعه . وسرعان ما علم الفتى من أستاذه عقب افتراق الرجلين أنهما — فى تلك الجلسة الرزينة الهادئة — قد وضعا تصميم الاتفاق على دخول أستاذ الفتى فى المدرسة الجديدة الناشئة رئيسا للمدرسين بها ، كما علم أنه قد فتح له باب عهد جديد بما تقرر من أن سيكون ضمن طلاب هذا المعهد فى عهده الأول .

ومن الحق أن نقول : إن قلب الفتى قد امتلأ غبطة بهذا النبأ السار الذى يحمل فى طياته تحولا جديدا فى مجرى حياته بما سيفتح له من أجواء معرفة أوسع مدى من المعرفة التى هو بسبيلها .

وبقدر اغتباط الفتى بهذه الناحية كان اغتباطه أيضا لما أدركه — عقب دخوله المدرسة — من أن المدير قد قرر صرف مكافآت شهرية للطالبين بقدر جدهم وتفوقهم ... ولم لا يغتبط الفتى بهذه الإعانة التى ستمهد له قسطا وافراً من حياة الاستقلال الذاتى ، وتساعده على التفرغ لتحصيل العلم ؟ ... فهو وإن يك مكفى الشؤون لدى مربيه الذى هو خاله وابن عمه وأستاذه ، إلا أنه مع ذلك كان يشعر من زمن الطفولة الغضة أنه يتيم ، ومن دأب اليتيم أن يشعر بأنه فى حاجة رتيبة إلى المعونة المادية الوافرة ضمانا لتحسين حاله فى المستقبل الغامض المجهول .

وقد ازداد جد الفتى وتضاعف اقباله على التحصيل ، وواصل ليله بنهاره ، ولم يرض مطلقا إبان دراسته إلا أن يكون الأول فى كل الاختبارات ، وآثر النصب على الراحة ، وأعرض بالكلية — وما كان من قبل مقبلا — عن ألوان اللهو والمتع التى كانت تستهوى اقرانه الآخرين .

٢٦ • ٣٩



ثورة سنة ١٩١٩

[للأستاذ عبد الرحمن الرافعي بك]

منذ سبع وعشرين سنة زلزلت أرض مصر بثورة انفجرفيها غضبها مما نزل بها ، وجاش فيها تيار وطنيتها بعد أن عب عبابه ثم اندفع ذياداً عن كرامتها ؛ وقد كان هذا الحادث المظيم من مفاخر مصر التي تبقى على وجه الدهر صفحة مجيدة يزدهي بها كتاب جهادها .

ولقد كان كل مصرى يود لو ينهض لتأريخ هذه الثورة عالم ثبت يحصى كل ما ذهب فيها من ضحايا وخسائر ، ويسجل ما عانته البلاد في سبيلها من مشقات وشدائد ، عادل نزيه يتولى درسها وتحليل أحداثها بروح الحق والإنصاف ، فلا يستميله هوى ، ولا يلوى به أرب .

وظلت هذه الأمنية تعتلج في صدور أبناء مصر هذا الزمن الطويل ، حتى ظهر في هذه الأيام كتاب قيم في جزءين كبيرين يؤرخ هذه الثورة الشاملة من قلم رجل أجمعت الأمة على صدق وطنيته وسعة إدراكه وعظيم جهاده ، ذلك هو الأستاذ الكبير عبد الرحمن الرافعي بك الذي توفر منذ عشرين سنة على دراسة الحركة القومية من فجر انبعاثها في العصر الحديث ، وأخرج في تأريخها تسعة مجلدات غير هذا الكتاب الذي بين أيدينا اليوم ، جعلها سلسلة متصلة الحلقات تؤرخ كل حلقة منها فترة من هذه الحركة أصدق تأريخ وأوفاه ، حتى لقد أصبحت هذه المجلدات النفيسة أوثق الأسانيد وأصحها لتاريخ مصر الحديث

قال مؤرخنا الجليل في كتابه الحديث: « إنه عرض وتأريخ لثورة سنة ١٩١٩ أعرضها وأؤرخها كما أرخت الثورة العرابية من قبل ، فهما ثورتان متعاقبتان في تاريخ مصر الحديث تتشابهان في الأغراض والمقاصد ، وإن كانت الثانية تفضل الأولى في النتائج »

ولما كانت هذه الثورة قد شبت عقب الحرب العالمية الأولى ، فقد مهد المؤلف بصدر صالح من القول فيما كانت عليه مصر أثناء هذه الحرب من سنة (١٩١٤ — ١٩١٩) وما أصابها في هذه

وكان الفتى مغتبطا بهذا المهد الجديد أيما اغتباط ، وقد شعر المدير بما يحمله قلبه من حرص واجتهاد ، فما قصر في إغداق المساعدات عليه ، وحباه بمختلف الرفد والمعونة ، وصار يعهد إليه ، فوق ذلك ، ببعض المهام زيادة في تنشيطه ورفعاً لمستواه الفكرى في ميدان الأعمال الإدارية والاجتماعية .

وقد ظل على ذلك المنوال حتى إذا أكمل مقررات الدراسة العالية دخل لخصا طويلا مرهقا ، ويخرج منه وقد نال أرقام الدرجة الأولى في أغلب العلوم والفنون ، وبذلك أخذ الشهادة العالية في طليعة من أخذها .

وكم كان اغتباط المدير بنجاح الفتى ونجاح زميله معه ، هذا النجاح الباهر المرموق ، وكان الفتيان الزميلان يمثلان وحدهما « الفوج الأول » من متخرجي هذا المعهد ... وفي أيام الاختبار الذي تخرج منه الفتى لوّح المدير له بأنه سيعينه عقب نجاحه مدرسا معيدا بالمدرسة غير أن ضرورات اجتماعية دعت الفتى إلى أن يقبل وظيفة كتابية بديوان إمارة المدينة المنورة ، وقد أحس يومئذ بشيء من وخز الضمير تجاه مديره الذي طالما عطف عليه فذهب إلى داره مبكرا ليقدم إليه جميل العذر ، فالعذر مقبول عند كرام الناس ، وإنه ليصافحه إذ يسأله في تأثر :

— أحق أنك وظفت في الديوان ؟ ! ...

— أجل يا مولاى ، ولقد قضت بذلك ضرورات اجتماعية ، وسأخدم المعهد الذي له علىّ فضل وافر ، وأنا خارج عنه ، أكثر مما أخدمه وأنا فيه .

وكانت هذه الجمل التي خرجت من قلب الفتى يتهدج بها صوته في نبرات الصدق والإخلاص والوفاء بلسما لتأثر المدير الوقور ، فهتف قائلا :

— سنرى ما يكون من البر بوعدك الذي اقتطعته على نفسك .

وتلا ذلك صمت أدرك الفتى منه أن المياه قد عادت إلى مجاريها أو كادت ، فيستأذن منصرفا إلى تأملاته في الحياة والأحياء ، ماذا كان أمره من قبل وإلى ماذا صار ؟ وإلى ماذا سيؤول هذا الأمر ؟ ولكنه لم ينس قط لا في تلك اللحظة الدقيقة العابرة ، ولا فيما تلاها من لحظات وساعات وشهور وسنين ، ولجب البر بوعده الذي اقتطعه على نفسه يومئذ لتلك الشخصية النبيلة الممتازة .

عبد القدوس الأنصارى



يوميات جينيفييف

للكاتب الفرنسي مارسيل بريفو
بقلم الدكتور محمد غلاب

١ – الأسوداد :

٢٠ مايو

لماذا أنا مهتاجة ومحزونة ؟ لماذا قلبي مفعم باسوداد بشع كما كانت تقول الأم « ملكة (١) الملائكة » في ذلك الوقت السعيد الذي لم أكن مشغولة فيه إلا بشواغل فتيات الدير ، والذي لم أكن فيه متزوجة، ولا ... ماذا كنت سأكتب؟ إن كل سروري اليوم ينحصر في أني أم . كل سروري اليوم هو عزيزي الذي يبلغ من العمر تسعة عشر شهراً ، إنه هو « رينيهي » الصغير .

إن الأم « ملكة الملائكة » كانت قد وضعت هذا الاسم أي (الاسوداد) لتنعت به الأشياء المتموجة الثقيلة المظلمة التي تضغط على القلب دون أن يعرف أحد من جاءت ، ولا ما هي ، ولكنها كانت أيضاً قد ابتدعت برنامجاً لمحاربة هذا الاسوداد وهو أن يعتزل الإنسان الناس ويأوي منفرداً إلى غرفته ، وفي يده قلم وورقة بيضاء ، وأن ينظر بعناية في أعماق نفسه ، فبفضل إدمان هذا الامتحان يصل الإنسان دائماً إلى اكتشاف ذلك الاسوداد مختبئاً في زاوية من زوايا قلبه . ومعنى هذا أن جميع الأسباب الغامضة التي عنها ينشأ الحزن ستنتهي بأن تتكشف يوماً ما ، إذ كنا يلمح

(١) هو إسم لمديرة الدير الذي تربت فيه السيدة « جينيفييف » بين مثيلاتها من بنات الأشراف .

الفترة من فرض الحماية البريطانية ، وإعلان الأحكام العرفية ، والرقابة الصحفية ، ووقف الجمعية التشريعية ، واضطهاد الحركة الوطنية ، وتشتيت شمل رجال الحزب الوطني الذين كانوا يقومون وحدهم حينئذ بهذه الحركة ، وذلك بالاعتقال والنفي ، وعدد ما استولت عليه السلطة الإنجليزية من مؤن ورجال ودواب وما إلى ذلك مما يطول القول فيه . وفي الفصل الثاني استقصى كل الأسباب التي بعثت على الثورة من سياسية واقتصادية واجتماعية ، ورجع بها إلى سنين خلت . وبعد أن فصل القول في ذلك تفصيلا قال : إن تأليف الوفد المصري قد جاء معجلا لظهور هذه الثورة ، ذلك بأن أعضاءه لما لم يذعنوا للانذار البريطاني الذي يقضي بألا يجعلوا الحماية موضع مفاوضة ، وألا يعرقلوا تأليف وزارة تخلف وزارة رشدي باشا ألقى القبض عليهم واعتقلوا « فكان ذلك بمثابة الشرارة الأولى التي أشعلت نار الثورة » .

ثم مضى بعد ذلك يتحدث عن هذه الثورة التي شملت البلاد جميعاً مدنها وقراها ، وعمت أهلها أفرادها وجماعاتها ، وأسند حديثه بإحصاء دقيق لكل ما حاق بالبلاد من الفظائع التي اتخذها الإنجليز لقمعها ، وشرح المحاكمات التي قضت بالقتل على المئين ممن اشتركوا فيها . ثم أنشأ يتكلم عن لجنة ملنر وما قوبلت به من إعراض الأمة عنها ومقاطعتها إياها ، ثم اضطرارها إلى مفاوضة الوفد المصري الذي كانت تتجاهله ولا تعترف به ، وأفاض في القول عن مراحل هذه المفاوضة واستشارة الأمة في المشروع الذي انتهت إليه ، ثم ما جرى بعد ذلك فيها إلى أن انتهى أمرها.

وعقد الفصل الأخير للكلام عما أدت إليه هذه الثورة وهل نجحت ؟ وفيم كان نجاحها ؟ وهو فصل ممتع يمتد بنا نفس القول لو عرضنا لتلخيص ما اشتمل عليه من تحليل عميق واستنباط سديد . ثم ختم الكتاب بوثائق قيمة منها عهود الإنجليز باحترام استقلال مصر ووعودها بالجلاء ، وقد بلغت ستين عهداً ووعداً ، ومنها معاهدة الآستانة المؤرخة ٢٩ أكتوبر سنة ١٨٨٨ .

هذا عرض موجز ألممنا فيه بأطراف مما جاء في كتاب « ثورة سنة ١٩١٩ » . ولو كان الأمر لنا لأشبعنا القول في كل فصوله القيمة ، ولكن صفحات الرسالة الغراء تحول الآن بيننا وبين ما نريد . ولعلنا – بهذه الكلمة الصغيرة – نكون قد أدينا بعض ما يجب علينا من تنويه وتقدير لمؤرخ العصر الحديث الذي قضى من عمره المبارك ما قضى في خدمة بلاده عملا وتأليفاً ، وكان من أقطاب هذه الثورة ، وممن وقع عليهم من المحتلين قبل شبوبها عنت الجور والإرهاق وظلم السجن والاعتقال . سدد الله خطاه ، ووفقه في كل ما يتولاه

محمود أبو ريه

الإنسان سبباً من هذه الأسباب يقيده في تلك الورقة بقدر ما يتيسر له من إيضاح ونظام ؛ فإذا ما تمت كتابة هذه النقط وجب على ذلك المحزون أن يتأمل فيها جميعها في شيء من التفصيل . ولقد كنا نفعل ذلك كلما ألم بنا الحزن ، وكنا نجتهد دائما في أن نجد الدواء لكل اسوداد ، وإلا فقد كنا نوطن النفس على الاحتمال ، وكانت هذه العملية دائما تنجح في إعادة الهدوء والتفاؤل إلى النفوس .

واحر قلباه ! إني بقدر ما أخطو في الحياة المستقلة التي يدعونها بالحياة الزوجية ألمح أن هذه الحياة عابثة ومليئة بالضعف والبؤس ، وليس لهذا من سبب إلا أنني لم أعد أتمسك بتلك الالتزامات الحكيمة التي تلقيتها في الدير ، ولو أن مثيلاتي من السيدات (الأريستقراطيات) استطعن أن ينقلن تلك النصائح النفيسة إلى حياتهن الاجتماعية والزوجية لخلقن من أنفسهن نساء قويات .

ولكن الوقت لم يضع لمن أراد أن يعمل خيراً كما يقول المثل . فلنحاول تجربة دواء الأم « ملكة الملائكة » ولأطبقه على حالتي الخاصة .

أنا « جينيفييف أوليفيه » تلميـــذة الدير سابقاً ، و« الكونتيس دي بواستيل » اليوم والتي تبلغ من العمر اثنين وعشرين عاما وقد مضى على زواجها ثلاثة أعوام ، وهي متمتعة الآن بحب طفل تعبده ، وبزوج خبيث وفاتن تعبده أيضاً مع الأسف الشديد .

ها هي ذي الورقة البيضاء أمامي ، وها أنذي أمسك بقلمي وأجلس إلى مكتبي .

إن الطفل الآن نائم ، وإن مربيته الانجليزية بجانبه ، وإن « راءول » زوجي في النادي (في الساعة الثالثة بعد الظهر وفي يوم الأحد ... ! وعلى كل حال فلنصدق ذلك مؤقتا) ولكن الذي لا شك فيه هو أنه لن يعكر على صفوي أحد قبل مضي ساعتين ، فلنبتدىء :

أنواع الاسوداد التي في نفسي الآن :

(ا) إن هذا اليوم هو يوم الأحد ، وهو عندي يوم حزين ولا سيما في الساعات التي تفصل بين الغداء والعشاء ، وفوق ذلك فإن الطقس حار جداً ، وأنا حينما تشتد الحرارة أحس كأني لا أحيا في الوجود .

(ب) إن بشفة طفلي دملا صغيراً ؛ وعلى العموم إن هذا الطفل يقلقني منذ أسبوع لأنني ألاحظ أنه ممتقع قليلا ، ودرجة الحرارة عنده تتخطى الحد الطبيعي ، ومربيته تقول : إنه لا ينام نوماً هادئاً .

(ج) إن « وايت فيرن » لم يفلح في صنع ملابس السفر التي كان يخيطها لي بالرغم من محاولاته المتكررة ، وبعد عشر تجارب بعثها اليوم إلي قبل أن أستيقظ من نومي ، ولا شك أنه فعل ذلك متعمداً لكي لا أجربها فألاحظ أخطاءها الجديدة وأعيدها مع العامل . وإنني في هذه الملابس مرعبة ومضحكة ، فعندما ألبسها أظهر كأنني أمثل دور سائق العربة في إحدى روايات « البولڤار الهزلية » . ولا ريب أن هذا أمر سخيف لأن رحيلي إلى « تالوار » سيؤجل .

(د) وأخيراً ؛ إن الإسوداد الحقيقي الذي يملأ نفسي ، والذي هو جدير بأن يعد كنتيجة للتفكير الطويل هو أنني غيورة ، وغيورة بصورة مزعجة . ولكنها ليست غيرة غبية حمقاء بلا مبرر إلا التلذذ بعذابي وعذاب زوجي . كلا بل إن لدي أسباباً قوية ومبررات قيمة لهذه الغيرة .

فقبل كل شيء لم يعد « راءول » يحبني ، ومع ذلك فلو أني مت لسبب له موتي حزناً . غير أني أعتقد أن عاطفته نحوي تقف عند هذا الحد ، إذ أن من الواضح أني أضايقه ، وأنه يتمنى أن يكون حيث لا أكون (أنا أجرح قلبي بيدي عند ما أكتب هذه الكلمات ، ولكن الطريقة محددة ، وهي أن من أراد أن يكتنه الاسوداد الذي في نفسه ، فعليه أن يكون صريحاً ومخلصاً إلى حد القسوة) . من فظائع الأمور ألا تروق المرأة زوجها ، ولكن ليس هذا كل شيء ، فراءول يروقه شيء آخر في الخارج

أوه ! أنا لا أدري بالضبط من هي تلك التي سلبتنيه ، ولا أدري كذلك إلى أي حد انتزع مني ... آه لو كنت أدري ! غير أن الذي لا شك فيه هو أنه مستلب الآن مني ! إن شكوكي تتردد بين آنسة وسيدة شابة ! آنسة ؟ هل يمكن أن تدعى واحدة من هذا النوع « بآنسة » ؟ تلك الكلمة نفسها التي كانت تطلق علينا ونحن في الدير ، تطلق علينا نحن الطاهرات البريئات الحبيبات المحفوظات من كل دنس ! أما تلك الفتاة فهي الآنسة «لوس دي جيفيرني» ، وهي واحدة من هاتيك الشابات

الباريسيات اللواتى أفرطن فى الحياة الاجتماعية إلى حد الابتذال ، واللواتى نقلن إلينا العادات الأمريكية بعد أن جردنها من الكرامة واحترام الذات ، لأن الأمريكيات - وإن بدا عليهن المجون والخلاعة — يعرفن كيف يدافعن عن أنفسهن عند الإحساس بالخطر ! إن الآنسة « لوس دى جيفيرنى » تخرج للنزهة فى المركبة وحدها ، وأحياناً يصادفها بعض الناس فى معرض رسام مع شاب يشرح لها اللوحات ، وما دامت مركبة والدتها الفخمة تنتظرها على باب المعرض ، فهذا يكفيها كشهادة بحسن سلوكها. وفى المرقص تختار راقصاً على ذوقها ، وبعد الرقص تختلى وإياه فى زاوية بعيدة عن أعين النظارة ثم تحتفظ به طول السهرة. وفى حفلة أسرة « أفرزاك » أمس الأول كان زوجى هو الذى وقع عليه الاختيار..ومع ذلك فقد كان هذا الزوج دهشاً حينما اعترتنى النوبة العصبية فى المركبة ونحن عائدان إلى المنزل .

وكما أن الآنسة « دى جيفرنى » توجد كسحابة فى أفق حياتى كذلك تلوح من خلال هذا الأفق سحابة أخرى ، وهى « مدام ديلافو » زوجة الرسام ، وهى سمانة صغيرة ، شقراء بيضاء مشربة بحمرة كأنها وردة . إنها لجميلة ، بل قد تخطت حد الجمال

لما ذا نستقبل فى طبقتنا أشخاصاً ليسوا منا فى شىء. كديلافو وزوجته وأمثالها الذين كانوا قبل أن نرفعهم إلى صفنا يتناولون طعامهم فى حوانيت الجبن والزبدة ، ويرقصون فى المراقص العامة ، ويعملون كصناع فى معارض الرسامين . من أين جاء هذا الرجل بزوجته هذه ؟ يخيل إلى أنه طالما اتخذها نموذجاً لصوره زمناً طويلا قبل أن يتزوج بها ، وأن حياتهما معاً سبقت عهد زواجهما بوقت غير قصير . غير أنهما قد استُقبلا فى عالمنا الأريستقراطى، لأن الزوج موهوب وحاضر النكتة ، وقد أصبح ثريا ، ولأن الزوجة جميلة إلى حد أنها تستطيع — بلمسة أو بإيماءة — أن تسحر الرجال فتحولهم إلى حيوانات . إنها أغرت زوجى وليس هذا بغريب ، فكل النساء يحاولن إغراءه . أيها الإله ! لقد كنت أتمنى أن يكون زوجى أقل فتنة منه الآن ، ولو كان كذلك لكان حبى إياه مساويا لحبى الحاضر ، ولكانت محاولة سلبه منى أقل مما أعانيه الآن .

ظلت إذاً مدام دى لافو نحو خمسة عشر يوما تحاول إغراء زوجى كما تفعل معه النساء الأخريات ، وقد كان « راءول » أثناء هذه الأيام يظهر عليه الافتتان والسرور ، ولكنهما لم يلبثا أن غيرا خطتهما فلم يعودا يتحدثان مما كان القطيعة قدتمت بينهما ؛ أما أنا فحين رأيت هذه القطيعة الظاهرية كنت أشبه شىء بالحيوان غباوة وبلادة ، وأخذت أحس بالسرور وأقول فى نفسى : أية سعادة ! إنهما لم يتحابا قط ، وإننى كنت مخدوعة فى هذه الريبة.

غير أن والدتى التى كانت دائما بعيدة النظر وكانت هى التى تنبئنى قبل كل إنسان بما يفعل راءول معى من شر ، وتفهمنى متى ينبغى أن أغضب، قالت لى: احترسى، إنهما لم يعودا يتضاحكان أمام الناس كما كانا يفعلان قبل الآن ، ومعنى هذا أنهما يستعيضان عن ذلك فى مكان آخر فراقبى زوجك .

وعلى أثر هذه النصيحة ألقيت على والدتى هذا السؤال :

— إذاً فليس هذا الإغراء متجهاً إلى الآنسة جيفيرنى ... ؟

— واحترسى أيضاً من جيفيرنى .

ونتيجة هذا كله أننى أتألم ألماً مزعجاً !

هذه هى مجموعة الإسوداد التى تحتل نفسى ، وإننى لا ألمح غيرها ، فالأمر يتعلق الآن بمناقشة هذه النقط ومحوها إذا كان ذلك مستطاعا . وسوف لا أقف طويلا عند النقطة الأولى ، فيوم الأحد وحرارة الطقس ، هاتان ظاهرتان يمكن إسنادهما إلى القدر ، والتخلص منهما سهل . فأما الحرارة فإنى أستطيع أن أتقيها بالأمر بإغلاق النوافذ المعرضة للشمس ، وأما بقية نهار الأحد فإنى أستطيع أن أقضيها فى الكنيسة بالاستماع إلى الأناشيد الدينية ، وفى هذا خير شاغل للوقت ومنس للضجر .

أما النقطة الثانية أو الاسوداد الثانى وهو توعك الطفل فإن الدكتور « أرنو » أعلن أنه لا يوجد لديه ما يخيف ، ومع ذلك فلما كان وباء الجدرى منتشراً فى المدينة فقد اعتزمت أن أكتب إلى الدكتور ... « روبان » الذى لى فيه كبير الثقة لأرجوه أن يجىء غداً لفحصه .

أما الإسوداد الثالث — وهو الملابس التى فسدت — فسأتخلص منها بردها إلى « وايت فيرن » وسأنبئه بأننى لن أحتفظ بها ، وإننى مستعدة لقبول الشروع فى غيرها ، وفى مدى خمسة أيام ستكون الأخرى قد أعدت ، وبناء على ذلك فلن يتأخر سفرى إلى تالوار مطلقا . وبعد هذا كله لم يبق إلا الإسوداد الأساسى ، وهو : زوجى أو « راءول » الخبيث .

أيتها الأم الخيرة « ملـكة الملائـكة » ألهميني فى هذا الموقف أن أكـون زوجة متعقلة ومتدينة . أنت تفهمين تماما أنني لا أستطيع أن أقبل بسرور أن أكون مهجورة من أجل امرأة كمدام ديلافو أو فتاة كالآنسة « جيفيرنى » ولا سيما أنى لا أجد فى نفسى ما أستحق عليه التأنيب ، إذ أنني أحب « راءول » ولا أفـكر إلا فيه ، وفوق ذلك فأنا لست دميمة ، بل إنى أؤكد لك أيتها الأم أن كثيرا من الشبان قد حاولوا إغرائى منذ اندمجت فى المجتمع فلم يفلح واحد منهم فى ذلك مطلقا ، فهل من العدالة أنه بقدر ما يحس أننى ملـكه يمعن فى ألا يكترث بى ؟ . وهل ينبغى إذاً ألا أشعره بحنانى نحوه ، وأن ألهب غيرته على نحو ما هو مألوف فى المهازل التمثيلية ؟ كم هذا يقززنى ! كلا ، كلا . أنا لن أقف نفسى — ولو فى الظاهر — موقف المرأة الساقطة ، لـكى أجتذب حب زوجى . غاية ما فى الأمر أنا أعتقد أن من الحـكمة أن أراقب قلبى وأن أفهم « راءول » حزنى ، ولـكن لا بوساطة الدموع ، بل عن طريق السـكوت وتجنب مظاهر المودة . ولا ريب أن هذا سيكلفنى كثيرا ، وسيكون شاقا على نفسى ، ومع ذلك فهو الذى ينبغى عمـله . سأعامل زوجى منذ اليوم بفتور وبخضوع فحسب . والآن ، ماذا أستطيع أن أعمل ضـد عدوتى اللدودتين : الآنسة « دى جيفيرنى » و « مدام ديلافو » ؟ . أنا لا أريد أن أمثل معهما رواية عامة طبعا ، وفوق ذلك ، فإن « راءول » — على الرغم من صلته الشائـكة بهاتين المخلوقتين — لا يزال زوجا مهذبا ، لا يؤخذ عليه شىء فى كل ما يتصل بى . ولو أننى أردت أن أمثل منظرا عاما من هذه الرواية لما مكننى من فرصة تمثيله . وإذاً ، فلم يبق لى إلا أن احتمل ؛ ولـكن كلا ، فأنا لا أستطيع ذلك الاحتمال لأنى لست بطلة إلى الحد الذى أقبـل معه أن يخدعنى زوجى . ولست أحسب أن الإله يكلفنى ذلك ، فإن لى الحق فى أمانة زوجى ، فإذا لم تتحقق لى هذه الأمانة فإنى أفضل أن أحيا وحيدة مع طفلى العزيز الذى قد يعزينى عما أقاسيه .

ها أنذى قد صممت على أن أعرف الحقيقة ، فإذا كانت شديدة القسوة فإنى سأرجو من والدتى أن تصحبنى وطفلى إلى ممتلكاتنا فى الريف لنعيش معاً هناك ، ولـكن كيف أعرف هذه الحقيقة ؟

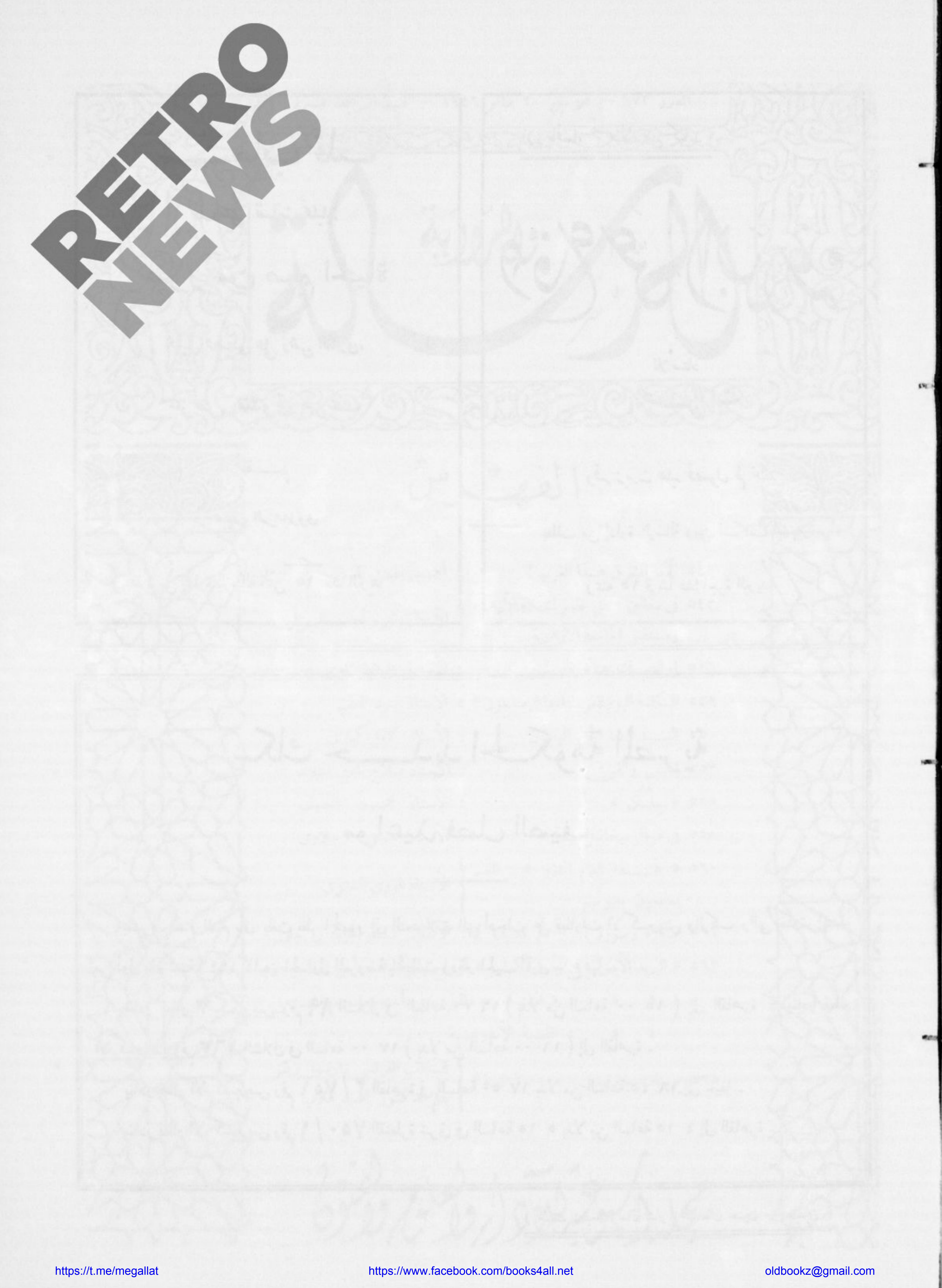
لقد تسلمت منذ أيام كتابا واردا باسمى ففضضته أمام زوجى ولم أكن أعرف ماذا يحتويه فإذا به آت من مكتب البوليس الخاص يعرض على أن يراقب زوجى إذا أردت ذلك ليرى أله صلة خفية بإحدى السيدات أم لا ؟ وبعد أن قرأت هذه الرسـالة ناولت زوجى إياها فألقى عليها نظرة متقززة ، ثم دعـكها وقذف بها إلى الأرض ؛ ولقـد كان مخطئا فى هذا الغضب ، لأنى لن ألجأ أبدا إلى مثل هذه الطريقة ؛ ولـكنى سأراقبه بنفسى كما يراقب القائد الجندى المتهم بأن نفسه تحدثه بالتفريط فى واجبه العسكرى. نعم إنه ليس لديه ما يخشاه منى من حيث فض رسائله أو تفتيش أدراج مكتبه ، ولـكن مادام للمرأة أن تتبع زوجها فى أى مكان ، وما دام ليس للرجل أن يذهب إلى أى موضع دون أن يصطحب زوجته فليحذر هـذه النتيجة ، إذ قد يذهب يوما من الأيام ملبيا أحد مواعيده ، سعيدا بإحدى تلك المسرات الرديئة التى أقرؤها فى عينيه أو فى صوته ، أو فى حركاته ، فإذا وصل إلى مكان هـذا الموعد ألفانى هناك ووقف أمامى وجها لوجه .

ها هى ذى نهاية تفـكيرى ، وهى لم تعزنى ، ولـكنها هدأتنى قليلا ، وسأغادر اللحظة مكتبى لأنظر هنيهة من نافذة غرفتى المطلة على الطنف ، لأننى أريد أن أتنسم هواء المساء الرطيب ؛ فلقد فكرت طويلا والآن قد احتجبت الشمس خلف أشجار الـكافور التى تنتصب فى حديقة المنزل كأنها سور عظيم . وعندما تختفى الشمس من الحديقة يسود جوها هواء فاتر لذيذ . إن الطقس الآن بديع ، وإن هذه الحديقة وذلك المنزل من النوادر التى يحسد عليها فى وسط باريس . كم لدى من الأسباب الظاهرية ما يجعلنى أتذوق الحياة وأسعد بها : أسرة عطوفة ، وزوج رشيق ، وطفل محبوب ، وفوق ذلك فجميع رغباتى محققة . آه ! لو أن العينين الزرقاوين[1] والعينين السوداوين لم تـكن موجودة لـكنت أعبد الحياة !

أنا لست شريرة ، ولـكن لو أننى كنت أستطيع أن أطفئ نور هذه الأعين الأربع بهدوء دون أن أولم صاحبتيها ، ودون أن أحزن الذين يحبونهما ، وأقصد طبعا الذين لهم الحق فى حبهما لفعلت !

(يتبع) محمد غلاب

(١) تقصد بذلك أعين عشيقتى زوجها .


RETRO
NEWS

شعاب قلب

دروس نفسانية تحليلية

صور من صميم الحياة

تحايل قصصي على ذهن القارىء

عرض مشوق مرغب

بقلم

حبيب الزحلاوى

يطلب من إدارة الرسالة الثمن ١٥ عدا البريد

بادر باقتناء نسختك من كتاب :

دفاع عن البلاغة

للأستاذ

احمد حسن الزيات

وقد زيدت عليه فصول لم تنشر

يطلب من إدارة الرسالة ومن المكاتب الشهيرة

وثمنه ١٥ قرشاً عدا أجرة البريد

سكك حديد الحكومة المصرية

مواعيد فصل الصيف

يتشرف المدير العام بأن يلفت نظر الجمهور إلى التعديلات التى أدخلت على قطارات الاكسبريس والركاب والتى نفذت إبتداء من أول مايو سنة ١٩٤٦ كالمبين بالجداول المعروضة بالمحطات ودفتر الجيب الذى يباع بها .

يغادر قطار الاكسبريس رقم ٨٩ الشلال فى الساعة ٣٠ ١٦ (بدلا من الساعة ٠٠ ١٥) إلى القاهرة كما يغادر قطار الاكسبريس رقم ١٦٣ الشلال فى الساعة ٠٠ ١٧ (بدلا من الساعة ٠٠ ١٦) إلى القاهرة .

يغادر قطار الاكسبريس رقم ٧٥١ / ٢ القاهرة فى الساعة ٥٠ ١٧ بدلا من الساعة ٤٥ ١٨ إلى حيفا .

يغادر قطار الاكسبريس رقم ١ / ٧٥٠ القنطرة شرق فى الساعة ١٥ ٥ بدلا من الساعة ١٥ ٤ إلى القاهرة .

(طبعت بمطبعة الرسالة شارع السلطان حسين — عابدين)



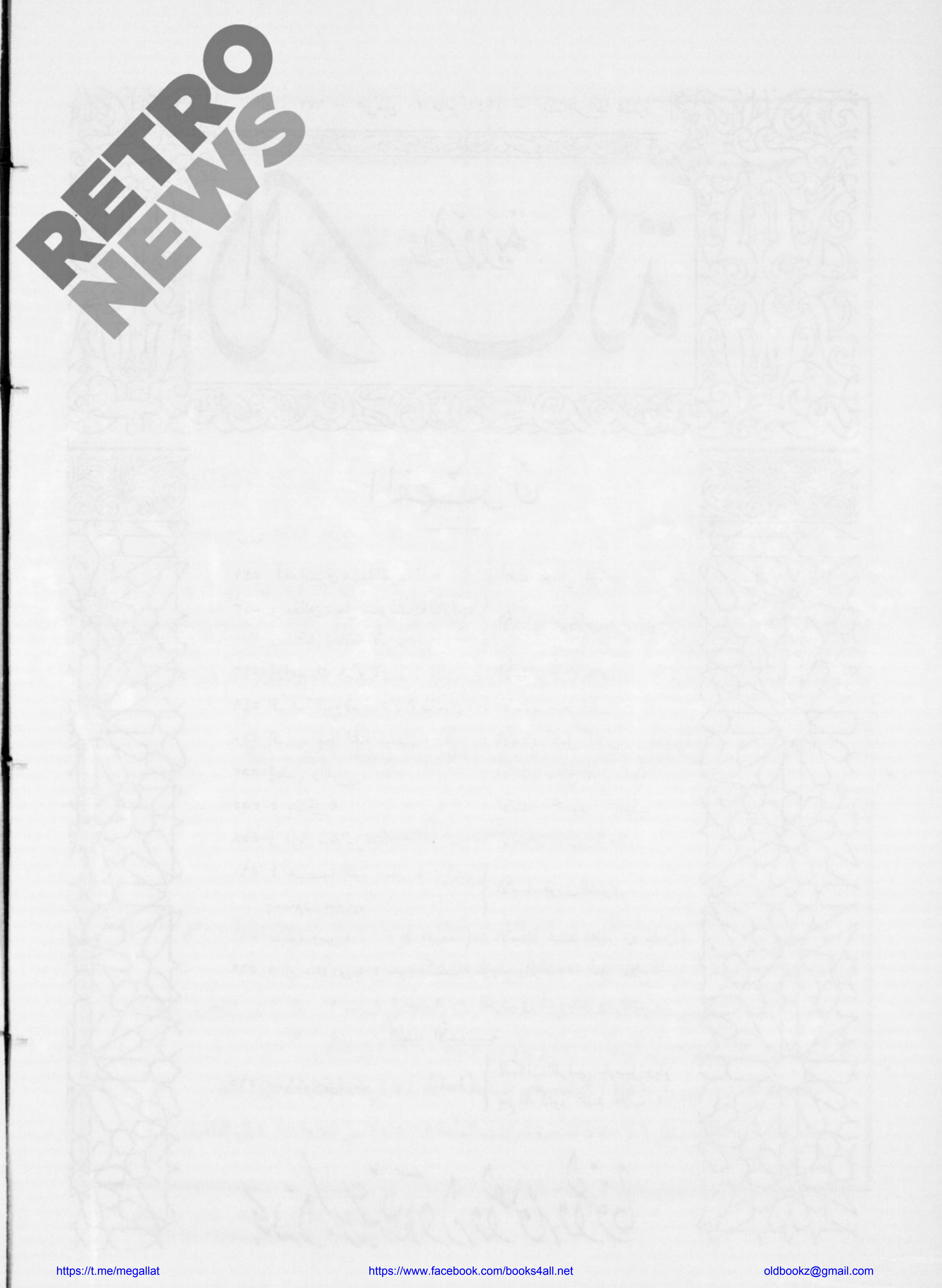


العدد ٦٧٢ — الاثنين ٢٠ مايو ١٩٤٦ — السنة الرابعة عشرة

الرسالة والرواية

الفهرس

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون


RETRO
NEWS

14 me Année No. 672

Lundi—20—5—1946

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
ص
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٦٧٢ « القاهرة فى يوم الإثنين ١٩ جمادى الآخرة سنة ١٣٦٥ — ٢٠ مايو سنة ١٩٤٦ » السنة الرابعة عشرة

آفة الشرق هذا الغرب!

يخيل إلىّ من هول ما أسمع وأرى أن هذا الغرب قد مُسخ حوتاً من حيتان الأساطير له رءوس أربعة قد فغر أفواهها جميعاً على الساحلين الأفريقى والأسيوى، يريد أن يطبق فكوكها على العالم العربى بأسره، وإنما عوّق هذه الحلاقيم عن الازدراد هذا الخلاف الصاخب بين تلك الرءوس على الاقتسام كيف يكون، وعلى الانتقام متى يبدأ! وإذا تصورت أفواج السمك حين يسوقها التيار إلى شبكة الحوت فتجزع وتضطرب؛ تصورت أمم الشرق الصغيرة وقد روعها هذا الوحش الهائل وهى وادعة فى ظلال دينها، قانعة بحلال الرزق من أرضها، فتنظر إليه نظر المقضى عليه، تستنجد بالعهود فلا تنجَد، وتستغيث بالمواثيق فلا تغاث، وترى بين منخرَى الحوت تشرشل جالساً وقد انقلب سيجاره الفخم بين شفتيه مدفعاً ضخماً يقذف بالحمم السود على أرض (العلمين) وعلى ظهرها وبفضلها كتب الله له المجد ولشعبه السلامة!

تشرشل هذا الذى وقف ذات يوم على الساحل البريطانى يستقبل الهزيمة الساحقة الماحقة من دنكرك وقلبه واجف ودمعه واكف، يضرع إلى الله أن يثبت قدميه العجوزين المتخاذلتين أمام الإعصار النازى الجارف ليعيد نعمة الحرية إلى الناس، ويقيم ميزان العدالة فى الأرض؛ فلما تمت له المعجزة، وقتل هتلرَ كما قتلت البعوضة النمرود، قام اليوم يدعو أمريكا إلى شركة أخوية بين الناطقين باللغة الانجليزية تصوب أسهمها المراشة إلى كل دولة تطلب المساواة، وإلى كل أمة تريد التحرر، لأن الذى ورث ملكوت هتلر وسلطانه، يجب أن يرث كذلك عنصريته وطغيانه!

تشرشل هذا الذى كان كلما لكمه هتلر بجُمْع يده الحديدية لكمة الموت، خر فاقد القوة والوعى كالثور النزوف، فيدركه المرحوم روزفلت، فيجلسه ويسنده، ويمسح الدم عن وجهه، وينفض التراب عن جسمه، ثم ينضحه بالماء حتى يفيق. فإذا أفاق قام مترنحاً إلى الكنيسة يصلى، أو إلى المذياع يستغيث، أو إلى مجلس العموم يبكى، أو إلى البيت الأبيض يستجدى، أو إلى المحيط الأطلسى يستوحى السماء رسالة العدالة الاجتماعية فتنزل عليه ألواحها المزيفة من سجّيل؛ هذا الرجل الذى نجا لأن عمره طويل، وانتصر لأن جهده قليل، يتبجح اليوم بالعصبية والامبراطورية والدومنيون، ويألم أشد الألم لأن وزارة العمال قررت إجلاء الجنود الانجليزية عن مصر بعد أربع وستين عاماً جثمت فيها على صدرها المكروب، فلا تنسم إلا كما ينسم المحتضر، ولا تتحرك إلا كما يتحرك المبهوظ؛ والمستر تشرشل يعلم كما يعلم كل الناس لماذا دخلوها، وكيف احتلوها، وكم سجلت مضابط برلمانهم العتيق وعود أسلافه بالجلاء عن بلد لم يملكوه بالفتح ولا بالإرث ولا بالهبة، وإنما فرضوا لأنفسهم عليه (حق ارتفاق) بالمرور، ثم جعلوا احتلاله واجباً لحماية هذا (الحق)! ثم اختلفت الأسماء على هذا الاحتلال، من الاستعمار المقنَّع، إلى الحماية السافرة، إلى الاستقلال الصورى، إلى الصداقة الجبرية؛ ولكن المسمى

ظل فى جميع هذه الحالات واحدا ، وهو الوزير الذى يأمر فى (دوننج ستريت) ، والسفير الذى ينفذ فى (قصر الدبارة) ، والأسطول الذى يهدد فى (مالطة) ! !

حتى غيرت هذه الحرب الدنيا ، فتغيرت عقول الناس ، وتبدلت وسائل النقل ، واختلفت أسلحة القتال ، وتغلبت مبادئ الاشتراكية ، وتأصلت فكرة الحرية ، واستحيا بنوآدم أن يظلوا على شريعة الوحوش يحكّمون الأظفار والأنياب فيما يشجر بينهم من خلاف ؛ فاتخذوا (ميثاقا) للأمم ، وألفوا مجلساً للأمن ، وأقاموا محكمة للعدل ، وطمعوا أن يقيموا العالم الجديد على هذه القواعد ؛ ولكن تشرشل وسائر المحافظين لم يكونوا جادين يوم نادوا مع ترومان واستالين بهذه المبادئ ، لأنهم مطمئنون إلى براعتهم فى مماطلة الموت كلما طلع عليهم بمنجله الرهيب ! ومن يدرى ؟ لعل الموت الذرّى فى زيارته القادمة لا يقبل من المخادعين بعد ذلك مطلا ولا ختلا ولا فدية !

لقد كان الشعب الانجليزى بعيد النظر سديد الرأى حين دهور تشرشل وإيدن وأعوانهما عن كراسى الحكم فى صبيحة يوم النصر ؛ فإن من انتصر بالسيف لا يصالح إلا بالسيف ، ومن عشش الاستعمار فى رأسه وفرّخ فى نفسه لا يستطيع أن يؤمن بالديمقراطية والحرية إيماناً يحمله على أن يحبهما فى نفسه وفى غيره ، ويرجوهما لصديقه ولعدوه !

* * *

على أن عذر تشرشل فى موقفه من مصر ومن غيرها ناهض ؛ فإن الرجل ربيب العسكرية والاستعمار منذ درج ؛ ولكنك تكلف العقل شططا إذا حاولت أن تجد بعض العذر لموقف ترومان الرجل الشعبى من فلسطين ! ! لقد دس أنفه فى هذه القضية دساً ، لأن المقادير شاءت أن يكون له فى قضايا العالم رأى ! فهل فغمت أنفه رائحة العدل فيها ، أم سطع فى خيشومه عبير الذهب الصهيونى وهو يفيد فى الانتخابات والدعايات ، وينفع فى الحروب والملمات؟ وما ذا يضر إذا نافس الأمريكانُ الإنجليز فى إرضاء اليهود على حساب العرب ما دام الأمر لا يكلفهم إلا إيفاد (لجنة) تبحث وتحقق ، ثم إرسال (حملة) تنفذ وتطبق ؟ أما فلسطين فحسبها من العيوب والذنوب أنها شرقية ، وأنها عربية ، وأنها مسلمة ، فلم لا تكون مشاعاً بين أهل الديانات الثلاث ، ثم تُقطع إقطاعاً ليهود القارات الخمس ؟ ولا تسل بعد ذلك عن حرية الشعوب وحرمة الأوطان وقدسية الحقوق ، فإن ذلك كلام كان يقرر ويكرر وسيف هتلر مُصلت على الأعناق ، وكابوس النازية جاثم على الصدور !

* * *

واستالين ، ما شأنه والوصاية على طرابلس ؟ هل كان يظن أن انجلترا تترك مفتاح (كرارها) فى يد القط ؟ إنها ترضى إذا حيل بينها وبينها أن تعود إلى إيطاليا ، لأن إيطاليا ريح لا تثير الغبار ، وحمى لا يعوق السائر ! فإذا سألت هؤلاء الذين يحكمون ويقسمون: لماذا تردون المسلوب إلى سالبه ، ولا تردونه إلى صاحبه؟ أجابوك جواب المستعمر الخبير : إنا إذا أعدنا طرابلس إلى أهلها خرجت برقة من قبضة بريطانيا ، وأفلتت تونس والجزائر ومراكش من ربقة فرنسا . وجعلها فى وصاية الجامعة العربية لا يختلف عن استقلالها فى الخطر الذى يهدد الجامعة الغربية ؛ لأن الشرق ما دام سوقاً للاستعمار ظلت سلعه المباركة موضع المقايضة والمعاوضة ! فإذا حررت رقاب العبيد ، وأغلقت سوق الرق ، انقلب المستعمرون إلى ديارهم خاسرين يقتل بعضهم بعضاً من الخوف ، ويأكل بعضهم بعضاً من الجوع ! والرد الذى تقتنع به عقلية الغرب ، إنما هو مجابهة العدوان بالعدوان ، ومواجهة القوة بالقوة . وليست الإشارة هنا إلى العدوان والقوة من القول الجزاف ؛ فإن قوتنا الفكرية متى ذهب عنها مركب النقص الذى اعتراها من طول ما ضامها المستبد وسامها الدخيل ، استطعنا أن نقول صادقين لأى أمة من أمم الأرض : لقد اجتمع رجالنا برجالكم فى مؤتمر الميثاق وفى مجلس الأمن ، فهل وجدتم فى عباقرة أوربا وجهابذة أمريكا من يفوق عبد الحميد بدوى ، أو محمود حسن ، أوحافظ عفيفى مثلا ، فى رسوخ القدم فى القانون ، وأصالة الرأى فى المشورة ، ومتانة الحجة فى الجدل ، ومقطع الصواب فى الحكم؟ وأما القوة المادية ، فالعدد وفر ، والإيمان صدق ، والرأى جميع ، والعروة وثيقة . فإذا أعوزتنا الوسائل تبرع بها من يترقب هذه الفرصة ليكيد ، ويستعجل هذا اليوم ليستفيد !

احمد حسن الزيات

٢ - في مقالين :

هل حاسم لمشكلة الأزهر ، ومستقبل الجامعة الأزهرية

للأستاذ محمود أحمد الغمراوي

شيخ معهد دسوق والزقازيق سابقا

بينت في كلمتي السابقة في العدد ٦٧٠ من مجلة الرسالة ماينجم من اقتراح حضرة الأستاذ مدير المجلة الذي تقدم فيه إلى مشيخة الأزهر ووزارة المعارف بالغاء التعليم الابتدائي من جميع المعاهد الدينية ، وإلغاء سنتين من مدة التعليم بالمعاهد الثانوية لأزهرية ، وإحلال اللغات الأجنبية وعلوم الرياضة والكيمياء والطبيعة محل علوم اللغة العربية ، ومحل علوم التفسير والحديث والفقه والتوحيد التي يدرسها الطالب الأزهري في مدة التعليم بالقسم الابتدائي ، وفي السنتين المطلوب إلغاؤهما من القسم الثانوي .

وقلت إن هذه السنوات الست المطلوب إسقاطها من زمن تعليم العلوم الدينية والعربية في المعاهد الدينية تعدل نصف المدة التي كانت — إلى زمن بعيد — تؤهل الطالب لنيل شهادة العالمية وألمعت إلى ما يكون لهذا الحل المقترح من أثر سيء في حياة اللغة العربية : إذ تهن قواها ، ويقف نموها ، ويضعف نتاجها ، ويضؤل محصولها ، وتفسد حاسة الذوق اللغوي في أهلها . ذلك إلى ما يستتبعه الاقتراح من تضييع حصص الدين المقررة في ست سنين وإلغاء حفظ القرآن ، وفقد حفاظه ، فتنغلق أبوابه في وجوه المسلمين ، ويحجب نوره عن قلوب المؤمنين وتنطمس معالم هدايته فلا ترى للمستهدين ، وتستخفى عن الناس حجة الله على العالمين .

ولقد طلبت من الأستاذين الفاضلين أن يعيدا النظر فيما ارتأياه ويراجعا الرأي فيما اقترحاه ، لعلهما يجدان لوناً آخر من العلاج يكون فيه للأزهر صلاح ورشد ، ونجاة وقصد ، فيوافيا القراء به . بيد أن ما طلعت به الرسالة علينا العدد ٦٧٠ تحت عنوان (إصلاح الأزهر بين دعاته وأباته) جاء ترجيعا لما ارتآه الأستاذ أولا ، محاولا فيه أن يوضح ما ظن أنه أشكل من جوانب رأيه على من سماهم معارضين للاقتراح ؛ وأباة للاصلاح ، مستعيناً بسحر فنه ، يبغي منه أن يرسم له تلك الحقائق الملموسة ، والآثار الثابتة المحسوسة ، والنتائج البينة اللازمة للاقتراح ، والتي لا يخطىء في إدراكها حدس ، ولا ترتاب في وجودها نفس ، إلا من يرتاب في وجود الظلام بعد مغيب الشمس — فيصور لك هذه الحقائق ظلا حائلا ، وخيالا مائلا ، ووهما باطلا !

فهذه السنوات الست التي يراد اقتطاعها من المدة المقدرة للتعليم في المعاهد الدينيّة ليست نصف اثنتي عشرة سنة كانت قبل كافية لنيل الطالب المجد شهادة العالمية ! وليس لها أثر يذكر في إعداد الطالب وتزويده بزاد نافع من الشريعة ومن علوم اللغة العربية ؟ ومن ذا يقول إن الستة نصف الإثني عشر ؟ !

وكيف يزعم زاعم أن هذا الحل الحاسم الذي ارتضاه الأستاذ العقاد يستلزم إلغاء حفظ القرآن ، أو يسلب الطالب الذي يريد أن يلحق بالمعاهد ست سنوات أخرى كان يقضيها في حفظ القرآن استعداداً لقبوله بالمعاهد — كيف؟ وهذا الحل الحاسم يعطي الطالب فرصة واسعة يستطيع أن يحفظ فيها القرآن ، وأن يحفظ غير القرآن من المتون التي لا بد من حفظها لتحصيل ما لا بد منه من المسائل الدينية واللغوية ؟

ألم يأذن له هذا الحل بثلاث سنين كاملة من خمس السنين التي للقسم الذي كان يدعى أمس « القسم الثانوي » ؟

أو ليس في هذه السنوات الثلاث وفاء بما يلزم له من الوقت لدراسة مواد الثقافة المقررة على أمثاله في الشعب التوجيهية بمدارس وزارة المعارف حتى يتم للأمة بهذه الدراسة الحصول على حجر الفلاسفة ، فتقبض بكلتا يديها على حقيقة الحقائق ، ووحدة الوحدات ؛ وحدة الثقافة !

أو ليس في هذه السنوات الثلاث بعد متسع لتحصيل الطالب ما تشتد حاجته إليه من علوم اللغة ، وقواعد الدين وفروع الشريعة ليصير أهلا للدراسة العالية في كليات الأزهر ، وسيكون أهلا للاجتهاد (حتى لا يظل الأزهر كما هو يملك الكلام ، ويجتر الماضي ، ويقتات الفتات ، ويبطل الاجتهاد ، ويعطل العقل ، ويصم أذنيه عن أصوات العالم وحركات الفلك !)

ثم إن لم يكن في هذه الثلاث السنين بلاغ إلى الزاد ، الذي

يوصله إلى مرتبة الاجتهاد ؛ ولم يجد الطالب فيها بديلا من الست السنوات التى سلبها ، وكان يحفظ فيها القرآن قبل التحاقه بالأزهر ومعاهده — فهل تظن أن النظام المقترح يكلفه طائلا أو يجشمه أمراً هائلا ؛ أو أنه يعدل به عن قصد السبيل ويسلك به طريقا جائرا ، يظل فيه عمره حائرا ، يهيم فى أودية الضلال ، ويخبط بين شُعَب الخيال ، لا يجد دليلا ، ولا يهتدى سبيلا ؟ ... كلا !

أليس للأزهر الحق فى أن يزيد فى زمن الدراسة بالقسم الثانوى منه سنة أو سنتين أو ما شاء أن يزيد من سنين يرى فى زيادتها فائدة الطالب ، ونجاح التعليم ، وتقدم العلم طبقا لمقتضيات التطور العلمى والاجتماعى فى هذا العصر الجديد .

ثم هو بعد أن بلغ الحلم ، وحصُف عقله ، مستطيع فى يسر أن يحفظ القرآن وهو بحال : يحفظ ما يفهم ، ويفهم ما يحفظ .

وهل على الأزهر من بأس فى أن يقبل هذا الوضع الجديد الذى يمليه منطق الحوادث ، وتقتضيه طبيعة الزمن فيضاف إلى رجليه القديمتين اللتين كان يمشى بهما رجلان أخريان من أرجل الثقافة الموجودة بمصانع وزارة المعارف ليساعد التطور ، ويجارى الزمن . وبذلك تتحقق للأمة وحدتها المفقودة ، وتنتفع بميزة الإسلام : مرونته ، ومسايرته للتطور ، ومطاولته للزمان، وذلك من مزاياه المعدودة . ثم لماذا يخاف الأزهر من طغيان المواد المدنية على المواد الدينية فى الدرس والتحصيل ما دام الوقت متسعا ؛ والأستاذ كفءاً ؛ والكتاب مهذباً ؛ والمنهاج مستقيما ؛ وتوزيع المواد دقيقاً ؛ والإدارة حازمة ؛ والمراقبة يقظى .

وأقول إن هذا الذى يذكره الأستاذ حق ولكن :

كيف السبيل إلى سعاد ودونها قلل الجبال ودونهن حتوف
والرجل حافية ومالى مركب والكف صفر والطريق مخوف ؟

وهل توافرت هذه الشروط السبعة فى مدارس وزارة المعارف وهى أقوى فى النظام وحسن الإدارة ويقظة المراقبة ؟

لا ريب فى أن الأستاذ الزيات يرمى بما كتب إلى غرض جليل ، يحمله على الدعوة إليه قصد شريف ، ووجدان نبيل . فأما الغرض الذى يرمى اليه فهو إصلاح الأزهر ليتحقق بهذا الإصلاح أمران عظيمان : وحدة الأمة بتوحيد الثقافة ، وإنشاء جيل من العلماء القادرين على الاجتهاد ، لتجد الأمة فى علمهم المثقف ما يحل مشكلاتها الاجتماعية والعائلية ، بما فى الشريعة من سماح وما فى الدين من يسر . فإصلاح الأزهر هو الوسيلة إلى تحقيق هذين الغرضين الجليلين ؛ وما اقترحه مدير الرسالة ، وآزره عليه الأستاذ العقاد ، هو سبيل الإصلاح المنشود .

١ — وحدة الثقافة :

يرى الأستاذان الجليلان أن وحدة الثقافة ؛ أو وحدة الأمة بتوحيد التعليم — كما جاء فى تعبيرهم تتم وتتحقق إذا درست العلوم والآداب فى الأزهر على النحو الذى تدرس عليه وبالقدار الذى تدرس به فى المدارس الابتدائية والثانوية التابعة لوزارة المعارف .

فأما وحدة الثقافة فإن الأزهر منذ خمسين سنة — على عهد المغفور له الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده — قد أفسح صدره لما يسمونه اليوم علوم الثقافة : فأدخل فيه علم الحساب والجبر ومبادىء الهندسة وعلم الجغرافيا ، والتاريخ ، والميقات ، والهيئة ؛ وعلى الرغم من أن تعلمها كان على سبيل الاختيار فإن الطلاب قد أقبلوا عليها راغبين حتى كادت تعم جميع الطلبة ، ولعل الأستاذ الزيات كان ممن استوفوا حظهم منها ، ثم أنشأ المغفور له الخديو عباس الثانى معهد الإسكندرية ، واختار شيخا له القاضى العادل والمربى الكبير المغفور له الشيخ محمد شاكر فنهض بالمعهد نهوضا فائقا ، وجعل تعلم هذه العلوم إجباريا ؛ فازدهر معهد الإسكندرية بهذه العلوم إلى جانب علوم الدين واللغة أيما ازدهار . وتطور نظام التعليم فى الأزهر : فمنذ سنة ١٩١١ صار تعلم هذه العلوم واجباً على جميع الطلاب . ثم توجهت عناية الملك العظيم المغفور له الملك فؤاد طيب الله ثراه ، حيث وجه عنايته — أغدق الله عليه سحائب رحمته — إلى تنظيم الأزهر وإصلاحه إصلاحا شاملا يعم ناحيتيه العلمية والمادية : فبسط يده بالعطاء الجزل ، وزيد فى ميزانية الأزهر زيادة عظيمة ، وأنشىء نظام الكليات وأقسام التخصص ، وعدلت مناهج التعليم تعديلا يلائم الوضع الجديد ، وزيد فيها دراسة علوم الطبيعة والكيمياء وعلم الحياة وتوسع فى مقرر الهندسة ، وزيد فى مناهج الكليات وأقسام التخصص ما يناسب كلا منها من علوم التربية والفلسفة والتاريخ والاجتماع وأصول القوانين حتى

اللغات الأجنبية . وقد كان هذا النظام كفيلا بأن يرقى بالأزهر ويوجد منه علماء إخصائيين لو أنه وجد من يرعاه وينفذه .

ولقد اضطر الأزهر أن يقبل طائعا أو كارها أن يعدل النظام الأساسي للتعليم فيه تعديلا هدّ من قوته وأوهن من علمه وأضعف من قوة الطالب الأزهرى فى العلوم الدينية ونقص فى حظه منها . فقد كان الطالب الأزهرى لا يستحق أن يمنح شهادة العالمية حتى يؤدى امتحانا فى علوم الأصول والفقه والبلاغة والتفسير والحديث والتوحيد والمنطق ... ؛ وحتى يجوز هذا الامتحان مجليا ! واليوم تدرس هذه العلوم موزعة مجاميع فى شعب ثلاث ! قبل الأزهر أن تشعب رأسه إلى ثلاث شعب حرصا على تثقيف طلابه ليظل باب الأمل فى الحياة العملية مفتوحا أمامهم – ثم يدهشك أن تسمع ذلك الصوت البغيض ينبعث من أبواق السوء فى وزارة المعارف يصك سمع الزمان بكلمة (توحيد تخريج المعلم) (وحدة الثقافة) (الطالب الأزهرى تنقصه الثقافة) (الأزهر فى حاجة إلى الإصلاح) فماذا يبغون من تلك الصيحة ؟ وماذا يخفون فى هذا النعير ؟

إن كانوا يزعمون أن الغرض هو توحيد الثقافة وصولا إلى وحدة الأمة ، فالأمر مشكل . فإنا نجد الوزارة ترعى عدة مدارس فى ظلال نظم متعددة ، وتدير عدة مجاميع من المدارس مختلفة الغاية منوعة الأساليب ، متفاوتة الرتب والإعداد ؛ فهناك التعليم الأولى ، والألزامى ، والتعليم الابتدائى والثانوى والعالى ؛ والتعليم الصناعى ، والتعليم الزراعى ، ومنه التعليم المتوسط والتعليم العالى ، والتعليم العالى أنواع كثيرة فى كليات الآداب ، والحقوق ، والطب والهندسة ، والزراعة ، ومعهد التربية وكلية العلوم .

وإعداد الطالب لنوع من هـذه غير إعداده لغيره من سائر الأنواع : فإعداد الطالب فى التعليم الأولى والإلزامى غير إعداده فى التعليم الابتدائى والثانوى . وثقافة هذا غير ثقافة ذاك ؛ وثقافة طلاب المدارس الصناعية والزراعية المتوسطة ليست كثقافة طلاب المدارس العالية ولا هى كثقافة طلاب المدارس الثانوية ، ومناهج التعليم فى كل من هذه الأصناف والأنواع غير مناهج الصنف الآخر منها ضرورة السير بالطالب منذ الخطوة الأولى من عمره التعليمى فى الطريق الذى هو مستعد لسلوكه فى الحياة وإعداده لما هو مستعد له . وهؤلاء الجماهير من الطلاب الذين هم عناصر الحياة فى جسم الأمة هم جمهرة الأمة وأعضاؤها العاملون .

فإذا كانت وحدة الأمة متوقفة على وحدة الثقافة ؛ وكانت وحدة الثقافة مستحيلة الوجود مع تعدد هذه النظم وتنوع طريقة الاعداد وتفاوت مراتب الثقافة فى هـذه المدارس التى تعلم أبناء الأمة وتعدهم للحياة – فمتى وكيف تتحقق وحدة الأمة ؟ ولماذا لا يكون اختلاف هذه الجماهير فى التنشئة والتثقيف ، والتكوين الصناعى ، والاعداد للحياة الاجتماعية — مؤثراً فى وحدة الأمة؛ ثم يكون تعليم اللغة والدين فى الأزهر (ولو أخذ الطالب حظه من الثقافة) خطراً على حياة الأمة ؛ هادماً لوحدتها .

لقد كان معروفا — وأظن أن الناس ما برحوا يعرفون — أن وحدة الأمة تتحقق بثلاثة أشياء : وحدة الجنس ، ووحدة اللغة ووحدة الدين ، وأظن أن الأزهر قام بحراسة هذه الوحدات الثلاث أو باثنين منها على الأقل مدة ألف سنة ، وبذلك تكون الأمة مدينة له بحفظ وحدتها على الرغم مما تداولها من تسلط الأجانب عليها وعملهم على تفكيك عراها بما كان جديراً أن يمزق وحدتها ، ويبدد شملها ، فاليوم ينعق الدخلاء بأن الأزهر خطر على الأمة مفرق لوحدتها ! ؟

جزى بنوه أبا الغيلان عن كبر وحسن فعل كما يجزى سنمار

محمود أحمد الغمراوي

شيخ معهد دسوق والزقازيق سابقا

(الرسالة) : يمنعنا من العودة إلى مناقشة الأستاذ الفاضل هذا الأسلوب التهكمى الذى يتراءى التعريض من خلاله ، وهذا الالحاح فى مسائل تتصل بالزمن والمنهاج بعد أن تركنا ذلك للتطبيق وهو من اختصاص الأزهر وحده ، ثم هذه المقدمات التى سيكرهها الأستاذ على أن تقول : ليس فى الامكان أبدع مما كان ! فإن تفنيدها يدعو إلى الكلام فى أشياء ليس من البر أن نهتك عنها ستار الماضى لنعرضها إلى سخرية الحاضر . على أن ذلك لن يمنعنا من نشر ما بقى من كلام الأستاذ .

بمناسبة «يوم الجلاء»

إبراهيم بك هنانو قال لي ...!

للأستاذ علي الطنطاوي

هذا إنذار أستحلف كل قارئ من قراء الرسالة فى الشام أن يحدث به وينشره ثم يحفظه ... فانه سيجئ يوم تضطره أحداثه أن يعود إليه فيقول : « ياليته قد نفعنا هذا الإنذار ، ياليتنا ... ويومئذ لا تنفع شيئاً «ليت» ... إنها لا ترد ماذهب ، ولا ترجع ما فات !

وهذا إعذار إلى الله ، ثم إلى كتاب التاريخ ، لئلا يقولوا إنها لم ترتفع فى دمشق صيحة إنكار لهذا المنكر ، ولم يعلُ فيها صوت ناطق بحق ... وإن كتابها وأدباءها حضروا مولد سنة من « ألمَمَن » سنن إبليس ، فلم يقتلوها وليدة ضعيفة ، وتركوها تكبر وتنمو حتى صارت طاعوناً جارفاً ، حتى غدت ناراً آكلة ، حتى استحالت داهية دهياء أيسر ما فيها الخسف والمسخ والهلاك ... ونعوذ بالله من تذكير لا ينفع وإنذار لا يفيد !

وبعد فقد حدثني صديق لى فقال :

كنت أمس فى مجلس ، وكنا نتحدث فيما كان « يوم العرض » من « مناظر الكشافات ... ومنظر الأسيرة ... والعروس » حديثَ إنكار وأسف لما كان ، ونعجب كيف جاز على رجال هذا العهد الوطنى ، وهم فيما نرى أهل الشهامة والمروءة والنيرة على الأعراض ، وكان فى المجلس الزعيم الجليل عضو مجلس النواب : إبراهيم بك هنانو ، فرأيته يُعرض عن هذا الحديث ويَصرف عنه ، وانقاد له الحاضرون فضربوا فى أحاديث أخرى ... فلما انفضَّ المجلس خرجت معه ، فعاد إلى يوم العرض وخبره ، واختصَّني بهذا الحديث وأذن لى أن أنشره ...

قال رعاه الله : إنك لتعجب كيف تمّ هذا الخزى ، وكيف مرَّ على رجال هذا العهد الوطنى فلم ينتبهوا له ، وأنا أخبرك بسرّ ما تعجب منه وقعت عليه مصادفة ... وذلك أنى ذهبت قبل العرض بأيام فى حاجة لى إلى منزل « فلان » الفرنسى ، ومنزله فى الميدان الذى يتقاطع فيه الشارعان الكبيران : شارع يوسف العظمة ، وشارع كلية الهندسة ، فوجدت المنزل كأنه خال ، والمتاع مرصوص مربوط ، فعلَ المتهيئ للسفر ، وكان النور يسطع من شق باب غرفته ، فهممت أن أدخل عليه ، فسمعت كلاماً وحديثاً ، فانتحيت ناحية أنتظر تمام الحديث ، إذ ليس من الأدب أن أدخل على متحدثَيْن ، فسقط إلىّ كلام لا يستطيع المرء أن يغلق أذنيه عن مثله ، ولم يكن استراق السمع من عادتى ، غير أنى وقفت ، وقد أدركت أن « فلاناً » هذا ، يتحدث مع « رجل ... » أعرفه من أذناب القوم ومن أعوانهم ، وممن رفعوا إلى المناصب العالية ، وكانا يتشاكيان الفراق ، ويتحدثان وكأنما يتباكيان . ورب كلمات يقطر منها الدمع ! ورب حروف هى قلوب تتفطر ! ويتذكران الأيام الماضية ، وكيف دارت الأيام ، وكان من حديث صاحبنا الشامى الذى سمعته مترجماً إلى لغة القلم ولسان الأدب ، قوله :

— لئن كتب عليكم أن تذهبوا ، فانكم ستعودون عاجلاً ، ثم لا تذهبون أبداً . على أنى سأنتقم لكم ، وسأعدّ وحدى العدة لعودتكم . سأصنع فى ليالٍ ما لم تصنعوه أنتم فى ربع قرن وتسعة أشهر ... سأريكم قوتى . وليست القوة أن تسوق على عدوك العسكر اللجب والمدافع والدبابات تضرب بها قلعته ، ولكن القوة أن تأتيه باسماً مصافحاً فتحتال عليه حتى يفتح لك قلعته بيده ، فاذا أنت قد امتلكتها بلا حرب ولا ضرب . إنى سأدسّ لهم دسيسة فى عيد الجلاء . لا أصبر والله حتى ينتهى العيد . إنها فرصة إن لم أغتنمها لم أكد أجد مثلها وأنا أعرِفُ بأهل بلدى ، وإن لم يكن دينهم من دينى : إنهم لا يؤتون بالقوة ولا تنفع فيهم ، وقد جربتم ورأيتم ، فما قتلتم منهم مبغضاً لكم إلّا وُلد عشرة هم أبغض منه لكم ، وما هدمتم داراً من دورهم إلا هدمتم معها ركناً من « انتدابكم » عليهم ، ولا أشعلتم النار

فى حىّ لهم إلا كانت هـذه النار حماسة فى قلوبهم عليكم ونار ثورة تتعبكم . ولا يؤخذون بالشبه تلق عليهم فى دينهم ، ولا بالثقافة التى تحمل الإلحاد والكفر تحت عناوين العلم والفنّ ، وما جئتموهم بكتاب هو فى زعمكم هدم لدينهم إلا أثرتم عليكم مشايخهم وجمعياتهم ، فهبّوا يدافعون ، فاذا أنتم قد قوّيتم بعملكم إيمانهم فى صدورهم . وما يُنالون بالقوانين التى تبطل قرآنهم ، وقد علمتم حينما جربتم أن تأتوهم بالظهير البربرى مهذبا ملطفاً لابساً ثوب « قانون الطوائف » ماذا جرى عليكم حتى أبطلتموه بأيديكم ، ولا بالأموال التى تشرون بها ضمائر زعمائهم وقادتهم : لأن من هذه الضمائر ما هو كالوقف (عندهم) لا يباع ولا يشرى ولا يوهب ، ولا بأرهاب الزعماء وحبسهم ، وهذا هو الرجل الذى ضربه سنة ١٩٣٦ رجالكم بعصيّهم صار هو رئيس الجمهورية التى تخرجون غداً منها ...

فقال له « فلان » الفرنسى :

— ومن أين تأتيهم أنت ؟ وهل تقدر على ما عجزت عنه فرنسا؟

— قال : نعم . ولو كنتم قد سمعتم منى ما عجزتم . إنى آتيهم من الباب الذى لا يستطيع أن يراه أحد مفتوحاً إلّا ولجه . إنى أحاربهم بغرائزهم فأجعلهم يهدمون بيوتهم بأيديهم ، وأثير عليهم نساءهم وأثيرهم على نسائهم ، وألقى الضعف والخلف فيهم ، فأفسد عليهم رجولتهم ، وأخرّب أُسَرَهم ، وأجعل جيشهم أخشابا قد شغلت كل خشبة بهواها ولذتها . إنى آتيهم من باب « الغريزة الجنسية » الذى لم تدخل منه أمة إلا دخلت جهنم التى تحرقها ولا تخرج منها من بعدُ أبداً ...

— قال الفرنسى : أما أدخلناهم نحن من هذا الباب ؟ أما قلنا لهمَ ، إن تعريض أجسام الشباب والشابات صحة لهم وقوة ، فأبوا وقالوا ، كلا ، إنه تمريض (بالصاد) ؟ أما قلنا لهم ، إن هـذا الحجاب همجية ووحشية ، وإن التقدم والمدنية بالسفور ؟ أما أنشأنا لذلك جمعيات من النساء ؟ أما فتحت هذه الجمعيات مدارس ؟ أما صنعت هذه المدارس أكثر مما صنعت الفرنسيسكان ؟ إننا لم نصل بعد ذلك كله إلى شىء !

— قال الآخر : إن الصبر عند الصدمة الأولى ، فاذا استطعت أن أضرب ضربة واحدة ضمنت النجاح ، وإنى سآتيهم من طريق الوطنية ، سأقول : إنه يوم عيد الوطن ، عيد الجلاء ، عيد الرجال والنساء ...

***

قال إبراهيم بك :

ثم دخل داخل فتنحيت عن مكانى ، فلم أسمع شيئاً بعد ذلك . فلما حضرت العرض ، ورأيت الذى كان ، عرفت من أين جاء البلاء . على أن هـذا الرجل وأشباهه لم يصنعوا ما صنعوا حباً بفرنسا ولا إخلاصاً لها . إن قلوبهم أضيق من أن تتسع لإخلاص حتى ولو لفرنسا ... ولكن حباً بأنفسهم ، وحرصاً على لذتهم ، إنهم يكادون يُجنّون ، إذ يجدون دمشق لا تزال نساؤها مستترات متحجبات ، ولا يفتأون يسّاءلون أن كيف السبيل إلى هتك هذا الحجاب ؟ لماذا لا نكون كفرنسا حيث لا تستر عورة ، ولا يحجب جمال ، ولا يمنع من لذة طالبها ؟ لقد احتجوا بالصحة وأن الحجاب ضعف ومرض ، فكذّبهم كون المتحجبات أصح أجساماً وأقوى وأبعد عن المرض ، وأن من السافرات مصابات بالزهرى والسيلان وبالتمدن ، وأن الحجاب رجعية وتوحش ، فلم يصدقهم أحد ، فجاءوا هذه المرة فأخذونا على حين غرة وغفلة ، وأفادهم أن كان الناس فى الفرحة الكبرى ، فى عيد الجلاء ، فقالوا للناس : إنه يوم الفرح ، فلتشارك المدارس فيه الأمة ، ليظهر الطلاب والطالبات سرورهم ، ويعلنوا عاطفتهم ثم ذهبوا فأعدوا هذه (المناظر) التى كانت يوم العرض ، كبقعة النجس فى ثوب العروس الأبيض ...

ألا من كان يظن أن مثل هذا يكون فى دمشق ولا تزلزل الأرض زلزالها ؟ من كان يظن أن الآباء ينسون نخوتهم ؟ وهؤلاء النفر من رجال المعارف ، وهم الأمناء على الطالبات يضيعون أمانتهم ، ويحولون العرض عن وجهته ؟ فبعد أن كان للعزة الوطنية وللمجد وللنبل ، صار للشهوة واللذة والغريزة الجنسية ! لقد جعلته هذه المشاهد (مرقصاً) ! ... كل ذلك

تقليداً للأجنبي الذي نحتفل اليوم بجلائه عنا ، الأجنبي الذي هزم في الحرب ووطئته نعال أعدائه ، وقد كان له جيش لجب يزيد ألف ضعف عن هذا الجيش الذي نعرضه ، وقد كان له خط ماجينو ، وأمة تعد أربعين مليوناً ، ومستعمرات ... فلم يغن عنه جيشه ولا حصونه ولا عدده لما أضاع الأخلاق وفرط بالعفاف .

لا ، لا تقولوا : «إنه يوم العيد يجوز فيه ما لا يجوز في غيره» فان المرأة التي تسقط يوم العيد ، كالتي تزل يوم المأتم ، والناس يزدرون المرأة (الساقطة) من غير أن يسألوا متى كان سقوطها !

ألا من كان له قلب فليتفطر اليوم أسفاً على الحياء .

من كانت له عين فلتبك اليوم دماً على الأخلاق .

من كان له عقل فليفكر بعقله ، فما بالفجور يكون عز الوطن ، وضمان الاستقلال ، ولكن بالأخلاق تحفظ الأمجاد وتسمو الأوطان .

فاذا كنتم تحسبون أن إطلاق الغرائز من قيد الدين والخلق ، والعورات من أسر الحجاب والستر ، من ضرورات التقدم ولوازم الحضارة ، وتركتم كل إنسان وشهوته وهواه ، فانكم لا تحمدون مغبة ما تفعلون ، وأنكم ستندمون (ولات ساعة مَنْدم) إذا ادلهمت المصائب غداً ، وتتالت الأحداث ، وتلفتم تفتشون عن حماة الوطن ، وذادة الحمى ، فلم تجدوا إلا شباباً رخواً ضعيفاً ، لا يصلح إلا للرقص والغناء والحب ...

فالله الله ، والأمة والمستقبل ... إننا خرجنا من هذا الجهاد بعزائم تزيح الراسيات ، وهمم تحمل الجبال ، فلا تضيعوا هذه العزائم ، لا تذهبوا هذه الهمم ، ولا تناموا عن حماية استقلالكم فمن نام عن غنمه أكلتها الذئاب .

إن هذا الجلاء نعمة من نعم الله ، فتلقوها بالشكر والطاعة ، واحفظوها بالجد والأخلاق ، فبالشكر تدوم النعم ، وبالأخلاص تبقى الأمم ، وبالمعاصي تبيد وتهلك ، إن أجدادنا كانوا يحتفلون بالنصر بحمد الله وطاعته فيقودهم الاحتفال إلى نصر جديد ، وكذلك تفعل الأمم الحية اليوم . أما سمعتم بحفلات تتويج ملك الانكليز ، لقد كان نصفها في الكنيسة ، فلماذا لا يكون احتفالنا بالجلاء إلا اختلاطا وتكشفا وغناء ورقصاً واستهتارا ، كأننا لم ينزل علينا كتاب ، ولم يبعث فينا نبي ، ولم يكمل لنا دين ؟

إني أخاف والله أن يكون الأجنبي قد أجلى جيوشه عنا ، وترك فينا قنابل تنفجر كل يوم ، فتدمر علينا أخلاقنا ، وأوطاننا ، واستقلالنا . إن كل عورة مكشوفة ، وفسوق ظاهر ، قنبلة أشد فتكاً من قنابل البارود ، ولا يخفى ضررها إلا على أحمق !

يا أيها الناس !

لقد جلت جيوش العدو عن أرضكم ، فأجلوا عن بيوتكم عاداتهم ، وعن رؤوسكم شبهاتهم ، وعن مدارسكم مناهجهم ، وعن شوارعكم حاناتهم ومراقصهم ، وعن محاكمكم قوانينهم ، وعن أجسام بناتكم وأولادكم ثيابهم الكاشفة الفاضحة وأزياءهم . وذلك هو الجلاء الحق ، وذلك هو العيد الأكبر .

هذا ما قاله لصديق ، الزعيم إبراهيم بك هنانو عضو مجلس النواب السوري ، أنقله بنصه ، والعهدة على هذا الصديق .

علي الطنطاوي

حول قضية فلسطين :

الكلمة اليوم للعرب

فماذا هم صانعون ؟

للأستاذ سيد قطب

نحن — الأمم العربية — نستأهل كل ما يجرى علينا ، ما دمنا نختار لأنفسنا دائماً موقف الانتظار ، ولا نخطو خطوة إيجابية واحدة ؛ بل ندع ذلك لخصومنا وننتظر دائماً ماذا يصنعون !

ومصيبتنا الكبرى أن فينا من «العقلاء» أكثر مما ينبغي، وهؤلاء « العقلاء » هم الذين يشيرون علينا دائماً أن نتريث و « نتعقل » ونسلك الطرق « السلمية » حتى لا نخسر عطف العالم المتمدين ، أى العالم الأوربى والغربى على العموم !

فماذا جنينا اليوم من الانتظار بعد الانتظار ؟

جنينا أن ظلت قضية العرب فى فلسطين تتأخر ولا تتقدم يوماً بعد يوم ، حتى انكفأت أخيراً فى هوة « لجنة التحقيق » ! ومع ذلك فالعقلاء لا يزالون إلى اليوم ينصحون لنا بالهدوء والتريث حتى نعرف ماذا سيصنع خصومنا . وخصومنا فى هذه المرة هم الإنجليز والأمريكيون ! ونحن الذين تطوعنا بأن نضمهم إلى صفوف أعدائنا اليهود ، بعد تقرير لجنة التحقيق !

ولنرجع بذاكرتنا قليلا إلى الوراء .

فى وقت من الأوقات كانت فلسطين العربية ثائرة فائرة . فأسرع الانجليز يدعون الأمم العربية — ولم تكن الجامعة العربية قد أنشئت بعد — إلى مؤتمر فى لندن وهم يحاولون ترضية العرب الثائرين . وفى هذا الوقت أو بعده بقليل ، صدر الكتاب الأبيض الذى يضع حداً لهجرة اليهود ، ويحظر بيع الأراضى ، ويعد باستقلال فلسطين ...

ولم يرض العرب عن هذا الكتاب الأبيض . ولكن « العقلاء » أشاروا عليهم بالتزام الهدوء ، حتي لا يفقدوا « عطف العالم المتمدين » ! وانخدع العرب بكلام « العقلاء » فأخلدوا إلى الهدوء !

ثم جاء دور اليهود الإرهابيين ، فجعلوا يخاطبون الإنجليز باللغة الوحيدة التى يفهمها الإنجليز . ولحسن حظهم لم يكن فيهم « عقلاء » ، فراحوا ينفذون خطتهم فى دأب وإصرار .

ووقف عقلاؤنا يبسمون فى دهاء ويقولون : « دعوهم فى حماقتهم فإنهم يفقدون عطف العالم المتمدين . وسينقلب الشعور الإنجليزى ضدهم بسبب أعمالهم الإرهابية وجرائمهم المنكرة » !

وكانت هذه سذاجة هى والغفلة سواء !

وفهم الإنجليز اللغة الوحيدة التى يفهمونها . وانتهزوا فرصة ضغط الولايات المتحدة فى مصلحة اليهود ، وأعلنوا إلغاء الكتاب الأبيض وتأليف لجنة للتحقيق ، والسماح بالهجرة بعد انتهاء أجلها المحدود !

وتحرك العرب . ولكن « العقلاء » قالوا لهم : « كونوا عقلاء أيها العرب ، وانتظروا قرار لجنة التحقيق ، ولا تقوموا بأية حركة الآن لئلا تفقدوا عطف العالم المتمدين ، ودعوا اليهود الحمقى يرتكبون حماقاتهم ليفقدوا هذا العطف دونكم بما يرتكبون كل يوم من الإرهاب فى فلسطين وغير فلسطين » !

وسكت العرب ، وصدر قرار لجنة التحقيق !

فيا أيها العرب ماذا أنتم اليوم صانعون ؟

يقول لكم « العقلاء » : انتظروا حتى تروا ماذا يصنع الإنجليز . فرئيس وزرائهم يقول : إنه لا ينفذ التقرير إلا إذا ضمن مساعدة الولايات المتحدة العسكرية والمالية . وما دام الإتفاق لم يتم بين انجلترا والولايات المتحدة على هذه المساعدة فنحن منتظرون !

أيها العقلاء ... ... :

إنكم مغفلون ... !

إن موقف الانتظار البليد فى كل مرة هو الذى جعل قضية فلسطين تتقهقر دائماً ولا تتقدم ، منذ أن سمع العرب نصائحكم الغالية ، وحرصوا على عطف العالم المتمدين ، ووثقوا معكم بالضمير الأوربى ، أو الضمير الغربى على العموم .

أيها العقلاء !

إن الضمير الغربي كله ضمير متعفن . فالمغفلون وحدهم هم الذين يثقون بهذا الضمير، ويعلقون على يقظته حقوقهم القومية !

واللغة الوحيدة التي يفهمها هذا العالم المتمدين ، هي اللغة التي يخاطبهم بها اليهود : القوة والمال ، والإقلاق المستمر الذي لا يدع أعصابهم مستريحة ، ولا يدع تدجيلهم الدولى مستورا ، وكلما هاجت أعصابهم وانكشف موقفهم زاد ضميرهم يقظة وتحركت في نفوسهم عواطف الرحمة والإشفاق على هؤلاء المقلقين الثائرين !

أيها العقلاء !

ليس أمامنا تجربة واحدة تثبت أن الضمير الغربي قد تحرك مرة واحدة لقضية إنسانية بريئة يتبع أصحابها نصائح « العقلاء » فيدعون الضمير الغربي هادئا يغط في نومه العميق .

لابد من ضجة وجلبة لإيقاظ هذا الضمير النائم ، واليهود اليوم يدركون هذه الحقيقة ؛ ولذلك هم ناجحون !

أيها العقلاء !

مجرم في حق أمته ، وفي حق العرب أجمعين ، كل من يدعو أمته أو يدعو العرب إلى الثقة بهذا الضمير المزعوم .

***

وبعد ، فالكلمة الآن للعرب ، لا لمستر أتلى ، ولا للرئيس ترومان ، ولا للجنة التحقيق !

فإما أن يخاطبوا الضمير الغربي باللغة الوحيدة التي يفهمها ، والتي يحذقها اليهود ، فيلبهم الضمير الغربي في كل مكان .

وإما أن يخاطبوا هذا الضمير بلغة « العقلاء » وينتظروا حتى تنطبق الحلقة ، ويتم الإتفاق بين أتلى وترومان ...

وحينئذ لا يلومن إلا أنفسهم ، وإنهم للومون .

سيد قطب

السيد جحا

الحالم اليقظان

للاستاذ كامل كيلاني

(تتمة ما نشر في العدد الماضي)

١٠ — في عيادة الطبيب

ومن بدائع ما يروى عنه في هذا الباب ، أعنى باب الغفلة والنسيان ما حدث الرواة عنه حين رأى المرض يبرح بزوجته فتسأله في إلحاح أن يستدعى لها الطبيب . فلا يكاد يخرج من البيت حتى تسرع زوجه إلى منافذه فتطل عليه ، مبشرة بشفائها مما ألم بها من ألم .

ويستولى على صاحبنا الذهول بعد قليل فينسى أن زوجه لم تعد بحاجة إلى استدعاء الطبيب ، وتسوقه قدماه — وهو هائم في سيره — على عادة الكثيرين من المفكرين ذوى اليقظة الحالمة فإذا به في عيادة الطبيب :

« ماذا جاء بك ؟ »

فلا يكاد يهم باستدعائه حتى يذكر ما نسى . فيتباله — على عادته — ولا يجد في غير التغابي مخرجا له من مأزقه ، فيقول :

« لقد مرضت زوجى ، واشتد بها الألم فأمرتني باستدعائك ، وما كدت أخرج من البيت حتى أطلت زوجى من النافذة وبشرتني بشفائها ، ثم ختمت حديثها طالبة ألا أستدعيك . وقد جئت إليك لأخبرك بذلك حتى لا تكبد نفسك عناء الحضور .

١١ — غفوة أديب

وقريب من هذا ما حدث لأديب يعرفه القارىء . فقد استأذنه كاتبه ذات مساء في إجازة ، ليستدعى الطبيب لأمه المريضة .

وعرف الأديب أن الكاتب الخبيث يخلق سببا موهوما ليمكنه من الذهاب إلى دار السيمى في تلك الليلة ، وأنه ينتحل مرض أمه جاريا في ذلك على مألوف عادته في انتحال الأعذار .

وشاءت المصادفة أن يلمح الأديب — بعد قليل من الزمن — وهو في طريقه لإنجاز بعض عمله ، جماعة من الشبان يتوسطهم كاتبه أمام دار السيمى . فأسرع الأديب إلى كاتبه ، ليؤنبه على كذبته ، ويقول له :

« أين السيمى أيها الغبى من الطبيب الذى ذهبت تستدعيه لأمك ؟ »

وما كاد يتم قوله : أين السيمى أيها الغبى ؟ » حتى تبين تسرعه وخطأه ، فقد أدرك أنه يحدث شخصاً قريب الشبه بكاتبه .

ودهش الجميع لهذه المفاجأة ، فلم ير الأديب له مخرجا من هذا المأزق فى غير الأسلوب الجحوى ، فقال للفتى متباهلا :

« أما السيمى ، فهى أمامك ! وأما أنت فلست بغبى » .

قلت : لكم إن صاحب هذه القصة هو أديب يعرفه الكثيرون منكم لا لشىء إلا لأنه ماثل أمامكم الآن يحاضركم فى غفلة جحا الذكى الحالم اليقظان .

١٢ — سرعة الخاطر

وهذه الغفلة كثيراً ما تعرض للانسان إذا استغرق فى التفكير ، فتذهله عما حوله ، فيأتى بأعجب التناقضات . وثمة يتبين بحرج الموقف فإذا لم تسعفه إجابة حاضرة ، أو لفتة ساخرة ، تنقذه من الحرج وتخلصه من المأزق الذى انزلق فيه ، أصبح سخرية الساخرين وهدف الهازئين ، وضحكة العابثين .

وعلى ضوء هذه الحقيقة نستطيع أن نفهم حقيقة أمره ، وبعده عما يرمى من غفلة وتناقض واضطراب ، ورحم الله المعرى القائل :

فيالك من يقظة كأنى بهـا حالم

١٣ — ريشة المصور

وكما أن المصور لا يستطيع أن تُظهر لك ريشته ما ينفرد به العملاق من ضخامة إلا إذا وضع إلى جانبه رجلا آخر أو نخلة أو شجرة أو شيئاً تقيس إليه طول العملاق ، لا يستطيع الكاتب أن تُظهر لك براعته مدى التناقض والشذوذ مثلا إلا إذا وضع بجوارها شيئاً آخر ، يوضح لك مقدارها ، ويجلو لك مسافتهما .

ومن هنا غلبت البرودة والغثاثة على جمهرة النكت التى تروى عن أفذاذ المتهكمين متى انقطعت عن ملابساتها ودواعيها .

ومن هنا نعرف لماذا استهجن الناس كثيراً مما نشر من دعابات جحا وإجاباته بعد أن رويت منفصلة عن بواعثها ودواعيها .

ولا عجب فى ذلكم فإن المصور — كما أسلفت القول — إذا حاول أن يرسم عملاقا ضخما لم يرسم رجلا يملأ فراغ الصفحة كلها . لأنه لن يشعرك بهذا أنه يصور عملاقاً . على حين يستطيع فى نصف الصفحة أو ربعها — كما تعلمون — أن يدخل فى روعك هذا الشعور إذا رسم بالقياس إليه شيئاً آخر تعرفه ليتبين لك نسبة ضخامته .

والشىء لا يعرف مقداره إلا إذا قيس إلى ضده

١٤ — تاجر الأيام

ونحن إذا سمعنا أن جحا يسأله سائل :

« فى أى يوم نحن من أيام الشهور ؟ » .

فيجيبه : « لست أتجر فى الأيام والشهور » . خيل إلينا أنها نكتة بائخة . ولكننا متى عرفنا أن السائل ثقيل الظل ، وأن جحا لا يريد أن يجيبه بل يتوخى تصغيره ، ويتعمد تحقيره ، أدركنا أنه إنما يقصد إلى هذا الجواب قصداً ، ليشعره بثقله وسماجته ، ويتخلص فى الوقت نفسه من إجابته .

وليس أفتك بالثقلاء من أمثال هذا الرد .

١٥ — القمر والنجوم

وقريب منه قوله لثقيل آخر ، حين سأله :

« أين يذهب القمر القديم ، بعد أن يحل مكانَهُ القمرُ الجديد ؟ » .

فقد أجابه على هذا السؤال البائخ مستهزئاً :

« ألا تعرف ما يُصنع به ؟ إنه يقطع — بعد ذلك — نجوما تُنثَرُ فى السماء » .

١٦ — الأقمار والبرود

ويعترضه فى طريقه مخبول أحمق بادى الغفلة وهو يسير على هضبة مشرفة على بعض الوديان فيقول له المخبول :

« انظر أمامك فى هذا الوادى ، وخبرنى ماذا ترى ؟ » .

فيقول له جحا واجماً :

« أرى جثثا ملقاة على أرض الوادى ! » .

فيسأله المخبول :

« أتعرف قاتلهم ؟ إنه الماثل أمامك » .

فيشتد ارتباك صاحبنا جحا فيماجله قائلا :

« أتعرف لماذا فتكت بهم ؟ لقد عجزوا عن إجابتى عن سؤال واحد حيرنى . فإذا أجبتنى عنه كتبت لك السلامة » .

فيسأله جحا عن ذلك السؤال العويص . فيقول :

« لقد حيرنى أن أعرف لماذا يبدو القمر أولَ الشهر هلالا صغيراً ثم لا يزال يكبَر حتى يستدير ويَتمّ نورُه ، ثم يعود فيصغر شيئاً فشيئاً حتى يختفى ويطلُع غيره . فماذا يصنع بالقمر القديم ؟ » .

فيبتسم له جحا متلطفا ويهوّن عليه الأمر قائلا :

« تباً لأولئك الأغبياء . أما كان فيهم من يُفضى إليك بالنبأ اليقين ؟ ألم يعرفوا أن الأقمار القديمة بعد أن تغيب عنا تظل مختبئة ، حتى إذا جاء فصل الشتاء ، تألفت منها البروق التى تلمع فى السحب والغيوم » .

وهنا يُثلَج صدر المخبول فيقبلُ يدى الفيلسوف العظيم قائلا : شكراً لك أيها السيد الجليل فما خطر لى — والله — ذلك الرأى على بال ! » .

١٧ — تغابى الأكياس

وكم نرى — أيها السادة — فى كل عصر ومصر ، حمقى يسألون أمثال هذا السؤال ، وأكياساً من قادة الفكر يتغابَون فلا يجدون مندوحة عن الإجابة بأمثال هذا الجواب ليتخلصوا من أذية المجانين وينجو بأنفسهم من كيدهم سالمين .

ثم يأتى بعض الباحثين فيحملون إجابتهم الساخرة مَحْمِلَ الجِدّ . ويتهمونهم بالغفلة والجنون ، ناسين أنّ لكل مقام مقالا .

١٨ — فضل التغابى

ولقد أجمع الناس — أو كادوا — على فضل التغابى فى كل عصر كما تعلمون ، وأفاض المبدعون وافتنوا فى تصويره ما شاء لهم خيالهم وافتنانهم .

فقال « زهير بن أبى سُلمى » فى معلقته الرائعة :

« ومن لم يصانع فى أمور كثيرة
يضرس بأنياب ويوطأ بمنسِم »

ثم تلاه معاوية فقال : « السَّرْوُ التغافل » .

ثم جاء عمر بن أبى ربيعة . فقال :

« تبا لهن بالعرفان لما رأيننى وقلن : امرؤ باغ أضل وأوضعا »

ثم تلاه المتنبى فقال :

« ليس الغبى بسيد فى قومه لكن سيد قومه المتغابى »

وأعقبه شيخ المعرة فقال :

« . . . . وتبا له ، فإن دهرك أبله »

« قوم سوء ، فالشبل منهم يبول
الليث فرسا والليث يأكل شبله »

بعد أن قال :

« ولما تعامى الدهر وهو أبو الورى
عن الرشد فى إنحائه ومقاصده
تعاميت حتى قيل : إنى أخو عمى
ولاغرو أن يحذو الفتى حذو والده »

***

ومن أبرع ما عرفته فى هذا الباب الذى استفاض فيه فحول الشعراء والكتاب ذلكم المثل التركى الذى يقول :

« عظموا أقداركم بالتغافل » .

ويقابله قول ابن زيدون :

« إن السيادة — بالإغضاء — لابسة
بهاءها ، وجمال الحسن فى الخفر »

وقريب منه قول بعض الأفذاذ من القُدامى المبدعين :

« اقبل معاذير من يأتيك معتذراً إن بر عندك فيما قال أو فجرا
فقد أجلك من أرضاك ظاهره
وقد أطاعك من يعصيك مستترا »

كامل كيلانى

إبليس والفن

للأستاذ صلاح الدين المنجد

لا تظهر صورة الشيطان فى العصور الأولى من تاريخ الكنيسة ، وينبغى أن نبدأ من القرن السادس ، لنرى التخيلات الأولى ، للشيطان .

وأقدم هذه التمثيلات توجد الآن فى مخطوط قديم عن أعمال القديس غريغوار دنيزيانز g. de Nizianze محفوظ فى المكتبة الوطنية بباريس .

فهذا المخطوط الذى يرجع عهده إلى القرن التاسع ، يتضمن صوراً أقدم من هذا التاريخ بثلاثة قرون . فإحدى الصور ، تمثل محاولة الشيطان فتنة أيوب ، وفيها يظهر أيوب فى قصره يفكر والشيطان بالقرب منه ، حاملا فى يده حقة طيب ، تتأرج منها الروائح العطرة المسكرة ، وكأنه يسخر من الحكيم ويهزأ به .

ولا يظهر الشيطان فى هذه الصورة مخيفاً ، بل ما يزال الملك المطرود ، المتكبر ، وهو هنا ذو جناحين طويلين منتشرين ، وله وراء رأسه إكليل من النور ، تذكر بأصله . ثم هو عارى الجسم حول خصره زنار من السيور ، وليس فى مخايله ما هو بعيد عن خلقة الإنسان ، ولكن يديه ورجليه المقفوفة الأظافر ، تميزه ميزة خاصة .

وفى هذه المخطوطة ، صور أخرى للشيطان وكلها متماثلة . والظاهر أن الفن الاغريقى ، والفن البيزنطى ، لم يشاءا أن يشوها شكل الشيطان . والفنانون الشرقيون فى بيزنطية كانوا ذوى شغف بالجمال ، فلم يهتموا بتصوير هذا الشيطان ، قرينا بالشر ، المخيف المنظر والمخبر .

ولم يقل رجال الدين فى الكنيسة قط ، إنهم رأوا مثلا الشيطان يوما ، بشكل شاب غرانق جميل ، أو بشكل فتاة حسناء كاعب ، ذات وجه ناضر . ولذلك كانوا يصورون الشيطان بالقبح ، ويلونونه باللون المظلم القاتم ، كالأسود أو لون البنفسج ، فهذا ملك الليل الشرير .

وانتقلت هذه الصورة من بيزنطية إلى الغرب ، فاتخذ الشيطان صورة البطل المغلوب المنهزم ، أو صورة الملك المطرود ، الذى ما زال يحفظ سمات الملائكة وصفاتهم .

ولم يلبث أن تبدلت هذه الصورة ، فعندما أراد نحاتو الكنائس الرومانية أن يصوروا الشيطان ، ملاك الشر مثلوه بصورة أخرى .

وهناك أسباب عدة بعثت على هذا التبديل ، الأول هو رغبة الكنيسة نفسها ، إذ لا ينبغى أن ننسى أن الشيطان شىء خطر ، فهو الخبيث ، الذى لاهم له غير الإغواء والفتنة ، ولا بد إذن من منحه صفات مخيفة راعبة ، كى تنقش هذه الصورة الرهيبة فى قلوب المؤمنين ، فتحفظهم من إغوائه ، وتبعدهم من فتنته .

ولا يجهل من جهة ثانية ، أن أكثر المشاهد المنحوتة فى الكنائس قد استوحيت من الصور أو من القصص الدينية الممثلة فى أفنية الكنائس . فى هذه الأقاصيص يظهر الشيطان محاطا بقناع منحط مزر . فمن هذا الازراء والانحطاط ، استوحى الفنانون تصورهم للشيطان .

وسبب آخر ، هو أن الكنيسة كانت تتعمد أن يستخلص الرائى من صورة الشيطان عبرة وعظة ؛ فكانت تجبر النحاتين أن يجعلوا الفرق شاسعاً بين الملك والشيطان ، مع المحافظة على روح التصاوير البيزنطية .

وفى القرن الثانى عشر ، كان الشيطان يصور فى أغلب الأحايين كما يلى : شكل إنسانى ، ذو جسم وفخذين وذراعين . ولكنه تارة ضئيل الجسم كأنه القزم ، وتارة بالعكس ، عبل القد مستطيل القامة كأنه العملاق . وسواء أكان قزما أم عملاقا ، فقد كانوا يجعلونه ذا هامة ضخمة ، وعينين جاحظتين واسعتين ، وأنف أفطس ، وفم غريب الخلقة لا يشبه فم الآدميين ، قريب إلى فم الكلب ، وأسنان ضخام مخيفات ، وشعور منفوشة ، قائمة كأنها ألسنة اللهب . وقد اصطلح الفنانون على إلصاق هذه الشعور فى رسومهم لكل من له صلة بالشيطان ، وخاصة بالنساء .

أما هامة الشيطان فتستدعى الرنو والعجب لضخامتها . وأما جسمه فهو نحيف ، والبشرة ذابلة جف ماؤها ، ورجلاه وذراعاه عظام لا تكسوها لحم ، وتنتهى بأظافر معقوفة جارحة . وعلى

هذا الشكل صور الشيطان ، فى مواساك Moissac ، أوتين فـزيلاى .Autun Vézélay

ويذهب مال E. Mâle الذى نقتبس منه هذه المعلومات إلى أن الرهبان هم الذين كانوا يختلقون هذه الصورة .

وقد ساعدت القصص الدينية ، وما فى الإنجيل خاصة ، على تمثيل الشيطان ، فصوروه تصاوير مختلفات ، تمثله مطرودا من الجنة كاسفا حزينا ، أو جالساً فى الجحيم على عرش فى وسط النار رجلاه على منصة ، تدور حدقتا عينيه المخيفتين، أوساعيا فى إغواء المؤمنين المخلصين .

وفى القرن الثالث عشر ، تظهر أكثر الصور التى كانت فى القرن الذى قبله . على أن شكل الشيطان نفسه قد اختلف اختلافا محسوسا ؛ لأن تخيلات الرهبان وأوهامهم صورته على شكل قزم قبيح فى منتهى القبح ، ولكنه أقل إرهابا . أما ملامحه فعادت كملامح الإنسان ، هى قبيحة بلا شك ؛ ولكنها أقل تشويها من الماضى . وتبدل مفهوم الشيطان ، فهو لايخيف كما كان يخيف من قبل ؛ ولا شك أنه أضخم من الماضى أيضا ؛ فلا ترى — إذا رأيت صورته — عظاما تخيف ، فوقها جلد مخيف ؛ ولكنه كان أملأ جسما . وقد يلاحظ أن بعض الصور ، كانت تلصق به بعض الملامح الحيوانية ، كأن يجعل له رأس قطة كبير ، أو كأنه القطة الكبيرة ، كما فى نوتردام دُبارى .

على أنه يلاحظ أمر ، هو أنه كلما كان الفن يبتعد عن الدين كانت أشكال الشيطان تجنح عن إثارة الرعب . ففى القرن الخامس عشر كان يخيل للرائى أن الشيطان مخلوق مضحك. وكان يحافظ ، فى أكثر المشاهد التى يصوّر بها ، على الملامح الإنسانية ؛ أعنى أنه كان له دائماً رأس وجسم وذراعان وفخذان .

وبالعكس عصر النهضة فى فقد الشيطان هذه الصفة الآدمية . فنحن نلاحظ أنه بعد منتصف القرن الخامس عشر ، والقرن السادس عشر ، قد طرأ تبديل كبير على ملك الشر .

فلقد فهم رجال النهضة خطأ ما يرمز إليه الشيطان . ولا بد من التنويه بأن فكرة الشيطان لم تعرف فى الديانات اليونانية والرومانية . ففى الديانة اليونانية كان للشياطين شأن قليل . فهى أرواح لا أثر لها ، تذهب وتجىء أحايين بين الآلهة والأبطال . ووجودها فى الديانة الرومانية أكثر غموضا أيضا . ولا بد من أن نذكر أن الآلهة فى أثينا وروما كانت فى آن معا ، أرواح خير وشر ، تضر من تشاء ، وتنفع من تشاء على هواها . أما فكرة وجود ملك للشر يقابل ملك الخير التى كانت توجد لدى الفينيقيين والفرس والهند فلم تعرفها اليونان والرومان .

فليس من الغريب إذن إذا كان فن عصر النهضة تحت التأثير اليونانى الرومانى قد أهمل بعض الإهمال تصاوير الشيطان التقليدية الموروثة ، واستعيض عنها بتصوير آخر . فقد أصبح الشيطان يرمز رمزاً كبيرا إلى القبح الشديد ، وهذا سر انقلابه حيوانا ، له ملامح الحيوانات كلها ؛ كالثور الوحشى ، والخنزير والدب وغيرها . وتعددت الشياطين ، فكثرت صورها أيضا . ولم يبق كما كان من قبل ، صورة واحدة لشيطان واحد .

وفى عصر النهضة ، من جهة أخرى ، ظهرت موضوعات أخرى طريفة تمثل الشيطان ، مثال ذلك أن صوروا الموت يخاطب الشيطان ، لأن الموت كان قد بدىء بتصويره منذ القرن الخامس عشر بإيحاء من الكنيسة أيضا كى تخيف المؤمنين مما يعقبه من جحيم ونعيم وعذاب . وفى كتاب L, Art Moriendi لفيرارد Verard ، وهو مزوق مصور ، تظهر صور كثيرة للشياطين ، كلها ذات ملامح فى أغلب الأحايين حيوانية ؛ فقد جعل لها أذناب وقرون وحوافر وغير ذلك .

ويلاحظ أن الشيطان قد أصبح حيوانا عند فنانى وادى الرين Valleé de Rhin أشباه ستيفان ومارتان وبعدهم عند البير دورر ومن جاراهم . ثم يلاحظ كلما تقدمنا فى القرن السادس عشر ، قلة تصوير الشيطان لأن « مجمع ترانت » عندما منع تصوير الشخوص المخيفة ونحتها ضرب الأقاصيص الدينية وشخوصها ضربة قاضية ، فقل تصويره .

حتى إذا أقبل القرن التاسع عشر ، ظهرت صورة جديدة للشيطان، فقد أثر ظهور فوست لغوته ، وانتشارها الواسع فى ذلك، ودفع الفنانين إلى تصوير هذا الشيطان الرجيم؛ فصوروه كما يلى :

ملك مطرود من رحمة الله ، ترافقه فترة شقاء من قبح ، والجناحان طويلان ينتشران حول الجسم المشوه . وجهه يمثل صورة جانية مسنونة مضطربة ، وقد تدثر بدثار . وهكذا صوره دلا كروا فى فوست سنة ١٨٢٨ . وبقيت هذه الصورة شائعة بين الناس ؛ وهى التى يلجأ إليها اليوم فى تمثيل الشيطان .

(دمشق) صلاح الدين المنجد

التاريخ فى سير أعلامه :

ملتن ...

[القيثارة الخالدة التى غنت أروع أناشيد الجمال والحرية والجبال ...]

للأستاذ محمود الخفيف

– ١٣ –



بين الطغيان والحرية :

لم يقف ملتن بمعزل عن حوادث العصر الذى عاش فيه ، السياسية منها والدينية ، فدخل فى غمارها ورمى بنفسه فى بركانها وأصابه ما أصابه من نارها ، وكاد يحيط بعنقه حبل المشنقة . وما كان لنفس مثل نفسه تعشق الحرية وقد فطرت عليها أن تهاب الضرر أو الموت فتنكل عن الوقوف فى وجه الطغيان ، وهذا ركن من أهم أركان شخصيته كرجل وكشاعر . لهذا كان لا بد من فصل يجلو حوادث ذلك العصر لننظر بعده على أى صورة كانت صلته بتلك الحوادث وإلى أى مدى أثرت فيه وأثر فيها .

انتهى بموت إليزابث عام ١٦٠٣ حكم أسرة تيودور ، وبدأ حكم أسرة ستيوارت فى شخص جيمس الأول ، وقد ولد ملتن بعد خمس سنوات من اعتلاء هذا الملك عرش انجلترة ، وظل جيمس يحكم حتى وفاته سنة ١٦٢٥ وهى السنة التى التحق فيها ملتن بالجامعة ، وخلف جيمس على العرش ابنه شارل الأول ، وظل شارل يقود سفينة الملك وسط الأنواء الشديدة التى انتهت بريح عاتية هى الثورة أو الحرب الأهلية ، واختتمت هذه الثورة بإعدام شارل بتهمة الخيانة سنة ١٦٤٩ ، أى بعد عشر سنوات من عودة ملتن من إيطاليا . وحكم البلاد بعد شارل القائد الحربى للثورة أوليفر كرمويل أحد كبراء البيوريتانز وسمى حامى الجمهورية ، وظل يحكمها حتى وفاته سنة ١٦٥٨ . وخلفه ابنه فحكم البلاد سنة واحدة ، ثم عزل لضعفه وأعيدت الملكية فى شخص شارل الثانى سنة ١٦٦٠ .

وكانت تلك السنوات السبع والخمسون مليئة بالأحداث ، وهى من أهم السنوات لا فى تاريخ انجلترة فحسب ؛ بل فى تاريخ الحكم النيابى والحرية فى العالم كله ، إذ كانت صراعا متصلا بين الطغيان تمثله الملكية وبين الحرية يمثلها البرلمان ؛ وكان هذا الصراع حول مسألتين : المسألة السياسية والمسألة الدينية .

ظهرت المسألة السياسية فى صورة نظرية أول الأمر ، وذلك حينما أعلن جيمس الأول تمسكه بالحق الإلهى للملوك ، أو نظرية التفويض من قبل الله . وقد أنكر البرلمان عليه هذا الزعم كما أنكره طالبو الحرية من غير رجال البرلمان . ثم اتخذت المسألة وضعا عمليا حين وقع الخلاف بين الملك والبرلمان على أمور معينة ، إذ حاول كل أن يبرر مسلكه حسبما يذهب إليه من رأى فى التمسك بنظرية التفويض الإلهى أو فى إنكارها والتمسك بالحقوق التى اكتسبها الشعب منذ منتصف القرن الثالث عشر .

كان يقصد بالحق الإلهى للملوك فى القرن السادس عشر معنى خاصا ، وذلك أن الدولة سواء أكان يرأسها ملك أم أمير لها حق البقاء ، وافقت الكنيسة على ذلك أو لم توافق ، وكان ذلك المعنى مما قصدت به البروتستنتية إلى الفصل بين سلطان الكنيسة وسلطان الدولة رغبة فى إضعاف الكنيسة .

ولكن الملوك فسروا هذه العبارة تفسيرا جديدا فى القرن السابع عشر ، فقالوا إن هناك حقا خاصا بأشخاص الملوك ، فهم خلفاء آدم فى الأرض ، وقد أعلن الله فى كتابه إقراره سلطة

الملوك المطلقة فلا يجوز أن تلاقى تلك السلطة أية مقاومة أو تدخل فى شؤونها .

وكان جيمس الأول يحكم اسكتلندة باسم جيمس السادس وآل إليه عرش انجلترة بالوراثة فاتحد فى شخصه حكم المملكتين، وقد قتل الملك لصا وهو فى طريقه إلى انجلترة بغير أن يحاكمه فخرج بفعلته هذه على حق اكتسبه الفرد فى انجلترة منذ لائحة العهد الأعظم التى ظفر بها الإنجليز سنة ١٢١٥ ، والتى جاء فيها صراحة أنه لا يجوز حبس أى إنسان أو نفيه أو مصادرة أملاكه أو إعدامه إلا بعد محاكمة تكفل له فيها وسائل الدفاع عن نفسه .

وتمسك جيمس منذ هبط إنجلترة بالحق الإلهى للملوك ، وتحدى البرلمان هذا الحق ، وكان من محاسن الأقدار أن لم يقف النزاع عند وضعه النظرى بل تعدى ذلك إلى مواقف راح البرلمان فيها يبرر مسلكه أو يؤيد حقه على ضوء السوابق والحقوق المكتسبة ، وملابسات الحال ، ومقتضيات الظروف من النصفة والعدالة .

وكان البرلمان فى عهد أسرة تيودور قد خضع للحكم المطلق فعلا ، ومرد ذلك إلى أن ملوك تلك الأسرة لم يتمسكوا فى حكمهم بالنظريات ؛ بل كانوا يعملون على كسب مودة أعضاء البرلمان وضمان تأييدهم إياهم ليكون الأمر فى ظاهره للبرلمان وفى حقيقته لهم . هذا إلى أنهم كانوا أحيانا يتزحزحون عن مواقفهم خطوات إذا لاحت نذر الشر ، أو يحاولون بالكلمة الطيبة أن يكسبوا قلوب النواب ، نجد خير مثال لذلك فى موقف نبيل وقفته إليزابث فى أواخر حكمها سنة ١٦٠١ حين لمحت اتجاه الرأى العام فى معارضة البرلمان لقانون من القوانين، فقالت للنواب: « ولو أن الله رفعنى مكانا عليا فإن ما أعده فى الواقع مجد تاجى هو أنى أحكمكم مستندة إلى محبتكم ، وهذا ما يجعلنى أشعر بالسعادة لأنى ملكة شعب شكور ، أكثر مما أشعر بها لأن الله جعلنى ملكة فحسب » .

وكانت البلاد فى عهد تلك الأسرة تخشى الحرب الأهلية بين فرعى بيت الملك كما كانت تخشى الغزو من الخارج ، وعلى الأخص من جانب أسبانيا الكاثوليكية . هذا إلى أنه كان للناس منصرف عن السياسة وأمورها إلى النهضة العلمية الأدبية وحركة الكشف الجغرافى والإستعمار وراء البحار ، فخمدت جذوة السياسة حتى كادت تتحول إلى رماد .

وكانت تقتضى الحكمة وبعد النظر مسالمة رجال البرلمان بعد زوال الخطر الداخلى وابتعاد شبح الغزو الخارجى إثر تحطيم الأرمادا أسطول أسبانيا العظيم ، ولكن جيمس الأول أخذ فى ظروف كهذه يعلن تمسكه بنظريته ، فنفخ بذلك فى الرماد حتى توهج ، ثم إذا به يشتعل فى عهد خلفه اشتعالا .

وكان جيمس غداة ولايته عرش انجلترة فى السابعة والثلاثين من عمره ، وكان ملكا مثقفاً على شىء غير قليل من اللباقة ، وفى نفسه قدر من روح الفكاهة ، ولكن لم يكن يحسن وزن الأمور لتمسكه بالجانب النظرى منها ، كما أنه لم يحسن كيف يحيط شخصه بما يجب للملوك من وقار وهيبة ، بل لقد اجتمعت فيه كل الصفات التى يجب ألا تنسب واحدة منها إلى ملك ، وقد قال عنه هنرى الرابع ملك فرنسا : « إنه أعلم مغفل فى العالم المسيحى ! »

اجتمع أول برلمان فى عهد جيمس سنة ١٦٠٤ ، فكان أول خلاف بينه وبين الملك أن تدخل الملك فى الانتخاب ، فقد حذر الناخبين أن ينتخبوا المتطرفين فى الآراء الدينية والمحرومين من حماية القانون ، ولكن إحدى الجهات انتخبت واحداً من هؤلاء فأبطل انتخابه بأمر الملك توطئة لانتخاب غيره . وثار البرلمان وتمسك بأنه صاحب الحق فى النظر فى هذا الأمر ، وأذعن الملك مكرهاً وتأكد بهذا الإذعان حق البرلمان فى القيام على أمر الانتخاب!

وأعقب ذلك حادثة أخرى ، وتلك هى حبس أحد أعضاء البرلمان لعدم دفعه ما عليه من دين ، وإذ ذاك أعلن النواب أنه لا يجوز القبض على عضو من الأعضاء إلا بتهمة الخيانة أو تعريض السلم العام للخطر . ولكن الملك أصر على موقفه ولم يعبأ برأى النواب!

وفى نفس السنة أظهر جيمس عطفه على الكاثوليك وأراد أن يغير بعض القوانين الضارة بهم ، فعارض البرلمان ، وكانت ميول أعضائه بيوريتانية ، ولعله إنما أراد بالمعارضة أن يقف فى وجه الملك أكثر مما أراد أن يكيد للكاثوليك ... وأمرها الملك فى نفسه ...

على أن أكبر خلاف وقع بين الملك والبرلمان كان على مسألة الضرائب ، وذلك سنة ١٦٠٨ حين أراد الملك أن يفرض من تلقاء نفسه ضريبة إضافية على التجارة ، فعارض البرلمان معارضة شديدة ، لأن هذا العمل يقوض حقاً هو أهم حقوقه من أساسه ، ولكن الملك تمادى فى عناده ، وامتنع أحد التجار عن الدفع وقدم إلى المحاكمة ، وكان الملك يومئذ يخيف القضاة بعزلهم من مناصبهم

على الرغم مما نص عليه العهد الأعظم من منع تدخل الملك فى سير العدالة ، وحكم القضاة على التاجر ؛ ولكن صوت البرلمان فى الاحتجاج لم يخفت بهذا الحكم وإن لم يجده ذلك شيئاً ، وما لبث أن تخلص منه الملك فى غير عناء !

وفى سنة ١٦١٤ اشتدت بالملك الحاجة إلى المال بسبب إسرافه وإسراف حاشيته ومن اصطفاهم ، فجعلهم من المقربين إليه أولى الحظوة عنده ، فدعا الملك برلماناً جديداً ليعينه على الخروج من الأزمة ، وحرص أتباعه على أن يأتى موالياً للملك ، ولذلك أطلق الناس عليهم اسم المتعهدين استهزاء بهم ؛ ولكن البرلمان ما كاد يجتمع حتى أظهر المعارضة للملك والمقربين إليه ، وأنكر سياسة الملك الخارجية ، فقد كان يريد جيمس مسالمة أسبانيا ومصالحتها ، وكانت انجلترة تكره ذلك أشد الكره !

وغاظ الملك أن يكون هذا البرلمان أشد من سالفه عناداً ، فأسرع إلى حله بعد شهرين من اجتماعه ، ولما يتخذ قراراً واحداً ، ولذلك أطلق عليه اسم « البرلمان العقيم » !

وحكم الملك ست سنوات من غير برلمان ، يعمل بمشورة خلصائه حيناً ، ويتبع هواه حيناً ، يعز من يشاء ويذل من يشاء ، لا يسأل عما يفعل ولا يفكر فى عاقبة أمره .

وفى سنة ١٦٢١ دعا جيمس برلمانا جديداً ، وكانت الحاجة إلى المال هى التى تحمله يدعو البرلمانات ليعتمد على معونة النواب فى فرض ما يطلب من الضرائب ، وقد تذرع فى هذه السنة برغبته فى نصرة البروتستنتية وذلك بمساعدة صهره البروتستنتى فردريك حاكم البلاتينات فى ألمانيا ضد النمسا وأسبانيا ؛ وتحمس البروتستنت فى انجلترة لمعاونة زملائهم فى القارة ، ولكن ما كان أشد غضبهم أن رأوا الملك يحجم بعد تحمس ، دون أن يستخذى لما حل بصهره أو يأبه بتألم الشعب لما نال البروتستنت من هزيمة فى القارة ، وإذ ذاك عاد البرلمان إلى مناوأة الملك فى المسائل الداخلية ، فطالب بمحاكمة بعض وزرائه وأصفيائه على ما نسب اليهم من تهم أهمها الأثراء بغير حق عن طريق الاحتكار ، وكان ثمة عرف قديم أهمل منذ سنة ١٤٥٠ يتيح للنواب حق الاتهام على أن تكون المحاكمة أمام اللوردات ، وأحيا النواب هذا العرف فغضب الملك غضباً شديداً ليحمى وزراءه وأصفياءه ، وأعلن كلمة جريئة اهتزت لها البلاد هزة الغضب والألم وهى قوله « إن امتيازات النواب واللوردات ليست حقا لهم كما يظنون وإنما هى منحة من الملك ، وإن عمل النواب ينبغى ألا يتعدى الأمور المحلية كالمناقشة فيما يطلب من المال والإعراب عن آراء ناخبيهم ، أما أمور الدولة العليا فى السياسة والدين فمن اختصاص الملك وحده ... » ورد البرلمان بصيحة بالغة الجرأة فقال « إن كافة ما لدى البرلمان من الحريات والامتيازات والأمور المتصلة بالانتخاب وبسير العدالة ، إنما هى حقوق قديمة مؤكدة تثبت بمجرد الميلاد لكل فرد فى انجلترة ويتوارثها الأجيال ، وكل ما هنالك من مسائل خطيرة ملحة تتصل بالملك والدولة والدفاع عن المملكة وعن كنيسة انجلترة ووضع القوانين والمحافظة عليها والعمل على إزالة أسباب الشكوى فى الداخل ، إنما هى من صميم ما يختص به البرلمان ويدير فيه المناقشات ويتبادل أعضاؤه فيه المشورة . »

وساء وقع هذا بالضرورة فى نفس الملك المتجبر فأخذته العزة بالإثم وحل البرلمان ولم يجتمع إلا سنة ومزق بيديه هذا القرار من مضبطة المجلس وألقى ببعض أعضائه فى غيابة السجن ، وظل يحكم مستبداً بالأمر حتى سنة ١٦٢٤ حين جمع عزمه وأراد أن يعلن الحرب على أسبانيا ، وشعر بحاجته إلى المال ، وإذ ذاك دعا برلمانا جديداً لم يكن أقل من سابقيه معارضة للملك المستبد وظل قائما حتى مات الملك سنة ١٦٢٥ .

ومن عجيب أمر جيمس أنه كان أقل الطغاة خطراً لضعف شخصيته ، ولكنه كان مع ذلك أكثرهم استفزازا للنفوس بتهوره وبكلامه . والحق أنه أساء إلى الإنجليز بما قال أكثر مما أساء إليهم بما فعل ؛ كأنما كان مولعاً بأن يستعجل الثورة فى البلاد ، وكأنما كانت رسالته إشعال نار هذه الثورة ؛ فما كان بمستطيع أن يحمل الناس على احترامه بناحية من نواحى القوة والعظمة كما عسى أن يفعل الطغاة إذا أرادوا أن يغطوا طغيانهم لأنه لم يكن على شىء من هذا ؛ ولا كان بقادر على أن يقف فى طريق الحرية الثائرة معترضا لها ليصدها عن وجهتها . ورأى الإنجليز أنفسهم لأول مرة فى تاريخهم تلقاء ملك يشعرون باحتقاره ، ويسخرون من ضعفه وإن تظاهر بالقوة فما كان ما يزعمه لنفسه من قوة إلا الحماقة فى أسخف صورها ...

أما عن المسألة الدينية فى عهده فلم يك جيمس فيها أقل حمقاً ولا أخف طغيانا إن لم يكن أقبح عناداً وأبغض استبداداً .

(يتبع) **الخفيف**

كتب قرأتها :

فى غربال ميخائيل نعيمة

للاستاذ حبيب الزحلاوى

(تتمة ما نشر فى العدد الماضى)

ويقول : « لكل ناقد موازينه ومقاييسه ، وهذه الموازين والمقاييس ليست مسجلة لا فى السماء ولا على الأرض ، ولا قوة تدعمها وتظهرها قيّمة صادقة سوى قوة الناقد نفسه ، وقوة الناقد هى فيما يبطن به سطوره من الإخلاص فى النية ، والمحبة للمهنة ، والغيرة على موضوعه ، ودقة الذوق ، ورقة الشعور ، وتيقظ الفكر ، وما أوتيه بعد ذلك من مقدرة البيان لتنفيذ ما يقوله لعقل القارىء وقلبه ...

« لا يكون الناقد ناقداً إذا تجرد من خلة « قوة التمييز الفطرية » تلك القوة التى تبتدع لنفسها مقاييس وأوزاناً ولا تبتدعها المقاييس والأوزان ، فالناقد الذى ينقد« حسب القواعد» التى وضعها سواه لا ينفع نفسه ولا منقوده ولا الأدب بشىء .

« ... نحن فى حاجة إلى الناقدين لأن أذواق السواد الأعظم منا مشوهة بخرافات رضعناها من ثدى أمسنا ، وترهات اقتبلناها من كف يومنا ، فالناقد الذى يقدر أن ينتشلنا من خرافات أمسنا وترهات يومنا ، والذى يضع لنا اليوم محجة لندركها فى الغد ، هو الرائد الذى سنتبعه والحادى الذى سنسير على حدوه .

ويقول : « إذا لم يكن للناقد من فضل سوى رد الأمور إلى مصادرها ، وتسميتها بأسمائها لكفاه ذلك ثواباً . إلا أن فضل الناقد لا ينحصر فى التمحيص والتثمين والترتيب ، فهو مبدع ومولّد ومرشد ، مثلما هو ممحّص ومثمّن ومرتب .

« هو مبدع عند ما يرفع النقاب فى أثر ينقده عن جوهر لم يهتد إليه أحد ، حتى صاحب الأثر نفسه .

هو مولد ، لأنه فيما ينقد ليس فى الواقع إلا كاشفاً نفسه .

وهو مرشد ، لأنه كثيراً ما يرد مغروراً إلى صوابه ؛ أويهدى شاعراً ضالا إلى سبيله .

« رب ناقد لم ينظم فى حياته بيتاً ، ولا عرف ما فى النظم من مشقة الأوزان والقوافى ؛ ولا فى لذة الفوز بها ؛ غير أن ذلك لا يعوقه عن إدراك ما فى الإفصاح عن عوامل النفس من لذة روحانية ، ولا يعميه عن تموجات الألوان فى الرسوم الكلامية ، ولا يصمّه عن رنة الألحان فى مقاطع الألفاظ والعبارات .

والناقد فى إمكانه الدخول إلى مستودع روح الشاعر ، وتفقد مخبئاته إلى أن تتولد فيه حالة نفسية كالتى تمخضت فى الشاعر بتلك القصيدة ؛ فيصبح الناقد كأنه الشاعر وكأن القصيدة من وضعه .

« إن حظ الناقدين من دهرهم قليل ، فهم لا يُرضون فريقاً من الناس إلا بإغضاب فريق آخر ، غير أن القوى بينهم — والقوى من أخلص النية — لا يحفل بمن يرضى وبمن يغضب ، لأنه يخدم غاية أكبر من رضاء الناس وسخطهم ، ويتمم وظيفة هى من أهم وظائف الحياة ... » ويضيف الأستاذ العقاد على هذا التعريف الشامل للناقد فيقول : « عمل الناقد تصحيح كثير من مقاييس الأدب ، وإن من يصحح مقياساً للأدب فقد يصحح مقياساً للحياة » .

***

« ... كلنا يتكلم عن الشعر ؛ بعضنا يؤلهه ، والآخر يعشقه والثالث يقرضه ، والرابع يقتات ويتنفس به ، هذا يشحذ ذاكرته بالمعلقات والموشحات والخاليات واللاميات ، يرددها فى وحدته ويتلوها على مسمع أصحابه ، وذاك يكتب القصيدة بعد القصيدة يستعد لأن ينشر درر أفكاره فى « ديوان » ... فلا بدع فنحن من سلالة قوم هم ، إذا مات منهم شاعر قام شاعر ... نحفل بالشعر لأنه لغة النفس وترجمان عواطفنا وأفكارنا ... » والشاعر هو نبى وفيلسوف وموسيقى وكاهن .

نبى : لأنه يرى بعينه الروحية مالا يراه كل البشر .

ومصور : لأنه يقدر أن يسكب ما يراه ويسمعه فى قوالب جميلة من صور الكلام .

وموسيقى : لأنه يسمع أصواتاً متوازنة حيث لا نسمع نحن سوى هدير وجعجعة .

وكاهن : لأنه يخدم إلهاً هو الحقيقة والجمال .

... إن روح الشاعر تسمع دقات أنباض الحياة ، وقلبه يردد صداها ، ولسانه يتكلم « بفضلة قلبه » .

« ليس الشاعر من يخلق عواطف ويولد أفكاراً ، إنما الشاعر

من يمد أصابع وحيه إلى أغشية قلوبكم وأفكاركم ، فيرفع جانباً منها ، ويحول كل أبصاركم إلى ما انطوى تحتها فتبصرون هناك عواطف وتعثرون على أفكار ... هي أفكاركم ... ثم يترككم وإياها تستجلون ألوانها ، وتتفحصون معانيها ... عندها نستفيق أنفسنا إذا شعرت برعشة الحياة في داخلها ، لأن الحياة فينا لا خارجاً عنا ، وما التأثيرات التي تحدثها فينا الطبيعة أو الحياة الخارجية إلا منبه لما كمن في داخلنا من العواطف والأفكار »

« الشاعر ترجمان النفس والشعر لغتها ... خيال الشاعر حقيقته ... الشاعر الذي يستحق أن يكون شاعراً لا يكتب ولا يصف إلا ما تراه عينه الروحية ، ويختمر به قلبه حتى يصبح حقيقة راهنة في حياته ولو كانت عينه المادية قاصرة عن رؤيته .

... بين شعرائنا المعاصرين الذين في شعرهم مدى ، أي قوى التفكير والعاطفة والبيان ، شاعر أقل ما يقال فيه إن لشاعريته وجهاً يميزها عن كل شاعرية ، ولألحانه رنة تعرف بها بين سائر الألحان ، وفي كل ما ينظمه نكهة تختلف عن كل نكهة . وبعبارة أخرى ، إن في شعره شخصية لا تندغم في شخصية أحد من الشعراء ...

***

ماهو الشعر ؟ هو نسمة الحياة . والذي أعنيه بنسمة الحياة ، ليس إلا انعكاس بعض مافي داخلي من عوامل الوجود في الكلام المنظوم . والشعر الذي ينزل بفكري إلى أغوار تحتها أغوار ، ويعلو به إلى سماوات تلوح من ورائها سماوات ، ويفتتح لخيالي آفاقا خلفها آفاق ، ويفسح لعاطفتي مدى يجرها إلى أمداء ، هو الشعر الذي تستأنس به روحي ، وتنفتح له براعم الحياة في داخلي . ولابد للشعر من عاطفة وخيال يجعل من الشعر والموسيقى توأمين

ما هي الغاية من الشعر ؟ قوم يقولون إن غاية الشعر محصورة فيه ولا يجب أن تتعداه « الفن لأجل الفن » وآخرون يقولون إن الشعر يجب أن يكون خادما لحاجات الإنسانية ، وإنه زخرفة لا ثمن لها إذا قصر عن هذه المهمة . ولهذين المذهبين تاريخ طويل ... إنما نكتفي أن نقول إن الشاعر لا يجب أن يكون عبد زمانه ورهين إرادة قومه . ولكننا نعتقد أن الشاعر لا يجب أن يطبق عينيه ويصم أذنيه عن حاجات الحياة وينظم ما توحيه إليه نفسه فقط ، سواء كان لخير العالم أو لويله ، وما دام الشاعر يستمد غذاء لقريحته من الحياة ، فهو لا يقدر إلا أن يعكس أشعة تلك الحياة في أشعاره ... لذلك يقال إن الشاعر ابن زمانه .

يطول بي القول إذا أشرت إشارات عابرة ، أو وقفت هنيهة عند كل ما يستوجب الوقوف حياله من مواضيع هذا الكتاب الذي لا تبلى جدته ، ولا تنصل ألوانه . ويكفي أن أشير إلى موضوعات لامناص للأديب من قراءتها وإملاء الذهن منها ، كموضوع « محور الأدب » و « الرواية التمثيلية العربية » و « المقاييس الأدبية » و « الحباحب » و « نقيق الضفادع » و « الزحافات والعلل » فكلها موضوعات تشخص الأدواء ، وتداوي العلل ، وتهول بالمبضع والمشرط على الضعفاء من الشعراء والكتاب .

من أوجه خصائص الأستاذ الكبير ميخائيل نعيمة أنه لم يكن في « غرباله » الخالد موضوعياً بحتاً ولا ذاتياً بحتاً ، ولا متشرعا يسن السنن ويقنن القوانين ، بل كان « معلما » وقف فوق المنبر وقد أخذته الغيرة على الأدب ، وثارت نخوته ، نخوة الخائف على نهضة العصر أن تلوث في باكورة انبعاثها ، فراح يصرخ صرخات الصدق والإخلاص ، ويشرح مؤلفات الأدباء والشعراء المعاصرين ، على طريقة المثال لا الحصر ، ولم يكن « مقلدا قط » بل كان « نعيميا » أي نسيج وحده في القوة والتمييز والابتداع والخلق والرفق والشفقة ، وما كان قط مموهاً أو مماليقا ، لأن المموه المهالق ليس بأديب ولا بمخلص للأدب ، ولو كان من كبار الكتاب والشعراء والمؤلفين .

حبيب الزحلاوي

هذا العالم المتغير :

الصم يسمعون بعيونهم

للاستاذ فوزى الشتوى

قد لا تمر فترة قصيرة حتى يسمع الصم بعيونهم ، أو بطريق آخر سيقرأون بعيونهم ما تنطقه شفتاك ، وليس من الضرورى أن يروك ، بل تستطيع أن تحدثهم بالتليفون فيقرأوا صوتك بذات الطريقة التى تقرأ بها هذه الكلمات

وقد يبدو لك هذا الحديث غريباً ، فتعال معى إلى أحد المعاهد الأمريكية لنرى رجلا ولد أصم ، ومع ذلك يتحدث بالتليفون إلى أحد معارفه عن طريق جهاز حديث يحول الحديث إلى مركبات . وكان الأصم يرقب لوحة صغيرة تترجم عليها الأصوات إلى صور أمواج ظاهرة تتباين باختلاف مقاطع الحروف والألفاظ فيعرف هو معناها ويجيب عنها بصوته كأى إنسان عادى

فالصوت — كما تعرف — يبدو فى لغة الطبيعة أمواجاً ، وهى نفس النظرية التى تنقل إليك الأصوات فى المذياع وفى آلة التليفون ، ولكنه بدل أن ينعكس ويرد إلى أصوات تسمع يسجل فى الموجات المرئية كما هى فى الطبيعة بالاستعانة بصمام يشابه الصمامات المستخدمة فى المذياع المصور (التليفيزيون)

وهذا الجهاز الجديد فى حجم الآلة الكاتبة الجديدة ، وعلى لوحته يرى الأصم أمواج صوت محدثه كما يرى أمواج صوته هو ، فيصحح أخطاءها إن حدثت ، فإنك تعرف أن الأصم غالباً ما يكون أخرس أيضاً ، ولا سيما إن كان الصمم قد أصابه وهو صغير فلم يتعلم مخارج الحروف ولا طرق النطق . فتعليم اللغة وإتقانها عادة نحصل عليها بالتقليد ، كما أن القراءة والكتابة عادة أيضاً نحصل عليها بالمران ، وما هو معروف بطريقة الخطأ والصواب

فالطفل فى مهده يسمع أباه وأمه وجيرانه يتحدثون ويحاول تقليدهم ، فمرة يصيب ومرات يخطئ ، ويستفيد من خطئه كما يستفيد من صوابه ، لأنه ينحو إلى تصحيح أخطائه فى النطق كما يطمئن إلى نطقه المضبوط ، وبالتكرار يتعوده ويصبح جزء منه ومن ثم تختلف اللهجات ، كما تختلف اللغات .

فإن كان الطفل أصم فهو لا يسمع ، ومن ثم لا يقلد ، أو بطريق آخر يصعب عليه أن يتعلم الحديث فنطلق عليه لقب أخرس ؛ ولكن البلاد التى تعنى بتوفير الرفاهية لأكبر عدد ممكن من شعبها تسعى لتذليل هذه العقبة ، ومن ثم ظهرت فى أمريكا مدارس لتعليم الأطفال قراءة الشفاه ، فإذا لعبت شفتاك أمام عيونهم عرفوا ما تقول وأجابوك فلا تكاد تحس بأنهم صم .

ورسم الكلمات أيضاً شيء اصطلاحى تواضع عليه أبناء اللغة الواحدة ، فالعربى يرسم الفتحة الطويلة شرطة عمودية نعبر عنها بالألف ، ويختلف عنه الانجليزى أو الصينى وإن كان الجميع يتفقون تقريباً فى نطقها . والطبيعة لا تعرف ما تواضع عليه الناس ولها كتابتها الخاصة التى تصور بها مخارج الألفاظ ورسم الحروف .

وكانت كتابة الطبيعة للالفاظ معروفة . ولكنها كانت كثيرة التفاصيل يعز على الناس التفريق بينها وفهمها فهما دقيقاً حتى تيسر أخيراً تبسيطها باستخدام مرشحات تبرز المقاطع الواضحة ، فمن سياق المعنى تعرف ما أقصد بكلمة (كتب) إن كانت كَتَبَ أم كُتُبٌ إلى غير ذلك من الألفاظ .

ولهذا التبسيط ميزته إذ هو يزيل اختلاف اللهجات ، فأجريت تجربة على ستة أفراد ـ ثلاثة رجال وثلاث سيدات ـ ولكل منهم لهجة تخالف لهجة الآخرين ونطق كل منهم بكلمة واحدة فكان شكل الموجة الصوتية واحداً فى الحالات الست برغم اختلافهم فى نطقها وحدتها ووضوح النبرات أو اندماجها .

وتكتب الطبيعة المخارج الصوتية بطريقة تخالف الطرق الإنسانية وتبذها فى التعقيد ، فبعض الألفاظ تظهر كثلاثة خطوط أفقية فى أعلى اللوحة وخط فى أسفلها وبعضها يبدو كالقارب أو مثل الثعبان مما يتطلب مراناً لا يقل عن المران الذى يتطلبه تعليم وسائلنا فى كتابة اللغات البشرية .

وقد قدر تعليم الصم قراءة الكتابة الصوتية بقدرتهم على تعليم لغة حركات الشفاه ، فوجد أن الأولى أصعب ولكن مواصلة المران لبعض أفراد فريق التجارب الأول أن يتلق الإشارات التليفونية كأى إنسان عادى .

ومنذ فترة قصيرة أجريت تجربة هذا الجهاز أمام فريق من

رجال الصحافة وكان المتحدثان رجـل اسمه بلوم وامرأة اسمها جرين ولدا أصمين ، خاطبته السيدة بقولها : « أهلا ومهلا يامستر بلوم ... وكيف حالك » . فأجابها على الفور « إننى بخير يا آنسة جرين أشكرك » واستمر الحديث بينهما مدة تناولا فيها عدة موضوعات وهما متفاهمان كل التفاهم .

ولا تزال هـــذه الطريقة فى تيسير الحياة للصم فى مرحلة التجارب وإن كانت الخطوات التى خطّتها واسعة يسرت كثيراً من العقبات ؛ ولـكن القائمين بأمرها يعتقدون أنها ستـكون من خـير الوسائل لتعليم الأطفال الصم وستخفف كثيراً من العناء الذى يلاقيه من يدربونهم على الحديث ويلقنونهم العلوم .

وهم يسجلون جميع المراحل التى تتناول صقل الجهاز وتبسيطه كما يسجلون مراحل تعليم الأفراد أيضاً ويقارنونه بشتى وسائل التعليم ليعرفوا أخطاءها فينقحوها ، وبواسطة هذا الجهاز تيسر إصلاح النطق الفاسد فى بعض الصم وإتقانه مما يبعث على الأمل فى تعليم الصم فى فترة أقصر .

ويتعلم الطفل الأصم فى سنته الأولى نطق ستة ألفاظ فقط ، فإذا بلغ سنته الثالثة فى المدرسة تعلم نطق ٥٠ كلمة ، بينما الطفل العادى يتعلم فى ذات الفترة ٣٠٠٠ كلمة وهو فرق كبير سيخفف منه ولا ريب رؤية الأطفال تصور موجات ألفاظهم الصوتيـة ومقارنتها بصور الألفاظ الصحيحة .

وأهمية هذا الجهاز الـكبرى فى سهولة تعليم الأطفال أن ولدوا صما فنادراً ما يتاح للطفل الحصول على أى جانب من التعليم فيظل جاهلا طول حياته ويتعذر عليه أن يجيد صناعة يكتسب بها رزقه فضلا عن إحساسه بالنقص وتـكوين مركبه فى نفسه مما يقصيه عن المجتمع . وأعرف شابا بلغ العشرين من عمره ولـكنه يهرب من أى إنسان يحاول الاتصال به فقد كون لنفسه بما رآه فى صغره فـكرة جعلته سيىء الظن بالمجتمع وأناسه .

ومن أكبر المشاكل التى يعانيها والده كيف يوفر له الحياة وسبل العيش فى الحال وفى المستقبل ؛ فالأب يعول همه وهو حى وبعد أن يموت، ولم يدرك وسيلة يمهد بها لمستقبل هذا الابن الذى لا يحسن عملا وليس فى وسعه الانخراط فى مهنة .

(البقية على صفحة ٥٦٢)

فــكرة وصورة . . . !

للاستاذ عبد المجيد بن جلون

هـذا خيالك قد بَرَح   نسى المحبة وانتزح
وهجرت أحلامى فلا   طيف يزور ولا شبح
فـكأن قلبى من كؤو   س هواك يوماً ما اصطبح
وكأن روحى فى سما   ئك يا فتاتى ما سبح
وكأن روض غرامنا   بشـذى الأزاهر ما نفح
وكأن بلبل حبنا   بين الجوانح ما صدح
لم يبق بعـدك يا فتا   تى اليوم حزن أو ترح

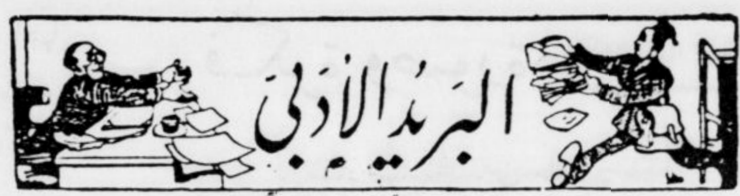
* * *

ألفيت فيك مشاعرى   ووجدت فيـك مثالها
إذ كنت صورة فـكرتى   فهويت فيك جمالها
فالصورة الحسناء منـ   ـك أنا اكتشفت خلالها
والفـكرة الحسناء منى   صرت أنت خيالها
لـكن عبثت بحسنها   فعزمت عنك زوالها
إذ خنت رونقها الجميـ   ـل وقدسها وكمالها
فسلبت حسنك فـكرتى   وبهاءها وجلالهــا

* * *

فإذا أتاك حنين شعـ   ـرى فى النسيم السائر
وذكرت ماضى بهجتى   أيام حبى الغابر
وذكرت عهدك فى الدجى   ذكر الحزين الساهر
فأنا أناجى فـكرة   لا صورة فى خاطرى
فالصورة الحسناء فانيـ   ـة كأمس الدابر
والفـكرة الغراء خا   لدة خلود الشاعر
كانت وسوف تظل مل   ء خواطرى ومشاعرى

عبد المجيد بن جلون



حول كتاب (الزواج والمرأة):

إلى الأستاذ الكبير الشيخ محمود أبو العيون

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؛ وبعد ، فقد طالعت ملاحظاتكم القيمة على كتابي (الزواج والمرأة) . وأبادر فأشكركم على كلماتكم الرقيقة التي تفضلتم فوجهتموها إليّ ثناء على مجهودي في الكتاب ، ولقد تقبلت هذه العبارات على أنها وجهت إلى على سبيل المجاملة والتشجيع .

بقي أنكم أشرتم في رسالتكم أنكم كنتم تودون أن أبلغ نهاية الشوط مجلياً ، فلا أغلو في الدعوة إلى منع تعدد الزوجات منعاً باتاً لأي سبب من الأسباب ، ولاحظتم عليّ أنني أخطأت في فهم آيات القرآن ، فربطت بين آيتي العدل في النكاح « وإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة ، ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ، ولو حرصتم » لأصل من ذلك إلى حد كاد يلغي معه هذا الحق أصلا

وأبادر فأقول إنني ما نازعت أبداً في حق المسلم في الزواج بأكثر من واحدة بمقتضى الكتاب والسنة وإجماع السلف الصالح ، ولقد قلت في بدء الفصل الخاص بتعدد الزوجات ما يأتي بالحرف الواحد : « لا جدال في أنه من حق المسلم بموجب نصوص القرآن وسنة الرسول والصحابة ما جرى عليه إجماع المسلمين في فترة من الزمان أن يتزوج أكثر من واحدة ، وأن يتزوج اثنتين وثلاثاً وأربعاً »

وهذه العبارة صريحة وقاطعة ، فلا تحتمل شكا ولا تأويلا في أنني أعترف للمسلم في حقه في الزواج بأكثر من واحدة بمقتضى الكتاب والسنة ، ولكنني بعد ذلك رحت أبحث الكتاب من الناحية العملية في وقتنا الحاضر ، وأن التعدد في بلادنا قد أوجد مفاسد كثيرة وعمل على تفكيك روابط الأسرة إلى درجة أصبحت تهدد المجتمع المصري ما جعل الإمام المصلح الشيخ محمد عبده يدعو إلى منع تعدد الزوجات عملا بالقاعدة الشرعية «لاضر ولاضرار» .

وإذن فقد ناقشت الموضوع ، لا من حيث الشريعة ، ولكن من حيث الضرورات الاجتماعية في وقتنا الحاضر ، واستندت فيما دعوت إليه إلى روح التشريع الإسلامي التي تهدف في هذا الأمر إلى التضييق ، وتعتبر كل تقليد فيه فضيلة بحيث يمكن القول بأن تحديد الزواج بواحدة من أهم الأغراض التي تقرها الشريعة الإسلامية وتستحبها .

وقد سقت على ذلك الأدلة القاطعة التي تظهر روح الشريعة الإسلامية ورغبتها في الحد من هذا الحق واستعماله . وقد أشرت في آخر البحث إلى إمكان إعادة النظر في قانون تحديد الزواج والعودة إلى إباحة التعدد متى حتمت ذلك الضرورات الاجتماعية ، فقلت بالحرف الواحد : « فإذا تخيلنا ما يشيرون إليه دائماً من

(بقية المنشور على صفحة ٥٦١)

ومثل هذا الأشكال موجود في كثير من بيوتنا المصرية وغير المصرية ولا ندري كيف نحله ولكن تهذيب هذا الجهاز ووضعه في متناول الناس سيتيح فرصة تعليم الأبناء الصم ؛ فهم حين يحسنون الكلام يحسنون القراءة أيضاً ، وعندئذ تتفتح أمامهم أبواب الفنون والعمل فيعرفون ما يقوله المدرس أو صاحب العمل

وقد تيسر بوسائل أخرى مكافحة الصمم فخرج من أبنائه المهندسون والأدباء وأصحاب حرف شتى وهم يمتازون دائما بدقتهم وحذرهم مما يعد نتيجة طبيعية لعلتهم .

ولم يزل هـذا الجهاز في مرحلة التجارب . وفي الولايات المتحدة الأمريكية وحدها مائة ألف طفل مصابين بالصمم الكامل وعن طريقه يرجو الإخصائيون تخفيف متاعبهم وجعلهم أعضاء عاملين في مجتمعهم .

ومن البديهي أن الاستعانة بمثل هذا الجهاز ستوفر على كثير من الصم وتتيح لهم حياة أفضل حتى لا يكاد الإنسان يشعر بعلتهم ، كما أنهم هم سيشعرون بأن العالم أقل غبنا لهم وأكثر ابتساما ، ففي وسعهم بواسطته رؤية التمثيل والسينما وإدارة الأعمال بغير وسيط .

فوزي الشتوي

حدوث نقص فى عدد الرجال خطير ، بحيث يصبح عددهم نصف عدد النساء ، فإنه من الممكن فى مثل هذه الحالة الشاذة أن يعاد النظر فى قانون حظر الزواج بأكثر من واحدة ... فليس هناك ما يمنع تطور القوانين الاجتماعية بحسب الظروف والأحوال ، وهذه هى روح الشريعة الإسلامية »

وظاهر من ذلك أننى لست ممن ينكرون حق المسلم فى الزواج بأكثر من واحدة بمقتضى الشريعة الإسلامية ، وإننى لست ممن يغالون فى منع التعدد لأى سبب من الأسباب ، وكل ما هنالك أننى أرى فى ظروف مصر الحاضرة ما يجعل حظر التزوج بأكثر من واحدة من الأمور المرغوب فيها لإصلاح المجتمع وتثبيت دعائم الأسرة المصرية .

أما فى موضوع الطلاق ، فإننى على رأيى من أنه يجب أن يتم فى حضرة القاضى على أن يكون القاضى ملزماً بالحكم به بعد أن يعجز عن التوفيق بين الزوجين . لقد كان القدامى يعرفون قيمة الكلمة ، أما اليوم وقد انحلت الأخلاق ، فقد أصبح من الواجب ألا نجعل انحلال الأسرة وقفاً على كلمة يقولها شخص ما فى حالة غضب أو نزق ، وأحسب أن الشريعة الإسلامية التى تقرر أن أبغض الحلال عند الله الطلاق ، لا تأبى بحال من الأحوال أن يكون الطلاق على يد القاضى

وأنتهز هذه الفرصة لأقدم لفضيلتكم وافر شكرى وتقديرى ، وتفضلوا بقبول عظيم احترامى .

أحمد حسين

أمل الفلاح :

نشرت مجلة « الرسالة » فى عددها ٦٧٠ هذه القصيدة التى نالت الجائزة الأولى فى مسابقة الشعر البريطانية ، وهى قصيدة جيدة ترفع من قدر ناظمها ، وتشهد بعدالة المحكمين فى المسابقة وفهمهم للشعر ، غير أنه عن لى فيها مأخذان جديران بالملاحظة : الأولى فى قوله :

وما سرى فى أفقه كوكب   إلا وغض الطرف من نحسه

فإن إقحام الواو بعد إلا لا تجيزه العربية ، لأن جمهرة العلماء مجمعون على أنه إذا أتى بعد إلا فعل ماض امتنعت الواو من الدخول عليه ، ويشهد لهم قول الله تعالى (وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين) ، وقوله : (وما يأتيهم من نبى إلا كانوا به يستهزئون) ، وقد حكموا بالشذوذ على قول الشاعر :

نعم امرءاً هرم لم تعر نائبة   إلا وكان لمرتاع به وزرا

والأخرى فى قوله :

واسقوه عذب الماء لا آسنا   يرنق (المكروب) من كأسه

فإنهم نصوا على أن (لا) إذا وقعت بين الصفة والموصوف وجب تكرارها قال ابن هشام فى كتابه (مغنى اللبيب) ص ٣٤٦ ج ٢ مانصه :(وكذلك يجب تكرارها إذا دخلت على مفرد خبراً أو صفة أو حال لا نحو زيد لا شاعر ولا كاتب ، ونحو جاء زيد لا ضاحكا ولا باكياً ، ونحو أنها بقرة لا فارض ولا بكر . وظل من يحموم لا بارد ولا كريم . وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة ، من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية) .

ومهما يكن من شىء ، فإن مثل هذا لا يغض من جمال هذه القصيدة وروعتها .

على جلال الدين شاهين

الملك :

قال لى صديق أمريكى وفد على مصر فى غضون هذه الحرب : « إن المُلك قد أصبح على يد مليككم الشاب فناً جميلا ، فقد جمع بين القدوة والمثال »

ذكرت هذه العبارة يقولها رجل تذكى الغربة فى نفسه كوامن التطلع وأنا أكاد أفرغ من دراسة ديوان الشاعر المصرى محمود حسن إسماعيل « الملك »

وما نستطيع أن نضع هذا الديوان مع دواوين شعراء المديح ، وهى فى العربية أكثر من الكثير ، فلم تتغن شاعرية محمود فى جلالة الفاروق لأنه « ملك » ، ولكنها تغنت بها لأنه « الملك » أى « القدوة والمثال » ، وأغلب الظن أنه فطن إلى هذا ساعة هدته فطرته إلى عنوان ديوانه ...

وما نستطيع كذلك أن نسلك هذا الشاعر المصرى وهو يسجل آيات المصرى الأول مع شعراء المناسبات ، وهو إنما كان المصرى الشاعر الذى استطاع أن يقول ما يريد أن يقوله كل مصرى فلا يستطيع !

ألم يخفق قلبك وقلبى لهذا الملك يصعد إلى أسوان ويجوس بين مصريين أضناهم المرض والإهمال فواساهم ونبه إلى العناية بهم وبأمثالهم ؟

ألم يخفق قلبك وقلبى لهذا الملك ينزل كالغيث فى الصحراء على الأعراب البائسين فى مضارب خيامهم يسعد فقيرهم ويبرئ سقيمهم

ويحيى فيهم كيان الأسرة ، وهو يمنح الهبات للراغبين فى الزواج؟

ألم يخفق قلبك وقلبى لهذا الملك يلتفت إلى هؤلاء الذين أدمى الحفاء أقدامهم ، فكانت نداء بالعدالة الاجتماعية وبقظة الشعور الإنسانى بهؤلاء المكدودين العاملين ؟

ألم يخفق قلبك وقلبى لهـذا الملك يمد جناحه على الناقهين لا تستطيع المصحات إيواءهم فيعدمون الغذاء والمأوى ؟

ألم يخفق قلبك وقلبى لهذا الملك يكرم النوابغ من شباب المتعلمين ، فيدعوهم إلى قصره ويحفزهم على إذكاء شعلة العلم النافع والعمل الصالح ؟

ألم يخفق قلبك وقلبى لهذا الملك يوم تداعت الحدود القديمة وتهيأت الوطنية العربية للنهوض ، فكان أول من حمل لواءها وجاهد فى سبيل تحريرها ، فرأينا أرزة لبنان تغرس على ضفة وادى النيل وتحت شرفة الفاروق ؟

فإذا لم تتحرك شاعرية المصرى العربى محمود حسن إسماعيل بآيات المصرى العربى الأول ، ففيم تتحرك إذن وبمن تشيد ؟ ؟ !

ويقول بعض الأدباء الذين يغلب النقد على فطرتهم : ما لهذا الشاعر يكثر من ذكر النبت من زهر وثمر ، والأرض من نجاد ووديان ، والماء من نبع وغدير ؟

بل ماله يسرف فى ذكر الخمر وكئوسها وأكوابها ؟ وماله يسرف فى ذكر النيل والهرم ؟

حسب أولئك وهؤلاء أن يعلموا أن هذه الوحدات التعبيرية لم تقصد لذاتها ، وإنما قصدت للدلالة على وطن أو حالة نفس ، فهى رموز مشهورة ودلالات معروفة ، وإليك مثالا واحداً : القصيدة التى عنوانها «فاروق» ، فقد أورد فيها كثيراً من هذه الرموز ووضعها فى مواضعها الدالة عليها ، ولا على الشاعر إذا وقع على الرمز المشهور ، وقد تجلت عبقريته فى تأليف الصور وجمع الأحاسيس وعرض المعانى ، وفى ذلك تتفاوت عبقريات الشعراء ، بل وفيه تتفاوت آثار الشاعر الواحد بتفاوت موضوعه وانفعاله.

ومن الإنصاف أن نقول : إن شاعرنا كان شاعر الأمة المصرية العربية بهذا الديوان ، وإن هذا الديوان ليس من دواوين المديح ، كما يظن الأغرار ، وإنما هو من دواوين الوطنية الصادقة

عبد الحميد يونس

عضو لجنة ترجمة دائرة المعارف الاسلامية

العرب فى أندونيسيا وموقفهم من القضية الأندونيسية :

يقطن بلاد أندونيسيا عدد كبير من العرب نزحوا إليها منذ عهد بعيد من جنوبى جزيرة العرب ، وقامت بينهم وبين أهل تلك البلاد علاقة وثيقة تقوم على أساس الأخوة الإسلامية الوطيدة ، ووقفوا إلى جانب إخوانهم الأندونيسيين تجاه أحداث الزمن خيرها وشرها .

إن رسالة العروبة والإسلام رسالة واحدة هى رسالة المساواة والعدالة والحرية والمثل العليا للانسانية ، فلما قامت أندونيسيا تناضل عن سيادتها واستقلالها وقف العرب هناك إلى جانب إخوانهم الأندونيسيين فى هـذا النضال ، وهم الآن فى الجيش الأندونيسى يخوضون معهم غمار المعارك تحت علم واحد ، وفى سبيل غاية واحدة ، كما أكد لنا ذلك أعضاء الوفد الأندونيسى عند اجتماعنا بهم فى القاهرة قبل سفرهم إلى هولندا . ولا غرو فإن الهدف الذى تجاهد أندونيسيا فى سبيله هو هدف كل عربى وكل مسلم أينما كان على وجه الأرض ، بل هو هدف كل إنسان يؤمن بالحرية الإنسانية الحقة .

وقد سبق للعرب فى أندونيسيا فى مؤتمرهم الذى عقد بمدينة « سولو » بجاوة فى شهر مارس ١٩٤٦ أن وجهوا إلى سعادة الأمين العام للجامعة العربية ، وإلى الدول العربية نداء طلبوا فيه تأييد أندونيسيا والاعتراف بجمهوريتها .

ونحن نكرر هنا هذا النداء إلى جميع الدول العربية ، فإنها أحرى من يبادر إلى تأييد أندونيسيا والاعتراف بحكومتها الجمهورية

عرب أندونيسيا بمصر



يوميات جينفييف

للكاتب الفرنسى مارسيل بريفو

عضو المجمع اللغوى الفرنسى

بقلم الدكتور محمد غلاب

٢ - المواسى :

٢٦ مايو

ها أنذى منفردة هذا المساء أيضاً شأنى فى كثير من أمسية هذا العام ، فأين راءول الآن ياترى ؟

لم أسأله هذا السؤال ، لأنى تعبت من كثرة الكذب المستمر السهل على لسانه ، ومن تشابه الجواب دائماً ، وهو « إنى ذاهب إلى النادى ، بيد أنه ينبغى أن أكون مخلصة ، ففى هـذا اليوم وضع نفسه تحت تصرفى وعرض علىّ أن أصحبه إلى منزل أحد أصدقائنا حيث تمثل رواية « الضابط » الهزلية ، ولكنى علمت ان الآنسة « دى جيفيرنى » ستمثل فى هذه الرواية دور « الساذجة المصرية » وهذا النبأ سلبنى كل رغبة فى مشاهدتها. أما راءول ، فهو لا ريب ذاهب اليها ، وكذلك مدام ديلافو من غير شك . وفى هذه اللحظة هو بجانب إحداهما ، وهو يلقى على صدريهما تلك النظرة التى هي مزيج من إعجاب وسخرية ، والتى يلقيها دائماً على النساء اللواتى يشتهيهن ولا يحترمهن ، أما أنا ففى الوقت الذى كان يحبنى فيه لم يكن يلقى علىّ مثل هذه النظرات الساخرة ، ومع ذلك فلا ينبغى أن أفكر فى شىء من هذا ، إذ لدىّ ما يعزينى وينسينى كل شىء ، وهو طفلى العزيز ، ولقد أذنت لمربيته الليلة فى أن تتنزه ، وإذاً ، فأنا التى سألاحظه فى سريره .

إن رينيه نائم الآن على ظهره ، وهو يضغط شفتيه ، ويزقزق من حين إلى آخر كالعصفور الصغير ، فيجب ألا نوقظه ، لأنه إذا استيقظ من نومه الأول لا يغفو إلا حين يجىء موعد نومه الثانى إذ أنه ينام بنظام وفى أوقات معينة.

إن مربيته تقول لى إن الناظرين إليه فى الحديقة العامة يقدرون له أكثر من سنه ، ولعلها تقول ذلك لتسرنى ، لأننى أتمنى أن يكون أطول الأطفال وأقواهم وأجملهم وأذكاهم من غير استثناء ، إذ هـذه كبرياء الأم وأنانيتها ، وهى كبرياء مباحة وأنانية مشروعة فيما أعتقد .

ما ألذ لغة رينيه المكسرة على مسمعى ! ولقد تقدمت صحته قليلا منـذ بضعة أيام ، ومع ذلك فالطبيب يجىء ليعوده فى كل صباح . واليوم لم أستطع أن أحصـل منه على جواب صريح يطمئننى على صحته كما كنت أرجو . وكلما أفكر فى ضعف صحة هذا المخلوق المعبود وأتخيل أن حمى خبيثة تستطيع أن تختطفه منى فى بضع ساعات ، أصير على أتم استعداد للجنون ، وعلى أثر هذا الخيال أنتصب واقفة وأجرى إلى مهده دون أن أشعر ، ولا أطمئن إلا حين أرى تنفساته تحرك الغطاء بنظام ، أو أرى فمه الحالم يلوك فى هدوء لغة النوم . وفى أثناء هذا كله ، وحين أكون ساهرة بالقرب من سرير طفلى يكون راءول مشغولا بالحصول على وعد من مدام ديلافو ، أو بمحاولة الاختلاء بالآنسة جيفيرنى لأن الأمر انتهى بى إلى أن أومن بأن هذه المغازلات لم تعد بريئة طاهرة ، فتجاربى الشخصية من ناحية ، وآراء والدتى من ناحية أخرى قد أزالت من نفسى تلك السذاجة التى كانت تغشيها إلى عهد قريب . لقد كانت والدتى تقول لى دائماً : « إذا لاطف زوجك سيدة ، فكونى على يقين من أن الفرق بين المغازلة والخيانة هو منحصر فى غيبة الإمكان المادى ، فإذا تيسر هـذا الإمكان زال ذلك الفرق » . آه من المغازلة ! تلك الكلمة الرعبة النافقة التى تخفى تحتها كثيراً من المزعجات التى كلما أسمعها تنطق أمامى أرتاع كما لو أنى أسمع إحدى الكلمات الوقحة الجارحة .

لكى أمضى الساعات التى سأقضيها ساهرة إلى جانب سرير الطفل ، دخلت حجرة تدخين زوجى التى يستقبل فيها أصدقاءه

الأخصاء ، لأتصيد منها بضع صحف أو مجلات أتلهى بها ، فوجدت « الفيجارو » و « جيـل بلاس » و « الجولوا » و « الكلمة الحرة » فجمعتها ، لأتصفحها . غير أن راءول — لتفريطه فى النظام وإفراطه فى حسن النية — كان قد ترك حلقة مفاتيحه معلقة فى درج المكتب ، ولكن هل فتنتنى هذه الفرصة فخطر لى أن أتعقبه ؟ حقا إنى لا أعتقد ذلك ، بل إن الذى استولى علىّ فى هذه اللحظة هو حب الفرار من هـذه الفتنة فنجوت بنفسى نقية اليدين وعدت إلى حجرتى . وفى الحال دعوت الخادم جوزيف وهو أخلص الخدم إلى زوجى ، لأنه فى خدمته منذ أن كان صبياً ، وهو لهذا كان يعادينى ، فلما جاء أمرته أن يأتينى بالصحف فأتى بها ونزع المفاتيح ، وهذا هو الذى كنت أقصده لأنجو من هذه الفتنة الأخلاقية .

فلنقرأ الصحف لنتسلى بها إن بعض هذه الصحف تضايقنى لأنها جدية جافة ، أما البعض الآخر الذى يستعذبه شباننا من الإخوة والأزواج فهو ما لا أتذوقه ولا أفهمه . وهناك عدد من الصحف تؤلمنى مطالعته لأننى أرى فيه تشويه الأخلاق أو جرح الفضيلة . ومن هذا النوع الأخير هذه الصحيفة التى يقول عنها راءول إنها تُعْنَى بأخبار النوادى والحفلات ، وأنباء النساء الماجنات . وفى الواقع أنها كذلك حيث أرى الآن فيها هذا العنوان « الرجل الذى قتل كلبه بعد موت زوجته » . ولاشك أنى لا أفهم هـذا النوع الشائك من الأخبار ولا أستحسنه . وهناك نبأ آخر فى هذه الصحيفة يحدثنا أنه قد لُحِتَ أمس فى غابة بولونيا الآنسة « إرماديكاوزييه » و « مارجريت ديبورجونى » و « ميس شامبانى » . ولست أدرى أى شخص يعنيه هذا النبأ الذى استنفد إثنى عشر سطراً ؟ لا ريب أنه يعنى عشاق هاتيك النساء ولا بد أن يكونوا كثيرين حتى تكترث هذه الصحيفة بارضائهم . فأما السياسة فسنتخطاها ، ولننظر حالا فى الحوادث المختلفة . ها هو ذا نبأ عنوانه « سيدة غيورة تطلق المسدس على زوجها » . مسكينات تلك الزوجات ! إنهن فى جميع الطبقات من أعلاها إلى أدناها هن المهجورات ، ولكن كيف يستطعن التصميم على قتل من أحببن ؟ ! .

والآن نلق نظرة على رسائل القراء التى يتخاطبون بها عن طريق الصحيفة ففيها شىء من التسلية ، لأنها تحوى طائفة كبيرة من المآسى والمهازل .

وبينما أنا أقرأ فى هذه الرسائل ، إذ رأيت الدنيا تضطرب فى عينى فجأة ، وأحسست كأن قلبى يتشرب كل ما فى جسمى من دم ، وسقطت الصحيفة من يدى ، ومال جسمى على المقعد بعد أن فقد توازنه الطبيعى . وظللت كذلك ساعة من الزمن ، فلما عدت إلى نفسى تناولت الصحيفة من جديد وحدقت فى نفس السطر الذى قلبت كيانى مطالعته ، وهو يشتمل على ما يلى :

« ر . — سرور ! غـداً مساء (السبت) . إنى نجحت فى أن أتخلص من هذا الريف المزعج ، وسأكون فى العش المختار فى الساعة العاشرة مساء ، ولكن لا تجىء إلا إذا كنت قد صممت على أن تكون عاقلا « الأمضاء » سوز » .

لماذا اقتنعت فى الحال ولأول وهلة أن حرف الراء رمز لراؤول زوجى ، وأن سوز هى سوزان ديلافو ؟ فأما التعقل المنطق فليس فيه ما يؤيدنى فى هـذا اليقين ، إذ لا أعرف أن مدام ديلافو غائبة عن باريس ، بل إننى قلت لراؤول محاولة المزاح قليلا : إنك سترى فى حفلة الليلة سوزان الجميلة ، فابتسم ابتسامة لم تلبث أن اختفت خلف لحيته السوداء ولم يحاول الدفاع عن نفسه .

فهل كان يجهل غيابها أو كان يسخر منى ؟ لا أدرى ، ولكن الذى أنا واثقة منه هو أن هذه الرسالة الصغيرة موجهة إلى راؤول من مدام ديلافو ، وأنى موقنة بهذا إيقانا لا يقبل الجدل وعن طريق خفى . إنى أعيد قراءة تلك السطور الرهيبة كلمة كلمة ؛ وإن كل عبارة من عباراتها تبدو لى كأنها كائن حى . يالله ! إنها مبدوءة بهـذه اللفظة الماجنة : « سرور » حقاً إنه لسرور لها حينما تنفلت من زوجها معتذرة إليه لا أدرى بأى كذب ، لتلتقى بنفسها بين أحضان أدنأ الجرائم وأشنعها ... سأكون فى العش المختار ... ! . إننى محتفظة بمواطنى ، ومع ذلك فلم أستطع أن أمنع نفسى من البكاء . « العش المختار ! » إذاً ، إن ما كنت أخشاه منذ زمن لحق ، وإنه لحق أيضاً أن

الرجل الذى منحته نفسى بوساطة الزواج يستمتع بحب فى باريس، وفى منزل آخر غير الذى أعيش فيه أنا وطفلى . غير أن الجملة الأخيرة من هذه الرسالة وهى : « لا تجئ إلا إذا صممت على أن تكون عاقلا » . هذه الجملة — على ما بها من رفع الكلفة القزز — تركت فى نفسى شيئاً من الأمل ، إذ لو أنها تحبه لما قالت له هذه الكلمة . ها هى ذى حاضنة الطفل قد عادت من دار التمثيل ، فلترسلها إلى غرفتها لتنام ، أما أنا فسأقضى الليلة هنا إلى جانب مهد ابنى ، ولعل وجودى بجانبه يحول بينى وبين اليأس ، وأما راؤول فلا أستطيع أن أراه اليوم مطلقاً . أوه يا عزيزى المواسى الصغير ! .

٣ — القلق :

٢٧ مايو

مبدأ حزن ليوم حزن ؛ فالسماء تمطر ، والمطر الحزين يتفق مع ما أنا فيه الآن من حزن وألم . وكل شىء يثقل كاهلى وجميع العوامل السيئة قد تكاتفت على إيهامى ، إذ أن الطفل قد أمضى ليلة سيئة وكان فى نهايتها شديد الهياج ، مرتفع الحرارة وإن كانت حالته قد تحسنت قليلا فى هذا الصباح . وأنا أنتظر الدكتور « روبان » بفارغ الصبر . أليس ذلك كثيراً على يا إلهى ؟ أو ليس فوق طاقتى أن ترسل إلى هذه المحن الأخرى على أثر الأولى ؟ لأنى الآن لم أعد أشك فى صحة ما ظننته ، إذ قد سألت راءول فى هذا الصباح بعد أن حاولت أن أكون هادئة فقلت : هل مدام ديلافو كانت أمس فى تلك الحفلة ؟ فتردد لحظة قبل أن يجيبنى ثم قال : « لا أظن ذلك ، لا ، إنها لم تكن هناك يقينا » .

ولكنى ألححت قائلة : « هل كانت غادرت باريس ؟ » فلما سمع هذا السؤال ظهرت على وجهه حركة جزع ثم قال فى غضب : — لا أدرى يا صديقتى العزيزة ! وهل أنا حارس مدام ديلافو ؟ ومع هذا فإنى أتوسل إليك ألا تحدثينى عن هذه الإنسانة التى تبغضينها ولا أدرى لماذا ، لاسيما وأنها تحرص دائما على أن تكون فى حضرتك غاية فى الكمال .

فى هذه اللحظة أحسست بألوان من الحقد تتجمع فى نفسى حتى منعتنى من أن أجيب على عبارته الأخيرة ؛ بل إنى لم أرد أن أنبئه بقلقى على الطفل ، فليكن ما يكون ، وليعبث كما يشاء ، ولينغمس فى اللهو خارج المنزل ، فأنا أريد أن أحمل مفردة عبء قلقى ، والطفل لم يعد ابنه فسأتولى وحدى شؤونه .

كانت الساعة العاشرة صباحا حينما دخل الخادم إلى غرفتى وأنا غارقة فى هذه الهموم ومعها علبة مليئة ببعض المشتريات ، ونبأتنى أن عاملا من أحد المتاجر الكبيرة التى نعاملها قد حملها إلى المنزل وكلفها إيصالها إلى ، ثم قالت الخادم : إن العامل منتظر خارج الباب ، لأنه ليس متأكدا أن هذه العلبة مرسلة إلى سيدتى ، فتناولتها فإذا عليها هذا العنوان : « مدام دى بواستيل » رقم ١٣ شارع فيزيليه .

هذا هو اسمى ، ولكننى أنا أسكن « فوبورسان أونوريه » لا شارع فيزيليه ، فإذا أضفنا إلى ذلك أن اسمى فى هذا المتجر « الكونتيس دى بواستيل » تبين أن فى الأمر شيئا أو أن هناك خطأ ، فدعوت العامل وقلت له :

— إننى لم أوص بشىء من متجركم ، فاحمل هذا وانصرف لأنى لا أدرى ما هو .

— يا سيدتى : نحن شككنا كذلك ، وظننا أن هناك خطأ ، لأن عنوان سيدتى عندنا ، بيد أن سيدى الكونت هو الذى جاء بنفسه فأوصى بهذا الطلب وأعطانا هذا العنوان؛ ولكن بما أنى ذهبت إلى شارع فيزيليه فلم أجد أحدا فى المنزل الذى عينه لنا … وفى هذه اللحظة امتقع لونى ، فأدرك العامل أنه اقترف غلطة كبرى ، فصمت فجأة ، لأنه فهم كل شىء ، فتحاملت على نفسى وقلت له : حسن ما تقول ، ولكن احمل هذا فإنه ليس لى . قلت ذلك للعامل وانزويت فى غرفتى واستسلمت إلى البكاء .

وهكذا بعثت المصادفة إلى بسر زوجى، فأنا كنت أعرف أن مدام ديلافو قد حددت هذا المساء لاجتماعها به . والآن أعرف كذلك أين مكان هذا الاجتماع ، إذ أن راؤول قد بلغ به الاستخفاف إلى حد أنه لم يحاول إخفاء اسمه فى هذا المنزل الذى اختاره للخيانة الزوجية . ولا ريب أن شريكته فى الجريمة تدعى فى ذلك المنزل بالكونتيس دى بواستيل ، فماذا يجب على أن أعمل ؟ أليس من واجبى أن أحول بين زوجى وبين الإجرام ؟

نعم قد كنت فيما مضى أمتعض من أن أقوم بتحقيق هذه الخيانة وأن أتعقب الجناة ، ولكن ما الذى يمنعنى الآن من أن أنذره ومن أن أجاهد ضد هذه المرأة ، لأصرفه عنها ؟

إننى أستطيع حين يعود راؤول للغداء أن أقول له : إنى عرفت كل شىء ، وأن أشرح له المصادفة التى أنبأتنى بالرغم منى. أجل سأشرح له ذلك ، ولكنه سينكر ، فقد تعلم الكذب بمعاشرته تلك المخلوقة . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، فأنا أصبحت لا أحسن المناقشة معه ، ولهذا أخشى أن تنتهى المسألة بمشهد عام . وعلى أثر ذلك سيخرج من المنزل جاذبا الباب وراءه بقوة كما هى عادته ، ثم يذهب ليتمشى فى النادى ويتجه بعد ذلك إلى شارع فيزيليه ، ليلتقى بعشيقته . فمن الخير إذاً ، ألا أقول له شيئا وأن أسبقه إلى ذلك المنزل فأقفه أمام الأمر الواقع بين زوجته وعشيقته ، وإذ ذاك لا يستطيع أن ينكر ، وله فى تلك الساعة أن يختار بينى وبينها . ولكن ما أفظع الانتظار فى الطريق وما أشنع تلك المقابلة وإن كانت هى الواجب !

الساعة الثانية بعد الظهر من اليوم نفسه :

— لقد جاء الطبيب ولم يطمئنى على صحة الطفل فحالته سيئة ودرجة حرارته مرتفعة وهو يبكى ويرتعد ، وكلما ألمس أى عضو من أعضائه الصغيرة أجده يتصبب عرقا . ولقد سألت الطبيب قائلة : هل هو فى خطر ؟ قل لى الحقيقة ، إننى أريد أن أعرف .

فهز رأسه وظهرت عليه علائم الشك ثم قال :

— خطر ... يا إلهى ... أنا لا أدرى ... فى هذه اللحظة هو محموم ، وهذا كل شىء ، والحمى يمكن أن تذهب كما جاءت . فسألته قائلة :

— وإذا لم تذهب ؟

— أوه ! إذا لم تذهب ، فإنها ستتطور إلى مرض من أمراض الأطفال مثل الحصبة أو الحبوب القرمزية .

— إنى آمل على الأقل أن لا يكون الجدرى .

الجدرى ! هذا هو الذى يروعنى ، إذ قد قرأت فى الصحف هذا الصباح أن ذلك الوباء قد بدأ يقل ، ولكن لا يزال له ضحايا . فهل الإله الذى سلب من تلك الأمهات المسكينات نعمة سرورهن وهى أطفالهن ، سيعافينى أنا من هذه الكارثة ؟

إن الطبيب لا يعرف ماذا يقول ، ولهذا ينطق بمثل الكلمات التى أنطق بها لأسلى بها نفسى ، وهى : أن الطفل فى صحة حسنة ، وأن مرضه إلى الآن ليس خطرا ، ولكن من المؤسف أن كل ما يقال لى لا يطمئننى .

اليوم لم نكد نتحادث على مائدة الغداء ، ومع ذلك فقد لاحظت على راؤول اتجاها حسنا ينعطف به نحو الاستسماح وكأنه كان يقوم بمجهود ، لأغفر له سوء المزاج الذى ظهر منه فى هذا الصباح أو الخيانة التى ينتويها فى هذا المساء ، وقد سألنى قائلا :

— هل الطفل أحسن حالا ؟

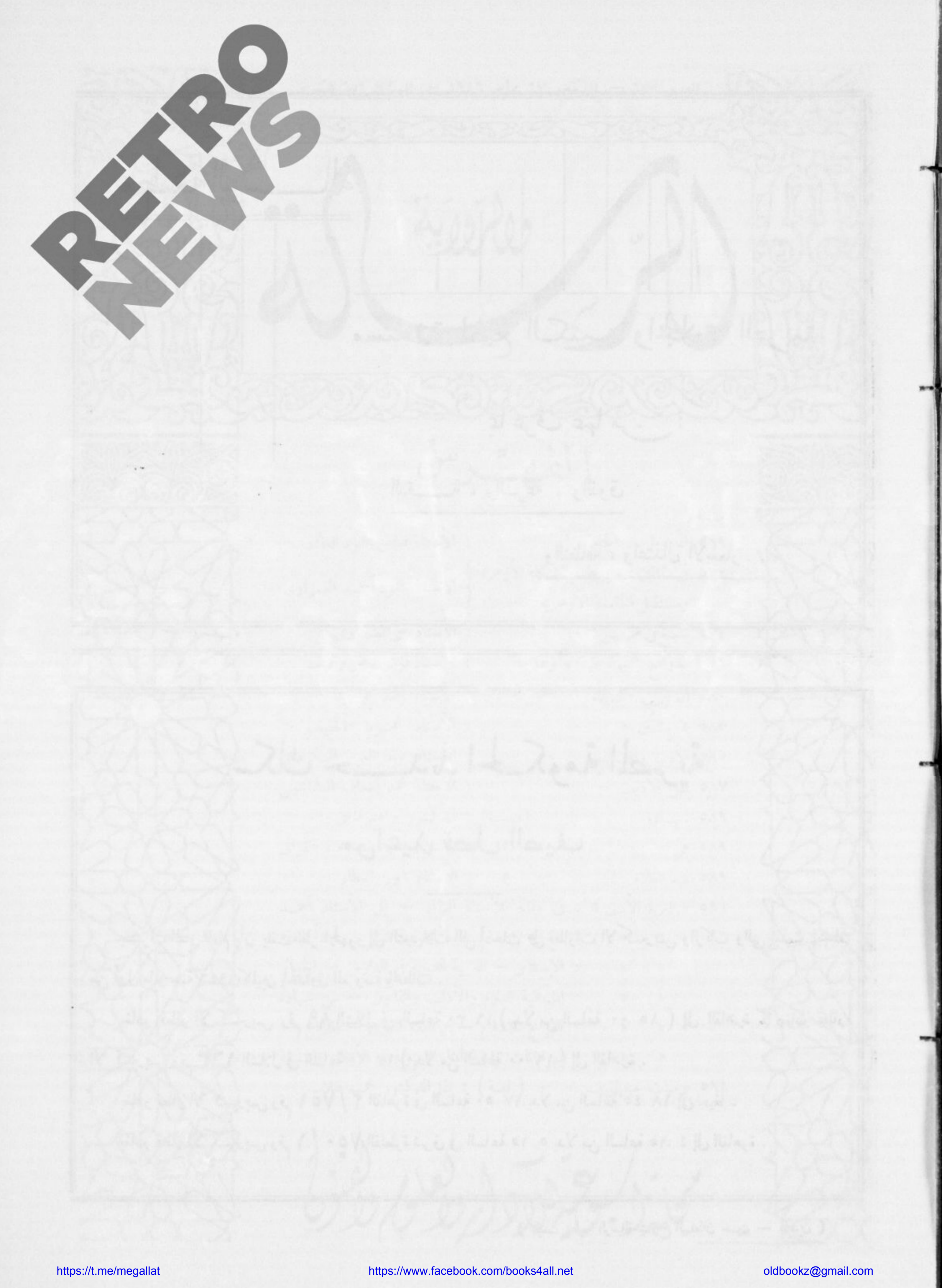
فأجبت قائلة :

— لا ، بل بالعكس ، إن ليلته كانت سيئة ، وإننى لقلقة .

قلت هذا والدموع تطفر من عينى غضبا بقدر ما كانت تطفر حزنا . فلما رأى هذا نهض واقفاً وأراد أن يقبلنى ، وإذ ذاك تذكرت تلك المرأة التى يلمس خديها وشفتيها أيضا ، فابتعدت سريعاً مدفوعة بغريزتى ولم يلمس منى إلا شعرى، فعاد إلى مقعده ولاحظت عليه فى هذه اللحظة أن لونه صار شديد الإمتقاع ، وتملكه الانفعال حتى كسر قاعدة كوبته ، ثم ظللنا ساكتين إلى أن انتهى الغداء . وعلى أثر ذلك ، وفى نفس اللحظة التى أخذ يشعل فيها لفافته صعدت إلى حجرة الطفل .

كن رؤوفا بى يا إلهى وساعدنى وامنحنى الثقة والشجاعة اللتين تمنح المرأة المتدينة إياهما فى وسط ما تبتليها به من أحزان ، فأنا أشعر فى قرارة نفسى أن قوتى لا تكفى لمقاومة هجوم كل هذه القلقات ، وأنا أعلن ضعفى وانهزامى أمام هاتين المحنتين ! يا إلهى اعف عنى ، فأنا لا أعرف إلا شيئا واحد وهو أنى أسألك أن تنجينى منهما كلتيهما ، فليس عندى من الشجاعة ما يجعلنى أحتمل أن يسلب منى راءول وربنيه ، وإننى أفضل أن تصعقنى أنا ، لأنى عديمة النفع فى هذه الدنيا ، ولأن أقدم اليك حياتى عن طيب خاطر خير من أن أقدم أمانة زوجى أو صحة طفلى .

(يتبع) محمد غلاب



(طبعت بمطبعة الرسالة شارع السلطان حسين — عابدين)



العدد ٦٧٣ – الاثنين ٢٧ مايو ١٩٤٦ – السنة الرابعة عشرة



الفهرس

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

وزارة الأوقاف

جلسة الخميس ٦ يونية سنة ١٩٤٦ لبيع العقارات الآتية

نوع العين	المساحة بالمتر	الموقع	الثمن الأساسى	جهات الجلسة
٤ ط فى خربة	١٣٤٢ بالكامل	١٠ و ٢٣ خان أبو طاقية بالجمالية	٦٧١	تفتيش أول بمصر
٦ ط فى دكان	٨ »	٤ حارة الصاغة »	١٤٠	» » »
دكان	١١	٢½ بشارع العشماوى بالموسكى	٣٠٠	» ثان »
دكانان	١٥	٢ألف و٢ب بدرب المقدم »	٩٠٠	» » »
دكان	٧	١ ألف » » »	٣٠٠	» » »
قهوة ودكان	٨٧	٧ شارع الدشطوطى باب الشعرية	٥٨٥	» » »
١٧½ ط بعربخانة	٩٤ »	٣ عطفة التبنى بسكة المناصرة	٢٣٨	» » »
أرض	٤٨	٤ تبع ٢٢ ب شارع القادرية	١٢٠	» ثالث »
»	٣٥	٢٢ ألف » »	٨٠	» » »
»	٩٥	٦ » »	٣٠٠	» » »
»	٨٥	٢٤ » »	٤٠٠	» » »
»	١٥٦	١٨٤ شارع بدر الدين الوفائى	٢٢٣	» » »
دكانان	٦	ناصية شارع الصليبية وحارة العسل	١٠٠	» » »
منزلان	١٥٦	٦و٨ حارة التبان بعابدين	٧٠٠٠	» سادس
منزل ومضيفة	٦٣٤	حوض أم الحصا بالصالحية فاقوس	١٥٩	منطقة فاقوس

14 me Année No. 673

Lundi—27—5—1946

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
ص
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٦٧٣ « القاهرة فى يوم الإثنين ٢٦ جمادى الآخرة سنة ١٣٦٥ — ٢٧ مايو سنة ١٩٤٦ » السنة الرابعة عشرة

الله وما بعد الحرب!

للاستاذ عباس محمود العقاد

سئلت فى أواخر الحرب عن الموضوعات الأدبية التى ستكثر الكتابة فيها بعد عودة السلام، فقلت: إنها هى الموضوعات الروحية والموضوعات الجنسية.

وسبب الإكثار من الكتابة فى كلا الموضوعين واحد وهو الحيرة وقلق النفوس والرغبة فى السلوى والاستقرار.

فالذين فقدوا الأعزاء يحبون أن يشعروا بعالم الأرواح ليشعروا « بوجود » أولئك الأعزاء وأنهم غير مفقودين.

والذين يئسوا من حكمة البشر يحبون أن يركنوا إلى حكمة الله، لأنهم لا يستريحون إلى اليأس من الأرض واليأس من السماء.

والذين غلبتهم الأحزان والآلام يحبون أن يغلبوها بقوة الإيمان، وأن يقابلوا شيئا من الخوف بشىء من الاطمئنان.

قلوب تشعر بالهم والقلق وتحب أن تشعر بالسلوى والاستقرار، ولهذا يكثر البحث عن الأرواح والكتابة فى مباحث الأرواح

ولكن القلق الإنسانى قد يلتمس السكينة من طريق غير هذه الطريق.

فالأجسام المستثارة تطلب الراحة فيما يلهيها وما يلذها، وتهيىء لها الأسباب فى مجال اللهو واللذة أن الحرب تركت مئات الألوف من الفتيات بغير أزواج وبغير عائلين، وأنها تركت ألوف الألوف من الدنانير فى أيدى العاطلين أو أشباه العاطلين، وأنها علمت الناس أن يحفلوا بساعتهم ولا يحفلوا بما بعدها، وأن يستمتعوا بالحياة لأنهم على نذير فى كل لحظة بفقد الحياة.

لهذا يكثر الإقبال على موضوع الجسد كما يكثر الإقبال على موضوع الروح، ولهذا توقعنا أن تنجلى الحرب عن إقبال عظيم على متاع هذه الدنيا وإقبال مثله على متاع السماء.

وانتهت الحرب فرأينا أول الشواهد على شيوع الدعوة الدينية من قبل العالم الاسلامى فى الهند خاصة، وسرنا أن يتيقظ المسلمون فى هذا المجال مع الايقاظ، فإن النوم فى هذا العصر يضيع على صاحبه الحقيقة ويضيع عليه الاحلام.

وجعلنا كلما قلبنا مجلة من المجلات السيارة فى الغرب رأينا فيها دليلا على هذه اليقظة الروحية وهذا الشوق العريق فى النفس البشرية إلى عالم غير عالم الحس والعيان.

ومن أمثلة هذه اليقظة تحفز العالم البروتستانتى فى الولايات المتحدة لاستعادة سلطان الكنيسة على اتباعها وإدخال التعليم الدينى فى جميع المدارس العصرية. فإن رؤساء الكنيسة هناك يستميرون عنوان ويلكى « للعالم الواحد » لينشروا الدعوة إلى « عالم واحد فى ظل العقيدة الدينية » ويودون لو هيأت الحرب ومنازعاتها فرصة للسلام بين الأديان أو فرصة لاتفاق الناس فى عالم الروح.

قال خطيب منهم فى المجمع البروتستانتى بمدينة نيويورك : « إن الدين خليق أن يكون أكبر القوى الموحدة بين الأسرة البشرية . فهى تعرف به قوة إلهية واحدة وقانونا أخلاقيا واحدا وأسرة واحدة من بنى الانسان . ولـكنه على نقيض ذلك كان عاملا من أكبر عوامل التفريق والتمزيق بين كل قبيل ، ومهد الغدر لذلك الايرلندى الساذج الذى أحزنه طول الخصام بين الـكنيسة الكاثوليكية والكنيسة البروتستانتية فقال : ليت الله يجعلنا كلنا ملاحدة ننكر وجود الله أصلا لنعيش معا بعد ذلك كما ينبغى أن يعيش المسيحيون ... فى سلام ! »

وقال هذا الخطيب هارى ايدسون فوسديك — إنه لا يعنى بالوحدة الدينية أن المسيحية مثلا تعلم أتباعها ما يتعلمه البوذيون من ديانتهم أو من البيئة البوذية ، ولـكنه يلاحظ أن الذين سعدوا بعشرة أناس من البوذيين أو المسلمين المهذبين يحسون شيئا من القرابة بين المؤمنين بهذه العقائد الدينية ، ويرجون صادق الرجاء أن تتيح لهم هذه القرابة سبيل التعاون على بلوغ الغاية المشتركة التى ننشدها أجمعين .

وعند الخطيب أن الخلافات الدينية قد نشأ أكثرها من الجدل العقيم ، ويضرب لذلك مثلا رواه عن لويد جورج السياسى البريطانى المشهور بفكاهاته الجدية وفكاهاته الهزلية على السواء . قال إنه كان يسوق سيارته فى بلاد الغال الشمالية ومعه صديق يتحدث إليه فى شؤون الديانة . فقال السياسى الكبير : « إن الـكنيسة التى أتبعها تتمزق الآن بنزاع عنيف على مسألة التعميد ، فطائفة منها تقول إن العماد إنما يحصل باسم الأب ، وطائفة أخرى تنكر هذا وتقول : بل يحصل العماد إلى إسم الأب ولا يحصل بحرف الباء . وإننى لا أكتمك أننى تابع لاحدى هاتين الطائفتين وأننى شديد الغيرة عليها وعلى استعداد لموت من أجلها . ولـكننى نسيت أى الطائفتين هى التى أتبعها ... طائفة « أمى » أو طائفة الباء ! »

وما رواه لويد جورج من باب الفكاهة هو الحاصل جدا وفعلا فى جميع الديانات الكبرى . فإن الشيع التى تتفرق فيها إنما تختلف أحيانا على شىء أيسر من الاختلاف بين حرفى الجر الصغيرين ، ولـكنه اختلاف يكفى كل طائفة من طوائفها لتكفير الطائفة الأخرى وإرسالها مع اللعنة إلى قرارة الجحيم !

وإذا جاز هذا فى عصر الجدل فإنه لغريب جد الغرابة فى عصر المشاهدات والأعمال . فقد كان « البرهان الجدلى » أساس المعرفة كلها سواء فى العلوم أو فى العقائد والأخلاق . فأما وقد أصبح لهذا « البرهان الجدلى » شركاء لا يقبلون منه استبداده المطلق فقد آن لحروف الجر وما شابه حروف الجر أن تقنع بمكانها فى الأجرومية ، أو أن تستغنى بما يسفك حولها من المداد عما كان يسفك حولها من الأرواح .

وقد أشار الخطيب الأمريكى بحل لهذه المعضلة لا يبشر بالخير الكثير ، لأنه يرجع بالخلافات التى من هذا القبيل إلى إباحة التفسير الدينى لمن يشاء من قراء الكتب المقدسة ، فكلما اتفق خمسة أو ستة على تفسير جديد لكلمة من كلمات الانجيل خرجوا من كنيستهم وأنشأوا لهم كنيسة جديدة تنتمى إلى رئيس جديد ، حتى عدت هذه الكنائس المتشعبة بالعشرات وصح فيها قول لويد جورج إنهم يختلفون ثم ينسون سبب الخلاف .

وإذ كان هذا هو الداء فالعلاج الذى يومىء إليه الخطيب أن يناط التفسير بالقادرين عليه ولا يستباح لكل مستبيح من العامة وأشباه العامة ، فينحصر الخلاف إذن فى أضيق الحدود .

ولـكنه علاج غير جديد فى الديانات ، فقد كان « حق التفسير المحصور » علة الانشقاق ومبعث الهجوم على حرية التفسير .

وإنما العلاج الجديد الذى يرجى أن يفيد فيما نعتقد هو توسيع حق التفسير حتى لا يكون فيه حرج على أحد ولا يوجب من فريق أن يعادى الفريق الآخر كلما عارضه فى تفسيره . فتوسيع الأفق هو خير علاج لضيق الحظيرة ، وقلة الصبر على فوارق الكلمات والحروف ، وإقامة الدين على الأسس العامة هو العاصم للدين من تفتيت العقائد فى الزوايا والسراديب . فليشمل الدين جميع المختلفين إذن ماداموا متفقين على الإيمان بقواعد الحق والخير والصلاح ، وليذهب عصر الجدل الكلامى ليخلفه عصر الوحدة الواقعية التى تقوم على اتفاق العقول فى النظر إلى حقائق الوجود .

وقد أحسن الخطيب الأمريكى فى كلامه عن الفصل بين

الدولة والكنيسة لأنه يقول إن الفصل بينهما قاعدة أساسية فى حكومة الأمة الأمريكية ، ولكنه ينتقده إذا فهم القوم من معناه أن تعليم الأديان محرم فى المدارس وأن تعليم الإلحاد فيها مباح ومطلوب .

ففى الوقت الذى تدرس فيه كتب « فرويد » ويتعلم منها الناشىء أن الديانات وهم من أوهام العقل الباطن وحيلة من حيل الغريزة الجنسية ، ينبغى أن يتفتح عقله لسماع كلام غير هذا الكلام عن دعاة الروح وسير القديسين والأنبياء ، وينبغى أن يتوازن تفكيره بين وجهات النظر حتى لا يصبح التحيز إلى جانب الإلحاد آفة عقلية شرا على رأس الناشىء من التعصب الدينى الذميم ، ومن ضيق العقل فى ناحية الإيمان والتسليم .

وهذا كله صحيح لا يختلف فيه المنصفون . فمهما يكن من شأن الدين فهو تراث إنسانى عريق الأصول شديد السلطان على العقول ، فليس فى وسع أحد أن ينساه أو يتناساه فى دور التنشئة والتعليم . وليس من العقل نفسه أن يستخف بقوة كهذه القوة كأنها قد خرجت خروج الأبد من ميدان الحياة الإنسانية فإن الذى يريد أن يخرجها خروج الأبد لم يثبت هو نفسه على قدمين بضع سنين ! ! وقد رأينا المبشرين بالفلسفة المادية فى روسيا الشيوعية يحنون الرؤس أمام هذه القوة ويفسحون لها الطريق مكرهين ، فإذا كانت فى هذه التجربة عبرة « عقلية » أو « علمية » فعبرتها العقلية والعلمية أن قوة الدين حقيقة راسخة لا يستأصلها كل من يريد ، وهو لا يدرى ما يريد .

***

وفى مجلة إمريكية — هى مجلة هاربر المشهورة — بحث آخر عن الموضوعين : موضوع التقاليد الدينية وموضوع الغريزة الجنسية ، يقول فيه الكاتب — جون مكبارتلاند — إن معيشة الشعب الأمريكى فى الأجيال الثلاثة الأخيرة قد تغيرت إلى مدى بعيد ، ولكن العقائد الدينية والقواعد الأخلاقية لم تصاحب هذا التغيير إلى أقصى مداه ولا إلى بعض مداه . فنحن الأمريكيين اليوم نحب النهود والأفخاذ لأننا نشاهدها كلما فتحنا صحيفة أو ذهبنا إلى الصور المتحركة أو نظرنا إلى غلاف رواية ، ولكننا نستعيذ منها فى « البيئات المحترمة » كأنها رجس من عمل الشيطان ، فما مصير هذه « الثنائية » الكاذبة فى المعيشة والأخلاق ؟

مصيرها تدل عليه وثائق الزواج والطلاق . فقد أحصيت نسبة الطلاق فى أربعمائة ألف وخمسين ألف زواج فإذا هى تربى على تسع وتسعين فى المائة ... فهلا تكفى هذه النسبة لإعادة الحجر على الموضوعات الجنسية أو عندك أيها القارىء — كما يسأل الكاتب الأمريكى — علاج جديد ؟

ونقول : بل العلاج الجديد غير بعيد .

فالعلاج الجديد فى عالم الروح ، ولكنه الروح الرشيد الذى لا ينكر الجسد كما أنكره الأقدمون ، وفى هذا الميدان متسع لدعاة الإسلام « الراشدين » الذين يوسمون الآفاق ولا يضيقون الخناق ، لأن الإسلام دين يعرف للجسد حقه ولا يناقض بينها وبين حقوق الروح .

عباس محمود العقاد

---

٣ – فى مقالين :

هل حاسم لمشكلة الأزهر ، ومستقبل الجامعة الأزهرية

للاستاذ محمود أحمد الغمراوى

معذرة أيها الأستاذ الكريم ، وعتبا !

لم أقصد — شهد الله — أن أهمز أو ألمز ، أو أرمى بعبارة ، أو أومىء بإشارة ، إلى ناحية الرسالة ، أو مكان رئيسها العزيز الكريم . وما كنت يوما بذى وجهين ، ولا أنا ممن يتكلمون بلسانين ، وأرجو أن يكون الله يعلم ذلك منى ولم يكن للرسالة عندى ، وليس لصاحبها الجليل فى نفسى ، إلا التقدير والاحترام ؛ وإلا ما عنيت من أنه ابن الأزهر البار ، البارع الفن ، المعتدل الرأى ، الذى يعده الأزهر فيمن يعدهم من مفاخره ، ويعتز بهم جنودا يدفع بهم عن كونه فى مستقبله وحاضره ! ؟

إنما كان من سوء حظى وسوء حظ الأزهر أن جرى قلم الأستاذ الفاضل برأى لم يسبق للأزهر أن سمعه فيما سمع من دعاوى تقام عليه ، وتهم توجه إليه ، وسهام تصوب عليه . وآخر ما كان يجرى على ألسنة أولئك الذين يرون الأزهر قذى فى الأعين وشجى فى الحلاقيم : أن الأزهر تنقصه الثقافة ، وتعوزه اللباقة والحصافة : وأنه لا بد من توحيد تخريج المعلم ، ليصقل خريج الأزهر بصقال العصر الحديث . هذا أشد ما كانت تلوكه ألسنة المتجنين على الأزهر أو ترى به نبال الجانين عليه : سمعناه غير مرة فيما شهدناه من مجالس اجتمعت فيها لجان ألفت لبحث ما كان يسمى بمشكلة تخريج المعلم ؛ على أننا لم نسمع من أحد ممن جلسنا معهم من أعضاء هذه اللجان وتحاورنا معهم : لم نسمع من أحد من هؤلاء ، وهم من كبار رجال المعارف المسئولين ، وعظمائهم المعدودين ، لم نسمع كلمة منهم تومىء إلى مثل ما جاء فى الرسالة من أنه يجب تعديل نظام التعليم فى الأزهر تعديلا يقتطع ست سنين من مدة التعليم فيه لتحقق وحدة الثقافة التى تتوقف عليها وحدة الأمة .

فهل يلام الأزهر إذا جزع لسماع هذه الكلمة وإذا رآها مكتوبة فى إحدى صفحات الرسالة بقلم مديرها الفضال ؟

يا لهول الموقف ! نظام الأزهر القائم يأبى وحدة الثقافة ولا يرضاها ، ووحدة الثقافه تتوقف عليها وحدة الأمة !

أليس معنى ذلك أن نظام الأزهر القائم خطر على وحدة الأمة لأنه يأبى ولا يرتضى الثقافة التى تتوقف عليها وحدة الأمة ؟ وهل هذا إلا إلقاء الأزهر فى فوهة المدفع ؟ ومن ذا يستطيع أن يكون حجر عثرة فى سبيل وحدة الأمة ؟

وهل الأزهر : أرضه ، وسماؤه ، وبناؤه ، ورجاله ، وأبناؤه إلا فداة الوطن والعرش ، وبناة وحدة الأمة : يفدون الوطن والعرش بحياتهم وأرواحهم ، ويشيدون بناء وحدة الأمة بعقولهم وجسومهم ، ودمائهم !

أجل ، إنه كان من سوء حظى ومن سوء حظ الأزهر أن تسطر هذه الكلمة بقلم الأستاذ الزيات ، وأن تقرأها أعين الناس على صفحات الرسالة . فإذا كان فيما كتبت ما رأى الأستاذ فيه تعريضا ، فإن ذلك موجه إلى الرأى وحده ؛ وليس موجها إلى رائيه أو حاكيه ، فإنى لا أرتاب فى حسن نيته ، ثم أعود إلى الموضوع .

٢ — إنشاء جيل قادر على الاجتهاد والتجديد :

إنشاء جيل من العلماء العاملين القادرين على الاجتهاد والكشف عن حكم الدين ويسره ، وسماحة الشريعة فيما تضمنته من الأحكام هو أمنية كل مؤمن ونشدة كل مسلم يود أن تكون الأمة الإسلامية حيثما توجد جماعاتها عزيزة فى أوطانها ، سعيدة فى حياتها ، تستمد القوة والعزة من اعتصامها بالدين ، وتجد طمأنينتها وسعادتها فى ظل شريعته الوارف الظليل ، وتدفع الظمأ بما تستنبطه من ينابيع هذه الشريعة العذبة الموارد الغزيرة الفيضان . ولقد كان الأزهر من أهم المدارس الدينية التى يرجى أن تسعف الأمة بحاجتها من أولئك العلماء البرزين ، وقد أخرج للأمة كثيرا من كبار رجال العلم فى مختلف العصور ممن يشار إليهم بالبنان من الفقهاء وحفاظ الحديث ، وعلماء اللغة ، ورجال القضاء ممن أوفوا بطلبة الأمة إلى هذا المعهد الأخير على قدر زمانهم .

أما الاجتهاد فى الدين فليس من حق الناس فى هذا الزمان

أن يتطلعوا إليه ، أو يتــكلموا فيه وهم لا يعنون بشئون دينهم ، عنايتهم بنظافة أحذيتهم ؛ وقد جعلوا من سفائن البحر مراكب ليقطعوا بها المهامه والفلوات ، وأعدوا من النوق والأبعرة سفنا يشقون بهـا عباب بحر الظلمات . ثم هم لا يريدونه دينا يرق بالإنسانية إلى ذروتها العليا ، ويسمو بآخذيه إلى أعلى منازل العزة والقوة والمجد ، فلا يرضى أن ينزلوا منها فى المنازل الدنيا ! .
ولـكنهم يريدون أن يتخذوا لهم دينا على غرار ما كان يتخذ بعض العرب معبوديهم فى أزمنة الجاهلية ؟

يريدون أن يستخدموا لهم دينا من الحلوى ، إن طاب لهم أكلوه وإذا لم يوافق شهواتهم تركوه !

يريدونه ديناً يحطب فى حبال رغباتهم ؛ ويفسِّر ما شره من شهواتهم ؛ ويطعمهم الخبيث من لذاتهم ، فهم فى غيهم يعمهون ، وما الله بغافل عما يعملون .

* * *

ثم أعود إلى ما كنت فيه من الحديث عن الأزهر الذى قد وضع فى مفترق الطرق . فاذا كانت مهمته وغايته هى — كما قال الأستاذ الزيات بحق — أن يفقه الناس فى الدين وفيما تفرع من أصوله من شتى العلوم ، وأن يعلم اللغة وما اتصل بآدابها من مختلف الفنون — فالأمر بين ؛ والطريق غير مشتبه ؟ فلتترك له نظمه وأقسامه الابتدائية والثانوية تمد الطلاب لدراساته العالية فى الـكليات الأزهرية مع تعديل قليل فى وضع المواد التى تدرس فى هذه الـكليات وليحمل الطلاب على احترام النظام ودراسة المقررات . وبقاء الأقسام الابتدائية والثانوية على نظامها الحالى الذى يعد الطلاب للدراسة فى الـكليات الأزهرية هو الوسيلة الوحيدة التى تمـكن الأزهر من أداء مهمته وتحقيق غايته ، كما أن نظام الدراسة فى المدارس الابتدائية والثانوية يعد طلاب هـذه المدارس للدراسة فى كليات الطب والهندسة والعلوم والزراعة وغيرها كما هو واضح من نظم الدراسة ومناهجها فى هذه المدارس.
ومحاولة جعل النظام الدراسى فى معاهد الأزهر الابتدائية والثانوية على غرار نظام المدارس الابتدائية والثانوية التى لوزارة المعارف سيجعل من الخرافة التاريخية التى تروى للأطفال فى قصة الغراب والقطا قصة واقعية نرجو أن لا تمثل فى الأزهر .

إن الأزهر لا تزال فيه بقية من القدماء ، وصبابة فى الإناء ، هى هذه البقية الصالحة من الغراس النافع الذى امتدت بالإحسان به إلى الدين وإلى الوطن الإسلامى العام يد الملك العظيم المغفور له الملك فؤاد ، طيب الله ثراه ، وخلد بأعماله الصالحة الباقية ذكراه ، وجعل الجنة مأواه .

فهذا الغرس الصالح الذى غرسته يد فؤاد المباركة ، وهذه الصبابة النافعة الباقية من بركات يده وسيبه الجزل جديران بأن ينالا حظهما من عطف شبله العظيم ، ورعاية نجله الملك الهمام جلالة الملك فاروق ، أيد الله عرشه وأدام ملـكه محروسا بعناية الله ، ليؤتى هذا الغراس العزيز أكله ، ويثمر هذا الزرع المبارك بفضل من عطف جلالته ثمره ، فإن المهد بجلالة الفاروق (حفظه الله) الحفاظ بما تركت يد والده من غراس —وكل غراس له صالح ، وتعهده بما يكفل له النماء والبقاء .

وهذا النظام الإصلاحى الباقى فى الأزهر شبحه لم تكلاه عين ساهرة ، بل شغلت الشواغل الخارجة عنه تلك الأيدى الماهرة . ثم انه لم يوضع عفوا ، ولم يحمل لهوا ؛ ولـكنه ألفت له اللجان ، وتصالحت فيه الحجان ، ورفعت له البنود ، وتراهت فيه البرود . فن الحيف عليه ، والتخون لواضعيه أن يوأد وهو وليد ، أو يشوه خلقه وهو غصن جديد .

والأمل معقود بعطف جلالة الملك المعظم فى الإبقاء عليه حتى يشتد هذا الفطيم وينهض قائما على ساقيه ، ويعدو فى ميدان الحياة سباقا على قدميه . وهـذا ما نرتقبه للأزهر بهمة شيخه الجديد حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ مصطفى عبد الرازق وفقه الله وأعانه وحقق على يديه الآمال .

وأختم كلمى كما بدأته بإسداء أكرم التحيات إلى الأستاذ الزيات مدير « الرسالة » ممجداً فيه حرية الرأى ، ورحابة الصدر ، وبراعة الفن ، وبلاغة القلم . والسلام .

محمود أحمد الغمراوى
المفتش بالأزهر
وشيخ معهد دسوق والزقازيق سابقاً

شيخ في مرقص !

للأستاذ على الطنطاوى

— ١ —

كنت أصلى أمس فى مسجد العباس ، فلما قضيت الصلاة وتلفتُ للسلام لمحت (فلانا) فكذبت بصرى وعدت إليه أتثبّته فاذا هو بلحمه ودمه ، وإذا هو يصلى صلاة خاشع لله متبتل أواب ، وكان آخر عهدى به أنه ركب فى طريق النواية رأسه ، وأقدم إقدام الفرس الشّموس ، نخبّ فى الضلال ووضع ، وأغار وأنجد ، ثم انتهى به الخبط إلى الهاوية ، فوقع (على أم رأسه) فى اشتهاء راقصة مشهورة ، وحسب هذا الاشتهاء حباً كالذى قرأ وصفه فى الروايات فصنع مثلما يصنع المحبّون : نسى عقله ودينه ، وجاد بقلبه وماله ، وعرفت منه الفاجرة هذه الحماقة ، فاستنزفت دم (جيبه) وماء قلبه ، ثم لم توصله إلى إرْبه ولم تمتعْه بحبّه ... وكان له ضمير يناديه فأعرض عن نداء ضميره ، وكان له إخوان ينصحونه فسدّ أذنيه عن نصح إخوانه ، فلما يئسوا منه ومن صلاحه انصرفوا عنه وتركوه لنفسه وللراقصة ولإبليس ، ثم للمرض والفقر وجهنم !

... فلما رأيته فى المسجد عجبت وانتظرته حتى فرغ ، فأقبلت فسلمت عليه وسألته ، فقال : إن حديثى عجَب ، وإنى لا أحب أن أتحدث به فى بيت الله فتعال معى إلى بيتى تسمع حديثى ...

* * *

وحدثنى فقال :

إن الفضل علىّ فيما رأيت من توبتى لله ثم للشيخ صلاح الدين أحسن الله إليه ، فلقد هدانى الله به وهدى أقواماً بعد إذ كانوا ضالّين . ولقد عرفت رجالا شجعاناً أولى عزم وإقدام ، وسمعت أخبار العلماء الذين واجهوا الملوك بما يكرهون ، وأحاديث أهل الجراءة والصدْع بالحق ؛ ولا والله ما سمعت ولا عرفت بأجرأ من هذا الشيخ ، ولا أثبت منه جَناناً ...

قلت : إذْ صنع ماذا ؟

قال : إذ وعظ فى المرقص ! أما سمعت الحكاية ؟ لقد استفاض خبرها وتناقلته الصحف ، وكان حديث السَّمّار أياماً طوالاً ... وذلك أنه نظر فرأى طلاب العلم لا يزالون ينقصون ، ورأى الناس ينصرفون عن المساجد فلا يحضرها إلا الكهول والعجّز ، وما يحتاج هؤلاء الوعظ إنما يحتاجه الشباب . وسأل أين الشباب ؟ فأجَلُّوه عن أن يخبروه ، ثم قالوا : إن الشباب فى السينمات والمراقص ونوادى القمار ... قال : وما السينمات والمراقص ؟ لم يكن الشيخ يدرى ما هى ، ولم يكن يعرف من الدنيا إلا مسجده وداره ، ولا يسمع إلا حديث العلم ، وقال المصنف ، وذكر الشارح وعقّب عليه المحشّى ...

قالوا : إن المراقص أبهاء واسعة تمتلئ بالناس وفى صدرها منصات عالية لها سُتُر ترتفع وتنسدل ، يقوم عليها نسوة عاريات إلا من خِرَق لا تكاد تستر من أجسادهن شيئاً ، يقفزن ويلعبن ويحركن أيديهن وأرجلهنّ ...

قال : حسبكم ، حسبكم ! إنا لله وإنا إليه راجعون ! نساء يلعبن أمام أعين الرجال الأجانب ؟! ما ظننت أن مثل هذا يكون فى دار الإسلام ، قوموا بنا إلى المرقص !

قالوا : إلى المرقص يا مولانا ؟!

قال : نعم . نتّقى مثل لعنة داود وعيسى بن مريم ، ونغيّر هذا المنكر بألسنتنا إذ قد قعدت بالحكام رقّة دينهم عن أن يغيّروه بأيديهم .

قالوا : يامولانا ، إنهم يسخرون منا ويؤذوننا ، ولا يصغون لقالنا .

قال : ما نحن بأفضل من الأنبياء ، وما نفوسنا بأكرم علينا من نفوسهم . ولقد سُخر منهم وأوذوا فى سبيل الله فما ضعفوا ولا استكانوا ، وإنما علينا البلاغ والهدى هدى الله .

قالوا : إن المدارس قد ابتدعوا فيها هذه الأيام بدعة جديدة من أخزى البدع وأرضاها لإبليس ، وهى أن تبرز البنات سافرات حاسرات فيلعبن أمام الرجال ، فلنبدأ بالمدارس قبل المراقص فانهم سيقتلون فيها الأخلاق ، باسم الرياضة والصحة والفنّ !

قال الشيخ : بل نبدأ بالمراقص إن شاء الله .

فلما رأوا منه الجدّ والاصرار ، قالوا : أمهلنا يا مولانا حتى نعدّ لك مكاناً فيه تحفظ منه الناس .

وذهبوا إلى (مرقص أبى نواس) فسألوا صاحبه أن يؤجرهم المسرح ربع ساعة ما بين الفصلين ، ليجئ الشيخ فيعظ فيه الناس . فنظر الرجل فيهم لعلَّه يبصر تحت معاطفهم المسروقة ثياب المستشفى التى فرّوا بهـا من (القصير[1]) وابتعد عنهم خشية أن تعاود أحدهم جنَّته فيثب على عنقه فيخنقه أو يشج رأسه بحديدة يخفيها فى كمّه ، ودعا أعواناً له لينقذوه من هؤلاء المجانين الذين يريدون أن يجيئوا بشيخهم ليعظ الناس على مسرح التياترو ... ولكن القوم قطعوا عليه ما هو فيه وجرّوه من رسَنه[2] فانقاد ذليلا طيّعاً ، حتى عرضوا عليه فى هـــذا الـ (الربع من الساعة) نصف ما يكسبه فى الليلة كلها ، وقبل منهم وشيَّعهم إلى الباب ، ولكنه لم ينس أن يقبض المبلغ منهم قبل أن يغلقه دونهم .

وفرح الرجل بهذا الإعلان الجديد عن مرقصه ، وأمّل أن يغلب به (مرقص مطيع بن أياس) الذى يقوم إلى جنبه يزاحمه ويقاسمه قصّاده ، وانتظر أن (يمثل) الشيخ (مهزلة) تكون (رواية الموسم) ، وذهب فطبع (إعلانات) ضخمة عن (المفاجأة المدهشة) التى ستروع الناس ، وجاء الناس يرون هذه المفاجأة وما يقع فى وهم أبعدهم خيالاً ، إلا إنها راقصة جديدة ، أو إنها رقصة مبتكرة ، وماذا يكون فى المرقص إلا الرقص ؟ !

وكنت تلك الليلة هناك ، ورقصت (فلانة) رقصة عبقرية مُبتَدَعةً عرضت فيها من فنونها وفتونها عجباً ما رأى الراؤون مثله ، وجَنَّنَتْ الحاضرين حتى مايدرون من الفتنة مايصنعون ، وحتى دَميت الأكفّ من التصفيح والتصفيق ، وبحّت الحناجر من الهتاف والصراخ ، وأرخى الستار على الراقصة وهى أحبّ إلى كل واحد منهم من زوجه وولده ، وما واحد منهم إلا ويبذل فى ساعة منها ماله وشرفه ودينه ، وجعلوا ينادون باسمها ، يريدون أن يمتعوا أبصارهم برؤيتها كرّة أخرى ، فلما تمادى غيابها أقبلوا يرددون اسمها فى إلحاح واتصال ، ويقرعون الأرض بأقدامهم فعل الصبيان ، ورواد الملاهى . لهم عقول كعقول الصبيان ،

فارتفع الستار ونظروا ...

نظروا فاذا هم يرون مكان ذلك الجسم الحبيب المشتهى ، وذلك العُرْى المغرى الفتان ، شيخاً جالساً بعمامته ولحيته وجبته ، شيخاً حقيقياً لا تمثالا مكسواً ثياب المشايخ ، ولا شيخاً مزوراً من شيوخ (التمثيل) !

وبدأ الشيخ درسه بحمد الله والصلاة على رسول الله ؛ وربطت الدهشة ألسنة الحاضرين لحظة ، فكانت سكتة شاملة ، ثم صحوا فجأة ، فكان الانفجار ...

* * *

إن كل محاولة لوصف هذا الانفجار إنما هى إفساد وتشويه لصورته فى نفس السامع ، وإنك تعرف هؤلاء الناس وإن فيهم كل ماجن خبيث ، وجبارفاجر ، وفيهم السكران وفيهم الحشاش ، وقد جاءهم هذا الشيخ فى الساعة التى اكتملت فيها نشوتهم ، وطَمَتْ (براح الراقصة) سكرتهم ، ليتلو عليهم حديث التقى والصلاح من فوق منصة المرقص ، وليقول لهم دعوا هذه المرأة فانها رجس ، وغضوا عنها أبصاركم فانها عورة ، وانصرفوا عن هذه البقعة فانها دار دنس وإثم ، وقد طلع عليهم وهم يرتقبون طلعة الغادة العارية المِغْناج ... فتصور ما ذا يكون منهم !

لقد صفَّروا له وسخروا ، ورموه بكل قبيح فى القول ، وسألوه أن يتجرد فيرقص لهم ويريهم غُنجه ، وعرضوا عليه كؤوس الخمر مترعة ، وهو ماضٍ فى كلامه كأنما هؤلاء ذباب يحوم حوله من بعيد ، بل إن الرجل ليحفل بالذباب وهو لم يحفلهم ولم يبال بهم . وتعب الشّاغبون وملّ الساخرون ، وكان فى القوم من يعرف الشيخ ، فصاحوا بهم أن اسكتوا ويلكم نسمع ما يقول ، وكانت سكتة أخرى ، وهى كل ما كان يتمنى الشيخ فتمكن فيها من آذانهم ونفذ إلى قلوبهم ، فأصغوا ثم اطمأنوا ، ثم خشعوا ، ثم انقادوا إليه وتعلقوا به ، وحلّ من قلوبهم محل (تلك) ، ولكن حبَّهم إياها كان حباً سفلياً ، وهذا حبّ طاهر مقدس ... فلما انتهى كلامه ، وقام ليخرج ، قاموا معه وخرجوا وراءه ، وتركوا المرقص لصاحبه وللشيطان ... ولازمته أنا من ذلك اليوم كما لازمه كثير ممن كان هناك ...

قلت : ألم تحفظ شيئاً من كلامه ؟

---

(١) القصير ظاهر بليدة دوما على بعد « ١٤ » كيلو من دمشق وفيه مستشفى الأمراض العقلية .

(٢) الرسن : الزمام من عالى الفام الفصيح .

قال : هيهات ! إنه تكلم بكلام علوى ، كنا نحسّ به ينصب فى القلوب انصباباً فتستشرفه وتتسامى إليه ، وما زال يقول وهى ترتفع حتى خلصت من هذه الحمأة الدنسة التى كانت غارقة فيها ، إلى الفضاء الأرحب وإلى الجوّ الطهور . إنه لم يتكلم كما أتكلم أنا وأنت ، ولا كما كان (هو) يتكلم ، فقد سمعته قبل ذلك اليوم ، فما سمعت منه مثل هذا ، وإنى لأظنّ أن مَلَكاً نطق بلسانه فمن هنالك خرج الكلام نورانياً سماوياً .

قلت : مثل ماذا ؟

قال : أنا رجل عامى ، فاذا أعدته عليك لم آت به من ذهنى الكليل إلا أرضياً منطفئاً ، كالشهاب المنير إذا روته الأرض لم يكن على لسانها إلا صخرة باردة جامدة ... أفتحب أن أردّ عليك ماحفظت منه من ذهنى أنا لامن ذهنه ، وبلسانى لابلسانه ؟

قلت : نعم .

قال : إن مما حفظت منه قوله ...

(البقية تأتى) **على الطنطاوى**

الإنسان ، هذا المجهول ..

الدوافع البيولوجية وأثرها (*)

للأستاذ فؤاد عوض واصف

كانت ظاهرة التقليد التى قال بها العلامة تارد فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، هى التفسير الوحيد عند علماء الاجتماع للحياة الاجتماعية ؛ فظهور فرد قوى أو قائد شجاع أو مشروع كبير فى مجتمع ما يمكن من خلق عرف جديد ينتشر بين الناس انتشار النار فى الهشيم . ذلك لأن الناس على دين ملوكهم وحكامهم وقادتهم ، يقلدون تقليداً أعشى كل ما يبتدعه رعاتهم [1] ، ولقد ملك تارد بتفسيره هذا عقول العلماء ردحاً كبيراً من الزمن إلى أن ظهر العلامة الأمريكى الأشهر ما كدوجل ، فطلع علينا بتفسير جديد هو على خلاف فيه مع نظرية تارد ، وقد عرفت نظرية تارد بنظرية الدوافع . ولئن كانت معرفتنا بالدوافع قديمة قدم أرسطو ، فإن الاهتمام بها لم يبلغ الحد العظيم الذى بلغته بعد أبحاث ما كدوجل . لقد كشف لنا ما كدوجل فى أبحاثه عن أثر الدوافع البيولوجية فى الإنسان وأسرارها العظيمة ونتائجها العديدة ، حتى لقد رد الحياة الاجتماعية كلها إلى هذه الدوافع البيولوجية الكامنة فى الإنسان ، ومن هنا كان أن عرف بأبى علم النفس الاجتماعى .

وقد كان من أثر أبحاث ما كدوجل فى الدوافع أن ظهرت فى معامل علم النفس مقاييس لقياس الحوافز والدوافع بطريقة دقيقة كل الدقة حتى لقد مكنتنا من معرفة درجات القوة والضعف فى الدوافع العضوية الداخلية معرفة يسرت لنا تفسير أنواع الانحرافات النفسية والجنسية والاجتماعية أيضاً ؛ فالسلوك الإنسانى يرد فى النهاية إلى الدوافع الداخلية ، كما هو الحال مثلا فى سن البلوغ ، إذ يشاهد أن تولد الميل الجنسى ناتج عن دافع عضوى ، وهذا الميل الجنسى يقترن بتغيرات فى الهيئة والسلوك ، فيميل البالغ إلى الحياة الخيالية كما هو معروف فى الحب الصبيانى .

ويمكن تعريف الدافع العضوى بقولنا « هو كل حافز يدفع إلى فعل يتحول بالتحليل إلى حالة تنبيه ، تثير الفرد وتدفعه إلى سلوك ما عن طريق مجموعات خاصة من العقد العصبية !!

ومن أهم الدوافع الداخلية ، إفرازات الغدد الصماء التى تثير النزعات والميول والرغبات ، وتحمل الشخص أن يقوم بحركة وأن يسعى نحو تحقيق الميل وإشباعه بطريقة أشبه بأن تكون آلية جبرية .

ولكل دافع من الدوافع العضوية الداخلية استجابات خاصة به تختلف من دافع إلى آخر ، فدافع الجوع والعطش استجابات تختلف عن استجابات الدافع الجنسى مثلا .

والدافع الجنسى من أمثلة الدوافع الكيميائية التى تتمثل فى إفرازات غدد خاصة موجودة فى الإنسان . وكل أنواع الاستجابات والسلوك الجنسى هو نتيجة ترد فى النهاية إفراز الغدد التناسلية . فقد أثبتت التجارب العديدة أن عملية استئصال الافراز الجنسى من الخصيتين Testes أو المبيض Ovaries يقضى على الميل الجنسى ، فى حين أن تجديد هذا الإفراز يعيد الميل الجنسى إلى حالته الطبيعية ؛ فكأن الاختلاف بين الذكر والأنثى فى

(*) شرح نظرية التقليد فى بحثنا فى الرسالة عدد ٦٢٣

السلوك الجنسى يرد إلى اختلاف الغدد فحسب ؛ والرجل والمرأة لا يختلفان فى تكوينهما ، وما السمات المميزة لكل منهما إلا أثر بل استجابة لإفراز معين تفرزه غدة تناسلية تختلف فى الذكر عنها فى الأنثى . وإنه لمن السهل علينا الآن أن نجعل من الدجاجة ديكا ، ومن الديك دجاجة تقريباً ، وذلك بعملية استئصال غددى فتتحول الدجاجة إلى ديك وتفقد كل سماتها الأولى وتصبح ذات عرف يأخذ فى النمو ، وينقلب سلوكها ولا يمكن تمييزها فى النهاية من ديك آخر . وكذلك الحال إذا أردنا أن نجعل من الديك دجاجة فما علينا إلا استئصال الخصيتين فيفقد الديك عرفه ويتسم بكل سمات الدجاجة وسلوكها .

ولا يقتصر تأثير الدافع العضوى على الهيئة والتكوين الفسيولوجى فقط ، بل أيضاً فى اتجاه السلوك والأخلاق ؛ ويمكن أن نوضح هذا جيداً بحالة بعض الأفراد الذين يتأخرون فى بلوغهم Prematureg ، نجد الواحد منهم فى سن العشرين مثلا وكل مظاهر الرجولة معدومة فيه لا فى المظاهر الفسيولوجية فحسب ، بل أيضاً فى السمات الخلقية ، ففيه نجد حياء الأنثى وخوفها ومرونتها وما إلى ذلك . فإذا عولج هذا الشخص المتأخر فى بلوغه بواسطة خلاصة الخصيتين Drcbic supstances لا يلبث بعد مدة يطول زمنها أو يقصر ، حسب حدة الحالة ، أو يصبح وقد ظهرت عليه سمات مختلفة عن ذى قبل ، فيرتفع صوته ويتضاعف نشاطه ويزول الخجل منه والخوف وما إلى ذلك من مظاهر الأنوثة الأخلاقية ، ويتولد فيه الميل الجنسى . ومن هنا يظهر لنا ، أن سمات الرجولة والأنوثة سواء كان ذلك من الناحية الفسيولوجية أو الخلقية إنما يرد فى النهاية إلى الدافع الكيميائى وهو إفراز الغدد التناسلية .

والآن إذا أردنا أن نحصى الدوافع فى الإنسان بسائر أنواعها فإننا سنجدها من الكثرة بحيث يصعب معها العد والحد ؛ فإن دافعاً كدافع الجوع العضوى قد يبدو بسيطا مع أنه مركب من عدة دوافع : فالحاجة إلى الأكل ، تتضمن الحاجة إلى مواح ونشويات ودهنيات الخ ، ودافع العطش ليس هو الحاجة إلى الماء فحسب ؛ لأننا إذا أعطينا عاملا مجهدا فى يوم قائظ ماء ساخنا ليرتوى ، فإنه بذلك لن يرضى دافع العطش ، لأن الحاجة هنا تتضمن غير الماء ، درجة خاصة من الحرارة وغيرها . ومن هذا يبدو أن دافعاً واحداً كدافع الجوع أو العطش يتضمن فى ذاته عدة دوافع . من أجل ذلك فإن إحصاء عاماً للدوافع كما أراده ديكارت وهوبز يعد ضربا من المستحيل ، إذ أن الحاجات تتعدد ، وبالتالى تتعدد الدوافع المولدة لهذه الحاجات . وعمل الدوافع فى الإنسان يقترن بتغيرات كيميائية وعضوية فى جميع أنحاء الجسم حتى فى البشرة . ويظهر ذلك بوضوح فى حالة الحب مثلا الذى هو إرضاء للدافع الجنسى . وتعمل الدوافع على أن تلائم بين الإنسان والطبيعة ، فقد يبدو أن لون البشرة السوداء عند زنوج المناطق الاستوائية ناتج فى الأصل عن تأثير حرارة الشمس المحرقة ، مع أنها نتيجة لأفعال منعكسة قامت بها خلايا البشرة لإرضاء دافع الحاجة إلى درجة حرارة مناسبة للجسم ؛ فليست الحرارة هى التى تحرق البشرة ، لكونها حرارة ، بل هى تقوم فقط مقام الباعث لاستجابات ناتجة عن دوافع وحاجات ، أعنى فى هذه الحالة أن هنالك دافعا فى الإنسان قد اقتضى تغيرات فسيولوجية حتى يتم التوافق بين الإنسان فى نزوعه إلى الحياة وبين الطبيعة الخارجة عنه .

ونريد هنا أن نلفت النظر إلى أنه فى كثير من الأحوال يكون المنبه الخارجى هو المحرك للدافع إذا كان فى حالة كمون . فإذا كنت فى وقت ما جائعاً وكان دافع الجوع فى كمون لانشغالى بأفكار وخواطر ، فإن الساعات تمر بدون أن يتعدى الدافع العضوى حدود الشعور ؛ فإذا فرضت أن رائحة شهية لطعام قد وصلتنى وشغلت شعورى برهة من الزمن ، كان هذا المنبه كافياً لتحويل الحاجة إلى الطعام من حالة الكمون إلى حالة النشاط أى إلى رغبة ، وكذلك الحال فيما يختص بالدوافع الأخرى .

وقد سبق أن ذكرنا أن إحصاء عاماً للدوافع ضرب من المستحيل ولكن يمكن أن نقسم الدوافع إلى أنواع أربعة :

١ — دوافع عضوية : كدافع الجوع والعطش الخ ...

٢ — دوافع كيميائية : كالدافع الجنسى ودافع التعب . هو عبارة عن بعض السموم تكونت فى دم الإنسان فأوجدت فيه حالة التعب . والذى يثبت لنا أن التعب ومظاهره ليس نتيجة مباشرة لمجهودات عضلية التجربة التى قام بها عالم نفسانى كبير . وتتلخص فى أنه حقن كلبا لم يقم بأية عملية إجهادية بدم كلب

ظل طوال اليوم يرافق سيده فى الصيد ، فكانت النتيجة أن ظهرت فى الكلب السليم كل مظاهر التعب والإنهاك الموجودة فى الكلب المتعب . فكأن التعب ومظاهره نتيجة لعامل كيميائى موجود فى الدم وهو سموم أشبه ما تكون بالسموم المعروفة ، ومن هذا يبدو أن التعب ومظاهره استجابة لدافع كيميائى موجود فى الدم .

٣ — دوافع نشاط « Activity Drives » وتكون ذات استجابات مناسبة تتلاءم مع ما يحيط بالإنسان من ظروف .

٤ — دوافع الجمال : مثل أن تظهر فى استجابة الطفل الصغير لما يحيطه من ألوان وموسيقى ذات مقاطع ، تجذبه إلى أن يسلك سلوكا معينا ، هو استجابة ساذجة لما يحيط به من جمال . كذلك الحال فى البالغين لقد ركب فينا دافع للجمال ، لعله الروح تنزع إلى الجمال وتستجيب له كما ينزع الأليف إلى أليفه ويستجيب له . وفى السجون الحديثة يعالج المجرم بسماع الموسيقى وبإحاطته بألوان من الجمال تستجيب لها نفسه فيبعث بعثا ويعود إنسانا .

لقد ذكرنا من الدوافع ما هو عضوى وكيميائى ونشاطى وجمالى ؛ بقى نوع خامس من الدوافع يستجيب للمؤثرات الفجائية العنيفة كالخوف والغضب والبغض والعار . وتسمى هذه المجموعة من الدوافع بالإنفعال Motion .

والدراسات العلمية الكثيرة فى مجال علم النفس المقارن ، حققت لنا وجود ظاهرة الإنفعال عند الكثير من الحيوانات ، مع ملاحظة خاصة ، وهى أن الإنسان كثيراً ما يخضع انفعالاته ويوجهها توجيهاً خاصاً ، فى حين أن الحيوان ينفعل فلا يكاد يملك أسباب التوجيه أو اخفاء انفعالاته .

وقد قامت مشكلة كبيرة فى علم النفس خاصة بالإنفعال وتتلخص فى هذا السؤال : هل انفعل أولا ثم اضطرب أم اضطرب أولا ثم انفعل ؟ والرأى الصحيح عند وليم جيمس هو أن الإنسان يضطرب أولا ثم ينفعل ، أعنى أن الإنفعال فى ذاته هو نتيجة لاضطرابات عضوية وكيميائية فى جسم الإنسان . فى حالة الخوف مثلا ، تحدث فى داخل الجسم افرازات عضوية معينة ، تكون نتيجتها ظهور سمات الخوف على الإنسان . وبكلمة مختصرة ، الإنفعال فى أساسه فسيولوجى قبل أن يكون نفسانيا .

وهنالك ثلاثة أنواع من الانفعالات الأولية فى الإنسان وهى الخوف والغضب والحب . والظواهر المختلفة التى تبدو على الإنسان نتيجة لهذه الانفعالات نتيجة لإفرازات معينة فى الغدد الصماء بتأثير الجهاز العصبى .

أما انفعال الخوف فينتج شعوراً رديئا ؛ فبالإضافة إلى ما يثيره من الاضطراب فى بعض أجهزة الجسم كما يكون الحال فى سرعة دقات القلب والتنفس السريع ، بالإضافة إلى ذلك يكون للخوف طابع خاص يظهر فى امتقاع الوجه واضطراب المفاصل والأطراف وقفوف شعر الرأس ... الخ ... وللغضب مظاهره الخاصة كذلك وهى فى جملتها أقل عنفاً من مظاهر الخوف ، وفى حين تكون نتيجة الخوف تقهقرا تكون نتيجة الغضب تقدما واندفاعا . أما الحب فهو أحد الانفعالات الأولية التى تحدث شعوراً طيبا محببا . والذين جعلوا للحب مركزاً خاصا فى القلب لم يبتعدوا كثيرا عن الحقيقة . فانفعال الحب فى الواقع يتركز أثره فى جهة ما فوق القلب نتيجة لتأثر الدورة الدموية بباعث الحب وما يثيره فى الدورة من نشاط . وللحب طابعه الخاص ، يظهر فى ابتسامة الفم وإشراق الوجه ، ولعل أروع صورة ساذجة لطابع الحب الجميل ، تظهر فى محيا الطفل الصغير وهو يرنو إلى أمه .

* * *

هذه المعرفة الخاصة بالدوافع ، قادتنا إليها دراستنا للحيوانات العليا وللطفل وللانسان البدائى .

وإن دراستنا للانسان البدائى الساذج ، تجعلنا نقف أمام صورة كأن يمضى أغلب وقته فى الأكل والشرب مبتعدا عن الأصوات المزعجة والحرارة اللافحة ، يجرى ويقفز، يصيح وينصت ويتأمل ويشاهد أنه مدفوع إلى النشاط بما يبثه الكون المحيط به ؛ قد يجد لذة فى أن يداعب كلبه أوفى أن يقفز على شجرة ، كل هذه الاستجابات تتولد من الكون الفسيح وما يبثه من مؤثرات ومنبهات . وإنه لمن الانصاف أن نقرر ما ذكره ثورنديك من أن قائمة الدوافع التى قال بها ديكارت وهوبز لا تصور الحقيقة ، فإن الدوافع فى الانسان والحيوان من الكثرة بحيث يختلط بعضها ببعض ، وإن حيل الحيوان وحتى

أبسطها فى السعى لرزقه ، تجعلنا نقرر بأن احصاء عاما للدوافع ضرب من المستحيل .

***

هذه هى الدوافع ، وهذا موضوعها . والانسان فى سعيه إلى رزقه وفى سعيه إلى الحياة ، إنما يستجيب إلى الدوافع التى ركبت فيه تركيبا . ولو شئنا التطرف لقلنا مع ميرفى Murphy ونيوكمب Neucomb ، إن الانسان ليس شيئا آخر غير الدوافع التى ركبت فيه وجاءته عن طريق الوراثة ، ومن هنا يكون الانسان فى هيئته وجنسه وسلوكه الأخلاقى ، مدفوعاً بدوافع داخلية لا قبل له بردها . فالحب تبعاً لهذا ليس إلا استجابة لإفراز الغدد الصماء ، والاجرام فى بعض الأفراد ليس إلا استجابة طبيعية لتكوين الجرم الجسمانى الذى أتاه عن طريق الوراثة . إن الدوافع الداخلية فى الانسان هى التفسير الوحيد لحياته الجسمية والأخلاقية . ومن هنا لا يكون الانسان مخيرا بل مسيرا ولا يكون للتربية مجال كبير أو صغير فى توجيهه وتهذيبه .

وهكذا يذهب ميرفى ونيوكمب ومعهما جمهرة من العلماء ، ويقولون بنوع من القدرية Fatalism فى تقرير الكائن الحى ، إن كان سيولد إنساناً أم فأراً أم عصفوراً ، إن كان سيولد بمنقار أو بشفتين ، بأربع أرجل أم برجلين . فاختلاف الكائنات الحية عندهم نتيجة لاختلاف الدوافع التى وهبت للكائن الحى قضاء وقدراً . وكذلك الحال عندهم فى اختلاف الأفراد بعضهم عن بعض ، فليس هذا إلا نتيجة لاختلاف الدوافع فحسب . ولئن زعم الناس بمرونة الإنسان وقبوله للتشكل والإصلاح ، فلينظروا إلى هذا الاختلاف البين بين الأفراد بعضهم وبعض فى نموذج كل مجتمع . أجل إن هذا الاختلاف لمثير ، ومجموعة من الكلاب الصغيرة يمكن أن ترمز إليه كما ترمز إليه مجموعة من الأطفال فى معهد خاص .

ليست هنالك إذن مرونة فى الإنسان أو قابلية للتشكل فى نظر تلك الفئة من العلماء ، فالإنسان يستجيب للمؤثرات المحيطة به كما يستجيب لها الحيوان .

وكذلك يذهب أيضاً العلامة لمبروزو Lombrozo أستاذ القانون الجنائى فى جامعة روما ؛ فهو يرى أن الجريمة فرع من القضاء والقدر لا دخل لحرية الإنسان فيه ؛ فالمجرم يولد مجرماً بالطبيعة Ciminel par naturc وإنه لمن التعسف أن يعاقب المجرم عن شىء لايملك فيه اختياراً أو مشيئة . وليس فى الإمكان إصلاح مجرم ولد هكذا ولا تجدى فيه التربية أو التوجيه الحسن .

وقد خصص لمبروزو لشرح نظريته كتابين شهيرين هما : كتاب الرجل المجرم L' homme criminel ، والمرأة المجرمة La fcmme criminel ، فاللص عند لمبروزو ذو تكوين خاص فى هيئته وكذلك سائر المجرمين ، وما الجريمة إلا استجابة لتكوينهم العضوى الناقص الذى جاءهم عن طريق الوراثة . وكثير من اتجاهات علم النفس الجنائى إلى يومنا هذا تستلهم موضوعاتها من بحوث لمبروزو .

ولكن البحوث التى قام بها علماء الأحياء منذ ربع قرن فى موضوع الوراثة وكذلك علماء السلوك الإنسانى ، وخاصة فى دراساتهم لأنواع الشذوذ والانحرافات ، أدت إلى الإقلال من حتمية الوراثة ، وأثبتت مرونة الإنسان وقابليته للتشكل والاصلاح ، فسلوك الإنسان قابل للتغير والتحسن ، ويتوقف نجاح التربية إلى حد كبير على إحكام طرقها وإتقان أساليبها .

ليس الإنسان إذن أسير وراثة أو تكوين عضوى خاص كما كان شائعاً من قبل ، بل إنه يملك إلى حد كبير أسباب التغير والإصلاح . لا يوجد هنالك ما يسمى طبيعة مجرمة فى النفس الإنسانية ؛ بل على العكس من ذلك ، إن طبيعة النفس الانسانية كما يقول كانت خير وكل الخير ، وإنما هنالك نفوس مريضة تدافع عن توازنها الاجتماعى، فتضل فى المعترك عن الطريق السوى .

إن للدوافع فى الإنسان كما سبق وذكرنا شأنا كبيرا ، ولكنها فى الإنسان غيرها فى الحيوان . لا ، بل إن الحيوان نفسه قابل للترويض وللائتلاف ، فكم يكون الحال فى الإنسان وفيه من نور الله قبس ! أوليس فيما وصل إليه علم التربية والنفس أكبر الدليل على مرونة الإنسان وعلى كونه يختلف اختلافا بينا عن سائر الكائنات بما وهبه الله من عقل يفكر ويتذكر ؟ إذا فللدوافع فى الإنسان شأن كبير ولكنه أقل من أن يجعل الإنسان مسيرا لا مخيرا .

فؤاد عوض واصف
ليسانسيه فى العلوم الفلسفية

الشرق كما يراه الغرب :

الصيـــين الجديدة

للاستاذ أحمد أبو زيد

إن أول ما يتبادر إلى ذهن الإنسان حين يذكر اسم الصين هو ذلك الجمود الذى ران عليها طويلا دون بقية أمم العالم ، حتى صارت بذلك رمزا على التأخر والتخلف والمحافظة على القديم وعلى كل ما هو ثابت راسخ لا يكاد يتحرك ولا يتغير ولا يتطور . ولقد كان للصين فى يوم ما حضارة تعتبر من أقدم وأرقى الحضارات التى عرفها الإنسان ، ولكن الصين اليوم تأتى فى ذيل الأمم المتحضرة المتمدينة .

ومع أن الناس جميعا يعرفون عن الصين ذلك ، إلا أنهم لا يكادون يعرفون عنها شيئا صحيحا عدا ذلك ؛ وقد ساعد على هذا الجهل بالصين وبحياتها وبعادات أهلها بعدها النائى وشبه العزلة التى تعيش فيها ، وبعد الشيء قد يكون سببا كافيا للجهل به . ولكن الصين مع ذلك كتب عنها الشيء الكثير ، ولكن كثيرا مما كتب بعيد كل البعد عن الحقيقة ...

إن معظم الذين يكتبون عن الشرق من الأوربيين قليلا ما يتوخون الحقيقة والواقع ، وكثيرا ما يصدرون فيما يكتبون عن بعض أهواء وشهوات فى نفوسهم يريدون إرضاءها ويظهرون الشرق على غير ما هو عليه ، بل وحتى إذا كانوا منزهين عن تلك الأهواء والشهوات فقليلا ما تكون كتاباتهم صادرة عن الفهم العميق الصحيح لما يرون أمامهم ؛ لذلك قلما نجد كتابا يتناول مسائل الشرق وحياته بدقة وصدق وفهم على الرغم من كثرة ما كتب عن الشرق وحياته .

ومن تلك الكتب الدقيقة القليلة كتاب عن الصين ظهر تحت عنوان : « الصينيون The Chinese » ، وكتبته سيدة تدعى وينفريد جالبريث winifred Galbraith أمضت فترة طويلة من حياتها بالصين ؛ فقد نزحت إلى هناك من إنجلترا بعيد الحرب الكبرى الماضية واشتغلت بالتعليم فى مدارس الصين ، ولا تزال تعيش هناك حتى الآن ، أو على الأقل حين أصدرت كتابها فى عام ١٩٤٢ . ولا شك أن طول الفترة التى أمضتها فى الصين، وطبيعة العمل الذى زاولته هناك، قد أتاحا لها فرصا طيبة للوقوف على خصائص الحياة الصينية وأسرارها قلما تتاح للكثيرين . وعلى ذلك نستطيع أن نقول مطمئنين آمنين إن ذلك الكتاب صدر عن فهم عميق للصين وطبيعتها وشئونها المختلفة ، كما نستطيع — من قراءته — أن نلمس بوضوح النزاهة والدقة والتجرد عن الغرض التى لازمت المؤلفة فى كتابته ...

والكتاب على لطافة حجمه يتناول كثيرا من المسائل ، فيعرض لتاريخ الحضارة الصينية كما يتناول آداب الصين وفنونها وقيم الحياة اليومية فيها ونظم الحكم بها وغير ذلك من المسائل . ولم تنس المؤلفة زيادة على ذلك أن تبين لنا ما يختلج فى صدور أهل الصين من آمال وأمان فى المستقبل وما يرجون لبلادهم من حياة جديدة زاهرة تغاير ماضيهم وحاضرهم ، وإن لم تقطع الصلة بهما تماما .

ولا تشك المؤلفة فى أن الصين الجامدة الخامدة أخذت تفيق من سباتها العميق الطويل من أوائل هذا القرن ، وأن قيام الحرب الصينية اليابانية قد ساعد على هذه اليقظة ، بل ولعلها تكون المسئولة الأولى عنها ، فأخذت تنفض عن نفسها ذلك الخمول الذى ضرب عليها ، أو الذى ضربته بنفسها على نفسها ، وتتجه نحو حياة أخرى ، وتنتحل أساليب جديدة سواء فى الصناعة أو الفكر أو السياسة تختلف أشد الاختلاف عن تلك الأساليب العتيقة البالية . ولكن ينبغى مع ذلك ألا نغفل عن حقيقة واضحة جلية ، وهى أن ذلك التطور لا يتم فى الصين إلا ببطء شديد وبصعوبة شديدة بحيث لا يكاد الإنسان يدرك لأول وهلة أن هناك حياة جديدة أخذت تدب فى أوصالها الميتة ؛ ذلك لأن حياة الصين لا تقوم فى الواقع على مجرد بعض قوانين وضعية أو قواعد يرسمها من بيدهم مقاليد الحكم ويأخذون الناس بتنفيذها ، إنما تقوم حياة الصين على قيم أساسية عامة

متغلغلة فى أعماق النفوس تستمد منها قوتها وسطوتها ، بحيث لو انعدمت كل سلطة فى الصين ولم تصبح ثمت أى هيئة حاكمة فيها لظلت الصين مع ذلك قائمة على ما هى عليه ، ولاستمرت تلك القيم الأساسية تعمل عملها فى حياة الناس والبلد وتحفظ عليهم طابعهم التقليدى القديم الذى يتعارض مع كل ما هو جديد .

ولا ريب فى أن الأمة التى تريد أن ترقى وأن تصل إلى غاية بعيدة من الكمال والرفعة لن يتسنى لها ذلك ما لم تسر أولا تحت قيادة موحدة تخضع كلها لها ، وما لم تختف منها العوامل الانفصالية والنزعات الشخصية التى من شأنها تمزيق الدولة أقساما وشيعا . وقد كانت الصين فى معظم تاريخها دولة واسعة ممزقة منقسمة إلى مقاطعات وحكومات متفرقة تستقل كل منها عن الأخرى تماما ، ولم يكن الرجل الصينى العادى يعرف من وطنه إلا حدود قريته أو مدينته أو على الأكثر المقاطعة التى ولد ونشأ وتربى فيها ، ولم يكن يعرف أنه فرد فى وطن أوسع وأعظم من ذلك كله ، وأن وراء تلك الحدود الضيقة التى نشأ فيها ملايين أخرى من الناس ينتمون جميعا إلى نفس الوطن الذى ينتمى إليه ؛ ولذا كان الرجل من الشمال إذا اجتمع برجل من الجنوب لا يعرف إلا أنه من الشمال وأن صاحبه من الجنوب دون أن يحس الصلة الوثقى التى تربط بينهما . وقد ساعد على ذلك أن الصينى منغلق على نفسه ، ولا يحب الهجرة ولا السفر ولا الانتقال كمعظم الشرقيين ، فهو يفضل الاستكانة والالتصاق بالبقعة التى وجد نفسه فيها . وقد نشأ عن ذلك تعدد كبير فى اللهجات المحلية واختلاف عظيم بينها بحيث إن الرجل من إحدى المقاطعات لا يكاد يفهم اللهجة التى يتكلم بها غيره من مقاطعة أخرى . وكان ذلك كله عاملا على ظهور الحركات الانفصالية وخاصة فى أطراف الصين البعيدة . ومن هنا كان كثير من الكتاب يظنون أن الصين لا يمكن أن تعيش كدولة موحدة ما لم تخضع للحكم الأجنبى . وقد يكون لهؤلاء الكتاب العذر كل العذر فيما يذهبون إليه ، إلا أن السيدة جالبريت ترى أن ذلك كله أخذ يزول شيئا فشيئا ، وأخذ الشعور القومى يزداد بين الناس وخاصة بعد الغزو اليابانى ؛ فقد شعر الصينيون جميعا أن أرضا عزيزة عليهم أخذ العدو يغتصبها منهم ، فقاموا جميعا يشتركون فى الدفاع عنها ضد الغاصبين . وهكذا اختفت كل النزعات الانفصالية أمام الخطر المشترك ، وأخذ الصينيون يحسون أنهم أبناء وطن واحد وأرض واحدة . وقد ساعد على ذلك حركات الهجرة من المناطق المحتلة أو المعرضة للغزو إلى الداخل ، فقد عمل ذلك على تقريب اللهجات المتباينة ، وأصبحنا نجد على ما تقول المؤلفة : « فى غرب الصين ما لا يقل عن أربعة عشر صنفاً من الناس نزحوا من مناطق ومقاطعات مختلفة يعيشون جميعاً عيشة واحدة ، ويأكلون طعاماً واحداً ، وينشدون أغانى وأهازيج واحدة انتشرت فى أرجاء الصين جميعاً ، وذلك ما لم يكن له وجود من قبل » . ومع أن الوحدة فى العادات لم تتبلور تماماً حتى الآن ، ومع أن الاختلاف بين تقاليد كل فريق لا يزال اختلافاً قوياً صارخاً ، إلا أن جالبريت ترى أن كل ذلك يسير فى طريق الاندماج شيئاً فشيئاً ولكن بقوة ، بحيث لا يتأخر اليوم الذى تصطبغ فيه الصين من أقصاها إلى أقصاها بصبغة واحدة من العادات والتقاليد .

وقد أخذت الصين تتجه منذ بداية هذا القرن على الخصوص نحو الحضارة الأوربية ، واعتنقت الكثير من مظاهرها المادية ، ولكن تلك المظاهر المادية لم تصل فى الواقع إلا إلى الطبقات العليا فقط من السكان فى المدن الكبرى وفى الأطراف الخارجية ، ولم تفلح فى التغلغل قليلا ولا كثيراً إلى داخل الصين ذاتها ، أو إلى طبقات الشعب الفقيرة من سكان الريف ومن الفلاحين والعمال ، وهم يمثلون الغالبية العظمى من السكان . وقد كان لذلك — ولا ريب — أسوأ الأثر فى المجتمع الصينى ، إذ ساعد على توسيع الهوة التى تفصل بين مختلف الطبقات ، كما ساعد بالتالى على إضعاف قوة التماسك الاجتماعى فى الصين . ولكن الحرب الصينية اليابانية قللت أيضاً من ذلك الأثر حتى كادت تمحوه ؛ فقد أصبح من العسير — نتيجة للحرب — على المنتجات الأوربية أن تصل إلى الصين ؛ والقليل النادر الذى يصل إلى هناك يباع بأسعار خيالية لا تصدق ولا يكاد يقوى على شرائها إلا فئة قليلة

جداً من الناس ؛ وكانت نتيجة ذلك كله أن أخذ الناس ينصرفون عن ذلك النوع من الحياة المادية المترفة التي قبسوها عن أوربا ، ويعتاضون عنها تدريجياً بالإنتاج المحلى البدائي ؛ وبذلك عاد أهل الصين جميعاً إلى أساليب حياتهم القديمة ، واشتد تبعاً لذلك التقارب بين مختلف الطبقات عما كان عليه . وقد يبدو ذلك الرجوع إلى القديم نكسة أصابت الصين فى تطورها ورقيها ، ولكن السيدة المؤلفة ترى عكس ذلك ، فهى تعتقد أن الرقى الحقيقى هو فى تماسك الشعب وتقارب طبقاته قبل كل شيء ، ثم رقيه كله معاً مرة واحدة .

* * *

وفى الصين الآن اتجاه قوى يرمى إلى الأخذ بنظم الحكم الديمقراطى ؛ ولكن هذا النظام لم يتحقق بعد ، ولا ينتظر أن يتحقق كاملا فى الوقت الحاضر على الأقل ، كما أن من الصعب على الإنسان أن يتكهن بطبيعته فى صورته الأخيرة ، وإن كانت كل الدلائل تدل على أنه لن يكون نظاماً نيابياً ديمقراطياً بالمعنى الذى يفهمه الأوربيون . ويقف دون تحقيق النظام الديمقراطى الأوربى اتساع مساحة الصين وترامى أطرافها بشكل غير معهود فى بقية الديمقراطيات الأخرى . ولاشك فى أن من أصعب الأمور على شعب حديث عهد بالنظم النيابية أن يحقق ذلك النظم تحقيقاً كاملا فى دولة فى مثل حجم الصين . وقد حاول الدكتور صن أن يؤلف مجلساً نيابياً للصين ، ولكن ذلك المجلس لم يقدر له الاجتماع قط ، ولكنه حين يتم تأليفه ، فسوف يكون مكوناً من ١٦٨١ من النواب ، منهم ٣٩٥ نائباً تعينهم الدولة . ويبدو أن الانتخابات فى الصين لن تكون من درجة واحدة كما هو الحال فى الديمقراطيات الأوربية ، بل سوف يجتمع رؤساء كل مائة أسرة معاً وينتخبون من ينوب عنهم ، وبذلك سوف يكون نظام الحكم فى الصين مزيجاً من الديمقراطية والبطريركية التى تسود الصين الآن . ومن الدلائل التى تبشر بقيام الحكم النيابى فى الصين وجود مجلس الشعب السياسى هناك Teohlc's Political Council ، وهو يتألف من مائتى عضو من الرجال والنساء ، وكلهم معينون . وهم يمثلون كثيرا من مدارس الفكر والمهن والأعمال المختلفة ؛ وقد أبدى المجلس براعة كبيرة فى مناقشة وبحث أمهات المسائل التى عرضت عليه ، ولكن يقلل من أهميته أنه لا يعد مسئولا أمام الشعب .

وهناك عامل آخر تظن السيدة جالبريث أنه سيكون له شأن كبير فى تطور الديمقراطية فى الصين ، وهو سعة انتشار الشيوعية هناك ووجود حزب شيوعى قوى يضم كثيراً من الأفراد من أصحاب الثقافة العليا ومن أكابر المفكرين الصينيين . وقد أمضى معظم أعضاء الحزب الشيوعى أعواماً طويلة فى خدمة الجيش الأحمر الروسى ، كما أنفقوا جهوداً كبيرة فى تعليم الفلاحين وإصلاح حالهم ؛ وقد ساعدهم ذلك على تعرف ظروف حياة الطبقات العاملة هناك ، كما أصبحت لهم خبرة واسعة بوسائل الإصلاح التى يمكن أن تجدى عليهم . بيد أن الحكومة المركزية فى الصين لا تعترف بالشيوعية ولا تقر طرقها ، بل إنها تناصبها العداء صراحة ، ولا يزال الصراع سجالا بين الحكومتين إلى الآن .

(البقية فى العدد القادم)

أحمد الوزير

التاريخ فى سير أعلامه :

ملْتُن ...

[القيثارة الخالدة التي غنت أروع أناشيد الجمال والحرية والخيال ...]

للأستاذ محمود الخفيف

— ١٤ —

بين الطغيان والحرية :

تربى جيمس فى اسكتلندة تربية بروتستنتية إلا أن هواه كان مع الكاثوليك ، ولم يك ذلك بدافع العقيدة فما كان يعبأ مثله بعقيدة ، وإنما كان بدافع الرغبة فى الاستناد إلى الكنيسة كدعامة من دعائم الاستبداد .

وكان البيوريتانز قد تزايد عددهم فى البلاد حتى أصبحوا قوة عظيمة ، وكان هؤلاء خارجون على كنيسة انجلترة لأنها كاثوليكية العقيدة وإن كانت رياستها لملك انجلترة منذ فصلها هنرى الثامن عن رياسة روما .

وقد كان هؤلاء البيوريتانز عند نشأتهم كما رأينا فريقاً من قساوسة الكنيسة الانجليزية ولكنهم فى الواقع أصبحوا يعدون من البروتستانت فى ميولهم ومبادئهم ورغبتهم فى الاصلاح وإن أطلق عليهم اسم خاص بهم ؛ وطمع كل من الكاثوليك المتشيعين لروما والبيوريتانز أن ينالوا عطف جيمس . أما طمع الكاثوليك فلأنه ابن مارى الكاثوليكية ملكة اسكتلندة ، وأما طمع البيوريتانز فلأنه تربى تربية بروتستنتية فى اسكتلندة وفق الكنيسة البرسبتيرية[1] ، ولكنهم جميعاً ما لبثوا إلا قليلا حتى رأوه يميل إلى نظام كنيسة الدولة كما نشأت فى عهد هنرى الثامن وتوطدت فى عهد اليزابث .

واجتمع سنة ١٦٠٤ مؤتمر من قساوسة الكنيسة ، وممثلى البيوريتانز بغية التفاهم على حل ، ولكن ثلثمائة من البيوريتانز آثروا اعتزال مناصبهم على الاعتراف بكتاب الصلاة الذى تقره كنيسة الدولة . وأعلن جيمس كلمته الشهيرة يومئذ التى أفصح بها عن رغبته فى التمسك بالنظام الأسقفى فى رياسة الكنيسة وفروعها وهى قوله : « إن لم يوجد القس فلن يوجد الملك » ؛ وتهدد البيوريتانز بطردهم من المملكة إن لم يذعنوا له .

وكان أعضاء البرلمان يميلون إلى البيوريتانية فاشتد غضب أشياع روما عليهم ، كما أنهم غضبوا على الملك لتمسكه بنظام كنيسة الدولة فدبروا مؤامرتهم الشهيرة بمؤامرة البارود لنسف البرلمان والملك جميعاً ، ولكن مؤامرتهم أحبطت إذ نما خبرها إلى الحكومة ، وأزيل البارود والفتائل من تحت البناء ولاقى المؤتمرون نكال الملك جزاء بما أجرموا ، وحاق بهم سوء ما مكروا فنسف ما بقى لديهم من البارود عدداً منهم ، وأصبح أشياع روما موضع سخط الناس جميعاً وكراهتهم وظل الناس زمنا طويلا لا يعلمون بحادثة منكرة إلا ردوها إليهم ، وظل السذج من العامة ينسبون كل شر يقع مهما كانت صورته إليهم ، ولا يزال بعض القرويين حتى اليوم يحرقون تمثالا رمزياً للبابا فى ذكرى هذا الحادث من كل عام .

وعظم ميل الناس إلى البيوريتانية بقدر ما اشتد سخطهم على الكاثوليك ، ولكن القساوسة على الرغم من ذلك يوحون إلى الملك اضطهاد البيوريتانز والعطف على الكاثوليك من أتباع الكنيسة الانجليزية ، والتمسك بالنظام الأسقفى ، وأصبح هؤلاء القساوسة فى نظر البيوريتانز وأنصار الحرية الفكرية جميعاً رمز التعصب الأحمق والاستبداد الغبى ، لا يدرون أهم أم الملك أحق منهم بالمقت والازدراء ؛ وكان كلما اشتد سخط الشعب على الأساقفة ازداد عطف الملك عليهم وحباهم بالمودة والرعاية وبالغ فى التمكين لهم فى سلطتهم وتنفيذ ما يشيرون به ليكيد بذلك لمخالفيه ويشرح صدور مؤيديه .

وتناصر على الملك وحزبه البرلمان والبيوريتانز ، وما زالت هاتان القوتان تعملان على مناوأته فى ثبات ويقين حتى أدركه الموت سنة ١٦٢٥ ، وخلف لابنه شارل الأول العرش والثورة معاً ، ولسوف تكون البيوريتانية فى عهده أشد خطراً عليه من النزاع الدستورى بينه وبين البرلمان .

واستوى على عرش انجلترة شارل الأول ، وكان فى الخامسة والعشرين من عمره ، وكان شارل على الضد من أبيه فى خلقه فلم يعرف التبذل واللهو ، بل كان ملكا من جميع أقطاره يملأ النفوس هيبة باحتشامه ووقاره ، ولم يك ضعيف العزيمة ولا خواراً ولا أرعن الكلم ولا ثرثاراً ؛ بيد أنه لم يتوافر له من الثقافة بقدر

---

(١) كانت هذه الكنيسة تسير وفق نظام كلفن فلا تجعل الرياسة الدينية فيها أو فى فروعها لرجال الدين وحدهم ، بل يختار الناس من غير القساوسة عدداً يشارك هؤلاء فى إدارة شؤونها .

ما توافر لأبيه منها . وكان البرلمان قد مرن على أساليب المعارضة والمقاومة فى عهد جيمس ، فلم يك أمام شارل إلا طريقا واحدا هو مسالمته ، ولكنه تنكب هذا الطريق ، وبالغ فى إعنات البرلمان وأسرف فى تمسكه بالحق الإلهى المزعوم ، وأصبحت سياسته تنحصر فى مقاومة الرأى العام حتى مل الناس ، وأصبحوا لا يحفلون رضاه أو غضبه .

لم يكد يجتمع أول برلمان فى السنة الأولى من حكمه حتى دب الخلاف بينه وبينه ، وذلك أن البرلمان لم يمنحه المال إلا بقدر حتى يظل محتاجا إليه فلا يحله ، كما أن البرلمان لم يعتمد له ضريبة التجارة إلا لسنة وكانت للملك طول حياته ، وكانت الحرب قائمة بينه وبين أسبانيا فكانت حاجة الملك إلى المال شديدة ، وأمدت انجلترة فرنسا ببعض سفنها لتقذف بها أسبانيا ولكن فرنسا قذفت بها البروتستنت فى أرضها حيث تحصنوا فى ميناء لاروشل فغضب البرلمان وما زال ينتقد سياسة الملك حتى ضاق به الملك فحله .

ولكنه دعا برلمانا جديدا فى السنة التالية أى سنة ١٦٢٦ فاشترط هذا البرلمان أن يزيل الملك أسباب ما يشكو الناس منه وإذ ذاك يجيبه فى سخاء إلى ما يطلب من المال . واتهم البرلمان لورد بكنجهام توطئة لمحاكمته أمام اللوردات ، وكان أقرب المقربين إلى شارل ، وكان بكنجهام هوفلير أحد أصفياء أبيه جيمس من قبله ، وكان يعتقد الناس أنه هو الذى يوحى إلى الملك الطغيان ويدفعه إلى محاربة البرلمان ، واستشاط الملك غضبا وأمر بالمحرضين على ذلك فألقى بهم فى السجن ، وامتنع البرلمان عن العمل حتى يطلق الملك سراحهم ، وأعلن ألا تجبى ضريبة التجارة إلا بموافقة البرلمان ، وأذعن الملك فأطلق المحرضين ، ولكن البرلمان عاد إلى اتهام بكنجهام فلم يطق الملك صبرا ، وتخلص منه بحله .

وعمد الملك إلى فرض قرض جبرى لمواجهة الحرب وأخذ فى جمعه بالقوة ، وكان يرسل إلى السجن من يرفض أن يدفع ، وكان ممن دخل السجن بسبب الامتناع جون همبدن أحد زعماء البرلمان وقد أصر على امتناعه معلنا فى صراحة وجرأة أن الملك لا يملك فرض مثل هذا القرض ، وزاد على ذلك قوله « إن العهد الأعظم ينبغى أن يقر أمرتين كل سنة فى وجه من يخرجون عليه » .

واشتدت الضائقة بالملك ، فقد ساقته حماقته إلى خلاف بينه وبين فرنسا وانقلب الخلاف إلى حرب وما تزال الحرب بينه وبين أسبانيا قائمة ؛ وأرسل شارل حملة بحرية لمساعدة البروتستنت الفرنسيين (الهيوجونون) فى لاروشل ، وكانت قيادتها لبكنجهام وباءت بالفشل ، فازداد الناس سخطا عليه وعلى الملك ، وراح الملك يجمع القرض الجبرى بكل ما فى وسعه من عنف حتى لقد ألقى بنحو ثمانين من العلية فى السجن ممن حذوا حذو همبدن ، أما العامة فكان الجلد جزاء من يمتنع أو الحشد فى صفوف الجيش أو فى سفن الأسطول ، ولم يغن عن الملك بطشه فقل المال فى يديه وأيقن أن لا بد من دعوة برلمان ومهد السبيل لذلك بإطلاق من سجن ، كما أنه طمع أن يكتسب بذلك مودة الشعب

واجتمع البرلمان الثالث سنة ١٦٢٨ فافترض حاجة الملك إلى عونه وعاد إلى اتهام بكنجهام ، وتحرج الأمر بينه وبين الملك . ثم أعد النواب ملتمسا سموه ملتمس الحقوق ، وأعلنوا استعدادهم لإجابة الملك إلى بغيته من المال إذا أجابهم إلى ذلك الملتمس ، ووافق الملك فأجابوه إلى ما أراد ، ونص الملتمس على أنه لا يحق للملك فرض ضريبة إلا بموافقة البرلمان ، وألا يسجن أى شخص إلا وفق القانون ، وألا يجعل الجند عالة على الناس ، وألا يلجأ إلى الأحكام العسكرية بدل القانون العام ، وهذا الملتمس مستمد فى روحه من العهد الأعظم ، ويعد بعده الوثيقة الثانية لحقوق الإنجليز وحرياتهم .

على أن أشد ما استاء منه الناس هو مسلك الملك يومئذ فى سياسته الدينية . أظهر شارل من أول الأمر ميله إلى نظام الكنيسة الإنجليزية ، ومع أنه لم يك كاثوليكيا وفق مذهب روما فإنه كان يكره البيوريتانز كرها شديداً ويخاف من تزايد عددهم ويشك فى دعوتهم الإصلاحية ويراها ضربا من التطرف لا مبرر له ويميل بالرجوع بالدين إلى مظهره الكاثوليكى القديم .

وحدث أثناء إجازة البرلمان أن قرب الملك إليه أحد رجال الدين وهو وليام لود ورقاه أسقفا للندن ، وأخذ يعمل بما يشير عليه به ، وكان لود من أشد أعداء البيوريتانز ، وكان هؤلاء يمقتونه أشد المقت لتعصبه لنظام الكنيسة الإنجليزية وليله الفطرى إلى الاستبداد بالرأى والقسوة فى معاملة خصومه ولضيق تفكيره وفظاظته ، وغلظ قلبه ، فلما قربه الملك إليه ، عد البيوريتانز عمل الملك نذيرا لهم فأجمعوا أمرهم بينهم على مقاومته ومعاندة لود وممالأة البرلمان عليهما ، وأصبح البيوريتانز من أكبر المتحمسين فى طلب الحرية السياسية ، فهى فضلا عن كونها من مبادىء مذهبهم تعد فى رأيهم الآن طريق الخلاص من وليم لود أسقف لندن خصمهم العنيد .

نظرات فى الأدب :

الأدب والمجتمع

كان من نتائج شيوع المذاهب الاشتراكية ، أن بدأ كثير من الكتاب — ولا سيما دعاة تلك المذاهب — يتجهون فى كتاباتهم اتجاهاً جمياً ؛ ويحاولون أن يعالجوا كل ما يمس المجتمع من قريب أو من بعيد ؛ ويجهدون — قدر الطاقة — فى وسم كل إنتاج لهم بالميسم الاجتماعى .

ولا شك أن هذا الاتجاه إلى معالجة شئون المجتمع ، والنظر إليها هذه النظرة الفاحصة الممحصة لما يحمد أثره فى النهوض بالشعوب والرقى بالأمم .

ولا شك فى أنه أيضاً اتجاه طبيعى إلى حد كبير ؛ وهو — فى ذاته — معقول ومجد ، لأنه يتفق وغلبة النزعة الاشتراكية على بلاد العالم جمعاء ... حتى الديموقراطية منها .

ولكن كل هذا — وإن كنا نقره ونعترف به — لا يبرر — بأى حال — وجوب اتجاه الأدب — بوصفه فناً من الفنون الجميلة — إلى المجتمع ... والمجتمع فحسب : يعالج شئونه ، ويجاهد أن يحل قضاياه ، ويتلمس أن يتعرف علله الظاهرة منها والباطنة ؛ ثم هو لا يتجه من بعد ذلك إلى غير هذا ؛ فهو من المجتمع : ابنه البكر ووليده المشمول برعايته — وإليه ؛ ولا ينبغى أن يبتعد عنه ويروح يغوص فى لجج التيارات الفردية والنزعات الإنسانية التى تلغى قيود الزمنية والمكانية .

... هذا بعينه — هو ما يذهب إليه دعاة الأدب للمجتمع ... ذلك النفر الغالى فى إنكار الذات إلى حد غير متقبل عقلا وبداهة

لقد ظن أولئك الدعاة أن الأديب يحيد عن رسالته الروحية حين لا يصرف كل جهوده فى توجيه المجتمع وحل قضاياه ؛ وارتأوا

وقتل بكنجهام بيد مغتال لأمر لا يتصل بالسياسة فتنفس الناس الصعداء ، وخفف عنهم ذلك مروق ونتورث شيئا قليلا ودأب الملك فى جمع ضريبة التجارة ، وعاد الجند يفرضون على الناس لأطعامهم وإيوائهم أينما انتقلوا ، ونظر النواب فإذا ملتمس الحقوق لم يبق فيه من الحقوق شيء .

فلما اجتمع البرلمان سنة ١٦٢٩ كانت قلوب أعضائه مليئة بالسخط على الملك الذى نقض عهده ، وأخذ البرلمان يدعو إليه بعض المسؤولين ليستجوبهم عما عدهم مخطئين فيه مما يتصل بجباية ضريبة التجارة فكان عمله هذا تحديا لإرادة الملك .

وأعد بعض النواب مقترحا فحواه أن جباية هذه الضريبة عمل غير قانونى فليس على الناس أن يدفعوها ، وصاح فيهم رئيس المجلس أن الملك قد أمره ألا يكون موضع مناقشة ، ونظر الرئيس فكأنما انقلب المجلس بركانا يلفظ الحمم ، وصعب عليه أن يتبين ما هز أرجاء القاعة من عبارات صاخبة فمن احتجاج على تدخل الملك فى إدارة الجلسة ومن هتاف بوجوب الأصرار على المقترح ، ومن صيحات موجهة إلى الرئيس أن ينزل عن كرسيه إلى غير ذلك من مظاهر الغضب والسخط ، وذهب بعض النواب فأغلقوا باب القاعة وجاءوا بمفتاحها فوضعوه على المنصة وأنزل عضوان الرئيس عن كرسيه بالقوة وبعض اللوردات وكبار الموظفين يطرقون الباب فى غير جدوى إلى أن قرىء المقترح ووافق عليه النواب فى حماسة عظيمة ، ومما جاء فيه قول النواب « إن من يحدث تغييراً فى الدين أو من يفرض ضريبة جديدة أو يدفعها بغير موافقة البرلمان فهو عدو للمملكة » .

ولما نما ذلك إلى الملك لم يسعه إلا حل البرلمان فحله فى اليوم الذى تحدد لاجتماعه بعد هذه الجلسة المشهودة ، وأمر الملك فقبض على بعض أعضائه وأرسلوا إلى السجن ، وكان فى مقدمتهم سير جون إليوت صديق همبدن وصاحب المقترح ، وبعد مضى بعض الوقت تاب الأعضاء مما فعلوا فخلى سبيلهم إلا اليوت فقد ظل على إصراره . وساءت فى السجن حالته ومشى السقم فى بدنه فما زاده ذلك إلا عناداً وإصراراً . واقترب منه الموت بعد بضع سنين فما أخافه شبح الموت ولا أوهن له اصطباراً ولاقى النائب الشجاع حتفه بين جدران السجن فكان أحد شهداء الحرية ، وكان من السهل أن يشترى حياته بأذعانه لمن سجنه ولكنه آثر ميتة البطل ؛ ولم يتورع الملك عن أن يكيد له وهو بعد رفات فمنع أهله من أن يدفنوا جثته خارج السجن فوسد حيث استشهد ، ودفن حيث أبت روحه أن تدفن . (يتبع)

الخفيف

أن فى انتهاجه المنحى الفردى — الذى يحصر حدود الكلام فيما يعتلج فى النفس ويدور حولها ويتعلق بها ويرتد إليها — انحرافا يستدل منه على أنه لا يماشى المجتمع ويجرى وراء الأوهام والتعلات !

وهذا قول من شأنه أن يضيق من حدود مجالات الأدب الفسيحة ، حتى يضيق الأدب به ويضيق بأصحابه على خلاف ما يتوهمون !

إن الأدب — أسوة بغيره من الفنون — تعبير (١) ... تعبير بكل ما نريد بهذه الكلمة من تبيان معانى « الإفصاح والإبانة والتجلية » . وفن هذا شأنه وهذه طبيعته ، لا يمكن أن نقسره على أن يكون صدى لمجتمع بعينه أو بيئة بعينها . وكل ما ينبغى أن نطالبه به وننشده فيه ، هو أن يكون صادقاً مبيناً صادراً عن نفس تحس فتتأثر ثم تؤثر .

والكاتب حين يصدر فى إنتاجه عن حس صادق مستوفز للمؤثرات والحوافز ، وملكة مواتية ذلول تموج فيها تيارات الإلهام الدافق المتفجر — لا يمكن أن يكون « مسئولا » بعد ذلك ، عما إذا كان قد تناول شئون المجتمع أم طوى كشحاً عنها ... لا يمكن أن يكون « مسئولا » فى « عرف » آلهة الفن وحواريه وملائكته ... وشياطينه أيضاً ! ولا علينا بعد ذلك أن يكون « مسئولا » أمام المجتمع أو أمام الساسة المهرجين !

أجل ... حسب الأديب الفنان أنه عبر ... فى صدق وإخلاص يكون لهما فى القلب رنين ... حسبه هذا ، وكفى به رصيداً — أى رصيد — يضم إلى تراث الإنسانية الرفيع !

وتعبير هذا شأنه من الصدق وتحرى نفحات الإلهام هو — من غير شك — لذو أثر فى السمو بالإنسانية عامة — أيا كان لونه واتجاهه . ولا يعنينا — بعد ذلك — أن يكون إحساس هذا الأثر جلياً ظاهراً للعيان ، صادراً عن مجاوبة مجتمع بعينه ، أم خفياً ينسرب إلى التراث الإنسانى فى خفة العصفور الدقيق الرشيق ... بل إنى لأراه أطيب وأوقع فى النفس ، وأقوى على تحمل البقاء فى رصيد الإنسانية ، حال خفائه وانسرابه إليه فى خفة العصفور الدقيق الرشيق!

(١) راجع فى هذا المعنى — متوسعاً فيه — مقالا نفيساً ماتعاً ، للكاتب الكبير الأستاذ العقاد عنوانه « أسئلة وأجوبة » — ع (٥٩٩) من الرسالة .

وإنى لأسمع الكثيرين يتساءلون حين يصادفون نتاجاً أدبياً ، يتناول وقائع خاصة أو أحداثاً شخصية فردية بحتا ، بحيث لا تمس أحوال المجتمع فى كثير أو قليل ... إنى لأسمعهم يتساءلون فى أسى وحيرة : « ... وما جدوى هذا الإنتاج للمجتمع ؟ ! »

... وما أحراهم أن يديروا هذه الأسئلة التالية فى عقولهم — وفى قلوبهم أيضاً ! — ليجدوا المخلص من أساهم وحيرتهم اللذين لا مبرر لهما ... فى نظرى :

أليس هذا الإنتاج « إنسانياً » على كل حال ؟ أليس المجتمع — فى ذاته — ليس إلا مجموعة أفراد ؟ ... ومهما تمايزت المجتمعات واختلفت الشعوب وتباينت النحل والأجناس ، ألا توحد بينها جميعاً رابطة الإنسانية العليا ؟ ! ... ثم ... أليس فى حكم البداهة المقررة أن النفس الإنسانية — مهما تعددت فى شكولها الظاهرية ، وبالنسبة إلى الزمنية والمكانية — واحدة فى جوهرها وفى صميم فطرتها الأصيلة ؟ !

... ولا ينبغى أن يخشى أولئك الاجتماعيون — الذين يريدون أن يستأثروا بهذا الوصف وحدهم ... لست أدرى لماذا ؟ ! — لا ينبغى أن يخشوا أن ينحرف الأديب — إذا لم يقيد إنتاجه بالغرض الاجتماعى والهدف النفعى — إلى قضايا الشر يؤيدها ويمجدها ويحث على إثارتها ... فيهود بذلك المجتمع ويصبح حرباً عليه ، حين كان يؤمل فيه — لو أنه توجه فى تياره — أن يكون عوناً له ونوراً به يستضىء ... لا ينبغى أن يخشى أولئك الاجتماعيون ، شيئاً من ذلك على الإطلاق ، لأننا لا نعرف الفنان إلا خيراً ، ولا نعرف الفن إلا خيراً صرفاً كله ؛ لأنه لا يجوز فى الذهن — والفنون بالبداهة أسمى كنوز الإنسانية ، وأغلى ما تعتز به من تراث — أن تكون نفس الفنان مركبة على حب الشر والنزوع إليه . وما هذا الأدب الشرير الذى منه يتوجسون وعلى مجتمعهم منه يشفقون ، إلا غطاء ظاهرى نسجه المجتمع اللعين ، وظاهره فى ذلك القدر فطمر على ينابيع الخير الثرة فى النفس الفنانة الشفيفة

... لا خوف على الإنسانية من شر ظاهرى زائف ، يفضحه الخير المتأصل فى النفس — ونعنى بها هنا نفس الفنان — تأصل الخصب فى الأرض الطيبة السمحة !

(مصر الجديدة) **عبد العزيز الكرداني**

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٧٣٤ — جاء الزمان إلى منها تائبا

دخل عبد الله بن عبد الواحد على الملك العادل بن المنصور (من ملوك الأندلس والمغرب) فقال له العادل كيف حالك ؟ فأنشده :

حال متى علم ابن منصور بها جاء الزمان إلى منها تائباً

فاستحسن ذلك منه وولاه أفريقية .

وهذا البيت للمتنبي وإنما تمثل به لموافقة اسم منصور فيه لاسم والد العادل لحسن التمثيل به .

٧٣٥ — تسأل عنها أخاك إبليس

في (العقد) كان ابن سيرين إذا سئل عن مسألة ، فيها أغلوطة[١] ، قال للسائل : أمسكها حتى تسأل عنها أخاك إبليس .

٧٣٦ — يبكي الغمام وتضحك الأزهار

قال ابن ظافر : اجتمع الوزير أبو بكر بن القبطرنة والأديب أبو العباس بن صارة الأندلسيان في يوم جلا ذهبَ برقه ، وأذاب ورِق ودقه ، والأرض قد ضحكت لتعبيس السماء ، واهتزت وربت عند نزول الماء . فقال ابن القبطرنة :

هذى البسيطة كاعب أبرادها حلل الربيع وحليها النوار

فقال ابن صارة :

وكأن هذا الجو فيها عاشق قد شفه التعذيب والاضرار

ثم قال :

وإذا شكا فالبرق قلب خافق وإذا بكى فدموعه الأمطار

فقال ابن القبطرنة :

من أجل ذلة ذا وعزة هذه يبكي الغمام وتضحك الأزهار

(١) الأغلوطة : ما يغالط به من المسائل العالم ليستزل ويستسقط رأيه « التاج » أنهاك عن الأغاليط ، وأربأ بك عن التخاليط ، ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الأغلوطات « الأساس » .

٧٣٧ — أتاك مني بما لا تشتهي القدر

كان أبو الهذيل العلاف المعتزلي يبغض العباس بن الأحنف ويلعنه لقوله :

إذا أردت سلواً كان ناصركم قلبي وما أنا من قلبي بمنتصر
فأكثروا أو أقلوا من إساءتكم فكل ذلك محمول على القدر

فكان أبو الهذيل يلعنه لهذا ويقول : يعقد الكفر والفجور في شعره .

فقال العباس بن الأحنف :

يامن يكذب أخبار الرسول لقد أخطأت في كل ما تأتي وماتذر
كذبت بالقدر الجاري عليك فقد أتاك مني بما لا تشتهي القدر

٧٣٨ — لم لم يروحه كما أغداه ؟

في (الموشح) قال الصولي : قال الأصمعي : أنشدتُ الرشيد أبياتَ النابغة الجعْدي من قصيدته الطويلة :

فتى تمّ فيه ما يسرّ صديقه على أنّ فيه ما يسوء الأعاديا
فتى كملت أعراقُهُ غيرَ أنه جوادٌ فلا يُبقي من المال باقيا
أشمُّ طويل الساعدين ، شمردلٌ إذا لم يرح للمجد أصبح غاديا[١]

فقال الرشيد : ويله ! ولِمَ لَمْ يروحْه في المجد كما أغداه ؟ ألا قال : إذا راح للمعروف أصبح غاديا .

فقلت : أنت والله (يا أمير المؤمنين) في هذا أعلم منه في الشعر .

٧٣٩ — سؤال الحوائج عند الطعام

في (شذرات الذهب) : كان أبو العباس — أول خلفاء العباسيين — إذا حضر طعامه أبسطَ الناس وجهاً ، فكان إبراهيم بن مخرمة الكندي إذا أراد أن يسأله حاجة أخّرها إلى أن يحضر طعامه ، ثم يسأله . فقال له يوما : يا إبراهيم ، ما دعاك إلى أن تشغلني عن طعامي بحوائجك ؟

قال : يدعوني إلى ذلك التماس النجح لمن أسأله له .

فقال أبو العباس : إنك لحقيق بالسؤدد لحسن هذه الفطنة .

(١) الشمم في الأنف ارتفاع القصبة وحسنها واستواء أعلاها ، وانتصاب الأرنبة . وإذا وصف الشاعر فقال أشم فإنما يعني سيداً ذا أنفة « اللسان » .

في « اللسان » الشمردل : القوي السريع الفتي الحسن الخلق . قال المساور بن هند :

إذا قلت : عودوا ، عاد كل شمردل أشم من الفتيان جزل مواهبه

٧٤٠ — مصيبة ...

يهـودى بلا مال وأعمى ماله صوت

٧٤١ — من أدب السلف الصالح

فى (الآداب الشرعية والمنح المرعية) :

ابن عقيل فى الفنون : مما وجدتهُ فى أدب أحمدَ[1] أنه كان مستنداً وذُكِرَ عنده ابن طهمان ، فزال ظهرهَ عن الاستناد وقال : لا ينبغى أنْ يجرى ذكرُ الصالحين ونحنُ مستندون .

قال ابن عقيل : فأخذتُ من هذا حسنَ الأدب فيما يفعله الناسُ عند إمام العصر من النهوض لسَماع توقيعاته .

٧٤٢ — إن اللئام إذا ما سافروا ضجروا

كانت العرب تقول : (السَّفَر ميزانُ القوم) كأنه يزنهم بأوزانهم ويُفصح عن مقاديرهم فى الكرم واللؤم . قال المطوى :

أكرمْ رفيقك حتى ينقضى السفر
إن الذى أنت موليه سينتشر
ولا تكن كلئام أظهروا ضجرا
إن اللئام إذا ماسافروا ضجروا

٧٤٣ — ويكون جرحك جبارا

فى (نفح الطيب) كان ابن الصابونى الأندلسى فى مجلس

(١) الامام أحمد بن حنبل .

أحد الفضلاء بأشبيلية فقدم فيما قدم خيار ، فجعل أحد الأدباء يقشرها بسكين ، فخطف ابن الصابونى السكين من يده . فألح عليه فى استرجاعها . فقال له ابن الصابونى كف عنى وإلا جرحتك بها .

فقال له صاحب المنزل : ا كفف عنه لئلا يجرحك ويكون جرحك جبارا[1] ...

٧٤٤ — الاعرابى وفن العروض

فى (محاضرات الراغب) : دخل إعرابى مسجد البصرة فانتهى إلى حلقة علم يتذاكرون الأشعار والأخبار وهو يستطيب كلامهم ثم أخذوا فى العروض فلما سمع المفاعيل والفعول ورد عليه مالم يعرفه فظن أنهم يأتمرون به فقام مسرعاً وخرج وقال :

قد كان أخذهمُ فى الشعر يعجبنى
حتى تعاطوا كلام الزنج والروم
لما سمعت كلاماً لست أعرفه
كأنه زجل الغربان والبوم[2]
ولَّيت منفلتاً والله يعصمنى
من التقحم فى تلك الجراثيم[3]

(١) فى الحديث : جرح العجماء جبار ، الجبار الهـدر والعجماء الدابة « النهاية » قال الأزهرى : إن البهيمة العجماء تنفلت فتتلف شيئا هدرن فهو وكذلك المعدن إذا انهار على أحد فدمه جبار أى هدر (المصباح) .

(٢) زجل : صوت

(٣) فى تلك الجراثيم : فى تلك الأماكن غير المستوية فى (النهاية) : فى حديث ابن الزبير لمـا أراد هدم الكعبة وبناءهـا كانت فى المسجد جراثيم أى أماكن مرتفعة عن الأرض متجمعة من تراب أو طين .

شهـــادة . . . !

للدكتور إبراهيم ناجى

أقولها بين يدى صديق الشاعر الوجدانى الأستاذ أحمد عبد المجيد الغزالى تحية معطرة بشذى « زهر الربيع »

وفينانة ريّــانة بجمالها بتول، كأملاك السماء كَعاب
رآها أخ بالحسن والسِّحر عارف عليم بشُهد فى الحياة وصاب
بها صورشتى من الحسن، لم تدرْ ببال، ولا جالت له بحساب
بدت سافرات تنهب القلب والحجى
ولو كان هذا الحسن خلف نقاب !
إذاً لتحدّى صولةً كل حائل وشق إلى الأنوار كل حجاب
فيالك من حسن قوى وإن يكن كفجر وديع فى الضّياء مذاب
رآها ... فصاح القلب فى الصدر هاتفاً :
ألا ليتنى أدركتها بشـبابى ... !

هى . . . (*)

للاستاذ أحمد عبد المجيد الغزالى

[أرفع تلك الورقة المخضلة بهذه الأبيات وكأنها زهرة منداة من « زهر الربيع »]

أطلّت على دنياىَ فجرَ شبابى فعشت بقلب فى الضّـياء مذاب
يباكره منها السنا كلما سرت فتشرق آمالى به ورغابى
حبتنِىَ من نور الجمال ونوره ضـياء ظلامى وازدهار يَبابى
عرفتُ بها سرَّ الجمال محجّبا وأدركتُه سرًّا بغير حجاب
فلا أنا فى الحالَيْن أرضى ضلالتى ولا أنا أرضى جانب المحراب
محيِّرةٌ فى القرب والبعد يستوى شرابى من كاساتها وسرابى
حنانَيْك أودت بى قُطيعتكِ التى
مضت . . . والتلاق قد أضاع صوابى
ولست بشاك ما أعانيه من ردًى لغير التى منها أكابد ما بى !

(*) من ديوان — زهر الربيع — يظهر فى هذا الربيع .

عيد الجـــلاء . . . !

للاستاذ أنور العطار

دمشق ترفل فى أفواف وادينا غـنّى لها (بردَى) هيمان مفتونا
السلسل العذب يُهدى (النيربينْ) هوى
كالروض يَعبقُ أوراداً ونسْرينا
و(قاسيون) انتشت بالنور هامته كأنه قبس الأنوار من (سينا)
وضجت الغوطة المنضور جانبها بيوم (جلّقَ) واهتزت أرانينا
يوم أغرُّ على الأيام مؤتلقٌ مُشهّـرٌ ما زال الدهر ميمونا
يا صفحة قد كتبناها بأيدينا بالدمع والدم قد زينتْ أفانينا
ويا جهاد الأُلى اعتز الجهاد بهم أرضيتم اليَـعْرُبيّين الأبيّينا
نزّهتمُ الشام من باغ بعيثُ بها وصُنتمُ مهدها مهد النّبيّينا
ملأتمُ ساحها عزاً ونكرمة فـكان حاضرُنا رمزاً لماضينا
أتت على الشام أعوام مُروّعة كأنما هى أجيالٌ تعنّينا
جرَّ المغيرُ علينا نقمة عَظُمت فـكانت الدار نهب الأجنبيّينا
فهبّ من مهدوا يوم الخلاص لنا يصارعون الرّزايا غيرَ وانينا
فـكان إقدامُهم بعثاً لهامدنا وحافزاً يحفز الشُّعث المساكينا
مشوا إلى الهول يرتادون جاحمه يستعذبون المنايا غير خاشينا
كأنهم أرَجُ الفردوس تنفحه رياض جلّقَ فوّاحاً تحاسينا
تباركَ الدم قد أهرقتموه فداً وقدّستْ أنفسٌ سالتْ قرابينا
لم تلهكم مُتعُ الدنيا وزينتها أن تبعثوها على الباغى براكينا
ولم يُخفكم أذى العادى وصولته أن تذعنوا أو تقرّوا الذُّل عانينا
ولا ارتضيتم مِهاد العيش لينة والحرُّ لا يعرف الإذعان والهُونا
الخالدون وما الدنيا وبهجتها إلا سنا الخالدين العبقريينا
عاشوا جمال الدُّنا حتى إذا نزلت بهم مناياهم ظلّوا عناوينا
كأنما يبدأون العمرَ ثانية حتى إذا ما تواروا أشرقوا فينا
يا حفنة من ثرى الأجداد طيبة تـكاد من طِيبها تندى ريّاحينا
هبت فـكانت ربيعاً فى حواضرنا وبهجة وائتلاقاً فى بوادينا
يلقّـها الحبُّ مختالاً بها فرحاً كأنما الشام قد زفّتْ بساتينا
نبثها فرحة الأحفاد قد نهضوا وأثّلوا الملك تدْعيما وتمكينا
بثّوا الرسالة فى أوج العلى ومشوا للمجد والعزة القعساء سامينا

طافوا بقبر صلاح الدين واستلموا   فمل المطيفين بالبيت المناجينا
شادوا كما شادتِ الأجدادُ في وطنٍ
صُنْعَ الأُباةِ الحماةِ العَبْشَميِّينا
المالكين وعزُّ الملكِ يلحظهم   والمالئين فِجاجَ الأرض تمدينا
الناهجينَ إلى العلياء منهجها   والألمعين إتقاناً وتحسينا
حيوا لأوطانهم حتى إذا رقدوا   تفرَّدوا بجلال الذِّكر باقينا
لم يطمئنوا إلى الأيام خادعة   والدهر مازال حرب المطمئنينا
مَن مبلغ راقداً في الرمل متشحاً   بُرد الشهادة مغموراً رياحينا
الجوهرَ المحضَ تاهت (ميسلون) به
كأنه البدر في داجي ليالينا
والصادق العزم لو لاقى بعزمته   صم الجنادل رد الصخر موهونا
من آثر الموت أن يحيا إلى زمن   يذوق فيه الردى صاباً وغسلينا
تدرَّع العزم لا يلوى به أمل   ولقّن الصبرَ في الهيجاء تلقينا
أنَّ الوفيينَ قد صحّتْ عزائمهم
فزحزحوا عن حِمى العُرب المغيرينا
وشيَّدوا المجد بالهامات طائحة   وللمآثر والعلياء بانونا
تلكم دماؤهم ضجت مزغردةً   وتلكم يا بني قومي أضاحينا
وأنت يا عيدهم بوركتَ من أمل   حلو على الدهر نحييه فيُحيينا
في (ميسلون) طريف من مفاخرنا
وفي حماها رفيف من أمانينا
وفي تضاعيف سوح الشام أمثلةٌ   من الفداء تُناجينا فتُصبينا
وعداً عليَّ وقد أصغى الزمان لنا   لأنظمنَّ بها أحلى أغانينا
يا وحدة العرب لوحي في أباطحنا   وأشرقي كالدراري في مغانينا
وأنت يا نفحة الضاد التي سكرت   بها النفوس وما تنفك تغرينا
لأنت زاد الألى ازدان الوجود بهم
وأنت أنت السَّنا في الخطب يهدينا
إذا ضللنا ولم ترشد محجتنا   لذنا بوحدتنا الكبرى تؤاخينا
وإن ضعفنا وأوهى الضعف عقدتنا
كانت لنا داعماً في الضعف يعلينا
وإن حننا إلى الأطيار صادحة   شدت لنا اللغة الفصحى تناغينا
يافرحة الملتقى أذكيتني طرباً
وهجت أحلى المنى في أرض « جيرونا »

تركت قلبي مغموراً بنشوته   سكران تصبيه أفراح النجيينا
يا طول شوقي إلى الألاف قد رجعوا
ولم يكن طيفهم يوماً يصادينا
غنى لهم خاطري فرحان مبتهجاً   لحن اشتياق يسيل الدمع محزونا
تساءل النفس في شوق وفي لهف   من أنت يا من أذاع الوجد مكنونا
أأنت ذيالك الطيف الذي خفقت   له الضلوع وغناه المغنونا
أم أنت دنيا من الأحلام طيبة   كمسك نشراً وأنفاس الربا لينا
أم حقق اللهُ وعداً فاتناً لهجت   به النفوس ونصراً كان مضمونا
أأنت طيف سرى في العين ناعمة   أم أنت حققت للعُرب الأظانينا
فصحتُ من طربٍ والزهوُ يَملكني :
« أضحى التداني بديلا من تنائينا »
ماذا على القلب إن هاجت هوانجه   فراح ينشد أشعار (ابن زيدونا)
ياجيرة العُرب صان الله عقدكم   وزادهُ الحب توثيقاً وتمكينا
حللتُمُ الوطن المزهوَّ جانبه   من بعد ما نَهلتْ منه أعادينا
وبعد داء عياء لا كفاء له   جمّ المواجع يُشجينا ويُبكينا
الغاشم المرُّ ولّى عن أباطحنا   وانهار كالسيل سكباً من صياصينا
قد حطّهُ وهو في عليائه قدَرٌ   يردِي المغير ويطوي المستبدّينا
فقل له زاجراً نهلان من سخر   لا عدت يا من صحبت الرأي مأفونا
ولا أظلَّتك دنيا الناس تملؤها   غمّاً طويلاً وويلاتٍ أفانينا
أثرْتَ للحق تُعليه وتُعظمه   أم كان ذلك تضليلا وتلوينا
غررت ناساً فقالوا ثورة عجب   قد صاغها الحق حينا والعلى حينا
يعيش فيها الحجا جذلان مغتبطاً   ويستنير برأي الألمعيينا
ثم انجلت فإذا طغيان مختبل   جم المخازي فما زينت ولا زينا
تفيض بالفتنة الكبرى جوانبها   وتملأ الأرض تفكيكاً وتوهينا
يا يوم (جلق) ضم العرب فائتلفوا   فما ترى بيننا غير المحبينا
الهائمين تلاقوا بعد ما افترقوا   وعاهدوا الله أن يحيوا وفيينا
تمازجوا في إخاء رائع عجب   فمل الأخلاء في الدنيا المصافينا
(نجد) الهوى و (الحجاز) السمح قد سربا
في (جلق) وانثنت (بغداد) تطرينا
وأشرقت (مصر) باللألاء باهرة   وبالحياة وبالأرواح تفدينا
ومر (لبنان) في خلاب صورته   كأنه الشعر ترتيلا وتلحينا
(عمان) طافت تهز النفس روعتها   ورفت الشام في وشي (اليمانينا)



فى مقالة للأستاذ العقاد :

روى العلامة الأستاذ الشيخ المحترم عباس محمود العقاد فى مقالته : (من الدعوة الهندية) فى الرسالة الغراء ٦٧١ : « وكل ما أدعيه أننى محدث » وقد ضبطت هذه اللفظة الأخيرة بكسر الدال وتشديدها — ولا ريب فى أن ذلك تطبيع — ومقصود القائل ، هو المحدث بفتح الدال وتشديدها . قال ابن الأثير فى النهاية .

« قد كان فى الأمم محدَّثون ، فإن يكن فى أمتى أحد فعمر ابن الخطاب . جاء فى الحديث تفسيره أنهم الملهَمون ، والملهم هو الذى يلقى فى نفسه الشيء فيخبر به حدسا وفراسة ، وهو نوع يختص به الله (عز وجل) من يشاء من عباده الذين اصطفى مثل عمر ، كأنهم حدثوا بشيء فقالوه » .

والمروَّع — بفتح الواو وتشديدها — مثل المحدث . جاء فى لسان العرب :

« وفى الحديث المرفوع أن فى كل أمة محدَّثين ومروَّعين فإن يكن فى هذه الأمة منهم أحد فهو عمر . المروع الذى ألقى فى روعه[1] الصواب والصدق وكذلك المحدث كأنه حدث بالحق الغائب فنطق به » .

وقد رأى الشيخ المحترم أن (التسليم) هو الكلمة الفرنجية Islamization قائسا إياها — كما أوفق — على التهويد والتنصير والتمجيس . روى البخارى :

« ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ... » .

وفعل ذلك المصدر (سلم يسلم) ولهذا فى العربية معان كثيرة ليس الحرف المختار للفرنجية منها ، وإذا لم نسلم بما قال الأستاذ العقاد فماذا نقول ؟ ...

السهمى

الى الأستاذ أحمد حسين :

خذ — يا أخا العرب — غير مأمور هذا الخبر فى الطلاق إن لم تكن قد رويته فى كتابك (الزواج والمرأة) وهو حجة لك وفيه قضاء عدل :

« ... عن عكرمة فى رجل قال لغلامه : إن لم أجلدك مئة سوط فامرأتى طالق . قال : لا يجلد غلامه ، ولا تطلق امرأته ؛ هذه من خطوات الشيطان . ذكره (ابن داود فى تفسيره) فى لا تتبعوا خطوات الشيطان » .

فلا طلاق إلا أمام القاضى من بعد فحص وبحث ، وتذكير وتحذير ، ونصح طويل ، ولوم جميل . و « آخر الدواء الكى » .

هذا الذى يرضى النبى محمدا .

مسلم

الجامعة العربية تنشىء معهداً للفقه الاسلامى :

من المشروعات التى ستعرض على اللجنة القانونية لجامعة الدول العربية فى شهر يوليو القادم إنشاء معهد للفقه الإسلامى تدرس فيه المذاهب الفقهية الإسلامية المختلفة ، ومقارنة بعضها ببعض ، ثم مقارنتها جميعا بالقوانين الغربية الكبرى . والغرض من إنشاء هذا المعهد تهيئة جو مناسب لدراسة الفقه الإسلامى دراسة علمية حديثة تسير بهذا الفقه المظيم فى طريق التطور الذى اختطه السلف الصالح من الفقهاء المتقدمين ، حتى إذا تهيأت

(١) الروع بالضم القلب والعقل ووقع ذلك فى روعى أى فى نفسى وخلدى وبالى ، الروع — بالفتح — الفزع وفى حديث ابن عباس رضى الله عنهما : إذا شمط الانسان فى عارضيه فذلك الروع كأنه أراد الانذار بالموت . (اللسان) .

لكنما العين ما زالت مؤرقة تبكى الأحبة فى دنيا (فلسطينا)
تهيب بالعرب فى علياء عزتهم أن ينقذوا اليعربيين المصابينا
العرب فى (المغرب) الأقصى تناجينا
والعرب فى (المغرب الأدنى) تنادينا
لهفى عليهم وقد ضاق الفضاء بهم ماذا من الغاشم العادى يلاقونا
مازالت الأرض تندى من دمائهم وما تزال عواديهم عوادينا
العرب فى ثورة للمجد شاملة علياء وطدها الصيد المحامونا
حراس وحدتنا الكبرى ومن سفكوا
أرواحهم فى سبيل العرب فادينا
ومن أشاحوا عن الدنيا ومن نحذوا
هوى العروبة فيما بينهم دينا
هذا هو المجد خطته أناملهم وخلدته على الدنيا قوافينا
كأنما هو مسك من دمائهم قد استطار دموعاً من مآقينا

الأسباب أمكن أن يكون الفقه الإسلامى ركنا من الأركان التى تقوم عليها دراسة القانون المدنى فى العالم ؛ وأمكن فى الوقت ذاته أن يكون هذا الفقه مادة خصبة تستمد منها التشريعات الحديثة فى دول الجامعة العربية . فهل تستطيع كلية الشريعة فى الجامعة الأزهرية أن تضطلع بهذا المشروع الخطير الذى تقتضيه حال التطور الدائم فى الأقطار العربية والإسلامية ؟ إحدى اثنتين : إما أنها تستطيع ، لأنها وحدها وريثة الفقهاء الأربعة ، وإذن يكون إنشاء هذا المعهد من الفضول الذى يأخذ ولا يعطى ، ويعدد ولا يوحد ، ويزيد ولا يفيد . وإما أنها لا تستطيع ، لأن الذين ينهضون بهذا العبء يجب أن يكونوا فقهاء من طراز عبد العزيز فهمى ، وعبد الحميد بدوى ، وعبد الرزاق السنهورى ، وإذن يكون رأى الأستاذ محمود الغمراوى محتاجا إلى التعديل ، حتى لا يتبدد تراث هذا المعهد الإسلامى الجليل .

التربية الدينية فى المدارس :

أرسل صاحب المعالى الأستاذ محمد العشماوى باشا وزير المعارف إلى سعادة الأستاذ وكيل الوزارة الكتاب الآتى نصه :

« يهمنى العناية بالتربية الدينية بالمدارس على اختلاف أنواعها ودرجاتها بالثقافة حسب مستوى التعليم ، وأن يعنى بجانب تعليم العبادات وتفهم روحها ومراميها بإحاطة الطلبة والطالبات علما بمبادىء الدين الإسلامى فى إصلاح النفوس والأجسام وتنظيم المجتمع وتنظيم العلاقات بين الأفراد والأمم على أساس من العدل والاستقامة والأمانة ، وتعريف الطلبة بأبطال الإسلام تعريفاً يقوى فيهم روح التقدير للمثل العليا ويحفزهم إلى القدوة الحسنة .

وإنى أرجو أن تعرض على اقتراحا بتشكيل لجنة لهذا الغرض ، يكون من المستحسن تشكيلها من الشيخ محمود شلتوت والشيخ حسن البنا وعميدى اللغة العربية بالوزارة لتقترح الخطة ، والمنهج ، والكتب المحققة لهذا الغرض حسب مراحل التعليم بعد بحث الوضع الحالى لدراسة الدين والثقافة الإسلامية ، ويعرض مشروع قرار وزارى بذلك على وجه السرعة بعد الاتصال بحضرات الأعضاء من خارج الوزارة للاتفاق معهم على المساهمة فى هذه المهمة .

الجوائز الملكية للعلوم والآداب والقانون :

أوشكت اللجنة الوزارية التى يرأسها صاحب المعالى وزير المعارف أن تفرغ من وضع قواعد النظام الخاص بتوزيع جوائز صاحب الجلالة المغفور له الملك فؤاد الأول .

ومما استقر الرأى عليه فى ذلك أن يكون توزيع الجوائز الثلاث التى باسم المغفور له الملك فؤاد الأول فى ٢٧ إبريل من كل سنة تخليداً لذكرى وفاته ، وهى ثلاثة آلاف جنيه ، كل جائزة قيمتها ألف جنيه .

ويكون توزيع الجوائز الثلاث التى باسم صاحب الجلالة الملك فاروق الأول وهى على نفس النظام فى يوم ذكرى عيد جلوسه السعيد . وهذه الجوائز توزع :

١ — لأحسن عمل أو إنتاج فى العلوم .
٢ — لأحسن عمل أو إنتاج فى الآداب .
٣ — لأحسن عمل أو إنتاج فى القانون .

وقد سمعنا أن معالى وزير المعارف قد اقترح على اللجنة أن تخصص الوزارة من عندها جوائز أخرى لتشجيع العلوم والفنون فتقرر الأخذ بهذا المبدأ .

من شهادة الفرنج للإسلام :

تلق (مستر لايس) المفتش السابق للمدارس الانجليزية بمصر دروساً فى اللغة العربية على أستاذنا العلامة اللغوى الشيخ عبد القادر المبارك عضو المجمع العلمى بدمشق ، وقرأ القرآن على أستاذنا العلامة المفسر الشيخ عبد الله العلمى . وقد سمعه الأستاذ المبارك يقول :

لسان العرب وتاريخ الإسلام يغنيان عن كل لسان وكل تاريخ ، وما من حسنة فى بلاد الفرنج إلا وأصلها من بلاد الإسلام ، وما من سيئة فى بلاد الإسلام إلا وأصلها من بلاد الفرنج .

فوزى محمد القبانى

فى الفقه المقارن :

أظهرت مكتبة الآداب بالجماميز الطبعة الرابعة لكتاب الميراث فى الشريعة الإسلامية والشرائع السماوية والوضعية ، بعد أن أضاف إليه مؤلفه الأستاذ عبد المتعال الصعيدى المدرس بكلية اللغة العربية كثيرا من الزيادات والتنقيحات ، فجاء فى ١٥٢ صفحة من القطع المتوسط ، وقد درس فيه الميراث فى الشريعة الإسلامية بتفصيل ، وبين فيه طريق حساب الإرث بالقواعد

الحسابية الحديثة بعد بيانه بالقواعد القديمة ، وذكر فيه جدول المواريث مع تحقيق الخلاف فى واضعه .

ثم بين فيه بعد هذا المواريث عند قدماء المصريين ، وعنـد الأمم الشرقية القديمة ، وعنـد العرب فى الجاهلية ، وعند الأمة اليهودية ، وعندقدماء اليونان وعندقدماء الرومان ، وهذه هى أشهر الشرائع القديمة .

ثم بين فيه بعد هذا الأصـول الحديثة للمواريث الوضعية ، والميراث فى القـانون الفرنسى ، والميراث عند الاشتراكيين ، واكتفى بذكر الميراث فى القانون الفرنسى عن ذكر الميراث فى غيره من القوانين الحديثة ؛ لأن هذه القوانين مستمدة من القانون الفرنسى ، ولا تختلف عنه إلا قليلا .

ثم ذكر فيه بعد هذا الموازنات بين الميراث فى الشريعة الإسلامية والمواريث فى هذه الشرائع ، فانفتح بذلك باب جديد ظهر فيه أسرار عظيمة فى الميراث الإسـلامى ، أظهرتها تلك الموازنات بينه وبين غيره بعد خفائها ، وبينت أن ما جاء به الإسلام فى الميراث يوافق الأصول الحديثة الصحيحة للمواريث أكثر من المواريث الحديثة والقديمة ، وأنه يكفل مراعاة ميل المورثين ، والعدل بين الورثة ، والمحـافظة على الجيل الجديد ، أكثر من المواريث التى وضعت لها هذه الأصول .

وتلك أسرار جديدة لم تـكن لتظهر فى المواريث الإسلامية لو اقتصر فى دراستها على الطريقة القديمة ، لأنها تظهر فيهـا أحكاما تعبدية لا يفقه لها حكمة إلا اختيار الشارع لها ، وإيثاره لها على غيرها ، كما جاءت صلاة الصبح ركعتين ، وصـلاة الظهر أربع ركعات ، إلى غير هذا من الأحكام التعبدية .

وما أحوجنا فى هذا العصر إلى دراسة أبواب الفقه الإسلامى كلها على هذه الطريقة الجديدة ، ليعرف فضلها بالموازنة بينهـا وبين غيرها من الشرائع ، وتظهر فيها أسرار جديدة تجذب الناس إليها ، وتحملهم على تقديرها وإنصافها .

إقتراح :

كانت الرسـالة تختم كل مجلد بفهرسين : فهرس لأعلام الـكتاب وفهرس للموضوعات ، ثم ضيقت الحرب صفحاتها ، فتركت الأول واكتفت بالثانى .

والرسالة سجل الأدب الحديث لا يكاد يستغنى عن الرجوع إليه متأدب ناشىء أو ناقد أديب . ولقد احتجت اليوم إلى النظر فى مقالة أعرف موضوعها وإسم صاحبها ولـكنى لا أعرف عنوانها بالضبط لأعود إليه فى فهرس الموضوعات ، فاضطررت للتفتيش عنهـا ساعتين كاملتين ، ولو كان للاعلام فهرس لوجدتها فى خمس دقائق .

فأنا اقترح على الرسالة أن تصل ما كان انقطع وتنظم فهرسا واحداً لأعلام الـكتاب عن سنى الحرب كلها يكون مـكملا للفهارس السابقة فتعظم فائدته ويجزل شـكر القراء عليه . وأحسبه يكلف تعبـاً كثيراً ولا يأخذ من صفحات الرسالة أكثر من ست صفحات أو سبع ، أو يتطوع أحـد القراء بتنظيم هـذا الفهرس وتقديمه للرسالة لتنشره باسمه وتـكون عهدته عليه .

(دمشق) (أحد القراء)

مهرجانات جامعة أدباء العروبة فى الأقطار الشقيقة :

اعتزمت جامعة أدباء العروبة أن تقيم مهرجانات أدبية فى القدس ودمشق وبيروت تحقيقا لغرضها الأسمى ، وهو وحـدة الفـكر العربى والنهوض بالأدب ليحمل رسالة الاصلاح والبعث والتوجيه . وسيسافر أعضاء الجامعة برياسة معالى إبراهيم دسوق أباظه باشا إلى الأقطار العربية فى الأسبوع الأول من شهر يوليه القادم ، وقد تبرع الأستاذ محمد عبد المنعم إبراهيم عضو الجامعة بسياراته لتقل حضرات المدعوين كما ستنزل الجامعة فى ضيافته خلال هذه الرحلة .

وقد تألفت لجنة لاعداد هـذه المهرجانات من حضرات الأساتذة الدكتور محمد وصفى ، ومحمد عبـد المنعم إبراهيم ، وطه عبد الباقى سرور ، وجميلة العلايلى ، ومحمد عبد الوارث الصوفى ، وعبد الله شمس الدين .

والجامعة تدعو أدباء العالم العربى للمساهمة فى هذه الأسواق الأدبية الـكبرى نظما ونثرا ، وترسـل الـكلمات إلى سكرتيرية الجامعة ١٩٦ شارع محمد على بالقاهرة .

طه عبد الباقى سرور
السكرتير العام



يوميات جينفييف

للكاتب الفرنسي مارسيل بريفو

عضو المجمع اللغوي الفرنسي

بقلم الدكتور محمد غلاب

٤ – حسن الختام :

يونيو في مدينة تالوار .

إن كل ما يحوطني الآن مفعم بالهدوء والسلام والعظمة والجلال والابتسام ، وحول منزلنا الصغير النائم تحت أشعة الشمس تبدو الجبال زرقاء وبيضاء . وقبالة هـذا المنزل توجد البحيرة العظيمة بلونها الفضي ، وباريس الآن بعيدة .

نعم باريس بعيدة وكذلك الماضي بعيد ، وتلك الساعات القاسية التي احتملتها والتي كنت أتصور أنها ستقضي على حياتي ، كل ذلك قد انتهى كما انتهى الماضي البعيد ، والحياة الآن ستستأنف متحدة مضيئة . ولقد كان هذا التغيير فجائياً بدرجة لا أكاد أصدقها .

يا عجبا ! إن آخر سطر في مذكراتي الماضية كان غاية في اليأس والقنوط ، وهو : « لأن أقدم حياتي خير من أن أقدم أمانة زوجي أو صحة ولدي » .

لقد كنت أكتب هذه المذكرة في حجرة الطفل المريض وبجانب سريره ، وكانت الحاضنة تقرأ في تلك اللحظة نبأ قدوم الطبيب في الساعة الخامسة ، وكنت أنتظر حضوره في جزع شديد ، ولو أني كنت عارفة قراره مقدماً ، وهو قوله : لاجديد ، فلننتظر . وفي الواقع لم يكن هنالك جديد ، إذ أن جسم الطفل كان غارقا في العرق ، وهو يئن في سريره في وسط نوم مضطرب .

وعند الساعة الرابعة من مساء ذلك اليوم دخل خادم زوجي

ولقد كنت أكره لونه الذي هو مزيج من : صفرة وزرقة ورمادية ، وعينيه اللتين لا يمكن كشف ما وراءهما ، وفمه ذا الشفتين اللتين لا تكادان تريان من كثرة انقباضهما ، فسألته قائلة :

— ما ذا تريد يا جوزيف ؟

— إن سيدي الكونت يسأل سيدتي أصحة سيدي الفيكونت أحسن الآن ؟ .

— إن سيدك إذاً لم يخرج .

— لا يا سيدتي ، إن سيدي ظل من بعد الغداء إلى الآن في مكتبه ، وهو يرجو من سيدتي أن تنبئه حينما يحضر الطبيب .

— حسن يا جوزيف ، ستنزل الحاضنة لتنبئ سيدك عند ما يحضر الطبيب .

لم يكن زوجي إذاً قد خرج ، لأنه كان قلقاً على صحة الطفل وكان يريد أن يحضر زيارة الطبيب ، فهل كان أحد يصدق ذلك ؟ لقد زاد هذا الاهتمام الفجائي بصحة الطفل من غضبي حتى أحسست في تلك الساعة أن الحقد يتضاعف في نفسي إلى درجة أني لم أعد أحتمل حنانه عليه وقلت في نفسي : ليتركني وحدي مع هـذا الصغير العزيز المريض ، وليذهب إلى تلك المخلوقة . ولا ريب أن كبرياء الألم هي التي خلقت عندي هذه العاطفة ، لأنه كان ألماً مبرحاً .

وبعد الساعة الخامسة بقليل حضر الطبيب ، ولما نبأت الحاضنة الكونت صعد فوراً ، وكان في هذه اللحظة يختلف كثيراً عن طبيعته المفعمة بقوة الإرادة والشجاعة إلى حد أنني أحسست بالشفقة عليه ، لأنه كان متألما من ذلك العراك الذي كان يحتل نفسه في تلك الساعة بين هذا الخلق الكريم الحقيقي الذي حببه إلى الناس جميعاً ، وبين ذاك الهوى الوضيع الذي كانت نفسه تلح عليه في إطاعته .

« لا جديد فلننتظر » . هذه الكلمة التي تنبأت بها قالها الطبيب بحروفها وهو يضع على الوسادة رأس الطفل بعد فحص جسمه .

أعاد الطبيب كلمة « فلننتظر » وأضاف إليها قوله : يجب أن تستعدوا لكل شيء ، فالأزمة بدأت تتطور ، وسيظهر في هذا

المساء حدث جديد ، ولولا أن فى الأمر شيئاً سيظهر لما استمرت الحمى على هـذا النحو ، فهل عندكم طبيب ماهر فى هذا الحى ليلاحظ الطفل فى حالة حدوث ما لا ينتظر ؟ .

— نعم . يوجد طبيب ماهر فى ميدان « بوفو » وهو : الدكتور « جيل » .

— إنه لشاب ذكى ، وإنى أعرفه وسأكتب إليه كلمة ، لأوصيه بكم ، فإذا ما حدث أى شىء جديد فادعوه على عجل فى أية ساعة كانت .

— انصرف الطبيب وبقيت مع راءول وحدنا فى الحجرة ، فتصنعت أنى لا أنتبه إلى وجوده ، إذ كنت أسير فى الغرفة جيئة وذهاباً دون أن ألتفت إليه أو أحادثه ، وأخيراً قال بلهجة غير طبيعية :

— « إننى سأتعشى الليلة فى المنزل ياجينيفييف »

وحينما كان ينطق بهذه الكلمة كنت أقرأ فى نفسه كأنما أقرأ فى كتاب مفتوح أمامى هذه الأفكار الآتية : « إنه لردىء من جانبى أن أترك جينيفييف المسكينة وحدها فى مثل هذا القلق فلنتوسط فى الأمر ، ولنمنحها مرافقتنا إياها فى العشاء ، تلك المرافقة التى ستحجن بها سروراً ، وبهذا أكون قد أديت واجبى ثم أذهب بعد ذلك إلى شارع « فنزيليه » .

وفى الواقع أنه لو كان قد عرض علىّ هذا العرض قبل ذلك اليوم بليلة واحدة لقفزت فرحا وطرت سروراً ، ولكن اليقين الذى احتل عقلى اليوم من جهة ، والقلق المضنى على صحة الطفل من جهة أخرى قد غيرانى تماما فأجبته فى فتور قائلة :

— تعشَّ هنا إذا أردت ياصديق ، أما أنا فلن أنزل إلى حجرة المائدة لا سيما وأننى لا أرغب فى الأكل .

وعلى أثر سماعه هذا الجواب حل اليقين من نفسه محل الشك وآمن بأنى لا بد أن أكون قد عرفت شيئاً ،فامتقع وجهه ورأيت فى عينيه أنه يتردد فى أن يعترف لى بكل شىء وأن يطلب منى الصفح والتصافى ، ولكن تأثير الرغبة السيئة لم يلبث أن غلبه على أمره فاكتفى بأن يقول لى فى لهجة فاترة : « حسن ! اعملى ما تريدين » وقد كنت إذ ذاك منحنية على الطفل ، فلم يجرؤ على الاقتراب منه ، ثم تردد قليلا ، وأخيراً خرج . وعلى أثر ذلك طفقت الساعات الطويلة تسير فى بطء ، وأنا جالسة إلى جانب سرير المريض الذى يئن فى نومه ، وفى كل دقيقة أنحنى عليه وأنظر إلى جسمه الذى أخذ يزداد حرارة وحمرة ، ولكن لم يظهر على جلده شىء من الحبوب . وفجأة هدأت الحمى وأخذ المريض فى التحسن واستيقظ وطلب لعبه ، فأفهمته ألا يكشف ذراعيه وصدره فأذعن ونام فى هدوء مطمئن ، فلما رأيت ذلك سررت واستسلمت إلى النعاس ، فأخذتنى سنة من النوم لم تطل ، إذ لم ألبث أن استيقظت على أثر حركة خفيفة أحسست بها ،فلما تبينتها وجدت زوجى منحنياً على سرير الطفل يحدق إليه بعناية وكان مرتديا ملابس الخروج ، غير أنه قد ارتدى فوق هذه الملابس « جاكتة » منزلية ، وكانت الساعة إذ ذاك التاسعة والثلث فقلت فى نفسى : إنه سيخرج ، وبعد نصف ساعة سيكون بين ذراعى تلك المرأة . وفى الحال خطرت لى فكرة انتظاره فى ذلك المنزل كما كنت قد قررت آنفاً ، ولكن هذه الفكرة لم تبق فى رأسى إلا لحظة قصيرة ، إذ وجدتنى أقول فى نفسى : « كلا ، كلا ، إن مكانى ليس هناك ، بل هو هنا » .

وفى الحال قدمت بإخلاص إلى إلهى ضحية كبريائى وعاطفتى كزوجة محبة لينجى لى هذا الطفل .

وفجأة هتف راؤول قائلا :

— « جينيفييف جينيفييف ! »

فنهضت واقفة لأنى أيقنت أن هذا الإيقاظ له علاقة بصحة الطفل ، وفى ثانية واحدة انمحى من نفسى كل الحقد الذى كنت أحمله له ثم قلت :

— ماذا ؟ ما الذى حدث ؟

— أنظرى

قال هذا وأشار إلى نقط كحبات العدس قد أخذت تنتشر فى وجه الطفل وذراعيه ، ولونها أحمر باهت ، فصحت فى جنون قائلة :

يا إلهى يا إلهى ما هذا ؟ إنى أرجو على الأقل ألا يكون الجدرى قل لى يا راؤول . وفى هـذه اللحظة تناولت يده وضغطت عليها ناسية كل شىء .

— امكثى هنا يا جينيفييف فسأذهب لإحضار الطبيب ثم خرج . وفى الوقت الذى فصل بين خروجه وعودته كنت أنا والحاضنة تائهين نذهب ونجىء فى الحجرة تارة ، وننحنى من النافذة لنسمع ضجيج المركبة تارة أخرى . ولقد كنت أدعو ربى وأتوسل إليه وأجدد النذر القديم وهو أن أحتمل فى سرور

خيانة زوجي كزوجة خاضعة تحرس فى أمانة منزل الخائن .

وفى النهاية عاد السكون بصحبه الطبيب فأخذ يفحص الطفل وكنا فى هذه اللحظة : أنا وراءول ننتظر حكمه مرتعدين كطفلين يسيران فى الظلام ، وكان كل منا يعتمد على ذراع الآخر رهبة وخوراً . ومضت على هذا خمس دقائق كاملة قبل أن يفوه الطبيب بكلمة ، وأخيراً قال :

— أنا أظن أنه ليس فى الأمر خطر ، أظن ولست متأكداً ، لأن المرض لم يتحدد بعد .

— فقلت فى تمتمة مضطربة :

— ولكن على كل حال هل هو الجدرى .

— لا ، يقينا إن هذا ليس هو الجدرى .

كان الطبيب يقول هذه الكلمة ببساطة وهو لا يدرى أنه قد ردَّ بها إلىَّ التنفس والحياة . وعلى أثر ذلك سقطت بين ذراعى راءول فاقدة القوى وإن كنت قد أحسست أن ثقة خفية بزوال الخطر قد احتلت نفسى دفعة واحدة وشعرت بالرضى والسعادة ، فطفرت من عينى دموع غزيرة لا أدرى أهى دموع رد الفعل أم دموع السرور، ثم انتابتنى على أثر ذلك أزمة عصبية لم أفق منها إلا حين لاح نور الصباح . وحينئذ وجدت راءول جالساً عند وسادتى فلم أشأ أن أضيع الوقت فى سؤاله عن سبب جلوسه بجانبى ، وإنما هتفت به قائلة : ورينيه كيف هو ؟ .

-- إنه الآن أحسن حالا ، وإن مرضه لخفيف وبسيط ، وإن الحبوب الآن بادية على وجهه بهيئة تجعله دميا فى هذه اللحظة فقط ، ولكن الخطر قد زال ، والحاضنة والخادمة — ساهرتان عليه . وأنت كيف صحتك ؟

— أنا صحتى جيدة جداً .

وإذ ذاك أردت أن أنهض فخانتنى قوتى وسقطت على الوسادة فقال راءول وهو يقبض على يدى .

— مسكينة يا صديقتى .

وبعد ذلك ساد بيننا صمت كنت أثناءه أقول فى نفسى :من حيث أن راءول هنا فهو إما أن يكون قد عاد من شارع فيزيليه وإما أنه لم يذهب ثم سألته قائلة :

— فى أية ساعة عدت يا راءول ؟

— إنى عدت مع الطبيب ، وإنى بجانبك منذ أن نمت إلى الآن .

قال هذا وقرب وجهه من وجهى فتمتمت قائلة :

— ثم ماذا إذاً ؟

وإذ ذاك فهم كل شىء ، فأجابنى بصوت خافت : إذاً ... أنا أحبك وحدك وينبغى أن تصفحى عنى ، وهذا هو كل شىء

وعلى أثر ذلك تبادلنا قبلة لم نذق مثلها منذ عهد خطبتنا !

مضت على هذا الموقف ثلاثة أسابيع جعلت صحة الطفل إبانها تتحسن باطراد حتى استطعنا أن نسافر به إلى « تالوار ». وهانحن أولاء بمنزلنا سعداء شأننا فى صيف كل عام . ولقد أطلعنى راءول على برقية وردت إليه من هذه المرأة فى صباح تلك الليلة المزعجة ، وقد جاء فيها ما يلى : « لقد انتظرت أمس ساعتين كاملتين فى هاتيك الغرفة الدميمة ، وإننى لا أحب الأشخاص السيئى التربية فعم مساء يا سيدى » .

ويبدو أن هذا الـ « عم مساء » كان معناه الوداع الأخير . أما الآنسة جيفيرنى فهى ستتزوج .

إن الطفل قد برىء تماما ، وإنه لجميل كما كان ولم يبق فى وجهه أى أثر للحبوب ، وإن الدكتور روبان قد قال لى : إنه سيكون شابا فاتنا له من أسيرات حبه مثل ما لأبيه .

فأجبته قائلة :

— مثل أبيه ! إنى أسأل الله أن تكون أسيراته فى الغرام أقل عددا من أسيرات أبيه .

محمد غلاب


RETRO
NEWS



سكك حديد الحكومة المصرية

خط مصر – الاسكندرية

يتشرف المدير العام بإعلان الجمهور أنه ابتداء من أول يونية سنة **١٩٤٦** ولحين صدور إعلان آخر سيسير « قطار فاخر » سريع (درجة أولى وبولمان) بين القاهرة والاسكندرية ويقف بمحطتي طنطا وسيدى جابر كالمبين بعد :

١ – يغادر قطار **٩٩٣** القاهرة فى الساعة ٣٠ ٨ ويصل إلى الاسكندرية فى الساعة ٣٠ ١١

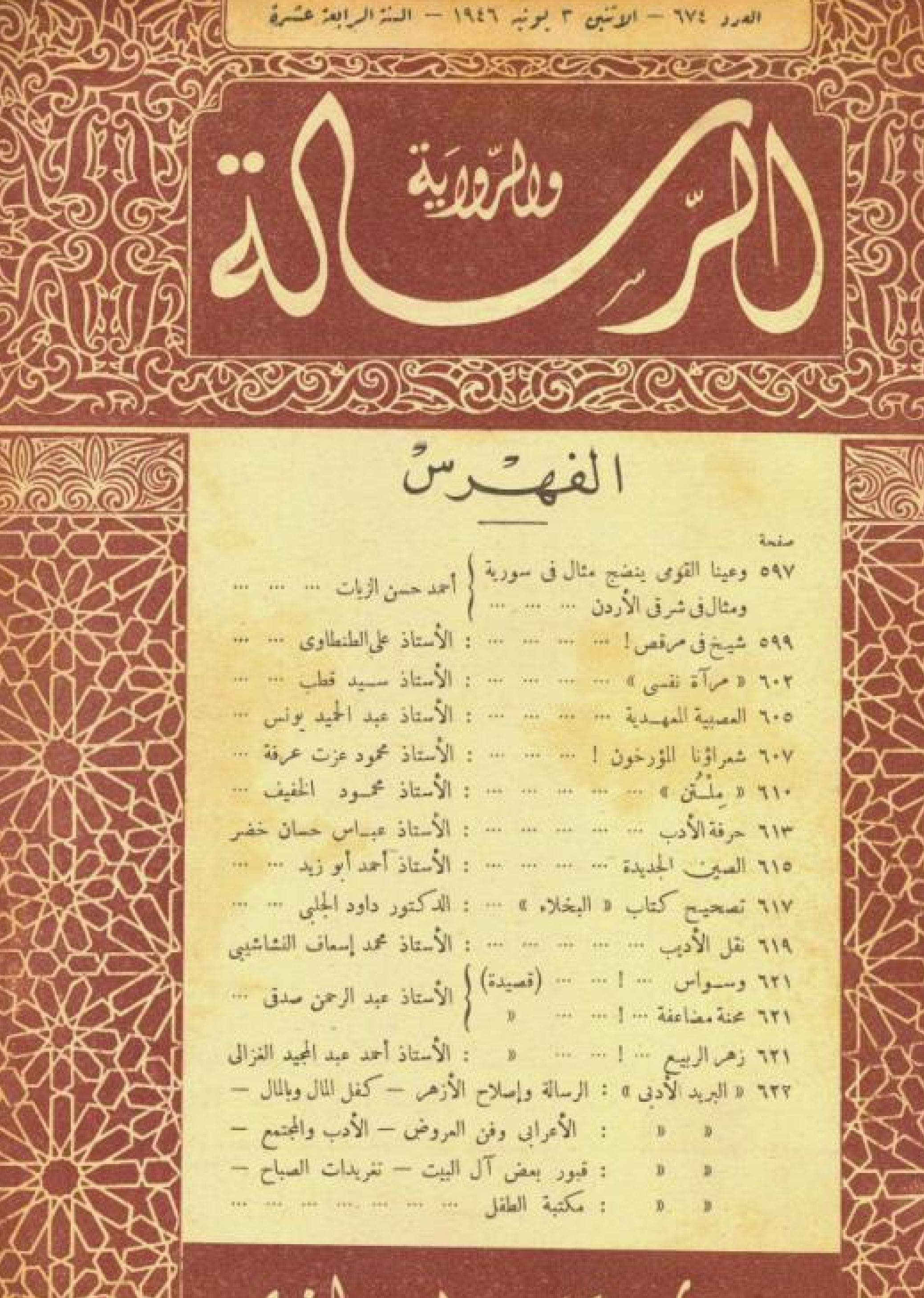
٢ – يغادر قطار **٩٩٢** الاسكندرية فى الساعة ٠٠ ٨ ويصل إلى القاهرة فى الساعة ٠٠ ١١

وذلك وفقاً للمواعيد الآتية : –

المحطات		٩٩٣	المحطات		٩٩٢
مصر	قيام	٨ ٣٠	الاسكندرية	قيام	٨ ٠٠
طنطا	وصول	٩ ٤١	سيدي جابر	»	٨ ١٠
	قيام	٩ ٤٤	طنطا	وصول	٩ ٤٦
سيدى جابر	»	١١ ٢٢		قيام	٩ ٤٩
الاسكندرية	وصول	١١ ٣٠	مصر	وصول	١١ ٠٠

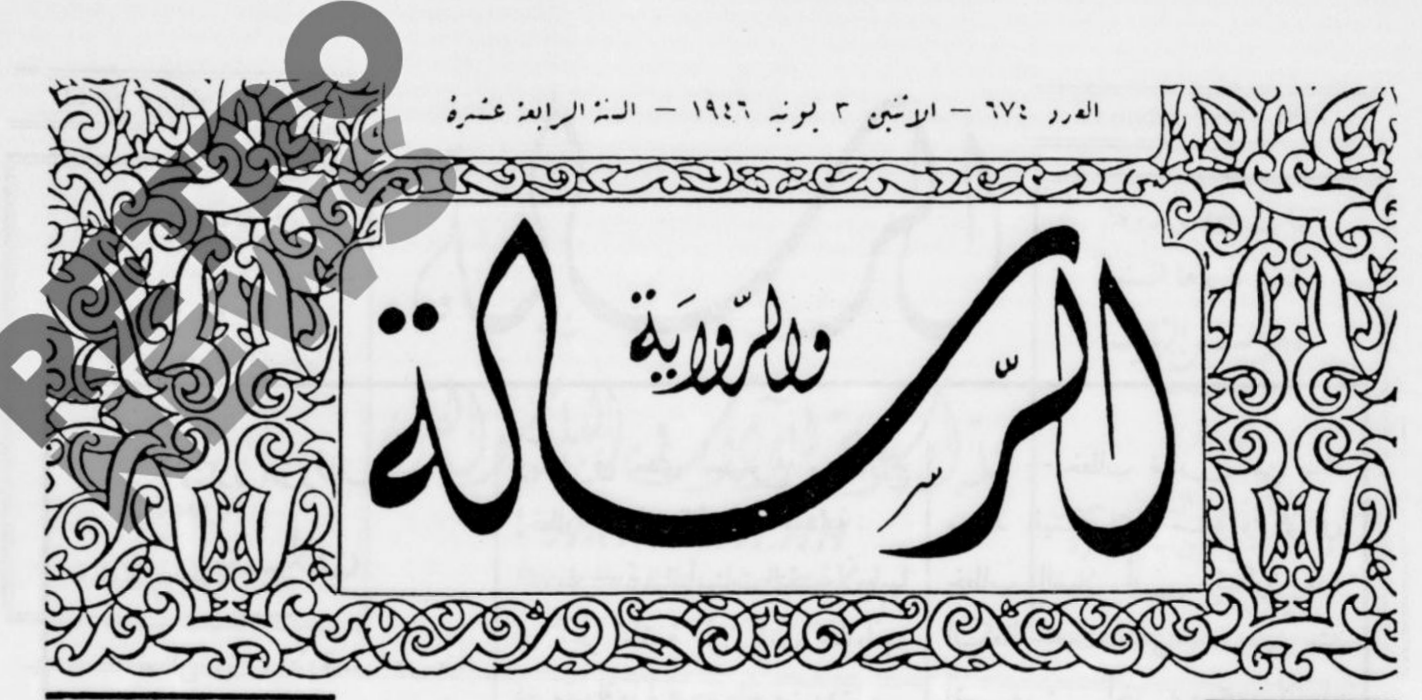
(طبعت بمطبعة الرسالة شارع السلطان حسين – عابدين)

العدد ٦٧٤ — الإثنين ٣ يونيه ١٩٤٦ — السنة الرابعة عشرة



الفهرس

العدد ٦٧٤ — الاثنين ٣ يونيه ١٩٤٦ — السنة الرابعة عشرة



الفهرس

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

وزارة الأوقاف

إعــلان

تعلن وزارة الأوقاف شهر مزاد تأجير أطيان زراعية بالوجهين القبلى والبحرى مساحتها ٥١٣١٧ فداناً على جملة صفقات بجلسات علنية بمراكز التفاتيش فى المواعيد المحددة لكل تفتيش ويعلن عنها بلوحة الإعلانات بالوزارة والتفاتيش — وقررت ما يأتى :

١ — أن تكون مدة التأجير سنتين فى جميع التفاتيش عدا الصفقات التى تزرع قصباً فتكون مدة التأجير فيها لثلاث سنوات .

٢ — أن تعتمد الوزارة فى أول جلسة نتيجة التزايد إذا كان العطاء بأجر المثل المعتمد أو بأكثر منه .

٣ — أن يكون التأمين النقدى موازياً ٥٠٪ من إيجار سنة ما لم يكن بالأطيان مخازن للوزارة فإن وجدت فيكون التأمين ٣٠٪ فقط على أن يدفع منه ٢٠٪ وقت العطاء ويكمل فى مدى أسبوع من تاريخ إخطاره بقبول عطائه بصفة مبدئية .

٤ — ترد التأمينات النقدية لأربابها فى آخر الجلسة متى كانت عطاءاتهم غير مقبولة ما لم يوجد مانع من ردها .

٥ — ويمكن الاطلاع على الشروط وقوائم المزاد بالوزارة والتفاتيش — وعلى من يرغب فى الدخول فى مزاد استئجار أى صفقة أن يعاينها قبل الجلسة ويطلع على جميع البيانات الخاصة بها ويعتبر دخوله فى المزاد إقراراً منه بالمعاينة والاطلاع على البيانات .

٦ — مستحقو الأوقاف الأهلية المشهورة أطيان تابعة لأوقافهم مدعوون لحضور جلسات التزايد المعلن عن مواعيدها بالتفاتيش مع الرجاء بالعمل من جانبهم على زيادة عدد الراغبين فى التأجير .

إذا لم يكن التأمين نقداً كما تقدم يكتفى بتقديم أحد التأمينات الآتية قبل الدخول فى المزاد :

١ — خطاب ضمان من بنك معتمد بقيمة إيجار سنة ويراعى فى خطاب الضمان أن تكون مدة الكفالة بحيث تنتهى بعد مضى ستة أشهر من آخر يوم محدد لانتهاء مدة العقد .

٢ — أوراق مالية مقبولة لدى الحكومة المصرية لا تقل قيمتها عن إيجار سنة حسب تقرير الوزارة .

٣ — أن يقدم للتفتيش قبل الجلسة المحددة للتزايد بأسبوعين على الأقل ضمان بتأمين عقارى مصدق عليه من قلم المساحة المحلى توازى قيمته إيجار سنة مصحوباً بجميع مستندات الملكية وشهادات تصرفات من المحكمة المختلطة لمدة عشر سنوات سابقة لتاريخ الجلسة أو إيصال دال على سداد رسوم طلبها مصحوباً بقيمة ١٠٪ من عطائه نقداً ولن يقبل أى تزايد ما لم يقدم صاحبه تأميناً طبقاً للشروط المبينة بهذا الإعلان

14 me Année No. 674

Lundi—3—6—1946

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما
الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٦٧٤ «القاهرة فى يوم الإثنين ٣ رجب سنة ١٣٦٥ — ٣ يونية سنة ١٩٤٦» السنة الرابعة عشرة

وعينا القومي ينضـــج

مثال فى سورية ومثال فى شرقى الأردن

يخطئ من يقيس تقدم أمة أو تأخرها بما يشاهد من حال السابقين منها أو المتخلفين عنها ؛ فإن من سبق إنما سبق بإعجازه ، ومن تخلف إنما تخلف بعجزه ؛ والإعجاز والعجز من الشذوذ الذى لا يسبب حكماً ولا يبنى قاعدة . إنما يصح القياس بحال الكتلة التى ظلت متماثلة فى اللون والكثافة والحركة بعد أن انفصلت منها قطعة إلى الأمام ، وانخزلت عنها قطع إلى الوراء ؛ لأن هذه الكتلة تمثل القدر المشترك من الشعور والإدراك والوعى والقلق والطموح والاندفاع ؛ فرأيها هو الرأى العام ، وأمرها هو الدستور الحاكم ، ووحيها هو السياسة القومية ، وغضبها هو الثورة الوطنية ، ورضاها هو السلام الدائم . والحكم على الأمة العربية — لمن يحلو له أن يحكم — يجب أن يكون ، بناء على هذا القياس أو الأساس ، قائماً على حركات كتلتها العجيبة التى ما فتئت منذ مؤتمر فرساى تتقارب وتتضام وتتماسك وتتحد على الرغم من الأسباب المفككة والعوامل المهلكة التى ابتُليت بها من سفه الأحزاب السياسية فى الداخل ، وطمع الدول الاستعمارية فى الخارج .

كانت هذه الكتلة الممزقة فاقدة الوعى حين أراد محمد علي إحياء الامبراطورية العربية ؛ وكانت فاقدة الوعى حين ثار أحمد عرابى على العناصر الأجنبية ؛ وكانت فاقدة الوعى حين دعا مصطفى كامل إلى الفكرة الوطنية ؛ ولكن وعيها القومى أخذ يتنبه حين زلزلت الأرضَ قنابل الحرب العالمية الأولى ، فثارت الجزيرة وسورية والعراق على استعباد الأتراك ، وتمردت مصر على احتلال الإنجليز ، واستجابت الأمة العربية جمعاء لدعاء الحرية هنا وهناك ، وسارت وراء قادتها بخطى الواثق المطمئن ، فأضلوها السبيل ، وأوردوها السراب ؛ ولكنها استفادت من كلال السير ووعوثة الطريق وسعار الظمأ ، بصراً فى الوعى ، وقوة فى الموازنة ، وصدقاً فى التمييز ، وصحة فى الحكم ؛ فلم تكد الحرب العالمية الثانية تنطفئ حتى كانت أمام زعمائها تلهمهم فيقولون ، وتأمرهم فيفعلون ، وتوجههم فيتجهون . ومتى عرفت الأمة نفسها ، وأحست نقصها ، وتبينت قصدها ، أبت على ولاة أمرها أن يدلسوا عليها الرأى ، ويموهوا لها الباطل ، ويقنعوها بما دون الحق . وفيما يجرى الآن فى مصر وفى غيرها من الحوادث ، ويذيع فى المجالس والصحف من الأحاديث ، شواهد صادقة على اتساع الوعى القومى فى نفوس المصريين والعرب تثب فى عين المنكر إذا وازن بين ما كانوا عليه وبين ما صاروا إليه . كان الساسة الذين احترفوا الوصاية عليهم يفاوضون فى أمورهم ، ويعاهدون على مصيرهم ، دون أن يحفلوا لهم برأى ، أو يرجعوا إليهم بخبرة ، وإن زعموا أنهم استشاروهم فأشاروا ، وخيروهم فاختاروا ! وهم اليوم يفاوضون تلك المفاوضة ،

ويراجعون تلك المعاهدة ، ولكن الأمة هي التي وضعت المبادئ ، وحددت المطالب ، وأملت الخطط ، وقدرت العواقب ؛ فليس لمفاوض أن يقوّلها ما لم تقل ، ولا لحاكم أن يريدها على ما لم ترد !

وهل نسيتَ يوم الجلاء في سورية ؟ وكيف تنساه أذُن الحي ولا تزال أناشيده وزغاريده تدوّى في سمع الزمان ؟ ! جلت جنود الاستعمار عن أرض سورية العزيزة ، فاهتز العالم العربي اهتزاز الغبطة ، واعتز اعتزاز النصر ؛ وشعر كل فرد من أفراده ، في مختلف بلاده ، أن فريقا من أهله تحرر من القيد ، وأن جزءا من وطنه تطهر من المغير ؛ وأقبلت وفود الدول العربية تشارك دمشق في الاحتفال بإقامة العرش الأموي بعد أن خرت قوائمه وابتُذل حماه ؛ وقال العراق لمصر : ذلك يا أخ'اه هو الجلاء الذي يكشف الضر ، والاستقلال الذي يرضي الحر ، فمتى يكون لنا ولسائر أقطار العروبة مصير كهذا المصير ويوم كهذا اليوم ؟ !

ذلك مثال من أمثلة الوعي القومي العربي تجلى في هذا الحادث الخطير صريحا غير مشوب ، وصحيحا غير مزيف ، فاذا وازنت بين موقف العرب من استقلال سورية ، وموقفهم من استقلال شرق الأردن ، فلن يخامرك بعد ذلك شك في أن الأمة العربية الكريمة إنما تُصدر عن وعي بصير ، وتنقل عن شعور صادق .

فاوضت انجلترا شرق الأردن مفاوضة الند للند ، ثم منحته الاستقلال التام ، وعقدت بينها وبينه معاهدة الشرف والفخار ، ثم رفعته من الإمارة إلى المملكة ، واحتفل إخواننا الأردنيون بمبايعة أميرهم العظيم عبد الله بن الحسين ملكا عليهم ، فزاد ملوك العرب ملكا ، وزادت ممالك العروبة مملكة . وكان هذا النبأ العظيم عن هذا النصر الأعظم جديراً بأن يزلزل النفوس من الفرح ، ويبح الحناجر من الهتاف ، ويدمى الأكف من التصفيق ، ويحشد جيوش العرب في ميادين عمان ، ويدعو شعراء العرب إلى منابر عمان ، ولكن هذا النبأ العظيم سرى به البرق ، وتوج به الأثير ، وكأنما ضرب الله على الآذان فلم تسمعه ، وختم على القلوب فلم تنفتح له ! واحتفلت عمان وحدها بيومها التاريخي المجيد احتفالا رسميا لا روعة له ولا بهجة فيه . ذلك لأن العرب الذين لا ينفكون يسخرون من احتقلال[1] مصر ، ويهزأون باستقلال العراق ، قد سئموا هذه المظاهر الكاذبة ، وأنكروا هذه الألفاظ الفارغة ، وكبر عليهم أن يشاطروا انجلترا السرور باقتلاذ قطعة من الوطن العربي لا يزيد عدد سكانها على خُمس سكان القاهرة ، لتجعلها وكرا للاستعمار يثب منه متى شاء علينا أو على من حوالينا من الأمم المطمئنة الوادعة .

أليس الوعي القومي هو الذي جعل العرب يميزون بين استقلال سورية واستقلال شرق الأردن ؟ أليس الوعي القومي هو الذي جعل لانجلترا من جامعة الدول العربية ، ما جعل الله لآل فرعون من موسى بن عمران ؟ آووه وتبنّوه ليكون ظهيرا للكفر ، ونصيراً للظلم ، ووزيراً للاستبداد ، فكان لهم نذيراً من الله ، وداعياً إلى الحق ، وبشيراً بالحرية ؟

أليس الوعي القومي الذي وُلد صاحب الجلالة الفاروق في صحوته ، ثم ترعرع وشب وملك في صحوته ، هو الذي ألهمه أن يوطد أساس الجامعة العربية باجتماع الملكين في رضوى ، وأن يوثق الوحدة العربية بمؤتمر الملوك والرؤساء في إنشاص ؟

بلى ، هو الوعي القومي الذي تيقظ واستبصر في نفوس العرب من ملوكها ورؤسائها ، إلى سوقتها ودهمائها . ولن تجد مصداقا له ولا دليلا عليه أبلغ من هذا القلق الذي يساور كل نفس ، وهذا الامتعاض الذي يرتسم على كل وجه ، وهذا الانتقاد الذي يجري على كل لسان . كل امرئ يريد التغيير ، وينشد الكمال ، ويطلب الأحسن . وكل امرىء يحاول أن يفرق بين رجل ورجل ، ويميز بين عمل وعمل ، ويوازن بين مبدأ ومبدأ .

بلى ، هو الوعي القومي الذي يذكّر العرب اليوم أنهم خير أمة أخرجت للناس ، تأمر بالمعروف ، وتنهى عن المنكر ، وتسارع إلى الخير ، وتتعاون على البر ، وتتناصر في الشدة ، وتأبى إلا أن تتبوأ مكانها الأول من قيادة الإنسانية . ذلك الوعي القومي هو ضمان النهضة العربية من الانتكاس والردة ، وأمان السياسة العربية من الغش والخديعة ، ووقاء الوحدة العربية من الشتات والفرقة . فمن حاول بعد اليوم أن يقود الأمة العربية قيادة القطيع ليَذبح ، أو يسومها سياسة الخيل ليَركب ، نبتْ في يديه كما ينبو المارد في يد الرجل إذا انطلق من حبسه ، وامتنعت عليه كما يمتنع الثور على الطفل متى شعر بنفسه .

احمد حسن الزيات

(١) كلمة نحتها الأستاذ وحيد الأيوبي من كلمتي: احتلال واستقلال .

شـــيخ في مرقص!

للأستاذ علي الطنطاوي

— ٢ —

[إلى كل شاب تريده نفسه على الأثم ، ويدفعه دينه إلى العفاف ، وتسهل له دنياه طريق الفجور ، وتوعر عليه سبيل الزواج . .]

قال : لما كانت تلك الهدأة ، وسمعنا صوت الشيخ الوقور الخاشع يطلّ علينا من فُرجة الضجيج ، كما يطلّ شعاع البدر من خلال السحاب الداكن في الليلة الداجية ، تبينّاه يدعو الله ، لا كما يدعوه خطباء الجمعة على المنبر ، ذلك الدعاء الرسمي الذي يستحضرون به هيبة الناس أن يمسكوا عليهم لحنة أو حبسة ، وهيبة الحكام أن يبلغهم عنهم أنهم نسوا ذكرهم أو قصروا في تعظيمهم أكثر مما يستحضرون في نفوسهم هيبة الله ، بل دعاء مسلم يعلم أنه يخاطب رب الأرباب ، فلا يعلق أمله إلا به ، ولا يرجو غيره ولا يرهب سواه . وأشهد أن الله قد فتح لدعائه أبواب السماء ، وأنه قد استجاب له لأننا وجدنا أثر الإجابة في رقة قلوبنا ، وما عهدناها ترق ولا تلين ، وفي انصباب دموعنا وغمنا ، وبكائنا على نفوسنا ، وكان إذ يقول (يا ألله) نحس أن قلبه قد خرج من صدره بهذه (الهاء) التي تمشي في الجو مبللة بدموع الخشية ، فتنعش القلوب وتحييها ...

ثم قال الشيخ : لا تقولوا إنه مرقص ، فما المرقص لمن يدعو الله خاشعاً صادقاً وهو يبكي على خطيئته إلا مسجد مبارك ، وما المسجد لمن يدعو بلسانه وقلبه معلق بالشهوات وفكره باحث عن سبل الوبقات إلا ملهى ، وما كان الله لينظر إلى صوركم وأزيائكم وهندسة عماراتكم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم . وكم في الأسواق والقهوات والسينمات من وليّ لله كتب له بإخلاصه حسن الخاتمة ! وكم في التكايا والزوايا من وليّ للشيطان يرائي بالدين ليأكل الدنيا !

ثم تكلم عن الدنيا كلاماً عجيباً ، وساق أحاديث لم أحفظها ، وأخباراً من أخبار الصالحين ، قلبت والله قلوبنا ، والله مقلّب القلوب ، فعظمت في عيوننا ما كنا نحقره قبل ساعة واحدة ، وحقرت ما كنا نبالغ في تعظيمه ، وأرتنا هذه الدنيا صغيرة ، حتى لكأنما هي حقاً جناح بعوضة !

ثم أخذ في الكلام عن (الشهوة الجنسية) ، فحفظت من كلامه شيئاً من هنا وشيئاً من هناك ، لا أستطيع أن آتي به على نَسَق ، فأنا أقدم فيه وأؤخر ، وربما أخللت بمعنى أو أخطأت في لفظ ، فلا تأخذه هو بخلل أو خطأ مني !

وكان مما قال :

إن الله ركب هذه الشهوة في الإنسان ، وجعل لها سراً عجباً من العجب ، وسرّها أنك إذا وضعتها في موضعها ، واتقيت الله فيها ، سكنت واستقرت ، وربحت مع السكينة والاستقرار الصحة في الدنيا والجنة في الآخرة ، وإذا أنت أطلقتها ولم تقيدها بقيد الشرع والخلق ، لم تزل هائشة هائجة كالنار كلما زدتها حطباً زادت للحطب طلباً ، ثم إنك معها كالذي يطلب الماء من السراب لا يزال في عناء وظمأ ، وكلما اشتد طلبه زاد عطشه ونصبه ، والسراب عنه بعيد !

يرى الفاسق المرأة ، فيملأ منها بصره ، فيتبعها قلبه ، فلا يزال يتخيل فيها الفاتن ، ويتوهم في وصالها الملاذ ، حتى يعتقد أن لذائذ الدنيا كلها ومسراتها قد اجتمعت في لقائها ، وأن آلامها كلها في بعدها ، ويجعلها مطلبه من دنياه ، ويجنّ بها جنوناً... فإن هو استطاع الوصول إليها ، وجد اللذة بها (نصف دقيقة) من الزمان ... ووجد أنه لم يشبع منها ، ولم ينل من وصالها ما كان يصور له وهمه ... فيعود إلى التفكير فيها ... وإلى تخيل اللذة بلقائها ... ويتوهم أنه سيحظى هذه المرة بما فاته المرة الأولى ... فإذا عاد إليها عادت إليه خيبة الأمل . ولا يزال هذا دأبه معها حتى يملّها وييأس من أن يجد عندها لذته الموهومة فيتعلق بسواها .. ولو أنه قارب ألف امرأة ، ثم رأى واحدة أخرى ، لعلقها وظن أن طلبته عندها ... فلا يشبع أبداً ... ولا يستريح !

وما هي لذة الوصال ؟ إنها ليست في هذا التقارب الجسمي ، كلا ... إنما هي في اتصال القلوب . وإن عباس بن الأحنف هو

عندى أدق شعراء الدنيا إحساساً بالمرأة، وأعظمهم بالحب معرفة، وأحسنهم لجوع العاطفة تصويراً حين يقول:

أعانقها والنفس بعد مشوقة ... إليها وهل بعد العناق تدانى؟!
وألثم فاها كى تزول حرارتى[1] ... فيشتد ما ألقى من الهيمان
كأن فؤادى ليس يشفى غليله ... سوى أن يرى الروحين يلتقيان

وما يعانقها على الحقيقة فقط، ولكن على المجاز، فما يروى ظمأ نفسه إلى الحب ذلك (العناق)، وأنه يتمنى أن لو قطَّعها عضاً، وأن لو أفناها فيه، حتى عادا شخصاً واحداً... وذلك ما لا يكون!

لا ... ما فى إطلاق الشهوة من راحة ولا شبع، وإن نساء الأرض كلهن لا يُرضينها، وامرأة واحدة بالحلال ترضيها وتشبعها. وهب أن رجلا وسعته أحواله وأمواله أن يمد يده حيث شاء ... أفتسعه صحته؟ هل يحمل جسمه أثقال هواه؟ إنه لا بد أن تجىء ساعة يعجز فيها ويرتد مريضاً وانياً يشتهى (الشىء) ولا يقدر عليه، ويقعد بالحرمان، فلماذا لا يرتد عن الإثم صحيح الدين والجسم والشرف؟ أليس ذلك خيراً له من أن يجمع على نفسه الحرمان والمرض وجهنم؟!

وإن من بديع صنع الله أنه لم يخلق امرأة تشبه فى جمالها الأخرى، فالنساء مختلفات، ولكن طعم المتعة بهن واحد لا يختلف، وما فرق ما بين هذه الراقصة وبين امرأتك إلا أن الأولى تأتيك على جوعك بالرغيف قد لفَّته بمنديل الحرير، ووضعت المنديل فى شملة، وألقت الشملة فى صندوق من الفضة المذهبة، وجعلت حول الصندوق الورق الشفاف، فأنت كلما رفعتْ حجاباً من هذه الحجب اشتد جوعك، وشوَّقك إلى ما وراءها.. فإذا بلغت الرغيف حسبته قد قطف من قمح الجنة، ثم طحنته الملائكة، ثم عجنته بأيديهن الحور العين ... وتلك تأتيك بالمائدة الحافلة مكشوفة ظاهرة... وأنت لا تأكل المنديل ولا الشملة ولا الصندوق، إنما تأكل الرغيف، وأنت لا تريد هذه الثياب ولا هذه الأنوار ... إنما تريد المرأة، ولعل امرأتك أبهى منها وأجمل!

وهب أن هذه أطرى جسماً، وأحلى وجهاً، وأقدر على الفتنة، فمن قال لكم إن الجمال هو هذا؟ إن الجمال هو الإخلاص. إنك ترى أمك جميلة فى عينك، حبيبة إلى قلبك، ولعلّ فى وجهها من تجاعيد الكبر أودية وجبال ... ولعل فمها كالمغارة الخالية... ولعل يديها كمخالب الطير، وترى المرأة التى خانتك وغدرت بك قبيحة بغيضة، وإن كانت فى عين الرائى أجمل النساء ... !

***

إنكم تفتشون عن السعادة، ولكنكم لا تعرفون طريقها، ولا تفكرون بعقولكم فيها. لما ذا تسعد أيها التاجر الذى يملك الآلاف إذا ربحت ألفاً آخر؟ لأنك كنت تطلب هذا الألف وتشتهيه، فجاء يسد مطلبك، ويوافق شهوتك، فمن هنا كانت سعادتك به، ومن هنا ألمك لفقده، على حين أن التلميذ الذى لا يبلغ أقصى أمله أن يمتلك عشرين قرشاً لا يألم إن لم يربح هذا الألف، بل هو لا يفكر فيه، أفليس التلميذ ذو العشرين قرشاً أغنى بها منك يا ذا الآلاف بآلافك؟!

والموسر الغنى الذى يملك عشر عمارات يألم إن عرضت للبيع عمارة أخرى ولم يقدر على شرائها، على حين أن الموظف الصغير الذى يسكن غرفة بالأجرة لا يجد هذا الألم، وينام ملء جفونه فى الليلة التى يتقلب فيها الموسر من الأرق أسفاً على العمارة التى أضاعها، أفليس الموظف بغرفته المأجورة أغنى منك يا صاحب العمارات بعماراتك؟!

والفاسق الذى قارب مائة غانية وراقصة يألم إذا جاءت راقصة جديدة فلم يحظ بقربها، ويبيت الليل مسهداً من أجلها، ويبذل حر ماله وماء وجهه فى سبيلها، وينغص عيشه من بُعدها، على حين أن التقى الذى لم ير فى عمره إلا امرأته، لا يأبه لها ولا يدرى بها، أفليس هذا التقى أسعد بامرأته الواحدة منك يا ذا الخليلات ويا زير الراقصات؟!

إن الحياة النفسية كدفتر التاجر، ليست العبرة بضخامة أرقامه، ولكن بالباقى بعد الجمع والطرح، فالذى يملك مليوناً ويطلب منه مليون، مثل الذى لا يملك شيئاً ولا يطلب منه شىء، والذى نال من دنياه كل لذة ... وهيهات! مثل (الدرويش) السائح فى البرية الذى لا يطلب إلا لقمة يسد بها جوعه وجرعة

---

(١) كذلك أحفظها — وأجد بالذوق أن جملة (كى تزول حرارتى) لم يقلها ابن الأحنف وإنما قال شيئاً آخر بدله الرواة

يبل بها جوفه ، وأرضاً يلقى عليها جنبه ، ومعه رغيفه وركوته ، وله أرض الله الواسعة ... إن هذا هو أسعد السعداء ، لا لأنه نال من الدنيا كل شيء ، بل لأنه حقرها عن أن يطلب منها شيئاً . فمن قنع أسعده الأقل الأقل ، ومن طمع لم يسعده شيء مهما جل ، لأن النفس تطمح إلى اللذة ، فإن وصلت إليها ، أبطلت الألفة اللذة فتطلب غيرها ... إنك أيها الفقير تسعد لو ركبت يوماً سيارة الغنى ، ولكن الغنى ذا السيارة لا يحس هذه السعادة بها . إنها عنده كالترام عندك ، بل ربما كان الترام أمتع لك ، بل ربما اشتهى هو أن يركب الترام ، كما يشتهى المترف صاحب المائدة الملوكية أكلة فول على التراب !

إن الله (جلَّت ودقَّت حكمته) لم يجعل السعادة فى مال ولا نشب ولا متعة ، ولكنه جعلها صلة خفية بين الأشياء وصاحبها ، فلا تأخذوا الأمور على ظواهرها ، فإن المريض الزَّمن لو حمل من الألم ما تظنه أنت حامله ما عاش ، والغنى لو نال من اللذة ما تحسب أنه نائله ما وسعته الدنيا ، ولكن العادة تبطل اللذة والألم ، وتهوّن السجن على السجين ، والحرب على المحارب ، وتجعل الخليفة الذى كان فى قصره عشرة آلاف غادة من جميلات الأرض حشرن إليه حشراً ، مثل الذى فى بيته امرأة واحدة !

إنما اللذة التى لا تفنى ولا تنقص لذة القلب ، لذة التأمل ، لذة المتعبد فى هدأة الليل ، والمناجى ربه فى الأسحار ... ومن هنا قالت طائفة الصوفية : « لو ذاق الملوك ما نحن فيه لقاتلونا عليه بالسيوف » ... إى والله وبالمدافع والرشاشات !

ذلك هو النعيم المقيم ، ولكن ذلك شيء لا يفسر ولا يعرّف:

لا يعرف العشق إلا من يكابده ولا الصبابة إلا من يعانيها

إنها تمر على المتعبد ساعات فى كل لحظة منها لذة تفضل لذة (الوصال) كما تفضل الشمس الشمعة ، والبحر الساقية ، ومن ذاقها عرف معنى قوله صلى الله عليه وسلم : « حبِّب إلىَّ من دنياكم ثلاث : الطيب ، والنساء ، وجعلت قرة عينى فى الصلاة » ليس معناه أن نبينا مولع بالنساء — كما فهم دوابّ المستشرقين — ولكن سر المعنى فى قرن الطيب والنساء ، وهما من لذات كل نفس بشرية ، ثم فى رفعها عنهما ، للدلالة على أن الصلاة لذة ومتعة ولكنها أسمى وأعلى ...

إن مردّ ما تجدون من غرام الشهوة وشدتها إلى أمرين : حب الغلبة ، والتطلع إلى المجهول . يسمع أحدكم أن فلاناً من الفساق قد صنع كذا من الآثام ، فيتصور ما نال بإثمه من اللذائذ ، فيمتد أمله إلى تذوّق مثله لعلّ فيه لذة جديدة ، وتأبى عليه غريزة المكافحة والتغلب أن يبقى محروماً مما نال فلان هذا ... ولو هو فكر ، لعلم أنما اشترى فلان لنفسه الحرمان من لذة أنق وأبقى هى لذة الآخرة ، ولسكت عنه الإغراء وذهب الألم ، وما يألم لفقد المعصية إلا من جعلها أكبر همه ، وترك لنفسه الحبل على الغارب ، فأطلقت الجوارحَ كلها فى شهوتها : فالعين تنظر العورات ، والأذن تسمع أحاديث الموبقات ، والذهن يحفظ هذه الصور والذكريات ، والخيال يوشيها ويزينها بالمبالغات ... فلا ينتبه الشاب إلا والسمّ قد مشى فى جسده من تلك النظرة ، وإذا هو قد نسى الدين والخلق ومطالب الوطن ، ولم يبق له فى الدنيا عمل إلا ابتغاء الوسائل إلى لذته تلك ، فهى فى فكره يقظان ، وفى أحلامه نائماً ، وعلى لسانه متحدثاً ، وهى دينه إن كان متديناً ، ودرسه إن كان طالباً أو معلماً ، وشغله إن كان موظفاً ... ولذلك أمر الله بغض البصر ، وقال عليه الصلاة والسلام : « لك الأولى وعليك الثانية » ! ووصفت النظرة بأنها سهم صائب من سهام إبليس :

كل المصائب مبداها من النظر ومعظم النار من مستصغر الشرر

* * *

يا أيها الناس ، لقد عشتم من عمركم سنين ، وعصيتم الله وأطعتموه ، فانظروا الآن ما ذا بقى من ذلك فى أيديكم ؟ أين لذة المعصية ؟ لقد ولت وخلّفت سواداً فى صحائفكم ! أين تعب الطاعة ؟ لقد ذهب وترك حسنات كتبت لكم ! أفما تتمنون الآن لو أنكم ما عصيتم الله قط ؟ ! بل تخيلوا أنكم فى ساعة الموت ... هل من الموت بد ؟ ! فما ذا تنفع من يعالج سكرات الموت كل لذة كان قد نالها بجنب تلك الآلام ؟ ! ثم تصوروا موقفكم بين يدى جبار السموات والأرض ، وقد ذلّ الأعزة بالإثم ، وسيق المتكبرون إلى العرض على الله حفاة عراة ، ونادى المنادى من جانب العرش : لمن الملك اليوم ؟ ! وأجاب المجيب : لله الواحد القهار ! ! وكان الامتحان الأعظم ، ونودى

« مرآة نفسي »

ديوان للدكتور عبد الرحمن بدوي

للأســتاذ سيد قطب

١ — من نشيد البعث الوطني

ثورةٌ !

ثورةٌ !

ثورةٌ ! أماه شبت من بعيد   انظريها ! إنها البعث الجديد

هبّ وادي النيل شعباً واحدا

طارحا نيراً ثقيــلا راقدا

يطلب اســتقلال مصر خالدا

هبّ يحيي مجد فرعون القديم   ينشر الآمال والنور العظيم

من مصب النيل حتى   خط عرض الاستواء

ومن القلزم حتى   مممان الصحراء

صلصل الناقوس ! هيا يا شباب   هيىء المركب واخر في العباب

في نضــال   مســتحر

وبقلب ...   مستقــر

وبعــزم   مســتمر

صــارع الأنواء حتى تبلغا   شاطىء المجد العظيم المبتغى

من مصب النيل حتى   خط عرض الاستواء

ومن القلزم حتى   مممان الصحراء

ودّعى أماه ليثــا كاسراً   واطلبي لي العود حراً ظافرا

واذ كري — إن جاء نعيي من منادى

أنني قد مت من أجــل بلادي

ميتة الأبطال في سوح الجهــاد

فابشري ، أماه ، حقا فالمنون   في سبيل الأرض حظ الخالدين

من مصب النيل حتى   خط عرض الاستواء

ومن القلزم حتى   مممان الصحراء

٢ — من تحية العلم

رفرفت في الجو طيات العلم   فانهضوا حيوه عنوان البلاد

رمزنا ! في طيه مجد الوطن   وثناياه أسارير البدن

وسجل الفخر في كر الزمن   ولعرش المجد والعليا عماد

إنه الروح لأبدان الأمم

من صميم القلب نهديك السلاما   ودواماً ما به تعلو مقاما

بأسماء الناجحين ... ففتحت لهم أبواب الجنــة ... وبأسماء (الراسبين) ... ففضحوا على رؤوس الخلائق ، وقذفوا في النار فرسبوا فيها ... ! أين يومئذ تلك اللذائذ ؟ ! أين متعة العين بهذه الراقصة ؟ ! أين لذة الجوارح بوصالها ؟ ! أين جمالها وفتنتها والصديد يسيل منها ؟ ! !

يا ناس ! ! إن لهذا الكون إلهاً . إن في الكون عدلا . إن من زنى زُني به ولو بجدار داره[1] ، أفمــا لكم بنات ؟ ! أما لكم أخوات ؟ ! ... فعفوا تعف نساؤكم[2] ، إنكم لا تدرون ما ذا يكون في غد ، ولعل ابنة أحدكم تقوم هذا المقام ، فأشفقوا على هذه المسكينة ، فإن لها أباً وأماً .. إنها ما جاءت من جذع شجرة ! !

قال صديقي : لمــا بلغ الشيخ من كلامه هذا المبلغ ، سالت دموعنا رحمة للراقصة ، وإشفاقاً عليها ، وصرنا ننظر إليها كما ينظر أحدنا إلى ابنته يسعى ليسترها ويحميها ، بعد أن كنا لا ننظر إليها إلا لنقطف زهرتها وندويها ... ولقد وفق الله بعد ذلك ، فأخرجنا المسكينة من هذه الحمأة ، وزوجناها برجل صالح ، فهي الآن ربة بيت وأم أولاد ! !

قال : حتى صاحب المرقص صار يتردد على الشيخ ، وأحسبه سيغلق مرقصه اليوم أو غداً ، ويجد لنفسه عملا شريفاً ! !

هذه هي قصة الشيخ في المرقص ! فيا ليت كل مرقص يدخله (شيخ) ! ويا ليت (شيخاً) يدخل وزارة المعارف ! !

(دمشق)   علي الطنطاوي

(١) حديث .   (٢) حديث.

نعملنْ عن طيب نفس ، وإذاما رمت من أجلك إشمال الجهاد
فلك الأنفس تفدى ياعلم

٣ — من ملحمة دنشواى

وموسيقاك « بوتربا » أعدّى « وملبومين » فيضي بالمآسى
أعيدا هـذه المـأساة لفظاً وقد كانت عيانا للأناسى
فنى الذكرى اتماظ وانتباه وزلزلة تلاعب بالرواسى
بريشكما سويا صـــوراها بصبغ الزهر : ثالوث وآس
ولون البـدر يعلوه شحوب لما يرنوه من حزن الأنامى

أقرية « دنشواى » تسام هذا أفردوس الطهارة قد تضام ؟
أينبوع الفضـــائل والأمانى يلوث ماءه العـذب القتام ؟
وأيم الله كدت أطـير شـكا من الدنيا وما يبلو الأنام
فأضحى زورقى فى اليم يسرى شريداً قد تحـــير لا ينام
تجاذبه الرياح من النواصى ومن أقصى زوابعها يسـام

٤ — من نشيد الشهداء

لا تئنوا ، لا تعنوا ، لا تضنوا
بالجهاد للبـــلاد
نعم الاستشهاد
كل هم ، كل غم ، كل دم
لا يراق بانطـلاق
يفسـد الجهاد
الضريح ، يستريح ، والجريح
إن رواه من دماه
كان نعم الدار
والضريح ، لا يريح ، الطريح
إن سكنا واستكنا
صار ويل النار

***

القداسة ... بالحماسة ، والنجاسة
بالسكون والركون
بئس الاستســلام

***

كل فيض بعد غيض ، كل روض
بعد حزن بعد حزن
فاتركوا الأحلام

***

يا شباب الذئاب بالغـــلاب
والفـداء والدماء
تترك الأوطان

***

الجـــلاء لابفاء بالرجاء
بل بقهر ثم نصر
ثابت الأركان

٥ — مهر رؤيا مَلاك

ياملاكى ! طار بالروح إلى ملكوت الرب منطاد الخيال
فرأت فيها تخطى زحـــلا منظراً قد فاض تيها بالجلال

***

يتجلى فى الفراغ اللا نهائى جمع أجـــرام تغنى وتدور
ترسل الألحان من سحر الغناء فيسود السحر فى كل الأثير

***

كل جرم خلف جرم يتغنى كفراش حول مصباح يحوم
أو زنابير تجاه السقف تفنى فى حديث مستفيض وتهيم

٦ — مناجاة

ســألت لبى : إلام حبى فقال قلبى : مدى البقاء
بذلت جهدى ، فصنت عهدى وعشت وحدى على الشقاء

***

حطمت روحى ، وهجت لوحى فلا تبوحى ، بذا الغـــرام
جلوت شوقا ، وكان برقا أكان حقا ، فما المـــرام

***

سألت سمى ، منال لوى فـكان دمى ، لك الجواب
رميت نفسى ، بقاع يأسى فصرت أرسى ، على تباب

***

طنى ســـقامى ، على كلامى وما ملامى ، ســوى ابتهال

بأسماء الناجحين ... ففتحت لهم أبواب الجنـة ... وبأسماء (الراسبين) ... ففضحوا على رؤوس الخلائق ، وقذفوا فى النار فرسبوا فيها ... ! أين يومئذ تلك اللذائذ ؟ ! أين متعة العين بهذه الراقصة ؟ ! أين لذة الجوارح بوصالها ؟ ! أين جمالها وفتنتها والصديد يسيل منها ؟ ! !

يا ناس ! ! إن لهذا الكون إلهاً . إن فى الكون عدلا . إن من زَنَى زُنِى به ولو بجدار داره[1] ، أفما لكم بنات ؟ ! أما لكم أخوات ؟ ! ... فعفوا تعف نساؤكم[2] ، إنكم لا تدرون ما ذا يكون فى غد ، ولعل ابنة أحدكم تقوم هذا المقام ، فأشفقوا على هذه المسكينة ، فإن لها أباً وأماً .. إنها ما جاءت من جذع شجرة ! !

قال صديقى : لما بلغ الشيخ من كلامه هذا المبلغ ، سالت دموعنا رحمة للراقصة ، وإشفاقاً عليها ، وصرنا ننظر إليها كما ينظر أحدنا إلى ابنته يسعى ليسترها ويحميها ، بعد أن كنا لا ننظر إليها إلا لنقطف زهرتها وندويها ... ولقد وفق الله بعد ذلك ، فأخرجنا المسكينة من هذه الحمأة ، وزوجناها برجل صالح ، فهى الآن ربة بيت وأم أولاد ! !

قال : حتى صاحب المرقص صار يتردد على الشيخ ، وأحسبه سيغلق مرقصه اليوم أو غداً ، ويجد لنفسه عملا شريفاً ! !

هذه هى قصة الشيخ فى المرقص ! فيا ليت كل مرقص يدخله (شيخ) ! ويا ليت (شيخاً) يدخل وزارة المعارف ! !

(دمشق) **على الطنطاوى**

(١) حديث . (٢) حديث.

« مرآة نفسى »

ديوان للدكتور عبد الرحمن بدوى

للأستاذ سيد قطب

١ — من نشيد البعث الوطنى

ثورةٌ !
ثورةٌ !
ثورةٌ ! أماه شبت من بعيد   انظريها ! إنها البعث الجديد
هبَّ وادى النيل شعباً واحدا
طارحا نيراً ثقيلا راقدا
يطلب استقلال مصر خالدا
هبَّ يحيى مجد فرعون القديم   ينشر الآمال والنور العظيم
من مصب النيل حتى   خط عرض الاستواء
ومن القلزم حتى   مهمهمان الصحراء

صلصل الناقوس ! هيا ياشباب   هيىء المركب واخر فى العباب
فى نضال   مستحر
وبقلب ...   مستقر
وبعزم   مستمر
صارع الأنواء حتى تبلغا   شاطىء المجد العظيم المبتغى
من مصب النيل حتى   خط عرض الاستواء
ومن القلزم حتى   مهمهمان الصحراء

ودّعى أماه ليثا كاسراً   واطلبى لى العود حراً ظافرا
واذكرى — إن جاء نعيى من منادى
أننى قد مت من أجل بلادى
ميتة الأبطال فى سوح الجهاد
فابشرى ، أماه ، حقا فالمنون   فى سبيل الأرض حظ الخالدين
من مصب النيل حتى   خط عرض الاستواء
ومن القلزم حتى   مهمهمان الصحراء

٢ — من تحية العلم

رفرفت فى الجو طيات العلم   فانهضوا حيوه عنوان البلاد
رمزنا ! فى طيه مجد الوطن   وثناياه أسارير البدن
وسجل الفخر فى كر الزمن   ولعرش المجد والعليا عماد
إنه الروح لأبدان الأمم
من صميم القلب نهديك السلاما   ودواماً ما به تعلو مقاما

نعملنْ عن طيب نفس ، وإذاما رمت من أجلك إشمال الجهاد
فلك الأنفس تفدى ياعلم

٣ — من ملحمة دنشواى

وموسيقاك « يوتربا » أعدّى « وملبومين » فيضى بالمآسى
أعيدا هـذه المـأساة لفظاً وقد كانت عياناً للأناسى
ففى الذكرى انعاظ وانتباه وزلزلة تلاعب بالرواسى
بريشكما سويا صــوراها بصبغ الزهر : ثالوث وآس
ولون البـدر يعلوه شحوب لما رنوه من حزن الأنامى

أقرية « دنشواى » تسام هذا أفردوس الطهارة قد تضام ؟
أينبوع الفضـــائل والأمانى يلوث ماءه العـذب القتام ؟
وأيم الله كدت أطير شكا من الدنيا وما يبلو الأنام
فأضحى زورقى فى اليم يسرى شريداً قد تحـير لا ينام
تجاذبه الرياح من النواصى ومن أقصى زوابعها يسام

٤ — من نشيد الشهداء

لا تئنوا ، لا تمنوا ، لا تضنوا
بالجهاد للبـــلاد
نعم الاستشهاد
كل هم ، كل غم ، كل دم
لا يراق بانطـلاق
يفسـد الجهاد
الضريحْ ، يستريح ، والجريح
إن رواه من دماه
كان نعم الدار
والضريح ، لا يريح ، ألطريح
إن سكنا واستكنا
صار ويل النار

***

القدامة … بالحماسة ، والنجاسة
بالسكون والركون
بئس الاستسـلام

***

كل فيض بعد غيض ، كالروض
بعد حزن بعد مزن
فاتركوا الأحلام

***

يا شباب الذئاب بالغــلاب
والفـداء والدماء
تترك الأوطان

***

الجـــلاء لايفاء بالرجاء
بل بقهر ثم نصر
ثابت الأركان

٥ — من رؤيا ملاك

ياملاكى ! طار بالروح إلى ملكوت الرب منطاد الخيال
فرأت فيما تخطى زحـــلا منظراً قد فاض تيها بالجلال

***

يتجلى فى الفراغ اللا نهائى جمع أجـــرام تغنى وتدور
ترسل الألحان من سحر الغناء فيـود السحر فى كل الأثير

***

كل جرم خلف جرم يتغنى كفراش حول مصباح يحوم
أو زنابير تجاه السقف تغنى فى حديث مستفيض وتهيم

٦ — مناجاة

ســألت لبى : إلام حبى فقال قلبى : مدى البقاء
بذلت جهدى ، فصنت عهدى وعشت وحدى على الشـقاء

***

حطمت روحى ، وهجت لوحى فلا تبوحى ، بذا الغــرام
جلوت شوقا ، وكان برقا أكان حقا ، فما المــرام

***

سألت سمى ، منال لومى فـكان دمى ، لك الجواب
رميت نفسى ، بقاع يأسى فصرت أرمى ، على تباب

***

طنى ســـقامى ، على كلامى وما ملامى ، ســوى ابتهال

٢٦ ، ٤٤ ***

غدوت معنى ، أشـاع لحنا وحل مبنى ، من الخيـال

☆☆☆

هفا حنينا ، فرد حينـــا فصار دينا ، له الصـــلاة
فأنت ربى ، سكنت قلبى بفضـل حبى ، مدى الحياة

***

أقسم بالله العظيم ، أن هذا الذى مر بك — أيها القارىء — هو من عمل الدكتور عبد الرحمن بدوى ، نشره بتوقيعه فى كتاب مطبوع بمطبعة الاعتماد سنة ١٩٤٦ تحت عنوان مرآة نفسى ديوان شعر . تأليف عبد الرحمن بدوى » وأننى لم أكن كاذبا ولا مدعيا ولا مزوراً ، ولم أدس شيئا على « الشاعر » لم يثبته فى ديوانه ؛ وأننى لم أقصد إلى « القذف فى حقه » ولا « التشهير به » بنسبة هذا الكلام إليه !!!

ولقد هممت أن أثبت هـذه النصوص « بالزنكوغراف » لتكون شاهدى إذا خطر للنيابة العامة أن تقدمنى إلى المحاكمة بتهمة « القذف » فى حق الدكتور بدوى . وتعريفها : « نسبة أشيـاء إلى شخص بحيث لو صحت لأوجبت احتقاره بين أهل وطنه » !

ولست أتعمد الإساءة إلى هذا الشاب الذى نشر هذا الكلام بل الحق أننى قد أكون شديد الإعجاب — إلى حد الدهش — بجرأته الخارقة !

إنه مدهش !

مدهش أن ترتفع جرأته النادرة إلى حد أن يواجه الناس بهذا الكلام ، وينشره فى ديوان ، ثم لا يقدمه إليهم فى تواضع ويدع لهم أن يقبلوه أو يرفضوه ، بل يطلع عليهم به فى ادعاء عريض ويقدمه إليهم بإعلانات غريبة عن العبقرية والآفاق الجديدة التى لم تخطر لهم ببال!

كل هذه الفهاهة فى التفكير والتعبير ؛ وكل هذه الركة فى النظم والأداء ؛ وكل هذه الأخطاء اللغوية ... وكل هذه البراءة من الحساسية الموسيقية والذوق التعبيرى ؛ وكل هذه التفاهة الصبيانية فى الحس والتصور ... وكل هذا الإعياء حتى فى النظم اللفظى ...

كل هذا ... وينشر سنة ١٩٤٦ لا سنة ١٨٢٠ أيام كانت هذه لغة « الوقائع المصرية » ولغة جماعة من الأرمن المستعربين !

إنها جرأة تستحق الإعجاب بكل تأكيد !

ولفت نظرى فى القصيدة الأخيرة « مناجاة » أنه يقول عنها « وهذا ضرب جديد من النظم . وفيه كل بيت مقسم ثلاثة أقسام مقفاة بقافية واحدة »

لفت نظرى هذا ؛ لأن هذا الضرب قديم يعرفه كل من قرأ شعراً قديماً ... ثم لقد نظم منه « الغول » الذى نعرفه جميعا فى « حواديت » العجائز .

فالدكتور عبد الرحمن بدوى يقول :

طنى سقامى ، على كلامى وما ملامى ، سوى ابتهال .

والغول يقول :

لولاش سلامك ، سبق كلامك لكلت لحمك ، قبل عظامك!

مع فارق صغير فى ترتيب المقاطع بين « شعر » الدكتور بدوى و « شعر » الغول !

ولقد كنت أقرأ بعض ما ترجمه الدكتور عبد الرحمن بدوى من الشعر الغربى فأحس هذه الفهاهة وهذه الركة ، فأقول : لعله اضطراب فهمه للنصوص وعدم قدرته على التعبير عنها تبعا لهذا الاضطراب ...

فلما قرأت « مرآة نفسه » عرفت السبب وتبينت العلة . ورثيت للمساكين الذين مروا بهذه المرآة حين ترجم لهم هذا الشاب العجيب !

ولقد علمت أن سائلا سأل ناشر هذه الكتب : من الذى يقرأ كتب الدكتور بدوى ؟ فكان جوابه : إنها تقرأ فى العراق ... !

وإننى لأسأل بدورى : ترى هـذا الديوان كذلك قد طبع للعراق ... ؟

ومعذرة لإخواننا العراقيين . فناقل الكفر ليس بكافر ... وفى وسعهم أن يدافعوا عن أنفسهم ضد هذا الاتهام !

***

وبعد فمعذرة للقراء ! إنهم لم يعهدونى أكتب بهذه اللهجة عن أحد ولا عن عمل أدبى كذلك .

ولكننى هنا لا أكتب نقداً ، ولم أقصد إلى شىء من ذلك

العصبية المعهدية

للأستاذ عبد الحميد يونس

في هذا الوقت الذي تلغى فيه الحدود الجغرافية نفسها على عتوها وجبروتها، وتتقارب الجماعات البشرية التي طال اصطراعها حتى أصبح التاريخ الإنساني كله عبارة عن سرد متصل لمشاهد حروبها وأهوال أيامها؛ بل وفي هذا الوقت الذي تغلب فيه الدعوة إلى العدالة الاجتماعية سائر الدعوات فتعمل على محو الفروق بين الطبقات، أو على التقريب فيما بينها على الأقل؛ أقول في هذا الوقت تقوى في مصر عصبية خطيرة تخلق طبقات جديدة وتنشر الإحن والأحقاد في نفوس الأفراد والجماعات

ومن عجب أن هذه العصبية تفرق أولا وقبل كل شيء بين المتعلمين وغير المتعلمين على الرغم من أن المصادفة وحدها جعلت المتعلم متعلماً والجاهل جاهلا، وكان الأحجى أن يتقارب الإثنان ويأخذ الفاقد من الواجد، ولا أقول يعطى الواجد الفاقد

وفرقت هذه العصبية كذلك بين المتعلمين أنفسهم، فجعلتهم طبقات، واخترعت لهذه التفرقة مراحل وأقساماً، فهؤلاء هم أهل الطبقة الأولى، وهؤلاء أهل الطبقة الثانية، وأولئك أهل الطبقة الثالثة ... وهكذا

ولم تكتف هذه العصبية الوبيلة بذلك، بل راحت تفرق الطبقة الواحدة شيعاً وأحزاباً لا تتعاون فيما بينها، لأن الأحقاد والإحن هي أساس وجودها والباعث على بقائها واطراد نموها.

تُرى ما هذه العصبية الحمقاء التي صورتها بهذه الصورة المنكرة؟ هذه العصبية هي التي سميتها «العصبية المعهدية»، ولطالما نبهت إليها وحذرت منها، فلم يأبه للتنبيه والتحذير أحد، لأن الكل متهم بها، منتفع من وجودها، وعامل على إذ كائها.

***

هذه «العصبية المعهدية» هي السر فيما تسمعه كل يوم من أن طائفة بعينها، أو قسما بعينه يريد أن يسوى بينه وبين طائفة أخرى وقسم آخر في بعض المزايا والحقوق؛ أو أن أبناء معهد بعينه ينكرون على أبناء معهد آخر ما يضطلعون به من جهد وما يقومون به من عمل، وكأنما العلم بضاعة يحتكرها أولئك دون هؤلاء، والقوامون على مرافق هذه الأمة يساعدون أحياناً، عامدين أو غير عامدين، على تقوية هذه العصبية بتفضيل طائفة من المتعلمين على غيرها، أو معهد من معاهد التعليم على غيره، وفيهم من تأخذه عنجهية هذه العصبية إلى أبعد مدى، فيحتكر العلم أو التعليم لأبناء طائفته أو معهده

ولعل من المضحكات أو المبكيات ما روى من أن مصلحة من مصالح الحكومة أرادت أن تتحرى العدالة في اختيار موظفيها لتبرأ من المحسوبية المتفشية في الدواوين وغير الدواوين، فعقدت امتحان مسابقة تختبر به كفايات المتقدمين ومقدار صلاحيتهم للأعمال التي ستناط بهم وتوكل إليهم، ولم يكن العمل يتطلب تخصصاً ضيقاً، وتقدم إلى هذا الامتحان جمع من معاهد شتى، وانقضت أيام وأعلنت النتيجة، فإذا الأول من معهد، والثاني والثالث والرابع من معهد آخر، فاختار مدير المصلحة الثلاثة دون الأول، لأنهم من المعهد الذي تخرج فيه، فهم لذلك دون غيره أصلح للعمل معه!

ولا تظنن أن هذا المثال الفريد في بابه، فكثير مثله يجرى كل يوم في كل مصلحة وفي كل عمل، يُختار المتعلم من هذا المعهد دون سواه، لأن رؤساءه منه، أو لأنه ينتمي إلى طائفة قد أصبحت طبقة يجب أن يعمل حسابها ولا يستغضب أبناؤها،

ولم أكن لأملك أن أكتب بأسلوب الناقد الجاد ... إن مجرد الحديث في لغة الجد والنقد عن مثل هذه «المساخر» لهو احتقار للشعر والأدب والنقد، واحتقار للصحيفة التي أكتب فيها، وللناس الذين أكتب لهم.

هذه «عملة» لا يجوز أن تمر. فهي استهتار يتجاوز حدود الجرأة، ولا بد أن يوضع حد لهذه «المساخر» بأية طريقة

وإذا كان القانون لا يملك — مع الأسف — أن يعاقب على مثل هذا الاستهتار فيجب أن يرد الناس عن أنفسهم هذا الاحتقار. فما يجرؤ إنسان على نشر مثل هذا الكلام بمثل هذا الادعاء إلا أن يحتقر نفسه أو يحتقر القراء.

سيد قطب

ولسنا نبالغ فى تجسيم هذه العصبية المعهدية وبيان أثرها مبالغة المتعصبين المعهديين فى امتداح أنفسهم وطوائفهم ومعاهدهم ، والحط من قدر الآخرين وطوائفهم ومعاهدهم ، وذكر العنت الذى يقع عليهم دون سائر الناس

ألم يبلغك الخلاف الذى قام بين خريجى المعلمين العليا ومعهد التربية ، والانتصاف لهؤلاء مرة ، ولأولئك أخرى ، لأن مقاليد الأمور كانت فى يد هؤلاء مرة وأولئك مرة أخرى ؟ !

ألم يبلغك الخلاف الذى قام قبل ذلك بين هؤلاء المعلمين وبين الجامعيين والذى لا تزال له آثاره حتى اليوم ؟

ألم يبلغك الخلاف الذى قام بين بعض الجامعيين وأبناء دار العلوم ، وما له من أثر وبيل إلى يومنا هذا ؟ ! ،

ألم تقرأ عن هذه الحرب الشعواء بين أبناء الأزهر وأبناء دار العلوم ، والتى اتخذت لنفسها صوراً وأشكالا لم يكن الشعب المصرى يألفها من قبل ؟

اختر لنفسك أى مدرسة من مدارس هذا القطر من الأسكندرية إلى أسوان للبنين كانت أو للبنات ، واختبر حالة المعلمين والمعلمات ، فسيأخذك الدهش من كل جانب لأنك ترى هؤلاء الذين يعيشون للعلم وللتعليم أحزاباً متنافرة ، لا لشىء إلا لأن كل فريق من معهد ، وقد أدت سياسة الارتجال وأنصاف الحلول والإصلاح المؤقت واسترضاء الطوائف إلى أن يتخرج المعلمون فى المدرسة الواحدة من أكثر من خمس معاهد لا يدعو التخصص وحده إلى هذا التفريق فيما بينها ، فأنت واجد مدرسى اللغة العربية المتخرجين فى الأزهر ودار العلوم وكلية الآداب ، وأنت واجد فى المدرسة نفسها أبناء معهد التربية العالى والابتدائى معاً ، إلى جانب خريجى المعلمين العليا ، وهم جميعاً يدرسون مجموعة واحدة من المواد . وكذلك الحال فى مدارس البنات ، فخريجات السنية والمعاهد الإضافية إلى جانب الجامعيات وخريجات معهد التربية الابتدائى ، وهكذا ... ولكل فريق من هؤلاء رؤساء يذكون فى عصبيته ويساعدونه فى وجوده وارتقائه

***

وأفرخت هذه العصبية عصبيات أخرى من نوعها وإن كانت أصغر وأقل شأناً ، فإن المعهد الواحد قد ألزمه قانون تقسيم العمل والتخصص إلى أن يفرق طلابه على الأقسام ونشأت « عصبيات قسمية » ، إذا صح هـذا التعبير ، ورأينا هؤلاء الطلاب إذا تخرجوا ، ألفوا ما يشبه النقابات تضم أبناء قسمهم ، بل ورأينا أنه إذا ابتسم الحظ لواحد منهم وجعله من أصحاب الحل والعقد فى ناحية من النواحى ، ضاقت نفسه بأبناء غير قسمه ، وإن كانوا من معهده ، ورأينا أكثر من ذلك أن رجال العلم والتعليم فى هذا المعهد أو ذاك ، قد يضطرهم قانون التعاون إلى أن يجتمع بعضهم وهم من أقسام شتى للقيام بعمل علمى أو اختبار طالبات أوطلاب فينتصر كل إلى قسمه وأبنائه ، وإن كان ذلك يحيف على العدالة الواجبة فى كل شىء وفى العلم ومعاهده بنوع خاص

نعم ، إن هذه الهيئات والجماعات قد تكون لها وظيفة نقابية فتدافع عن مصالح أبناء المهنة الواحدة ، وتحافظ لهم على حقوقهم ، وتستغل الفرد لمصلحة الجماعة كلها ، وتجند الجماعة لمصلحة الفرد من أبنائها ؛ ولكن مارأيك فى أن المهنة الواحدة تتوزعها نقابات مختلفة ، وتتنازعها اتحادات شتى ، تتسمى كل واحدة منها باسم « معهد » ، أو حتى قسم من معهد ، فأنت تجد اتحاد خريجى الجامعة ، وتجد اتحاد خريجى كلية الآداب ، بل واتحاد خريجى قسم اللغة الإنجليزية ، بل إن جماعة المعهد الواحد تنقسم بدورها إلى شعب ، من ذلك أن لخريجى دار العلوم أكثر من ناد واحد فى مدينة القاهرة وحدها

***

وهـذه العصبيات تؤرق الحكام وتضنيهم ، وقد أزعجت الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر ، وأزعجت وزير المعارف ، وأزعجت وزير المالية ووزير الداخلية وسائر الوزراء ، واضطرت أولى الأمر إلى إقفال هـذا المعهد أو ذاك أمداً ليس بالقليل ، والتلويح بالوعود لهؤلاء ، والنذر لأولئك ، فيرضى قوم ويغضب آخرون ، وتبقى العصبية المعهدية على حالها تنخر فى عظام هذا المجتمع الناشئ المتطلع وتفسد ما بين المتعلمين ، وكان الأحجى بهم وبرؤسائهم أن يجتمعوا على مكافحة الفقر والجهل والمرض ، وهم الذين أدبتهم الأمة للاضطلاع بهذه المهمة ، لا لأن يحارب بعضهم بعضاً

والعلاج الوحيد لهذه العصبية المنكودة هو أن نأخذ النشء

من أساسه ونحته من جذوره ، فنوحد بين سبل التعليم العام أولا ، فلا تكون هناك مدارس أولية وأخرى ابتدائية تؤدى هـذه وتلك إلى غيرها بنظام الحلقات المتداخلة فى التعليم الذى يدرج عليه نظامنا الواهن السقيم ، وأن تتوحد فرصة هذا التعليم العـام المشترك لجميع المصريين ، فلا يستطيعه الواجدون دون الفاقدين ، ولا أبناء الحضر دون أبناء الريف ، ولا المسلمون دون النصارى كما هو الشأن فى بعض معاهدنا المتسمة بسمة القرون الوسطى إلى اليوم

أما التعليم العالى وما فيه من تخصص واستعداد مهنى فيجب أن يكون فى كليات جامعة واحدة ، لا فى معاهد مستقلة برأسها ، والمتخرجون فى هذه الكليات يجب أن يكونوا فى نظر الدولة سواء ، فلا ينظر رجال البوليس فى شىء من الحسد إلى رجال الجيش ، ولا يطلب المهندسون المسـاواة بالقضاة ، والمدرسون المساواة بأولئك وهؤلاء ، وتختفى هذه الشكايات التى تملأ أعمدة الصحف ، وتبرأ النفوس من الحقد والجشع ، ولا نسمع أن طبيباً أهان وكيل نيابة ، أو أن طلبة الأزهر تماسكوا مع طلبة دار العلوم

عبد الحميد يونس

عضو لجنة ترجمة دائرة المعارف الاسلامية

شعـــراؤنا المؤرخون

كيف نرتب دواوينهم ونقرؤها

للاستاذ محمود عزت عرفة

قد يستسيغ قارئ الأدب منا أن يطالع شعر ابن أبى ربيعة مثلا فى غير ما ترتيب ولا تبويب — كما هو الشأن فى ديوانه المطبوع — فلا يفرق بين أوائل شعره وأواخره ؛ ولا يتدرج فى المطالعة من شعر صباه وشبابه ، إلى شعر رجولته واكتهاله ، ثم إلى شعره وهو يدب هوناً إلى الثمانين ...

قد نستسيغ ذلك لأن ابن أبى ربيعة وأمثاله من الشعراء العاطفيين لا يصدرون فى أقوالهم إلا عن بواعث نفسية وموحيات خاصة ، لا ترتبط عند القارئ ، ولا عند الشاعر فى أكثر الأحايين ، بزمان محدد أو مكان معلوم .

ولـكن الشأن يختلف فى ذلك كثيراً مع شعرائنا الاجتماعيين من أمثال المتنبى والنوامى والبحترى وأبى تمام والشريف ومهيار والسرى وصردر ؛ أولئك الذين سجلوا فى شعرهم صوراً كاملة من أحداث عصورهم ، وجروا فى حلبة التاريخ أشواطاً تختلف طولا وقصراً باختلاف سنى أعمارهم . فارتبط شعرهم بحوادث تاريخية مشهورة ، محدود زمانها ومكانها ؛ وتجلت من أجل ذلك أهمية الترتيب والتبويب فى مطالعة إنتاجهم ، ترتيباً وتبويباً ليس منهما فى شىء مراعاة أبجدية القوافى ، ولا الاكتفاء بملاحظة أغراض الشعر المختلفة ، كما هو الشأن فى معظم الدواوين المطبوعة اليوم ، وفى أصولها المخطوطة من قديم .

ولنضرب هنا المثل بشاعر كالبحترى ؛ فهو قد ولد فى أوائل عهد المأمون ، وتوفى — عام ٢٨٤ هـ — فى خلافة المعتضد . وبذا يكون قد عاصر عشرة من خلفاء بنى العباس اتصل بستة منهم اتصالا وثيقاً ، هم على ترتيب عهودهم : المتوكل والمنتصر والمستعين والمعتز والمهتدى والمعتمد ؛ وله فى كل منهم مدائح أو أهاج[1] تكشف عن مدى اتصاله بالحياة السياسية على عهده وانغماسه فى تيار الحوادث الجارف خلال هذه الحقبة الطويلة الهامة من حكم العباسيين . وإذا نحن نظرنا إلى هؤلاء الأعلام الستة كنجوم لوامع نيرات فى أفق ديوانه تحدد لنا أهم اتجاهاته ، كان لنا أن نتخذ من سائر الأعلام المنبثة فيه نجوماً أو كواكب أقل التماعاً تملأ بها الفجوات الفسيحة فيما بين ذلك ؛ فنخرج من شعر البحترى بصورة تاريخية مشرقة المعالم واضحة التعابير ، لحمتها حقائق التاريخ وسداها الفن الرفيع والأدب المعجب ...

ذلك أننا نجد إلى جانب ما قاله فى أولئك الخلفاء قصائد ومقطعات أخرى تبلغ المئات عدداً من مدائح وأهاج ومعاتبات ومراث ومداعبات ، ومن سائر ما يدور بين المتعاصرين — كلها تتعلق بشخصيات تاريخية هامة من الوزراء والقواد والولاة والسراة والأدباء والأعيان وغيرهم ؛ وأكثرها يسجل معالم واضحة دقيقة لأسر خطيرة الذكر على هذا العهد من أمثال آل طاهر وآل

---

(١) راجع مقالتينا : « شاعر ومنجم » و « النابغون فى أوطانهم — حديث عن البحترى » فى العـددين ٥٤٠ و ٦١٠ من مجلة الرسالة ، بتاريخى ١٣-١٢-١٩٤٣ و ١٢-٣-١٩٤٥ م

الدبر وآل حميد ، وآل مخلد وسهل ووهب وخاقان ونبيخت وبسطام ... وغير هؤلاء

ومثل ذلك يمكن أن يقال عن أبي تمام الذى مدح المأمون والمعتصم والواثق من الخلفاء — وتوفى قبل الأخير بعامين — ثم التمعت فى ثنايا ديوانه الحافل بالأعلام ، أسماء آل دواد ووهب وسهل ورجاء وحميد ومزيد الشيبانى وطوق التغلبي ويوسف الطائى ... الخ بل يمكن أن نقول ذلك عن كل شاعر اجتماعى من أمثال من أشرنا إليهم ، فترتيب شعر هؤلاء وفق أبجدية القوافى أو أغراض الشعر كما هو متبع إلى اليوم ، تشويه لعرض إنتاجهم ليس بعده تشويه ، وإعراض عن ناحية هامة كان ينبغى أن تتجه إليها العناية منذ بعيد ، تلك هى الناحية الاجتماعية التاريخية من هذه النفائس الخالدة .

وإن عذر القدماء لواضح فى لزوم هذه الطريقة الفجة فى جمع الدواوين ، إذ كان الأمر فى ذلك موكولا إلى جماعة الرواة منهم والحافظين ، والغاية منه حفظ هذه الكنوز من الضياع ، ثم مساعدة المتأدبين والأدباء على اقتناء مجموعات شعرية وافية تسهل مراجعتها واستخراج البيت منها أو الأبيات بأيسر المجهود ، لتذوق ما فيها من شاعرية ، أو لدراستها دراسة لغوية لا تخرج عن دائرة النحو والبلاغة والعروض وما إليها . أما هذه الناحية التاريخية التى نشير إليها فلم تكن مما يخطر للقوم على بال ؛ وإنما هى غرض يتجدد ويزداد شعورنا بالحاجة إليه كما تطاول الزمن على هذه القصائد فاكتسبت صفة السجلات التاريخية الوثيقة .

وإن تحقيق هذا الغرض ليقتضينا أن نرتب كل ديوان ترتيباً تاريخياً نراعى فيه تسلسل الحوادث المختلفة التى يسجلها الشاعر ، وتاريخ حياة كل من الأشخاص الذين يتحدث عنهم [1] . وليس يطعن فى صدق هذا التاريخ الأدبى أو ينتقص من قدره ما قد يتجه إلى الشعراء عامة من الريبة فى صحة أحكامهم لأنهم كمؤرخين معاصرين للحوادث التى يوردونها ، يمتازون من الخبرة وسعة الاطلاع بما لا يتأتى لغيرهم ممن سجلوا هذه الحوادث بعد انطواء أزمانها . وأى وصف لخيانة الأفشين للمعتصم أصدق عبارة مما سجله أبو تمام فى قصيدته : الحق أبلج والسيوف عوار ؟ .. بل أى تسجيل لحوادث فتح عمورية أبلغ أثراً فى النفس مما نقرؤه فى بائيته : السيف أصدق أنباء من الكتب ؟

والأمثلة على ذلك كثيرة نومىء إلى بعضها فيما يلى :

١ — رحلت عن الربع المحيل قعودى : لأبى العتاهية فى عقد الرشيد العهد لأبنائه الثلاثة فى ذى الحجة عام ١٨٦ هـ

٢ — شغلان من عذل ومن تفنيد : للبحترى فى عقد المتوكل البيعة لأبنائه المنتصر والمعتز والمؤيد فى ذى الحجة عام ٢٣٥ هـ

٣ — قل للسحاب إذا حدته الشمأل : للبحترى فى وفود الروم على المتوكل ، ومفاداته الأسرى (فى شوال عام ٢٤٦ هـ)

٤ — ذاد عن مقلتى لذيذ المنام : لابن الرومى فى إيقاع صاحب الزنج بأهل البصرة أيام المعتمد (شوال ٢٥٧ هـ)

٥ — عواذل ذات الخال فى حواسد : للمتنبي فى حروب خرشنة على عهد سيف الدولة عام ٣٤٠ هـ .

٦ — فتوحك ردت بهجة الملك سرمدا : للسرى الرفاء فى الغرض السابق .

٧ — فتح أعز به الإسلام صاحبه : للسرى الرفاء فى هزيمة الدمستق وبناء قلعة الحدث عام ٣٤٣ هـ .

٨ — على قدر أهل العزم تأتى العزائم : للمتنبي فى الغرض السابق

* * *

وينبغى بعد ألا يفوتنا النص على أن هؤلاء الشعراء كانوا من حزب الخلافة فى أكثر أمرهم ، فلهجتهم هى الرسمية ، ووجهة نظرهم هى الوجهة العامة الغالبة . وكتب التاريخ التى ننحنى أمام صدقها لا ينظر أكثرها إلى الحوادث السائرة إلا من هذه الزاوية . فهؤلاء الشعراء فى تسجيلهم لحوادث التاريخ العامة لم يكونوا إلا لساناً ينطق برأى الهيئة الحاكمة ، ولا يخالف كثيرا — إن لم يمثل تماماً — رأى الهيئة المحكومة من عامة الشعوب الإسلامية . هذا ، ولم تكن الأطماع التى تعتلج فى نفوسهم ، والتى يحتمل معها الشك فى صدق أحكامهم ، بالأطماع الجريئة بعيدة الغور التى قد تتشوه بها الحقائق ويختل معها ميزان الأحكام . فهم مع

(١) قليل جداً من دواوين الشعر العربي ما رتب على هذا الوضع ، ولعل ديوان المتنبي يعد صورة مبتسرة من ذلك وفى كتاب ذكرى أبى الطيب بعد ألف عام للدكتور عبد الوهاب عزام أن المتنبي « رتب ديوانه بنفسه وقرأه الناس عليه ، وأملى شرحاً لبعض أبياته ، وناقشه فيه من أخذوا عنه » انظر ص ١٧ من ذكرى أبى الطيب .

انجذابهم فى تيار السياسة لم يكونوا من رجالها بالمعنى المفهوم ، وإنما هم أهل فن وأدب : مطلبهم العيش الرغيد وأمنيتهم الحياة السهلة الوادعة ؛ يفتنهم جمال الحق ، ويعجبهم الانضواء تحت لوائه والقيام بنصرته . وإنهم لأقل الناس انحرافا ، وأقلهم تبعاً لذلك تشويها للحقائق بزيادة فيها أو نقصان .

وكبار المؤرخين أنفسهم يتجه إليهم من النقد شيء كثير ، ويؤخذ عليهم من المآخذ ما يكفى أقله لأن يودى بقدر مؤلفاتهم التى نعتمد عليها الاعتماد كله ، ونستنبط منها حقائق التاريخ — فيما نزعم — جلية ناصعة .

جاء فى « ضحى الإسلام » عند الحديث عن مؤرخى العصر العباسى الأول[1] :

« قد يكون فى عمل هؤلاء المؤرخين بعض مآخذ كتلوين التاريخ ببعض العقائد أحيانا ، وكبنائهم التاريخ حول الخلفاء لا حول الشعوب ، وإهمالهم كثيرا من وصف النواحى الاجتماعية وغلبة النزعة الدينية فيما يعرضون له من أحداث ، وضعف النقد وإيجازه وسذاجته ... الخ » .

ونقول إنه لن يكون نصيب الشعراء من أمثال هذه المآخذ أكثر من نصيب المؤرخين ، مع ما ينبغى الاعتراف به دائماً من وفرة حظ الأولين من الصراحة وصدق التعبير ، وقلة تعلق أكثرهم بالماديات تعلقاً يدفعهم إلى اعتساف سبيل التحيز أو التحيف .

على أنه ينبغى لنا أن ندرك الفرق بين مذاهب الشعراء ومذاهب المؤرخين ؛ فلا نجشم الشعراء طريقاً غير طريقهم ... وإنهم لأصحاب الإغراق والإسراف والمبالغة والتهويل ... تلك الهالات الونقة التى تزين جبين الشعر ، والتى لا يصعب على المتفرس أن يتعرف إلى وجه الحقيقة من ورائها . ثم هم بعد ذلك يتفردون بالإبداع فى تصوير نفوس الأفراد والجماعات والتعمق فى تحليل الشخصيات التاريخية التى يعاصرونها إلى الحد الذى لا يتأتى لكثير من المؤرخين . ورب أبيات قصيرة يصف بها الشاعر حالة من حالات خليفة أو أمير فى مجلس سمر أو ساحة قنص أو محفل مناظرة أو مقام مشاورة — تكشف لنا من خلجات هذه النفسية التاريخية ونوازعها ما يملأ الكثير من الأحداث الهامة التى يكتفى المؤرخون بسردها ، ثم هم يتخبطون فى مجاهل الغيب إن تطاولوا إلى ما فوق ذلك بتعليل بواعثها .

(1) ضحى الإسلام للأستاذ أحمد بك أمين ج ٢ ص ٣٥٩ .

ولتحديد موقف الشعراء من المؤرخين ، وبيان مدى الاعتماد على الشعر كمصدر من مصادر التاريخ نورد ما ذكره الدكتور طه حسين بك فى كتابه « مع المتنبى » ، وهو يتحدث عن وصف الشاعر لحروب سيف الدولة ، قال[1] : « قد يقال إن المتنبى أغرق وأسرف ، وعظم من أمر هذه المواقع أكثر مما ينبغى ، وأضاف إليها من الخطر أكثر مما تستحق ، وأعرض عن تصوير الهزيمة ، ولم يعن إلا بتصوير الانتصار . ولكن يجب أن نتفق ، فلم يكن المتنبى مؤرخاً ولا محققاً ، وإنما كان شاعراً ، وشاعراً ليس غير . أستغفر الله ، بل كان شاعراً يشترك فى الجهاد ، يذوق لذته ويشقى بآلامه . فالذين يطالبون هذا الشاعر بالتاريخ وتصوير الحق كما وقع يسرفون عليه ، ويسرفون على أنفسهم ، ويسرفون على الشعر نفسه . وأين كانت تقع حرب طروادة التى وصفت الإلياذة طوراً من أطوارها من هذه الحروب التى شهدها المتنبى ووصفها تسعة أعوام كاملة . أفيعاب شعراء الإلياذة بأنهم لم يصفوا التاريخ كما كان ، أم يحمد من هؤلاء الشعراء أنهم صوروا نفوس الجماعات والأفراد التى اشتركت فى هذه الحرب أبدع تصوير وأروعه ؟ » .

ثم يعتذر صاحب كتاب مع المتنبى عن تهويل الشاعر فى وصف وقائع سيف الدولة فيقول : « كلا إنه لا يتجاوز الحق ، ولا يفسد التاريخ بالقياس إلى الذين لا يحسنون استنباط التاريخ من الشعر ، ولا يفرقون بين مذاهب الشعراء ومذاهب المؤرخين » هـ .

***

وإذا كنا قد أطلنا الحديث عن الناحية التاريخية من الشعر ، فحسبنا أن نجتزىء بالإشارة العابرة إلى ناحية أخرى تتعلق بعلم الجغرافيا . وخير من الإطناب فى هذا المقام أن ننقل للقارىء فقرة موجزة من كتاب « امرىء القيس » للدكتور محمد صبرى حيث يقول[2] : « قد جرى امرؤ القيس فى معظم قصائده ، وتبعه فى ذلك جميع شعراء العرب من جاهليين وإسلاميين ، على سنة تحديد الأماكن وذكرها ، ولا نبالغ إذا قلنا إنه لولا هذه السنة

(1) مع المتنبي ص ٢٢٣ .

(2) الشوامخ : امرؤ القيس صفحة ٣٧.

الأدب في سير أعلامه :

ملتن ...

[القيثارة الخالدة التي غنت أروع أناشيد الجمال والحرية والخيال ...]

للأستاذ محمود الخفيف

— ١٥ —

بين الطغيان والحرية :

واستبد شارل بالأمر أحد عشر عاما لقي أثناءها الإنجليز ماشاءله طغيانه من ضروب العسف والأذلال ، وكان وليم لود(١) الذي رقي عام ١٦٣٣ إلى منصب كبير الأساقفة مشيره في الشؤون الدينية ولورد استرافورد مشيره في الشؤون السياسية .

وامتحنت الحرية امتحانا طال ليله واشتد بالناس هوله ، وسلط لود على البيوريتانز من أنواع الاضطهاد وأساليب العسف ما شاء له سلطانه وما أملاه غيظه وغلظه فكانت تكوى جباههم وصفحة وجوههم بالحديد المحمى أو تقطع أطراف آذانهم أوأنوفهم وليس لهم منجاة من هذا العذاب إلا أن يطرحوا عقيدتهم ؛ ولكنهم كانوا يعدون آذانهم وجباههم ووجوههم وأنوفهم جماعات إلى من يكويها أو يتحيفها دون أن يذل لهم إباء أو تهن لهم عقيدة ، وكانوا كلما أمعن لود في تعذيبهم ازدادوا تمسكا بمذهبهم وازداد مذهبهم رسوخا وانتشاراً كالشجرة كلما امتدت إليها الأيدي بالتقليم تغلغلت في الثرى جذورها وامتدت في الجو فروعها .

ولم يقتصر التعذيب على عامة البيوريتانز ، فامتد إلى الخاصة وشمل كل من كتب شيئا ضد الملك أو الأساقفة ، وكان يعين الملك في طغيانه محكمتان: إحداهما محكمة غرفة النجم ، والأخرى محكمة عليا أنشأتها إليزابث أول الأمر للحكم على من يخالف قرار توحيد العبادة ؛ وكان من الضحايا العديدين لهاتين المحكمتين أحد كبار رجال الدين فضرب وحبس ووضع في الأصفاد وقطعت أذناه لأنه كتب ينتقد لود وأساقفته ؛ وأحد رجال القانون لأنه

(١) حمل ملتن على لود حملة شديدة في قصيدته ليسيداس أثناء مقامه في هورتون .

التي مدنها الشاعر لضاعت نصف جغرافية بلاد العرب ، إذ من المعلوم أن معجم ياقوت ومعجم البكري كان الشعر مرجعهما الأول لوصف بلدان كثيرة . على أنهما لم يستوعبا كل شيء ولا تزال العناية بدراسة شعراء كالمتنبي والبحتري وأبي تمام مثلا من شأنها أن تساعد على تصحيح أسماء بلدان كانت معروفة في العصر العباسي ، ولكنها وردت مغلوطة في تواريخ الطبري ، وابن الأثير » هـ .

* * *

وبعد ، فهاتان ناحيتان هامتان من الشعر طالت غفلة النقاد عنهما قرونا . ويبدو أن أول خطوة عملية ينبغي لنا اتباعها هي أن نضيف إلى كل (ديوان تاريخي) بعد ترتيب قصائده ملحقاً بتراجم أشهر الأعلام التي ورد ذكرها فيه ، ثم معجما لأهم البلدان التي نوه فيه بذكرها ...

وكيفما كان أمر شعرائنا أو القول فيهم ، فإن من اليسير أن أن نستقرى ما خالف الصواب من شعرهم ، ثم نلقي على ظلمته ضوءاً من حقائق التاريخ الثابتة بعد أن ندرج كل قصيدة في موضعها من مجموعتها حتى تتصل بما قبلها وبما بعدها من شعر ، اتصالا قويا وثيقا تبتهج له نفوس طلاب الحقائق ، وتكتسب به الدواوين حرارة وحيوية يبدو معهما كل شاعر إنسانا حيا ، لا شبحا باهت الظل متخيل الوجود . بل تكتسب المعاني والحوادث المسرودة نفسها قوة لم تكن لها من قبل ، وتنطبع في الأذهان بهيئة لا يدرك تناسقها وروعة جمالها إلا من تهيأ له — في مرة أو أكثر — أن يمارس هذا الترتيب بين القصائد ، فيرى كيف تنطق الحقيقة الجافة بلسان الخيال الرطيب ، ويشهد كيف يتواطأ التاريخ الدقيق والأدب الرقيق معاً على غزو العقول بسحر جمالها ؛ وكيف يتجليان في مرايا العقول كالفرقدين ، تنزلا من أفق واحد ، ليشرقا على دنيا واحدة .

محمود عزت عرفة

كتب كتابا يعيب فيه على من احترف التمثيل من الأوانس والسيدات مسلكهن فظُنّ أنه يعرض بالملكة فيما كتب ولم يك جزاؤه أخف من سالفه ؛ ومن هذين المثلين ندرك مبلغ ما حل بالناس من ألوان العذاب .

ولما كانت المشكلة المالية هي التي تضطر الملك إلى الاستعانة بنواب البلاد ، فقد أشار سترافورد على الملك باتباع سياسة الاقتصاد ليطرد استغناؤه عن البرلمان ، وكانت الحرب قد وضعت أوزارها ، فتحسنت الحالة المالية إلى حد ما وخيل إلى سترافورد أن ليس للبرلمان رجعة .

ولكن الملك وازن بين دخله ومنصرفه فلم تسره الموازنة ووجد نفسه لا يزال في حاجة إلى زيادة الدخل وإلا اشتدت به الضائقة ثانية ، فسلك سنة ١٦٣٤ مسلكا كان أبعد ما سلك عن الصواب ، وذلك أنه عمد إلى فرض ضريبة مباشرة ، وكانت تسمى ضريبة السفن ، وهي ضريبة قديمة كان من حق الملك وفق الدستور أن يفرضها على الموانى إذا تعرضت المملكة لخطر الحرب فتقدم الموانى سفنا أو ما لا يقوم مقامها ؛ ونظر الإنجليز هذه المرة فإذا بالملك يفرض هذه الضريبة وليس ثمة من خطر يتهدد المملكة

ولكن الملك احتج بأنه يبتغي بها مطاردة ما يتهدد التجارة من القراصنة ؛ وتمادى الملك فخرج على القانون والعرف وفرض هذه الضريبة لا على الموانى فحسب بل وعلى داخلية البلاد ، ثم استمر يفرضها عاما بعد عام وكان الأصل فيها ألا تفرض إلا حين الخطر

ويأبى القدر إلا أن يرتطم الملك وكبير أساقفته في ورطة كانت هي القاضية عليهما ، فقد شاء لود أن يدخل في اسكتلندة النظام الأسقفي على الرغم من تمسك الاسكتلنديين بنظام الكنيسة البرسبتيرية ، وأعد لود كتابا للصلاة على نمط كتاب الصلاة في انجلترة ، وأراد أن يحمل الاسكتلنديين على اتباعه في كنائسهم ، فثار الناس هناك وأعلنوا سنة ١٦٣٨ في مجلس عام رفض النظام الأسقفي وطردوا الأساقفة الذين أرسلهم شارل إليهم فكان هذا تحديا صريحا لمشيئة الملك ؛ وأصبحت المسألة في الواقع تتصل بحق شارل في حكم اسكتلندة أكثر مما تتصل بالنزاع الديني ، وبات الموقف بالغ الخطورة ، فإذا استطاع الاسكتلنديون أن يعصوا الملك فما ذا عسى أن يكون وقع هذا في انجلترة

ولجأ الملك إلى الحرب وتأهب الاسكتلنديون للقتال وتلاقى الجيشان فأحس الملك ضعفه فهادن الاسكتلنديين وهادنوه وسكنت ريح الحرب إلى حين .

وأحس الملك بضرورة دعوته برلمانا فدعا ذلك البرلمان في ربيع سنة ١٦٤٠ وعرف باسم البرلمان القصير لأنه لم يلبث أن أنكر على الملك فرض ضريبة السفن ، ولما ساومه الملك وعرض أن يتنازل عن ضريبة السفن نظير أن يمنحه البرلمان مبلغا معينا رأى البرلمان أن قبوله هذا العرض يتضمن الاعتراف بحق الملك في فرض تلك الضريبة فأبى إلا أن يكون تنازل الملك عنها بغير قيد وضاق الملك بالبرلمان فحله في نفس العام .

ولكن الاسكتلنديين عبروا نهر التويد في الصيف زاحفين على انجلترة ، ودعا الملك مجلسا من الأعيان فأشار هذا المجلس بوجوب الاستناد إلى برلمان ، ولم يجد الملك بدا من الإذعان فدعا برلمانا جديداً في نفس السنة وعرف هذا البرلمان بالبرلمان الطويل ، وظهر في هذا البرلمان زعماء أشداء كان من أشهرهم بم وهمبدن وأليفر كرمول ...

ووجد البرلمان الفرصة سانحة ليصفي حسابه فوجه إلى لود واسترافورد تهمة الخيانة العظمى للشعب الإنجليزي وأطلق السجناء من أنصار الحرية ، وأزال من الكنائس كل ما يصلها بروما من مظاهر وصور وتماثيل ، واحتاط البرلمان للمستقبل فأصدر قراراً يقضي بأنه لا يجوز أن ينقضي أكثر من ثلاث سنوات بغير أن يدعى برلمان ، وقدم سترافورد إلى المحكمة ، ووضع تحت الحراسة كيلا يهرب ، وكان لا بد من موافقة الملك حتى تقام الحراسة فوافق الملك مع أنه وعد سترافورد أن يدافع عنه وأدين سترافورد وأعدم وتنفس أنصار الحرية الصعداء ، وبالغ البرلمان في الحيطة فأصدر قرارا فحواه ألا يجوز حل البرلمان إلا بموافقة أغلبية أعضائه ؛ وقضى البرلمان بحل محكمة غرفة النجم والمحكمة العليا المختصة بالشئون الدينية

وخيل لأنصار الحرية أنه لم تعد تعترضهم عقبات ، ولكنهم ما لبثوا أن أحسوا روحا رجعية في مقاعد البرلمان نفسه ، وذلك

بسبب مغالاة البيوريتانز ضد النظام الأسقفى ، فقد قدم هؤلاء مقترحا إلى البرلمان يقضى بإزالة هذا النظام كله وسمى مقترحهم باسم مقترح الأصل والفرع ، ولـكن بعض النواب كانوا يميلون إلى النظام الأسقفى فعارضوا هذا المقترح وانضم إلى هؤلاء نواب آخرون أشفقوا من تطرف البرلمان فى استلاب سلطة الملك ورأوا أن الملك قد أذعن أكثر مما يجب أن يذعن وتوجسوا خيفة من عواقب هذا التطرف كأنما يلمح لهم شبح الفوضى .

وأخافت هذه الرجعية بم وزملاءه ، فأقدم بم على عمل خطير وهو ما سمى الإعلان الأعظم وهو عريضة قدمت إلى البرلمان وفيها جميع ما ارتكب الملك وأعوانه من أخطاء فى السياسة والدين منذ بداية عهده وطلب إلى البرلمان أن يقرر صحة ما جاء فيها ، وبعد مناقشة عنيفة فى جلسة طويلة استمرت الليل كله وافق البرلمان عليها بأغلبية تسعة أعضاء فحسب فأظهرت هذه العريضـة عدد أنصار الملك فى البرلمان وتبين أنه عدد لا يستهان به .

وتزايدت مخاوف بم وأنصاره ، وكان الملك قد ذهب إلى اسكتلندة على أثر وفاق عقده البرلمان بين انجلترة والجيش الثائر فى اسكتلندة ، فلما عاد شارل إلى انجلترة استقبل فى لندن بحفاوة عظيمة ... ...

وكأنما أغرته تلك الرجعية فى مقاعد البرلمان وهذه الحماسة التى لقيه بها أهل لندن بأن يضرب ضربة ، فخطا خطوة جريئة ود كثير من أنصاره أنفسهم لو أنه لم يخطها ، وذلك أنه وجه فى سنة ١٦٤٢ إلى خمسـة من أعضاء البرلمان على رأسهم بم تهمة الخيانة العظمى ، وبعد يومين ذهب إلى البرلمان بنفسه على رأس قوة من حرسه وقفت عند بابه شاكية السلاح وطرق شارل الباب ودخل القاعة ليقبض على الأعضاء الخمسة ، ونهض النواب وقوفا وحسروا القبعات عن رؤوسهم ، واتجه الملك إلى منصة الرئيس فخر أمامه على ركبتيه وساد الصمت فلا يسمع إلا همس ، ودار الملك بعينيه يطلب الأعضاء فلم يتبين فى الصفوف منهم أحدا فقد نما إليهم ما اعتزمه الملك قبل حضوره بدقائق ففروا فسأل عنهم الرئيس فأنكر معرفته متى حضروا ومتى انصرفوا ، ونظر الملك إليه نظرة شديدة ثم خرج هادىء الخطى يعلن إلى حرسه أن قد « طارت الطيور الخمسة » .

***

وتسامعت لندن بما كان من أمر الملك فهبت المدينة التى لقيته بحفاوتها منذ قليل تدافع عن النواب ، واشتدت حماسة الناس ، وصمموا على أن يعود الأعضاء إلى مجلسهم فى مظاهرة كبرى وأعدت الزينات فى الشوارع وعلى صفحة النهر فى القوارب ، وكان لا بد أن تمر المظاهرة بقصر الملك فلم يطق الملك أن تقع عيناه عليها أو تسمع أذناه ضجيجها فترك المدينة .

وأخذ البرلمان يعد العدة للدفاع عن كيانه ، وأعد الملك عدته ليسحق بها البرلمان ومن يظاهره من الناس ، واندلعت نيران الحرب الأهلية التى انتهت بهزيمة شارل بعد أن دارت رحاها أكثر من أربع سنوات

(يتبع) **الخفيف**

حـــــرفة الأدب

للاستاذ عباس حسان خضر

ألمتُ فى مقال « نظرات فى أدب المتأخرين » المنشور فى عدد مضى من « الرسالة »[1] بحرفة الأدب إلماماً وجيزاً . وقد رأيت أن أجيل القلم فى نواح من هذا الموضوع أوجزت القول فى بعضها بالمقال السابق ، ثم رأيت أنها تحتاج إلى شىء من البسط ، والنواحى الأخرى جال بها الفكر بعد .

قلت فى ذلك المقال : « وكثيرا ما حاق البلاء بالمشتغلين بالأدب لما شغلهم عن تدبير أمرهم ودفع ما نزل بهم ، حتى عدت حرفة الأدب مجلبة للبؤس وشؤما على من أدركته » .

فقد سارت كلمة « أدركته حرفة الأدب » مسير المثل ، تقال فى كل أديب يناله شر ، وعند كل حالة يُمنى فيها بالخيبة والإخفاق . وكل أمر يقترن بالمحن والرزايا معدود فى المشئمات ، مرمى بجرائره دون نظر إلى الملابسات ؛ فالأديب إنسان له حاسة سادسة إلى حواسه الخمس ، هى طبيعته الفنية التى تستعمل الحواس الأخرى فى إحساسها بنواحى الحياة إحساساً ينفرد به الأديب كما ينفرد ببيان لا يتأتى لغيره من سائر الناس ، وهو بفنه هذا مشغول ، مستهلك جل قواه ، مصروف عن مقومات حياته وضرورات عيشه ، فإذا مسه ضر عُدّ أدبه شؤما وقيل : « أدركته حرفة الأدب » .

فلست أرى الشؤم من واقع الأمور ، وإنما هو حالة نفسية تنشأ عن اقتناع بأن المتشاؤم منه يجلب الشر والأذى ، ومن مقتضيات هذه الحالة تهيب المتطير منه والإعراض عنه أو الإقبال عليه مع الكره وتوقع الشر ، وكأن المتطير يستدعى بذلك ما يخشاه ، وكأنه يهيىء نفسه ليكون مهبطا له ؛ فتستجيب له النوائب وتنزل بساحته الكوارث وقد أعد لها .

ولست أرى بأسا على من ينحى عنه خاطر التشاؤم ولايدع له إلى نفسه سبيلا ؛ وقد اقتنع بذلك ابن الرومى (وهو رأس المتشائمين والقائل : الفأل لسان الزمان ، والطيرة عنوان الحدثان) لما أنشده أحد الشعراء وقد علم أنه يتطير :

ولما رأيت الدهر يؤذن صرفه بتفريق ما بينى وبين الحبائب
رجعت على نفسى فوطنتها على ركوب جميل الصبر عند النوائب
ومن صحب الدنيا على جور حكمها فأيامه محفوفة بالمصائب
فخذ خلسة من كل يوم تعيشه وكن حذرا من كامنات العواقب
ودع عنك ذكر الفأل والزجر واطرح تطير دار أو تفاؤل صاحب

راقت هذه الأبيات ابن الرومى ، وتأثر بها ، فحلف ألا يتطير أبدا « من هذا ولا من ذاك » وأومأ إلى جاره الأعور ، وكان يتشاءم منه . فقال له أحد الحاضرين : « وهذا الخاطر من التطير» فهو وإن كان اقتنع رأيه بفساد مذهب التطير فقد غلبته طبيعته فأخطرت له التطير وهو يحلف ألا يتطير !

على أننى أعود من هذا لأشاطرك ما لا بد أنه يجول بذهنك وهو أن الأدب لم يكن دائما قرينا للبؤس والحرمان ، وليس كل أديب كيعقوب الخزيمى القائل :

ما ازددت فى أدبى حرفاً أسر به إلا تزيدت حرفاً تحته شوم

ويخطر لك هذا لأنك تعلم أن الأدب نفع ورفع كثيرين ، فأنالهم المال ، وأبلغهم المناصب . وقد اختلفت حظوظ الأدباء من حيث انتفاعهم بأدبهم أو (إدراك الحرفة إياهم) باختلاف أسباب ، بعضها من ذات أنفسهم ، وبعضها خارج عن ذواتهم؛ فالنوع الأول كاباء الأديب واستنكافه أن يسلك مسلكا يراه غير لائق ، وليس فى المجتمع الذى يعيش فيه غيره من طرق الانتفاع بالأدب ، على حين لا يتحرج أديب آخر من ذلك ؛ أو أن يكون الأديب واسع الحيلة أو ضيقها ، أو حسن التدبير أو سيئه . والنوع الثانى من تلك الأسباب كظروف الزمان والمكان ، فهذه دولة يشجع رجالها الأدباء ، على مختلف بواعث التشجيع ، وبمختلف وسائله ؛ وتلك أخرى يحتجن أصحابها البر عن الأدباء ، أياً كانت أسباب هذا الاحتجان . وقد لا يكون الأديب بحاجة إلى الانتفاع بأدبه ، لأن له من تراثه أو كسبه من طرق أخرى ما يغنيه عن ذلك ، فيتنقل بين زهر الآداب ، ويفرد على أفنانها لا لشىء إلا ليرضى حاجة نفسه ، ويمكن (حاسته السادسة) من القيام بوظيفتها .

---

(١) العدد ٦٧١ الصادر فى ١٣ ـ ٥ ـ ١٩٤٦

وبالطبع كانت تروج كلمة « أدركته حرفة الأدب » كلما توافرت معوّقات الاكتساب ، وأنت تراها قد قلت فى عصرنا هذا ، فإن التأليف والصحافة قد أصبحا سوقا نافقة للكتاب وخاصة المعروفين منهم لدى جمهور القراء ، وقد ربح بعضهم فى السنوات الأخيرة ما يعد من جملة أسباب « التضخم النقدى » ومما يؤسف له أن هذا الربح الوفير قد أغرى الكثيرين بكثرة الإنتاج التى لا تتم إلا باللهوجة والسلق ، ولا سيما سلق البقول التى تجمع من حقول الأسفار ، فتصنف المؤلفات كما تصنف (شربة الخضار) كأن الأذواق الأدبية قد اعتلت ، فهم يصنعون لها هذا اللون من الحساء ... !

وقد عمد مديرو بعض المجلات الشعبية إلى بعض الكبار من الكتاب يستكتبونهم بأجور مغرية ، ومفهوم أن أصحاب هذه المجلات يقصدون ترويجها أو ازدياد رواجها بأسماء المشهورين من الأدباء ، ولكن بعض هؤلاء الكتاب الفحول أسفوا فى كتاباتهم لأنهم قصدوا إلى الدنو من ذهن القارىء العادى ، وطلبوا طرائف الموضوعات فلم يوفقوا ، وتكلفوا الظرف ومسايرة روح تلك المجلات ؛ وذلك ليس فى طبعهم ، فجاء إنتاجهم فى هذا المضمار بائخاً لاغناء فيه .

وأن تدرك حرفة الأدب هؤلاء وأولئك خير من إفساد السوق الأدبية بردىء المنتجات ، وإفساد السوق الاقتصادية بتضخم النقد واستمرار الغلاء .

وإن من حق الكتاب الناضجين — بلا شك — أن يستثمروا فنهم ويجنوا ثمرته ، ولذلك أثره فى حفز الهمم وشحذ القرائح ، ولكن من حق الأدب ومن حق « مستهلكيه » إجادة الإنتاج وألا يزاول الكاتب من أنواع الكتابة إلا ما يحسنه ، وإذا كانت المصانع المشهورة تحرص على جودة مصنوعاتها لأنها تحمل أسماءها ، أفلا يجدر بهؤلاء الكتاب المشهورين أن يتعهدوا أسماءهم بالجلاء والصقل ؟

أما الشعراء فلم يعد لهم سبيل لائق بكرامة الأدب فى العصر الحديث إلى الاكتساب من فنهم ، وكم كان ظريفا ذلك الشاعر — وهو من أساتذة اللغة العربية — الذى قال : إننى أتكسب بالشعر ولكن لا بشعرى أنا وإنما بألفية ابن مالك !

وممن أدركتهم حرفة الأدب فى عصرنا أفراد معروفون بالانتحال ، ينشئون المقال أو الخطبة أو القصيدة أو الكتاب ، وينحلونه من لم تدركهم الحرفة لقاء قروش أو جنيهات معدودات فيتسلق هؤلاء المجدودون أولئك الحرفاء ، لأنهم لا سيقان لهم فى الأدب يقومون عليها . وهؤلاء وأولئك يرتكبون التدليس والتزوير فى الأدب ، حتى ليصح أن يقال إن الأدب أدركته حرفتهم ! فنكبته بهم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ...

ونخلص من كل ذلك إلى ما قررناه وهو أن الأدب لم يكن دائما مجلبة للشقاء والحرمان ، بل كثيرا ما كان سببا إلى النعمة والرفاهة ، فلا يصح أن نقرنه بالشؤم ، لأنه يتخلف عنه ، وما بالذات لا يتخلف ، كما يقول الفلاسفة .

على أن فن الأدب نفسه متعة ؛ فإن لم يصل به صاحبه إلى الأغراض الأخرى فحسبه إمتاع فنه والحياة الرفيعة التى يضطرب فيها بفكره وصفاء روحه ، والله المستعان .

عباس حسان خضر

الشرق كما يراه الغرب :

الصيـــــن الجديدة

للاستاذ أحمد أبو زيد

(تتمة ما نشر في العدد الماضي)

ليست الديمقراطية مجرد نظام صورى من نظم الحكم تفرضه الدولة على رعاياها وتنتحله لسياسة أمورهم ؛ بل الديمقراطية شيء أبعد من ذلك ، إذ أنها تعتمد فى أصلها على مزاج الشعب ذاته وعلى طبيعته وعلى مدى استعداده لتلقى ذلك النظام وقبوله ؛ أو بقول آخر يتوقف نجاح الديمقراطية على مدى رغبة الشعب وميله إلى الاتحاد والتعاون والتضامن فيما بينهم ، وعلى مقدار قابليته لتأليف الجماعات التعاونية المختلفة ؛ فحيث يكون الناس أقدر على التضامن والتعاون فيما بينهم بروح سمحة يكون الأمل فى قيام الديمقراطية كبيرا . ومن هنا تنتقل السيدة جالبريت إلى دراسة الحركات التعاونية فى الصين لترى مدى نجاحها ... وهى تعتقد أن الصينيين يميلون بطبعهم إلى التعاون والتآزر ؛ فقد ظهرت منذ أقدم العصور أنواع شتى من الزمر والهيئات والجمعيات التى تقوم فى أساسها على التعاون مثل جماعات العائلات (ويتألف كل منها من مائة عائلة) وغيرها . فالهيئات التعاونية نشأت إذن فى الصين منذ أمد بعيد واتخذت صورا مختلفة وأغراضا متفاوتة أشد التفاوت . وقد قامت الحكومة الصينية فى عام ١٩٣٥ بإحصاء عام لحركات التعاون فزادت الجمعيات هناك على مائة ألف جمعية تعاونية ، ولا تزال الحكومة المركزية تولى حركة التعاون جانبا كبيرا من اهتمامها .

وقد خطت الحركة التعاونية فى الصين خطوة جبارة منذ عام ١٩٣٨ ، بعد ظهور جمعيات التعاون الصينية للصناعة : Chinese Industrial Coperativs وما لاقته من نجاح واسع سريع . وقد انبثقت فكرة هذه التعاونيات فى أذهان بعض الصينيين ممن لهم سابق خبرة بالتعاون لأول مرة فى أغسطس من عام ١٩٣٨ ، إذ أدركوا أنه لا مندوحة لهم — أمام التوغل اليابانى — عن إعادة تنظيم موارد الصين واستخدام كل القوى فيها حتى يمكن تعويض ما فقدته البلاد من المراكز الصناعية الرئيسية التى دمرتها الحرب . وبدأت تلك الجماعة من الخبراء عملها بتقسيم الصين إلى مناطق ثلاث ؛ فالمنطقة الأولى أزالوا منها كل وسائل الانتاج وجميع المصانع حتى لا تقع فى أيدى الأعداء ، وخصصوا المنطقة الثانية لقيام بعض الصناعات الخفيفة التى يمكن نقلها بسهولة وسرعة إذا حدث ما يستدعى ذلك . أما المنطقة الثالثة — وهى فى وسط الصين حيث تكون بعيدة عن متناول الأعداء — فقد تركزت فيها كل الثروة الصناعية لإنتاج ضروريات الحرب . وقد نتج عن ذلك التنظيم الجديد لمواجهة حاجات الحرب وأخطارها أن انضم كثير من المصانع بعضها لبعض واندمجت معا وبذلك أمكن إيجاد تعاونيات لصنع الملابس الصوفية والزجاج ودبغ الجلود وتكرير السكر والطباعة وغير ذلك . ولما كانت الصين تنقصها الأيدى العاملة وخاصة بسبب الحرب التى تستنفد معظم العمال المدربين فإن الصناعة الآن تعود على المهاجرين المدنيين وعلى الجنود الجرحى ؛ ولا شك أن هؤلاء تنقصهم الخبرة والدربة ولذلك بنيت مدارس تعاونية لتمرينهم على العمل ، كما أنشئت لهم وحدات علاجية تعاونية ؛ بل وأفضل من ذلك إنشاء مدارس تعاونية لتعليم أطفالهم على نفقة أصحاب المصانع . وهكذا تنتهى الكاتبة إلى أن هذه الحركة التى أظهرتها ضرورة مواجهة أخطار الحرب قد عادت على الصين بخير عميم ، وهى ترى أن هذه الحركة سوف تؤدى فى نهاية الأمر — إن لم تتدخل الحكومة فيها وإن لم تدب الخلافات ويستبد الطمع مرة أخرى بأصحاب المصانع — إلى نوع من الاشتراكية الصحيحة الصالحة .

ولكن مهما يكن من أمر التقدم الصناعى فى الصين ومستقبله ، فإن مشكلة الصين الأساسية لا تزال — ولن تزال — تنحصر فى الميدان الزراعى . فالصين بلد زراعى قبل كل شيء ، وسوف تظل هكذا أبدا ، والصينيون أنفسهم يعرفون ذلك ، ولذا ظهرت حركة جديدة قوية هى بمثابة رد فعل لانصراف الناس إلى الاشتغال بصناعة الحرب ، وهى تدعو إلى العودة إلى الأرض التى تقوم فيها حياة الصين كلها . والحكومة ذاتها

لا تألو جهدا فى العمل على تحسين حال الزراعة وحال الفلاح ؛ وهى تنفق فى ذلك عن سخاء حتى فى أيام الحرب ؛ وترجو أن يعود عليها ذلك بالخير . وقد أنشأت الحكومة مدارس زراعية تجريبية ومحطات للبحث — بلغ عددها الآن خمسا وعشرين مدرسة ومحطة — وكل غرضها هو إقامة التجارب لتحسين إنتاج الأرز والقمح والشعير وحفظها من الأوبئة والآفات . كذلك تعمل الحكومة — عن طريق الجمعيات التعاونية الزراعية — على تحسين حال الفلاح ورفع مستوى المعيشة فى القرى على العموم . ولكن كل تلك الجهود لم تأت حتى الآن بالثمرات المنشودة ... ولعل ذلك يرجع أولا وأخيرا إلى طبيعة الفلاح نفسه ؛ فالفلاح الصينى - كأى فلاح آخر — محافظ بطبعه على القديم وعلى الوسائل التى اعتادها وورثها عن آبائه ، فليس من الأمور السهلة الميسرة إقناع الفلاح بأن ينبذ وسائله العتيقة وأن يأخذ بتلك الوسائل والآلات الحديثة التى تحاول الجمعيات التعاونية ومدارس التدريب نشرها بين الفلاحين ؛ وإن كان ذلك لا يمنع من أنه سوف يجىء اليوم — قرب أو بعد — الذى تحل فيه تلك الوسائل الحديثة محل الوسائل القديمة التى ترجع لأربعة آلاف عام مضت .

* * *

ولكن لا يمكن للصين ولا غيرها من الأمم أن تجنى ثمار ما تقوم به من الإصلاحات المختلفة وأن تصل إلى ما تبغيه لنفسها من حياة سعيدة راقية ما دام شعبها يرسف فى أغلال الجهل ، فكل حركة يراد بها الإصلاح ، وكل تحسين يدخله المصلحون على أى مظهر من مظاهر الحياة سوف يكون عبثا ، ولن يتأصل فى الدولة ما لم يتعلم الشعب أولا ؛ فمحاربة الجهل والقضاء عليه ونشر التعليم بين الناس هو أول ما ينبغى للدولة أن تأخذ نفسها به إن أرادت لنفسها رقيا . ولقد شعرت الصين بما يتهددها من جراء الجهل الفاشى بين الناس ، فاتخذت وسائل كثيرة شتى للقضاء عليه ، وقد أفلح بعض تلك الوسائل والبعض الآخر لم يفد شيئا مذ كورا . ولا شك أن القضاء على الجهل فى بلد واسع كثير السكان كالصين يعتبر من أشق المهام ؛ ولكن الدولة بذلت مع ذلك الكثير من الجهد والمال لتحقيق تلك الغاية . ومن أشيع الوسائل المتبعة فى الصين لذلك تنظيم سلسلة من الدروس القصيرة فى المدن تجبر الدولة الناس على الاستماع إليها ؛ إلا أن هذه الدروس القصيرة تنتهى سريعا ، وهى وإن كانت تعلم الناس بعض العلم وبعض القراءة إلا أن الكاتبة تشك فى أن لها قيمة جدية لأن ما يتعلمه الإنسان سريعا دون أن يبذل فيه جهدا كبيرا ينساه سريعا أيضا ...

وفى الصين مشروع ضخم الآن يرمى إلى إنشاء مدرسة واحدة لكل جماعة تتألف من مائة عائلة ، وذلك فى بحر خمس سنوات ؛ وسوف تقوم تلك المدارس بتعليم الصغار والكبار على السواء — ما بين الخامسة عشرة والخامسة والأربعين — القراءة والكتابة . والأمل أن يفلح هذا المشروع فى القضاء على الجهل تماما فى الصين .

ولكن من ناحية أخرى نجد فى غرب الصين حركة فكرية ناهضة تتمشى معها ثورة صناعية قوية يقوم بهما الشباب المتعلم المثقف . وتشبه السيدة المؤلفة هذه الحركة الناشئة بحركة النهضة الأوروبية (الرينسانس) وقد كان الدافع الأول عليها هو الحرب اليابانية أيضا ؛ فقد اضطرت الجامعات من جراء الغزو اليابانى للصين أن تتقهقر من أماكنها فى المدن الكبرى إلى المدن الصغيرة فى غرب الصين تاركة وراءها كل آلاتها الفنية ومعامل الأبحاث التى كان الطلبة يتمرنون فيها ، ومكتباتها الزاخرة بالكتب ، وعلى ذلك كان يتعين على الطلبة أن يعتمدوا فى حياتهم العلمية الجديدة على مجهوداتهم الخاصة ، وقد أحدث ذلك بلا ريب انقلابا هائلا فى طرق التعليم الجامعى ومناهجه ومادته أيضا ، وبدلا من أن يدرس الطلبة تلك المعلومات التى كانوا يقرأون عنها فى الكتب الأوربية ، وبدلا من أن يقوموا بتجاربهم العلمية فى معاملهم المدرسية الصغيرة نزلوا إلى ميدان الحياة والواقع وذهبوا للعمل والدراسة فى المصانع والمعامل والحقول ، وبذلك أصبحت المناهج أقرب إلى الواقع وترمى إلى أهداف ونتائج واقعية . ولا ريب أن الصين سوف تفيد كثيرا من جراء هذه النزعة الواقعية العملية فى التعليم ، وسوف يساعدها ذلك إلى حد كبير على حل مشكلاتها .

إن الصين تبذل الآن بغير شك مجهودات جبارة فى سبيل

تصحيح كتاب «البخلاء»

للدكتور داود الجلبي

قرأت باهتمام في هذه المجلة في أعدادها (٦٦٧ — ٦٦٩) المقالة التي عنى فيها (أستاذ عظيم) بنقد كتاب البخلاء للجاحظ طبعة وزارة المعارف بمصر. وسبب اهتمامي أني حاولت قبلا تصحيح الكتاب المذكور المطبوع في دمشق سنة ١٣٥٧ هـ باعتناء علماء من أبناء الشام، ونشرت تصحيحي في مجلة المجمع العلمي العربي بعنوان: (تصحيح أغلاط كتاب البخلاء) في الجزء الأول والثاني المزدوج، وفي أربعة أجزاء مزدوجة أخرى تليه من المجلد العشرين مع تصحيح واستدراك في الجزء الاول والثاني المزدوج من المجلد الحادي والعشرين. فأردت أن أرى هل تنازل الأستاذ العظيم إلى مطالعة تصحيحي، وما الذي جاء في تصحيحي موافقاً لتصحيحه، وما الذي خالفه. وبعد المطالعة ظهر لي أن الأستاذ لم يعلم بوجود تصحيحي، ووجدته عظيما حقا في انتقاده وآرائه الصائبة، وعددت نفسي سعيداً لاتفاق التصحيحين في الغالب. ولست في صدد تعداد ما جاء موافقاً، وما جاء مبايناً أتركه لحكم من أراد الاطلاع والتتبع.

ولكن لا بد من ذكر بضع فقرات وردت في كلام الأستاذ العظيم تحتمل النظر فيها، فأقول:

جاء في الرسالة في عددها الـ ٦٦٩ ص ٤٧٥ كلتا (الفرد) و (الجوهري) وقال الأستاذ: إن الفرد أصلها (العرض) والجوهري أصلها (الجوهر). أما أنا فقد كنت صححت الفرد بالـ (قصَرة) سقطت منها الصاد وحرفت وهي ما يبقى في المنخل بعد الانتخال. وصححت الجوهري بالـ (حواري) وهو لب الدقيق الأبيض الخالص. وتصحيحي هذا ينطبق على القصة دون الالتجاء إلى المجاز أو الاستعارة أو التشبيه.

وفي الصفحة عينها استنكر الأستاذ كلمة انفاق، وأراد تصحيحها بأنفاط جمع نفط، ولكن الكلام كان على الزيت والسمن، أي على الأدهان المأكولة، والنفط ليس منها. أراد الجاحظ بالانفاق زيت الإنفاق، وهو الزيت المعتصر من الزيتون الفج، ويسمى بالزيت الركابي أيضا. جاء في التاج في مادة (فوق): الانفاق وهو الغض من الزيت. وجاء فيه في مستدرك مادة (نفق): وزيت أنفاق: غض. وجاء في مادة (ركب): ويقال زيت ركابي لأنه يحمل من الشام على ظهور

في سبيل الاتجاه نحو مثال جديد ونحو حياة جديدة، ومع أن السيدة جالبريث تعترف بأن الصين قد أفلحت في تحقيق جانب كبير مما رسمته لنفسها إلا أنها مع ذلك تحتاط ولا تبالغ في قيمة الإصلاحات التي تمت بالفعل حتى الآن. وهي ترى أن كثيرا من الوسائل والطرق التي تتبعها الصين وسائل عقيمة وطرق غير مجدية. يضاف إلى ذلك أن كثيرا من الأعمال التي أنجزت بالفعل وقعت في أيدي الأعداء فخربوها، كما أن سكان المقاطعات الصينية التي وقعت تحت سطوة اليابانيين قد تدهوروا ورجعوا إلى حالة من الانحطاط لا تبشر بخير؛ وذلك بتأثير ذل العبودية التي فرضها المنتصرون عليهم من ناحية، وبتأثير الأفيون والمخدرات الفتاكة التي كان اليابانيون يوزعونها عليهم بسخاء من ناحية أخرى. فقيام الحرب اليابانية ولو أنه كان أهم الدوافع التي دفعت الصين إلى التقدم وإلى التطلع إلى حياة أفضل من حياتهم التي حيوها آلاف السنين إلا أن الحرب كانت هي أيضا العقبة الكؤود في سبيل استكمال تلك الحياة والوصول إليها ... ولقد انتصرت الصين أخيرا على غزاتها، ولكنها وقعت في حرب أهلية لا يعرف بالضبط مدى تأثيرها وإن كان لا شك في أن عاقبتها تكون وخيمة. ثم إن مستقبل الصين ليس في يدها وحدها، فهو لذلك لا يزال متقلقلا غير ثابت تتقاذفه كثير من التيارات، ولكن الصين في أحلك ساعاتها كانت تتمسك بأهداب الأمل وكانت تؤمن بنفسها وبمستقبلها، ودفعها ذلك الإيمان إلى العمل وإلى الإصلاح وهي مشغولة بالحرب. ولعل ذلك الإيمان الراسخ يساعدها مرة أخرى على التغلب على ما تلاقيه في طريقها من صعاب. لقد قال كونفشيوس حكيم الصين «إن شعبا يعيش بلا إيمان لا يمكن أن يعيش».

أحمد أبو زيد

الإبل . اﻫ . وقال ابن سينا فى الجزء الأول من القانون فى مادة (زيتون) : وقد يعتصر من الزيتون الفج الزيت ، وقد يعتصر من الزيتون المدرك . وزيت الانفاق هو المعتصر من الفج . اﻫ . وقال داود الانطاكى فى الجزء الأول من كتابه تذكرة أولى الألباب : (زيت) هو الدهن المعتصر من الزيتون ، فإن أخذ أول ما خضب بالسواد ودق ناعماً وكب على الماء الحار ومرس حتى يخرج فوق الماء فهو المغسول ؛ ويسمى زيت أنفاق . وإن عصر بعد نضج الثمرة وطبخ بالنار بعد طحنه وعصره بمعاصير الزيت فهو الزيت العذب . اﻫ . وفى بحر الجواهر لمحمد بن يوسف الطبيب الهروى (طبعة الهند على الحجر) : والزيت قد يعصر من الزيتون المدرك ، وزيت الانفاق هو المعتصر من الفج ، وإنما سمى به لأنه يتخذ للنفقة ، ويقال له الركابى أيضاً لأنه كان يحمل على الركاب أى الإبل من الشام إلى العراق ، كذا قال بعض الفضلاء . وقال مولانا نفيس : نقل أبو ريحان فى الصيدنة عن ماسرجويه أن كل ثمر يكون غضاً نضيراً يقول له أهل الروم انفاقين ، والانفاق مشتق منه . ا ﻫ . أقول إن قول ماسرجويه هو الصحيح ، فإن الكلمة معربة من Omphax اليونانية ، ويريدون به كل ثمر فج ، ومنه الحصرم . وجاء فى لاروس الكبير أن Omphacine مشتقة من امفاكس المذكورة

وجاء فى قاموس ليتره الطبى ، فى مادة Huile قوله :

Huile omphacine, huile amére tirée des olives encore vertes وترجمته : زيت الانفاق زيت مر معتصر من الزيتون الذى لا يزال غضاً . اﻫ .

أما زيت الماء ، فالمفهوم أنه المعتصر من الزيتون المدرك ، سمى به فى مقابلة الركابى ، لأنه كان يجلب إلى البصرة بالسفن نهراً .

وأما الأبيات الواردة فى ص ٤٧٦ من الرسالة وهى :

تهنا لثعلبة ابن قيس جفنــة ... يأوى إليها فى الشتاء الجوّع
ومذانب لا تسـتعار وخيمة ... سوداء عيب نسيجها لا يرقع
فـكأنما فيها المذانب حلقة ... ودم الدلاء على دلوج ينزع

فـكنت قد صححت (ودم) بـ (وذم) . وأرى الآن أن الأبيات تحتاج إلى تصحيحات أخرى كى يظهر لها معنى مقبول ؛ ففى البيت الأول تستبدل (فينا) (بتهنا) و (خيمة) (بجفنة) وفى الثانى تستبدل (جونة) (بخيمة) و (سخامها) (بنسيجها) و(لا يرفع) بـ (لا يرقع) ، وفى الثالث (تنزع) (بينزع) ، و (ولوج) جمع ولاج وهو الولادى (بدلوج) ذلك أن الإنسان يبرد فى الشتاء فيحتاج إلى كن يقيه البرد وبخاصة إذا كان جائعاً ، وهذا الـكن فى البادية هو الخيمة لا الجفنة . قال الافوه الأودى هذه الأبيات مفاخراً . ولـكن كيف يفخر الإنسان بخيمة سوداء لا ترقع خروقها . الصحيح أنها جونة . وأراد بالجونة القـدر السوداء الظاهر ، لأنهم يفخرون بها لـكونها دليلا على كثرة الطبخ بها . قال أحدهم يفخر بسواد قدره فى جملة أبيات :

بقدر كأن الليل سحمة قدرها ... ترى الفيل فيها طاميا لم يقطّع

أراد بالفيل الجمل الضخم . وبعد هذه التصحيحات تـكون الأبيات هكذا :

فينا لثعلبة ابن قيس خيمة ... يأوى اليها فى الشتاء الجوّع
ومذانب لا تسـتعار وجونة ... سوداء عيب سخامها لا يرفع
وكأنمـا فيها المذانب حلقـة ... وذم الدلاء على ولوج تنزع

عبر عن سخام القدر بالعيب ، وهذا مدح فى معرض الذم ، كقول الشاعر :

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم ... بهن فلول من قراع الـكتائب

وأما تصحيح الأستاذ العظيم كلمة العود بالفتح بالعـَود بالضم فى البيت : المشرف العود فا كنافه ... الخ ، وقوله هو كناية عن ارتفاع قامته ماديا أو ارتفاع هامته معنويا ، فلا أدرى قامة من ، وهامة من قصد ، فى حين أن لا ذكر لرجل هناك . يجب تصحيح البيت هكذا : للشرف عوض المشرف ، واللام الأولى فى للشرف مفتوحة وهى للتأكيد ؛ والفرد عوض العود ؛ وجمران عوض حمران ، (كما فى طبعة دمشق) فالشرف هو الجبل ، والفرد وجمران وينصوب (جمعه يناصيب) أسماء جبال فى البادية ذكرها ياقوت فى معجم البلدان . والشاعر يقول فى امرأة بدوية أنه إذا وجدت منماً وضيقاً من زيد بن أيوب (ولعـله كان حضريا) يكون خيراً لها أن تعود إلى منازلها التى ألفتها عنـد الجبال المذكورة . . .

ولقد أصاب الأستاذ بتصحيحه كلمة (كسجر) بـ (كسحر) فى البيت ، ونار كسجر العود ... الخ . كما أتى بآراء صائبـة يشـكر عليها فى مقالته .

(الموصل) **الدكتور داود الجلبي**

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٧٤٦ — والمقصود حتفي

أنا ما بين عدويـ ـنِ هما قلبي وطرفي
ينظر الطرف ، ويهـ ـوى القلبُ والمقصود حتفي

٧٤٧ — عمك أبو سماك الأسدي

في (عيون الأنباء في طبقات الأطباء) :

قال جد كناسة : أتيت امرأة من بني أود لتكحلني من رمد كان أصابني فكحلتني ثم قالت : اضطجع قليلا حتى يدور الدواء في عينيك ، فاضطجعت ثم تمثلت بقول الشاعر :

أمخترمي ريب المنون ولم أزر طبيب بني أود على النأي زينبا

فضحكت ثم قالت : أتدري فيمن قيل هذا الشعر ؟

قلت : لا .

قالت : فيّ (والله) قيل . وأنا زينب التي عناها وأنا طبيبة بني أود أفتدري من الشاعر ؟

قلت : لا .

قالت : عمك أبو سماك الأسدي .

٧٤٨ — والدهر لجة ماء

قال أبو القاسم خلف بن فرج السميسر :

الناس مثل حَبابٍ والدهر لجة ماء(١)
فعالم في طفُوٍّ وعالم في انطفاء(٢)

٧٤٩ — فشق أثوابه من الطرب

قال ابن دحية في المطرب : اجتاز الوزير أبو بلال يوما وبيده مجلد من صحيح مسلم بقصر بعض الملوك الأكابر وهو ينظر من بعض مناظره ومجلسه بخواص ندمائه حال ، وصوت المثاني والمثالث عال . فقال : أطلعوا لنا هذا الفقيه ؛ فلما مثل بين يديه أمر بمناولته الكأس فتقبض متأففا والسلطان يستغرب ضحكا مما هجم عليه ، ويد الساقي ممدودة إليه . واتفق أن انشقت من ذاتها الزجاجة فظهر من السلطان التطير من ذلك فأنشد الفقيه مرتجلا :

ومجلس بالسرور مشتمل لم يخل فيه الزجاج من أدب
سرى باعطافه بريحه فشق أثوابه من الطرب

فسر السلطان وسري عنه ، واستحسن من الفقيه ما بدا منه وأمر له بجائزة سنية .

٧٥٠ — علم أو أدب أو فائدة

نقش مأمون بن آدم على باب داره هذين البيتين :

إن كنت صاحب علم أو أخا أدب أو فيك فائدة فانزل ولا تَرِم(١)
وإن تكن صورة لا فيك فائدة ولا مؤانسة فارحل ولا تقم

٧٥١ — ويغتفر اللحن في الكلام الشائع بين الناس

في صبح الأعشى : اعلم أن اللحن قد فشا في الناس والألسنة قد تغيرت حتى صار التكلم بالاعراب عيبا ، والنطق بالكلام الفصيح عيا والذي يقتضيه حال الزمان والجرى على منهاج الناس أن يحافظ على الاعراب في القرآن الكريم والأحاديث النبوية وفي الشعر والكلام المسجوع وما يدون من الكلام ويكتب من المراسلات ونحوها ؛ ويغتفر اللحن في الكلام الشائع بين الناس الدائر على ألسنتهم مما يتداولونه بينهم ، ويتحاورن به في مخاطباتهم ، وعلى ذلك جرت سنة الناس في الكلام منذ فسدت الألسنة .

٧٥٢ — فوجده كما قال

قال أبو الحسن المدائني : أصبح عبد الملك يوما في غداة باردة فتمثل قول الأخطل :

إذا اصطبح الفتى عنها ثلاثا بغير الماء حاول أن يطولا

---

(١) حباب الماء نفاخاته وفقاقيعه التي تطفو كأنها القوارير ، وهي اليماليل (التاج)

(٢) طفا الشيء فوق الماء طفوا وطوا : عام وعلا .

(١) رام يريم : برح ، لا رمت : لا برحت وهو دعاء بالاقامة أي لا زلت مقيما

مشى قرشية لا شك فيها وأرخى من مآزره الفضولا

ثم قال كأنى أنظر إليه الساعة محلل الازار مستقبل الشمس فى حانوت من حوانيت دمشق ثم بعث رجلا يطلبه فوجده كما قال .

٧٥٣ — ياسدرة الوادى

قال أبو السعادات بن الشجرى :

هذى السدرة والغدير الطافح فاحفظ فؤادك إننى لك ناصح
يا سدرة الوادى الذى إن ضله السـ ارى هداه نشره المتفاوح
هل عائد قبل الممات لمغرم عيش تقضى فى ظلالك صالح
ولقد مررنا بالعقيق وشاقنا فيه مراتع للمها ومسارح
ظللنا به نبكى فكم من مضمر وجدا أذاع هواه دمع سافح
يا صاحبى تأملا حييتما وسقى دياركما الملث الرائح
أدمى بدت لعيوننا أم ربرب أم خرد ، أكفالهن رواجح
كيف ارتجاع القلب من أسر الهوى
ومن الشقاوة أن يراض القارح

٧٥٤ — قل فى اهلاكه

قال رجل : كنا فى أملاك فلان .

فقال حكيم : لا تقل فى املاكه ، قل فى اهلاكه .

٧٥٥ — غنيمة

إذا كان الزمان زمان سوء فيوم صالح منه غنيمة

٧٥٦ — عمود الجمال ورداؤه وبرنسه

قالت امرأة لخالد بن صفوان : إنك لجميل يا أبا صفوان .

قال : وكيف تقولين هذا وما فىّ عمود الجمال ولا رداؤه ولا برنسه .

فقيل له ما عمود الجمال ؟

قال : الطول ولست بطويل ، ورداؤه البياض ولست بأبيض ، وبرنسه سواد الشعر وأنا أشمط ، ولكن قولى إنك لمليح ظريف .

٧٥٧ — وويل جيراننا كلهم

ذكر الخرائطى عن بعض العلويين قال :

بينما أنا عند الحسن بن هانىء وهو ينشد :

وبلى على سود العيون الهيف الضمر البطون
الناطقات عن الضمير لنا بألسنة العيون

فوقف عليه اعرابى ومعه ابن فقال : أعد على فأعاد عليه .

فقال : يا ابن أخى ويلك أنت وحدك من هذا ؟ ويلى أنا وأنت وويل ابنى هذا ، وويل هذه الجماعة ، وويل جيراننا كلهم !

٧٥٨ — كيف كنت وكيف كانا

نظر إبراهيم بن العباس الحسن بن وهب ، وهو مخمور فقال له :

عيناك قد حكتا مبيـ تك كيف كنت وكيف كانا
ولرب عين قد أرتك مبيـ ت صاحبها عيانا

٧٥٩ — هذه بضاعتنا ردت إلينا

قال ابن حجة : كان قاضى القضاة علاء الدين بن أبى البقاء قد عزل من وظيفة قضاء القضاة بدمشق المحروسة فعاد إلى وظيفته وألبس التشريف من قلعة دمشق وحضر إلى الجامع الأموى على العادة (ومعه أخوه بدر الدين قاضى القضاة بالديار المصرية) ، فاستفتح الشيخ معين الدين الضرير المقرىء وقرأ : « قالوا يا أبانا ما نبغى هذه بضاعتنا ردت إلينا ونمير أهلنا ونحفظ أخانا » الخ الآية فحصل بالجامع الأموى زتم صفق له النسر بجناحيه

٧٦٠ — السكون الباكى

فى (لوعة الشاكى) :

كل من فى الوجود يشكو فراقا من حبيب أو لوعة من غرام
فصليل الرعود أنة حزن وانسكاب الغيوث دمع الغمام
تتعرى الغصون من حلل الزهـ ر فتبكى عليه ورق الحمام
وعيون النوار خوف المنايا فى رباها لم تكتحل بمنام
وإذا مال للغرور قضيب ضحك الزهر منه فى الأكمام

من وحى المرأة :

وســــواس . . . !

للاستاذ عبد الرحمن صدقى

يعاودنى الوسواسُ ، ياطولَ وسواسى
إذا جَدَّ ذِكرٌ للدواء وللآسى
يساورنى الوســـواسُ أنى مقصِّرٌ
ولولاه لم تُغْنى رهينـــةَ أرماس
عـذابىَ نَطْسٌ فى الأُساة جهلتُه
كأنَّ الأُولى آسوكِ ليسوا بأنطاس
وثَمَّ دواءٌ مُحْدثٌ كنتُ أرتجى
عجائبَه لو أمهل الزمنُ القاسى
أُجرِّد من نفسى لنفسى مُخاصما
وحبُّكِ فى النفسَيْن كالجبل الراسى
فيـا هول حرب كالجبال صِداُمها
تَداعَى لها ركنى ، وشاب لها راسى
وما ذاك إلا أن حبَّكِ فوق ما
بذلتُ وما استقضيتُه سائرَ الناس
ولو أنه صحَّتْ لعُمْرِك وُصْـــلةٌ
وَصَلْتُكِ مِن عمرى وجُدْتُ بأنفاسى

محنة مضـــاعفة : . . !

ربى ! أزانى شــقيًّا مشرَّداً فى فضـــاكْ
أكاد من فرط يأسى أشكو إليك قضاك
يطيف بالنفس شــكٌّ كالنـــارِ نارِ غضاك
عدمتُ بالأمس زوجى فلا عدمتُ رضـــاك

عبد الرحمن صدقى

زهر الربيع . . . ! (*)

للاستاذ أحمد عبد المجيد الغزالى

ياطيورَ الرَّوض غنينا النشيدا وانثرى فوق الرُّبى زهرالربيع
واهتِـفى باللحن ريان جديدا واسبحى فى ذلك الأفق الوسيع

***

أيقظى الفجرَ نديًّا باسمـا يتهادى من وراء الأفق
رسل النـور عليه حالمـا ويحييه بصبح ألِـق

***

رددى فى الروضِ ألحانَ الصباح وانهلى الألحان من زهرالربيع
واسكبيها بين أنفاس الأقاحى قبـلةً تمسح أنداء الدموع

***

داعب الظلُّ شعاعَ الجدولِ وعلى شطَّيْه قام السامرُ
ها هنا دنيا الهـوى والغزل صفَّق الموج ، وهام الشاعر

***

إيه يا « زهر الربيع » البا كر يا متاع القلب ، يا أنس الأمانى
جدِّدِ العمرَ لهـذا الطائرِ ، يملأْ الروضَ بأصداء الأغانى

***

كانت اللُّقيا حناناً وحنينا وطبيباً بين دائى ودوائى
يشهد الرِّعشة والداء الدفينا يا طبيبى ، أتُرى آن شفائى ؟

***

هاهنا الدَّاءُوفى «زهرالربيع» لى آسٍ من جراحى وذُنُوبى
ما له يَنْسى أنينى ودُموعى ويُوَلِّى هارباً غير مجيبْ

***

عَلَّهُ آتٍ ، فحَسْبِى ألمُ صحَّ فى لُقياه عندى أملُ
طابَ يا « زهر الربيع » الحلم وعلى خديك تحلو القُبَل

***

فاسقنيها فى ربيع الزمن خمرة من ربِّها العذبِ أُوامى
علَّنى أنسَى شتاء المحَن وتندَّى الفرحةالكبرى هيامى

أحمد عبد المجيد الغزالى

(*) من ديوان « زهر الربيع » يظهر فى هذا الربيع



الرسالة وإصلاح الأزهر :

علمنا من لدُن عليم مسئول أن اقتراح « الرسالة » لحل مشكلة الأزهر قد وقع من الجهات الرسمية موقع التقدير والنظر . والنية معقودة على أن يسير الإصلاح الجديد فى طريق هذا المقترح حتى تتبوأ الجامعة الأزهرية مكانتها بين الجامعات الحديثة فتؤدى رسالتها الدينية والأدبية على النحو الذى يقتضيه تطور العالم وتقدم العلم .

كفل المال وبالمال :

فى الجزء الأخير من (مجلة المجمع العلمى العربى الغراء) مقالة عنوانها : (التنبيه والتوجيه) خطأ فيها الأديب اللغوى الفاضل الدكتور مصطفى جواد عبارة كانت قد وردت فى مجلة المجمع وهى « ولنا ما يكفل إعادة النظر[1] » قال :

« ويكفل من الكفالة يتعدى بالباء لا بنفسه . وفى أساس البلاغة (وهو كفيل بنفسه وبماله ؛ وكفل عنه لغريمه بالمال وتكفل به) . فالصواب ما يكفل بإعادة النظر ، أما للانسان فيقال يكفله » .

كلام الأساس على العين والراس ، وكتاب جار الله هو فى الحقيقة فى المجاز ، وهو مصنف عبقرى منقطع القرين قد حدت على وضعه ووضع الكشاف عقيدة الرجل تؤيدها العربية — وللعقائد فوائد — فالكتابان من حسنات خصومنا المعتزلة ، ولكن الامام الزمخشرى لم يقل إنه أودع أساسه كل لفظة وتركيب . ورأينا الضعيف فيه أن جميع ما يحتويه هو حجة ، بيد أنه لا يستضعف أو يغلط ما خلا منه ، ورواه غيره من أئمة اللغة . فى (لسان العرب) : « كفل المال وبالمال ضمنه » . وكلام اللسان — كما يلوح صحيح .

« السهمى »

(١) لم ينشر من المقالة إلا تخطئة هذه العبارة وقالت المجلة : (يتبع)

الأعرابى وفهم العروض :

فى العدد الأخير من « الرسالة » روى الأستاذ الكبير النشاشيبى عن محاضرات الراغب ثلاثة أبيات منسوبة إلى أعرابى فى فن العروض . ولكن الزبيدى فى طبقاته قال ما خلاصته :

إن أبا مسلم مؤدب عبد الملك بن مروان كان قد نظر فى النحو فأعجبه ، بيد أنه لم يحسن التصريف فأنكره . وقد جلس معاذ الهراء يوماً يتكلم فى الصرف ، فسمع منه أبو مسلم كلاماً لم يعرفه ، فقام عن أصحاب النحو وقال :

قد كان أخذهم فى النحو يعجبنى ... حتى تعاطوا كلام الزنج والروم
لما سمعت كلاماً لست أفهمه ... كأنه زجل الغربان والبوم
تركت نحوهم والله يعصمنى ... من التقحم فى تلك الجراثيم !

والرواية تختلف عما فى المحاضرات قليلا . وقد أجاب أبا مسلم معاذ بقوله :

عالجتها أمرد حتى إذا ... شبت ولم تحسن أبا جادها
سميتَ من يعرفها جاهلا ... يصدرها من بعد إيرادها
سهل منها كل مستصعب ... طود علا القرن من أطوادها

وبعد ، فما رأى الأستاذ الكبير ، أى العلمين أجدر بهذه الأبيات : الصرف أم العروض ؟ !

(كلية اللغة العربية) أحمد ابراهيم الفرباوى

الأدب والمجتمع :

عرض الأستاذ الفاضل الكردانى فى مقاله « الأدب والمجتمع » لموضوع الفن لذات الفن ، والفن لخدمة المجتمع الذى كان نقطة نقاش بين الأستاذين أحمد بك أمين وتوفيق الحكيم على صفحات « الرسالة » منذ زمن .

ولكن نظرته كانت جديدة حينما ربط بين الأدب وبين النزعة الاشتراكية التى وجهت أكثر الكتاب إلى الوجهة الاجتماعية وصرفتهم عن الفن لذاته . وبذلك يكون الأستاذ الفاضل قد أضاف إلى موضوع الفن الرفيع شيئاً جديداً يشكر له ، ولفتَ الأنظار إلى السبب الرئيسى أو المباشر الذى حوّل الكتاب إلى الناحية الاجتماعية .

ثم يقول فى كلامه عن الإنتاج الأدبى وعلاقته بالأفراد :

« أليس المجتمع سوى مجموعة أفراد ؟ » ولـكنى أقول له : إن علم الاجتماع ينظر إلى المجتمع على أنه وحدة لا تنقسم ، وجميع عناصره أو أعضائه لا يمكن أن توصف أو تفسر تفسيراً علمياً إلا إذا نظر إليها ككل واحد لا ينقسم . وعلى ذلك فليس من الضرورى إذا تناول الأديب وقائع خاصة أو أحداثاً شخصية فردية أن يكون ممثلا للجماعة ، بل إنه لم يزد فى هذه الحال على أن يكون ممثلا لنفسه ولنفسه فقط .

على أنى أسلك فى تفسير الأدب الرفيع مسلكا آخر غير الذى سلكه الأستاذ فأقول : إن الأدب ، سواء وصف أحداث المجتمع أو تناول أهواء الفرد ، هو أدب له قيمته . ولا يغض من شأنه ، أو ينقص من قيمته ، إلا عجزه عن التصوير الدقيق والتأثير البليغ .

ويقول الأستاذ فى آخر المقال تقريباً : « لا نعرف الفنان إلا خيراً ، ولا نعرف الفن إلا خيراً صرفاً كله » . وأكرر ما قلته أولا أن الأدب لا يكون غثاً إلا إذا جاء تصويره فاتراً ، وتأثيره على النفس واهناً . والشر فى الأدب لا يقلل من قيمته ، بل قد يكون من دواعى رفعته . ونضرب مثلا على ذلك أبا نواس فى الأدب العربى ، وبودلير فى الأدب الغربى؛ فهذا صوَّر فى شعره شهواته الجارفة وخمره وغزله بالمذكر ، وذلك أتى من ضروب تصوير اللذة البهيمية ما رفعه إلى الذروة فى الفن . وكلاهما لم يخرج عن الشر فى صوره الأدبية فى الغالب .

جبريل غزام

قبور بعض آل البيت :

كتب الأستاذ أحمد أبو زيد مقالا قيما عنوانه « الموالد المصرية » فى العدد ٦٣٢ من « الرسالة » الغراء جاء فيه :

« وتعتبر القاهرة أسعد مدن مصر ، بل أسعد مدن العالم الإسلامى أجمع نظراً لـكثرة ما تضمه من رفات الأشراف والأولياء من نسل النبى صلى الله عليه وسلم وغيرهم . فالقاهرة فى ذلك لا يضارعها حتى مكة نفسها ، ففيها رأس الحسين ، ورأس ابنه زين العابدين ، ورفات فاطمة ، وسكينة ابنتى الحسين أيضاً الخ »

وهذا القول مخالف للواقع ، لأن الإمام زين العابدين توفى فى المدينة سنة أربع وتسعين أو خمس وتسعين أو تسع وتسعين على مختلف الروايات ، ودفن بالبقيع فى القبر الذى فيه عمه الحسن قال السيد محسن الأمين فى كتابه « المجالس السنية » :

« ... يقال إنه مات مسموماً ، سمه الوليد بن عبد الملك بن مروان ، وقال الـكفعمى : سمه هشام بن عبد الملك فى ملك أخيه الوليد ، فلما توفى غسله ولده الإمام محمد الباقر ، وأعانته على غسله أم ولده ، وحنطه وكفنه وصلى عليه ودفنه . قال سعيد بن المسيب : وشهد جنازته البر والفاجر ، وأثنى عليه الصالح والطالح ، وانهال الناس يتبعونه حتى لم يبق أحد ودفن فى البقيع بالمدينة الخ ج ٥ ص ٢٧١ »

أما سكينة بنت الحسين ، فإنها توفيت بالمدينة ودفنت فيها عام سبعة عشر ومائة ، وقد جزم بهذا القول أكثر المؤرخين كابن خلكان فى وفيات الأعيان ، وأبى الفرج الأصبهانى فى الأغانى ، والمازندرانى فى كتاب « معالى السبطين » ، وندر من قال إنها دفنت فى مصر . وقد جاء فى كتاب « السيدة سكينة » لمؤلفه الأستاذ عبد الرزاق الموسوى ما يؤيد هذا القول :

« ... ولادتها بالمدينة ووفاتها فيها يوم الخميس لخمس خلون من ربيع الأول سنة سبع عشرة ومائة ، وقيل توفيت بمكة فى طريق العمرة ، كما قيل رجعت إلى الشام وقبرها هنالك . وينص الشعرانى فى لواقح الأنوار أنها توفيت بمراغة من أرض مصر ، وقبرها بالقرب من السيدة نفيسة ، وحيث أن أكثر المؤرخين نصوا على أنها بالمدينة ، فهو بالصحة أجدر . ص ٦ »

فاضل خلف التبلجى

« تقريرات الصباح » :

[ديوان شعر للاستاذ الأسمر]

هذا الديوان يمثل المدرسة الأدبية المحافظة تمثيلا قوياً ، إذ لا تروعك معانيه وأخيلته بقدر ما تأخذ بمجامع قلبك رصانة أسلوبه ، وروعة بيانه . وهذا لا يطامن من قدر الشاعر ، ولا ينتقص من جلاله ؛ لأن الأستاذ الأسمر قد وفى لبيئته واستجاب لطبعه ، فهو ربيب البيئة الأزهرية ، ترى أثرها فى متانة أسلوبه ، وإشراق ديباجته ، ومحافاته التحليق فى أجواء ينفر منها الخلق ، ويألم منها الضمير . أما معانيه فليست من الطراز الذى يتملك القلوب ، ويستحوذ على الشاعر ، ولـكنها من النوع الذى نعجب به العجب الذى نملك معه الزمام ، إلا أن فنه الأدائى — كما قلنا — يبلغ مبلغ الجلال والجمال والروعة فى كثير من المواطن

محمد عبد الحليم أبو زيد

مكتبة الأطفال :

الأستاذ كامل كيلانى ، صاحب فكرة ، أقسم بالله جهد أيمانه ليوفين فيها على الغاية مهما أدمت يديه ورجليه أشواك الزمان ، وليس هذا فرضاً أفترضه ، أو كلاما ألقيه على عواهنه .

فأديبنا ما زال يدأب على خدمة هذه الفكرة ، متجاهلا كل العقبات والمتاعب ، فكرة إنشاء مكتبة الطفل فى الأدب العربى — الذى خلا منها فى جميع العهود — ابتدعها الأستاذ كامل كيلانى بقلمه الذى يشبه « البطاريات » الكاشفة عن مواقع الأهداف فى غلس الظلام ؛ فأدبنا العربى تجاهل الطفل ، والفتى اليافع ، بل والشاب الناشىء ، ولم يفتح عينيه إلا على الرجل الناضج ، ومن يستطيع أن يقفز إلى أعلى السلم متخطياً درجاته الأولى دفعة واحدة؟!

ها هى ذى الدرجات الأولى فى سلم الأدب العربى يضعها الأستاذ كامل كيلانى ببراعة المهندس ، وحكمة البناء ، وذوق الفنان ، الذى يتحدث عن عمله فيقول : « أخذت فى إظهار مكتبة الأطفال التى أمضيت فى تأليف أجزائها عدة أعوام ، وجعلت منها مجموعات يقرؤها الطفل على مراحل مرسومة ، كل مرحلة تناسب سنا معلومة ، دفعاً للحرج ، وتمشيا مع سنة الترقى من درج إلى درج ؛ فهو يقطع هذه المراحل فى المطالعة والدرس ، مستريح البال ، مطمئن النفس ، لوضوح مقاصدها ، وسهولة مآخذها ومواردها ، لا يجد فيما يطالع منها إلا ما يناسب مزاجه ويوائمه ، ولا يصادف فيما يقرأ إلا ما يوافق طبعه ويلائمه[1] »

وكان من أثر هذا المجهود الفذ أن ظفر صاحبه بثناء الأمراء المثقفين ، والوزراء المتأدبين ، وحملة الأقلام فى الشرق ، اعترافا منهم بتبريزه وفذاذته ؛ فها هو ذا الأمير سيف الأسلام عبد الله ولى عهد اليمن يوجه إليه خطابا كريما يفيض بالتقدير ويختمه بقوله : « وسنقتنى منها ومن مكتبة الكيلانى للأطفال — كمية يستفيد بها الأولاد فى اليمن »

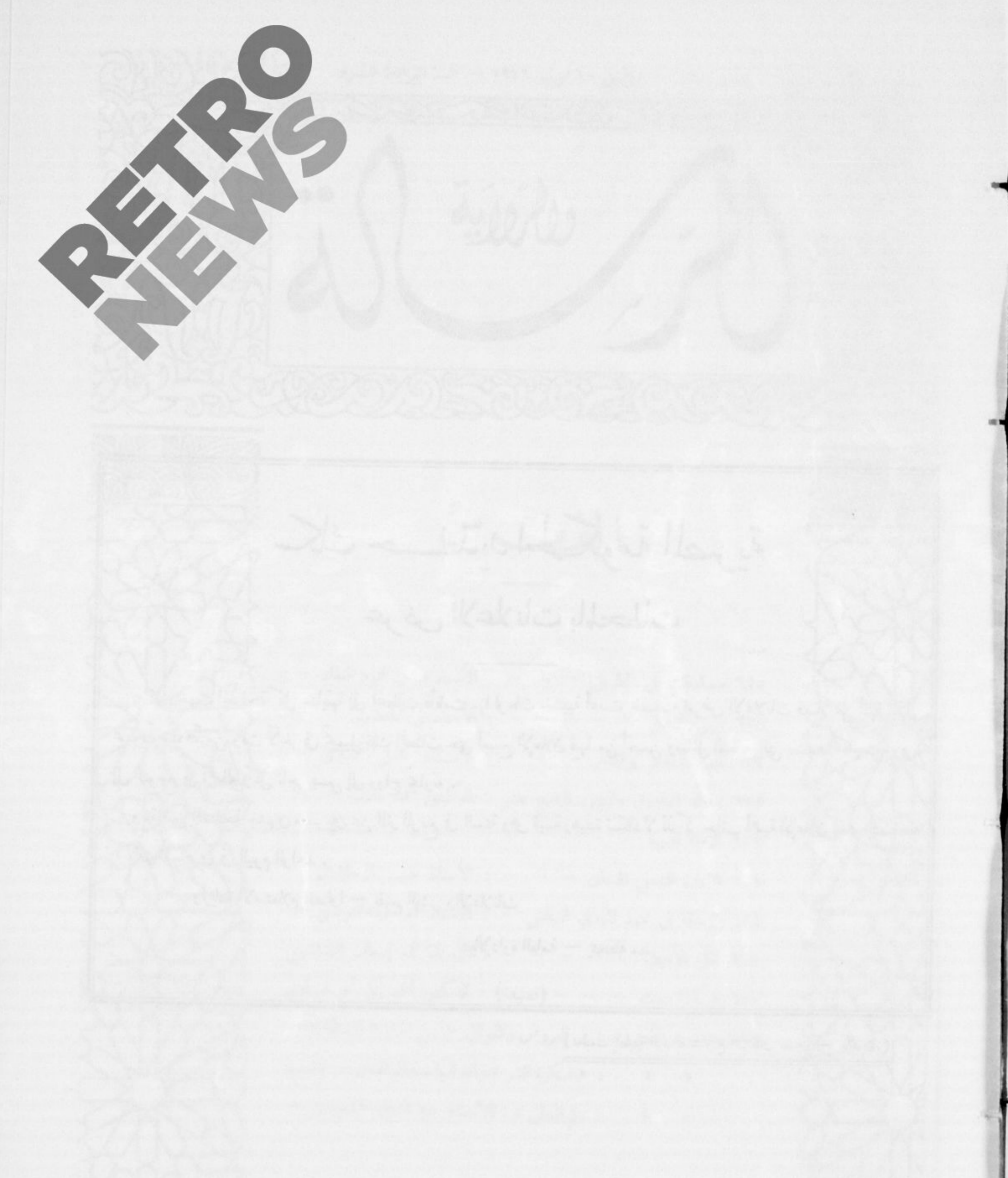
وها هو ذا سعادة الأستاذ نجيب الهلالى باشا يوجه إليه رسالة من بيانه الرائع فيقول : « ضالة الجبل ، ومنطق العرب الأصيل رجال فى مرح الأطفال ، وأطفال فى هدى الرجال ، جد فى لعب ، وجوهر من الصدق فى عرض من الكذب ... » ثم يقول سعادته : « وإن طفلا تتعهده هذه الكتب ، وينشئه هذا الأدب لهو خليق أن يمضى فى البلاغة قدما ، حتى يطلع فى سمائها نجما ، ولقد جئت فى ذلك بدلائل الإعجاز ، ومحوت فيما دبجته براعتك من أطناب وإيجاز » .

بين يدى الآن مجموعة من مكتبة كيلانى للأطفال فهذه قصة : « أصدقاء الربيع » وقصة : « زهرة البرسيم » وقصة : « فى الاصطبل » وقصة : « جبارة الغابة » وقصة : « أسرة السناجيب » وكلها قصص علمية للأطفال قصص تقوم على أساس علمى من حيوات الحيوان والنبات ، فهذه ظاهرة علمية من حياة حيوان أو عمر نبات ، ولكنك تترشفها من بيان كيلانى أفكوهة أو موقفا مسرحيا يبتز منك الإعجاب والاهتزاز . ولأديبنا كيلانى قدرة عجيبة على مزج الحقائق بالأساطير مما يجعل لنفسك متنفسا حينما تنتقل من فىء إلى فىء ، ومن ضوء إلى ضوء . وليس هذا عجباً ممن مارس الطبائع فى شتى الصور حينما تصدى للكشف عنها فى قصص ممتع شهى كهذا الذى بأيدينا الآن .

ورجاؤنا أن يتناول أديبنا الكبير فى قصصه الآتية — إن شاء الله — ناحية التاريخ الإسلامى بما هو أهل من العناية ، ويظهر ما فيها من كنوز ؛ فإن العالم الإسلامى الذى يقرأ ويتعلم اللغة العربية من كتب الكيلانى مشوق إلى هذا النوع من القصص بأسلوب الكامل .

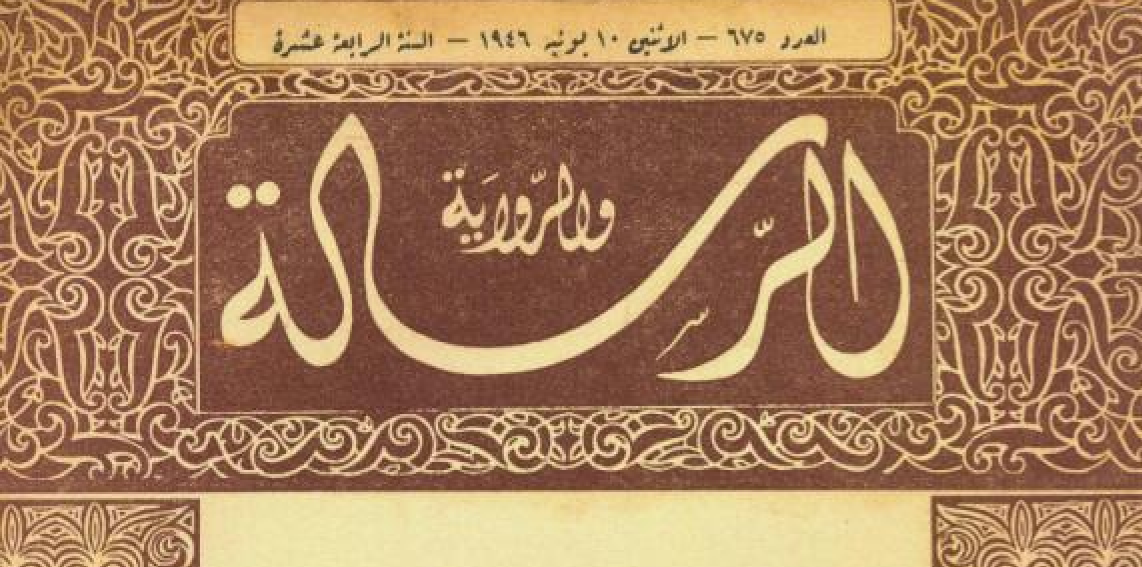
وهبى إسماعيل حقى
عضو البعثة الألبانية بالأزهر

(١) ص ١٠ من كتابه « حديقة أبى العلاء »


RETRO
NEWS



(طبعت بمطبعة الرسالة شارع السلطان حسين — عابدين)



الفهرس

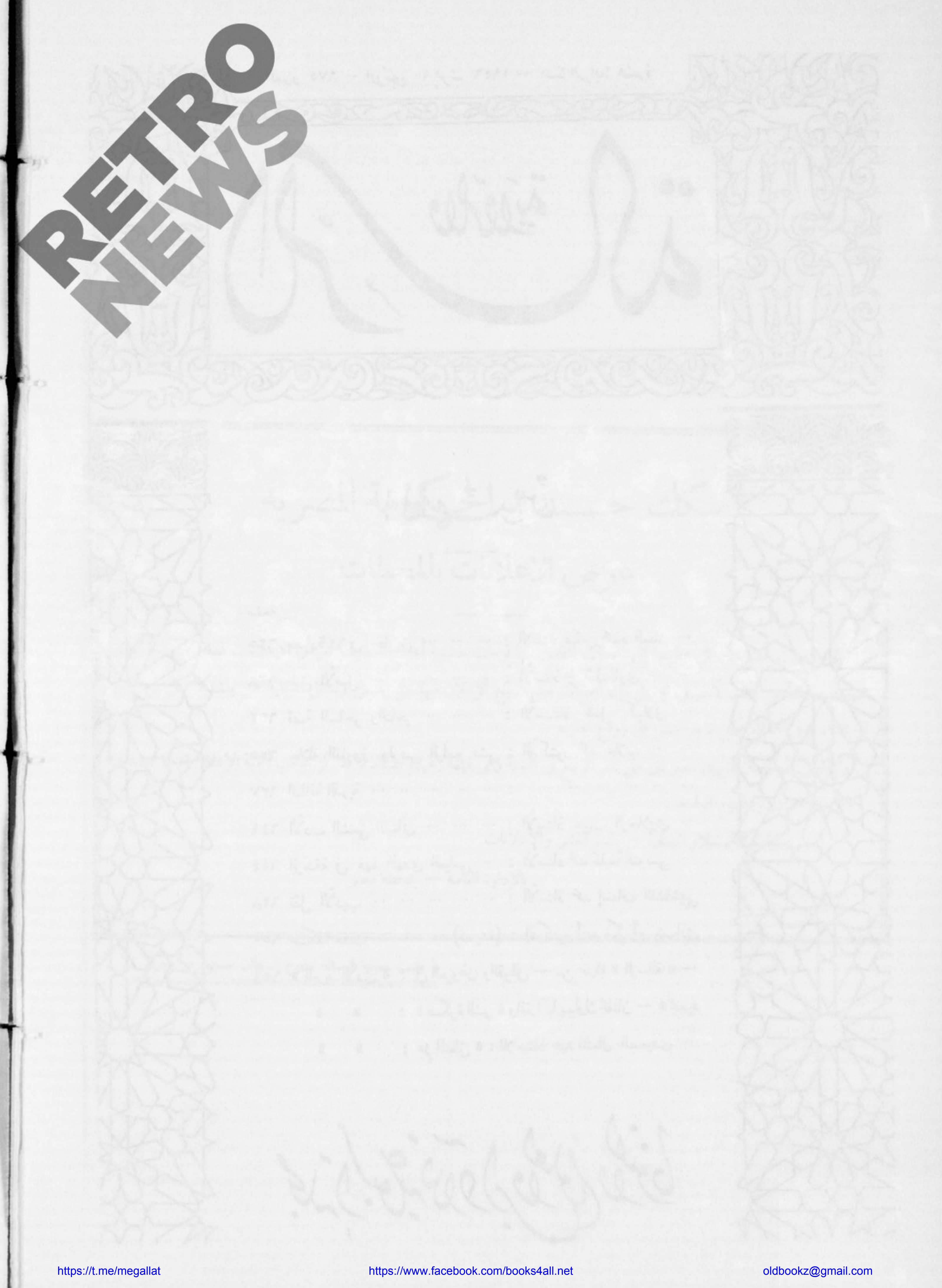
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ٦٧٥ — الاثنين ١٠ يونيه ١٩٤٦ — السنة الرابعة عشرة



الفهرس

مجلة إسبوعية للآداب والعلوم والفنون



14 me année No. 675
Lundi—10—6—1946

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٦٧٥ « القاهرة فى يوم الإثنين ١٠ رجب سنة ١٣٦٥ — ١٠ يونية سنة ١٩٤٦ » السنة الرابعة عشرة

مصادفات فى الطريق

للأستاذ عباس محمود العقاد

نعم هى مصادفات فى الطريق

ولكنه طريق التاريخ لا طريق المدنية ، أو طريق الزمان دون طريق المكان ، وقد يحدث فى هذه الطريق ما يحدث فى كل طريق من المصادفات والمناقضات ، فيعيش الناس فى حى واحد ولا يلتقون ، ويلتقون وهم يعيشون فى أحياء لا يجمعها مكان

أيذكر القارىء كيف يتفق له أن يقضى السنين ولا يلاقى فى خلالها وجهاً من الوجوه التى تعود النظر اليها ، ثم تعرض له فترة من الزمن فإذا هو يستقبل ذلك الوجه أمامه حيث سار على غير موعد وعلى غير انتظار ؟

ذلك ما حدث لى فى طريق التاريخ مع « عمر الخيام » خلال الأيام الماضيات ، فما فتحت كتابا إلا أطل منه « الخيام » بصفحة من صفحات وجهه أو جانب من جوانب نفسه ، على تعدد الموضوعات وتباعد المناسبات . إذ كان من تلك الكتب ما أفتحه للمراجعة العاجلة فى مسألة من مسائل التصوف أو مسائل السياسة أو مسائل الفلسفة أو مسائل الأدب وما إليه . وكنت مشغولا بالشيخ الرئيس ابن سينا فما تعمدت لقاء الشيخ مرة إلا خرج لى الخيام فى بعض الطريق كأنهم يقيمون من عالم الأرواح فى عالم واحد ، أو كأنهم يحضرون معاً بدعوة واحدة على خلاف الآداب العصرية فى استجابة الدعوات .

تحدث العروضى السمرقندى فى « مقالاته الأربع » عن الفيلسوف ابن سينا وعن الفلكى عمر الخيام ، فروى عن كليهما الأعاجيب ، وكلاهما قد عاش زمناً فى إقليم واحد وإن تلاحقا بالزمان ...

وراجعت بعض الأقوال فى تناسخ الأرواح فرأيت أناساً ممن يدينون بهذا المذهب العجيب يعممون التناسخ ولا يقصرونه على الحيوان والإنسان ؛ فانتقال الروح من رجل إلى امرأة أو من رجل إلى رجل نسخ ، وانتقالها من إنسان إلى حيوان مسخ ، وانتقالها من إنسان إلى نبات فسخ ، وانتقالها من إنسان إلى جماد رسخ ... وما من انتقال منها كما رأيت إلا وهو على قافية الخاء ، دون غيرها من حروف ألف باء ، وهو حرف لا يوجد فى معظم اللغات الأوربية ولغات الأمم على الإجمال . فكيف تسعفهم القافية يا ترى فى تلك الأمم إذا احتاجوا إلى التقسيم والترتيب فى أطوار هذا الانتقال العجيب ؟ وما بال أصحاب التناسخ يا ترى قد فكروا فى انتقال روح الإنسان ولم يفكروا فى انتقال الروح من الجماد إلى النبات أو من النبات إلى الحيوان ؟

إنهم لم يفكروا فى ذلك ولكن فكر فيه على نحو غير هذا النحو جماعة من شعراء « التطور » القديم ومنهم جلال الدين الرومى الشاعر الفارسي المشهور . فمنده كما يقول : « إن الإنسان

فى بداية أمره قد ظهر فى عالم الجماد ، ثم ترقى من هذا العالم إلى عالم النبات ، ثم عاش هنالك شجرة من الشجر أو عشبة من العشب لا يذكر شيئاً مما كان فيه من تلك الحال المختلفة بين المعادن والحجارة الصماء ، وصعد من طبقة النبات إلى طبقة الحيوان فلم يبق فى ذاكرته أثر للطبقة التى كان فيها إلا ذلك الشوق الذى يميل به إلى الأوراق والأشجار ولا سيما فى إبان الربيع وازدهار الرياض ، كأنه الطفل الذى يهتدى إلى صدر أمه من حيث لا يدرى سر هذه الهداية ... وشاء الله بعد ذلك أن يرفعه من زمرة الحيوان الأعجم إلى صورة الإنسان حتى بلغ ما نعلمه من القوة والعقل والمعرفة ، وما به من ذكر فى هذه الحال لعيشته الأولى ، وإنه ليترك فى مصيره الأبدى ، هذه العيشة التى هو فيها ... »

فهذا انتقال من الرسخ إلى الفسخ إلى المسخ إلى النسخ على انعكاس فى ترتيب التناسخ الذى يقول به التناسخيون ولا يقول به الصوفية المتطورون ! ...

والعجيب أن صاحبنا الخيام قد سلك بين هذه الزمرة وهذه الزمرة بشهادة أناس من الزمرتين ؛ فقيل فيه إنه من المؤمنين بالتناسخ كما قيل فيه إنه من المؤمنين بارتقاء الأرواح فى معراج الكمال إلى قدس الأقداس

زعموا أن الحكيم كان يتمشى مع مريديه عند مدرسة الحكمة والعلوم بمدينة نيسابور ، وكانوا يرمون بعض جدرانها وينقلون إليها اللبن والحجارة على ظهور الحمير . فأبى حمار منها أن يدخل دار المدرسة أى إباء ، وحاروا فى دفعه إلى الدار وهو مصر على الوقوف دون ذلك أشد الإصرار ، فلما رأى الحكيم ذلك منه تبسم ومال على أذنه يهمس بأبيات يقول فيها : أى هذا الذى ضل وعاد اليوم إلى مكانه وهو أضل سبيلا ! ... إن أظافرك قد تجمعت فصارت حافراً ، ولحيتك قد استدارت إلى موضع الذنب ، فانتقلت من الأمام إلى الوراء ... »

قالوا : فما سمع الحمار هذه الأبيات حتى عدل عن إبائه وأسلس قياده ودخل إلى الدار . وسأل التلاميذ أستاذهم عن سر ذلك الأباء وسر هذه الطاعة فقال : إن الحمار كان أستاذاً بهذه المدرسة فأبى أن يدخلها وهو دابة تحمل اللبن والحجارة وقد كان يدخلها وهو أستاذ يحمل الأسفار ... فلما عرف أننا عرفناه كان له بعض الأنس بهذه المعرفة فأطاع

والحمير والله مساكين مظاليم

إنما الحمير حقاً أولئك الذين تناولوا هذه القصة فشكوا فيها تارة وأثبتوها تارة أخرى ليتهموا الرجل بمذهب تناسخ الأرواح.

وتحضرنى هنا قصة الصحيفة الإنجليزية التى أعلنت عن معرض للحمير يقام فى حديقة هايد بارك بعد أيام ، وكان موعد المعرض المزعوم موافقاً لليوم الأول من شهر إبريل ، ولم يفطن له قراء الخبر إلا ساعة أصبحوا فى الحديقة ولم يروا هنالك حميراً ... فعلموا أنهم هم الحمير !

وما نخال الخيام إلا قد غلبه عفريت السخر فى تلك اللحظة فسخر بنفسه وسخر بمريديه ، وقال لهم إنهم كلهم يدخلون الدار ويحملون الأسفار !!

***

وشاءت المصادفات أن يصل البريد الأمريكى فى هذه الآونة وفيه طوفان من كتب الجيب التى طبعت قبل ذلك فى مختلف الأحجام بمختلف الأثمان

ومنها رباعيات الخيام

وهى على صغر الطبعة قد جمعت الصيغ المتعددة التى نقحها مترجم الرباعيات وأعاد تنقيحها فى كل طبعة جديدة من طبعاتها الكثيرة ...

ولا جرم يحتفل الأمريكيون بالرباعيات وهم يعيشون اليوم على مذهب الخيام ، ويخرجون لميادين الحرب قائداً يسمى «عمر» تيمناً بسيرة الشاعر الفيلسوف !

فقلت : الخيام . الخيام . الخيام .

أفى كل مكان يسنح لنا طيف الخيام فى هذه الأيام ؟

وفتحت الصفحة على رباعية يقول فيها : « إن الكرم قد أنبت عرقا يلتف به كل كيانى ... فدع الصوفى يسخر ما يشاء ، فإننى أسبك من معدنى الخسيس مفتاحا يفتح الباب الذى يطرقه ولا يجاب . »

وقلبت صفحة أخرى فرأيته يقول : « هذه الكرمة التى أنبتها الله ، من ذا الذى يعاف عصيرها ؟ وهذه المناقيد إن كانت شبكة من الشباك فمن ذا الذى وضعها هناك ؟ »

وفى صفحة أخرى يقول : « إلى الكون دخلت كالماء الدافق ولا أدرى لماذا . ومن الكون خرجت كالهواء الخافق ، فهل أدرى لماذا ؟ ... »

ومهما تقلب من صفحة فى الرباعيات فما تخليك هنا أو هناك من بعض هذا المعنى أو بعض ذاك

قلت والله لقد ظلموك يا صاح بالتصوف كما ظلموك بتناسخ الأرواح . وصدق مترجمك فتزجرالد وهو أدرى بترجمة نفسك وشعرك من أولئك الرواة والمؤرخين . فما كانت خمرتك بالخمرة الإلهية ، وما كانت عبارتك بالإشارات الخفية ، ولكنك كما قال المترجم الأمين كنت تنظم الشعر فى ماء العناقيد ، وكان نظمك فى معناه أكثر من شرابك إياه ... وذلك فصل المقال فيما بين قولك وعملك من الاتصال

***

وأعجب العجب أننى فتحت مجموعة من الرسائل الفلسفية لابن سينا وغيره فظهر لى الخيام بين دفتى تلك الرسائل يسألونه عن سر الوجود كله وهو حائر فى سر وجوده لا يعلم لماذا أقبل كالماء وانصرف كالهواء

سأله القاضى الإمام أبو نصر النسوى تلميذ ابن سينا « عن حكمة الخالق فى خلق العالم خصوصا الإنسان وتكليف الناس بالعبادات . »

فحاول الشيخ أن يروغ كعادته ولم يجد مهرب أمان ، ولا عذرا مقبولا للزوغان . وكيف يجهل ما يسألونه عنه وهو عندهم وعند أبناء زمنه جميعاً حجة الحق ، فيلسوف العالم ، نصرة الدين ، سيد حكماء الشرق والمغرب ، نادرة الزمان ؟ ...

على أن الرجل قد أجاب بما ليس بعده جواب ، فرجع إلى سبب الأسباب وهو واجب الوجود : ما من سبب إلا وله سبب إلا واجب الوجود فلا سبب لوجوده ولا لصفاته ... وإلا لزم التسلسل بالأسباب إلى غير انتهاء ، وهو فى عقل الإنسان مستحيل ...

والوجود فيض الجود الإلهى . فلماذا جاد بالوجود على المخلوقات ... ؟

الجواب أنه جاد لأنه جواد ، ولا تعليل لصفاته كما لا تعليل لذاته . لأن التعليل يرجع بنا إلى سبب وراء واجب الوجود ، ولا سبب هناك

ثم قال : « فإن قال قائل لم خلق المتضادات المتمانعة فى الوجود ؟ فيكون الجواب عنه أن الإمساك عن الخير الكثير من جهة لزوم شر قليل هو شر كثير ، والحكمة الكلية الحقة والجود الكلى الحق أعطيا جميع الموجودات كمالها الذاتى لها من غير أن يبخس حظ واحد منها . إلا أنها بحسب القرب والبعد متفاوتة فى الشرف ... لا لبخل من جهة الحق عز وجل ، بل لاقتضاء الحكمة السرمدية ذلك »

أجل هكذا يقول الخيام

ولو سمعه قراؤه المفتونون برباعياته من فتيان أمريكا وأوربة وفتياتها - لما صدقوا أن صاحبهم يسأل عن هذا ، ولا صدقوا إن سئل عنه أنه يجيب بغير الكلمة التى تلخص جميع الرباعيات .

من يدرى ؟ ! من يدرى أيها الناس ؟

والناس قد حيروه حقاً بين زاعم أنه ينكر الروح وزاعم أنه يثبتها للانسان والحيوان فى الحياة وبعد الممات ، وزاعم أنه يعلم سر الوجود كأنه من أصفياء مبدع الوجود .

وأخشى ما أخشاه أننى صرفت الحكيم الظريف بهذا المقال فلا ألقاه كما كنت ألقاه فى كل منعطف طريق من مكامن التاريخ ... !

عباس محمود العقاد

من صميم الحياة :

طبق الأصـــل ...

[يا أيها الآباء : إن الذي لا يعتبر بغيره ، يصير هو عبرة للناس]

للأستاذ على الطنطاوى

إن الحياة تؤلف قصصاً ، يعجز أبرع أهل الفن عن توهم مثلها ؛ ولكن الحياة لا تذيع (مؤلفاتها) ولا تعلن عنها ، فتبقى (مخطوطة) مخبوءة لا يصل إليها ولا يقرؤها إلا رجل حديد البصر ، طويل اليد ، ذو جلد على البحث وصبر على التنقيب ، ولست ذلك الرجل ، ولا أنا من عشاق المخطوطات وروّاد الباحث[1] ، ولكن الأيام ألقت هذه القصة فى طريق ؛ فوجدتها (مطوية) فى سجلات محكمة من المحاكم ، مقطعة الأوصال ، مفرقة الأجزاء ، فألصقت أوصالها ، وجمعت أجزاءها و (نشرتها) فى الرسالة ، ومالى فيها إلا الرواية !

***

بدأت هذه القصة فى مخفر للشرطة فى مدينة (كذا) فى ظهيرة يوم وهج عصيب من أيام تموز[2] تسعر فيها الجو ، وأقفرت الشوارع من السالكين إلا سالكا بسيارة تطوى له الأرض ، أو عربة تخب به خيولها يقطر العرق من صدورها وأعرافها ، أو صاحب حاجة مفلساً يخوض الهاجرة ماشيا فى قضائها ، أو موظفا مسكينا انصرف إلى منزله لا يجد إذا كان أمينا أجرة سيارة ولا عربة ولا حمار لو أنها كانت تؤجر الحمير الآن ، كما كانت تؤجر من زمان ...

وكان فى المخفر أربعة من الشرطة قد نزعوا أرديتهم ، وحلوا مناطقهم ، واستلقوا على مقاعدهم فى كسل وارتخاء ، واستسلم كل لأفكاره وهمومه ، أو انطلق سادراً فى أودية الأحلام ؛ فذو العيال منهم يفكر فى هم البيت ومشاكل النفقات ، والخبيث يكد ذهنه يفتش عن شيء برانى[1] وما أهون الوصول إليه فى هذه الأيام التى فشت فيها الرشوات والبراطيل[2] حين غلت الأشياء كلها ولكن رخصت الضمائر ، وسعرت الحكومة الأشياء كلها وتركت الذمم ، والعزب التقى يدارى من شهوته مثل لذع النار تؤرثها مشاهد الطريق ، ويحبسها خوف الله والعار ، إن كان قد بقى فى (العشق ...) اليوم من عار .

والماجن يتعلل بذكريات ليلة فاجرة ويتلمظها[3] ويلتذ بالتفكير فى فجور جديد ... وكانوا سكوتا لا تسمع منهم إلا أغنية الصمت التى ليس لها آخر ، يقطعها بين الفترة والفترة سؤال مختصر يلقيه أحدهم بصوت خافت تتعثر كلماته وهى سائرة فى الفضاء من الضجر والملل ، يجيب عليه الآخر بهزة من رأسه أو بكلمة مفردة يمضغها بين أسنانه ويبتلع الحرف الأخير منها ، يعود السكون كما كان !

ويفتح الباب .

ويرفع الشرطيون الأربعة رؤوسهم ينظرون من هذا المتطفل الثقيل الذى دخل عليهم فى هذه الساعة ، وكل واحد منهم يتمنى أن يكفيه غيره مشقة صرفه والتخلص منه ، ولم يكن فيهم من ينشط لعمل ولا لحديث ؛ ولكنهم لا يرون القادم حتى يطير الخمول من نفوسهم ، ويدب النشاط فى أجسامهم ، وينسى ذو العيال هم البيت ، وطالب الرشوة لذة المال ، وينسى (العاشق) المحروم فتاة أحلامه ، وتتعلق أبصارهم بالقادم وكأن الدهشة قد ثبتتها فى محاجرها فهى لا تتحرك ولا تطرف ، ثم ينظر كل فى ثيابه فيصلح منها ما يستطيع ، ويمد يده إلى قميصه فيحكم زيقه[4] وإلى ردائه فيرتديه ، ويقف مستعداً كأنما قد فاجأه المدير العام ، ويتم ذلك كله فى لحظات !

ولم يكن القادم المدير العام بل تلك الفتاة الجميلة المتكبرة التى كانت تمر بهم كل يوم شامخة الأنف تنظر دوما إلى الأمام ،

(١) بحث فتش ، والمباحث فى الأصل المكان المجهول .

(٢) تموز هو الاسم العربى لشهر يوليو ، ولا يعرف بغيره فى الشام كله والعراق ؛ أما الحجاز ونجد فأشهرهم قرية وتواريخهم هجرية .

(١) شيء برانى من العامى الفصيح . وفى الخبر من أصلح جوانيه أصلح الله برانيه ، انظر القاموس .

(٢) البرطيل : الرشوة فصيحة وبرطله رشوته فتبرطل ، فهى من العامى الفصيح

(٣) وعامة الشام يقولون تلمض .

(٤) زيق القميص من العامى الفصيح .

لا تتنازل أن تلقى عليهم نظرة واحدة ... وكانت تترك وراءها كلما مرت عبقاً من الروعة والسحر ، فقد كان جمالها من الجمال الشرس الأخاذ الذى يروع الناظر إليه ويشدهه حتى يتركه وكأنما قد أصابه دوار حلو وخدر لذيذ ...

فإذا ابتعدت وصحوا من سكرة جمالها ، عادوا إلى الحديث عنها فأنفقوا فيه نهارهم . ولقد تسقطوا أخبارها فلم يسمعوا عنها ما يريب ، برغم هذه الثياب (الفظيعة) التى كانت تخرج بها ، ثياب أزهى من زهر الربيع ، وأرق من دين الراقصات ، وأقصر من عمر الحب ! غشاء من الحرير إلى ما فوق الركبتين ، يبرز ما تحتهما ويصور ما فوقهما ، والذراعان باديتان والشعر يتموج على الكتفين خصلا تزرى بحر العسجد وخالص الحرير .

ووقفت الفتاة تصوب فيهم نظرات متعالية ثم قالت عابسة زاوية ما بين عينيها ، ضامة شفتين كزر الورد على فم لا يتسع للكلمات ، لا يصلح إلا للقبل :

— إن أمام باب المخفر شاب وقح لا يزال يلاحقنى كلما مشيت فى الطريق ، فأرجو سؤاله عما يريده منى !

وعرفوا الذى يريده منها ، وكانوا فى قرارات نفوسهم يريدون مثله ، وكانوا قوماً همجاً [1] متأخرين ذوى عقول قديمة رجعية . لا يفهمون من تكشف البنات إلا (ذلك) المعنى العتيق جداً ... لا يعلمون أن الدنيا تقدمت ، وأن البنت تتكشف على الساحل للسباحة ، وفى المدرسة للرياضة ، وفى الطريق وفى الترام للصحة وحدها فقط ... لا غير ...

ولكنهم أسرعوا مع ذلك إلى الباب ليقبضوا على هذا (الوقح) الذى تطاول إلى سماء الجمال ، فأراد أن يدنس الكوكب الذى تستنير به قلوبهم ، ولا يجرؤون على التأميل فيه والتفكير فى الوصول إليه ، وكل منهم يود أن يسبق إلى اتخاذ اليد عند الآنسة الفتانة المتكبرة ذات الثياب (الفظيعة) ! وجاءوا به .

***

وكان شابا مخنثا خليعاً ، تحس إذا نظرت إليه أن رجولته كورقة النقد المزورة لها لونها ونقشها ، ولكن ليس لها قيمتها ، ولا تشترى لصاحبها إلا مكانا فى السجن ، كما أن رجولة هذا الشاب لا تكسبه إلا موضعاً فى جهنم ... وكان الشرطيون الأربعة يحفون به بقاماتهم المديدة ، وأجسامهم التى تتفجر بالقوة ، كما تحف أربعة سنانير بفأر هزيل ، ينظرون إليه بازدراء واحتقار ، أهذا هو المخلوق الذى يطمع فى هذه الآنسة ويطمح إلى أن يكون (رجلها) من دون الرجال ؟ !

وزجروه وأوعدوه ، ولكنه لم يزدجر ولم يخف ، ولبث ينظر إلى الفتاة بعيون ثعلب ، ويبتسم ابتسامة قرد مهذب ، فلم يكن من أحد الشرطيين إلا أن لطمه (بيد ما وقف عليها طبيب) لطمة تركت على وجهه من آثار الأصابع خطوطا يكاد ينبثق منها الدم ، وترنح ومال ، ولكنه تصبر واستند على نضد ، وقال لها :

— أيرضيك هذا يا آنسة ؟ أتحبين أن أفضح السر ؟

فانتفضت وقالت :

— أى سر أيها الكلب ؟ أيها السادة : أرجوكم وضع حد لهذه المهزلة !

فكروا عليه بالضرب واستاقوه إلى (القفص) ، فلما ابتعد عن الفتاة ، قال لهم :

— أنا أحذركم . إنكم تعتدون على بغير (موجب قانونى) . إن هذه البنت برغم ما تظهره من التسامى ... إنها عشيقتى ، وأنا أعرف كل بقعة فى جسمها ، وآية ذلك أن فى مكان كذا منها علامة كذا ، وقد قبضت منى ليلة أمس إذ باتت عندى إلى الصباح ، ثلاثين ليرة ذهبية .

***

ابتعد الشرطيون فتشاوروا فرأوا أن يدعوا أباها ، وكان تاجراً كبيرا وثريا من أثرياء الحرب الذين أصابوا فيها غنى فاحشاً جعلهم ينتقلون نقلة واحدة إلى منازل (الأكابر ...) ، فتركوا حياة الفقر ، ولكنهم تركوا معها حياة العفاف والستر ، وقلدوا الأكابر فى مناعمهم ، ولكنهم قلدوهم أيضا فى رذائلهم . وأكثر ما تعيش الرذيلة راسبة فى القعر أو طافية على الوجه ، فلا تراها إلا فى أسفل السلم الاجتماعى أو فى أعلاه ، أما الأوساط فهم الأخيار وهم الصالحون ...

واستبقوا الفتاة والشاب فى المخفر ريثما يحضر الأب .

---

(١) من العامي الفصيح .

ووقفت السيارة الفخمة بالباب ، ودخل أخو البنت جاء به الرسول إذ لم يجد والدها . فما أبصر أخته فى المخفر وأبصر معها هـذا الشاب المخنث زاغ بصره وحدته قلبه بالشر ، فانتحى به الشرطى ناحية ونفض إليه خلاصة القصة ، فلم يتمالك أن جرّ أخته فأدخلها غرفة خالية عند الباب ، وواراها وهى متعجبة تبصر ولا تفهم ، وتحسّ منه الغضب ولا تعرف السبب ، ومدّ يده مسرعا فرفع ثوبها الرقيق القصير قبل أن تتنبه له أو تدرى ما هو صانع . فلما رأى العلامة ، أحسّ أن دماغه قد غلى فجأة كما يغلى الماء فى إبريق الشاى ، وثار كما يثور المرجل ثم شعر أنه قد (تبخر[1]) من رأسه وأنه انقلب مجنونا ... ودارت به الأرض وتداخلت المرئيات ونسى هذا (التجدد) الذى استحبه ودعا إليه وارتضاه لأخته وزوجته كما ارتضاه أبوه ... ونسى أنهم هم الذين اشتروا للبنت هذه الثياب ، وهم ألبسوها إياها بعد الملاءة السوداء والنقاب الصفيق ، وهم أرسلوها إلى المدرسة (الحديثة) التى أنشأتها الجمعية النسائية ... وهم تركوها تقرأ على الشبـاب ومجالس الأغراب ، وهم بعثوا بها وحدها تقيس الطرقات وتجاور فى السينمات ... وأحسّ بالجرح فى قلبـه ، وانصبت نقمته على الفتاة وحدها ، فبصق عليها ولعنها ، ثم رفع يده فصك هذا الوجه الجميل صكة طنت فى آذان الشرطيين فأحسوا حرّها على وجوههم وحزتها فى قلوبهم ، إذ قد فهموا منها أن قصة هذا (المخنث) صحيحة ، وأن الفتاة التى حسبوها بطهرها وكبرها وسحرها أمنع من نجم السماء ، قد بذلت أعزّ شىء عليها لهذا ... المخلوق !

وأقبل الأخ فأعطى الشاب ثلاثين ليرة ذهبية من غير أن يلقى عليه نظرة أو يقول له كلمة ، ثم استاق أخته وخرج ، ولم يبصروا منها إلا قفاها ، ولـكنهم أبصروها مطأطئة الرأس ، قد ذهبت عنها تلك الـكبرياء ، وبطل ذلك السحر ، أو أن إيمانهم بزلتها خيل إليهم ما زعموا أنه رأوه ...

ومضت السيارة بالأخت وأخيها .

***

تركها فى مقعد السيارة كأنما هى عِـدل ملقى ، وقاد السيارة إلى الضيعة المنعزلة حيث كان أبوه ، فأسرع إليه فساره وأعلمه بالأمر ، فسرعان ما امحى طلاء (التمدن) الـكذب عن هذا التاجر الذى أعطاه الله مالا ولم يعطه عقلا ولا دينا شأن أكثر أغنياء الحرب . وسرعان ما عاد ذلك العربى الذى كان يئد البنات خوف العار، والذى تحوى لغته كلمة لا يمكن أن تترجم لأنه ليس فى لغات النـاس ما يقابلها ويحمل معانيها هى كلمة : العرض ، وكذلك يبين إذا جد الجد ، وكانت النتيجة الضرورية لهذه المقدمات (التى هى التـكشف والانطلاق والاستهتار) ... أننا لا نزال كعرب الجاهلية فى غيرتنا ، وأن هذا التجديد تمويه ، وقديما قال المثل الأوربى : حك جلد الروسى يظهر لك التترى !

ثم عاد فجاء بالبنت ؛ فلما رأت أباها ، انفجرت عواطفها التى كبتتها المفاجأة الظالمة التى فاجأها بها أخوها وأجهشت وألقت بنفسها بين ذراعيه ، وقالت : أبى ! وحسبت أنهـا بلغت الحمى الآمن . وإذا بالأب يدفعها فتسقط ، ثم يركلها بقدمه ويقول :

— أنا لست أباك أيتها العاهرة ، لعنة الله عليك !

فتجحظ عيناها دهشة ، ثم تثور مرة واحدة ، وتصرخ :

— مالـكم ؟ هل جننتم ؟ إذا كانوا قد حكوا لـكم شيئا ، أو وشوا وشاية فاسألونى وتحققوا ، فإن ...

فيقول الأب :

— أولك عين تحدق ، ولسان يناقش يا ملعونة ؟ قولى : ما هى صلتك به ؟ قولى الحق وإلا ذبحتك كما تذبح النعجة ...

— من هو الذى تعنيه ؟ إنى لا أفهم !

فيقول الأخ :

— لا تفهمين يا فاجرة ؟ الـكلب الذى دفعت له ثلاثين ليرة بدلا عن التى قبضتها ثمن بكارتك وعرضك وشرفك ...

— أنت والله مجنون ، أى ثلاثين ليرة ؟ وما دخل عرضى وشرفى ، وأنا لم أكلمه فى عمرى ، ولم أعرفه .. والله والله إن ...

— لا تذكرى اسم الله بلسانك الدنس .

ويهجم عليها فيشدها من شعرها ، ويخرج بها ... إعلانا لختام المحاكمة ، وثبوت الجرم !

***

ارتقب الشرطيون أياماً فلم يروا البنت تمرّ بهم ، وطفقت

(١) كذلك يستعمل الناس كلمة (تبخر) ولم أجدها بهذا المعنى فى القاموس وما بين يدى الآن غيره .

أمها تسأل عنها فى المنزل ، ومعلمها يسأل عنها من المدرسة ، فيقولون للأم : هى فى رحلة مدرسية . ويقولون للمعلم : هى فى سفرة عائلية . وكاد الشرطيون ينسونها ، وتضيع صورتها فى مشاهد الحياة وهمومها ، وفرغت كأس الحديث عنها فلم يبق لهم ما يتساقونه ، فعادوا إلى صمتهم وتكاسلهم واستلقائهم على كراسيهم ... ولكن الشرطى (العاشق) الذى رآها تشبه فتاة أحلامه لم ينسها ... فكان كلما انتهى عمله فى المخفر يلقى بزته العسكرية ويلبس ثيابه المدنية ، ويتعقب ذلك (الشاب) يحصى عليه حركاته وسكناته ، ليضبطه (متلبسا بجرمه) ويمسكه معها فلا يراه إلا منفرداً ... حتى كاد ييأس منه وينصرف عن ملاحقته لولا هذه المصادفة :

وجده مع فتية من لداته عند حلاق ، فدخل فقعد كأنه ينتظر دوره ليحلق ، فسمع منه حديثا خافتا ورأى على وجهه ابتسامة ظفر ، ثم أبصره يخرج لهم من جيبه الذهب ليروه ، فخفق قلبه وعلم أن الحديث عنها ، فتلطف ودنا وأصغى فسمعه يقول :

— « لا والله إنى لم أكلمها فى عمرى ، ولم أمسس جلدها ولا أعرف اسمها ، ولكنها كانت بنتا جميلة فى السابعة عشرة ، وتلبس هذه الثياب القصيرة التى يهب عليها النسيم ، فيحركها فتكشف كل ما تحتها ، فألحقها عن بعد لأمتع البصر بما يبدو من خفايا حسنها . وكانت يوما على درج المدرسة ، وكنت واقفا تحت الدرج بحيث لا ترانى ، فانحنت لتصلح حذاءها انحناءة كشفت نصفها الأسفل كله ، وكانت تلبس (كلسونا) من الحرير الشفاف يوضع من صغره فى علبة كبريت ، ويصغر عن منديل ، فأبصرت هذه العلامة ... » .

وعاد الشرطى إلى رفاقه بالنبأ ، فوجدوا شيئا يعملونه .

***

أحضروا الشاب ومن كان معه ، وحققوا واستنبطوا وهددوا فلم يسمعه إلا الإقرار ، ولم يسمعهم إلا الشهادة ، وكتب الضبط بالحادث ودعى الأخ الذى دفع المال .

فلما حضر وسمع الحديث شحب لونه حتى كأنه قد نزف دمه كله ، وانقلب وجهه فصار كوجوه الموتى ، ودنا من الشاب وهو يرتجف كمن مسته قشعريرة ، وقال له بصوت رهيب مخيف لا يشبه أصوات البشر :

— ألا تعرفها ؟ ألم يكن بينك وبينها شىء ؟

قال الشاب فزعاً :

— لا والله ، لا والله ، ما كلمتها فى عمرى ولا مسستها ، وهذه ليراتك ...

— قال : ليراتى يا ابن الكلب ، بعد ما ذبحت البنت البريئة ؟

وانقلبت عيناه فى أم رأسه ، وصار مثل الوحش الهائج ، وتلفت حوله فوجد قضيب حديد يتخذونه مزلاجا ... فتناوله ونزل على الشاب ضرباً به على رأسه ، وهم جميعا يحاولون إمساكه فلا يقدرون عليه ، حتى سقط الشاب ميتاً عند قدميه وسط بركة من الدم ، فداس على عنقه وبصق عليه ، ثم ارتخت يداه بالقضيب ، وقال :

— أسلم نفسى ! أنا ذبحت أختى وقتلت هذا الشاب !

وارتمى على المقعد ينتظر حكم المحكمة عليه فى الدنيا ، وحكم الله عليه وعلى المحكمة فى الآخرة ...

(دمشق) على الطنطاوى

من خواطر جحا (الحالم اليقظان) :

قصة الساحر والتاجر

[مهداة إلى أعلام السياسة وأساطين الاقتصاد]

للأستاذ كامل كيلاني

ننقل القصة التالية عن المقدمة النفيسة التي افتتح بها « أبو الغصن جحا » خواطره التي أهداها إلى ولديه « جحـْوان » و « جُحـَيَّة » . وقد ضمها مخطوط جحويٌّ نفيس ، لعله مكتوب بخط أحد معاصريه أو بخط ابن أخيه : أبي السَّبَهْلَل : « طارق بن بهْلَل بن ثابت » .

وسيرى قارئ القصة كيف استطاع الساحر أن يحول الدنانير الذهبية ذات الرنين الفاتن والبريق الخلاب ، — منذ مائتين وألف من السنين — ورقا عاديا لا قيمة له ولا خطر ، قبل أن يهتدي إلى ذلك أعلام السياسة وأساطين الاقتصاد في هذا العصر ، الذين استطاعوا — بفنون سحرهم — أن يحولوا اللايين من أموال حلفائهم ورقاً لا نفع فيه ولا غناء ، ولا قدرة له على البيع ولا الشراء . كما استطاعوا من قبل — بفنون حقدهم — أن يحولوا ثروة العالم صواعق ومهلكات تدمر الدنيا بمن فيها ، وتنسف المدن بساكنيها ، وتحيل الجبال الشمُّ أودية ووِهادا ، والأحياء — من الحيوان والإنسان — لحما ورَمادا .

قال « أبو الغصن عبد الله دجين بن الثابت » الملقب بجحا :

« كنت في زمن الطفولة الباكر حين وقعت حوادث هذه القصة لأبي عُوَيْف بن جعفر ، وكان تاجراً أميناً معروفاً بين الناس بالورع والتقوى ، موصوفاً بالبر والإحسان ، وهو من جيراننا الأقربين ، وكان جزاراً ناجحاً في تجارته ، فلم يلبث أن ذاع صيته ، واستفاضت الأحاديث الحسنة عما يسديه إلى الفقراء والمعوزين من فنون البر سِرًّا وعلانية .

وذا صباح وفد عليه شيخ وقور مَهيبُ الطلعة رائع السَّمْت يدعى « أبا تميم بن زهير » قد جلل المشيب رأسه ولحيته ، وتألق وجهه بشراً ونوراً ، حتى ليحسب من يراه — أولَ وهْلة — أنه من أولياء الله الصالحين .

ولم يكد يحييه حتى خفَّ إليه التاجر مُرَحِّباً بمقدمه ، متبركاً بلثم يده ، يسأله أن يأمر فيطاع .

فهمس الشيخ « أبو تميم » في أذن التاجر يخبره بما اجتمع عليه أمره من بذل في سبيل الله . فقد اعتزم أن يشتري منه كل صباح لحم خروف بدينار ليفرقه على طائفة من المحتاجين . ثم أعطاه — من فوره — ديناراً لامعاً مشرق الجدة . وانتهزها التاجر فرصة للتبرك بنقود هذا الشيخ الصالح ، فاعتزم أن يدَّخر ديناره حتى ينتهي العام ، فيشتري بها ما يحتاج إليه من ماشية وأغنام ، فأسقط الدينار من ثقب في أعلى درج خفي . وجرى كلاهما على عادته : يشتري الشيخ كل يوم خروفاً بدينار ، ويضعه الجزار في صندوقه ، حتى إذا أشرف العام على نهايته ، فتح التاجر درج النقود المدّخرة ، فهاله ما رأى ، وفزّعه أن يجد أوراقاً صُفْراً مستديرة — بعدد أيام السنة — مكان الدنانير الصفر الجديدة التي أخذها من الشيخ .

وسرعان ما تبين التاجر جلية الأمر ، وعرف حقيقة الشيخ وأدرك أنه مدلس كبير وساحر خطير ، فتربص به وهو يكاد يتميز من الغيظ ، حتى إذا أقبل « أبو تميم » اندفع إليه الجزار صاخباً لاعناً مشهّراً بسوء فعلته .

وثمة عرف الساحر أن أمره افتضح ، وسرّه وضح . فهمس في أذن التاجر مستعطفاً يرجوه أن يخفض من صوته حتى لا يسيء إلى سمعته ، واعداً إياه بمكافأة سنية عاجلة إذا صفح عن زلته ، وتجاوز عن إساءته . فلم يزد الجزار إلا تمادياً في صياحه وتشهيره ، ووعيده ونكيره . وأقبل الناس يحاولون أن يهدئوا من ثورته الجامحة وهو آخذ بتلابيب خصمه ، ممعن في هياجه ، متماد في لجاجه ، حتى إذا يئس الشيخ من صفح التاجر قال له منذراً متوعداً بصوت ثائر ، يجلجل في أجواز الفضاء كأنه الرعد القاصف :

« لقد صبرت عليك طويلا ، فلم تزد إلا تماديا وإصرارا ، فاعلم أن لكل شيء آخرا ، وأن للحلم حدًّا لا سبيل إلى تجاوزه . وإني منذرك — على ملأ من الحاضرين — أنني معلن ما خفِيَ من أمرك ، ومذيعٌ ما بطن من سرك ، إذا لم تكف عن هذيانك وخرافاتك ، وتقلع عن إساءتك وتُرَّهاتك » فاشتد غيظ التاجر على الساحر وقال له في تهكم الساخر :

« وأيُّ تهمة يستطيع مثلك أن يعزوها إليَّ ؟ » .

فأجابه الساحر في جرأة سافرة ، ووقاحة فاجرة ، وقد جمع كيده وسحره ، وحشد مكره وغدره :

« أستطيع أن أعلن لهم حقيقتك وأُفضي إليهم بما تقترفه من فنون الاجرام وكبائر الآثام ، فأدلهم على ماتخفيه في الصندوق من رءوس الآدميين الذين تذبحهم كل يوم لتبيع الناس لحومهم بعد أن تخفي رءوسهم » .

ولم يكد الساحر يتم فريتــه حتى أسرع الناس إلى دكان الجزار فرأوا مصداق ما افتراه الساحر بعد أن خيل لهم سحره أن لحوم الخراف المعلقة لحوم بشرية ، والرؤوس التي في الصندوق رؤوس آدمية . ولم يتمالكوا من فرط غيظهم أن ينهالوا على التاجر سباً وشتماً وضرباً ولكماً ، حتى إذا أغمى عليه رآها الساحر فرصة سانحة للهرب ، فتسلل إلى بيتــه ناجياً بعد أن أفلحت مكيدته ونجحت دسيسته .

وذاعت قصة التاجر ، فأقبل القاضي عليه ، بعد أن زال سحر الساحر ، فلم ير إلا خرافاً معلقة لحومها على باب الدكان . فلما فتح الصندوق لم ير إلا رؤوسها . ولما أفاق التاجر عرف القاضي منه تفصيل ماحدث . فأدرك — حينئذ — براءته من تلك التهمة النكراء ، والخزية الشنعاء ، بعد أن هدم شرفه ولوثت سمعته . ولم يلبث أن ذاع صيت هذا التاجر بين الناس ، بعد أن رأوا من المظاهر الكاذبة ماأقنعهم بأن الشيخ جان أثيم ، وشيطان رجيم ، وإن دلَّ مخبره على أنه محسن رحيم وملك كريم .

* * *

مات هذا التاجر المحسن اليوم — بعد أن مرَّ على قصته ربع قرن — وكان مُشيِّعُوهُ إلى قبره يذكرونها متعجبين لما أصابه من كيد الساحرَ الأفاك . أما أنا فقد وَعَيْتُ قصته منذ طفولتي ، فلم أقع في مثل هــذه الورطة مع أحد من الأشرار — وما أكثر ما لقيت منهم — فقد وجدت في التغابي مهرباً من الاشتباك معهم في صراع قلَّ أن ينتهي بخير .

وقد آثرْتُ أن يتهمني الأغرار بالغفلة على أن أزج بنفسي في مُحْرِجات لا أدرى كيف أخرج منها .

وطالما ذكرت مادار بين عمرو بن العاص ومعاوية من حوار معجب حين قال أولهما للثاني مفاخراً بلباقته وسرعة خاطره : ما دخلت مأزقاً قط إلا عرفت كيف أخرج منه » وكيف أجابه معاوية بقولته الحكيمة : « أما أنا فما دخلت مأزقاً قط » .

وقد وعيت قصة الساحر وحكمة « معاوية » ، منذ عرفت الحياة ، فانتفعت بهما أيما انتفاع .

* * *

أذكر على سبيل المثال أنني كنت أمشي — ذات يوم — في الفلاة ، فأحسست وقعَ خطوات تقترب مني ، فأرهفت أذني — دون أن ألتفت إلى الوراء — فسمعت همساً أدركت منه : أن لصين يأتمران بسرقتي . وليس معي شيء يسرق غير الحمار . فلم ألتفت إليهما خشية أن يصيبني منهما مكروه ، وتشاغلت بمحادثة نفسي تارة وبالغناء تارة أخرى ، حتى أهيىء لهما الفرصة لسرقة الحمار . وشعرت أن أحد اللصين يفك مقود حماري ، ثم يضمه في عنقه ويسلم الحمار إلى صاحبه .

فتغاضيت ومشيت — على عادتي — متباهلاً حتى دانيت المدينة ، واقتربت من العمران . فالتفت إلى الخلف ، وإذا باللص الخبيث مكان حماري الطيب القلب ، والمقود في عنقه ، وهو يمشي خلفي .

فتظاهرت بالحيرة والدهش ، وسألته متباهلاً لأهيىء له الجواب :

« من أنت ؟ وأين حماري ؟ وكيف حللت مكانه ؟ » .

فأجابني متخابثاً : « إن قصتي أيها السيد الكريم ، لا تكاد تصدق لغرابتها ، فأنا آدمي مثلك ، ولكنني غلوت في الإساءة إلى أمي — فيما مضى من الزمان — فلما نفد صبرها ، واشتد غيظها عليَّ ، ابتهلت إلى الله داعية أن يمسخني حماراً فاستجاب الله دعاءها .

فخرجت من البيت هائماً في الطريق ، فلقيني بعض الأشرار ، فأسرع بي إلى السوق وباعني لك . ومازلت أخدمك — في أمانة وإخلاص — إلى اليوم ، ولعلي بذلك قد كفرت عما أسلفته لأمي من إساءة .

وقد رأيتني الآن أسترد آدميتي ، فمشيت خلفك مطرقاً مفكراً فيما لقيت من عجائب الحيــاة . وأغلب الظن أن أمي قد عاودها رضاها عني ، فراحت تستغفر الله لي حتى استجاب دعاءها

مرة أخرى ، فخلعت عنى ثوب الحمارية ، واستردت من فورى ثوب الآدمية .

ترى كيف أجيب هذا الألعبان ؟

تمثلت فى الحال قصة الساحر والتاجر ، فلم أجد لى مندوحة عن التظاهر بتصديق هذا الكيذبان الماكر . فقلت له متباهلا :

« حسبك ما لقيت من عقاب إلهى ، فهل تعاهدنى على أن تتحرى مرضاة أمك ، وأن تبذل فى هذا السبيل قصارى جهدك »

فعاهدنى اللص على ذلك ، وهو يحسبنى — لغباوته — أكبر مغفل لقيه فى حياته .

* * *

ثم لقيت حمارى بعد أيام يبيعه اللصان ، ولم أكد أدانيه حتى اختفى أولهما الذى لقيته منذ أيام ، وأسلم الحمار إلى شريكه ليتم بيعه .

فدنوت من الحمار ثم تظاهرت بأننى أسر فى أذنه حديثا موجزا .

فاشتدت دهشة الناس مما رأوا . ودفعهم الفضول إلى سؤالى عما همست به فى أذن الحمار . فقصصت عليهم قصتى بمسمع من اللص ، ثم ختمتها قائلا :

وها أنذا أجد صاحبى قد خالف عهده ، وأغضب أمه مرة أخرى ، فلم يلبث أن عاودته حماريته وزايلته آدميته . فلم أتمالك أن أسررت فى أذنه معاتباً :

« لقد حذرتك — يا صاحبى — هذه العاقبة ، فلم تسمع . فلا تلومن إلا نفسك » . ولم يكد الحاضرون يستمعون إلى هذه القصة حتى استغربوا (أى : أغرقوا فى الضحك) .

وشعر اللص الأفاك بالحرج ، فتسلل هارباً وترك لى حمارى ، فعدت به إلى دارى ، وقضيت يومى راضياً محبوراً ، قرير العين مسروراً .

* * *

وسرق بعض الأشرار مقود حمارى ، فبحثت عنه طويلا فلم أجده . وبعد أيام رأيته معلقاً فى رأس حمار أكبر من حمارى . فلم أكد أقترب منه حتى رأيت صاحب الحمار — وكان شريراً فاتكا معروفا — ينظر إلىّ شزراً .

فتذكرت قصة الساحر والتاجر ، وقلت متظاهراً بأننى أحدث نفسى : « ياللعجب العاجب ! هذا رأس حمارى ، ولكن ما بال جسمه قد تغير » .

فكاد اللص يستلقى على قفاه من شدة الضحك ، وتجاوز لى عن المقود طائعاً مختاراً .

* * *

واستيقظت قبيل الفجر ذات ليلة على صوت لص ، فصبرت عليه حتى سرق كل ما فى البيت من متاع ، وتسللت فى أثره مقتفياً خطواته — وهو لا يرانى — حتى بلغ داره . فلم يكد يرانى حتى تملكه الدهش والحيرة . فنظر إلىّ يسألنى : كيف جئت إلى هنا ؟

فقلت له مداعباً : « جئت لأعرف الدار الجديدة التى انتقلت إليها » .

فاستظرف إجابتى ، واستحسن دعابتى ، ورد إلىّ أثاث بيتى ولم ينلنى منه أذى بعد ذلك اليوم .

* * *

وشعرت ذات ليلة بلص يقتحم دارى فاستولى علىّ الخوف ، وأسرعت إلى خزانة صغيرة فاختبأت فيها بين ثنايا الفرش ، وكنت أعلم أن الدار خالية والحمد لله مما يسرق . وقد بحث اللص طويلا فلم يظفر من بحثه بطائل . وهم بالخروج ، ولكن خاطراً دفعه إلى فتح الخزانة ، فما رآنى صاح فىّ غاضباً :

« مالى أراك مختبئاً ؟ » فلجأت إلى الدعابة قائلا : « لقد أخجلنى أنك لم تظفر بما يستحق السرقة فى دارى فاختبأت فى هذه الخزانة ولم أجرؤ على مواجهتك » .

فضحك اللص مما سمع وكفانى شره وأذاه .

* * *

وشعرت بلص من الأشرار يسرق متاع دارى ذات ليلة ، فتشجعت وقلت له مداعباً :

« ما أضيعَ بحثك أيها السيد الكريم ! إنك تحاول عبثاً أن تعثر فى ظلام الليل الحالك على شىء تسرقه من دارى . ولقد حاولت ذلك من قبلك فى رائعة النهار ، فلم أر شيئاً فى الدار » .

ألا ليت الناس يذكرون دائماً قولة صديقى الألمعى الحكيم عبد الله بن المقفع : « إن الماء يبلغ — مع ليونته — ما لا تبلغ النار مع شدتها »

عبد الله حيجا

وفق الأصل : كامل كيلانى

جلالة الفـــاروق

ولويس الرابع عشر

للدكتور محمد غلاب

الآن ، وبعد أن تكسرت على صخرة أحداث المفاوضات موجة التأثر التي أثارها في النفوس التجاء ملك إيطاليا المتجرد من عرشه إلى مصر ، فإننا نستطيع أن نرسم في إيجاز تلك العاطفة التي أحسسنا بها عند ما طالعنا في الصحف وصف تلك الحفاوة الملكية الرائعة التي استقبل بها عاهل أرض الكنانة ذلك الملك المبعد عن بلاده . ولقد كانت في طليعة تلك الأحاسيس التي شعرنا بها حين قرأنا هـذا النبأ عاطفة النشوة الناجمة عن الإحساس بأن مصر قد بدأت تسترد عزتها الدائرة ، وتستعيد عظمتها الغابرة ، وأن أشعة هذا الأمل العذب قد أخذت تتمثل في استعداد وادي النيل لإيواء الملوك اللاجئين والأمراء المبعدين ، ولم لا ؟ ألم يكن من أبرز مفاخر فرنسا إلى هذه السنين الأخيرة أنها قبلة اللاجئين ، وغاية المهاجرين ، ولا سيما الملوك والأمراء الذين لأمر ما تعذر عليهم الثواء في بلادهم . ولا جرم أن في هذه الخاصية من خصائص الدول معنى من أبهى معاني الرفعة والسمو ، لأنه يلطف آلام فريق من أولئك التعساء ، ويحيي الأمل في نفوس فريق آخر منهم ، ويشعر فريقاً ثالثاً بأن الإنسانية لم تتحول كلها إلى وحوش ضارية ، لأن الإكرام العملي والحفاوة الواقعية يتركان في النفوس من محمود الأثر ما تعجز عن تأديته العبارات المعسولة التي لا تكلف المتفيهقين بها كثيراً ولا قليلا .

ونحن إذا نظرنا إلى هذه الظاهرة نظرة عميقة ألفينا أن الفضل الأول فيها عائد بالذات إلى حضرة صاحب الجلالة مليكنا المفدى الذي عرف كيف يكشف أسرار عظمة الدولة ، ثم يطبعها بطابع خاص تتحقق فيه الدقة والرقة والمثالية إلى جانب ثماره الأساسية ، وهي المجد والفخار والخلود . وكيف لا تكون هذه السماحة النادرة ، وتلك البشاشة النبيلة ، وذلك الإكرام الكامل من الأمور المثالية في هـذا العصر الذي كادت الإنسانية فيه — مع الأسف الشديد — تفقد كل معالمها ، والذي أصبح فيه الشغل الشاغل لأكثر الدول هو التفكير في وسائل ونتائج الاستيلاء على حقوق الغير واغتصاب ممتلكاتهم الشرعية تارة في مجون واضح وصفاقة بغيضة ، وأخرى تحت ستار الدفاع عنهم أو تحسين حالاتهم الاجتماعية .

وفوق ذلك ، فإن هذه الحادثة قد أعادت إلى مخيلتي ذكريات تلك المحامد النبيلة التي انفرد بها الشرق ، وهي البشاشة التقليدية والسخاء الموروث وإكرام الضيف دون أية علة أخرى غير الالتذاذ النفساني بتحقيق العمل المجيد وما إلى ذلك من العواطف العالية التي أوشكت واقعية عصرنا الحاضر أن تسحب عليها أذيال النسيان .

أسند بعض الكتاب ذلك المظهر الملكي الجليل الذي استقبل به مليكنا ضيفه اللاجيء الأخير إلى فضيلة عرفان الجميل من جانب جلالته نحو أسرة سافوا ، وتلك بلا ريب عاطفة جليلة جديرة بأن تدفع النفوس الملكية أكثر من غيرها إلى رد خير الصنيع إلى أهله ، ولكن أليس تعليل أولئك الكتاب هذا المظهر الفاتن بتلك العاطفة وحدها يخفي كثيراً من جوانبه الأخرى الخلابة وعناصره الجوهرية التي نحن على يقين من أنها قامت بدور أساسي في تصرف جلالة مولانا الملك وبواعثه ؟ ومن هذه العناصر الأولية التي غفل عنها أولئك الكتاب تلك الدوافع التي فطرت عليها النفوس النبيلة والطباع الكريمة ، والتي لا تزال تنعش ذوي المحاتد العريقة وتدفعهم إلى القيام بالأفعال الخليقة بالخلود في ذاكرة التاريخ تتخذ منها الكافة نبراسها في دياجير الحياة ، وتجد فيها الخاصة دروسا في العظمة ، والتي تنشيء لدى الشعوب ملكة تذوق المجد المجرد من النفعية ، وهل يحسب أولئك الذين طغت عليهم روح الواقعية أنه من الممكن أن تستغني الإنسانية عن هذه الأحاسيس السامية ، وأن تكتفي بتلك الدنية المادية مهما بلغت أعلى آواج السطوع والإخصاب ؟

نحن لا نحسب أن الإنسانية مقصورة على هذه الروح الواقعية منحصرة في هذه الدائرة العملية الضيقة ، وإلا فما هو سر جاذبية تلك الصور التاريخية الساحرة التي فتن جمالها القلوب ، وخلب سموها النفوس ، والتي قدمت إلى أهل الحياة العملية فريقا آخر

من البشرية ضحوا براحتهم وهدوئهم ، بل بحياتهم أحيانا فى سبيل الشهامة والمروءة المثاليتين . وهكذا لم أطالع فى الصحف نبأ تلك الحفاوة الرائعة المؤثرة التى قام بها جلالة مليكنا المفدى نحو ملك عريق مهاجر من وطنه حتى أحسست بذكريات تنبثق من غياهب التاريخ وتنقذف إلى ذاكرتى ، وسرعان ما أحسست بتوثق وجه الشبه بين تلك الأحداث التى طوت العصور ممثليها ولم تقو على محوها من سجل الزمن ، وبين ذلك الحادث الكريم الرفيع . ولقد كان فى طليعة هذه الذكريات الخالدة حفاوة لويس الرابع عشر ملك فرنسا العظيم بجاك الثانى ملك انجلترا حين قلب له الدهر ظهر المجن .

ومجمل ذلك أنه لم تكد سنة ١٦٨٨ تشرف على الانتهاء حتى كانت الثورة الانجليزية الثانية قد بلغت أقصى حدودها وأعلن الثوار — فى مقدمة ما عابوه على مليكهم جاك استوارت — أنه كاثوليكى ، وأن الأمة بروتستانتية ، فلا ينبغى أن يجلس على عرشها من اختلف دينه مع دينها ، ثم دعوا للتملك عليهم الأمير الهولاندى جيوم الثالث . وعلى أثر نزول هذه الكارثة بالأسرة المالكة ، كان ذلك الملك المنكوب بين عاملين متعارضين : أحدهما يدفعه إلى الالتجاء إلى فرنسا والاحتماء بعاهلها الأعظم والعيش فى كنفه المنيع ، وهو عامل الصلة الأسرية التى كانت تربطه بالبيت المالك فيها .. والعامل الآخر هو ذلك العداء الذى كان مستحكما بين دولتيهما فى ذلك الحين ، إذ أن شارل الثانى والد هذا الملك التعس كان قد أعلن الحرب على فرنسا فى سنة ١٦٧٨ أى قبل هذه الصدمة بنحو عشرة أعوام . وأكثر من هذا أن شارل الثانى نفسه كان يحنق على فرنسا حنقا خاصا ويحسدها على أسطولها ، وأنه سجل هذا الشعور الانجليزى التقليدى البغيض الذى يجرى فى نفوس أفراد هذا الشعب جريان الدماء فى أوردتهم وصوره فى هذه العبارات التالية :

« إن كبرى العقبات التى تعترض سبيل الحلف الفرنسى هى تلك العناية العظمى التى يبذلها الفرنسيون الآن لينشئوا لهم كيانا تجاريا ، وليكونوا قوة بحرية تفرض إرادتها ، إذ أن كل خطوة تخطوها فرنسا فى هذه السبيل ، تخلد الحسد بين هاتين الدولتين » .

بيد أن ذلك الملك السيىء الحظ بعد أن وازن بين الحالتين رجح الالتجاء إلى فرنسا لثقته بنبل مليكها وكرم خلقه ، وسمو طبعه . وفى أواخر ديسمبر سنة ١٦٨٨ نجحت ملكة انجلترا وولدها ولى العهد فى اجتياز المانش إلى كاليه بفضل تلك المحاولة الجريئة التى قام بها أحد النبلاء الفرنسيين ، وهو دوق دى لوزان مدفوعا إلى ذلك بالشهامة البريئة التى تتغلغل فى فطرته النقية من العلل النفعية . ولما كان الملك قد وعدها أن يلحق بها فى كاليه فقد انتظرته هناك بعض الوقت ، ولكن لويس الرابع عشر لم يلبث أن بعث إليها بموكب فخم يحف بها إلى باريس لتنتظر رفيق حياتها فى العاصمة مكرمة معززة . وفى اليوم السادس من يناير سنة ١٦٨٩ وصلت الملكة وولدها إلى ضواحى باريس ، فلم يكن من ملك فرنسا — وهو ذلك الملك الأريستوقراطى النزعة — إلا أن انتقل ترافقه حاشيته لاستقبالها ، وعند ما لمح المركبة الملكية ترجل واتجه إليها ، فعانق ولى العهد فى حنان أبوى ثم هرول إلى الملكة ، وبعد أن حياها تحية رقيقة مفعمة بالاحترام والاكبار ، أصعدها إلى مركبته وأجلسها إلى يمينه كما تقتضى أرقى مراتب الذوق واللياقة . ولما وصلوا إلى العاصمة وضع ذلك الملك الكريم تحت تصرف ضيوفه قصر سان جيرمان ، وهو ثانى قصر فى الدولة بعد قصر فرساى ، ثم بذل كل ما فى وسعه لإسعادهما وللحيلولة بينهما وبين الشعور بغيبة أدنى الكمالات . وفى أثناء رحلة الملكة إلى باريس ظفر زوجها بعد عناء شديد بنعمة الوصول إلى الساحل الفرنسى .

وفى اليوم السابع من يناير وصل بدوره إلى ضاحية سان جيرمان حيث كان لويس الرابع عشر فى انتظاره . وعند ما أعلن قدومه أسرع لاستقباله وتعانقا عناقا مؤثرا أحس أثناءه ملك انجلترا بالحقيقة المرة وقدر منزلته الراهنة تجاه أعظم ملوك الدنيا فى عصره ، فانحنى حتى ركبتى لويس الرابع عشر ، ولكن هذا الأخير تأثر كثيرا وأبى أن يعامله إلا معاملة الند للند ، وبعد أن تسارا مليا اقتاده إلى حيث تقيم قرينته وولده ثم ودعه قائلا له : « هذا هو منزلك تستقبلنى فيه كما أستقبلك فى فيرساى » . ولم يكتف ذلك الملك الجليل بهذه البشاشة الفائقة ، وإنما خصص الأيام التى تلت يوم قدوم ضيفه الكبير للاحتفالات بمقدمه

والحفاوة بشخصيته، وليس ذلك كل شيء، بل إنه أمر أن يعامل ذلك الملك المخلوع فى البلاط الفرنسى معاملة ملك على عرشه.

وما أبهى ما تحدثنا به مادام دى سيفينييه فى تعليقها على هذه الحادثة إذ تقول: « إن الملك قد سلك بإزاء جلالتى ملكى الإنجليز مسلكا إلهيا بحتا، أفليس من أوصاف ذى القدرة والجلال إعانة ملك طريد لفظته بلاده، وغدر به أصدقاؤه وهجره أنصاره؟ لا شك أن نفسية الملك العالية قد راقها أن تقوم بهذا الدور العظيم ».

وهكذا بقى جاك الثانى فى ضيافة ملك فرنسا عزيزا محترما حتى فارق الحياة فى سنة ١٧٠٢.

وأخيرا ألست ترى معنا أن وجه الشبه بين هذين الملكين: فاروق الأول ولويس الرابع عشر قوى متين إلى حد يلفت النظر ويسترعى الانتباه.

محمد غلاب

الطـــاقة الذرية

لم يكن إنطلاق الطاقة الذرية بالشكل الذى تبين حديثاً للعالم وليد فكرة تخيلها العلماء وأخرجوها من حيز الفكر إلى حيز العمل فى وقتنا الحاضر. بل نتيجة لسلاسل طويلة من التفكير الطويل والبحث المتواصل.

الإستنتاجات والبحوث الأولية:

منذ ٢٥٠٠ سنة مضت، عارض ديمقراطيس وهو أعظم فلاسفة اليونان القول بأن المادة قابلة للتجزئة من غير حد. وقرر وجود الجزء الذى لا يتجزأ، أو الجوهر الذى يقف عنده التجزؤ وتحلل إليه الأجسام. وكان يرى أن الجزء الذى لا يتجزأ (أى الذرات) صغير لا تدركه الحواس. وهو فى حركة دائمة وباق لا يدركه الفناء. وقد تطورت تلك الأفكار على يدى ليوراطيس ووضعت فى المنظومة المشهورة المسماة « فى طبيعة الأشياء ».

وقد اعترف الإنسان بداهة منذ أن بدأ فى التفكير والتعليل والوصول إلى شرح العمليات الطبيعية فى احتمال صحة النظريتين اللتين تنص إحداهما على « الإستمرار » والأخرى على « عدم الإستمرار »، فحبذ ديمقراطيس نظرية عدم الإستمرار، بينما حبذ « أفلاطون » وتلاميذه نظرية الإستمرار، أى النظرية التى تنص على أن الطبيعة مركبة من سائل شامل. أو بتعبير آخر (إنشغال الفراغ بالهيولى) وكل من هاتين النظريتين صحيحة من الناحية الفلسفية. على أن هناك اختلافاً ظاهراً بينهما إذا ما وضعا تحت البحث التجريبى العلمى. ولما كانت العبودية مسلماً بها فى الحياة الإجتماعية فى ذلك العصر اعتبرت الفلسفة الفكرية من مكملات الحياة الأرستقراطية، بينما العمل اليدوى مهين لكل من يزاوله. وترى من هذا أن فلاسفة ذلك العصر كانوا يعتبرون العمليات اليدوية، أو بعبارة أخرى البحث التجريبى العلمى أحط طريقة للوصول إلى حقيقة الأشياء. ولما كانت الفلسفة الأفلاطونية معترفاً بها فى الفترة الأخيرة قبل ميلاد المسيح وكانت آراؤه وتعاليمه تمثل التفكير السائد فى ذلك العصر أخذت نظرية الإستمرار مكانتها وسادت، وكانت هى النظرية المعترف بها لمدة ٢٠٠٠ سنة تقريباً.

نشوء العلم الحديث:

وفى أواخر العصر الأوسط نشأت حركة فكرية جديدة بظهور جيل جديد من الفلاسفة الطبيعيين. وربما كان السبب فى هذه النهضة ارتقاء منزلة العامل اليدوى مثل البناء والرسام والمهندس والطبيب من ناحية، والتفكير فى الفلسفة الرومانية واليونانية على أساس جديد، وذلك بظهور عصر الإصلاح، أو النهضة العلمية من ناحية أخرى. وقد ظهرت النظرية الذرية للمادة من جديد واستخدمها « فرانسيس باكون » كقاعدة لنظريته فى الحرارة؛ واستخدمها أيضاً روبرت بويل لتفسير ماهية التغيير الكيميائى. وباستخدامها كذلك تمكن نيوتن من الوصول إلى قانون بويل وكان فى هذا أول من توصل إلى تعبير رياضى لنظرية طبيعية. غير أن الفخر يرجع « لجون دالتون » الكيميائى

الإنجليزى الشهير فى وضع تلك النظرية فى شكلها الحالى . فكانت هى الحجر الأساسى الذى بنى عليه علم الكيمياء الحديث . وكانت تلك النظرية أيضاً بمثابة الهام لكل باحث كيميائى حديث .

ولما قارب القرن التاسع عشر على الإنتهاء كانت نظرية دالتون للدقيقة فى أنها النهاية القصوى لكل مادة كيميائية دقيقة لا تتغير ولا يمكن نفوذها يتميز بها كل عنصر عن الآخر، نظرية مقبولة اعترف بها كل علماء العالم تقريباً كأساس لطبيعة الأشياء .

المواد الرديومية . أو المواد ذات الفعل الرديومى :

ظهر كشفان خطيران فى السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر : الأول هو الكشف عن المواد الرديومية فى عام ١٨٩٦ ، والثانى الكشف عن الأليكترون فى عام ١٨٩٧ . لما كان الهدروجين هو أخف العناصر وزناً ظن العلماء أن ذرة الهيدرجين هى أصغر الدقيقات الممكن الحصول عليها ، والألكترون دقيقة وزنها ١ على ٢٠٠٠ من وزن ذرة الهيدروجين . وعلاوة على ذلك يمكن الحصول على الألكترونات من أى نوع من الذرة . ويمكن القول من هذا أن الذرات لا بد أن تكون ذات تركيب وأنها قادرة على التغيير. وقد أمكن إثبات هذه النتيجة بعد دراسة ماهية المواد الرديومية دراسة شاملة . وقد كان « أندرو بكرل » هو أول من كشف عن المواد الرديومية فى عام ١٨٩٦ إذ لاحظ أن أحد العناصر « اليورانيوم » ينبعث منه إشعاعات دائمة تخترق المادة وتؤثر على الألواح الفوتوغرافية وتنتج فى الوقت نفسه على ما يظهر مقداراً من الحرارة لا ينفد . وقد تابع « بيير ومارى كورى » بحوث بكرل وكشفا عن مادة الرديوم . وهى مادة رديومية أقوى بكثير فى تأثيرها من اليورانيوم .

وقد ظهر فى هذا الوقت عالم نيوزيلاندى اسمه « أرنست رذرفورد » وهو من أعظم علماء هذا العصر شهرة وأعلاهم مكانة . كان رذرفورد يبحث فى أشعة إكس والألكترونات تحت إشراف العالم البريطانى المشهور « السير جوزيف تومسون » فى كبردج . ولما علم رذرفورد بالكشف عن المواد الرديومية وخواصها تاقت نفسه فى الحال للبحث فيها وعلى تركيز قواه الفكرية ومعلوماته التجريبية فى بيان ماهيتها . وقد عين رذرفورد فيما بعد أستاذاً لعلم الطبيعة بجامعة مونتريال بكندا . وفى بضع سنوات تمكن من وضع الخواص الأساسية للمواد الرديومية . وقد اقترح رذرفورد وزميله « سودى » فى عام ١٩٠٢ أن الأصل فى الفعل الرديومى هو « الإستحالة » الذاتية للذرات . وقد بينا أيضاً أن الذات تستحيل على ما يظهر حسب قوانين المصادفة . وكانت هذه النظرية الخطيرة هى الثالثة من النظريات التى وضعت للكشف عن ماهية المواد الرديومية ، ويتبين من هذا أن قوانين المصادفة على ما يظهر هى فى الواقع أساس كل العوامل الطبيعية . وهذه نتيجة خطيرة يعد حدوثها مثالا جديداً من أمثلة الإستحالة .

الطاقة :

جاء الكشف الذى نص على أن فى داخل الذرة مقداراً هائلا من الطاقة فى وقت كانت فيه النظريات التى وضعت فى تفسير الطاقة قد تطورت تطوراً خطيراً أمكن بها تفسير ماهية الطاقة فى العناصر الرديومية . ولم يضع الباحثون قبل القرن التاسع عشر نظرية يمكن بها تفسير طبيعة الطاقة تفسيراً ظاهراً مبنياً على التجارب . ولما تطورت الآلة البخارية تقدم « جيمس وات » بالتعبير السائد وهو « قوة الحصان » . وبعد أن بحث العلماء فى آلات الحرارة تبين أن هناك تعادلا صحيحاً مضبوطاً بين مقدار الشغل الذى تعمله الآلة ومقدار الطاقة التى توضع فيها . وقد وضع «ماير وجول » فى منتصف القرن التاسع عشر تقريباً برهاناً قاطعاً بينا به أن الطاقة على اختلاف أنواعها سواء كانت ميكانيكية أو كهربائية أو طبيعية أو كيماوية أو حرارية كلها متعادلة يمكن تحويل كل منها إلى الأخرى . ثم أمكن فى الوقت نفسه الحصول على تعبير رياضى دقيق لمقدار الطاقة الممكن الحصول عليها من قطعة من الفحم وذلك بوضعها تحت ظروف خاصة . ثم وجد العالم الألمانى الطبيعى « ماكس بلانك » فى عام ١٩٠٠ أنه من المستحيل تفسير توزيع الطاقة فى الأشعة الملونة المختلفة فى الضوء

المنبعث من مصدر ساخن مثل الشمس بدون الفرض أولا بأن الطاقة قد انبعثت فى شكل حزم صغيرة ذات حجم محدود . ويظهر من هذا إذن أن الطاقة لا بد أن تبقى فى شكل ذرى .

وضع «إينشتين» فى عام ١٩٠٥ نظريته المعروفة فى « تبادل الانتساب» لشرح الحقيقة الغريبة التى تنص على أن سرعة الضوء ثابتة فى المادة بقطع النظر عما إذا كان منبع الضوء متحركا أو غير متحرك . وتخالف هذه النظرية النظريات القديمة المألوفة للمسافة والزمن مخالفة تامة ، بل تؤدى إلى نظرية جديدة تبين فيها المسافة والزمن كعاملين مختلفين لنفس الأساس الواحد . ولما تبع هذا البحث الكشف عن العلاقة العضوية بين المسافة والزمن، بين إينشتين أن هناك علاقات مماثلة بين الخواص الأخرى المميزة للمادة كانت تعتبر حتى هذا الوقت كأنها خواص مميزة ظاهرة لا ترتبط بعضها مع بعض . وقد بين إينشتين أيضاً أن كلا من الكتلة والطاقة قابلة للتغيير والتبديل، وأنهما خاصتان من أساس واحد . ويمكن الاستدلال من هذا أن المادة هى عبارة عن طاقة متجمعة .

ولم يمض من الوقت غير القليل حتى تنبه العلماء إلى أن هذه النظرية يمكن بها شرح أصل تلك الكميات الهائلة من الطاقة التى تنبعث من الشمس والنجوم شرحاً وافياً كاملا . فقد أشرقت الشمس من ملايين السنين ، وهى مستمرة فى الاشراق ولم تنقص طاقتها إلا بكمية ضئيلة جداً .

نشوء علم طبيعة النواة :

كان المعروف إذن فى أوائل القرن العشرين أن كل الذرات تحتوى على جوهر مشترك وهو الالكترون ، وأنه يمكن تحويل ذرات العنصر إلى ذرات لعنصر آخر ، وأن هذا التحويل يلازمه انطلاق الطاقة .

وقد تابع رزفورد بحوثه ، وتصور فى مخيلته فكرة جريئة جداً نصت على استخدام تفكيك الذرات للبحث عن تركيبها ، أو بعبارة أخرى البحث فى الدقيقات المنبعثة من الذرة للكشف عن ماهية موضوعها أو أصلها فى الذرة . وأعقب ذلك أن أجرى سلسلة من التجارب تعد من أمهر التجارب العلمية وأدقها . وضع من نتائجها نظرية النواة للذرة فى عام ١٩١١ . وقد بين رزفورد أن ظاهرة التشميث وسلوك الدقيقات المندفعة بانفجار الذرات تدل على أن الذرة تتركب من نواة صغيرة جداً تكاد تحتوى على الكتلة الكلية للذرة . ويحوط النواة الكترونات عدة موزعة حول النواة على أبعاد شاسعة نسبياً ، وعلى هذا تعتبر الذرة وكأنها شىء فارغ فسيح جداً ، وأن الكتلة الذرية الكلية للذرة تقريباً مركزة فى دقيقة فى وسطها (أى فى النواة) وأن النواة مشحونة بشحنة كهربائية موجبة ، وأن هذه الشحنة الموجبة توازن تماماً الشحنة السالبة التى تحملها الدقيقات الأخرى (أى الالكترونات) الموجودة فى الأجزاء الخارجية من الذرة . وقد ظهر أيضاً أن الذرة إذا استحالت نشأ هذا عن تفكك النواة نفسها ، وليس نتيجة لفقد بعض الالكترونات الخارجية الموجودة فى الفراغ حول النواة ، أى أن انقذار الهائل من الطاقة المنبعث من المواد الرديومية يتأتى من داخل النواة .

التشعيث الصناعى :

ولما كانت المواد الرديومية مثل اليورانيوم والراديوم تتفكك باستمرار بالمصادفة كان من الجائز الفرض إمكان تفكيكها صناعياً ، وقد بدأ رزفورد فى تحقيق هذا .

حضر فى هذا الوقت من كوبنهاجن أخصائى هولندى فى علم الطبيعة حديث السن اسمه « نيل بور » للبحث مع رزفورد فى مدينة منشستر ، وقد كان أن وضع بور قبل مقدمه تفسيرات للكثير من الخواص المعروفة للذرات ، أساسها أنموذج رزفورد للذرة والنظرية الكمية للطاقة التى وضعها ماكس بلانك ، وقد أمكن باستخدام « النظرية الكمية للذرة » التى وضعها بور تفسير عدد كبير من الحقائق الطبيعية فى التحليل الطيفى تفسيراً صحيحاً شاملا ، وكذلك تفسير وجود « جدول منديليف » للعناصر .

استمر رذرفورد إبان سنى الحرب (١٩١٤ – ١٩١٨) فى محاولة شطر الذرة وتجزئتها صناعياً ، وتوصل إلى أول نتيجة أثبت بها نجاحه قبل انتهاء الحرب ، وبعد انتهاء الحرب مباشرة فى عام ١٩١٩ توصل وهو فى كمبردج إلى برهان قطعى فى إمكان شطر ذرات الهيدروجين والالومينيوم ، وقد توصل إلى ذلك بتصادم تلك الذرات بدقيقات مندفعة من مواد رديومية .

وقد كان من الطبيعى البحث فى إمكان استخدام تلك الطريقة فى شطر الذرة بطرق ميكانيكية ، وقد تحقق هذا بتصميم زميله المهندس الكهربائى « كوك كروفت » لجهاز استخدم فيه ذرات الهيدروجين التى حصل عليها صناعياً فى تفريغ كهربائى ، والتى زيدت سرعتها زيادة كبيرة باستخدام مجال كهربائى لتحطيم ذرات عنصر متوازن آخر وهو عنصر « الليثيوم » . وقد وجد أن ذرات هذا العنصر تتحطم ، وأن الطاقة المنبعثة هائلة جداً بالنسبة إلى تفاعل صغير جداً مثل تحطيم نواة واحدة ، ولما كانت التفاعلات النووية قليلة فى نفس الوقت كانت كمية الطاقة المنبعثة نتيجة للتفاعل صغيرة جداً بالنسبة لمقدار الطاقة الكلى وهناك ثلاثة عوامل ساعدت على الوصول إلى هذه النتيجة وهى : أن الدقيقات المصادمة شحنت بشحنة موجبة التكهرب ، أى مثل شحنة النواة المطلوب التصادم معها ، وإن الدقيقات ذات الطاقة العالية جداً هى التى تتحمل التنافر الناتج ، وإن حجم النواة صغير جداً جداً بالنسبة إلى حجم الذرة ؛ وأخيراً إن التفاعل لا يتولد ذاتياً .

النيوترون :

وفى الوقت الذى كان كوك كروفت يجرى فيه بحوثه كان زميله « جيمس شادويك » يبحث فى الطرق التى يمكن بها شرح النقط الدقيقة المرتبطة بشطر الذرات صناعياً ، وذلك باستخدام مواد رديومية طبيعية . ففى الفترة الأولى من عام ١٩٣٢ عقب بحوث أجراها « بوذ ، بيكر ، جوليو » بين شادويك وجود دقيقة أخرى . شحنتها الكهربائية متعادلة . لها نفس الكتلة فى النواة كذرة الهيدروجين ، ولكنها تختلف عن تلك النواة وذلك فى أن ليس لها أى شحنة كهربائية . فكان من المنتظر حينئذ أن يكون لتلك الدقيقة الجديدة التى سميت « بالنيوترون » قوة اختراق (أى نفوذ) هائلة . فاذا تصادم النيوترون بذرة ما لا ينجذب نحو الالكترونات السالبة التكهرب التى تحوط الذرة ، كما أنه لا يتنافر مع نواة تلك الذرة الموجبة التكهرب . أو بعبارة أخرى يكون من السهل نسبياً للنيوترون أن يؤثر على الذرة التى يتصادم معها فيحدث تحطيمها . وخلاصة القول أن العلم قد كشف عن طريقة جديدة قوية جداً لتحطيم نواة الذرة ، بل كشف عن طريقتين لتحطيم هذه النواة فى بحر أسابيع قليلة

البقية فى العدد القادم — **عن النشرة العلمية الانجليزية**

كتب قرأتها :

الأدب الشعبي اللبناني

للأستاذ حبيب الزحلاوي

يطيب للنفس في بعض الأحايين أن تنضو ما عليها من أردية مستعارة لتنعم بساعة من وجودها النقي الأول ، كما يحلو للذهن أن ينحي عنه شواغله وينفلت من قيوده ليغتبط برهة من هدوء تعود به إلى عهد البراءة الخالصة يوم كان خلياً من متاعب الحياة.

ألم نلتفت مرة إلى أنفسنا وقد لقيناها تعود من سبحات لا هي يقظات واعية ولا هي هجمات غافية نجد في غضونها الراحة والهناءة ؟

ألم نر رجلا من ذوي العقول الراجحة والاتزان الصحيح يطمئن إلى محبة من هو دونه بمراحل استجماما لذهنه وترفيهاً عن نفسه ؟

أليس الأدب الشعبي عوداً على بدء الفطرة للتعبير عن المشاعر والغرائز بلغة البداهة الساذجة ؟

لعلي بهذه المقدمة أستطيع أن أغرى القارىء بعودة ذهنية إلى خميلة من خمائل الطبيعة الفطرية نكشف بها عن ناحية من جمال أدب شعبي لشاعر لبناني من زحلة يدعى أميل مبارك قصر أغانيه على الضيعة .

للضيعة اللبنانية طابع خاص يختلف عن طوابع القرى في أغلب الأقطار والأمصار ، كما أن للريف اللبناني ميزة تميزه من بقية الأرياف ، فلا غرو إذا خصه شاعر بأغانيه ووقف على وصفه ديوانه « أغاني الضيعة » .

يمتاز الأدب الشعبي اللبناني بخلال طبيعية ومزايا اجتماعية ، وأوصاف محلية قل أن تتوافر لأدب شرقي سواه .

يمتاز بالحنين وإثارة الوجدان ، لأن أكثر من نصف أهالي لبنان يعيشون في مهاجرهم النائية عن الوطن ، ولأن هاتيك المهاجر لم تقو ولن تقوى على أقلمة اللبنانيين ومزجهم بها في الروح والشعور والخلق .

ويمتاز أيضاً بالبقاء لسهولة حفظه وعذوبته في الإنشاد الجماعي ، واشتراك المرأة في تذوقه ، وجمعه بين الوجدان والعاطفة ولطابعه الدال على كيانه اللبناني الفريد ، وعلى الحرص على إبراز هذا الكيان في المهجر .

ويمتاز أخيراً بالنقاء من شوائب اللهجات والتعبيرات المجاورة للحدود اللبنانية ، بمحافظته على المفردات العامية والاصطلاحات التي تتقارب قليلا ، ولا تتباعد كثيراً بين قرية وقرية سواء أكانت في الجنوب أم في الشمال ، بصوره المنقولة نقلا حسياً عن جمال طبيعي من صنع المجهول لجبال وأودية وينابيع وغدران وأشجار وأثمار وأطيار ندر وجود ما يضارعها في فتنتها الساحرة وجمالها الأخاذ في أنحاء هذه الكرة الأرضية ، وفي رسم عادات أهل الضيعة ، وطبائعهم وسذاجتهم وبساطتهم في حياتهم القريبة من البدائية .

مشتاقْ أرجعْ للضيعه   مشتاق كتير
إتممشقلي بشي تينه   وصيد عصافير
عنت عَ بالي الضيعة   وياما مشتاق
عبِّي السلة بكوعي   وحوِّش جرجير

قد يجد غير اللبناني بعض الصعوبة في فهم الكلمات لارتباطها بحروف أو لاندغامها في حروف أخرى ، ولكن يسير من إعمال الفكر تدنو المعاني من الافهام ، لأن الكلمات ليست بدخيلة على اللغة ولا هي ببعيدة عن أصول آدابها .

نحن نرى أن البيت الأول واضح كل الوضوح لكل قارىء أما البيت الثاني فقد استعمل الشاعر كلمة « تممشق » بمعنى « تسلق » وفي البيت الثالث كلمة « عَ بالي » المحذوفة منها بعض الحروف بمعنى « على بالي » .

مشتاق ارجع عالضيعه   شوفْ رفاق
واسرحْ بمروج الخُضرة   وجو الناق(1)
واسمع دجاجات ستي   عميتقاق
ورافق جدي وبقراتو   واحمّلوا النير

يجب أن نلاحظ أن أكثر أهالي لبنان يلفظون القاف بصحيح مخارجها ، بعكس الكثيرين من أهالي مصر والشام يلفظونها همزة ، أما أهالي حلب فيلفظونها « آف » مفخمة .

كِنتْ صغير ، وصرت كبير   برمت قطار المسكوني(2)
غني عشت ، وعشت فقير   وشفت كتير بزماني

(1) أي النقي. (2) أي جبت أقطار الدنيا .

وما عا بالى بيعمر غـير البيت الربانى

بهذه الكلمات الموجزة البسيطة يعبر الشاعر عن خلجات صدر كل لبنانى كان فى الأصل صغيراً يوم ترك قريته فى طلب الرزق، ثم صار كبيراً وقد جاب أقطار الأرض، وعاش فقيراً ثم غنياً، ورأى الكثير من دهره، ولم يبق ثمة من شىء يخطر بباله سوى البيت الذى نشأ فيه، ودرج منه، ليعود إليه، ولو يدب إليه دبيباً.

محـلا(١) الضيعه والزقات والراعى وصوت العنزات
ومحلا خرير الشـلالات تحت سلاح السنديانى(٢)
يا هل ترى بَرْجع بعد بَنْسكن بيت الربانى ؟

***

محلا الضيعة محـلاها محـلا مناخا وهواها
كيف ما بدّى أهواها بلاّ الهجـر كفانى
راجع يا بيتى مشـتاق بَهْواك وأنت بتهوانى

***

يقام حتى هذه الساعة، أسواق للأدب الشعبى تعقد حلقاتها فى الساحات العمومية، يؤمها الناس من الجنسين من كل حدب وصوب يستمعون مباراة الزجالين ويشتركون معهم فى الهزيج والإنشاد. وتمتاز هذه الاجتماعات العامة بميزة الارتجال التى لا أحمدها كثيراً لاضطرار مرتجليها إلى الارتكان على الذكاء وحده دون الروية والتبصر. وقد حدثونا عن إحدى هذه الحلقات وقد حضرها الدكتور طه حسين بك فقال الزجال مرتجلا

وحياتك يا طه حسين مِنّى عاوز التّنتين
عين الواحدة تكفينى خد لك عين وخلى عين

أما الزجال أميل مبارك صاحب ديوان «أغانى الضيعة» فهو نسيج وحده، لا يحتذى سواه من الزجالين، بل ينظم القصيدة فى شهر أو فى شهور، وما يزال بها نحتا وصقلا، تارة فى تنحية الكلمات الذاهبة فى الأدب مذهب المثل، وتارة فى استبعاد الكلمات العامية التى صارت شبه منسية أو هى فى حكم الندرة الحوشية، حتى يبلغ الغاية من الرضى عنها. ويكفيه أن ينشدها مرة واحدة حتى تتلقفها الآذان، وتتداولها ألسنة الناس إنشاداً، وينقلها البريد إلى كل صوب يأوى إليه لبنانى فى بقاع الأرض

(١) أى ما أحلا. (٢) أى ما أحلى

اشتقت لزقزقة العصفور ولريحة هـوا بلادى
بدى أرجع لمّ زهور عن حفة نهر الوادى

***

ربينا سنين وربينا شهور بالوادى بين الصـخور
ربينا وكان يجى العصفور يشاركنا عَ الزوادى

كم لمشاركة العصفور على الزاد من سحر روحى جذاب قد لا يستعذبه سوى أليف الضيعة والمرهف الحس!

***

لا يشغل الغزل حيزاً واسعاً فى ديوان «أغانى الضيعة» المتواضع، فكأن الحنين إلى المكان ألهى ناظمه عن السكان، وكأن حرصه على ذكر الدالية بعناقيدها، والتينة بما على فروعها من أعشاش، والعليق المتشابك عند الغدير، وتشوقه إلى قطف «كبوشه» أى عناقيده المزة الطعم، والصفصافة المنحنية الأغصان، والالتفاتات الكثيرة إلى ما جل ودق فى طبيعة أشياء وأشخاص الضيعة من جرود وسهول وجبال إلى البقرة والمعزة والدجاجة، أنساه عنصر الحياة الأول، عنصر المرأة، وهى سر الغريزة الحقيقى، لا نسياناً كلياً، ولكنه توسل به توسلا عرضياً فجاء وكأنه يستغنى بالتلميح عن التصريح.

لما شافتنى تنهدت بدون حَكِى ورغرغت بالدمع قصدا تشتكى
واحمر ورد خدودها وبكيت خجل
ومن غصّتى ما قدرت قلها شـو بكى

لنلاحظ أن النظرة هى التى عطلت لغة الكلام، وأن الخجل هو الذى أحنى الرأس، وأن الغصة اشتركت مع النظرة فى تعطيل اللسان لخفق القلب.

ضميت(١) واقف وهى كان وقفت مى
رحنـا ما قلنا رْجاع ولا ارجعى
وتنينا بها الوقت كنا بلا وعى
عرفنا شو حكيو قلوبنا من التكتكى

فهذه الصورة على ما فيها من بساطة التصوير الرائع لاضطرابات النفس وخلجات الوجدان ونبضات الغرائز تماثل الصورة التالية وهى أكثر إمعاناً فى سذاجتها وأدق فى براءتها.

(١) ضميت وتنيت: بمعنى بقيت

قديش (١) كنا نروح ع دْروب الهوا
و كبوش (٢) شِنّا محبى (٣) نقطف سوى
وكل ما حكينا ينقِّزنا الهوى قديش كنا نخاف لمح خيالنا
قديش كنا نروح نلعب بالحقول ونفرفط الزعرور ونفز الجحول
وقديش كان بيِّك لبيَّ يقول بعدو ولدْ لا تضربو كرما لنا

كم من مرة ذهبنا إلى الحقول وتخطينا الحواجز لنفرط الزعرور ؟ وكم كان يقول أبوك لأبى دع ولدك إكراماً لى ولا تضربه لأنه لم يدرك بعد .

لناظم ديوان « أغانى الضيعة » ميول بينة إلى تسجيل كل ما يحيط بحياة القرية اللبنانية من ظواهر جوية وتغييرات مردها إلى تبدل فصول السنة وهى جد مضبوطة فى ربوعه يعرفها قطانه باليوم الواحد يعدون لها العدة ، ويرى طوالع الشتاء فى فصل الخريف ...

تجمعوا النحلات ورجعوا للقفير ... ...
والشمس ردوا حبالها ، وناص القمر
والمىْ شحت ما بق لهــا خرير

بردت أشعة الشمس وقل ضوء القمر ، وشحت المياه وقلت ، وعاد النحل إلى قفاره لأن البرية تتعرى فى الخريف .

ويستقبل الشتاء بابتسامة المتأهب :

محلا الشـــتا ومحلا البرد لو عندك مونى (٤) تكفاك
وندف التلـــج وطق الشرد والقعـدة حدّ الشـــباك
ومحلا الهوا بقلب الغـــاب ومحلا الكبوة (٥) حد النار
والرعد وطـــرق المزراب

وهو يتشوق إلى نسيم الصيف من خلال زهور الحقل فى فصل الربيع .

رجع عالعش المصـفور عا لحقلَهْ طار الفرفور
المرجة فرشت أرضا زهور تانيم قـر نيسان

***

وبتشوف الندى بنيسان عامدَى السهل وطولو
بتحسّب فوق الريحان الدنيـا مشتّابى لولو

على مدى السهل ، ترى الندى فوق الريحان فى شهر نيسان كأنه اللؤلؤ أمطرته السماء .

***

يعلم الشاعر مبارك أن عدد القاطنين جبال لبنان اليوم يساوى عدد المهاجرين المتناثرين فى أميركا الجنوبية والشمالية وفى المستعمرات البريطانية وسواها ، ويعلم أيضا أن لا سبيل البتة إلى عودتهم إلى قراهم إلا بالتحبيب والتشويق والتذكير ، ولم يتوسل بالموازنة بين مدن يسكنونها وهى عامرة ، وبين مساقط رؤوسهم وهى شبه مقفرة ، ولا بالمقارنة بين عواصم نزلوا بها وبين مباءات طفولتهم ومعقد ذكرياتهم ، بل ابتكر طريقة حوار وسؤال بين لبنانى مقيم وبين لبنانى مهاجر :

بتسألنى شـو فى عندك بالضيعة ، تنّك مهم (١)
عندى أحسن ما عندك عندى بَسْـطْ وعندك هم

***

عنـــدى البيت الربانى والمعبور ودروب الكرم
وعندى قدحة وصـوّانه والضبوه وتتنات الغرم

عندى البيت الذى ربيت فيه ، وعندى الطريق الموصل إلى كروم العنب والتين ، وعندى أيضا عدة التدخين عامرة بالتبغ وقداحة الشرارة .

فى عندى القعده بكّير تحت صنـوبر ضيعتنا
وزرويقه قـرّه وجـرجير بتسوى العيشه وغربتنا

عندى أن الجلوس فى الصبح الباكر تحت ظلال الصنوبر وتناول طعام الفطور من الجرجير والقرة وهى من فصيلة الجرجير إلا أنها حريفة يساوى حياة بأكلها نقضيها فى الاغتراب .

يا ما عبينا الســـلة تين أسود من تينتنا
يا ما لعبنا عالتـــله نحْنا وبنـــات جارتنا

كم ملأْنا السلة من التين ، وكم لعبنا على الربوة مع البنات

ويعود أيضا فينطق اللبنانى المهاجر فيصور خلجات صدره وأمنيات نفسه ويقول :

بعد بيفتح درب البحر ولبنان بشوفلو صـوره
نخمين برجع للرزقات ويعيش عيشه مستوره

---

(١) أى أنت رجل ذو أهمية

(١) قديش بمعنى كم الاستفهامية أى قدر أى شىء
(٢) الكبوش هى عناقيد معلق
(٣) شنا محبى أى نثر عنبها كالحبوب
(٤) أى مؤونه الشتاء
(٥) الكبوة : النوم المتقطع المتهدم

٨ – الزندقة

فى عهد المهدى العباسى

أصولها الفارسية

للأستاذ محمد خليفة التونسى

[بقية الكلام فى مذهب زرادشت وكتابه : التنوية : مرقيون وابن ديصان]

روى الراغب الأصفهانى أن « زرادشت شرع زواج الأمهات[١] » كما روى القلقشندى أن المجوس « يستبيحون فروج المحارم من البنات والأمهات ، ويرون جواز الجمع بين الأختين[٢] » كما روى الجاحظ فى أخباره فى الحمق أن ابن عوانة الكلبى قال : « استعمل معاوية رجلا من كلب فذكر يوما المجوس وعنده الناس ، فقال : لعن الله المجوس ينكحون أمهاتهم! والله لو أعطيت مائة ألف درهم مانكحت أمى ! فبلغ ذلك معاوية

(١) محاضرات الأدباء ج ٢ ص ٢٤١ .

(٢) صبح الأعشى ج ١٣ ص ٢٩٤ ، ٢٩٥

وبرجع بفنى فراقيات عاعنات الناعوره

ترى يسهل ركوب البحر فأعود أرى لبنان مرة ثانية ؟ ترى أعود إلى بيتى وكرمى اكتنى بالعيش الهنىء ؟ أترانى أعود أخيراً إلى ضيعتى أسمع صرير الساقية فأتخذ منه لحنا للغناء والتذكر بالأحباب المفارقين وطنهم ؟

هيهات ! ! تلك أمانى تختلج فى فؤاد المهاجر ، ولكن مغالبة الحياة ، وزحمة العمل ، والتقيد بروابط الزواج والنسل تهدىء حركة تلك الخلجات ، وتخفف من اضطرابها . أما وما برحت أبواب الهجرة مفتوحة للبنانيين ، وما دامت المدينة اللبنانية تجذب أبناء الضياع إلى حواضرها لتلفظهم من جديد إلى ميادين رحبة فى طلب الرزق ، فإن الزجال اللبنانى سيجد المعين الغزير الذى يبعث فيه روح الحنين والشوق فينشد القصائد الحية كما أنشدها أميل مبارك فى « أغانى الضيعة » .

حبيب الزحلاوى

فقال : قاتله الله ! أترونه لو زاده على مئة ألف فعل ! فعزله[١] » وقال اليعقوبى عند كلامه فى الفرس : إنها « تنكح الأمهات والبنات ، وتذهب إلى أنها صلة لهن وبر بهن وتقرب إلى الله فيهن[٢] ، وينسب عبد القاهر البغدادى إلى المجوس هذه الأنواع وغيرها من الزواج كزواج بنات البنات وبنات البنين[٣] وقد ظلت ضروب الزواج هذه شائعة بين المجوس وغيرهم من الطوائف الأخرى حتى بعد فتح المسلمين فارس وظل المسلمون يعيبونهم بها ، وينكرونها عليهم ، وليس من همّنا هنا أن نبين رأينا فى هذه الأنواع بل نرجئه إلى الكلام فى أثرها عند الزنادقة ، وحسبنا أن نبين أن العرب قد عرفوا فى جاهليتهم بعض هذه الأنواع وكانوا يستبيحونها ولا ينكرونها حتى جاء الإسلام فأنكرها عليهم وعلى غيرهم[٤] وحدد من يحل للانسان أن يتزوجهن ومن يحرم عليه الزواج منهن .

عرف العرب فى الجاهلية زواج الأم كما حكى عنهم المؤرخ اليونانى استرابو ، وعرفوا زواج امرأة الأب فقد تزوج الصحابى الجليل عمرو بن معد يكرب الزبيدى امرأة أبيه فى الجاهلية ، ولم يكن راضياً عنها[٥] كما تزوجت باهلة أم القبيلة المعروفة بهذا الإسم[٦] زوجها معْناً أبا قبيلة باهلة ثم تزوجت بعده ابنه ، بل عرف العرب من ضروب الزواج ما يسمى نكاح الضمد وهو — كما جاء فى السيرة الحلبية — أن تجتمع جماعة دون العشرة ويتزوجوا امرأة واحدة[٧] ولذلك كله أسبابه الاجتماعية مما

(١) البيان والتبيين (طبعة السندوبى الثانية) ج ٢ ص ٢٠٤ .

(٢) تاريخ اليعقوبى (طبعة ليدن سنة ١٨٨٣) ج ١ ص ١٩٩ .

(٣) الفرق بين الفرق ص ١١ ، ١٨ ، ٧٥ ، ٢٧٠ ، ٢٨٥ ومواضع أخر .

(٤) سورة النساء : الآيتان ٢٢ ، ٢٣ .

(٥) يتبين ذلك من البيت الآتى المنسوب إليه .

فلولا إخوتى وبنى منها ملأت لها بذى شطب يمينى

(٦) انظر ما كتب فى مادة باهلة فى دائرة المعارف الاسلامية .

(٧) روى كثير من المؤرخين فى سيرة الصحابى الجليل عمرو بن العاص أن أمه كانت زوجا للعاص وغيره فى وقت واحد ، وقد ادعى كثير منهم عمرا بعد ولادتها إياه ليكون ولده ، ولكن أمه ألحقته بالعاص دونهم لأنه — كما قالت حين سئلت — كان ينفق على بناتها لا لسبب آخر ، وقد بقى عمرو يعير بذلك حتى بعد إسلامه وممن عيره بذلك للصحابة الأجلاء عثمان وعمار بن ياسر والحسن عليهم رضوان الله .

لا يعنينا هنا الخوض فيه ، ويكفى أن نبين أنه من التعنت واللغو النظر إلى أنواع الزواج التى كانت تجرى عند المجوس بالعين التى ننظر إليها بها لوأنها وقعت الآن ، فقد تحولت أسبابها الاجتماعية ، وصرنا الآن ننكرها ونعدها فاحشة ومقتاً ، ونرجح أن زرادشت لا يسأل وحده عن هذه الأنواع من الزواج ، فهو كما نرجح لم يشرعها ، وكل ما عمل أن أقرّها فبقيت سارية بين المجوس ، وكان لها أثرها عند الزنادقة قبل عهد المهدى العباسى وأثناءه وبعده ، فقد زاولها بعض الزنادقة فى عهـده على ما سنبينه إن شاء الله .

وقال الشهرستانى فى كتابه « الملل والنحل » ما نصه : « ومما أخبر به زرادشت فى زندوستا ، قال : سيظهر فى آخر الزمان رجل اسمه أشيزريكا ومعناها الرجل العالم بالدين والعدل ، ثم يظهر فى زمانه بلَيارِه فيوقع الآفة فى أمره وملكه عشرين سنة ، ثم يظهر بعد ذلك أشيزريكا على أهل العالم ويحيى العدل ويميت الجور ، ويرد السنن المغيرة إلى أوضاعها الأولى ، وينقاد له الملوك وتتيسر له الأمور ، وينصر الدين الحق ويحصل فى زمانه الأمن والدعة وسكون الفتن وزوال المحن » .

ونحن لا نعدم ملامح أشيزريكا هذه فى كل المنقذين كما تصورتهم الفرق الفارسية والإسلامية(١) التى آمنت بهـــم وانتظرتهم ، وهذه الملامح تتضح لنـا فى المهدى الذى آمن به الشيعة العلويون على اختلاف طوائفهم ولا يزال باقياً فيهم حتى الآن وهو ركن من أركان مذهبهم ، كما تتضح ملامحه فى المهدى الذى اخترعه العباسيون وآمنوا به ، ونحن نرجح — وسنبين الأسباب — أن أبا جعفر المنصور إنما سمى ابنه محمداً — المهدى حين رأى الشيعة العلويين ينادون بالمهدى منهم ، واخترع أولئك وهؤلاء الأحاديث فى المهدى ليشدوا بها أزرهم ، كما اخترع الأمويون منقذاً سموه السفيانى يعيد إليهم مجدهم وكان ذلك فى أول عهد الأمويين حين وقع الخلاف بين أفراد البيت الأموى فمهد لهم شياطين الشيعة فلم يكذبوا بالسفيانى بل صدقوا به . غير أنهم نحلوا النبى عليه السلام من الأحاديث ما يدل على أن السفيانى بعد ظهوره وذيوع أمره وسلطانه وجوره فى الناس سيأتى له المهدى من آل البيت فيقتله ويملأ الأرض عدلا وأمنا كما ملأها السفيانى جوراً وخوفاً فأسندوا بذلك إلى السفيانى مهمة بليارِه الفارسى وإلى مهديهم مهمة أشيزريكا ، وفى ذلك ما فيه من الإشارة إلى قيام الدولة العباسية بعد الأموية ، وللزنادقة مهديوهم المنتظرون كلما ساءت الأحوال واحتاج الأمر إلى مخلص ، فمنهم مانى ومزدك وأبو مسلم الخراسانى والمقنع صاحب الزنادقة المبيضة وعبـد القهار صاحب المحمرة فى عهد المهدى العباسى ، ومنهم بعـده بابك الخرمى صاحب الفتنة التى وقفت الخلافة عاجزة عن إطفائها نحو عشرين سنة … وقد كان لفكرة المنقذ أثر كبير فى الزنادقة ، وإن كان هذا الأثر فيما نرجح يرجع أكثر ما يرجع إلى إيحائه فى النفوس كلما تعقدت الأمور الاجتماعية واحتاج الحال إلى منقذ . فأثر هذا الإيحاء أكثر من أثر الاطلاع على ما كتب زرادشت وغيره .

قدمنا أن زرادشت خلف مذهباً وكتابا .

فأما المذهب فقد تحدثنا بما يهمنا منه فيما سبق بقدر ما يسع المقام ، وقد اتضح لنا من بيان ما بينا منه أن زرادشت كان فيلسوفاً ومصلحاً ومشرعاً ولم يكن نبياً ولا متنبئاً ولا صاحب دين كما نفهم من معنى الدين بالرغم من أن مذهبه يحتوى على بعض الشعائر والآراء التى تحسب من الدين ، فليس المقصود بتلك الآراء فى الكون إلا أن تكون أساساً للآراء الفلسفية والتشريعات الإصلاحية التى هى عماد المذهب وأهم ما فيه ، كما أن تلك الشعائر القليلة لم يقصد بها التعبد المحض بل الرياضة النفسية ومثلها فى ذلك مثل نظيرتها فى الفلسفة البوذية والبرهمية فى الهند والكنفشيوسية فى الصين ، بدليل تفضيل زرادشت العمل فى الحياة على الصلاة والصوم والأدعية والقرابين ، فمنده أن من يصلح الأرض ويبذر فيها الحب ويرويها أفضل ممن يقرب ألف

(١) المصادر التى يمكن الرجوع لتحقيق هذا الأمر كثيرة جدا والمهديون ومن على شاكلتهم من المسلمين والفرس كثير ، وخاصة من الشيعة العلوية وسيرهم مشتتة فى كتب التاريخ وكتب الملل والنحل : كتواريخ الطبرى ، وابن خلدون ، واليعقوبى ، وابن الأثير ، والمسعودى ، وابن خلكان . وتاريخ بغداد لأبى بكر البغدادى ، والتنبيه والاشراف للمسعودى ومعجم البلدان لياقوت ، وكتاب الملل والنحل للشهرستانى ، والفصل فى الملل والأهواء والنحل لابن حزم ، والفهرست لابن النديم ، ومحاضرات الأدباء للراغب الأصفهانى ، وأمالى المرتضى ، والأخبار الطوال للدينورى والفرق بين الفرق لعبد القاهر البغدادى ، وتاريخ مختصر الدول للملطى ، ودوائر المعارف العامة .

قربان ومن يصلى عشرة آلاف صلاة وممن يدعو عشرة آلاف دعاء ، بل إنه حرم الصوم لأنه يضعف الإنسان .

وأما الكتاب الذى جاء به زرادشت فهو أفستا Avesta ويظهر أن هذا الكتاب كان يحتوى على آراء غامضة رفيعة لا قبل للعقول العادية حينذاك بفهمها وقبولها بدليل عجز الكثير منهم عن ذلك مما جعلهم يحيطونه بكثير من الخرافات ، وبدليل ماأدى إليه غموضه عند الكثير من اضطرار زرادشت إلى شرحه بكتاب يسمى « زندافستا Zand-avesta » ثم إلى شرحه الشرح بكتاب سماه « بازند » ثم إلى شرح علمائهم هذا الشرح بكتاب سموه يازده ، وبدليل ثالث هو منع كيستاسب تعليمه العامة[1] ، وقد قدمنا الكلام فى هذا التحريم وسداد رأى كيستاسب فيه ، ولم يكن لزرادشت فى هذا الكتاب إلا فضل تقييد ما ارتضى هو وحكماء الفرس من آراء بعد الاستطلاع والمشاورة كما قدمنا فى بيان مذهبه ، ومن أجل ذلك نحن فى غنى عن الخلاف الذى أشار الشهرستانى والمسعودى والقلقشندى فيما إذا كان هذا الكتاب من تصنيف زرادشت أم هو وحى نزل عليه من السماء[2] ، وقد كان لهذا الكتاب أثره فى نشأة الزندقة واشتقاق لفظها نرجئ بيانه إلى موضعه من هذا البحث حيث الكلام فى المانوية لأنه بهم أمس ولبيان مذهبهم ألزم ، ونشير هنا إلى أن كيستاسب الملك صان هذا الكتاب فى هيكل باصطخر ووكل به الهرابذة بعد كتابته بالذهب على جلود البقر[3] ومن أجل ذلك سمى ذلك المكان « دزنبشت » أى حصن الكتاب و « كوه نبشت » أى جبل الكتاب[4] ، وهناك بناء نخم على هيئة برج ما يزال إلى اليوم يعرف بكعبة زرادشت فى أطلال مدينة اصطخر عاصمة الفرس أيام الدولة الساسانية وهى بالقرب من مدينة برسبوليس عاصمتهم أيام الدولة الكيانية[1] .

سادت الزرادشتية البلاد الفارسية ودان بها الملوك والعامة منذ ظهر زرادشت ، فقد بذل كيستاسف جهداً جباراً لحمل الناس عليها وتعرض من أجلها لثورة من أحد عماله وفقد فيها ابنه وكادت تدك ملكه لولا أن أسعفه الحظ بموت غريمه[2] ، وقد بذل الملوك بعده جهدهم حتى استأثرت الزرادشتية بفارس وبقيت متسلطة عليها حتى كانت موقعة أربل بين الإسكندر الأكبر ودارا الثالث سنة ٣٣١ ق . م وانهزم دارا فضاع استقلال فارس وانهارت الوحدة الفارسية ، وعم الاضطراب البلاد طوال حكم ملوك الطوائف الذين حكموا البلاد متفرقين أكثر من خمسة قرون ونصف قرن بدأت عقب هزيمة دارا آخر ملوك الكيانية سنة ٣٣١ ق . م وانتهت بقيام أردشير بن بابك بن ساسان أول ملوك الساسانية سنة ٢٢٦ م وران عليها طول تلك المدة الانحلال العقلى والخلقى والسياسى ، وكان لذلك كله أثره فى ضعف الزرادشتية ، ويقال إن الإسكندر أحرق كثيراً من كتب الفرس العلمية وفيها جزء كبير من كتاب زرادشت[3] وأحرق وهدم كثيراً من الآثار الفارسية المكتوبة على الخشب والمبانى ونقل كثيراً منها إلى مصر وبلاد اليونان وكان قد أمر بترجمة بعض ما وجد من كتب فلما ترجمه أحرق أصوله ، فلما قام أردشير ابن بابك سنة ٢٢٦ م ووحد البلاد الفارسية وحاول ما استطاع أن يجمع ماتفرق من هذه الذخائر وبعث فى طلبها الرسل إلى الهند والصين ومصر وبلاد الروم ، وجعلها أساس النهضة العلمية فى فارس ، كما جمع ما استطاع من كتب الزرادشتية واعتنقها وعمل بها فأرجع لها بعض سلطانها الذى فقدته أثناء ملوك الطوائف[4] .

---

(١) مروج الذهب للمسعودى ج ١ ص ١١٠ ، والتنبيه والاشراف له ص ٩٠ والعبر لابن خلدون ج ٢ (القسم الأول) ص ١٦١ ، وابن الأثير ج ١ ص ١٠١ ، ودائرة معارف البستانى م ٩ ص ١٩٧ ، ٢٠٧ ، ٢٦٩ ، وصبح الأعشى ج ١٣ ص ٢٩٤ ، ٢٩٥ .

(٢) من المبالغة والاغراق فى الضلال والتضليل ما رواه عبد القاهر البغدادى لرجل إسمه أبو القاسم الدمشقى من فرقة تسمى البهشمية (نسبة إلى أبى هاشم المعتزلى) وهي من فرق المعتزلة الخارجة عن الاسلام ، فقد زعم « أن الحروف التى فى القرآن هى الحروف التى فى كتاب زردشت المجوسى بأعيانها لا على أنها مثلها » (الفرق بين الفرق ص ١٨٥) .

(٣) المصادر المذكورة فى الهامش ص ١١ .

(٤) ما كتبه الأستاذ سترك M. Setrck فى مادة اصطخر (دائرة المعارف الاسلامية) .

---

(١) المصدر السابق .

(٢) الأخبار الطوال ص ٢٦ ، ٢٧ .

(٣) المصادر المذكورة فى الهامش .

(٤) الفهرست لابن النديم ص ٣٢٣ ، ٣٣٤ ، نقلا عن كتاب البهطان لأبى سهل بن نوبخت (طبع المطبعة الرحمانية سنة ١٣٤٨ هـ) وتاريخ إيران للاستاذ شاهين مكاريوس ص ٢٩٣ (طبع المقتطف سنة ١٨٩٨ م) .

كان ضياع جزء من كتاب زرادشت إبان الفتح المقدونى مما أوهن الزرادشتية أيام ملوك الطوائف وهيأ لقوم الإثنيان بآراء ومذاهب جديدة لم يأت بها زرادشت وحكماؤه ، كما هيأ الفرصة لإحياء كثير من الخرافات والعقائد القديمة التى هى أدنى إلى عقول العامة من الصفوة التى اختارتها الزرادشتية ، لكن ذلك لم يمحها ويستأصلها ، فقد بقيت حية فى فارس أثناء حكم ملوك الطوائف على ضعف واستحياء ، فلما جاء بنو ساسان أنهضوها وشدوا سلطانها وجعلوها دينهم الرسمى ، وظلت قائمة حتى بعد فتح المسلمين فارس ، وكانت قد تسللت فى الجاهلية إلى البلاد العربية ودانت بها بعض قبائلها النازلة على حدود فارس ، وآمن بها بعض الصحابة قبل إسلامهم (1) ، وكان يدين بها كثير من الفرس فى العصر الإسلامى عن رضا من المسلمين عند ماسنوا بهم سنة أهل الكتاب كما بينا فى مقال سابق (2) فتركوهم عليها واكتفوا منهم بالجزية ، وكان مما أيدها أن فرض المسلمون الجزية على من أسلم ومن بقى على عقيدته على السواء فى أكثر سنى الحكم الأموى والعباسى ، وقد اصطنع المسلمون كثيراً من أهلها فى الأعمال التى يجهلها الحكام المسلمون كأعمال الدواوين ، بل كان لأهلها ضلع فى انتصار العباسيين على الأمويين ، ودارت بينهم وبين المسلمين مجادلات فى المهدين معاً ، وتبادلوا فى ذلك كتب الجدل ، وكانت لهم أياد على كثير من العلوم المحدثة فى الإسلام إلى وقت متأخر ، ويقول الأستاذ لينجورث Longworth Dames : « إن القصص التى يستطاع إرجاعها إلى أفستا بقيت معروفة فى زرنكة (3) حتى زمن الفردوسى سنة ١٠٠٠ م (4) » وكان لهذه القصص فضل على الفردوسى إذ كانت بعض مادته فى تأليف الشاهنامه ، وقد انتشرت الزرادشتية حتى فيما وراء بلاد فارس كالصغد وبلاد الترك قديماً فيما وراء النهر فى العصر الإسلامى فقد امتدت إلى هذه البلاد فى القرن التاسع الميلادى (5) ، وكانت فى الهند فى القرن الرابع عشر الميلادى وأهلها يسمون هناك الإكنواطريه (1) ، بل لقد نشرها هؤلاء الهنود وإخوانهم من الفرس فيما حول باكو فى القرن الثامن عشر (2) ، وهم لا يزالون إلى الآن بالهند ويسمون الفرسيين ، وكان أولهم قد هاجروا إليها من فارس عند ما فتحها المسلمون (3) ولم يضعف شأن الزرادشتية — إلى ما قدمنا — إلا مرقيون وابن ديصان ومانى .

محمد خليفة التونسى

---

(1) الأعلاق النفيسة لابن رسته ص ٢١٧ ، والمعارف لابن قتيبة ٢٩ .

(2) الرسالة : العدد ٦٥٢ ص ١٤٣٢ ، ١٤٣٣

(3 ، 4) زرنكة الأسم القديم لاقليم سجستان (مادة أفغانستان فى دائرة المعارف الاسلامية .

(5) انظر ما كتبه الأستاذ بارتولد Barthold فى مادة باكو فى دائرة المعارف الاسلامية .

---

(1) نهاية الأرب ج ١ ص ١٠٣ ، وجاء فى هامش الصفحة أن المترجم الألمانى لكتاب الملل والنحل للشهرستانى أفاد أن الاكنواطرية مأخوذة من أجنيهترا وهى النار المقدسة التى تتأجج إكراماً للاله أجنى .

(2) ما كتبه الأستاذ بارتولد فى مادة باكو فى دائرة المعارف الاسلامية

(3) المصدر السابق ، وكتاب « تاريخ إيران » للأستاذ شاهين مكاريوس ص ٢٢٣ .

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٧٦١ — فإن شهدت عليه بالمعصية فاشهد له بالطاعة

الفصول والغايات لأبي العلاء المعري :

اعلم — أيها المسكين — أن الأيام شهود لك وعليك ، فإن تمالأت على تزكيتك فأنت السعيد ، وإن توافقت على تكفيرك فأنت حامل العبء الثقيل ، وإن جرح بعضها شهادة بعض فإن الله كريم . أيها اليوم الحاضر ، إن أمس ذهب وأنت أقرب الأيام إليه ، وقد حمل عني كتابا يشتمل على الغفلة والتفريط ، فدراكه دراك ، إن فاتك فأنا أحد الهالكين . وإن عجزت أن تلحقه فإن الغد أعجز منك . وكيف تدركه وغداتك لا ترى ضحاك ، وأصيلك لا يتفق مع الهجير ، والله على المتمنيات مقيت . فناد في أثره علّه بإذن الله يسمع دعاء الداعين ، فإن أجابك فقل : إن البائس فلانا يسألك أن تلقي الصحيفة من يدك . ولو نطق لحلف لا أستطيع ، أنا أمين عالم الدفين ، ولو فعلت لرهبت من المعصية كما تخاف ، ولكن أنا وأنت عند الله كفرسي رهان ، فإذا شهدت عليه بالمعصية فاشهد له بالطاعة[1] .

٧٦٢ — لبعد فهمهم وتأخر معرفتهم

كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري :

قد رأينا الله تعالى إذا خاطب العرب والأعراب أخرج الكلام مخرج الإشارة والوحي ، وإذا خاطب بني إسرائيل أو حكى عنهم جعل الكلام مبسوطا . فما خاطب به أهل مكة قوله سبحانه (إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له ، وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ، ضعف الطالب والمطلوب[1]) وقوله تعالى : (إذن لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض) وقوله تعالى : (أو ألقى السمع وهو شهيد) في أشباه لهذا كثيرة . وقلما نجد قصة لبني إسرائيل في القرآن إلا مطولة مشروحة ومكررة في مواضع معادة لبعد فهمهم ، وتأخر معرفتهم .

٧٦٣ — إن أعاد كلام نفسه سلمت له ما قال

كان أبو بكر الباقلاني (العالم المتكلم المشهور) كثير التطويل في المناظرة مشهورا بذلك عند الجماعة ، وجرى يوما بينه وبين أبي سعيد الهاروني مناظرة ، فأكثر القاضي أبو بكر الكلام ووسع العبارة وزاد في الإسهاب ثم التفت إلى الحاضرين وقال : اشهدوا علي ، إنه إن أعاد ما قلت لا غير لم أطالبه بالجواب . فقال الهاروني : اشهدوا علي ، إنه إن أعاد كلام نفسه ، سلمت له ما قال .

٧٦٤ — الحياء ، الخجل ، الوقاحة

(الذريعة) للراغب : الحياء انقباض النفس عن القبائح ، وهو من خصائص الإنسان . والخجل حيرة النفس لفرط الحياء ، ويحمد في النساء والصبيان ، ويذم باتفاق من الرجال . والوقاحة مذمومة بكل إنسان إذ هي انسلاخ من الإنسانية ، وحقيقتها لجاج النفس في تعاطي القبيح ، واشتقاقها من حافر وقاح أي صلب ، وبهذه المناسبة قال الشاعر :

يا ليت لي من جلد وجهك رقعة ... فأقد منها حافرا للأشهب[2]

٧٦٥ — اسم غازي

(وفيات الأعيان) :

كان أبو الفتح غازي بن صلاح الدين صاحب حلب ملكا مهيبا عالي الهمة حسن التدبير والسياسة .

(١) ما أرق عبارات المعري في (الفصول والغايات) وما أسمها ! لله در كلامه !

(١) يراجع قول الأديب الكبير الأستاذ سيد قطب في هذه الآية في كتابه البارع (التصوير الفني في القرآن) ص ١٩٣ .

(٢) ومما قيل :

لا يعمل المبرد في وجهه ... بل وجهه يعمل في المبرد

يحكى عن سرعة إدراكه أشياء حسنة ، منها أنه جلس يوما لعرض العسكر وديوان الجيش بين يديه ، وكان كلما حضر أحد من الأجناد سأله الديوان عن اسمه ليذلوه حتى حضر واحد فسأله عن اسمه فقبل الأرض ، فلم يفطن أحد من أرباب الديوان لما أراد ، فعادوا إلى سؤاله فقال الملك : اسمه غازى ، وكان كذلك ؛ وتأدب الجندى أن يذكر اسمه لما كان موافقا لاسم السلطان ، وعرف هو مقصوده .

٧٦٦ — وجه المليح أطل من شباك

قال القاضى محيى الدين بن قرناص :

وحديقة غنّاء ينتظم الندى بفروعها كالدر فى الأسلاك
والبدر فى خلل الغصون كأنه وجه المليح أطل من شباك

٧٦٧ — ليس هذا من سؤال القضاة

فى (نفح الطيب) :

خرج أبو حازم القاضى من داره إلى المسجد يريد الصلاة ، وإذا بسكران يمشى فى الشارع فقال الناس : سكران سكران !

فوقف القاضى وقال هاتوه فأدنوه منه .

فقال له القاضى : من ربك ؟ (يريد امتحانه)

فقال له السكران : ليس هذا من سؤال القضاة (أصلحك الله) إنه من سؤال منكر ونكير .

فغلب القاضى الضحك وقال : خلوا سبيله .

٧٦٨ — عواد المرضى

عاد رجل مريضا فقال له ما تشتكى ؟ قال : وجع الخاصرة . قال والله كانت علة أبى فمات منها ، فعليك بالوصية يا أخى . فدعا المريض ولده وقال يا بنى أوصيك بهذا لا تدعه يدخل على بعد هذه .

***

عاد رجل مريضا فلما خرج قال لأهله لا تفعلوا فى هذا كما فعلتم فى الآخر ، مات وما أعلمتمونى .

***

عاد بعضهم مريضا فلما خرج قال لأهله : أحسن الله عزاءكم! فقالوا إنه لم يمت ، قال : قد عرفت ، ولكنى شيخ كبير لا أستطيع النهوض فى كل وقت ، وأخاف أن يموت فأعجز عن المجىء لأعزيكم به .

***

دخل قوم على مريض فأطالوا . ثم قالوا : أوصنا . فقال : أوصيكم ألا تطيلوا الجلوس عند المريض إذا عدتموه .

رثاء نسيب عريضة:

هكذا حدث . . . !

للدكتور أحمد زكى أبو شادى

(ألقى فى الحفلة التذكارية للشاعر الكبير المرحوم نسيب عريضة لمناسبة صدور ديوانه اليتيم « الأرواح الحائرة » ومرور أربعين يوماً على وفاته . وقد أقامت الحفلة لجنة أدباء الجالية السورية « والرابطة القلمية » فى نزل تاورز فى بروكلن بمدينة نيويورك مساء الأربعاء ١٥ مايوسنة ١٩٤٦ ، وكانت الحفلة برعاية سعادة الدكتور قسطنطين زريق القائم بأعمال المفوضية السورية فى وشنطن)

ما كان عمرك موهوباً لإنسان   ولا لإحساس هذا العالم الفانى
ولا لأرض وأوطان حننت لها   فالعبقرية لم تخلق لأوطان
والشاعرية لم تُقصَر منازلها   على الحياة ولو من رسم فنان
بل كان عمرك آيات هتفت بها   ولم تفسر بإنجيل وقرآن
ولم تكيف بأوصاف ننمقها   ولم تقدر بمقياس وميزان
ولم تخصص، فحتى أنت كنت بها   فى نشوة بين مشدوه وحيران
ملء الزمان تُناجينا وتُسعدنا   وتحمل النور ميراثاً لأزمان
وتبعث الوحى فينا وهو ينقلنا   إلى عوالمَ من حسن وإحسان
تُنشأ بالروح أطيافاً وأخيلة   علوية ، وجِناناً دون جنّان
أكُنَّ من صنعك الفتان أم نشأت
عن معجزات سمت عن خَلق إنسان؟
لعل فى مقبل الأجيال عارفها
إن فات تعريفُها روحى ووجدانى !

* * *

ياشاعر الهمسات الساميات بنا   المبدعات لنا قدسىَّ ألحان
كأنها صلوات لا حدود لها   يغنى الوجود بها من قلبك الحانى
جم التواضع ، جم العلم ، يسعده   أن لا يميز فى مدح وشكران
وليس يبخس إلا نفسه أدباً   كأن أخلاقه أخلاق ديان
وليس يعرف غير الحب منقبة
ويحسب الزهو من أوزار شيطان

يحنو على الشعب فى البلوى ويسعفه
ويستثير شعور الغافل الوانى
ويرفض الضّيم حتى لوأنى ملك   به ، وكان رسالات لأديان
ياحامل العبء فى إيقاظ أمته   حملت عبئين بل رزأين فى آن
ما بز آثارَك الغراء مبتدع   ولا بنى فوق ما أعليته بانى !

* * *

تركتُ مصر وقلبى ذائب حرَقاً   وجئت أطفىء لوعاتى ونيرانى
وكنت جانبت أطياف الربيع بها
وقلت حسبى بسكم جنات (لبنان)
ومذ وفدت رأيت الربع مكتئباً   كأن أحزانه من لون أحزانى
فلا الجمال قرير فى مباهجه   ولا النسيب على روض وأفنان
كأن (آذار) عاداه وباعده   وما رأت عينه أفراح (نيسان)
ما للبشاشة قد ماتت بنضرته   وللأزاهر ماهشّت لبستانى؟
وللجداول قد غصّت بحسرتنا   كأنها لم تكن راحاً لريحان
وللنسيم قتيلاً بعد عاصفة   وللسحائب فى رعد وإدجان
وللطيور التى كانت مغردة   تنقّر العشب فى يأس وإذعان
وللنواطح لم يشمخن فى نظرى   وللروائع قد خيّبن حسبانى ؟
شاهت جميعاً بعينى بعد ماحرمت   لقاء من عشت أهواه ويهوانى

* * *

جعلت قلبك قرباناً وتقدمة   للناس، والآن ماحبى وقربانى ؟
وما رثائىَ مَن آثاره عَمم   وكل بيت له كنز لديوان ؟
غنيتَ عن كل صيت من عوالمنا   وعن بكاء وتمجيد وعرفان
وعشت فينا غريباً ، فلتعد ألَفاً   لموطن الأصل أو للموطن الثانى
فأنت وحدك تدرى الآن ما عجزت
عنه مواكب أذهان وأذهان
وحسبنا ذكريات منك عاطرة   وموحيات بأنغام وألوان
وخالدات من الإيمان ناصعة   تهدى العزاء وتسمى كل إيمان
من مات موت شهيد لم يمت أبداً   وقد تُبدل أبدان بأبدان
ومن تكن نفسه شعراً وفلسفة   وبسمة من أغاريد وأوزان
يأبى الإسار وإن وافى مجاملة
من الشموس ، ويأبى العالم الفانى !

(نيويورك)   أحمد زكى أبو شادى



فى العروض والقوافى :

كان هذا الضعيف نبه فى مقالاته (فى العقد) و (فى إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب) فى (الرسالة الغراء) على التشديد فى القوافى المشددة ووجوب تركه والاكتفاء بالسكون حتى لا يختل الوزن. وقد وجدت فى (المخصص) — ج ١٣ ص ١٨٤ — وأنا أراجعه هذا الخبر الطريف :

« قال ابن الأعرابى : نزل بعض العرب بامرأة منهم، فأحسنت ضيافته، فقال : ما رأيت أم بيت أحسن ثغرا منك، وراودها على القبل، فزبنته، فقال :

تقول أم عامر بالغمز : قِلْ
فان تَقِلْ فعندنا ماء وظلّ
وإن أبيت فالطريق معتدلْ
أما الذى سألتنا فلا يحلّ »

فرأيت محقق الكتاب العلامة اللغوى الكبير الشيخ محمد محمود الشنقيطى — رحمه الله — قد ضبط (ظل، يحل) بالتشديد مع السكون كما ضبط مثل ذلك كثير من المتقدمين. وربما حملت مكانة العلامة الشنقيطى محقق الكتب القديمة وناشرها على المضى على الخطأ، والحق هو ما أعلنته فى تلك المقالات. ولم أزل منذ دهر طويل أفتش عن نص لإمام من المتقدمين يؤيد انتقادى. فلقيت (الضالة المنشودة) عند أبى العلاء المعرى، ولا كلام لعالم من بعد قول الشيخ « الشيخ بالنحو أعلم من سيبويه وباللغة والعروض من الخليل » كما روى ابن القارح فى رسالته.

قال أبو العلاء فى كتابه (عبث الوليد) ص ١٨٠ :

« ومن التى أولها (قالت الشيب بدا قلت أجل) كان على القوافى المشددة مثل (الأقل والأشل) تشديد، وذلك عندهم خطأ لأن التخفيف لازم. وكان بعض أهل العلم يعاب بأنه وجد بخطه قول لبيد :

يلمس الأحلاس فى منزله بيديه كاليهودى المصل

مشدد اللام فى (المصل) وحكي أن عثمان بن جنى كان يرى فى مثل هذه الأشياء أن يكون التشديد من تحت الحرف. والأجود أن يعلم الناظر أن التشديد لا يجوز فى مثل هذه المواضع ».

محمد إسعاف النشاشيبى

من مزايا الرسالة :

من مزايا الرسالة، وبحمد الله ما أكثر مزاياها، أن حولها نفراً من كرام الكاتبين وحذاق الناقدين، قريبة دارهم، حديدة أبصارهم، لا يدعون غلطة تمر حتى يصححوها؛ فاذا بدت لمين عاجز مثلى غلطة، وبعث تصحيحاً لها، وجدهم سبقوه إلى ذكرها، فيضيع تعبه ويذهب هباء.

ولقد سُبقت فى هذه الفترة مرات : بعثت أستدرك على أستاذنا النشاشيبى أنه لم يذكر وجه الصواب فى تفسير بيتى حسان، فاذا بالاستاذ محمد الطنطاوى (وبارك الله فى طنطا بلدنا وبلده) يسبق حفظه الله إلى الاستدراك. وبعثت بالجواب بشأن بيتى عروة فسبقنى بلديّنا الفاضل السباق إلى الجواب عنى (جزاه الله خيراً). وأرسلت كلمة فى المحدث فسبقنى إلى بيانها الأديب الكبير (القارئ) (السهمى) النشاشيبى (المسلم)؛ وكثرة الأسماء دليل على شرف المسمى. ولكن السهمى لم يصحح تفسير الأستاذ الكبير العقاد لكلمة المحدث؛ فقد ذكر (أن المحدث الذى يسمع كلام الله) مع أن الذى قالوه فى المحدث أنه الملهم، أنظر (البخارى ٤:١٤٩ ومسلم ٧ : ١٤٥ ومسند أحمد ٢:٣٣٩)

أما ما كتبه أستاذنا بتوقيع (مسلم) بشأن الطلاق، وقوله إن (هذا الذى يرضى النبى محمداً) فان الكلام فى رده طويل، وليس يرضى محمداً ولا رب محمد إلا قول استنبط من محكم الكتاب، أومن صحيح السنة، وجاء الاستنباط فيه من (أصوله) واقترن بدليله.

على الطنطاوى

تصويب

(حتى) فى السطر التاسع من العمود الأول من الصفحة ٥٧٥. هى (حين) وفى المقالة الثانية من مقالات يوم الجلاء تطبيعات كثيرة بعثت بتصويبها.

« فكرة الشر » واقترانها بسلوك لفنانه :

إلى أخى الأستاذ جبريل خزام :

تناولت — بالنقد — بعض ماجاء فى مقالى « الأدب والمجتمع » وأودُّ أن ألفتَ نظرك إلى « فكرة الشر » واقترانها بتظاهر سلوك

الفنان فى بعض الأحيان ، فأقول : إنه لا ينبغى أن نحكّم « النظرة المادية » فى هذا الموضوع الخطير ، فيكون الشخص — بناء على هذه النظرة — شرّيراً ... كلما ارتكب فعلا يدل — فى ذاته — على قيام فكرة الشر عنده ؛ بل يتعين علينا أن نحاول استكناه « النوايا » و « البواعث » الدافعة إلى ارتكاب الفعل ، فإذا دل البحث عن سوء نية الفاعل ، ألصقنا به تهمة الشر بناء على ذلك . وهذه هى « النظرة الشخصية » التى نبّه إليها دُعاة المدرسة الإيطالية وعلى رأسهم الفقيه لمبروزو ، والذين كان لهم فضل توجيه نظر الباحثين إلى وجوب تقدير العقوبة على أساس من دراسة دوافع السلوك وبواعث الأعمال والعوامل الاجتماعية المحيطة المؤثرة .

والنفس الفنانة كثيراً ما يستحثها توفّر الحس فيها وتعدّد شعورها بجوانب الحياة المختلفة — علويها وسفليها — إلى التورط فى الشر والانكباب عليه ... ولا يكون هذا السلوك إلا دلالة قاطعة على ما تلاقيه هذه النفس العاثرة الجدّ — التى تنطوى على الخير المحض — من عسف وإعنات من جانب المجتمع والقائمين على رعايته . وبالتالى يروحُ الرجلُ — المتميز بأى ضرب من ضروب الامتياز — يُغرق همومه ويعالج إخفاقه فى الحياة بالتهالك على المتعات الحسية واستيفاف اللذات الرخيصة . وما هذا السلوك من جانبه — فى واقع الأمر — إلا برهان قوى على قوة الحيوية فى نفسه وتعدد طاقاته وعدم ارتضائه الاستكانة إلى الظلم ومذلة الهوان!

ولا أظن أحداً يتشكك فى حُسْن طوية « النُّواسىّ » ونقاوة سريرته ورحابة آفاقه ؛ وإن فيما أورده المعنيّون بالبحث فى طبيعة نفسه ، ما يُستَشْعَرُ منه تشبث هذا الفنان الممتاز بعاصم الكبرياء وقوة شعوره بذاته .

ولعل فيما أثبته الأستاذ الفاضل عبد الرحمن صدقى عن « بودلير » فى كتابه « الشاعر الرجيم » مايؤكد ماذهبنا إليه فى إمكان رد أغلب سيئات الفنان وحماقاته إلى ظروف الأسرة وقساوة المجتمع !

عبد العزيز الكرداني

تجديد علم المنطق للأستاذ عبد المتعال الصعيدى

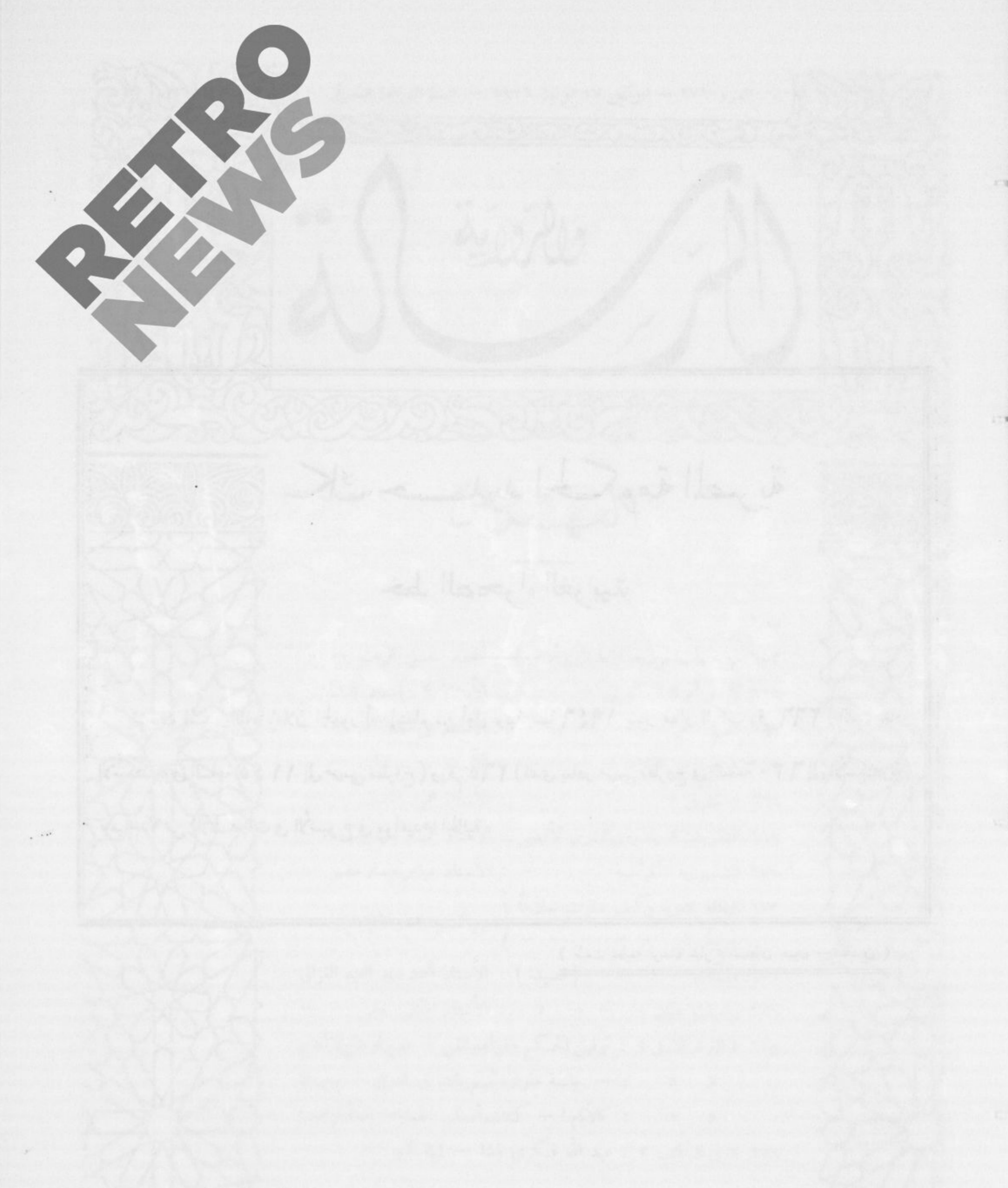
قامت مكتبة الآداب بدرب الجماميز بطبع كتاب تجديد علم المنطق فى شرح الخبيصى على التهذيب فى « مطبعة الرسالة » وهى الطبعة الثانية من هذا الكتاب ، وتمتاز على الطبعة الأولى بكثير من الزيادات والتنقيحات .

وقد جاء الكتاب كاسمه تجديداً فى شرح الكتب الأزهرية وفى طبعها وترتيبها ، وما إلى هذا مما جاء من التجديد والتهذيب فيه ، بعد أن مضت عليها أزمان تطبع فيها أقبح طبع ، وتظهر فى أقبح ترتيب ، وتتجافى عما حدث فى علومها من تجديد ، فتتغير الدنيا ولا تتغير ، وينقلب العلم من حال إلى حال وهى باقية على حالها ، ويسير إلى الأمام بخطى واسعة وهى واقفة فى مكانها ، وتقف تبعاً لها عقول الطلاب ، وتتأثر بجمودها وسوء ترتيبها وقبح طبعها ، لأن عقل الطالب يتأثر بالكتاب فى أسلوب بحثه ، وفى طريقة ترتيبه ، وفى هيئته وشكله .

وقد بدأه مؤلفه الأستاذ عبد المتعال الصعيدى بمقدمة بين فيها ماوصل إليه المنطق عند علماء اليونان ، وعند علماء العرب ، وعند علماء أوربا ، وبين فيها كيف يجرى المنطق فى اللغة العربية ، وقد وضعه علماء اليونان على أساليب اللغة اليونانية ، وهذا إشكال قد أثاره الإمام الشافعى رضى الله عنه ، وتأثر به رجال الأدب والشعر الذين أنكروا أسلوب المنطق اليونانى ، كأبى عبادة البحترى من الشعراء ، وكابن الأثير من علماء الأدب ، فحل المؤلف هذا الإشكال فى مقدمته أحسن حل ، وأنصف المنطق اليونانى من الذين أزروا به من رجال الشعر والأدب .

ثم عنى الأستاذ بعد هذا بالموازنة بين المنطق القديم والمنطق الحديث ، فذكر عقب شرح كل فصل من فصول هذا الكتاب ما وصل إليه المنطق الحديث فيه ، ووازن بين المنطقين فى كل فصل من هذه الفصول ، فأحدث بهذا تجديداً له قيمته فى شرح الكتب الأزهرية ، وجمع فى كتابه بين المنطق القديم والحديث ، ليكون الطالب على بينة منهما ، وهى طريقة أجدى على الطلاب من قصرهم على دراسة المنطق القديم ، أوعلى دراسة المنطق الحديث ، وتكاد الجامعة الأزهرية تمتاز بها على سائر الجامعات .

وما أحوج الكتب الأزهرية كلها إلى مثل هذه الطريقة فى الشرح والتجديد ، وفى حسن الطبع والترتيب ، لتلائم حال هذا العصر ، وتجذب إليها نفوس الطلاب ، فيقبلوا على دراستها وتتأثر عقولهم بما تجده فيها من التجديد والترتيب ، وتتهيأ بهذا إلى تجديد أتم ، وتستعد إلى إصلاح أكمل ، ومن سار على الدرب وصل .


RETRO
NEWS



سكك حـــديد الحكومة المصرية

خط الصحراء الغربية

يتشرف المدير العام بإعلان الجمهور أنه إبتداء من أول يونية سنة ١٩٤٦ يسير قطار الركاب رقم ٢٦٦ (الذى يغادر الأسكندرية فى الساعة ١١٤٥ إلى مرسى مطروح) ورقم ٢٦٥ (الذى يغادر مرسى مطروح فى الساعة ٦٣٠ إلى الأسكندرية) يومياً بدلا من ثلاث مرات فى الأسبوع فى مواعيدهما الحالية .

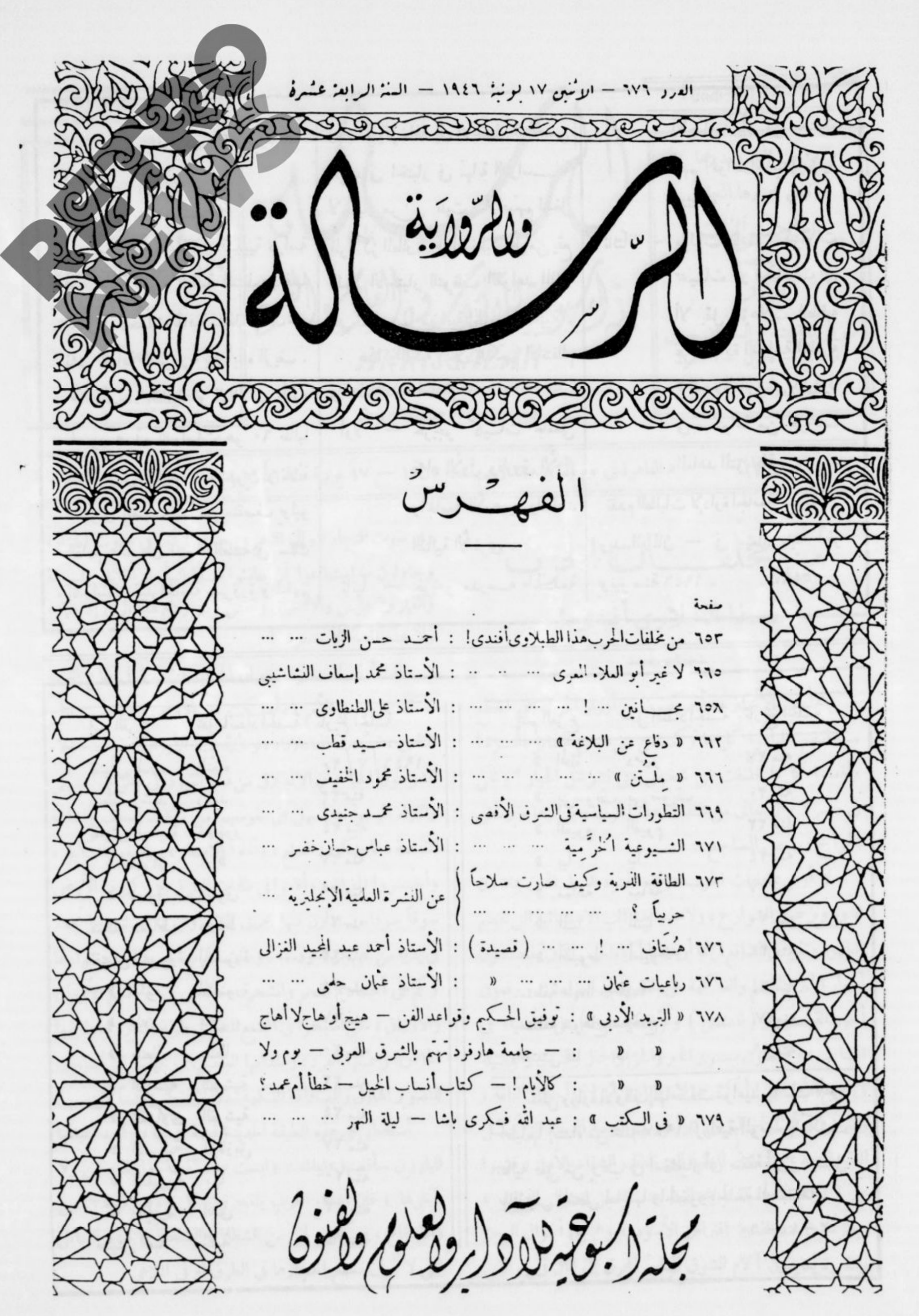
(طبعت بمطبعة الرسالة شارع السلطان حسين — عابدين)





الفهرس

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون



العدد ٦٧٦ — الاثنين ١٧ يونية ١٩٤٦ — السنة الرابعة عشرة

الرسالة والرواية

الفهرس

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

وزارة المعارف العمومية

الجامعة الشعبية .

تنظم إدارة الجامعة الشعبية دراسة فنية خاصة تهيىء الطلبة المنتظمين فيها للعمل فى وحدات ثقافية متنقلة تهدف نحو نشر الثقافة الضرورية بين أبناء الريف .

وعدد الطلبة أو الطالبات المحدد لحضور هذه الدراسات هو ٦٠ طالباً ينتظمون فى الدراسة لمدة شهرين أو ثلاثة أشهر فى الصيف تبدأ من منتصف يوليو القادم علماً بأن انتظام الطلبة فى سلك الدراسة لا يقيد الجامعة بضرورة توظيفهم وسيعقد بالإضافة إلى الاختبار الشخصى الإبتدائى اختبار فى نهاية الدراسة لاختيار من تثبت صلاحيتهم لشغل المراكز المطلوبة على أن تطبق على من يقع عليهم الاختيار للتوظف القواعد المالية التى تسمح بها ميزانية الجامعة الشعبية .

هذا والطلبة الذين يمكنهم الانتظام فى هذه الدراسات هم :

أولا — خريجو كليات جامعتى فؤاد الأول وفاروق الأول والجامعة الأزهرية والمعاهد العالية الأخرى .

ثانياً — خريجو مدرسة الخدمة الاجتماعية أو من يثبتون أنهم أتموا دراسات إجتماعية منتظمة .

ثالثاً — طالبات للعمل كزائرات صحيات أو اجتماعيات على ألا يقل مؤهلات الطالبة عن شهادة الدراسة الثانوية « القسم العام » أو ما يكون فى مستواها من خريجات المعاهد المتوسطة .

تقدم الطلبات لإدارة الجامعة الشعبية — بريد البرلمان — فى ميعاد غايته آخر يونيو سنة ١٩٤٦ .

٥٤٨٧

إسم الفرع	محل انعقاد الجلسة	تاريخ الجلسة
تفتيش المنتزه	المنتزه	٢٠ / ٧ / ١٩٤٦
منطقة رشيد	رشيد	٢٢ منه
تفتيش البحيرة	دمنهور	٢٤ منه
« الخزان	«	٢٧ منه
« دسوق	دسوق	٢٩ منه
منطقة دمياط	دمياط	٢٠ منه
تفتيش المنصورة	المنصورة	٢٢ منه
« شاوة	المنصورة	٢٤ منه
« قلين	قلين	٢٧ منه
« طنطا	طنطا	٢٠ منه
« القرشيه	القرشية	٢٢ منه
« النشاوى	القرشية	٢٤ منه
« الشرقية	الزقازيق	٢٧ منه
« القليوبية	بنها	٢٠ منه
« الجيزة	الدقى	٢٢ منه
تفتيش القبة	القبة	٢٤ منه
« المحلة	دمرو	٢٧ منه
« بنى سويف	بنى سويف	٢٠ منه
« الفيوم	الفيوم	٢٢ منه
« ببا	ببا	٢٤ منه
« مغاغة	مغاغة	٢٧ منه
« المنيا	المنيا	٢٠ منه
« أسيوط	أسيوط	٢٢ منه
منطقة طهطا	طهطا	٢٤ منه
منطقة سوهاج	سوهاج	٢٧ منه
تفتيش قنا	قنا	٢٩ منه

تعلن وزارة الأوقاف إنها حددت مواعيد لجلسات تأجير أطيانها إبتداء من سنة ١٩٤٧ الزراعية الموضح بالكشف عاليه فعلى من يرغب فى استئجار أى صفقة أن يتصل بالتفتيش المختص لمعاينتها والحضور بالجلسة المحددة لها .

٦٠ — ١ — ٢

14 me Année No. 676

Lundi—17—6—1946

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠



ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٦٧٦ « القاهرة في يوم الإثنين ١٧ رجب سنة ١٣٦٥ — ١٧ يونية سنة ١٩٤٦ » السنة الرابعة عشرة

من مخلفـــات الحرب

هــذا الطبلاوى أفندى ! !

تخلّص الإنجليز والأمريكيون من أوزار الحرب التى انقطع منها النفع ، فباعوا كل ما تركت من شىء حتى القنابل المحشوة ! وأقصوا كل ما خلفت من شخص حتى تشرشل الجبار ! ونحن فى مصر لا نزال نعانى من مخلفات هذه الحرب وجرائرها ما يرمض الجوانح ويقض المضاجع .

لا أريد بمخلفات الحرب هؤلاء الجنود الغرباء الذين يملأون الدور ويزحمون الشوارع ، ولا هذه الضرائب الاستثنائية التى تقصم الظهور وتقوض المصانع ، إنما أريد بها أرباء الحرب الذين يُفحِشون أسعار الخبز واللحم والفاكهة على الفقراء فى العواصم ، ويرفعون أجور القصـور و (العشش) و (الكابينات) على الأغنياء فى المصايف ، ويخفضون مستوى الخير والحق والجمال والذوق والفضيلة فى جميع الأماكن ! أكثر هؤلاء طغام رُبّوا فى أحجار الفاقة ، ودرجوا فى أكواخ البؤس ، وأعوزتهم التربية الدينية التى تجمّل الفقر بالزهد ، والثقافةُ المدنية التى تلطف الشقاء بالأمل ، فشبوا على غرائزهم الأصـيلة ، يحتالون عند العجز احتيال الذئاب ، ويفترسون عند القدرة افتراس الأسود ، وهم بين أحوال العجز والقدرة يكابدون آلام الشوق المِلحّ المحرق إلى المال فى يد الغنى وفى بيوت التجار ، وإلى اللحم فى جسد المرأة وفى حانوت الجزار ، ويحاولون ما استطاعوا أن يطفئوا هـذا السُّعار القاتل بالسرقة والقمار والتدليس والاحتيال والغش ، فلم يزدهم هذا الرى إلا ظمأ ، ولا هذه المتعة إلا حسرة !

فلما أوقد المستعمرون نيران الحرب الأخيرة فى بقاع الدنيا فأكلت شباب الأمم ، وأهلكت ثمار الأرض ، ونقصت نتاج الناس ، وقُيِّدت المعاملات ، وحُدِّدت الأرزاق ، فوجد هؤلاء الشرهون الجياع أن الانطلاق من هذه القيود إلى الحرام المشتهى والثراء المرجوّ ، أسهل على نفوسهم من تكلف العفاف وإضاعة الفرصة ، فاحتكروا السلع ، وأغلوا الأسعار ، وطفّفوا الكيل ، وأخسروا الميزان ، وأقاموا فى ظلمات الطرق وفى كهوف الأرض سوقاً سوداء يستغلون فيها عُرى الفقير وجوعه ليسلبوه ما تجمع فى يديه من ثمن عرقه ودمعه . وظلت الحرب بضروراتها وشواذها تركم على أجسادهم اللحم والشحم ، وتكدس فى خزائنهم الأوراق والأرزاق ، حتى أصبحوا فى المجتمع المصرى طبقة متميزة لها طابعها الخاص ، وسمتها الفرد ، وهندامها العجيب ، وحياتها التى أصبحت للتصوير الهازل والصحافة الفكهة مدداً لا ينقطع ومنبعاً لا ينضب !

أسخطنى على هذه الطبقة الجديدة قصة سمعتها عن أحد أعيانها البارزين سأقصها عليك . وليست هذه القصة أول القصص ولا آخرها ، فإن أغنياء الحرب ينفجرون كل يوم من فرط السمن والانتفاخ ، فيكون لهم من الشظايا والضحايا ما لهذه القنابل التى لا نزال نسمع انفجارها فى الطرق أو فى الملاهى !

استزارنى يوم الأحد الماضى صديقى الأستاذ (ج) فى دارته[1] الجميلة بالدقى، فزرته فى وقت الشاى، وكانت الشرفة التى اختارها لجلوسنا تنظر إلى دارة تقابل دارته، إلا أنها أوسع وأرفع وأفخم، ولكن أنماط الناس الذين يدخلونها أو يخرجون منها أو يحفون بها لا تأتلف مع جمالها ولا ترتفع إلى مستواها. دع هذا الصياح الذى يتفجر فيها، والزياط الذى ينبعث منها، فربما كان أصحاب الدارة غائبين والخدم ينفسون عن حريتهم المكظومة بهذا الهرج. فسألت صديقى من باب الكلام الذى يُقصد به تحريك اللسان قطعا للصمت أو فتحا للحديث:

لمن هذه الدارة الفخمة؟

فابتسم صديقى وقال وهو يشير إلى امرأة تجلس وحدها على مقعد من مقاعد حديقته:

لهذه المرأة!

ونظرت إلى المرأة التى أشار إليها فوجدت جسما كالخيال دقيق الشبح معروق العظام تستره ملاءة لف من الطراز الذى كانت تلبسه الخادمات قبل أن يصبحن (أرتستات) حرب! فقلت لصديقى وأنا أبتسم كما يبتسم: ما ذا تعنى؟ فقال: إنما عنيت ما قلت، وهو أن تلك الدارة لهذه المرأة، وهى مع ذلك لا تجد اللباس ولا تملك القوت، ولا يمر أسبوع دون أن تزورنى مرة أو مرتين لألتمس لها من جانب هذا الثراء الضخم فضلة من الرزق تمسك الرمق وتديم العفة، ولكن!!

فقلت له والتعجب يترقرق فى عينى ووجهى: لم أفهم ما تريد فماذا تعنى؟

فقال بلهجة الجد: أعنى أن هذه المرأة زوجة صاحب الدارة، وهو فلان الغنى الذى يسميه الناس (الطبلاوى افندى) لأن بطنه المنتفخ المتسع المستدير يجعله أشبه بضارب الطبل العظيم حين يحمله على صدره. كان هذا الرجل فقيرا غير شريف، ووضيعا غير متواضع، تزوج وهو فى تلك الحال من هذه المسكينة فولدت له خمس بنات وثلاثة بنين أكبرهم كما تقول لا يبلغ الرابعة عشرة، وكانت تبعيش معه هى وأولادها على الكفاف، تساعده فى حدود ما تستطيع بالعمل والتدبير والتقتير والقناعة، وتحتمل سرفه ونزقه بالصبر والإغضاء والنصيحة، حتى أدركته (نعمة) الحرب فى سنتها الثالثة، فوصلت حباله بحبال المتعهدين لجيوش الحلفاء بالمواد الغذائية فشاركهم فى الجمع والتوريد، وانفرد عنهم بالمصانعة والمهاواة، حتى استطاع بجرأته بعد قليل أن يدخل على رؤساء العمل الانجليز من الباب الخلفى، فعاملهم بالغش، وشاركهم فى الربح، واستعان بهم على إخراج المحظور من السكر والرز، وإدخال الممنوع من الحشيش والأفيون؛ فتساقطت على رأسه وقفاه رزم البنك نوت تساقط البرَد الغليظ، حتى اجتمع له فى نهاية الحرب ربع مليون جنيه!

ومنذ رحلت جيوش الحلفاء خلع الطبلاوى رداء العمل، وحشر نفسه فى صفوف المترفين والعِلية، فلفف جسمه بالحرير، وختّم أصابعه بالماس، وعدّد الألوان الفاقعة فى بذلته وحذائه؛ ثم خلى جسمه النهوم يضخم ويسترخى وينبعج جانباه، وترك شاربه الخشن يغلظ وينتفش ويطول سِبالاه؛ ثم اقتنى الضياع والعقار، واشترى الرُّلْـزرايز والباكار. وكان يطلب الأغلى من كل صنف، والأعلى من كل شىء. ولا أشك فى أنه هو الذى تحدث الظرفاء عنه بأنه استشار الطبيب فأشار عليه بفيتامين بيه (B)، فقال له: ولم لا تشير بفيتامين باشا؟ وأنه طلب إلى رسام أن يرسمه فسأله: أتريد الصورة بالزيت؟ فقال له: كلا، بل أريدها بالسمن. وأن طبيب الأسنان أراد أن يصنع لأحد أضراسه المنخورة غلافاً من الذهب، فطلب إليه أن يصنعه من الماس! ثم سكن هذه الدارة وألقى زمامه فى يد الغاوين من رواد اللهو وسمامرة الفجور، فجعلوا له من كل غرفة ماخوراً، ومن كل ردهة مرقصا، ومن كل بهو حانة.

وأعجب ما فى الأمر كله أن صورة بيته القديم كصورة ماضيه العظيم قد انمحت من ذاكرته، فلم يعد يذكر عنوان بيته ولا سكانه ولا جيرانه، كأنه لم يستقبل الحياة ولم يبصر الدنيا إلا سنة ١٩٤٥! وها هى ذى امرأته على الحال التى ترى، تأتى كلما دفعتها الحاجة لتتوسل بى وبغيرى إلى هذا الوغد ليرمى إليها من وراء السُّور من فضلات الغوانى وفُتات الموائد ما يمسك الحياة عليها وعلى أولاده، وإن لم ينقص فلن يزيد.

فهل كنت تظن قبل هذا الحديث أن فى خلق الله أمثال هذا الرجل؟ فقلت له: والله يا صديقى لو كان المحدّث غيرك لاتهمته بالترويق والتزوير، ولما صدقت أن يكون فى بنى الإنسان هذا الخنزير!

احمد حسن الزيات

(١) الدارة: خير ما وضع من الألفاظ للفلا (villa).

في النحو :

لا غير

أبو العلاء المعري

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

يقول الشيخ أبو العلاء المعرى فى كتابه (عبث الوليد) فى هذا البيت لأبى عبادة البحترى :

« أنابَ به بسطامه ومحمد   تمام علا يعيي الملوك حلولها[(١)]

كان فى النسخة : (أناب به) وهى كلمة نافرة فى هذا الموضع ولو أنها (أثاب) لكانت أشبه . وفى النسخة (القمام) مرفوعة وإنما يجوز ذلك إذا جعلت بدلا من (بسطام ومحمد) والمعنى يصح على ذلك إلا أنه بعيد . والأحسن أن يكون (أبنّ) فى موضع (أناب) أى أقام ولزم . (تمام علا) ينصب بوقوع الابنان عليها وقد أساء فى قوله : (تمام) لأن المعروف تمم إلا أن زيادة الألف هاهنا جائزة تشبه بقلال وقباب . وفى بعض النسخ (أناف) وهو أشبه بمذهبه ، وينصب حينئذ تمام لا غير »

فيكتب الأستاذ الأديب محمد عبد الله المدنى الملق على الكتاب هذه التعليقة على (لا غير) فى قول الشيخ (ص ١٦٠) :

« غير اسم ملازم للاضافة فى المعنى ويجوز أن يقطع عنها لفظا إن فهم المعنى وتقدمت عليها كلمة ليس وقولهم لا غير لحن : المغنى لابن هشام . اهـ » .

وهذا قول الإمام جمال الدين بن هشام فى (غير) أرويه بتمامه — وإن طال — إذ قد يميل قارىء إلى الوقوف عليه :

« غير : اسم ملازم للاضافة فى المعنى ، ويجوز أن يقطع عنها لفظا إن فهم المعنى وتقدمت عليها كلمة ليس ، وقولهم : (لا غير) لحن . ويقال : قبضت عشرة ليس غيرها برفع غير على حذف الخبر أى مقبوضا ، وبنصبها على إضمار الاسم أى ليس المقبوض غيرها .

وليس غير ، بالفتح من غير تنوين على إضمار الاسم أيضا ، وحذف المضاف إليه لفظا ، ونية ثبوته كقراءة بعضهم : (لله

(١) قلت : البيت من قصيدة ، صدر مطلعها : (هواها على أن الصدود سبيلها) ولم ترد هذه القصيدة فى الديوان المطبوع .

الأمر من قبل ومن بعد) بالكسر من غير تنوين أى من قبل الغلب ومن بعده .

وليس غير ، بالضم من غير تنوين ، فقال المبرد والمتأخرون إنها ضمة بناء لا إعراب وإن غير شبهت بالغايات كقبل وبعد ، فعلى هذا يحتمل أن يكون اسما وأن يكون خبرا . وقال الأخفش ضمة إعراب لا بناء لأنه ليس باسم زمان كقبل وبعد ولا مكان كفوق وتحت ، وإنما هو بمنزلة كل وبعض ، وعلى هذا فهو الاسم ، وحذف الخبر ، وقال ابن خروف : يحتمل الوجهين .

وليس غيرا بالفتح والتنوين ، وليس غير بالضم والتنوين ، وعليهما فالحركة إعرابية لأن التنوين إما للتمكين فلا يلحق إلا المعربات وإما للتعويض فكأن المضاف إليه مذكور ، ولا تتعرف غير بالإضافة لشدة إبهامها » .

فعند الأستاذ المدنى — وتلكم تعليقته — أن الشيخ قد لحن ، وسنده هو ابن هشام . وقد فتشت طويلا عن اللحن فى عبارة المعرى فلم أجده ، ولن أجده أبدا . وإن خيل أنه قد جاء من إعمال (لا) عمل (ليس) فالملحن نفسه يسطر فى (المغنى) هذه الأسطر :

« الثانى — من أوجه لا — أن تكون عاملة عمل ليس كقوله :

من صد عن نيرانها   فأنا ابن قيس لا براح[(١)]

وإنما لم يقدروها مهملة والرفع بالابتداء لأنها حينئذ واجبة التكرار ، وفيه نظر لجواز تركه فى الشعر ، و (لا) هذه تخالف ليس من ثلاث جهات (إحداها) أن عملها قليل حتى ادعى أنه ليس بموجود . (الثانية) أن ذكر خبرها قليل حتى إن الزجاج لم يظفر به ، فادعى أنها تعمل فى الاسم خاصة وأن خبرها مرفوع ، ويرده قوله :

تعز فلا شىء على الأرض باقيا   ولا وزر مما قضى الله واقيا

وأما قوله :

نصرتك إذ لا صاحب غير خاذل   فبوئت حصنا بالكماة حصينا[(٢)]

(١) قلت : البيت للحماسى سعد بن مالك ، وهو من أبيات الكتاب والمفصل ، قال الشنتمرى : استشهد به على إجراء لا مجرى ليس فى بعض اللغات كما أجريت ما مجراها فى لغة أهل الحجاز فتقديره لا براح لى على معنى ليس لى براح .

(٢) قلت : البيت من شواهد ابن عقيل فى إعمال لا عمل ليس .

فلا دليل فيه كما توهم بعضهم لاحتمال أن يكون الخبر محذوفا وغير استثناء . الثالثة أنها لا تعمل إلا فى النكرات خلافا لابن جنى وابن الشجرى ، وعلى ظاهر قولهما جاء قول النابغة :

وحلت سواد القلب لا أنا باغيا سواها ولا عن حبها متراخيا

وعليه بنى المتنبى قوله :

إذا الجود لم يرزق خلاصا من الأذى
فلا الحمد مكسوبا ولا المال باقيا[1] »

فهذه (لا) تعمل — إذن — عمل (ليس) — ودع قولهم إن عملها قليل فالقلة لا تمنع العمل . وما عدها أحد خطأ أو لحنا — وقد زاد العرب الباء فى خبرها لتأكيد النفى — كما يقول ابن يعيش[2] — كما زادوها فى خبر أختها أو قريبتها فقال قائلهم :

فكن لى شفيعا يوم لا ذو قرابة بمغن فتيلا عن سواد بن قارب

و (لا وليس) تتناوبان ، قال اللسان :

« قد تجى ليس بمعنى لا ولا بمعنى ليس ، ومن ذلك قول لبيد : (إنما يجزى الفتى ليس الجمل[3]) أراد لا الجمل . وسئل سيدنا رسول الله عن العزل[4] عن النساء فقال : لا عليكم أن لا تفعلوا فإنما هو القدر[5] ، معناه ليس عليكم أن لا تفعلوا يعنى العزل كأنه أراد ليس عليكم الإمساك عنه من جهة التحريم وإنما هو القدر ، إن قدر الله أن يكون ولد كان » .

وهل (ليس) أصلها — كما قالوا - إلا (لا) ضمت إليها (أيس) ثم كان ما أراده الله تعالى وعمله الانتخاب الطبيعى La Sélection Nalurelle فى اللغة عمله فى كل شىء ، وهل أنت — يا فتى — من قبل أنت ، هل دريت كيف كنت ؟ قال التاج :

« أصلها — يعنى ليس — (لا أيس) طرحت الهمزة وألزقت اللام بالياء ، وهو قول الخليل والفراء ، قال الأخير : والدليل على ذلك قولهم أى العرب : ائتنى به من حيث أيس وليس ، أى من حيث هو ولا هو ، وكذلك قولهم جىء به من أيس وليس أو معناه من حيث لا وجد ، أو أيس أى موجود ولا أيس أى لا موجود فخففوا ... »

وقد استعمل الشيخ (لا غير) فى كتابه العجيب العبقرى (الفصول والغايات) وفى كتابه المدهش (رسالة الملائكة) كما استعملها فى (العبث) فقال فى شرح جملة فى الأول ص ٣٣٩ :

« والعرف الرائحة الطيبة وغيرها ، والريا الرائحة الطيبة لا غير » .

وقال فى الثانى ص ٧٠ :

« ... ومعيشة عند (سعيد بن مسعدة) مفعُلة لا غير ، وهى عند الخليل وسيبويه مفعِلة ولا يمتنع أن تكون مفعلة[1] » .

واستعمل (لا غير) أئمة قبل المعرى وبعده . وهذه جريدة قصيرة فى استعمالهم إياها :

الكتاب لسيبويه (ج ٢ ص ٣١٧) :

« ويكون الاسم على إنفعل فى الوصف لا غير » .

تهذيب إصلاح المنطق (ج ١ ص ١٨١) ، والتهذيب لابن السكيت والإصلاح للتبريزى :

« بفية الإثلب والأثلب أى الحجارة والتراب ، قال أبو يوسف : أشك فى الإثلب والأثلب وأحسبه إفعل وأفعل . الحوفى : هى أفعل لا غير[2] ، لأن الهمزة إذا كانت أولا يقضى عليها بالزيادة إلا أن يقوم دليل بأنها من الأصل » .

الفصيح لأبى العباس ثعلب (ص ٣١) :

« جلا القوم عن منازلهم جلاء وأجلوا أيضا ، وأجلوا عن قتيل لا غير إجلاء[3] » .

وفيه فى (ص ٨١) :

(١) قال العكبرى : شبه لا بليس فنصب الخبرين كتشبيه ابن قيس فى بيت الكتاب : من فر ... ولم يقل فى الاسمين المعرفتين شيئا .

(٢) شرح المفصل جـ ١ صـ ١٠٩ .

(٣) قلت : ضبطت (يجزى) فى هذا الجزء من اللسان (جـ ٢٠ صـ ٣٥٨ وفى جـ ٨ صـ ٩٦) بالبناء لما لم يسم فاعله وهى بالبناء لما سمى فاعله ، وجاءت (يجزى والجمل) بالراء والحاء فى جـ ٨ ، والقول من أمثالهم قال الميدانى فى شرحه : يريد لا الجمل ، يضرب فى المكافأة أى إنما يجزيك من فيه إنسانية لا من فيه بهيمية .

(٤) عزل الماء عن النساء حذر الحمل .

(٥) فى رواية : لا عليكم أن لا تفعلوا ذلك . فانها ما من نسمة كتب الله أن تخرج إلا وهى خارجة .

(١) لم نجد الشيخ محمود حسن زناتى الذى ضبط كتاب (الفصول والغايات) وفسر غريبه ونشره ، والأستاذ محمد سليم الجندى الذى عنى بتحقيق (رسالة الملائكة) وشرحها وضبطها ومعارضتها قد نقدا أو علقا ومثلهما لم يغب عنهما ما يقول ابن هشام وغير ابن هشام .

(٢) فى النهاية : الولد للفراش وللعاهر الاثلب الاثلب : بكسر الهمزة واللام وفتحها والفتح أكثر : الحجر ، وهمزته زائدة

(٣) إذا تفرقوا عنه بعد إحداقهم به (التلويح لمحمد الهروي) .

« ولد المولود لِتمام وتَمام ، وليل التمام مكسور لا غير[١] » .

الكامل للمبرد (ج ٦ ص ٥٤ رغبة الآمل من كتاب الكامل) :

« قال وجل لعمر بن عبد العزيز يرثيه :

قدغيب الدافنون اللحد إذ دفنوا بدير سمعان قسطاس الموازين
من لم يكن همه عينا يفجرها ولا النخيل ولا ركض البراذين
أقول لما أتاني ثم مهلكه لا يبعدنّ قوام الملك والدين

يقال هذا قوم الأمر وملاكه لا غير[٢] ، وتقول فلان حسن القوام مفتوح تريد بذلك الشطاط ، لا يكون إلا ذاك » .

الفائق للزمخشري (ج ١ ص ١٢٦) :

« النبي صلى الله عليه وسلم قال حريث : رأيته دخل مكة يوم الفتح وعليه عمامة سوداء حرقانية قد أرخى طرفها على كتفيه : هي التي على لون ما أحرقته النار كأنها منسوبة بزيادة الألف والنون إلى الحرق ، يقال : الحرَق بالنار والحرق معا والحرق[٣] من الدق محرك لا غير » .

المخصص لابن سيده (ج ٣ ص ٥٠) :

« وقالوا : جزاك الله خيرا والرحم بالنصب والرفع ، وجزاه الله شرا والقطيعة بالنصب لا غير » .

شرح المفضليات لأبي محمد الانباري (ص ٥٦٥) :

« أنكرته حين توسمته والحرب غول ذات أوجاع

قال عامر : أنكرته شككت فيه ، يقال : أنكرت الرجل إذا كنت من معرفته في شك ونكرته إذا لم تعرفه ، قال الله عز وجل : نكرهم وأوجس منهم خيفة . قال أبو عبيدة يقال أنكرته ونكرته بمعنى واحد وكذلك استنكرته ، وأنشد بيت الأعشى :

وأنكرتني وما كان الذي نكرت
من الحوادث إلا الشيب والصلعا

أي إنما أنكرت شيبي وصلعي لا غير ، فأما كرمي وطبيعتي فلم أتغير عنهما » .

لسان العرب لابن منظور (ج ٤ ص ٣٤٦) :

« قال الجوهري : وأما قولهم : قدك بمعنى حسبك فهو اسم تقول : قدي وقدني أيضا بالنون على غير قياس لأن هذه النون إنما تزاد في الأفعال وقاية لها مثل ضربني وشتمني . قال ابن بري : وهم الجوهري في قوله : إن النون في قدني زيدت على غير قياس وجعل نون الوقاية مخصوصة بالفعل لا غير . وليس كذلك ، وإنما تزاد وقاية لحركة أو سكون في فعل أو حرف كقولك في من وعن إذا أضفتهما إلى نفسك مني وعني فزدت نون الوقاية لتبقى نون من وعن على سكونها ، وكذلك في قد وقط تقول قدني وقطني فتزيد نون الوقاية لتبقى الدال والطاء على سكونهما . وكذلك زادوها في ليت فقالوا : ليتني لتبقى حركة التاء على حالها ، وكذلك قالوا في ضرب ضربني لتبقى حركة الباء على فتحها . وكذلك قالوا في اضرب اضربني أيضا أدخلوا نون الوقاية عليه لتبقى الباء على سكونها » .

وفيه في ج ٦ ص ٢٧٩ :

« العَمر والعُمْر والعُمُر : الحياة ، يقال : قد طال عمره وعمره ، لغتان فصيحتان ، فإذا أقسموا فقالوا : لعمرك فتحوا لا غير ، والجمع أعمار ، وسمي الرجل عمرا تفاؤلا أن يبقى[١] » .

فهل يرى السيد محمد عبد الله المدني أن شيخنا أبا العلاء وهؤلاء الأئمة المتقدمين كلهم أجمعين كانوا من اللاحنين ؟ ...

محمد إسعاف النشاشيبي

---

(١) في اللسان : ليل التمام بالكسر لا غير أطول ما يكون من ليالي الشتاء . وفي التاج : تمام الشيء ماتم به بالفتح لا غير ، وليل التمام ككتاب وفي النهاية : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم ليلة التمام هي ليلة أربع عشرة من الشهر لأن القمر يتم فيها نوره ، تفتح تاؤه وتكسر ، وقيل : ليل التمام بالكسر أطول ليلة في السنة وفي الأساس : أحيا ليل التمام والتمام وهو أطول ليلة في السنة .

(٢) لصاحب رغبة الآمل سيد علي المرصفي (رحمه الله) تعليقات كثيرة على أقوال في الكلام ، ولم يقل هنا شيئا بل استعمل (لا غير) أيضا فقال في شرحه « يريد بالكسر فيهما لا غير ، وعن الزجاج قد يفتح قوام الأمر ، وعن أهل اللغة يقال ملاك الأمر بكسر الميم وفتحها وكلاهما نظام الأمر وما يعتمد عليه . الشطاط : حسن القوام وطوله أو اعتداله . وجاءت (لا غير) في الكامل في الرغبة ج ٥ ص ٩٨ .

(٣) اللسان : الحرق احتراق يصيب الثوب من دق القصار ، ابن الأعرابي : النقب في الثوب من دق القصار جعله مثل الحرق الذي هو لهب النار .

(١) وردت (لا غير) في السفر الثاني (شروح سقط الزند) الذي حققته (لجنة إحياء آثار أبي العلاء المعري) والشارحون هم التبريزي والبطليوسي والخوارزمي ورجال اللجنة هم : مصطفى السقا ، عبدالرحيم محمود ، وعبد السلام هارون ، إبراهيم الأبياري ، حامد عبد المجيد . والتسمية كافية ، أسماؤهم فيها غنى عن وصفهم .

مجانين . . . !

للأستاذ على الطنطاوى

[تعليق على ما كتبه الصديق النبيل الأستاذ كامل الكيلانى فى العدد ١٧١ من الرسالة عن « نيوتن والوزير العباسى » مع تحياتى وأشواقى إليه . . .] « على »

إذا رأيتم رجلا يمشى فى الطريق منفوشَ الشعر ، شارد النظر ، قد لبس معطفه على القفا ، ومشى على غير هدى ... قلتم إنه (مجنون) ... وقد يكون (مجنوناً) ، ولكنه قد يكون فيلسوفاً ... أو شاعراً ... أو رياضياً ... !

وإذا سمعتم أن رجلا لا يفرق بين السراويل والقميص ، ولا بين الجمعة والخميس ، قلتم إنه « مجنون » ... ولكن (أناتول فرانس) ، والعهدة على الراوى (جان جاك بروسّون) دعى إلى وليمة يوم الأحد ، فذهب يوم السبت ولبث ينتظر متعجباً من تأخر الغداء ، ولبثتْ ربّة الدار تنظر متعجبة من هذه الزيارة المفاجئة ، ثم لم يرض أن يصدق أنه يوم السبت ... فهل كان (أناتول) نابغة قومه فى البلاغة وباقعة العصر مجنوناً ؟ !

وإذا شاهدتم رجلا يعتزل فى كوخ ، أو ينفرد فى غار ، لا يقبل على الدنيا ، ولا يكلم الناس قلتم إنه (مجنون) ، ولكن (الغزالى) عاف الدنيا وقد اجتمعت له ، والمجد وقد أقبل عليه ، والرياسة وقد أتته منقادة تسعى إليه ، وحبس نفسه فى أعلى منارة الجامع الأموى فى دمشق ، فهل كان (الغزالى) حجة الإسلام وعلم الأعلام مجنوناً ؟ !

وإذا بلغكم أن إنساناً نسى اسمه قلتم إنه (مجنون) ، ولكن (الجاحظ) نسى كنيته وطفق يسأل عنها حتى جاءه ابن حلال بالبشارة بلقياها ، فقال له : أنت أبو عثمان ؟ فهل كان (الجاحظ) عبقرى الأدب ، ولسان العرب مجنوناً ؟

***

ونيوتن ... وقد كانت فى داره قطة ، كلما أغلق عليه بابه ، وقعد إلى كتبه ومباحثه ، أقبلت تُخرمش الباب وتخشخش بأظفارها فتشغله عن عمله حتى يقوم فيفتح لها ، فلما طال عليه الأمر كدّ ذهنه ، وأطال بحثه ، فاهتدى إلى المَخلص ... ففتح فى أسفل الباب فتحة تمر منها فاستراح بذلك من شرها ... ثم ولد لها ثلاث قطَيطات ففتح لكل واحدة منها فتحة ... لم يستطع هذا العقل الكبير الذى وسع قانون الجاذبية أن يسع حقيقة صغيرة : هى أن الفتحة الواحدة تكفى القطة الأم وأولادها !

وآمبير ... وقد كانت تعرض له مسائل فى الطريق ، فلا يجد قلماً لها وورقاً ، فحمل معه حوّاراً[(١)] ، فكلما عرضت له مسألة ، ورأى جداراً أسود ، وقف فخط عليه ، فرأى مرة عربة سوداء واقفة ، فجعل يكتب عليها أرقامه ورموزه ، واستغرق فيها ، حتى سارت العربة ، فجعل يعدو خلفها وحَوّاره بيده ، وهو لا يدرى ما يصنع !

وهنرى بوانكاريه ... وقد دعا قوماً إلى وليمة فى داره ، وضرب لها الساعة السابعة موعداً ، فلما حل الموعد وجاء القوم ، كان مشغولا ... فدعوْهُ فلم يسمع ، وألحوا عليه فلم ينتبه ، وكانوا يعرفون شذوذه ، فأكلوا وانصرفوا ... وقام بعد ساعتين فأمّ غرفة المائدة ، فرأى الصحون الفارغة والملاعق المستعملة وبقايا الطعام ، فجعل يفكر : هل أكل أم هو لم يأكل ؟ ثم غلب على ظنه أنه أكل فعاد إلى عمله !

وأمرالله أفندى .. العالم التركى المشهور صاحب المَعْلَمة التركية[(٢)] ، وقد كان يركب البحر كل يوم ما بين داره فى (اسكدار) وعمله فى (اسطامبول) ، فركب يوماً وكان إلى جنبه موظف كبير فى السفارة البريطانية ، وكان فى جيبه فستق حلبى ، وكان (أمرالله أفندى) مشغول الفكر ، فجال بيده وهو لا يشعر ، فسقطت فى جيب البريطانى ووقعت على الفستق فأخرج منه فأكل ، وظنّ الرجل أنه مزاح ، فسكت ، ولكن الشيخ عاد وأوغل فى الأكل حتى كاد يستنفد الفستق كله ، وكان الفُلْك مزدحماً ما فيه مفر للبريطانى من هذه الورطة ، فأحبّ أن يتلطف بالشيخ حتى يكف ، فسأله : كيف وجدت الفستق؟ قال : « عال ! » وعاد إلى تفكيره وأكله ؛ فقال له : ولكن ليس فى جوار الدار مثله أشتريه للأولاد ، وإذا دخلت عليهم من

---

(١) الحوار : الطباشير . لا بأس بعربيتها لأن التحوير هو التبييض .

(٢) أى دائرة المعارف ، وبالتيهم سموها (معلماً) على وزن (معجم) .

غير فستق بكوا ... قال الشيخ : « عجيب » ! وعاد إلى الأكل والتفكير ، فقال له : أفلا تتكرم بإبقاء شيء لهم ؟ قال : « بلى ، بكل امتنان» ، وأخرج طائفة من الفستق فدفعها إلى الإنكليزي وأكل الباقي !

وقد وُلّى وزارة المعارف وأعطى سيارة ، فكان كلما بلغت به السيارة المنزل ، وفتح له السائق الباب ، أخرج كيسه وسأله: كم تريد ؟ فيقول له : يا سيدى هذه السيارة لمعاليك ، فيتذكر ويقول : طيب !

وقد سألته امرأة مرة ، وكان يمشى أمام داره : أين دار وزير المعارف يا سيدى ؟ فقال لها : ومن هو وزير المعارف الآن؟

وصديقنا اللغوى العراقى عبد المسيح وزير[1] ... وقد دخل مرة غرفة غير غرفته فى وزارة الدفاع ، وكان (طاب ذكره) من كبار موظفيها ، فرأى أثاثها على خلاف ما كان يعهد ، فغضب ودعا الفرّاش ، وقال له : حوّلْ هـذه المنضدة ، انقل هذا الهاتف[2] ، اعمل كذا ، افعل ذاك ... فلما استوت له كما يريد ، نظر فقال : أهذه غرفتى ؟ ! قال : لا ياسيدى ، فانتقل إلى غرفته!

وكنا نزوره أنا وأنور ، فدعا لنا مرة بشاى وتدفق بالحديث ، وهو يشرب كأسه ، فلما فرغت ، وضعها وتناول كأس الأستاذ العطار فشربها ، ثم ثَلَّثَ بكأسى ، فلما جاء الفراش يأخذ الكؤوس ، قال : سألتكم بالله ، هل تريدون كأساً أخرى ؟ !

وشيخ الشـام ومربى الجيل الشيخ طاهر الجزائرى ، وقد حدثنى الشيخ قاسم القاسمى أنهم احتالوا عليه حتى اشتروا له جبة جديدة وألبسوه إياها ، وذهبوا به إلى دمّر فجلسوا حول البركة العظيمة فى منزل الأمير عمر ، وكان فى المجلس الشيخ عبد الرزاق البيطار ، والشيخ جمال الدين القاسمى ، وجلّة العلماء ، فما كان من الشـيخ طاهر إلا أن قام فنزع الجبة ، وجعل يغمسها فى البركة ، ثم يدلكها بالتراب ، ثم يغمسها ، ثم علقها على غصن حتى جفت وتكرّشت فلبسها وقال : الآن استرحت ، إن الجبة الجديدة تشغل فكر صاحبها ، أما العتيقة فإنه لايبالى بها فينصرف إلى تفكيره ...

(١) وخبرت أنه وضع كتاباً فى ذهول العلماء ولم أره ، وأشكر أحد تلاميذى فى العراق إذا تكرم فأهداه إلى

(٢) لايعرف التلفون فى الشام إلا بالهاتف .

وصديقنا الكبير سامى بك العظم مفتش العدلية العام ، وقد حدثنى من فمه أنه دعا (فلاناً) وكان رئيساً للوزراء إلى الغداء فى داره فى أقصى المهاجرين ، فلما كان اليوم الموعود جاء الرئيس بسيارته إلى باب المنزل ، فنزل منها وصرف السائق لئلا يطول عليه الانتظار ، واجتاز الحديقة الممتدة ، وصعد الدرج العالى ، وقرع الباب ، فلم يرد أحد عليه ، فعاد إلى البلد ماشياً فى شمس الهاجرة من آب[1] . أما سامى بك ، فقد نسى الموعد ، ولم يكن فى الدار أحد ، لأن أسرته فى القاهرة ، فذهب فتغدى فى المطعم!

وصديقنا الأديب العالم الراوية عز الدين التنوخى ، وقد دعا للبحث فى إعداد مهرجان المتنبى من سنين جمهرة من أدباء البلد إلى المجمع العلمى يوم كان سكرتيره ، فلما جاؤوا وجدوا المجمع مغلق الباب ، فذهب بعضهم إلى دار الأستاذ يسأل عنه خشية أن يكون به مرض ، وإذا هو يشتغل بتحقيق كتاب أبى الطيب اللغوى ، وإذا هو يحدثهم عن الكتاب ، أما حكاية الدعوة ، فقد نسيها من أساسها !

***

أفكان هؤلاء ، وفيهم كل عبقرى عَـلَم ، وكل نابغـة إمام ... أكانوا كلهم مجانين ؟

أما فى رأى الناس ، فَنَـعَمْ !

ذلك لأن القافلة تمشى ، فمن سايرها عدّه أهلها عاقلا ، ومن تقدم عنها يسلك طريقاً جديداً قد يكون أقرب وآمن ، عدّوه مجنوناً ، كمن تأخر عنها ليتيه فى مجاهل الصحراء !

لكن ذاك جنون العبقرية ، وهذا جنون المارستان !

إن العبقرى شغل بالعلم فكره كله ، فلم يبق منه شىء لفهم الحياة ، فصار عند أهلها مجنوناً !

وبين جنون العبقرية وجنون المارستان نوع ثالث ، ألا وهو جنون الغرام :

وكل الناس مجنون ولـكن على قدر الهوى اختلف الجنون

والهوى ... يا ويح الهوى ، ما أكثر شعابه ، وما أضلّ أوديته ؟ !

الهوى ... ومنذا الذى لم يته فى واد من أوديته ، ولم يسلك شعباً من شعابه ؟

(١) أغسطس

إنّ من لم يهوَ الغيد الحسان ، هَـوِىَ الرياض والجنان ، أو الأصفر الرنان ، ومن لم تفتنه العيون التى فى طرفها حور ، فتنته الشهرة واستهواه الجاه ... كل الناس مجنون ، ولـكن أخطر المجانين : مجانين الهوى !

* * *

وهل فى الدنيا أشد جنوناً ممن ينكر الحياة ويعرض عنها ، لا يريد أن يبصر وجهها ، ويراها سـوداء فى عينيه لا تنيرها الشمس ولا يضوّئها القمر ، كل ذلك لأن (امرأة) لم تمنحه قبلة ... يا حفيظ ! اللهم إنا نسألك السلامة !

أما عرفتم مجنون « ليلى » ؟ هذا الذى زهد فى المجد والرفاهية والعلم والمال والجنة ... واجتوى حياة البشر ، وهام مع الوحش فى البرية ، وملأ أيامه حسرة وكآبة وغماً ، لأن ... لأن الله خلق عينى ليلى سوداوين فتانتين ، وجعل أنفها رقيقاً دقيقاً ، وبرأ فمها أحمر كالوردة ، حلواً كالسكر، صغيراً لا يعرف إلا لغة القبل ...

نعم ، إنه جُنّ لأن الله لم يخلق ليلى هذه قبيحة شوهاء !

لقد كان يعيش قبل أن يعرف ليلى كما كان يعيش سائر أبناء آدم ، وكانت حياته كاملة سعيدة من غير ليلى ، فاشتهى يوماً أن يدنو من امرأة كما يشتهى كل رجل ، فقادته المصادفة إلى ليلى ، فأرادها ... فلم يصل إليها فُجنّ ... ولو كان عاقلا لرأى فى كل امرأة فى الدنيا غناء من ليلى ... إن مثَـلَه مثل رجل أراد أن يدخل بيتاً له مئة باب ، فطرق باباً منها وعالجه ، فلم يفتح له ، فوقف يبكى وينتحب ، شوقاً إلى الدخول ، ويضرب الجدار برأسه ، والأبواب التسعة والتسعون مفتحة أمامه !

وإن لـكل رجل (ليلى) :

كل يغنى على ليـــلاه متخذاً ليلى من الناس أو ليلى من الخشب

فإن فاتته ليلى الناس أجزأت عنها ليلى الخشب ، فـما بال قيس؟ أو لم يخلق الله فى النساء جميلةً إلا ليلاه ؟ أوليست المصادفة هى التى ألقتها بين يديه ، ولو كان رأى سعدى أو سلمى ، لـكان مجنون سلمى أو سعدى ؟

* * *

وهذا مجنون آخر هو ستيفن مجنون ماجدولين :

ولقـد عرفته مذ نقله إلى الشرق إمام الـكاتبين المنفلوطى رحمة الله على روحه ، ثم رأيت وجهه الفرنسى الأصيل فى يوم كنت فيه أنا أيضاً مجنوناً يفكر بأعصابه لا بدماغه ، ويرى الدنيا كلها خلوة من خلوات الحب ، والحياة قصة من قصص الغرام ، والوجود كله وجه فتاة فتانة ... وقاتل الله الصبا وحماقات الصبا ... عرفته يومئذ فرأيته (بجنونى) بطلا من أبطال الحب ، وشهيداً من شهداء العاطفة ، ولـكنى عدت إليه اليوم ، وقد عقلت ، أو كدت ، فإذا هو ... أعوذ بالله !

يقول المجانين : إن الحب يطهر النفوس ويزكيها ، ويوسع آفاقها وينميها ، ويسمو بها ويعليها ، فتعالوا اسمعوا حديث هذا المحب الفرنسى ما صنع به الغرام :

هجر أباه وتبرأ منه ، وأنـكر حق أبوّته ... ثم ذهب أخوه إلى المعركة وخاف أن يسقط عن سرجه ، فبعث إليه يسأله ثمن سرج جديد ، فلم يرد عليه ، لأنه يحتاج إلى المال لينفقه فيما هو أهم ، يريد أن يستأجر به مقعداً فى المرقص يرى منه وجه ليلاه ، أى ماجدولينته ، فسقط أخوه عن سرجه ، ومات فى المعركة ... ثم فارق أباه وبقى فى العراء ، فأحسن إليـه واحد من أقربائه ، وأعطاه ما يبتغى من المال ، فـكانت مكافأته إياه على إحسانه أن سرق ماله ، ودفع فى صدره ، فعجل موته ...

فعل ذلك كله من أجل امرأة ، أضاع كل شىء ليجدها ، ولـكنها أعرضت عنه ، ومالت إلى غيره ... إلى صـديقه الذى قاسمه خبزه ، وشاركه فراشه ، صـديقه الذى سلبه سريره من تحته ، فباعه لينفق ثمنه على مآربه وهواه ، وهذا المجنون المغفل لا يحس ولا يدرى ، لأن الحب أعماه وأصمه . وهلْ رأيتم محباً له بصر ؟ أعرضتْ عنه ، ولها الحق فى الإعراض ... هل تتزوج مجنوناً ؟ إن الزواج إذا بنى على هذا الجنون الذى يسميه أصحابه « حباً » ، صار البيت من بعده مستشفى مجاذيب ، ومارستاناً من المارستانات ! !

تزوجت بغيره ، فذهب ينتزعها من زوجها الشرعى ، ويرى أنه أحق بها ، لأن اسمه واسمها منقوشان على شجرة زيزفون ...

ما شاء الله كان ! إنك تستطيع أن تأخذ المرأة من بين ذراعى زوجها ، لأنك حفرت اسمها مع اسمك على شجرة ... اسمعوا يا عقلاء (وأين العقلاء) شريعة المجانين ... اسمعوا منطق الحب !

هذا هو الحب الفرنسي : تفريط بحق الأسرة ، واستهانة بواجبات الشرف والدين ، واستئثار قاتل يمحو من الحياة أسمى فضائلها ، لهذه اللذة التي ينالها ، ويفقر النفس العامرة بالإيمان والفضيلة والمجد ، ولا يبقى فيها إلا صورة الحبيب ، يراه العاشق في الأفق إذا نظر إليه والشمس واقفة للوداع ، وفي السماء إذا تأمل فيها ونجومها تتوقد في هدأة الليل ، وفي صفحة الماء والروض البهيج ، وفي كل كتاب يقرؤه ، ومشهد يراه :

أريد لأنسى ذكرها فكأنما تمثل لي ليلى بكل سبيل

فيا رحمتا لهؤلاء المجانين ! إنهم عُمْى لا يبصرون من الدنيا إلا وجه امرأة واحدة ... صُمّ لا يسمعون إلا صوتها ... بُلْه لا يشتغلون إلا بها ... مجرمون لا يبالون بكل رذيلة إذا أوصلتهم إليها ... أذلّاء لأنهم فقدوا الرجولة والكرامة ، وغدا المثل الأعلى لهم أن يطيعوا هذه الرعناء الطائشة ... لأن لها عيناً بلون السماء وزرقة البحر ...

هذا هو الحب يا أيها الشباب الصغار !

***

كل عاشق هو (ستيفن) ، ولو تناءت الديار ، وتباعدت الأزمان ، فاقرأوا سيرة ستيفن تقرأوا سيرة كل عاشق ...

لقد ارتضى أن يخسر كل شيء ليربح ماجدولين ، فلما خسرها لم يبق له شيء ... لقد غدا مجنوناً ... وهل يمكن أن يكون محب عاقلا ؟ ها هو ذا يحرق الورقة المالية التي لا يملك غيرها ... ليقرأ على ضيائها رسالة الشيطانة ... أعني الحبيبة ، ويبقى من بعدها طاوياً يتضور جوعاً ، لا يدري أن أحلام الحب وحماقاته لا تملأ المعدة الفارغة ، وأن الرغيف الواحد أثمن عند الجائع من كل ما في الأرض من لَيْلَيَات وماجدولينات ... لقد غدا تائهاً يدور في السبل والطرقات ... وينام حيث يدركه المنام ...

لقد صيّره الحب موجوداً كالمعدوم ... صار عضواً من الأمة أشلّ لا ينفع ولا يضر ، بل إنه يضر ولا ينفع ! !

لقد سدّ في وجهه طرقَ المجد ، وحجب عن باصرتيه نور الشمس ، فلم يبق فيه فائدة لنفسه ولا للناس ، بل لقد صار هُزْأة وغدا مَسْخَرة ... وكذلك يكون العاشقون !

وينال هذا المجنون خمسة عشر ألفاً يستطيع أن يصنع بها الجلائل ، ويرفع بها لنفسه ولأمته مجداً ... فما ذا صنع بها ؟ دفعها إلى عابر سبيل لا يعرفه ... فما أكرم هؤلاء العشاق الذين يمنحون ثروتهم كلها إلى من لا يعرفون ، ويضن الواحد منهم على أخيه بثمن سرج لفرسه ، ويتركه يموت في المعركة ... !

ثم يأتيه المال الوفير ، فينفقه في أتفه الأمور وأحط الرذائل ، يستأجر مقاصير المسرح كلها ، ويرى الرواية وحده ... لما ذا ؟ ليغيظ المرأة التي أحبها فتزوجت بغيره ، لأنها تريد أن يكون زوجها رجلا مثل الرجال ، لا امرأة لها شاربان ولحية ولا عقل لها ، ثم يترقى ستيفن في فضائل الحب ، فينتهي إلى الغصب والنهب من حانة ... ويعلن جنونه ليهدم به الحياة البشرية ، فيزعم أن الحب أقدس الواجبات ، والزواج شر الرذائل ، ثم تختم هذه الحياة النبيلة ... السامية ... بجريمة القتل !

هذا هو مجنون ماجدولين ، وذاك مجنون ليلى ... أما سائر المجانين ، فهم بقية العاشقين !

***

فإذا كان في الدنيا جنون عبقرية ، وجنون مارستان ، فإن جنون الهوى هو جنون الإجرام ، لا سيما إذا كان هوى على الطريقة الفرنسية ...

فيا أيها الشباب الصغار ! إذا لم يكن بدّ من الجنون ، فلنجنّ بالمعالي والمكارم والعلم والفن ، أو لنسكن المارستان ...

أما المرأة ، فصدقوني إذا قلت لكم : إنها لا تستحق أن يُجنّ بها أحد ! !

(دمشق) علي الطنطاوي

على هامش النقد :

« دفاع عن البلاغة »

تأليف الأستاذ الزيات

للأستاذ سيد قطب

— ١ —

شغلتني الشواغل عن قراءة هذا الكتاب عند ظهوره ، اعتمادا على أنني قرأت معظم فصوله منشورة في « الرسالة » ... فلما عدت إليه في هذه الأيام ، وأنا أستعرض كتب النقد الحديث في المكتبة العربية عامة ، وجدت أنني كنت مخطئا في اعتمادي على ما قرأته فصولا في الرسالة . فقراءة هذه الفصول شيء ، وقراءة كتاب كامل في موضوع معين شيء آخر . ووجدت أن القضية التي يعرضها الكتاب جديرة بأن تطول حولها الشروح والتعليقات ، والمناقشات ، في هذا الأوان بالذات .

فللمرة الأولى بعد كتابَيْ « عبد القاهر » في القرن الرابع الهجري ، تعرض قضية البلاغة على بساط البحث في هذا المحيط الشامل ، وتناقش بوصفها وحدة في بحث مستقل ، لا في صدد دراسة لكاتب أو كتاب[1] .

ونحن قد نخالف الأستاذ في الكثير من قضايا هذا الكتاب كما نوافقه على أسس معينة لهذا البحث . ولكن هذا كله شيء آخر لا يمس القيمة الذاتية للكتاب في المكتبة العربية بوصفه أول علاج شامل لقضية البلاغة بعد كتابي عبد القاهر . لا يقف فيه مؤلفه عند الأدب العربي وحده ، بل يسترشد كذلك بالنقاد الفرنسيين ، وبتطور المذاهب الأدبية هناك ، كما يسترشد بالنقاد العرب ، وتطور الأساليب في العصر الحديث .

وعنوان الكتاب قد يدل على موضوعه دلالة كافية « دفاع عن البلاغة » والأستاذ الزيات أولى الكتاب المعاصرين بالدفاع عن البلاغة . فهو صاحب « مذهب التنسيق التعبيري » كما وضعت له عنوانه في كتابي القادم : « المذاهب الفنية المعاصرة » . ذلك المذهب المتفرع عن المنفلوطي ، صاحب « مذهب الابتداع التعبيري » . والذي يجعل للتعبير وتنسيقه أهمية كبرى في الفن بل الذي يجعل الفن هو أساس هذا « التنسيق التعبيري » .

* * *

نحن نتفق مع الأستاذ في أساس القضية ، وهو أن العمل الفني في الأدب لا يوصف بالجودة إلا أن يتهيأ للفكرة الجيدة ، أو الإحساس الجيد ، أسلوبا جيدا ، وعبارة جيدة . وأن التعبير ليس نافلة في العمل الفني في الأدب ، وأنه لا يفسد ويرك ويتعقد ثم تبقى لهذا العمل قيمته الفنية .

« فالفكرة والصورة في الأسلوب كل لا يتجزأ ، ووحدة لا تتعدد . وليس أدل على اتحادهما من أنك إذا غيرت في الصورة تغيرت الفكرة ، وإذا غيرت في الفكرة تغيرت الصورة . فقولك : أعنيك ، غير قولك : إياك أعني . وقولك : كل ذلك لم يكن ، غير قولك : لم يكن كل ذلك . وقولك : ما شاعر إلا فلان ، غير قولك : ما فلان إلا شاعر . فترتيب الألفاظ في النطق لا يكون إلا بترتيب المعاني في الذهن ... ص ٦٠

« من ذلك نرى أن الأسلوب خلق مستمر : خلق الألفاظ بواسطة المعاني ، وخلق المعاني بواسطة الألفاظ . ومن ذلك أن الأسلوب ليس هو المعنى وحده ، ولا اللفظ وحده ، وإنما هو مركب فني من عناصر مختلفة ، يستمدها الفنان من ذهنه ومن نفسه ومن ذوقه . تلك العناصر هي الأفكار والصور والعواطف ثم الألفاظ المركبة ، والمحسنات المختلفة . والمراد بالصورة إبراز المعنى العقلي أو الحسي في صورة محسة . وبالعاطفة تحريك النفس لتميل إلى المعنى المعبر عنه أو لتنفر منه » . ص ٦٢

أوافق الأستاذ على هذا الأساس الذي عبرت عنه على طريقتي في كتاب « التصوير الفني في القرآن » والذي سبقنا إليه الإمام عبد القاهر فعبر عنه على طريقته في كتابه « دلائل الإعجاز » .

ولقد قررت هذه الحقيقة هناك بهذه الفقرات :

« وبعض الناس حين ينظر في هذه الموضوعات (موضوعات القرآن) ويرى ما فيها من دقة وعظمة ، وصلاحية ومرونة ،

(١) يقال : إن هذه القضية عرضت في كلية الآداب بالجامعة المصرية وأنا لا أدري كيف عرضت هناك ولا في أي محيط عرضت . وأحسب أن الناس كذلك لا يدرون شيئا عن هذه المحاولة الموضعية .

وإحاطة وشمول ، يحسبها ميزة القرآن الكبرى ، ويحسب أن طريقة التعبير القرآنية تابعة لها ، وأن الإعجاز كله كامن فيها ، كما أن بعضهم يفرق بين المعانى وطريقة الأداء ، ويتحدث عن إعجاز القرآن فى كل منهما على انفراد .

« أما نحن فنريد أن نقول : إن الطريقة التى اتبعها القرآن فى التعبير ، هى التى أبرزت هذه الأغراض والموضوعات ، فهى كفاء هذه الأغراض والموضوعات .

« ولا يردنا هذا إلى تلك المباحث العقيمة حول اللفظ والمعنى وقد استغرقت من النقاد العرب ما استغرقت منذ أثارها الجاحظ فزعم أن المعانى ملقاة على قارعة الطريق ، ثم تابعه فى البحث ابن قتيبة وقدامة وأبو هلال العسكرى وغيرهم مخالفين ومؤيدين . وإنا لنحسب أن « عبد القاهر » قد وصل فيها إلى رأى حاسم حين انتهى إلى أن اللفظ وحده لا يتصور عاقل أن يدور حوله بحث من حيث هو لفظ ، إنما من حيث دلالته يدور البحث فيه ؛ وأن المعنى وحده لا يتصور عاقل أن يدور حوله بحث من حيث هو خاطر فى الضمير ، إنما من حيث أنه ممثل فى لفظ يدور البحث فيه . وأن المعنى مقيد فى تحديده بالنظم الذى يؤدى به ، فلا يمكن أن يختلف النظمان ثم يتحد المعنى تمام الإتحاد .

« لم يصغ « عبد القاهر » القضية هذه الصياغة المختصرة ، فنحن نترجم عنه ، وإلا فقد استغرق فيها كتابا لا نستطيع نقله هنا ، ولكن له فضله العظيم فى تقرير هذه القضية ، ولو خطا خطوة واحدة فى التعبير الحاسم عنها لبلغ الذروة فى النقد الفنى . فنحن نقول عنه : إن طريقة الأداء حاسمة فى تصوير المعنى ، وإنه حيثما اختلفت طريقتان للتعبير عن المعنى الواحد ، اختلفت صورتا هذا المعنى فى النفس والذهن . وبذلك تربط المعانى وطرق الأداء ربطا لا يجوز الحديث بعده عن المعانى والألفاظ كل على انفراد ، فلن يبرز المعنى الواحد إلا فى صورة واحدة ؛ فاذا تغيرت الصورة تغير المعنى بمقدارها . وقد لا يتأثر المعنى العام فى ذاته ، ولكن صورته فى النفس والذهن تتغير . وهى المعول عليها فى الفن — إذ التعبير فى الفن للتأثير — فإذا اختلف الأثر الناشىء عنه فالمعنى المنقول مختلف بلا مراء » . ص ١٩٠

ويرتب الأستاذ الزيات على هذه الحقيقة نتائجها الطبيعية التى رتبها عليها بعض النقاد فى الشرق والغرب ، ولكن فى شىء من الحماسة قد يجاوز القصد . قال فى ص ٦٦

« وقد غالى علماؤنا البيانيون ، فزعموا أن المعانى شائعة مبذولة لا يملكها المبتكر ولا السابق ، وإنما يملكها من يحسن التعبير عنها ، فمن أخذ معنى بلفظه كان سارقا ، ومن أخذه ببعض لفظه كان له سالخاً ، ومن أخذه فكساه لفظا أجود من لفظه كان هو أولى به ممن تقدمه[1] .

« على أن هذا الرأى الجرىء لم يكن من رأى العرب وحدهم وإنما يراه معهم (بوفون) وأشياعه من كتاب الفرنج ؛ فقد قرر فى خطبته عن « الأسلوب » التى ألقاها يوم دخل الأكاديمية الفرنسية : إن الأفكار والحوادث والمكتشفات شركة بين الناس ، ولكن الأسلوب من الرجل نفسه .

« نعم قال (بوفون) : إن الأسلوب من الرجل نفسه ، ولم يقل : إن الأسلوب هو الرجل ، كما شاع ذلك على الألسنة . ولم يرد بما قال ، إن الأسلوب ينم عن خلق الكاتب ، ويكشف عن طبعه كما فهم أكثر الناس ؛ وإنما أراد أن الأسلوب ، ويعنى به النظام والحركة المودعين فى الأفكار ، هو طابع الكاتب وإمضاؤه على الفكرة ؛ ومعنى ذلك أن الأفكار تكون قبل أن يفرغها الفنان فى قالبه الخاص ، من الأملاك العامة ؛ فإذا عرف كيف يصوغها على الصورة اللازمة الملائمة تصبح ملكا خالصا له ، تسير فى الناس موسومة بوسمه ، وتعيش فى الحياة مقرونة باسمه ، فالأسلوب وحده هو الذى يملك الأفكار وإن كانت لغيرك . ألا ترى أن أثر الأخلاق فى بقاء الأمم وفنائها معنى من المعانى المأثورة المطروقة ، فلما أجاد شوقى سبك اللفظ عليه فى بيته المشهور :

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

أصبح بهذه الصيغة من حسناته المعدودة ، وأبياته المروية ! »

ونحن — على اتفاقنا مع الأستاذ فى المبدأ السابق — نختلف معه هنا كما نختلف مع الجاحظ صاحب نظرية المعانى الملقاة على قارعة الطريق .

فإن كون العمل الفنى يتألف من المعنى والصورة ، بحيث

(١) الصناعتين ص ١٤٦ .

لا يمكن الفصل بينهما . لا يقتضى أن تكون الصورة وحدها هى العمل الفنى الذى يثبت ملكيته لمن يجيده ، ولا يقتضى كذلك أن تكون جودة الصياغة كفيلة برفع المعنى إلى مرتبة الجودة ، كما جاء فى بحث الأستاذ فى مكان آخر حيث يقول فى ص ٧٣ :

« إذا حلى فى صدرك بعد ذلك أن تذهب إلى ما ذهبت إليه من أن تجويد الأسلوب يتضمن تجويد الفكرة ويضمن خلودها فدعك من أولئك الذين عادوا الكمال الفنى بطبائعهم .. الخ »

أو حيث يقول فى ص ٢٦ :

« وليس أدل على أن الشأن الأول فى البلاغة إنما هو لرونق اللفظ وبراعة التركيب ، من أن المعنى المبذول أو المرذول أو التافه قد يتسم بالجمال ، ويظفر بالخلود ، إذا جاد سبكه وحسن معرضه . ولا بأس أن أقدم إليك مثلا من آلاف الأمثلة ، بلغ معناه الغاية فى السوقية والفحش ، ومع ذلك تحب أن تسمعه وتحفظه وتعيده لأنه بلغ من سر الصناعة غاية تطلع دونها أكثر الأقلام .

« قال أبو العيناء الأعمى لابن ثوابة : بلغنى ما خاطبت به أبا الصقر ، وما منعه من استقصاء الجواب إلا أنه لم ير عرضا فيمضغه ، ولا مجدا فيهدمه .

« فقال له ابن ثوابة : ما أنت والكلام يا مكدى[1] ؟

« فقال أبو العيناء : لا ينكر على ابن ثمانين سنة ، قد ذهب بصره ، وجفاه سلطانه ، أن يعول على إخوانه ، ثم رماه بمعنى فاحش مكشوف . فقال ابن ثوابه :

« الساعة آمر أحد غلمانى بك .

فقال أبو العيناء :

« أيهما ؟ آلذى إذا خلوت ركب ، أم الذى إذا ركبت خلا ؟ »

فانظر فى هذه الجملة الأخيرة ترمى ابن ثوابة فى نفسه وفى زوجه ، وهما معنيان سوقيان يترددان كل ساعة على ألسنة السيابين من أوشاب العامة . وإنك مع ذلك تقف من هذه الجملة موقف المشدوه المعجب ، تحركها لسانك ، وتعمل فيها فكرك ، وتعرضها على مقاييس البلاغة وشروطها ، فتطول على كل قياس وتزيد على كل شرط » .

(١) المكدى : من يسأل الناس .

إلى أن يقول فى ص ٢٨ :

« وأنت ترى أن الصياغة وحدها هى التى سمت بهذه المعانى الخسيسة إلى أفق البلاغة فتداولتها الألسن ، وتناقلتها الكتب . وليس حال المعنى فى ذلك حال اللفظ ، فإن اللفظ فى ذاته كالموسيقى يخلب الأذن ، ويلذ الشعور وإن لم يترجم . أما المعنى فكالكهرباء ، إذا لم يكن لفظه جيد التوصيل ، انقطع تياره ، فلا يعرب ولا يطرب . اقرأ قول القائل :

لما أطعنا كم فى سخط خالقنا لاشك سلَّ علينا سيف نقمته

« ثم وازن معناه الشريف ونسجه السخيف ، بما رويت لك من كلام أبى العيناء ، فلا يسعك إلا أن تقول كما أقول :

« إن القـذر يوضع فى آنية الذهب فيقبل ويحمل ، وإن المسك يوضع فى تافجة الطين فيرفض ويهمل »

ونريد نحن أن نقف عند الحقيقة الأولى التى اتفقت فيها مع الأستاذ كل الاتفاق ، فتجاوزها قد يوقع فى الزلل

والسبيل الأقوم فى هذا المجال أن نقول :

إن العمل الفنى لا يكون بالفكرة الجيدة المبتكرة وحدها ، ولا بالإحساس الصادق الجميل وحده ، إنما يتم بالصورة الجميلة التى يبرز فيها المعنى والإحساس

أما الصورة وحدها ، فلا تستطيع أن تخلق فناً إنسانياً خالداً إذا خلا من الإحساس الجميل الصادق ، ومن الفكرة العميقة المبتكرة ، ومن التصور الفذ الخاص ، هذه العناصر التى يجب أن يحسب لها حسابها فى كل فن يراد له السمو أو الخلود

وأقصى ما تصل إليه الصياغة أن ترفع المعنى أو الإحساس فى صورة عنه فى صورة أخرى ، ولكنها لا ترفع بذاتها عملا فنياً على عمل فنى آخر ، إذا ارتفعت فى الأول مع سفول معانيه ، وانخفضت فى الثانى مع ارتفاع قيمته

إنها تصلح مقياساً حين تتحد الفكرة أو المعنى العام ثم تختلف الصورة ، ولكنها لا تصلح للقياس الدقيق حين يكون هناك فكرتان أو معنيان يختلفان فى قيمتهما الإنسانية والشعورية

وهذه كلمة أبى العيناء ، إنها ستبقى — على براعة صياغتها — مجرد نكتة لاذعة ، لا تتسامى إلى الآفاق الشعورية فى الفن العالى ، وكذلك سيبقى بيت « شوقى » حكمة مكرورة شائعة ، ولكنها

لا تسلك فى مستوى الحكمة النابعة من طبع ذى خصوصية وامتياز . أما البيت الذى استشهد به الأستاذ على ما تصنعه الركة بالمعنى العالى ، فهو صالح كذلك للاستشهاد به على سوقية التفكير، إذ لا خصوصية ولا ارتفاع عن تفكير العوامّ

والخصوصية فى الأحاسيس والمشاعر والأفكار شىء ثابت ، وله قيمته التى لا تنكر ، وهى مناط الأصالة فى الفن ، وكل ما نريده هو القول بأن هذه الخصوصية لا تبدو كاملة إلا فى صورة جيدة الصياغة ، وفى أصالة أسلوب وتعبير تكافئ أصالة الشعور والتفكير ، وإلا بقيت مطموسة ناقصة لا تبدو فى جلالها الكامل، ولا ترق إلى الآفاق العالية فى الفنون

وقد تحدث الأستاذ عن الأصالة والخصوصية فى الأسلوب حديثاً فى غاية الجودة والصحة حين قال فى ص ٨٢ :

« يراد بالأصالة فى الأسلوب بناؤه على ركنين أساسيين من خصوصية اللفظ وطرافة العبارة ، وتلك هى الصفة الجوهرية للأسلوب البليغ ، والسمة المميزة للكاتب الحق . وملاك الأصالة ألا تكتب كما يكتب الناس ، ملاكها أن تكون أصيلا فى نظرتك وكلمتك وفكرتك وصورتك ولهجتك ، فلا تستعمل لفظاً عاماً ، ولا تعبيراً محفوظاً ، ولا استعارة مشاعة . ولعلك قرأت فيما قرأت كلاماً يرضى اللغويين ويعجب النحاة ، ولكنه مضطرب الدلالة ، مختلط الألوان ، تفه المذاق ، لا تستقله روح ، ولا تمثله صورة . ذلك هو الأسلوب الذى صدر عن الذاكرة ، ولم يصدر عن الذهن ، ونقل عن الناس ولم ينقل عن النفس ، وعبر بالجمل لا بالكلمات ، وأبان بالتقريب لا بالدقة ، وصور بالسوقى المبتذل لا بالأصيل المبتكر »

وكان من حق الأصالة فى الشعور والتفكير أن تنال من الأستاذ ما نالته الأصالة فى الأسلوب والتعبير ، فالمعانى والأحاسيس ليست شائعة ملقاة على جانب الطريق ، وإلا فأين تذهب الطبائع الأصيلة الممتازة التى ترى الدنيا والأشياء بعين خاصة ، فإذا هى تعيش فى كون خاص بها من صنع أحاسيسها وتفكيرها ؟

تلك فلتة من فلتات الحماسة للبلاغة من صاحب « دفاع عن البلاغة » يرد بها الغلوّ فى إنكار قيمة التعبير ، فيجعل المزيّة كلها للتعبير .

على أن الأستاذ يعود فيضع الأمر فى نصابه إلى حد كبير فى ص ٧٨ حين يقول :

« خلص لنا من مَخْض هذه الأحاديث أن الأسلوب الفنى يتكون من الصورة والفكرة ، كما يتكون الماء القراح من الهدروجين والأكسيجين . وكما استحال فى فن الطبيعة أن يتكون الماء من أحد عنصريه ، فقد استحال فى فن الإنسان أن يتكون الأسلوب من أحد جزأيه . ولا أقصد وجه الشبه بين الأسلوب والماء على أن تركب هذا وذاك من عنصرين ضربة لازب ؛ إنما أمدُّ الشَّبه إلى أن نسبة الصورة إلى الفكرة فى الأسلوب يجب أن تكون كنسبة الهيدروجين إلى الأكسيجين فى الماء ! وإذن لا يعد من الأساليب الفنية تلك المعانى الحكيمة التى تعرض فى معرض بشع من الركاكة والغثاثة والتعقيد والخطأ ، ولا تلك الصور المموهة التى تنتفخ انتفاخ الفقاقيع ، وتبرق بريق الشرر ، ثم لا يكون من ورائها غير فراغ وظلمة »

ففى هذا التقرير قصد ودقة تعود بنا إلى الحقيقة الأولى التى اتفقنا عليها ، وتحسب لكل من الفكرة والصورة حسابها الصحيح

للكلام بقية

سيد قطب

الأدب في سير أعلامه :

ملتن

[القيثارة الخالدة التي غنت أروع
أناشيد الجمال والحرية والجمال ...]

للأستاذ محمود الخفيف

— ١٦ —

بعد أوبته من إيطاليا :

آب ملتن إلى وطنه بعد أن غاب عنه سنة وثلاثة أشهر ! وكانت الحرب بين انجلترة واسكتلندة في أولى مراحلها ؛ وكانت السياسة الداخلية دائبة في عصفها لا تكاد تجنح إلى السكون حتى تهب ريحها عاتية من كل جانب .

وكان يتوقع منه بادي الرأي وقد آثر العودة إلى بلاده على المضي في رحلته حياء منه ، كما ذكر ، أن يستمتع بالرحيل والأحرار في وطنه يعانون ضروب البلاء ، أن يلقي بنفسه في غمار السياسة أنفة منه وحفاظا ودفاعا عن الحرية التي يعشقها والتي ركب في فطرته الميل إلى نصرتها ؛ ولكنه ركن إلى الدرس ولاذ بالعزلة كما كان يفعل قبل رحيله .

وقد ملأ الحزن جوانب نفسه على صديقه ديوداتي ، وآلمه ألا يجد مكانه من يستطيع أن يفضي إليه بأنباء رحلته ، ويظهره على ما لقي أثناءها من حفاوة وما اكتسب من حسن السمعة وذهاب الصيت .

والتمس العزاء لنفسه في مرثية كتبها فأدى بها حق الوفاء لصديقه . وقد اختار لها اللغة اللاتينية كما اختار لها الجو القروي وصور الرعاة وحياتهم ، والذين يعرفون اللاتينية ممن كتبوا حياة ملتن على اتفاق أنها من حيث الفن في ذاتها لا تنزل عن مستوى مرثيته ليسيداس ؛ وأنها من حيث العاطفة أعمق وأصدق من أختها لأن صلة ديوداتي بملتن كانت أوثق من صلة كينج به ، فقد كان ديوداتي قرينه منذ صغره وأقرب خلانه إلى قلبه وأشدهم محبة له ؛ وأخذ ملتن يذكر له في مرثيته ما كان يحب لولا أن طواه الموت أن يلقيه على سمعه ؛ وجعل ملتن من نفسه ومن صاحبه راعيين كما فعل في ليسيداس ، وأثنى على خلال صاحبه ولا سيما وفاءه وذكاءه ومرحه وتألم أن كان بعيداً عن وطنه في غير ضرورة ملجئة فلم ير نهاية صديقه . وأشار ملتن في هذه المدينة إلى أنه سوف يجد العزاء في الشعر فيكتب إلياذة عن تاريخ قومه وأساطيرهم جاعلا الملك أرثر وفرسانه أبطال ملحمته متخذاً اللغة الإنجليزية أداته ؛ ولكن هذه الملحمة التي وعد بها ظلت مجرد وعد فقد صرفته عنها شواغل السياسة والدين كما صرفته عن الشعر جميعاً اللهم إلا بضع مقطوعات قصيرة زهاء عشرين عاما ...

وكما أطلق ملتن على ادوارد كنج اسم ليسيداس أطلق هنا على ديوداتي اسم دامون ؛ وكان دامون من مشاهير الفلاسفة ورجال الموسيقى بأثينا ، وكان صديقا وأستاذاً لبركليس؛ وقيل إنه كان كذلك أستاذاً لسقراط ، وكان مضرب المثل في الوفاء ، فقد اقترف أحد أصحابه جريمة كان قصاصها القتل ، وعول ملك سيراكوز على قتله فاستأذنه أن ينصرف ليقوم على بعض شؤون أسرته ثم يعود لينفذ فيه القصاص . وتقدم دامون فرضي أن يكون رهينة عند الملك ليقتله بدل صاحبه إن لم يعد في موعده ؛ وحل الموعد وهم الملك بقتل دامون فجاء صاحبه معجلا فأنقذه ؛ وأثر وفاء الرجلين في نفس الملك فعدل عن قصاصه وطلب إليهما أن يكون ثالثهما في هذه الصحبة الوثيقة (١) .

ونجد في اختيار ملتن هذا الاسم لصاحبه شاهداً من شواهد فنه ، فهو يلمح كما ذكرنا من قبل إلى المعنى الواسع بالكلمة الواحدة ...

واختتم ملتن مرثيته بإشارته إلى موت صاحبه ولم يتزوج ، فذكر الحب وقال إن من حق الشباب أن يحب ، وأن الذي يذوق طعم الحب وقد تقدمت به السن يذوق طعم الحسرة مضاعفا ؛ ثم يبشر صاحبه بأنه سيلاقي في الجنة خير العوض عما فاته في الدنيا فسيستمتع بزواج خالد في عرس بهيج من أعراس الفردوس .

ويجد بعض الكتاب في ذكره الحب وأنه من حق الشباب وفي تألمه على موت صاحبه ولم يتزوج تلميحا منه إلى حالته هو ،

(١) (الرسالة) : هذه القصة هي بعينها قصة حنظلة وشريك بن عمرو والنعمان ! راجع (الميداني) في شرح المثل : إن غداً لناظره قريب .

وإن خفي هـذا التاميح ، ويقولون إن ملتن كان يفـكر يومئذ فى الزواج وإنه قد مل أن يعيش أعزب .

على أنه يعود إلى القراءة فى إقبال لا يقل عن سالف إقباله عليها أثناء مقامه فى هورتون ؛ وقد اتخذ له بعد أوبته من إيطاليا مسكنا فى لندن فلم يعد إلى القرية . ورضى أبوه الشيخ أن يمده بما يطلب من المال وإن كان لا يزال يعجب ويتألم ألا يتخذ ابنه عملا إلا مالا يبرح يردده من تثقيف نفسه ليكون أهلا لما يستشرف له فى دنيا الأدب ؛ وراض الرجل نفسه على سماع هذا وعلى الجود بما يطلب ابنه من المال. والحق أن ابنه لم يطلب منه كثيراً فما كانت به حاجة إلى متع الحياة ولذاذاتها مما يتطلب مالا كثيراً وحسبه من المـال ما يشترى به قوته وما يلزم له من الـكتب وما يدفع منه أجر مسكنه ...

وضاق المسكن الجديد بكتبه ما اقتناه منها فى هورتون وما اشتراه من إيطاليا ، فاتخذ له مسكنا أوسع منه فى أطراف المدينة. وهناك عكف على القراءة والدرس تاركا الشؤون العامة إلى « عناية الله أولا ثم إلى من وكل إليهم الناس القيام على هذه الشؤون » .

وأشرف ملتن فى مسكنه الجديد على تعليم ابنى أختـه وقد قبلهما ليقيما عنـده بعد موت أبيهما وزواج أمهما من غيره ، وما لبث أن ضم إليهما عددا من أبناء أصحابه الأقربين ، وأقبل على تعليمهم جميعا فى حماسة ولذة لا تقل عن شغفه بالقراءة والدرس . ولقد عجب دكتور جونسون من عمله هذا وسخر منه فأشار إليه بقوله : « إنه ينظر بشىء من الفـكاهة إلى ذلك الرجـل الذى يبادر بالعودة إلى وطنه لأن قومه يكافحون فى سبيل الحرية ، ولـكنه لا يلبث وقد بلغ ميدان العمل أن يدع وطنيته تتبخر فى مدرسة يفتحها فى بيته » .

وأقبل ملتن على تعليم هؤلاء الصبية وعلى القراءة فلا يدع ساعة من نهاره إلا ملأها بعمل حتى أيام الآحاد لم يدع فيهـا كتبه وأوراقه إلا ريثما يؤدى واجب الدين . ونتبين مما كتبه أحد ابنى أخته فيما بعد عن حياته وأخيه فى بيت خالهما أنه كان يأخـذهما بالجد فى غير هوادة ومن كان معهما من أبناء أصحابه ، ولـكنا لا نتبين فيما كتب أن ملتن قد اهتدى إلى طريقة خاصة فى التعليم أو أنه جرى على أسلوب اقتنع بسلامته وفائدته ، فكل ما ذكره ابن أخته لم يعد الـكم ؛ فهو يباهى بأنهم قرأوا كثيرا وتعلموا كثيرا ...

بهذا الدأب وبهذه العزيمة أقبل ملتن على العمل بعد عودته من إيطاليا . على أن ابن أخته يذكر من أنباء تلك الأيام أن خاله كان ينصرف عن العمل كل ثلاثة أسابيع أو كل شهر مرة فيقضى يوما بين نفر من صحابته يستمتعون بالمرح واللهو البرىء .

وماذا كان يقرأ ملتن بعد أوبته من إيطاليا ؟ إنه اليوم شديد الولوع بالتـاريخ وعلى الأخص تاريخ قومه ، وإن الملحمة التى داعبت خياله فى إيطاليا عن تاريخ قومه أو الآرثريادة ليعاوده حلمها اليوم ويلح عليه . ولقد أشار إليها كما ذكرنا فى مرثيته عن صديقه ديوداتى ؛ كما أنه أثبت كثيرا مما يتصل بها فى كشـكوله الذى اتخذه منذ إقامته فى هورتون ليـكتب فيه كل ما يعن له من الآراء والملاحظات ...

وأثبت ملتن فى تلك الـكراسة من الإشارات ما يدل على دراسة شؤون السياسة ، كالمعضلة المالية والضرائب والملـكية والجمهورية وحرية الرأى وحرية النشر والقوانين والاستبداد ، وغيرهما مما يتصل بأحوال عصره .

ولن يزال يقرأ ويتدبر ، ولن يزال يعتقد أنه لم يفرغ بعد من أهبته لما يجب أن ينهض له من عمل فى دنيا الشعر ، نجد دليلا على ذلك فى قوله إنه يساير « ذلك التلقين الباطنى الذى يزداد يوما بعد يوم فيوحى إلى أنه بالجد والدراسة المقصودة وهو ما أعده حظى فى هذه الحياة مضافا إلى ذلك ميل فطرى قوى ، قد يتأتى لى أن أترك أثرا كتبته لمن يأتى بعدى من الأجيال فلا يدعونه إلى النسيان » .

وما عسى أن يكون ذلك الأثر ومتى ينهض له ؟ لعل الشاعر لم يكن أكثر بينة من أمره فيما يتصل بموضوع ذلك الأثر الخالد منه فيما يتصل بتاريخ البدء فيه ، فأن كراسته تنطوى على نحو مائة موضوع غير الآرثريادة وكثرتها تتصل بالدين ومسائله من عهد آدم وحواء والخروج من الجنة وما إلى ذلك مما يدل بكثرته وتنوعه على حيرة الشاعر بين ما يأخذ وما يدع ... كذلك حار ملتن بين الصور التى يختار واحدة منهـا لموضوعه ، أيتخذ له اللحمة على نحو ما فعل هوميروس ودانتى ، أم يتخذ له الدراما ؛ أم يترك هذه وتلك إلى سلسلة من الأناشيد مثل أناشيد بندار ،

فلكل من هذه الصور مميزاته ومحاسنه ، ولعل مرد حيرته فى اختيار الصورة إلى أنه لم يحدد الموضوع ، إذ أن الموضوع فى الواقع هو الذى يعين الصورة التى يؤدى فيها .

ومهما يكن من أمر هذه الحيرة فقد قدر على الشاعر أن يدع قيثارته جانبا نحو عشرين سنة لم يكن له فيها أداة إلا النثر اللهم إلا مقطوعات قليلة نفس بها عن صدره فى بعض المناسبات .

***

اجتمع البرلمان الطويل فى نوفبر سنة ١٦٤٠ ، وقدم إليه مقترح الأصل والفرع ، ذلك المقترح الذى شمر له البيوريتانز ، وأرادوا به القضاء على النظام الأسقفى ، وتصدى لأصحاب هذا المقترح فريق من المؤيدين للنظام الأسقفى ومن المشفقين من التطرف فى الدين والسياسة الذين آثروا الوقوف إلى جانب الملك ودب الخلاف على هذا النحو بين أعضاء البرلمان .

وانتقل الخلاف إلى خارج البرلمان فانقسم الناس فريقين : أنصار البيوريتانز ، وأشياع الملك وكبير الأساقفة

وظهر الجانب السياسى من تفكير البيوريتانز يومئذ فى وضوح ، وأخذوا يشيعون آراءهم فى الناس ؛ فالناس جميعاً أمام الله سواء ، ولا يكون الخوف إلا من الله وحده ، والعدالة الاجتماعية وإقرار الحق فى كل أمرهما دعامتا المجتمع الأساسيتان إلى غير ذلك من الآراء الحرة التى تناهض الاستبداد والطغيان .

أما فى الدين ، فلم يبرح البيوريتانز يعلنون مقتهم لكنيسة روما وللنظام الأسقفى وازدراءهم لها ، وما برحوا كذلك ينسبون إلى القساوسة أنهم هم الذين يوحون إلى الملك طغيانه وعلى الأخص كبيرهم وليم لود ، وراحوا يذيعون أن لا حاجة بالناس إلى أخذ الدين عن القساوسة ، فلكل امرئ الحرية أن يتفقه فى دينه مستعيناً بكلام الله ، وإذاً فلم لا يستغنى الناس عن الأساقفة ولم يعد لهم ما سلف من خطر ؟

وتمسك لود وحزبه بوجوب طاعة الملك ، وأعلنوا أن لا غنى للدولة عن النظام الأسقفى ، وأن الكنيسة هى دعامة الملك والمجتمع ، فإذا قضى عليها شاعت الفوضى فى كل شىء . وكان يعمل لود على العودة شيئاً فشيئاً إلى كنيسة روما فى روحها ونظامها ومظهرها ، وكان يحارب مبدأ كلفن فى القدر المحتوم ، ويعضد المبدأ القائل بالاختيار ، ويضطهد من يدعو إلى الاعتماد على الأنجيل وحده بغير رجوع إلى القس ، وأمعن لود فى الكيد للبيوريتانز ، واستعان بسلطة الدولة فأذاقهم سوء العذاب !

على أن فريقاً من المعتدلين وقفوا بين هؤلاء وهؤلاء وإن كانوا قلة . ويرى هؤلاء المتدلون أن المرء حر فيما يفكر فيه ، أو فيما يأتى من عمل ما دام يطيع الملك والقس . وكان ملتن أقرب إلى هؤلاء المعتدلين منه إلى متطرفى البيوريتانز ؛ فقد كان يرفض عقيدة القدر المحتوم ويؤمن بحرية الاختيار ، كما كان يحب التسامح ويدعو إليه . وخالف البيوريتانز فى تزمتهم ومبالغتهم فى الزهد والتقشف . وعنده أن المرء إذا وفى واجب الدين حقه ، واستمسك بالفضيلة فلا تحرم عليه زينة الله التى أخرج لعباده . وللناس أن يستمتعوا أيام الآحاد بما يشيع البهجة والمرح فى نفوسهم بدل أن يحشروا حشرا إلى الكنائس ويحملوا على البقاء فيها طويلا ...

ولكن ملتن أنكر بكل ما فى نفسه من حب للحرية على القساوسة تعصبهم واستبدادهم . وألقى بقيثارته من يده على رغمه وخرج من عزلته ليبدأ ضد القساوسة كفاحا ثائرا عنيفا تجلى فيه كل ما فى طبعه من إنكار ومقت للتعصب ، وكل ما فى روحه من تمرد على الاستبداد وميل إلى نصرة الحرية .

(يتبع) الخفيف

التطورات السياسية في الشرق الأقصى

للاستاذ محمد جنيدى

تمخضت الحرب العالمية الثانية فى الشرق الأقصى عن ظهور الجمهورية فى جزائر الهند الشرقية المعروفة فى القاموس السياسى الحديث باسم « indonesla » ولكى يدرك القارىء مدى مدلول استعمال هذه الكلمة — حديثا وقديما — نقدم له تعريفاً أولياً عن الوضع الطبيعى والسياسى للجزائر الأندونيسية، كما ذكره علماء التاريخ والجغرافيا .

الوضع الطبيعى :

قرر علماء التاريخ والجغرافيا أن الشعوب الأسيوية المنتشرة فى جزر المحيط الهادى والمحيط الهندى ، وفى شواطئهما الطويلة تفرعت من أصل واحد ، هو الأصل الأندونيسى ، الذى وجد فى هذه الجزائر قبل ميلاد المسيح عليه السلام بخمسة آلاف سنة ! وبنوا تقريرهم على الحقائق الثابتة للصفات واللغات والسمات التى تنسجم عليها هذه الشعوب فى حياتها الحاضرة فعرفوا بلدانها بكلمة جامعة تحوى الأصل والفرع ، وتربط أقصاها بأدناها ، هذه الكلمة الجامعة هى « indonesla » وهى كلتان ركبتا تركيباً مزجياً ، الكلمة الأولى « indos » بمعنى الهند والثانية « Nesos » بمعنى الجزائر فى اللغة اليونانية . وتشمل أندونيسيا الجزر والبلدان الواقعة فى شرق وجنوب آسيا ، وهى :

١ — جزر الفلبين . ٢ — تايلاند (سيام) . ٣ — أنام (الهند الصينية) . ٤ — بورما . ٥ — ملايا . ٦ — جزائر الهند الشرقية — جاوا ، سومطرة ، بورنيو — سيليبيس .

وأشهر حاصلاتها الزراعية : الأرز ، قصب السكر ، السمسم البن ، الشاى ، الدخان ، القطن ، البردى ، النارجيل ، الكينا ، المطاط ، الكاكاو ، النيلة ، الأناناس ، الفوفل ، القات ، الفلفل .

وأكثر معادنها المستخرجة : الذهب ، الفضة ، الفحم الحجرى ، النفط ، القصدير ، الألنيوم ، الحديد .

وأشهر حيواناتها : الجاموس ، البقر ، الخيل ، الغنم .

أما جوها فمعتدل : إذ تهب عليها الرياح من المحيطين ، والأمطار تتساقط عليها دواماً ، حتى جعلتها زمردة خضراء فى الشرق الأقصى ! ...

الوضع السياسى :

لما بدأ الاستعمار الغربي للشرق فى القرن السابع عشر ، شرعت حكومات إسبانيا والبرتغال وهولندا وانكلترا فى الفتح الاقتصادى للشرق الأقصى ، فأنشأت شركات تجارية تنقل المحصولات الزراعية الأندونيسية من الشرق إلى الغرب ، عن طريق الشرق الأوسط ورأس الرجاء الصالح . وكانت التوابل الأندونيسية أهم الصادرات من الشرق الأقصى لأوروبا . ولما تمكنت الشركات الأوروبية من السيطرة على الحياة الاقتصادية للشرق الأقصى ، اندفعت حكوماتها إلى ميدان السياسة الاستعمارية وفرضت سيادتها على البلدان الأندونيسية ، بعد قتال ومعارك عنيفة ؛ ففى هذا الظرف كانت فى أندونيسيا حكومة إسلامية مركزها مدينة ديمك « Demak » بجزيرة جاوة ، وحكومات أخرى فى سومطرة وبورنيو وملايا والجزر الأخرى .

فالدولة الأسبانية استعمرت الفيلبين التى تبلغ مساحتها ١١٤٫٠٠٠ ميل مربع ، والدولة الفرنسية استعمرت (أنام) التى تبلغ مساحتها ٢٨١٫٠٠٠ ميل مربع . وانكلترا استعمرت (بورما وملايا) اللتين تبلغ مساحتهما ٢٦٢٫٠٠٠ ميل مربع لبورما ، ٣٦٠٠٠ ميل مربع لملايا . وجاوة وسومطرة وبورنيو استعمرتها هولندا ، وتبلغ مساحتها ٧٣١٫٠٠٠ ميل مربع . أما تايلاند فقد حافظت على استقلالها .

وتطلق كلمة « أندونيسيا » فى العصر الحديث على المستعمرات الهولندية سابقا التى أشهرها الجزائر الآتية :

جاوة ، سومطرة ، بورنيو ، سيليبيس ، غينيا الجديدة ، جزائر الملوك ، بالى ، مادورا ، بنكا ، بليتون ، سمباوا ، تيمور ، فلوريس ، وتبلغ مساحتها ٧٣١ ألف ميل مربع ، وعدد سكانها

٧٥ مليون نسمة .

فى هذه الجزائر ظهرت الجمهورية الحديثة ، التى هى أول حكومة جمهورية فى الشرق الأقصى . وسنتابع الآن البحث عن التطورات السياسية التى حدثت فى أندونيسيا منذ فجر القرن العشرين حتى عام ١٩٤٥ ، ليقف القارىء العربى على أهم الحركات الاستقلالية التى قام بها الشعب الأندونيسى ، خلال خمسة وأربعين عاما .

لقد تأثر الشعب الأندونيسى بنتائج الحرب اليابانية الروسية فى عام ١٩٠٤ ، وزاد تأثره قوة الدعاية اليابانية الشهيرة ، بدعوة الشرق إلى ضم صفوفه للقضاء على الاستعمار الغربى . فكان انفجار القنبلة الأولى « الشرق للشرقيين » التى حفزت الشعوب الشرقية لمقاومة الاستعمار الغربى يهدر فى المحيط الشرقى فيرتجف الغرب له ، ويزيد فى تقوية مركزه . وفى ٢٠ مايو سنة ١٩٠٨ نهضت أندونيسيا الكبرى « indonesia Raya » نهضة قوية مركزة على أسس علمية حديثة . فقد أنشأ طلبة كلية الطب برئاسة الدكتور وحيدن بمدينة جاكرتا جمعية Boedl Oetomo أو النزعة الفاضلة للمقاصد الآتية :

١ — السعى لاستقلال أندونيسيا السياسى .

٢ — العمل لنشر الثقافة العالية .

٣ — العمل لإصلاح الحالة الاقتصادية

وفى شهر أكتوبر عام ١٩٠٨ عقدت الجمعية أول مؤتمراتها . فبلغ عدد أعضائها ١٠٫٠٠٠ عضو ، وهذا رقم يدل على قبول الشعب لمقاصد الجمعية .

كان أكثر المنتسبين للجمعية طلبة المدارس والكليات العالية وأبناء الأسر الراقية ، وانتشرت فروعها فى أنحاء أندونيسيا . تسعى لتحقيق مقاصد الجمعية ، وأشهر من قاموا بالدعاية للجمعية الدكتور شومو الذى أصبح فى عام ١٩٣٦ زعيما لحزب أندونيسيا الكبرى « Parindra » وشكرى أمينوتو الذى أصبح فى عام ١٩١٢ زعيما لحزب « الرابطة الاسلامية » . وتعتبر جمعية « بودى أوتومو » الحجر الأساسى للأحزاب الوطنية ، والدعامة الأولى فى صرح النهضة الأندونيسية الحديثة .

استطاعت جمعية بودى أوتومو إثارة الروح القومية ، وإشعال نار الحماسة فى نفوس الأندونيسيين . فأصبحت أندونيسيا أتونا يتقد ، وفى ١٠ سبتمبر سنة ١٩١٢ ظهر فى المسرح السياسى — الهولندى الأندونيسى — حزب سياسى له سلطته الدينية وقوته القومية ، هو حزب « Sjarekat Islam » برئاسة شكرى أمينوتو لتنفيذ الخطط الآتية :

١ — العمل لتحرير أندونيسيا السياسى التام .

٢ — الدفاع عن الإسلام .

٣ — توسيع نطاق التعليم ، وإصلاح الحالة الزراعية والاقتصادية .

وفى عام ١٩١٦ بلغ عدد أعضائه ثلاثة ملايين عضو . أما فروعه فمنتشرة فى المدن والقرى ، وللحزب أقسام عليا رئيسية هى : التشريع ، والقضاء ، والتنفيذ . وأقسام أخرى للشباب والرجال والمرأة والفتاة ، والتعليم ، والمالية ، والصحافة ، والنشر والرياضة ، والاقتصاد ، ودائرة كبيرة للتحكيم .

وأبرز أعضاء الحزب : مستر أغوس سالم ، وهو وكيل الحزب ، كان قنصلا للمفوضية الهولندية بمكة قبل نشوب الحرب العالمية الأولى ، ثم استقال واشتغل بالسياسة فى حزب الرابطة الإسلامية . وفى عام ١٩٢٣ مثل نقابات العمال الأندونيسيين بجنيف . وفى العهد الحاضر يتولى منصب وكالة وزارة الخارجية للجمهورية الأندونيسية . وفى عام ١٩٢١ انتخب عضوا فى المجلس النيابى « Volksraad » فى دورته الثانية عن حزبه .

وفى ٦ سبتمبر ١٩١٢ أنشأ الدكتور دويزديكر والدكتور شفتو ماعون كسومو والبروفيسور كى هاجر ديوانتارا حزب « insoelanda » أو الحزب الأندولندى ، قابلا أعضاءه من الهولنديين ما داموا ولدوا فى أندونيسيا . والحزب يسعى لاستقلال أندونيسيا . وفى عام ١٩١٣ نفت الحكومة الهولندية زعماء الحزب إلى الجزر الأندونيسية البعيدة عن المجتمعات المتحركة الحية . ثم فى عام ١٩١٤ نفتهم جميعا إلى هولندا مراعاة لمركزهم الاجتماعى لدى الشعب . وبهذا العمل ، قضت السلطة الهولندية على الحزب .

وفى مايو عام ١٩١٤ أسس المستر سنفليت الهولندى الحزب الاشتراكى الديموقراطى مع بعض زملائه الهولنديين ممن تشبعوا

الشيوعية الخُرَّمية

للأستاذ عباس حسان خضر

الخُرَّمية نسبة إلى خُرَّم بمعنى الفرح ، وأصحابها يحللون كل ما يريدون ويشتهون ، فيسمون مذهبهم مذهب الفرح .

وقد أخطر لى الكلام على هؤلاء الخرميين الشيوعيين الذين قاموا بأذربيجان منذ أحد عشر قرناً — تلك الحوادث الجارية فى ذلك الإقليم من شمال إيران المتاخم لروسيا . ولك أن تلاحظ صلاح تلك البيئة لنمو الأفكار الشيوعية ، فقد نشأت بها مذاهبها متجهة من الجنوب إلى الشمال : كانت المزدكية القديمة فى بلاد فارس ، ثم كانت الخرمية (موضوعنا) فى شمال فارس ولعل الفكرة قد تابعت سيرها إلى الشمال حيث استقرت فى روسيا فى عصرنا الحاضر شيوعية مغربلة منخولة ، نفى التنظيم الحديث منها كثيراً من العناصر الفوضوية القديمة ، حتى أصبحت نظاما من نظم الحياة فى هذا العصر ، له مبادئه وفلسفاته ، وله أنصاره ومعارضوه .

قامت الشيوعية الخرمية بتلك الأصقاع فى عهد المأمون ، واستطار شرها وعظم خطبها ، وهب إعصارها على الحضارة الإسلامية فى إبان ازدهارها ، فحشدت لها الدولة العباسية قوتها وظلت تكافحها عشرين سنة ، حتى أخمدت أنفاسها .

كانت الخرميةُ الميلادَ الثانى للشيوعية فى تلك البلاد ، بعد مزدك الذى ظهر فى عهد قباذ ملك الفرس ، فدعا إلى المشاركة فى كل شىء ، بحيث لا يُمْنَع أحد مما يشتهى ، كما دعا إلى ترك المنازعات والخصومات والحروب . ومال قباذ إلى هذا المذهب ، فلما ملك بعده ابنه أنوشروان قتل مزدك ، وقضى على الشيوعية الأولى . أما الخرميون فقد زادوا على المزدكية القديمة القتل والغصب والحروب ، وكانوا — إلى تلك الإباحية — يدينون بالتناسخ ، أى حلول الأرواح فى أجساد أخرى غير التى فارقتها ، وقد ادعى زعيمهم بابك الخرَّمى أنه إله ، حلت به روح كبيرهم الأول جاويدان

كان بابك فى حياته الأولى راعياً صغيراً فى قرية بأذربيجان، وقد زعمت أمه أنها نظرت إليه وهو نائم فرأت تحت كل شعرة من رأسه وصدره دما ، فلما انتبه من نومه اختفى هذا الدم ، فقالت

التى حملها المستر سنفليت من أوروبا . وهى الأفكار الاشتراكية الحديثة ، ولخشية السلطة الهولندية من انتشار الروح الشيوعية فى المجتمع الأندونيسى حلت الحزب الاشتراكى الديموقراطى ، وأرجعت إلى هولندا بعض زعمائه . أما سنفليت فمكث فى أندونيسيا .

ومبادىء الحزب الاشتراكى الديموقراطى ، القضاء على الرأسمالية الدولية ، وإنشاء قوة شعبية اشتراكية ، تمكن لأندونيسيا التحرر من الاستعمار الهولندى الذى يؤيده الأمبريالية العالمية .

وفى سبتمبر عام ١٩١٤ أنشأ بعض الزعماء الأندونيسيين حزب « Pasoendan » أشهرهم رادين أوتو اسكندر ديناتا . وكان الحزب يرمى إلى إيجاد رابطة شعبية مكونة من كبار الموظفين والتجار والصحفيين والأسر الراقية ، لتقود الشعب إلى ميدان الجهاد لتحرير أندونيسيا من السيطرة الهولندية . وفى عام ١٩١٧ ظهر فى جزيرة سومطرة حزب « Sjarekatsumatra » أو « رابطة سومطرة » قاصداً إلى توحيد الجبهات الشعبية فى جزيرة سومطرة للعمل متحدا فى حقل الميدان السياسى لمقاومة الاستعمار.

ولما نشبت الحرب العالمية الأولى قدمت الأحزاب السياسية الوطنية مذكرة إلى الحكومة الهولندية بانشاء حكومة أندونيسية وبرلمان ، فوعدت السلطة الهولندية الأحزاب السياسية بانشاء مجلس نيابى بعد أن تضع الحرب أوزارها . وفى ١٨ مايو ١٩١٨ افتتح المجلس النيابى « Volksraad » جلسته الأولى ، فجاء مخيبا لآمال الوطنيين ، إذ كانوا يرمون إلى إنشاء برلمان وحكومة وطنية . وانتخب أعضاؤه من الأندونيسيين وعددهم ثلاثون عضوا ، ومن الهولنديين وعددهم خمسة وعشرون عضوا ، ومن الشرقيين خمسة أعضاء . ودل هذا الانتخاب على أن هذا المجلس ليس مجلساً نيابيا أندونيسيا ؛ بل هو مجلس هولندى ، فما نسبة ثلاثين عضوا من سبعين مليون نسمة ؟ ! .. إنها نسبة تتضاءل جدا أمام هذه الأرقام الهائلة !

(البقية فى العدد القادم)

محمد جنيدي

إنه سيكون لابني نبأ جليل ..

اتصل بابك بجاويدان ملك الخرمية ، فقربه إليه ، لما رأى من فطنته وخبثه وشهامته . فلما مات جاويدان استدعت امرأته بابك وقالت له : إنك جلد شهم ، وقد مات ولم أرفع بذلك صوتي إلى أحد من أصحابه ، فتهيأ لغد ...

فلما أصبحت تجمع إليها جيش جاويدان ، فقالوا : لمَ لمْ يدعنا ويوصي إلينا ؟

قالت : ما منعه من ذلك إلا أنكم كنتم متفرقين في منازلكم من القرى ، وأنه إن بعث إليكم وجمعكم انتشر خبره ، فلا يأمن عليكم شِرّةَ العرب ، فعهد إليّ بما أؤديه اليكم .

قال لي : إني أريد أن أموت في هذه الليلة ، وإن روحي تخرج من بدني ، وتدخل في بدن بابك ، وتشترك مع روحه ؛ وإنه سيبلغ بكم أمراً لم يبلغه أحد ، وإنه يملك الأرض ويقتل الجبابرة ، ويرد المزدكية ، ويعز به ذليلكم ، ويرتفع وضيعكم .

فآمن القوم ببابك ، وتزوجته امرأة جاويدان . ومن غريب ما جرى في الاحتفال بهذا الزواج أنهم أتوا ببقرة ، فقتلوها ، وسلخوها ، وبسطوا جلدها ، وجعلوا فوقه طستاً مملوءاً خمرا ، ووضعوا خبزا حوالي الطست ، فكان كل رجل يأتي يأخذ لقمة ويغمسها في الخمر ويأكلها ويقول : آمنت بك يا روح بابك ، كما آمنت بروح جاويدان .

أخذ بابك ومن معه يعيثون في الأرض فسادا ، وينشرون مذهبهم الإباحي . وبلغ المأمون خبره سنة ٢٠١ هـ الموافقة لسنة ٨١٦م ، فاهتم بأمره ، وعزم على مطاردته ، والقضاء على مذهبه ، وتعاليمه الضارة بنظم الحياة والاجتماع ، والمضادة لتعاليم الإسلام ، والمنذرة لأركان الحضارة الإسلامية بالتصدع والانهيار . فوجه المأمون إلى بابك أربعة من قواده في أربع حملات متعاقبة ، فلم يستطيعوا التغلب عليه ، لمكانه الحصين ، وقوته الكبيرة ، وشدة تأثيره في قلوب جمهوره . وأدركت المأمون منيته قبل أن يتمكن من القضاء على الخرمية الإباحية ، فكان من وصيته لأخيه المعتصم أن كتب له : « والخرمية فاغزهم ذا حزامة وصرامة ، واكنفه بالأموال والسلاح والجنود من الفرسان والرجالة ، فإن طالت مدتهم فتجرد لهم بمن معك من أنصارك وأوليائك واعمل لذلك عمل مقدم النية فيه ، راجيا ثواب الله عليه » .

وفي أول عهد المعتصم استفحل أمر الخرمية في أذربيجان ، ودخل فيه خلق كثير من أهل الجبال وهمذان وأصبهان وغيرها ؛ ولكن المعتصم شمر عن ساعد الجد ، وبذل جهده في الخلاص من هذا الشر ، فاختار لحرب الخرمية قائداً من كبار قواده ، هو المعروف بالأفشين ، وسيره إليهم في سنة ٢٢٠ هـ على رأس جيش منظم ، فدبر الأفشين أمر القتال ، وأحكم تدبيره ، ووزع قواده على الحصون والمعاقل لحراسة القوافل والسابلة ، وأطلق عيونه وجواسيسه حتى يعرف خطوات الثائر وحركاته . واستمر يحاربه سنتين ، حتى انتصر عليه في سنة ٢٢٢ هـ الموافقة لسنة ٨٣٧م .

وفر بابك متنكرا حتى نزل مكانا بأرمينية ، فعرف خبره سهل بن سنباط أحد بطارقة أرمينية ، فذهب إليه ، وسلم عليه بالملك ، وقال له : قم أيها الملك إلى قصرك الذي فيه وليك ، حيث تكون في أمان من عدوك . فسار معه إلى قصره ، ورفع سهل مجلسه وعظمه ، وقدمت المائدة ، وجلس يأكل معه ، فاستشعر بابك جبروته غافلا عما يدبر له فقال لسهل : أمثلك يأكل معي ؟ فقام سهل وقال : أخطأت أيها الملك ، وأنت أحق من احتمل عبده . ودخل حداد كان سهل أرسل في طلبه ، فقال لبابك : مد رجلك أيها الملك . والتفت إلى الحداد قائلا : أوثقه بالحديد . فقال له بابك : أغدرا يا سهل ؟ قال سهل : يا ابن الخبيثة ، إنما أنت راعي غنم وبقر ، ما أنت والتدبير للملك ونظم السياسات ؟ وسلمه إلى الأفشين ، فأرسله إلى الخليفة بسامرا ، فأمر بقتله وصلبه .

وكان يوم دخول الجيش ببابك مدينة سامرا يوما مشهودا ، خرج فيه الخليفة ، ومعه أشراف الدولة ، فاستقبلوا الأفشين استقبالا باهرا ، وكان فرح المعتصم عظيما ، حتى إنه كان يرسل إلى قائده الباسل في صبيحة كل يوم حلة شرف ومعها الهدايا الثمينة .

وجلس الأفشين للشعراء ، يستمع إلى أشعارهم في الثناء عليه إذ أراح الناس من شر ثائر روع البلاد والعباد عشرين عاما ، قتل فيها مائتين وخمسة وخمسين ألف إنسان ، وأسر ثلاثة آلاف وثلثمائة رجل وسبعة آلاف وستمائة امرأة ، وقد ظلوا في أسره حتى أنقذهم الأفشين .

عباس حسان خضر

الطاقة الذرية

وكيف صارت سلاحا حربيا

(بقية ما نشر في العدد الماضي)

الفعل الرديومي الصناعي :

بين « جوليو » فى العام التالى . أى عام ١٩٣٣ . إن من الممكن صناعياً تحويل عدد كثير من الذرات إلى ذرات ذات فعل رديومى . أى أصبح فى الإمكان صناعة مواد كثيرة ذات فعل رديومى بأية كمية مطلوبة . وفى عام ١٩٣٤ كشف العالم الإيطالى « فيرمى » وزملاؤه بروما ، أنه عند تصادم أثقل العناصر المعروفة وزناً أى اليورانيوم بالإلكترونات ، أعطى اليورانيوم ذرات معروفة ؛ وذلك طبقاً لإحكام إحلال الفعل الرديومى . وتدل هـذه النتائج على ما يظهر أن من الممكن الحصول فى المعمل على ذرات أعلى فى عددها الذرى من الذرات الموجودة فى الطبيعة . وقد دلت الدراسات والتجارب التى أجريت بعد ذلك على أن عدد العناصر « عبر — اليورانيوم » (trans — uranium) المتكونة كثير شاذ ، على أن البحوث الكيميائية الدقيقة التى أجريت فى نفس الوقت للتعرف عن نوع الذرة الناشئة بذرات تلك العناصر التالية لليورانيوم مباشرة فى العدد الذرى أو الوزن قد فشلت .

انقسام اليورانيوم إنقساماً ذاتياً :

وفى يناير من عام ١٩٣٩ كشف العلم أيضاً عن نتيجة فى غاية الخطورة . فقد أيد « أوتو كاهن » وزميله « ستراسمان » ببرلين الحقيقة الثابتة التى نصت على أن ذرات اليورانيوم يمكن شطرها مع إطلاق كمية هائلة من الطاقة . وقد توصلا بجانب هذا إلى كشف آخر فى غاية الأهمية ، وهو الذى نص على أن أحد مركبات « عبر اليورانيوم » . هو عبارة عن نظير (isotope) العنصر « باريوم » الذى فى عدده الذرى وكتلته لا يختلف اختلافاً تاماً عن نصف العدد الذرى وكتلة اليورانيوم . وقد كان من فطن العلماء عقب هذا مباشرة أنه ينشأ عند استحالة اليورانيوم تفاعل نووى يختلف اختلافا تاماً عن أى تفاعل درس حتى هذا الوقت ، بمعنى أن ذرة اليورانيوم وهى ذرة كبيرة جداً ، لا بد وأن نفرض بأنها قد انقسمت إلى قطعتين ، وأن هاتين القطعتين تحتويان على ذرتين عاديتين وزنهما متوسط . ولما أضيف وزن هاتين الذرتين كل منهما إلى الآخر وجد أن الوزن الكلى أقل بمقدار محسوس عن وزن ذرة اليورانيوم ، وأن النقص فى الوزن قد ظهر فى شكل طاقة منبعثة ، وأن هذا التأثير أقوى عشرين مرة من أى تأثير من نوعه كشف عنه العلم من قبل . وفى الحال بدأ الباحثون فى الكثير من بلدان العالم فى إجراء بحوث دقيقة شاملة لمعرفة ماهية انقسام ذرة اليورانيوم انقساماً ذاتياً .

وفى بحر شهور قليلة توصل « جوليو » وزملاؤه بباريس إلى الكشف عن أدلة بينوا بها أن ذرة اليورانيوم عند انقسامها إلى ذرتين ينطلق منها فى الوقت نفسه عدة نيوترونات — من المؤكد أكثر من اثنين — أى أصبح من الممكن إذن الوصول إلى سلسلة من التفاعلات مبنية فى شكل متوالية هندسية . فلنفرض أن فى متناولك كتلة من اليورانيوم أطلق فيها نيوترون واحد . النتيجة أنه يصحب استحالة ذرة واحدة من اليورانيوم انطلاق ٢ نيوترون على الأقل ؛ وأن ال ٢ نيوترون يسببان استحالة ذرتين أخريين من ذرات اليورانيوم ، وينتج من هذا انطلاق ٤ نيوترون على الأقل . وتستمر العملية على هذا المنوال حتى تحدث استحالة عامة فى الكتلة . وقد كان من الواضح الجلى أنه من الممكن باستخدام عملية كهذه الوصول إلى منبع هائل من الطاقة .

وفى ربيع عام ١٩٣٩ وقت أن كان الأستاذ « نيل بور » يزور أمريكا ، وضع مع الأستاذ « هويلر » بجامعة برنستاون بمقاطعة نيوجرسى نظرية فى عملية الإنقسام الذاتى . وعلى أساس هذه النظرية تكهن العلماء أن من بين نظائر اليورانيوم الثلاثة المعروفة ب « نم ٢٣٨ ، نم ٢٣٥ ، نم ٢٣٤ » (« نم » هو الرمز الكيميائى لليورانيوم باللغة العربية) إن من المتوقع أن النظير الشائع (نم ٢٣٨) ينقسم انقساماً ذاتياً فى حالة ما إذا كانت النيوترونات المنطلقة ذات طاقة عالية فقط . وأن (نم ٢٣٥) النادر الوجود لا ينقسم انقساماً ذاتياً إلا إذا كانت طاقة النيوترونات ، أو بعبارة أخرى سرعة النيوترونات ، المنطلقة بطيئة جداً . وقد تأيدت تلك التكهنات فى مارس من عام ١٩٤٠ . بتجارب اجراها « نير » (بجامعة مينيسوتا) ، بود ، داننيج :

جروس بجامعة « كولومبيا بنيويورك » وقد نصت تجاربهم على استخدام عينة من اليورانيوم زيدت فيها كمية (نم ٢٣٥) عن الكمية العادية بواسطة « الأسبكتروغراف الكتلى » الذى اخترعه « نير » .

وعند تصادم اليورانيوم بنيوترونات ذات طاقة معينة معتدلة. تكون نظير له عدد ذرى يساوى ٩٤ . وقد تكهن العلم أيضاً على أساس نظرية « بور — وهويلر » أن هذا النظير — الذى أطلق عليه اسم « بلوتونيوم » وعبر عنه بالرمز الكيميائى (Pu٢٣٩) يمكن انقسامه انقساماً ذاتياً بنفس السهولة التى ينقسم بها « نم ٢٣٥ » .

انطلاق الطاقة الذرية :

كان الكشف عن انقسام اليورانيوم انقساماً ذاتياً بمثابة قوة دافعة حركت أذهان كل المهتمين بالبحث فى هذا الفرع من العلم. فبدأ فى الحال الأستاذ « جوليو » وزملاؤه بباريس والأستاذ « فيرمى » وبعض علماء الطبيعة الذرية الآخرين فى الولايات المتحدة الأمريكية ، والسير جورج تومسون وزملاؤه فى لندن ، فى إجراء التجارب بقصد الوصول إلى طاقة ذرية منبعثة يمكن ضبطها .

وقد دلت التجارب التى توصل إليها العلماء فى لندن ، والتى أيدها زملاء الأستاذ جوليو بعد وصولهم إلى انجلترا بتجارب كانوا قد أجروها مستقلين قبل هذا بباريس ، على أن الأمل كبير فى استخدام الطاقة الذرية كمنبع للقوة . ولما كانت النتائج فى هذا الوقت ليس لها أهمية حربية منتظرة أبطلت البحوث فى هذا الموضوع فى لندن .

وفى الشطر الأول من عام ١٩٤٠ اقترح على الحكومة كل من الأستاذ شادويك والدكتور « فريش » والأستاذ « بيرلس » كل على حدة أنه من الممكن الحصول على فرقعة هائلة على جانب كبير من الخطورة إذا استبدل النظير النادر « نم ٢٣٥ » باليورانيوم العادى . وعليه ألفت الحكومة لجنة من العلماء المختصين تحت رئاسة السير جورج تومسون ، وبدأت عملها أولا فى جمع كل المعلومات العلمية التى ظهرت فى هذا الموضوع وقد تطور البحث الذى كان قد بدأ فى ليفربول تحت إشراف السير جيمس شادويك بتعيين الدكاترة فريش وروتبلات مساعدين له . ولما أخذت البحوث تترى ظهرت هناك مسائل أخرى لها علاقة بهذا الموضوع . وعليه ساهم معمل « كافنديش » المشهور بكمبردج بنصيبه فى هذا البحث الخطير تحت إشراف الدكاترة « فيذر ، برتشر » وقد أجريت التجارب فى فصل « نم ٢٣٥ » فى معمل كلاردندون تحت أشراف الدكتور « سيمون » يعاونه فى البحث من الناحية الكيميائية الأستاذ « هوارث » . وقد أجريت البحوث أيضاً فى الكلية الامبراطورية للعلوم والفنون بلندن . وقد أجرى البحوث من الناحية النظرية الأستاذ « بيرلس » يعاونه الدكتور « فوش » وغيرهما من العلماء . وذلك بجمع المعلومات التجريبية من مختلف المعامل . وقد وضعت اللجنة فى ١٥ يولية سنة ١٩٤١ تقريراً أثبتت فيه إمكان تحضير سلاح حربى له قوة تخريبية لا مثيل لها ، أى استخدام الطاقة الذرية كسلاح حربى :

وقد تطور البحث فى هذا الموضوع فى نفس الوقت فى الولايات المتحدة الأمريكية . ولما اقترح المرحوم الرئيس روزفلت فى عام ١٩٤١ تبادل المعلومات والنتائج بين الباحثين البريطانيين والباحثين الأمريكيين وافق المستر تشرشل على هذا الاقتراح . وعليه قدم فريق من العلماء الأمريكيين إلى انجلترا لمعرفة مقدار تطور البحث فى بريطانيا . وفى فبراير من عام ١٩٤٢ رحل فريق من العلماء البريطانيين إلى أمريكا . واستمر العمل بعد ذلك فى انجلترا وأمريكا فى جو يشوبه التعاون التام بين البلدين . أما فى انجلترا فقد زيد فى عدد العلماء الباحثين؛ وانضمت جامعتا برستول ومانشستر ، ووضع لكل منهما برنامج بمسائل للبحث فيها . ولما اشتدت الغارات الجوية على بريطانيا أصبح من الضرورى نقل الكثير من المجهود البريطانى إلى أمريكا . وفى أواخر عام ١٩٤٣ رحل العدد الكبير من الفريق البريطانى إلى أمريكا للعمل مع زملائهم هناك . وقد كان من تأثير هذا النقل أن وقع معظم الحمل على عاتق الولايات المتحدة الأمريكية . وقد تم استخراج المواد

الخام اللازمة من كندا . واشتغل العلماء الأمريكيون والكنديون والبريطانيون جنباً إلى جنب فى جو يشوبه التعاون التام والإخلاص لغرض واحد . والعالم أجمع يعرف الآن نتيجة تلك الجهود الموفقة وهو فوز لا نظير له فى التاريخ . فوز فى تطبيق المعلومات الجديدة لتركيب الذرات ونواتها . وقد اشترك علماء الكثير من الدول فى الوصول إلى هذه النتيجة الباهرة التى لا مثيل لها فى تاريخ العلوم . ولكن الفخر كل الفخر يرجع بلا شك لرثرفورد الذى عاجلته المنية منذ بضع سنوات قبل تطبيق هذا الفرع الجديد من العلم تطبيقاً ناجحاً ، والذى ساهم فيه رثرفورد بنصيب وافر .

المستقبل :

قد رأينا كيف استخدمت الطاقة الذرية كسلاح حربى فى غاية الخطورة. بيد أنه من الممكن استخدامها فى الوقت نفسه فى الكثير من النواحى لسعادة المجتمع بنجاح تام وفائدة لا مثيل لها فمن الممكن مثلا استخدام المفرقعات الذرية لتحويل الاصقاع . ومن الممكن أيضاً استخدامها للحصول على حفرة هائلة فى الحجم وخنادق فى الأرض وتحويلها إلى بحيرات وأقنية أو مصارف . وبهذا يصبح فى الإمكان إنشاء بحيرات فى وسط الصحراوات . أى يمكن تحويل أردأ بقاع الأرض إلى واحات وأراض خصبة . ومن الجائز أيضاً توليد كميات هائلة دائمة من الحرارة فى المناطق القطبية الثلجية وبهذا يمكن تحويل القطب الشمالى مثلا إلى منطقة للراحة والاستجمام .

ومن المنتظر فى القريب العاجل تطبيق منبع الطاقة الجديدة لتحريك السفن والقاطرات . أو على الأقل يمكن استخدام الطاقة الذرية للوصول إلى قوة بدون الدخان والقذر المألوف .

وستنتج معامل الطاقة الذرية كميات هائلة من مستخرجات المواد الرديومية يمكن توزيعها على الجامعات لإجراء بحوث أخرى شاملة ، وعلى المستشفيات للبحث واستخدامها فى الأغراض الطبية العديدة . وقد أمكن الآن إنتاج عناصر جديدة بكميات محسوسة . فإذ ما تصادمت النيوترونات بسرعة محدودة مع نظير اليورانيوم الأكثر ثقلا ، كتلته ٢٣٨ وحدة ، وقعت سلسلة من التحويلات ، يتغير فيها اليورانيوم أولا إلى « نبتيونيوم » ثم إلى « بلوتينيوم ولكل من هذين العنصرين اللذين ليس لهما وجود فى الطبيعة خواصه الكيميائية الفريدة . فالنبتيونيوم ذو فعل رديومى يتحول نصف وزنه إلى بلوتنيوم فى فترة أكثر من يومين بقليل . ولما كان البلوتينيوم يتبع نظرية الانقسام الذاتى أصبح من الممكن استخدامه فى انبعاث الطاقة الذرية .

فالعلم إذن قد كشف عن عناصر جديدة من المادة فى الوقت الذى كشف العلماء فيه عن قوة فتاكة . فما ذا عسى أن يكون مأربه الجديد ؟ هل البحث عن تطورات جديدة فى الحياة ؟

عن النشرة العلمية الانجليزية

هتــــاف ... !

للاستاذ أحمد عبد المجيد الغزالى

هاتف ، عله الذى أتمنى ... من وراء الغيوب ، روحاً وفنا

عشقت روحه الزكية روحى ... فتى تلتقى العيون ؟ وأينا ؟

هو فى خاطرى رؤًى ؛ وبقلبى ... حــلم راعه زماناً فجنا

هو ظلٌّ نديتُه بدُموعى ... وتفيأته ســلاماً وأمنـا

هو نورٌ هدى يقينى ، ونارٌ ... صليتْها شكوكُ قلبى المعنَّى

هو فى الزهر والفراش تراءى ... لخيالى ، وفى الشعاع استكنَّا

* * *

عله الهاتفُ السرُّ لى الشو ... قَ ملحاً ، فكنتُ كلى أذنا

أسمع الصوت فى «المسرة» حلواً ... عبقرياً ، يهتزُّ نايًا ولحنا

يرقص الكونُ كله من حوالىَّ ... فأفنى فى الكون طيراً وغصنا

شارداً فى عوالم الوهم ، هل آ ... ن لهذا الطريد أن يطمئنا ؟

* * *

إيه يا هاتف « المسرة » أشرق ... إن لى مقلة بليلك وسنى

آن أن يشرق الصباح عليها ... لترى الكون بين عينيك كونا

رباعيــات عثمان

للاستاذ عثمان حلمى

يا أخى إن قرأت هذا الكتابا ... بعد أن صرت فى التراب ترابا

لا ترع وابتسم فسخرك بالدنـ ... ـيا صواب إذا ضللت الصوابا

وتذكر أنى حكيتك فى الأر ... ض غروراً وبهجة وعذابا

صورة منك كان قلبى وقبلى ... من حكانى كهلا بها وشبابا

* * *

لا جديد بالليل أو بالنهار ... وقديم ما جدَّ فى الأخبار

فوليد فى مهـده وفقيد ... صرعته مخالب الأقـدار

والليالى هى الليـالى كما كا ... نت قديما سلالة التكرار

قمرٌ جدَّ فى المسير وشمسٌ ... لاحقتها النجوم فى التيار

* * *

فالعجيبُ العجيبُ غيرُ عجيبٍ ... ومريبُ الأمورِ غيرُ مريب

والذى أنت فيه صورة ما فا ... تَ ولون القديم لونُ القشيب

فابتسمْ ما استطعتَ واسخر إذا اسطعـ ... ـت بما جدَّ من جديد الخطوب

إنَّ جدَّ الحياة أخلق بالسخـ ... ـر وأجدى لا بالأسى والنحيبِ

* * *

كلُّ ما أنتَ مبصرٌ لك يُغرى ... لو تأملت بابتسامة سخرِ

ليت شعرى أىُّ النفوس وإن جـ ... ـلَّ خلا من ضعف به ليت شعرى

وزوايا النفوس فيها كثير ... من خفايا غرورها المستقرّ

فابتسم يا أخى إذا جدَّ أمرٌ ... ساخراً إن فطنتَ من كلّ أمر

* * *

ضــائع ما أفاده كلُّ حىٍّ ... من جميل محببٍ ورَدىّ

ما أفاد الذكىُّ فى الكدح إلاَّ ... ما أفادت فى الكدح نفس الغبىّ

تَعبٌ غيرُ مثمر فوق ثرى الأر ... ض تساوى سعيدُها بالشقىّ

وعناء لا ينقضى يتساوى ... جاحدٌ فى عنائه بالتقىّ

* * *

أىُّ جهدٍ جزاؤهُ أىُّ رجاء ... فوق هذا الثرى وتحت السماء

إن تساوت مصائر الناس يوما ... بمصير البهيمة الخرساء

من تراب إلى تراب ومن محـ ... ـض فناء حق لمحض فناء

يتلاقى الجهول فيه وذو الحكـ ... ـمة والأقــوياء بالضعفاء

* * *

فعلامَ الأسى على غير مجدٍ ... بين ماضٍ ومقبلٍ مستجدّ

واقعٌ ما أُعدَّ فى الغيب لا تسـ ... ـطيع نفسٌ تبديل حتم المعَدّ

ومحالٌ عليكَ ردُّ الذى فا ... تَ محالٌ إرجاء ساعةِ فقد

عاجز أنتَ يا أخى عجزَ أهل الأ ... رض عن ردِّ فائتٍ مسترد

* * *

كلُّ غادٍ أو رائحٍ غيرُ غادٍ ... يتولى بغصةٍ فى الفؤاد

والذى لم يرِ الحياة وإن كا ... ن جماداً أسعدٌ به من جماد

ساعة الموت لو تأملت فى السا ... عات خيرٌ من ساعةِ الميلاد

منتهى هذه الحياة فسادٌ | مبتدٍ فى نشوئه من فساد

* * *

هذه سنة الحياة ولولا | جهلنا لم نقم على الأرض نسلا
راحة جهلنا الحقيقة بالخلا | ق فزدنا بالحق والخلق جهلا
فمن الجهل راحة ورضاءٌ | ورضاء النفوس بالعجز أولى
إنّ عقل الإنسان لم يك يوماً | بخفايا الوجود للفهم أهلا

* * *

إن عجزى عن فهم أسرار روحى | ثم بخلى بالنفس بخل الشحيح
من مُلحٍ من الغرائز فيها | تتجلى قناعتى وطموحى
فى حياة منها الصحيح تساوى | فى احتكام النهى بغير الصحيح
لم يدع لى من مطلبٍ فى وجودى | غير سعيٍ وراء كل مريح

* * *

ولقد جزتُ من حياتى عُمرا | ذقت فيه الحياة خيراً وشرا
وبلوت الأمور فى هذه الأيـ | ـام فيها عرفتُ طياً ونشرا
كلما زدت بالمقادير خبرا | زادت النفسُ بالمقادير سُخرا
وانتهى بى المطاف أنى رأيت الـ | ـيأس فى الناس راحة لى كبرى

* * *

بين يأسى أحيا وبين رجائى | لا أبالى بشقوةٍ أو هناء
لا أبالى أسارَ زيدٌ أمامى | دون حقٍ أو سار زيد ورائى
علمتنى الأشياء كيف أرى الشىء | بعينٍ لم تُمعن بالأشياء
وسواء لو تغرب الشمسُ فى المشـ | ـرق أو لا تنير جوف السماء

* * *

لا أبالى إن مر ركب الوزير | بىَ بين التهليل والتكبير
أو هوى صاعق على الأرض لا يخشـ | ـى فؤادى ماذا يكون مصيرى
وضميرى أرحته وكفانى | أننى لم يثر علىَّ ضميرى
لى وحدى تقدير من هو أولى | باهتمامى فى الخلق أو تقديرى

* * *

كل كسبى من التجارب أنى | عشت فى الأرض عيشة المطمئن
وكفانى من كل ما أتمنى | أننى لا أطيلُ فيه التمنى
إن تجنّى علىّ من يتجنى | دون حق بسمتُ للمتجنى
وكفانى أن نلت منه بسخرى | ضعفَ ما نال بالحماقة منّى

* * *

أنا فى موكب الحياة أسير | فى زحامٍ على الزحام يمورُ
موكبٌ دائبُ السير فما يعـ | ـروه كلٌّ أو يعتريه فتور
صاحبٌ فى غروره لم يفارقـ | ـه طوال الزمان هذا الغرور
لا يبالى بمن تخلف أو يعـ | ـنى بمن كَلَّ أو دهاه قصور

* * *

ولقد حار فى وجودىَ فكرى | وتبرمتُ فاستعنتُ بصبرى
وأخذت الحياة باليسر حتى | لم يضق بالحياة والناس صدرى
لا أرى أن أكون غِرّاً ولا أر | ضى لنفسى فى الناس تفكير غرٍّ
كيفما كانت الأمورُ فإنى | لم تفارقنىَ ابتسامة سخرى

* * *

فوجودى ما لى يد فى وجودى | لا ولا فى النحوس أو فى السعود
غفر الله للجدود فما أر | غب فى أن أعيد حمق الجدود
لا أرى الأرض بعد ما ملأ النا | س فضاها تواقة لمزيد
خلنى خلنى فنفسىَ أولى | باهتمامى من كل وجهٍ جديد

* * *

ما كفى ما أحاطنى من قيود | فأزيد القيود فى التعقيد
علم الله ما يخبئه الغيـ | ـب لنفس السعيد والمجدود
هكذا تسخرُ الطبيعةُ بالخلا | ق وتغرى نفوسهم بالخلود
ويصيب العمى القلوب فما تبـ | ـصر ما فى الثرى وما فى اللحود

* * *

جاء من جاء فى الوجود ومرَّا | نخيال على الثرى ما استقرا
ضاقت الأرض بالجميع فألفوا | جوفها للجميع أوسع صدرا
أكلتهم من بعد ما أكلوها
فاسأل الأرض فهى بالناس أدرى
ما لها أنبتت من الرّم أثمـ | ـاراً طعاماً للآكلين وبذرا

* * *

ربَّ تفاحة كخد صقيل | نبتتْ من صميم خدٍّ صقيل
مضغتها الأضراس ثم طواها | فى ظلام الأحشاء جوفٌ ثقيل
والليالى بالهمس تضحك من كـ | ـلٍّ قبيح وكلٍّ زاهٍ جميل
كالرحى ما تنى عن الطحن أو تسـ | ـكن فى سمعها سكون ملول

(الاسكندرية) عثمان حلمى



توفيق الحكيم وقواعد الفن :

لا يزال فى كتابنا النابهين من يكتب بالسليقة فلا يكلف نفسه عناء الرجوع إلى معاجم اللغة ، أو النظر فى قواعد الاعراب ، أو البحث فى أصول الكتابة . وقد ساعدهم على الإخلاد إلى هذا الكسل الأدبى إغضاء النقد وغفلة القراء . وعاقبة هذا الكسل وخيمة على الفن فى ذاته ، وعلى الفنان فى مستقبله .

ومن أقرب الأمثلة على الخروج عن قواعد الفن الأولية أن صديقنا الأستاذ توفيق الحكيم قد سمح لحماره أن يتدخل فى فنه ، فنشر فى عدد السبت الماضى من (أخبار اليوم) أقصوصة جعل عنوانها (وكانت الدنيا) ، ومن حول هذا العنوان كتب بخط ظاهر : قصة العدد خيالية . ثم بدأها بقوله : « لماذا تمرد إبليس ؟ قصة ذلك مدونة جاءت بها الكتب السماوية ولا سبيل إلى الشك فيما روت ؛ ولكن خيال الروائى يجنح أحيانا إلى اختلاق صور أخرى للحادث الواحد ، ولا بأس من عرض إحدى هذه الصور على سبيل التفكهة لا الاعتقاد » . ثم نقل عن (أبى الفداء) كلاما فى إبليس ، ثم قال بعد ذلك : « وتبدأ قصتنا هذه المخترعة بعد أن تم خلق آدم ... الخ » .

فهل يجوز للقصصى أو الروائى أن يفضح سر فنه للناس فيقول لهم أول مايقول : إن هذا الحادث الذى ستقرأونه أو ستسمعونه أو ستشاهدونه اختلاق محض وكذب صريح ؟ وهل يسمح لنفسه كاذب أو فياش من عامة الناس أن يبدأ حديثه الذى احتشد له وافتن فيه بأنه تلفيق أو إغراب أو مبالغة ؟ إن المحدث متى اعترف بكذب حديثه أول الأمر جرده من اللذة والفائدة فلا يهتم له السامع أو القارئ مهما كان موضوعه طليا وعرضه فنيا ؛ ولذلك شرطوا فى القصة أو الرواية الصدق أو قابلية الصدق (La Vraisemblance) وأوجبوا على القصاص أو الروائى أن يستعين على تمثيل الحقيقة بالخداع الشعرى أو المسرحى L' illusion poétique ou théâtrale محافظة على التأثير والتشويق ، وحرصا على التوفيق بين الفن والحقيقة . ويظهر أن الذى دفع الأستاذ الحكيم إلى هذه المخالفة الفنية ، مخالفة الأقصوصة للنصوص الدينية ، ولكنه كان حقيقاً بأن يحتال بفنه على أن يمكن القارىء من فهم ذلك بنفسه ، أو بأن يختار من الموضوعات ما يستطيع التوفيق فيه بين فنه واعتقاده .

هيج أوهاج لا أهاج :

جاء فى (رسالة لم تنشر للجاحظ[1]) الجزء الأخير فى مجلة (الكاتب المصرى) الغراء :

« وأهاج التبلد » .

واليقين كل اليقين أن هذا من تحريف الناسخين ، فبعيد بل محال أن يقول أبو عثمان (أهاج) وإنما يقول (هيج أوهاج) « وهاجه غيره يتعدى ويلزم » .

السهمى

جامعة هارفرد تهتم بالشرق العربى :

تبدى حكومة الولايات المتحدة اهتماما شديدا بالشرق الأدنى والأوسط كما يستدل عليه من خطاب الرئيس ترومان الأخير فى شيكاغو فى احتفال « يوم الجيش » . وقد رددت صدى هذا الاهتمام الصحف والمجلات والراديو والأندية السياسية وغيرها من المعاهد التى تهتم بشؤون الشرق .

ومن أدلة هذا الاهتمام أن جامعة هارفرد — كبرى جامعات أميركا — عقدت مؤتمرا للبحث فى شؤون الشرق الأدنى والأوسط برعاية دائرة الدروس الحكومية لتلك الجامعة ، وذلك فى اليومين الثالث عشر والرابع عشر من شهر نيسان — ابريل — وقد كان بين المشتركين فى البحث بهذا المؤتمر الأستاذ جيمس لاندس — عميد مدرسة الشريعة فى جامعة هارفرد والمستشار الاقتصادى لحكومة الولايات المتحدة فى الشرق الأوسط أثناء الحرب الأخيرة — والأستاذ كارل فريد ريخ أحد أساتذة الجامعة المذكورة — والأستاذ وليم رابارد — أحد أساتذة جامعة جنيفا ورئيس لجنة الوصايات سابقا فى جمعية الأمم المنحلة .

(١) نشرها الأستاذ طه الحاجرى .

وقد طلب القائمون بالمؤتمر من معهد الشؤون العربية الأميركية إرسال ممثل عنه للاشتراك في أبحاث المؤتمر ، فلبى المعهد الطلب وندب عنه الدكتور خليل طوطح الذى اشترك فى جميع أبحاث المؤتمر وخطب مظهرا أهمية معرفة الشرق العربى عن كثب، وبالاختبار لا بالمطالعة ، ومن الوثائق الرسمية فقط . ولفت الأستاذ طوطح أنظار الحاضرين إلى أهمية البعث العربى الأدبى والسياسى والاجتماعى الذى شمل جميع أقطار الشرق العربى ، ولا يزال من أهم عوامل تقدمه فى جميع مرافق الحياة ومظاهرها . وأشار بوجه خاص إلى التقدم فى طبقات الشعب المتوسطة وبين الفلاحين والعمال . فقال إن كلمة « أفندى » لا تعنى طبقة خاصة من الناس تمتاز بشىء عن غيرها ، واستشهد على ذلك بنفسه ، وبالعصامى المعروف السيد عبد الحميد شومان . فقال أنا أدعى أفندى مع أننى ابن فلاح وكذلك السيد شومان الذى هاجر إلى الولايات المتحدة وأحرز ثروة لا بأس بها فى شارع واشنطون — نيويورك — قبل أن عاد إلى فلسطين وأسس مصرفا عربيا فى القدس له فروع مختلفة فى مدن فلسطينية عديدة ، وفى غير فلسطين من الأقطار العربية المجاورة .

يوم ولا كالأيام !

هكذا كان عنوان إحدى المقالات الرائعة فى الرسالة . وفى تركيب هذا العنوان ما يؤدى لغة إلى عكس ما قصد إليه الأستاذ الكاتب ؛ إذ أن المعنى الحقيقى لهذا التركيب : إنه يوم لم يبلغ أن يكون فى أوصافه شبيها بالأيام ، والأستاذ إنما يريد أنه يوم لم تبلغ الأيام أن تكون فى أوصافه مثله . وقد شاع هذا النوع من الخطأ فى كلام كثير من الكتاب فيقولون مثلا : شاب ولا كالشباب ، فيضعون منه من حيث لم يريدوا إلا اطراءه . وأما الأمثال المشهورة : مرعى ولا كالسعدان ، فتى ولا كمالك ، ماء ولا كصداء ، فهى تضرب للشىء الذى فيه فضل وغيره أفضل منه كما يقول أبو الحسن الأخفش فى تعليقه على الكامل للمبرد .

عبد الغنى الدقر

مدرس الأدب العربى فى معهد العلوم الشرعية فى دمشق

كتاب أنساب الخيل :

قد أتمت دار الكتب المصرية طبع كتاب انساب الخيل لابن الكلبى ، وهو معروض للبيع يوميا وثمن النسخة للجمهور ٢٥٠ مليما، ولباعة الكتب ٢٠٠ مليم، ولمن يشترى عشر نسخ فأكثر

خطأ أم عمد ؟

رويت فى مقالتى فى العدد (٦٧٤) من الرسالة ، أبيات : أعانقها والنفس بعد مشوقة الخ ... ونسبتها لابن الرومى، فلما جاءت المقالة منشورة وجدت اسم العباس ابن الأحنف مكان اسم ابن الرومى ، فإذا كان خطأ فأرجو تصحيحه وإن كان عمداً فأرجو بيان دليله .

(دمشق) **علي الطنطاوى**

(الرسالة) : الأبيات لابن الرومى والتغيير قد حدث خطأ .

فى الكتب

عبد الله فكرى :

[تأليف الأستاذ محمد عبد الغنى حسن]

هذه ولا ريب نهضة مباركة أن يقوم شبابنا المثقف بتعريف الجيل الحديث بأعلام القرن الماضى ، حتى تتم حلقات التاريخ ، ويعتمد الحاضر على دعائم وثيقة من الزمن . وحياة الأمم تقاس برجالها وتاريخها وماضيها .

وليس الأستاذ محمد عبد الغنى حسن غريباً عن قراء العربية ، فهم يعرفونه أديباً شاعراً كاتباً . وقد أحسن الكتابة عن عبد الله باشا فكرى ، لأنه كان أديباً وكاتباً وشاعراً كذلك . فهذه المماثلة بين صاحب الترجمة وبين المؤلف هى فى نظرنا السر فى ظهور هذا الكتاب فى هذه القوة وهذا الإشراق .

بيّن المؤلف نشأته ومولده ، وتعليمه فى الكتاب ، ودراسته فى الأزهر ، وصور حياة الأزهر فى ذلك الوقت أحسن تصوير ، ولقد كانت حياة العلم فى الأزهر فى القرن الماضى أفضل منها فى العصر الحاضر بعد أن تقيد الطلبة بالمناهج ، وتقيد الأساتذة بطائفة من الحصص . لقد كانت الحرية الواسعة التى يلقاها الأساتذة والطلاب فى الأزهر القديم سر نجاحه ومصدر بروز بعض المتخرجين فيه . لقد كانوا يطلبون العلم للعلم وهو أفضل الغايات.

تقلب عبدالله فكرى فى وظائف الحكومة حتى بلغ نظارة المعارف وهو مثال الموظف الأمين على وظيفته ، الناظر فى مصلحة الشعب ، المخلص لعمله ، فليتدبر من يقرأ هذا الكتاب من الموظفين فى الحكومة ما ذا تكون نتيجة الإخلاص للوطن

ولم تمنعه الوظيفة الحكومية على ما فيها من أعباء ثقال ، وعلى الأخص فى ذلك العهد العصيب من الناحية السياسية ، الذى

ظهرت فيه حركة عرابى وانتهت بالاحتلال ، لم تمنعه هذه الأمور كلها من التأليف وقرض الشعر .

وبعد ، فهذه دراسة جدية بذل فيها المؤلف جهداً واضحاً ، ورجع إلى نحو ثلاثين مرجعاً أثبتها فى صدر الكتاب مما يدل على التحقيق وسعة الاطلاع .

ونرجو أن يستمر الأستاذ عبد الغني حسن على هذا النمط ، فيترجم لنا عن بعض الشخصيات الأخرى من أعلام الجيل الماضى ، ليكون ذلك نبراساً يهتدى به شبان هذا الجيل .

أحمد فؤاد الاهوانى

ليلة النهر :

[للاستاذ على أحمد باكثير]

لا عجب ومصر بلاد يجرى فيها نهر النيل ، فيهب الحياة لقطانها وحيوانها وزرعها ، أن يتغنى المرء بفضل ذلك المنهل الخصيب على كل مرفق من مرافق الحياة . ولكن الأستاذ على أحمد با كثير — وهو الأديب المطبوع — يرى أن لهذا النهر وحياً آخر أسمى من الماديات ، فهو بالحب يوحى ، وناره يزكى ، ويلهم للشاعر أغاريده فتصدح بها نفسه دون وعى .

« ليلة النهر » قصة حب رعته الطفولة البريئة الباكرة ، ونماه الشباب الطموح الوثاب ، وألهبت أدواره ليلة أمضاها العاشق مع معشوقته فى زورق حمله النيل الرؤوم كما تحمل الأم رضيعها ، فتفجرت من العاشق عاطفته فإذا بها شعر وجدانى رقيق يصاحبه نغم موسيقى رائع ، وإذا بالأيام تقبل على الشاب فيصبح من أعلام الشعراء والموسيقيين والمطربين وهنا تنهض التقاليد فى وجهه ، فلا يستطيع الظفر بمحبوبته والزواج منها لأن خالها القيم على شؤونها ، رأى أن يعقد عليها لشاب متعطل مفتون ليس له من مؤهلات سوى أنه نجل أحد الأثرياء من حملة الألقاب .

وتزداد الدنيا على الفنان إقبالا ، فيصيب من المال والنجاح والشهرة ما لم يسبقه إليه مفتن سواه ، لأنه ينظم الشعر جيدا ، ويكسوه رداء غير فضفاض من الموسيقى ذات النغم الخالد ، ثم ينشده بصوت يشيع الطرب فى النفوس، ويدفع السأم عن القلوب، ولا يسع المرء إزاءه إلا أن يستزيده ويقبل على الإصغاء إليه .

وتمعن الدنيا فى التنكر لذلك الشاب العاطل زوج الفتاة ، فتكبل بالحديد يداه ، ويزج به بين غياهب السجون لإثم اقترفه ويخلف وراءه زوجة وطفلا يعانيان من نكد الدنيا أمره .

ولكن الأيام بالأحداث حبالى ، فإن الشاعر الموسيقار ، وإن سخت عليه المقادير بالمال والجاه ، لم تسخ عليه بغذاء قلبه ؛ وإن واتته الشهرة والمجد ، لم تواته عاطفة الحب بأكلها ، فأمسى ظامئاً يتلهف على رى نفسه فلا يستطيع ، وسرعان ما تذبل زهرة العمر وتنزل المنية به وهو فى شرخ الشباب وأوج المجد ، فينعاه الناعى من المذياع الذى طالما تردد صوته منه فأطرب وأشجى ، وتستمع إليه محبوبته التى فرقت الأيام بينهما ، فينزل عليها النبأ نزول الصاعقة ، وتصبح فى اليوم التالى نزيلة صومعة من صوامع مستشفى الأمراض العقلية .

هذا موجز قصة « ليلة النهر » التى وضعها الأستاذ با كثير، وصاغ لها قصائد ثلاثاً من جيد الشعر ، ولم يقنع المؤلف بسرد أحداث تتكرر فى روايات أخر ، بل رأى أن يضيف إلى ذلك عنصراً جديداً يمكن تسميته « عنصر الخفاء » ، ذلك لأنه جعل الشاعر بطل الرواية يتصل — فى هيام روحه — بروح شاعر مات بعد ما حرقت جميع أشعاره ، فأخذ يملى عليه ما ضاعت آثاره من شعره . فالشاعر العاشق فى الواقع ليس سوى راوية لشعر غيره ، ورجع لصداه ، يقبل الشعر عليه من غير جهد فيسجله وتتوارد إليه عند تسجيله النغمات الموسيقية الملائمة ، فتكتمل لها ناحيتان تضاف إليهما ناحية الغناء فيتم الثالوث الفنى المطلوب .

وهذه الرواية ضرب من ضروب الحب العذرى العفيف الذى يحرص الأستاذ على أحمد با كثير على أن لا يتجاوزه فى ما يكتب من روايات كروايتى « سلامة القس» و« وا إسلاماه » اللتين أصدرهما من قبل وعلى الرغم من أن المؤلف « خلق » فى رواية « ليلة النهر » رجلا من رجال الفن وأدار أحداثها حول بطولته ، أبى أن يسمح لهذا البطل بالاستهتار والتبذل واحتساء الخمر ، والاقبال على مشهيات الحياة . وقد يحسب البعض أن فى هذا « الاعتدال » الذى اتصف به بطل الرواية تكلفا وخروجا على المألوف ، ولكن الناقد المنصف لا يسعه إلا أن يحمد للمؤلف هذا الاتجاه . والمؤلف بعد ذلك وقبله ، خلاق يخلق أبطال روايته كما يشتهى ، ويجيد الخلق متى أخرج لنا شيئا جديدا ليس لنا به من قبل عهد .

وبعد ، إنها قصة جيدة متماسكة الجوانب تقف بين أترابها شامخة مرفوعة الرأس .

وديع فلسطين

وزارة الأوقاف

إعـلان

تعلن وزارة الأوقاف شهر مزاد تأجير أطيان زراعية بالوجهين القبلى والبحرى مساحتها ٥١٣١٧ فداناً على جملة صفقات بجلسات علنية بمراكز التفاتيش فى المواعيد المحددة لكل تفتيش ويعلن عنها بلوحة الإعلانات بالوزارة والتفاتيش — وقررت ما يأتى :

١ — أن تكون مدة التأجير سنتين فى جميع التفاتيش عدا الصفقات التى تزرع قصباً فتكون مدة التأجير فيها لثلاث سنوات .

٢ — أن تعتمد الوزارة فى أول جلسة نتيجة التزايد إذا كان العطاء بأجر المثل المعتمد أو بأكثر منه .

٣ — أن يكون التأمين النقدى موازياً ٥٠٪ من إيجار سنة ما لم يكن بالأطيان مخازن للوزارة فإن وجدت فيكون التأمين ٣٠٪ فقط على أن يدفع منه ٢٠٪ وقت العطاء ويكمل فى مدى أسبوع من تاريخ إخطاره بقبول عطائه بصفة مبدئية .

٤ — ترد التأمينات النقدية لأربابها فى آخر الجلسة متى كانت عطاءاتهم غير مقبولة ما لم يوجد مانع من ردها .

٥ — ويمكن الاطلاع على الشروط وقوائم المزاد بالوزارة والتفاتيش — وعلى من يرغب فى الدخول فى مزاد استئجار أى صفقة أن يعاينها قبل الجلسة ويطلع على جميع البيانات الخاصة بها ويعتبر دخوله فى المزاد إقراراً منه بالمعاينة والاطلاع على البيانات .

٦ — مستحقو الأوقاف الأهلية المشهورة أطيان تابعة لأوقافهم مدعوون لحضور جلسات التزايد المعلن عن مواعيدها بالتفاتيش مع الرجاء بالعمل من جانبهم على زيادة عدد الراغبين فى التأجير .

إذا لم يكن التأمين نقداً كما تقدم يكتفى بتقديم أحد التأمينات الآتية قبل الدخول فى المزاد :

١ — خطاب ضمان من بنك معتمد بقيمة إيجار سنة ويراعى فى خطاب الضمان أن تكون مدة الكفالة بحيث تنتهى بعد مضى ستة أشهر من آخر يوم محدد لانتهاء مدة العقد .

٢ — أوراق مالية مقبولة لدى الحكومة المصرية لا تقل قيمتها عن إيجار سنة حسب تقرير الوزارة .

٣ — أن يقدم للتفتيش قبل الجلسة المحددة للتزايد بأسبوعين على الأقل ضمان بتأمين عقارى مصدق عليه من قلم المساحة المحلى توازى قيمته إيجار سنة مصحوباً بجميع مستندات الملكية وشهادات تصرفات من المحكمة المختلطة لمدة عشر سنوات سابقة لتاريخ الجلسة أو إيصال دال على سداد رسوم طلبها مصحوباً بقيمة ١٠٪ من عطائه نقداً ولن يقبل أى تزايد ما لم يقدم صاحبه تأميناً طبقاً للشروط المبينة بهذا الإعلان .



(طبعت بمطبعة الرسالة شارع السلطان حسين — عابدين)

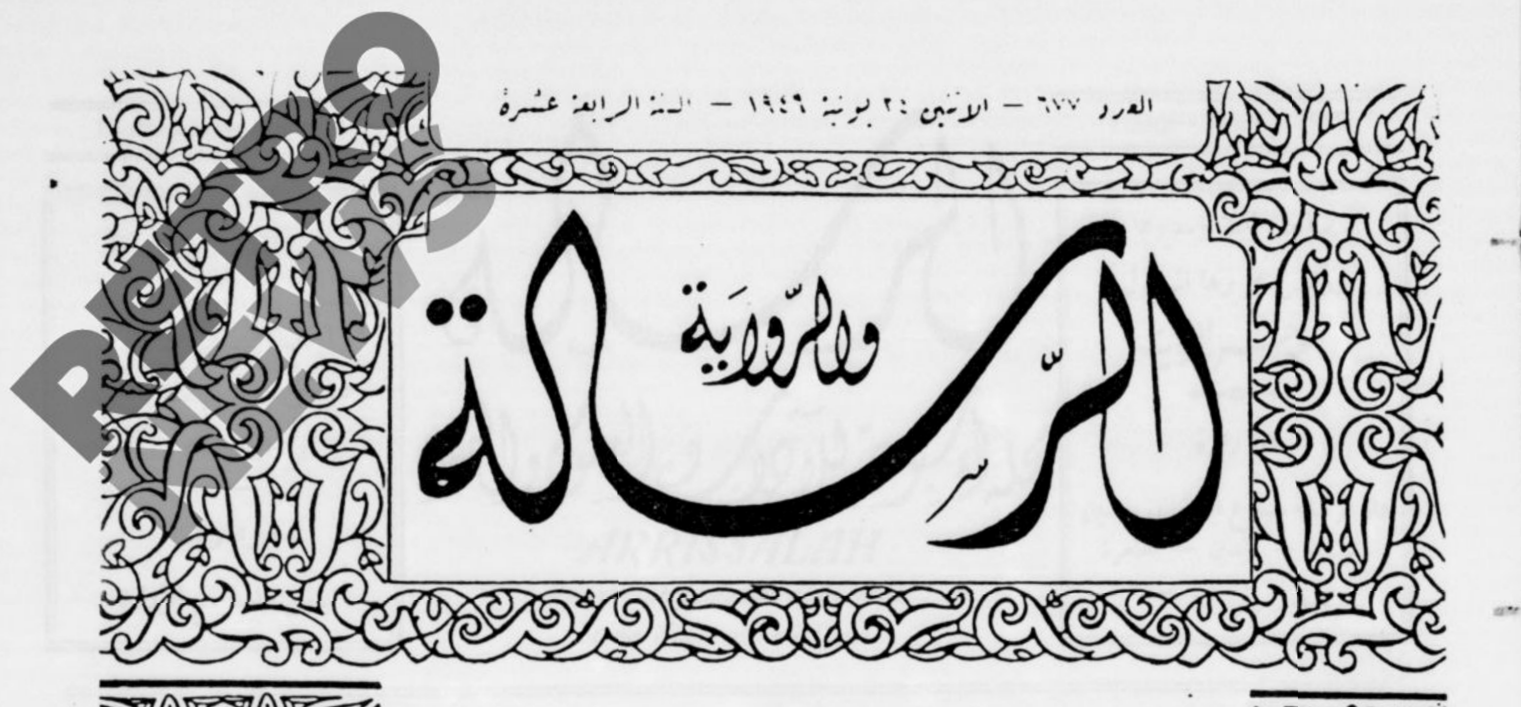

العدد ٦٧٧ — الاثنين ٢٤ يونية ١٩٤٦ — السنة الرابعة عشرة



الفهرس

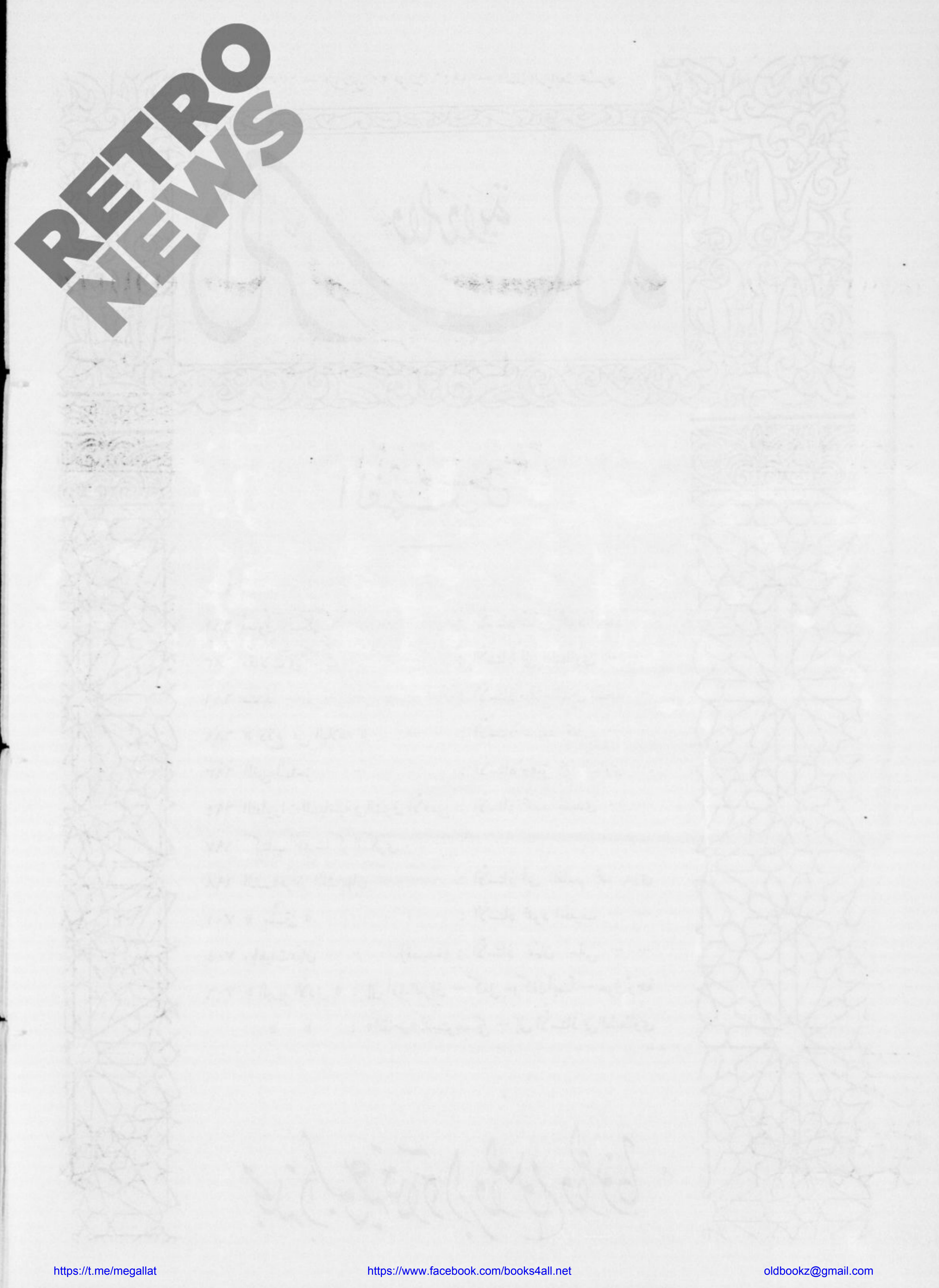
مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ٦٧٧ — الاثنين ٢٠ يونية ١٩٤٦ — السنة الرابعة عشرة



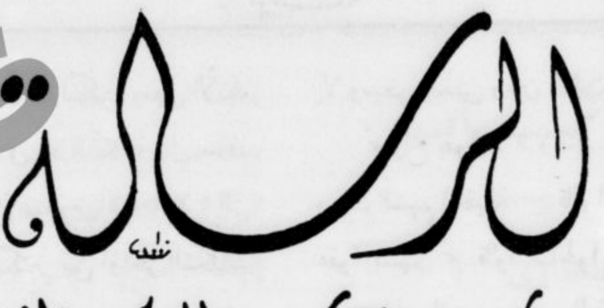
الفهرس

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون


RETRO
NEWS

14 me Année No. 677

Lundi—24—6—1946



ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العــدد ٦٧٧ « القاهرة فى يوم الإثنين ٢٤ رجب سنة ١٣٦٥ — ٢٤ يونية سنة ١٩٤٦ » السنة الرابعة عشرة

أصـــول الـكلمات

للاستاذ عباس محمود العقاد

قرأت فى « الثقافة » الغراء مقالا للكاتب الفاضل الأستاذ محمد فريد أبى حديد بعنوان « القواص المذهب » قال فيه :

« وكانت وظيفة القواص بسيطة جدا تتلخص فى أن يقف ذلك الموظف على باب سيده الباشا الكبير ، أو الحاكم الجليل لابسا ملابسه الزاهية الموشاة بالقصب الذهبى اللامع . ويحرص على أن يربى شواربه حتى تصير مثل الحبال الطويلة ، ثم يبرمها برما شديدا ويشدها بالأدهان حتى تصير مجدولة ترفع طرفيها كالحراب ، فيصبح منظره بهذا مهيبا يقع فى النفوس موقع الرهبة ؛ وصارت هذه الشوارب موضع تفاخر القواصين » .

وقد التزم الأستاذ أبو حديد كتابة الكلمة فى الافراد والجمع بالصاد كما رأيت ، ولعله لاحظ فى ذلك لهجتها التى كانت تلفظ بها وحروفها التى كانت تكتب بها فى عهد الدواوين التركية ، لأن وظيفة « القواص » كما وصفها الأستاذ هى الوظيفة التى عرفت بين المصريين وغيرهم من الأمم التى شملتها دولة الخلافة العثمانية فى أواخر أيامها . فلم يكن « للقواص » عمل غير الوقوف على الأبواب ولم تزل الكلمة تقترن بأصحاب هذا العمل من الترك والأرنؤود والشراكسة حتى حسبت من كلمات اللغة التركية ، وكتبها بعضهم فى أوربة كما كان ينطقها الترك كفاس Kavasse .

ولكن الكلمة على التحقيق عربية من بقايا الدولة العباسية ، لأن القواسين كانوا طائفة من طوائف الجند يحملون الأقواس كما كان السيافون يحملون الأسياف ، والنبالون يحملون النبال ، والرماحون يحملون الرماح . ولم يكن عمل القواس فى أول عهده مقصورا على الوقوف بالأبواب والإذن لطلاب المثول بين أيدى الأمراء والرؤساء ، ولكنه كان يتقدم الأمير فى موكبه أو يخرج بين يديه كلما خرج للصيد أو فى محافل العرض العسكرى ليحمل له القوس التى يصيد بها أو يستخدمها فى الرماية ؛ لأن الأمير كان يتقلد سيفه ولا يعهد فى حمله إلى غيره كما يفعل بالأقواس والرماح .

وكان قادة الجند فى أواخر عهد الدولة العباسية من الترك والديلم فاحتفظوا بمراسم الامارة حتى قامت الدولة العثمانية ونقلت عن خلفاء المسلمين وأمرائهم من قبلها بعض مراسم الامارة والحجابة ، ومنها مشية القواس بين يدى الأمير ووقفته على بابه وقيامه قواسا بغير قوس بعد أن أغنى عنه حامل البندقية والطبنجة ، بل بعد أن أصبح القواس نفسه يحمل الطبنجة فى حزامه ، ولا يعرف ما القوس وما الرماية بالسهام .

وهكذا تعيش الكلمات أحيانا ، وتفنى الدول والامارات وما اقترن بها من المعالم والأشياء .

على أن الرجوع بالكلمات إلى أصولها يمضى بنا بعيدا فى مجاهل النقل والاستعارة . فإننا نذكر القواس والرماح والسياف ونعلم أن السياف حامل السيف ، وأن السيف كلمة عربية قديمة

من ساف ماله أى هلك كما قال ابن دريد . ولكن بعض الأدباء ينكرون على ابن دريد هذا الاعتساف فى رد الكلمة إلى ساف يسيف ويقولون إنها يونانية الأصل من سيفوس « Xifos » التى حذف منها العرب آخرها كما يفعلون بكثير من أواخر الكلمات وأن العرب أخذوا كلمة الحربة من العبرانيين ، وهى عندهم من حرب بمعنى الخرب أو الخراب .

قلت : لاضير على العرب أن تنقص من لغتهم كلمة بمعنى السيف فقد تغنيهم عنها مئات الكلمات ، ولا ضير أن يفقدوا « حربة » واحدة فعندهم الصحراء بل الصحارى التى لا يقدر عليها أحد غير أبناء يعرب وقحطان .

إلا أن الكلمة التى لا يفرط فيها العرب ولو كان لهم فى أصل معناها ألوف الكلمات هى كلمة « العقل » التى ظن الأب أنستاس الكرملى أنها متحولة من اللاتينية فقال فى مجلته لغة العرب :

« ... ذكر صاحب تاج العروس سبب تسمية العقل بهذا الاسم وسر اشتقاقه أو أصل اشتقاقه من مادة عقل فقال ما هذا حرفه : واشتقاقه من العقل وهو المنع لمنعه صاحبه مما لا يليق ، أو من المعقل وهو الملجأ لالتجاء صاحبه إليه ، كذا فى التحرير لابن الهمام. وقال بعض أهل الاشتقاق : العقل أصل معناه المنع ومنه العقال للبعير سمى به لأنه يمنع عما لا يليق . قال :

قد عقلنا والعقل أى وثاق   وصبرنا والصبر مر المذاق

وقد راجعنا كتبا كثيرة فى هذا المعنى فرأينا أصحابها لا يخرجون عن القول بأحد هذه الآراء . ونحن لا نرى هذا الرأى ، والذى عندنا أن أصل معنى العقل هو العين لأنه عين النفس وباصرتها . ثم مات المعنى المادى وبقى المعنى المجازى ، يشهد على ذلك أن اللاتين يسمون العيون والعقل باسم واحد ، وهو عقل Oculi ... » .

كذلك قال الأب أنستاس . وقد عقب عليه الأستاذ روكسى ابن زائد العزيزى معلم العربية بكلية تراسانته بالقدس فى مجلة الأديب البيروتية فقال : « فلو قلنا إن العرب قالوا : عين القلب . ثم نحتوا من الكلمتين كلمة واحدة — عقل — لما أبعدنا عن الصواب . ولو سايرنا ما ذهبتم إليه وقلنا إن العقل من عق لكان مقبولا ، لأن العقة هى البرقة المستطيلة فى السماء ، وهل العقل إلا وميض النفس وعين القلب ؟ » .

ثم راح يقول : « ويقال عق بالسهم إذا رمى به نحو السماء وذلك السهم العقيقة ... قال الجوهرى :

عقوا بسهم ثم قالوا صالحوا   ياليتنى فى القوم إذ مسحوا اللحى

وذلك السهم يسمى العقيقة وهو سهم الاعتذار ، وكانوا يفعلونه فى الجاهلية ، فإن رجع السهم ملطخا بالدم لم يرضوا إلا بالقود ؛ وإن رجع نقيا مسحوا لحاهم وصالحوا على الدية » .

قلنا : والعقل براء من كل هذه الفروض والتخمينات فى حرفه ومعناه ؛ إذ ينبغى قبل أن نفرض النقل من اللاتينية أن نفرض استخدام الكلمة فى لغتها الأصلية بهذا المعنى ، ونفرض خلو اللغة العربية مما يقابلها ، ونفرض الوسيلة التى تم بها النقل من طريق السماع أو الكتابة ، ونستبعد — عقلا — أن ينشأ معنى العقل من معنى العقال ، وهو غير بعيد ... بل هو أقرب شىء إلى ذهن العربى الذى يوازن أبدا بين حالتى الانطلاق وحالة الاعتقال ، ويتحدث عن كبح الشهوات وكظم الغيظ ، ويستعير الحجر فى مادة أخرى من الحجر وهو المنع والتقييد . وصدق المتنبى حيث قال :

وبعض العقـــل عقال

والحجر كما لا يخفى هو العقل ، والحجر كذلك هو المنع ، كما فى عقل وعقل بلا اختلاف .

فلماذا نرجع إلى العقل المنحوت من عين القلب أو نرجع إلى العقل المأخوذ من الكلمة اللاتينية وهى لم تطلق على هذا المعنى قط فى أصلها الأصيل ؟ ولماذا نأبى أن يكون الرجل العاقل هو الرجل الذى يملك زمام نفسه ، فلا يندفع مع الأهواء والشهوات ؟ وأى شىء أقرب شبها للعقل الزاجر عن الأهواء والشهوات من عقال البعير ، ولجام الفرس ، وكل كابح عن كل اندفاع ؟

عرضنا لهذا التخريج فى بعض المجالس فقال أديب : إذن هذا الكرسى مأخوذ من شير Chair الانجليزية .

وقال آخر : لا بل هو مأخوذ من كر ومن رسا ، لأن الإنسان يرسى على الكرسى بعد الكر والتعب .

وقال آخر : بل هو مأخوذ من جلس ، ثم صحفت الجيم كافا واللام راء ، وهو قريب فى مذهب التصحيف .

مقالات في كلمـــات

[إلى الأستاذ سيد قطب]

للأستاذ علي الطنطاوي

ذكرتني غضبتك للشعر والبيان في « الرسالة » ٦٧٤ بأن في مكتبتي دواوين (شعرية ...) هي أولى إذا اطلعت عليها أن تكتب عنها ، ففتشت عنها حتى وجدتها فاذا هي ثلاثة دواوين متشابهات في الحجم والقطع ، وفي الوضع والطبع ، كأنها قد صدرت عن ناشر واحد مع أن كلا منها قد ظهر في بلد — وكلاً من أصحابها يدين بدين من الأديان الثلاثة .

أولها : ديوان (الصيدح) لخليل جرجس خليل ، طبع في مطبعة جرجس حنين بالمنيا في مصر سنة ١٩٣٩ ، وهو جيد الورق أنيق الطبع في مائة صفحة وقد أهـــداه (الشاعر) لروح الرافعي ! !

والثاني : ديوان (حنين النـديم) لعبد الله نديم موبال بكالوريوس علوم وهو من فلسطين ، طبع في مطبعة صادر في بيروت سنة ١٩٣٦ على ورق صقيل مشكول الشكل الكامل ، وهذا الشكل وحده أعجوبة الأعاجيب ، وهو في مائة صفحة ، وقد أهداه لوالده (المرحوم الدكتور شمعون بك موبال كلي الاحترام) ، وهذا هو نص الاهداء :

لذكرى والدي أهدي شماراً   لصدق الوحي في رفق الشعور

إليك الاحترامُ المُجْزِ وداً   حليف اللانهايات البحـور

وليّ الفـكر والمبدا وحسّ   لطيف خالد إهـدا السطور

والثالث : ديوان (القلوب المتقطعة) لحسن محمود الحلبي ، طبع في مطبعة الاستقلال العربي في دمشق ١٩٣٨ وهو في مائة صفحة (أيضاً) وفي أوله صورة الشاعر في وضع سينمائي ...

رمتني الليالي في القبور ذليلا   وسار شبابي في الحياة ذبولا

خلقت من الأحزان شخصاً مهدداً

وبين جوع النـاس دمت هزيلا

فليت أقول الشعر دون تلوّع   يسود فيبدو الشعر حزناطويلا

ولـكن أرى في مقلتي دمع ناحب   يسيل فيعطى الشعر لونا جميلا

وإذا نزلت يا سيدي بهذا الأسلوب دركة أخرى ، وجعلت الموضوع كله في وصف بنات (المحل العمومي) وما يكون منهن وصفاً سافراً مفصلاً ، جاء ممك ديوان (قالت لي السمراء) لـ (نزار قباني) الذي صدر في دمشق منذ سنتين ، وإذا زدت لغة هـذا الديوان لعنة على لعنتها ، وأسلوبه عمى على عماه ، وموضوعه فجوراً على فجوره ، جاء ممك كتاب (في قصور دمشق) الذي أصدره في دمشق من نحو عشر سنين ، موظف صغير في دائرة الصحة عامّي يدعى (محمد النجار) .

هذا كله عندنا فماذا نقول نحن يا أستاذ ؟ !

النثر والشعر في المدارس :

كنت كلما درّست الأدب العربي أعجب لما أجد من انصراف الطلاب عن نثره إلى شعره ، على حين أنهم أميل إلى النثر في الأدب الفرنسي منهم إلى الشعر ، ففكرت فرأيت أن السبب في ذلك المناهج .

والذي تقرر المناهج تدريسه من النثر العربي في مصر والشام والعراق لا يخرج في جملته عن رسائل ميّتة لا روح فيها ، أو فقرات جامدة مسجّعة أو غير مسجّعة ليس فيهـا وصف يهز القلب ، أو معنى يوقظ الفكر ، حتى إن مايختار لمثل الجاحظ

وقال غيرهم : بل هو مأخوذ من الـكراسة ، لأن الإنسان يجلس إذا أراد الـكتابة فيها .

وطال التصحيف والجناس على هذا القيـاس فلم يبلغ أحد منهم في هزله مبلغ الجادين في رد العقل إلى عين القلب أو إلى كلمة قديمة في لغة اللاتين .

فحذار حذار من مراجعة الأصول بغير أصول ، وخير لنا أن نقنع بالفروع إذا كان الرجوع إلى الأصـل ينقطع بنا في هذه المتاهة بغير دليل .

ونحن في أمان حين نقنع الآن بالرجوع من الصاد إلى السين في اسم القواس . فلم يبق لهذه الوظيفة ما يخاف في اسم ولا في مسمى بحمد الله .

عباس محمود العقاد

وهو فى رأيى أحد الخمسة الذين انتهت إليهم إمامة النثر العربى (الجاحظ وأبى حيان التوحيدى والغزالى وابن خلدون ومحيى الدين بن عربى) هو من الملّ المضجر كوصف الكتاب وصفاً هو مجموعة جمل مستقلة تشبه حِكم أكثم بن صيفى ليس بينها ارتباط، ولا يفسدها التقديم فيها ولا التأخير، ويصعب استظهارها وحفظها، مع أن للجاحظ المعجب المطرب، والمبهج المرقص من القصص والأوصاف، فكان من ذلك أن رغب الطلاب عن أدبنا وكرهوه، وآثروا عليه الأدب الفرنسى، لأنهم وجدوه أقرب إلى قلوبهم، وأدنى إلى أفكارهم.

ودواء هذا الداء أن يخرج واضعو المناهج من هذه الزاوية التى حبسوا أنفسهم والطلاب فيها، إلى فضاء الأدب ورحبه، ويدعوا الصاحب والقاضى الفاضل، وهذه الرسائل الباردة، وهذا الأدب الميت الذى لا روح فيه ولا جمال، ولا يصح أن يكون مثالا يحتذى، ودليلا يتبع، ولا يجوز أن يعرض على الطالب إلا على أنه لون من ألوان الكتابة، فيدرسه دراسة المؤرخ له، لا دراسة المتأدب به، ويفتشوا بين العلماء والصوفية والمؤرخين عن ذوى الملكات البيانية، فيجدوا فيهم من لا يعد معه أدب الصاحب وعبد الرحيم البيسانى إلا لعب أطفال.

أذكر على سبيل المثال (ابن الجوزى) فى كتابه صيد الخاطر وموضوعه ظاهر من اسمه، وهو خواطر كانت له فيدونها فى هذا الكتاب، وليس فى هذا الكتاب بلاغة الجاحظ وابن قتيبة، ولا صناعة ابن العميد، ولا فحولة الجرجانى، ولكن فيه شيئاً ليس مثله عند أولئك جميعاً، هو هذه السهولة وهذه السلاسة، وهذا الصدق فى تصوير الخواطر، وهذا الإلمام بالمسائل النفسية والاجتماعية والدينية، وما فيه من وثبات ذهنية عجيبة، وما يقوم به من تحبيب الأدب إلى الطلاب، وهذا الكتاب لو نشر اليوم على أنه لبعض الكتاب العصريين، لقامت له الصحف الأدبية وقعدت، وهللت له وكبرت، وأحلته الذروة والسنام.

وأذكر (ابن السماك) هذا الرجل الذى تدل الفقرات القليلة التى رويت له على أنه أحد أفراد الدنيا فى بلاغة القول، وصفاء الأسلوب، وعلو التفكير، ولم يفكر مع ذلك أحد فى استقراء أخباره، وتتبع آثاره، و (ابن حزم) فى (طوق الحمامة) و (ابن القيم) فى (روضة المحبين) وابن داود الظاهرى، والبطرى والغزالى، وابن عربى، وأبى حيان، والشافعى، وأمم لو أحب واضعو المناهج العناية بآدابهم، لوجدوا شيئاً ينسيهم وينسى الطلاب الصاحب بن عباد وأضرابه.

الكتب المدرسية والكتب الأدبية:

زرت من سنين أحد (الناشرين) فى دمشق، وكان عنده صديق الأستاذ التنوخى، ومعه كتاب (المثنى) لأبى الطيب اللغوى الإمام العَلَم قريع ابن خالويه، وزميله فى بلاط سيف الدولة. وقد وقع على النسخة الوحيدة منه التى ليس لها فى الأرض ثانية، بدليل أنها ليست فى خزانة من الخزائن العامة فى الشرق ولا فى الغرب، وأنه أعلن فى مجلة المجمع العلمى العربى السؤال عنها فلم يكن عند أحد علم بها. والنسخة صحيحة مقابلة بالأصل (أى بنسخة المؤلف) عليها تعليقات بخطوط كبار العلماء كابن الشحنة وغيره، فاشتغل بنسخها وتصحيحها ومعارضتها بكتب اللغة أمداً طويلا ... فرأيته يعرض عليه طبعها بشرط واحد: هو أنه لا يشترط شرطاً ... ولا يريد مالا ولا يبتغى على تعبه أجراً. وعند الناشر (معلم) يعرض عليه كتاباً فى القراءة والمطالعة كل عمله فيه أنه نسخ من كتب الأدب قصصاً وأحاديث كتبها فى أوراق ثم جمعها فخاطها فجملها بإذن الله كتاب مطالعة للصفوف الثانوية، وهذا المؤلف يأبى إلا أن يكون أربعون فى المائة من النسخ المطبوعة ثمن (تعبه ...)!

وقد مرّت الآن سنوات على هذه المقابلة طبع فيها هذا الناشر مائة كتاب مدرسى، وكتاب المثنى لا يزال مخطوطاً فى دار أبى قيس.

أدباء المجالس:

من الأدباء من كنت أقرأ له فلا أبتغى بلاغة ولا لَسَناً ولا بياناً إلا وجدت عنده فوق ما أبتغى، فأتخيل شخصه، وأتوهمه على أوفى ما يكون عليه المتفوّه اللسن، ثم ألقاه فألقى الرجل الساكت الصموت، الذى لا يكاد يتكلم حتى تكون أنت الذى يسأله ويدفعه إلى الكلام، وإذا تكلم أخفى صوته، ولطّف

حروفه ، حتى لا يسمع منه ولا يفهم عنه ... ومن الأدباء من ألقاه فى مجلس فأجد المحاضر الفياض الذى ينتقل من نكتة إلى نكتة ، ومن قصة إلى أبيات من الشعر ، فيبتدع لها المناسبات ، ويلقيها بصوت قوىّ ، ويتكئ على الحروف ، ويعظّم مخارجها ، فأكبره وأعظمه وأسأله أن يكتب مقالة ، أو ينشئ فصلا ، فيفرّ منه فراراً ، ويسوف ويعتذر ... فاذا أحرج وكتب جاء بشيء هو أشبه (بسفرة المسحّر) فيها من كل طعام لقمة ، ولكن الحلومع الحامض ، والحارمع البارد ، وكل طعام مع طعام .

وقد تتبعت أحوال هؤلاء ، فوجدت أكثرهم على غير علم ولا اختصاص ، ولا يطالع بجدّ ، ولا يبحث بإمعان ، ولا تدع له (المجالس) وقتاً لدرس ولا بحث ، وإنما يحفظ الرجل منهم طائفة من الأخبار الأدبية والنوادر فيحملها معه أياما يعرضها فى كل مجلس ، ويعيدها بعينها ، حتى ترثّ وتبلى وتصبح كالثوب الخَلَق ، فيعمد إلى غيرها فيصنع به مثلما صنع بها ، ولا يدرك الناس الفرق بينه وبين الأديب المبدع الباحث ، فيطلقون على الاثنين اسم الأديب ... فمتى يميّز الناس بين الأديب الحق ، وبين (أديب المجالس) ؟

مجمع الشريعة الإسلامية :

أخبرونى أن عالما فى دمشق يفتى الناس بأن الورق السورى (البنكنوت) لا تجب فيه الزكاة لأنه ليس بذهب ولا فضة ، ويقول بأن هذا هو الحكم فى المذهب الشافعى مع أن النقد فى سورية كله من هذا الورق ، وأن الفضة فقدت خلال الحرب ، وأن التعامل بالذهب ممنوع ، فتكون فتوى هذا العالم الفقيه ... إنما هى فتوى بمنع الزكاة ، وهذه الفتوى على فسادها وضلالها وأنه لا يقول بها مذهب شافعى ولا مالكى ولا يقول بها مسلم عاقل ، وأن هذا الشيخ الفاضل الذى ينكر أن يكون الورق السورى مالاً يقبض فى آخر الشهر راتبه ورقاً سورياً ، ويشترى به خبزه وجبنته ، ويقاتل إن منع عنه ... إنها على هذا كله قد وجدت من يأخذ بها ليتخلص من الزكاة ومن يردّ عليها

وخبرونى أن عالماً آخر أفتى بسقوط فريضة الحج فى هذه الأيام ... ونسب الفتوى إلى مذهب الشافعية ، ورحم الله الشافعى كم ينسب إليه .

وخبرونى بأن المناقشات قائمة بشأن الربا ، وهل تعد المعاملات المصرفية منه أو لا تعدّ ؟ ! وبشأن رؤية الهلال وكيف يثبت دخول الشهر ، وبشأن التوسل ، وكرامات الأولياء ، وبشأن الطلاق ... إلى غير ذلك من المشاكل الفقهية التى تحتاج إلى مرجع يرجع إليه فيها .

وكنت قد سمعت من الأستاذ القاضى العالم الشيخ فرج السنهورى لما زرت مصر أن الملك فؤاداً رحمه الله ، كان عازماً على إنشاء مجمع للشريعة على نحو مجمع اللغة العربية ، يكون من عمله ردّ الشبهات ، وحل المشكلات ، والافتاء ، ووضع مشروعات القوانين ، فلماذا لا يلتمس علماء مصر من جلالة الفاروق حفظه الله أن يأمر بإنشائه فيضم هذه المنقبة إلى مناقبه الكثيرة ، فيرضى بذلك ربه ، ويحقق رغبة أبيه ، ويجدد للمسلمين دينهم ، ويسنّ سنة فى الاصلاح يكون له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة ، وينقذنا من هذه المناقشات ، وهذه المجادلات ، وهذه الجرأة على الإفتاء ؟

(دمشق) **على الطنطاوى**

ســـعيد ... !

للاستاذ صلاح الدين المنجد

[أيها الأغنياء المجرمون .. إن هذا الفقير السعيد ، لأشرف منكم جميعا .. !]

كان الضباب ينحدر ببطء من حدور الجبـال نحو القرية الهاجعة فى أحضان الظلام ، وكان الهواء يعصف وزأر ، يهب من حقول الذرة تارة يحمل الزوابع والتوابع ، ويهبط من الجبال الملأى بالزعرور ، يحمل الجن والعفاريت ، كأنه يريد أن ينقض على هذه القرية فينسفها نسفاً .

وكانت الطرقات قفراً ، لا تلمح على ظهرها أحداً ، فقد دفع الهواء العاصف أهل القرية أن يختبئوا فى دورهم تاركين المصاطب التى تحلقوا فوقها ، يستمعون إلى أحاديث الحصاد ، ويتحدثون عما لديهم من الآمال والأشغال .

وساد الظلام فى كل مكان ··· وعبث الهواء بمصباح القرية المعلق أمام الجامع فأطفأه وألقى به فى الأرض . وانتشر فوق القرية رعب وكآبة ، ونام القرويون ··· حتى الحارس (أبو شنب) فقد ترك عصاه الغليظة أمام باب الجامع ، وأغفى وراء الباب .

وفجأة ظهر فى طرف القرية ، من إحدى العلالى ، نور ضعيف ثم أخذ يشتد ويقوى حتى نارت العلية ··· وظهر رجل يقترب من نافذتها .

ولو أن الحارس كان مستيقظا لأسرع إلى العلية يستطلع أمر هذا النور ، ويسأل صاحبها إطفاءه ، لئلا يستدل العدو على القرية فيهاجمها بجنده ، ويصب عليها نار مدافعه .

ووقف الرجل فى النافذة ، فنظر حوله ، ثم أخذ يخطو فى العلية خطوات غير متزنة ، ثم عاد إلى النافذة ينظر ··· كأنه يترقب أمراً ، أو يستطلع سراً ، ثم انفتل إلى المصباح ، فأضعف نوره ، وعاد إلى النافذة يتمتم بصوت ضعيف كأنه يخشى أن يسمعه أحد :

— لقد سخر منى ، عيرنى بالفقر والعجز ، لم يخجل من شيبى وضعفى ··· لقد تخطيت الستين ··· أ كُتب علىّ أن أكون عبداً له ، أتعب ليستريح ، وأجـوع ليشبع ، وألبس المِزَق ليرفل بالحرير . ها أنذا لا أملك شيئاً ، وأولادى الصغار قضوا ثلاث ليال لا يأكلون ، بل لا يجدون اللقمة الواحدة . أمّهم تعللهم بى ، وأنا مختبىء أمام باب الدار ، أسمع أصواتهم ويرن فى أذنى بكاؤهم ، فيتفطر قلبى ، وينهمل دمعى . إنهم قطع منى فكيف أتركهم يجوعون ··· إنهم أولادى ، فكيف أدعهم يبكون ··· ليقولوا إنى سارق وإنى مجنون ·· وليسوقونى إلى السجن ، فهم كفرة لا يرحمـون ، ولأطعم أولادى . فلعلهم يشبعون . إن الدراهم عندى ، ولن أرجعها . ولكن ، ما أدرى ! ما الذى يعيث فى صدرى ، وبين أضلعى ؟ إنه يضنينى ويقلقنى ··· ما أشد هذه الليلة علىّ ··· ! إنها لأثقل من هذه الجبال وأثقل من السماء . ماذا أفعل يارب ؟ إن عفريتاً يحطم منى . كأن فى يده معولا فهو به يضربنى . إنى لأسمع همسانه فى كل دقيقة ، بل فى كل طرفة تَرِنّ فى أذنىّ وتطنّ « هات الدراهم ، هات الدراهم » لكن لا ، ليس فى العلية أحد ، أجنى يكلمنى ؟ ماذا أصابنى ؟ »

ورفع الشيخ يده إلى جبينه يمسح العرق عنه ، ثم حول بصره إلى الغرفة فنفضها ، عله يجد فيها الذى يقلقه . ولكنه لم يجد أحداً . فخطر على باله أن ينام . لقد حاول النوم من قبل ففر منه النوم . أما الآن ، فلعل النوم يشفق عليه ، وينقذه من هذا العفريت الذى يطن فى أذنيه . فاضطجع على كيس من القش اتخذه فراشا . فقرأ وتعوذ ، ودمدم وهمهم ، وسرد ما حفظه عن شيخ القرية يوم الجمعة ، مما يذهب الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس . وتقلب فى فراشه ذات اليمين وذات الشمال . وحاول أن ينسى الدراهم ، بل تمنى لو كان أصم ، فلا يسمع هذا الهمس الناعم ، ولكن صورة الدراهم كانت تملأ عينيه ، وهمس العفريت كان يرن فى أذنيه .

وجفا فراشه ، وقد تحطم جسمه . وأخذ يطوف حول العلية ، مطرق الرأس ، حانى الظهر . كيف الخلاص مما يسمع ؟ إن هذا الهمس : « هات الدراهم » يكاد يقتله ، وماذا فعل ؟ ألأنه سرق ؟ وقلبه ماذا أصابه ؟ إنه يكاد يتمزق فى صدره . ونادى : « ألا دعنى أيها العفريت دعنى ··· اخرج من صدرى ، ابتعد عنى . آه لو كنت شاباً ··· دعنى فأنا شيخ محطم أكاد أموت .

دعني، فما أخذت الدراهم لنفسي، ولا لزوجتي، ولكن لأولادي. انظرهم كيف يبسوا من الهزال، وسقموا من الجوع! أيبقون بلا رغيف ثلاثة أيام وفي صناديق جاري الدنانير؟ أيموت صغاري من الجوع، ولي عند (البيك) — ألا لعنة الله على (البيك) — أجرة ثلاثة شهور؟ لقد طردني، أيها العفريت، ولم ينقدني أجرها. فطفقت أشكو، فلم يصغ أحد إلي. لقد قالوا إني كاذب، لأني فقير ضعيف. وإنه صادق لأنه سيد القرية الغني فدعني. فلم أعد أطيق. اذهب إليه، فهو مجرم كبير. اذهب إليه، وارقب غشه ودسه ... فإني فقير. اخرج أنت يا قلبي معه لأستريح. لقد طلبت بنيتي قرشاً فقلت لها غداً، وسألني بني ثوباً، فقلت له غداً. وبت أخجل أن أراهما. أفلا أسرق يارب، ويا عفريت، ويا قلب، لأطعمهم وأفرحهم، وأدخل على قلوبهم السرور؟ ».

ولكن العفريت، كان أصم. فها هوذا قلبه يخفق ويضرب ضربات كأنها القنابل. مسكين لم يصغ إليه أحد، لا العفريت ولا قلبه ...

وضاق الشيخ بنفسه ذرعاً. أيقتل نفسه؟ لقد فكر في ذلك، ولكنه انصرف عن هذه الفكرة سريعاً، وفضل أن يفر من القرية. ثم رأى أنه لا يطيق فراق أولاده، وقد رزقهم وهو شيخ قد بلغ الخمسين. وفجأة التمعت عيناه. لقد فكر في الله. لم لا يصلي ركعتين، ويخلص لله النية، ثم يدعوه بدعاء تعلمه؟ لقد سمع هذا الدعاء من شيخ القرية، وحفظه عنه، ورسخ في ذهنه أن هذا الدعاء، وفيه توسل بالأولياء والصالحين، سريع الإجابة، عظيم التأثير. إذن فليدع الله. وسرعان ما قفز الشيخ فشمر عن ساعديه، ليتوضأ، وها هوذا قد توضأ، وتوجه إلى القبلة، يصلي، فلما فرغ من صلاته رفع يديه، والدنيا سكون وأخذ يدعو. وفرغ من دعائه، وانتظر قليلا، ولكن المعول ما زال يهدم بين ضلوعه، والعفريت ما زال يهمس في أذنه، والانقباض يغمر نفسه، والكآبة تشع حوله.

وجهد أن ينام مرة ثالثة، وأغفى إغفاءة قصيرة، وما لبث أن هب من فراشه، وقد عزم على أمر.

لقد ارتدى معطفه الممزق، ودلف برفق، بخطوات وئيدة نحو الصندوق الخشبي الصغير، لئلا تستيقظ زوجته وأولاده. ودس يده الراجفة في جيبه، فأخرج مفتاحاً صغيراً، ففتح به الصندوق بهدوء.

لبث الشيخ لحظة مشدوهاً، وعيناه عالقتان بالصندوق تلمعان. ثم غاص بيده فيه، فأخذ صرة صغيرة بيد راعشة، وقلب راجف، وانتفض كالهر فهرول نحو الباب، تاركا الحوائج مبعثرة، والصندوق مفتوحاً.

سار الشيخ مثقل الرأس، يحمل همه على كتفيه. يسرع الخطو تارة، ويبطىء أخرى. وكان الهواء الثائر قد هدأ عصفه وخف زئيره، فلا نسمع سوى أنات النسيم الرقيقة بينها فوق ورق الزعرور ... وكانت السماء موشاة بغيوم متناثرات هنا وهناك. وقد ظهر القمر شاحباً يترنح بين الغيوم، كأنه ثمل أو سكران ... وكانت القرية مغمورة بكآبة نشرها عليها ضوء القمر الشاحب. وكان الشيخ يمشي وهو ساهم يترنح. ولم ينس أن يبتعد عن مخفر الحارس لئلا يقبض عليه. لقد تمثل في خاطره كيف ساقوه إلى الحاكم لأنه سرق دراهم جاره الغني، وكيف أقسم أنه لم يسرق، لئلا يفتضح وقد شاب رأسه. وذكر ما أصابه منذ انفتل راجماً إلى داره يحمل لأولاده لقيمات. وكان يخيل إليه، وهو يمشي، أن تلك الأنات التي ترسلها النسمات معناها « الدراهم ... » أما تلك الأشجار المنتصبة في الفضاء فهي أشباح، أو أناس يترصدونه ليقبضوا عليه جزاء يمينه الغموس التي حلفها اليوم. وخامره خوف شديد لا عهد له به من قبل. فكان يقشعر بدنه كلما ظهرت أمامه شجرة من وراء المنعرج، أو من يمين الطريق، كأنها الشبح. فإذا ما تبينها تنفس الصعداء وأحس كأن ماء حاراً صب فوقه، فيرفض جسمه عرقاً. ثم يعاود سيره بجد، ويتلفت من حين إلى حين يمنة ويسرة، ينظر أيتبعه أحد، ثم يحدق أمامه ليطمئن إلى طريقه الطويلة. وينظر إلى الأحجار المبعثرة على جنبات الطريق، التي تبدو كأنها جماجم الموتى، تلمع، وهي صلعاء، تحت ضوء القمر.

وخرج الشيخ من القرية وابتعد عنها، وبلغ داراً كبيرة منعزلة قامت على رابية. وطرق سمعه أصوات عربدة تصدر من الدار فتقدم من نافذة الدار. فرأى النور يتدفق منها، فسائل

نفسه ، لم ينهره الحارس إذا رأى النور فى عليته ، ويسمح للحاكم أن ينير غرفته ؟ ثم حدق فى ثقب من النافذة ، فرأى مائدة حفلت باللحوم والأطعمة والأشربة . ورأى الحاكم ، وقائد الجند يكرعون الشراب كرعاً ، ويلتهمون اللحم التهاماً ، فارتد بصره ، وذرف دمعة ، وصعد حسرة .

وتعالت أصوات المعربدين . لقد حار فى أمره ، إنه هنا قائد الجند الفظ الغليظ ، ذو العصا الضخمة ... ولئن طرق الباب ، فإنه ليخاف عصاه ، وهو يخشى أن ينهره الحاكم ، أو يسلمه للجند . إنه الحاكم ، لا يخيفه أحد ، ولا يحفل بإنسان .

وهجمت على رأسه فكر سود كالخفافيش ، فذهل . ونبهه همس ناعم . وخفق قلبه . وهم أن يعود . فارتجف ، واصطكت ركبتاه خوفاً من العفريت الذى يرافقه ، والذى سيلقاه فى غرفته ، والذى سيؤنبه على السرقة ، ويلحف عليه برد الدراهم ، ففضل أن يضربه القائد ألف ضربة ، وأن ينهره الحاكم ألف مرة ، على وخزات العفريت ، ولسعات الضمير .

وتقدم من الباب ، ومد يده المرتجفة ، فدقه دقات ضعيفة ، وقلبه يخفق .

لم يسمع الشيخ جواباً ، فلقد كانت عربدات السامرين تحول دون سماع دقات الباب ؛ فأعاد طرق الباب مثنى وثلاث ، وفجأة هدأت الأصوات ، وسمع صوت ينادى فيشق سكون الليل :

— مين ؟

فتلعثم الشيخ ... وعاد الصوت يسأل :

— مين ... ؟

فنادى الشيخ :

— أنا ... أنا .

— من أنت ؟ ..

واقترب الصوت ...

— إنها جريمة ، لا بد ... أوف ! فى النهار شغل ، وفى الليل شغل ... وفتح الباب ، وظهر الحاكم ، ومن ورائه القائد .

وأخذ الحاكم يحدق فى الشيخ ، ولقد حسبه خادمه أحد :

— أحمد ... شو ، فى جناية ... مين مقتول ... مين ...

وقال القائد وهو يتلعثم :

— قبضتم على القاتل ... هو فى السجن طبعا ... هرب ؟ ... لا ... لا ...

وارتبك الشيخ وقال :

— لا ... أنا الشيخ جاسم :

وحدق فيه الحاكم وقال :

— جاسم ؟

— نعم ، جاسم ، الذى أخذ الدراهم ...

ومسح الحاكم عينيه بكفيه وقال :

— معك دراهم المقتول ؟ كيف أخذتها ... اقبضوا عليه ...

وردد القائد :

— هيا ... اقبضوا عليه ...

واضطرب الشيخ . والتفت حوله ... ولكن لم يتقدم أحد ليقبض عليه ...

وعاد الشيخ يقول :

— أنا الذى أقسمت اليوم يمينا ، إنها يمين كاذبة . أنا الذى سرقت الدراهم ... لقد جئتك بها ، والعفريت يتبعنى ، يضرب فى قلبى . خذها ... يا سيدى ... أفضل أن أجوع ، ولا أتعذب خذها ... لا أريدها !

ورمى الشيخ بالصرة ، وانفتل يهرول ...

وقهقه القائد ، وهو يقول :

— رزق جديد ... هو لا يأخذها ؟ هه ... نحن نأخذها ... هات ، هات ...

***

وابتعد الشيخ عن الدار . فنظر إلى الأرض ، وإلى السماء ، ونظر أمامه وخلفه ، وعن يمينه وعن شماله . إنه لا يسمع الآن شيئا . قلبه لا يخفق كذى قبل ، وكأن جبالا رفعت عن كتفيه وأحس بالنسيم اللطيف يدغدغ رئتيه ... ورأى القمر كألطف ما يكون . لقد تغير كل شىء ، وها هو ذا يبتسم ، رغما منه لقد أحس بالفرح ، فانطلق يسرع فى مشيه وهو يتمتم :

— آه ... لقد استرحت ... الآن أنا سعيد ... !

(دمشق) صلاح الدين المنجد

على هامش النقد :

« دفاع عن البلاغة »

تأليف الأستاذ الزيات

للأستاذ سيد قطب

— ٢ —

يبلغ الأستاذ الزيات فصل الخطاب حين يتحدث عن « الذوق » فيقول فى ص ٣٣ :

« ولكل لغة من اللغات المتمدنة عبقرية تستكن فى طرق الأداء ، وتنوّع الصور ، وتلاؤم الألفاظ . وهذه العبقرية لا تدرك إلا بالذوق . والذوق لا يُعلَّم ، وإنما يكتسب بمخالطة الصفوة المختارة من رجال الأدب ، ومطالعة الروائع العالمية لعباقرة الفن . واطلاع الكاتب على الأمثلة الرفيعة من البيان الخالد يرهف ذوقه ، ويوسع أفقه ، ويريه كيف تؤدى المعانى الدقيقة ، وتحيا الكلمات الميتة »

ولكى لا يقع اللبس فى ما يعنيه الأستاذ بالكلمات الميتة ، نقتبس فقرات له فى ص ٨٢ توضح هذا المعنى ولها فى ذاتها قيمة فى بيان قضية البلاغة :

« وفى اختيار الكلمة الخاصة بالمعنى إبداع وخَلق ؛ لأن الكلمة ميتة ما دامت فى المعجم ؛ فإذا وصلها الفنان الخالق بأخواتها فى التركيب ، ووضعها فى موضعها الطبيعى من الجملة ، دبت فيها الحياة ، وسرت فيها الحرارة ، وظهر عليها اللون ، وتهيأ لها البروز . والكلمة فى الجملة كالقطعة فى الآلة ، إذا وُضعت فى موضعها على الصورة اللازمة والنظام المطلوب تحركت الآلة وإلا ظلت جامدة. وللكلمات أرواح كما قال (موباسان). وأكثر القراء ، وإن شئت فقل أكثر الكتاب ، لا يطلبون منها غير المعانى . فإذا استطعت أن تجد الكلمة التى لا غنى عنها ، ولا عوض منها ، ثم وضعتها فى الوضع الذى أعد لها ، وهندس عليها ، ونفخت فيها الروح التى تعيد لها الحياة ، وترسل عليها الضوء ، ضمنت الدقة والقوة والصدق والطبيعية والوضوح ، وأمنت الترادف والتقريب والاعتساف ووضع الجملة فى موضع الكلمة وذلك فى الجهاد الفنى فوز غير قليل »

وهذا كلام جيد ، فلقد آن الأوان لأن نقدر قيمة الكلمة فى تلوين الصورة الفنية ، فهى أشبه شىء باللون المعين فى الصورة ، وكما تتبين مهارة المصور فى اختيار الألوان وتنسيقها لتحدث التأثير اللازم فى جو الصورة العام ، فكذلك اختيار الكلمات وتنسيقها لتشع ظلالها الخاصة ، ولتتألف من هذه الظلال مجتمعة صورة منسقة .

هذا الاختيار والتنسيق لا يتم كله عن طريق الوعى ، فهناك الذوق الخفى ، الذى تربى شيئاً فشيئاً ، وأساسه موهبة لدنية ، ولكن المرانة هى التى تبرز هذه الموهبة ، وتلوّنها ، وتجعلها فى النهاية عاملا من عوامل الخلق والاختيار .

ولقد غالت المدرسة العقلية فى تقدير قيمة المعانى وإهمال قيمة اللفظ المصور ، اكتفاء باللفظ الدال . والمسألة هى تعريف هذا اللفظ الدالّ فى الفن . فنحن قد نرتضى هذا الوصف للفظ ؛ ولكن على معنى أوسع مما تريده المدرسة العقلية فى الفن . إن اللفظ لا يكون دالا فى الفن بمجرد أدائه للمعنى اللغوى أو الذهنى فذلك يصلح فى العلم وربما فى الفلسفة . ولكنه لا يكفى فى الفن، فالصورة — لا المعنى — هى المقصودة فى الفن . واللفظ والعبارة يكونان دالّين فى الفن حين يؤديان المعنى الذهنى ، ويخلعان بجواره ظلالا معينة تتسق مع هذا المعنى ، ويحدثان فى الوقت ذاته إيقاعا معيناً يتسق مع الظلال والمعانى ... ومن مجموع هذه الخواص تتكون دلالة اللفظ أو العبارة فى النص الفنى ، كما تتكون الصورة الفنية المعبرة عن فكرة فنية .

وفى هذا المجال يتفاضل الأدباء . وذلك مع عدم إهمال القيم الذاتية لخصائص الشعور ، وطبيعة التفكير . هذه القيم التى لا تبدو على حقيقتها إلا عند ما يعبر عنها فى صورة جيدة كما أسلفنا الحديث .

***

« لكل لغة عبقرية تستكن فى طرق الأداء ، وتنوع الصور، وتلاؤم الألفاظ »

ويرى الأستاذ الزيات أن عبقرية اللغة العربية من حيث طريقة الأداء تستكن فى الإيجاز . وعبقريتها من حيث تلاؤم الألفاظ تستكن فى السجع والازدواج .

وهذه ملاحظة صادقة فى تسجيل خصائص المأثور من البيان

العربى . ولكن الدعوة إلى الوقوف عندها فى أساليبنا المصرية هى التى نفترق فيها عن الأستاذ .

فلننظر فيما يقول فى هذين الأصلين الكبيرين .

« إذا كانت الوجازة أصلا فى بلاغات اللغات ، فإنها فى بلاغة العربية أصل وروح وطبع . وأول الفروق بين اللغات السامية واللغات الآرية أن الأولى إجمالية ، والأخرى تفصيلية . يظهر ذلك فى مثل قولك « قُتِلَ الإنسان ! » فإن الفعل فى هذه الجملة يدل بصيغته الملفوظة وقرينته الملحوظة على المعنى والزمن والدعاء والتعجب وحذف الفاعل . وهى معان لا تستطيع أن تعبر عنها فى لغة أوربية إلا بأربع كلمات أو خمس . وطبيعة اللغات الإجمالية الاعتماد على التركيز والاقتصار على الجوهر ، والتعبير بالكلمة الجامعة ، والاكتفاء باللمحة الدالة . كما أن طبيعة اللغات التفصيلية العناية بالدقائق ، والإحاطة بالفروع ، والاهتمام بالملابسات ، والاستطراد إلى المناسبات ، والميل إلى الشرح . ولم تعرف العربية التفصيل والتطويل والمط إلا بعد اتصالها بالآرية فى العراق والأندلس . ولا أقصد من وراء ذلك إلى تفضيل لغة على لغة ، أو ترجيح أسلوب على أسلوب ؛ فإن الاختلاف اختلاف جنسية وعقلية ومزاج . والتفصيل إذا سلم من اللغو كان كالإجمال إذا برىء من الإخلال . وكلاهما حسن فى موقعه ، بليغ فى بابه . وقد يكون التفصيل من الإيجاز إذا قدر لفظه على معناه »

وإلى هنا فالكلام جيد دقيق ، لأنه يكتفى بتقرير حالة واقعة فى اعتدال وقصد . وإن كان فى هذا التعميم ما يستحق بعض الاستدراك . فالميل إلى الإجمال أو التفصيل قد لا يكون مزاج أمة ولا لغة ، بل مزاج فرد أو جماعة فى كل لغة . ولكن هذا الكلام مقبول فى حدود السمات العامة للغات .

ثم يقول :

« اختصر فى صفة واحدة صفات البلاغة فى أساليب القرآن والحديث وأشعار الجاهليين وخطب الأمويين وكتب العباسيين فلن تكون هذه الصفة غير الإيجاز »

« وكان أمراء النثر العربى من أمثال جعفر بن يحيى ، وسهل ابن هرون يتوخون جانب القصد ، ويؤثرون طريق الإيجاز . حتى قال جعفر للكتاب : « إن استطعتم أن تجعلوا كتبكم كلها توقيعات فافعلوا » . والتوقيعات ما يعلقه الخليفة أو الوزير أو الرئيس على ما يقدم إليه من الكتب فى شكوى حال أو طلب نوال . وهى تجرى مجرى الأمثال فى الجمع بين الإيجاز والجمال والقوة »

وهذا كلام جيد حين يراد به تسجيل حالة واقعة — ما عدا الكلام عن إيجاز القرآن فلنا فيه رأى آخر سنبديه — أما حين يراد اتخاذه مثالا فلا

ان طبيعة الموضوعات التى عالجها النثر العربى المأثور ، وأهمها الحكم والأمثال ، والتوقيعات ، والرسائل ، هى التى اقتضت هذا الإيجاز ، وكان سائغا فيها . ولكنه فى الشعر بدا عيبا فى كثير من الأحيان . فمعظم الشعر العربى يعمد إلى بلورة المعنى وإرساله كالقذيفة ، وقلما يعنى بتصوير الحالات النفسية ووصفها وبسط التجارب الشعورية التى تُمتِع الحس بتتبعها . إنه يخاطب الذهن غالبا بالمعنى الذهنى الأخير الذى لا يتمتع به إلا الذهن وحده . وفى هذا تتفوق طريقة الأداء فى غير الشعر العربى : فى الشعر الأوربى والهندى والفارسى . ولقد كتبت عدة فصول عن « طريقة الأداء فى الشعر » وعن « الصور والظلال فى الشعر » وكلها تبرز تقصير طريقة الأداء فى الشعر العربى عن نظائرها فى الشعر العالمى . والعيب كله راجع إلى بلورة المعانى ، واقتضاب التفصيلات ، أى إلى هذا الايجاز الذى قد يفلح فى شعر الحكم ولكنه يخفق فى تصوير الحالات النفسية ، والخطرات الشعورية كل الإخفاق . كما يخفق فى القصة التى تقتضى مزيداً من « العناية بالدقائق ، والإحاطة بالفروع ، والاهتمام بالملابسات » تلك الخصائص التى ذكر الأستاذ الزيات أنها من خصائص اللغات التفصيلية ...

وقد نقل الأستاذ كلاما لابن الأثير فى ص٩٤ ، له دلالته فى موضوعنا : قال ابن الأثير .

« جلس إلىّ فى بعض الأيام جماعة من الإخوان ، وأخذوا فى مفاوضة الأحاديث ، وانساق ذلك إلى ذكر غرائب الوقائع التى تقع فى العالم ، فذكر كل من الجماعة شيئا . فقال شخص منهم : « إنى كنت بالجزيرة العمرية ، فى زمن الملك فلان ، وكنت إذ ذاك صبيا صغيراً ، فاجتمعت أنا ونفر من الصبيان فى الحارة الفلانية ، وصعدنا إلى سطح طاحون لبنى فلان ، وأخذنا نلعب على السطح ، فوقع صبى منا إلى أرض الطاحون ، فوطئه بغل من بغال الطاحون ، فخفنا أن يكون آذاه ؛ فأسرعنا النزول إليه ، فوجدناه قد وطئه البغل فختنه ختانة صحيحة حسنة ، لا يستطيع الصانع الحاذق أن يفعل خيراً منها » .

فقال له شخص من الحاضرين : والله إن هذا عىّ فاحش ،

وتطويل كثير لا حاجة إليه . فإنك بصدد أن تذكر أنك كنت صبيا تلعب مع الصبيان على سطح طاحون ، فوقع صبي منكم إلى أرضها ، فوطئه بغل من بغالها ختنه ولم يؤذه . ولا فرق بين أن تكون هذه الواقعة في بلد تعرفه أو في بلد لا تعرفه . ولو كانت بأقصى المغرب ، لم يكن ذلك قدحاً في غرابتها . وأما أن تذكر أنها كانت بالجزيرة العمرية في الحارة الفلانية في طاحون بني فلان فإن مثال هذا كله تطويل لا حاجة إليه والمعنى المقصود يفهم بدونه »

وتعليق ابن الأثير على لسان « شخص من الحاضرين » هو نموذج من فهم العقلية العربية التقليدية للفن . فالمعنى هو المقصود ، المعنى في أوجز لفظ وأخصره ، مجرداً عن ظلاله وملابساته وظروفه . المعنى المركز في « برشامة » !

ونحن لا نتردد في إيثار طريقة صاحب الطاحونة ! — من الناحية القصصية — لأنه يصور الجو والملابسات ، ويطيل التشويق ، ويتضمن المفاجأة في النهاية وهو على تفاهة حكايته « صاحب فن » في روايتها ، يهيء له أن يصبح قصاصا ! ! أما صاحبه الآخر الذي رد عليه فرجل عجول ، وهو قد يكون أشد عروبة ، ولكنه ليس أحسن فنا !

أما القرآن فلم يتبع خطة واحدة . لقد استخدم الإيجاز والإطناب كلاً في موضعه ، وحسب الغرض النفسي الذي يتوخاه

وقد جاء في فصل « التناسق الفني في القرآن » من كتاب « التصوير الفني في القرآن » ما يأتي :

« بعض المشاهد يمر سريعا خاطفا ، يكاد يخطف البصر من سرعته ، ويكاد الخيال نفسه لا يلاحقه . وبعض المشاهد يطول ويطول حتى ليخيل للمرء في بعض الأحيان أنه لن يزول . وبعض هذه المشاهد الطويلة حافل بالحركة ، وبعضها شاخص لا يريم . وكل أولئك يتم تحقيقا لغرض خاص في المشهد ، يتسق مع الغرض العام للقرآن ويتم به التناسق في الإخراج أبدع التمام »

ثم ضربت أمثلة متعددة للقصر الخاطف ، وأمثلة متعددة للطول المقصود في عرض المواقف . ويحسن أن أختار هنا مثالين من تلك الأمثلة الكثيرة:

« ١ — يريد أن يصوّر للناس قصر هذه الحياة الدنيا التي تلهيهم عن الآخرة ، فيخرج القصر في هذه الصورة :

« واضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الحياةِ الدُّنيا ، كماء أنْزَلناهُ من السماء ، فاختلطَ بهِ نباتُ الأرْضِ ، فأصبحَ هشيماً تَذْرُوهُ الرِّياحُ » .

« وانتهى شريط الحياة كله في هذه الجمل القصار ، وفي هذه المشاهد الثلاثة المتتابعة : « ماء أنزلناه من السماء » ف « اختلط به نبات الأرض » ف « أصبح هشيما تذروه الرياح » .

« ألا ما أقصرها حياة !

« ٢ — ويريد أن يبصر الناس بنعمة من نعم الله عليهم ، فيعرض عليهم هذه الصورة نفسها : صورة نزول الماء من السماء وإنبات الزرع به ، وصيرورته حطاما ... ولكن في تطويل وتريث وتفصيل ، لأن التذكير بالنعمة يقتضي التريث والتفصيل

فالقسم الأول من الصورة وهو نزول الماء من السماء يعرض هكذا:

« اللهُ الذي يُرسِلُ الرياحَ ، فتُثيرُ سَحاباً ، فيبسُطه في السَّماءِ كيفَ يشاء ، ويجعله كِسَفاً ، فترَى الودقَ يَخرُجُ مِنْ خلاله ، فإذا أصابَ به من يشاء من عباده إذا هُم يَستبشرونَ »

والقسم الثاني بعد وصول الماء إلى الأرض يعرض هكذا :

« ألمْ تَرَ أنّ اللهَ أنزلَ من السَّماءِ ماء ، فَسَلَكَهُ يَنابيعَ في الأرضِ ، ثمّ يُخرِجُ بهِ زَرْعاً مُختلفاً ألوانُه ، ثمّ يَهيجُ فتَراهُ مُصْفَرّاً ، ثمّ يَجعلهُ حُطاماً »

فالرياح تثور ، فتثير السحب في السماء ، فيتراكم السحاب ، فيخرج منه المطر ، فينزل المطر من السماء ، فيستبشر به عباد الله فإذا نزل إلى الأرض ، فلا يختلط بالأرض ولا بنبات الأرض — كما حدث هناك — إنما يسلك ينابيع . « ثم » — في تراخ — يخرج به زرعا . « ثم » — مرة أخرى — يهيج فتراه مصفراً — وفي الوقت مهلة لتراه — « ثم » مرة ثالثة يجعله حطاما . « يجعله ! » وهناك « أصبح هشيما » كأنما يصير هكذا من نفسه بلا حاجة إلى مصير !

وفي مشاهد القيامة مثل هذا الإطناب وذلك الإيجاز ، وفي المواقف القصصية . وفي كل موضع يقتضي التفصيل أو الإجمال ، فالقرآن في هذا خارج على مأثور النثر العربي . متميز بخصائصه الفنية في كل موقف وفي كل حال .

***

فلننظر في السمة الثانية من سمات اللغة العربية في تلاؤم الألفاظ . وهي السجع والازدواج . والازدواج بشكل خاص :

« فالازدواج على إطلاقه ، والسجع على تقييده ، يؤلفان الموسيقية فى الأسلوب البليغ ، منذ كان للعرب ذوق ، وللعربية أدب . فليست الحال فيهما هى الحال فى سائر الأنواع البديعية التى نشأت فى الحضارة ونمت بالترف ، وسمجت بالفضول . وفسدت بالتكلف . فالذين ينكرون على من يحسنون التأليف بين الأصوات ، والمزاوجة بين الكلمات ، والمجانسة بين الفواصل ، إنما ينكرون جمال البلاغة وجميل البلغاء فى دهر العروبة كله . وإذا أقررناهم على أن ذوق العصر لا يسيغ ذلك البديع الذى أولع به كتاب العصر الخامس ، ومن خلف من بعدهم ، فذلك لأننا لا نقحم فى ذلك البديعَ تلك الأنواعَ التى تحسب فى عناصر الأسلوب ، وتنسب إلى خصائص اللغة ، كصحة المقابلة ، وحسن التقسيم ، وائتلاف اللفظ مع المعنى ، واتفاق الفقرة والفقرة فى الوزن ، أو اتحاد الفاصلة والفاصلة فى الروىّ .

« وأقطع الحجج على أن الازدواج والسجع من لوازم الأسلوب العربى أن القرآن ، وهو « كتاب أحكمت آياته ، ثم فصلت من لدن حكيم خبير ، قد تجوّز فى بعض الألفاظ والصيغ محافظة عليهما »

ونحن لا نجادل الأستاذ فى أن السجع والازدواج أساسان من أسس النثر العربى المأثور — وندع الحديث عن القرآن إلى موضعه — ولا نجادله فى أن فيهما جمالا حين يحسن استخدامهما ولكن هذا لا يعنى أنهما مفروضان ضربة لازب على الأساليب العصرية .

وقبل كل شىء نود أن نقرر فى صراحة : أنه إذا كان فى اللغة العربية شعر يبلغ نهاية الجودة وقمة الفن — فى بعض الأحيان — فإنه ليس فى اللغة العربية نثر يتسم بهذه السمة ! إن الأسلوب النثرى المأثور فى اللغة العربية أسلوب متخلف متصنع تنقصه الطلاقة والحيوية والاندفاع . ولم يبلغ النثر العربى يوما ما بلغه على أيدى كتاب العصر الحاضر الذين أطلقوه من قيوده البطيئة فى التعبير والتنغيم على السواء .

وهذه حقيقة تنفعنا ، فإنه إذا جاز أن نتجه إلى الشعر العربى المأثور(١) للمحاكاة والانتفاع ، فلا يجوز أن نتجه إلى النثر العربى المأثور إلا لتكوين الذوق اللغوى ، لا المحاكاة الفنية .

وإيقاع السجع والازدواج — على تفاوت بينهما — هو إيقاع « التقاسيم » الشرقية فى الموسيقى ، فيه الاتزان المتوازى أو المتقابل . ولكن تنقصه التموجات العريضة العميقة ، وتنقصه الرفرفة الخفيفة والاندفاعات الطليقة . وهو على أية حال ليس إلا لوناً واحداً من ألوان الإيقاع لا يصلح لجميع الأحوال . والتناسق الحقيقى هو اتفاق صورة الكلام وإيقاعه مع طبيعة الشعور الذى انبعث عنه والجو النفسى الذى يصوره . وهو بهذا الوضع جزء من دلالة العبارة كالمعنى الذهنى سواء . والسجع والازدواج لا ينفسحان عن جميع الصور النفسية .

ثم نصل إلى الحديث عن القرآن .

وأنا الذى ألفت كتابا كاملا عن « التصوير الفنى فى القرآن » وأبرزت سمة « الإيقاع الموسيقى » فى هذا التصوير ، لا أتردد فى الجهر بأن القرآن لم يستخدم السجع والازدواج فى كافة أغراضه بل استخدمهما فى المواضع الخطابية التأثيرية . وفى هذه المواضع وأمثالها دون سائر الأغراض يحسن السجع والازدواج .

فإذا خطر لنا أن نتأثر أسلوب القرآن ، فلنعرف مواضع كل طريقة من طرق الأداء فيه . ولنفرق بين السمات المطردة فيه ، والسمات الخاصة بموضع دون موضع .

فطريقة التعبير بالتصوير سمة مطردة . أما الإيقاع فى السجع والازدواج فسمة موضعية .

ومن هنا يأتى الخطأ لجماعة ممن يعن لهم تقليد أسلوب القرآن فى العصر الحديث . فهم لا يقلدونه فى طريقة التعبير بالتصوير . ولكن فى طريقة تركيب الجمل ، وتنسيق العبارات ... ولقد دعوت مرة إلى التأثر بطريقة الأداء القرآنية ، وعنيت بها الصور والظلال وتجانس الصور والإيقاع . ولكننى لم أعن تركيب الجمل على النسق القرآنى فى كل المواضع والموضوعات . وهناك أساليبه الطليقة التى استخدمها للشرح والتقرير ، والأساليب التأثيرية التى استخدمها فى مواضع خاصة تصلح لهذه المواضع ، ولا تطرد فى كل المواقف .

وهذا مفصل القول فى هذا الموضوع الدقيق .

(للبحث بقية) سيد قطب

(١) أنا أستخدم كلة مأثور مقابل « كلاسيك » وأرى أنها تدل على كامل معناها بشطريه : الجودة والاتباع بخلاف كلة تقليدى . أو اتباعى فإنها تغفل شطر المعنى . وهو سبب تقليده واتباعه .

المفتى المهــــاجر

للاستاذ توفيق محمد الشاوى

« فلسطين ! وما فلسطين ؟

هى الوطن ، إذا كان الوطن أن نعيش فيه سادة أحراراً .

وهى الدين ، إذا كان الدين أن نذود عنه أعزة كراماً .

وهى الأمل ، إذا كان الأمل هو كل مايملك النفس ويحركها.

وهى الحلم ، إذا كان الحلم هو كل ما يشغل القلب ويجذبه مهما كانت حجب الزمان والمكان

فلسطين ! هى ذلك التاريخ الحافل الذى حفظته الدنيا ، فلن يمحى بعد ذلك !

هى ذلك المجد الخالد الذى صنعه الآباء ، فلن يحيابدونه الأبناء!

هى ذلك التراث المجيد الذى يملكنا ونملكه ، هو لنا الماضى، ونحن له المستقبل !

نعم ! وهى هى التى دعتنى إلى الفراق حين فُرِضَ الفراق ، وتدعونى إلى اللقاء حينما يجب اللقاء ... »

لعل هذه هى الخواطر التى شغلت دائماً هذه النفس الهادئة القوية ، وملأت هذا القلب الطاهر العميق ، وإنك لتستطيع أن تقرأها واضحة ناطقة فى هذا الوجه الباسم المطمئن ، وهاتين العينين الصافيتين الهادئتين ، عينى المفتى مفتى فلسطين الكبير !

إنك لتراها واضحة لأنها تصدر عن فكرة قوية هادئة ، تعبر عن إيمان صادق عميق ، وثقة ثابتة لا تتزعزع ، تلك هى العقيدة الإسلامية الخالدة التى تمثلت فى تاريخنا الحافل ، ولا يمكن أن يجحدها جاحد ، وخاصة إذا تمثلت فى رجل عظيم !

فكرة تكسب الرجل قوته وعظمته التى عجزت أمامها « السياسة » الإنجليزية الماكرة ، وأفلست حيالها كل المكايد الاستعمارية الخادعة ... أخرجته من فلسطين إلى لبنان ، ومن لبنان إلى العراق ، ثم منها إلى إيران ، ومن إيران إلى تركيا فأوربا ، وها هى أوربا قد قلبت رأساً على عقب ، وهو هو ، تطورت الأحداث ، وهو ثابت لم يتزعزع بإيمانه القوى الثابت ، وفكرته التى خرج بها من بلاده ، والتى يجمعها هذه الكلمة التى لا تبرح خاطره ولا تغادر قلبه « فلسطين » !

« من أجلها استوى عنده الشرق والغرب والقرب والبعد ! ومن أجلها خرج عن المال والولد ، وطابت له الهجرة ،

ولكن إلى حين ! من أجلها دار هذه الدورة التاريخية من الشرق إلى الغرب ، مخترقاً قلب هذه القارة الطاغية الجبارة « أوربا » فى سبيل تلك الغاية الواحدة « فلسطين » !

وإنه ليقيم فى باريس ، فى ضيافة فرنسا ، فى تلك الفيلا الهادئة المنعزلة قرب « السين » ، فهلا يستريح ؟ كلا ! وأى نجم فى السماء يستريح ؟ كلها تدور كما دار هو صابراً ثابتاً ، من برج إلى برج ، فى هدوء وإشراق ، لا تقف فى منتصف الطريق ، لا بد من أن تتم الدورة ، لا بد من « العودة » إلى هذه النقطة التى بدأ منها ، والتى اتجه إليها دائماً بروحه وقلبه ، والتى يعيش من أجلها .. فلسطين أنشودته الخالدة :

فلسطين يا فلسطين أنت لى دنيا ودين !

الإنجليز يطاردون، واليهود يترصدون،والفرنسيون مترددون مراقبون، ولكنه هادئ باسم ، لأنه مؤمن ولأنه واثق : مؤمن بالحق، وواثق بالله... مؤمن بأنه يجب أن يعود ، وواثق بأنه سيعود!

وماذا يكلفه ذلك ؟ إنه لايملك شيئاً إلاروحه ، وهى رخيصة فى سبيل غايته ، لقد عرضها على الموت فى كل آن ، منذ أن بدأ جهاده فى سبيل الحق وهو يبحث عن الموت ويطلبه فى سبيل بلاده وعقيدته ، ولكن الموت عنيد لا يطلب من يطلبه ... فليجاهد حتى الموت !

وكيف يعود ؟ لا بد من إذن الحكومة الفرنسية ، ورضاء الحكومة الإنجليزية وطلب الحكومات العربية، ولابد من إجراءات دبلوماسية تطول ، وعقبات سياسية لا سبيل إلى تذليلها الآن !

كلا ! دعوا كل هذا ، واقرأوا هذا الوجه الهادئ الواثق ، هناك ابتسامة عريضة تكاد ترسم قوساً تحت هذا الأنف العربى الأشم ، إنه سيعود ، إنه لا يفصله عن غايته إلا مثل هذا القوس ، الطريق من باريس إلى الشام لن يكلفه أكثر من هذه الابتسامة المؤمنة الهادئة ، ما دام أنه يجب أن يعود ، فلا بد أن يعود ، ولا يمكن أن يبقى تحت رحمة السياسة والدبلوماسية ، وخير له أن يخاطر ليعرض روحه على الموت مرة أخرى فى سبيل غايته ، فإنه سيبلغ بلا شك إحدى الحسنيين ! دين آبائه وأجداده من قبل ! فليعد مخاطراً مجازفاً كما خرج مخاطراً مجازفاً ، سواء رضيت انجلترا أو لم ترض ، وسواء أذنت فرنسا أو لم تأذن ... لا بد من العودة ... لا بد منها ... فلسطين ... الشام ... وقد كان !

توفيق محمد الشاوى
مدرس بكلية الحقوق بجامعة فؤاد

التطورات السياسية
فى الشرق الأقصى

للأستاذ محمد جنيدى

[تتمة ما نشر فى العدد الماضى]

يتولى الحكم فى أندونيسيا نائب عن الملكة ولهلمينا يدعى باسم الحاكم العام ، يساعده مجلس مكون من رؤساء المصالح الكبيرة ، المالية ، والحربية ، والبحرية ، والعدلية والاقتصادية وهم هولنديون ، طبعاً ! . ويسمى هذا المجلس « Raad Indie » المجلس الهندى ، ويساعده أيضا المجلس النيابى .

وفى يناير ١٩٢٠ أنشأ بعض رجالات جزيرة « Madoera » حزب « شركت مادورا » عاملا لتقوية الحركات التحررية فى هذه الجزيرة . وفى ٨ مايو ١٩٢٠ تأسست جمعية سياسية فى جزيرة « سيلييبس » باسم « شركة أمبون » لا تخرج غايتها عن غايات الأحزاب الوطنية التى ظهرت قبلها .

وخلال عام ١٩١٩ حدثت عدة اضرابات فى المرافق العامة إظهاراً للشعور المكبوت من سياسة الحكومة الهولندية فى إدارتها أمور البلاد بطرق دلت على الاستغلال والاستعباد للشعب ، وأشهر حوادث الاعتصاب : الاعتصاب الذى قام به موظفو وعمال الترام بين مدينة « سمارانج شريبون » ثم موظفو وعمال ترام سومطرة الغربية ، ثم موظفو وعمال مطبعة سورابايا الأميرية ، ثم إضراب نقابات الخياطين الوطنيين ، ثم الإضراب النهائى الكبير فى مصانع السكر العائدة للأمبريالية الغربية ، فشلت حركاتها أياماً .

فى عام ١٩١٧ حاول الدكتور سمون والمستر تان ملاكا والمستر عالمين نشر المبادىء الاشتراكية الحديثةفى حزب الرابطة الإسلامية . فهؤلاء الثلاثة كانوا أعضاء فى فرع حزب الرابطة الإسلامية بمدينة « سمارانج » وقد تلقوا مبادىء الاشتراكية من المستر سنفليت الهولندى مؤسس الحزب الاشتراكى الديمقراطى فوقف لهم زعماء الرابطة موقفا رائعا ، صدوا المبادىء الشيوعية من الولوج فى المجتمع الإسلامى بأندونيسيا ، وبعد مجادلات فى الصحف وفى الأندية . انفصل اشتراكيو « شركة اسلام » منه وأنشأوا حزباً سياسياً باسم « شركة اسلام ميرة » أو « الرابطة الإسلامية الحمراء » بزعامة الدكتور سمون . وأما « شركة إسلام » الأصلية فقد زيدت فى اسمها كلمة واحدة ، وأصبحت تدعى باسم « الرابطة الإسلامية البيضاء » برئاسة شكرى أمينوتو .

ثم أبدل زعماء الرابطة الإسلامية الحمراء اسم حزبهم إلى « شركة رعيت » أو « حزب الأمة » وانتشرت فروعه فى القرى والمدن وكانت الروح المعادية للأمبريالية تكتسح المجتمع الأندونيسى وتهز دعائم الحكم الهولندى . وفى ٢٣ مايو ١٩٢٠ ظهر حزب الأمة بمظهر جديد ، فقد بدل اسمه إلى « الحزب الشيوعى الأندونيسى » « Partai Kommonis Indonesia » الرموز إليه بحرف « P. K. I. » ويعد هذا الحزب أكبر الأحزاب الأندونيسية المتطرفة ، ومبادئه العمل الإيجابى لإزالة الاستعمار الهولندى من أندونيسيا .

وفى عام ١٩٢٢ سافر الدكتور سمون إلى أوروبا ومنها إلى موسكو للاتصال بمركز قيادة الحزب الشيوعى الروسى واطلع على نظمه وبرامجه ومؤسساته ، ثم عاد إلى أندونيسيا . ومنذ ظهور الحزب الشيوعى فى المسرح السياسى اشتعلت أندونيسيا ناراً ، فالمبادىء الشيوعية تنتشر فى القرى والمدن ، والأفكار الحرة تهدم معاقل الاستعمار .

من شهر نوفمبر ١٩٢٦ إلى يناير ١٩٢٧ اندلعت نار الثورة الشيوعية الكبرى فى أندونيسيا ، أشعلها الحزب الشيوعى الأندونيسى ، فكافحتها السلطة الهولندية كفاحاً عظيما استعملت خلاله المدافع الرشاشة والدبابات والسيارات المصفحة . أما الأندونيسيون فكانت أسلحتهم المسدسات والقنابل اليدوية ! . واستطاعت الحكومة الهولندية إخمادها لقواتها الكثيفة التى قذفتها إلى ميدان الثورة . وبعد انجلاء الموقف سجنت السلطة الهولندية « ٤٥٠٠ » أندونيسى شيوعى ، ونفت أيضاً إلى غينيا الجديدة « ١٣٠٨ » شيوعين !

فى ٤ يوليو ١٩٢٧ أنشأ الدكتور سوركانو « اتحاد الشعب الأندونيسى » وساعده فى إنشائه المستر سر تونو ، والمستر إسحق

والمستر بودترات ، والمستر سوجدى ، والدكتور شفتو ماعون كسومو . وفى ديسمبر ١٩٢٨ عقد الحزب مؤتمره الأول بمدينة سورابايا ، وقررت الهيئة الرئيسية للحزب إبدال إسم الحزب . فسمى « الحزب الوطنى الأندونيسى » برئاسة الدكتور سوكارنو فأنشأ هيئات عسكرية من الشباب سميت بفرقة الهجوم . وفى هذا الظرف كان الشعب الأندونيسى يترقب مصير الحكم الهولندى فى أندونيسيا ، حيث أن الحزب الوطنى كان أقوى حزب سياسى فى أندونيسيا ، سياسته رفع السيادة الأجنبية عن أندونيسيا . وفى نهاية عام ١٩٢٩ داهمت جنود الحكومة الهولندية دار الحزب الوطنى بمدينة « باندونج » فجمعت أوراقه ومستنداته ، ثم داهمت أيضاً فرقة من الجنود الهونديين « ٥٠ » مدينة فى أندونيسيا فيها فروع الحزب ، وقبضت على « ٣٠٠ » عضو من أبرز أعضاء الحزب . أما رئيس الحزب فقد سيق إلى السجن ليلا والأسباب التى دعت الحكومة الهولندية إلى إجراء هذا العمل شعورها بثورة يشعل نارها الحزب الوطنى فى غرة عام ١٩٣٠ لما رأت منه من الأعمال الثورية منذ ظهوره فى الميدان السياسى . وبعد محاكمات طويلة قررت السلطة الهولندية سجن الدكتور سوكارنو أربع سنوات ، وسجن كل من المستر غاتوت والمستر ماسكون والمستر سوفريا والمستر سنغيه مدداً مختلفة . أما الدكتور سوركارنو فقد قضى عامين مسجونا فى سجن « سوكا مسكين » بسورابايا ، وأنقص عامان من مدة سجنه بأمر من الحاكم العام وأما الأعضاء الآخرون فقد أتموا مدة سجنهم .

فى ٣١ ديسمبر ١٩٣١ خرج الدكتور سوكارنو من السجن فوجد أتباعه قد انقسموا إلى قسمين : قسم برئاسة المستر سرتونو وقسم آخر برئاسة الدكتور محمد حتى . فانضم إلى « الحزب الأندونيسى » أو « Partindo » بزعامة المستر سرتونو . ثم فى عام ١٩٣٢ أسند إليه رئاسة الحزب ، وبدأ عمله السياسى كما كان وفى ٥ مارس ١٩٣٣ قبض عليه ثم نفى إلى جزيرة فلورس . وفى عام ١٩٣٦ أعيد إلى مدينة « بنكولين » بجزيرة سومطرة ، ثم عهدت إليه الجمعية المحمدية الأشراف على أقسامها الثقافية بفرعها بهذه المدينة .

أما الدكتور محمد حتى فقد أنشأ بمساعدة الدكتور شهرير « حزب التربية الأندونيسية » وكانت مبادئه تحرر أندونيسيا من الاستعمار الهولندى . وفى ٢٥ فبراير ١٩٣٤ ضربت السلطة الهولندية بيد من حديد على هذا الحزب . فنفت رئيسه الدكتور محمد حتى إلى جزيرة « بندانيرا » والدكتور شهرير إلى غينيا الجديدة ، وهكذا تضرب الأميريالية الغربية الحركات الشرقية التحريرية .

وفى ديسمبر ١٢٩٧ تألفت هيئة سياسية باسم : « اتفاق الهيئات السياسية القومية الأندونيسية » أو « Permoepatan Perkoempoelan Poliek Kebangsaan Indonesia » ، المرموز إليه بالحروف الأولى « P. P. P. K. I. » لاتخاذ مناهج سياسية مستقيمة لمقاومتها الاستعمار الهولندى ، وتولى رئاستها المستر محمد حسنى تمرين من حزب « أندونيسيا الكبرى » ، وتكونت هذه الهيئة من حزب « بودى أوتومو » وحزب « الرابطة الإسلامية » وحزب « قوم بتاوى » و « سومطرة بوند » وأدت هذه الهيئة خدمات سياسية فى صالح الشعب .

فى ١٦ أكتوبر ١٩٣٠ أبدل الدكتور ستومو « نادى التعليم » إلى حزب سياسى باسم « اتحاد الشعب » للتكاتف مع الأحزاب السياسية فى كفاح الاستعمار . وفى ٢٩ أبريل ١٩٣١ أنشأ الدكتور أمير شرف الدين حزب النهضة الأندونيسية « Garindo » للعمل لتحرير أندونيسيا من الاستعمار الغربى . وقد استطاع الدكتور أمين الدين بجهوده العظيمة إيجاد حالة سياسية للشعب أوضحت له أن أعماله وجهاده ستثمران بعد سنوات قليلة ، ومنذ نشأت الجمهورية فى أندونيسيا تولى الدكتور شرف الدين وزارة الأخبار ثم عين إلى وزارة الداخلية ، ثم عين إلى وزارة الدفاع ، ولا يزال يشرف عليها للآن .

وفى ١٤ سبتمبر ١٩٣٠ أنشأ المستر محمد يمين « حزب الشعب الأندونيسى » ، وكانت سياسة حزبه ترمى إلى الاستقلال التام لأندونيسيا أو البقاء تحت الاستعمار ! أما إنشاء حكومة ذاتية أو غيرها من أنواع الحكومات فليس من الحكمة الرشيدة ، والسياسة المستقيمة ! ويتولى اليوم المستر محمد يمين منصب حاكم جاوا الغربية .

وفى ٢٤ ديسمبر ١٩٣٥ أدغم الدكتور ستومو حزب

ديودي أوتومو ، وحزب اتحاد الشعب ، وحزب دشركت سومترا ، وأخرج منها حزباً سياسياً كبيراً هو «حزب أندونيسيا الكبرى»

اتبع الحزب سياسة معتدلة تجاه السلطة الهولندية ، وكان عمله الأول متجهاً نحو الحيـاة الاقتصادية والحياة الثقافية . فمؤسساته الاقتصادية :

١ — البنك الوطنى الأندونيسى . وله فروع كثيرة فى أهم المدن الأندونيسية ويؤدى الأعمال التجارية .

٢ — شركة الملاحة الوطنية .

٣ — المعهد الزراعى . ومؤسساته الثقافية : ١ — معهد التربية الأندونيسى ٢ — دور للأيتام ٣ — مدارس ثانوية ٤ — مدارس شعبية عامة ٥ — هيئة للأيتام ٦ — دور للأطفال لحمايتهم من داء — G. M. I. إدارة للصحافة والنشر .

فى ديسمبر ١٩٣٦ أسس بعض الزعمـاء الأندونيسيين « الحزب الإسلامى الأندونيسى » لعمل خطة سياسية إسلامية يسير عليها الشعب الأندونيسى المسلم فى جهاده فى سبيل استقلاله وتولى رئاسة الحزب « رادين ويووهو » العضو بالمجلس النيابى . وساعده فى إدارته الدكتور سوكيمان ، والمستر كسمات والدكتور سوكاردى . وقد جعل الحزب مبادئه مستمدة من القرآن والحديث مع مراعاة سير التطورات السياسية فى الشرق والغرب . وأعطى لرئيس الحزب التصرف المطلق حتى لقبته الصحافة الوطنية بلقب «دكتاتور» ولهذا الحزب وزير فى الحكومة الأندونيسية الحديثة هو الدكتور محمد ناصر ويشغل وزارة الاستعلامات ، وكان قبل نشوب الحرب الأخيرة رئيساً لفرع الحزب بمدينة سورابايا .

فى ٢١ مايو ١٩٣٩ أنشأ المستر أبيكوسنو زعيم حزب « شركت إسلام أندونيسيا » والمستر محمد حسنى ثمرين وكيل حزب « فرندرا » والمستر أمير شرف الدين زعيم حزب النهضة الأندونيسية . أنشأ هؤلاء رابطة سياسية باسم « Gaboengan Politiek Indonesia » والمقصد السامى لها توحيد الأحزاب السياسية الوطنية للعمل متحدة فى سبيل تحرير أندونيسيا من السلطة الغربية ، والأحزاب التى اشتركت فى هـذه الرابطة السياسية هى :

١ — حزب أندونيسيا الكبرى .

٢ — حزب النهضة .

٣ — حزب الرابطة الإسلامية .

٤ — حزب الاتحاد الميناهاسى .

٥ — حزب فاسوندان .

٦ — الحزب الإسلامى .

وأول عمل قامت به هذه الرابطة مطالبة السلطة الهولندية بانشاء برلمان . وقامت الرابطة بدعاية واسعـة النطاق لمشروع البرلمان فى الدوائر الأندونيسية والهيئات الهولندية . وفى ٢٣ — ٢٥ ديسمبر ١٩٣٩ أقامت الرابطة مؤتمرا قومياً باسم « المؤتمر القومى الأندونيسى » بمدينة جاكرتا لبحث ما وصل إليه زعماء الرابطة من أعمـال مشروع البرلمان . واشتركت الجمعيات الأندونيسية فى هذا المؤتمر إعلانا لتضامنها وشعورها نحو الرابطة ، وبعد انعقاد المؤتمر قدمت الرابطة مذكرة إلى المجلس النيابى بطلب إنشاء برلمان للبلاد ، أوضحت فيها مستوى ما وصل إليه الشعب من الثقافة والتربية السياسية ، ثم أحال المجلس النيابى مذكرة الرابطة إلى البرلمان الهولندى بلاهاى ، فأغمضت هولندا عينيها وتجاهلت الحالة فى أندونيسيا .

هذه خلاصـة تاريخية للتطورات السياسـية والحركات الاستقلالية فى أندونيسيا . فلعل القارىء تمكن من تصوير حقيقة الشعب الأندونيسى ، والتكهن بمستقبله بعد أن أعلن استقلاله بين أصوات المدافع وهدير الطائرات ، ثم خطى خطوات موفقة بين الأشلاء والدماء ! ...

محمد جنيدى

في خطبة للنشاشيبي :

كتاب أحمد شاكر الكرمي

كان وعد في «الرسالة» في المقالة (الفيلسوف أمين الريحاني) — رحمة الله عليه — أن ينشر كتاب النابغ الناقد مازنيّ الشام وعقّاده، المأسوف على آدابه وشبابه الأستاذ (أحمد شاكر الكرمي) صاحب صحيفة (الميزان) .

و (كتاب أحمد) هو في خطبة للنشاشيبي اسمها (كلمة موجزة في سير العلم وسيرتنا معه) قالها منذ أربع وثلاثين سنة في الحرب الكبرى الأولى، في كلية صلاح الدين الأيوبي، في بيت المقدس .

وهذا هو الكتاب :

سيدي الأديب الجليل :

وصلتني «كلمتك الموجـــزة» فكنت أتمثلك وأنا أتلو سطورها، مدرهاً من فحول الجاهلية قهر تصاريف الأيام، وحظي بنعمة الخلود، وقام يقرع مسمع الدهر بآيات العلم والعرفان في عصر العلم والنور .

إني مدين لرسالتك بنشوة السرور التي خامرت قلبي في زمن لا يبعث كل ما فيه إلا على الحزن والأسى ، فقد أطربني حقاً وجود أديب بين ظهرانينا يجلو أسرار العلم الحديث ومعجزاته في هذه الحلة العربية القشيبة في زمن استعجم فيه أبناء الضاد، وكادوا يضيعون آخر الذخائر وأثمن النفائس التي ورثهم إياها أسلافهم الأبرار .

وإني لأرجو أن تدفعك غيرتك على هـذه اللغة المجيدة التي قلّ أنصارها إلى الإكثار من هذه الآثار التي تعتز بها دولة الأدب، وتهتز لها أعطاف البلاغة . والسلام عليك من أخ مخلص يجلّ منزلتك، ويكبر أدبك وبيانك .

دمشق الشام في ١٨ آذار ١٩٢٢ أحمد شاكر الكرمي

وهذه شذرة من الخطبة التي شرّفها وأغلى قدر منشيها اسم النبي محمد فيها[1] .

« ثمّ أتى على العالم من بعد ما اجتلى من الحكمة الاغريقية والعلم الأغريقيّ الذي اجتلاه حين من الدهر كرَبت تضمحلّ فيه آثارُ هذه الحكمة . وتنطفىء من سمائها أنوارُ دراريّ طالما هدت السارين، وأرشدت الضالين . (وبينما العسر إذ دارت مياسير) وبينا العالم يرتقب هاديه وقد تطاولَ ليلُ ضلاله وحيرته صاح صائحٌ في فلاة لم تعتدِ الناسُ أن تسمع فيها للخير دعاء . فأرهفَ لاستماع ما يقول الصوتُ أذنه : فإذا هو يوقظ الهاجد في عماه، وينبه الغافل من كراه، وينادي إلى الحق وصراط مستقيم . وذلك الصائت هو سيدنا وزعيمنا وإمامنا ومُصلحنا . وقرة أعيننا، ومهوى أفئدتنا ؛ شرَفُ العرب بل المشارقة بل قطين الأرض قاطبة . موحّدُ أهواء أهل (الجزيرة) المتشتتة . والمؤلف بين قلوبهم المتفرقة، ونازع ما في صدورهم من غلّ . والكادح الجاهد في إعزاز مكانتهم وإعلاء كلمتهم، وتمليكهم الدنيا . مهدّم عروش الطغاة والجبابرة من الأكاسرة والقياصرة . محرّر الشرق من الغرب . مخرج هرقل من سوريَة . وطارد كل طاريءٍ أوربيّ من كل قطر أسيوي أو إفريقيّ ذو الخلق العظيم والكتاب الكريم . شائد الوحدة العربية وصفوة النوع الانسانيّ، وأكبر معاني الكون (محمد بن عبد الله) فتبدّلت الأرض في ذلك الوقت غير الأرض، وارتدت من الخير بجلباب كانت قد نضته، ورحّبت وأهّلت بما قلّتهُ من الحكمة واجتوته، وغدا آباؤنا إلى طلل العلم الدارس والمدنية الطامسة . فشادوا في مكانه صرحاً لها مُمرّداً » .

ذلكم ما أُملي عليّ، فكتبته، ورويته . ولم يزد مملي الكلام وكاتبه حرفاً .

السهمي

(١) يقول النشاشيبي في مقدمة الخطبة التي سماها (كلمة أمام الكلمة) : وما حسن هذه الكلمة إلا أنها تجملت بذكر النبي، وتزينت بالتنويه بالمصلح العربي، فجملت وحسنت، وصبحت وملحت، وما هي بالصبيحة ولا المليحة .

الشاعران المتشابهان (*)

الشابي (التونسي) والتجاني (السوداني)

للأستاذ أبي القاسم محمد بدري

الشابي :

انحدر أبو القاسم الشابي من أسرة عريقة ذات مجد ودين ، قبيلته الشابية ، وبلدته توزر عاصمة الواحات التونسية . شدا طرفا من علوم الشريعة الإسلامية كالفقه والتوحيد والأصول ، وأخذ نصيباً من الثقافة العربية كالنحو والصرف والبيان والأدب . درس ذلك على الأساليب العتيقة ، من متن وشرح وحاشية . وفاز بشهادة « التطويع » فى جامع الزيتونة ثم التحق بمدرسة الحقوق ، وحصل على إجازة الحقوق . ثم أصيب بداء الصدر الذى صده عن إتمام دراسته ؛ فانقطع عن العلم والتفت إلى معالجة المرض العضال الذى ظل معه يغاديه ويراوحه ، حتى اخترم حياته فى ربيع شبابه .

التجاني :

أما التجانى يوسف بشير فهو شاب ينتمى إلى أسرة من كرائم الأسر السودانية سليلة أعرق القبائل العربية . تلقى تعليمه فى المعهد العلمى بأم درمان . فاستقى من نبعه الصافى علماً واسعاً وأدباً رائعاً ، وأعانه ذوق مرهف وذكاء وقاد على فهم الحقائق العلمية ، وتمييز الدقائق البيانية والاشتغال بها مع العلوم الدينية فى زمن سادت معهده فيه أساليب التعليم العتيقة التى لم تعن بفن الأدب عنايتها بعلوم الدين . وأصيب أيضاً بداء الصدر العضال الذى غالبه حقبة من الزمن، ثم صرعه المرض وهو فى سن باكرة نضج فيها إنتاجه ، وبلغ ذروة الإتقان وموضع الافتتان . وافاه الأجل المحتوم وهو ناضر الصبا ريان الشباب فى مقتبل حياته الأدبية ، ومفتتح عبقريته الشعرية ؛ وأمته وأسرته أحوج ما تكونان إليه ، لأعواز العوض عنه وعظم الفجيعة فيه .

وجه الشبه فى حياتهما :

نشآ فى بيئة دينية محافظة ونهلا من فيض الثقافة العربية الإسلامية العربية ، ثم تأثرا بالأدب الغربى فى قراءة الكتب المترجمة لأن كليهما لم يدرس لغة أجنبية وقد اتفق أن نظرتهما للحياة كانت متقاربة التقارب كله ؛ وليس هذا يحدث إلا فى النادر القليل . رغب كلاهما عن الحياة العابثة الماجنة ، ونزعا نزعة التصوف والزهد وسخطا على عيشهما ، وتبرما بقومهما ، وتشاءما من حياتهما تشاؤماً ، مبعثه حب الإصلاح وانتقاد ما يريان من أحوال وأعمال . وأودعا كل ذلك فى شعر رائع زاخر يجيش ثورة واضطراما على التقاليد ، ويفيض ناقماً على المنازعات والحزبيات ، ثم يتدفق عذوبة ويتفجر إخلاصاً وحماسة فى معالجة المشكلات وتقوية الأواصر والصلات بين المواطنين المخلصين وأبناء العروبة الغر الميامين .

وتشابها أيضاً فى العلة فقد اصطلح عليهما داء الصدر الذى عاق نموهما الجسمى وتقدمهما العقلى فى العمل والتفكير ؛ فماتا فى عنفوان الشباب عندما تفتقت زهرتاهما عن أكمامهما عبقتين فواحتين بأريج النضج والاكتمال ، وشذى الإنتاج والإبداع .

ومن غريب مصادفة القدر أن فقدهما حدث فى زمنين متقاربين . مات الفقيدان طيب الله ثراهما وأخلد ذكراهما — بعد أن اقتطفا من متاع الحياة خمسة وعشرين ربيعاً لم ينعما فيها بأطايب العيش ولذائذ الحياة ، ولم يستكملا فيها مراحل تطورهما فى النظم والتصوير ، وابتكار النماذج العالية الخالدة فى الأدب الشرقى والشعر العربى المستقى من الفن الغربى والمذهب الواقعى .

المشابهة فى طريق النظم والتعبير :

من الواضح أن الشعر عمل فنى يقوم على أشياء لا على شيء واحد . فلا بد له من الصورة الفنية والموسيقى الجميلة والخيال البارع . ومعلوم أن المقصود بالمشابهة فى النظم والتصوير هو الشبه بينهما فى لغة الشعر .

فما هى لغة الشعر إذن ؟ هى أداة يستخدمها الشاعر فى فنه قوامها الألفاظ والكلمات التى لا تخرج كثيراً عما يتحدث به

(*) عاش أبو القاسم الشابي من عام ١٩٠٩ إلى ١٩٣٤ م ؛ وعاش التيجانى يوسف بشير من سنة ١٩١٢ إلى ١٩٣٧ م

الناس ويكتبونه ويتخاطبون به . وبهذه الأداة المألوفة يستطيع الشاعر أن يخرج فناً يفوق جميع الفنون .

وبما أن الشعر الصحيح ينبعث دائماً من إحساس قوى ممتاز ، فالشاعر ملزم حينئذ أن يتخذ للتعبير عنه لغة خاصة متجانسة مع هذا الإحساس . فليس المعنى وحده هو الذى يؤثر فى النفوس ؛ بل إن الألفاظ — التى هى منه بمثابة الجسد من الروح لها تأثيرها الخاص . فى الشعر الرصين ينبغى للفظ :

أولا : أن يتجانس مع المعنى فيكون رقيقاً فى مواضع الرقة ، قوياً عنيفاً فى مواضع العنف والقوة .

ثانياً : أن يكون اللفظ على قدر المعنى ، فلا يكون هناك حشو ولا زيادة ، ولا قصور فى الدلالة على المعنى .

إذا أنعمنا النظر فى شعر هذين الشاعرين نجد المشابهة قوية أخاذة ذات سحر وجلال ينفذان إلى شغاف القلوب ويؤثران فى طوايا النفوس . قال الشابى يصف الجنة الضائعة : —

كم من عهود عذبة فى عدوة الوادى النضير
كانت أرق من النسيم ومن أغاريد الطيور
وألذ من سحر الصبا فى بسمة الطفل الغرير
أيام كانت للحياة حلاوة الروض المطير
وطهارة الموج الجميل وسحر شاطئه المنير
ووداعة العصفور بين جداول الماء النمير

فنى الأبيات المتقدمات يسكب الشاعر ذوب نفسه وعصارة فكره ؛ وهو يتشوف إلى العهود العذبة التى قضاها فى الوادى النضير ؛ ويتحسر على ضياعها ، لأنها كانت تسمو على كل لذة من لذائذ الوجود وتفوق كل متاع من متع الحياة . ألم يقل إنها أرق من النسيم ومن أغاريد الطيور ، وألذ وأمتع للنفس من سحر الصبا وبسمة الطفل الغرير . وهل يوجد فى الوجود شىء يعدل هاتين اللذتين فى العذوبة والطهارة والوداعة والجمال .

ألا تسمع إلى رنين جرس العبارات وحلاوة الألفاظ والتعبيرات فى الكلمات التالية . — سحر الصبا — بسمة الطفل — طهارة الموج — وداعة العصفور . إن الألفاظ فيها تجانس للمعنى وفيها رقة تسيل على القرطاس وتتفجر عن أنبل عاطفة وإحساس . ثم إن اللفظ على قدر المعنى فلا حشو ولا زيادة مع اقتدار فيه على تأدية المعنى أداء بليغاً مؤثراً .

ولنستمع إلى صاحبه التجانى يوسف بشير يناجى النيل فى وقفة له شاعرية سمت بروحه إلى أعلى عليين حيث فاضت على السامعين من نبعها الصافى هذه الأبيات الخالدات فى قصيدته « فى محراب النيل » . —

أنت يانيل ياسليل الفراديس نبيل موفق فى مسابك
ملء أوفاضك الجلال فرحى بالجلال المفيض من أنسابك
حضنتك الأملاك فى جنة الخلد ورفت على وضىء عبابك
وأمدت عليك أجنحة خضراً وأضفت ثيابها رحابك

إلى أن قال واصفاً مسير المياه .

يتوثبن فى الضفاف خفافاً ثم يركضن فى ممر شعابك
عجب أنت صاعداً عراقيك لعمرى أو هابطاً فى انصبابك

اختار الشاعر النابغة أحسن الألفاظ وقعاً فى النفس وإثارة للعواطف ، مما يناسب المعنى الذى تصدى لتوضيحه وبيانه . ألا تسمع إلى هذه الكلمات — نبيل موفق فى مسابك ، ثم المفيض من أنسابك — ثم إلى يتوثبن — ثم إلى كلمتى خفافاً « ويركضن » . إنها ألفاظ تدعو إلى الفكر كل المعانى الجميلة التى تدانيه أو تمت إليه بسبب . فكلمة يتوثبن ترسم للذهن فى أوضح صورة منظر الماء المنساب فوق الضفاف فى سرعة وقوة حيث يغمر سطح الأرض ويفيض على روابيها العالية ، ثم ينحسر عنها جاريا إلى المنخفضات والوديان ، وهذا يتمثل فى عبارة « يركضن فى ممر شعابك » فى قوة ووضوح . وكلمة أجنحة خضراً تدعو إلى ذهن السامع كل المعانى الجميلة التى تلابسها ، فيستعرض الذهن منظر الخضرة اليانعة والظل الوارف ، والطير الصادح ، وكل ما هو جميل مؤثر .

تصوير المرئيات والمناظر الطبيعية :

يقل فى شعر هذين المفلقين وصف المرئيات — أو بعبارة أخرى رسم الصور لما يريان من الأشياء . بينما يزخر شعرهما بنفثات الصدور وخلجات النفوس ، ومظاهر تأثيرهما بالأحداث والنكبات ، واستهجانهما للتقاليد والعادات وتصويرهما الحقائق التى امتزج بها الخيال ولونتها العاطفة . ولكل هذه الموضوعات أثر فى نفسيهما الثائرتين ، حيث يشتد الألم البالغ ويطغى الهيجان الفوار ويغلى الدم الحار ، فتنطلق من الشفاه ، همسة محزونة أو صرخة مدوية أو نفثة قوية تذهب فى الناس مثلا سائراً وقولا مأثوراً أبقى على الزمن من الزمن .

افتتن شاعرنا التجانى بمنظر الطبيعة الساحرة لما رأى جزيرة (توتى) تستيقظ فى غلس الليل الداجى وتستقبل الصبح السافر كأنها روضة مفتنة حفها النيل واحتواها البر ففاح شذى زهورها وشدت على الأغصان طيورها ، فطرب الشاعر وسكر ، وعبر عن هذا الإحساس بلغة خيالها قوى ونغمها شجى ، ومعانيها ساحرة . استمع إليه يقول : —

يادرة حفها النيل واحتواها البر
صحا الدجى وتمشاك فى الأسرة فجر
كم ذا تمازج فن على يديك وسحر
يخور ثور وتثغو شاة وتنهق حمر
والبهم تمرح والزرع مونق مخضر

إلى أن قال : —

وذاب فى الرمل أمواج فى الترائب تبر
هذا شراع مكر ، وذا شراع مفر
يطوى وينشر والريح من هناك تسر
وزورق يتهادى وزورق يستحر
يرسى ويقلع والشاطئ هادئ مستقر
ورب قنواء للعصم والأنوق مقر
أوفى على النيل فرع منها وأشرف جزر

أريد بعد هذا البيان بياناً يصور فيه الشاعر العبقرى منظر الطبيعة الساحرة ويعطى صورة كاملة العناصر موصولة الأواصر تنتقل فيها من خاطر إلى خاطر حتى تستوعب كل المعانى التى تكمل بها الصورة للناظر فى أبيات هى السحر الساحر . ولقد أبدع التجانى أيما إبداع فى رسم صورته ؛ وفاق فيها المصور الماهر الذى يعمل فى دائرة ضيقة حينما يرسم على لوحته حالة من حالات النفس أو صورة من صور الحس . على حين أن دائرة التجانى أرحب وأوسع ، لأنه يستكمل تصوير منظره فى أبيات متعددة إن عجز عن تعبيرها فى بيت أو بيتين .

ولنستمع الآن إلى قصيدة مشابهة من قصائد الشابى التى يصور فيها صورة واضحة لما يحس من أشعة الوجود وألوان الطبيعة وعبر الحياة . يقول مخاطباً الحياة التى يريدها لشعبه فى قصيدته (إرادة الحياة) : —

وقال لى الغاب فى رقة   محببة مثل خفق الوتر
يحل الشتاء : شتاء الضياء ، شتاء الثلوج ، شتاء المطر
فينطفئ السحر : سحر العيون ، وسحر الثمار ، وسحر الزهر
وتهوى الغصون وأوراقها وأزهارها عن جمال نضر
وتلهو بها الريح فى كل واد ويدفنها السيل أنى عبر

لقد نقلك الشاعر الساحر إلى جو عبق زاهر فيه تحب الحياة ويحلو المتاع ويطيب النعيم . كيف يكون ذلك وهو يصف ذبولها وتحولها ؟ إنه يعطيك صور الحياة الممتعة بعرض صورها القاتمة وبضدها تتميز الأشياء . ويصور لك ما يغشاه من ظلام الشتاء ، وانطفاء السحر والرواء ، حينما تذوى الثمار وتذبل الأزهار ، ويغيب النوار ، وتسقط أوراق الأشجار التى تلعب بها النكباء فى زمهرير الشتاء ، ويدفنها السيل الدافق فى أغوار المهاد والوهاد .

هذه صورة جميلة عبر بها الشاعر عن إحساسات قوية وتأثرات عميقة رسمها باستخدام ألفاظ منتقاة مرتبة فى أعذب ألحان ، وأجمل موسيقى ، وأقوى أشجان .

(البقية فى العدد القادم)

ابو القاسم محمد بدرى
مدرس بالمدرسة الثانوية بأم درمان (السودان)

الأدب فى سير أعلامه :

ملتن . . .

[القيثارة الخالدة التى غنت أروع أناشيد الجمال والحرية والخيال . .]

للأستاذ محمود الخفيف

— ١٧ —

حرب على القساوسة :

اعتزل ملتن الشعر إلى حين لعله ظنه قريباً ، فلم يدر بخلده أن هجران أحب شيء إلى نفسه سوف يمتد عشرين عاماً . والحق أن اعتزال ملتن الشعر والأدب على ما كان من فرط تحمسه له وانكبابه على الأخذ بأسبابه ، أمر يحمل المرء على العجب الشديد بادئ الرأى ، ولكن دواعى العجب لا تلبث أن تزول إذا عدنا إلى خلق ملتن ونزعات وجدانه

خلق ملتن محارباً يحب النضال ويعشق بفطرته الحرية ، فلن يستطيع أن يغمض العين عما يرى من خلل أو فساد ، ولن يستطيع أن يظل جامداً تلقاء ما يراه ظلماً أو استبداداً بالرأى فى غير حق ولو كان فى ذلك هلاكه ؛ كذلك رأيناه وهو بعد طالب بالجامعة ، وكذلك رأيناه وهو يفصح عن عقيدته الدينية فى إيطاليا ، وكذلك نراه اليوم إذ يوقد نار الحرب على القساوسة

وخلق ملتن ديناً تقياً مخلصاً لعقيدته تواقاً إلى الإصلاح ، لذلك ركن إلى البيوريتانز فى كثير مما ذهبوا إليه ، وإن خالفهم فى إسرافهم فى التزمت ومغالاتهم فى النفور من الفنون ومن طيبات الحياة

وكانت روح البيوريتانية يومئذ ، أو ما يهجس فى نفوس أشياعها من الرغبات هو إصلاح الكنيسة كما أصلحت الكنائس فى القارة وتقرير مبدأ الحرية الفكرية والسياسية ، وقد استقرت هذه الرغبة فى نفس ملتن وآمن بها إيماناً قوياً

واعتقد ملتن كما اعتقد جمهرة البيوريتانز أن القساوسة فى انجلترة بتعصبهم لنظام الكنيسة وبمظاهرتهم الملك فى عناده وطغيانه هم العقبة الكؤود فى سبيل الإصلاح وفى سبيل الحرية ؛ لذلك أيقن طالبو الإصلاح أن لا أمل لهم فى عمل مجد إلا أن يقضوا أولا على الأساقفة وسلطانهم ، ولهذا أقدم ملتن فيمن أقدموا لمحاربة الأسقفية ؛ ولهذا اعتزل الأرثيادا أو الفردوس المفقود ، أو سواها مما كان يملأ خياله من الشعر ، وآثر أن يجيب داعى الله بالدفاع عن دين الله

بيد أنه على الرغم من حماسته إذ يقدم على مناضلة القساوسة كان يحس فى أعماق نفسه عظم تضحيته بهجرانه الشعر ، فلقد انقطع له منذ حداثته ، وتوفر على الاستعداد والدرس ، وامتلأت نفسه طموحاً إلى شيء يسلكه فى الخالدين ؛ وكان هذا الطموح عزاء قلبه وبهجة نفسه وأنس روحه فى عزلته القاسية ، وفى دراسته الطويلة الشاقة !

ولكن لم يك من هذا الهجران بد ، فلم يك يسعه فى مثل ذلك الوقت كما قال أن يقف بمعزل « وكنيسة الله تحت أقدام من يهينها من أعدائها » ، ولم يك لينجو من عذاب ضميره لو لم يحمل ما اكتسب من ثقافة ومعرفة وقفاً على الدفاع عنها ، وفى رأيه أنه إذا لزم الصمت ، فإن الله يؤاخذه بصمته ، فلن يغفر الله له أن يقبل الفراغ والقدرة على الدرس ، وقد تهيآ له بعرق قوم آخرين ، ولا ينفقهما إلا فى أن يزين بهما موضوعات هى من نخر الحياة وغرورها ، ولكن « إذا كانت قضية الله ، وحقت إجابة داعى الله بنصرة كنيسته ، فإن الله سميع إليك إذ تطلق صوتك ... فإن بقيت أبكم كالدابة ، حق عليك منذ ذلك الوقت ما تصير إليه من إثم بصمتك الذى يشبه صمت البهائم ! »

ولئن كان همه أن يكتب موضوعاً يكسب به الفخر ، فليس هذا وقته والجيل كله يشترك فى صراع من أجل الحرية تتلظى ناره ، أو يشهد على الأقل ذلك الصراع ، وينتظر الناس وأنفاسهم عالقة ما ذا يكون من أمر هذه المعركة ، أو كما قال ملتن : « إنه لمن الحمق أن نلقى بشيء كتبته جاهداً فى نسق عال إلى قوم هم عنه ساهون ، إذ يقطع إصغاءهم إليه ما يزخر به عصرهم من ضجيج وصخب » . أضف إلى ذلك أنه لم يكن يعتقد أنه أخذ أهبته لذلك الشيء بعد ، فإنه يشير إلى ذلك حتى بعد بدء الحرب على القساوسة بنحو عام قائلا : « إنى لم أستكمل بعد فى عقلى دائرة دراساتى الشخصية » !

لذلك يدع قيثارته إلى أجل لعله يكون قريباً يوم يرى وطنه على حد تعبيره : « وقد خلص نفسه من ذلك الطغيان الذى لم يكن مثل هذا الزمن أوانه ، ذلك الطغيان المستند إلى مقام كبار القساوسة ، والذى لا يرجى لأى فكر حر أو ذكاء ألمعى أن ينمو ما دام له تجسسه واستبداده »

وثمت دافع آخر لا يقل خطراً عن هاتيك الدوافع يسوق ملتن إلى تلك الحرب ، وذلك هو عظيم ثقته فى نفسه وفى الشعب الإنجليزى ، فهو منذ صغره — كما رأينا — يعتقد أنه كفؤ لعظائم الأمور ، فما نهض لأمر — مهما كان خطره — إلا بلغ منه ما يريد ؛ واليوم يخالجه شعور أن نفسه تنطوى على قوة كامنة فيها إن هى أثيرت كانت ذات أثر عظيم فى مستقبل الكنيسة وفى مستقبل وطنه . والحق أن وراء طموح ملتن نحو العظمة الأدبية طموحاً آخر نحو العظمة فى ذاتها فى أية صورة من صورها ، فلا ضير أن تواتيه فى صورة الدفاع عن الحرية أو عن الكنيسة ، أما ثقته فى الشعب الإنجليزى فكان مردها إلى أنه يرى بنى قومه الشعب الذى اصطفاه الله على العالمين ، وأنه تجلى لخلقه من الإنجليز أول ما تجلى ، وأنهم سوف يقيمون على هذه الأرض مملكة الله التى ترى رأى العين

ومع شدة حماسته لما هو مقبل عليه نراه ينطق قبيل دخوله المعركة بما يشعرنا بتردده وإشفاقه ، نجد شاهداً على ذلك فى قوله بعد أن أشار إلى ما كان فيه من استغراق فى الأدب والشعر : « ما أقل ما يحفزنى من ميل إلى أن أقطع ما أنا بسبيله من مثل هاتيك الآمال ، وأن أترك عزلة هادئة ممتعة تكتنفها تأملات سارة وثيقة لأقلع بسفينتى فى بحر مضطرب تملأه الضوضاء والجدل الصاخب » . وهو فضلا عن ذلك يحس أنه ترك ما يحسن إلى ما لا يحسن مما زيده شعوراً بتضحيته ، وأنه نسى نفسه وما كان يتحرق إليه من مجد أدبى ليجيب داعى الله ، نجد ذلك فى قوله : « ما كنت لأختار لنفسى أن أنهج هذا النهج من الكتابة ، وأنا على علم بأنى هنا دون حقيقتى ، فقد أعدتنى قوة طبيعية صادقة لعمل آخر ؛ ولذلك فإنى فى هذا المتجه الجديد أحس كأنما أستعمل يدى اليسرى »

ولكنه يسلم إلى الله أمره ، فإن الهدى هدى الله ، انظر إلى قوله : « إذا جاء أمر الله بأن نشرع البوق وأن ننفخ فيه نفخة شاكية صاخبة ، فلن يدخل فى إرادة الإنسان بعد ذلك ما ذا يقول ولا ماذا يخفى فى نفسه » . وكان يؤمن ملتن بأن الله سيثيبه على فعله ويهبه القوة والإقدام ، ويعد له فى حياته ليكون بوق النصر كما كان بوق المعركة ، ولقد ظل أثناء المعركة يفكر فيما هو عائد إليه بعد أن تنتهى الحرب .

والحق أن ملتن قد أفاد من المعركة ما لم يخطر بباله عند دخولها ، ففى أثناء تلك المعركة الطويلة تكونت فى نفسه ملحمته الكبرى الفردوس المفقود ، فكانت كلحمة دانتى عملا ليس قوامه الفصاحة والخيال والمقدرة الفنية فحسب ، بل أضيف إلى ذلك تجربة الحياة ومعاناة خصوماتها والوقوف من كثب على عوامل الشر والخير فى النفس البشرية وفى المجتمع ، وتذوق طعم الأمل مرة والخيبة مرة ، والنفاذ إلى أعماق العواطف والانفعالات ثم معرفة كيف يكون اليأس القاتم بعد الأمل الباسم ، فلا عجب أن يتغنى الشاعر بعد ذلك بالفردوس المفقود ، وقد شهد فقدان بنى وطنه ما كان يرجوه لهم ويرجو معه المصلحون من حياة فى الدين والسياسة على هذه الأرض كحياة الفردوس .

وفى هذه المعركة تهيأت فى نفسه الملحمة فلم يبق إلا أن يغنيها وأن يلبسها لباس الشعر ؛ والحق أن المعركة أجدت عليه أكثر مما أجدت قراءاته ودراساته ، إذ استطاع أن يضيف خبرة الحياة إلى هبة الفن وأن يترك لهذه الدنيا أثراً فذاً من هاتيك الآثار الخوالد التى يغنيها كل عصر وتأنس إليها كل بيئة .

ومن الخطأ أن نعد دخول ملتن تلك المعركة انتصاراً منه لأصدقائه البيوريتانز فحسب فان حبه الحرية وميله إلى نصرتها أبداً هو الشعور الحقيقى الذى دفع به إلى الحرب ، وكانت غايته التى يصبو إليها أن يعيش الناس طلقاء فى أفكارهم وأعمالهم بعد أن يذهب سلطان القساوسة القائم على التعصب والاستبداد بالرأى والاضطهاد ، وكان ملتن بحميته وثورة نفسه يمثل فى الواقع روح العصر ، ففى العصر كله ثورة على الطغيان فى أى صورة من صوره وما كانت البيوريتانية يومئذ فلسفة دينية فحسب ، وإنما كانت فلسفة دينية ووثبة سياسية معاً .

ومهما يكن ما صدر عنه من عبارات تشعرنا بتردده وإشفاقه فانه أقبل فى حماسة عظيمة وشجاعة فذة بعد أن ابتدأ النضال ورأى نفسه فى غمار المعركة ، وإنما كان ما خيل إليه أنه تردد

أسفاً منه على هجرانه الشعر والتهيؤ له ...

وكيف بدأت المعركة ؟ لم يكن ملتن البادئ بها وإنما بدأت في البرلمان الطويل سنة ١٦٤٠ إذ تقدم البيوريتانز من النواب بمقترح الأصل والفرع فعندئذ نشر أحد القساوسة وكان يدعى هول كتيباً سماه « الاعلان المتواضع » ورد فيه على ما سماه بم وزملاؤه الاعلان الأعظم كما رد على مقترح الأصل والفرع ؛ وأجاب خمسة من البيوريتانز سموا أنفسهم سمكتمنس يدحضون فيه ماذهب إليه هول ؛ وكان توماس ينج أستاذ ملتن القديم أحد أفراد هذه الجماعة ، ولذلك ظُن أن ملتن اشترك في وضع هذا الكتيب ؛ ثم توالت الكتيبات كالسهام من جانب البيوريتانز ومن جانب خصومهم . وشد ملتن قوسه فيمن شد وأطلق أول سهم من سهامه سنة ١٦٤١ في صورة كتيب له هو أول كتيباته جعل له عنوانا طويلا هو « حول الاصلاح الديني فيما يتصل بنظام الكنيسة في انجلترة والأسباب التي عاقته حتى اليوم » .

كان هذا الكتيب الأول أقل كتيبات ملتن صرامة في القول وعرامة في الخصومة ، وإن كان ليبعد كل البعد عن أن يوصف بالهدوء إلا أن يقاس إلى ماسيأتي بعده ، وحسب القارئ أن يقع على خاتمته التي يدعو الله فيها أن يجعل العار خاتمة حياة القسيسين على هذه الأرض ، وأن يلقي بهم في الدرك الأسفل من النار ليخلدوا فيها وليكونوا في مواطئ غيرهم من أصحاب الجحيم ، وفي صفحات الكتيب غير هذا من صارم القول وقاذع الوصف ما يدل على غلّ الخصومة واحتدام السخيمة .

أتى ملتن في كتيبه هذا بموجز لتاريخ الكنيسة منذ القدم فلم تعجبه في قديمها ولا في حديثها ، وما قساوستها الحديثون إلا مقلدون يسيرون على نهج أسلافهم في مظاهر الصوم والصلاة والتظاهر بالزهد ، وما كان أسلافهم إلا ضالين غاوين ، فالقسيسون أنفسهم خطأ في ذاتهم ؛ وهؤلاء الحديثون منهم ليسوا قسيسين في شيء ، ثم يشير إلى النهضة الاصلاحية في انجلترة ويذكر كيف تعثرت ووقفت بسبب تعصب القساوسة والملوك واستبدادهم بآرائهم ، ويذكر الناس بهؤلاء الأحرار الذين هاجروا بعقيدتهم عن أوطانهم الحبيبة والذين « لم يكن لهم عاصم من غضب القساوسة إلا المحيط الفسيح وصحارى أمريكا الوحشية » ، والرأي عنده أن يقضى على الأسقفية فتذهب إلى غير عودة وتحل البرسبتيرية محلها ؛ ولئن تم ذلك أصبحت انجلترة « مدينة الله » وانتشرت الحياة الطيبة في أنحائها طولا وعرضاً ، فان هؤلاء القساوسة منذ حلوا بكنتربرى قبل اليوم بنحو اثنى عشر قرناً وهم في جملتهم لم يكونوا في انجلترة لأرواحنا وأسقاه إلا سلسلة من أئمة الهداية العميان الجهلاء ، ولأموالنا وتجارتنا إلا عصبة متلفة من اللصوص ولدولتنا وحكومتنا إلا هيدرا[1] الأساءة والعدوان » .

ويتضمن هذا الكتيب ناحية من نواحي ملتن الدينية وهي ما تصوره عن ذات الله سبحانه ، فعنده أن الله لا يحد ولا يوصف بصورة معينة ولا تدركه الأبصار ، ولا يفوته هنا أن يتهم الكنيسة بأنها تحاول تحديد ذات الله وتصويره وذلك في رأيه أصل الخرافات جميعاً ، يقول عن رجال الكنيسة « كما لو استطاعوا أن يجعلوا الله ينتمي إلى الأرض وأن يكون له مثل جسدنا ، وذلك لأنهم لم يستطيعوا أن ينتموا إلى السماء ولا إلى عالم الروح » .

وجاء في هذا الكتيب رأيه لأول مرة عن الشعب الانجليزي ، فهو الشعب الذي اصطفاه الله على العالمين ، وخليق بهذا الشعب أن يبرهن على أنه جدير بهذا الاصطفاء ، ويعلن ملتن رضاءه عن النظام الدستوري الانجليزي في ذاته بل إنه ليغلو في امتداحه كل الغلو فيقول : « ليس فيما سلف من الحكومات المدنية نظام كنظام حكومتنا الانجليزية ، لا عند الاسبرطيين ولا عند أهل روما ... حيث تجد أعظم الناس نبلا وأكثرهم جداً وأبعدهم نظراً ولهم بمحض إرادة الناس واختيارهم تحت سيادة ملك حر لا قيم عليه الكلمة العليا والرأي الفاصل في أعظم المسائل » .

وينتهي الكتيب بابتهال إلى الله طويل حار ملؤه العاطفة الصادقة أن يخلص كنيسته من هؤلاء القسيسين وأن ينزل عليهم لعناته ، ثم يتنبأ بنبوءة فحواها أن فجراً بهيجاً يوشك أن ينهل نوره على انجلترة ، ولن يعدم ذلك الفجر طائره الصداح ، فلسوف يتمنى من بين هؤلاء القديسين الذين يناخون عن دين الله شاعر يأتي بلحن علوى جديد يشكر به أنعم الله ويسجل نصر الله في مملكة تنعم بنعمة الحرية وقد تخلصت من القساوسة وجدت شاعرها المختار ...

(يتبع) **الخفيف**

---

(١) التنين الخرافي ذو الرؤوس المتعددة كلما قطعت رؤوسه نبتت ثانية .

رباعيــــات عثمان

للاستاذ عثمان حامى

هكذا كانت الحيـاةُ فزنها كيف كانت وخذ نصيبك منها
لا تزنها إلا بعقلك إن شئـ ـتَ خلاصاً من بطشها لا تزنها
إن ميزانها بمقيـاسِ إحسا سك أدعى لأن يصدَّكَ عنها
وحرامٌ عليك إن شئتَ ما فيـ ـها فإن الذكىَّ من لم يشنها

* * *

إن فيها لمن أراد خبالا وجمالاً لمن أراد جمالا
لونُها لونُ ما بنفسكَ من حا لٍ إذا حُلت ما بعينك حالا
وكذا تسمعُ النفوسُ صداها فترى الحق فى الحياة ضلالا
إنما العقلُ للبصيرِ هو المر جعُ والمستبدُّ من يتغـالى

* * *

طالما جئتَ رغم أنفك فيها يا ابنها كنْ كواحدٍ من بنيها
كن حكيما وخذ نصيبك منها حسنـاً ما أصبته أو كريها
لا تـكن جامداً إذا شئت أن تحـ ـيا ولا مسرفا بها أو سفيها
وإذا لم تشأ فدونك نفسٌ ما عزيزٌ عليـكَ ما يُرديها

* * *

علِّم النفس أن يكون رضاها بالذى كان واقتصد فى مناها
وقليلٌ من التجاهل والصبـ ـر أمانٌ من بطشها وأذاها
أنت ماجئت فى حياتك كى تصـ ـلح ما فى الحياة من أخطاها
لا ولا جئت كى تضيع من العمـ ـر كثيراً فى همها وشقاها

* * *

إن يوماً مضى بغير سرورِ ليس من عمرك السريع القصير
وقليلٌ من التجهّم والحز ن كثير فما ترى فى الـكثير
ومن الحمق والجهالة بالخلـ ـق إذا عشتَ عيشةَ المصدور
فاتخذ من جوانب الجدِّ للهز ل مجالاً يجدّ جدّ الأمورِ

* * *

لك عمرٌ مهما بلغتَ قصير طالَ فيه الأسى وقلَّ السرورُ
فتعلم كيف انتها بك للعمـ ـر فإنَّ الذى مضى لا يحورُ
والليالى لهـا جناحان بالأعمـ ـار فى غفلةِ النفوسِ تطيرُ
يرجع الليلُ والنهارُ وما يرْ جعُ يوماً ما غيبته القبورُ

* * *

واتخذْ من تجارب الغابرينا لك عوناً حتى تذوق اليقينا
وأضف عِلمَ من مضوا لتجاربـ ـك واحذر من أن تموت حزينا
والذى مرَّ فى حياتك لا تأ سف عليه أو ما عسى أن يكونا
خلِّ دنياك كيف شاءت وصلها ماجناً إن أوسعتك مجونا

* * *

وتبسّمْ للسعـدِ والاقبـالِ وتبسم فى خيبـة الآمالِ
وتنقـلْ كما تشـاء الليالى غير آسٍ من أىِّ حالٍ لحالِ
إن عمراً ختامه الموت جهلٌ إن تقضى فى الهمِّ والبلبال
وعزيزٌ علىَّ أن تَردَ المو ت حزيناً فى زمرة الجهّال

* * *

ما ارتوتْ بالبـكاء مهجةُ باكِ لا ولا أثمرت شـكايةُ شاكِ
إن موج الحياة يحمل فى مدّ ه وفى جزره صنوفَ الهلاكِ
وتمر الأجيالُ والناسُ صرعى رممٌ وسـدتْ بغير حراك
سخر الدهر بالجميع وساوى بين رم الفجار والنساك

* * *

فى اكتمال الشباب نقص المشيب وانتهاء الشروق بدء الغروبِ
ومصير الشيب ألعن ما فيـ ـه خمودُ القوى وموت القلوب
ضجعة الموت لا تنغّصُ بالذعـ ـر ولا بالجوى ولا بالنحيب
فتأمل فليس فى الأرض أو فى الـ ـخلق ما يستحق شقَّ الجيوب

* * *

لم أجد فيما مضى من حياتى لى عذراً فى الهمّ أو فى الشكاة
ولقد عشت ما ندمت على ما فاتنى أو جزعتُ من أى آت
طىُّ قلبى ابتسامة ما توارتْ عن فمى للصحاب أو للعداة
وكلامى فى كل لفظ لمن يفـ ـطن ماضٍ من الصوارم عات

* * *

عادلٌ من يصرف الأياما   وغبىٌّ من اشتكى أو لاما
وصميمُ الحياةِ لهو ونعو   ن من العدل أن نمرَّ كِراما
ما الذى نرتجيه فى أمرنا الوا   قع إن كان فى القضاء لزاما
لا يذم الزمان والناس إلا   من تغابى عن فهمهم أو تعامى

* * *

لا تلم مسرفاً على الإسراف   لا أرى لومه من الإنصاف
لا تلمه وإن تمادى ومهما   بلغت نفسه من الاتلاف
بيد الدهر للخليقة ميزا   ن دقيقٌ وعدله غير خاف
إن هوتْ كِفةٌ فمعناه شالتْ   كِفةٌ دون أيما إجحاف

* * *

لا تلمنى إذن فلستُ أبالى   رغم ضعفى ورغم طول اعتلالى
إن جسمى الذى تضعضع وانها   ر جديرٌ بسوء هذا المآل
قد تقاضى الزمان منى أثما   ن ضلالى على مرور الليالى
ومن العدل أن أرى العدل فيما   نال منى جزاء هذا الضلال

* * *

قد نهبتُ الشباب فى العمر نهبا   ورأيتُ الإسرافَ فى اللهو كسبا
وجرى بى الهوى فما بتُّ إلاَّ   بفؤادٍ دوّى هياماً وحبّا
ورأيتُ الأيام تجرين خبّا   فجرت بى من خلفها النفس خبّا
ولو اسطاع فوق ذلك جسمى   أو فؤادى زيادة ما تأبى

* * *

هذه سنتى وحسبك نصحى   فأرحنى من كل ذم ٍ ومدح
ليس بالذم إن ذممتَ أو المد   ح إذا مادحت خسرى وربحى
إنما شئتُ أن أصور ما أحـ   ـست بالنفس من شعورٍ ملحٍّ
فى حياة أمضيتها وكفانى   وكفاها إثباتُ جدّى ومزحى

* * *

وقصارى رأيى وغاية قصدى   وانتهائى من بعد أخذٍ ورد
أن تمر الأيام باليسر لا بالـ   ـعسر حتى بلوغ يوم التردّى
لا نحيبٌ ولا تحمدٍ ولا لو   مٌ لفردٍ ولا عتابٌ لفرد
طالما اسطعت بابتسامة سخر   أن تحدَّ الأمورَ فى خير حدٍّ

* * *

لا أذم الحياة بعد المشيبِ   طالما جزتها بقلب طروبِ
إنّ للشمسِ فى الضحى من جلال الـ   ـحسن فى العين ما لها فى الغروب
ونصيب الشباب فى العيش لا يفـ   ـضل فى حسنه نصيب الشيب
كل يوم له مذاقٌ ولونٌ   ماله فى صفاته من ضريب

* * *

لا تلمنى وانظر إلى تكوينى   فظنونى من كنهه ويقينى
والتمس يا أخى لى العذر فى رأ   يى وفى كل شارد من ظنونى
عن شمالى هادٍ وعنها مُضلٌ   ولنفسى سواهما عن يمينى
نخفى يضـــلنى وخفىٌّ   لست أدرى مراده يهدينى

* * *

ومحيط الإنسان أكبر جان   هو أو رحمة على الإنسان
ومن الجو والوراثة والأصـ   ـحاب جان ومن صروف الزمان
ومن العلم والجهالة والأهـ   ـل ومن كل ما ترى العينان
ليس للمرء من يد فى هدى النفـ   ـس ولا فى الضلال والخسران

عثمان حلمى

إلى أدباء البلاد العربية

... لم تبق إلا هذه الوسيلة !

إن لدىّ بحثين معطلين عن « شعراء الشباب » وعن « القصة الحديثة » لأننى لا أستطيع الحصول على أعمال المعاصرين من الشعراء والقصاص فى البلاد العربية . ولا أحب أن أقصر بحثى على أعمال الأدباء المصريين .

فرجائى إلى كل شاعر وكل قصاص فى البلاد العربية ، أن يتفضل فيرسل إلىّ بأعماله فى هذين البابين محولا ثمنها على البريد .

(حلوان)   سيد قطب



إلى أدباء العراق :

حمل البريد إلى « الرسالة » وإلىّ عدداً من الرسائل الواردة من العراق ، تتراوح لهجاتها بين الحملة العنيفة ، والعتاب الرقيق على مافهم الإخوان هناك من اتهامى لهم بأنهم من قراء الدكتور عبد الرحمن بدوى !

فمن أمثلة الحملات العنيفة رسالة من الأديب « صلاح الدين بيات — كلية الحقوق ببغداد » يقول فيها :

« ... قرأت فى العدد ٦٧٤ من مجلتكم ما أدهشنى بل وأغضبنى حقاً . حتى كدت من فرط غضبى وحنقى أن أمزق المجلة وألعن كاتب السطور ...

« فقد كتب (سيد قطب) أن « كتب الدكتور بدوى تقرأ فى العراق ! » وقد زعم بأن سائلا قد سأل « من الذى يقرأ كتب الدكتور بدوى ؟ ... » فكان الجواب ما أوردت »

ثم يقول فى نفس الرسالة :

« معذرة ياسيدى . لايذهبن بك الظن إلى هذا الحد — وإن بعض الظن إثم — فالعراق ليس بمثل هذه الدرجة من البلادة والغباوة بحيث يقرأون عبث صبيانكم وسفاسفهم » .

إلى أن يقول :

« وثق أيها الأستاذ أن كثيراً من كتبكم التى تقرأ تنقد . بل أحيانا — أقول لك بصراحة — إنها تستسخف ، ويوصم بعض كتابكم بالمتاجرين فى الأدب !

« أكتب هنا وأنا منفعل أشد الانفعال من كلمتكم الجارحة إذ لا يفتأ بعض كتاب مصر العزيزة من جرح شعور العراقيين فى كل فرصة سانحة ، ولا أدرى سبب ذلك ... » .

ومن أمثلة العتاب الغاضب ما جاء فى رسالة للأديب « عبد الله نيازى » :

« مما حز فى قلبى أنى قرأت فى عدد « الرسالة » ٦٧٤ للأستاذ سيد قطب رأيا فى العراق والعراقيين يخالف الواقع . حيث أن حضرته ألصق بالعراقيين تهمة قلة الذوق الأدبى ، وعدم التفهم لما يقرأونه ، بتصريحه أن كتب عبد الرحمن بدوى لا تقرأ إلا فى العراق . مع أنى أؤكد بأن بدوى المشار إليه ليس إلا نكرة فى العراق .

« وحسبى أن أقول للأستاذ سيد قطب ما يلى :

« هل زرت العراق أيها الأستاذ وشاهدت بنفسك جمهور العراقيين يتهافتون على شراء كتب عبد الرحمن بدوى ، أم إن القضية لا تعدو السماع ؟ ... فإذا كانت الأخيرة ، فليس من اللياقة والكياسة أن تتهم شعباً ناضجاً بتهمة هو برىء منها » .

ومن أمثلة العتاب الرقيق ماجاء فى رسالة « قارئ » حيث يقول :

« — لولا أننى أعرفك من كتاباتك . ومن بعض إخوانى العراقيين الذين زاروا مصر وتحدثوا إليك ، وعرفوا روحك بإزاء أدب الشقيقات العربية وأدبائها ... لولا هذا لاتهمتك بالتعصب الشديد ضد العراق . ولولا ذلك لما اتهمته فى ذوقه مثل هذا الاتهام الجارح ... فمن قال لك ياسيدى إن كتب دكتوركم عبد الرحمن بدوى تجد قراء كثيرين عندنا . وهل خفت أن نتهمكم أنتم — المصريين — فى ذوقكم بمناسبة هذا الديوان ، فرأيت أن تلقى التهمة على العراقيين ... ؟ !

« ... على كل حال . هذه مغفورة لك . لما أعلمه ويعلمه الكثيرون عنكم هنا من عدم التعصب ، وعنايتكم بآثار أدباء العربية فى جميع البلدان الشقيقة ... والسلام » .

وأكتفى بهذه الأمثلة الثلاثة للدلالة على تلك الحساسية الشديدة فى نفوس إخواننا العراقيين . ولكننى فى الحقيقة أميل إلى أن التمس لهم العذر فى أعنف حملاتهم علىّ وعلى « الرسالة » . إن التهمة ثقيلة ، وجارحة . ومن حقهم أن يتبرأوا منها ! ! !

ولكن أسلوبى كان واضحاً مفهوماً ، فى أننى لست صاحبها . وقد جاء فى كلمتى بالحرف الواحد :

« ومعذرة لإخواننا العراقيين . فناقل الكفر ليس بكافر . وفى وسعهم أن يدافعوا عن أنفسهم ضد هذا الاتهام » .

فكيف جاز لأحد منهم أن يفهم أننى أنا الذى ألقى عليهم هذه التهمة لولا أن سورة غضب جامحة ، وحساسية كذلك شديدة لم تدع لهم أن يتبينوا مرامى قولى ، وأن يدركوا كذلك وجه النكتة ، وأسلوب التهكم المقصود ؟ !

أغلب الظن أن جماعة صغيرة من متحمسى الشباب هناك هم الذين ألهمهم الغضب ، فأنساهم النظر فى مدلول ما كتبت . وأن الآخرين – وهم الكثرة – من القراء والأدباء فى العراق ، فهموا وجه القول ، فلم يجدوا فيه طعناً للذوق العراق ، ولا منقصة ولا اتهاماً !

ولقد لمحت فى بعض الرسائل الثائرة روحاً من التعصب المحلى الضيق ، فلم أرد أن أقتطف هنا مايدل عليها ، فلعلها سورة غضب وقتى ، ثم يعودون فيرون أن مصر والصحافة المصرية حفية بكل أدب عربى . وأننى أنا بالذات نوهت بمعظم ما وقع لى من هذا الأدب كالأدب المصرى سواء . أما «الرسالة» بخاصة فلا يمكن أن تتهم بإغفال أدباء البلاد العربية وعلى صفحاتها تجرى أقلامهم ، وقد تكون هى أول من يعرفهم حتى إلى مواطنيهم . على أن هناك ماينفى التعصب جملة : أليس الكتاب الذى يلقى هذا النقد كتاب شاب مصرى ؟ !

ولقد شكوت مرة من صعوبة حصولنا على مطبوعاتهم . وعندى بحث عن شعراء الشباب وبحث عن القصة الحديثة . أؤجلهما فترة بعد فترة لأننى لم أستطع إلى اليوم الحصول على إنتاج البلاد العربية فيهما ، ولم أرد الاكتفاء بالأدب المصرى . فهل بعد هذا تتهم مصر بالتعصب ؟

سيد قطب

كفل به وكفله أيضا :

سعادة الأستاذ الكبير السيد أحمد حسن الزيات – أطال الله بقاءه –

قرأت – سيدى – كلمة طيبة فى الرسالة[1] لعالم فاضل من بنى مهم ، تتبع فيها ما كنت نشرته فى مجلة المجمع العلمى العربى من وجوب أن يقال «كفل به» إذا أريد «تحمل به» لا كفله ، واستشهد على صحة «كفله» بما ورد فى لسان العرب خاصا بذلك وهو «كفل المال وبالمال ضمنه» وذكر أموراً أخرى تدل على نفس عطر فى العربية ونفس كريمة ، وأود أن أذكر لحضرته أنى اطلعت على ما فى اللسان وعلى ما فى غيره فقد جاء فى المصباح المنير «وحكى ابن القطاع كفلته وكفلت به وعنه إذا تحملت به» وقد توفى ابن القطاع سنة «٥١٥ هـ» فهو من المتأخرين ؛ وإنى لم أنقل قول الزمخشرى – وهو معاصر لابن القطاع – لكون أساسه مستوعباً لكل لفظة وتركيب – كما ظن العالم الفاضل حفظه الله – بل كان ذلك من قبيل التمهيد لدعواى .

فأنا أقول محتجاً لدعواى تلك : إن العرب ميزت بين «كفله وكفل به» فلكل منهما معنى والمساواة بينهما تورث اللبس ، وإن أخوف ما خافته العرب على لغتها هو الالتباس ، فلذلك استعانوا بحروف الجر كل الاستعانة – كما هو بين للعالم الفاضل الناقد – ولو كان أمر «كفله وكفل به» من باب الحذف والايصال الذى هو من خصائص هذه اللغة الكريمة لكان تنبيهى تشديداً وتحجراً تأباها طبيعتها السهلة السمحة ، وإنما هو أمر ذو بال ، وإدخال الباء على المكفول به لازم ، وكذلك الحال فيما أشبهه ، فقد قالت العرب «تحمله» فلما أرادوا به «كفل به» قالوا «تحمل به» وقالوا «قبله» فلما أرادوا به ذلك المعنى قالوا «قبل به» وقالوا «زعمه» ثم قالوا «زعم به» أى كفل به .

ولم يبق بينى وبين من أجاز «كفله» إلا كلام العرب وهو الحكم الفيصل ، فقد جاء فى كتاب نهج البلاغة فى أثناء وصف الحيوان «فهذا غراب وهذا عقاب وهذا حمام وهذا نعام ، دعا كل طائر باسمه وكفل برزقه» وجاء فى وصف النملة منه «تجمع فى حرها لبردها وفى وردها لصدرها ، مكفول برزقها مرزوقة بوفقها» وورد فى كلام الأخطل للشعبى فى حضرة عبد الملك ابن مروان «من يكفل بك ؟ قلت أمير المؤمنين» وفى الأغانى من يتكفل بك ؟ [1] » فالباء لازمة فى كليهما .

وقال المبرد فى أخبار الخوارج «وطالب الكفلاء بمن كفلوا به فكل من جاء بصاحبه أطلقه وقتل الخارجى ومن لم يأت بمن كفل به منهم قتله» وقال الطبرى «فلم يزل يحيى ابن عمر محبوساً إلى أن كفل به فأطلق»

وقد تعقبت هذا اللفظ وحرف جره خمس عشرة سنة فلم أجد من خالف فيه وجهه الصحيح إلا ابن الساعاتى الشاعر المتوفى سنة ٦٠٤ هـ بقوله :

(١) الجزء ٦٢٤ ص ٦٢٢

(١) شرح نهج البلاغة مج ١ ص ٤٥٤ ومج ٣ ص ١٩٩ ومج ٤ ص ٥٠١ والكامل ج ٣ ص ١٥٤ من طبعة الأزهرى وتاريخ الطبرى سنة ٢٥٠ ص ٨٧ من طبعة مصر والأغانى ج ١١ ص ٢٥ من طبعة دار الكتب وديوان ابن الساعاتى ج ١ ص ٧٤

كفل الدمع رى سفحيك والدمـ ـع ملىء بعد النوى بالكفالة

وهو شاعر متأخر مضطر كسائر الشعراء . فمن يأتنى بعبارة لعربى فصيح استعمل فيها « كفله » بمعنى « كفل به » فقد عارض الحجة بالحجة وحقق صحة ما ورد فى اللسان وفى غيره وألزمنى الرجوع عن قولى .

هذا وإنى شاكر للعالم الجليل الفاضل ما أحرر به من كمال الأدب والغيرة على لغة العرب ، أيده الله تعالى .

(بغداد) الدكتور مصطفى جواد

حول ترجمة « المقامر » لدستويفسكي

قرأت فى عدد مايو من مجلة المقتطف نقداً لقصة « المقامر » التى نقلتها إلى العربية ونشرتها دار الكاتب المصرى . ولقد كان أسلوب الكاتب فى نقده جديراً بأن يصرفنى عن الرد عليه ، لولا أن هناك أموراً أريد أن أقررها لمن يعنون بالأدب الروسى من قراء العربية .

لقد تناول الناقد ترجمة كونستانس جارنت الانجليزية ، وترجمة ألمانية لم يذكر اسم صاحبها ، وظل يداول بينهما أشهراً حتى حصل على اختلاف يسير بينهما وبين ترجمتى ، فصاغه فى أسلوب القدح والنبز ، وظن أنه قد هدم القصة والمترجم . والحق أنه كان (هجاء) بارعاً ، فعادى بين المترجم والناشر ، وكاد يوقع بينهما المؤلف .

هل يعنى الأستاذ الناقد أن ترجمة المقامر ليست ترجمة مطابقة ، وإنما هى ترجمة مقاربة ؟ ومن ذا الذى يدعى أن ترجمة كتاب روسى عن الفرنسية أو الانجليزية ترجمة مطابقة ؟ إننى يا سيدى الناقد لا أقدس الأوربيين كما تقدسهم ؛ فقد نقلت عن ترجمتين ، كما راجعت أنت ترجمتين : أما أولاهما فترجمة هوجارث الانجليزية ، وأما الثانية فترجمة البرن كامنسكى الفرنسية . وقد لقيت من الجهد فى التقريب بين الترجمتين ما يعرفه الناقد إن عنى نفسه بمثل هذا العمل . لن تكون تراجمنا عن الأدباء الروس تراجم مطابقة حتى ننقل عن الروسية ، وهذا عمل لن نعتمد فيه على جيل قادم بل سوف ننهض نحن به . فكثير أن ندعى لأنفسنا العلم بالأدب الروسى ونحن نقلب بين أيدينا تراجم إنجليزية وفرنسية وألمانية .

وبعد ... فقد شاء الأستاذ الناقد أن يرمينى بركاكة الأسلوب ، واستشهد بسبع عبارات عدها أخطاء لغوية ، ويكفينى أن أمثل لهذه « الأخطاء اللغوية » التى عثر عليها الأستاذ بعبارتين اثنتين .

فقد كتبت « نظر إلى باستعلاء » فعدها الأستاذ خطأ ، ونص على أن صوابها « متعالياً ، أو فى عنجهية » ، وكتبت « تسمع احتجاجى » فعدها الأستاذ خطأ أيضاً ، ونص على أن صوابها « تأذن إلى استنكارى » ... أما « الأخطاء » الباقية فقد نتجادل فى صحتها إلى آخر الدهر ، لأن مرجعها رغبتى فى التوسع ، معتمداً على التضمين أو حذف الخافض أو غيرهما من قواعد اللغة ، حتى يسهل الأسلوب ويلين ، ويطوع لأكثر ما فى الأصل من معانٍ ، ومن ظلال معان . أما الأستاذ الناقد فيؤثر التنوق والإغراب ، ويتفاصح بتخطئة الصحيح المقبول ، ويعد من لا يتنوق ولا يتفاصح مثله ركيك الأسلوب .

على أن مثار دهشتى أن الأستاذ وهو المتشدد فى اللغة ، قد أرداه تنوقه فاستعمل كلمتين لا وجه لهما ، ولا فائدة فى الدلالة على معنى خاص ، فقال فى أول مقاله « أبهظته خيانة الزوجة » وليس فى العربية إلا « بهظَهُ » وليس فى أبهظ معنى زائد . وقال فى آخره « عدا المعرب على عبارات المؤلف بالمسخ والتشويه والتقطيع والتقطيع — ياسيدى — كأخيه الإبهاظ ، لم تذكره كتب اللغة .

هذا ما بدا لى فى مقال الأستاذ ، كتبته لأبين منهجى فى ترجمة هذا الأدب . وأعرض عن لغو كثير .

شكرى محمد عياد

إلى الأستاذ على الطنطاوى :

قلت فى كلمتك من مزايا « الرسالة » المنشورة فى بريد العدد ٦٧٥ « ولكن السهمى لم يصحح تفسير الأستاذ الكبير العقاد لكلمة المحدَّث فقد ذكر أن (المحدَّث الذى يسمع كلام الله) مع أن الذى قالوه فى المحدث أنه الملهم » .

ولو أعاد الأستاذ الطنطاوى قراءة ما كتبه الأستاذ السهمى لوجده قد صحح الكلمة وتفسيرها بما نقله عن كتاب النهاية لابن الأثير .

(منصف)

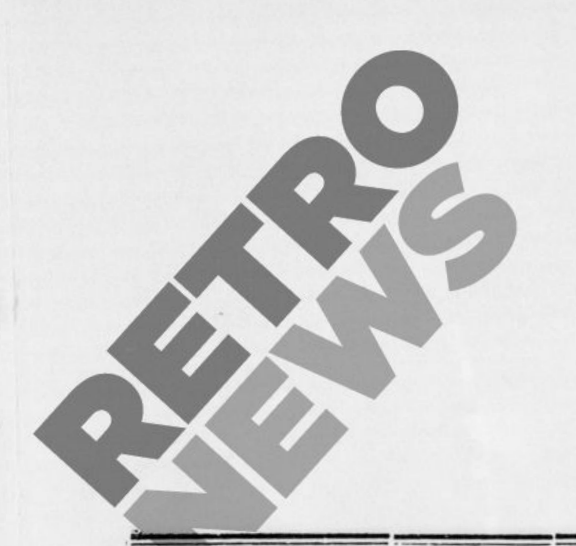
تصويب :

فى مقال « دفاع عن البلاغة » فى العدد الماضى وقعت أغلاط منها غلطتان لا بد من تصويبهما فى هاتين الفقرتين :

١ — العمل الفنى فى الأدب لا يوصف بالجودة إلا أن يتهيأ للفكرة الجيدة ... أسلوب جيد » وقد كتبت (أسلوبا جيداً) !

٢ — « لأنه بلغ من سر الصناعة غاية تظَّلع دونها أكثر الأقلام » وقد كتبت (تطلع) !


RETRO
NEWS



(طبعت بمطبعة الرسالة شارع السلطان حسين — عابدين)